

المملكة العربية السعودية  
الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة  
قسم الدراسات العليا (شعبة التفسير)

---

تفسير أبي المظفر السمعاني من سورة الجن إلى آخر  
القران الكريم مع المقارنة بينه وبين البغوى والنمخشري

---

تحقيق ودراسة



سليمان صالح العبد لله الخيـزي

مقدم



لنيل الشهادة العالمية العالية ( الدكتوراة )

اشرف



فضيلة الشيخ / ابوبكر جابر الجزائري

العام الدراسي : ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ

(( الجزء الأول ))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الأول

الدراسة

**\*\* كلمة شكر \*\***

ان الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له  
وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله .  
أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي نبينا  
محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة  
ضلالة وكل ضلالة في النار .

وامتثالاً لقوله تعالى ( ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ) ( ١ ) وقوله : ( لئن  
شكرتم لازيدنكم ) ( ٢ ) ومصادقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( من لا يشكر  
الناس لا يشكر الله ) ( ٣ ) .

فانطلاقاً من هذا المبدأ السامي أتقدم بجزيل الشكر وكامل العرفان إلى  
شيخي الفاضل الشيخ / ابي بكر جابر الجزائري الذي تفضل بالاشراف علي  
الرسالة - فكان لي خير عون على انجازها - فقد بذل من أوقاته الثمينه الشيء  
الكثير ولم يدخر وسعاً في تكميل هذه الرسالة على صورة يقتضيها الاسلوب العلمي  
ومنهج البحث الدقيق - فأسدى إليّ شيئاً كثيراً من توجيهاته الرشيدة وارشاداته  
القيمة - فجزاه الله تعالى عني خير الجزاء وحفظه ورعاه ووفقه وسدد خطاه واثني  
بشكري وامتناني لكل من استاذي الجليلين .

فضيلة :  
عضول لجنة  
فضيلة :  
المناقشة على قبولهما مناقشة هذه الرسالة فجزاهما الله عنا خير الجزاء واسبغ عليهما  
موفور الصحة والعافية .

كما اشكر فضيلة الشيخ / حماد الأنصاري الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته  
وارشاداته السديده فكثيراً ما رجعت إليه في أمور العقيدة والحديث فوجدت عنده  
قصدى فاسأل الله تعالى أن يحفظه لنا - ويجزيه عنا كل خير .

واتقدم أيضاً بوافر من الشكر والتقدير إلى فضيلة الدكتور/ عبد العزيز القاري  
الذي استفدت منه كثيراً اثناء اعداد الرسالة ولاسيما عند اعداد الخطة لها فيرجع  
إليه فضل كبير في ذلك حيث أنار لي الطريق بتوجيهاته وبين لي رؤوس المسائل  
التي يجب التعرض لها في القسم الدراسي فجزاه الله تعالى كل خير .

( ١ ) سورة لقمان : الآية : ( ١٢ )

( ٢ ) سورة ابراهيم : الآية : ( ٠٧ )

( ٣ ) اخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الادب ( ١٥٧ / ٥ ) رقم (( ٤٨١١ )) ( ) .



ولاي فوتني في هذه المناسبة أيضا أن أشكر فضيلة الدكتور / عبدالعزيز عثمان لما وجدته منه من توجيهات قيمة وآراء سديده مستمرة استفدت منها كثيراً خلال هذه الرسالة أسأل الله العلي القدير أن يطيل في عمره ويجزيه عنا خير الجزاء ، كما أتقدم بالشكر إلى فضيلة عميد كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية ( الدكتور / أحمد عبد الله الزهراني ) لما كتبت أجده منه من تشجيع دائم وحث متواصل كان له كبير الأثر في إنجاز هذه الرسالة فقد لمست منه الإخلاص الصادق والحب الكبير لخدمة هذه الجامعة العزيزة لدى قلوبنا جميعاً .  
 فلماذا حاولت بكل ما أستطيع أن أنهي هذه الرسالة بأسرع وقت ممكن وقد حصل والله الحمد فبارك الله فيه وجزاه عنا خير الجزاء .

ثم لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى الجامعة الإسلامية والقائمين عليها وعلى رأسهم معالي الدكتور / عبد الله صالح العبيد رئيس الجامعة وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان رئيس قسم الدراسات العليا اللذين يسهران على تقديم كل ما يساعد طلاب العلم في الجامعة على مواصلة دراساتهم فأسال الله تعالى أن يديم عليهم ما نعمة الصحة والعافية ويوفقهما لكل ما فيه خير للإسلام والمسلمين . وكذلك أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذه الرسالة مهما كانت نوعية هذه المساعدة وأخص منهم بالذكر الأخ الوفي / مصطفى عبد الجليل أمين مكتبة الدراسات العليا الذي كان له كبير الأثر في مساعدتي في الحصول على المراجع النادرة فادعوا الله تعالى للجميع التوفيق والسداد - إنه سميع مجيب - .

## \*\*\* التمهيد \*\*\*

## أولاً : سبب اختيار الكتاب :

لما كان القرآن العظيم أجل كتاب وأشرفه على الإطلاق كان تفسير القرآن وعلومه من أجل العلوم وأشرفها (١) لأن شرف العلم تابع لشرف المعلوم وأولى ما يشتغل العالم ويقضى حياته فيه هو تعلم القرآن وفهمه والعمل بمقتضاه والامتثال لأوامره ونواهيه - كما عمل به الصحابة والتابعون وتابعوهم وسلف الأمة الصالحون ، فكانوا أحسن الناس حظاً وأكثرهم رفعة وعزاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٢) وتعلمه وتعليمه لا يعنى مجرد حفظه وتحفيظه دون فهم المعاني والعمل بمقتضاه ، بل المقصود مجموع ذلك كله من الحفظ والفهم والامتثال وقد روى عن ابن مسعود أنه قال : " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن " (٣) ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم المبين للقرآن والمفسر له في عهده ما كان الناس في حاجة إلى غيره حيث كان خلقه القرآن فكان هو نفسه تفسيراً له في قوله وفعله وتقريره وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لقرب عهدهم من عصر النبوة ومشاهدتهم التنزيل وملكهم في العربية التي نزل بها القرآن لم يكونوا بحاجة إلى علوم القرآن ، ولكن حينما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية واختلطت العرب بالاعاجم الذين لم تكن ملكتهم تؤهلهم الاستفادة من القرآن واساليه البلاغية الرائعة احتاج الأمر إلى تفسير القرآن وتدوين علومه ، وبالفعل قد اشتغل علماء السلف في خدمة القرآن فالتفوا فيه على مر العصور مؤلفات لا تكاد تحصى منها كتاب السمعاني هذا الذي نحن في صدد تحقيق جزء منه وتأليفهم في تفسير القرآن يرجع تاريخه إلى عصور مبكرة من عهد الإسلام حيث بدأ في النصف الأول من القرن الثاني الهجري .

وذكر د / صبحي الصالح أن التدوين في التفسير بدأ قبل كل شيء لأنه أم العلوم القرآنية (٤) وكان علماء السلف يعتبرون خدمة القرآن الكريم - شرفاً لهم - فلم يتركوا مجالاً من مجالاته إلا وقد كتبوا فيه فأجادوا وأقادوا بحيث لا مزيد على ما تركوا لنا من ورائهم من تراث وذلك لأن مقاصدهم ونياتهم كانت صالحة وصادقة ونزيهة عن كل الاطماع الدنيوية فبارك الله تعالى في جهودهم المخلصة فيها هي أعمالهم ومؤلفاتهم تشهد بذلك على مر الزمن فيلزمنا وحالتنا غير خافية على أحد ان نستضيء بضياء أولئك الأعلام الذين بذلوا الغالي والنفيس في خدمة الإسلام وفي خدمة كتاب الله العزيز ونجعل أعمالهم قدوة لنا ، ومن السبيل إلى ذلك إخراج ما تراكم عليه الظلام من كوزهم الثمينة الغالية إلى نور الشمس وضياها بصورة تقرب لئلا نسا مشوار الحصول على لآئها الصدوفة في بطونها ولربما نكون بهذا العمل قد أدينا

(١) نقل السيوطي في الإتقان (٢/٢٢٤) عن الاصبهاني أنه قال : أشرف صناعات

يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن .

(٢) إخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن (٩/٧٤ رقم ٥٠٢٧) بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (١/٣٥)

(٤) مباحث في علوم القرآن ص : (١٢١)

شيئاً مما يجب علينا نحوهم ، ونكون قد تغيّنا بظلال جهودهم المخلصة المباركة فنجعل الإخلاص والصدق نصب اعيننا في أعمالنا وإنطلاقاً من هذا المبدأ اغتنمت فرصة التحاقى بمرحلة الدكتوراة ( شعبة التفسير ) في الجامعة الإسلامية حيث اخترت مخطوطة من المخطوطات القيمة النادرة في مجال التفسير والتي قد مضى عليها قرابة الف عام وهي جديرة بأن تنشر بين الناس لما تحتوى عليه من صفات (١) . هذا مع العلم بأننى قد قمت بإعداد بحث في المرحلة السابقة ( الماجستير ) فأردت من رواء اختيار المخطوطة تحقيقاً ودراسة في المرحلة الراهنة التدرج في كلا المجالين - البحث والتحقيق - فإن تحقيق المخطوطات القيمة وإخراجها بصورة علمية للناس له أيضاً مكانة كبيرة وأهمية عظيمة في أوساط أهل العلم - كما أنه طريق وعروض صعب (٢) لا يمكن سلوكه لكل واحد بدون تجربة وخبرة سابقة وإن كان هناك من يرى أن التحقيق أمر سهل وبسيط ليس فيه أى معاناة وتعب وهذا الكلام قد يكون له شيء من الصحة ، ولكن لا يمكن حمله على عمومه فإن هناك بعض المخطوطات في بعض المجالات تأخذ من المحقق من الجهد والبحث والوقت ما لا يأخذه البحث من الباحث كما أن الاشتغال بالمخطوطات تحقيقاً ودراسة يهيبه للطلاب أو المحقق فرصة ليقى برهة من الزمن مع أولئك الأعلام الذين بذلوا في خدمة الإسلام وفي خدمة الكتاب والسنة الغالي والنفيس وعانوا في سبيل ذلك من المتاعب والمشقات ما لا يمكن للتاريخ أن يأتي له بمثل ولا نظير ، فبخدمة ما تركوا من ورائهم من تراث ربما نوءدى بعض ما يجب علينا نحوهم . هذا إلى جانب ما يوجد في خدمته من نشر للعلم الصحيح الذى هو منشود كل طالب للعلم ثم إنه قد صادف التحاقى بمرحلة الدكتوراة ان قسم الدراسات العليا كان يوزع على بعض الأخوة الطلاب الباحثين في كلتا المرحلتين ( ماجستير ودكتوراه ) في شعبة التفسير ، تفسير السمعاني للتحقيق والدراسة فأحببت الإشتراك معهم في إنجاز هذا العمل الجليل وجاء في نصيبى شيء من الجزء التاسع والعشرين والجزء الثلاثين من الكتاب وبالتحديد من سورة الجن إلى آخر الكتاب ، ولما رأى القسم أن هناك من سبقنى بدراسة هذا الكتاب اشترط عليّ أن أقوم بالمقارنة بين ثلاثة من المفسرين : السمعاني والبغوى ، والزمخشري مع التوسع عوضاً عن ذلك وهكذا تمت الموافقة من قبل مجلس قسم الدراسات العليا على هذا الكتاب وبدأت مستعيناً بالله تعالى ومتوكلاً عليه وراجياً منه حسن الختام حتى أتيت على نهايته بتوفيق منه جلت قدرته في ضوء ما اشترط عليّ من التوسع والمقارنة بين المفسرين الثلاثة المذكورين .

وأما إذا سئلت عن الدافع الذى دفعنى إلى اختيار تفسير السمعاني ولا سيما الجزء المتبقى منه بالذات فأقول فى الجواب عن ذلك إن أهم ما دفعنى إلى اختيار الجزء المذكور من كتاب تفسير السمعاني هو تمسك المؤلف بالعقيدة السلفية وتحمسه للدفاع عنها وعرفت ذلك من خلال ترجمته ومؤلفاته خاصة تفسيره الذى نحن بصدده تحقيقه وهذا شيء يندر وجوده

(١) وقد سبق الدكتور / عبد القادر منصور المعروف بابى دجانه إلى تحديد بعض الصفات التى يمتاز بها هذا التفسير فأرجع إليها إن شئت فى مقدمته على تفسير السمعاني ( ص خ ) .

(٢) لست ادعى بأننى من الذين يحبون ركوب الصعاب بل الغرض هو ان العلم لا يأتي إلا من طريق الجد والاجتهاد .

في المفسرين من منتصف القرن الرابع الهجري فإن كثيراً منهم ممن ينتسبون إلى أهل السنة تأثروا بالعقيدة الأشعرية أو الماتريدية (١) ولما رأيت أن المؤلف سلفي فسي عقيدته وسلك في تفسيره على نهج السلف ودافع عن عقيدتهم دفاعاً قوياً فما كان لي إلا أن اتبادر إلى اختيار الجزء المتبقى منه لأنال بذلك فضل الاشتراك في هذا العمل الجليل وانجازه واتمامه ، وما شجعني على اختيار الجزء المذكور من الكتاب اننى توسمت في هذا الاشتراك خروج للكتاب محققاً ومتكاملاً إلى أيدي الناس . مع العلم بأن أغلب المخطوطات في مجال التفسير طويلة وضخمة لا يقدر على تحقيقها ودراستها طالب واحد ولذا نرى بعض المخطوطات وخاصة في مجال التفسير يكتفي الطلاب الباحثون في مرحلتى الدكتوراة والماجستير بتحقيق جزء منها لعدم تمكنهم من القيام بأكملها في وقتهم المحدود مما يجعل كثير من هذه الاعمال والجهود مبتورة وقد تكون فائدة هذه الاعمال المبتورة أقل مما كان عليه الكتاب سابقاً من مخطوطة محفوظة في رفوف الخزانات ، فكان تسمى لخروج هذا الكتاب محققاً متكاملاً إلى الناس دفاعاً لي إلى اختيار الجزء الباقي من تفسير السمعاني وارجو الله تعالى أن يحقق ما نتمناه وأن لا يبقى الكتاب بعد تحقيقه ودراسته زينة لخزانات المكتبات كما كانت الحال قبل تحقيقه ودراسته .

#### خطة الدراسة :

وأما خطة الرسالة فهى تتلخص فيما يأتى :  
 أولاً) قسمت الرسالة إلى قسمين : قسم الدراسة ، وقسم التحقيق ، وجعلت قسم الدراسة في تمهيد ومقدمة وثلاثة ابواب ، فالتمهيد وهو الذى نحن فيه يشتمل على بيان سبب اختيار الموضوع وبيان الخطة للرسالة . وأما المقدمة فتشتمل على تعريف التفسير لغة واصطلاحاً . وأما الباب الأول فهو في نبذة يسيرة عن تاريخ التفسير وقد جعلت هذا الباب في ثلاثة فصول .

الفصل الأول : في المراحل التى مر بها تفسير القرآن الكريم من عصر النبوة إلى عصر التدوين

وذكرت فيه ما تتميز به كل مرحلة عن الأخرى .

الفصل الثانى : في ظهور الاتجاهات في تفسير القرآن ذكرت فيه سبب ظهور الاتجاهات

وما كان لكل اتجاه من آثار حسنة أو سيئة .

الفصل الثالث : في التعريف بالمدسة الاعتزالية والمدسة السلفية وموقفهما من التفسير وبينت

فيه ما تتصف به كل من المدرستين مع ذكر بعض النماذج من تفاسيرهم ، والقصد من وراء

(١) لاننا نلاحظ ان اغلب المفسرين الذين جاءوا من بعد ما انتشرت العقيدة الاشعرية في صفوف المسلمين تأثروا بالمنهج الاشعري الذى يتميز بتاويل كثير من الايات التى وردت فيها صفات الله تعالى عن معناها الحقيقى منهم على سبيل المثال الشعلبى ، وابن الجوزى ، والقرطبى ، والنسفى ، والخبازن ، وأبو حيان ، وغيرهم .

ذلك كله هو التوطئة والتمهيد للدخول فيما سنتكلم عنه ان شاء الله في الباب الثاني الذي هو في المقارنة بين المفسرين الثلاثة ( السمعاني ، والبغوى ، والزمخشري ) لأن أحدهم يحمل فكرة من الأفكار الطارئة على الإسلام ألا وهي الاعتزال فكان من اللازم - في نظري - أن أتعرض لذكر مراحل التفسير وما طرأ عليه من أفكار ونظريات لم تكن تعرف في الصدر الأول من هذه الأمة . مع الإشارة إلى مدى أبعادها في التأثير على الأمة وعليه عقدت هذا الباب كمدخل للباب الثاني ليكون لدى القارئ الكريم خلفيته عما سوف نتعرض له فيه .

الباب الثاني : في المقارنة بين المفسرين الثلاثة : السمعاني ، والبغوى ، والزمخشري وجعلت هذا الباب في تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد : في عصرهم ، ذكرت فيه بالأجمال الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد العالم الإسلامي بصفة عامة ثم خصصت الكلام عن اقليم كل واحد منهم ، والفصل الأول في ترجمة السمعاني ، والفصل الثاني وهو يشتمل على مبحثين : المبحث الأول في ترجمة البغوى ، والمبحث الثاني : في ترجمة الزمخشري .

ومن المعلوم ان هؤلاء الثلاثة قد افردت عن كل واحد منهم دراسة وافية مستقلة بل الأخير قد قام بدراسته اكثر من واحد ولذلك لم اسهب في تراجمهم بل ذكرت نبذة عن حياتهم الشخصية والعلمية حتى يكون لدى القارئ وهو يدرس المقارنة بينهم - اطلاع على شخصية كل واحد منهم . . مع العلم بأن الأول قد اعطيته اهتماماً اكثر مما اعطيته الآخرين ، وذلك لأنه مؤلف الكتاب الذي انا بصدد تحقيق جزء منه وذلك يلزمني أن ادرس ترجمته وسيرته بشيء من التفصيل ولا ادعى بأننى اقدم من خلال دراستى عنه شيئاً جديداً لم اسبق إليه ولكن أحاول فيها ان لا يكون هناك تكرار حرفي لما قد قام به بعض من سبقنى إلى دراسة ترجمته بحيث انى اختار منهجاً في العرض يتغاير عن منهج السابقين كما انى اقوم بتصحيح بعض القضايا التي اخطأ فيها بعضهم ثم انى افصل بعض النواحي التي لم يتعرض لها أو تعرض لها ولكن بالأجمال ، فأتعرض لتلك الناحية بشيء من التفصيل ولا يخفى ان هناك بعض الأمور لا بد من ذكرها ولو كان قد سبق إليها السابقون مشتمل الانساب وتاريخ الميلاد والوفيات وما إلى ذلك .

والفصل الثالث : وهو الأخير والأهم من هذا الباب يشتمل على المقارنة بين التفاسير

الثلاثة ( السمعاني - البغوى - الزمخشري ) وسوف تكون المقارنة بينها على النحو التالي :

أولاً ( اذ كر نبذة عن كل من هذه التفاسير الثلاثة وماله من مقام في الأوساط العلمية وذلك في ضوء ما قاله العلماء والباحثون .

ثانياً ( اذ كر بعض القضايا التفسيرية البارزة مثل التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى والقراءات والاسرائيليات واسباب النزول وغيرها من المسائل المهمة التي لها علاقة بالتفسير تحت عناوين مستقلة ثم اتبعها بموقف كل واحد منهم وبرز الطريقة التي سلكها في تفسيره نحو تلك المسائل والقضايا .

ثالثاً ( اذكر في النهاية خلاصة ما يتبين لي من تلك المقارنة بين هذه التفاسير الثلاثة  
 • كتيبة للبحث .

### الباب الثالث :

في التعريف بالكتاب ، ودراسة النسخ الخطية وجعلته في ثلاثة فصول :  
الفصل الأول : في التعريف بالكتاب .

الفصل الثاني : في دراسة النسخ الخطية .

الفصل الثالث : بيان منهج التحقيق ، وعمل في الكتاب .

وأما القسم الثاني فهو في تحقيق نص الكتاب مع تعليقات في أسفل الصفحة مع العلم بأن هذه التعليقات إما تكون تصحيحاً للنص ، أو تخريجاً للحديث والأثر أو عزواً للقول إلى قائله أو تفصيلاً لما أجعله المؤلف من القضايا العقدية أو الفقهية أو تعريفاً بالأعلام والألفاظ والأماكن أو غير ذلك مما له علاقة بالكتاب مع الاجتناب فسي الحشو الزائد الذي لا يمت بصلة إلى نص الكتاب .

هذا وأرجو الله العلي القدير ان اكون قد وفقت في هذا العمل المتواضع ، ومع الاعتراف بقلة البضاعة وقصر الباع فإنني قد بذلت ما املك من جهد ووقت لانجازه على وجه يرضاه الاسلوب العلمي ومنهج البحث الدقيق ، فما كان فيه من حسنات فمن الله تعالى ويتوفيق منه ، وما كان فيه من خطأ فأنا معترف بتقصيري واستغفر الله منه واتوب إليه واسأله سبحانه وتعالى ان يجعل لي هذا العمل فاتحة خير ، وان يوفقني للإخلاص والصدق في جميع الاعمال وأن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين انه سميع مجيب واخسر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد واله ورضيه اجمعين .

## \*\*\* في بيان ال تفسير لغة واصطلاحاً \*\*\*

وقد ذهب العلماء إلى أربعة أقوال في بيان معنى كلمة التفسير لغوية  
الأول : واليه ذهب الاكثرون أن التفسير مشتق من الفسر ، قال ابن منظور : الفسر :

البيان ، فسّر الشيء يفسره - بالكسر - ويفسره - بالضم - فسراً وفسره : أبانه والتفسير  
مثله . . . وقال : الفسر : كشف المغطى والتفسير : كشف المراد عن اللفظ المشكل (١)  
ونجد هذا المعنى في سائر كتب المعاجم (٢) ومنه قوله تعالى : (( وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ  
إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا )) (٣) أي بياناً وتفصيلاً .

الثاني : انه مشتق من التفسيرة وهو الذي يراه الزركشي حيث يقول : واصله ( يعنى  
التفسير ) في اللغة من التفسيرة : وهى القليل من الماء الذى ينظر فيه الأطباء ، فكما  
أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المرض فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها  
ومعناها والسبب الذى انزلت فيه وكأنه تسمية بالمصدر لأن مصدر فعل جاء أيضا على  
" تفعيلة " نحو " جرب تجرية وكرم تكريمة " . (٤)

قال ابن منظور : وكل شئ يعرف به تفسير الشئ ومعناه فهو تفسيرته . (٥)  
الثالث : انه مقلوب من السفر ومعناه أيضا : الكشف . قال ابن منظور : سفر البيت وغيره  
يسفره سفراً : كسه ، واصله : الكشف ، وقال : وسفرت المرأة وجهها : إذا كشفت  
اللقاب عن وجهها ومنه سفرت بين القوم أسفرت سفارة أى كشفت ما فى قلب هذا وقلب هذا  
الأصلح بينهم (٦) ذكر الزركشي نقلاً عن الراغب قال : الفسر والسفر يتقارب معناهما  
كتقارب لفظيهما ، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبىء عنه البول  
تفسرة ، وسمى بها قارورة الماء ، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار ف قيل سفرت المرأة  
عن وجهها وأسفر الصبح . (٧)

وعزا الأخ الدكتور / محمد اشرف المليارى هذا القول إلى الطرائحي من مجمع البحرين  
حيث يقول : التفسير فى اللغة : كشف معنى اللفظ وإظهاره مأخوذ من الفسر وهو مقلوب  
يقال : أسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفتها . (٨)

الرابع : قال أبو حيان : ويطلق التفسير أيضا على التعرية للإطلاق قال ثعلب : تقول  
فسرت الفرس : عريته لينطلق فى حصره وهو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا  
الذى يرده منه من الجرى (٩) وبه قال ابن الانبارى أيضا . (١٠)

- (١) لسان العرب : ( ٥٥ / ٥ )
- (٢) انظر : الصحاح ( ٧٨١ / ٢ ) ، والقاموس المحيط ( ١١٤ / ٢ )
- (٣) الآية : ٣٣ من سورة الفرقان .
- (٤) البرهسان ( ١٤٧ / ٢ )
- (٥) لسان العرب ( ٥٥ / ٥ )
- (٦) لسان العرب ( ٣٦٧ / ٤ ، ٣٧٠ ) مادة سفر .
- (٧) البرهسان ( ١٤٨ / ٢ )
- (٨) مجموع البحرين ( ٤٣٨ / ٣ ) نقلاً عن الثعلبى ودراسته كتابه ص : ٢٠١ رسالة دكتوراه .
- (٩) البحر المحييط ( ١٣ / ١ )
- (١٠) البرهسان ( ١٤٧ / ٢ )

والتفسير في جميع هذه الاشتاقات يرجع الى الكشف والظهور . قال الثعلبي بعد عرضه لما اشتق منه التفسير : فمعنى التفسير هو التنوير وكشف المنغلق من المراد بلفظ واطلاق المحتبس عن فهمه (١) سواء كان هذا حسياً او معنوياً . قال الدكتور محمد حسين الذهبي : " واستعماله في الثاني اكثر من استعماله في الاول . (٢)

### التفسير اصطلاحاً :

كثرت حدود التفسير لدى العلماء ما بين مطول ومختصر ومتوسط والسبب في ذلك كما ذكر الدكتور الذهبي ان بعض العلماء يرى ان التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد ، لانه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاوله القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية ويكتفي في ايضاح التفسير بأنه بيان كلام الله ، أو أنه المبين للفاظ القرآن ومفهوماتها .

ويرى بعض آخر منهم ان التفسير من قبيل المسائل الجزئية ، أو القواعد الكلية ، والملكات الناشئة من مزاوله القواعد فيتكلف له التعريف فيذكر في ذلك علوماً أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن ، كاللغة والصرف ، والنحو ، والقراءات وغير ذلك . (٣) والحد ينقسم إلى ثلاثة أقسام الحد اللفظي : إذ السائل لا يطلب به إلا شرح اللفظ ، والحد الرسمي إذ هو مطلب مرتسباً لعلم غير متشوف إلى درك حقيقة الشيء ، والحد الحقيقي ومطلب الطالب منه درك حقيقة الشيء وهذا الثالث شرطه ان يشتمل على جميع ذاتيات الشيء (٤) وعلى هذا فليس الأمر كما يرى الدكتور الذهبي بل الذين اقتصروا على أن التفسير بيان كلام الله أو أنه المبين للفاظ القرآن ومفهوماتها فهو لاء اقتصروا على حده الرسمي ولم يتعرضوا لحده الحقيقي الذي يذكر فيه ماهية الشيء ولوازمه التي يتميز بها عن غيره والذين حدوه حداً رسمياً ذكروا فيه جميع اجزاء الحد من الجنس والفصول . ولم أراحداً يصرح ان علم التفسير ليس علماً قائماً بذاته فلعل الدكتور الذهبي أخذ هذا من اختصارهم لحد التفسير على الحد الرسمي فقط وها أنا اذكر الحد اللفظي والحد الرسمي ثم الحد الحقيقي بذكر بعض الأجناس والفصول ثم الحد الحقيقي المفصل أما الحد اللفظي فمنه قول ابي طالب الثعلبي : " التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً كالتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر " (٥) أما الحد الرسمي : فهو كما قال قطب الدين الرازي التفسير ما يبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرانه المجيد " (٦) ويقرب منه ما ذكره الزرقاني بأن التفسير في الاصطلاح علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " ثم خرج التعريف وبين محترزاته فذكر أنه لا يشمل علم القراءات والرسم وبعض ما يتعلق بالقران مع أن الآخرين يجعلون علم القراءات والرسم

(١) الكشف والبيان ورقة ١٨/١ من المدينة نقلًا عن الثعلبي ودراسة كتابه ص : ٢٠٢

(٢) التفسير والمفسرون (١٣/١) ، (٣) التفسير والمفسرون (١٤/١) .

(٤) انظر: المستقصى (١٢/١ - ١٣)

(٥) انظر: الاتقان (٢٢١/٢)

(٦) انظر: كشف الظنون (٤٢٧/١) وقد نقله عن قطب الدين الرازي في شرحه للكشاف .



داخلاً في التعريف - كما سيأتي - ولكن الناظر في هذا التعريف يفهم تماماً ويتضح لديه معالم علم التفسير والمقصود منه .

أما الحد الحقيقي فمعه ما ذكره أبو حيان في البحر فقال : " التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بآ لفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك " ثم شرح التعريف (١) ولخصه صاحب السدر اللقيط فقال : أراد بكيفية النطق علم القراءات ومدلولاتها علم اللغة و " الافرادية والتركيبية " شامل التصريف والاعراب والبيان والبديع العلوم الأربعة و " معانيها " المحمول عليها عند التركيب " شامل دلالة التركيب بالحقيقة والمجاز إن التركيب قد يقتضى شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاد وقوله " تتمت لذلك " مثل معرفة النسب - وسبب النزول وقصة توضح ما ابهم في القرآن ونحوه . (٢)

وهذا تعريف وسط والمختصر مثل تعريف الزركشي " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه . (٣) وتعريف الجرجاني : " توضيح معنى الآية " شأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة . (٤)

ولقد فصل بعضهم في تعريفه فقال : هو علم نزول الآية وسورتها وآقا صيغها ، والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها ، وزاد فيه قوم وعلم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وامرها ونهيها وعبرها وامثالها . عز السيوطي هذا التعريف إلى البعض ولم يصرح باسمه . (٥)

وهذه التعريفات عند تفصيلها تشمل جميع علوم القرآن من القراءات والرسم واللغة والتصريف والاعراب وغيرها التي ذكرها صاحب الدر اللقيط كما سبق بيانه والغرض من ذلك كله الكشف عن مراد الله تعالى بحسب الطماعة البشرية أما لفظ التأويل وهو مرادف لفظ التفسير عند المتقدمين فهو مصدر أول - بتشديد الواو - مأخوذ من الأول - بسكون الواو - بمعنى الرجوع .

قال ابن منظور : آل الشيء يؤول أولاً ومالاً رجع ، وأول إليه الشيء ، رجعه وألت عن الشيء ارتدت . . . وأول الكلام وتأوله : دبّره وقدره ، وأوله وتأوله : فسّره . (٦) وعلى هذا فكان المؤول يرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني " (٧) وقيل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة " كان المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه . (٨)

- 
- (١) البحر المحيط (١ / ١٣ - ١٤)  
(٢) الدر اللقيط من البحر المحيط : ١ / ١٤  
(٣) البرهان (١ / ١٣)  
(٤) التعريفات (٦٣)  
(٥) انظره البرهان (٢ / ١٤٨) والاتقان (٢ / ٢٢٢)  
(٦) لسان العرب (١١ / ٣٢ - ٣٣) وايضا النهاية لابن الاثير (١ / ٨٠) القاموس المحيط (٣ / ٣٤١) تاج العروس (٧ / ٢١٤ - ٢١٥) .  
(٧) انظره التفسير والمفسرون (١ / ١٦) المدخل للدكتور / شعبان (٢ / ٢٠٣) . . .  
(٨) الاتقان (٢ / ٢٢١) وايضا المدخل للدكتور / شعبان (٢٠٣)

قال الزبيدي : " آل على القوم أولاً وإيلاً وإيالةً بكسرهما - ولى أمرهم ، وفي كلام بعضهم قد ألنا وإيل علينا ، وآل المال أولاً ؛ أصلحه وساسه كائتالاً واثيالاً وهو افتعال من الأول . . . . . ويقال : هو مؤتال لقومه مقاتل عليهم أى سائس محتكم " (١)

أما في الاصطلاح فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " إن لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملاً في ثلاثة معان :

أحدها : وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله : ان التأويل

هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو الذي غناه اكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها وهمل ذلك محمود أو مذموم أو حق أو باطل .

الثاني : ان التأويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن

كما يقول ابن جرير الطبرى وأمثاله من المفسرين ؛ واختلف علماء التأويل . . . . .  
الثالث : من معاني التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال تعالى  
( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) (٢) وتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما اخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء . والجنة والنار ونحو ذلك . (٣)

ويتضح من كلام شيخ الإسلام ان التفسير والتأويل مترادفان عند كثير من المفسرين للقرآن أقول ولهذا نرى كثيراً من المفسرين يذكرون لفظ التأويل في تسمية كتبهم التفسيرية مثل " لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ، ومدارك التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي وغيرها كثير . وذهب إلى ترادفهما مجاهد وأبو عبيدة وطائفة معه كابن جرير الطبرى ، والجوهري ، وابى العباس أحمد بن يحيى وغيرهم . (٤) وخالف الآخرون ففرقوا بينهما . قال الزركشي : والصحيح تغايرهما (٥) وقد كثر كلام العلماء في بيان الفرق بينهما واستعرض كثيراً من أقوالهم د / محمد حسين الذهبي في التفسير والمفسرون ثم قال : والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال هو ان التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية " وذلك لأن التفسير معناه : الكشف والبيان ، والكشف عن مراد الله تعالى لانجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعوا إليه فيما

(١) تاج العروس ( ٢١٥ / ٧ )

(٢) سورة الاعراف : آية : ٥٣

(٣) انظر : الرسالة التدميرية : ٣٣ .

(٤) الاتقان ( ٢٢١ / ٢ ) والتفسير والمفسرون ( ١٩ / ١ ) .

(٥) البرهان ( ١٤٩ / ٢ )

استشكل عليهم من معاني القرآن الكريم . أما التأويل فملحوظ فيه أحد احتمالات اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السياق ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعاني من كل ذلك . ( ١ ) .

أما استمداد علم التفسير فقد قال الزركشي : " واستمداد ذلك من علم اللغوة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ . ( ٢ ) .

أما موضوعه فواضح للجميع إلا وهو كتاب الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته .

وأما وجه الحاجة إليه فقد قال السيوطي بعد ذكر مقدمة تبين سبب الاحتياج إلى شرح الكتب وتوضيحها .

ان القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه . وأما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سواهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر . . . . . ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير ( ٣ ) وكل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله ( ٥ ) تعالى ( ٤ ) ، أما الغاية منه فهو الاعتصام بالعرصة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفتنى .

أما حكمه : فقد قال السيوطي : قد اجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية ، ونقل عن الأصبهاني أنه قال : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن . ( ٦ ) .

( ١ ) التفسير والمفسرون ( ٢٢ / ١ )

( ٢ ) البرهان ( ١٣ / ١ ) والاتقان ( ٢٣ / ٢ )

( ٣ ) الاتقان ( ٢٢٣ / ٢ )

( ٤ ) المصدر السابق ( ٢٢٤ / ٢ )

( ٥ ) المصدر السابق

( ٦ ) المصدر السابق

## الباب الأول

— ( التفسير ونبذة يسيرة عن تاريخه ) —

### الفصل الأول : التفسير والمراحل التي مر بها —

إن القرآن الكريم نزل من الله العزيز الحكيم على النبي المبعوث رحمة للعالمين — والغرض من ذلك — هو هداية الناس أجمعين ودلائهم على طريق الخير والرشد من طريق الشر والغي . والنبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم القرآن جملة وتفصيلاً . قال الله تعالى : (( لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ )) (١)

والصحابه رضوان الله تعالى عليهم كانوا يشاهدون نزول القرآن ويعرفون أسباب نزول الآيات وكان القرآن ينزل بلغتهم وأساليبهم التي كانوا يتكلمون بها فكانوا أقدر على فهم الكتاب فهماً صحيحاً وكانوا يراجعون الرسول صلى الله عليه وسلم فيما لا يتضح لهم فيبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ما يشكل عليهم فهمه ، وكل من كان اتصاله بالنبي عليه الصلاة والسلام ومشاهدته لنزول القرآن أكثر كان فهمه للقرآن أكثر وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا اشكل عليهم شيء كان يسأل بعضهم بعضاً حتى يفهم معناه ولكن كلما بعد الناس عن عصر النبوة واختلط المسلمون العرب بالأعاجم تضخمت النصوص التفسيرية لأنه كثرت الإشكالات ، وازدادت الحاجات — مما تطلب تفسير كثير من الآيات التي لم تكن تفسر من قبل . وعليه نرى أن تفسير القرآن الكريم قد مر كغيره من العلوم الإسلامية بمختلف المراحل والأدوار — وتمتاز كل مرحلة فيها بميزات خاصة لأن النصوص التفسيرية خلت في كل مرحلة قادمة خطوة في النمو والزيادة لاتساع الحياة وازدياد الحاجات ونمو المجتمع عددياً وملابساً . وقد اختلفت وجهات الباحثين في تحديد هذه المراحل حيث قسمها الدكتور محمد حسين الذهبي إلى ثلاث مراحل :

الأولى : هي مرحلة التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم

• أجمعين

• الثانية : هي مرحلة التفسير في عصر التابعين

الثالثة : هي مرحلة التفسير في عصور التدوين • (١)

وقد تبعه في هذا التقسيم بعض الباحثين المعاصرين<sup>(٢)</sup> وقد خالفه بعض الآخرين منهم الاستاذ / فهد بن سليمان الرومي إذ قسم هذه المراحل التي مربها تفسير القرآن إلى ست مراحل :

المرحلة الأولى : عصر الصحابة ، المرحلة الثانية : عهد التابعين • المرحلة الثالثة : عصر التدوين ، يقصد بذلك العصر الذي بدأ فيه تدوين الحديث النبوي مبوباً ، وكان التفسير باباً من ابوابه • والمرحلة الرابعة : عصر التصنيف يقصد بعصر التصنيف العصر الذي استقل فيه التفسير عن الحديث • والمرحلة الخامسة : وهي التي بدأ فيها الوهن والضعف يديان إلى صفوف المفسرين حيث اختصروا فيها الأسانيد ونقلوا الآثار المروية عن السلف دون أن ينسبوا لقائلها مما أدى إلى ازدياد القول بالسراي المحمود منه والمذموم وتسرب الاسرائيليات والكذب والاختلاق • والمرحلة السادسة : وهي التي انفتح فيها باب التفسير على مصراعيه فدخل منه الغث والسمين والصحيح والعليل ، ولم يزل مفتوحاً إلى يومنا هذا • (٣)

وذهب أحمد صالح محاييرى ، وهاشم عبد ياسين المشهداني إلى تقسيم هذه المراحل في أربعة أدوار - وهما تبعاً في ذلك الدكتور / محمد حسين الذهبي إلا أنهما فرقا بين عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة لانهما رأيا العهدين متغايرين حيث وجدا أن وضع التفسير الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يختلف عما كان عليه في عهد الصحابة اختلافاً واضحاً • (٤) وفيما يظهر لي أن هذا الاختلاف ليس جوهرياً وإنما هو اعتباري ووقع هذا الخلاف لان بعضهم اعتبر ما لم يعتبره الآخر مرحلة مستقلة ومع هذا أنا أميل إلى الرأي الأخير لانه اكثر دقة مما ذكره الدكتور / محمد حسين الذهبي - ومما ذكره فهد الرومي حيث أن الدكتور الذهبي جمع بين مرحلتين متغايرتين واعتبرهما مرحلة واحدة ، وأما فهد الرومي فإنه لم يعتبر عهد النبي صلى الله عليه وسلم في تقسيم هذه المراحل • مع أنه أهم المراحل التي مربها تاريخ التفسير على الإطلاق فهو نقطة بداية لهذا العلم الجليل وعلى هذا نتعرض لذكر هذه المراحل بالتفصيل مع بيان ما تمتاز به كل واحدة منها عن الأخرى فنقول :

(١) التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الناس جميعاً إلى صراط المستقيم وقد تميز هذا القرآن بالتيسير والوضوح في البيان حيث لا يوجد فيه أي غموض ولا إبهام وإليه أشار سبحانه وتعالى في قوله (( وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ )) سورة القمر : الآية : ١٧ •

- (١) التفسير والمفسرون ( ١ / ٣٢ - ١٤٠ )  
 (٢) منهم : د / رمزي نعناعة في كتابه الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ( ص ١١ - ١٨ ) •  
 (٣) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ( ١ / ١٨ - ٢٧ ) •  
 (٤) مقدمة تفسير سفيان بن عيينة ( ص ٥٨ ) وسفيان الثوري واثره في التفسير : ٢٣٢ - ٢٤٨ )

وفي قوله (( فَأَتَمَّا يَسْرَنَاهُ يَلِيسَانِكَ لِتَبَشِيرِهِ الْمُتَّقِينَ وَتَنْذِيرِهِ قَوْمًا لُدًّا )) سورة : مريم آية : ٩٧ ، وكذلك جاء وصف الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بأنه كتاب مبين - فسي أكثر من موضع . ولكن هذا لا يعنى عدم احتياج شيء منه إلى شرح وتفسير لأن معرفة القرآن وفهم المعاني الدقيقة ، واستنباط المسائل والأحكام غير ميسور لمجرد معرفة لغة القرآن بل لا بد فيها من البحث والنظر والرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن القرآن فيه المجل والمشكل والمتشابه وغير ذلك من الأمور التي لا يكفي لإدراكها مجرد معرفة اللغة العربية ، ومن هنا جاءت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم لتفسير وتوضيح ما يشكل فيه على أصحابه من دلالة الآيات وإلى هذه المهمة أشار سبحانه وتعالى في قوله (( هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ )) سورة الجمعة : آية : ٢

ففي هذه الآية بيان بأن إحدى مهمات النبي صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن أن يعلمه للناس وبين الله تعالى في آية أخرى بوضوح أكثر فقال (( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ )) سورة النحل : آية : ٤٤ (١)

ولما ثبت ذلك نشأ هـنا سؤالان أولهما : ما هو المقدار الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه من القرآن ؟  
والثاني : كيف كان صلى الله عليه وسلم يفسر القرآن ؟

وللإجابة عن السؤال الأول نقول : إن للعلماء في ذلك قولين : أحدهما : ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كله كما بين لهم الفاظه . (٢)  
والثاني : أنه لم يبين منها إلا القليل . (٣)

وقد أقام كل من الفريقين أدلة على ما ذهب إليه ، وقد سرد الدكتور / محمد الذهبي هذه الأدلة لكل من الفريقين ، وناقشها مناقشة بين فيها أن كلا القولين فيهما مغالاة ومبالغة ثم خدص من هذه المناقشة بأن الصواب في المسألة هو أن نتوسط بين الرأيين فنقول : إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح ولم يبين كل معاني القرآن - واستدل على هذا الترجيح بأمرين :  
أحد هما : ان من القرآن ما استأثر الله بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب

من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته - كما صرح بذلك ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن جرير (٤) ويديهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب ، لأن القرآن نزل بلغتهم ولم يفسر لهم ما تتبادر الألفهام إلى معرفة وهو الذي لا يعذر أحد بجهله ، وكذلك لم يفسر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح . (٥)

- (١) انظره الاتقان (١٧٤/٢) والتفسير والمفسرون (٣٢/١ - ٣٣) وسفيان الثوري واثره (٢٣٣) ومقدمة تفسير سفيان بن عيينه (ص ٢٦) .  
(٢) ذهب إليه ابن جرير في تفسيره (٣٣/١ ، ٣٤) وشيخ الاسلام ابن تيمية . مجموع الفتاوى (٣٣١/١٢) .  
(٣) ذكره السيوطي في الاتقان (١٧٤/٢) عن الخولي ثم اختاره . انظر : ايضا  
(٢/١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٠٦) وانظر ايضا التفسير والمفسرون (٤٩/١) .  
(٤) تفسير الطبري (٣٤/١)  
(٥) التفسير والمفسرون (١٠/٥٣ - ٥٤) .

أن الصحابة اختلفوا فيما بينهم في تأويل بعض الآيات ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع هذا الاختلاف أو لارتفع بعد الوقوف على النص . (١)

وقد تبعه أحمد صالح محابري في أنه صلى الله عليه وسلم لم يبين لأصحابه معاني القرآن كله آية آية وكلمة كلمة وذكر على ذلك أدلة أخرى ، منها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لابن عباس ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ) (٢) فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لأصحابه كل القرآن لما كان لتخصيصه ابن عباس بهذا الدعاء فائدة ومنها : أنه لو كان صلى الله عليه وسلم يبين كل القرآن لأصحابه فإين هذه الأحاديث التي لم ينقل منها في الصحاح والمسانيد والمعاجم إلا القليل . ولكنه خالف الدكتور الذهبي فحسب أن النبي صلى الله عليه وسلم بين الكثير في معاني القرآن لأصحابه حيث اختار ما قاله السيوطي في أن الذي صح من المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير في غاية القلّة (٣) وهذا فيما يبدو لي أنه خلاف اعتباري إذ اعتبر الدكتور / الذهبي ما روى عنه صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن كثيراً بينما اعتبره السيوطي ومن تبعه في غاية القلّة والذي اتفقوا عليه جميعاً هو عدم تفسيره صلى الله عليه وسلم القرآن كله وهو المقصود هنا وأما عن كيفية التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم يفسر القرآن بقوله كما كان يفسره بفعله وإقراره فإذا نزلت عليه آية فيها ما قد يخفى على أصحابه بادري إلى بيانه وتوضيحه ، كما فعل ذلك حينما نزل قوله تعالى ( ( واعدوا لهم ما استطعتم من قوة )) (٤) إذ فسر القوة بالرعي (٥) وكذلك كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في حياته وعبادته ومعاملته تفسيراً لما أجمله القرآن الكريم ففسر معنى الصلاة بعمله فقال : ( صلوا كما رأيتموني أصلي ) (٦) وفسر معنى الحج بعمله . وقال : ( خذوا عني مناسككم ) (٧) وهكذا فسر صلى الله عليه وسلم الأحكام والجهاد وغيرها من المسائل بقوله وفعله ، حتى الآيات التي تتعلق بالأخلاق فسرهما تطبيقاً بعمله ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن . (٨) وقوله تعالى : ( ( وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا )) (٩) فبين النبي صلى الله عليه وسلم المراد من السارق : أنه هو الذي يسرق ربع دينار بقوله ( وتقطع اليد في ربع دينار فصاعداً ) (١٠) كما بين بفعله أو بفعل أصحابه .

- 
- (١) التفسير والمفسرون (١/٥٣ - ٥٤) .  
 (٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٢٦٦ ، ٣١٤) بهذا اللفظ وله الفاظ أخرى انظر فتح الباري : ١٠٠/٧ .  
 (٣) مقدمة تفسير سفيان بن عيينة (٦٤ - ٦٥) .  
 (٤) سورة الانفال : آية : ٦٠ .  
 (٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/١٥٦) من حديث عقبة بن عامر .  
 (٦) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الاذان ، باب الاذان للمسافرين (٢/١١١ رقم ٦٣١) .  
 (٧) انظر مسند الإمام أحمد (٣/٣١٨) .  
 (٨) انظر مسند الإمام أحمد (٦/٥٤٠٠) .  
 (٩) سورة المائدة : آية : ٣٨ .  
 (١٠) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود (١٢/٩٦ رقم ٦٧٨٩) .

واقاراه لهم انه تقطع يد السارق من عند المفصل لأنهم كانوا يقطعون يد السارق من المفصل . وكان الصحابة رضوان الله عليهم يأتونه ويسألونه عما كان يشكل فهمه عليهم من القرآن فيبينه لهم صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قصة عدى بن حاتم أنه لما نزل قوله (( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ )) (١) عمد إلى عقال أبيض وآخر أسود ، ووضعهما تحت الوسادة ، وأكل وشرب حتى ميز بينهما على ضوء النهار ، ثم ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فبين له معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود بقوله ( لا بل هو سواد الليل وبياض النهار ) (٢) وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي بين فيها النبي صلى الله عليه وسلم ما اشكل على الصحابة فهمه من القرآن . (٣)

ميزة التفسير في هذا العهد المبارك

- (١) تعتبر هذه المرحلة أهم المراحل التي مربها تاريخ التفسير إذ هي مرحلة التأسيس والتشييد في حياة الإسلام كله ، فقد دامت هذه المرحلة ربع قرن إلا عامين لكنها تعدل الزمان كله في ثمراتها وبعد أثرها .
- (٢) مصدر التفسير في هذه الفترة كان وحياً من الله تعالى سواء ما نزل من آيات أو ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم فكلاهما وحى ، وذلك بنص من الكتاب والسنة . قال الله تعالى : (( وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى )) (٤) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم ( لا ولى أوتيت الكتاب ومثله معه ٠٠٠ الحديث ) (٥)
- (٣) كان هذا التفسير هو الفيصل في كل خلاف يمكن أن يقع لأنه صدر من نزل عليه القرآن ومن مهماته بيانه للناس ، وقد قال فيه تعالى (( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )) (٦)
- (٤) يمتاز التفسير في هذا العهد بالنقاء الكامل من أى أشرأجنبي .
- (٥) كما أنه يمتاز بعدم التدوين شبه المطلق ، وذلك لما ورد من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة غير القرآن . (٧)

- 
- (١) سورة البقرة : آية : ١٨٧ .
  - (٢) رواه البخارى في صحيحه كتاب التفسير ، باب ( وكلوا واشربوا ٠٠٠ ) ( ١٨٢ / ٨ رقم ٤٥٠٩ - ٤٥١٠ )
  - (٣) انظر: منزلة السنة في الإسلام للألباني ( ٦ - ١٢ ) والاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ( ص : ١٣ - ١٦ )
  - (٤) سورة النجم : آية : ٣ .
  - (٥) رواه الامام احمد في مسنده ( ٤ / ١٣٠ - ١٣١ ) .
  - (٦) سورة الحشر : آية : ٧ .
  - (٧) راجع في ذلك مقدمة تفسير سفيان بن عيينة ( ٦٧ ) وسفيان الثوري وأثره في التفسير . ( ٢٣٧ ) .



## التفسير في عهد الصحابة :

تبدأ هذه المرحلة بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتنتهي بوفاة آخر صحابي تكلم في التفسير وكان القرآن الكريم أعلى وأعز أمانة خلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتقل إلى الرفيق الأعلى فاعتنق الصحابة هذه الأمانة الغالية وتحملوها ، ولم يدخروا وسعاً في أدائها للأجيال القادمة كما تحملوها ، ولذلك اهتموا اهتماماً بالغاً بتحفيظ القرآن وتفسيره فيقول أبو العالية الرياحي : قرأت القرآن على عمر ثلاث مرار (١) وكان يعتبر أبو الدرداء مؤسس أول مدرسة نظامية في تحفيظ القرآن الكريم وقد قرأ عليه ألف وستمئة ونيف (٢) وكذلك كان ابن مسعود معلم القراءة والتفسير ويعقد حلقات للدروس فروي الطبري بسنده عن مسروق قال : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار . (٣)

وكذلك كان ابن عباس أحد الصحابة الذين تصدروا لتفسير القرآن وتعليمه للناس يقول شقيق بن سلمة : قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها فقال رجل : لو سمعت هذا الديلم لأسلمت . (٤)

ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتفاوتون في فهم القرآن ويتباينون في معرفة معانيه فمنهم المكثرون من التفسير ومنهم المقل كما يوجد ذلك في رواية الحديث وهو يعود إلى أسباب عديدة منها : تخرج بعضهم من القول في القرآن ، ومنها أيضاً تفاوتهم في القوة العقلية . فلم يكونوا جميعاً في الفهم والإدراك على حد سواء . (٥) واشتهر من الصحابة بالتفسير عشرة رضوان الله عليهم وهم الخلفاء الأربعة ، وعبد الله ابن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير (٦) .

وأكثر من روى عنه في التفسير من هؤلاء الصحابة ابن عباس وكان لغزارة علمه وكثرة روايته للتفسير يسمى بحبر الأمة ، وبالبحر - وروى أبو نعيم بسنده عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( نعم ترجمان القرآن أنت ) (٧) وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ) وفي رواية ( اللهم علمه الكتاب )

- 
- (١) انظر: تهذيب التهذيب (٢٨٥/٣) وفي رواية ( أربع مرات ) .  
 (٢) مفتاح السعادة (١٢/٢)  
 (٣) تفسير الطبري (٣٦/١)  
 (٤) المصدر السابق  
 (٥) انظر التفسير والمفسرون (٣٤/١) .  
 (٦) وهذا لا يعني أنه لا يوجد في الصحابة من روى عنه التفسير من غير هؤلاء العشرة بل العكس فقد وردت عن كثير منهم روايات في التفسير ولكنهم لم يشتهروا بذلك انظر: الاتقان (١٨٧/٢) ومفتاح السعادة (٥٤/٢) وكشف الظنون (٤٢٨/١)  
 (٧) الحلي (٢١٦/١)

وفي رواية أخرى ( اللهم علمه الحكمة ) (١) ولهذا اشتهر ابن عباس بسعة علمه فسي التفسير وانتهت إليه الرئاسة فيه . وأما الرواية عن الخلفاء الأربعة فأكثرهم على بن ابي طالب رضي الله عنه . وأما الثلاثة فالرواية عنهم نادرة جداً ، والسبب لهذا القلة يعود في نظر بعض العلماء إلى تقدم وفاتهم (٢) وفي نظر بعض الآخرين أن السبب لهذه القلة يعود إلى عدم اشتغالهم بالرواية (٣)

وكان ابن مسعود ، وأبي بن كعب - كانا أكثر الصحابة اشتغالا في التفسير وروايته بعد ابن عباس وعلى بن أبي طالب ، ولعل السبب في هذا تفرقهم في البلاد معلمين ، فكثرت الناس عليهم يسألونهم ويستفتونهم ولم يجدوا بداً من اجابتهم لعدم جواز كتم العلم . وإذا ذهبنا لمعرفة المصادر التي اعتمدا عليها في تفسيرهم للقرآن فنجد أن القرآن الكريم هو أول مصدر وأهمه في تفسير القرآن في هذا العهد . وقد اطبقت الأمة سلفاً وخلفاً على أن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن (٤) . فإن من اسلوب القرآن أنه يجعل في موضع ويبين ما أجمله في موضع آخر ويعم أمراً ما في آية أو سورة ويخصه في أخرى أو يقيد حكماً في مكان ويطلقه في مكان آخر وهكذا فتفسير القرآن بالقرآن يكون بحمل الممثل على المبين وحمل العام على الخاص . وكذلك حمل المطلق على المقيد كما أن حمل قراءة صحيحة على أخرى يعتبر تفسيراً للقرآن بالقرآن فإن اختلاف القراءات يساعد في التفسير وتوضيح المراد من الآية . (٥)

ومما اعتمد عليه الصحابة في تفسيرهم للقرآن السنة الصحيحة الثابتة (٦) . ولعل ما قدمناه من الكلام في أول مبحث التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يبين أهمية السنة في تفسير القرآن وأنه لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال كما يردد ذلك بعض من غلبت عليهم أهواءهم وينادون بالدعوة إلى الاكتفاء بالقرآن وهناك من يبدى تخوفاً كبيراً من الأحاديث الواردة في تفسير القرآن بدليل أن القصص والوضايع زادوا فيها كثيراً ووضعوا على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله واستدلوا في ذلك بما نقل عن الإمام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي (٧) وتخصيصهم هذا بأحاديث التفسير أمر عجيب ، لأن هذا الأمر لا يقتصر

(١) مقدمة الإشارة إلى هذه الروايات في ص : (١٦) .

(٢) الإتيان (١٨٧/٢)

(٣) مقدمة تفسير سفيان بن عيينه ( ص : ٦٨ )

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ( قسم مقدمة التفسير ) ( ٣٦٣ / ١٣ ) وانظر أيضاً التفسير والمفسرون ٣٧ / ١

(٥) أكثر الناس يعتبرون السنة المصدر الثاني من مصادر التفسير أو التشريع الإسلامي . ولكن الألباني قرر في ضوء الأدلة في الكتاب والسنة وأقوال السلف أنه يجب اعتبار الكتاب والسنة مصدرًا واحدًا لا فصل بينهما أبداً ، وقال : من القواعد المتفق عليها بين أهل العلم أن يفسر القرآن بالقرآن والسنة ثم بأقوال الصحابة .

انظر : منزلة السنة في الإسلام ( ص ١٥ - ٢٢ ) وهذا هو الصواب ولم يفتح الخلاف في أمور العقائد وغيرها إلا لاجل بعدهم عن السنة والمعرفة بها وتحكيمهم عقولهم وأهواءهم في آيات الصفات وغيرها .

(٦) ذكره الزركشي في البرهان ( ١٥٦ / ٢ ) نقلاً عن الميموني .

(٧) انظر التفسير والمفسرون ( ٥٧ / ١ - ٥٨ ) ومقدمة تفسير ابن عيينة ( ص : ٧٩ ) .

على أحاديث التفسير فقد وضع الوضاعون والقصاصون على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاحاديث وفي غيرها ولكن علماء الحديث قاموا لذلك في وقت مبكر جداً ومحصوا السنة النبوية برمتها وبينوا ما صح منها وما لا يصح وفرقوا بين الصحيح والضعيف والموضوع دون تمييز منهم بين أحاديث التفسير وأحاديث الأحكام وبذلك صارت الأحاديث كلها مكشوفة الحال فلا حاجة إلى هذا التخوف ويجب الأخذ بما صح منها في تفسير القرآن والقطع به . وما اعتمد عليه الصحابة في تفسير القرآن الرأي والاجتهاد وليس المقصود من ذلك هو أن يقول المفسر في تفسير الآية ما يشاء وما تتطلبه رغبته . وإنما المقصود أن يفسر المفسر الآية حسب ما يودى إليه فهمه واجتهاده في تفسيرها مستعيناً في ذلك بمعرفته بمفردات اللغة ومعانيها وأساليبها ومستخدماً فيه بما ورد مثله في أشعار العرب ونثرهم وما صح عنده من أسباب النزول للآية (١) وقد استخدم هذا الأسلوب كثيراً من الصحابة وفسروا الآيات بالرأي والاجتهاد لاسيما بعد أن ثبت أن السنة لم تشمل في بيانها كل القرآن وهذا هو السبب أننا نجد لهم في تفسير بعض الآيات أو بعض الكلمات عدة أقوال (٢) فمثل هذا الاختلاف ناشئ عن اختلافهم في الاجتهاد والرأي وأغلب هذه الاختلافات بين الصحابة اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يعلل اختلاف الصحابة : " وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد (٣) ويذكر هنا بعض الناس أن من المصادر التي اعتمد عليها الصحابة في تفسير القرآن الاسرائيليات (٤) وهذه مسألة عريضة تحتاج إلى تفصيل لا يتسع المجال لتناوله في هذه العجالة ، وأحيل القارئ الكريم إلى كتاب " الاسرائيليات وأثرها في التفسير " للدكتور/ رمزي نعناع ، والذي أريد إثباته هنا باختصار هو : هل اعتبر الصحابة الاسرائيليات أحد المصادر التي اعتمدا عليها في تفسير القرآن وللإجابة عن هذا السؤال اذكر أولاً أن العلماء قسموا الأخبار الاسرائيلية إلى ثلاثة اقسام :

القسم الأول : هو ما وافق منها شرعنا ، والثاني : ما خالفه شرعنا ، والثالث : ما سكت عنه شرعنا ، فالأول لاخلاف بين العلماء في روايته وقبوله ، وينبغي أن ينفي عنه وصفه بالاسرائيلي ، لأنه صار بموافقة الكتاب والسنة إسلامياً واما القسم الثاني : فهذا أيضاً لاخلاف فيه من حيث عدم قبوله وروايته ، والقسم الثالث : وهو الذي اختلف فيه العلماء من حيث الرواية ، والصواب أنه تجوز روايته وحكايته لما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ( حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ) (٥) وهل ينهض هذا القسم للاحتجاج به

(١) انظره على سبيل المثال ما ذكره عند قوله تعالى (( واليوم الموعود وشاهد ومشهود )

سورة البروج : آية : ٢ - ٣ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ( ٢٢٣ / ١٣ ) .

(٣) انظره التفسير والمفسرون ( ٦١ / ١ ) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ( ٤٩٦ / ٦ ) رقم ( ٣٤٦١ ) .

(٥) مجموع الفتاوى ( ٣٦٦ / ١٣ ) .

في أمور شريعتنا؟ فالجواب : لا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخره :  
( لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ) ( ١ )

وقد قال شيخ الإسلام : " . . . . . هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد  
للالاعتقاد ، وقال أيضا : وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني " ( ٢ )  
وبعد هذا نعود إلى أن نعرف هل يرجع المفسرون من الصحابة إلى المصنوع  
الاسرائيلية في تفسير الآيات القرآنية واعتمدا عليها في ذلك فالتاريخ يشهد أن  
بعضهم كان يرجع إلى الذين دخلوا في الإسلام من اليهود والنصارى من أمثال  
عبد الله بن سلام ، وكعب الأحمري ووهب بن منبه ، وكان رجوعهم إليهم في أمور  
لم يجدوا فيها نصاً من القرآن والسنة وليس لها أي علاقة بالعقائد والغيبيات . وإنما  
كانت تتعلق بما أجمل في القرآن من الوقائع التاريخية قبل الإسلام فرجعوا إليهم  
لمعرفة التفاصيل لهذه القصص التي ورد ذكرها في التوراة والإنجيل مفصلة ثم إنهم  
ليس هناك ما يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعتمدون على الأخبار  
الاسرائيلية بحيث يعتبرونها تفسيراً للقرآن - بل العكس من ذلك نرى في بعض  
منازلنا التاريخ أنهم ناقشوا هؤلاء الذين عرفوا برواية الأخبار الاسرائيلية وقابلوهم  
بالرد فهذا أبو هريرة رضي الله عنه سأل كعب الأحمري عن الجمعة التي جاء في  
الحديث أن فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً  
إلا أعطاه إياه فقال كعب : ذلك يوم في كل سنة فرد عليه أبو هريرة بقوله : بل هي  
في كل جمعة ، وكذلك لما قال له عبد الله بن سلام : إن هذه الساعة هي آخر ساعة  
من يوم الجمعة قبل أن تغيب الشمس فقال له أبو هريرة : أليس قد سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول : ( لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة وليست تلك الساعة  
صلاة ؟ فأجابته عبد الله بن سلام : بقوله : اليس  
قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( من صلى وجلس ينتظر الصلاة لم  
ينزل في صلاته ) ( ٣ ) فهذه القصة تبين رجوع بعض الصحابة إلى من اشتهر برواية  
الاسرائيليات في بعض المسائل ، كما أنها تؤكد عدم قبولهم لكل ما يقول أصحاب  
الأخبار الاسرائيلية ، وعلى هذا لا يمكن أن يقال : إن الاسرائيليات أحد المصادر التي  
اعتمد عليها الصحابة رضوان الله عليهم في تفسيرهم للقرآن . ( ٤ )

وأما حكم تفسير الصحابي ففيه خلاف . والصواب أن مفسره الصحابي فيما يتعلق  
بسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم والمجمل مما لا مجال فيه للرأي فهو في حكم المرفوع  
قال الزركشي : الحق أن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين

( ١ ) رواه البخاري في صحيحه ( ١٣ / ٣٣٤ رقم ٧٣٦٢ ) وانظر لمعرفة هذا التقسيم

مجموع الفتاوى ( ١٣ / ٣٦٦ ) وتفسير ابن كثير ٤ / ١ .

( ٢ ) مجموع الفتاوى ( ١٣ / ٣٦٦ - ٣٦٧ ) .

( ٣ ) رواه في سياق قصة طويلة النساء في سننه كتاب الجمعة ، باب الساعة التي  
يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ( ٣ / ١١٣ - ١١٥ )

( ٤ ) انظر التفسير والمفسرون ( ١ / ٦١ - ٦٢ ) ومقدمة تفسير ابن عيينة ( ١ / ٨٣ ) .

المبهم وتبيين المجمل ومنه ما لا يتوقف ، ويكفي في تحصيله التفقه على الوجه المعتمد ، واعلم  
 أن القرآن قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل عن يعتبر تفسيره ، وقسم لم يرد والأول  
 ثلاثة أنواع : أما أن يرد التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن الصحابة أو عن  
 رؤوس التابعين ، فالأول يبحث فيه عن صحة السند ، والثاني ينظر في تفسير الصحابي  
 فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم وإن فسره بما شاهده من  
 الأسباب والقرائن فلا شك فيه . ( ١ )

وقال ابن كثير في مقدمة تفسيره : " إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة  
 رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال  
 التي اقتصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ولا سيما علماءهم  
 وكبراءهم " ( ٢ ) . وبقي لنا أن نذكر ما تتميز به هذه المرحلة للتفسير فنقول :

أولاً : أن هذه المرحلة كانت مرحلة تلقي وتنفيذ - قرن فيها العلم بالعمل كما قال  
 ابن مسعود : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل  
 بهن . ( ٣ )

ثانياً : لم يفسر القرآن جميعه حرفاً حرفاً ، لأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لقرب عهدهم  
 بالوحي ومشاهدتهم لنزوله ، وتضلعتهم في اللغة العربية لم يكونوا بحاجة إلى أن يفسروا  
 من القرآن إلا ما غرض عليهم .

ثالثاً : كانوا يكتفون بالمعنى الاجمالي ولا يلزمون انفسهم بتفهم معانيه على سبيل التفصيل والتعمق  
 رابعاً : قلة الاختلاف بين الصحابة في فهم معانيه - لأن عقيدتهم كانت نقية . واتجاهاتهم كانت موحدة .  
 خامساً : كان التفسير في هذه المرحلة جزءاً من الحديث النبوي وفرعاً من فروعها .  
 سادساً : ندرة الاستنباطات الفقهية والحكيمة من الآيات .  
 سابعاً : خلو تفاسيرهم من الاسرائيليات إلى حد بعيد لقلة استخدامهم لها .  
 ثامناً : لم يدون في هذا العهد شيء من التفسير لأنه لم يكن قد بدأ فيه التدوين بصفة  
 عامة . ( ٤ )

### المرحلة الثالثة : التفسير في عهد التابعين :

وهذه المرحلة تبدأ بانتهاء عهد الصحابة وتنتهي بانتهاء عهد التابعين ولما اتسعت  
 رقعة الفتوحات الإسلامية انتشر بعض الصحابة في الأمصار المختلفة معلمين ودعاة فذهب  
 ابن عباس إلى مكة المكرمة ، وذهب عبد الله بن مسعود بأمر من عمر بن الخطاب إلى الكوفة  
 وبقي سيد القراء في المدينة المنورة ثم أخذ هؤلاء الصحابة يعلمون التابعين الذين التفوا  
 حولهم يتلقون منهم علوم التفسير والحديث ، وبهذا نشأت ثلاث مدارس للتفسير ، عرفها الناس

( ١ ) البرهسان ( ١٧١ / ٢ ) ذكره السيوطي في الاتقان ( ١٨٣ / ٢ ) .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ٣ / ١ .

( ٣ ) تفسير الطبري ( ٣٥ / ١ ) .

( ٤ ) اختصرت هذه الميزات من التفسير والمفسرون ( ٩٧ / ١ ) ومقدمة تفسير سفيان بن عيينة  
 ص ٨٩ وسفيان الثوري وأثره في التفسير ( ٢٤٢ ) منهج المدرسة العقلية الحديثية .

فيما بعد : بمدرسة التفسير بمكة ، ورائدها ابن عباس ، ومدرسة المدينة المنورة - وكان شيخها سيد القراء أبي بن كعب ، ومدرسة الكوفة ، وكان مؤسسها عبد الله بن مسعود وكان لهذه المدارس آثار حسنة حيث تخرج فيها على أيدي هؤلاء المعلمين من الصحابة جماعة من التابعين وتولوا حركة التفسير بعد انقضاء عهد الصحابة وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المدارس فقال : وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة ، ومولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس ، وأبي الشعثاء ، وسعيد بن جبير وأمثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ومن ذلك تميزوا به عن غيرهم وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير ، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن وعبد الله ابن وهب . (١)

وذكر شيخ الإسلام في كلامه هذا المشهورين ممن تخرج في مدرسة مكة ومدرسة المدينة ، وأما الذين اشتهروا من المتخرجين من مدرسة الكوفة فمنهم علقمة ، ومسروق والأسود بن يزيد النخعي ومرة الهمداني ، وقتادة ، والحسن البصري . (٢) ولم يكن ثمة كبير فرق بين منهج الصحابة ، ومنهج التابعين ، وإن كان ثمة فرق فهو مما استوجبه انتشار الإسلام ودخول كثير من الناس فيه . وأما حكم تفسير التابعي فالناس فيه مختلفون فمنهم من جوز ذلك مطلقاً ومنهم من منع ذلك مطلقاً ومنهم من فصل في المسألة كشيخ الإسلام فإنه ذهب إلى أن التابعي إذا تغرد بقول ليس له شاهد أو ما يؤيده رفض ما إذا اجتمع التابعون على شيء فلا شك في اعتباره حجة وأما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا علي من بعدهم (٣) وهذا هو الصواب منع العلم بأن هذا الخلاف في تفسير التابعي بعد أن لم يوجد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن صحابته في تفسير الآية أما إذا وجد عنهم نص فلا يعد قول التابعي حجة . وأما المصادر التي اعتمد عليها التابعون في تفاسيرهم فهي نفس المصادر التي اعتمد عليها الصحابة كما أنهم أضافوا عليها أقوال الصحابة فاعتمدوا عليها في تفاسيرهم إن لم يجدوا نصاً من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا يقال : إن الذين دخلوا في الإسلام من أهل الكتاب كانوا مصدرأ خامساً ، وإن كانت الاسرائيليات في هذه الآونة قد كثرت وتفتت ولكنها لم تكن إلى الحد الذي يجعلها مصدرأ إلى جانب الكتاب والسنة ثم إنها كانت تروى موقوفة على قائلها . (٤)

ويمتاز التفسير في هذه المرحلة بما يأتي :

- (١) انه ظل محتفظاً بطابع التلقى والرواية .
- (٢) ازداد التفسير وتضخمت نصوصه في هذا العهد وكثرت رواياته بسبب ازدياد الحاجة للعلوم .

(١) انظر مجموع الفتاوى (٣٤٧/١٣)

(٢) انظر مفتاح السعادة (١٨/٢ - ١٩) والتفسير والمفسرون (١١٩/١ - ١٢٧)

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٣٧٠/١٣) وانظر ايضا الاتقان (١٧٩/٢) .

(٤) مقدمة تفسير سفيان بن عيينة ص : ٩٨

(٣) كان يغلب على روايات التفسير تسلسل أسانيدها إلى علماء البلد الواحد كما كان يتميز تفسير كل مدرسة بصيغة خاصة . (١)

(٤) بدأت حركة انفصال التفسير عن الحديث ، وقد تم هذا الانفصال في العهد الذي بعده .

(٥) ظهور بوادر الخلاف المذهبي .

(٦) تسرب كثير من الروايات الاسرائيلية إلى التفسير من طريق اليهود والنصارى الذين دخلوا في الإسلام . (٢)

#### المرحلة الرابعة :

التفسير في عهد اتباع التابعين وما بعده .

تبدأ هذه المرحلة من بداية ظهور حركة التدوين وذلك كان في أواخر عهد بنى أمية والمقصود هنا من التدوين شيوع حركة التأليف والنشر والترجمة ولانعنى من التدوين مطلق الكتابة وتقييد العلم . لان ذلك قد بدأ في وقت مبكر جداً يعود تاريخه إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وقد خطا التفسير في هذه المرحلة خطوات عديدة ، فبعد ما كان يتناقل بطريق الرواية خطأ خطوة حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أبوابه متنوعة ، والتفسير أحد هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث ثم خطا خطوة أخرى انفصل بها عن الحديث ، وأصبح علماً قائماً بنفسه ، ووضع لكل آية من القرآن تفسيراً . ورتب ذلك حسب ترتيب المصحف (٣) وبعد ذلك خطا خطوة أخرى اختصرت فيها الأسانيد ونقلت عن الأسلاف دون عزو إلى قائلها ، مما سهل الطريق للوضاعين والقصاص حيث وضعوا على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحاديث كثيرة وأدخلوا فيه من الاسرائيليات شيئاً كثيراً . ونقلها المتأخرون في تفاسيرهم على أنها حقائق ثابتة ، فكان ذلك مبدءاً لظهور خطر الوضع والاسرائيليات في التفسير ثم خطا خطوة أخيرة وهي أوسعها وأفسحها حيث انفتح فيها باب التفسير على مصراعيه فدخل منسبه الغث والسمين والصحيح والعليل ولم يزل مفتوحاً إلى يومنا هذا واختلط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلى . ويتميز التفسير في هذه المرحلة بما يأتي :

(١) اتسعت في هذه الفترة علوم التفسير وتعددت وجهاته .

(٢) أصبح التفسير منفصلاً عن الحديث بشكل أكثر وضوحاً .

ذلك أنه اندرس ونهت ما كان قبله بل ظل المحدثون بعد هذه الخطوة يسيرون على النمط السابق من رواية المنقول من التفسير في باب خاص من أبواب الحديث مقتصرين في ذلك على ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين .

(١) فالغالب على منهج مدرستي مكة والمدينة الاعتماد على التفسير بالماثور بينما غلب على مدرسة الكوفة فيما بعد الاتجاه إلى التفسير بالرأى خاصة لأنه وجد فيمن تخرج فيها من عرف بميله إلى الرأى وقوة الاستنباط .

(٢) انظر التفسير والمفسرون (١/ ١٣٠ - ١٣١) ومقدمة تفسير ابن عيينة (ص ٩٨-٩٩) وسفيان الثوري واثره في التفسير (ص ٢٤٦ - ٢٤٧) .

(٣) وهو لايعنى أنه لم توجد كتب مستقلة في التفسير قبل هذا العهد بل هناك عديد من

- (٣) أدخل بعض مفسري هذا العهد في تفسيرهم المزيد من الاسرائ依ليات والأخبار  
الموضوعة .
- (٤) اختلط التفسير المأثور بالتفسير بالرأى المحمود منه والمذموم .
- (٥) ظهرت نزعة الانتصار للمذاهب الكلامية (١)
- فهذه هي بعض ما يتميز به التفسير في هذه المرحلة وبها نكتفي لذكر المراحل الستى  
مرتبها تفسير القرآن ، أولاً لأنها هي نقطة بداية واضحة لظهور الاتجاهات المختلفة  
في التفسير ، وثانياً الكلام على كل مرحلة حسب الترتيب الزمني إلى يومنا هذا صعب  
جداً لا يمكن في هذا المختصر وقد تعرض لذكر هذه المراحل بتفصيل أكثر  
طاش كبرى في كتابه مفتاح السعادة ( ٥٤ / ٢ - ٨٢ ) .

..... ❦ .....  
..... ❦ .....

---

( = ) الصحائف والكتب يرجع تاريخها إلى عهد الصحابة وكبار التابعين منها صحيفة على  
ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وصحيفة سعيد بن جبير التي رواها عنه على بن  
الحسن الهسنبجاني وصحيفة أبي العالية التي رواها عن أبي بن كعب وكذلك تفسير  
ابن جريج الذي يتكون من ثلاثة أجزاء كبار . راجع لمعرفة أخبار هذه الصحائف  
( الإتيان ١٨٨ / ٢ ) والتفسير والمفسرون ( ١ / ٧٧ ، ١٤٤ ، ١١٥ )

(١) انظره التفسير والمفسرون ( ١ / ١٤٠ - ١٤٦ ) ومقدمة تفسير ابن عيينة : ٩٩ - ١٠٠



## \*\* الفصل الثاني \*\*

( في ظهور الاتجاهات المختلفة في تفسير القرآن ) —

قد اشرت فيما سبق ان التفسير في مرحلته الثالثة خطأ خطوة ظهرت فيها اتجاهات مختلفة ، وكل واحدة منها لها منهجها الخاص وطريقها المتميزة في تفسير القرآن الكريم وهذه الاتجاهات لم تكن وليدة ليوم أو يومين ، بل كانت مرتبطة بجذورها التاريخية ولكنها ظهرت بشكل واضح ومعروف في هذه الخطوة بالذات حيث ان الكثير منها نهجت في تفسير القرآن منهجا لم يكن معروفا من قبل وهو انها بدأت تخضع النصوص القرآنية وتضوع تفسيرها صياغة تتفق مع اهوائها بغض النظر عما كان في هذه العملية من حق وباطل — مما خلف وراءها اثارا سيئة على الامة الاسلامية والسبب في ظهور هذه الاتجاهات يعود الى افتراق الامة في طوائف وفرق . فكل واحدة منها ارادت ان تظهر امام الناس ولديها من الادلة ما يقنعهم ولم تكن لديها افضل من القرآن الكريم الذي يتفق على حجيته جميع الطوائف والفرق من المسلمين ، لان تأخذ منه ما تريد فجعلت تخضع النصوص القرآنية على اهوائها حيث فسرتها تفسيراً يتفق مع عقيدتها ووجهتها كما ان السبب لظهور هذه الاتجاهات يرجع ايضا إلى تدوين علوم كثيرة وشيوعها من اللغة والنحو والصرف والبلاغة وغيرها ، وترجمة كتب كثيرة من كتب الفلاسفة اليونانيين والمهندوس فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها بتفسير القرآن وتسببت لاختلاف الاتجاهات فيه لان كل من برع في فن من فنون العلم يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه ويمكن حصر هذه الاتجاهات في نقطتين رئيسيتين :

١ الاولى : التفسير بالمأثور ، والثانية : التفسير بالرأى ثم ينقسم التفسير بالرأى الى قسمين : الاول : التفسير بالرأى المحمود ، والثاني : التفسير بالرأى المذموم ، وأرى من المناسب ان اذكر اولاً نبذة عن كل من التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأى ، ثم افرد الكلام عن التفسير بالرأى المحمود والتفسير بالرأى المذموم ، وما ترك هذا الاخير من وراءه من اثار سيئة على الامة حيث غيرت مجرى التفسير ، فصار هذا القرآن الذي انزل لهداية البشرية الى صراط الله المستقيم ، والى ما فيه خيرهم في الدنيا والاخرة ، أشبه بمائدة عليها أنواع مختلفة من الاطعمة ، كل واحد يريد ان يشبع نفسه منها حسب هواه وميله وبالطبع ليس هذا مهمة القرآن .

٢ (اولاً) التفسير بالمأثور :

والمقصود من التفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن الكريم أو السنة النبوية أو كلام الصحابة أو التابعين بياناً وتفسيراً لمراد الله تعالى من الايات الكريمة في كتابه العظيم ثم تلقى ذلك من جاء بعدهم بالرواية في تفاسيرهم . (١)

(١) البرهان (١٤٩/٢) والواحدى ومنهجه في التفسير (١٥١) والتفسير والمفسرون (١٥٢/١) والاسرائيليات واثرها في التفسير (٢١ - ٢٢) .

وتقدم ان تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة الصحيحة الثابتة أصح طرق التفسير وأحسنها لأن كليهما من وحى الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وأما تفسير الصحابة فقد تقدم نقلا عن ابن كثير \* اننا إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح وأما تفسير التابعين فقد تقدم ذكر الخلاف فيه بشيء من التفصيل وأن الصواب اذا انفرد تابعي بتفسير آية لا يكون حجة مع ذلك فإن تفسير التابعي له من القيمة العلمية ما يجعله يفضل على تفسير المتأخرين لقرب عهدهم من نزول القرآن وسلامة عقيدتهم وتمكنهم من اللغة ويعتبر هذا الاتجاه أو هذا المنهج أقدم وأحسن المناهج والاتجاهات التفسيرية أما كونه أقدم فلأنه هو المستعمل من عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وأما كونه أحسن فلأنه أضمن لفهم كلام الله تعالى على وجه صحيح ولهذا اختار سلفنا الصالح هذا الاتجاه - أي التفسير بالمأثور - في تفاسيرهم فكانوا كلهم يروون في تفسير الآيات ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين - بأسانيدهم ، وقد عد شيخ الاسلام ابن تيمية التفاسير المأثورة (١) فذكر منها تفسير عبد بن حميد وتفسير سنيد ، وتفسير عبد الرزاق ، ووكيع بن الجراح ، وأحمد بن حنبل وإسحاق بن ابراهيم ، وبقى بن مخلد وذكر تفاسير أخرى كثيرة وأغلبها يعد من المفقودات ، ومن أقدم ما وصل الينا من تفاسيرهم تفسير سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) وقد طبع قبل مدة بتحقيق عرشي زاده بالهند .

ولا يعنى ذلك ان التفسير بالمأثور هو طريقة المتقدمين من سلفنا الصالح دون غيرهم فقد وجد من المتأخرين أيضاً من عنى بالتفسير بالمأثور فكتاب السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور يعتبر أكبر موسوعة في هذا المجال ، لانه جمع في هذا الكتاب كل ما ورد في تفسير الآيات من أحاديث وآثار من الصحابة والتابعين بغض النظر عن صحة الاسناد وعدم صحته ، وقد حذف الأسانيد لكل ما أورده الا أنه عزاه الى مخرجيه . وهذا الاتجاه الى جانب ما يتميز به من حسنات أهمها المحاولة لفهم القرآن على طريقة ما فهمه بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان . يلاحظ عليه أمران :

الامر الاول : عدم الاهتمام بالتمييز بين ما صح من هذه الأحاديث والاثار وما لسم يصح منها ، وقد تقدمت الإشارة الى أن الوضع قد تسرب اليه بصفة واضحة ولمؤسسة منذ من بدأ فيه الوضعون والقصاص يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون عليه الاحاديث ، لانهم وجدوا هذا الميدان خصباً لنشر مختلفاتهم فوضعوا في التفسير اكثر مما وضعوا في الحديث ، وهذا هو الذي جعل الإمام أحمد يقول : ثلاثة ليس لها

أصل ٠٠٠٠٠ وعد منها التفسير (١) ومع هذا لم نر أحداً من المفسرين القدامى والمتأخرين قام لمقاومة الوضع في التفسير (٢) بحيث يبنى تفسيره على ما صح من هذه الأحاديث والآثار إلا ما يذكر عن ابن أبي حاتم أنه التزم في تفسيره عدم إخراج الموضوع من الأحاديث . (٣) ومع ذلك فإن تفسيره لا يخلو من الأحاديث الواهية والضعف الشديدة الضعف والمنكرات فقد روى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالى : ( لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ) (٤) قال صلى الله عليه وسلم لو أن الجن والإنس والشياطين الملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفاً واحداً ما احاطوا بالله عز وجل أبداً ) وقد حكم عليه ابن الجوزي في الموضوعات ( ١١٤ / ١ - ١١٥ ) بالوضع . (٥) ووجد من المتأخرين ابن كثير الذي سلك في تفسيره مسلكاً يحمد عليه بحيث أنه حاول إلى حد كبير للتجنب من الأحاديث الموضوعة والضعيفة وإن أورد شيئاً منها بين حكمه من حيث الصحة والضعف وذلك في غالب الأحيان وقد فاته الحكم على كثير منها ، وكما نود من أسلافنا أن يقوم واحد منهم فيبنى تفسيره على الأحاديث الصحيحة فقط دون مزجها بالأحاديث الواهية والموضوعة كما فعل الإمام البخاري والإمام مسلم فدونا في الحديث صحيحهما فتلقتهما الأمة بالقبول وصارا مرجعاً معتمداً عليه فيما بينهم .

وإما الأمر الثاني مما يلاحظ على هذا الاتجاه أي التفسير بالمأثور هو التعرض لذكر الأخبار الإسرائيلية وهو شيء يشترك فيه جمل المفسرين ان لم نقل كلهم فأورد الكثير منهم في تفاسيرهم من هذه الأخبار الإسرائيلية شيئاً كثيراً دون تمييز منهم بين ما يوافق منها شرعاً وبين ما لا يوافق وبين ما سكت عنه وبين ما لم يسكت عنه . ولكن الأمر يختلف من واحد إلى آخر ، فإن منهم من توسع في ذكرها ومنهم من قلل من ذكرها ولم يوجد منهم - على حد علمي - من سلم منها كلياً ، وكان أحسنهم فيما يبدو لى - ابن كثير - لأنه اتخذ منها موقفاً حاسماً حيث رسم خطته نحوها بقوله : " والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتغل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة المتقدمون من هذه الأمة (٦) وعليه فإننا إذا وجدناه يذكر في تفسيره خبراً إسرائيلياً عقب عليه مما يفيد بطلانه (٧) ولكن فاته في هذه المسألة أيضاً التعقيب على بعضها . (٨)

- (١) تقدم ذكره وقد أورد الزركشي في البرهان (١٥٦/٢) من رواية الميموني ثم قال قال المحققون من أصحابه : مراده أن الغالب أنها ليس لها أساسيد صحاح متصله ولا فقد صح من ذلك كثير .  
 (٢) تقدم ان أئمة الحديث قاموا للتمييز بين الاحاديث الصحيحة والموضوعة بصفة عامة وفيها احاديث التفسير ايضاً ( ص ٢٠ ) .  
 (٣) ذكر بان عراق في تنزيه الشريعة (١٤١/١) ان ابن ابي حاتم التزم في تفسيره اصح ماورد ولم يخرج فيه حديثاً موضعاً البته . (٤) سورة الانعام : آية : ١٠٣  
 (٥) وتعقبه السيوطي في الالى المصنوعة (١٣/١) على حكمه عليه بالوضع بدليل ان ابن ابي حاتم اخرج في تفسيره ، ولكن حكم عليه الذهبي بأنه منكر . انظر : تنزيه الشريعة (١٤١/١) .

- (٦) تفسير ابن كثير (١٨١/٣ - ١٨٢) .  
 (٧) انظره على سبيل المثال (١٤١/١ ، ٨٩/٣ ، ١٤٨ - ١٥٤ ، ٢٢١/٤ )  
 (٨) انظر على سبيل المثال (١٤٥/٤) وقد تعرض الدكتور رمزي نعناعاً في كتابه الاسرائيليات واثرها في التفسير (٢ - ٣٦٧) لبيان مواقف المفسرين المشهورين القدامى منهم والمعاصرين من الاسرائيليات فليرجع إليه .

وكان من المناسب للمفسرين أن لا يتعرضوا لذكر هذه الأخبار الاسرائيلية في كتبهم لأن الكثير منها لا يعود بفائدة دينية (١) ولو كان فيها شيء من الفائدة الدينية لما سكت عنها القرآن - ثم إن ذلك مما تدرع به الأعداء للنيل من الإسلام فقالوا : إن تعاليمه مأخوذة من مذهب اليهود والنصارى . (٢)

وقد عارض بعض المعاصرين إيراد الأخبار الاسرائيلية في كتب التفسير ولو كانت مما سكت عنه شرعاً ، معارضة شديدة فقال : إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها أو في تفصيل ما أجمل منها شيء آخر لأن في إثبات ذلك بجوار كلام الله تعالى ما يوهم أن هذا الذي لانعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه ومفصل لما أجمله فيه ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أن بالتحدث عنهم أمرنا أن لانصدقهم ولانكذبهم فأى تصديق لرواياتهم وإقوالهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان . (٣)

### ثانياً : التفسير بالرأى :

التفسير بالرأى عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد استخدام كل الأدوات التي يحتاج إليها المفسر من معرفة كلام العرب وأساليبهم والألفاظ العربية ووجوه دلالتها والوقوف على أسباب النزول ، والمعرفة بالناسخ والمنسوخ وغير ذلك من الأدوات اللازمة (٤) ووقف العلماء من قديم الزمان إزاء هذا المنهج أي التفسير بالرأى - موقفين متعارضين يبدو للناظر فيهما من أول وهلة أنهما على طرفي نقيض القول الأول : هو المنهج - فذهب قوم من المتقدمين والمتأخرين إلى أنه لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن - بل يجيب أن ينتهي إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة الذين شهدوا التنزيل أو عمن الذين أخذوا عنهم من التابعين . (٥)

والقول الثاني : هو الإجازة فذهب قوم على العكس مما تقدم إلى جواز تفسير القرآن بالرأى والاجتهاد ولم يروا بذلك بأساً لمن كان أهلاً لذلك حيث اجتمعت لديه معرفة تامة بالأدلة الشرعية والفقه ، وباللغة والنحو وغير ذلك مما يحتاج المفسر في تفسير كتاب الله (٦) وكل من الفريقين تمسك بأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف يعزز بها رأيه وما استدلل

- 
- (١) مجموع الفتاوى (٣٦٦/١٣) .  
(٢) انظر تفصيل هذا الإتهام والرد عليه في الاسرائيليات واثرها في التفسير (٣٨٣-٤٠٠) .  
(٣) عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير لأحمد محمود شاکر (١٥/١) .  
(٤) المعجزة الكبرى لمحمد أبي زهرة ص ٥٩٦ ، والتفسير والمفسرون (٢٥٥/١) .  
(٥) مقدمة التفسير للراغب الاصفهاني (المطبوع في آخر تنزيه القرآن عن المطاعن) ص : ٤٢٢ - ٤٢٣ .  
(٦) ذكر القولين الترمذى في سننه (٢٠٠/٥) .

به الفريق الأول قوله تعالى : وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (١) وقوله تعالى (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) وهو معطوف على ما قبله من المحرمات (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ (٢) الآية (١٠٠) والتفسير بالرأى قول علي الله بغير علم . هذا من الكتاب أما من السنة فاستدلوا بالأحاديث الواردة في وعيد من يقول في القرآن برأيه واجتهاده . منها ما رواه ابن عباس مرفوعاً : " من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " (٣)

وكذلك دعوا رأيهم بموقف بعض الصحابة والتابعين الذين تخرجوا عن القول في القرآن بأرائهم فوراً . عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذ قلت في القرآن برأبي أو بما لا أعلم ؟ " (٤) ويروى عن سعيد ابن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : أنا لأقول في القرآن شيئاً " (٥)

وأما أدلة الفريق الثاني فإنهم استدلوا على رأيهم أولاً بالآيات التي تحت على التدبر والتفكير والاستنباط والاجتهاد كقوله تعالى ( أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ) (٦) وقوله ( كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ) (٧) ثم استدلوا بما ثبت من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس حين قال : اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل (٨) فلو كان التفسير كله مسموعاً وماثوراً فما فائدة تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء ؟ فعلم من ذلك أن التأويل الذي دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس أمر آخر وراء النقل ذلك هو التفسير بالرأى والاجتهاد . (٩) . وكذلك دعوا رأيهم بما ورد عن كثير من الصحابة والتابعين من آثار في تفسير الآيات التي لم يوجد فيها نص قاطع في السنة النبوية مما يدل على أنهم اجتهدوا في تفسير هذه الآيات واعطوا فيه رأيهم . (١٠)

وهناك أدلة أخرى عقلية استندوا إليها في تأييد مذهبيهم منها : أنهم قالوا : لو اقتصرنا على التفسير بالماثور للنزح من ذلك تعطيل كثير من الآيات القرآنية من تفسيرها (١١) لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لتفسير جميع القرآن فلم ينقل عنه إلا القليل من ذلك .

(١) سورة الاسراء : آية : ٣٦ . (٢) سورة الاعراف : آية : ٣٣ .  
 (٣) أخرجه الترمذي في سننه ( ١٩٩ / ٥ رقم ٢٩٥١ ) والامام احمد في مسنده ( ١ / ٣٢٣ ، ٣٢٧ ) وقال فيه الترمذي : هذا حديث حسن . وهناك أحاديث في هذا المعنى وفي الجميع مقال ، ولكن اجتماع طرقها يكسب قوة . انظر سنن الترمذي ( ١٩٩ / ٥ - ٢٠٠ ) والتفسير والمفسرون ( ١ / ٢٥٧ - ٢٥٨ ) والثعلبي ودراسة كتاب الكشف والبيان ( ٥٢٤ - ٥٢٦ ) .  
 (٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١ / ٣٥ ) (٥) أورده الطبري في تفسيره ( ١ / ٣٧ ) .  
 (٦) سورة محمد : آية : ٢٤ (٧) سورة ص آية : ٢٩ .  
 (٨) تقدم ذكره ص ( ١٨ ) (٩) انظر التفسير والمفسرون ( ١ / ٢٦٣ ) .  
 (١٠) جامع الاصول لابن الاثير ( ٢ / ٤ ) والبرهان ١٦٣ / ٢ والتفسير والمفسرون ( ١ / ٢٦٢ ) - والثعلبي ودراسة كتابه ٥٢٧ .  
 (١١) جامع الاصول ( ٢ / ٤ ) .

فمنهم من ذهب إلى أن بعض أدلة الفرقين (١) ولكل منهما وجهه وأهميته فمكانيها فلهذا ذهب العلماء إلى التوفيق بين القولين . فقالوا : إن الذين ذهبوا إلى عدم جواز التفسير بالرأى قصدوا من ذلك الرأى المذموم الذى يبنى على الأهواء والميول دون الاستناد إلى النقل وموافقة كلام العرب ومناحيهم فى اللغة . بينما قصد المجيزون للتفسير بالرأى الرأى المحمود الذى يكون مبنياً على موافقة الكتاب والسنة وكلام العرب وأساليبهم وجارياً على قوانين العربية ويفهم ذلك مما وضعوا له من شروط لا بد منها للتفسير بالرأى وبهذا يكون الخلاف بين القولين خلافاً لفظياً لا خلافاً حقيقياً . (٢)

وقد أبطل ابن الأثير فى جامع الأصول : أن يكون المراد من الأحاديث الواردة فى النهي عن تفسير القرآن بالرأى : هو أن لا يتكلم أحد فى القرآن إلا ما سمعه ثم ذكر وجهيهن لهذا النهي .

الأول : أن يكون للمفسر فى الشئ رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، وهذا النوع يكون تارة مع العلم ، كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد بالآية ذلك ولكن يلبس على خصمه . وتارة يكون مع الجهل وذلك إذا كانت الآية محتلمة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ولولا رأيه الذى تبناه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما يريد به كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول : قال الله تعالى ( اذهب إلى فرعون إنه طغى ) (٣) ويشير إلى قلبه ويؤمى إلى أنه المراد بفرعون . وأما الوجه الثانى : فهو أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسمع والنقل فيما يتعلق بخرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير ومن فعل ذلك كثر غلظه ودخل فى زمرة من فسّر القرآن بالرأى . وضرب لذلك مثل فقال ألا ترى قوله تعالى : ( وآتينا نوحاً الناقة مبصرة فظلموا بها ) (٤) محناه : آية مبصرة فظلموا بها انفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ، ولا يدري بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو انفسهم فهذا من الحذف والإضمار وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي إليه . (٥)

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الأحاديث التى وردت فى منح تفسير القرآن بالرأى وأشار السلف فى تخرجهم عن القول فى القرآن ثم قال : فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن

(١) قد توسع الدكتور الذهبى ، والدكتور / جودة محمد المهدي فى ذكر هذه الأدلة لكل من الفرقين ، واجاب بعضهم عن أدلة البعض فأرجع للتفصيل إلى التفسير والمفسرون (١/ ٢٥٦ - ٢٦٥) وكتاب الواحدى ومنهجه فى التفسير (ص ١٥٢ - ١٥٣) .

(٢) انظر : التفسير والمفسرون (١/ ٢٦٤) والواحدى ومنهجه فى التفسير (١٥٦)

(٣) سورة النازعات : آية : ١٧ (٤) سورة الاسراء : آية : ٥٩

(٥) انظر : جامع الاصول (٣ / ٤-٦) وفى كلام ابن الاثير بيان بان الأحاديث الواردة فى النهي عن تفسير القرآن بالرأى ليس المقصود منها النهي فى تفسير القرآن بالرأى مطلقاً وإنما المقصود منها النهي عن تفسير القرآن بالرأى المذموم كما ان فى كلامه تحديداً للرأى المذموم وهو ما كان عارياً عن موافقة الكتاب والسنة ومبنياً على الأهواء والميول .

ائمة التفسير مجعولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فسي التفسير ولا مناقاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد . (١)

فالصواب في هذه المسألة هو أن التفسير بالرأى جائز إذا كان مبنياً على موافقة الكتاب والسنة وكلام العرب وأساليبهم وقوانين اللغة العربية وهو الذي ذهب إليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم (٢) فإنهم حددوا مصادر المفسرين في أربعة أشياء مما يدل على تجويزهم للتفسير بالرأى حيث قالوا : المصادر التي يجب على المفسر التقيد بها ولا يجوز العدول عنها أربعة وذكرها : النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والأخذ بقول الصحابي ، وقد تقدم البيان عنهما مع ذكر الخلاف في قول التابعي . والثالث هو الأخذ بمطلق اللغة فإن لقرآن نزل بلسان عربي مبين . والرابع : التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضى من قوة الشرع ولإليه الإشارة في قول علي رضي الله عنه فيما يرويه عنه البخاري في صحيحه (٣) لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا قهراً يعطيه الله رجلاً في القرآن . الحديث . . . . (٤)

#### التفسير بالرأى المحمود :

لقد عرفنا مما تقدم في المبحث السابق أن التفسير بالرأى ينقسم إلى قسمين : الأول : هو التفسير بالرأى المحمود أو الجائز . والثاني : هو التفسير بالرأى المذموم والمنوع . كما عرفنا أيضاً من خلال المبحث السابق المقصود من كلا النوعين وأن أكثر العلماء ذهبوا إلى جواز التفسير بالرأى المحمود لمن كان أهلاً لذلك وأنهم اشترطوا له شروطاً يجب توفرها فيمن يتصدى لهذا النوع من التفسير والآن نريد أن نعرف في هذا المبحث الشروط التي اشترطها علماءنا للتفسير بالرأى . وبعض الكتب التي تمثل هذا الاتجاه ولكن قبل الشرع في ذلك أريد أن أقول : إن تفسير القرآن بالرأى أو الاجتهاد في حدود ما يجيزه علماء الشأن أمر لا بد منه لأنه كلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخلت تحت راية الإسلام أناس من أبناء الأجناس المختلفة من غير العرب وكذلك كلما بعد الناس عن العهد النبوي ازدادت المشاكل وتجددت الأمور مما ألهم أئمة التفسير أن يعرفوا لها الحل من القرآن الكريم ولذلك نرى في كل عصر من العصور اللاحقة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم أن النصوص التفسيرية تضخم أكثر مما كان في العصر الذي قبله ، ثم

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٧٤) .

(٢) انظر مقدمة التفسير ( ص ٤٢٣ ) وذكر عن بعض المحققين أن القولين إذا كانا محمولين على إطلاقهما غلو وتقصير لأن من اقتصر على المنقول فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه ، ومن أجاز لكل أحد الخوض فقد عرضه للتخليط .

(٣) كتاب الجهاد باب فكاك الأسير ( ١٦٧ / ٦ - رقم ٣٠٤٧ ) .

(٤) البرهان ( ٢ / ١٦٠ - ١٦١ ) والتفسير والمفسرون ( ١ / ٢٧٣ - ٢٧٤ ) .

إن التفسير بالرأى بدأ في عهد مبكر جداً ، فهذا مجاهد أحد أئمة التفسير بلا منازع كان يعطى عقله حرية في فهم نصوص القرآن ما جعل بعض المتورعين الذين كانوا يتخرجون من القول في القرآن يتجنبون تفسيره . ( ١ ) ومن أمثلة ما عمل فيه مجاهد رأيه قوله تعالى : ( ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قرة خاسئين ) ( ٢ ) قال مجاهد في تفسيره هذه الآية : مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا .

وقد روى عنه ابن جرير هذا التفسير ( ٣ ) ولم يوافق عليه ، لأنه لا يعنى أن مسن يتعرض لهذا النوع من التفسير يحالفه الصواب في كل ما يقول بل هو مجال للخطأ والصواب ، والمهم أن يكون المفسر قد استخدم في ذلك الأدوات اللازمة له ، وأن لا يكون فيه دخل لهواه وميله ، وما ينبغى أن يعلم هنا هو أن التفسير بالرأى المستكمل لشروطه وضوابطه مرتبط بالتفسير المأثور ارتباطاً وثيقاً لأنهم قالوا في تعريف التفسير بالرأى إنه تفسير القرآن بالاجتهاد بعد المعرفة بعلوم اللغة ووجوه دلالتها والوقوف على الأدوات التي يحتاج إليها المفسر من العلوم العقلية والنقلية كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك مما لا مجال فيه للرأى والاجتهاد ( ٤ ) ومن ثم نجد المفسر بالرأى لا يستغنى بحال من الأحوال عن الجانب النقلى ، قال ابن خلدون وهو في معرض البيان عن الصلة الوثيقة بين تفسير الرواية وتفسير الدراية : وهذا الصنف من التفسير يقصد التفسير بالرأى - قل أن ينفرد بالأول . إن الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة ، نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً " ( ٥ )

وذكر الزركشى : أن القرآن قسمان : أحدهما ورد تفسيره بالنقل عن معتبر تفسيره وقسم لم يرد ، والأول ثلاثة أنواع : إما أن يرد التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين ، الثاني : ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين - وهو قليل - وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ، ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق . . . . . ( ٦ )

وهذا يمكن لنا أن نقول في تحديد دور التفسير بالرأى : أن له دور المساعد على فهم المأثور كما أن له بعض الدور الاستقلالي فيما لم يرد فيه الأثر ( ٧ ) .

- 
- ( ١ ) التفسير والمفسرون ( ١٠٦ / ١ ) ومنهج المدرسة العقلية الحديثة ( ٢٢ / ١ ) .
  - ( ٢ ) سورة البقرة آية : ٦٥ .
  - ( ٣ ) تفسير الطبري ( ٣٣٢ / ١ ) .
  - ( ٤ ) المعجزة الكبرى ٥٩٦ الواحدى ومنهجه في التفسير ( ١٥١ ) .
  - ( ٥ ) مقدمة ابن خلدون : ٤٤٠ .
  - ( ٦ ) البرهسان ( ١٧٢ / ٢ ) .
  - ( ٧ ) قلت : ان له بعض الدور الاستقلالي فيما لم يرد فيه أثر لأن المفسر لا يمكن أن يستغنى

في مثل هذا أيضاً حيث يفسر الآية على رأيه ولا ينظر إلى النقل بل لا بد له من المراعاة في ذلك لموافقة الكتاب والسنة وكلام العرب فيما يقوله وما يؤكد ذلك أن علماء الشأن



وأما العلوم التي يحتاج إليها المفسر بالرأى فذكر له العلماء جملة من العلوم أوصلها

الزركشي وغيره إلى خمسة عشر علماً .

أحدها : اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضوح .  
والثاني : علم النحو ، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الأعراب ، فلا بد من اعتباره  
والثالث : علم الصرف لأن بواسطته تعرف الأبنية والصيغ ، وذكرها هنا ما حكاه الزمخشري  
ففي تفسيره فإنه قال عند تفسير قوله تعالى ( يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ) ( ١ ) ومن  
بدع التفسير أن الإمام جمع أم ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم ، وأن الحكمة  
في الدعاء بالأسماء دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين  
والا يفتضح أولاد الزنا " ( ٢ ) وهذا غلط لأن كلمة ( أم ) لا تجمع على إمام ، وإنما تجمع  
على أمهات . والرابع : الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف  
باختلافهما كالسيح مثلاً هل هو من السياحة أو من المسح .

الخامس والسادس والسابع : علوم البلاغة الثلاثة المعاني ، والبيان والبديح ( فعلم  
المعاني يعرف به خواص التراكيب للكلام من جهته إفادتها المعنى وعلم البيان : يعرف  
به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وعلم البديح : يعرف به  
وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة  
ما يقتضيه الإعجاز وذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم ( ٣ ) .

الثامن : علم القراءات لأنه بمعرفة القراءات يعرف كيفية النطق بالقرآن ، والقراءات يترجح  
بعض الوجوه المحتملة على بعض ، التاسع : علم أصول الدين - يقصدون بذلك على  
الكلام ( ٤ ) ففي زعمهم أنه به يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى وما يجوز  
وما يستحيل ، ويؤول الآيات التي تدل بظاهرها على ما لا يجوز لله تعالى إلى المعنى  
الذي يراه لاثقاً بذاته وجلاله ، ولكننا لانوافقهم في ذلك لأن علم الكلام هو الذي جلب على

( = ) يذكر هنا بعض المصادر التي يجب على المفسر الرجوع إليها أول هذه المصادر  
القرآن ، ثم النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن صحابته ثم الأخذ بمطابق  
اللغة وقد تقدم ذكرها نقلاً عن الزركشي وغيره في ص ( ٣٢ ) .

( ١ ) سورة الاسراء : آية : ٧١ ( ٢ ) الكشاف ( ٢ / ٣٦٩ ) طبعة دار المعرفة .  
( ٣ ) هذه العلوم السبعة تفصيل لما أجمل في تعريف التفسير بالرأى من معرفة : كلام  
العرب ومناحيهم وأساليبهم ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها .  
( ٤ ) انظر التفسير والمفسرون ( ١ / ٢٦٧ ) .

الأمة الإسلامية أغلب المشاكل التي تعيشها اليوم (١) وهل من المعقول أن يكون هذا العلم الذي يعتبر وليدة للفلسفة اليونانية مساعداً لفهم القرآن وتفسير آياته ؟ حاشاً وكلاً وليس معنى ذلك أن المفسر لا يحتاج إلى المعرفة بأصول الدين بل هو في أشد الحاجة إليها ولكن ليس على طريق المتكلمين الذين استندوا في معرفة الله تعالى ومعرفة اسمائه وصفاته وغيرها من أمور العقائد إلى ما رسمه لهم الفلاسفة اليونانيون وإنما على طريقة السلف الصالح من هذه الأمة ، فيجب عليه أن يكون ملماً بأمور العقائد وبما كانت عليه القرون المفضلة على لسان الصادق المصدوق دون تأثر بعلوم أجنبية من الفلسفة اليونانية وعلم الكلام وغيرها لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فيلزم أن تكون عقيدتنا على طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأما القول بأن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم (٢) فإنه خلاف العقل والنقل والواقع (٣) . وكذلك ما قررره الدكتور / نصار من أن الصحابة تلقوا العقائد تلقى المدعى المستسلم دون معرفة وفهم وإنما عرفها بمقاييس العقل بعض فرق المتكلمين (٤) ففيه طعن في الإسلام بحيث أنه خاطب القلوب دون العقول ودعا إلى الإيمان دون المعرفة . ثم جاءت فرق المتكلمين وخرجت نصوص العقيدة على ما وضعت من مقدمات عظيمة فكان الإسلام لم يتم إلا على أيدي هؤلاء المتفلسفين المتكلمين حاشاً وكلاً وأين هو من الآيات القرآنية التي نزلت على نبينا صلى الله عليه وسلم تخاطب العقول وتحثها على إدراك ما يوجد في هذا الكون من دلائل وآيات تدل على إثبات الربوبية والالوهية لله تعالى وحده دون غيره وغير ذلك من شتى أمور العقائد ، وإذا كان قصد الدكتور من العقول عقول الفلاسفة اليونانيين فالإسلام وجميع تعاليمه برىء من تلك العقول ولم تجلب هذه العقول على الأمة الإسلامية إلا الشقاق والتفرق لأنها من أساسها متفرقة ومشتقة . (٥)

والعاشر : أصول الفقه إذ به يعرف كيفية الاستدلال واستنباط الأحكام من الآيات .

- (١) ولذلك نرى كثيراً من علماء السلف أنهم ذموا علم الكلام وحرّموا تناوله .  
 (٢) يرد ذلك بعض المتكلمين في باب الاسماء والصفات .  
 (٣) رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث ذكر أن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن هذا حظهم على طريق السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الاميين ، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

انظره : درء تعارض العقل والنقل ( ١ / ٩٢ ) .

- (٤) المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ( ص ٤٧٨ ) .  
 (٥) انظر ما كتبه عدنان زرزور في مقدمته على كتاب اصول التفسير ( ٨ - ٩ ) .

والحادى عشر : أسباب النزول والقصص (١) فإن معرفة أسباب النزول تساعد على  
 تعيين المراد من الآية . ومعرفة القصة تعين على توضيح ما أجمل منها فى القرآن  
 والثاني عشر : الناسخ والمنسوخ ليعلم الحكم من غيره .  
 والثالث عشر : الفقه والرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير المجلد والمبهم .  
 والخامس عشر : علم الموهبة ويقصدون بذلك أنه علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم  
 وإليه الإشارة بقوله تعالى ( واتقوا الله ويعلمكم الله ) (٢)

فهذه هى العلوم التى يذكرها العلماء ويعتبرونها أدوات لفهم كتاب الله تعالى  
 وليس هذا العدد حاصراً لجميع العلوم التى يتوقف عليها التفسير ، فإن هناك أموراً  
 أخرى يجب مراعاتها ، ومنها أنه ينبغى للمفسر - وكذلك لكل من يشتغل بنوع من العلم  
 أن يكون مخلصاً مع الله فى عمله بحيث لا يغلب عليه هواه وطبعه ، كما أنه ينبغى له  
 أن يكون عالماً بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل . (٣)

وأما الكتب التى تمثل هذا الاتجاه - أى التفسير بالرأى المحمود - فمن أحسنها  
 من كتب المتقدمين تفسير الطبرى المسمى بجامع البيان عن تأويل آى القرآن مؤلفة من  
 أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ( المتوفى سنة ٣١٠هـ ) (٤) وقد اتفق علماء  
 الشأن على أن لهذا الكتاب أهمية كبيرة ، وأنه من أقوم التفاسير وأشهرها ، ولا يستغنى  
 عنه طالب التفسير ، قال أبو حامد الاسفرائينى : " لو سافر رجل إلى الصين حتى  
 يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً " (٥)

(١) فرق الدكتور/ الذهبى بين أسباب النزول وبين القصص ، فذكر علم القصص فى رقم  
 مستقل ، وترك الفقه .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢ وأما هذه العلوم التى يحتاج إليها المفسر عند تفسيره  
 للقرآن فقد ذكرها السيوطى فى الاتقان (٢/ ١٨٠ - ١٨٢) وطاشى كبرى فسي  
 مفتاح السعادة (٢/ ٨٢ - ٨٤) ود/ الذهبى فى التفسير والمفسرون :  
 (٢٦٥/١ - ٢٦٨) .

(٣) انظر : تفسير المنار (٢١ - ٢٤) والتفسير والمفسرون (١/ ٢٦٩ - ٢٧٢)  
 قال طاشى كبرى زاده بعد أن ذكر هذه العلوم الخمسة عشر : واعلم أن هذه  
 العلوم التى لامندوحة للمفسر عنها ، وإلا فعلم التفسير لا يد له من التبحر فى كسل  
 العلوم وأما العلوم المستنبطة من القرآن فبحر لا ساحل له " المصدر السابق له .

(٤) كلهم يذكرون تفسير الطبرى ضمن كتب التفسير بالمأثور وفيما أرى أنه ليس تفسيراً  
 بالمأثور فقط ، لأنه يجمع بين الاتجاهين - التفسير بالمأثور وهو الغالب عليه  
 والتفسير بالرأى المحمود ، وقد تقدم فى هذا المبحث أن التفسير بالرأى المحمود  
 لا يمكن أن يستقل فيستغنى عن المأثور استغناءً كاملاً ، وذلك لما يوجد بينهما من  
 صلة وثيقة وعليه فإن تفسير الطبرى أولى محاولة موفقة للجمع بين الاتجاهين لأن الكتب  
 التى الفت قبل الطبرى فى تفسير القرآن نجد لها لا تتجاوز عن التفسير بالمأثور ،  
 وأما ابن جرير فإنه مع تمسكه بالاتجاه الأول - التفسير بالمأثور - تجاوز عنه إلى الرأى  
 والاجتهاد فاستخدم عقله ورأيه فى حدود ما يجيزه علماء الشأن فى استنباط الأحكام  
 من الآيات وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وقد اعترف الدكتور/ الذهبى  
 بأن تفسير الطبرى يعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلى . انظر  
 التفسير والمفسرون (١/ ٢٠٧) .

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣) .

ونقل السيوطي عن النووي أنه قال : \* كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحسد مثله (١) وكذلك اثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع في مؤلفاته فقال في مقدمة التفسير : وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين كقاتل بن بكير ( كذا - ولعل الصواب : مقاتل بن سليمان ) والكلبي . (٢)

وقال السيوطي : وكتابه - أي تفسير الطبري - أجل التفاسير وأعظمها . . . . . فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستباط فهو يفوق بذلك (على تفاسير الاقدمين ) . (٣)

وقال أيضا : أجمع العلماء المعترفون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله (٤) وفيما قاله شيخ الإسلام والسيوطي لإشارة إلى المنهج الذي سلكه ابن جرير في تفسيره ، بحيث أنه روى كل ما ورد في تفسير الآيات من أحاديث وآثار بالأسانيد كما أنه اختار في مسائل العقيدة طريقة السلف الصالح من هذه الأمة ، ولم يعرج على الأمور التي ابتدعتها الطوائف الخارجة عن طريقة السلف من أمثال الجهمية والمعتزلة والكرامية المشبهة والمرجئة والمعتزلة والروافض وغيرها من الطوائف المنحرفة وحاول التجنب في تفسيره عن روايات المتهمين والكذابين ولكنه لم يخل منها وحاول توجيه الأقوال التي رويت في تفسير الآيات فذكر لكل قول ما يؤيده وما يدل عليه ثم قام بترجيح الأقوال المختلفة بعضها على بعض وذلك في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة وكلام العرب وسياق الكلام ، كما أنه تعرض لتوجيه القراءات وتعليلها وبيان الشاذ منها ، وكذلك تعرض لذكر مسائل النحو والصرف والاعراب وقام باستنباط الأحكام من الآيات . (٥)

وأما من المتأخرين فيمثل هذا الاتجاه ابن كثير في تفسيره وقد بنى تفسيره على كتاب ابن جرير وغيره من المفسرين ولكن استفادته من ابن جرير كانت أكثر من غيره ولذا نجده يعتمد كثيراً على اختياره وترجيحه . ولكنه يتميز عنه بأمور منها : حكمه على الإسناد وبيان الصحيح من الضعيف والموضوع ومنها تحرير المسائل الفقهية ومنها أيضا وقوفه أمام الروايات والأخبار الاسرائيلية وقفة الناقد البصير . (٦)

(١) الاتقان (١٩١/٢) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٣٨٥/١٣)

(٣) الاتقان (١٩٠/٢)

(٤) الاتقان (١٩١/٢)

(٥) هذا هو المنهج الذي سلكه ابن جرير في تفسيره : بغاية من الاختصار وانظره للتفصيل التفسير والمفسرون (٢١٠/١ - ٢٢٤) وكل ما ذكرناه لا يعني انه لا يوجد في تفسيره شيء من الملاحظات بل هناك ملاحظات عديدة ولكنها إلى جانب ما يتميز به من حسنات لا تقلل من أهميته ، وايضا انه من البشر ، والكمال لله تعالى .

(٦) انظر : المنهج الذي سلكه ابن كثير في تفسيره بالتفصيل التفسير والمفسرون (٢٤٤/١ - ٢٤٧) وهذا الكتاب أيضا يعتبره الناس من الكتب التي الفت في التفسير بالمأثور فقط ، ولكن الامر ليس كذلك ، لانه يشتمل إلى جانب كونه تفسيراً بالمأثور على أمور كثيرة منها الرأي والاجتهاد .

## التفسير بالرأى المذموم أو المنسوع :

قد بينت فيما سبق في ضوء ما قاله بعض العلماء مفهوم التفسير بالرأى المذموم كما اشرت الى سبب نشأة هذا الاتجاه مع النهى الشديد فيمن يتقول في القران برأيه وهواه . وقلت : ان هذا الاتجاه ترك وراءه على الامة الاسلامية اثارا سيئة - وكان كل ذلك بالاجمال ، والان نريد ان نعرف هذه الامور بشيء من التفصيل (١) فاولا اذكر ما قاله بعض العلماء الاخرين في تحديد مفهوم التفسير بالرأى المذموم ولذلك انقل ما قاله ابن النقيب في تقسيم علوم القران فانه قال : اعلم ان علوم القران ثلاثة اقسام الاول : علم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه وهو ما استأثر به من علوم اسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التي لا يعلمها الا هو ، وهذا لا يجوز لاحد الكلام فيه بوجه من الوجوه اجماعا .

والثاني : ما اطلع الله عليه وسلم أو لمن اذن له ، قال : واوائل السور من هذا القسم وقيل من القسم الاول . والثالث : علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها ، وهذا ينقسم الى قسمين : منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع - وهو اسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الامم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وامور الحشر والمعاد . ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الالفاظ ، وهو قسمان : قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الايات المتشابهات في الصفات . (٢)

(١) لان أحد الذين سوف اقوم بالمقارنة بين تفاسيرهم يمثل نوعا من انواع التفسير بالرأى المذموم ، الا وهو الزمخشري صاحب الكشاف الذي ايد فيه مذهبه الاعتزالي بكل جرأة ولو أدى ذلك الى تحريف المعنى دلالية .

(٢) نحن نخالفهم في هذه المسألة في نقطتين : الاولى : تسمية ايات الصفات بالمتشابهات لان السلف كلهم متفقون على ان ايات الصفات محكمات بحيث ان معانيها وتفاسيرها معلومة للناس والذي لا يعرفه احد من المخلوقين هو الكيفية والكسب لصفات الرب سبحانه وتعالى وهو الذي قصده الامام مالك عندما سأله رجل عن كيفية استواء الرب تعالى : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في الاكليل (٢٢/٢ - ٢٣) ضمن مجموع الرسائل الكبرى ان الامام احمد فسر النصوص التي تسميها الجهمية متشابهات فبين معانيها اية اية وحديثا حديثا ، ولم يتوقف في شيء منها هو والائمة قبله ولم يكن التفويض قط مذهب لائمة السلف بل مذهب السلف هو اجراء معاني ايات الصفات على ظاهرها باثبات له حقيقة عندهم قراءة الاية والحديث تفسيرها وتمركها جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها .

انظره ايضا الحموية الكبرى (١/٤٧٠ - ٤٧١) ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ( والنقطة الثانية التي نخالفهم فيها هي ان ايات الصفات لا تدخل ضمن الايات التي يعرف تفسيرها بطريق النظر والاستدلال والاستنباط وانما تدخل في الايات التي لا يجوز الكلام فيها الا بطريق السمع لان ذات الله سبحانه وتعالى لا يدخلها القياس فكذلك صفاته ايضا لا يدخلها القياس .

وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والاعرابية لأن مبناها على القيسة ، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات لا يمتنع استنباطها منه واستخراجها لمن له أهلية . أورد السيوطي في الإتيان (١) وكذلك أورد طاش كبرى وقال بعده وإذا عرفت هذا فاعلم أن ما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأى الذى نهى عنه ثم ذكر للتفسير بالرأى المنهى عنه خمسة أنواع :

- ١- أحدها : التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها التفسير .
- ٢- الثاني - تفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله .
- ٣- الثالث : التفسير المقرر للمذهب الفاسد ، بأن يجعل المذهب أصلاً ، والتفسير تابعاً له ، فيرد إليه بأى طريق أمكن وأن كان ضعيفاً .
- ٤- والرابع : التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل .
- ٥- الخامس : التفسير بالاستحسان والهوى (٢) وقد ذكر هذه الأنواع السيوطي أيضاً نقلاً عن ابن النقيب ولكنه وصفها بأنها خمسة أقوال (٣) وما قاله طاش كبرى زاده هو الصواب لأنه لو فسر أحد القرآن على أحد هذه الأوجه لكان من التفسير بالرأى المذموم .

#### نشأة هذه الاتجاهات وأسبابها :

من المعلوم أن التفسير جرى منذ زمن النبوة إلى فترة معينة من زمن اتباع التابعين على طريقة تكاد تكون على نمط واحد وأسلوب واحد . وهو طريق الرواية والسمع ، فكان كل عصر يحمل التفسير عن سلف بطريق الرواية والنقل بأسانيد متصلة مع الملاحظة بأن كل عصر من هذه العصور تتجدد فيه وتتضخم نصوص تفسيرية لم يكن لها وجود من قبل والسبب لذلك راجع كما تقدم إلى أن الناس كلما بعدوا عن عصر النبوة تجددت نواحي الغموض في تفسير القرآن مما ألزم أئمة التفسير فى كل عصر استخدام آرائهم وعقولهم واجتهادهم فى إزالة هذا الغموض فكان لابد للتفسير من أن يتضخم كلما مرت عليه السنون ، ثم إن هذا التضخم لم يكن فى بداية الأمر إلا محاولات عقلية ، ونظرات اجتهادية قام بها أفراد من الناس الذين لهم عناية بهذه الناحية كما أنها لم تخرج عن قانون اللغة ودلالة الكلمات القرآنية ولم تتجاوز حدود الشريعة وبذلك لم تخرج عن دائرة الرأى المحمود الذى لا يشمل النهى الوارد فى وعيد من يقول فى القرآن برأيه لأنه لم يكن خاضعاً لهوى أو بتداع (٤) .

وظل الأمر على تلك الحال إلى أن ابتليت الأمة الإسلامية بالتفرق والاختلاف ولعبت ببعض أفرادها الأهواء والأعراض الدنيوية فانقسمت إلى طوائف وفرق تبنت كل واحدة منها

(١) (١٨٣/٢) .  
 (٢) مفتاح السعادة (٢/٨٤ - ٨٥) وما ذكره طاش كبرى زاده لا يخالف ما تقدم نقله فى (ص ٣١) عن ابن الأثير، لأن ما ذكره الأول تفصيل لما أجمله الثاني .

(٣) الإتيان (١٨٣/٢) .

(٤) انظر ما تقدم ذكره فى ص (٣٢ - ٣٣) .

أفكاراً ونظريات خاصة . وقام وراء حركة التفرق والتشتت الأعداء من اليهود والنصارى الذين لم يستطيعوا مقاومة الإسلام في ميدان الحرب فاستخدموا أساليب شتى ووسائل مختلفة لزرع بذور الخلاف بين الأمة ونشر أفكار من شأنها زعزعة العقيدة في نفوس ابنائها . ولم يروا بأساً في ذلك أن تزيا بعضهم بزى الإسلام ، ونجحوا بذلك في مقاصدهم إلى حد بعيد فقد ظهرت المذاهب وقامت الفرق بحيث لا يمكن حصرهم في هذه العجالة ، وأصبح صاحب كل مذهب ، وصاحب كل فرقة همه الأكبر أن يناصر مذهب ، ويؤيد فرقته مهما كلفه ذلك فذهب إلى إخضاع النصوص القرآنية وفسرها تفسيراً يتفق ومذهبه وفي سبيل ذلك حرف كثيراً من الآيات عن معانيها المرادة وخرج بها عن قواعد اللغة وأصول الشريعة حتى أن القرآن صار عندهم تابعاً للمذهب لا متبوعاً وهكذا كانت بداية هذا الاتجاه ، أي التفسير بالرأى المذموم - وقد ساعد في انتشاره أيضاً ترجمة كثير من الكتب الأجنبية من الفلسفة اليونانية ، وتدوين كثير من العلوم مما جعل كل من برع في فن من فنون العلم يقتصر في تفسيره على الفن الذي برع فيه (١) وبهذا وجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تكاد تجد بينها وبين التفسير رأى صلة ، ونشطت حركة التفسير بالرأى المذموم عندما فقد التفسير بالماثور عناية العلماء لضعف الهمم وقصور الباع ، وبدأوا يذكرون أقوال السلف بدون رواية واسناد - فاغتنم أصحاب الأعراض المذمومة هذه الفرصة ، وفسروا كثيراً من الآيات القرآنية تفسيراً يتفق مع أهوائهم وميولهم ثم نسبوه إلى علماء السلف مع أن تفسير بعض هذه الآيات وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند صحيح ثابت ، ولا يعقل أن الصحابة أو التابعين يجزؤون على تفسير آية من آيات القرآن برأيهم واجتهادهم وتفسيرها وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إلا إذا كان لم يبلغهم تفسيره صلى الله عليه وسلم أو بدا لهم وجه بما حملهم على تفسير الآية التي ورد تفسيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تعرض السيوطي لذكر المراحل التي مر بها علم التفسير وقال بعد أن ذكر طبقة ابن جرير ومعاصريه : ثم الف في التفسير خلائق ، فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى فدخل من هنا الدخيل والتيس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسنح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحريم ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجح اليهم في التفسير حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) نحو عشرة أقوال وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبي حاتم : " لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين " (٢)

وهكذا نشطت حركة التفسير بالرأى المذموم وتركت ورائها آثاراً سيئة على الأمة الإسلامية ، حيث لم ترد لها إلا تفرقاً واختلافاً وبرزت في ميدان التفسير لكتاب الله تعالى

(١) انظره مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٨١-٩٣) والاتقان (١٧٨/٢-١٩٠) والتفسير والمفسرون (١٤٦/١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨) والتفسير وماهجه : (ص ٢٦ &

(٢) الاتقان (١٩٠/٢) وانظر أيضاً تفسير ابن كثير (٣٠/١) .

الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه - مدارس مختلفة ومذاهب عديدة لكل منها وجهة هو موليا ويحمل بنا أن نتعرض لذكر بعض هذه الآثار التي خلفت اتجاهاه التفسير بالرأى المذموم فمنها التأويل ؛ فكان التأويل من أهم الآثار التي تجلت من خلال التفسير بالرأى المذموم والمقصود من التأويل هنا هو تأويل الآيات التي ورد فيها نكر اسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله بما توحى به أهواؤهم وميولهم من المعاني ، وقد ظلت الأمة الإسلامية في قرونها المفضلة لاتعرف شيئا عن التأويل من هذا القبيل كما أنها لم تكن لتبحث عن ذات الباري تعالى في اسمائه وصفاته وأفعاله وما يجب له وما لا يجب وما يجوز عليه وما يستحيل (١) إلى أن غزت العلوم الأجنبية من الفلسفة اليونانية وغيرها العلوم الإسلامية ، ونشأ علم الكلام فبدأ الناس يتكلمون عن الله تعالى وعن ذاته واسمائه وصفاته وأفعاله . وكان الجعد بن درهم هو أول من تكلم في ذلك فنفى أن يكون الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا ، أو كلم موسى تكليما ، ويحكى أنه كان له اتصال بالصابئة الفلاسفة من أهل حران ، كما أنه أخذ بعض تعاليمه عن بعض اليهود المحرفين لدينهم المتصلين بلبيد بن الأعصم الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتله - أى الجعد ابن درهم - خالد بن عبد الله القسرى في سنة ( ١٢٤ هـ ) (٢) ولكنه قبل أن يقتل نقل تعاليمه إلى الجهم بن صفوان الذى هو أول من أظهر نفى الصفات والتعطيل ، ونشر مقالة الجعد بن درهم ، ولذلك نسبت هذه المقالة إليه فقبل لها مقالة الجهمية وخلاصة مذهبه كما يحكى لنا القاسمي ؛ هو تأويل الصفات كلها ، والجنوح إلى التنزيه والبحث وبه نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته وأن يكون مرثيا في الآخرة وأن يتكلم حقيقة وأثبت أن القرآن مخلوق . وكان من أعظم شبهتهم في باب الصفات اعتقاد أن ظاهرها يفيد التشبيه بالمخلوق أى أن ما يفهم من نصوصها يماثل ما يفهم من صفات المخلوق فظاهر معناها التمثيل وهو مستحيل ، فيجب التأويل (٣) ، وقد نجح الجهم بن صفوان فسي نشر أفكاره حتى شغلت الأمة فكثرت فيها الجدل والمناقشات ومخضت منها الآراء فبعض الفرق ذهبت إلى إنكار جميع الاسماء والصفات ، وبعضها الأخرى ذهبت إلى إثبات الأسماء دون الصفات . كما أن البعض منها ذهبت إلى تشبيه ذات الله تعالى بالمخلوقين في الأسماء والصفات والأفعال ومنها جماعة ذهبت إلى التفريق بين الصفات الواردة في كتاب الله تعالى بحيث أثبتت البعض منها وأولت البعض الآخر وهذه هي المقصودة هنا لأنه قد استفحل أمرها وعظم شأنها بحيث أن الناس زعموا أن ما تقوله هذه الجماعة هو عين ما يذهب إليه أهل السنة (٤) . وتعرف هذه الجماعة بالاشعرية نسبة إلى الإمام

- (١) ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في الحموية الكبرى ( ص ١٣ ) ان أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة ، وان كان قد نبج اصلها في أو اخر عصر التابعين ، انظر ايضا تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي ( ص ٣٨ ) وعدم تعرض الصدر الأول من الملة يدل على أنهم لم يروا في هذه الآيات ما يوحى بالتنقص من ذات الباري تعالى أو التشبيه بالمخلوقين خلافا لما قرره الدكتور نصار في كتابه المدرسة السلفية ( ص ٤٧٧ - ٤٧٩ ) من ان اصحاب الفترة الاولى تلقوا العقائد بطابع التسليم والانقياد دون محاولة تفهمها واخضاعها لمقاييس العقل ، وإنما تم ذلك على أيدي بعض الفرق من المتكلمين .
- (٢) انظر الحموية الكبرى ( ص ١٣ ) وشرح العقيدة الطحاوية ( ٥٩٠ - ٥٩١ ) وتاريخ الجهمية ( ص ٣٨ ) . (٣) انظر : تاريخ الجهمية والمعتزلة ( ص ١٩ ) .
- (٤) وقد حضر الدكتور نصار في كتابه المدرسة السلفية ( ص ٥٣٧ ) أهل السنة في الأشاعرة ، وانظر ايضا التنكيل للمعالي ( ٣٤٤ / ٢ ) .



أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (١) وخلاصة ما تذهب إليه هذه الجماعة في مسألة الصفات أنهم يثبتون لله تعالى سبع صفات يسمونها صفات المعاني أو الصفات العقلية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام . وذلك لأن هذه الصفات يقتضيها العقل ويستلزمها الوجود . وما عدا ذلك من الصفات سواء ورد ذكرها في الكتاب ، أو في السنة الصحيحة الثابتة فيو لونها تأويلاً ترضى به أهواءهم ويسمونها صفات خبرية لأن طريق إثباتها لله تعالى الخبر الصادق الذي جاء به الكتاب والسنة الصحيحة أو العقول فليس لها دور في إثبات هذه الصفات . وهي في نظرهم توهم الجسمية لأنها تدل إما على إنفعال بأحداث عرضية ، ولما على أعضاء وأعضاء ، وهذا من خضائن الأجسام . (٢)

وقد اختار هذا المنهج - أي تأويل الصفات الخبرية - كثير من المفسرين الذين ينتمون إلى أهل السنة ، والسبب لذلك أن هذا المنهج قد عم وانتشر فيما بين الناس بصفة مذهبة - حتى اعتقدوا أنه هو الذي ذهب إليه الصدر الأول من الأمة ، والحقيقة في غير ذلك ، فإنهم أثبتوا كل ما اثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تفريق منهم بين الصفات العقلية والصفات الخبرية ، وليس هذا موضع بسط وإنما المقصود أن نذكر هنا بعض هؤلاء المفسرين الذين سلكوا هذا الطريق مع ذكر بعض النماذج - فمن الذين اختاروا هذا المنهج - الثعلبي : أحمد بن محمد ابن ابراهيم ابو اسحاق النيسابوري ( ت : ٤٢٧ هـ ) صاحب الكشف والبيان - وقد صرح الملياري محمد اشرف في دراسته عن عقيدة الثعلبي بأنه مؤول بصفات الله الخبرية مع وقوفه إلى جانب عقيدة السلف في معظم معتقداته ، وأورد دليلاً على ذلك من خلال ما نقله عن العلماء عند قوله تعالى : ( ثم استوى على العرش ) (٣) ثم ما ارتضاه لنفسه

(١) الغريب ان ما تقوله الأشعرية في باب الأسماء والصفات وتنسبه إلى أبي الحسن الأشعري قد رجح عنه أبو الحسن ، لأن المؤرخين يذكرون له ثلاث حالات مسر بها في حياته كان في الحالة الأولى : معتزلياً ، ثم تاب من الاعتزال ، وفي الحالة الثانية سلك طريقة ابن كلاب ، ورجع عنها أيضاً ( ولكن الذين ينتسبون إليه لا يسلمون رجوعه عن طريق ابن كلاب ) وفي الحالة الثالثة تمسك بطريقة السلف وفي هذه الفترة ألف كتابه : " الابانة ، ومقالات الإسلاميين .

انظره رسالة الشيخ / حماد الأنصاري ( أبو الحسن الأشعري ) .

(٢) انظره للتفصيل : الانصاف ( ص ٣٩ ) ومنهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ( ١٣ ) والحق ان هذه التفرقة غير سديدة وما انزل الله بها من سلطان ولو طولبوا بايجاد قانون مستقيم لهذا الفعل ما أمكنهم ذلك وأما السلف فبنوا عقيدتهم في باب الأسماء والصفات على أصول مأخوذة من الكتاب والسنة . ومن بينهم من أن الكلام في بعض الصفات كاللحلام في بعضها الآخر ، وقد ناقشهم شيخ الاسلام ابن تيمية بهذا الاصل والزمهم القول فيما اثبتوه بما نفوه وقرر بأنه لا فرق بين ما نفوه وبين ما اثبتوه ، بل القول في احدهما كالقول في الآخر .

راجع الرسالة التدميرية ( ص ١٣ ) .

(٣) سورة الاعراف اية ( ٥٤ )

وهو ان معنى الآية : أحدث الله فعلاً سماه استواءاً " (١) وهو أحد الأقوال التي قالها علماء الأشعرية . وابن عطية : ابو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ( ت : ٥٤٦ هـ ) صاحب المحرر الوجيز وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية تفسيره فقال : وتفسير ابن عطية وأمثاله اتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجه لكان أحسن وأجمل فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير ، واعظمها قدراً ، ثم انه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لايحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين ، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بنظر من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم ، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة لكن ينبغى أن يعطى كل ذي حق حقه ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب " (٢) واكتفى بذكر مثال واحد من تفسيره يدل على صحة ما قاله شيخ الإسلام فإنه قال عند قوله تعالى ( وكلم الله موسى تكليماً ) (٣) والذي عليه الراسخون في العلم أن الكلام هو المعنى القائم في النفس ويخلق الله لموسى أو جبريل إراداً من جهة السمح يتحصل به الكلام " وقرر بأن كلام الله لا حرف له ولا صوت (٤) وهو عين ما ذهب إليه الأشعرية . وابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي ( ت : ٥٩٧ هـ ) صاحب زاد المسير وقد كان مضطرباً في هذا الباب فيثبت بعض الصفات ويؤول بعضها ويفسوس بعضها الأخرى وقد صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : إن أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب ، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات " (٥)

وقد قام بالتفويض في قوله تعالى ( ثم استوى على العرش ) (٦) فقال : وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية (٧) وقام بالتأويل في قوله " بل يدها مبسوطتان " (٨) حيث قال : إنه جواد ينفق كيف يشاء (٩) . وهكذا مشى على هذا النهج الفخر الرازي : ابو عبد الله محمد بن عمر ( ت : ٦٠٦ هـ ) والنسفي : عبد الله ابن أحمد بن محمود ( ت : ٧٠١ هـ ) والبيضاوي : عبد الله بن عمر بن محمد بن عيسى ( ت : ٦٩١ هـ ) والخازن : علاء الدين ابو الحسن علي بن محمد ( ت : ٧٢٥ هـ ) وابو حيان محمد بن يوسف بن علي أبو عبد الله الأندلسي ( ت : ٧٥٤ هـ ) وغيرهم ، وكان بعضهم متوغلاً في الأشعرية ومبالغاً في التأويل حيث ضلل كل من خالفه في ذلك واثبت لله تعالى

(١) انظر: الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان ( ص ٥٩ - ٦١ ) .

(٢) مجموع الفتاوى ( ٣٦١ / ١٣ ) .

(٣) سورة النساء : آية : ١٦٤ .

(٤) تفسير ابن عطية ( ٣١٢ / ٤ ) .

(٥) مجموع الفتاوى ( ١٦٩ / ٤ ) .

(٦) سورة الاعراف : آية : ٥٤ .

(٧) زاد المسير ( ٢١٣ / ٣ ) .

(٨) سورة المائدة : آية : ٦٤ .

(٩) زاد المسير ( ٣٩٣ / ٢ ) .

ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله الكريم ، وسماه بأسامي اختلقها من عنده وهو يرى منها براءة الذئب من دم يوسف . وهذا - أي التأويل لآيات الصفات - أثر من آثار التفسير بالرأى المذموم حيث أن بعض القوم تبني فكرة وجعلها عقيدة ثم حاول إخضاع النصوص القرآنية لما تبناه وفسرها تفسيراً يلائم عقيدته ومذهبه ، ولو كان هذا هو التفسير الصحيح للآيات لورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ولكننا لانجد أنهم فسروا آيات الصفات بما فسرت به هذه الجماعة وهذه المسألة ليست من المسائل التي يدخلها الاجتهاد فنقول إن القوم اجتهدوا فجاءوا بما سكت عنه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بل هي مسألة تتوقف على النقل فقط ، والنقل لا يوجد فيه شيء مما قالوا . (١)

### الاعتزال :

ومما ظهر في ميدان التفسير بسبب اشتغال الناس في القرآن حسب أهوائهم وميولهم الاعتزال ، ونشأت هذه الفكرة في بداية القرن الثاني على أثر واقعة وقعت بين الحسن البصرى وواصل بن عطاء ، وما لبثت أن احتلت من أفكار الناس وعقولهم مكاناً عظيماً ، وكثر فيها الجدل والمناقشات وأصبحت لها بعد مضي مدة وجيزة قوة ونفوذ لائها وجدت من يقف إلى جانبها من أصحاب السلطة والنفوذ وتكونت لها مدرستان مختلفتان مستقلتان : مدرسة البصرة ، وعلى رأسها واصل بن عطاء ، ومدرسة بغداد وعلى رأسها بشر بن المعتمر ووضعوا لأنفسهم أصولاً وقواعد خاصة يتميزون بها عن غيرهم وكان من الضروري لأصحاب هذه الفكرة كغيرهم أن يقيموا مذهبهم ويدعموا أصولهم وقواعدهم على أسس من القرآن وكان لابد لهم أيضاً أن يردوا الحجج القرآنية لخصومهم ويضعفوا من قوتها ، ولذلك كان يجب عليهم أن ينظروا إلى القرآن أولاً بمنظار عقيدتهم وأفكارهم التي تبنيوها ثم يخضعوا عبارات القرآن ويفسروها تفسيراً يتفق مع عقيدتهم ونحلتهم وهكذا فعلوا ولم يمنعهم من ذلك مانع فبنوا تفسيرهم على قواعدهم التي وضعوها لأنفسهم ، وإلى ذلك يشير ابن تيمية بقوله : إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا الفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين لافي رأيهم ولا في تفسيرهم " (٢) وقد حكم العلامة ابن القيم على تفسير المعتزلة فقال : لأنه زبالة الأذهان ونخالدة الأفكار وغفارة الآراء ، ووساوس الصدور فملاؤها بالآوراق سواداً والقلوب شكوكاً ، والعالم فساداً " (٣)

(١) ليس المقصود من هذا الكلام هدم ما قاله به علماءنا في سبيل خدمة الإسلام ممن جهود مشكورة وإنما المقصود هو البيان بما يوجد من هذا ما لكتب من خطأ أو صواب وكل واحد منها يشتمل على ما لا يشتمل عليه الآخر من الفوائد ، ولكنها من صنع البشر معرضة للخطأ والصواب .  
 (٢) مقدمة أصول التفسير (٨٥ - ٨٦) .  
 (٣) اعلام الموقعين ٦٨ / ١ وسيأتي تفصيل الكلام في المعتزلة وتفسيرهم عند الكلام على المدرسة الاعتزالية في التفسير .

التشيع :

ومما برز أيضاً في ميدان التفسير بسبب حركة التفسير بالرأى المذموم التشيع ، والتشيع كلمة مأخوذة من الشيعة وهي تطلق في اللغة ، ويراد بها القوم الذين يجتمعون على الأمر ، ويقال أيضاً لاتباع الرجل وأنصاره شيعة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد . ثم غلب هذا الاسم على من يتوالى علياً وأهل بيته ، رضوان الله عليهم أجمعين حتى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قيل : فلان من الشيعة عرف أنه منهم (١) ، وكان هذا أول انشقاق وقع في صفوف المسلمين حيث انقسمت إلى قسمين : أهل السنة والجماعة ، والشيعة ، وذلك عندما وقع الخلاف بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ومعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه في قضية قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين (٢) وانجاز إلى كل منهما جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وأدى بهم الأمر إلى أن نزلوا في ميدان الحرب وتلاقوا بأسلحتهم وحدث ما حدث وكان الخلاف في بداية الأمر لا يتجاوز أن يكون سياسياً . لأنهم لم يختلفوا في أمور دينهم وعقيدتهم ولكن بعد مرور فترة من الزمن وبسبب مؤامرة سرية من قبل العناصر الأجنبية صار التشيع مذهباً دينياً يطلق على مجموعة من الأمور العقديّة ويقال لمن آمن بها شيعي .

قال الشهرستاني وهو يعرف بالشيعة ومعتقداتهم : الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إماماً جلياً ولما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده ، وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصهم ، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله . (٣)

ثم انقسمت هذه الجماعة إلى فرق عديدة ولكن يجمعها القول بوجود التعيين والتنصيب وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبصر قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية (٤) وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه ، كما أن لبعضهم شطحات وترهات تمجدها العقول (٥) . وليس هذا موضع تفصيل لذلك وإنما المقصود هنا هو البيان بأن التشيع أيضاً أخذ نصيباً وافراً من التفسير بالرأى المذموم فمشى المفسرون من الشيعة حتى الذين

- 
- (١) انظر: لسان العرب (١٨٨/٨ - ١٨٩) .  
 (٢) ذكرت في الوقت الذي بدأ فيه التشيع عدة آراء . ذكرها الدكتور / محمود بسيوني فوده في كتابه التفسير ومناهجه ( ص ٩٢ - ٩٤ ) .  
 (٣) الملل والنحل ( ١٤٦/٨ ) .  
 (٤) الملل والنحل للشهرستاني ( ١٤٦/١ ) .  
 (٥) انظر: معرفتها كتاب الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير .

يعتبرون معتدلين فيهم على طريقة إخضاع النصوص القرآنية وتفسيرها تفسيراً يتفق مع عقيدتهم . فهذا ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ( ت : ٤٦٠ هـ ) الذي عدّه الدكتور / محمود بسيوني فوده من المعتدلين من علماء الشيعة الاثني عشرية (١) يقول عند تفسير قوله تعالى ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ) (٢) واعلم ان هذه الآية من الأدلّة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل . ثم حاول جاهداً لثبيت إمامة علي رضي الله عنه بنص القرآن (٣) . وكذلك بذل جهداً كبيراً في إثبات عصمة الأئمة من قوله تعالى ( وَإِنَّا بِنَتْلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلِمَاتٍ ) إلى قوله ( لَأَيُّنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ) (٤) واعتقد أن هذين المثالين من رجل معتدل من علماء الشيعة الاثني عشرية يكفيان لمعرفة مدى الحرية لدى فرق الشيعة في تفسير القرآن بالرأى وإخضاع نصوصه لما تبنت من أفكار وآراء .

### التصوف :

وكان من آثار حركة التفسير بالرأى المذموم أن برز في مجال التفسير ما يسمى بالتفسير الصوفي أو بالتفسير الإشاري ، والتصوف كلمة اختلف الناس في أصلها ومدلولها فقيل : إنها مأخوذة من كلمة يونانية (صوفيا) ومعناها الحكمة ، وقيل : إنه نسبة إلى لبس الصوف ويبدو أن هذا هو الأقرب إلى الواقع ، لأن لبس الصوف كان علامة على الزهد ، ثم كان المتصوفة يتخذون لبس الصوف شعاراً لهم . (٥)

وأما تاريخ ظهور الصوفية ونشأتها فلم يكن يعرف لفظ التصوف أو الصوفية في عهد الصحابة ولم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة المفضلة وإنما اشتهر بعد القرون الثلاثة الأولى . (٦) ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أول ظهور الصوفية من البصرة بالعراق وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة ما لم يكن في سائر أهل الأمصار (٧)

وعند نشأة التصوف لم يكن هناك تمييز كامل للصوفية وإنما كان الأمر مقتصرًا على المبالغة في الزهد وملازمة الذكر والخوف الشديد عند الذكر ولما غزت الفلسفة اليونانية العلوم الإسلامية وترجمت كتب الفلسفة إلى اللغة العربية واختلط المسلمون بالأجانب

- (١) التفسير ومناهجه ( ص ١١٦ )
- (٢) المائدة آية : ٥٥ . . . . .
- (٣) التبيان ( ٥٤٩٦/٧ - ٥٥١ ) نقلاً عن التفسير ومناهجه والصواب أن الآية عامة لجميع المؤمنين كما صرح به ابو جعفر الباقر .
- (٤) سورة البقرة آية : ١٢٤ وانظر لذلك التبيان ( ٤٤٩ / ١ ) نقلاً عن التفسير ومناهجه ، وإذا أردت أمثلة أكثر ما ذكرت فأرجع إلى كتاب التفسير والمفسرون ٢ / ٧٩ وما بعدها ، وكتاب التفسير ومناهجه ( ١٣٠ ) وما بعدها .
- (٥) انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ( ص : ١٠ )
- (٦) انظر : مجموع الفتاوى ( ٥ / ١١ )
- (٧) المصدر السابق ( ٦ / ١١ ) .

من أهل الديانات الأخرى ظهرت تعاليم الصوفية ونظرياتهم وصار لها كيان متميز وتأثرت تدريجياً بالأفكار الفلسفية والثقافات المقتبسة من الأديان الأخرى وتبنست من المبادئ ما لا يتفق والحنفية السمحة - مثل القول بوحدة الوجود والحلول وغيرها من الأفكار الباطلة - ثم استغرقت في ملاهي الدنيا ولذاتها من الرقص والسماع والطرب . وكل ذلك باسم الزهد والخوف . (١)

ثم إنهم كخيرهم تعسفوا في تأويل آيات الله تعالى وبذلوا الجهود لاختراع النصوص القرآنية لما يتفق ومبادئهم ، بل تجاوزوا عن ذلك إلى حد أن جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً - ثم خصوا أنفسهم بمعرفة المعنى الباطن دون غيرهم ، وذلك تبريراً لما تفوهوا به من ترهاتهم وشطحاتهم . فهذا ابن عربي : أبو بكر محيي الدين محمد ابن علي الحاتمي الأندلسي ( ت : ٦٣٨ هـ ) الذي يقبونه بالشيخ الأكبر يحاول جاهداً كلما سنحت له فرصة للاستدلال على العقيدة الفاسدة التي بنى عليها تصوفه وهي عقيدة وحدة الوجود من خلال تفسيره للآيات القرآنية ، ويتعسف في تأويلها ويتكلم بكلام لا علاقة له بالآيات وذلك ليجعلها تتماشى مع هذه النظرية وعلى سبيل المثال يقول عند قوله تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحد ) (٢) اتقوا ربكم - اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم ، واجعلوا ما بطن منكم - وهو ربكم وقاية لكم ، فإن الأمر من حمد ، فكونوا وقايته في الدم واجعلوه وقايتكم في الحمى تكونوا أدباء عالمين ) (٣) وكذا حاول إثبات هذه العقيدة الفاسدة من قوله تعالى ( قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ) (٤) وهكذا يحاول في تأويله للآيات أن يفسر كلام الله تعالى على أسلوب المتصوفة ويوفق بين نظرياته الصوفية وبين الآيات القرآنية فيقول عند قوله تعالى : ( مما خطئتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله انصاراً ) (٥) يقول : مما خطئتهم أغرقوا فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة ، فأدخلوا ناراً في عين الماء . . . فلم يجدوا من دون الله انصاراً ، فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد \* (٦) فهذه بعض النماذج لتفاسيرهم : ولما أكثر كتبهم في تفسير القرآن مليئة بمثل هذه الشطحات أو أكثر منها - ولبعد كلامهم عن التفسير الصحيح لكلام الله تعالى فقد أصدر بعض العلماء الحكم بأن كلام الصوفية في القرآن لا يسمى تفسيراً . قال السيوطي : وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير .

- (١) إذا أردت معرفة فضائهم بالتفصيل فارجع إلى تلبس إبليس لابن الجوزي ومجموع الفتاوى المجلد الحادى عشر ، ومصرع التصوف لعبد الرحمن الوكيل .
- (٢) سورة النساء : آية : (١) .
- (٣) فصوص الحكم ١ / ٥ : نقلاً عن التفسير ومناهجه .
- (٤) سورة الشمس آية : ١٠ ، ٩ ، وانظر لمعرفة ما قاله ابن عربي الفتوحات ٤ / ١١٩ نقلاً عن التفسير ومناهجه .
- (٥) سورة نوح آية : ٢٥ .
- (٦) فصوص الحكم : ١ / ٢١٩ نقلاً عن التفسير والمفسرون .



## \*\*\* الفصل الثالث \*\*\*

— ( المدرسة الاعتزالية والمدرسة السلفية وموقفهما من تفسير القرآن ) —

## أولاً : المدرسة الاعتزالية :

اقتضت حكمة الله تعالى أن تبثلى هذه الأمة بالتفرق والانقسام كغيرها من الأمم السابقة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فى قوله " ألا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة " (١) وكان مذهب الاعتزال إحدى الفرق التى ابتليت بها الأمة الإسلامية وكانت نشأتها فى العصر الأموى ، على يد واصل بن عطاء الملقب بالغزال ( ت : ١٣١هـ ) فى خلافة هشام بن عبد الملك على أثر حادثة وقعت بينه وبين استاذة الحسن البصرى . وهى أنه دخل عليه رجل فقَالَ : يا إمام الدين : ظهر فى زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة ، وجماعة أخرى يرجئون الكبار ، ويقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فكيف نتحكم لنا أن نعتقد فى ذلك ؟ فتفكر الحسن ، وقبل أن يجيب قال واصل : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ثم قام إلى إسطوانة من أسطوانات المسجد ، وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به . فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فلذلك سُمى هو وأصحابه معتزلة . (٢) وقال شارح العقيدة الطحاوية وهو يعرف بالمعتزلة : هم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما ، سمو بذلك فاعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصرى رحمه الله فى أوائل المائة الثانية ، وكانوا يجلسون معتزلين ، فيقول قتادة وغيره : أولئك المعتزلة (٣) . ويبدو ان بين القولين خلافاً إذ يفهم من الأول ان المعتزلة عرفوا فى حياة الحسن البصرى بينما الثانى يدل على أنهم عرفوا بعد موته ولكن هذا الاختلاف ليس له كبير أهمية إذ يمكن الجمع بينهما وهو أن تسميتهم بالمعتزلة لم تشتهر إلا بعد وفاة الحسن البصرى . وذكر شارح العقيدة الطحاوية : أن واصل بن عطاء هو الذى وضع أصول مذهب المعتزلة وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصرى ، ولما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين بين فيهما مذهبه ووضع أساسه على الأصول الخمسة المعروفة . (٤) ويسمى المعتزلة بأسماء أخرى ، مثل أصحاب العدل والتوحيد والقدرية والعدلية وغيرها ويلقبون بالمعتزلة والجهمية (٥) . ونشأ الاعتزال فى البصرة ، ولكن سرعان ما انتشر فى بلاد العراق كلها وما لبثت إلا أن تكونت له مدرستان كبيرتان أولاهما مدرسة البصرة ، وعلى

- (١) رواه أبو داود فى سننه ، كتاب السنة ( ٤ / ٥ رقم ٤٥٩٦ ) .  
 (٢) انظر: الفرق بين الفرق ( ٩٦ - ٩٧ ) وينحوه جاء فى المواقيف ( ٤١٥ ) .  
 (٣) شرح العقيدة الطحاوية ( ص ٥٨٨ ) . وينحوه قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان ( ٨٥ / ٤ ) ترجمة قتادة .  
 (٤) شرح العقيدة الطحاوية ( ص ٥٨٨ ) .  
 (٥) انظر: الملل والنحل للشهرتاني ( ٤٣ / ١ ) وتاريخ الجهمية ( ص ٧١ ) .



واصل بن عطاء ، والثانية : مدرسة بغداد ، وعلى رأسها بشر بن المعتمر ، وكان بين المدرستين جدال وخلاف في كثير من المسائل . ( ١ ) ونشأت من ذلك فـسـرق أخرى كثيرة تتجاوز عن عشرين فرقة وتختص كل فرقة منها ببعض المبادئ لا تشترك فيها فرقة أخرى ، ولكن يجمعهم القول بالأصول الخمسة التي بنى عليها الاعتزال . وهي : العدل ، والتوحيد ، والوعد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أما العدل : فسـتـروا تحته نفي القدر ، وقالوا : إن الله لا يخلق الشر ولا يقضى به إن لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً والله تعالى عادل لا يجور ، والتوحيد سـتـروا تحته القول بخلق القرآن ، إن لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء ، وكذلك سـتـروا تحته القول بأن الصفات ليست شيئاً غير الذات وأنه يستحيل رؤيته يوم القيامة . وأما الوعد والوعيد : فقالوا : إذا أوعد بعض عبده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف الميعاد فلا يعفو عن يثاء ولا يغفر لمن يريد عندهم . وأما المنزلة بين المنزلتين فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر . وأما الأمر بالمعروف فهو مبدأ مقرر عندهم وهو واجب على المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية وهداية الضالين وإرشاد الغاوين ، ولكنهم بالغوا في هذا الأضـل وخالفوا ما عليه الجمهور . فلا يفرقون في ذلك بين صاحب السلطان وغيره ، كما أنهم لم يفرقوا بين الأصول الدينية المجمع عليها وعقائدهم الاعتزالية . ( ٢ ) ويلاحظ من خلال هذه الأصول التي بنوا عليها مذهبهم أنهم اعتمدوا في وضع هذه المبادئ على المنهج العقلي البحث لأنهم حكموا العقل تحكماً مطلقاً وجعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية ، فكذبوا ما لا يوافق العقل من الحديث وأن صح ، وأولوا ما لا يوافق من الآيات ولأن وضحت " وليس هذا أمراً ملاحظاً فقط بل صرح به بعض زعمائهم ألا وهو الزمخشري فقال : مسمى العقل بالسلطان : أمش في دينك تحت راية السلطان ولا تنزع بالرواية عن فلان وفلان ، فما الأسد المحتجب في عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه وما العنز الجرباء تحت الشيطان البليل أدل من المقلد عند صاحب الدليل " ( ٣ ) وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى ( وتفصيل كل شيء ) ( ٤ ) يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل ( ٥ ) وإليه أشار شارح العقيدة الطحاوية بقوله :

" وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمح إلا ببعدها وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية فإنما يذكرونها للاعتقاد بها لا للاعتماد عليها . فهم يقولون : لا تثبت هذه بالسمع ، بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل فمنهم

( ١ ) انظر : الفرق بين الفرق ( ٩٣ )

( ٢ ) راجع للتفصيل مقالات الإسلاميين ( ص ١٥٥ وما بعدها ) والمطل والنحل للشهرستاني ( ١ / ٤٤ - ٤٦ ) والفرق بين الفرق ( ٩٣ - ٩٦ ) .

( ٣ ) أطواق الذهب في المواعظ والخطب مقالة ٣٧ ص ٤٥ .

( ٤ ) سورة يوسف : آية : ١١١ .

( ٥ ) الكشاف ( ٢ / ٢٧٨ )

من لا يذكرها في الأصول ، إذ لا فائدة فيها عندهم ، ومنهم من يذكرها ليعين موافقة  
السمع للعقل ، ولإيناس الناس بها لا للاعتماد عليها ، والقرآن والحديث فيسه  
عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب " . ( ١ )

ثم ان تحكيم العقل أدى بهم أن وضعوا الرسل تحت مجهر العقل ونقدوا  
أعمالهم لأنهم من البشر ، وصدرت منهم في حقهم عبارات لا تليق بمقامهم ، فهذا  
الزمخشري يقول في تفسير قوله تعالى : ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ) ( ٢ ) كناية عن الجناية  
لأن العفو مرادف لها ومعناه أخطأت وئس ما فعلت \* ( ٣ ) وهذا كلام لا يليق بمقامه  
طى الله عليه وسلم وأنه مناف للأدب الذي أوجبه على المسلمين معه ، ويحسد  
هذا تطاولهم على الصحابة رضي الله عنهم غير مثير للعجب ، فعمرو بن عبيد  
يقول : والله لو أن علياً وعثمان وطلحة والزبير شهدوا عندى على شراك نعل  
ما أجزته " . وقال في سمرة بن جندب : ما نضج بسمرة قبج الله سمرة " ( ٤ ) . ومع  
هذا فإنهم نشطوا في نشر مذاهبهم واشاعته ، وقد رالهم أن وجدوا من الخلفاء  
العباسيين من اعتنق هذه الفكرة إلا وهو المأمون وكان يعرف بحبه للعلم والعلماء  
وشغفه للحكمة والحكام ، ولم يرفي أولاد الملوك من تعشق العلوم الحكمية والفلسفة  
اليونانية مثله . فاعتنق بعض علماءهم هذه الفكرة ، فزين له الفكرة الاعتزالية المبنية  
على الفلسفة والعقل فاعتنقها ولم يكف باعتناقها بل أراد أن يجعل مذهب الاعتزال  
المذهب الرسمي للدولة ، وهكذا قويت شوكتهم فصالوا وجالوا وأجبروا الناس تحت  
سلاح من الحديد والنازع على قبول المذهب الاعتزالي وهو الذى يعرف في تاريخ  
الإسلام بفتنة خلق القرآن . وهى من أشد الفتن وأمرها التى مرت بها الأمة  
الإسلامية ، فأكلت رؤوس كثير من الناس وزجت كثيراً منهم فى السجون . ولقد طال  
أمر هذه الفتنة وطار شرورها واستمرت من سنة ٢١٨ إلى سنة ٢٣٤ هـ لبثت شطراً من  
خلافة المأمون واستوعبت خلافة المعتصم والواثق حتى أتى الله بالفرج على يد المتوكل  
فرفعها ، وبذلك عاد سلطان أهل السنة مرة ثانية ( ٥ ) . وقد قبض الله تعالى جماعة  
من العلماء لا يتجاوز عددهم عن أصابع اليد الواحدة وعلى رأسهم إمام المحدثين  
أحمد بن حنبل للصبود أمام هذه الفتنة الكبرى فى أوج سلطانها فلم يخضعوا أمام  
هذا التيار الجارف الذى حرف بظلمه وعدوانه السواد الأعظم من الأمة - ولكن الله  
تعالى نجاهم بفضله ثم بفضل صبود هذا الإمام الجليل من الوقوع فى هذه الهوة  
الاعتزالية ( ٦ ) .

- 
- ( ١ ) شرح العقيدة الطحاوية ( ٥٩٠ )  
 ( ٢ ) سورة التوبة : آية : ٤٣ . . . . .  
 ( ٣ ) الكشاف ( ١٥٣ / ٢ ) .  
 ( ٤ ) تاريخ بغداد ( ١٢ / ١٧٦ - ١٧٨ ) ومع ذلك يوجد من المسلمين من يقدر  
 الفكرة الاعتزالية ويصفها بأنها حررت العقول وهو فى الحقيقة قول قاله بعض  
 الأعداء لأنه وجد المعتزلة جلبت على الأمة الإسلامية مشاكل كثيرة وشككت فى  
 العقيدة الإسلامية فى نفوس أبناء المسلمين وهو الذى ينشده الأعداء .  
 ( ٥ ) طبقات الشافعية ( ٥٢ / ٢ ) .  
 ( ٦ ) مقدمة أصول التفسير ( ص ٨٥ - ٨٦ ) .

وأما إذا ذهبنا لنحرف موقفهم الذي وقفوه من تفسير القرآن فنجدهم أنهم يحاولون بكل ما يسعهم من جهد للتوفيق بين القرآن والمبادئ التي بنوا عليها مذهبهم وذلك في سبيل دعمها وتقويتها حتى تلاقي قبولا بين المسلمين ، وقد سبق أن تأسيسهم لهذه الأصول والمبادئ يستند إلى العقل المجرد عن النصوص ، فما وافق منهمجهم من النصوص فإنما وافقه عرضاً لا قصداً لأنهم بنوا أصولهم على العقل ثم بعد هذا رجعوا إلى النصوص فاختاروا ما يوافقهم منها ، وبقي الكثير منها عقبة كاداء في طريقهم ولكنهم أعدوا له ما استطاعوا واستنفروا له كل العلوم والمعارف وسخروا اللغة والقراءات والبلغة والنحو وغير ذلك لإخضاعها لأرائهم وصرفها عن معارضتها لها ، ولو أدى بهم ذلك إلى إبطال جميع التفاسير الأخرى لها ، بل إلى تكذيب النصوص الحديشية وتجريح روايتهم ولم ينبج من كلامهم الصحابة أيضاً إذا وقف واحد منهم أمام أصولهم ومبادئهم .

وقال ابن قتيبة : " وفسروا - أي المعتزلة - القرآن بأعجب تفسير ، يريدون أن يردوه " إلى مذهبهم ويحملوا التأويل على نحلهم " ثم ذكر تأويلاتهم لعدد من الآيات الكريمة منها أنه ذكر عن فريق منهم أنه قال في قوله تعالى ( ولقد نظرنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ) (١) أي القينا فيها ، يذهب إلى قول الناس ذرته الريح ولا يجوز أن يكون ذرانا من ذرته الريح ، لأن ذرانا ميموز وذرته الريح تدره غير مهموز " . (٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا الفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين - لا في رأيهم ولا في تفسيرهم " (٣) . ولنكون على بينة من الأمر أذكر بعض تأويلاتهم لبعض آيات القرآن الكريم حسب أصولهم .

ففي التوحيد أولوا الآيات الدالة على إثبات الروئية كقوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ) (٤) بأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلباً لروئيته ، وذلك لا يصح إلا في الأجسام فيجب أن يتأول على ما يصح النظر إليه وهو الثواب كقوله تعالى ( وأسأل القرية ) (٥) هكذا فسره القاضي عبد الجبار (٦) . وحكى الشريف المرتضى تفسير آخر للآية وهو لا يحتاج إلى تقدير محذوف كما أنه لا يحتاج إلى تقدير محذوف كما أنه لا يحتاج إلى المنازعة في أن النظر يحتمل الروئية أو لا يحتملها وهو أن يحمل قوله تعالى : ( إلى ربها ) على أنه أراد نعمة ربها لأن ( إلى ) مفرد الآلاء وهي بمعنى النعم " (٧) . وكذلك أولوا الآيات الدالة على إثبات

- (١) سورة الاعراف آية : ١٧٩ .
- (٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٦٧) .
- (٣) مقدمة اصول التفسير (ص ٨٥ - ٨٦) .
- (٤) سورة القيامة آية : ٢٢ ، ٢٣ .
- (٥) سورة يوسف آية : ٨٢ .
- (٦) تنزيه القرآن عن المطاعن (ص ٤٤٢) .
- (٧) أماني المرتضى : غرر الفوائد ودرر القلائد (ص ٣٦ - ٣٧) القسم الأول المجلس الثالث " وقد فصلت الكلام على هذه الآية في موضعها من قسم التحقيق ( فانظر ص ٢٢٧ )

صفة الكلام كقوله تعالى ( وكلم الله موسى تكليماً ) ( ١ ) بأن لفظ الجلالة منصوب على أنه مفعول ورفح موسى على أنه فاعل ، وبهذا أبطلوا صفة الكلام لله تعالى ، وخالفوا بذلك القراءة المتواترة ، وحاول بعضهم بإبقاء القراءة المشهورة كما هي ولكنه أول الآية بحيث لا يثبت صفة الكلام ، فقال : إن الكلام من الكلم بمعنى الجرح ، فالمعنى : وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن ، ذكر القولين الزمخشري ووصف الثاني بأنه من بدع التفاسير ( ٢ ) . وإذا سلمنا جدلاً في هذه الآية بنصب الجلالة وسألناهم عن المراد في قوله تعالى ( ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ) ( ٣ ) قالوا : كلمه من غير واسطة كما يكلم الملك ، وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح " ( ٤ ) وهكذا أولوا كثيراً من الصفات تأويلاً باطلاً لئلا يتعارض مع أصولهم فمن ذلك تأويلهم استوى في قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) ( ٥ ) وأمثال ذلك بأن استواء الله على العرش كناية عن الملك والاستيلاء والغلبة . ( ٦ )

ويلاحظ أنهم في تأويلهم لآية من الآيات لا يرجعون إلى آية أخرى أو سنة نبوية لأن عملهم هذا يبيحهم في نطاق دائرة النص الأول ، ويلوون العبارة كما يريدون ليها ، مما أنتج أنهم لم يقفوا في الآيات السمماثلة موقفاً واحداً بل اضطربوا اضطراباً شديداً ، كما لاحظناه في تأويلهم للآيات التي أثبتت الكلام لله تعالى ، مع أن أحسن الطرق للتفسير هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأن كليهما من وحى الله تعالى ، وصاحب الكلام أدرى بمقصود كلامه . هذا في الأصل المسمى عندهم بالتوحيد ، وأما بالنسبة لما يسمونه بالعدل فيؤولون قوله تعالى ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ) ( ٧ ) لأنهم وجدوا أنه يتعارض مع القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله ( ٨ ) ففسره ابو علي الجبائي للخروج من هذا المأزق بـ " جعل " بمعنى " بين " لابعنى خلق استدلووا على ذلك بقول الشاعر :

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا . . . على ثبت من أمرهم حين يمموا

- ( ١ ) سورة النساء : آية : ١٦٤ .
  - ( ٢ ) الكشاف ( ١ / ٣١٤ ) .
  - ( ٣ ) سورة الاعراف : آية : ١٤٣ .
  - ( ٤ ) الكشاف ( ٢ / ٠٠٨٨ ) .
  - ( ٥ ) سورة طه : آية : ( ٥ ) .
  - ( ٦ ) انظر تنزيه القرآن عن المطاعن : ٢٥٢ . والكشاف : ( ٢ / ٤٢٧ ) .
  - ( ٧ ) سورة الفرقان : آية : ٣١ .
  - ( ٨ ) هذه نظرية فرعها على الأصل الذي يسمونه العدل ومجمل هذه النظرية أن الله يسير بالخلق إلى غاية وهي نفع العباد فالله يقصد في أفعاله إلى صلاح العباد وبالغيت طائفة منهم فقالت : إنه يجب على الله رعاية الأصلح لأنه لا يجوز أن يتترك شيئاً يقدر عليه من الصلاح من أجل فعله لصلاح ما وحجتهم في هذا الكفر السذي اتوا به أنه لو كان عنده أصلح أو أفضل مما فعل بالناس ومنعهم إياه لكان بخيلاً ظالماً لهم ، ولو اعطى بعض الناس لكان محابياً ظالماً والمحابة جور .
- راجع للتفصيل الملل والنحل ( ١ / ٤٥ ) وكتاب الزمخشري للحوفي ( ص : ١٤٠ ) ومنهج المدرسة العقلية الحديثة ( ١ / ٤٨ ) .

ويكون معنى الآية على هذا : ان الله سبحانه بين لكل نبي عدوه حتى يأخذ حذره منه . ( ١ )

وكذلك أولوا قوله تعالى ( قَالَ اتَّعِبُوا وَمَا تَتَّحِبُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ) ( ٢ ) بأن المراد والله خلقكم وما تعملون من الأصنام ( ٣ ) . لكيلا يتعارض مع الأصل الذى يسمونه العدل والذى بموجبه ينكرون أن يكون الله تعالى خالفاً لأفعال العباد إذ لو خلقها ثم يعذب عباده عليها يكون ذلك جوراً ، والله تعالى عادل لايجور ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون فى ملكه ما لايريد ولايكسون مايريد ، ولازم ذلك وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك . ( ٤ ) . وأما فى الوعد والوعيد فقالوا : انه لايجب حمد الله على ادخاله المحسنين للجنة لأنه انما اعطاهم حقاً من حقوقهم ووعدهم وعد وجب عليه ان ينفذه ، وقال القاضي عبد الجبار فى قوله تعالى ( وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير ) ( ٥ ) .

( الشكر والحمد لله فى الآخرة يكثر لأنهم يسرون بذلك فيشكرون نعم الوقت حالاً بعد حال ، ويشكرون النعم المتقدمة وما يفعله المرء لربه لا يكون داخل فى التكليف ) ( ٦ ) وأوله الزمخشري فقال بعد أن ذكر ان الحمد فى الدنيا واجب لأنه الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهى الثواب : \* وأما الحمد فى الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمته واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمه سرور المؤمن وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطش بالماء البارد . ( ٧ ) . وكذلك أولوا لاثبات المنزلة بين المنزلتين الايات التى تقسم الناس الى مؤمن وكافر ولا تذكر النوع الثالث الذى اخترعوه لمرتكب الكبيرة من المسلمين ، ومن ذلك قوله تعالى ( إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كافراً ) ( ٨ ) . قال القاضي عبد الجبار فى تأويله : إن الشاكر قد يكون شاكراً وان لم يكن مؤمناً براً تقياً \* ( ٩ ) .

وأعرب من ذلك ما أول به الزمخشري قوله تعالى : ( إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ) ( ١٠ ) فقال : فإن قلت : كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة ؟ قلت : كان الناس حينئذ إما مؤمن تقى وإما مشرك وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك . ( ١١ )

- ( ١ ) انظره تفسير الرازى ( ٢٤ / ٧٧ ) .
- ( ٢ ) سورة الصافات : آية : ٩٥ - ٩٦ .
- ( ٣ ) انظر تنزيه القرآن عن المطاعين ( ص ٣٥٤ ) . ( ٥ ) سورة سبأ الآية ١
- ( ٤ ) انظر شرح الغرر والطحاوي ( ٤٩٦ ) ( ٦ ) تنزيه القرآن عن المطاعين : ٣٢٧
- ( ٧ ) الكشاف ( ٣ / ٢٥٠ ) ( ٨ ) سورة الانسان : آية : ٣ .
- ( ٩ ) تنزيه القرآن عن المطاعين ( ص ٤٤٣ ) .
- ( ١٠ ) سورة الاسراء : آية : ٦٩ ، ١٠
- ( ١١ ) الكشاف ( ٢ / ٣٥٣ ) .

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتفقون في هذا الأصل مع أهل السنة والجماعة ولكنهم يختلفون معهم في مداه وصفته ، حيث يقولون بالخروج على الأئمة ، كما أنهم لم يفرقوا بين الأصول الدينية المجمع عليها وبين عقائدهم الاعتزالية ، ولم يتضح لى من خلال كتبهم تأويلهم للآيات التي خالفوا فيها أقوال السلف لإثبات هذا الأصل . (١) وقد ذكرنا فيما سبق بعض النماذج لبعض تأويلاتهم لآيات القرآن السني حاولوا فيها إخضاع النصوص وإنزالها وفق أصولهم ومبادئهم التي أسسوا عليها مذاهبهم ويتبين من خلال هذه النماذج أن أغلب تفاسير المعتزلة يغلب عليها لون التفسير بالرأى المذموم ويوجد بينها قدر مشترك وهو إيجاد الموافقة بين الآيات الكريمة وبين أصولهم ولو أدى ذلك إلى تغيير في المعنى أو تصحيف في الكلمة أو تكذيب النصوص الأخرى من الكتاب والسنة الصحيحة أو النيل من مقام النبوة وأعراض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيما يلي نحاول إبراز بعض أهم المميزات التي يتصف بها منهجهم الذي سلكوه في تأويلاتهم لآيات القرآن .

فأولاً : هم يدعون بأن كل اجتهاد في التفسير من جانبهم مراد الله تعالى قطعاً ، وذلك بناءً على رأيهم في الاجتهاد وهو أن الحكم ما أدى إليه اجتهاد كل مجتهد فالحكم عند الله تعالى في حق كل واحد مجتهد . وعليه فقد حكموا على جميع محاولاتهم التي حاولوها في تأويلاتهم لآيات القرآن بأنها مرادة لله تعالى ، وغاية ما قطعوا به هو عدم إمكان التفسير المخالف لمبادئهم وآرائهم . وطبعاً هذا الذي ذهبوا إليه يخالف مذاهب أهل السنة وعقيدتهم من أن لكل آية من القرآن معنى واحد وهو المراد لله تعالى وأما عداه من المعاني المحتملة فهي محاولات واجتهادات يقصد منها الوصول إلى مراد الله تعالى بدون قطع ، وغاية ما في الأمر أن المفسر يقول باجتهاده مستخدماً فيه لجميع الأدوات اللازمة ثم إنه قد يصيب ويخطئ وله الأجر في كلا الحالتين مع تفاوت فيسه . (٢)

ثانياً : أنهم يتدعون في كثير من الأحيان بالفروض المجازية ويعتمدون عليها في طريقتهم التفسيرية إذا بدا لهم ظاهر القرآن غريباً وقد ولج بذلك الزمخشري ولعاً شديداً حيث مشى عليه من أول تفسيره إلى آخره فلم يقبل المعاني الظاهرة التي يجوزها أهل السنة بل يرونها أقرب إلى الصواب من غيرها ، وحملها الزمخشري على التمثيل والتخييل كما أنه ندد بأهل السنة الذين يقبلون هذه المعاني الظاهرة ويقولون بها . ويرميهم بأنهم من أهل الأوهام والخرافات . (٣) ومن الأمثلة على ذلك ما قاله عند قوله تعالى ( وسج كرسية السموات والأرض ) (٤) فإنه ذكر أربعة أوجه في معنى الكرسي . وقال في الوجه الأول منها : إن كرسية لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته . وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ، ولا كرسي ثم ، ولا قعود ، ولا قاعد .

(١) انظر منهج المدرسة العقلية العدد ٥٦ ص (٦٠) .

(٢) التفسير والمفسرون : (١ / ٢٧٥) والتفسير ومناهجه (ص ٨١) .

(٣) انظر : التفسير والمفسرون (١ / ٣٨٣ - ٤٥٠) .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

كقوله : ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ) (١) من غير تصوّر قبضة وطى ويمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ٠٠٠٠ (٢) وهناك أمثلة أخرى غير هذا ذكرها الدكتور الذهبي (٣) وفي جميعها رد ابن المنير الاسكندري على الزمخشري رداً شديداً ووصف عمله بهذا بأنه سوء أدب مع الله تعالى ومع كتابه وقال : فإن التخييل إنما يستعمل في الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق : (٤) .

ثالثاً) من أصول منهجهم في التفسير تحكيم العقل في الأمور الغيبية تحكيمياً مطلقاً وقد تقدم أن القوم أعطوا العقل سلطة كاملة . ورفعوا من شأنه حتى جعلوا مرتبته سابقة على الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، كما يقول مفسرهم الزمخشري عند تفسير قوله تعالى : ( وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ) (٥) يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل (٦) ومما لا مجال فيه للشك والاعتراض أن العقيدة الإسلامية تقوم على الاحترام الكامل للعقل الإنساني وتعتمد عليه في تكوينها وترسيخها ، وإذا قلنا : إنه ليس ثمة كتاب أطلق سراح العقل واعتز بقيمته وكرامته وتحدث عن دوره البناء كالقرآن كتاب الإسلام لا تكون من المبالغيين فإن هناك عشرات بل مئات من الآيات الكريمة التي تستحث العقل وتستثيره على تأدية دوره الذي خلقه الله من أجله . (٧) ولكن بعد هذا التكريم والتعظيم كله حدد للعقل مجالاته التي يخوض فيها حتى لا يتيه ولا يضل ، وهذا أيضاً يعتبر تكريماً له ، لأنه محدود الطاقات والملكات ومن العيب أن يحمل أكثر من طاقته وملكته ولذلك منعه الإسلام من الخوض فيما لا يدركه وفيما يكون خارجاً عن متناوله . (٨) ولكن المعتزلة لم يدركوا هذه الحقيقة فأطلقوا سراحه وأعطوه أكثر من وسعه وطاقته مما جعلهم ينكرون كثيراً من الحقائق الثابتة التي اثبتتها أهل السنة مستنداً إلى النصوص القرآنية والحديثية ومن ذلك الاعتقاد بوجود الجن ، فذكر الشهرستاني عن النظام أنه أنكر وجود الجن رأساً . (٩) وأما الزمخشري فاعترف بوجود الجن ولكنه ثار ضد من يقول بأن للجن قوة تأثير في الإنسان " (١٠) وهذا القول - أي إنكار وجود الجن أو أنه

(١) سورة الزمر : آية : ٦٧ .  
 (٢) الكشاف (١ / ١٥٣ - ١٥٤) .  
 (٣) انظر التفسير والمفسرون (١ / ٤٤٧) وما بعدها .  
 (٤) انظر : الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (١ / ١٥٣) المطبوع في هامش الكشاف .  
 (٥) سورة يوسف : آية : ١١١ . (٦) الكشاف : (٢ / ٢٧٨) .  
 (٧) نجد أن القرآن كثيراً ما يختم بعد إثبات قضية من القضايا بقوله ( لعلكم تعقلون ) و ( يتدبرون ) وغير ذلك من الكلمات التي مجالها العقل .  
 (٨) راجع في ذلك ما كتبه الاستاذ فهد بن عبد الرحمن الرومي في كتابه ( منهج المدرسة العقلية الحديثة (١ / ٢٩ - ٤٠) .  
 (٩) الملل والنحل (١ / ٥٨) .  
 (١٠) انظر الكشاف (١ / ١٦٥) وانظر أيضاً التفسير والمفسرون (١ / ٣٨٤) ومنهج المدرسة العقلية الحديثة (١ / ٦١) .

ليس لهم تأثير - خلاف ما عليه الجمهور من أهل السنة ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وجماهير الأمم يقرب الجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها ولم ينكر الجن إلا شذوذة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم وكذلك ذكر أن الجن لهم قوة تأثير في الإنسان . ( ١ ) . ومن ذلك أيضا أنهم انكسروا أن للسحر حقيقة وقالوا : إنه لا تأثير له إلا إذا كان هناك إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع إلىهن ( يقصد السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط ) وإلى نفثهن ، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبأون به . ( ٢ ) وهذا أيضا خلاف ما عليه أهل السنة فقد تضافت الأدلة من الكتاب والسنة أن للسحر حقيقة وأنه يؤثر في الإنسان بدون إيصال شيء محسوس إلى المسحور ومن أكبر الأدلة على ذلك هو ما صح من الأحاديث التي تفيد بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد سحر وفيه نزلت سورة الفلق . ( ٣ )

#### رابعاً : موقفهم من التفسير بالمأثور :

يتميز موقفهم من التفسير بالمأثور بالاضطراب والتناقض ، لأنهم يشككون في الأحاديث التي تتعارض مع مبادئهم وأصولهم . ويكذبونها وإن كانت درجاتها في الصحة بلغت غايتها أو يؤولونها تأويلاً باطلاً ، بل يتجاوزون ذلك كله إلى تجريح الرواية من الصحابة الذين رووها عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . هذا إذا كانت تلك الأحاديث متعارضة مع مبدأ من مبادئهم أو وجهة من وجهاتهم . وأما إذا كانت متفقة لا تتعارض مع أصولهم فيعضون عليها بالنواجذ ويستشهدون بها لنصرة مذاهبهم الاعتزالي ولو كانت ضعيفة أو موضوعة - ولاندرى أين يختفى عند ذلك قائدهم الأعلى - عقلمهم الذي يدعون أنه يقدر على أن يجلي لهم كل ظلمة فلا يستطيعون أن يدركوا به ضعف الحديث أو وضعه لما يوجد فيه من ركافة الأسلوب وضعف المعنى الذي يبغده عن البلاغة النبوية فضلاً عن أن ينظروا إلى أقوال أئمة الشأن في سنده ومنتنه وتصحيحاً وتضعيفاً . ولا نقول ذلك اعتباطاً وعصبية بل هذه هي حقيقة تشهد بها كتبهم فقد تواترت الأحاديث بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة رواها نحو ثلاثين صحابياً ، ومنها ما هو مخرج في الصحيحين اللذين اتفقت الأمة على صحة ما فيهما من أحاديث مرفوعة ( ٤ ) وقد عرف القوم بهذه الأحاديث

- ( ١ ) مجموع الفتاوى ( ٣ / ٢٤ ) وكذا نقل عنه السفاريني في لوايح الانوار ( ٢٢٠ / ٢ ) انظر أيضا الانتصاف لابن المنير ( ١٦٥ / ١ ) .
- ( ٢ ) انظر: الكشاف ( ٤ / ٢٤٤ ) .
- ( ٣ ) انظر: مجموع الفتاوى ( ١٧ / ٥٠٧ ، ٢٩ / ٣٨٤ ، ٣٨٥ ) وشرح العقيدة الطحاوية ( ص ٥٦٩ ) .
- ( ٤ ) راجع لمعرفة هذه الأحاديث وانها تبلغ حد التواتر حادي الارواح ( ص ٢٠٥ ) وما بعدها وشرح العقيدة الطحاوية ( ص : ٢٠ - ٢١٠ ) .



وعلموا بها ومع ذلك لم يقبلوها . قال القاضي عبد الجبار عند تفسير قوله تعالى :  
 (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) (١) : إن المراد بالزيادة التفضيل في الثواب  
 فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه ، وهذا مروى وهو الظاهر ، فلا معنى لتعلقهم  
 بذلك ، وكيف يصح ذلك لهم وعندهم أن الروئية أعظم من كل الثواب فكيف تجعل زيادة  
 على الحسنى . (٢)

وقال الزمخشري في تفسير الزيادة في الآية (زيادة) وما يزيد على المثوية  
 وهى التفضل ويدل عليه قوله تعالى ( ويزيدهم من فضله ) (٣) ثم ذكر عن عدي  
 من أئمة التفسير من الصحابة والتابعين أقوالهم التى لا تخالف عقيدته ومذهبه ثم قال :  
 وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر ، وجاءت بحديث مرقوع (٤) إذا دخل  
 أهل الجنة الجنة . . . . . وذكر الحديث . . . . . (٥) فهل هناك إنكار للحديث  
 الصحيح أكبر من هذا ؟ . . . . . وحاول الدكتور الذهبى إثبات خروج الزمخشري عن  
 دائرة المعتزلة حيث قال بعد أن ذكر موقف النظام من التفسير بالمأثور : وإن الزمخشري  
 وهو أهم من عرفنا من مفسرى المعتزلة - نجده كثيراً ما يذكر ما جاء عن الرسول  
 صلى الله عليه وسلم أو عن السلف من التفسير ويعتمد على ما يذكر من ذلك فى تفسيره  
 ثم ذكر اعتماده على بعض الأحاديث وأقوال السلف فى تفسير قوله تعالى ( يا أيُّهَا  
 الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . . . . . ) (٦) والحقيقة أن هذا لا يعتبر اعتماداً على  
 الأحاديث وأقوال السلف وإنما هو تأكيد لما سبق أن قلناه ، وهو أن المعتزلة إذا رأوا  
 فى الحديث ما يضطدم مع أصولهم ومذهبهم شككوا فيه أو أولوه تأويلاً باطلاً وإن علت  
 درجته من حيث الصحة وإنما إذا رأوا أنه لا يتعارض مع أصولهم أو وجدوا فيه  
 ما يؤيد مذهبهم ولو من بعيد يذكرونه ويستشهدون به بغض النظر عن درجته من حيث  
 الضعف أو الصحة . ولذلك نراه كثيراً ما يذكر الأحاديث الواردة فى فضائل السور  
 دون تفريق بين ما صح منها وما لم يصح . مع العلم بأن فيها كثيراً من الموضوعات  
 المختلفة ولا ينبه إلى ذلك لأنه لا ينال من مذهبه وأصوله . كما أنه يتمسك بأحاديث  
 ضعيفة أو موضوعة إذا وجد فيها ما يؤيد أصلاً من أصوله فاستشهد مثلاً بما روى عن  
 رضى الله عنه " أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن شئنا  
 الفاسقين وغضب لله غضب الله له " (٧) مع أنه موضوع باطل لأن فى سنده

- (١) سورة يونس : آية : ٢٦ ، وقد ثبت بسند صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم  
 انه فسر الزيادة بالنظر إلى الرب تعالى . انظر صحيح مسلم ( ١٦ / ٣ - ١٧ )
- (٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ( ص ١٧٧ ) ويلاحظ فى هذا الكتاب أنه عار عن  
 الأحاديث النبوية وأقوال السلف فلا تكاد تجد واحداً من ذلك .
- (٣) سورة النساء آية : ١٧٣ .
- (٤) مرقوع بالقاف أى مفترى . انظر : حاشية الكشاف ١٨٨ / ٢ .
- (٥) الكشاف : ( ١٨٨ / ٢ ) تقدمت الإشارة الى الحديث وهو مخرج فى صحيح مسلم
- (٦) سورة الاحزاب : آية : ٤١ - ٤٢ ، وانظر التفسير والمفسرون ( ١ / ٣٧٤ )
- (٧) رواه ابو نعيم فى الحلية ( ١ / ٧٤ ) بنحوه فى سياق طويل وانظر ايضا الكشاف  
 ٢٠٨ / ١ .

اسحاق بن بشر، ومقاتل وهما ساقطان اجمع العلماء على تركهما لكذبيهما (١) وكذلك في تفسير الآية السابقة ( للذين احسنوا الحسنى وزيادة ) اورد اقوال على وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وغيرهم من الذين فسروا الزيادة بتفاسير اخرى غير ما ورد في الحديث المرفوع فأوردها واعتمد عليها لانها لا تتعارض مع مذهبه ووصف الحديث المرفوع الذى هو مخرج فى صحيح مسلم بأنه حديث مرفوع ( أى مفترى ) لأنه يثبت رؤية الله تعالى فى الآخرة . مع الملاحظة بأن هؤلاء الذين ذكر عنهم التفاسير الاخرى لا يعلم صحة نسبتها إليهم ولا يعقل أنهم يفسرون الآية وقد ثبتت تفسيرها عن النبى صلى الله عليه وسلم اللهم إلا إذا لم يبلغهم هذا التفسير . وهناك أمثلة أخرى غير هذا ، حاول فيها الزمخشري للتشكيك فى بعض الأحاديث المتفق على صحتها وتأويلها وتأويلاً باطلاً منها حديث ( ما من بنى آدم مولود إلا أيسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها ) وهو حديث متفق عليه (٢) ، ومع هذا قال الزمخشري عند قوله تعالى ( ولأنى أُعِيدُهَا بِبِسْكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ) (٣) : وما يروى من الحديث : ما من مولود يولد . . . فالله اعلم بصحته ، فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمح الشيطان فى إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا محصورين فكذلك كل من كان فى صفتيهما . . . واستهلاله صارخاً من مسه تخيل وتصوير لطمعه فيه . . . . . وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلما " (٤) فأولاً شكك فى صحة الحديث ، ثم أوله تأويلاً باطلاً حيث حمله على أنه تخيل وتصوير وعمم الاستثناء مع أنه فى الحديث مقصور على مريم وابنها ، وهذا وقد بلغ بهم الأمر إلى حد أنهم لم يترددوا فى تكذيب الصحابة وتجريحهم بل تجاوزوا إلى سبهم وشتمهم - رضى الله عنهم - إذا وجدوا ما روه يخالف مذهبهم وأصولهم ولم يبالوا للمكانة التى جعلهم الله تعالى فيها . كما أنهم لم يراعوا إجماع الأمة على عدالتهم وتوثيقهم فقال النظام المعتزلي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وزعم أن القمر انشق وأنه رآه ، وهذا من الكذب الذى لا خفاء به " (٥) وقال فى سمره بن جندب : ما نصنع بسمره قبح الله سمره " (٦) ولم يكن الزمخشري ليحيى عن هذا الخط الذى خطه له زعماءه فكذب عبد الله بن مسعود لأنه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن خط حوله فكان يجىء أحدهم مثل سواد النخل . . . . . الحديث (٧) قال الزمخشري : " وان زعم من يدعى رويتهم زور ومخرفة (٨)

(١) انظر الكافي الشافى فى تخرىج أحاديث الكشاف ( ٣٠ / رقم ٢٤٨ ) وميزان

الاعتدال ( ١٨٤ / ١ ، ١٧٣ / ٤ ، ١٧٤ ) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الانبياء ( ٦ / ٤٦٩ رقم ٣٤٣١ ) ومسلم فى

صحيحه ، كتاب الفضائل ( ١٥ / ١٢٠ ) كلاهما من حديث ابى هريرة .

(٣) سورة آل عمران : آية : ٣٦ .

(٤) الكشاف ( ١ / ١٨٦ - ١٨٧ ) (٥) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ٢١

(٦) تاريخ بغداد ( ١٢ / ١٧٦ ) .

(٧) رواه الامام أحمد فى مسنده ( ١ / ٤٥٥ ) وصحح اسناده احمد شاكر فى تعليقه

على المسند ١٦٥ / ٦ .

(٨) الكشاف ( ٢ / ٥٩ ) فى تفسير الآية ٢٧ . من الاعراف وهى قوله تعالى ( يا بنى آدم

لَا يَفْتِنِكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ) .

وكذلك سخر من عبد الله بن عمرو واستهزأ به لأنه روى حديث " لياتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً " (١) . فقال : ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما على بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تفسير هذا الحديث " . (٢) .

وأما بالنسبة لموقفهم من المرويات الاسرائيلية فهو غير منضبط فيما بينهم - فهذا النظام يضع قاعدة يخذل فيها أتباعهم من الجري وراء كل مفسر فيقول كما ينقل أحد تلامذته : لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين وان نصبوا أنفسهم للعامة . وأجابوا في كل مسألة فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس ، وكلما كان المفسر أعرب عندهم كان أحب إليهم وليكن عندكم عكرمة والكلبي والسدي والضحاك ومقاتل بن سليمان وابوبكر الأصم في سبيل واحدة وكيف ائق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم وقد قالوا في قوله عز وجل : ( وأن المساجد لله ) (٣) ان الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلى فيها ، بل إنما عنى الجباه ، وكل ما سجد الناس عليه من يد وجبهة وانف . . . . " (٤) وهكذا ذكر كلاماً طويلاً أورد فيه التفسيرات الغربية لبعض الآيات القرآنية مما يدل على شدة موقفه من ناحية الأقوال الغربية والقائلين بها . بينما نرى النظام وغيره يقولون هذا القول ونحوه نجد الزمخشري متسامحاً لا يرى بأساً بإيراد أسطورة أو خرافة اسرائيلية ، أو قصة غير مستقيمة ما دامت لا تطعن في عصمة نبي ، وتخالف رأياً اعتزالياً ، وبذلك خالف منهجه العقلي الذي اتخذه في التفسير ، وخالف أيضاً منهج بعض أسلافه من أئمة المعتزلة (٥) وبالنظر فيما أوردته الزمخشري من هذه الاخبار الاسرائيلية يتبين أن موقفه من هذه المرويات يتصف بالتناقض والاضطراب فأحياناً يذكر بعض هذه الخرائب ويسكت عليها ولا يتعقبها ، وأحياناً يتعقبها ويفندها تفيداً ، وإذا وجد أحداً من أهل السنة أنه أورد ما فيستغل ذلك للطعن عليهم جميعاً ، كما أنه يؤول بعض هذه الاخبار تأويلاً يبدو فيه تكلفة ظاهراً فما أوردته وسكت عليه انه قال في تفسير قوله تعالى ( فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ) (٦) روى أنه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغرافاه ، بين لحييه ثمانون ذراعاً ، وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه ، فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك (٧) . وما ذكره وعقب عليه أنه أورد في تفسير قوله تعالى : ( وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ) (٨) ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان ، وهي قصة طويلة أوردتها

- (١) قال ابن حجر في الكافي ١٦٥/٦ . أخرجه البزار ورجاله ثقات ( ٨٢/٤ رقم ١٩٤ ) طبعة دار المعرفة .
- (٢) الكشاف ( ٢٣٦/٢ ) .
- (٣) سورة الجن آية : ١٨
- (٤) الحيوان للجاحظ ( ٣٤٣/١ - ٣٤٦ ) وقد سخر الجاحظ نفسه من التفسير القصصى الأسطوري . انظر الحيوان ( ١٦٤/٤ ) .
- (٥) الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير الدكتور/ رمزي نعناعة : ٢٨٨ .
- (٦) سورة الاعراف : آية : ١٠٧ وسورة الشعراء آية : ٣٧ .
- (٧) الكشاف ( ٨٠/٢ )
- (٨) سورة ص آية : ٣٤ .

بكلها ثم عقب عليها بقوله : " ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا : هذا من أباطيل اليهود، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل . . . " وذكر كلاماً طويلاً في تفنيد هذه الرواية (١) وما جعله ذريعة للطعن في أهل السنة قصة يوسف مع امرأة العزيز فقال عند قوله تعالى : ( وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ۗ ) (١٠٠ الآية) (٢) فسرهم يوسف بأنه حل الهيمان وجلس منها مجلس الجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأريح وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً إياك وإياها . . . إلى آخر القصة ثم قال : هذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر (٣) الذين دينهم بهت الله تعالى وانبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ، ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ندى النون وذكرت توبتهم واستغفارهم ، كلاماً طويلاً صالح فيه وجال على أهل السنة بدليل أن ما قالوه نيل من مقام النبوة وسوء أدب مع رسول من الرسل الذين اثنى الله عليهم ، ولكن لما جاء عند قصة داود وأوريا التي يذكرها المفسرون في تفسير قوله تعالى ( هل أتاك نبال الخضم إذ تسوروا المحراب ) (٤) اشتغل في تأويلها ونسى أن هذه القصة لا تقل عن القصة السابقة في النيل من مقام النبوة وفي الإساءة إلى رسول من رسل الله بل هى أشد بشعاً إذ تنسب إلى داود عليه السلام قتل أحد أفراده ثم غصب زوجته بطريقة لاتليق بأحد من عامة الناس فضلاً عن نبي من الأنبياء ولكن الزمخشري نسي كل ذلك وقال : كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا اعجبته ، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها ، وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له اوريا فأحبها فسأله النزول عنها ، فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهى ام سليمان . . . الخ (٥) وما دامت القصة غير صحيحة لأنها مروية من طريق السدى والكلبي ومقاتل بن سليمان وكلهم مردودوا الرواية (٦) وقال ابن كثير عند هذه الآية : قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه

- (١) الكشاف (٣/٣٢٩)  
(٢) يوسف : آية : (٢٤)  
(٣) يقصد بذلك أهل السنة ، وقد ذكر البغوى في تفسيره (٢/٤١٨) ت : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار) هذا القول عن ابن عباس وغيره وقرر بأنه هو المقصود .  
(٤) سورة ص آية : ٢١  
(٥) خلاصة هذه القصة ان النبي داود عليه السلام اعجب بامرأة كان زوجها فى الغزو ، فاحتال داود عليه السلام الى أن قتله ثم تزوج تلك المرأة . انظر القصة فى تفسير مقاتل (ق ٢٩٥) وانظر ايضا الاسرائيليات واثرها فى التفسير (ص : ٢٣٠) (٥) الكشاف (٣/٣٢١) .  
(٦) انظر : الاسرائيليات واثرها فى التفسير (٢٣٠) ويلاحظ ان الزمخشري أخذ من هذه القصة ما يتعلق بزواج داود عليه السلام مع زوجة اوريا ويرفض تفصيل القصة ، ولا أدرى ما مستنده فى ذلك ؟ والقصة موردها واحد .

فالأولى ان يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا " (١) ومن هنا يعرف خطأ الدكتور الذهبي حينما دافع عن الزمخشري في موقفه الذي اتخذه نحو الاسرائيليات واثني عليه وجعل ذلك محمداً له قال : ان الزمخشري مقل من ذكر الروايات الاسرائيلية وما يذكره من ذلك إما أن يصدره بلفظ " روى " المشعر بضعف الرواية ويعدّها عن الصححة ولما أن يفوض علمه إلى الله سبحانه ، وهذا في الغالب عند ذكره للروايات التي لا يلزم من التصديق بها مسايس بالدين ، وأما ان ينيه على درجة الرواية ومبلغها من الصححة والضعف ولو بطريق الاجمال ، وهذا في الغالب يكون عند الروايات التي لها مسايس بالدين وتعلق به ، ثم ذكر بعض الأمثلة على ذلك ، ثم قال : وهكذا لم يفتح الزمخشري فيما وقع فيه غيره من المفسرين من الاعتراض بالقصص الاسرائيلي والأخبار المختلفـة المصنوعة ، وهذه محمداً أخرى لهذا المفسر الكبير تحمد له ويشكر عليها (٢) والاقبال من الروايات الاسرائيلية شيء نسبي وسبق أن ذكرت أن المفسرين يختلفون في ذكر الأخبار الاسرائيلية فبعضهم يكثر منها وبعضهم يقل ، ولكن لم ينج أحد منهم ، وأما قوله إن الزمخشري يذكر هذه الروايات باللفظ المشعر بضعف الرواية فذلك لا يختص بالأخبار الاسرائيلية فقط . بل يذكر بذلك الأحاديث المرفوعة الصحيحة المتفق على صحتها ، كما فعل ذلك عند ذكره لحديث : ما من بنى آدم مولود إلا يمسه الشيطان ٠٠٠٠ الحديث (٣) فأولاً صدر هذا الحديث بقوله : " وما يروى " ثم قال مشككا في صحته : وإن صح فمعناه ٠٠٠٠ (٤) وهو حديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم ومثله يعتبر في أعلى درجة من الصححة . وهناك أمثلة أخرى كثيرة على إيراد الأخبار الاسرائيلية ومنها ما هو واضح بطلانه كالشمس ولكنه يعقب عليه (٥) . وبقي علينا أن نذكر بعض أهم الكتب التي تمثل التفسير الاعتزالي وكفاني مؤنة البحث في ذلك الدكتور الذهبي حيث ذكر منها عشرة كتب ، لا يوجد منها غير ثلاثة الأولى : تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (٤١٥هـ) وهو تفسير للآيات التي شم منها مؤلفه مخالفة أصوله وعقيدته فتعرض لها وحاول إنزالها على مذهبه ، ولذلك لم يشمل جميع القرآن . والثاني : أمالي الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) وفق فيه مؤلفه بين ظاهر النظم الكريم والعقيدة الاعتزالية . والثالث : الكشاف لابن القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وهو الكتاب الوحيد لأهل الاعتزال الذي وصل إلينا ككتاب يشمل القرآن كله .

وأما الذين صنفوا في التفسير من المعتزلة غير هؤلاء فمنهم أقدم شيوخ المعتزلة أبو بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان (ت : ٢٤٠هـ) وأبو علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب (ت : ٣٠٣هـ) وأبو القاسم البلخي عبد الله بن أحمد المعروف بالكعبي

- (١) تفسير ابن كثير (٣١/٤) .
- (٢) التفسير والمفسرون (٤٧٦/١ - ٤٨٢) .
- (٣) تقدم ذكر الحديث بكامله وهو حديث متفق عليه .
- (٤) تقدم نص كلامه في ص : (٥٩) .
- (٥) راجع لمعرفة هذه الأمثلة الاسرائيلية وأثرها في التفسير (ص ٢٨٨ - ٢٩٦) ومنهج المدرسة العقلية الحديثة (٦١/١) .

المعتزلي ( ت : ٣١٩هـ ) وأبو هاشم الجبائي عبد السلام بن علي ( ت : ٣٢١هـ )  
وأبو مسلم الأصفهاني محمد بن بحر ( ت : ٣٢٢هـ ) وأبو الحسن الرماني علي  
ابن عيسى ( ت : ٣٨٤هـ ) وأبو القاسم النحوي عبيد الله بن محمد الاسدي  
( ت : ٣٨٧هـ ) وعبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني ( ت : ٤٨٣هـ جرية ) (١)

\*\*\*      \*\*\*      \*\*\*

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون ( ٣٨٧/١ - ٣٩٠ ) والتفسير ومناهجه ( ٨٤-٨٥ ) .

من المعلوم أن الأمة الإسلامية قد ابتليت منذ زمن مبكر بالتفرق والانقسام ، ونشأت فرق وجماعات كثيرة لأسباب عديدة وجرت فيما بينها معارك طاحنة . بمختلف أنواعها من المعارك الفكرية والسياسية والدموية ولم يكن ذلك جديداً على الأمة الإسلامية فقط بل جرت سنة الله تعالى في عباده منذ القدم أن يتلى الحق بالباطل ويخوض أهل الحق مع أهل الباطل في حروب عنيفة ومعارك شديدة . وذلك ليهتد به الناس مسدى قوة الحق ، وضعف الباطل ، قال تعالى : ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ بَدِيدٌ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَكُونُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) (١)

وعلى هذا فنرى الأمم السابقة قد اختلفت وانقسمت إلى جماعات ومذاهب وجرى فيما بينهم من المعارك الفكرية والحروب الدامية ما يشهد به التاريخ فخذت الأمة الإسلامية أيضاً حذو تلك الأمم السابقة قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لتتبعسن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ (٢) فجرى الخلاف فيما بينها مثل ما جرى في الأمم السابقة وانقسمت إلى ما لا يحصى من الفرق والمذاهب ، وخاضت معارك دامية وحروب فكرية وخرج الكثير منها عما رسمه لها نبيها عليه الصلاة والسلام من الطريق الواضح المعجزة البيضاء التي ليلها كنهانها ، ولكن ظلت طائفة منها متمسكة بالحق ماشية على المعجزة البيضاء صامدة أمام كل العواصف العاتية والتيارات الجارفة غير مبالية للومة اللاعنين وغير خائفة من ظلم وطغيان الجبابرة والعاندين ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بقوله : " إلا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على سبب ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة " (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر : " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون " . (٤)

فكل من هذين الحديثين دليل واضح على وقوع الخلاف في الأمة المحمدية وأن طائفة منها لاتزال قائمة على الحق حتى يأتي أمر الله وهذه الطائفة هي التي قد صرح بها النبي صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى بقوله : " ما أنا عليه وأصحابي " (٥) فهي التي تدخل الجنة وأما غيرها من الطوائف فمصيورها إلى النار ويمكن لنا في ضوء هذه

- 
- (١) سورة الرعد : آية : ١٧ .  
 (٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل ٦ / ٤٩٥  
 رقم ( ٣٤٥٦ ) . ومسلم في صحيحه كتاب العلم ( ١٦ / ٢١٩ - ٢٢٠ )  
 (٣) رواه ابو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب شرح السنه ( ٥ / ٤٠٩٦ )  
 (٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ( ١٣ / ٢٩٣ ) رقم ( ٧٣١١ )  
 (٥) انظر : سنن الترمذي ، كتاب الايمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة  
 ( ٥ / ٢٥ ) رقم ( ٢٦٤٠ ) .

الاحاديث أن نقول : إن الطائفة التي قصدتها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " لاتزال طائفة من أمتي . . . الحديث " هي الطائفة السلفية فإنها هي التي تنطبق عليها أنها على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . لأنها تعتمد في كل ما تعتقده وتذهب إليه . على ما كان عليه الصدر الأول من الأمة ولم تتأثر بالعناصر الأجنبية التي تسربت في صفوف المسلمين لزعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس ابنائها ولزرع الخلاف فيما بينهم نيلاً من شوكتهم وقوتهم وأما غيرها من الجماعات والفرق فقد تأثرت بالعناصر الأجنبية ، وخرجت بذلك عن المحجة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم لأمتيه . وقبل الكلام على المنهج السلفي في التفسير يلزمنا ان نعرف مدلول الكلمة لغةً واصطلاحاً فالسلفي نسبة إلى السلف . والسلف في اللغة : من سَلَفَ يَسْلُفُ سَلْفًا مثل طَلَبَ يَطْلُبُ طَلِبًا أى مضى ، وسَلَفَ الرجل آباءه المتقدمون والجمع : أشْلافٌ وسُلَافٌ " قاله الجوهري (١) وجاء في لسان العرب : والسلفُ ايضاً : من تَقَدَّمَكَ من آبائك وذوى قرابتك الذين هم فوقك في السنِّ والفضل ، وقيل : سَلَفَ الإنسانَ مَنْ تَقَدَّمَه بالموت من آبائه وذوى قرابته ولهذا سعى الصدر الأول من التابعين السلف الصالح " (٢)

وأما في الاصطلاح فقد اختلف العلماء في تحديد الفترة التي ينسب إليها السلف . وقال القلشاني في شرح رسالة ابن ابي زيد القيرواني عند قوله : " وأتباع السلف الصالح " السلف الصالح هو الصدر الأول الراسخون في العلم المهتدون بهدى النبي صلى الله عليه وسلم والحافظون لسنة اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وانتخبهم لإقامة دينه ورضيهم أئمة الأمة وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده . وأمرغوا في نصيح الأمة ونفعهم ، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم وقد اثني الله عليهم في كتابه بقوله : ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ) (٣) إلى أن قال : فيجب اتباعهم فيما نقلوه واقتفاء آثارهم فيما عملوه والاستغفار لهم " (٤)

فيتضح من كلامه ان السلف هم الصحابة فقط وإليه ذهب ابو الحسن في شرح الرسالة عند قول الصنف ( واتباع السلف الصالح ) وهم الصحابة في أقوالهم وأفعالهم وفيما تأولوه واستنبطوه عن اجتهادهم وعلق عليه العدوى في حاشيته : قصره على الصحابة لما قال ابن باجى : السلف الصالح وصف لازم يختص عند الاطلاق بالصحابة ولا يشاركهم غيرهم فيسه . (٥)

وذهب الغزالي في تعريف كلمة السلف إلى أنه مذهب الصحابة والتابعين . (٦)

- 
- (١) الصحاح : ١٢٧٦/٤ .  
 (٢) لسان العرب : ١٥٩/٩ .  
 (٣) سورة الفتح : آية : ٢٩ .  
 (٤) تحرير المقالة من شرح الرسالة ( ص : ٣٦ مخطوط بالجامعة الاسلامية برقم ٦٠٤ )  
 (٥) شرح الرسالة لأبي الحسن . مع حاشية العدوى ( ص ١٠٦ )  
 (٦) الجام العوام عن علم الكلام ( ص ٦٢ ) .



وقال الباجوري عند قول صاحب الجوهرة : " وكل خير في اتباع من سلف والمراد بمن سلف من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم خصوصا الأئمة الأربعة المجتهدين الذين انعقد الاجماع على امتناع الخروج على مذاهبهم في الافتاء والحكم ، وأما عمل الشخص في نفسه فيجوز تقليد غيرهم فيه " . ( ١ )

لقد أحسن الباجوري من ناحية حيث انه وسح دائرة النطاق لكلمة السلف فذكر أن السلف هم الأنبياء والصحابة والتابعون واتباع تابعيهم " ويمكن الاستناد في ذلك على حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا : خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء اقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته " . ( ٢ )

وأخطأ من ناحية أخرى حيث ذكر الاجماع على امتناع الخروج على مذاهب الأئمة الأربعة ، والصواب انه لم ينعقد اجماع ولا شبه اجماع من شأنه أن يمنع الخروج على مذاهب الأئمة الأربعة . ثم ان هذا التحديد الزمني الذي ذكره الباجوري لبيان الفترة التي ينسب اليها السلف ليس على اطلاقه ، بل لا بد أن يضاف الى ذلك شرط آخر وهو موافقة الكتاب والسنة فمن يكون رأيه مخالفا لما دل عليه الكتاب والسنة فلا يعد من السلف وان عاش بين أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وقد ذهب الى هذا التفصيل محمود أحمد خفاجي ( ٣ ) وأحمد بن حجر ( القطري ) ويقول الأخير :

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم - وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالامامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلفه ، كالأئمة الأربعة ، والسفيانيين ، والليث بن سعد وابن المبارك ، والنخعي ، والبخاري ، ومسلم ، وسائر أصحاب السنن . دون من رمى ببدعة ، أو شهر بقلب غير مرضي مثل : الخوارج ، والروافض ، والمرجئة ، والجبرية والجهمية ، والمعتزلة ، وسائر الفرق الضالة . ( ٤ )

واعتقد أن هذا الكلام كاف لبيان المعنى الاصطلاحي من كلمة السلف والسلفي فالمدرسة السلفية ليست اسما لمجموعة من الأفكار والنظريات التي تبناها أصحابها وتميزوا بها عن غيرهم من الطوائف الأخرى وانما هي منهج التلقي للتنفيذ تتلقى تعاليمها من منبعها الاصيل لتنفذها وتطبقها وتدعوا الآخرين الى تطبيقها ، كما أنها لم تتأثر

- 
- ( ١ ) شرح الجوهرة ( ص ١١١ ) .  
 ( ٢ ) أخرجه البخاري في كتاب الفضائل ( ٣ / ٧ رقم ٣٦٥٠ ) .  
 ( ٣ ) انظر العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ص : ٢١ )  
 ( ٤ ) العقائد السلفية بادلتها العقلية والعقلية : ( ١١ / ١ )  
 وتجدر الإشارة هنا الى أن بعض الباحثين يخصصون السلفية بالحنابلة فقط كما فعل الأستاذ محمد أحمد السنياطي في كتابه منهج ابن القيم في التفسير : ( ص : ٢٩ ) وأنا لا اعتقد ان السلفية مختصة بالحنابلة فقط - بل هي عامة تشمل كل من يتصف بما جاء في تعريفها من اوصاف .

كما تأثرت الفرق الأخرى بالتعاليم الأجنبية والعناصر الغربية فالسلفية بمفهومها الواسع هي التمسك بالكتاب والسنة والمشى على نهجها القويم دون انحراف أو ميل والرجوع في فهم الكتاب والسنة إلى الصدر الأول من الأمة وعدم اللجوء إلى تحكيم العقل فيما لا مجال فيه للعقل وكذلك عدم اللجوء إلى اختراع وابتداع وعلى هذا فلم يكن عند السلفيين أفكار معينة أو وجهات مخصوصة مسبقة حاولوا إنزال القرآن على هذه الأفكار والوجهات ، أو جاهدوا لإخضاع النصوص القرآنية وفق ما تبينوا من النظريات (١) فلم يكن عندهم شيء من هذا القبيل ، ولذلك نجد المنهج السلفي في التفسير خالياً من التكلف والتصنع ، كما أنه يمتاز بالبساطة ووضوح العبارة وسهولة الأخذ وقرب تناول والسبب لذلك يرجع إلى أمرين : الأول أن علومهم لم تختلط بعلوم الفلسفة والمنطق والكلام والثاني : أنه لم تتطرق إلى تفسيرهم مسائل أخرى حدثت في الأزمنة المتأخرة عن عصر السلف من المسائل النحوية والبلاغية وغيرها . مما ليس له علاقة بالتفسير إلا من بعيد فلم يكن عندهم كما قال ابن القيم : إلا شيان أحدهما قال الله تعالى كذا وقال رسول الله كذا . والثاني : معناه كذا وكذا . (٢) وعليه فتفاسير السلف والسلفيين مبنية على أساس متين من الكتاب والسنة واللغة التي نزل بها القرآن .

ونشاهد ذلك في باب الأسماء والصفات إذ أرسوا قواعدهم على أصلين عظيمين دل عليهما الكتاب والسنة :

أولهما : التنزيه أي تنزيه الله تعالى عن المشابهة في شيء من أسمائه وصفاته وأفعاله

بالمخلوقين في شيء من أسمائهم وصفاتهم وأفعالهم .

والثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذان الأضلان يجمعهما قوله تعالى ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) (٣) فنفي الله سبحانه وتعالى عن نفسه المماثلة والمشابهة بينما أثبت لنفسه السمع والبصر مما يدل على أنه يجب إثبات ما أثبتته لنفسه مع تنزيهه عن التشبيه والمماثلة . (٤)

ونرى هذا المنهج المبني على أساس من الكتاب والسنة قد استخدمه علماء السلف في تفاسيرهم وهو منهج ليس فيه أي كلفة أو تصنع لأنه مأخوذ من كتاب الله تعالى الذي وصفه سبحانه وتعالى بقوله ( وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ) (٥) وهو عار أيضاً من جدل الفلاسفة وسفسطتهم كما هو الحال لغيره من المناهج الكلامية التي بنيت على أساس من المنطق اليوناني دون اعتماد على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . مما أدى من تمسك بتلك المناهج إلى التكلفات والتأويلات غير اللازمة لكثير

(١) انظر: منهج ابن القيم في التفسير ( ص ٢٩ ) .

(٢) أعلام الموقعين ( ١٤٩ / ٤ )

(٣) الشورى آية ١١

(٤) راجع منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ( ص : ١٠ ) .

(٥) سورة القمر : آية : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ . . . . .

من الآيات المتعلقة بالأسماء والصفات فحرفوها عن معناها الحقيقي وأما الذي اتبع المنهج السلفي فسلم من هذه التكلفات والتأويلات كما أنه نجا من تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته ومن تشبيهه سبحانه بالمخلوقين لأنه عندما أثبت له شيئاً من أسمائه وصفاته قيده بقوله ( على وجه يليق بذاته وجلاله ) مما يقطع جميع الشبه التي أدت المعطلين إلى تعطيلهم والمؤولين إلى تأويلهم والمشبهين إلى تشبيههم . هذا بالنسبة لأسماء الله وصفاته . وكذلك الحال في مسائل أخرى في باب العقيدة منها مسألة أعمال العباد : فهذه المسألة أيضاً من المسائل التي برز فيها دور المدرسة السلفية في صراعها مع المذاهب الفكرية الأخرى حيث استقلت فيها بحل يوافق الكتاب والسنة كما يرضيه العقل ويضمن إليه القلب وهو يتلخص في أن الله تعالى خالق كل شيء كما يقول سبحانه وتعالى : ( قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ) (١) وأنه خالق الإنسان وخالق لكل ما قد ركب فيه من قوى وقدر وهو الذي خلق فيه القدرة الفاعلة والإرادة الحرة والمشية المختارة : لقوله تعالى : ( لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) (٢) وبهما تمكن الإنسان من أن يفعل بقدرته وإرادته ما يتعلق به مقاصده وهذا مناط التكليف والثواب والعقاب (٣) . وبهذه الصياغة البسيطة الواضحة يتفق منهج السلف مع جميع نصوص القرآن الكريم التي تعرضت لهذه المسألة فلا يواجه عند تفسيره لهذه الآيات أى عقبة تقف في وجهه على خلاف المذاهب الأخرى التي تبنت وجهة تخالف وجهة السلف فإنها تعانى كثيراً من العقبات في تفسيرها للقرآن لاتخلص منها إلا بتأويل أو تحريف لمعنى الآيات وتفسيرها .

فمثلاً : الجبرية الجهمية اتباع جهم بن صفوان الذين يذهبون إلى أن الإنسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة ولا اختيار ولا إرادة إنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازاً \* (٤) تواجههم الآيات التي تثبت للإنسان الإرادة والحرية . كما أن اتجاههم هذا يؤدى إلى إبطال التكليف والثواب والعقاب وحكمة إرسال الرسل . وكذلك المعتزلة الذين يقفون ضد هؤلاء الجبرية فيقولون : إن العبد قادر خالق لأفعاله خيها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة ، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شروط وظلم وفعل ما هو كفر ومعصية لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلاً \* (٥) فيتصادم قولهم هذا مع النصوص القرآنية التي تسدل على أن الله خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير ، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

(١) سورة الرعد : آية : ١٦ . (٢) سورة التكويد : آية : ٢٨ ، ٢٩ .  
 (٣) راجع لمعرفة مذهب السلف في هذه المسألة مجموع الفتاوى : ١١٧ / ٨ - ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ ) . شفاء العليل ( ص ١٠٩ وما بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٣ - ٥٠٢ ) .

(٤) الملل والنحل ( ٨٧ / ١ ) والفرق بين الفرق ( ص : ١٩٩ ) .  
 (٥) الملل والنحل ( ٤٥ / ١ ) .

كما أنه يترتب عليه وصف الله تعالى بالعجز وعدم القدرة إذ يكون في ملكه ما لا يريد  
ولا يكون ما يريد وهو يتعارض مع ما يجب اعتقاده لله تعالى من الكمال المطلق  
"أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" (١)

وكذلك الأشاعرة الذين بنوا قولهم في هذه المسألة على الاعتقاد بأنه لا تأثير  
للقدرة الحادثة في الاحداث (٢) فقالوا : إن الله تعالى أجرى سنته بأن يخلق  
عقب القدرة الحادثة أو تحتها ومعها الفعل الحاصل إذا أراد العبد وتجرده ، ويسمى  
هذا الفعل كسباً فيكون خلقاً من الله تعالى إبداعاً وإحداثاً وكسباً من العبد مجعولاً تحت  
قدرته . (٣)

وقد عرف الحافظ ابن القيم هذا الكسب بعبارة أوضح من ذلك فقال : الكسب  
عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل فإن الله سبحانه وتعالى أجرى  
العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لابهما فهذا الاقتران هو الكسب .

ثم قال : ولهذا قال كثير من العقلاء : إن هذا من محالات الكلام ولأنه شقيق  
أحوال أبي هاشم وطفرة النظام والمعنى القائم بالنفس الذي يسميه القائلون به  
كلاماً وشيء من ذلك غير معقول وغير متصور (٤)

أما المدرسة السلفية فقد نجحت بأن نجت من الوقوع في مثل ما وقعت فيه المذاهب  
السابقة الجبرية والمعتزلة والأشاعرة وتعارضت أقوالهم مع ما يجب في حق الله تعالى  
من الكمال والعدالة ، وتصادمت مع صريح الآيات القرآنية .

وقد عرف الأستاذ محمد أحمد السنباطي الاتجاه السلفي في هذه المشكلة بنحو  
ما تقدم ذكره ثم قال :

"والمذهب السلفي بهذه الصياغة محبوب يتفق مع نصوص القرآن الكريم التي تعرضت  
لبیان هذا الموضوع وبذلك يتخلص السلفيون من مشكلة إبطال التكليف التي ترتبت على  
ما ذهب إليه الجبرية . كما سماوا بأنفسهم عن أن يترتب على مذهبهم ما ترتب على  
مذهب المعتزلة من عجز قدرة الله عن بعض المخلوقات ، ووجود ما لا يشاءه تعالى من  
المخلوقات في الكون .

كما سلمت انظار السلفيين عن سراب الأشعري الخلب ذلك الذي يصفه الإمام ابن القيم  
ثم ذكر كلامه السابق . (٥)

(١) الاعراف آية ٥٤

(٢) قالوا بذلك لأن قضية الحدوث عندهم واحدة فلو أثرت القدرة الحادثة في الفعل  
لجاز تأثيرها في كل محدث وهذه الفكرة لما تحتوى عليه من تناقض لم يرق لكثير  
من أتباع المذهب الأشعري فقال الجويني : أما اثبات قدرة لا اثر لها بوجه  
فهو كفى القدرة أصلاً . انظر : الملل والنحل ( ٩٧/١ )

(٣) المصدر السابق ( ٩٧/١ ) (٤) شفاء العليل : ( ص : ١٢٢ )

(٥) منهج ابن القيم في التفسير ( ص ٦٢ - ٦٣ )

وهكذا سلم مذهب السلف في جميع المسائل العقديّة من الانزلاق في ما وقعت فيه المذاهب الأخرى المحدثّة (١) وذلك لأن السلف هم أفضل الناس وأهداهم طريقة وأكمل الأمة الإسلامية إيماناً وعلماً ولأن مذهبهم خير المذاهب وأسلمها وأحكمها لكونه مبنياً على أساس من الكتاب والسنة ولتمسكهم بالنصوص يفهم بعض الناس بأنهم يتبعون الظاهر والظاهر يؤدى بهم إلى أخطاء جسيمة منها : تشبيه صفات الله تعالى بصفات الحوادث . لأن مفهوم الظاهر عند هؤلاء الذين يتسرعون في إطلاق الاتهامات يختلف تماماً عن مفهوم الظاهر عند السلف ولعل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يساعد في تحديد مفهوم الظاهر عند السلف فإنه قال :

" وإذا قال القائل : " ظاهر النصوص مراد أو ظاهرها ليس بمراد فإنه يقال : لفظ الظاهر فيه اجمال واشترك فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم فلا ريب أن هذا غير مراد ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها ولا يرخصون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كقراً وباطلاً . والله أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذى وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كقراً أو ضلال . والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر ولا يكون كذلك . وتارة يردون المعنى الحق الذى هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل فالأول كما قالوا في قوله : " عبدى اجعت فلم تطعمنى ٠٠٠٠ الحديث (٢) وفي الأثر الآخر : " الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه أو قبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " (٣)

وقوله : " قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن " (٤) فقالوا : قد علم أن ليس في قلوبنا أصابع الحق فيقال لهم : لو أعطيتهم النصوص حقها من الدلالة لعلمتم أنها لم تدل إلا على حق أما الواحد فقوله : الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه . صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة لله ولا هو نفس يمينه لأنه قال : يمين الله في الأرض وقال : فمن قبله وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه ومعلوم أن المشبه ليس هو المشبه به ففي نفس الحديث بيان أن مستلمه ليس مصافحاً لله ، وأنه ليس هو نفس يمينه فكيف يجعل ظاهره كقراً لأنه محتاج إلى التأويل ؟ مع أن هذا الحديث إنما يعرف عن ابن عباس . (٥)

(١) وما ذكرته هنا هو بعض الأمثلة على ما سبق تقريره من أن منهج السلف يبنى أصوله ويستمد قواعده من الكتاب والسنة دون غيرها وهذا الوصف تتميز به المدرسة السلفية عن غيرها من المدارس فتجمع بين النصوص ثم تستنبط قواعدها مما يجعلها تسلم من مصادمة النصوص ومعارضتها خلاف المذاهب الأخرى التى لاتراعى في استنباط الأصول والقواعد جميع النصوص وإنما تبني مذهبها على أساس من رغبته وهواه ثم تستدل عليه بما يوافق من النصوص وترفض أو تؤول ما يتعارض منها مع مذهبها وأصولها .

(٢) وهو جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة - باب فضل عيادة

المرضى (١٦/١٢٥) وفيه " يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى . . . "

(٣) انظر تفريخ الحديث في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٢٥٧) وهو موقوف على ابن عباس

وفي سنده ضعف .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب القدر - (١٦/٢٠٤) .

(٥) الرسالة التدمرية ص (٢٦-٢٧) .

وهكذا استمر شيخ الإسلام في بيان بقية النصوص وإبراز أن ظاهرها سـلـم لا يحتاج إلى تأويل كما يدعيه بعض الناس . ويتبين لنا من هذا الكلام أن السلف لا يعتقدون بأن في القرآن والسنة ما يظهر منه كفر وباطل ثم إن الذين يدعون ذلك على صنفين : الصنف الأول : يجعل لظاهر اللفظ معنى فاسداً ثم يقول إن هذا الكلام محتاج إلى تأويل يخالف الظاهر .

وأما الصنف الثاني : فيرد المعنى الصحيح الذي يدل عليه ظاهر اللفظ لأنه يعتقد أن هذا المعنى باطل لا يليق بالله وكلاً الصنفين يقع في خطأ جسم من حيث يدري أو لا يدري فالصنف الأول يحرف في الكلام من حيث المعنى والصنف الثاني يصف الله تعالى بالعجز في الكلام حيث أنه لا يقدر على التعبير بما لا يوحى إلا بالكفر والضلال وأما المنهج السلفي باعتقاده أن القرآن والسنة لا يوجد فيهما ما يدل ظاهره على الكفر والضلال فقد سلم من الوقوع في هذا الخطأ ومن ثم يصدق على أولئك - الذين يتسرعون في الاتهامات ويستعجلون في الحكم على السلف ومن على مذهبهم بغير الحق -

المثل القائل : رميتي بدائها وانسلت .

وأظن أن هذا القدر يكفي لبيان المنهج السلفي في تفسير القرآن من الناحية العقديّة ويبقى لنا أن نوضح الطريقة التي اتبعتها هذه المدرسة في مجال التفسير من الناحية الفنية .

فهذا الجانب أيضاً تتميز فيه المدرسة السلفية عن المدارس الأخرى حيث نهجت في تفسير القرآن بالأسلوب الذي وصف بأنه أحسن الطرق للتفسير وقد عقد شيخ الإسلام في كتابه " مقدمة في أصول التفسير " ( ١ ) فصلاً في ذلك وذكر فيه أن أصح الطرق لتفسير القرآن أن يفسر القرآن بالقرآن لأنه ما أجمل في مكان قد فسرفى موضع آخر وما اختصر في مكان قد بسط في موضع آخر .

فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له وقد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن . وقال تعالى : ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) ( ٢ ) وذكر آيات أخرى في هذا المعنى كما ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : " إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه " ( ٣ ) . وقد فسر ذلك بالسنة .

ثم ذكر أنه إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم

( ١ ) ص ( ٩٣ ) .

( ٢ ) سورة النحل : آية : ٤٤ .

( ٣ ) رواه الإمام أحمد في المسند ( ٤ / ١٣٠ - ١٣١ ) .

من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماءهم وكبرائهم كالائمة الاربعة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين ، وعبد الله بن مسعود الذي روى فيه ابن جرير انه قال : والذي لا اله غيره ما نزلت اية من كتاب الله الا وانا اعلم فيمن نزلت وامين نزلت ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته \* (١)

ومنهم عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " (٢)

وذكر بعده أنك اذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدتة عن الصحابة فارجع إلى تفسير التابعين لانه قد رجح كثير من الائمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر وغيره من أئمة التابعين . (٣)

وتسمى هذه العملية - أي الرجوع في تفسير كلام الله تعالى إلى القرآن والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين في هذا الفن التفسير بالمأثور وقد تقدم الكلام بالتفصيل على ذلك عندما تعرضنا لذكر اتجاهات المفسرين حيث بينا أن التفسير بالمأثور هو أقدم وأحكم وسيلة لتفسير القرآن وقد مشى على هذا الأسلوب المتقدمون من المفسرين السلفيين من أمثال سفيان الثوري وابن عيينة ، وأحمد بن محمد بن حنبل وعبد الرحمن بن أبي حاتم وغيرهم من علماء السلف . (٤) فلا يوجد في كتبهم إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين واختارت المدرسة السلفية هذا الاتجاه أي التفسير بالمأثور وفضلت على الاتجاهات الأخرى لأمرين : الأول : أن السلف هم أفضل الناس وأهداهم طريقة كما أنهم أكمل الناس إيماناً وعلماً وقد دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " وقد تقدم ذكره (٥) .

والأمر الثاني : الذي جعل المدرسة السلفية تختار أسلوب التفسير بالمأثور هو أنه يمتاز بقلة الاختلاف وقلة الأقوال .

لأن الخلاف بين السلف في التفسير قليل جداً وغالب ما صح عنهم من الخلاف في تفسير القرآن يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد - كما صرح به ابن تيمية وذكر لذلك صنفين :

أحدهما : أن يعبر كل واحد منهما عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه . تدل على معنى

(١) تفسير الطبري (١/٨٠) .

(٢) تقدم ذكره في ص (١٨) .

(٣) انظر مقدمة في اصول التفسير ص ٩٣-١٠٢ . وقد سبق ان ذكرت حكم تفسير

الصحابة والتابعين ومكانته العلمية في ضوء ما قاله العلماء (ع ١٨-٢٤) .

(٤) ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية جماعة من المفسرين الذين فسروا القرآن بأحاديث النبي

صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين ، وإذا اردت معرفتهم فارجع إلى

كتاب درء تعارض العقل والنقل (٢١/٢ - ٢٢) .

(٥) صفحة رقم : ٦٦

في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى بمنزلة الاسماء المتكافئة التي بيّن المترادفة والمتباينة كما قيل في اسم السيف : الصام والمهند وذكر من الأمثلة على ذلك تفسيرهم للصراط المستقيم فقال بعضهم : هو القرآن أي اتباعه لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث على الذي رواه الترمذى (١) وغيره : هو جبل الله المتين ، والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم .

وقال بعضهم : هو الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث النواصب سمعان الذي رواه الترمذى وغيره . (٢)

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا : صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَىٰ جَنبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ وَفِي السُّورِينَ أَبْوَابٌ مُّفْتَحَةٌ وَعَلَىٰ الْأَبْوَابِ سُجُورٌ مَّرخَاءٌ وَدَاعٌ يَدْعُو مِن فَوْقِ الصِّرَاطِ . وداع يدعو على رأس الصراط قال : فالصراط المستقيم هو الإسلام ، والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله والداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن . ثم قال : فهذان متفقان لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر كما أن لفظ " صراط " يشعر بوصف ثالث. وكذلك قول من قال : هو السنة والجماعة ، وقول من قال : هو طريق العبودية وقول من قال : هو طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك فهو لا كلمهم أشاروا إلى ذات واحدة . لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها .

ثم ذكر الصنف الثاني : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه مثل سائل أعجمي سأل عن مسمى لفظ الخبز فأرى رغباً وقيل له : هذا فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى هذا الرغيف وحده .

وأتى بالمثال على ذلك من قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ " (٣) قال : فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمان والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات فالمقتصدون هم أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون .

ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل : السابق الذي يصلى في أول الوقت والمقتصد : الذي يصلى في اثناك والظالم لنفسه : الذي يؤخر العصر إلى الأصفار (٤)

(١) انظر سنن الترمذى كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء في فضل القرآن (١٧٢/٥) رقم ٢٩٠٦

(٢) انظر سنن الترمذى كتاب الأمثال باب ما جاء في مثل الله لعباده (١٤٤/٥) رقم ٢٨٥٩

(٣) سورة فاطر : آية : (٣٢)

(٤) انظر : مقدمة في أصول التفسير ( ص ٣٨ - ٤٣ ) .



ثم ان هذا المنهج قد تعرض لنقد بعض الناس فانقدوا عليه من ناحيتين :  
 الأولى : ان علماء التفسير بالمأثور يملأون كتبهم بالمأثورات بسندهم بغض النظر  
 عما صح منها وما لم يصح كما أنهم لا يعنون بنقد المتن والسند وقد أشرت فيما مضى  
 إلى هذه الملاحظة وقلت : كما نود من علمائنا المفسرين الأسلاف أن يمشوا في تفسير  
 القرآن منهج المحدثين في تصنيف كتب الحديث فالفوا كتب التفسير على ما صح  
 من هذه المأثورات دون التعرض لذكر الضعاف والموضوعات كما فعل البخاري ومسلم  
 وغيرهما من أصحاب الصحاح وأشرت أيضا إلى محاولة ابن كثير وبعض من سبقه من  
 أئمة التفسير في كتبهم للتمييز بين ما صح من هذه المأثورات وبين ما لم يصح منها  
 (١) وأقول الآن في الدفاع عن منهج علماء التفسير بالمأثور ولست أقول في ذلك  
 من عندى وإنما أكرر ما قاله الحافظ ابن حجر في الدفاع عن الطبراني عندما وجه  
 إليه نقد شديد في إيراده للروايات الضعيفة والموضوعة والمنكرة في مؤلفاته . فإنه  
 قال ما معناه : ان العلماء المتقدمين في الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلم جرا  
 إذا ساقوا الحديث بإسناده اعتقدوا أنهم برءوا من عهده (٢) وذلك لأنهم كانوا  
 على اطلاع تام على علل الأحاديث الواضحة منها والخفية فلا يخفى عليهم من  
 الأحاديث ما يصلح للاحتجاج وما لا يصلح كما كانوا على معرفة بالرجال والأسانيد  
 مما جعلهم يكتفون بسوق الأسانيد عند روايتهم للأحاديث وكانوا يرون أن من أسند  
 فقد حمل قارئه على رجال السند (٣)

والثانية : أنهم انتقدوا على هذا المنهج رواية الأخبار الإسرائيلية في كتب التفسير  
 وهذه المسألة أيضا قد تقدم تفصيل الكلام عليها عند ذكر اتجاهات المفسرين وقلنا  
 إن الأخبار الإسرائيلية تنقسم إلى ثلاثة أقسام أحدها ما يوافق منها شرعنا . والثاني  
 ما يخالف منها شرعنا . والثالث : ما سكت عنه شرعنا وهذا القسم اختلف فيه العلماء  
 من السلف حيث أجاز بعضهم روايته ومنعها بعض الآخرين ورجح في ضوء الأدلة  
 القول بجواز روايتها ، وأما الأول والثاني فيوجد فيهما اتفاق بين أهل العلم حيث  
 ان الأول تجوز روايتها بل لا ينبغي أن يسمى ذلك إسرائيلياً لأنه بموافقة شرعنا صار  
 إسلامياً ولا تجوز رواية الثاني ثم ان رواية الأخبار الإسرائيلية في تفسير القرآن قد مرت

(١) فانتى هنالك أن اشير إلى محاولة ابن جرير الطبري للتعجب من رواية المتهمين  
 والكلام على الأسانيد أحيانا ، وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى  
 (٣٨٥/١٣) : أما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها : تفسير محمد بن  
 جرير الطبري فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل  
 عن المتهمين كمقاتل بن بكير ( كذا ، ولعله سليمان ) والكلبي ( اهـ .  
 ولكن هذا التفسير مع جلالة قدره وعظيم مرتبته لا يخلو من الضعاف والموضوعات  
 والمنكرات .

(٢) لسان الميزان ( ٣ / ٧٥ )

(٣) بهذا اعتذر الدكتور الذهبي عن ابن جرير على عدم تعقبه على الأسانيد  
 بتصحيح ولا تضعيف في أغلب الأحيان ( التفسير والمفسرون ١ / ٢١٢ ) .

بمراحل ومبدأ دخول الاسرائيليات أمر يرجع تاريخه إلى عهد الصحابة ولكنهم لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حدتها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا ( آما بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم )<sup>(١)</sup> فإن القرآن يتفق مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل والحوادث التاريخية وان كان بينه وبين التوراة والإنجيل فرق كبير وهو الايجاز الذي يتميز به القرآن ويجعله معجزة والإطناب والتفصيل اللذين يوجدان في التوراة والإنجيل بالإضافة إلى تحريفهما وتغييرهما كما نص القرآن على ذلك .

ومن المعلوم أن النفوس الإنسانية تتشوق إلى معرفة القصص والحوادث التي حكيت لها بالايجاز فتتطلع إليها لأن تعرفها بالإطناب والتفصيل ومن ثم كان رجوع الصحابة فيما أوجز فيه القرآن من هذه القصص والأخبار عن السابقين إلى الذين دخلوا في دين الإسلام حاملين معهم ثقافتهم السابقة عن التوراة والإنجيل . وقائعهم التاريخية غير أنهم رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يرجعون إليهم في نطاق محدود فكانت أسئلتهم لاتعدو أن تكون توضيحاً للوقائع وسطاً للحوادث وبياناً لما أجمله القرآن مع توقفهم فيما يلقي إليهم فلا يحكمون عليه بصدق أو كذب مادام يحتمل كلا الوجهين ولكن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد لأنه لما جاء عصر التابعين وجد فيهم من توسع في الأخذ عنهم مما تطلب كثرة المرويات الاسرائيلية في هذا العهد . ولما جاء عصر اتباع التابعين استفحل أمرها إذ وجد في هذا العهد من عظم شغفه بالاسرائيليات إلى حد الإفراط وبرزت جماعة من المفسرين وأرادوا أن يسدوا ما زعموه من ثغرات في التفسير بما يوجد لدى هؤلاء اليهود والنصارى فطأوا كتبهم بكثير من هذه القصص التي شوهت وجه التفسير إذ لم يكتبوا بذكر ما سكت عنه شرعنا بل سردوا كل ما هب ودب من هذه الأخبار حتى ما يخالف منها شرعنا مخالفة واضحة واشتهر من هؤلاء المفسرين الذين شغفوا برواية الاسرائيليات مقاتل بن سليمان والكلبي ، وابن جريج وغيرهم . (٢)

وفي نظري ان أمر الاسرائيليات لا يختلف كثيراً عن أمر الموضوعات في الحديث فالأسباب التي دعت إلى الوضع في الحديث هي نفسها أو شبيهة منها دعت إلى تسرب الاسرائيليات في صفوف المسلمين ولكن علماء الحديث قاوموا حركة الوضع مقاومة

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٣٣/١٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء " رقم (٧٣٦٢) .

(٢) انظر: التفسير والمفسرون (١/١٦٩ - ١٧٨) .

شديدة بينما علماء التفسير لم يعتنوا بمقاومة الاسرائيليات مثل ما اعتنى أولئك  
وقد تكلم ابن خلدون عن تسرب الاسرائيليات إلى المسلمين وعن أسباب  
الاستكثار منها وأرجع الأمر إلى أسباب اجتماعية وأخرى دينية فذكر من الأسباب  
الاجتماعية غلبة البداوة والأمية على العرب وتشوقهم لمعرفة ما تشوق إليه النفوس  
البشرية من بدء الخليقة وأسرار الوجود وأسباب المكونات .

وأما من الأسباب الدينية فذكر أن مثل هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى  
الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل فكان ذلك مما جعل الناس لم  
يتورعوا عن رواية الاسرائيليات إذ وجدوا فيها حكماً وعبرة أيضاً . (١)

ومهما يكن من الأسباب فمما لا مجال فيه للإنكار أن الأخبار الاسرائيلية بما فيها  
النوع الذي يخالف شرعنا قد غزت التفسير وكان من آثارها أن كثرت فيه الخلاف وتعددت  
أقوال المفسرين لأن هذه الأخبار من أصلها قد اختلفت فيها علماء أهل الكتاب ، كما  
نجد ذلك ما يذكره في أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أي  
شجرة كانت وغير ذلك مما أبهت الله تعالى في القرآن الكريم مما لا فائدة في تعيينه  
تعود على المكلفين في دنياهم ولادينهم ولذلك قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله  
بأن غالب المرويات الاسرائيلية التي سكت عنها شرعنا مما لا فائدة تحته تعود إلى أمر  
دينى . (٢) ثم لانعنى ما سبق أنه لم يوجد من المفسرين من لم يعارض المرويات  
الاسرائيلية ولم يبين مخالفة ما خالف منها شرعنا . بل هناك من فعل ذلك نشاهد  
عند ابن جرير الطبرى وابن كثير وقد سبق أن ذكرنا موقفهما من الاسرائيليات بالتفصيل  
ومع معارضتهما للاسرائيليات فقد بقى في تفسيرهما ما يحتاج إلى النقد الفاحص والتدقيق  
التام .

وإذا ذهبنا لنعرف موقف المدرسة السلفية من التفسير بالرأى فنرى أنها احتاطت

كل الاحتياط في هذا المجال .

حيث انها استخدمت جميع الأدوات اللازمة لتفسير القرآن بالرأى وهذه الناحية أيضاً  
مما فصل الكلام عليه فيما مضى فقد بينا ضرورة استخدام الرأى والاجتهاد في تفسير  
القرآن ولأنه ينقسم إلى قسمين :

الأول : تفسير القرآن بالرأى المحمود وهو الذى يكون فى حدود ما أجازة علماء السلف .  
ويكون مبنياً على الكتاب والسنة وأساليب اللغة العربية وقواعدها .

والثاني : تفسير القرآن بالرأى المذموم وهو الذى يكون بمجرد الرأى والاجتهاد من

(١) مقدمة ابن خلدون ( ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ) .

(٢) مقدمة فى أصول التفسير ( ص : ١٠٠ ) .

غير أصل يرجع إليه ، فهو تفسير القرآن من غير تأهل له بالعلوم التي لا بد منها للمفسر أو هو التفسير بالهوى والاستحسان ، أو هو التفسير المقصود به تأييد المذهب الفاسد والرأي الباطل ، أو هو تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله فتفسير القرآن بالرأي المذموم يشمل هذه الأنواع كلها . وقد بين العلماء عدم جوازه ، وأنه هو المقصود بالنهي والوعيد الشديد في الأحاديث الواردة في ذلك .

## \*\* الباب الثاني \*\*

— ( المقارنة بين المفسرين الثلاثة : (السمعاني والبغوي والزمخشري) ) —

تمهيد لمحة تاريخية موجزة عن عصرهم :

تلزم الدراسة عن علم من الأعلام البارزين أن يقوم الباحث بإعطاء فكرة عن العصر والبيئة التي عاش فيها ونشأ ذلك الشخص الذي يقوم بترجمته — لأن الإنسان — كما يقال — وليد عصره ونتاج زمانه ، وأن ما يوجد في البيئة المحيطة به من تيارات مختلفة سياسية كانت أو اجتماعية . دينية كانت أو ثقافية كل ذلك يؤثر في تكوين شخصيته وبنائها مباشرة أو غير مباشرة . وتنعكس آثاره إيجابياً أو سلبياً على سلوكه واتجاهاته حسب استعداده في الأخذ والعطاء ومدى قابليته لاستجابة الظروف المحيطة به .

ومن هذا المنطلق رأيت أن أذكر لمحة تاريخية موجزة عن عصرهم ويثبتهم من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية — واتفق أن هؤلاء الثلاثة عاشوا في عصور متقاربة وفي بيئات مماثلة — حيث عاش السمعاني ونشأ في الفترة ما بين سنة ٤٢٦ هـ وسنة ٤٨٩ هـ هجرية . وعاش البغوي في الفترة ما بين سنة ٤٣٣ هـ وسنة ٥١٦ هـ . واما الزمخشري فتأخر عنهما في الولادة ولكن أدرك من حياة السمعاني ما يقارب اثنتين وعشرين سنة ، ومن حياة البغوي حوالي خمسين سنة — لأنه ولد سنة ٤٦٧ هـ وكانت وفاته سنة ٥٣٨ هـ . (١)

فالكلام عن عصرهم يعني الكلام عن الحياة في القرن الخامس الهجري وشيء من القرن السادس الهجري . ثم ان الثلاثة ولدوا في مدن متقاربة نسبياً لأن كلها تقع في المشرق الإسلامي — إقليم خراسان وخوارزم — (٢)

وإذا ذهبنا لنعرف الحالة السياسية للعالم الإسلامي بصفة عامة في هذه الأونة نجد أن الخلافة العباسية قد تغلغل فيها الضعف والاضمحلال وفقد الخلفاء العباسيون شيئاً كثيراً من سلطاتهم وقوتهم ، حيث لم يبق من الخليفة إلا اسمه ، ومن الحكم إلا رسمه وكان نصب الخلفاء وعزلهم على أهواء السلاطين والأمراء والجنود فكانوا ينصبون الخليفة ويعزلونه إذا أرادوا (٣)

(١) مع هذا فإنه لا يوجد ذكر في المصادر التي توصلت إليها بأن هؤلاء الثلاثة التقى بعضهم ببعض سوى ما نجده من اتفاق السمعاني والبغوي في الأخذ عن بعض المشايخ حيث تتلمذ ، كل منهما على أبي الهيثم الترابي وأحمد بن عبد الملك المؤذن . وكذلك لم أجد في المصادر المتوفرة لدي أن تكلم واحد منهم في الآخر من ناحية التضعيف أو التعديل .

(٢) سيأتي التعريف بها عند ذكر نسبتهم .

(٣) انظر على سبيل المثال ما فعله البويهيون مع الخليفة المستكفي بالله في البداية والنهاية (١١/٢٢٦) .

والسبب لذلك أن الدولة الإسلامية كانت قد انقسمت لضعف الخلفاء وانشغالهم بأمر الدنيا وملذاتها إلى دويلات صغيرة استبد بها السلاطين والأمراء والولاة، حتى جاء وقت من الأوقات انكسرت فيه الخلافة انكماشاً شديداً حيث لم يبق في يد الخليفة سوى بغداد وأعمالها . وأيضا السلطة الحقيقية فيها للآخرين من الأتراك والبويهيين والسلاجقة وغيرهم من كانوا يصلون إلى السلطة بين حين وآخر - ولم يكن الخليفة يملك من الأمر إلا التوقيع على الأوامر لتأخذ الصفة الرسمية أمام الناس (١) لأن تقديس منصب الخلافة واحترامه كان ماثلاً في أذهانهم وعليه فقد كانت الحكومات التي تظهر على مسرح السياسة عقب إيقاع الهزيمة بحليقاتها تسعى أول ما تسعى لتحترف بها الخلافة العباسية وتأخذ الصفة الشرعية أمام الناس . (٢)

وكان للانقسام الذي ابتليت به الدولة الإسلامية أثر سيء في ضعف الخلافة الإسلامية وتقلص رقعة العالم الإسلامي . لأنه قد لعبت بالسلاطين والأمراء المستبدين الأغراض الدنيوية والأطماع السياسية مما كان يؤدي بهم إلى الخوض في معارك طاحنة فيما بينهم بغية الوصول إلى السلطة . دون أن يولوا عناية فسي إعلاء كلمة الله تعالى ، وإحكام أمر الدولة الإسلامية ، وقد استغل الأعداء فرقتهم واختلافهم فكانوا يهاجمون على المسلمين في عقرب دارهم ويكررون الهجوم عليهم وينالون منهم نيلاً عظيماً .

ولا أحب أن أدخل في تفاصيل الدولة العباسية وانقسامها أكثر من ذلك ، لأن الذي يهمننا من الحالة السياسية ماله علاقة بحياة هؤلاء المفسرين الثلاثة (السمعاني والبيغوي والزمخشري) . وهو عصر السلاجقة الذين ظهروا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري على مسرح السياسة ثم بسطوا نفوذهم بعد قليل من الزمن على المشرق الإسلامي كله . وجعلوه تحت سيطرتهم .

وعصر الخوارزمية الذين ظهروا في أوائل القرن السادس الهجري كدولة تابعة لدولة السلاجقة حكموا إقليم خوارزم وما جاوره . ثم انتزعوا السلطة من أيدي السلاجقة وحلوا محلهم .

فأولاً نتكلم عن الدولة السلجوقية وكيف كانت نشأتها . فالسلاجقة هم مجموعة من القبائل التركية هاجرت من موطنها الأصلي وهو أقصى بلاد تركستان تحت ظروف ضغط قاهرة ، وهي تنسب إلى جدها سلجوق ، ويقول ابن كثير : وهم ترك الإيماان الذين يقول لهم الناس تركمان وهم السلاجقة بنو سلجوق (٣) وهي في أول الأمر جاورت

(١) يمكن الرجوع لمعرفة هذه الانقسامات إلى كتاب البداية والنهاية (١١/١٩٦) ضمن الحوادث التي وقعت في سنة ٣٢٤ هـ . وشذرات الذهب (٢/٣٠٥) تحت الحوادث التي وقعت سنة ٣٢٥ هـ .

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية لآدم متزر (١/٢٠) -

(٣) البداية والنهاية : (١٢/٥١) وانظر أيضا الكامل في التاريخ ٨/٢٢٢، وسلاجقة العراق ، وإيران للدكتور / عبد المنعم حسنين (١٦ - ١٨) .

الغزنويين والسامانيين وغيرهم من أهل السنة في خراسان وما وراء النهر مما أدى إلى دخولهم في الإسلام على المذهب السني ، وعندما استقرت بهم الحياة أخذوا يفكرون في مستقبل أفضل ، فجهزوا أنفسهم بالمال والسلاح وأعدوا لهم جيشاً كامل العسدة والعدد . وصارت لهم قوة وكيان ، وأخذوا يغيرون على المناطق المجاورة التي كانت تحت سيطرة الغزنويين ، وأخذت قوتهم تتصاعد يوماً فيوماً إلى أن أعلنوا بقيام دولتهم سنة ٤٢٩ هـ عندما استولى مؤسس هذه الدولة ركن الدين طغرل بك على نيسابور وجلس على عرش الغزنويين ، فتعد هذه السنة بداية حقيقية لدولة السلاجقة وملكهم (١) وبدأوا منذ هذا التاريخ ينفذون خططهم التوسعية حيث ضموا إلى دولتهم كثيراً من الأجزاء الشرقية وكانت موقعة دندانقان سنة ٤٣١ هـ حاسمة في تاريخ السلاجقة مع الغزنويين - إذ أحرزوا فيها انتصاراً ساحقاً على الغزنويين مما اضطرهم على الانسحاب الكامل من ساحة خراسان لصالح السلاجقة (٢) وبعد فترة وجيزة استطاع طغرل بك على بسط نفوذ الدولة السلجوقية على الإقليم الشرقي بكامله . وفي سنة ٤٣٢ هـ كتب السلاجقة إلى الخليفة العباسي آنذاك القائم بأمر الله كتاباً أظهروا فيه ولاءهم له وطلبوا منه موافقته على شرعية دولتهم وعلى طغرل بك سلطاناً عليهم فكتب إليهم الخليفة بالموافقة ، طلب من طغرل بك حضوره في بغداد لأنه فكر في الاستعانة بهم لحماية الخلافة العباسية من نفوذ البويهيين الذين عرفوا بعيلهم إلى الرفض . (٣)

ولما تمكن طغرل بك من السيطرة على الأجزاء الشرقية من العالم الإسلامي تاهب للمسير إلى بغداد في سنة ٤٤٧ هـ فدخلها بجيوشه واستقبل بها من قبل الخليفة استقبالاً عظيماً وأمر بالخطبة له في المساجد كما أمر أن ينقش اسمه على السكة ، وقد بادرت طغرل بك بعد دخوله لبغداد إلى القبض على الملك الرحيم آخر سلاطين البويهيين فألقاه في السجن حيث قضى نحبه في عام ٤٥٠ هـ وبه انتهت دولة آل بويه التي سيطرت على بغداد والخليفة العباسي لمدة قرن واحد وزيادة عانى فيها أهل السنة حتى الخلفاء العباسيون شيئاً كبيراً من ظلمهم وإيذائهم (٤)

وكان بنو العباس مع هذه الدولة الجديدة أحسن حالاً منهم مع بنى بويه الذين كانوا لا يكون للخلفاء العباسيين أي احترام أو محبة - وأما هؤلاء فلكونهم من السنين يحترمون الخلفاء تديناً وكانوا يعبرون لهم من مظاهر التعظيم والاجلال بما يناسب مكانتهم ومنزلتهم الدينية ولكن مع هذا استأثروا أنفسهم بالسطوة السياسية والسلطة التنفيذية فتمسكوا بها دون الخليفة ، فالخلافة لها قدسيته ومكانتها ولكنها لا يمكن لها أن تتدخل في الشؤون السياسية وإدارة الحكم . (٥)

(١) انظر: البداية والنهاية (٤٦/١٢) والكامل ١٥/٨ ، وسلاجقة العراق وايران

ص: ٢٨ .

(٢) انظر: سلاجقة العراق وايران: ٢٨ - ٢٩ . (٣) المصدر السابق: ٣١ - ٣٥

(٤) انظر: البداية والنهاية (٧١/١٢) والكامل (٨/٧٠ - ٧٢ ، ٨٧) وقد صرح

ابن كثير بأن مدة ولايتهم قريب المائة وعشرين سنين .

(٥) انظر: الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ١٢٦ - ١٢٨ .

وهكذا تمكنت الدولة السلجوقية من إرساء قواعدها ومن بث نفوذها وسيطرتها على أكثر أنحاء العالم الإسلامي ، وتعاقب عليها بعد طفول بكه أفراد هذه الأسرة فحكوا البلاد والعباد لمدة نصف قرن أو أكثر . بغاية من القوة والصرامة وكانوا يتصفون بأخلاق فاضلة وسيرة حسنة ولهم أعمال جميلة في إدارة الحكم والشئون السياسية واتسعت رقعة العالم الإسلامي في عهدهم اتساعاً ملحوظاً — ودخلت تحت سيطرتهم من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن (١) وحصلت في هذا العهد موقعة ملاذكرد (٢) الشهيرة التي انتصر فيها السلاجقة انتصاراً عظيماً وأسرف فيها امبراطور الروم أرومانوس (٣) إلى ان أصيبت هذه الدولة القوية في سنة واحدة وهي سنة ٤٨٥ هـ بموت سلطانها ملكشاه ووزيره العادل نظام الملك الطوسي الذي قام وراء كل الامجاد السلجوقية على مدى ثلاثين عاماً — فابتليت بمشاكلها الداخلية وكثرة النزاع بين افراد الأسرة وتعدد السلاطين ، ووقعت فيما بينهم معارك مما أدى إلى ضعفها واضمحلالها وانقسامها ثم أعقبها تقلص رقعتها ثم انهيارها نهائياً على يد الخوارزم في سنة ٥٩٠ هـ . (٤)

(١) البداية والنهاية (١٢/١٥١)

(٢) وقعت هذه الموقعة في سنة ٤٦٣ هـ

(٣) انظر: تاريخ دولة آل سلجوق للأصفهاني ص: ٣٧ - ٤١ ، وسلاجقة العراق وايران ٥٥ - ٥٨ .

(٤) انظر: سلاجقة العراق وايران ٨٣ وما بعدها ، ١٥٣ - ١٥٥ ) ، وانظره ايضا البداية والنهاية (١٣/١٠) .



## ١ لدولة الخوارزمية :

تنسب هذه الدولة الخوارزمية إلى مدينة خوارزم ، وهي تطلق على منطقة شاسعة تقع في الجنوب من نهر جيحون وشمال شرقي خراسان . (١) وتعاقبت على حكم إقليم خوارزم عدة أسرارهمها جميعاً أسرة أنوشتكين الذي كان في أول أمره عبداً تركياً اشتراه أحد أمراء السلاجقة من بلاد غرجستان ، ولكنه كان يتمتع من اللباقة والكفاءة بما فتح أمامه باب العترقي في عهد السلطان ملكشاه حتى عينه والياً على خوارزم ولقبه "خوارزم شاه" أي ملك خوارزم ، واحتفظ بهذا المنصب إلى أن توفي عام ٤٩٠ هـ (٢) وهو وإن لم يكن مؤسس الدولة الخوارزمية ولكنه وضع نواتها الأولى . وقد خلفه ابنه قطب الدين محمد في ولاية هذا الإقليم بعد وفاته وأخذ قطب الدين يبذل جهوداً كبيرة وسعياً متواصلاً في إدارة شئون الإقليم وقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها . (٣)

وحصل بذلك على مكانة مرموقة لدى سلاطين السلاجقة ولاسيما السلطان سنجر . وقد بقي قطب الدين تابعاً مخلصاً للدولة السلجوقية حتى وفاته في سنة ٥٢١ هـ ، ولم تتكلم المصادر بما يدل على تغيير نيته على أسياده السلاجقة .

ثم أسند السلطان سنجر ولاية خوارزم إلى علاء الدين اتسز بعد وفاة أبيه قطب الدين محمد ، وهو أيضاً بكفاءة الكاملة وحسن تدبيره في إدارة الحكم حظى بمنزلة عظيمة لدى السلطان سنجر حتى صحبه في بعض أسفاره وحروبه ، وقد ظل خوارزم شاه اتسز على وفاق دائم مع الدولة السلجوقية مدة ثمانى سنوات (٥٢١-٥٢٩) دون أن يفكر في محاربه أو الخروج عليه إلى أن جمع لديه من القوة ما يضاهاى قوة أسياده السلاجقة ولما اطمأن إلى قوته اتخذ سبيل التمرد والعصيان وسيلة للوصول إلى هدفه وهو الاستقلال التام عن السلاجقة ، فثار على السلطان سنجر في سنة ٥٢٩ هـ وشرع يضم المناطق المجاورة له إلى منطقة نفوذه ، وبدأ بذلك أول صدام عسكري بين السلاجقة والخوارزميين . (٤)

ثم خاض الطرفان في معارك عديدة في أغلبها كانت الكفة الراجحة إلى جانب السلطان سنجر غير أن اتسز كان داهية فكلما رأى رجحان كفة سنجر اعتذر له والتمس منه العفو واطهر له الطاعة والولاء ، وكان السلطان سنجر ساذجاً فكان يخدع بمكره وحيلته والأمرا الذي لم يتمكن منه السلطان سنجر هو القضاء التام على هذه الدولة الفتية فقد وقعت الحرب الأخيرة بين اتسز وسنجر سنة ٥٤٣ هـ . (٥) وانتهت بإقرار اتسز على خوارزم ، فرسخت أركان الدولة الخوارزمية ، وأخذت تظهر بقوة على المسرح السياسى (٦)

- (١) سيأتى التعريف بإقليم خوارزم عند ذكر نسبة الزمخشري .
- (٢) انظر: الدولة الخوارزمية للدكتور نافع العبود ص : ١٨
- (٣) انظر: الكامل ١٨٤/٨ والبداية والنهاية ١٦٤/١٢ ويعتبر ابن الأثير وابن كثير سنة ٤٩٠ هـ بداية لملك الخوارزمية ، ومحمد هذا أول ملوكهم .
- (٤) انظر: الدولة الخوارزمية ( ص : ٢٠ - ٢٢ ) .
- (٥) انظر: سلاجقة ايران والعراق ص : ١١٨ والدولة الخوارزمية ( ٢٢ - ٢٦ )
- (٦) المرجعين السابقين .

ويرجح بعض المؤرخين أن اعلان قيام الدولة الخوارزمية كان في سنة ٥٢٨ هـ حيث أعلن خوارزم شاه في هذه السنة استقلاله نهائياً عن السلاجقة بعد أن أخفق السلطان سنجر في القضاء عليه ، وصار للخوارزميين بعد هذا التاريخ كيان سياسي مستقل حيث انهم أخذوا في هذه السنة موافقة الخلافة العباسية على دولتهم وصيغوها بالصيغة الرسمية . (١)

ثم اخذت الدولة الخوارزمية في بناء صرح سلطانتها في الشرق كما حاولت بسط نفوذها على الاجزاء الأخرى من العالم الإسلامي وكانت الظروف مواتية للخوارزميين لتوسيع دولتهم فقد أخذ الضعف يدب في جسم الدولة السلجوقية بسبب عوامل كثيرة فسي مقدماتها انشغال سلاطينهم بالمنازعات والخسومات على السلطة وكان لذلك ولغيره من العوامل الكثيرة اثر بالغ في تثبيت الدولة الخوارزمية وتوسعها .

وبالنظر في هذا العرض التاريخي الموجز من الناحية السياسية يتضح لنا أن العصر الذي عاش فيه كل منهم كان عصرًا حافلاً بالأحداث والتطورات السياسية ولم تكن هذه الأحداث جديدة على الأمة الإسلامية بل كانت نتيجة لحوادث سابقة متعسدة ومتداخلة ظهرت مع الدولة العباسية منذ نشأتها وفي تلك الحقبة من الزمن حكمت البلدان الإسلامية في شتى بقاعها دويلات كانت تتقاسم أحياناً بالقوة وأحياناً بالضعف وتظهر على المسرح السياسي بين حين وآخر دولة جديدة كما تختفي منه دولة أخرى لسبب

وعلى هذا فقد كانت بداية حياة السمعاني والبغوي نهاية لدولة آل بويه التي سيطرت على الخلافة العباسية مدة قرن واحد وزيادة ، وعاصراً دولة السلاجقة في عهد النور ثم القوة والازدهار وتأخرت وفاة البغوي فرأى تغلغل الضعف في هذه الدولة وانقسامها وتعدد سلاطينها وكذلك عاش الزمخشري في عهد القوة والازدهار لدولة آل سلجوق ثم رأى ما آلت إليه هذه الدولة من وهن وضعف وانقسام كما أنه شاهد قيام دولة جديدة أخرى في خوارزم وما جاورها تعرف في التاريخ بالدولة الخوارزمية ثم ان السمعاني والبغوي قد تولى في حياتهما زمام الدولة السلجوقية عديد من السلاطين من بيت السلاجقة ولكن لم يعرف عنهما التقاؤهما بأحد منهم سوى ما حظى به السمعاني من المكانة عند بعض الولاة والوزراء مما مكّنه من التدريس في نظامية مرو ونيسابور وعلى العكس من ذلك نجد الزمخشري انه التقى بعديد من السلاطين والامراء والوزراء مدحهم بقصائد فمن أشهر الملوك الذين اتصل بهم الزمخشري محمد بن ابي الفتح ملك شاه السلجوقي ( ت : ٥١١ هـ ) اتصل به في اصفهان ومدحه في قصيدة منوّهاً بأفعاله وسجايه . (٢) وكذلك اتصل بالأمير الخوارزم شاه : محمد بن أنوشتكين ( ٤٩٠ - ٥٢٢ هـ ) حيث لقي عنده مكانة مرموقة ، ومدحه في قصيدة طويلة . (٣)

(١) الدولة الخوارزمية ( ص : ٢٧ ) .  
 (٢) انظر الزمخشري لغوياً ومفسراً .  
 (٣) المرجع السابق .

ثم احتفظ مكانته عند ابنه اتسر الذي حرر له كتاب مقدمة الأدب . وبالغ فيها فسي  
الثناء عليه . (١)

كما انه اتصل بنظام الملك الطوسي وقال في مدحه قصيدة (٢) واتصل بالأمير  
العلوي ابن وهاس بمكة وألف كتابه الكشاف على إشارة منه ، وقد نوه به في مقدمة  
تفسيره . (٣)

وهناك عديد من الولاة والأمراء الآخرين الذين اتصل بهم الزمخشري ومدحهم  
بقصائد ولا بد أن يكون قد نال بها مارجاه عندهم .

### الحالة الاجتماعية :

وأما الحالة الاجتماعية في عصرهم وفي كل العصور فهي تابعة للحالة السياسية  
فإذا ما استقرت الحالة السياسية استقرت الحالة الاجتماعية أيضاً وإذا أصيبت تلك  
بالفوضى والدمار أصيبت هذه أيضاً بالفوضى وعدم الاستقرار وقد سبق فيما مضى أن  
الحالة السياسية للعالم الإسلامي بصفة عامة كانت مضطربة إلى حد كبير في هذه  
الفترة من الزمن فلا يمكن لنا أن نتوقع حالة اجتماعية طيبة ثابتة ، إذ أدت تلك  
الأمور إلى اضطراب الحالة الاجتماعية في البلاد فأوجدت الرعب والفرع في قلوب  
الناس بحيث أصبح لا يطمئن أحد على نفسه وماله فالحروب دائماً تنهك البلاد وتقضى  
على مواردها الاقتصادية .

فما يصلحه هذا الأمير في بلده يقضى عليه الغازي ويدمره ومن أصدق الأدلة على  
ذلك هو ما يذكره ابن كثير من اختلال الحالة الاجتماعية عقب الحروب . وعلى سبيل  
المثال نجده يذكر في حوادث سنة ٤٣١ هـ أنه وقع بين الجنديين جلال الدولة  
شغب ، وقتل من الفريقين خلق ، وجرت شرور يطول ذكرها ، ووقع فساد عريض  
واتسع الخرق على الراقع ، ونهبت دور كثيرة جداً . ولم يبق للملك عندهم حرمة  
وغلت الاسعار (٤) هكذا كانت الحال في عاصمة الخلافة " بغداد " فما بالك عن  
المدن الأخرى ولكن يبدو أن الجزء الشرقي من العالم الإسلامي حيث كانت عاصمة  
الدولة السلجوقية والموطن الأصلي للمفسرين الثلاثة واصلت فيه مظاهر الحياة  
الاجتماعية سيرها الطبيعي بعد تسلم السلاجقة مقاليد الأمور في إيران والعراق  
وقد اعترف بذلك الدكتور / عبد المنعم حسنين (٥) ويؤيده ما وصف به ابن كثير

(١) الزمخشري لغوياً ومفسراً : ص : ٢٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر: مقدمة الكشاف : ٣/١ وأيضا المرجع السابق : ٢٦

(٤) البداية والنهاية : ( ١٢ / ٥٠ ) .

(٥) سلاجقة ايران والعراق : ص : ١٨٦

بعض الحكومات السلجوقية . (١) إلا أنه لم يتمكن السلاجقة ولا غيرهم من القضاء على ما وحد منذ فترة سابقة من الزمن من عدم التوازن بين أفراد الأسرة المالكة والمقربين لهم من أصحاب الوظائف المختلفة في البلاط وبين أفراد الشعب . فتلك طبقة تعيش في ترف مفرط وعيش رغيد يفوق كل الخيالات والتصورات وهذه طبقة تعاني من الفقر المدقع ، لاتجد في بعض الأحيان ما تسد به رمقها . (٢)

وما يلاحظ في هذه الفترة كثرة المنازعات والخلافات بين الفرق الإسلامية والمذاهب المختلفة ، وذلك يوحي بما كانت تنطوي عليه قلوب الناس من الحقد والبغض والتعصب ضد خصومهم فكانت الخلافات متواصلة بين أهل السنة والشيعة فحاضوا في معارك راح ضحيتها مئات من الناس . (٣)

وكذلك أهل السنة مختلفون فيما بينهم حيث كانت تشب نيران الخلاف بين مذاهبهم المختلفة لاسيما مذهب الشافعية ومذهب الحنفية (٤) إلا أن هذا العصر يمتاز بأنه انتصر فيه أهل السنة انتصاراً ملحوظاً وانتعش فيه المذهب السني بعد أن اضطهد لمدّة قرن وزيادة وذلك بفضل وقوف السلاجقة إلى جانبهم وكانوا يتمسكون بالمذهب السني تمسكاً شديداً مما جعله ينتصر على بقية المذاهب الأخرى من الشيعة والمعتزلة ورغم ذلك فقد كانت الشيعة لهم قوة تهدد كيان الدولة السلجوقية كما أن الاعتزال بقى في بعض المناطق سائداً منها منطقة خوارزم حيث كانت مرتعاً خصباً بالنسبة له ويعبده

(١) وصف ابن كثير حكومة الب أرسلان بقوله : صاحب الممالك المتسعة . . . وكان عادلاً يسير في الناس سيرة حسنة كريماً رحيماً . . . ولا يعرف في زمانه جنائية ولا مصادرة البداية والنهاية (١١٤/١٢) .

ووصف حكومة ابي الفتح ملكشاه فقال : وكانت دولته صارمة والطرق في أمان آمنة وكان مع عظمته يقف للمسكين والضعيف والمرأة فيقضى حوائجهم . . . وأسقط المكوس والضرائب ، وله أفعال حسنة " البداية والنهاية (١٥١/١٢)

(٢) ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٤٤٨ هـ قصة زواج الخليفة مع بنت اخي السلطان طغرل بك ، أفاض عليها الخليفة ليلة الزفاف خلعة سنية وتاجاً من جوهر ثمين وأعطاها من الغد مائة ثوب ديباجا وقصبات من ذهب وطاسة ذهب قد نبت فيها الجواهر والياقوت والفيروز ، هذا بالإضافة إلى ما أعطاها في الصداق من الآلاف المؤلفة ثم ذكر بعده الحالة الاجتماعية لأفراد الشعب وهي في غاية من السوء والفساد إذ قال : " وفيها رجح غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بنغير غسل ولا تكفين وغلت الأشرية وما تحتاج إليه المرضى كثيراً " البداية والنهاية (٧٢/١٢ - ٧٣) فانظر إلى هذا الفرق الشاسع بين الطبقتين ومن هنا نرى أن السمعاني خرج في سبيل طلب العلم وليس عنده إلا درهم واحد يعطيه لزميله قائلاً : خذ هذا الدرهم ولا تطلب مني بعد ذلك شيئاً

والبغوى كان لا يأكل إلا الخبز وحده فلما عدل في ذلك صار يأكله بالزيت والزمخشري كان يطرق أبواب السلاطين والأمراء والوزراء يمدحهم بقصائد ويرسم لهم بعض مؤلفاته ولا يفعل مثل ذلك إلا من يرجو شيئاً مما في أيديهم من الجساء والمال وغيرهما ، وقد كان من الطبقة التي تعاني الفقر والبؤس . انظر : الزمخشري لغويا ومفسراً : (٣٧)

(٣) انظر : المعارك التي وقعت بينهم في البداية والنهاية (٥٨/١٢ ، ٦٣ ، ٦٩) على سبيل المثال

(٤) من الأمثلة على ذلك هو ما حدث عقب تحول السمعاني إلى مذهب الشافعي من فتن عظيمة وسيأتي ذكرها مفصلة .

الزمخشري من فضائلها فيقول : رأس فضائل خوارزم هو ما رزقته من المذهب السني  
مذهب أهل العدل والتوحيد . (١)

### الحركة العلمية :

فقد كانت الحركة العلمية في القرن الخامس امتداداً لما بدأ في القرون السابقة  
من نشاط ولم تتأثر أدنى تأثراً بصيت به الحالة السياسية من الفوضى والبلابل  
بل كانت عجلتها مدفوعة دائماً إلى الأمام ولا سيما وجد في هذه الآونة من السلاطين  
والأمراء والوزراء من قام بدفع عجلتها إلى الأمام واعتنى برعاية الحركة العلمية اعتناءً  
كاملاً . فنرى نظام الملك الطوسي الذي اشتغل بمنصب الوزارة في الدولة السلجوقية  
على مدى ثلاثين عاماً قد قام على أن من السلطان بإنشاء العديد من المدارس على  
غرار الجامعات العصرية . وهي تعرف بالمدارس النظامية . فبنى في كل من بغداد  
ونيسابور وأصفهان ومرو - بلد السمعاني - والبصرة والموصل ، وهراة وغيرها من المدن  
هذه المدارس النظامية . (٢)

ثم إنه لم يقتصر على بناء المدارس بل كان يتولى اختيار المدرسين من ذوى الكفاءة التامة  
والخبرات الجيدة للتدريس فيها وأوقف لكل مدرسة منها من الأوقاف ما يكفي ريعه  
لتغطية النفقات اللازمة ثم إنه أجرى على طلاب العلم جرايات مما جعل هؤلاء يتفرغون  
لطلب العلم دون أن يفكروا في كسب المعيشة .  
وفي هذا خدمة جليلة للعلم وطلبته ، يقول السبكي : " وقد أدركت فكري ، وغلب على  
ظني أن نظام الملك أول من قدّر المعاليم للطلبة فإنه لم يتضح لي ، هل كانت  
المدارس قبله بمعاليم للطلبة أو لا ؟ والأظهر أنه لم يكن لهم معلوم . (٣)

فكان لهذه المدارس وغيرها من المدارس الأخرى أثر بالغ في تنشيط الحركة العلمية  
لا سيما يختار لها خيار المدرسين .

ثم إن مجالسه كانت معمورة بالعلماء والزهاد والأئمة فيقول الذهبي : عامر المجلس بالقراء  
والفقهاء " . (٤)

وقال ابن كثير : " وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والعلماء بحيث يقضى معهم غالب نهـاره  
فقليل له : إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة  
فلو اجلستهم على رأسي لما استكثرت بذلك " . (٥)

والى جانب هذه المدارس كانت المساجد أيضاً في هذا العصر وقبله مراكز إشعاع  
علمي تضم آفاقاً من الناس في حلقات الدروس حيث كان يدرس فيها العلوم الدينية ويفيد

(١) الباب التاسع من ربيع الأبرار نقلاً عن الزمخشري لغويًا ومفسراً ( ص : ٣٥ )  
(٢) انظر : طبقات السبكي ١٣٧ / ٣ وأيضاً سير أعلام النبلاء ٩٤ / ١٩  
(٣) المصدر السابق . وأيضاً سير أعلام النبلاء ٩٤ / ١٩ ، ونظراً لأهمية هذه النظاميات  
فقد خصصها الباحثون بالبحث والدراسة إذا أردت التفصيل عنها فانظر مقدمة  
أبي دجانة ( ص : ٦٥ ) .

(٤) سير أعلام النبلاء ٩٤ / ١٩ .

(٥) البداية والنهاية ( ١٤٩ / ١٢ ) .

إليها كما يفتد إلى المدارس النظامية طلاب العلم من جميع انحاء العالم يطلب العلم والمعرفة .

ثم ان لدور الكتب والمكتبات العامة أثراً بالغاً في تنشيط الحركة العلمية فسي هذا العصر الذي زخر بعدد هائل من المكتبات التي تحتوى على كمية كبيرة من الكتب القيمة ففى مرو وحدها عشر خزائن ، كما يقول ياقوت الحموى ويصفها بقوله :  
(١) ار فى الدنيا مثلها كثرة وجوده ثم عدد هذه المكتبات من بينها خزانتان للسمعانيين .

وكان الخوارزميون أيضا على الرغم من انشغالهم بمشاكلهم الداخلية والخارجية يعنون عناية كبيرة بتشجيع الحركة العلمية فأسسوا المدارس فى مدنهم المختلفة يقوم فيها بالتدريس كبار الادباء والفقهاء فى الدولة — كما أنهم أسسوا فى مدينة خوارزم دوراً متعددة للكتب . (٢)

ولم تقتصر الحركة العلمية فى هذا العصر على العلوم الدينية فقط بل كان هناك نشاط بارز فى علوم أخرى من اللغة والأدب والفلك ، والتاريخ ، والجغرافيا ، وغيرها من العلوم — ويدل على ذلك وجود عدد كبير من اصحاب هذه العلوم المختلفة فى هذا العصر والمؤلفات التي الفت فيها . (٣)

وبهذا يمكن لنا أن نقول ان هوءلاء الثلاثة عاشوا فى فترة من الزمن كانت فيها الحركة العلمية بمختلف أنواعها فى أوج النشاط والازدهار — فلا بد أن يكون لها تأثير لبناء شخصيتهم وصولهم إلى درجتهم العلمية وبيدولى — والله اعلم بالصواب — أن السمعاني انعكست عليه آثار البيئة التي عاش فيها سلبياً مائة فى المائة لأنه رأيناه ولد فى بيت عرف بأنه أعظم البيوت جاها ومرتبة حيث كان والده يعتبر من وجوه المشايخ وأفاضلهم فى مرو — وشغل منصب القضاء — ومع ذلك لم يعرف عنه انه قبل الجاه

(١) معجم البلدان : ( ١١٤ / ٥ ) .

(٢) تاريخ الدولة الخوارزمية لحافظ أحمد حمدى ( ص : ٩٠ ) نقلاً عن كتاب الزمخشري لغويا ومفسرا ( ص : ٤٦ ) .

(٣) راجع ما كتبه الدكتور/ عبد المنعم حسنين فى كتابه سلاجقة العراق وايران : ص ١٨٢ — ١٩١ ) ومرضى آية الله زاده فى كتابه الزمخشري لغويا ومفسرا : ص ٥٠ — ٧٠ وعفاف فى كتابها البغوى ومنهجه فى التفسير ( ص : ٢٤ — ٢٥ ) .  
والدكتور/ ابو دجانه فى مقدمته على تفسير السمعاني ( ص : ٥٨ — ٩٠ ) .

والمال من السلاطين سوى التدريس في نظامية مرو ونيسابور، وعرف عنه انه خرج في سبيل العلم وليس عنده إلا درهم واحد - هذا من جهة، ومن جهة أخرى ولد في أسرة أكثر أفرادها من أعلام الأحناف ومع هذا ترك المذهب الحنفي وتحول شافعيًا ولم يكثر ثبعا أحدث ذلك من الضجة والفتن . ثم انه عاش في وسط الأشاعرة ودرس في مدارسهم (١) ولكنه لم يأخذ بعقيدتهم بل كان على عقيدة السلف .

وأما البغوي فكان شافعيًا واختياره للمذهب الشافعي جاء بحكم البيئة التي نشأ فيها . والعلماء الذين تلقى عنهم ودرس عليهم الفقه . (٢)

وأما كونه من أهل الزهد والتقشف فلعله جاء نتيجة لما كانت عليه أسرته من الناحية الاجتماعية لأن والده كان يشتغل بصنع الفراء ومثله لا يمكن أن يعيش في ترف . وأما تسكه بعقيدة السلف فهذا خالف فيه أهل عصره لأنه عاش في عصر انتشرت فيه العقيدة الأشعرية انتشاراً كبيراً حيث صارت هي عقيدة السلف وعقيدة أهل السنة في نظر كثير من الناس .

وأما الزمخشري فهو أيضاً تأثر ببيئته التي عاش فيها حيث انعكست آثارها ايجابياً لأنه ولد في منطقة كان الاعتزال فيها منتشراً فتمسك بعقيدة الاعتزال وصار يعتزب بها .

---

(١) هي المدارس النظامية التي بناها نظام الملك وكان شافعيًا اشعريًا كما قال فيه الذهبي في سير اعلام النبلاء (١٩/١٦٦) وقد خصص هذه المدارس لدراسة الفقه الشافعي والعقيدة الأشعرية، وكان من كبار مدرسيها أمثال الجويني والغزالي من أصحاب العقيدة الأشعرية . انظر: سلاجقة ايران والعراق : ص ١٨٨ .

(٢) هكذا قرره السيد عفاف في كتابها البغوي ومنهجه في التفسير ص ٢٨

— ( بسم الله الرحمن الرحيم ) —

\*\*\* الفصل الأول \*\*\*

— ( ترجمة الامام السمعاني ) —

اسمه ونسبه :

هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله بن عبد المجيد السمعاني (١)

كنيته وشهرته :

أبو المظفر ابن أبي منصور، المعروف بابن السمعاني (٢) وأبى المظفر السمعاني . (٣)

نسبه :

المَرَوَزي ، السَّمْعَانِيّ التَّمِيْمِيّ الحَنَفِيّ ثمّ الشَّافِعِيّ (٤) أما المَرَوَزيّ : فهو نسبة إلى بلده مَرُوّ الشَّاهِجَان .

قال ياقوت الحمويّ : وهي أشهر مدن خراسان وقصبتها . (٥) والنسبة إليها مَرَوَزيّ على غير قياس، والثوب مَرَوِيّ على القياس . (٦)

قال ابن منظور : النسب إليها مَرَوِيّ ومَرَوِيّ ، ومَرَوَزيّ الأخيرتان من نادر معدول النسب . (٧)

والمَرَوُفيّ اللغة : هي حجارة بيضٌ بَرّاقَةٌ تكون فيها النار وتقدح منها النار، واحدها مَرَوَةٌ . (٨)

قال ياقوت الحمويّ : أما لفظ مرو بالعربية : الحجارة البيض التي يُقَدِّحُ بها إلا أن هذا عربيّ ، و " مَرَو " مازالت عجمية .

أما الشاه جان فهي فارسية معناها نفس السلطان لأن الجان هي النفس أو الروح ، والشاه هو السلطان ، سميت بذلك لجلالتها عندهم . (٩)

(١) انظر: الانساب ٢٢٢/٧ ، التحجير ٢١٦/١ ، سير أعلام النبلاء : (١١٤ / ١٩) طبقات الشافعية للسبكي ( ٢١/٤ ، ١٨٦ ) .

(٢) انظر: طبقات السبكي ( ٢١/٤ ) شذرات الذهب ( ٣٩٣/٣ ) .

(٣) شذرات الذهب ٣٩٣/٣ ، الفتح المبيّن ( ٢٦٦/١ ) .

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء : ( ١١٤ / ١٩ ) .

(٥) معجم البلدان ١١٢/٥ ، وانظر أيضا مراد الاطلاع ١٦٢/٣ ، آثار البلاد للقرظينيّ : ٤٥٦

(٦) انظر: الصحاح للجوهريّ : ( ٢٤٩١/٦ ) . (٧) لسان العرب : ( ٢٧٦/١٥ )

(٨) المصدر السابق ( ٢٧٥/١٥ ) .

(٩) معجم البلدان : ( ١١٣/٥ ) .



وقد أخرجت مرو الشاهجان علماء كبار ومحدثين عظام قد بذلوا في سبيل خدمة الإسلام والعلم الغالي والنفيس منهم الإمام المجل أحمد بن محمد بن حنبل وسفيان الثوري ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم . وهناك مدينة أخرى تسمى بـ " مَرُو الرُّود " والروذ بالفارسية النهر ، بينهما وبين مرو الشاهجان خمسة أيام ، وهي على نهر عظيم ، فلهذا سميت بها ، وهي صغيرة بالنسبة إلى مرو الشاهجان ، خرج منها خلق من أهل الفضل ، ينسبون مَرُو رُوذِيَّ ، ومَرُوذِيَّ ، منها أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح صاحب أحمد بن حنبل (١) وأما السمعاني والتميمي فنسبته إلى سَمعان وتميم . وسمعان - بفتح السين ويجوز كسرهما (٢) - بطن من تميم . قال أبو سعد : هكذا سمعت سلفي يذكرون ذلك . (٣)

وتميم قبيلة عربية انجبت أمراء وقواد ، منها الأحنف بن قيس سيد تميم الذي فتح مرو الروذ ، والأقرع بن حابس الذي وجهه الأحنف بن قيس إلى جوزجان ففتحها . (٤)

ولم أجد أحداً من المترجمين له أو لغيره من أبناء هذه الأسرة تعرض لذكر النسب وإيصاله إلى سمعان أو تميم . وكيف يمكن الوصول إليه وقد قال أبو سعد في كتابه المعروف : " الأنساب " أثناء ذكره للسمعاني : هكذا سمعت سلفي يذكرون ذلك أي أنها بطن من تميم ، وهذا على فرض صحته يدل على أن السمعانيين ينحدرون من أصل عربي .

ولادته :

ولد أبو المظفر السمعاني في ذي الحجة سنة ست وعشرين وأربع مائة بمدينية مرو الشاهجان . (٥)

أسرته ومكانتها :

ينتسب الإمام أبو المظفر إلى سمعان التي هي بطن من تميم القبيلة العربية العريقة المشهورة برجالها وقوادها . وهوؤلاء السمعانيون لهم دور كبير في نهضة البلاد التي سكوها وارتقاها علماء وأدباء ، فإنهم كانوا حائزين لحظ وافر من علوم الكتاب والسنة . بل كانوا من أساطين العلوم الإسلامية وروادها . ولذلك نرى محمود الخوارزمي في ترجمة أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني يثنى على هذا

(١) معجم البلدان / لياقوت الحموي (١١٢/٥) .  
(٢) انظر: وفيات الأعيان (٢١١/٣) وطبقات الشافعية للأسنوي : (٣٠/٢) .  
(٣) الأنساب (٢٢٢/٧) وانظر أيضا : شذرات الذهب (٣٩٣/٣) والوافي بالوفيات (٢١٤/٣) وطبقات الأسنوي (٣٠/٢) .

(٤) انظر: معجم البلدان (١٨٢/٢) .

(٥) انظر: الأنساب (٢٢٥/٧) ، طبقات الشافعية (٢١/٤) سير أعلام النبلاء : (١١٤/١٩) .

البيت بقوله : " بيته أرفع بيت في بلاد الإسلام وأعظمه وأقدمه في العلوم الشرعية والامور الدينية ، وأسلاف هذا البيت واخلافه قدوة العلماء واسوة الفضلاء ، الإمامة مدفوعة إليهم ، والرياسة موقوفه عليهم ، تقدموا على أئمة زمانهم في الآفاق بالاستحقاق وترأسوا عليهم بالفضل والفق لا بالبذل والوقاحة " (١)

وقد اعترف بذلك أيضا عبد الغافر في تاريخه فوصف بيته - كما نقل عنه الذهبي - بأنه بيت العلم والزهد . (٢)

ولمعرفة مدى صحة هذا الكلام إذا نظرنا في كتب التراجم وجدناها حافلة بتراجم الكثير ممن ينتسبون إلى سمعان ، وهم من أهل العلم ولا يعرف بالضبط أول من اشتغل بالعلم من هذه الأسرة العظيمة ، وقد ذكر ذلك أبو سعد السمعاني أثناء تعريفه بالسمعاني إلا أنه يوجد بياض في الكتاب في موضع الاسم . فإنه قال :

" فأول من حدث من سلفنا . . . . ثم القاضي الإمام أبو منصور محمد بن عبد الجبار بن أحمد . . . . الخ . (٣)

وقد عرف بالعلم والمعرفة من بيت السمعاني والد المترجم له القاضي أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني الفقيه الحنفي وكان على القضاء . توفي سنة خمس مائة وأربع مائة . (٤)

واخو المترجم له أبو القاسم علي بن محمد السمعاني وكان بينه وبين أخيه أبي المظفر مكاتبات فقد كتب إليه أبو القاسم حينما انتقل إلى مذهب الشافعي فقال : خالفت مذهب الوالد وانتقلت عن مذهبه ، فكتب كتاباً إلى أخيه وقال : ما تركت المذهب الذي كان عليه والدي رحمه الله في الأصول بل انتقلت من مذهب القدرية ، فإن أهل مرو صاروا في أصول اعتقادهم إلى رأي أهل القدر ، وصنف كتاباً يزيد على عشرين جزءاً في الرد على القدرية وأهداه إليه فرضى عنه وطاب قلبه " (٥)

(١) انظر: طبقات الشافعية ٤ / ٢٥٩ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء : ١٩ / ١١٥ .

(٣) الأنساب ٧ / ٢٢٢ قد يكون هذا البياض من المؤلف نفسه أو من أحد النسخ .

(٤) انظر: ترجمته في الأنساب ٧ / ٢٢٢ ، العبير ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ، شذرات الذهب

٣ / ٢٨٢ ، الجواهر المضيئة ٢ / ٢٦٧ .

(٥) الأنساب : ( ٧ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ) .

وقد عرفنا مما سبق أن أبا المظفر السمعاني ولد في أسرة علمية عريقة في العلم والمعرفة والصلاح ، ولها مكانتها المرموقة عند الناس كما وجد فيها من تولى مناصب حكومية من القضاء وغيره . فكان ولا بد أن تكون نشأته وتربيته في جو علمي خالص يسوده الشوق والرغبة في طلب لعلم والمعرفة إلى جانب الصلاح والتقوى وسمو الأخلاق مما يجعله هو وأمثاله يكب على طلب العلم بالجد والاجتهاد لأنه يقال إن الإنسان يتأثر إلى حد بعيد بالبيئة التي يعيش فيها فما يوجد في البيئة المحيطة به من تيارات مختلفة سياسية كانت أو اجتماعية ، دينية كانت أو ثقافية فكل ذلك مؤثر في تكوين شخصيته وبنائها مباشرة أو غير مباشرة . فولادة الإمام أبي المظفر السمعاني في بيت السمعانيين المعروف بسيادته العلمية في العلوم الإسلامية من الحديث والفقه والتفسير وغيرها كان لها أثر بالغ في طلبه للعلم وانكبابه عليه . هذا بالإضافة إلى ما وجد من والده من رعاية حسنة وعناية فائقة . حيث أنه اعتنقه - وكان من أهل العلم والمعرفة - بولده تمام الاعتناء ورباه فأحسن تربيته درسه الفقه واسمعه الحديث .

قال السبكي : سمع الحديث في صغره وكبره سمع أباه وأبا غانم أحمد بن علي بن الحسين الكراعي ( ت : ٤٤٤ هـ ) ( ١ ) وهو أكبر شيخ له . ( ٢ )

وقال صاحب المنتخب : " نشأ في التعليم ودرس الفقه على أبيه وتخرج فيه وصار من الفحول " . ( ٣ )

وهو بنفسه جد واجتهد في طلب العلم حتى ظهرت عليه آثار النبوغ وأخذ العلم عن والده وغيره من علماء خراسان فبرع في جميع العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وأصول وعقيدة والف مؤلفات عظيمة تدل على تحضره ورسوخه فيها .

وأصبح بعد ذلك مفتي خراسان ومن العلماء البارزين الذين نبغوا على أقرانهم وقد ساعده على نبوغه ما آتاه الله تعالى من قوة الحفظ والذكاء التام . حيث أنه لا ينسى شيئاً حفظه كما يقول هو بنفسه تحدثاً بنعمة الله تعالى : ما حَفِظْتُ شيئاً فنسيته " ( ٤ )

فكان لذلك ولنضوج الحركة العلمية في مدينة مرو ، وخاصة لجو الأسرة التي نشأ فيها حيث توجد توجيهات أبيه السديدة وحرصه على أولاده الأثر الكبير على أبي المظفر السمعاني في تحصيله العلمي وتقدمه في المعرفة .

( ١ ) طبقات الشافعية للسبكي ( ٢١ / ٤ ) .

( ٢ ) سير اعلام النبلاء : ( ١١٥ / ١١ ) .

( ٣ ) المنتخب من السياق الورقة ( ١٣٠ ) وانظر : ايضاً سير اعلام النبلاء : ١١٥ / ١٩ .

( ٤ ) انظر سير اعلام النبلاء ١١٩ / ١٩ ، والبداية والنهاية ١٢ / ١٢٤ ، وطبقات

الشافعية للسبكي : ٢٥ / ٤ .

كما اشتهر بالعلم الأجيال القادمة من أبناء وأحفاد الأخوين الشقيقين ابي القاسم و ابي المظفر .

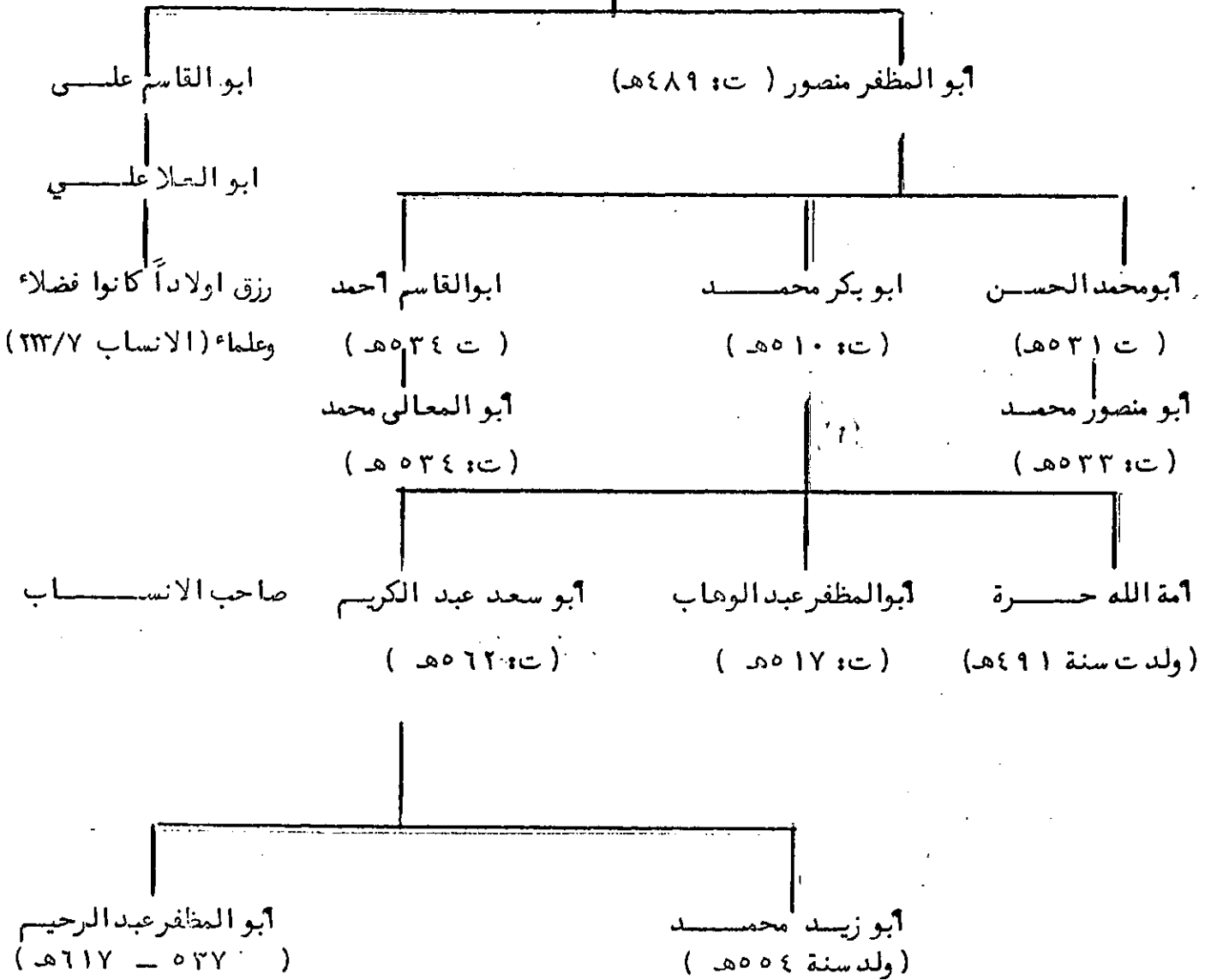
فمن اولاد ابي القاسم ابو العلا على بن على السمعاني الذي تفقه على عمه ابي المظفر السمعاني . (١) ورزق ابو العلا هذا عدة اولاد كانوا فضلاء وعلماء (٢)

ومن ابناء ابي المظفر أبو بكر محمد (٣) وأبو محمد الحسن (٤) و ابي القاسم أحمد (٥) ولهم أيضا من الاولاد والأحفاد من عرفوا بالمعرفة والصالح وهو لاء كلهم من الأئمة الأعلام والعلماء الكبار تولوا مناصب عالية وقد موا للإسلام خدمات جليلة والفوا كتباً نافعة .

وفيما يلي نرسم خريطة لشجرة أبناء وأحفاد عبد الجبار بن أحمد وهي تقرب إلى الأدهان ما كان لهذه الأسرة من المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة بسبب بقاء العلم والمعرفة فيها

لمدة غير يسيرة . عبد الجبار بن أحمد

محمد بن عبد الجبار ( ت : ٤٥٠ هـ )



- (١) الأنساب : ( ٢٢٣ / ٧ ) . جاء اسمه في طبقات الشافعية للسبكي (غالي بن على )
- (٢) المصدر السابق : ( ٢٢٣ / ٧ ) .
- (٣) انظر: ترجمته في الأنساب ( ٢٢٦ / ٧ - ٢٢٧ ) سير اعلام النبلاء : ٢٧١ / ١٩ - ٣٧٣ . طبقات الشافعية ١٨٦ / ٤ - ١٨٩ .
- (٤) انظر ترجمته في الأنساب ( ٢٢٩ / ٧ ) وطبقات الشافعية ( ٥٦ / ٤ )
- (٥) انظر: ترجمته في الأنساب ( ٢٢٩ / ٧ ) وطبقات الشافعية ( ٥٦ / ٤ ) .

جرت عادة أسلافنا من المحدثين والعلماء أنهم بعد الأخذ عن علماء بلدهم يرتحلون إلى المراكز العلمية في البلدان الإسلامية الأخرى لتلقى العلوم من علماءها لكي يبلغوا إلى الكمال في المعرفة ويستوعبوا علماً جماً بكثرة الأخذ عن الشيخ .

وللرحلات عدة فوائد علمية ليس هذا محلاً لذكرها جميعاً . ومن أهمها : اتساع الثقافة العامة وتنمية الفضائل والكمالات والتمكن من الجوانب العلمية ونشر العلم وكسب الصداقات والتعرف على العلماء . (١) فانطلاقاً من هذا المبدأ واتباعاً بطريقة السلف ونظراً إلى أهمية الرحلات العلمية لقد إهتم بها أبو المظفر السمعاني ، حيث أخذ أولاً عن علماء بلده كآبي غانم الكراعي الخراساني حافظ خراسان ومسندها ونبغ في مذهب الحنفية وصار مقدماً فيهم على يد أبيه<sup>(٢)</sup> ثم خرج بعد ذلك من مرو وجمال في عدة بلدان إسلامية يجتمع فيها بالعلماء والفقهاء ويأخذ عنهم ويستفيد من علومهم ويفيدهم بما لديه من معارف ولا يقتصر الأمر على هذا بل كان يناقشهم وينظرهم في المسائل . وليس هناك ما نستطيع به تحديد السنة التي بدأ فيها رحلته لأن المصادر التي بين أيدينا سكتت عن ذلك ، إلا أننا نقدر فيها فنقول إنه بدأ رحلته من سنة ٤٦١ هـ وهي السنة التي دخل فيها في بغداد وناظر بها الفقهاء فجرت بينه وبين أبي نصر بن الصباغ مناظرة أجاد فيها الكلام واجتمع بأبي إسحاق الشيرازي وهو إذ ذاك حنفي<sup>(٣)</sup> ويفهم منه

(١) انظره مقدمة نور الدين عثر على كتاب الرحلة في طلب الحديث للبغدادي  
صفحة : ٢٤ - ٢٧ .

(٢) انظره سير اعلام النبلاء : ( ١١٥ / ١٩ ) .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ( ٢١ / ٤ ) هكذا ذكر السبكي أن التقاءه بأبي نصر بن الصباغ وأبي إسحاق الشيرازي كان في أيام حنفيته ويبدو مما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ( ١٦٤ / ١٢ ) أنه انتقل إلى مذهب الشافعي ثم التقى بهما

أن بغداد هي أولى مدينة ارتحل إليها واجتمع بعلمائها وسمع بها عبد الصمد ابن المأمون وأبا الحسين بن المهتدي ، ويكر بن محمد بن حميد النيسابوري وطبقتهم (١)

ثم خرج إلى الحجاز على غير الطريق المعتاد لأن الطريق كان قد انقطع بسبب استيلاء العرب فقطع عليه وعلى رفيقه الطريق وأسروا واستمر ما سورا في أيدي عـرب البادية إلى أن خلصه الله تعالى (٢)  
وحكى الذهبي هذه القصة على لسانه فقال :

" كان يقول - أي ابو المظفر - أسرونا فكنت أرى جمالهم فاتفق أن أميرهم أراد أن يزوجه بنته فقالوا : نحتاج أن نرحل إلى الحضرة لأجل من يعقد لنا فقال رجل منا : هذا الذي يرضى جمالكم فقيه خراسان فسألوني عن أشياء فأجبتهم وكلمتهم بالعربية فدخلوا واعتدروا ، فعقدت لهم العقد ، وقلت الخطبة ، وفرحوا . وسألوني أن أقبل منهم شيئاً ، فامتعت فحطوني إلى مكة وسط العام " . (٣)

وكانت هذه الرحلة بالنسبة لابي المظفر السمعاني نقطة تحول في حياته حيث أنه ترك طريقته التي ورثها عن أبيه وناظر عليها ثلاثين سنة فانتقل من مذهب أبي حنيفة وتحول شافعيًا . (٤)

وقال ابو سعد السمعاني فانتقل بالحجاز في سنة اثنتين وستين وأربعمائة إلى مذهب الشافعي رحمه الله . (٥)

ولم تعرف على وجه التحديد مدة بقاءه في مكة وقد قال السبكي : ثم لما قضى أبو المظفر حجه واتم نسكه بها عاد إلى خراسان " (٦) وهنا يوحى بأنه بقى في مكة مدة تقارب نصف عام . لأنه كما سبق حمل إليها في وسط السنة فبقى بها مجاوراً إلى أن دخل موسم الحج ، فحج واتم نسكه ثم سافر منها .

وأما الذين التقى بهم في مكة فمنهم أحمد بن أسد بن أحمد بن باذل الكوجي ابو العباس ( المتوفى بعد ٤٦٠ هـ ) وكان قد نزل عنده . (٧)

(٥) فأخذ عنهما . ما ذكره السبكي هو الأولى لكونه قد ناظر ابن الصباغ ، وأن رحلته إلى بغداد كانت سنة ٤٦١ هـ وانتقاله إلى مذهب الشافعي سنة ٤٦٢ هـ جريسة بالحجاز كما صرح به حفيده ثم لا يستبعد رجوعه إليهما مرة ثانية بعد انتقاله إلى مذهب الشافعي .

- (١) طبقات الشافعية لابن شهبه ٣٠٠/١ - ٣٠١ .  
(٢) هكذا ذكر السبكي رحلته إلى الحجاز مما يدل على أنه سافر إلى بغداد وإلى الحجاز في رحلة واحدة دون رجوع إلى بلده . ولكن ذكر الذهبي عن ابي سعد أنه قال : سمعت من يحكى عن رفيق جدى في الحج حسين بن حسن قال : أكثرنا حمارة ، ركب الإمام ابو المظفر إلى خرق ، وبينها وبين مرو ثلاثة فراسخ فنزلنا وقلت : ما معنا إلا ابريق خرف ، فلو اشترينا آخر ؟ فأخرج خمسة دراهم ، وقال : يا حسين : ليس معنى إلا هذه خذ واشتر ، ولا تطلب بعدها منى شيئاً . قال فخرجنا على التجريد ، وفتح الله لنا " سير اعلام النبلاء : ١١٧/١٩ .  
وهي في نظري توحى بأن خروجه للحج كان من مرو ، إلا إذا كان قد قصده مروراً ببغداد ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابو سعد من وجوده - أي ابي المظفر - بالحجاز في سنة ٤٦٢ هـ ( الانساب ٢٢٤/٧ ) وقد سبق أن دخوله في بغداد كان سنة ٤٦١ هـ وبقي مدة في الأسر وحمل إلى مكة في وسط العام فكل ذلك يؤكد انه سافر إلى بغداد والحجاز في رحلة واحدة .

- (٣) سير اعلام النبلاء ١١٥/١٩ ، وانظر القصة ايضاً في طبقات الشافعية للسبكي ٢١/٤  
(٤) انظر : سير اعلام النبلاء : ١١٦/١٩ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٢٢/٤ .  
(٥) الانساب : ٢٢٤/٧ . (٦) طبقات الشافعية للسبكي : ٢٢/٤ .  
(٧) المصدر السابق .

وأبو القاسم سعد بن علي الزنجاني ( ت : ٤٧٠هـ ) وهو الذي بسعيه تم انتقال  
السمعاني من مذهب الحنفية إلى مذهب الشافعية . ( ١ )  
وكريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المرورية أم الكرام ( ت : ٤٦٣هـ ) ( ٢ ) ، وهياج  
ابن عبيد بن الحسين الحطيني أبو محمد فقيه الحرم ( ت : ٤٧٢هـ ) ( ٣ )  
وأبو علي الشافعي الحسن بن عبد الرحمن الحناط المكي ( ت : ٤٧٤هـ ) ( ٤ )

وهذه هي المرحلة الأولى من رحلاته ويبدو أنه زار خلال هذه الرحلة مدناً أخرى  
لأنها امتدت من سنة ٤٦١هـ إلى سنة ٤٦٨هـ كما صرح بذلك السبكي حيث قال  
ثم لما قضى حجه واتم نسكه بها عاد إلى خراسان ودخل مرو سنة ٤٦٨هـ . ( ٥ )  
وكان قد اتم نسكه في سنة ٤٦٢هـ فلا بد أن يكون قد زار خلال المدة التي تقارب  
ست سنوات عدة مدن أخرى ولكن ليس لدينا ما يدل على تعيين البلدان التي زارها  
خلال هذه الفترة سوى مجرد احتمال وهو ما يذكره المؤرخون من قيامه برحلات إلى  
أماكن عديدة وسيأتي ذكرها .

وأما المرحلة الثانية لرحلاته وهي التي اضطر لها بعد عودته من الحج . لأنه  
بعد أن التقى عصا التسيار وحط رحله واستقر بمرو أعلن انتقاله إلى مذهب الشافعي ،  
وكان قبل ذلك قد أخفاه عن الناس فلم يخبر أحداً منهم أنه ترك مذهب القديم واختار  
مذهباً جديداً وهو مذهب الشافعي . ولما أعلن ذلك بعد عودته من الحج سنة  
٤٦٨هـ قامت الحرب على ساق واضطرب الناس وتشوش العوام حتى وردت الكتب من  
الأمير يبلخ في شأنه والتشديد عليه مما اضطره للخروج من مرو . فخرج منها ليلة الجمعة  
أول ليلة من شهر رمضان من السنة نفسها ، ورافقه في هذا السفر طائفة من الأصحاب  
وجماعة من الفقهاء من بينهم ذو المجددين أبو القاسم الموسوي ، فسار برفقهم إلى  
طوس ثم قصد نيسابور فاستقبلوه استقبالاً عظيماً وأكرموه وأنزلوه في عزٍّ وحشمة وعقد له  
مجلس التذكير ، وكان بحرّاً في الوعظ حافظاً لكثير من الحكايات والنكت والأشعار فظهر  
له القبول عند الخاص والعام واستحکم أمره في مذهب الشافعي . ( ٦ )

وفي نيسابور بالغ في سماع الحديث وطاف على مشايخه المعاصرين مثل عبد الحميد  
البحيري ( ٤٦٩هـ ) وسمع منه مسند أبي عوانة . وأبى صالح المؤذن أحمد بن  
عبد الملك ( ٤٧٠هـ ) والتفليسي محمد بن إسماعيل ( ٤٨٣هـ ) وأحمد بن خلف . . . .  
وأبى بكر بن أبي زكريا ، وأبى سعد بن يامس وطبقة المشايخ . ( ٧ )

- 
- ( ١ ) طبقات الشافعية للسبكي ( ٢٢ / ٢ )  
( ٢ ) لم تذكر المصادر أنه سمع منها بمكة ولكن القرائن تدل على ذلك لأنها أقامت بمكة  
دهراً وكانت قد بلغت المائة . انظر ترجمتها في سير اعلام النبلاء : ٢٣٢ / ١٨  
( ٣ ) طبقات الشافعية للسبكي ( ٢٢ / ٢ ) .  
( ٤ ) انظر : سير اعلام النبلاء : ١١٥ / ١٩ .  
( ٥ ) طبقات الشافعية للسبكي ٢٢ / ٤ .  
( ٦ ) انظر : الأتساب : ٢٢٤ / ٧ ، سير اعلام النبلاء : ١١٦ / ١٩ ، طبقات الشافعية  
للسبكي ٢٢ / ٤ .  
( ٧ ) المنتخب من السياق الورقة ١ / ١٣٠ .

وبعد إقامة تتراوح مدتها عشر سنوات عاد للمرة الثانية إلى وطنه مروفاً دخلها بعدما هدأت الفتنة وخدمت نيرانها ، وكان دخوله فيها سنة ٤٧٩ هـ . وعلى عكس ما خرج منها فإنه دخلها هذه المرة في أعز ما يكون حيث عقد له مجلس التذكير والتدريس في مدرسة الشافعية . وقدمه نظام الملك على أقرانه وعلا شأنه وارتقى (١) . ثم ارتحل إلى أصبهان وقد ذكر خروجه إليها الذهبي فقال : وخرج إلى أصبهان وهو في ارتقاء . (٢)

وتعتبر رحلته إلى أصبهان المرحلة الثالثة من رحلاته . وهناك عدة مدن أخرى ذكر بعض المترجمين له أنه سافر إليها وهي : حمذان ، وقزوين وسمع بها أبا حفص هبة الله بن زانان ، وأبا منصور محمد بن أحمد زتاره وأبا طاهر محمد بن علي بن يشكر الشيرازي .

والسرى وسمع بها من أبي الفتح الدولابي بداره ، وصريفين ، وجرجان وسمع بها أبا القاسم الخلال إبراهيم بن عثمان الجرجاني . (٣)

وذكر السبكي أنه سافر إلى العراقين - الكوفة والبصرة أيضاً - (٤) هـ هذا ولاندرى من أي المراحل الثلاث كانت رحلته إلى هذه البلدان ويبدو أنه ارتحل إليها في المرحلة الأولى من رحلاته ويظهر ما جاء في المنتخب من السياق أنه ارتحل إلى نيسابور مرتين - لأنه قال : وخرج في شبابه إلى الحج . وقدم نيسابور وحضر مجلس المناظرة .

ثم ذكر بعد ذلك رحلته إليها حينما قام الناس عليه عقب إعلانه بخروجه عن مذهب الأحناف ودخوله في مذهب الشوافع . (٥)

### شيوخه :

لقد كثر عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم السمعاني العلم والمعرفة حتى قيل إن عدد مشايخه يبلغ إلى ألف شيخ . (٦)

ولا يستبعد هذا لأن العصر الذي عاش فيه السمعاني كان عصر رقي وازدهار علمي وكل مدينة كانت تضم من المشايخ عدداً كبيراً . ولهم حلقات دروس يجتمع فيها الطلاب من كل حذب وصوب للأخذ عنهم وقد عرفنا سابقاً أن السمعاني قد ارتحل إلى كثير من

(١) انظر: المنتخب من السياق الورقة ١/١٣٠ وسير أعلام النبلاء (١١٦/١٩) . طبقات الشافعية للسبكي ٢٥/٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء : (١١٦/١٩)

(٣) ذكر هذه المدن الراقعي في التدوين ٣/ الورقة ٣٤٨/ ب وأما جرجان فذكرها أيضاً أبو سعد السمعاني في الانساب ٢٢٤/٧ .

(٤) طبقات الشافعية للسبكي : (٢١/٤) .

(٥) انظر المنتخب من السياق الورقة ١/١٣٠ .

(٦) ذكر اسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين (٤٧٣/٢) أن لابي المظفر السمعاني ألف حديث عن ألف شيخ .



البلدان وطاف على كثير من العلماء كما أن موارده العلمية تعددت فبعضهم أخذ عنه الفقه ، وبعضهم أخذ عنه الحديث - وهكذا تلقى العلوم الإسلامية الأخرى على عدد كبير من المشايخ ومنهم محدثون وفقهاء وحفاظ ومناظرون ولغويون - وغيرهم مما جعل شيوخه يبلغ من الكثرة عدداً كبيراً - وقد اعترف بكثرة شيوخه أبو سعد السمعاني حيث قال بعد أن ذكر البعض منهم : وجماعة كثيرة بخراسان والجرجان والحجاز . (١)

وكذلك قال السبكي أيضاً (٢) .  
ومادام الأمر كذلك فمن الصعب جداً حصر جميع مشايخه ولذلك نكتفي بذكر البعض منهم الذين أكثر منهم ولهم تأثير في تكوين حياته العلمية علماً بأن الكثير منهم تقدم ذكرهم في المبحث السابق حيث تعرضنا لذكر الرحلات التي قام بها السمعاني .

أما المشايخ الذين أكثر عنهم السمعاني ولهم تأثير في حياته العلمية :

- ١- فعلى رأسهم والده وقد تقدم التعريف به سابقاً وكل من ترجم لأبي المظفر السمعاني صرح بأنه درس على أبيه الفقه . (٣)
- وجاء في المنتخب من السياق : أبوه - أي أبي المظفر - القاضي محمد - من وجوه مشايخ مرو وأفاضلهم ، وهذا نشأ في التعليم ودرس على أبيه الفقه وتخرج فيه وصار من فحول أهل النظر . (٤)
- ٢- وأبو غانم الكراعي (٥) - أحمد بن علي بن الحسين - وكان شيخ عصره ومسند خراسان ومحدث مرو ، سمع من أبي العباس عبد الله بن الحسين البصري صاحب الجارث بن أبي أسامة وغيره . وهو أكبر شيوخ السمعاني ، سمع منه بمسرو . (٦) توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة . (٧)
- ٣- وأبو القاسم الزنجاني - سعد بن علي بن محمد بن علي - ولد في حدود سنة ٣٨٠ هـ ، وجاور مكة ، وصار شيخ حرمها وكان جليل القدر عالماً زاهداً حافظاً متقناً كثير العبادة .

(=) وقال أبو سعد السمعاني في الأنساب (٢٢٥/٧) وقد جمع الأحاديث الألف الحسان من مسموعاته عن مائة شيخ له عن كل شيخ عشرة أحاديث \* وعلى الرغم من الفرق الكبير بين القولين يؤخذ منهما أن لأبي المظفر عدداً كبيراً من المشايخ .

- (١) الأنساب (٢٢٤/٧) .
- (٢) طبقات الشافعية للسبكي ٢١/٤ .
- (٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١٥/١٩) : وسرع في مذهب أبي حنيفة على والده العلامة أبي منصور السمعاني .
- (٤) المنتخب من السياق الورقة ١٣٠/١ . وأنظر أيضاً سير أعلام النبلاء : ١١٦/١٩
- (٥) هو بضم الكاف وفتح الراء وفي آخرها العين المهملة هذه النسبة إلى بيع الأكارع والروءس . انظر : الأنساب : ٦٠/١١ .
- (٦) انظر سير أعلام النبلاء ١١٥/١٩ .
- (٧) انظر ترجمته في الأنساب : (٦٠/١١) .

وله تأثير بالغ في حياة أبي المظفر السمعاني وهو الذي بسعيه انتقل إلى مذ هـ سبب الشافعي .

ذكر السبكي أنه عندما دخل مكة نزل على أحمد الكوجي ، ودخل في صحبة سعد الزنجاني ، ولم يزل معه حتى صار من أصحاب الحديث . (١) وله مع سعد الزنجاني قصة أخرى سيأتي ذكرها عندما نتعرض لذكر مذهبه .

توفي سعد الزنجاني سنة ٤٧٠ هـ بمكة المكرمة . (٢) وهكذا كان جميع مشايخه من كبار العلماء وجهابذتهم الذين عرفوا بعلمهم وفضلهم وزهدهم وأما الذين ذكرناهم هم بعض من لهم تأثير في حياته العلمية .

تلامذته :

لقد بلغ عدد الذين حملوا عن أبي المظفر السمعاني العلم وأخذوا منه عدداً كبيراً لا يمكن حصره . وكان من الأسباب التي جعلته يكثر عدد تلاميذه أنه طارصيته في العالم وطبق ذكره الآفاق بما كان يتمتع به من غزارة العلوم والمعارف وأنه برع في المذهبين الحنفي والشافعي ، وتصدر للتدريس في المدرسة النظامية بمرو التي تساوى كبرى الجامعات في أيامنا هذه . وكان يفد إليها الطلاب من كل حدب وصوب وكذلك ارتحل إلى أماكن عديدة من البلاد الإسلامية فهذه كلها من الأسباب التي جعلته يكثر عدد الذين تلقوا عنه العلم لأنهم جاءوا من كل أنحاء العالم الإسلامي ليأخذوا منه وعليه فترى أبو سعد السمعاني يقول : " وروى لي عنه الحديث أبو نصر محمد بن محمد بن يوسف الفاشاني بمرو ، وأبو القاسم الجنيد بن محمد بن علي الفايضي بهراة . وأبو طاهر محمد بن أبي بكر السنجي ببلخ ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن بشار الخرجردى بنيسابور وأبو البدر حسان بن كامل بن صخر القاضي بطوس ، وأبو منصور محمود بن أحمد بن عبد المنعم بن ماشانة بأصبهان وجماعة كثيرة تزيد على خمسين نفرًا " . (٣)

وقال أيضاً : انتشرت عنه الرواية وكثر أصحابه وتلاميذه (٤) وهكذا نرى أكثر المترجمين له صرحوا بكثرة تلاميذه .

فقال الرافعي في التدوين : " روى عنه الأئمة " . (٥)

وقال الذهبي بعد أن ذكر جماعة منهم : وخلق كثير (٦) .

وقال السبكي بعد أن عدد البعض منهم : وخلق " (٧)

- 
- (١) طبقات الشافعية للسبكي (٢٢/٤) .  
 (٢) انظر: ترجمته في الأنساب (٣٢٥-٣٢٦) ، وسير أعلام النبلاء: (٣٨٥/١٨) .  
 (٣) الأنساب (٢٢٥/٧) .  
 (٤) المصدر السابق (٢٢٤/٧) .  
 (٥) التدوين (٣/الورقة ٣٤٨/ب) .  
 (٦) سير أعلام النبلاء (١١٥/١٩) ومن أكبر تلاميذه تهم أولاده الثالث الذين تقدم ذكرهم . وقد قام الأخ الباحث الدكتور / أبو دجانه بجمع عدد من تلاميذه فترجم لسبعة وثمانين تلميذاً ، علماً بأن هؤلاء هم بعض من أخذوا عنه .  
 (٧) طبقات الشافعية (٢١/٤) .

## الميادين التي برز فيها ابوالمظفر السمعاني :

يتبين بالنظر في قائمة المؤلفات الموجودة التي تركها الإمام السمعاني أن اختصاصه لم يقتصر في فن واحد من الفنون الإسلامية ، بل شمل عدداً منها مع براعته في الفقه لاسيما الفقه الحنفي والفقه الشافعي . أما براعته في الفقه الحنفي فقد صرح به الذهبي في سير اعلام النبلاء حيث قال : وسرع في مذهب ابي حنيفة على والده العلامة ابي منصور السمعاني ، وبرز على أقرانه \* (١)

(٢)

وأما تقدمه في مذهب الشافعي فوصفه الذهبي في المصدر المذكور بقوله : شيخ الشافعية وقال أيضا : واستحكم أمره في مذهب الشافعي . (٣)

هذا وقد اعترف ابن كثير بأن علمه لا يختص بباب واحد من أبواب العلم والمعرفة بل كان متمكناً من علوم كثيرة حيث قال : وكانت له يد طولى في فنون كثيرة \* (٤)

ويبدو من خلال تفسيره وكذلك تأليفه لكتاب " الرد على القدرية " أنه كان مطلعاً على مذهب السلف في باب العقيدة وأصول الدين ولم يكن اطلاعه عليه إطلاعاً عادياً بل كان خبيراً بدقائق الامور ولطائف المسائل ومتمكناً من الأدلة التي بنى عليها السلف مذهبهم ، بالإضافة إلى معرفته واطلاعه التام على مذهب الخصوم من الفرق الضالسة والى خبرته بالأدلة التي بنوا عليها مذهبهم الفاسد .

وكذلك معرفته بالحديث وعلومه كانت واسعة جداً ، وكيف لا يكون ذلك وقد سماع الحديث الكثير في صغره وكبره ، وانتشرت عنه الرواية . كما صرح به ابو سعد السمعاني (٥) ولذلك نراه يدخل في ميدان التأليف لكتب الحديث فيؤلف فيه كتباً قيمة - وسيأتي ذكرها في مبحث مؤلفاته ، وكانت كتب الحديث دائماً في مطالعته فكان يطالع وينظر فيها . (٦) ثم إن معرفته بالحديث لم تكن مقتصرة على المتون فقط بل كان ناقداً لاسانيد الأحاديث ومتكلماً على رجالها وخبيراً بعلمها . . .

قال ابو سعد السمعاني : وأملى المجالس في الحديث ، وتكلم على كل حديث بكلام مفيد \* . (٧)

ومما يؤيد معرفته بعلوم الحديث أن ابن الصلاح نقل عنه في كتابه علوم الحديث . (٨)

- (١) سير اعلام النبلاء ( ١١٥ / ١٩ ) .
- (٢) المصدر السابق ( ١١٤ / ١٩ ) .
- (٣) المصدر السابق ( ١١٦ / ١٩ ) .
- (٤) البداية والنهاية ( ١٦٤ / ١٢ ) .
- (٥) الانساب ( ٢٢٤ / ٧ ) .
- (٦) انظره المنتخب من السياق ورقة ١ / ١٣٠ . وسير اعلام النبلاء ( ١١٦ / ١٩ ) .
- (٧) الانساب : ٢٢٤ / ٧ .
- (٨) انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص : ٦٣ فقد ذكر فيه اثناء تعرضه لذكر الخلفاء في تعريف الصحابة قولاً لابي المظفر السمعاني .

ومعرفته بأصول الفقه لم تكن هيينة حيث انه ألف فيه كتاباً وهو القواطع ، قال فيه  
ابو سعد السمعاني : وهو مخن عما صنف في ذلك الفن " . (١)

وقال فيه السبكي : ولا أعرف في أصول الفقه أحسن من كتاب القواطع ولا أجمع ، كما  
لا أعرف فيه أجل ولا أمحل من برهان إمام الحرمين فبينهما عموم وخصوص . (٢)

وكان جبلاً في معرفة الخلافات حيث ألف في ذلك كتابه البرهان وهو مشتمل على  
قريب من ألف مسألة خلافية . وكذلك تأليفه لكتابه " الاصطلاح " الذي رد فيه  
على ابي زيد الدبوسي لدليل واضح على معرفته بالمسائل الخلافية .  
بالإضافة إلى دلالة على سبق السمعاني وتفوقه في ميدان المناظرة ولذلك قال ابو سعد  
السمعاني بعد ذكره لهذا الكتاب وكان فقيهاً مناظراً " . (٣)

وأما درجته في مجال التفسير فتبين للقارئ عند مبحث دراسة الكتاب . ويبدو أنه  
أيضاً كان أديباً لغوياً بدليل ما جاء في التدوين حيث ذكر له الرافعي بعض الأبيات منها :  
خليلي ان وافيتما دارمية . . . بذات الغضا فالجزع فالهضبات (٤)  
وذكر ابن كثير انه سئل عن الاستواء فأجاب في الشعر قائلاً :

جئتُما نِي لَتَعْلَمَا سِرَّ سَعْدِي . . . تجداني بسِرِّ سَعْدِي شَحِيحًا  
إِنْ سَعْدِي لَمَنِيَةِ الْمُتَمَنِّي . . . جَمَعْتَ عِفَّةً وَوَجْهًا صَبِيحًا (٥)

ويؤكد معرفته باللغة والأدب أن والده الذي اعتنى بتربيته وتعليمه كان عالماً بالعربية  
واللغة قال فيه ابو سعد : أحكم العربية واللغة وصنف فيها التصانيف المفيدة . (٦)  
فلا بد أن يكون الابن أيضاً له معرفة بالعربية واللغة متأثراً بوالده الذي درس عليه .

عقيدته :

كان الإمام ابو لمظفر السمعاني سلفياً في عقيدته حيث كان يأخذ بمذهب السلف  
الصالح من هذه الأمة في جميع المسائل المتعلقة بالعقيدة وأصول الدين من الأسماء  
والصفات والقضاء والقدر والإيمان وغيرها من المسائل العقدية وكان في ذلك متحمساً  
تحمساً شديداً يمكن التأكد من هذا الحماس الشديد خلال تفسيره لكتاب الله تعالى  
فإنه لا يمر بآية من الآيات ولها علاقة بمسألة من مسائل العقيدة إلا وقد تعرض لها بالتفصيل  
والبيان والرد على المخالفين كما أنه يبحث عما يتشبه به الخصم على آرائهم الفاسدة  
من الآيات القرآنية فيغند استدلالهم بها . ونظراً إلى هذا الحماس الشديد قال  
الذهبي : تعصب لاهل السنة والجماعة والحديث وكان شوكة في أعين المخالفين ، وحجسة  
لأهل السنة . (٧)

- (١) الأتسباب : ( ٢٢٤ / ٧ ) .
- (٢) طبقات الشافعية للسبكي ( ٢٢ / ٤ - ٢٣ ) .
- (٣) الأتسباب : ( ٢٢٤ / ٧ ) .
- (٤) المنتخب من السياق الورقة ١ / ١٣
- (٥) البداية والنهاية ( ١٦٤ / ١٢ ) .
- (٦) الأتسباب : ( ٢٢٢ / ٧ ) .
- (٧) سير أعلام النبلاء : ( ١١٦ / ١٩ ) .

وفيما يبدو لي - والله اعلم - أن لهذا الحماس الشديد سبباً وهو انتقاله من مذهب  
 الاحناف إلى مذهب الشافعية ، وما عاناه في سبيل ذلك من متاعب ومحن جعله يزداد  
 حماساً وقوة في الدفاع عما اختاره من جديد وعما اهتدى إليه من سبيل وقد ذكر  
 ابو سعد السمعاني أنه لما انتقل من مذهب ابي حنيفة إلى مذهب الشافعي هجره أخوه  
 ابو القاسم وأظهر الكراهة ، وقال خالفت مذهب الوالد وانتقلت عن مذهبه ؟ فكسب  
 كتاباً إلى أخيه وقال : ما تركت المذهب الذي كان عليه والدي رحمه الله تعالى في الأصول  
 بل انتقلت عن مذهب القدرية ، فإن أهل مرو صاروا في أصول اعتقادهم إلى رأي أهل  
 القدر ، وصنف كتاباً يزيد على عشرين جزءاً في الرد على القدرية وهداه إليه فرضي عنه  
 وطاب قلبه ونفذ ابنه ابا العلاء إليه للتحفة عليه . ( ١ )

وفي هذا إشارة إلى السبب الذي جعل ابا المظفر السمعاني يترك مذهب ابي حنيفة  
 ويختار مذهب الشافعي وهو أن أهل مرو صاروا في معتقداتهم إلى رأي أهل القدر ، كما  
 أن فيه تلميحاً بأن هجران أخيه تسبب لتأليف كتاب مستقل يزيد عن عشرين جزءاً كله في  
 الرد على القدرية .

وأما الدليل على تمسكه بمذهب السلف في جميع الأمور العقديّة فقد تعرض لها هذا  
 الجانب الأخر الباحث الدكتور ابو دجانه في مقدمته على تفسير السمعاني في بحث مستقل  
 سماه " عقيدته " وأتى فيه من خلال تفسيره بأدلة من كلامه توضح تماماً اعتقاده بعقيدة  
 أهل السنة والجماعة في جميع المسائل وأرى أنه قد كفاني مؤنة البحث في هذا الصدد  
 فأحيل القارئ الكريم إلى ما كتبه . ( ٢ )

غير أنني أقول : هناك بعض الأمور أخطأ فيها ابو المظفر السمعاني بصفة كونه ممن  
 البشــــر - منها :

انه جعل قوله تعالى (( وجاء ريك والملك صفا صفا )) ( ٣ ) من المتشابهات ، واختار هنا  
 مذهب المفوضة ، علماً بأن التفويض لم يكن قط مذهباً للسلف وقد وضحت الأمر في تعليقي  
 عند هذه الآية - فليُنظر هناك - ( ٤ )

مذهبه :

وهنا نتطرق لبيان مذهبه في الأحكام حيث انه أمضى قسطاً كبيراً من عمره في العمل  
 بالمذهب الحنفي ثم تحول شافعيّاً .

الإمام ابو المظفر حنفياً :

من المعلوم أن والده الإمام محمد بن عبد الجبار كان عالماً من أعلام الحنفية وسيداً  
 مقدماً فيهم ، شغل منصب القضاء وهو الذي روى ابنه وعلمه واسمعه ودرسه الفقه وغيره  
 فكان من أثر هذه التربية أن الابن صار من فحول علماء الحنفية يناظر كبار علماء الشافعية

- ( ١ ) الانساب : ( ٢٢٣ / ٧ ) .  
 ( ٢ ) انظر مقدمته ( ص ١٩٩ وما بعدها ) .  
 ( ٣ ) سورة الفجر : آية : ٢٢ .  
 ( ٤ ) انظر الكتاب ( ص : ٧٤٢ ) .

مثل ابي نصر ابن الصباغ وغيره ويجيد الكلام في المناظرة - ويقتى على هذه الطريقة ثلاثين سنة يناظر الناس ويطلع في الكتب ويدرس . (١)

ولما توفي والده سنة ٤٥٠ هـ بدأ في الرحلات الطويلة في طلب العلم خروجه من مرو والتقاؤه بالعلماء والمشايخ من غير مذهب الأحناف جعله يتحول عن مذهب ابي حنيفة .

الإمام ابو المظفر شافعيًا :

بيدو أن ابا المظفر السمعاني كان تواقا لمعرفة الحق والصواب في أمور الدين يقول رفيقه في سفر الحج الحسن بن أحمد المروزي : خرجت مع الشيخ ابي المظفر إلى الحج ، فلما دخلنا بلدة نزل على الصوفية وطلب الحديث ولم يزل يقول في دعائه : " اللهم بين لي الحق من الباطل " فلما دخل مكة نزل على أحمد بن علي بن أسد الكوجي ، ودخل في صحبة سعد الزنجاني ولم يزل معه حتى صار من أصحاب الحديث (٢) وكان من أثر هذا الدعاء انه بدأ يفكر في تقليد الشافعي (٣) فهو يحكى عن نفسه لما اختلج في ذهني تقليد الشافعي ، وزاد التردد عندي رأيت رب العزة جل جلاله في المنام ، فقال : عد إلينا يا ابا المظفر فانتهبت وعلمت انه يريد مذهب الشافعي فرجعت إليه وكانت هذه الرؤيا عند سميراء في طريقه للحج . (٤)

وقد تقدم أن ذكرنا أن سعد الزنجاني كان له تأثير بالغ في تحوله إلى مذهب الشافعي يقول ابو المظفر : كنت في الطواف فوصلت إلى الملتزم ولذا برجل قد أخذ بردائي فإذا الإمام سعد ، فتبسمت فقال : أما ترى أين أنت ؟ هذا مقام الانبياء والاولياء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم كما سقته إلى أعز مكان فأعطيه أشرف عز في كل مكان وزمان ثم ضحك إلي ، وقال : لا تخالفني في سرك وارفع يديك معي إلى ربك ، ولا تقولن البتة شيئا ، واجمع لي همتك حتى ادعوك ، وأمن أنت ولا تخالفني عهدك القديم فبكت ورفعت معي يدي وحرك شفتيه وأمنت ، ثم قال : مررت في حفظ الله فقد أجيب فيك صالح دعاء الأمة فمضيت وما شيء أبغض إلي من مذهب المخالفين . (٥)

(١) انظر: المنتخب من السياق الورقة ١/١٣٠ ، وسير اعلام النبلاء : ١١٦/١٩ .  
(٢) انظر: سير اعلام النبلاء ( ١١٨/١٩ ) وطبقات الشافعية للسبكي ( ٢٤/٤ ) .  
أما قوله " أصحاب الحديث " فالمراد به الشافعية قال السبكي : هذا اصطلاح المتقدمين لاسيما أهل خراسان إذا أطلقوا أصحاب الحديث يحنون الشافعية وقال ابن الصلاح : على قاعدة عرف أهل تلك البلاد إذا أطلق أهل الحديث لا يراون غير الشافعية . طبقات الشافعية . ( ٢٢٣/٣ - ٢٨٩ ) .

(٣) لو كان قد فكر في تقليد من هو أعظم وأحق أن يتبع لكان أحسن وأفيد من تقليد أي من الأئمة .

(٤) انظر: سير اعلام النبلاء ( ١١٢/١٩ ) وطبقات الشافعية ( ٢٤/٤ ) .  
(٥) انظر: سير اعلام النبلاء ( ١١٨/١٩ ) وطبقات الشافعية ( ٢٤/٤ ) .

وفيما يبدو لي أن من الأسباب التي جعلته يختار مذهب الشافعي ما حكاه عنه أبو سعد السمعاني وهو انه قال فيما كتب إلى اخيه رداً على معاتبته : انتقلت عن مذهب القدرية ، فإن أهل مرو صاروا في أصول اعتقادهم إلى رأي أهل القدر (١)

اعلانه بالتحول إلى مذهب الشافعي :

لقد بقي أبو المظفر فترة إلى مذهب الشافعي بل اخفى ذلك على الناس ولعله رأى أن اعلانه يحدث ضجة كبيرة فكان يتحين الفرص وبعد رحلات طويلة لما رجح إلى موطنه مرو سنة ٤٦٨ هـ واستقر به المقام اعلن انتقاله من المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي وكان اعلانه بذلك في دار والي الهلند بحضور أئمة الفريقين في شهر ربيع الأولى من السنة نفسها . (٢)

نتيجة هذا الاعلان :

وقد جرى له عقب اعلانه بالانتقال محن ومخاضات وشدائد ، ولكنه ثبت على ذلك ونصر ما اختاره . (٣)

ويحكى لنا السبكي بعض ما حدث إثر اعلانه من الحوادث فيقول : ولما استقر انتقاله إلى مذهب الشافعي وانفصله عن الرأي النعماني قامت الحرب على ساق واضطربت نيران فتنة كادت تملأ ما بين خراسان والعراق ، واضطرب أهل مرو لذلك اضطراباً وفتح المخالفون للمشاقة أبواباً وتعلق أهل الرأي بأهل الحديث وساروا إلى بسبب السلطان السير الحثيث إلى أن قال - وأغلق باب الجامع الاقدم وترك الشافعية الجمعه إلى أن وردت الكتب من جهة الأمير ببلخ في شأنه والتشديد عليه ، فخرج من مرو ليلة الجمعة أول ليلة من شهر رمضان سنة ٤٦٨ هـ وصحبه الشيخ الأجل ذو المجددين أبو القاسم الموسوي وطائفة من الأصحاب . (٤)

ونقدم بشيء من التفصيل ذكر هذه الرحلة وكيف كان استقبال أهل نيسابور له (٥) وانتقال أبي المظفر السمعاني صارت السمعانية شافعية بعد أن كانت حنفية فالحنفية من السمعانية الإمام أبو منصور وولده أبو القاسم علي ، وولده أبو العلاء غالي ( كذا ) والشافعية الامام أبو المظفر وأولاده وأولاد أولاده وكل سمعاني جاء بعده " (٦)

- (١) انظره الانساب ٢٢٣/٧ .  
 (٢) انظر المصدر السابق وايضا سير اعلام النبلاء ( ١١٦/١٩ ) . وطبقات الشافعية ٢٥/٤ .  
 (٣) انظره الانساب : ( ٢٢٤/٧ ) .  
 (٤) طبقات الشافعية للسبكي ( ٢٣/٤ - ٢٥ ) وانظر ايضا سير اعلام النبلاء ( ١١٦/١٩ ) وقد جلب على الامة الاسلامية وباء التقليد للائمة كثيراً من المحن والشدائد ولم يشتم شملها مثل ما شتمها هذا المرض الذي ابتليت به الامة .  
 (٥) انظر ص : ( ٨١ ) .  
 (٦) انظره طبقات الشافعية ( ٢٤/٤ ) .

والجدير بالذكر ان جميع تصانيفه على مذهب الشافعي ولم يوجد له شيء على مذهب أبي حنيفة . (١)

ولعل السبب في ذلك أنه بدأ في التأليف متأخراً ، أو أنه أضع ما الفه أيام كان حنفياً . والله اعلم .

### المناصب التي تولاها :

لقد كان ابو المظفر عالماً فاضلاً ومدرباً بارعاً ومناظراً كبيراً وواعظاً قوياً حافظاً لكثير من النكت، والأشعار والحكايات وقضى حياته كلها في التعلم والتعليم والتدريس والوعظ - وفضل الاشتغال بالعلم ونشره بوسائله المختلفة من التعليم والتدريس والوعظ والتذكير والتأليف والتصنيف - فضل ذلك وآثره على الدخول في المناصب الحكومية من القضاء وغيره - ولو كان أرادها لما صعب عليه حصولها فقد كان أبوه قاضياً شغل منصب القضاء وكان من وجوه مشايخ مرو وأفاضلهم وأخوه ابو القاسم علي رحل إلى كرمان وحظي عند مالِكها وصاهر الوزير بها . (٢) فحصل بذلك على رئاسة وجاه عظيم ونعمة زائدة (٣) وأما ابو المظفر فلم يرغب في شيء من ذلك لزهده وورعه ولم يدخل في عمل السلاطين والأمراء مع أن له مكانة مرموقة عند بعضهم اضطر على الخروج من مرو وخرج منها قاصداً إلى نيسابور استقبله الناس فيها استقبالاً عظيماً بأمر من نظام الملك وعميد الحضرة ابي سعيد محمد بن منصور وارسل له الخلع والمركب . . . (٤)

ما يدل على أنه كان محظياً عند بعضهم، ولكنه لم يقبل منهم إلا منصب التدريس والتذكير فلما ورد ابو المظفر نيسابور عقد له مجلس التذكير في مدرسة الشافعية وبقي في هذا المنصب لمدة عشر سنوات يعظ الناس ويذكرهم ويعلمهم ولما عاد إلى مرو مرة ثانية بعد هدوء الفتنة ولى التدريس والتذكير في مدرسة الشافعية فيها ، فدرس بها إلى أن خرج إلى اصبهان وهو في عز وارتقاء . (٥)

### قيامه بالمناظرة :

كان الإمام ابو المظفر على مستوى عال من العلم والمعرفة ويواجه كبار علماء عصره يناقش وينظر، وكل ذلك بالأدب والوقار والسكينة ومستدلاً بالكتاب والسنة والآثار ولم يكن في مناظرته فظاً غليظاً ولا مصراً عنيداً ، بل كانت تظهر عليه عندما يناظر الناس سمات التابعين كما اعترف بذلك أبو علي الصغار حيث يقول : إذا ناظرت أبا المظفر فكانت ناظر رجلاً من أئمة التابعين مما أرى عليه آثار الصالحين . \* (٦)

- 
- (١) طبقات الشافعية (٢٥/٤) .  
 (٢) انظر : الانساب (٢٢٢/٧ - ٢٢٣) .  
 (٣) طبقات الشافعية (٢١/٤) .  
 (٤) المنتخب من السياق الورقة ١/١٣٠ .  
 (٥) انظر سير اعلام النبلاء (١١٦/١٩) ، وطبقات الشافعية (٢٥/٤) وقد أشار ابن كثير أيضاً إلى قيامه بالوعظ والتذكير في مدينة نيسابور .  
 انظره البداية والنهاية (١٦٤/١٢) .  
 (٦) انظره : سير اعلام النبلاء (١١٨/١٩) وطبقات السبكي (٢٤/٤) .



وقد صرح بمناظرته اكثر من ترجم له فقال حفيده ابو سعد السمعاني : كان فقيها مناظرا \* (١)

ونقل الذهبي عن عبد الغافر النيسابوري انه ناظر على الطريقة الحنفية ثلاثين سنة \* (٢)

وجاء في المنتخب من السياق : وبقى على ذلك حنفي المذهب يدرس ويناضر ويطلع كتب الحديث \* (٣)

وذكر السبكي انه لما دخل بغداد سنة إحدى وستين واربعمائة وهو إذ ذاك حنفي ناظر ابن الصباغ وأجاد فيها الكلام (٤)  
وهكذا كل من حضر في مناقشته ومناظرته مع العلماء رضي بكلامه فقد جاء في المنتخب المذكور انه قدم نيسابور وحضر مجلس المناظرة وتكلم في المسائل بحضرة إمام الحرمين الجويني فارتضى كلامه واثنى عليه واقرب فقهه \* (٥)

ومما يدل على رسوخ قدمه في المناظرة انه أعلن بتحويله إلى مذهب الشافعي بحضور أئمة الفريقين في دار والي البلد ، وقد تقدم ذكره مفصلاً .

ويدل عليه أيضا انه الف في الرد على القدرية كتاباً يزيد عن عشرين جزءاً وانفذه إلى أخيه الذي كان غاضباً على تمذبه بمذهب الشافعي فرضي عنه واعترف بعلمه فأرسل إليه ابنه ليأخذ عنه . وتقدم بيانه أيضا . والف في الرد على ابي زييد الدبوسي كتابه الاضطلام وهكذا كانت حياة الإمام ابي المظفر السمعاني كلها في طلب العلم ونشره والمناقشات العلمية والمناظرات لأجل اظهار الحق الذي يراه للتأييد الباطل .

(١) الانساب (٢٢٤/٧)

(٢) سير اعلام النبلاء (١١٦/١٩) .

(٣) المنتخب من السياق الورقة ١/١٣٠ .

(٤) طبقات الشافعية للسبكي (٢١/٤) .

(٥) المنتخب من السياق الورقة ١/١٣٠ .

مؤلفاته :

لقد سبق أن قلت في بعض المباحث السابقة ان الإمام أبا المظفر قضى حياته كلها في طلب العلم ونشره بوسائله المختلفة ومنها التأليف والتصنيف فقام السمعاني بتأليف وتصنيف عدد كبير من الكتب في الفنون المختلفة وقد صرح ابن العماد فقال : وصنف في مذهب الشافعي كتباً كثيرة . (١)

ومما يستغرب أن جميع مؤلفاته على مذهب الشافعي ولم يوجد منها شيء على مذهب ابي حنيفة (٢) مع انه بقى على هذا المذهب ثلاثين سنة من عمره يناظر عليه ويناقش العلماء وكان يعتبر من فحول أهل النظر في المذهب الحنفي فلعله لم يبدأ في التأليف إلا متأخراً حينما رأى نفسه متمكنة من العلوم الإسلامية .

وفيما يلي نذكر ما عرفناه من مؤلفاته :

## ١- الأحاديث الألف الحسان :

جمعها عن مائة شيخ عن كل شيخ عشرة أحاديث ، أملاها في عدة مجالس وهي قريباً من تسعين مجلساً . ذكرها حفيده ابو سعد السمعاني وسمعها من ابي محمد عبدالله بن محمد الغندوني ( ت : ٥٣٠هـ ) وغيره . (٣)  
وذكرها ابن العماد باسم : الف جزء عن مائة شيخ " (٤)

(٦)

٢- الاصطلام : رد فيه على ابي زيد الدبوسي (٥) ، وأجاب عن الاسرار التي جمعها وتوجد منه نسخة مصورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية .

(٧)

٣- الف حديث عن الف شيخ ذكره اسماعيل باشا ، ولعله الألف الحسان نفسه .  
٤- الانتصار لاصحاب الحديث . (٨)

وذكره الذهبي باسم : الانتصار بالاثني عشر . (٩)

وقال حاجي خليفة : هو مختصر على ثلاثة أبواب : الأول في الحديث على السنة والجماعة ، والثاني : في فضل الحديث ، والثالث في شجرة الحديث . (١٠)  
(١١)

٥- الأمالي في الحديث : وله فيها مجالس كثيرة قال ابو سعد : " وأملى المجالس في الحديث وتكلم على كل حديث بكلام مفيد " (١٢)

(١) شذرات الذهب : (٣/٣٩٣) . (٢) طبقات الشافعية للسبكي : (٤/٢٤)

(٣) انظر : الانساب ٢٢٤/٧ - ٢٢٥ ، والتحبير ١/٣٧٧ ، ٢/١٣٠ ، ٢٩٥ .

(٤) شذرات الذهب : (٣/٣٩٣) .

(٥) هو : عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي ، نسبة الى دبوسية قرية بين بخارى وسمرقند فقيه اصولي من اكابر فقهاء الحنفية من مؤلفاته : كتاب الاسرار في الاصول والفروع توفي سنة ٤٣٠ هـ . انظر : الفتح المبين (١/٢٣٦) معجم المؤلفين (٦/٩٦)

(٦) انظر : الانساب (٧/٢٢٤) سير اعلام النبلاء (١٩/١١٧) طبقات السبكي (٤/٢٤)

(٧) هدية العارفين (٢/٤٧٣)

(٨) انظر : الانساب (٧/٢٢٤) التحبير (١/٤١٥)

(٩) سير اعلام النبلاء (١٩/١١٧)

(١٠) كشف الظنون (١/١٧٣)

(١١) ذكره الذهبي فقال : وله الامالي في الحديث ، وقال أيضا : واملى تسعين مجلساً

سير اعلام النبلاء (١٩/١١٦ - ١١٧) .

(١٢) الانساب : (٧/٢٢٤)

ولعل هذه المجالس للإمامي هي من كتاب الأحاديث الألف الحسان ، إلا أن الظاهر من كلام أبي سعد أنها كتابان ، حيث ذكرهما مستقلين .

- وذكر أنه سمع هذه المجالس أو بعضها من مشايخه (١)  
 (٦) البرهان وهو في الخلاف ، يشتمل على قريب من ألف مسألة خلافاً (٢)  
 (٧) التفسير وهو الكتاب الذي أنا بصدد تحقيق ودراسة جزء منه ويأتي التعريف به في فصل مستقل .  
 (٨) الحكايات سمعها أبو سعد من أبي الحسن العلوي . (٣)  
 (٩) الرد على القدرية ؛ ذكره الذهبي باسم كتاب القدر . (٤) تقدم ذكره غير مرة .  
 (١٠) الرسالة القوامية ؛ وكان صنفها لنظام الملك في تقديم أدلة الإمامة . (٥)  
 (١١) الطبقات ؛ قال ابن العماد ؛ " أجاد فيه وأحسن " . (٦)  
 (١٢) القواطع في أصول الفقه . (٧)

- قال أبو سعد ؛ " وهو يعني عما صنف في ذلك الفن (٨) . وقال السبكي ؛  
 ولا أعرف في أصول الفقه أحسن من كتاب القواطع ولا أجمع " (٩)  
 (١٣) معجم الشيوخ ذكره اسماعيل باشا . (١٠)  
 (١٤) منهاج أهل السنة (١١) وذكره الذهبي باسم ؛ منهاج أهل السنة (١٢)  
 وذكره السبكي باسم ؛ منهاج السنة . (١٣)

فهذه هي المؤلفات التي وفقت لمعرفة من خلال الكتب التي ترجمت له وهي تشتمل على فنون عديدة من التفسير والحديث والفقه والأصول وغيرها كلها تدل على طول باع المؤلف في هذه الفنون وقد قال حفيده أبو سعد السمعاني ؛ ومن طالع تصانيفه وانصف عرف محله من العلم . (١٤)

ومن الأسف الشديد أن أكثرها راحت ضحية لحوادث الدهر وإيامه فهي الآن سوى المعدود منها تعتبر مفقودة أو شبه مفقودة .

- 
- (١) انظر: التحبير (١/١٣١ ، ٢٣١ ، ١٨٧/٢ ، ٢٠٦ ، ٢٥٧ ، ٣٢١ )  
 (٢) الانساب (٧/٢٢٤) البداية والنهاية (١٢/١٦٤) سير اعلام النبلاء (١٩/١١٦)  
 (٣) التحبير (٢/١١٦) .  
 (٤) انظر: الانساب (٧/٢٢٤) وسير اعلام النبلاء ؛ (١٩/١١٧) .  
 (٥) طبقات السبكي (٤/٢٦) ونقل منه بعض النصوص .  
 (٦) شذرات الذهب (٣/٣٩٣) .  
 (٧) سير اعلام النبلاء (١٩/١١٧) .  
 (٨) الانساب (٧/٢٢٤) .  
 (٩) طبقات السبكي (٤/٢٤) ويذكر أنه يحقق .  
 (١٠) هدية العارفين (٢/٤٧٣)  
 (١١) الانساب (٧/٢٢٤)  
 (١٢) سير اعلام النبلاء (١٩/١١٧)  
 (١٣) طبقات السبكي (٤/٢٤)  
 (١٤) الانساب (٧/٢٢٣-٢٢٤) .

وفاته :-

اتفقت مصادر ترجمته على انه توفي في ربيع الأول سنة ٤٨٩ هـ (١) وذكر ابو سعد وغيره انه توفي يوم الجمعة (٢) إلا أن السبكي ذكر تاريخ وفاته ١٣ ربيع الأول (٣) ولعله خطأ من النساخ .

وكانت وفاته بعمره ودفن باقضى سنجان إحدى مقابر مرو (٤) وهكذا انتهت حياته التي دامت ٦٣ سنة (٥) وهي كلها حافلة بالعلم والأدب والإفادة والاستفادة والوعظ والتذكير .

رأى العلماء فيه :

وما أن الإمام ابا المظفر السمعاني كان من فحول العلماء الذين لهم يد طولى في فنون عديدة وكان على درجة عالية من المعرفة والعلم والورع والزهد والتقوى فقد حاز اعجاب كثير من العلماء والمؤرخين فاثنو عليه جميلاً - فهذا حفيده ابو سعد نراه يقول : "إمام عصره بلا مدافعة ، وعديم النظير في وقته ولا اقدر على ان اصف بعض مناقبه ، ومن طالع تصانيفه وانصف عرف محله من العلم " (٦)

وليس هو وحده اعجب بجده فبالخ في الثناء عليه بل نجد إمام الحرمين الجويني ( ت : ٤٧٨ هـ ) يقول : " لو كان الفقه ثوباً طاوياً لكان ابو المظفر السمعاني طرازه (٧) ويقول عبد الخافر الفارسي : " هو وحيد دهره في وقته فضلاً وطريقة وزهداً وورعاً من بيت العلم والزهد . تفقه بابيه وصار من فحول أهل النظر " . (٨)

ووصفه الذهبي بقوله : الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية " (٩)

وقال ابو القاسم ابن إمام الحرمين : أبو المظفر السمعاني شافعي وقته " (١٠)

ووصفه السبكي فقال : الإمام الجليل العالم الزاهد الورع أحد أئمة الدنيا . . . الرفيع القدر العظيم المجل المشهور الذكر أحد من طبق الأرض ذكره وعبق الكون نشره " (١١)

(١) انظر: الانساب (٢٢٥/٧) البداية والنهاية (١٦٤/١٢) سير اعلام النبلاء : (١١٩/١٩) وشذرات لذهب (٣٩٣/٣)

(٢) الانساب (٢٢٥/٧) وسير اعلام النبلاء (١١٤/١٩)

(٣) طبقات الشافعية (٢٥/٤)

(٤) الانساب (٢٢٦/٧)

(٥) سير اعلام النبلاء (١١٩/١٩)

(٦) الانساب (٢٢٣/٧)

(٧) سير اعلام النبلاء (١١٨/١٩) طبقات السبكي (٢٤/٤)

(٨) المصدرين السابقين وايضا المنتخب من السياق ورقة ١/١٣٠

(٩) سير اعلام النبلاء (١١٤/١٩)

(١٠) طبقات السبكي (٢٤/٤)

(١١) المصدر السابق (٢١/٤)

## \*\* الفصل الثاني \*\*

## المبحث الأول

- ( ترجمة الإمام البغوي ) -

اسمه ونسبه : هو الحسين بن مسعود بن محمد .

كذا ذكر أغلب من ترجم له (١) وزاد عليه الذهبي ، وابن العماد فقالا : " الحسين ابن مسعود بن محمد بن الفراء " (٢) مما يوحي بأن جده الأعلى كان يسمى بالفراء وليس الأمر كذلك بل هو نسبة لأبيه صنحته التي كان يشتغل بها كما صرح بذلك بعض من ترجم له - وسيأتي تفصيله عندما نذكر كنيته ونسبته -

كنيته : يكنى بأبي محمد (٣) ويقال له " ابن الفراء " أيضا . (٤)

لقبه : وقد لقب باللقاب كثيرة أشهرها : محيي السنة ، وكذلك لقب بـ " ركن

الدين " " وظهير الدين " وشيخ الإسلام " و" قاصح البدعة " و " الإمام " وغير ذلك من الألقاب التي لقب بها بناء على ما قام به من جهوده العلمية ، وما أحرزه من تفوق ملحوظ في العلوم الشرعية عامة وعلوم الحديث خاصة .

أما تلقيبه بمحيي السنة وركن الدين فقد اتفقت المصادر التي ترجمت له على هذين

اللقبين وذكرت بعضها سبب تلقيبه بمحيي السنة : أنه لما صنف كتابه الشهير " شرح السنة " رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له : " أحيت سنتي بشرح أحاديثي " فلقب من ذلك اليوم بمحيي السنة . (٥)

وأما " ظهير الدين " فذكره ابن خلكان فقال بعد أن ذكر اسمه ونسبه : الملقب

ظهير الدين . (٦)

(١) انظر البداية والنهاية (٢٠٦/١٢) وطبقات الحفاظ للسيوطي (٤٥٢) وطبقات

المفسرين له (٤٩) وطبقات المفسرين للداودي (١٥٢/١) والأعلام للزركلي

(٢٥٩/٢) مع العلم بأن بعضهم اكتفى في ذكر نسبه على أبيه فقط فقال : الحسين

ابن مسعود .

انظر : طبقات الشافعية للأسنوي ٢٠٦/١ وطبقات الشافعية للسبكي (٢١٤/٤)

ومعجم البلدان (٤٦٨/١) .

(٢) سير اعلام النبلاء : ٤٣٩/١٩ وتذكرة الحفاظ ١٢٥٢/٤ وشدرات الذهب ٤٨/٤

(٣) انظر المصادر السابقة .

(٤) انظر : طبقات الشافعية للأسنوي (٢٠٦/١) . وطبقات المفسرين للسيوطي : ص ٤٩

وطبقات المفسرين للداودي ١٥٨/١ .

قالوا : المعروف أيضا بابن الفراء تارة وبالفراء أخرى .

(٥) ذكر هذه القصة طائش كبرى زاده في مفتاح السعادة (٩١/٢) قال : رأيت فسي

بعض المجاميع انه لقب بـ " محيي السنة " وسبب ذلك : ثم ذكرها .

وانظر أيضا : المرقاة : (١٠/١) .

(٦) وفيات الأعيان (١٣٦/٢) .

وأما شيخ الإسلام فذكره الذهبي في سير اعلام النبلاء . (١) وأما " قامع البدعة " فجاء نكوه عند الخطيب التبريزي في مشكاة الحساب . (٢)

نسبته : قيل في نسبه : البغوى الفراء الشافعي . (٣) .

والبغوى نسبة إلى بلدة من بلاد خراسان بين مرو وهراة ، يقال لها بغ وبَغْشُور (٤)

وضبطه ياقوت الحموى فقال : بَغْشُور : بضم الشين المعجمة وسكون الواو وراء " وذكر أنه يقال لها " بغ " أيضا .

وقال في التعريف بها : بليدة ( أى انها من قرية ) بين هراة ومرو الرود شُرَيْهَم من آبار عذبة وزروعهم ومباطخهم أعداء ، وهم في برية ليس عندهم شجرة واحدة " (٥)

وقد نسب إلى هذه البليدة خلق كثير من العلماء والاعيان . منهم ابو القاسم عبد الله بن محمد البغوى تلميذ الإمام أحمد بن حنبل .

وأما " الفراء " فهو بفتح الفاء وتشديد الراء المفتوحة - هذه النسبة إلى خياطة الفراء وبيعه (٦) ونسب الإمام البغوى بهذه النسبة تبعاً لأبيه لأنه كان يتعاطى هذه الصنعة (٧) وعليه فيقال له تارة ابن الفراء كما تقدم في ذكر كنيته . (٨)

وقيل له الشافعي لأنه كان يتمذهب بهذهب الشافعي ، وهكذا صار مجموع نسبه " البغوى ، الفراء ، الشافعي " .

ولادته : أغلب المصادر التي ترجمت للإمام البغوى سكنت عن ذكر تاريخ ميلاده ، سوى

ياقوت الحموى فإنه قال : ومولده في جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (٩) والزركلي فإنه يرى

(١) ٤٣٩/١٩

(٢) ٠٠٠٣/١

(٣) انظر سير اعلام النبلاء : ٤٣٩/١٩ وتذكرة الحفاظ ١٢٥٧/٤ وشدرات الذهب ٠٤٨/٤

(٤) انظر : الانساب للسمعاني ٢٧٣/٢ وطبقات الشافعية للسنوى ٠٢٠٦/١

(٥) معجم البلدان ٤٦٢/١

(٦) انظر : الانساب ١٥٣/١٠ ووفيات الاعيان ٠١٣٧/٢

(٧) انظر : سير اعلام النبلاء ٠٤٣٩/١٩

(٨) راجع ايضا شدرات الذهب ٠٠٤٨/٤

(٩) معجم البلدان ٠٤٦٨/١

بأنه ولد سنة ٤٣٦ هـ . (١) ولعله اعتمد في ذلك على ما جاء في بعض المصادر من تحديد لعمرة علما بأنها مختلفة في ذلك فقد قال السبكي : اظنه اشرف على التسعين . (٢)

وهناك قول آخر وهو انه جاوز الثمانين (٣) وقيل : إنه عاش بضراً وسبعين سنة . (٤)

والذي يبدو لي ان القول بأنه جاوز الثمانين هو الأرجح . لأنه يوافق مسح ما ذكره ياقوت الحموي وهو لا بد أن يكون قد اعتمد في تحديد تاريخ ميلاده على دليل قوي حيث أنه حدد الشهر الذي ولد فيه . وهذا لا يمكن إلا بدليل يبنى عليه قوله لأنه للمجال فيه للتخمين أو الظن والتقدير .

#### أسرته :

بخلت علينا المصادر التي ترجمت له فلم تفصح لنا عن أخبار الأسرة التي ولد فيها البغوي ولم تبين لنا ما كانت عليه هذه الأسرة من المكانة والمنزلة في أوساط الناس كما انها لم تشر إلى حالتها الاجتماعية سوى الملم بسيط يكاد يكون بمثابة لاشيء حيث يذكر الذهبي أن والده كان يشتغل بعمل الفراء وبيعه (٥) ومن هنا يمكن الاستنتاج بأن البغوي نشأ في أسرة فقيرة ، وما يؤكده ذلك هو ما كان عليه البغوي نفسه من التقشف والتقلل من اسباب الحياة الدنيا ، حتى انه كان لا يأكل إلا الخبز وحده فلما عُدل في ذلك صار يأكله مع الزيت . (٦)

ثم ان السبب الذي جعل المصادر تبخل علينا باعطاء فكرة واضحة أكثر مما تقدم لعله يعود إلى أن أسرته لم يكن فيها من له باع طويل في ميدان العلم والمعرفة فيذكرون كما ذكر هو .

إلا أن بعض المصادر رجحت علينا فذكرت شيئاً من سيرة أخيه فقال الأسنوي : وكان له أخ يقال له : أبو علي الحسن . تفقه على أخيه ، وسمع الحديث من جماعة ، وتوفى بمرور الزمان في ١٩ صفر ٥٢٨ هـ . (٧)

- 
- (١) الاعلام : ( ٢٥٩ / ٢ ) .  
 (٢) طبقات الشافعية : ( ٢١٥ / ٤ ) .  
 (٣) انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ( ٥٠ ) وطبقات المفسرين للداودي ( ١٥٩ / ١ )  
 (٤) قاله الذهبي في سير اعلام النبلاء : ٤٤٢ / ١٩ . وقال في تذكرة الحافظ ( ١٢٥٨ / ٤ ) ولعل محبى السنة بلغ ثمانين سنة " ونقل عنه ابن العماد في شذرات الذهب ( ٤٩ / ٤ ) والسبكي في طبقات الشافعية ( ٢١٥ / ٤ ) أنه قال : " واطنه جاوز الثمانين " .  
 وهناك قول بأنه مات عن ثمانين . قاله السيوطي في طبقات الحفاظ ( ص : ٤٥٧ )  
 (٥) انظره سير اعلام النبلاء ( ٤٤١ / ١٩ ) وشذرات الذهب : ( ٤٩ / ٤ ) .  
 (٦) ذكرته أغلب المصادر التي ترجمت له . انظر على سبيل المثال سير اعلام النبلاء : ( ٤٤١ / ١٩ ) وطبقات الشافعية للأسنوي ( ٢٠٦ / ١ ) .  
 (٧) طبقات الشافعية للأسنوي ( ٢٠٧ / ١ ) وانظر ترجمته ايضاً في معجم البلدان ( ٤٦٨ / ١ ) والتحبير ( ٢١٣ / ١ - ٢١٤ ) وطبقات الشافعية لابن كثير ورقة : ١٦٠ .

وهناك من المصادر ما يوحى بأنه كان متزوجاً فقد نقل ابن خلكان من كتاب الفوائد السفرية للمندري : أن زوجته حين ماتت لم يأخذ من ميراثها شيئاً . ( ١ )  
وكذلك تكنيه بأبي محمد يدل على أنه رزق ابناً غير أنه ليس بإلزام لأن التكني ظاهرة كانت مألوفة بين العلماء القدامى .

#### نشأته وتربيته :

لاتفصح المصادر التي ترجمت له عن نشأته وحياته المبكرة وعن دراسته الأولية . ومن المعقول أن يكون الإمام البغوي قد سار في نشأته الأولى على نهج أقرانه فسي نهابه إلى الكتاتيب وحلقات الدروس في المساجد أو غيرها لتلقى مبادئ العلم والمعرفة من الكتابة والقراءة وحفظ كتاب الله تعالى وتعلم اللغة العربية وغيرها من العلوم الأخرى . وذلك لأن العلماء القدامى من المحدثين وغيرهم كانوا لا يحضرون مجالس التحديث والرواية إلا بعد اتقانهم من العلوم ما يجعلهم مؤهلين لذلك وذكر الذهبي أنه تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المزوروني صاحب التعليقة قبل الستين وأربعمئة . ( ٢ ) كما ذكر هو وغيره أن عامة سماعته بعد الستين وأربعمئة . ( ٣ ) مما يدل على أنه تأخر في سماع الحديث حيث لم يبدأ فيه إلا في العشرينات من عمره ، ولعل الفتن المثارة من قبل الشيعة والمعتزلة وغيرهم من أعداء السنة المطهرة حثت الإمام البغوي على دراسة الحديث النبوي حماية له من الطغسون وحفظاً له من الأيدي الأئمة .

ومما لا يشك فيه أن المدرسة النظامية بمرو الرود التي طالت بها إقامته لها تأثير بالغ على الإمام البغوي في توجيهه لدراسة الحديث والفقه وغير ذلك من العلوم التي كانت تدرس في المدارس النظامية آنذاك ولا سيما أن علم الحديث كان أساس التدرس فيها .

#### رحلاته :

يبدو أن نطاق الرحلات التي قام بها الإمام البغوي كان محدوداً جداً ، لأننا لانجد في المصادر التي ترجمت له ذكراً أسماء البلاد التي رحل إليها في طلب العلم ولعل السبب لذلك يرجع إلى الظروف المادية التي كان يعيش فيها الإمام البغوي و أفراد أسرته لا سيما والده كان يشتغل بصناعة الفراء وبيعها ، ومثل هذا الشخص

- 
- ( ١ ) وفيات الأعيان : ( ١٣٦ / ٢ )  
( ٢ ) سير اعلام النبلاء : ( ٤٤٠ / ١٩ )  
( ٣ ) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ( ٢١٥ / ٤ ) وطبقات المفسرين للداودي ١ / ١٥٨  
وعبارة الذهبي في السير ( ٤٤٠ / ١٩ ) وعامة سماعته في حدود الستين وأربعمئة .



لا يتوقع عنده وفرة المال - ويمكن ان يكون هناك ظروف أخرى غير مادية حالت دون خروجه في رحلات طويلة ، وذكره السبكي انه لم يدخل بغداد (١) ومن المعروف ان بغداد كانت آنذاك عاصمة الخلافة العباسية وتعتبر أكبر المراكز العلمية منذ ان انتقلت إليها الخلافة الإسلامية - لأنها كانت تضم عدداً هائلاً من العلماء المختصين الكبار في جميع العلوم والفنون بما يوجب على كل طالب علم يريد التخصص في فن من الفنون ان يسرح إلى بغداد ويطوف على علمائها - وهذا لم يتمكن منه صاحبنا مما تسبب لجهالة الناس وعدم معرفتهم ببعض النواحي من حياته وعلى هذا نرى السبكي يقول : " ولم يدخل بغداد ولو دخلها لاتسعت ترجمته " . (٢)

والغريب انه لم يتمكن ايضا من اداء فريضة الحج (٣) ومنذ ان نهضت الأمة الإسلامية علمياً وثقافياً يعتبر الحج الى جانب اداء الفريضة رحلة علمية واسعة حيث يلتقى فيه الطالب عدداً كبيراً من الأئمة والأعلام في مختلف الفنون والعلوم من ارجاء العالم الإسلامي بحيث لو أراد ان يخصص لهم رحلات الى بلدانهم فلم يكن ببالغها الا بشق النفس . ولا يعنى ما قدمناه من عدم قيام البغوى برحلات طويلة في سبيل طلب العلم انه لم يخرج البتة من مدينته التي ولد فيها بل بالعكس فقد ذكر ابن تغرى بردى انه رحل الى البلاد وسمع الكثير " . (٤)

كما ذكر ياقوت الحموى انه خرج الى مروالروند وبنج ده (٥) وكانت بهما جل اقامته (٦) . واما تاريخ تركه لمدينة " يغشور " فكان قبل الستين واربعمائة . لأن الذهبي يقول : " تفقه - البغوى - على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروزدى صاحب التعليقة قبل ٤٦٠ هـ . وهو يؤكد ان البغوى ترك مدينة " يغشور " التي ولد فيها قبل هذا التاريخ وبدأ في دراسة الفقه على يد الشيخ القاضي حسين بن محمد ثم بدأ في سماع الحديث بعده .

وقد قررت السيدة / عفاف في كتابها " البغوى ومنهجه في التفسير " . بأن البغوى ترك مدينة يغشور وبدأ في سماعه للعلم بعد ٤٦٠ هـ . (٨) واعتمدت في ذلك على ما جاء في بعض المصادر من التصريح بأن سماعته بعد هذه السنة (٩) وبيدولى ان ما قدمته نقلا عن الذهبي هو الأرجح . لأنه صرح أولاً بأن دراسته للفقه كانت قبل هذه السنة ثم صرح ثانياً بأن عامة سماعته في حدود ٤٦٠ هـ .

- (١) طبقات الشافعية (٢١٥/٤) .  
 (٢) طبقات الشافعية (٢١٥/٤) . . . . .  
 (٣) انظر: سير اعلام النبلاء (٤٤١/١٩) وشذرات الذهب (٤٩/٤) وقد نقله ابن العماد عن الذهبي ( وطبقات المفسرين للسيوطي ( ص ٥٠ ) وطبقات المفسرين للداودي ( ١٥٩/١ ) .  
 (٤) النجوم الزاهرة ( ٢٢٣/٥ ) .  
 (٥) معناه بالفارسية : الخمس قرى وهي كذلك خمس قرى متقاربة من نواحي مروالروند ثم من نواحي خراسان . معجم البلدان ( ٤٩٨/١ ) .  
 (٦) المصدر السابق ( ٤٦٨/١ ) (٧) سير اعلام النبلاء ( ٤٤٠/١٩ ) .  
 (٨) ص : ٣٥ .  
 (٩) انظر: طبقات المفسرين ١٥٨/١

شيوخه :

تلقي الإمام البغوي علومه في تفسير كتاب الله تعالى ورواية الحديث ، والفقه الشافعي على جماعة من شيوخ عصره من أهل خراسان وغيرها حفظت لنا بعض المصادر ترجمة أسماء بعض شيوخه . كما أن تفسيره الذي روى فيه الأحاديث النبوية من طريق شيوخه يشتمل على عدد كبير من مشايخه لاسيما مشايخه الذين أخذ عنهم الحديث وقد قامت السيدة / عفاف بسرد كثير من هؤلاء الشيوخ في كتابها " البغوي ومنهجه في التفسير " حيث ذكرت أسماء الذين ذكرتهم مصادر ترجمة البغوي كما ذكرت بعض من روى عنهم في تفسيره فبلغ عددهم جميعاً ثلاثة وثلاثين شيخاً . ومما هو معلوم لدى الباحثين ان حصر المشايخ لعلم من الأعلام صعب جداً - ولاسيما لعلم من الأعلام الذين عاشوا في القرون السابقة حيث كانت العلوم الإسلامية في عهد الازدهار والترقي وفي عهدها الذي يسمى بالعصر الذهبي وعلى هذا لا أرى حاجة في إعادة تلك الأسماء إلا أنني أذكر البعض منهم ببندة من حياته . فمن الذين درس عليهم الإمام البغوي :

- ١ - شيخ الشافعية بخراسان العلامة القاضي ابو علي حسين بن محمد بن أحمد المرودي أو المرورودي الشافعي . حدث عن ابي نعيم سبط الحافظ ابي عوانة وتفقه على ابي بكر القفال . وهو من اصحاب الوجوه في المذهب من أوعية العلم ، وكان يلقب بحبر الأمة له من المؤلفات " التعليقة الكبرى " والفتاوى وغير ذلك تفقه عليه إمام الحرمين الجويني ، وكان البغوي من انبل تلامذته واخصهم . (٢) مات القاضي حسين في المحرم سنة ٤٦٢ هـ . (٣)
- ٢ - ابو عمر عبد الواحد بن أحمد بن ابي القاسم بن محمد بن داود بن ابي حاتم المَلِيحِي (٤) الهروي . روى عن ابي حامد أحمد بن عبد الله النعيمي . صحيح البخاري . ومن حدث عنه البغوي وغيره . قال الموءتمنُ الساجي : كان ثقة صالحاً قديماً المولد سماعه للبخاري بقراءة ابي الفتح ابن ابي الفوارس . توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وأربعمائة وله ٩٦ سنة . وترك من

(١) انظر : ص ٤٠ - ٤٤ .  
 (٢) انظر : سير اعلام النبلاء : ٢٦١/١٨ ، ٤٤٠/١٩ وطبقات المفسرين للداودي ١٥٨/١ .  
 (٣) سير اعلام النبلاء : ٢٦٠/١٨ - ٢٦٢ ) وانظر ترجمته أيضا في تهذيب الأسماء واللغات (١/١٦٤) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/١٥٥) وشذرات الذهب (٣/٣١٠) .  
 (٤) هو بفتح الميم والياء المنقوطة باثنتين من تحتها الساكنة بعد اللام ، وفي آخرها الحاء المهملة قرية من قرى هراة . انظر الانساب : (١٢/٤٣٠) وسير اعلام النبلاء (٢٥٦/١٨) .

المؤلفات : الرد على أبي عبيد في غريب القرآن، والروضة، يشتمل على الف حديث صحيح، والف غريب، وألف حكاية، والف بيت شعر . (١)

وقد سمع منه البغوي صحيح البخاري وحدث به عنه (٢) وما يوجد في تفسيره من أحاديث البخاري فهو من طريقه وقد صرح أبي العماد بأن البغوي أكثر عنه (٣)

٣- أبو بكر محمد بن أبي الهيثم عبد الصمد بن علي الترابي (٤) المرزوي ذكره الذهبي وقال : الشيخ الجليل المعمر مسند خراسان . . حدث عنه الإمام أبو المظفر السمعاني . . . . . ومحيي السنة البغوي وآخرون . مات في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وأربعمائة وله ٩٦ سنة . (٥) وما يلاحظ هنا أن البغوي والسمعاني اجتمعا في الأخذ عن هذا الشيخ ولكن ليس هناك ما يدل على التقائهما ببعض ، وبالإضافة إلى ذلك فيه إشارة إلى أن البغوي خرج إلى مرو .

٤- أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي الحافظ النيسابوري المؤذن ذكره الخطيب وقال : كان ثقة . (٦)

قال فيه أبو المظفر السمعاني : إذا دخلتم على أبي صالح فادخلوا بالحرمة فإنه نجم الزمان ، وشيخ وقته في هذا الأوان .  
وقال عبد الخافر صاحب السياق : أبو صالح المؤذن المتقن المحدث الصوفي نسيحٌ وُحِدَه في طريقته وجميعه وإفادته ما رأيتُ مثله في حفظ القرآن وجمع الأحاديث سمع الكثير وجمع الأبواب والشيخ ، وأذن سنين حُسبةً " توفي في ٧ رمضان سنة سبعين وأربعمائة . (٧)

- 
- (١) انظر سير اعلام النبلاء (٢٥٥/١٨) ، وبغية الوعاة (١١٩/٢) وانظر أيضا ترجمته في الانساب (٤٣٠/١٢) وتذكرة الحفاظ (١١٣١/٣) وشذرات الذهب (٣١٤/٣)
- (٢) التقييد لمعرفة رواية السنن والمسانيد ق ٨٣/ب نقلاً عن البغوي ومنهجه في التفسير (ص ٤٠) .
- (٣) شذرات الذهب (٣١٤/٣) .
- (٤) هو نسبة لجماعة يسمونهم " خاك فروشان " باعة التراب ولهم سوق ينسب إليهم يبيعون فيه البذور والحبوب . الانساب (٣٠/٢)
- (٥) سير اعلام النبلاء : (٢٥١/١٨ - ٢٥٢) وانظر ترجمته أيضا في الاكمال لابن ماكولا (٥٣٤/١ - ٥٣٥) والانساب (٣٠/٣ - ٣١) .
- (٦) تاريخ بغداد (٢٦٨/٤) .
- (٧) انظر سير اعلام النبلاء : (٤١٩/١٨) وتذكرة الحفاظ (١١٦٢/٣ - ١١٦٤) والبداية والنهاية (١٢٦/١٢) .

وقد روى عنه البغوى فى تفسيره (١) وهو أيضا من سمع عنه أبو مظفر السمعاني (٢) فهذه بعض النماذج من شيوخه الذين درس عليهم وأخذ عنهم الحديث وغيره من العلوم المختلفة ونخلص بالنظر فى هؤلاء المشايخ وغيرهم ممن لم نذكرهم أن أغلب مشايخه الذين تلقى عنهم العلم كانوا من العلماء الأئمة المشهورين بعلمهم ومعرفتهم والمعروفين بعد التهم وزهدهم وورعهم مما كان له آثار طيبة على حياته العلمية .

تلاميذه :

لم تقتصر جهوده العلمية على تأليف الكتب وتصنيفها بل تجاوزت إلى الاشتغال بالرواية والتعليم والتدريس . يقول ابن خلكان : " وروى الحديث ودرس " (٣) وقد تقدم انه كان لا يلقى الدرس إلا على طهارة ، والذي يشتغل برواية الحديث والتعليم والتدريس يكثر عدد تلاميذه بحيث لا يمكن الاستيعاب بهم وقد ذكرت السيدة / عفاف عددًا من طلاب العلم الذين تلقوا عنه العلوم الشرعية وبلغ عددهم عندها خمسة عشر شخصاً ، وأنا أذكر بعض من لم يأت ذكره عندها بنبذة يسيرة من ترجمته فمن الذين درس عليه وروى عنه الحديث :

- ١- أبو عمرو عثمان بن محمد بن محمد بن موسى الشاشي الفاشاني (٤) كان شيخا واعظاً صالحاً كثيراً للعبادة والتهجد مواظب على الأذان والذكر في الأسواق سمع أبابكر محمد بن منصور السمعاني ، وأبا محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى وغيرهم . توفى سنة ٥٥٦ هـ . (٥)
- ٢- أبو الفتح مسعود بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف الخطيب البامنجسى كان فقيهاً فاضلاً ، جامعاً بين العلوم والفقه والأدب والوعظ ، وتولى الخطابة بباميين ، تفقه على أبي محمد الفراء البغوى بمرو الروذ ، وتوفى بباميين فى شعبان سنة نيف وأربعين وخمسمائة . (٦)
- ٣- أبو محمد الموفق بن على بن محمد بن ثابت بن أحمد الخرقى الثابتى (٧) من أهل قرية خرق .

(١) انظر: معالم التنزيل (٤٩/٣) .  
 (٢) انظر سير اعلام النبلاء (١١٥/١٩)  
 (٣) وفيات الأعيان (١٣٦/٢) وانظر أيضا تهذيب تاريخ دمشق (٣٤٨/٤) .  
 (٤) هى نسبة الى قرية من قرى مرو يقال لها فاشان وقد يقال بالباء .  
 انظر الانساب : (١٣٣/١٠)  
 (٥) انظر التحبير (٥٤٩/١) وله ترجمة أيضا فى تكملة الاكمال ق ١/١٧٠ ومعجم شيوخ السمعاني كما فى هامش التحبير .  
 (٦) انظر: التحبير (٢/٢٩٧) وله ترجمة فى طبقات الشافعية للسبكي (٣٠٩/٤)  
 (٧) هى نسبة إلى الأجداد . انظر الانساب (١٢٧/٣ - ١٢٨) .

كان فقيهاً فاضلاً ، ورعاً زاهداً ، حسن الاخلاق متواضعاً . لم يرفى أهل العلم مثله خلقاً وسيرة . وكان إذا جلس بين الخواص والعوام لا يعلم أحد انه من العلماء . وكان يصوم اكثر أيامه . تفقه على أبي بكر محمد بن منصور السمعاني والفراء البغوي . وتوفي في رمضان سنة ٥٤٠ هـ . (١)

٤- ابو موسى المدني محمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني الشافعي صاحب التصانيف ولد في ذي القعدة سنة إحدى وخمسة . وصفه الذهبي بقوله : الإمام العلامة الحافظ الكبير الثقة شيخ المحدثين . . . كان حافظ المشرق في زمانه . توفي سنة ٥٨١ هـ . (٢)

٥- أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردي ، كان محدثاً فقيهاً صوفياً تولى التدريس في المدرسة النظامية ببغداد وكان بارعاً في المذهب توفي سنة ٥٦٣ هـ . (٣)

وقد انفرد بذكركهما (أى المدني والسهروردي) ملا علي القاري في كتابه المرقاة (٤)

فهذه بعض النماذج من تلامذة الإمام البغوي - ومن خلال ترجمتهم وترجمة من لم نذكرهم من تلامذته يتبين أن جميع من درس عليه وأخذ عنه العلم يعتبر من كبار العلماء الذين اشتهروا بخدمة الكتاب والسنة واجتهدوا في سبيل أداء الأمانة ومن الملاحظ أن أغلب من درس عليهم البغوي وكذلك أغلب من درسوا عليه ينتمون إلى المذهب الشافعي .

#### صفاته وأخلاقه :

سكنت المصاد رايشا - كسكوتها عن كثير من نواحي حياته - عن صفاته الخلقية وأما صفاته الخلقية وما كان يتحلى به من أخلاق فتكاد تتفق جميع المصادر على أنه كان في مستوى عال جداً من الاخلاق الفاضلة والصفات الجميلة كما أنها تشهد جميعاً بأنه كان يتصف بأعلى مراتب الزهد والورع ، فقال الذهبي منوهاً بزهده وورعه : كان . . . زاهداً قانعاً باليسير" (٥) وقال أيضاً : فإنه كان من العلماء الريانيين كان ذا تعبد ونسك وقناعة باليسير . (٦)

- 
- (١) انظر الثعبير ٣٢٣/٢ وله ترجمة في طبقات السبكي ٢١٢/٤ .  
(٢) انظر ترجمته في سير اعلام النبلاء (١٥٢/٢١ - ١٥٩) .  
(٣) انظر ترجمته في طبقات السبكي (٢٥٦/٤) وشرحات الذهب (٢٠٨/٤) .  
(٤) انظر: مرقاة المفاتيح (١٠٠/١) .  
(٥) سير اعلام النبلاء (٤٤١/١٩) .  
(٦) تذكرة الحفاظ (١٢٥٨/٤) .

وقال ابن كثير : وكان ديناً ورعاً زاهداً صالحاً \* (١)

وقال الأسنوي : وكان ديناً ورعاً قانعاً باليسير " (٢)

وهكذا وصفه الجميع بالزهد والورع والقناعة باليسير والتقلل من أسباب الحياة الدنيوية .  
واتوا بالأدلة الواقعية من حياته فذكروا أنه كان لا يأكل إلا كسرة الخبز وحده  
فلما عُذِل في ذلك صار يأتدُم بالزيت . (٤) . وقيل : إنه رضى بذلك حين كبست  
سنه (٥) وكذلك ما ذكره ابن خلكان من ترفعه عن ميراث زوجته أكبر دليل من واقع  
حياته على زهده وورعه وعدم رغبته في أسباب الدنيا ، وتقدم ذكر هذه القصة .

وهكذا كان الحال في مظاهره حيث ما كان يولى اهتماماً كبيراً بملبسه بل كان  
يكفى منه بما يوارى جسمه ويقيه من الحر والقر ، يقول عنه الذهبي : " وكان مقتصداً  
في لباسه ، له ثوب خام وعمامة صغيرة على منهاج السلف حالاً وعقداً " (٦)

ومن الأدب الرفيعة التي اتصف بها البغوي هو ما يردده غير واحد ممن ترجموا  
له فيقولون : وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة . (٧)

عقيدته ومذهبه :

لقد كان البغوي صاحب الاستقامة والسلامة في المعتقدات تشهد بذلك أقوال  
العلماء الذين ترجموا له فهو كما يقول ابن نقطة : " إمام حافظ ثقة صالح " (٨) وهو  
بدون أدنى ارتياب يعتبر من أعلى مراتب التوثيق والتعديل ، وعلى الطريقة نفسها يزكيه  
ويعدله طاش كبرى زاده فيقول : وكان متورعاً ثبتاً حجة صحيح العقيدة في الدين " (٩)  
ومما يؤكده سلامة عقيدته من الزيغ والفساد والاتجاه المنحرف وانها صافية نقية شهادة  
السبكي حيث يقول : كان . . . . . مالكاً سبيل السلف " (١٠) وكذا قرره القاري  
إذ قال فيه : كان جامعاً بين العلم والعمل على طريقة السلف الصالحين " (١١)

- 
- (١) البداية والنهاية (٢٠٦/١٢) .  
(٢) طبقات الشافعية للأسنوي (٢٠٦ / ١)  
(٣) انظر على سبيل المثال سير اعلام النبلاء (٤٤١/١٩) وطبقات الشافعية للسبكي  
(٤/٢١٤) ، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص : ٥٠) وطبقات المفسرين للدوادري  
(١/١٥٨) وشذرات الذهب (٤/٤٩) والمرقات (١/١٠) .  
(٤) انظر المصايد السابقة .  
(٥) ذكره القاري في المرقات (١/١٠) وعبارته : " كان يأكل الخبز وحده بلا ادا م  
فعدل عن ذلك لكبره وعجزه فصار يأكله بالزيت . وقيل بالزبيب " .  
(٦) انظر : سير اعلام النبلاء (٤٤١/١٩) .  
(٧) انظر : المصايد المذكورة في رقم (٣) .  
(٨) الاستدراك خ وتكملة الاكمال خ نقلاً عن البغوي ومنهجه في التفسير (٣٥)  
(٩) مفتاح السعادة (٢/٩١) (١٠) طبقات السبكي (٤/٢١٤)  
(١١) المرقات (١/١٠)

وللى جانب هذه الشهادات فإن مؤلفاته ولاسيما تفسيره المسمى بمعالم التنزيل لأصدق دليل على أن البغوى كان في عقيدته على منوال السلف الصالح من هذه الأمة رغم انتشار العقيدة الأشعرية والماتريدية وغيرها من العقائد المخالفة لعقيدة السلف وسيأتى مزيد تفصيل فى ذلك يؤكد على تمسكه بعقيدة السلف الصالح من هذه الأمة (١) ونكتفى هنا بإيراد مثال واحد من خلال تفسيره يوضح ما سبق أن قررناه فإنه قال عند تفسيره لقوله تعالى ( بل يداه مبسوطتان ) (٢) : " ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه وقال جل ذكره ( لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ) (٣) وقال النبى صلى الله عليه وسلم ( كلتا يديه يمين ) (٤) والله أعلم بصفاته فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم وقال أئمة السلف من أهل السنة فى هذه الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف " (٥)

وأما بالنسبة لمذهبه فقد كان يتمذهب بمذهب الشافعي بل كان من كبار الأئمة الذين عليهم التعويل وتعتبر مؤلفاتهم عمدة فى المذهب وأكد جُل من ترجم له بأنه كان شافعيًا وعليه فنرى أغلب كتب الطبقات التى تعتنى بذكر علماء المذهب الشافعي ترجمت له وهناك تأثير بالغ فى جلب ميوله إلى التمهذب بهذا المذهب لمقتضى البيئة التى نشأ فيها والعلماء والمشايخ الذين حظى بهم للدراسة والتفقه ولاسيما القاضي حسين الذى كان من أكبر وأخص شيوخه فقد كان من أئمة المذهب الشافعي . (٦) وكان له تأثير كبير على الإمام البغوى إلى أن صار من المحققين المدققين فى المذهب وصارت مؤلفاته الفقهية من أهم المصادر التى يعتمد عليها علماء الشافعية .

يقول عنه السبكي : قدره عال فى الدين . . . . وفى الفقه متسع الدائرة نقلاً وتحقيقاً ثم ينقل عن أبيه أنه كان يحل مقداره جداً ، ويصغف بالتحقيق مع كثرة النقل ، وأنه قال : إن صاحب التهذيب - البغوى - قل أن رأيناه يختار شيئاً إلا ولنا بحث عنه وجد أقوى من غيره " (٧) وقال القارى : قال بعض مشايخنا : ليس له قول ساقط " (٨)

#### ثقافته العلمية ومؤلفاته :

لقد نبغ الإمام البغوى فى عديد من العلوم والفنون (٩) وقد برز نبوغه فى ثلاثة

ميادين :

الأول : التفسير ، حيث ألف فيه تفسيره المعروف المسمى بمعالم التنزيل ، سوف يأتى

التعريف به فى فصل مستقل وذلك عندما نقوم بالمقارنة بين التفاسير الثلاثة .

- (١) ذلك أثناء المقارنة بين المفسرين الثلاثة . (٢) سورة المائدة : آية : ٦٤ .
- (٣) سورة ص : آية : ٧٥
- (٤) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة (٢١١/١٢) ( مع شرح النووى ) .
- (٥) تفسير البغوى (٥٠/٢) ومن المعلوم أن هذه الصفة أولها كثير من الناس بمعنى القدرة وغيرها وهو مخالف لما عليه السلف الصالح .
- (٦) مما يدل على علو مرتبته فى المذهب الشافعي أنه متى اطلق القاضي فى كتب متأخرى الخراسانيين كالنهيية والتثمة والتهذيب وكتب الغزالي ونحوها فالمراد القاضي حسين انظر : تهذيب الأسماء واللغات (١٦٥/١) (٧) طبقات الشافعية للسبكي ٢١٥/٤ .
- (٨) المرقاة (١٠/١) .
- (٩) قال ابن خلكان وابن بدران : " كان بحرا فى العلوم " انظروفيات الاعيان ١٣٦/٢ وتهذيب تاريخ دمشق ٣٤٨/٤ .

وقد اعترف كثير من ترجموا له بحلو مرتبته في ميدان التفسير . حيث وصفوه بأنه  
كان مفسراً (١) ويقول عنه الذهبي : وله القدم الراسخ في التفسير . (٢)

وقال السيوطي والداودي : كان إماماً في التفسير . (٣) ، واعترف الأسنوي  
قبلهما بإمامته في التفسير . (٤)

وقال ابن خلكان وابن بدران : وصنف في تفسير كلام الله تعالى (٥)

والثاني : الحديث ويتبين لى من خلال مؤلفاته العديدة في هذا المجال أن  
براعته في الحديث كانت أكثر منها في غيره .

فقد ألف فيه شرح السنة ، ومصابيح السنة ، والجمع بين الصحيحين ، والأنوار في  
شمائل النبي المختار والأربعين حديثاً .

ونظراً لتفوقه في مجال الحديث فقد وصف بأنه كان محدثاً (٦) واعترف بإمامته في  
الحديث الأسنوي والسيوطي والداودي (٧) وقال ابن خلكان وابن بدران :  
وأوضح المشكلات من قول النبي صلى الله عليه وسلم وروى الحديث . (٨)

والثالث : الفقه : فقد كان البغوي من أعلام المذهب الشافعي بحيث كان يرجع إليه

في الفروع ، وقد تقدم ذكر شىء من ذلك عند كلامنا على مذهبه وجل من ترجم له  
وصفه بالعلم والتفقه فقال ياقوت الحموي : أبو محمد . . . . . الفقيه العالم المشهور (٩)  
واعترف كل من الأسنوي والسيوطي ، والداودي إلى جانب اعترافهم بإمامته في التفسير

- 
- (١) انظر: طبقات السبكي ٢١٤/٤ وشدرات الذهب ٤٨/٤ والمرقاة: ١٠/١ .
  - (٢) سير اعلام النبلاء ٤٤١/١٩ .
  - (٣) طبقات المفسرين للسيوطي ( ص : ٥٠ ) وطبقات المفسرين للداودي ١٥٨/١ .
  - (٤) طبقات الأسنوي ٢٠٦/١ .
  - (٥) وفيات الأعيان (١٣٦/٢) وتهذيب تاريخ دمشق (٣٤٨/٤) .
  - (٦) انظر على سبيل المثال : وفيات الأعيان (١٣٦/٢) وشدرات الذهب (٤٨/٤) .  
وتهذيب تاريخ دمشق (٣٤٨/٤) .
  - (٧) طبقات الأسنوي (٢٠٦/١) وطبقات المفسرين للسيوطي ( ص : ٥٠ ) وطبقات  
المفسرين للداودي : (١٥٨/١) .
  - (٨) وفيات الأعيان (١٣٦/٢) وتهذيب تاريخ دمشق (٣٤٨/٤) .
  - (٩) معجم البلدان (٤٦٨/١) .



والحديث بإمامته في الفقه (١) وقال الذهبي : له ٠٠٠٠٠ الباع المديد فسي  
 الفقه (٢) وقال السبكي : له في الفقه اليد الباسطة ٠ (٣)  
 واما مؤلفاته في الفقه : فعلى رأسها التهذيب والكفاية في الفروع وترجمة الأحكام  
 في الفروع ( وهما بالفارسية ) ومجموعة الفتاوى .  
 وإلى جانب ذلك فقد كان البغوي عالما بالقراءة وألف فيها كتابا باسم الكفاية  
 وقال ملا علي القاري : وكان ماهرا في علم القراءة ٠ (٤)

وفاته :

اختلفت المصادر في تحديد السنة التي توفي فيها البغوي على ثلاثة أقوال :  
 بعد أن اتفقت على تحديد الشهر وهو شوال .

القول الأول : وهو المحتمد وعليه التعويل لاتفاق اكثر المصادر أنه توفي في سنة  
 ٥١٦ هـ ٠ (٥)

والثاني : أنه توفي سنة ٥١٠ هجرية ٠ (٦)

والثالث : أنه توفي سنة ٥١٥ هجرية ٠ (٧)

وكانت وفاته بمرور الرود التي كانت بها إقامته ودفن عند شيخه القاضي حسين  
 بمقبرة الطالقان ٠ (٨)

- (١) انظر المصادر السابقة لهم في الصفحة السابقة .
- (٢) سير اعلام النبلاء : ( ٤٤١ / ١٩ )
- (٣) طبقات السبكي ( ٢١٤ / ٤ )
- (٤) المرقاة ( ١٠ / ١ )
- (٥) انظر معجم البلدان ( ٤٦٨ / ١ ) وسير اعلام النبلاء ( ٤٤٢ / ١٩ ) والبدائية  
 والنهاية ( ٢٠٦ / ١٢ ) وطبقات الشافعية للسبكي ( ٢١٥ / ٤ ) وطبقات الشافعية  
 للأسنوي ( ٢٠٦ / ١ ) وطبقات المفسرين للداودي ( ١٥٩ / ١ ) .
- (٦) ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ( ١٣٦ / ٢ ) ثم ذكر القول الأول نقلا عن  
 المنذري وذكره أيضا ابن كثير في البداية والنهاية ( ٢٠٦ / ١٢ ) بصيغة  
 التمريض ( قيل ) واعتمده ابن بدران في تهذيب تاريخ دمشق ( ٣٤٨ / ٤ )  
 والزركلي في الاعلام ( ٢٥٩ / ٢ ) .
- (٧) ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ( ٢٢٣ / ٥ ) .
- (٨) انظر وفيات الأعيان ( ١٣٦ / ٢ ) وسير اعلام النبلاء ( ٤٤٢ / ١٩ ) والبدائية  
 والنهاية ( ٢٠٦ / ١٢ ) .

## \*\* المبحث الثاني \*\*

- ( ترجمة الزمخشري ) -

اسمه ونسبه : هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر .

كذا نسبه السمعاني ، وابن النجار ، وابن خلكان ، وابن كثير وغيرهم (١) ونسبه بعضهم فقال : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد (٢) .  
وقال بعضهم : محمود بن عمر بن أحمد (٣)  
بينما ذكره غيرهم فقال : محمود بن عمر بن محمد (٤)  
كما أن أكثرهم اکتفوا بذكر ابيه فقالوا : محمود بن عمر (٥)  
وان الدكتور أحمد الحوفي اعتمد على القول بأنه محمود بن عمر بن أحمد وهو قول ياقوت الحموي لأنه نراه يقول بعد أن ذكر اسمه .  
ونسبه : ولم أجد في نسبه ذكراً وثيقاً لأحد بعد هذا الجسد " (٦)  
علماً بأن الذي رآه جداً له ليس هو جده المباشر وفيما يبدو لي من خلال هذه الأقوال أن نسبه هكذا : محمود بن عمر بن محمد بن عمر بن أحمد ومن ذكر غيره فقد حذف بعض أجداده هذا والله أعلم بالصواب .

كنيته : اتفقت المصادر على أن كنيته أبو القاسم ولكن لا يوجد أدنى إشارة إلى أن

الزمخشري رزق أولاداً فيهم من كان يسمى بالقاسم - بل هناك ما يدل على خلاف ذلك . وهو أنه تزوج ولكنه لم يكن موفقاً في زواجه حيث لم يرض بحياته الزوجية - مما اضطر إلى انتهائها دون أن يعقب أولاداً . (٧)

- 
- (١) انظر : الانساب (٣١٥/٦) والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ٢٢٨)  
ووفيات الأعيان (١٦٨/٥) والبداية والنهاية (٢٣٥/١٢) والنجوم الزاهرة (٢٤٧/٥) والعقد الثمين (١٣٧/٧) .  
(٢) انظر بغية الوعاة للسيوطي (٢٧٩/٢) ومفتاح السعادة (٨٧/٢) والأعلام للزركلي (١٧٨/٧) .  
(٣) انظر معجم الأدباء (١٢٦/١٩) .  
(٤) انظر سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠) وتذكرة الحفاظ (١٢٨٣/٤) وشذرات الذهب (١١٨/٤) ومعجم المؤلفين (١٨٦/١٢) .  
(٥) انظر مرآة الجنان (٢٦٩/٣) وميزان الاعتدال (٧٨/٤) ولسان الميزان : ٤/٦ ، وتاريخ الأدب العربي ٢١٥/٥ .  
(٦) الزمخشري : ٣٥ .  
(٧) انظر : الزمخشري لغوياً ومفسراً (ص : ١٠٨) .

وليس في تكيه بابي القاسم ما يعارض ذلك لأن التكني ظاهرة كانت مألوفة بين العلماء القدامى .

لقبه : تلقب الزمخشري بجار الله وسببه أنه كان قد جاور بمكة المكرمة زماناً

فصار يقال له : جار الله وكان هذا الاسم علماً عليه . (١)

وأيضا لقب بفخر خوارزم . (٢)

نسبته : الزمخشري (٣) وهو بفتح الزاي والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح

الشين المعجمة . وفي آخرها راء ، وهذه النسبة إلى زمخشروهي قرية من قرى

خوارزم كبيرة مثل بليدة كذا ذكره السمعاني . (٤) وقال ياقوت الحموي : زمخشر

قرية جامعة من نواحي خوارزم . (٥)

الخوارزمي (٦) : وهي نسبة إلى بلدة خوارزم (٧) التي تقع فيها قرية زمخشر

(١) اتفقت أكثر المصادر على ذكر هذا اللقب وأما سبب تلقيه فذكره ابن خلكان

في وفيات الأعيان ١٦٩/٥ ، والياضي في مرآة الجنان (٣/٢٦٩ )

وآبن تغزي بردي في النجوم الزاهرة (٥/٢٧٤) وابن العماد الحنبلي

في شذرات الذهب (٤/١١٩) ، والسيوطي في بغية الوعاة ٢/٢٧٩ وغيرهم .

(٢) ذكره ابن قطلوبغا في تاج التراجم ص ٧١ والسيوطي في بغية الوعاة ٢/٢٧٩ .

(٣) هو أيضا مما اتفقت على ذكره أغلب المصادر .

(٤) الأنساب : (٦/٣١٥) .

(٥) معجم البلدان (٣/١٤٧) . . . . .

(٦) اتفقت أغلب المصادر المترجمه له على ذكر هذه النسبة .

(٧) اتفق الجغرافيون من المسلمين في تحديدهم لإقليم خوارزم فذكروا ان حدوده

من الغرب بلاد الترك الغزية ومن الجنوب خراسان ومن الشرق بلاد ما وراء

النهر ومن الشمال بلاد الترك أيضا .

ولكنهم اختلفوا حيث جعل بعضهم خوارزم من إقليم ما وراء النهر كما جعله

آخرون من إقليم خراسان . والصواب انه إقليم مستقل منقطع عن خراسان وعن

ما وراء النهر كما صرح به ياقوت الحموي في معجم البلدان (٢/٣٩٥) وهو

الآن يقع تحت الاتحاد السوفيتي حيث وزع بين جمهوريتين هما :

اوزبكستان وتركمانستان .

انظر : الدولة الخوارزمية للدكتور / نافع العبود ( ص ١٧ - ١٨ ) .

وكان لهذا الإقليم دور مجيد في تنشيط الحركة العلمية والثقافية قبل الزمخشري

وبعده وهو ثرى بالعلماء والأدباء والكتاب المؤلفين فكان يضا هي بهم

المراكز العلمية الأخرى في بلدان العالم الإسلامي وناهيك بما قاله المقدسي

في أحسن التقاسيم ( ص ٢٨٤ ) ( هم ) أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب

وقل إمام في الفقه والأدب والقرآن لقيته لأوله تلميذ خوارزمي

انظر : لمزيد من التفصيل عن هذا الإقليم كتاب " الزمخشري " للدكتور /

الحوفي ( ص : ١٥ وما بعدها )

فالزَمْخْشَرِي نسبة إلى قريته التي ولد فيها والخوارزمي نسبة إلى بلدته أو إقليمه وكذلك نسب إلى بعض الفنون التي برز فيها وإلى المذهب الذي تعدهب به فقيل له : النحوي اللغوي الحنفي المعتزلي . ( ١ )

### تاريخ ميلاده :

ذكر ياقوت الحموي عن ابن أخت الزَمْخْشَرِي أَبِي عمرو عامر بن الحسن السمسار أنه قال : ولد خالي بزَمْخْشَر من أعمال خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧ هـ . ( ٢ )

### أسرته :

لم تتكلم المصادر عن الأسرة التي ولد فيها الزَمْخْشَرِي فلا نعرف عنها كثيراً سوى ما جاء فيها وفي كلام الزَمْخْشَرِي من الإشارات القليلة مما يلقي بعض الأضواء على هذه الأسرة ويبدو أنها كانت مشهورة بالتقوى والصلاح ومحافظة على أداء شعائر الدين نِلِمَ بذلك من خلال ما جاء في بعض الأبيات الشعرية للزَمْخْشَرِي حيث يقول فيها : وهو يصف الخمر :

هات التي ظُلِمًا شَبَّهَتْ بِشَمْسِ الضحى . . . لو عارضتْهَا لَغَطَّتْهَا بِإِسْهَارِ  
استغفر الله أنى قيد نَسَبَتْ بِهَا . . . ولم أكن لحمياً هـَا بِبَدْوِاقِ  
ولم يذ فيها أبى كَلَا . . . ولا أَحَدٌ . . . من أسرتي واتفاق الناس صدأ قسي ( ٣ )

( ١ ) انظر سير اعلام النبلاء ( ١٥٢ / ٢٠ ) والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ٢٢٨ ومراة الجنان ( ٢٦٩ / ٣ ) والنجوم الزاهرة ( ٢٧٤ / ٥ ) وشدرات الذهب . ١١٨ / ٤

( ٢ ) معجم الأدباء ١٢٧ / ١٩ ويتفق عليه جميع المؤرخين الذين ترجموا له وذكروا ولادته إلا أن بعضهم يكفي بذكر السنة وبعضهم يذكر السنة والشهر وبعضهم يذكر السنة والشهر واليوم ولكن دون تصريح بتحديد ذلك اليوم بالأربعاء إلا أن السيوطي ذكر في بغية الوعاة ( ٢٧٩ / ٢ ) سنة ميلاده فقال : ولد في رجب سنة ٤٩٧ هـ ولعله خطأ مطبعي ومما يلاحظ أن مولده كان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي ووزيره نظام الملك وهو يعتبر من أزهرى العصور التي نهضت فيها العلوم والآداب .

( ٣ ) انظر : ديوانه ( مخطوط ) ورقه ٨٥ نقلاً عن الزَمْخْشَرِي لغويًا ومفسرًا ( ٨٣ ) والزَمْخْشَرِي للدكتور الحوفي ص ( ٨٠ )

ويبدو كذلك أن أسرة الزمخشري كانت أسرة فقيرة ، نلاحظه من خلال أبياته التي كان يتقدم بها إلى بعض الأمراء والملوك حيث تغلب عليها الشكوى من الزمان وظسروف الأيام ومن كثرة ما صوب إليه الدهر من سهام ، ويسود فيها القلق والاضطراب النفسي الذي كان من أسبابه الفقر وانقطاع المعونة . مما جعله يسخط على الدهر الذي جاد على من هو دونه في العلم والمعرفة فيتنعم في عيش رغيد ، وبخل عليه وعلى أمثاله من العلماء فيعانون من ضنك المعيشة كما نرى ذلك فيما تقدم به إلى نظام الملك (١) ولم نعرف كثيراً من أحوال والده ، وقال طائش كبرى زاده : " قيل : كان والده إماماً بقرية زمخشر " (٢)

وهذا يدل على أن والده أيضاً كان من أصحاب العلم والمعرفة ويؤكد ذلك ما يروى لنا الزمخشري من طريق والده من بعض الحكايات (٣) وقد سجنه مؤيد الملك ( ت : ٤٩٤ هـ ) لأسباب غير معروفة ربما كانت سياسية ويظهر أن وفاته كانت في السجن . وقد رثاه في مرثية له وصفه فيها بأنه كان من أهل العلم وأهل السور والتقوى وحظه من حطام الدنيا كان قليلاً . ويبدو من هذه القصيدة أن والده كان يوليه بغاية من المحبة والعناية حيث كان يتألم بفراق ابنه تألماً كثيراً . (٤)

وكذلك يحدثنا الزمخشري عن والدته وحنانها وشفقتها حتى بالطيور فذكر أنها نهرت وهو طفل حين رآته يجرع عصفورة . وازداد إليها حينما رآته انه تسبب لقطع رجلها فدعت عليه بأن يقطع الله رجله . (٥)

وكذلك حدث في بعض أبياته عن جماعة من أسرته وأقاربه تخطفهم الموت واحداً تلو الآخر ، فكان يبكي عليهم (٦) كما أنه يبدو من أشعاره انه تزوج ولكن لم يُخبر متى تم هذا الزواج وأغلب الظن أنه تم في حالة استقراره بمكة . ولكنه لم يكن راضياً بهنذه الحياة الزوجية لأنه لم يوفق في زواجه مما ترك في نفسه آلاماً وهموماً جساماً جعلته يعتقد أن الذي يتزوج لا الذي يموت يستحق الرثاء والبكاء . (٧)

(١) ديوانه ( مخطوط ) ورقة ٩٢ - ٩٥ نقلاً عن كتاب " الزمخشري " للدكتور الحوفي ( ص ٢٩٠ هـ ) وكتاب " الزمخشري لغوياً ومفسراً " ( ص : ٢٥ )

(٢) مفتاح السعادة / ٢ / ٨٩ .

(٣) انظر : ما حكاه عن والده من حكاية الأعرابي في وفيات الأعيان ( ١٧١ / ٥ )

(٤) انظر قصيدته التي استعطف فيها الزمخشري مؤيد الملك ليطلق سراح والده في ديوانه ورقة ٩٧ وكذلك قصيدته التي رثا فيها والده عقب وفاته في ديوانه ق ٧٢ ( نقلاً عن الزمخشري لغوياً ومفسراً ص ٨٤ ، ٩٤ ) .

(٥) انظر : وفيات الأعيان ( ١٦٩ / ٥ ) .

(٦) انظر : ديوانه ق ١٠٠ ، ١١٤ ( نقلاً عن الزمخشري لغوياً ومفسراً ( ص ٨٥ ) .

(٧) انظر : رياض الجنان ٧٣٣ ، والزمخشري لغوياً ومفسراً ( ص ١٠٨ ) .

وأغلب الظن أنه انهى حياته الزوجية دون أن يخلف الأولاد ثم آثر الحياة العزوبية فعاش وحيداً فريداً فإنه يقول :

هناك تركت النسل واخترت سيرة . . . مسيحية أحسن بذلك مذ هبنا (١)  
وقال أيضا في إحدى مقالاته في أطواق الذهب :

" لا تخطب المرأة لحسنها ولكن لحصنها فإن اجتمع الحصن والجمال فذاك هو الكمال  
واكمل من ذلك أن تعيش حصوراً وان عمرت عصوراً " (٢)

### نشأته وتربيته :

ولد ونشأ الزمخشري في قريته الصغيرة " زمخشر " ومن المعقول أن تكون  
دراسته الأولية من مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم في قريته وفي كنف  
والديه ولاسيما كان والده من أهل العلم والمعرفة وكان إماما في تلك القرية ولما وصل  
إلى سن التعليم والدراسة الحقيقية أصابه داء أقحده عن ممارسة الحياة العلمية  
فراى والده ان يسلمه إلى أحد الخياطين ليتعلم منه الخياطة فيتمكن بذلك من  
كسب معيشته دون أن يكون عالمة على الناس لأنه صار زمنا مبتلى ، ولكن الطفل  
الصغير لطموحه الزائد وسعة أفقه لم تطمئن نفسه إلى هذه الصنعة الصغيرة فآلح على  
والده الذي لم يطق فراق ابنه وخروجه من القرية ألح عليه أن يأخذه إلى المدينة ويتركه  
فيها هو وشأنه . فأخذ يردد عليه " احملني إلى البلد واتركني فيها " فاضطر الوالد  
أمام إلحاحه إلى أخذه إلى البلد فحمله إليه ووصى عليه معارفه وهكذا اسلمه إلى الحياة  
ليلقى ما قدر له ، ورزقه الله حظاً حسناً حيث كفاه رزقه فبدأ في طلب العلم بكل  
جد واجتهاد وترقت به همته العالية إلى أن بلغ درجة ما رأى مثل نفسه " (٣)  
ومن هنا كانت نقطة البداية من حياته العلمية التي انتهت مع وفاته . حيث أنه أهضى  
كل حياته في طلب العلم وتعليم الناس ولم تمنعه مكانته العلمية في يوم من الأيام عن الطلب  
فقد قدم إلى بغداد في رحلته الثانية قبل وفاته بخمس سنين ودرس على أبي منصور  
ابن الجواليقي كتب اللغة كما حكاه القفطي . (٤)

(١) ديوان الزمخشري ورقة ١٨ نقلا عن الزمخشري لغويا ومفسرا ص ١٠٨ .

(٢) أطواق الذهب المقالة السابعة والتسعون ( ص ١٠٩ ) .

(٣) انظر مفتاح السعادة ٨٨ / ٢ .

(٤) إنباه الرواة ٢٧٠ / ٣ .

## رخلاته :

وبما أن الزمخشري كان من الشباب الطامحين في طلب العلم والمعرفة والعلماء المحصلين فقد ارتحل في سبيل ذلك إلى البلدان ولم يحول دون رغبته في طلب العلم فقره وعاهته بل تنقل بين الأمصار والأقطار وتحمل أعباء السفر من بلد إلى آخرى مع قلة الزاد والعتاد والتقى برجلات العلم وارتوى من منابعهم . مما جعله لم يستقر في بلدة معينة وقد اعترف برحلاته كثيرون ممن ترجم له منهم الذهبي (١) وابن كثير حيث يقول : " وقد سمع الحديث ودأب البلاد " . (٢) وقال الزركلي : " وتنقل في البلدان " . (٣)

وأما المدن التي ارتحل إليها فمنها خوارزم ويبدو أن هذه المدينة هي أولى محطة نزل فيها واجتمع بعلمائها منهم أبو مضر محمود بن جرير الضبي الأصفهاني (ت ٥٠٧) وكان له تأثير كبير على الزمخشري . درن عليه النحو والأدب . (٤)

وذكر ابن خلكان أنه لما وصل إلى سنن السطلب دخل إلى بخارى لطلب العلم (٥) وهذا يدل على أن أولى سفرة سافر بها كانت إلى بخارى مهما يكن من الخلف بين القولين فإنهما يوءكدان سفره إلى كل من خوارزم وبخارى . ومن غير المحقول أن يترك المدينة التي ولد وعاش في إحدى قرأها ويتخطاها إلى مدينة أخرى . ومن المدن التي زارها مرو . قال السمعاني : ورد مرو في زمني ولم يتفق لسي روءيته والاقتراب منه . (٦)

وفي نفس السياق ذكر السمعاني خروجه إلى العراق وذكر الذهبي أيضا أنه ورد العراق وخراسان . انظر سير اعلام النبلاء ١٥٥/٢٠ . وأما وروده لبغداد فذكره غير واحد من المترجمين له (٧) وكان وروده لها مرتين الأولى قبل الخمسمائة ، ومنها توجه إلى الحجاز في رحلته الأولى للحج . والثانية بعد الثلاثين وخمسمائة . وكان ذلك في عودته من رحلته الثانية لمكة (٨) . وحده القفطي فذكر

- 
- (١) انظر: سير اعلام النبلاء ١٥٢/٢٠ .  
 (٢) البداية والنهاية ٢٣٥/١٢ .  
 (٣) الأعلام : ١٧٨/٧ .  
 (٤) لأنه يدل على ذلك قوله لآبيه " احملني إلى البلد " وانظر : أيضا : فتاح السعادة ٨٩/٢ .  
 (٥) وفيات الأعيان : ١٦٩/٥ .  
 (٦) الأنساب : ٣١٥/٦ .  
 (٧) انظر: سير اعلام النبلاء : ١٥٢/٢٠ ووفيات الاعيان ١٦٩/٥ ، وشذرات الذهب : ١١٨/٤ وبغية الوعاة : ٢٧٩/٢ ، ومفتاح السعادة : ٨٧/٢ وقد ذكر السيوطي وطاش كبرى زاده انه دخل بغداد غير مرة :  
 (٨) انظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ( ص : ٢٢٨ ) ومن هنا يعرف خطأ الدكتور/ الحوفي حين ذكر أن دخوله في بغداد للمرة الأولى كان بعد شفاؤه من المرض الذي أصابه سنة ٥١٢ هـ . انظر كتاب " الزمخشري " ص : ٤١ .

أنه قدم عليهم ببغداد سنة ( ٥٣٣ ) وأنه رآه مرتين عند شيخه أبي منصور الجواليقي ( ١ )

ويبدو أن الزمخشري قبل دخوله لبغداد ثم لمكة زار مدناً أخرى مشتمل  
خراسان وأصفهان لأننا نجد في هذه الفترة اجتمع بأصحاب السلطة والنفوس  
السياسي في كل منهما ومدحهم بقصائد ( ٢ )  
وذكر ابن قطلوبغا أنه ارتحل إلى مصر واجتمع فيها بابي منصور نصر الحارثي ( ٣ )  
كما ذكر مرتضى آية الله أنه تردد على نيسابور، ومكث فيها زمناً وقابل فيها الفقيه  
الدامغاني . ( ٤ )

وهكذا كان الزمخشري يجول بين مدينة وأخرى ويطوف على العلماء والأكابر  
إلى أن وجد في نفسه شوقاً إلى حج بيت الله الحرام ومجاورته فاتجه إلى مكة راجياً  
من الله تعالى الصبح عما فرط فيه ومعتزماً على الإقامة بها كما تدل على ذلك  
قصيدته التي ناجى بها نفسه في طريقه إليها . ( ٥ ) وكانت رحلته إلى مكة نحو  
عام ٥٠٢ هـ كما ذكر مرتضى آية الله ( ٦ ) والسقى فيها بالأمير العلوي أبي الحسن  
على بن حمزة بن وهّاس فرحب به ورفع شأنه ، وأقبل على الاستفادة منه كما استفاد  
منه الزمخشري . ( ٧ ) . وزار في أيام بقاءه بمكة اليمن ومدنها ومدح بعض القبائل ( ٨ )  
كما أنه طوف في جزيرة العرب لأنه يقول : وطئت كل تربة في جزيرة العرب فوجدت  
" تربة " أطيب التراب . وهي واد على مسيرة أربع ليال من الطائف . ( ٩ )

وبعد أن قضى في مكة مدة سنتين اشتاق إلى وطنه فرحل إليه ثم ندم على هذه  
العودة وبكى أشد بكاءً متأسفاً على خروجه من مكة ( ١٠ ) فبعد أن أقام في خوارزم  
مدة تقارب عامين اتجه مرة أخرى إلى مكة وكانت إقامته في خوارزم هذه المرة على  
عكس ما كان قبل خروجه منها في المرة الأولى حيث أنه خرج منها وهو يعاني من  
القلق والاضطراب النفسي لأجل فقره وانقطاع المعونة مما جعله يطرق أبواب

- 
- ( ١ ) إنباه الرواة : ٢٧٠ / ٣ .  
( ٢ ) المصدر السابق : ٣٦ - ٤١ وأيضا الزمخشري لغويا ومفسراً ( ص ٩٢ ، ٩٣ )  
( ٣ ) تاج التراجم : ( ص : ٥٣ ) .  
( ٤ ) الزمخشري لغويا ومفسراً ص ٩٢ وهذا يعارض ما ذكره ابن خلكان من اجتماعه  
بالفقيه الدامغاني في بغداد .  
انظر : وفيات الأعيان : ١٦٩ / ٥ .  
( ٥ ) انظر ديوانه ورقة ٤٢ ، ٤٣ ( نقلاً عن كتاب الحوفي ٤٢ وكتاب مرتضى آية الله  
١٠٥ .  
( ٦ ) الزمخشري لغويا ومفسراً ( ص ١٠٤ )  
( ٧ ) انظر الزمخشري للدكتور الحوفي ( ص ٤٢ ) .  
( ٨ ) هي قبيلة آل زبير . انظر ديوان الزمخشري ق ١١٥ ( نقلاً عن كتاب الحوفي ٤٣ )  
( ٩ ) انظر أساس البلاغة ( مادة تراب ) ١ / ٢٨٠ .  
( ١٠ ) انظر ديوانه ق ٤١



السلطين والامراء واما هذه الحرة فخرج منها وهو سعيد الحظ فحظى عند ملكهم  
محمد بن انوشتكين خوارزمشاه ( ت ٥٢١ هـ ) (١) ويبدو ان الامير العلوى بن  
وهاس كتب اليه فى مدة بقاءه فى خوارزم يطلب منه عودته الى مكة وكان يحدث  
نفسه كما حكى الزمخشري فى مقدمة الكشاف الوفادة عليه فى خوارزم (٢) فما لبث  
الزمخشري الا ان رجع الى مكة المكرمة . وفى طريقه الى مكة عرج على الشام ومدح  
تاج الملك صاحب دمشق بورى طغتكين ( ت ٥٢٦ هـ ) ومدح ابنه شمس الملك الذى  
خلف ابيه فى السنة المذكورة . (٣)

وفى هذه المرة ايضا لقي من الامير العلوى ابن وهاس حفاوة وتعظيما وكان  
يوافقه فى المذهب وهو الذى شجعه على تأليف تفسيره الكشاف وقد نوهه الزمخشري  
فى مقدمة تفسيره تنويها عظيماً (٤) وقد طاب له المقام فى مكة واستقر فيها والسف  
عدة كتب منها تفسير الكشاف كما صرح به فى مقدمته وخاتمه (٥) ولم يعرف بالضبط  
مدة بقاءه فى مكة لهذه المرة وقد قال طاش كبرى زاده : وقف بعرفات سبع مرات  
وحط رحله فى البلد الحرام خمس سنين ، وتصانيفه بين زمزم والمقام " . (٦)  
غير انه اشتاق مرة ثانية الى وطنه فسافر الى خوارزم معرجاً على بغداد سنة  
٥٣٢ هـ . (٧) وبقي فى خوارزم الى ان جاءته الوفاة ولم يكن ينزل فى بلاد  
الا ويجتمع عليه علماءها والتفوا حوله للاخذ منه .  
قال الذهبى : ما دخل بلداً الا واجتمعوا عليه وتلمذوا له وكان علامة نسابة جاور  
مدة حتى هبت على كلامه رياح البادية " . (٨)

#### مشايعه :

وقد استقى الزمخشري من ينابيع كثير من العلماء الذين عاصروهم ومثل هذا  
الرجل الذى طاف فى البلاد وتنقل فى الامصار وتوجد عنده رغبة فى طلب العالم  
بحيث لا يجد اى غضاضة فى ان يجلس جلسة الطالب المستزيد وهو فى السادسة  
والستين من عمره لا بد من ان يكثر عدد مشايخه وعليه نرى السمعاني يقول : " لقسى

- (١) انظر: الزمخشري لغويا ومفسرا ( ص ١١٤ - ١١٥ ) .
- (٢) انظر: مقدمة الكشاف ٣/١
- (٣) انظر: الزمخشري للدكتور / الحوفي ( ص ٤٥ ، والزمخشري لغويا ومفسرا : ١١٥ )
- (٤) مقدمة الكشاف ٣/١
- (٥) انظر خاتمة الكشاف ٤/٢٤٦ .
- (٦) مفتاح السعادة ( ٢ / ٨٩ - ٩٠ ) .
- (٧) انباء الرواة للقفطي ( ٣ / ٢٧٠ ) .
- (٨) سير اعلام النبلاء ١٥٥ / ٢٠ وانظر ايضا انباء الرواة : ٣ / ٢٧٠ .

" لقي الأفاضل والكبار " (١) وأنا أكتفى بذكر أكبر شيخ له وهو : أبو نصر محمود ابن جرير الضبي الأصفهاني ( ت ٥٠٧ هـ ) درس عليه الزمخشري الأدب والنحو (٢) وأخذ منه مذهب الاعتزال وهو أول من أدخل مذهب الاعتزال في خوارزم ونشره فيها (٣) ويبدو ان هذا الرجل كان له تأثير بالغ في حياة الزمخشري في تكوين شخصيته العلمية حيث انه أخذ منه مذهب الاعتزال إلى جانب اللثة والأدب وكان الزمخشري يكن له حباً جماً كما يظهر من خلال قصيدته التي رثاه بها عند موته حيث قال فيها :

وقائلة ما هذه الدرر التي . . . تساقط من عينيك سمطين سمطين  
فقلت لها الدر الذي كان قد حشا . . . أبو مضر أنسى تساقط من عيني (٤)  
وانا أردت المعرفة بمشايخه فارجع إلى كتاب الدكتور الحوفي " الزمخشري " (٥)  
وكتاب مرتضى آية الله زاده " الزمخشري لغوياً ومفسراً " . (٦)

تلاميذه :

لقد كثر عدد الطلاب الذين درسوا على الزمخشري وأخذوا منه العلم وسمعوا عنه ، لأنه كان في عصره علامة الأدب ونسابة العرب وكان أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه (٧) وهذا هو الذي جعله لا يدخل بلداً إلا ويجتمعون عنده يتلمذون عليه ويستفيدون منه كما صرح بذلك القفطي (٨) والذهبي (٩)  
ولا يقتصر عدد تلاميذه على الرجال فقط بل هناك من النساء من أخذت عنده فهذه أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الشعري أخذت عنه وكانت آخر الرواة عنه (١٠)

- 
- (١) الأنساب (٦/٣١٥ ، وهكذا قال فيه القفطي أيضاً انظر: إنباه الرواة (٢٦٦/٣)
  - (٢) انظر: معجم الأدباء (١٩/١٢٧) وبغية الوعاة (٢/٢٧٩) .
  - (٣) انظر: ترجمته في معجم الأدباء (١٩/١٢٣ - ١٢٤) وبغية الوعاة (٢/٢٧٩)
  - (٤) انظر: ديوانه ق ٥٧ وهما أيضاً في معجم الأدباء (١٩/١٢٤) ووفيات الأعيان (٥/١٧٢) والمستفاد من دليل تاريخ بغداد (ص ٢٢٩) وغيرها
  - (٥) ص ٤٨ - ٥١ .
  - (٦) ص ١٠٢ - ١٠٣ .
  - (٧) انظر: إنباه الرواة (٣/٢٦٦ ، ٢٧٠) .
  - (٨) المصدر السابق (٣/٢٦٦)
  - (٩) انظر: سير اعلام النبلاء (٢٠/١٥٥) .
  - (١٠) انظر وفيات الأعيان (٥/١٧٢) وسير اعلام النبلاء (٢٠/١٥٤) .

وقد ذكر كل من الدكتور الحوفي ومرتضى آية الله زاده عدداً لا بأس به من هؤلاء الطلاب الذين أخذوا من الزمخشري وأصبحوا فيما بعد أئمة في اللغسة والأدب وغيرهما ولذا أردت المعرفة بهم فأرجع إلى كتابيهما . (١)

### صفات الخلقية والخلقية :

أما صفاته الخلقية فلم تتحدث لنا المصادر المترجمه له عنها كثيراً سوى ما جاء فيها من أن إحدى رجليه كانت مقطوعة فكان يمشى على جاون خشب ، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال فيظن من يراه أنه أعرج . (٢)

وفي سبب قطعها عدة أقوال فذكر ياقوت الحموي أنه أصابه خراج في رجله فاضطر إلى قطعها واتخذ رجلاً من خشب ، وقيل : أصابه برد الثلج في بعض أسفاره بنواحي خوارزم فسقطت رجله ، وهناك أقوال أخرى ذكرها هو وبعض من ترجم له . (٣)

### وأما صفاته الخلقية :

لقد كان الزمخشري صالحاً في سيرته وخلقه وقد اعترف بذلك الذهبي وابن حجر ولم يأخذا عليه سوى اعتزاله ودعوته له . حيث قال فيه : صالح ولكنه داعية إلى السي الاعتزال . (٤)

ووصفه طائش كبرى زاده بالزهد وحسن السيرة في السر والإعلان . (٥) وكان متديناً في نفسه ومن تدينه انه حج عدة مرات واعتزم أن يقيم بمكة لا ييغى عنها حولا إلا أنه لما اشتاق إلى وطنه وحن له غادرها ولكن لم يصبر على مغادرتها حيث رجس إليها مرة ثانية ، وألف كثيراً من مؤلفاته بين زمن والمقام .

وكان من تدينه أيضاً أنه أشهد في محضر خلقاً كثيراً ممن اطلعوا على الحقيقة في قطع إحدى رجليه خوفاً من أن يظن من لم يعلم الحقيقة أنها قطعت لرؤية " (٦)

- 
- (١) الزمخشري ( ص ٥٢ - ٥٥ ) والزمخشري لغويا ومفسرا ( ص ١٠٣ ، ١٠٤ )
  - (٢) انظر : بغية الوعاة ٢ / ٢٨٠ .
  - (٣) معجم البلدان ١٩ / ١٢٧ وانظر أيضاً وفيات الاعيان ٥ / ١٦٩ . وسير اعلام النبلاء ٢٠ / ١٥٦ ، وفتح السعادة ٢ / ٨٨ ، ٨٩ وغيرهما
  - (٤) انظر ميزان الاعتدال ٤ / ٧٨ ولسان الميزان ٦ / ٤ .
  - (٥) مفتاح السعادة ٢ / ٨٧ .
  - (٦) انظر : وفيات الاعيان ٥ / ١٦٩ ومفتاح السعادة ٢ / ٨٩ .

هذا ويبدولى أن من ينظر في سيرة هذا الرجل بشيء من الإمعان يجسده متصفاً ببعض الصفات المتناقضة فمنها إثارة للعزوبة وكراهته للحياة الزوجية — مع أن هذه الصفة يدعو إليها المتصوفة وهو يعتبر نفسه عدواً لدوداً لهم حيث يسفه آراءهم ومعتقداتهم ومنها أيضاً قسوته على مخالفيه في المذهب وسبهم وشتيمهم . وتسميته آرائهم ومنهم أهل السنة فقد قسا عليهم مرات في تفسيره وضعف دينهم مع أنه يعتبر نفسه من كبار الأئمة فكان المفروض أن ينزه نفسه عن مثل هذه الفضائح . ومما اتصف به من الصفات المتناقضة أنه كان مع اعتداده بالنفس وتنويهه بعلمه ومعرفته متواضعاً لطيف المعاملة ظريف المجاملة .

وكذلك مع إباءه وعزة نفسه كان يطرق أبواب السلاطين والأمراء يستنجد منهم وغير ذلك من الصفات المتناقضة . (١)

عقيدته ومذهبه :

فقد صرح أغلب من ترجم له بأن الزمخشري كان معتزلياً ووصفه الذهبي بأنه كبير المعتزلة . (٢)

لأنه لم يكن يتبنى عقيدة الاعتزال فقط بل كان داعياً إلى مذهب المعتزلة ومتحمساً له أشد التحمس حيث كان يناظر عليه قال ابن كثير : وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره وينظر عليه (٣) ومن تحمسه أنه طبق تفسيره للقرآن على هذا المذهب ولذلك نرى أحمد أمين يقول : ولذا نحن وصلنا إليه وإلى عبد الجبار فقد وصلنا إلى خلاصة مجهود المعتزلة وباحثهم في أربعة قرون تقريباً . (٤) ففي نظره

(١) بدا لي ذلك من خلال ما كتبه الدكتور الحوفي في الفصل الخامس من كتابه تحت عنوان : " معالم شخصية " فمن أراد التأكد مما قلته فليرجع إلى كتابه " الزمخشري " ( ص : ٧٠ - ٩٨ ) وايضاً إلى كتاب " الزمخشري لنويبا ومفسراً " لمرتضى ( ١٤٦ - ١٥٠ ) . علماً بأن لي ملاحظة على الدكتور المذكور وهي أنه دافع عن قسوة الزمخشري على أهل السنة فذكر أن أهل السنة طالما خاصموا المعتزلة وحرّضوا عليهم وكفروهم ولاشك أن الزمخشري كان يعلم هذا . فليتهم بمثل ما يلقونه به " انظر ص ٩١ - ٩٢ ) ويبدولى أن الدكتور كان ناسياً أو متناسياً عند ذكره لهذا الكلام تاريخ المعتزلة وما فعلوا مع كبار الأئمة من أهل السنة وهل يمكن له ان يأتي لنا بدليل على أن أهل السنة هم الذين حرّضوا على المعتزلة أولاً كلاً ثم كلاً فإن المعتزلة هم الذين بدأوا في إيذاء أهل السنة وقابلوهم بالحديد وال نار كما هو مسجل في التاريخ .

(٢) سير أعلام النبلاء ( ١٥١ / ٢٠ ) .

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢٣٥ .

(٤) ظهر الاسلام : ٥١ / ٤ .

يستحق الزمخشري نظراً لما قام به من جهد متواصل وعمل دؤب في سبيل خدمة الاعتزال والمعتزلة بالتأليفات والمناظرات - أن يسمى خلاصة مجهودات المعتزلة ودراساتهم عبر القرون الأربعة السابقة .

وقال ابن خلكان : وكان الزمخشري معتزلي الاعتقاد متظاهراً به حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب . (١)

وقد جاء تمسكه بذهب الاعتزال بحكم البيئة التي عاش فيها ونشأ وقد سبق أن خوارزم كانت تمنح بالاعتزال وتعج بالمعتزلة . حيث يندرج وجود خوارزمي ليس معتزلياً وقد اعتبر الزمخشري اعتزال الخوارزميين رأس فضائلهم . (٢)

ثم كانت دراسته الأولى على علماء خوارزم ولاسيما على أبي مضر الذي له أعظم تأثير على عقله وكان معتزلياً وأول من أدخل الاعتزال في خوارزم وأيضاً كان الزمخشري بطبعه ميالاً إلى المناقشة والجدل فكان ذلك كله مما ساعده على اختياره لمذهب المعتزلة، فدان له وناصح عنه . وأما بالنسبة لمذهبه فكان حنفي المذهب كما صرح به ابن تغري بردى والسيوطي وطاش كبرى زاده وغيرهم . (٣) بل كان فخوراً بخنفيته حيث باهى بها في قوله :

وَأَسْنُدُ دِينِي وَاعْتِقَادِي وَمَذْهَبِي . . . إِلَى حُنَفَاءَ اخْتَارَهُمْ وَحَنَائِفًا  
حَنِيفِيَّةً أَدْيَانَهُمْ حَنِيفِيَّةً . . . مَذَاهِبَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ الزَّعَانِفَا (٤)  
ويؤكد على تمذهبه بالمذهب الحنفي أن ابن قطلوبغا وغيره ترجموا له في كتب الطبقات المختصة بالأحناف . (٥)

وتمسكه بهذا المذهب أيضاً جاء بحكم البيئة التي عاش فيها فقد ذكر الدكتور الحوفي أن الغلبة في خوارزم كانت لمذهب أبي حنيفة . (٦)

(١) وفيات الأعيان ١٢٠/٥ ، وانظر أيضاً معجم الأدباء ١٢٦/١٩ ، وبغية الوعاة ٢٧٩/٢ ، وشذرات الذهب ١١٨/٤ ومفتاح السعادة ٨٧/٢ ، والفوائد البهية (٢٠٩)

(٢) انظر: الزمخشري ( ص ٢٢ - ٢٥ ) .

(٣) النجوم الزاهرة ٢٧٤/٥ وبغية الوعاة ٢٧٩/٢ ، ومفتاح السعادة : ٨٧/٢ .

(٤) ديوان الأدب ( ص ٧٨ ) نقلاً عن الزمخشري للدكتور الحوفي ( ٩١ ) وانظر أيضاً منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ١٢٩ )

(٥) انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا ( ص ٧١ - ٧٢ ) والفوائد البهية : ٢٠٩ وصرح بأنه من أكابر الحنفية .

(٦) الزمخشري ( ص ٢٥ ) .

ثقافته :

نظرا لما كان يتمتع به الزمخشري من غاية الذكاء وجودة القريحة (١) فقد جمع لديه من العلوم والفنون الشيء الكثير ، وسندكر ما قاله كبار المترجمين له ، فقال **يا قوت الحموي** : " كان . . . . واسع العلم ، كبير الفضل متفنناً في علوم شتى (٢) "

وقال السيوطي : كان واسع العلم كثير الفضل . . . . متفننا في كل علم " (٣) وكذا قال فيه طاش كبرى زاده (٤) وذكر اليافعي أيضا تفننه في علوم مختلفة (٥)

وقال ابن خلكان : " كان إمام عصره من غير مدافع ، تشدد إليه الرجال في فنونه " (٦)

وقال القفطي : تضرب إليه أكباد الأبل ، وتحط بفنائه رجال الرجال وتحدي باسمه مطايا الآمال . . (٧)

وقال اليافعي : " كان . . . . إمام عصره في فنونه " (٨)

وقال الذهبي وكان رأساً . . . . ثم عدد ميادين اختصاصه (٩)

ووصفه ابن تغرى بردى قائلاً : " الإمام العلامة فريد عصره ووحيد دهره وإمام وقته " (١٠)

ولكن ياترى ما هي المجالات التي أحرز فيها قصب السبق وحاز اعجاب الناس؟ فنجد ذكرها عند المترجمين له فيقول : السمعاني : كان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو، لقي الأفاضل والكبار وصنف تصانيف في التفسير وشرح الأحاديث وفي اللغة (١١)

ويقول ابن النجار : كان إماماً في النحو واللغة تشدد إليه الرجال وله في ذلك

مصنفات وكان فصيحاً بليغاً علامة " (١٢)

(١) انظر: بغية الوعاة ٢/٢٧٩ ، وطبقات المفسرين ٢/٣١٥ ، ومفتاح السعادة ٨٧/٢ .

(٢) معجم الأدباء ١٩/١٢٧ .

(٣) بغية الوعاة (٢/٢٧٩) .

(٤) مفتاح السعادة ٨٧/٢ .

(٥) مرآة الجنان ٣/٢٦٩ .

(٦) وفيات الأعيان ٥/١٦٨ .

(٧) أبناء السرواة ٣/٢٦٦ .

(٨) مرآة الجنان ٣/٢٦٩ .

(٩) سير أعلام النبلاء : ٢٠/١٥٤ .

(١٠) النجوم الزاهرة ٥/٢٧٤ .

(١١) الإنساب : ٦/٣١٥ .

(١٢) انظر المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ( ص ٢٢٨ )

وقال فيه ابن خلكان : الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان . (١)

وقال ياقوت الحموي : " كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب " (٢)

وقال الذهبي : وكان رأساً في البلاغة والعربية والبيان . وله نظم جيد (٣)

وقال اليافعي : عاش إحدى وسبعين سنة متفناً في التفسير والحديث واللغة وعلم البيان . (٤)

وقال طائس كبرى زاده : إمام الدنيا في علم الاعراب واللغة والمعاني والبيان (٥)

وقال اللكنوي : وهو يحدد مجالات تخصصه : " كان ... نحويّاً ذكياً فقيهاً مناظراً بيانياً متكلماً مناظراً أدبياً شاعراً مفسراً " . (٦)

فهذه بعض النماذج من أقوال العلماء في تحديدهم لمجالات تخصصهم الزمخشري وإجماله النظر فيها وفي غيرها من أقوال العلماء نستطيع أن نحدد مجالاته بالإيجاز .

فنقول : إن الزمخشري كان مفسراً ومبياً يؤخذ عليه مسانده لإراء الاعتزال وتسفيهه لمعتقدات السلف وكان نابغاً في النحو واللغة والأدب والبلاغة وعلومها وتأليفه في هذه الفنون أصدق دليل على ذلك حيث تشهد له بطول الباع وغزارة المادة ومثانة الأسلوب علماً بأنه إلى جانب هذا كان شاعراً بليغاً (٧) ثم انه بحكم نشأته كان يعترف اللغة الخوارزمية والتركية والفارسية وقد ألف كتابه مقدمة الأدب باللغتين الخوارزمية والعربية ثم ترجمه إلى اللغة الفارسية . (٨)

وأما ما ذكر ابن خلكان وغيره من معرفته بعلم الحديث وإمامته فيه فلا نوافقه في ذلك لأنه لم يكن يعرف الحديث ولا هو من رجاله وما ذكر من سماعه للحديث من بعض شيوخ الحديث لا يدل على كونه من أهل العلم بالحديث ، وأما تأليفه لكتابه " الفائق في غريب الحديث " فلم يكن إلا لأجل ارتباطه بأوثق الصلة بعلم اللغة التي هي إحدى تخصصاته .

ومتى كانت المعتزلة يولون من اهتمامهم شيئاً للحديث ؟ حتى يقال فيه : الإمام

(١) وفيات الاعيان : ١٦٨ / ٥ .

(٢) معجم الأدباء : ١٢٦ / ١٩ .

(٣) سير اعلام النبلاء : ١٥٤ / ٢٠ .

(٤) مرآة الجنان : ٢٦٩ / ٣ .

(٥) مفتاح السعادة : ٨٧ / ٢ .

(٦) الفوائد البهية : ص ٢٠٩ .

(٧) راجع الفصل الذي خصصه الدكتور الحوفي لدراسة أشد حاره في كتابه " الزمخشري " ( ص : ٢٨٨ - ٢٩٦ ) .

(٨) انظر : الزمخشري لغوياً ومفسراً ( ص ١٣٦ ) .

الكبير في الحديث • والذي عرفناه منهم ومن الزمخشري هو الاستخفاف بالحديث ورجاله وعدم المبالاة به وان كان في منتهى الصحة وقد تقدم ذكر موقفهم من السنة النبوية عند الكلام على مراحل التفسير • (١)

ومن هنا لم يأت في وصف الحموي والذهبي له ذكر لمعرفته بالحديث وما يؤكد عدم الماهة بالحديث صنيعة في تفسيره حيث لا يفرق بين الصحيح والضعيف فييدى الشك فيما رواه البخاري ومسلم أو أحدهما ويطرحة ويأخذ بما هو معلوم بطلانه كما فعل في فضائل السور فذكر معتمدا على الثعلبي كل ما جاء في فضائلها ومن المعلوم أن أكثر هذه الأحاديث موضوعة مفتعلة •

### مؤلفاته :

لقد برز الزمخشري في ميدان التأليف أيضا حيث ترك من ورائه عشرات من المؤلفات في فنون عديدة لاسيما التي تقدم ذكرها وقد صرح غير واحد من المترجمين له بأنه صنف التصانيف الكثيرة كما أنهم وصفوها بالابتداع والابتكار • فقال ابن خلكان : وصنف التصانيف البديعة ثم عدد بعض مصنفاته • (٢)

وقال اليافعي : وله التصانيف البديعة الكثيرة المدوحة الشهيرة عدد بعضهم منها ثلاثين مصنفا (٣) وكذلك وصف ابن كثير مصنفاته بأنها مفيدة (٤) وقال الفاسي : صاحب الكشاف في أصول العلم الدالة على وفور فضله \* (٥) ووصف أحمد أمين مؤلفاته بالجدة والابتكار (٦) ومن أهم مؤلفاته تفسيره " الكشاف " وسوف تعرف عنه كثيراً عند المقارنة مع السمعاني •

والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة والمستقصى في الأمثال ومقدمة الأدب والمفصل في النحو وأطواق الذهب في المواعظ • (٧)

- (١) ص (٥٧) وللمزيد من التفصيل ارجع إلى كتاب موقف المعتزلة من السنة النبوية لأبي لبابة حسين •
- (٢) وفيات الأعيان ١٦٨/٥ •
- (٣) مرآة الجنسان : ٢٧٩/٣ •
- (٤) البداية والنهاية : ٢٣٥/١٢ •
- (٥) العقد الثمين ١٣٨/٧ •
- (٦) ظهير الإسلام : ٤٩/٤ •
- (٧) ذكر له بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٢١٦/٥ - ٢٣٨) واحداً وثلاثين مؤلفاً بين المطبوع والمخطوط ومكان وجوده في مكاتب العالم وبين ذلك إذا وجدت حول كتاب من كتبه دراسات من المتقدمين والمتأخرين وذكر له الدكتور الحوفي في كتابه (الزمخشري) (ص ٥٦ - ٦٣) سبعة وأربعين مؤلفاً فإذا أردت الاستيعاب لمؤلفاته فارجع إلى هذا الكتاب والذي قبله •



وفاته :

اتفق المؤرخون على أن وفاته كانت في ليلة عرفة من سنة ٥٢٨ هـ بجرجانية

خوارزم . (١)

وهكذا عاش الزمخشري حوالي إحدى وسبعين سنة (٢) <sup>نشاها</sup> كلها في طلب

العلم والتنقل بين الأمصار .

(١) انظر الانساب (٦ / ١٦٣) ووفيات الأعيان (٥ / ١٧٣) . ومعجم

الادباء ١٢٩ / ١٩ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ( ص ٢٢٩ ) وفيه

بكر كنج وهي قصبة خوارزم " وبغية الوعاة ٢ / ٢٨٠ .

(٢) صرح ابن كثير في البداية والنهاية ١٢ / ٢٣٥ بأنه مات عن ست وسبعين سنة

مما يدل على أنه ولد سنة ٤٦٢ هـ وهو خلاف ما عليه المؤرخون جميعا حيث

ذكروا أن ميلاده كان سنة ٤٦٧ هـ وورد عند اليافعي وابن العماد وغيرهما

أنه عاش إحدى وسبعين سنة مما يجعلنا نستبعد ما ذكره ابن كثير .

انظر مرآة الجنان ٣ / ٢٦٩ ، شذرات الذهب : ٤ / ١١٨ .

## \*\* الفصل الثالث \*\*

— (المقارنة بين المفسرين الثلاثة : السمعاني — البغوي — والزمخشري ) —

## أولاً : تعريف موجز بالتفاسير الثلاثة :

ما أراه مناسباً قبل الخوض في المقارنة التفصيلية أن أقدم الى القراء تعريفاً موجزاً وسريعاً عن كل من هذه التفاسير الثلاثة : السمعاني ، والبغوي ، والزمخشري — ليكون عندهم — وهم مقبلون على دراسة مقارنة بينها — إلمام سابق بكل واحد منها ويمدى أهميته في مجال التفسير .

## تفسير السمعاني :

وهو تفسير كامل لكتاب الله تعالى سوى ما سقط من النسختين الخطيتين من سورة الكهف وهو يعتبر من كتب التفاسير المتوسطة بحيث ان مؤلفه لا يطيل فيه إطالة مملدة كما انه لا يختصر فيه اختصاراً مخللاً ، واعتمد في تفسيره على الكتاب والسنة والمأثور من أقوال الصحابة والتابعين مما جعله يعد من كتب التفسير بالمأثور . ولا يعنى هذا انه تفسير لا يوجد فيه إلا النقل بل استخدم فيه المؤلف رأيه وعقله واجتهاده في كثير من الأمور . وذلك في الحدود التي أجازها علماء الشرع لتفسير كتاب الله تعالى ومن أهم ما يوجد فيه مسن حسانات ان المؤلف انتصر فيه للعقيدة السلفية أيما انتصاره ، ودافع عن جنابها أيما دفاع ، كما قام بالرد على المخالفين لها من أهل الزيغ والفساد .

ومع هذه الميزة التي لانجدها في كثير من كتب التفاسير لاندري ما السبب لخولسه إلى هذه الفترة . حيث بقي في خضم الظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض ، لم يوفق له إلا الدكتور عبد القادر منصور المعروف بأبي دجانة حيث أخرجه من تلك الظلمات وحقق منه جزءاً يحتوي على سورتي الفاتحة والبقرة فكان ذلك إنارة للطريق أمام الطلاب الآخرين فانكبوا عليه ووزعوه فيما بينهم لتحقيقه ودراسته مما سيجعل إخراجه محققاً بصورة كاملة مسرراً ممكناً بعد أن كان من المحال أو شبه المحال .

وهذا الكتاب قد أثنى عليه بعض الأئمة ثناءً جميلاً منهم أبو سعد السمعاني إذ وصفه بأنه تفسير حسن مليح استحسنته كل من طالعه (١) وأبو سعد محقق في قوله هذا ولا يعتبر من المبالغة والتحيز لجدده فإن كل من ينظر في هذا الكتاب يوافق في هذا الوصف لأنه متصف بكثير من الصفات المميزة .

ومما يلاحظ أن المؤلف لم يأت بمقدمة في أول كتابه يبين فيها الباعث الذي حمله على التصدي لتفسير كتاب الله تعالى مع العلم بأن هناك كمية كبيرة من كتب التفسير موجودة في

في عصره . وكذلك يبين فيها منهجه وطريقته لتفسير كتاب الله تعالى والمصادر الستة اعتمد عليها في كتابه علماً بأن من ينظر فيه يقطع بأنه استخدم الكثير من مصادر السابقين وقد مشى على هذه الطريقة كثير من المفسرين وغيرهم من المؤلفين منهم : البغوي والزمخشري حيث أتيا بمقدمة في مستهل تفسيريهما .

وأما السمعاني فإنه بدأ بعد الحمد والصلاة والتسليم في تفسير سورة الفاتحة ولم يذكر منهجه أو مصادره أو السبب لتأليف هذا الكتاب .

ويلاحظ أنه لم يسم كتابه هذا بأى تسمية وهذا من عادة المؤلفين القدامى فإنهم لا يهتمون بالتسميات حتى ان بعضهم يتورع في نسبة مؤلفه إلى نفسه ويأتي بعض تلاميذه أو أصحابه فيسميه بما يراه اخذاً مما جاء في المقدمة وغيرها كما سوف نرى في تفسير البغوي وهذا أيضاً لم يتم بالنسبة لتفسير السمعاني حيث لم نجد أحداً من المترجمين له ذكره باسم خاص غير تفسير القرآن أو التفسير فقط ، وتوجد لهذا الكتاب نسختان خطيتان ، أحدهما في المكتبة الأزهرية بالجامع الأزهر بالقاهرة برقم ٢٠٩٥ تفسيره وهى تقع في مجلدين كبيرين يبلغ عدد أوراقها ٦٢٧ ورقة والثانية في دار الكتب المصرية بالقاهرة . وتقع هذه النسخة في ثلاث مجلدات كبيرات يبلغ عدد أوراقها ٨٥١ ورقة علماً بأن النسختين سقطت منهما سورة الكهف بكاملها .

### تفسير البغوي " معالم التنزيل "

وهو يعرف بتفسير البغوي كما أنه يسمى أيضاً بـ " معالم التنزيل " (١) وليس هناك ما يدل على أن المؤلف سمي كتابه بهذا الاسم سوى ما جاء في مقدمته في أول الكتاب من ذكر لهذه الكلمة حيث قال : فسألني جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره . فأجبتهم إليه " (٢) وهو أيضاً تفسير كامل لكتاب الله تعالى ، مشى فيه مؤلفه على نهج السلف فيما يتعلق بأمر العقيدة وقد قدم المؤلف في أوله بمقدمة نفيسة بين فيها أن تأليف هذا الكتاب جاء نزولاً عند رغبة طلابه وتلاميذه المخلصين والمقبلين على اقتباس العلم ، وتحقيقاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاب العلم ، واقتداءً بالماضين من السلف .

ثم ان المؤلف لم يدع بأنه أتى بشئ جديد على المفسرين السابقين وقد صرح بذلك حيث قال : وليس على ما فعلوه مزيد ، لكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر المطالبين فيه الجهد والجهد " . (٣)

(١) ذكره الزركلي في الأعلام (٢٥٩/٢) باسم " لباب التأويل في معالم التنزيل " وهو خطأ لم يذكره أحد بهذا الاسم ولعله اختلط عليه بكتاب الخازن الذي ألفه مختصراً من تفسير البغوي باسم " لباب التأويل في معاني التنزيل " ولا سيما يوجد تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن المسمى بلباب التأويل في إحدى طبعاته .

(٢) تفسير البغوي ٢٧/١ .

(٣) المصدر السابق

وكما تقدم في تفسير السمعاني انه من التفاسير المتوسطة فكذلك تفسير البغوى أيضا من التفاسير التي تتجنب عن التطويل الممل والتقصير المخل ، قال البغوى : فجمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوا كتاباً متوسطاً بين التطويل الممل . والقصير المخل ، أرجو أن يكون مفيداً لمن أقبل على تحصيله مزيداً \* (١) ولذلك وصفه الدكتور محمد أبو شهبه بعدم الاستطراد (٢) ثم بين البغوى المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه لهذا الكتاب مع بيان ما يروى به كل هذه المصادر من الأسانيد ، وبعد ذلك حكى المصادر التي اعتمد عليها في ذكر القراءات ثم ذكر مكانة السنة النبوية في تفسير القرآن بالسنة فذكر أنه أعرض عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير \* (٣)

ثم عقد بعد ذلك ثلاثة فصول أولها في فضائل القرآن وتعليمه ، والثاني في فضائل تلاوة القرآن . والثالث في وعيد من قال في القرآن برأيه ، من غير علم ، وحشد في هذه الفصول الثلاثة من الأدلة الحديثية عدداً كبيراً (٤)

ومن الملاحظ على البغوى أن تفسيره مختصر من كتاب الثعلبي " الكشف والبيسان " قام فيه بتهديب كتاب الثعلبي واختصاره وحذف منه الأشياء المنكرة والخرافات التي لا تليق بحال التفسير أبداً ، إلا أنه لم يصرح لا في مقدمته ولا في غيرها بذلك سوى ما جاء أثناء ذكره للمصادر من أن أكثر ما نقله عن أئمة التفسير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السلف مسموع من طريق الثعلبي . (٥)

والغريب أن هذه الحقيقة بقيت خافية عبر القرون المتعددة لم يتفطن لها أحد من العلماء إلى أن جاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فكشف عنها الستار وبين أن تفسير البغوى تهذيب واختصار لكتاب الثعلبي ، وكان أول من نبه على ذلك فإنه قال في مقدمة أصول التفسير " والبغوى تفسيره مختصر من تفسير الثعلبي ، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة . (٦)

وقد درس هذا الموضوع الأخ الفاضل الدكتور/ محمد أشرف الملياري في رسالته دراسة جيدة ، وبين أن ثمانية أعشار كتاب البغوى منقول من تفسير الثعلبي . (٧)

وقد تعجب من اغفال البغوى لهذه النقطة المهمة عندما عمد إلى اختصار كتاب الثعلبي فهذبته أحسن تهذيب ، ولكنه لم يصرح به ثم تلمس له العذر بأنه قام ببعض التغييرات البسيطة وأضاف من عنده بعض الروايات مما لم يكن في الأصل ، فالكتاب على هذا

- 
- (١) تفسير البغوى ٢٨ / ١  
(٢) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ( ص : ١٨٠ )  
(٣) تفسير البغوى ( ٣١ / ١ )  
(٤) المصدر السابق ٣١ / ١ - ٣٦  
(٥) نفس المصدر ( ٢٨ / ١ )  
(٦) مقدمة أصول التفسير ( ص : ٧٦ )  
(٧) الثعلبي ودراسة كتابه ( ص ٧٤٧ )

لم يبق مختصراً لنص الثعلبي وإنما دخلت فيه التحسينات وأعطى لوناً جديداً وطابعاً خاصاً فحق له أن ينسبه إلى نفسه . ويسميه بما يريد " . (١)

وهذا الاعتذار عند الكرام من الدارسين مقبول ، ومما أضاف البغوى على الثعلبي الفصول الثلاثة التي عقدها في مقدمته للكتاب ، وسبقت الإشارة إليها وقد حاز هذا الكتاب إعجاب العلماء فتناولوه قراءة وأثنوا على صاحبه ثناءً جميلاً فقال الذهبي وله القدم الراسخ في التفسير " . (٢)

وقال السيوطي : وكان إماماً في التفسير " (٣) كما أنه شهد له أحد علماء الشيعة وهو الخوانساري بالتفوق في علم التفسير فقال : كان هذا الشيخ إماماً بارعاً عديم النظير في علم التفسير " . (٤)

وقد وصف الخازن هذا الكتاب بأنه أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنبليها وأسناها جامعاً . وكانت هذه الأوصاف سبباً في اختياره له للاختصار والانتخاب منه فالف مختصراً منه ومعتمداً عليه كتابه المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل وقال الدكتور / محمد أبو شهبه : وهذا التفسير من خيرة التفاسير وأسهلها (١) .  
ومما يدل على قبوله في الأوساط العلمية أنه طبع عدة مرات . وكانت الطبعات السابقة على هوامش بعض الكتب في التفسير ، وطبع أخيراً طبعة مستقلة في أربع مجلدات بتحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار " (٧) .

(١) الثعلبي ودراسة كتابه ص ٢٤٨ - ٢٤٩

(٢) سير اعلام النبلاء : ١٩ / ٤٤١ .

(٣) طبقات المفسرين ( ص : ٥٠ )

(٤) روضات الجنات ( ص ٢٤٥ )

(٥) انظر مقدمة لباب التأويل ( ٣ / ١ ) .

(٦) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ( ١٨٠ ) وراجع أيضا البغوى ومنهجه في

التفسير للسيدة / عفاف ( ص ١٦٨ - ١٧٩ )

(٧) وقد استخدمت هذه الطبعة في القسم الدراسي ، وأما قسم التحقيق فاستخدمت فيه الطبعة التي توجد على هامش تفسير الخازن .

## تفسير الزمخشري " الكشاف "

وهو أيضاً تفسير كامل لكتاب الله تعالى ، إلا أنه على نقيض ما عليه تفسير السمعاني وتفسير البغوي لأنهما من تفاسير أهل السنة والجماعة التي مشى فيها مؤلفوها على منهج السلف الصالح من هذه الأمة في مسائل العقيدة وأمور الدين .

وأما الكشاف فهو تفسير معتزلي قح حيث انتصر فيه صاحبه لعقيدة الاعتزال ودافع عنها بكل ما أوتي من قوة ، وهو يعتبر وحيداً من تفاسير المعتزلة التي فسرها كسلام الله تعالى من أوله إلى آخره فهو وحده تفسير كامل يمثل منهج المعتزلة لتفسير كتاب الله تعالى (١)

وقد عرف هذا الكتاب باسم " الكشاف " مختصراً من اسمه " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل " ويبدو أن هذه التسمية قام بها الزمخشري نفسه أو أنه رضى بها ان كانت من قبل غيره لأنه يذكره في كلامه باسم " الكشاف " وقد قال في مدحه :

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد . . . وليس فيها لعمرى مثل كشافى  
ان كنت تبغى الهدى فالزم قرأته . . . فالجهل كالسداء والكشاف كالشافي (٢)

وقد قدم لتفسيره بمقدمة موجزة بين فيها أهمية علمي البلاغة والبيان وذكر أن من لم يسرع في هذين العلمين لا يمكنه التصدي لتفسير كتاب الله تعالى ولا يمكنه ان يخصوص على شيء من حقائقه .

ثم تحدث عن الظروف التي تم فيها تأليفه لهذا الكتاب وذكر أنه جاء نزولاً عند رغبة إخوانه في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية . - يقصد بهم المعتزلة - وتبجح في ذلك بما ليس من عادة المؤلفين من علماء السلف فتكلم بكلام يبدو عليه اثر الاعتداد بالنفس والادعاء بالمعرفة والاشهار بها مما يخالف التواضع وعدم الحجب في الشهرة الذي هو من صفات المؤمن وقد اثني فيها على الأمير العلوي ابن وهاس ثناءً كثيراً حيث إنسه كان السبب الأكبر في تأليف هذا الكتاب .

وحكى ان تأليفه لهذا الكتاب أخذ منه من الوقت ما يوافق مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي سنتان وشيء من السنة وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة (٣)

ومما هو معروف لدى كثير من أهل العلم أن الزمخشري سلك في تفسيره لكتاب الله تعالى على نهج المعتزلة وأيد آراءهم وانتصر لعقيدتهم واختار في ذلك أسلوباً خفياً

(١) وهذا هو السبب أن أحمد أمين يسميه خلاصة مجهودات المعتزلة وأبحاثهم على مدى قرون أربعة .

انظر: ظهر الإسلام ( ٥١ / ٤ )

(٢) انظر: مفتاح السعادة ( ٩٠ / ٢ ) (٣) انظر: الكشاف ( ٣ / ١ - ٤ )

جداً بحيث لا يتفطن الكثير لما يدسه من السم الاعتزالي في ثنايا كلامه فإنه ينمق العبارات وينسقها بأحسن الطرق ثم يضع فيها ما يريد ، وعلى هذا فقد حذر من قراءته كثير من العلماء ، وقالوا لا ينبغي أن يطالعه إلا من هو متمكن من العقيدة السلفية وعارف بطرق وأساليب المعتزلة . قال شيخ الإسلام وهو في معرض الكلام على تفاسير المعتزلة : ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً ، ويدرس البسود في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه ، حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله ، وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدى لذلك \* . ( ١ )

وقال الذهبي في ترجمة الزمخشري : صالح لكنه داعية إلى الاعتزال - أجازنا الله - فكن حذراً من كشافه . ( ٢ )

ونقل ابن حجر عن أحد شراح البخاري وهو أبو محمد بن أبي حمزة أنه قال : ومنهم من يرى مطالعة كتاب الزمخشري ويؤثره على غيره من السادة كابن عطية ويسمى كتابه الكشاف تعظيماً له قال : والناظر في الكشاف ان كان عارفاً بدسائسه فلا يحل له أن ينظر فيه لأنه لا يأمن الغفلة فتسبق إليه تلك الدسائس وهو لا يشعر أو يحمل الجهال بنظره فيه على تعظيم \* \* \* . ثم قال ابن حجر : وأما التفسير فقد أولج الناس به وبحثوا عليه وبينوا دسائسه وأوردوها بالتصنيف ومن رسخت قدمه في السنة وقرأ طرفاً من اختلاف المقالات انتفع بتفسيره ولم يضره ما يخشى من دسائسه \* ( ٣ )

وهكذا وجه إليه كثير من العلماء والائمة نقداً شديداً بسبب اعتزاله وانتصاره لمذهب المعتزلة في تفسيره ( ٤ ) كما أن بعضهم أثنوا عليه ثناءً جميلاً من الناحية البلاغية واللغوية فهذا ابن خلدون نجده عندما تكلم عن القسم الثاني من التفسير - وهو الذي يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب - يقول : \* ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق \* \* \* ثم أشار إلى اعتزاله . ( ٥ )

( ١ ) انظر : مقدمة في أصول التفسير ( ص ٨٦ ) .  
 ( ٢ ) ميزان الاعتدال ( ٧٨ / ٤ )  
 ( ٣ ) لسان الميزان ( ١٠٤ / ٦ )  
 ( ٤ ) راجع لمعرفة كتاب " الزمخشري لغوياً ومفسراً " ص ٣٤١ - ٣٤٤ .  
 ( ٥ ) مقدمة ابن خلدون ( ص ٤٤٠ ) والغريب أن الزمخشري نفسه كان يشيد بتفسيره وينوه بعمله في ثناياه - ويدل عليه البيتان اللذان سبق ذكرهما من قوله \* .

وممن أشاد بهذا التفسير الدكتور محمد حسين الذهبي من المتأخرين حيث يقول :  
 "إنه تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن ،  
 ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف  
 لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته . . . . إلى آخر ما وصفه به . (١)

ومما لا مجال فيه للإنكار أن تفسير " الكشاف " قد طارصيته في أقصى المشرق  
 والمغرب وأشتهر في الآفاق وتناوله الأئمة المحققون بالكتابة عليه فمنهم من قام بالتمييز  
 لما جاء فيه من الاعتزال ، ومنهم من ناقشه في وجوه الإعراب ومنهم من خرج أحاديثه  
 وقام ببيان الصحيح والضعيف ومنهم من اختصره ولخصه . (٢)

وللكتاب طبعات مختلفة وعديدة منها الطبعة الأخيرة التي طبعتها دار المعرفة  
 ببيروت ، وبذيل هذه الطبعة كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير  
 الاسكندري ، وحاشية محمد عليان المرزوقي .

• ويوجد في آخره الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني .  
 • ومشاهد الانصاف على شواهد الكشاف .

وقد استخدمت هذه الطبعة في القسم الدراسي وأما قسم التحقيق فاستخدمت  
 فيه طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٣٦٥ هـ .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كل كتاب من هذه الكتب الثلاثة قد أفرغ بدراسته  
 وافية والكشاف قام بدراسته أكثر من واحد . فقد درسه الدكتور / محمد مصطفى الصاوي  
 الجويني في كتابه " منهج الزمخشري في تفسيره ودرسه الدكتور أحمد محمد الحوفي  
 في كتابه " الزمخشري " كما تناوله مرتضى آية الله زاده الشيرازي بالبحث والدراسته  
 في كتابه " الزمخشري لغوياً ومفسراً " .

وأما تفسير السمعاني فقد قام بدراسته الدكتور أبو دجانة في مقدمته على تفسير  
 السمعاني والذي نال به درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية قبل سنوات .  
 وتفسير البغوي قامت بدراسته السيدة / عفاف عبد الغفور حميد .

(١) التفسير والمفسرون (١/٤٣٣)

(٢) انظر لمعرفة شروحه وتعليقاته وجميع ما كتب عليه من ردود ونقد ومختصرات . كشف  
 الظنون (١٤٧٥ - ١٤٨٤) وانظر لمعرفة ما طبع منها والنسخ الخطية لما لم  
 يطبع منها تاريخ الأدب العربي ٥/٢١٧ - ٢٢٤ ( مترجم ) .



المقارنة :

وعندما نأتى للمقارنة التفصيلية نود أن نوضح للقراء النقاط التي سوف نتناولها للمقارنة وهي : التفسير بالمأثور بأنواعه الثلاثة ، والقراءات ، والاسرائيليات ، واللغة والنحو والشعر ، والمكي والمدني وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، واستنباط المسائل الفقهية والعقدية ، والبلاغة ، فهذه من رؤوس المسائل التي سوف نقوم - بإذن الله تعالى - بالمقارنة فيها بين التفاسير الثلاثة علماً بأن مقارنتنا تتم في ضوء الدراسات السابقة عن كل كتاب من كتب التفسير الثلاثة :

التفسير بالمأثور :

وقد سبق فيما تقدم الكلام على التفسير بالمأثور ومكانته وأهميته وأنواعه بشيء من التفصيل وبيننا أن المفسرين من السلف قد ارتضوا لأنفسهم هذا المنهج - التفسير بالمأثور - دون غيره من المناهج وعندما تلقى نظمة مقارنة بين هذه التفاسير الثلاثة نجد أن جميعها تتفق في استخدام هذا المنهج وإن كانت مختلفة في الكم والكيف والاسلوب فهو من أهم الأسس التي بنى عليها السمعاني والبغوي تفسيرهما بينما نرى الزمخشري يستخدم هذا الاسلوب عندما يجد فيه بغيته من الموافقة والتأييد لما يذهب إليه ويقرره في تفسير الآيات . لأن الأصل الذي وضع عليه الزمخشري أساس تفسيره هو الرأي والاجتهاد ، فما نجد فيه من التفسير بالمأثور فهو لبيان التأييد والماندة لا للاعتماد عليه والاستدلال به . وقد سبق أن التفسير بالمأثور ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : تفسير القرآن بالقرآن

الثاني : تفسير القرآن بالسنة

الثالث : تفسير القرآن بأقوال السلف من الصحابة والتابعين .

وللإيضاح أرى أن أفرد كل قسم من هذه الأقسام بالكلام :

فأولاً : تفسير القرآن بالقرآن :

وقد أطبقت الأمة سلفاً وخلفاً على أن أصح الطرق لتفسير كتاب الله تعالى أن يفسر القرآن بالقرآن (١) لأن من أسلوب القرآن أنه يجعل في موضع ، ويبين ما أجمله في

(١) انظره مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ( ص ٩٣ ) والتفسير والمفسرون ١ / ٣٧

موضع آخر ويعمم أمراً ما في آية ويخصه في موضع آخر وهكذا . . . . .

ومن هنا جاء استخدام المفسرين - منهم السمعاني والبغوي والزمخشري للقرآن الكريم في تفاسيرهم كأكبر مصدر يرجعون إليه قبل كل شيء عند تفسيرهم للآيات القرآنية ويعتمدون عليه اعتماداً كلياً ونجد أن الزمخشري صرح بموقفه من تفسير القرآن بالقرآن فقال : القرآن يفسر بعضه بعضاً \* . ( ١ )

ولكنه لتوغله في مذهب الاعتزال يستخدم هذا الأسلوب عندما يجده لا يتعارض مع آرائه الاعتزالية ولذلك يقول الدكتور الصاوي : والزمخشري يفسر القرآن بالقرآن تفسيراً ظاهرياً لاتأويل فيه في الآي التي لا يمس ظاهرها أو باطنها الرأي الاعتزالي ولا مبادئه \* ( ٢ )

وأما السمعاني أو البغوي وان لم يعثر على تصريح منهما بالموقف في هذا الشأن ولكن صنيحهما في تفسيرهما يدل على أنهما اعتبرا الكتاب أكبر المصادر على الإطلاق لتفسير الآيات القرآنية ولذلك نرى الدكتور أبا دجاجة الذي قام بدراسة تفسير السمعاني يذكر القرآن على رأس المصادر التي استفاد منها السمعاني في تفسيره كما ذكر في منهجه أيضاً أنه اعتمد على هذا الأسلوب كثيراً \* ( ٣ )

وكذلك السيد / عفاف التي درست تفسير البغوي ومنهجه فيه ذكرت أن البغوي اعتمد على كتاب الله تعالى في تفسيره للآيات حيث قالت : يعتمد تفسير معالم التنزيل على كتاب الله تعالى اعتماداً كبيراً وتطرده ظاهرة التمثيل والاستشهاد بآيات القرآن لبيان معنى الآيات الأخرى \* ( ٤ )

وأما الأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن فمنها ما ذكره السمعاني عند قوله تعالى : *فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* \* ( ٥ ) حيث وضع معيّن الكلمات والمراد بها في هذه الآية بقوله تعالى : *( قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ )* ( ٦ )

وكذلك فسّر قوله تعالى *( إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ )* ( ٧ ) بآية أخرى وهي قوله تعالى : *( إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ )* ( ٨ ) حيث ذكر أن الآية الأولى في معنى هذه الآية \* ( ٩ ) .

( ١ ) الكشاف ( ٢ / ٢٣٥ )

( ٢ ) منهج الزمخشري في تفسير القرآن ( ص ٢٥٧ ) .

( ٣ ) انظر : مقدمته على تفسير السمعاني ( ص ٦٨ ، ٢ ، ٣١٧ - ٣٢٠ )

( ٤ ) انظر : البغوي ومنهجه في التفسير ( ص ٨١ )

( ٥ ) سورة البقرة : آية : ٣٧ .

( ٦ ) سورة الاعراف : آية : ٢٣ ، وراجع تفسيره ( ١ / ٩٠ ) ( تحقيق ابي دجانة )

( ٧ ) سورة الكدح : آية : ١ .

( ٨ ) سورة الانفطار : آية : ١

( ٩ ) انظر تفسير السمعاني ص ٥٥٧ ( القسم المحقق من هذه الرسالة )

وقال أيضا عند قوله تعالى : ( فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ) (١) فيه قولان :  
أظهرهما أنه السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه " فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا  
سَبْعُونَ ذِرَاعًا " . (٢)

والمسد هو الفتل والاحكام قال لأنه أحكم من الحد يد \* (٣)  
وقال في تفسير قوله تعالى ( سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ) (٤) \* وعن  
بعضهم ان قوله ( إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ) ذكر مشيئته على التعليم حتى يقرب لفظ  
المشيئة بجميع اقواله مثل قوله " لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ " (٥)  
هذا بالنسبة لتفسير السمعاني ، وأما الأمثلة من تفسير البغوي فمنها ما ذكره  
في مستهل تفسيره حيث قال في تفسير " بسم الله الرحمن الرحيم " : والاسم  
هو المسمى وعينه وذاته \* .

قال الله تعالى ( إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ) (٦) أخبر أن اسمه يحيى ، ثم  
نادى الاسم فقال : " يا يحيى " وقال : " مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا ) (٧)  
وأراد الأشخاص المعبودة ، لأنهم كانوا يعبدون المسميات \* (٨)

وقال في تفسير الحمد : والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى  
الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة \* ثم ذكر في ذلك قولاً آخر فقال : \* وقيل  
الحمد باللسان قولاً والشكر بالأركان فعلاً ، قال الله تعالى : ( وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ) (٩)

وقال : اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا (١٠) يعني : اعملوا الأعمال لأجل الشكر، فشكراً  
مفعولاً له وانتصب باعملوا (١١)

وعلى النحو نفسه كان صنيعه عند بيان المراد من قوله تعالى ( غير المغضوب عليهم  
ولا الضالين ) (١٢) والمغضوب عليهم في هذه الآية هم اليهود ، والضالون هم  
النصارى ، ففسر البغوي القرآن بالقرآن حيث حدد هاتين الطائفتين من سورة أخرى

- 
- (١) سورة المسد : آية : (٥)  
(٢) سورة الحاقة : آية : (٣٢)  
(٣) انظر تفسير السمعاني ( ص ١١٢٣ ) من القسم المحقق .  
(٤) سورة الاعلى : الآية : ٦ - ٧ .  
(٥) سورة الفتح : آية : ٢٧ ، وانظر تفسير السمعاني ( ص ٦٦٨ ) من القسم المحقق  
(٦) سورة مريم : آية : (٧)  
(٧) سورة يوسف : آية : (٤٠)  
(٨) تفسير البغوي ( ٢٨ / ١ )  
(٩) سورة الاسراء : آية ( ١١١ )  
(١٠) سورة سبأ : آية ( ١٣ )  
(١١) تفسير البغوي ( ٣٩ / ١ )  
(١٢) سورة الفاتحة : آية ( ٧ )

حكّم الله تعالى فيها على اليهود بالغضب إذ قال : ( مَنْ لَعْنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ) (١) وقال عن النصارى : ( وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ، وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ) (٢)

ويلاحظ عند البغوى أنه استخدم هذا الأسلوب وهو تفسير القرآن بالقرآن من مستهل تفسيره حيث بدأ يفسر القرآن بالقرآن من البسطة في سورة الفاتحة ومشى على هذا الأسلوب إلى نهاية تفسيره يقول فى تفسير قوله تعالى ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ) (٣)

روى ابن عون عن ابراهيم قال : أراد أن الإنسان إذا عمر فى الدنيا وهـم لفى نقص وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم ، وهى مثل قوله ( لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) (٤)

وأما الأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن عند الزمخشري فى تفسيره فمنها ما ذكره عند قوله تعالى ( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) (٥) حيث قال : قيل : المراد بها المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ، ومنه قوله تعالى ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ) (٦) فهذه الآية ورد فيها ذكر مساجد الله بصيغة الجمع والمراد بها المسجد الحرام عند المفسرين فاستدل بها على أن المراد فى الآية السابقة أيضا المسجد الحرام . (٧)

وقال عند قوله تعالى ( لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ ) الآية (٨) يعنى الأنبياء وحدها على اللفظ فى قوله ( من بين يديه ومن خلفه ) ثم جمع على المعنى كقوله : " فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا " (٩)

ثم قال : وذكر العلم كذكره فى قوله تعالى ( حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ ) (١٠) وقال عند قوله تعالى ( إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ) الآية (١١) : يؤثرونها على الآخرة كقوله ( بَلْ تُوْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ) (١٢)

- |                              |  |
|------------------------------|--|
| (١) سورة المائدة : آية (٦٠)  |  |
| (٢) سورة المائدة : آية (٧٧)  |  |
| (٣) سورة العصر : آية (٠٣)    |  |
| (٤) سورة التين : آية (٥٦٤)   |  |
| (٥) سورة الجن : آية (١٨)     |  |
| (٦) سورة البقرة : آية (١١٤)  |  |
| (٧) الكشاف (١٥٠ / ٤)         |  |
| (٨) سورة الجن : آية (٢٨)     |  |
| (٩) سورة الجن : آية (٢٣)     |  |
| (١٠) سورة محمد : آية (٣١)    |  |
| (١١) سورة الانسان : آية (٢٧) |  |
| (١٢) سورة الأعلى : آية (١٦)  |  |
- وانظر تفسير البغوى (٥٢٣ / ٤)
- وانظر الكشاف (١٥٠ / ٤)
- وانظر الكشاف (١٧٢ / ٤)

وهكذا نجد الزمخشري يستخدم أسلوب تفسير القرآن بالقرآن في كامل تفسيره بشرط أن لا يتعارض في ظاهره وباطنه الرأي الاعتزالي كما قال الدكتور الصاوي وعلى هذا نراه أنه عندما جاء إلى قوله تعالى ( وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ) (١) ذكر أن إبراهيم ويحيى بن وثاب قرأ ( وكلم الله ) بالنصب على أنه مفعول ، ورفع موسى على أنه فاعل وبهذا حاول إبطال صفة الكلام لله تعالى (٢) ولم ينظر إلى الآية الأخرى التي ذكرت فيها هذه القصة نفسها وهي قوله تعالى ( وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ) (٣) وهي صريحة بأن الله تعالى هو الذي تكلم مع موسى .

ويتضح مما أتينا به من الأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن من التفاسير الثلاثة أنهم يستخدمون هذا الأسلوب - أي تفسير القرآن بالقرآن - لامور شتى - منها - أن الآية إذا كانت لها نظائر أخرى توضح المعنى المقصود من هذه الآية يأتون بالنظائر كأنها تفسير لها .

ومنها أنهم يفسرون الآية تفسيراً حسبما يبدو لهم ثم يأتون بآية أخرى كدليل على تفسيرهم .

ومنها أنهم يذكرون قولاً من الأقوال التي ذكرت في معنى الآية فيأتون عليه بدليل من الآيات القرآنية إن كان هناك دليل منها .

ومنها أيضاً أنهم يتعرضون للمسائل النحوية في بعض الآيات فيأتون ببعض الآيات الأخرى للاستدلال بها على تلك المسائل .

ومما لوحظ عليهم جميعاً أنهم في بعض الأحيان إذا فسروا الآية في ضوء الآية الأخرى لم يوردوها كاملة بل يكتفون بجزء يسير منها وهو الذي يكون موضع الشاهد المطلوب .

ومما لاحظته أيضاً من خلال تفسيرهم للقرآن بالقرآن أنهم لا يتفقون في ذلك نفسى كل المواضع بحيث أنه لو فسروا واحد منهم آية ما بآية أخرى لا يلزم منه أن يفسرها الآخر بنفس الآية .

(١) سورة النساء : آية ( ١٦٤ )

(٢) الكشاف ( ٣١٤ / ١ )

(٣) سورة الاعراف : آية ( ١٤٣ )

لقد أوضح القرآن الكريم مكانة السنة النبوية منه وأن الحديث النبوي أهم مصدر لتفسير كتاب الله تعالى وبيانه إذ قال سبحانه وتعالى ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) . (١)

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المرجع المرجح للصحابة رضوان الله عليهم في فهم ما خفي عليهم من معاني القرآن ، وذلك في حياته وأما بعد مماته فأحاديثه الموجودة هي المرجع لفهم ما يستشكل منه ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن أعياك ذلك أى تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له \* (٢)

ومن هنا نرى المفسرين على مختلف مشاربهم أعطوا للأحاديث النبوية مساحة كبيرة في تفسير كتاب الله تعالى وإن كانوا مختلفين في الكم والكيف وهكذا نجد المفسرين الثلاثة : السمعاني والبغوي والزمخشري قد أودعوا في تفاسيرهم ثروة هائلة من الأحاديث النبوية إلا أن السمعاني والبغوي لاهتمامهما الكبير وشغفهما العظيم بالسنة النبوية قد طبعا تفسيرهما بطابع فنى خاص وتركيا فيه سمة بارزة للحديث فجاء تفسيرهما حافظاً بالنصوص الحديثية الصحيحة والحسنة ، وكيف لا يكون وقد كانا من أبرز أعلام عصرهما في ميدان الحديث والسنة كما تقدم ذكره مفصلاً في ترجمتهما وأما الزمخشري فلم يكن مع جلالته في فنون أخرى من أهل هذا الفن فهو يسوق من الأحاديث عدداً لا بأس به عند تفسيره لكثير من الآيات القرآنية ولكن لا يوجد عنده ما يوجد عند غيره من المفسرين الذين لهم عناية بفن الحديث وعلومه من سوق للأسانيد وتعداد للطرق وعزو إلى المصادر وما أنه يحمل فكرة معينة يرى أثر هذه الفكرة واضحاً على أسلوبه في تفسير القرآن بالسنة حيث أنه يذكر الأحاديث أو السنة النبوية فسي تفسيره للآيات عندما يجدها لا تتعارض في فكرته وعقيدته أما إذا وجدها تتعارض معها لا ينكرها وإن كانت في منتهى الصحة . وإذا ذكرها حاول التشكيك في صحتها أو تأويلها بمعنى لا يمس ما يتبناه من الأفكار والنظريات . وإذا وجدها تتفق مع وجهته ونظرته أو لا ينال منها ذكرها وإن كانت في غاية من النكارة والضعف . ولا أقول ذلك تعصباً أو اعتباطاً منى بل هو حقيقة يشهد على صحتها وصدقها صنيعه في الكشف وكذلك شهد به من درس كتابه وقد تقدم شىء من ذلك عند الكلام على مدرسة المعتزلة (٣) وسياقى أيضاً مزيد إيضاح في ذلك ثم إن الزمخشري لا يبالي بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرهما إلا نادراً جداً كما أنه لا يحكم عليها من حيث الصحة والضعف ، وأما السمعاني والبغوي فيكونهما من أهل الفن يعتميان في غالب الأحيان بذكر طرق

(١) سورة النحل : آية : ٤٤

(٢) مقدمة في أصول التفسير ( ص : ٩٣ )

(٣) انظر ص : ( ٥٧ - ٥٩ ) .

وأسانيد ومصادر تلك الأحاديث وكذلك يحكمان في بعض الأحيان على الحديث من حيث الصحة والضعف ، ويبينان نكاته وضعفه إذا كان منكراً وضعيفاً وبما أن هذا الباب - أي تفسير القرآن بالسنة - واسع ومتشعب أرى لمزيد من الإيضاح والبيان أن أفرد كل واحد منهم بدراسة منهجه في تفسير القرآن بالسنة وبيان طريقته في سرد الأحاديث وروايتها .

### منهج السمعاني في تفسير القرآن بالسنة :

قد حفل السمعاني تفسيره بحصيلة كبيرة من الأحاديث النبوية حيث تدفقت فيه ثروة حدیثية وفيرة - كما يدل على ذلك فهرس الأحاديث التي أنبتها في نهاية الرسالة . ولم يكن السمعاني دخيلاً في ميدان علم الحديث وروايته . بل كان ذاباع طويل في ذلك إذ صنف المصنفات وأملى المجالس في هذا الفن فيسرى أثر ذلك في تفسيره واضحاً . وبالنسبة للمصادر الحديثية التي استفاد منها المؤلف في رواية الأحاديث في تفسيره فلم يذكر منها شيئاً وقد استعرضها الدكتور أبو دجانة في مقدمة رسالته فذكر أبرزها وبلغ سبعة مصادر وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، والموطأ للإمام مالك ، وسنن الدارقطني ، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري . (١)

ويبدو لي من خلال دراستي أنه ليست هذه هي المصادر التي اعتمد عليها السمعاني فقط دون غيرها بل هناك مصادر أخرى استفاد منها المؤلف في رواية الأحاديث وسردها ولكنه لأجل روايته لها بالأسانيد إلى المؤلفين في بعض الأحيان لا يعين مصادرهم بالتحديد كما فعل ذلك عندما روى حديثاً من طريق ابن المبارك (٢) وكذلك عندما روى أحاديث من طريق عبد الرزاق الصنعاني (٣) .

هذا وقد سلك السمعاني في تفسيره مناهج عديدة في سرد الأحاديث وروايتها عندما عمد إلى تفسير القرآن بالسنة ولم يلتزم في ذلك منهجاً معيناً واحداً بل تغنن فيه تغنناً عجيباً فمثلاً أنه لا يستخدم صيغة واحدة أو أسلوباً واحداً في إيراده للأحاديث إذ ذكر فيما يلي بعض الصيغ والأساليب التي يستعمل بها ذكر الأحاديث :

\*\*\* الاقتصار على اسم الصحابي الذي هو راوي الحديث .  
ومن الأمثلة على ذلك قوله في تفسير سورة الجن : " وعن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم . . . . . وذكر الحديث . (٤)

(١) انظر مقدمته ( ص ٢٧٠ - ٢٧٢ ) .  
(٢) انظره تفسير السمعاني ( ص ٥٦٧ ) القسم المحقق من هذه الرسالة . وقد روى فيه المؤلف حديثاً من طريق يحيى بن محمد بن صاعد عن حسين المرزوي عن ابن المبارك وهذا الطريق نفسه يروي كتابه الزهد .

(٣) انظره المرجع السابق ( ص ١٢٧ ) .  
(٤) انظره : تفسير السمعاني ( ص ٨٦ من القسم المحقق من هذه الرسالة ) .

- \* الاقتصار على قوله : " قال النبي صلى الله عليه وسلم ..... (١)
- \* الاقتصار على قوله : " وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال .....  
ويذكر الحديث . (٢)
- \* الاقتصار على عبارة / قوله عليه الصلاة والسلام (٣)  
\* ذكره لطرف من سند الحديث كما فعل في مستهل تفسيره لسورة  
المرسلات إذ قال : وروى ابراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود  
ثم ذكر الحديث . (٤)
- \* وإذا أراد أن يروي الحديث بسنده ففي الغالب لا يورد سنده في أول الحديث  
كما هو منهج عامة المحدثين ، بل يورده بعد ما ينتهي من ذكر الحديث  
فمثلاً قال عند قوله تعالى : ( لا تحرك به لسانك لتعجل به ) (٥) روى سفيان  
ابن عيينة عن موسى بن ابي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ..... ثم  
ذكر الحديث ، وقال بعد ذلك وأخبرنا بهذا الحديث أبو علي الشافعي  
أخبرنا أبو الحسن بن فارس ..... وسرد سنده إلى ابن عيينة . (٦)
- وقليلاً ما رأيت أنه يفعل على العكس من ذلك ، فيذكر سنده من أول الحديث  
على طريقة المحدثين . (٧)
- ومن الصيغ التي يستعمل بها ذكر الأحاديث :
- قوله : " وفي بعض الأخبار برواية فلان " ويذكر اسم الصحابي (٨) " وقوله :
- " وفي بعض الأخبار " ويذكر نص الحديث " (٩)
- وقوله : " وفي بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم " (١٠)
- وقوله : " وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم " (١١)

- 
- (١) انظر: تفسير السمعاني (ص ٩٦ - ٩٧) من القسم المحقق من هذه الرسالة .
- (٢) انظر: تفسير السمعاني (ص ٣٥٢ ، ٤٦٨) من القسم المحقق من هذه الرسالة .
- (٣) انظر: تفسير السمعاني (ص ١٦) من القسم المحقق من هذه الرسالة .
- (٤) انظر: تفسير السمعاني (ص ٣١١) من القسم المحقق من هذه الرسالة .
- (٥) سورة القيامة : آية : (١٦)
- (٦) انظر: تفسير السمعاني (ص ٢٢٣ - ٢٢٥) من القسم المحقق من هذه الرسالة  
وانظر: الأمثلة على ذلك أيضاً في ص (٤٥٤ ، ٥٣١ ، ٥٦٧)
- (٧) انظر: ما فعله في (ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٤٩٧) .
- (٨) انظر ص ٢٩٠ .
- (٩) انظر: ص ٣٠٦ .
- (١٠) انظر: ص ٤١٢ .
- (١١) انظر: ص ٤٨٠ ، ٤٩٣ ، ٥٠٧ .



فهذه هي بعض الصيغ التي يستعمل بها السمعاني ذكر الأحاديث وهناك صيغ أخرى لايسح المقام لذكر جميعها (١) ويلاحظ أن بعض العلماء يفرقون بين الحديث والخبر، فيقولون : الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث، ولمن يشتغل بالتواريخ ونحوها أخباري . (٢)

وقد قام السمعاني أثناء تفسيره للقرآن بالسنة بتخريج الأحاديث وعزوها إلى المصادر كما قام أيضا بالحكم عليها من حيث الصحة والضعف، وذلك في غالب الأحيان وقد بقيت أحاديث كثيرة لم يخرجها من مصادرها كما تركها بدون حكم عليها وأما بالنسبة لتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها فلم يلتزم فيه أيضا منهجاً معيناً بل سلك مناهج عديدة يمكن تلخيصها في الأمور الآتية :

- (١) يذكر الحديث ثم يرويه بسنده من طريق أحد المصنفين في الحديث ولا يصرح بكتابه كما فعل ذلك في أول سورة المدثر حيث ذكر حديث جابر بن عبد الله في فترة الوحي ثم رواه بسنده من طريق عبد الرزاق بن همام الصنعاني . (٣)
- (ب) يذكر الحديث ثم يقول في آخره : أورده أو ذكره فلان في كتابه " أو كلاماً فسي هذا المعنى . (٤)
- (ج) يورد الحديث ويصرح في أوله بمن رواه من أئمة الحديث . كما قال فسي أول تفسير سورة الجن : " وقد روى البخاري في الصحيح ثم ذكر الحديث (٥) . وقال عند قوله تعالى : ( فاقراً ما تيسر من القرآن ) (٦) وذكر أبو الحسن الدارقطني في كتابه " ثم أورد الحديث " (٧)
- (د) يورد الحديث بالمعنى ، ثم ينسبه إلى أحد أئمة الحديث كما فعل ذلك عند قوله تعالى " هو أهل التقوى وأهل المغفرة " (٨) حيث ذكر تفسير الآية ثم قال : وفي هذا خبر مسند برواية أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم على نحو هذا المعنى ذكره أبو عيسى في كتابه " (٩)
- (هـ) يروي الحديث بسنده الخاص وفي هذا له منهجان أولهما : أنه يورد السند في أول الحديث (١٠) والثاني أنه يورد السند في آخره (١١)

- 
- (١) انظر: لمزيد من التفصيل ما جمعه الدكتور أبو دجاجة من الألفاظ التي يروي بها السمعاني الأحاديث في مقدمة رسالته ( ص ٣٢٨ - ٣٢٢ )
  - (٢) انظر: تدريب الراوي ( ٤٢/١ )
  - (٣) انظر: ص ١٣٦ - ١٣٧ ( من القسم المحقق ) وانظر الأمثلة أيضاً فسي ٣٧٩ ، ٤٥٤ ، ٥٦٧ .
  - (٤) انظر: الأمثلة على هذا في ص ١٦٢ ، ٥٢١ ، ٦٠٢
  - (٥) انظر: ص ٣ (٦) سورة المزمل : آية : ٢٠
  - (٧) انظر: ص : ١٢٦ ، وانظر الأمثلة على هذا في ص : ٥٦٨ ، ٥٦٩
  - (٨) سورة المدثر : آية : ٥٦
  - (٩) انظر: ص ١٩٧ من القسم المحقق .
  - (١٠) انظر: الأمثلة على هذا في ص ٢٢٩ ، ٤٩٨ .
  - (١١) انظر الأمثلة على هذا في ص ٢٢٤ ، ٥٣٠ .

- ( و ) يورد الحديث ويصرح لمخرجه في أوله ، ثم يرويّه بسنده إليـــــــــــــــــه . ( ١ )  
 ( ز ) يورد الحديث ويرويّه بسنده الخاص ثم يعزوه إلى أحد الأئمة في الحديث . ( ٢ )

ويلاحظ أن السمعاني دقيق في عزو الأحاديث إلى مصادرها حيث إنى لم أجده أنه أخطأ في ذلك فعز الحديث إلى غير صاحبه . سوى موضع واحد وجدته عزا فيه حديثاً إلى صحيح مسلم ، وأنا لم أهتد إلى موضعه في هذا الكتاب ولم أجده أحدًا من علماء الشأن عزاه إلى صحيح مسلم مما يوحى بأنه أخطأ في عزوه إليه ويحتمل أن يكون ذلك من خطأ النساخ ( ٣ ) ولكنه لم يكن دقيقاً في نقل الأحاديث لأننى وجدت في بعض الأحيان فرقاً كبيراً بين ما يورده وبين ما يوجد في المصدر الذى نقل منه " وهذا يدل على أنه لا يلتزم بالفاظ الحديث في روايته أو نقله .

ومما يلاحظ أيضاً أنه يهتم بجمع الطرق للحديث والفاظه ودفع ما يوجد بينها من التعارض كما فعل ذلك في مستهل تفسيره لسورة الجن ( ٤ ) ويشير أيضاً إلى الاختلاف في الروايات . كما نراه فعله في تفسيره لسورة أرايست ( ٥ )

وبالنسبة لتصحيح الأحاديث فقد تبين لى من خلال تتبعى واستقراى أنه يستخدم عند تصحيحه للأحاديث العبارات التالية . وقد ثبت . . . . . ( ٦ )

\* وقد صح برواية فلان " ( ٧ )

\* وقد ورد فى الخبر المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم . . . . . ( ٨ )

\* ومن المعـــــــــــــــــروف . . . . . ( ٩ )

\* وهذا خبر متفق على صحته . . . . . ( ١٠ )

\* وحديث صحيح . . . . . ( ١١ )

\* والخبر صحيح . . . . . ( ١٢ )

وكذلك عزوه للأحاديث إلى الصحيحين أو أحدهما يعتبر من تصحيحه لها قال في أول تفسير سورة العلق أثناء ذكره لقصة بدء الوحي ( والخبر طويل مذكور فى الصحيحين ) ( ١٣ )

( ١ ) انظر : ص : ٤٨٨

( ٢ ) انظر : ص : ٥٢١

( ٣ ) انظر : ص : ١١٥٦

( ٤ ) انظر : ص : ١ - ١٠

( ٥ ) انظر : ص : ١٠٨٣

( ٦ ) انظر : ص : ١٢٣ . من القسم المحقق .

( ٧ ) انظر : ص : ٨٦ - ٨٧ ، ٨٣٠

( ٨ ) انظر : ص : ٤٦١

( ٩ ) انظر : ص : ٤٩٣

( ١٠ ) انظر : ص : ١٣٦

( ١١ ) انظر : ص : ٩٣٢

( ١٢ ) انظر : ص : ٧٩٠ ، ٨٤٥

( ١٣ ) انظر : ص : ٩٣٤

(١)  
 وقال في تفسير سورة الجن : وقد روى البخارى في الصحيح ثم أشار إلى قصة الجن .  
 وقال في تفسير سورة البلد : " والخبر طويل صحيح أخرجه مسلم " قاله نسي  
 حديث أبى هريرة : يؤتى بالعبء يوم القيامة فيقال له : ماذا عملت بما لك .....  
 الحديث . (٢)

وأما بالنسبة لتضعيف الروايات فلا يكاد يتجاوز منهجه في ذلك عن لفظ واحد  
 حيث يصرف هذا اللفظ ويستخدمه عند تضعيفه لما يراه غير صحيح مما يورده من  
 الأحاديث وهو لفظ الخرابية فيقول مثلاً : وفي بعض الغرائب من الروايات أو الأخبار (٣)  
 أو يقول : وهو غريب جداً (٤) أو : هو غريب (٥) أو هو خبر غريب (٦)  
 أو : هو بإسناد غريب (٧) أو مثل هذه العبارات وقد وجدته في موضع واحد نسي  
 المقدار الذى قمت بتحقيقه أنه خالف هذا المنهج فقال : وفي هذه الرواية خبط  
 كثير " (٨)

وقال في موضع آخر : والخبر غريب وهو معروف عن غير الرسول " (٩)

هذا ويلاحظ عليه أنه ترك كثيراً من الأحاديث التى أوردها في تفسيره بدون حكم  
 مع أنها قد تكلم عليها العلماء . (١٠) كما أنه لم يبين سبب الضعف فيما ضعفه  
 من الروايات ، وكان المفروض وهو من رجال الحديث أن يذكر السبب لتضعيفه ، ومن  
 أهم ما يؤخذ عليه في هذا الباب أنه أشار إلى قصة الغرانيق كأنها صحيحة ثابتة مع  
 أنها لم تثبت من وجه صحيح ، وقد أبطلها كثير من المفسرين والمحدثين . (١١)

(١) انظر : ص : ٣

(٢) انظر : ص : ٧٧٨

(٣) انظر : ص ٨٩ ، ١١٠ ، ٢٩٩ ، ٥٠٣ من القسم المحقق .

(٤) انظر : ص : ١١٠ .

(٥) انظر : ص : ٨٢٣

(٦) انظر : ص : ٤١٢

(٧) انظر : ص : ٥٦٨

(٨) انظر : ص : ٢٧٠

(٩) انظر : ص : ٧٤٧

(١٠) انظر : الأمثلة على هذا فى ص : ١٦٢ ، ٢٩١ ، ٤٦٩ ، ٥٠٧ ، ٥٢٦ ، ٥٧٦

(١١) راجع للتفصيل ص : ١٠٩٨

## منهج البغوى فى تفسير القرآن بالسنة :

من المعلوم أن البغوى اشتهر بين الناس محدثاً أكثر منه مفسراً ، ولذلك سبب جعله يفوق أقرانه فى ميدان الحديث وهو اهتمامه الكبير وشغفه العظیم بالسنة النبوية وماترك من ورائه من آثار ومؤلفات نفيسة فى الحديث وعلى رأسها مصابيح السنة وشرح السنة .

ويرى أثر نفوذه فى علم الحديث واضحاً فى تفسيره " معالم التنزيل " حيث إنه أودع فيه من النصوص الحديثية التى تساعد على فهم كتاب الله بصورة صحيحة واضحة شيئاً كثيراً وقد صرح البغوى بوجهته التى كان يراها نحو السنة النبوية من القرآن الكرم وتفسير آياته حيث بين ما كان يدركه من الصلة الوثيقة بين الكتاب والسنة فإنه قال فى مقدمة تفسيره :

"إن الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع وأمور الدين " (١)

وبالنسبة للمصادر التى استقى منها الأحاديث فى تفسيره فلم يفصل فيها القول كما فصل حين ذكره للمصادر التى استفاد منها من الناحية التفسيرية بل أجمل القول حيث قال : وما ذكرت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم . . . . . فهى من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث " (٢) وهذا الوصف يفيد أن مصادره فى الحديث من الكتب الصحيحة المعتمدة ، وأكد ذلك حين ذكر إعراضه عن ذكر المناكير مما لا يلىق بحال التفسير . (٣)

وعند المقارنة بين منهجه ومنهج السمعاني فى سرد الأحاديث وروايتها يتبين أن البغوى لم يتغنن مثل السمعاني فى إيراد الأحاديث وروايتها ، وإنما سلك فيه منهجاً معيناً معروفاً وهو ما يسلكه المحدثون فى رواية الحديث حيث يروونه بإسنادهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان الحديث مرفوعاً أو إلى الصحابي إذا كان موقوفاً أو يذكرون رجال إسنادهم ان لم يرووه بإسنادهم وهكذا نرى البغوى أنه قد مشى على هذا النهج فى تفسيره من أوله إلى آخره إذ روى جل ما أورده من الأحاديث المرفوعة - ان لم يكن كله - بإسناده . (٤)

وقد وجدت فى تفسيره أحاديث قليلة لم يذكر فيها رجال السند ، وبرزت السيدة/عفاف عمله هذا بأنه فعل ذلك لكونه قد ذكر تلك الأحاديث فى مواضع سابقة مع رجال السند فلم يذكرها تجنباً للتكرار . (٥)

(١) تفسير البغوى ( ٣١ / ١ )  
 (٢) المصدر السابق ( ٣١ / ١ )  
 (٣) نفس المصدر ( ٣١ / ١ )  
 (٤) انظر: البغوى ومنهجه فى التفسير ( ص ٨٧ ) وليعلم أن السمعاني لم يلتزم فى جميع ما أورده من الأحاديث روايته بالأسانيد لنفسه وإنما روى البعض منها بإسناده .

وأما بالنسبة لتخريجه للأحاديث وعزوها إلى المصادر فيلاحظ أنه اكتفى بروايته للحديث بإسناده وبذكره لرجال السند ، واستغنى به عن تخريجه وعزوه إلى المصادر فمثلاً فإنه كان قد سمع صحيح البخاري من أبي عمر عبد الواحد المليحي ، فإذا أراد أن يأتي بحديث رواه البخاري في صحيحه أوردته من طريق شيخه المذكور إلى البخاري دون تصريح منه بأنه أخرجه البخاري في صحيحه كما فعل ذلك عند قوله تعالى ( ورتل القرآن ترتيلاً ) (١) إذ ذكر حديث أنس رضي الله عنه في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت مداً ، والذي أخرجه البخاري في صحيحه فقال : أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسماعيل - وهو البخاري - ٠٠٠٠ ثم ذكر سنده إلى أنس رضي الله عنه (٢) .

وهكذا فعل مع الأئمة الآخرين حيث ذكر سنده إليهم عندما أورد أحاديثهم التي خرجوها في كتبهم دون تصريح منه بأن فلان أخرجه في كتابه الفلاني (٣) .

وهكذا فعل بالنسبة لبيان درجة الحديث من الصحة والضعف حيث اكتفى بذكر السند ورجاله واستغنى به عن بيان درجته لأنه قد تقرر عند أصحاب الحديث والمشتغلين به أن من ذكر سنده الحديث فقد برئت ذمته وخرج من العهدة (٤) وكان ذلك لتمكهم من علم الحديث ومعرفتهم برجال الأسانيد ولكن ليس هذا بلانم عند البغوي في كل الأحيان ، لأننا نراه بعض المرات يخرج الأحاديث ويبين درجتها منها ما رواه نسي تفسيره لسورة الفاتحة بسنده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قال الإمام ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) فقولوا : آمين ٠٠٠٠ الحديث . قال فيه صحيح (٥) .

(١) سورة المزمل : آية : (٤) .

(٢) تفسير البغوي (٤/٤٠٧) وانظر أيضاً البغوي ومنهجه في التفسير (٨٧) .

(٣) روى البغوي في تفسيره (٤/٤٠٧ - ٤٠٨) ثلاثة أحاديث أحدها من طريق يحيى بن محمد بن صاعد عن الحسين بن الحسن المروزي عن ابن المبارك وهذا الطريق يروي به كتاب الزهد لابن المبارك والثاني : من طريق أبي العباس المحبوبي عن الترمذي ، وأبو العباس من رواية السنن للترمذي والثالث : من طريق أبي مصعب عن مالك . وأبو مصعب أحد الرواة للموطأ - فاكفى البغوي في جميعها بسوق الأسانيد دون تصريح بتخريجها ومصدرها .

(٤) لسان الميزان (٣/٧٥) ( ترجمة سليمان بن أحمد الطبراني )

(٥) تفسير البغوي (١/٤٢) .

ومنها ما رواه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما . . . . . الحديث " .

قال فيه : صحيح ، أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد بن معاوية بن عمر عن أبي إسحاق عن حميد \* (١)

علما بأن البغوى عقد في مقدمة تفسيره عدة فصول كلها تتعلق بعلوم القرآن وفوائده ، وحشد فيها من نصوص الأحاديث شيئا كثيرا والتزم في جميعها بتخريج الأحاديث وعزوها إلى المصادر كما التزم ببيان درجتها من الصحة والضعف ولكن هذا الصنيع خاص بمقدمته لم ينتشر في كامل تفسيره ، لو فعل ذلك في جميع تفسيره لكان عملاً مشكوراً يكسب لتفسيره أهمية أكثر مما عليه الآن . هذا ، وإذا أردنا أن نلقى نظرة فاحصة فيما يورده في تفسيره من الأحاديث لمعرفة مدى تحريره وحرصه على اختيار الصحيح منها وإعراضه عن الضعاف والمناكير فإننا نجد أنه يصح في مقدمة تفسيره \* وما ذكرت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الكتاب . . . . . فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث ، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير \* (٢)

وقد امتدح شيخ الإسلام ابن تيمية الإمام البغوى في تفسيره لأنه قال عندما سئل عن أى التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة - الزمخشري ، أم القرطبي ، أم البغوى أم غير هؤلاء ؟ \* وأما التفاسير الثلاثة المستول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوى ، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي وحذف منه الأحاديث الموضوعية والبدع التي فيه ، وحذف أشياء غير ذلك . (٣)

وقال أيضا : والبغوى تفسيره مختصر من الثعلبي ، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة . (٤)

وقد مدحه من المعاصرين الدكتور / محمد حسين الذهبي حيث قال : أنه - بحكم كونه من الحفاظ المتقنين للحديث - كان يتحرى الصحة فيما يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعرض عن المناكير وما لا تعلق له بحال التفسير (٥) واتبعت السيده / عفاف إن قالت : ويتميز البغوى في تفسيره بجودة اختياره وانتخابه لنصوص الأحاديث التي يوردها في مطاوى التفسير وتحريره وحرصه على الصحيح

(١) انظر تفسير البغوى (٥٧ / ١) وانظر الأمثلة على هذا أيضا في (٤٣ / ١) ، ٨٧ / ٤ وانظر أيضا البغوى ومنهجه في التفسير ( ص ٨٨ )

(٢) تفسير البغوى ( ٣١ / ١ )

(٣) مجموع الفتاوى ( ٣٨٦ / ١٣ )

(٤) مقدمة في أصول التفسير ( ٧٦ )

(٥) التفسير والمفسرون ( ٢٣٦ / ١ )

منها وبعده وإعراضه عن الضعيف والمنكر من الأحاديث مما لا يتناسب ولا يتفق مع تفسير كتاب الله تعالى . (١)

وعند التطبيق والمقارنة بين ما ذكره البغوي في مقدمة تفسيره وكذلك ما ادعاه الدارسون لتفسيره من بعده وإعراضه عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وبين الأمر الواقع في خلال تفسيره يتبين أنه حاول في مواطن كثيرة نبذ الأحاديث الموضوعة والمناكير من أهمها ما كان يروى الثعلبي في مقدمة كل سورة مما يدل على فضلها ، كما أنه حذف أيضاً كثيراً من الأحاديث التي وردت في الكشف والبيان من أخبار الشيعة . عند قوله تعالى ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ) (٢) وقوله تعالى ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ) (٣)

وقد ناقش الدكتور / أبو شهبة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : فإن أراد الحديث الطويل الموضوع في فضائل سورة فسلم ، وإن أراد غير ذلك فليست موافقاً لشيخ الإسلام لأنه ذكر في كتابه بعض الموضوعات والاسرائيليات بكثرة اللهم إلا أن يقال : أنه أقل من تفسير الثعلبي في الموضوعات والاسرائيليات . (٤)

وقال الكفائي : وقد يوجد فيه - معالم التنزيل - من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه \* (٥)

وقد اعتذر له الدكتور / محمد اشرف الملياري فقال : وفي الحقيقة أن البغوي فيما ذكر يتابع ركب المفسرين ولم ينظر إليها بمنظار أهل السنة والحديث \* (٦)

وأنا أوافق في هذا التوجيه لأننا نرى كثيراً من المفسرين الذين لهم عناية كبيرة بالحديث وعلومه ويتحرون الصحة فيما يذكرون من الأحاديث المرفوعة لا يجدون بداً فسي بعض الأحاديث من مسaire ركب المفسرين في إيراد بعض الموضوعات والاسرائيليات ولكن ذلك لا يقلل من مسئوليتهم . لأن الشريعة الإسلامية بعقيدتها وأحكامها وتفاسيرها فسي غني عن الأخبار الموضوعة والاسرائيلية التي لم يبق عليها دليل من شرعنا .

ومن الأمثلة على إيرادها للضعاف من الأحاديث هو ما رواه بسنده عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة عن سهل بن سعد الساعدي قال : بينا نحن نقرأ إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . . . (٧) وموسى بن عبيدة ضعيف . (٨)

(١) البغوي ومنهجه في التفسير (٨٦)

(٢) سورة المائدة : آية : (٥٥)

(٣) سورة الأحزاب : آية : ٣٣

وانظر: الثعلبي ودراسة كتابه ( ص : ٧٥٢ - ٧٥٤ )

(٤) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ( ص ١٨١ )

(٥) الرسالة المستطرفة ( ٧٨ )

(٦) الثعلبي ودراسة كتابه ( ص ٧٥٤ )

(٧) تفسير البغوي ( ٤٠٨ / ٤ )

(٨) تقريب التهذيب : ( ٢٤٠ )

وما رواه بسنده عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " سأرهقه صعوداً " (١) قال : هو جبل في النار من نار . . . . الحديث (٢) وهو ضعيف لأن في سنده عطية العوفي .

وتبين من خلال استعراضنا لتفسير البغوي أنه لا يوجد فيه من الأحاديث المرفوعة ما يحكم عليه بالكذب والاختلاق أو الوضع إلا نادراً وأما الضعاف فيوجد منها شيء كثير إلا أنه قد برئت ذمته لأنه قد ساق لها الأسانيد .

وأما الحكايات والمرويات الإسرائيلية فيوجد منها ما يحكم ببطلانه واختلافه . وفي هذا ساير البغوي ركب المفسرين .

ومن الأخبار الموضوعة ما ورد في تفسير قوله تعالى ( الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ) (٣)

قال البغوي : أراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه بخاتمه " (٤)

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن هذا الحديث موضوع باتفاق أهل العلم (٥) وعند المقارنة بين السمعاني والبغوي في إيراد الأحاديث وتفسير القرآن بالسنة يتضح أنهما يتفقان في بعض الأحيان ، حيث يورد كل واحد منهما ما يورده الآخر من الأحاديث لتفسير آية من الآيات ويختلفان في الأحيان الأخرى فمن المواضع التي نجد ههما يختلفان فيها أول سورة الجن ، فقد أورد فيه السمعاني في سبب النزول للآية الأولى من هذه السورة عدة أحاديث مع بيان الاختلاف في الفاظ الروايات كما أنه قام بدفع التعارض الذي يوجد بين الروايات المختلفة . (٦)

وأما البغوي فلم يفعل من ذلك شيئاً وأحال إلى سورة الأحقاف إذ قال : ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف . (٧) وعند الرجوع إلى السورة المذكورة تبين لي أنه ذكر القصة الطويلة في ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعودته منها وما حدث في عودته منها من استماع الجن إلى قراءته .

وأورد بسنده عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ . . . . الحديث . رواه من طريق البخاري كما أورده بسنده من طريق مسلم ما رواه علقمة عن ابن مسعود قال : سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجـن؟ . . . . . الحديث .

وأورد رواية ابن مسعود التي ورد فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن في شعب الحجون وأعطاهم العظم والروث زاداً ، واكتفى بذكر هذه الروايات

(١) سورة المدثر : آية : (١٧) (٢) تفسير البغوي (٤/٤١٥) وراجع لتفصيل الكلام على الحديث تفسير السمعاني (ص ٦٢ من القسم المحقق)  
 (٣) سورة المائدة : آية (٥٥) (٤) تفسير البغوي (٢/٤٧)  
 (٥) مقدمة في أصول التفسير (ص ٨٧)  
 (٦) انظره تفسير السمعاني (ص ١ - ١٠) من القسم المحقق .  
 (٧) تفسير البغوي (٤/٤٠١) (٨) المصدر السابق (٤/١٧٥)



الثلاث دون إشارة منه إلى الخلاف الواقع بين الفاظ الروايات ، ودون دفع لما يوجد بينها من التعارض . (١)

علما بأن السمعاني أورد هذه الروايات الثلاث بالإضافة إلى روايات أخرى غيرها إلا أنه لم يذكر قصة ذهابه إلى الطائف .

وكذلك اختلفا في تفسير قوله تعالى ( ورتل القرآن ترتيلاً ) (٢) إذ أورد

السمعاني عند هذه الآية أثراً عن ابن عباس قال فيه : لأن اقرأ سورة البقرة أو ارتل ترتيلاً أحب إليّ من أن اقرأ جميع القرآن هذراً \* ثم ذكر حديثين مرفوعين أحدهما حديث أنس أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان يمد مداً \*

والثاني : حديث سعد بن هشام أنه قال لعائشة رضي الله عنها : أخبريني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ألتت تقرأ سورة المزمل ؟ ..... الحديث (٣)

وأما البغوي فأورد في تفسير هذه الآية ستة أحاديث مرفوعة اتفق في واحد منها

مع السمعاني وهو حديث أنس ، واختلف في بقيتها . (٤)

ومن المواضع التي اتفقا فيها قوله تعالى : ( سأرهقه صعوداً ) (٥) حيث

أورد كل منهما حديثين مرفوعين كلاهما عن أبي سعيد الخدري في معنى ( صعوداً ) كما أوردنا أثراً عن الكلبي . (٦)

وكذلك اتفقا في أول سورة التكويد أن أورد كل منهما حديثاً مرفوعاً عن ابن عمرو وهو : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين ذلك اليوم فليقرأ : " إذا الشمس كورت ..... الحديث . (٧)

وعلى هذا لا يمكن القطع بأن من الأثنين يفوق الآخر في إيراد الأحاديث وسوق

الروايات أثناء تفسيرهما للقرآن بالسنة إلا بعد فهرسة وتصنيف ما أوردها من الأحاديث

(١) تفسير البغوي ( ٤ / ١٧٥ )

(٢) سورة المزمل : آية : (٤)

(٣) تفسير السمعاني ( ٨٥ - ٨٧ من القسم المحقق .

(٤) تفسير البغوي ( ٤ / ٤٠٧ - ٤٠٨ )

(٥) سورة المدثر : آية ( ١٧ )

(٦) تفسير السمعاني ( ص ١٦٢ - ١٦٣ ) ، وتفسير البغوي ( ٤ / ٤١٥ )

(٧) تفسير السمعاني ( ص ٤٥٤ ) ، وتفسير البغوي ( ٤ / ٤٥٠ )

في كامل تفسيرهما وقالت السيدة / عفاف أثناء دراستها لمنهج تفسير القرآن بالسنة في معالم التنزيل : وتحتل نصوص الحديث النبوي والسنة المطهرة مساحة فسيحة في تفسيره حتى يبلغ الأمر به أن يعقد فصلاً حديثية في مقام التدليل على المعنى المراد في تلك الآية . ثم سافت على ذلك أمثلة منها أن البغوى أورد حديثاً في تفسير الحساب اليسير الذي ورد في قوله تعالى ( فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ) (١) وهو ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا تسمع شيئاً لاتعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ممن حوسب عذب ٠٠٠٠ الحديث ٠ (٢)

ومنها أنه ساق في مستهل تفسيره لسورة الكوثر حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم بين فيه معنى الكوثر، كما ساق أربعة أحاديث أخرى في وصف نهر الجنة\* (٣)

وعندما نأتى إلى السمعاني لنقارن بينه وبين البغوى نجده لا يختلف عنه بأى حال من الأحوال بل يتفوقه حيث أورد في معنى الحساب اليسير أربعة أحاديث مرفوعة . (٤) كما ساق في معنى الكوثر ووصفه خمسة أحاديث مرفوعة (٥)

وقالت السيدة / عفاف أيضا في نفس السياق : إن الأمر يتجاوز التفسير والبيان لمعنى الآية إلى التمثيل وعرض الشواهد الكثيرة في المعنى والهدف المراد خلال آية من آيات القرآن الكريم \* وللتدليل على قولها سافت جملة من الأمثلة منها أن البغوى ساق في تفسيره لمعنى التقوى التي يحققها لنا الصوم جملة من الأحاديث الصحيحة في فضل هذا الشهر الكريم وما فيه من الثواب والجزاء العظيم، وذكرت خمسة أحاديث أوردتها البغوى في تفسيره . (٦)

وعندما نقارن هذا الصنيع مع ما صنعه السمعاني في ذلك يتبين لنا واضحا أن الأمر عنده أيضا يتجاوز التفسير والبيان إلى التمثيل وعرض الشواهد لأنه أتى أيضا ببعض الأحاديث التي تدل على فضل هذا الشهر إلا أنه لم يكثر منها مثل ما أكثر البغوى كما أنه لم يوردها بالأسانيد كما أوردتها البغوى . (٧)

- 
- (١) سورة الانشاق : آية . (٧ : ٨٠) .  
(٢) تفسير البغوى (٤ / ٤٦٤)  
(٣) المصدر السابق (٤ / ٥٣٣ - ٥٣٤) وانظر أيضا البغوى ومنهجه في التفسير (ص ٩٢ - ٩٤)  
(٤) تفسير السمعاني (٥٦٧ - ٥٦٩ من القسم المحقق)  
(٥) المصدر السابق (١٠٨٥ - ١٠٩٠)  
(٦) تفسير البغوى (١ / ١٥٣) وانظر أيضا البغوى ومنهجه في التفسير ٩٤ - ٩٩  
(٧) انظر: تفسير السمعاني (ص ٣٣٥ - ٣٣٦) بتحقيق د / ابي دجانه ) و ١ / ق ٣٥ من نسخة الأزهرية .

### منهج الزمخشري في تفسير القرآن بالسنة :

تقدم أن الزمخشري لم يكن من أهل الحديث ولا من رجاله وعليه فلا يوجد عنده ما يوجد عند السمعاني والبخوي من طابع فنى خاص من رواية الأحاديث بالأسانيد وتخريجها وعزوها إلى المصادر وكذلك الحكم عليها من الصحة والضعف ، لأن اعتماده في تفسيره للآيات على الرأى والعقل أكثر منه على غيره من الكتاب والسنة لأن المعتزلة — والزمخشري من كبارهم — يقدسون العقل حيث يضعونه في مرتبة سابقة على الكتاب والسنة والإجماع والقياس (١) ومع هذا فقد أورد الزمخشري في تفسيره — من الأحاديث شيئاً كثيراً بشرط أن لا يمس عقيدته الاعتزالية وإذا نال حديث من الأحاديث من عقيدته فأما يضرب عنه صفحاً ولا يورده ولما يقوم بالتشكيك فيه أو تأويله بما لا يتصادم مع وجهته وإذا أردنا أن نعرف المصادر الحديثية التي استقى منها ما أورده — من الأحاديث فلا نجد في تفسيره تصريحاً بواحد منها سوى صحيح مسلم (٢) لأنه لا يذكر فيه مصادر الحديث وإن كان الكتاب بنفسه يصرح بأن صاحبه رجع إلى مصادر عديدة في الحديث غير الكتاب المذكور وقد اعترف بعدم تصريحه بمصادر الحديث كل من الدكتور الصاوى ومرضى آية الله زاده (٣) وذكر الأخير السبب لذلك فقال : " والسبب يرجع إلى أنه حامل لإجازة الرواية فكان ينقلها من غير سند استناداً على روايته " وهذا التوجيه إن دل على شيء فهو يدل على عدم معرفة صاحبه بمنهج المحدثين أو من يشتغل بعلم الحديث واسلوبهم وإذا افترضنا أن الزمخشري حمل إجازة الرواية للأحاديث فهل استحق بهذه الإجازة أن يورد الأحاديث دون التصريح بمصادرها وهل الذى أجازها أجاز برواية جميع الأحاديث الموجودة في الكشاف ثم أين هذه الإجازة ؟ فالسبب فيما يبدو لي أن الزمخشري لم يكن من أهل الفن — ولم يحاول أن يكون منهم — وعلى هذا فلا توجد عنده مراعاة لما وضعه المحدثون من قواعد وأصول في إيراد الأحاديث وسوق الروايات ولا توجد عنده أهمية بهذه الأمور ولذلك نراه يقتصر عند ذكره للحديث على اسم الصحابي الذى روى الحديث من طريقه (٤) ويزيد في بعض الأحيان فيذكر اسم التابعي (٥) كما أنه يكفى في بعض الأحيان على قوله : " وعن النبي صلى الله عليه وسلم " (٦) أو قوله : قوله عليه السلام . (٧) أو قوله : روى (٨) ، أو قوله : قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم (٩) ومثل هذه العبارات التى لا تستخدم عند المحدثين إلا قليلاً .

(١) راجع للتفصيل في ذلك ما تقدم في ( ص ٥٠ - ٥١ ) من القسم الدراسى .  
(٢) الكشاف ( ٥٦ / ١ )

(٣) انظره منهج الزمخشري في تفسيره للصاوى ( ص ٨٩ ) والزمخشري لغوياً ومفسراً لمرضى الشيرازى ( ص ٣١٦ )

(٤) الكشاف ( ١٥٢ / ٤ ) (٥) المصدر السابق ( ١٤٧ / ٤ )  
(٦) المصدر السابق ( ١٥١ / ٤ ) (٧) المصدر السابق ( ١٥٣ / ٤ )  
(٨) الكشاف ( ٢٣٧ / ٤ ) (٩) المصدر السابق ( ١٤٨ / ٤ )

كما انه لم يتم بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها .

وأما الحكم على الأحاديث من حيث الصحة والضعف فهو مفقود في كامل تفسيره اللهم إلا إذا تعارض واحد منها مع عقيدته وعقله فيرفضه أو يشكك في صحته ولو كان مما اتفق عليه الشيخان أو انفرد به أحدهما ومن الأمثلة على ذلك أنه قال عند تفسير قوله تعالى ( وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) (١) وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر، وجاءت بحديث مرقوع ( بالقاف أي مفترى ) إذا دخل أهل الجنة الجنة . . . . . الحديث وهو مخرج في صحيح مسلم . (٢)

وكذلك قال في حديث متفق عليه وهو : ما من مولود يولد إلا والشيطان يمه . . . . . الحديث . الله أعلم بصحته (٣) واستهزأ بمن تمسك بهذا الحديث .

وإذا كان الحديث لا يتعارض مع وجهته وعقيدته يذكره بغض النظر عن صحته وضعفه كما نشاهد ذلك في أواخر السور حيث يورد في فضلها حديثاً أو أكثر مع العلم بأن أكثر هذه الأحاديث الواردة في فضائل السور موضوعة مختلقة . (٤)

وقد تقدم شيء كثير من هذا القبيل عند الكلام على موقف المعتزلة من التفسير بالمأثور . (٥)

(١) سورة يونس : آية : ( ٢٦ )

(٢) تقدم التفصيل في ذلك في ص ( ٥٧-٥٨ ) من القسم الدراسي .

(٣) تقدم تفصيله في ص ( ٥٩ ) من القسم الدراسي .

(٤) اختلف الزمخشري مع عامة المفسرين إذ ذكر الأحاديث الواردة في فضائل السور في آخرها وله في ذلك وجهة بينها الحافظ العراقي في الفتح السماوي فسي تخريج أحاديث البيضاوي ( ق ١/٤ )

حيث قال : جرت عادة المفسرين بذكر ما ورد في فضل السورة ترغيباً في حفظها وذكر الزمخشري والقاضي البيضاوي ( في آخرها لأن الفضائل صفات والصفة تستدعي تقدم الموصوف \* اهـ .

وليعلم أن السمعاني والبغوي لم يذكر في فضائل السور ما حكم عليه بالكذب والاختلاق وإنما ذكر ما صح منه سنداً وكان صالحاً للاحتجاج أو الاستشهاد دون المتروك والواهي وأما الزمخشري فتبع في ذلك الثعلبي فذكر في آخر كل سورة ما يدل على فضلها وأكثرها وردت بسند حكم عليه أئمة الشأن بأنه موضوع .

انظر :

الكاف الشاف لابن حجر ( ص ٣٧ ) وأيضاً مقدمة أبي دجاجة على تفسير السمعاني ( ص ٣٣٥ ) والثعلبي ودراسة كتابه ( ص ٧٥٢ ) .

(٥) انظر : ص ( ٥٨ ) من القسم الدراسي .

ومما يجعلنا ننظر إلى الزمخشري في آتيانه بالأحاديث وتفسير القرآن بالسنة  
بنظرة الريب والشك أنه لا يعطى ما اتفق عليه العلماء الأئمة من أهل الفن درجته  
ومرتبته بل يمر عليه كأنه لا أهمية له كما نرى عند قوله تعالى ( ولقد فتنا سليمان )  
الآية (١) أنه يذكر ما رواه البخاري من قصة طواف سليمان على نسائه في ليلة واحدة  
ويقول فيه : " هذا ونحوه مما لا بأس به " (٢) مع أن درجة الحديث تقتضى  
أن نؤمّن بصحة القصة دون أن نذكرها تجاوزاً ، وعلى العكس من ذلك نراه بعض  
الأحيان يتأول بعض القصص الإسرائيلية التي لم يرد على صدقها وكذبها دليل  
من شرعنا " (٣)

وإذا أردنا أن نعرف الحالات التي يعتمدون فيها إلى تفسير القرآن بالسنة  
أو إيراد الأحاديث والاستشهاد بها يتضح أن لذلك حالات عديدة منها أنه إذا  
ورد حديث نبوي قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم آية من الآيات القرآنية  
فيوردون هذا الحديث بالضرورة ومنها أنه إذا ورد حديث يتعلق بسبب النزول  
لأحدى الآيات فيوردونه أيضاً بالضرورة ومنها أيضاً أنهم إذا حكوا قولاً من أقوال  
الأئمة في تفسير آية من الآيات ووجدوا من الأحاديث ما يدل أو يؤكد على قولهم  
يوردونه للاستدلال به على ذلك القول .

وكذلك إذا فسروا آية ما من عند أنفسهم ووجدوا حديثاً يؤيد تفسير الآية  
فيوردونه أيضاً للاستشهاد به على تفسيرهم ومن تلك الحالات أيضاً أنهم إذا عالجوا  
كلمة من الكلمات من الناحية اللغوية ووجدوا أن هذه الكلمة وردت بنفس المعنى  
في حديث من الأحاديث يوردونه للتأكيد على ذلك المعنى .

(١) سورة ص : آية : ٣٤

(٢) الكشف ( ٣ / ٣٢٨ )

(٣) المصدر السابق ( ٣ / ٣٢٨ - ٣٢٩ )

### ثالثاً : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

تقرر لدى المشتغلين بتفسير القرآن أن الصحابة والتابعين - على ترتيبهم - أقدر الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على فهم القرآن وكشف حقائقه وبيان معانيه لأنهم أقرب الناس عهداً من نزول القرآن ، وأقدرهم فهماً للغة العربية وأساليبها ودقائقها وقد شافه الصحابة رضوان الله عليهم نزول القرآن وعرفوا مواقع الخطاب ووجوه البيان وأسباب النزول مما له دخل كبير في فهم المراد من آيات القرآن ثم إنهم عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه هذا الكتاب ومن وظيفته صلى الله عليه وسلم بيانه للناس فبين لهم ما أنزل عليه وأراح لهم الستار عما غص واستشكل عليهم . وعاش مع هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم التابعون لهم بإحسان فحملوا عنهم ما أدى أولئك إليهم - فصار لديهم من القدرة والكفاءة لفهم كتاب الله تعالى ما لا يوجد عند غيرهم ممن جاء بعدهم . وعلى هذا فقد اعتمد كثير من المفسرين الذين لهم عناية بالتفسير المأثور على أقوال الصحابة والتابعين كما أن أولئك الذين بنوا تفاسيرهم على أسس من العقل والرأي لم يجدوا بداً من الرجوع إلى تفاسير أئمة التفسير من الصحابة والتابعين .

وعند النظر في التفاسير الثلاثة المطلوب مقارنتها يتضح أن السمعاني والبغوي كانا يضعان تفسير الصحابة والتابعين في المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة ولذلك حرصا كل الحرص على الاستمداد من عطاءهم التفسيري وأما الزمخشري فلا يخلو تفسيره أيضاً من تفسيرات الصحابة والتابعين ، ولكن حرصه عليها لم يكن مثل حرصهما ، لأن اعتماده في تفسير الآيات - كما سبق مراراً - على العقل والرأي كان أكثر منه على غيره فسأورد تفسير الصحابة والتابعين عندما وجده لا يتعارض مع عقيدته ووجهته ، وهذا أمر واضح في تفسيره .

والحديث الصحيح المتفق على صحته لا ينهض عنده حجة في مقابل ما يتبناه من أفكار ونظريات فكيف يكون تفسير الصحابة والتابعين حجة ضد عقيدته ومذهبه وعليه فيمكن لنا أن نقول : إن اعتماد الزمخشري على التفسير المأثور من أقوال الصحابة والتابعين محدود في نطاق عقيدته ووجهته وأما اعتماد البغوي والسمعاني على ذلك فهو اعتماد مطلق لا حدود له ولذلك لانكاد نجد آية من آيات القرآن فسرهما كل منهما إلا ويورد خلال تفسيره لها أقوال الصحابة والتابعين ولغلبة هذا الجانب في تفسيرهما اعتبرهما الدارسون من كتب التفسير بالمأثور منهم حاجي خليفة حيث يقول في تفسير البغوي نقل - البغوي - فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم . (١) كما اعتبره الزرقاني والدكتور الذهبي أيضاً من كتب التفسير بالمأثور . (٢)

(١) كشف الظنون : ١٢٢٦ .

(٢) انظر: مناهل العرفان : ٢ / ٣٠ والتفسير والمفسرون : ١ / ٢٣٦ .

وقالت السيدة / عفاف : " ومقدمة تفسيره تكشف لنا بوضوح عن اتجاهه النقلي في تفسير آيات كتاب الله - فصادر تفسيره - في المقام الأول - كتب التفسير بالمأثور " (١) والأمر لا يختلف عند السمعاني أيضا كما يتضح لمن نظر في الفصل الذي عقده الدكتور/أبو دجاجة في مقدمة رسالته تحت عنوان : " مصادر تفسير أبي المظفر السمعاني حيث يكشف له هذا الفصل بوضوح عن اتجاهه إلى جانب التفسير المنقول لأن أغلب صادرة كتب التفسير بالمأثور أو ماله علاقة بالمأثورات " (٢)

وقال الدكتور الذهبي وهو يصف منهج البغوي في إيراده لأقوال السلف : وينقل ما جاء عن السلف في تفسيرها ، وذلك بدون أن يذكر السند يكفي في ذلك أن يقول مثلا : " قال ابن عباس كذا وكذا ، وقال مجاهد كذا وكذا . وقال عطاء كذا وكذا والسرفي هذا أنه ذكر في مقدمة تفسيره إسناده إلى كل من يروي عنهم ، ويبين أن له طرقاً سواها تركها اختصاراً ثم إنه إذا روى عن ذكر أسانيدهم إليهم بإسناد آخر غير الذي ذكره في مقدمة تفسيره فإنه يذكره عند الرواية " (٣)

وبالفعل قد نص البغوي في الموضع المشار إليه على ذلك حيث قال : " وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة ، ومن بعده من التابعين وأئمة السلف مثل : مجاهد وعكرمة . . . . . ( و ذكر جماعة منهم ) فأكثرها مما أخبرني الشيخ أبو سعيد أحمد بن محمد الشَّرِيحِي الخوارزمي فيما قسراته عليه عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه . . . . . " كما أنه ساق في نفس الموضع الطرق الأخرى التي سمع بها وتلقى تلك التفاسير المعتمدة ثم استغنى بذلك عن إعادة تلك الطرق خلال تفسيره لكتاب الله تعالى حذراً من الإطالة (٤)

- (١) البغوي ومنهجه في التفسير ( ص : ١٠٠ )  
 وليعلم أن نقلهما عن السلف لا يعني أن هذا هو المسلك الوحيد في تفسيريهما فقد جمعا فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى والاجتهاد المقبول وعلى هذا فقد اعتبر الكتابان وسطا بين التفسير بالمأثور والتفسير المعقول وقد جاء هذا الوصف لتفسير البغوي من قبل الدكتور محمد أبو شهبه في كتابه الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ( ص ١٨٠ ) والدكتور رمزي نعناعة في كتابه الاسرائيليات وأثرها في التفسير ( ص ٢٦٢ ) والسيدة / عفاف في كتابها البغوي ومنهجه في التفسير ( ص ١٠٢ - ١٠٣ ) وأما كتاب السمعاني فهو أيضا من الكتب التي تجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير المعقول كما هو واضح لمن نظره وطالعه لأنه يقوم بالتوجيه والترجيح والاستدلال وغيره مما له علاقة بالرأى والمعقول .
- (٢) ص : ٢٦٦ وما بعده ها .
- (٣) التفسير والمفسرون ( ٢٣٦ / ١ - ٢٣٧ ) وانظره أيضا البغوي ومنهجه في التفسير ( ص : ١٠٠ )
- (٤) تفسير البغوي ( ٢٨ / ١ - ٣٠ ) .

وإذا نظرنا في منهج السمعاني لإيراد أقوال أئمة التفسير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم نجد أنه أيضاً ينقل أقوالهم بدون ذكر السند ويكتفى في ذلك بأن يقول مثلاً : " قال فلان كذا وكذا ، وروى عن فلان كذا وكذا ، وعن فلان كذا وكذا . . . . . " ومثل هذه العبارات إلا أنه يلاحظ عليه أنه لم يذكر في مقدمة تفسيره ولا في غيرها من المواضع المصادر التي اعتمد عليها في كتابه كما ذكرها البغوي وسرد سنده إليها الذي يروى به تلك المصادر التفسيرية وكذلك ينقل السمعاني في بعض الأحيان أقوال الأئمة دون تصريح منه بأسمائهم .

وكذلك الحال عند الزمخشري ، حيث أنه ينقل ما جاء عن السلف دون أن يذكر له السند ، ويكتفى بقوله : وعن فلان ، أو قال فلان أو بنحوه من العبارات كما أنه يذكره في بعض الأحيان بصيغة المجهول دون تصريح بقائله .

وما يستحسن عند البغوي في هذا الجانب أنه فصل في عرض المصادر التي استخدمها عند قيامه بتفسير القرآن بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين وتصل هذه المصادر إلى أربعة عشر مصدرًا وهي تفاسير: مجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والقرظي ، وزيد بن أسلم ، والكليبي ، والضحاك ومقاتل ابن حيان ، ومقاتل بن سليمان ، والسدي وكتاب المبتدأ لوهب بن منبه ، وكتاب المغازي لمحمد بن اسحاق . (١)

وإذا أمعنا النظر في تفسير السمعاني لنرى ما هي المصادر التي استخدمها في تفسير الآيات بالمنقول من أقوال السلف نجده أنه استخدم أغلب تلك المصادر السابقة أو كلها لأننا نجد أنه ينقل عن كل من تقدم ذكرهم من أئمة التفسير (٢) إلا أنه لم يصرح بواحد منها ويبدو أن الأمر لا يختلف كثيراً عند الزمخشري عما عليه تفسير السمعاني في هذا الباب بحيث أنه أيضاً ينقل عن أغلب هؤلاء المذكورين عند البغوي إن لم يكن كلهم . . . ولا أدري كيف كان نقلهما - أي السمعاني والزمخشري - عنهما إن كان بطريق الرواية والسمع أم بطريق النقل مباشرة عن كتبهم أم بطريق الاثنين حيث نقلنا عن كتبهم التي سمعوها من طريق الرواية .

وقد لوحظ على البغوي روايته عن الضعفاء والمتهمين ، ومن لاحظ ذلك الدكتور الذهبي حيث قال : وقد لاحظت على هذا التفسير أنه يروى عن الكليبي وغيره من الضعفاء (٣) والسيدة/ عفاف إذ قالت : والملاحظ على بعض تلك الطرق التي تلقى بها البغوي تفاسير الصحابة أنها ضعيفة واهية ليست معتبرة أو معتمدة لدى علماء الجرح والتعديل (٤)

(١) تفسير البغوي : (٢٨ / ١ - ٣٠)  
 (٢) يمكن التأكد من ذلك من خلال ما كتبه الدكتور أبو دجاجة في مبحث " مصادر تفسير أبي المظفر السمعاني " في مقدمة رسالته ( ص ٢٧٨ ) وما بعده .  
 (٣) التفسير والمفسرون ( ١ / ٢٣٧ ) .  
 (٤) البغوي ومنهجه في التفسير ص ( ١٠٠ ) .



ومن هذه الطرق ما يرويه من طريق سعد العوفي عن عمه عن أبيه عن جده ، فهو طريق غير مرضى (١)

وكذلك بالنسبة لتفسير زيد بن أسلم لأنه يرويه من طريق ابنه عبدالرحمن وهو من الضعفاء . (٢)

وهذا شيء لا ينفرد به البغوي فقط بل وجد عند السمعاني وغيره ممن غلب عليه اتجاه التفسير المنقول فإن أغلبهم ينقلون عن الكلبي ، ومقاتل بن سليمان ، والسدي الصغير وهم من المتهمين . (٣)

### بعض الأمثلة على تفسير القرآن بأقوال السلف :

قال السمعاني عند قوله تعالى : " إذا الشمس كورت " (٤) قال ابن عباس ذهب ضوءها ، وروى سفیان الثوري عن أبيه عن الربيع بن خثيم قال : كورت رمي بها وعن سعيد بن جبير : كورت غورت ، وقيل : اضمحلت . (٥)

وقال في تفسير قوله تعالى : ( والشفع والوتر ) (٦) روى عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه الصلاة منها شفع ، ومنها وتر ، رواه أبو عيسى في جامعه .

والقول الثاني : أن الشفع هو يوم نحره ، والوتر يوم عرفة ، وروى بعضهم هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً وهو قول معروف .

(١) يوجد في هذا الطريق أكثر من واحد قد تكلم فيه فهذا سعد العوفي قال فيه الإمام أحمد : إنه جهلي ، لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعاً لذلك انظر تاريخ بغداد ( ١٢٦/٩ ) والجد هذا هو عطية بن سعد العوفي متكلم فيه ( انظر : المجروحين ١/ ١٨٩ )

(٢) انظر : ميزان الاعتدال ( ٦٥٤/٢ )

(٣) انظر ما قيل في الكلبي - وهو أبو النضر محمد بن السائب - ميزان الاعتدال : ٥٥٦/٣ - ٥٥٩ .

وما قيل في مقاتل بن سليمان في نفس المصدر ١٧٣/٤ وما قيل في السدي في نفس المصدر ٣٢/٤ .

(٤) سورة التكويد : آية : ١

(٥) انظر : انظر تفسير السمعاني : ص ٤٥٦ - ٤٥٧ ) من القسم المحقق ) وهذا المثال وحده يكفي لبيان منهج السمعاني في ذكره لأقوال الصحابة والتابعين حيث وردت فيه جميع الصيغ التي ذكرنا أن السمعاني يستعملها ليراده أقوال الأئمة ، كما أنه ذكر فيه سنداً لقول الربيع بن خثيم وهو من المواضع القليلة وكذلك ذكر القول الرابع بدون تصريح بقائله ، وهو قول مجاهد .

(٥) سورة الفجر : آية ( ٣ )

(٦) سورة البقرة : آية ( ٢٠٣ )

وعن ابن الزبير : أن الشفع هو قوله تعالى ( فمن تعجل في يومين ) (١) فاليومان الأولان من أيام الرمي شفع ، واليوم الثالث وتر ، وروى هشيم عن مغيرة عن إبراهيم : أن الشفع هو الزوج ، والوتر هو الفرد ، قال مجاهد : هو العدد كله منه الشفع ، ومنه الوتر ، وهو قريب من قول إبراهيم وعن عطاء قال : الشفع هو عشر ذى الحجة والوتر أيام التشريق ، ثم ذكر قولين آخرين بدون تصريح بقائلهما (٢) وإذا نظرنا إلى البغوى في تفسيره للآيتين السابقتين نجده يقول في الآية الأولى منهما : " قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : وقال قتادة ، ومقاتل والكلبى : ذهب ضوءها . وقال سعيد بن جبير : غورت ، وقال مجاهد اضمحلت " (٣) ويقول في تفسير الآية الثانية : ( اختلفوا في الشفع والوتر ) قيل : الشفع الخلق قال الله تعالى ( وخلقناكم أزواجا ) (٤) والوتر هو الله عز وجل — وعزا هذا القول إلى ابي سعيد الخدري وعطية العوفي ، ومجاهد ، ومسروق ، ثم قال : قال الحسن وابن زيد : الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر ، وروى قتادة عن الحسن قال : هو العدد منه شفع ومنه وتر ، وقال قتادة : هما الصلوات منها شفع ومنها وتر ، وقال قتادة : هما الصلوات منها شفع ومنها وتر ، وقال قتادة : هما الصلوات منها شفع ومنها وتر ، وقال قتادة : هما الصلوات منها شفع ومنها وتر ، وروى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعاً ، وروى عطية عن ابن عباس : الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب ، وعن عبد الله بن الزبير قال : الشفع يوم النفر الأول ، والوتر يوم النفر الأخير " (٥) .

وإذا أردت مزيد من النماذج على هذا الاتجاه في تفسير البغوى فارجع إلى ما ذكره في معنى الصراط المستقيم . (٦)

وعند الموازنة بين ما ذكره كل واحد منهما من اقوال السلف خلال تفسيره للآيتين المذكورتين يتضح أن البغوى أوسع عدد من السمعاني في إيراد الأقوال ، وأكثر منه دقة في سرد ما وعزوها إلى قائلها حيث لا يذكر قولاً بدون تصريح بقائله غالباً . ويتميز السمعاني عن البغوى بتوجيه الأقوال والتعقيب عليها وبيان الراجح منها .

وأما إذا نظرنا إلى الزمخشري في الآيتين السابقتين فنجده يختلف عن البغوى والسمعاني اختلافاً تاماً حيث اختار لتفسيرهما أسلوباً آخر مغايراً ، فقال عند الآية الأولى : ( وإذا الشمس كورت ) في التكويد وجهان : أن يكون من كورت العمامة إذا لفتها ، أى يلف ضوءها لفاً ، أو يكون لفظاً عن رفعها وسترها " . (٧)

- 
- (١) سورة البقرة : آية (٢٠٣)  
(٢) تفسير السمعاني ( ص ٧١٣ - ٧١٧ من القسم المحقق )  
(٣) تفسير البغوى ( ٤٥١ / ٤ )  
(٤) سورة النبأ : آية (٨)  
(٥) تفسير البغوى : ( ٤٨١ / ٤ )  
(٦) المضد السابق : ( ٠٤١ / ١ )  
(٧) الكشاف : ( ١٨٢ / ٤ )

وقال عند الآية الثانية ( والشفع والوتر ) : " وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعتها ووترها ، واما شفّع هذه الليالي ووترها ، ويجوز ان يكون شفّعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها ، وذاك عاشرها ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك ، وقد اکتروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل وجد يرب بالتهن عنه " (١)

ويتضح من هذا الاسلوب ان الزمخشري لايهتم كثيراً بذكر اقوال السلف في تفسير الآيات ولما يعتمد على عقله ورأيه اعتماداً اكثر منه على أقوالهم ، ثم انه يختار ما يروق له من أقوالهم وينمقه بأحسن العبارات مستخدماً في ذلك معرفته باللغسة وأساليبها - ويذكره بدون عزو إلى قائله - وتوجد في تفسيره وان كان قليلاً نسبياً بعض الأقوال منسوبة إلى قائلها ، كما نشاهده عند قوله تعالى : ( وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ) (٢) حيث ذكر في معنى قوله ( جد ربنا ) عن عمر رضي الله عنه انه قال : كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وال عمران جد فينا " (٣)

وقال عند قوله تعالى : ( كادوا يكونون عليه لبدا ) (٤) وعن قتادة تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليظفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه " (٥) وذكر عند قوله تعالى ( إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ) (٦) عن الحسن انه قال في معنى الآية : ثقیل في الميزان " وذكر قولين آخرين بدون عزو إلى قائلهما (٧) واذا قارنا بين هؤلاء الثلاثة في القيام بترجيح الأقوال واختيارها او تضعيفها والرد عليها نجد السمعاني يمتاز عن صاحبيه حيث يصرح في اغلب الأحيان بأن هذا يصرح وهذا لا يصرح ، أو هذا معروف وهذا غير معروف (٨) وهذا الشيء مفقود عند البغوي وأما الزمخشري فيبدولي انه يقدم ما يراه راجحاً على غيره من الأقوال وقد لعب به التعصب للاعتزال انه لا يصرح بالتضعيف أو الترجيح بين الأقوال إلا اذا تغارض واحد منها مع عقيدته ووجهته . وقد اعتبر مروان وخالد في تقديمها على تفسير البغوي عدم قيام البغوي بالترجيح ان ذلك إشارة منه ان معنى الآية ربما يحتمل جميع المعاني أو أكثرها وهذه مزية يمتاز بها البغوي في تفسيره عن باقي التفاسير . (٩)

- (١) الكشاف ٢٠٨/٤
- (٢) سورة الجن : آية : (٣)
- (٣) الكشاف ١٤٦/٤ . ويلاحظ ان الزمخشري اخطأ في عزو هذا الاثر الى عمر لانه يعرف عن أنس ، قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ( ص ١٢٨ ) لم أراه عن عمر بل هو عن أنس .
- (٤) سورة الجن : آية : (١١)
- (٥) الكشاف ١٤٩/٤
- (٦) سورة المزمل : آية : (٥)
- (٧) الكشاف ١٥٣/٤
- (٨) انظر : الأمثلة على هذا في ص ١٢٣ ، ٢٠٩ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٦١٦ ، ٦١٨
- (٩) ٢٩٢ ، من القسم المحقق من هذه الرسالة . انظر : مقدمة تفسير البغوي ( ص ٢٣ )

وفيما يبدو لي أن ذلك لا يعتبر مزية وإنما كانت الغزية لو أظهر شخصيته بيان الصحيح من هذه الأقوال أو الأصح منها وكذلك بيان الضعيف منها وما هو باطل لأن بعض الأقوال التي تذكر في تفسير بعض الآيات لا يمكن أن تكون صحيحاً فيجب التصريح ببطلانه كما أن بعضها يتصف بالأصححة فالأفضل في مثله أن يقال : هذا أصح الأقاويل ولكنه لم يفعل ذلك ولا يستبعد أن تكون وجهته في هذا الأمر هي عين ما ذكره مروان سوار . وخالد العك ولكن ذلك ليس بمزية .

### الاسرائيليات :

وقد فصلنا الكلام عن معنى الإسرائيليات وتحديد المفهوم من هذه الكلمة وكيف تسربت إلى المسلمين كما بينا أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام أولها : ما صدقته الشريعة الإسلامية . والثاني : ما خالفته الشريعة الإسلامية . والثالث : ما سكت عنه الشريعة الإسلامية (١) وإذا أطلقت كلمة الإسرائيليات فالمقصود منها القسم الثاني ، والقسم الثالث في أغلب الأحيان لأن القسم الأول صار بسبب تصديق الشريعة الإسلامية لها إسلامياً ولم يبق إسرائيليّاً ومن المعلوم أن أكثر كتب التفسير تشتمل على كثير من الأخبار الإسرائيلية لاسيما ما سكت عنه شرعنا وإذا نظرنا إلى تفسير السمعاني وتفسير البغوي وتفسير الزمخشري نجد أن كل واحد منها يحتوي على كمية كبيرة من الأخبار الإسرائيلية وقد اعترف بذلك الدارسون لها فقال الدكتور أبو دجاجة الذي درس تفسير السمعاني : لم يخل تفسير السمعاني من الإسرائيليات (٢) واتى ببعض النماذج من تلك الإسرائيليات التي توجد في تفسير السمعاني منها : قصة الملكين هاروت وماروت التي اشتهرت عند المفسرين شهرة عظيمة (٣) ، مع أن هذه القصة قد نص ائمة الحديث على أنها موضوعة مختلقة والغريب أن بعض الروايات من هذه القصة نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن كثير بعد إيراده لهذه الروايات : وقد روى قصة هاروت وماروت جماعة من التابعين . . . . . وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إن ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل إلا سناد إلى الصادق الصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى (٤)

وأما الأمثلة على إيراده للأخبار الإسرائيلية من القسم الذي حققته فمنها ما ذكره نقلاً عن النقاش من أن طول موسى كان سبعة أذرع ، وعصاه سبعة أذرع ، ووثب سبعة أذرع فأصاب كعب عاج بن عوج فقتله .

(١) تقدم ذلك في ص (٢٠) .

(٢) مقدمته على تفسير السمعاني ( ص ٣٥٩ )

(٣) تفسير السمعاني ١/ ١٨٨ - ١٩٠ بتحقيق أبي دجاجة .

(٤) تفسير ابن كثير : ١/ ١٤١ وانظر أيضاً البداية والنهاية : ١/ ٤٣

وذكر أيضا أن ضلعا من أضلاعه جسر أهل مصر كذا وكذا سنة \* (١) وكذلك  
أورد عند قوله تعالى فقال ( أنا ربكم الأعلى ) (٢) نقلًا عن النقاش أن موسى عليه  
السلام قال لفرعون : لك ملك لا يزول ، وشباب لا هم فيه ، ولك الجنة في الآخرة  
فقل : هو ربي أنا عبده ، فقال : حتى استشيرها مان ، فلما استشاره قال : اتصير  
عبداً بعد أن كنت معبوداً ؟ لا تقل هذا فأبى أن يقول \* (٣)

وحاول الدكتور أبو دجانة التقليل من خطأ السمعاني في إيراده للمروييات  
الاسرائيلية واعتذر له فقال : ان أكثر التفاسير - إذا لم أقل جميعها - لم تخل من  
هذه الطامة والمهيبية الكبرى حتى تفسير ابن جرير على الرغم من إمامته وجلالته في التفسير  
فيه من الاسرائيليات ما فيه \* (٤)

ولكن ذلك لا يقلل من مسئولية السمعاني أو غيره ممن أوردوا بدون تصريح بكذبها  
واختلاقتها .

وإذا نظرنا إلى البغوى وجدناه يتفق مع السمعاني في سوق الأخبار الاسرائيلية  
في تفسيره وقد اعترف بذلك الدكتور محمد اشرف الملياري فإنه قال : أما من جانب  
الاسرائيليات التي تمس عصمة الأنبياء والملائكة وغيرها فالثعلبي والبغوى يتفقان  
في سردها ومختلفان في القلة والكثرة ، وقال أيضا : \* وقد تبع البغوى الثعلبي فسي  
معظم ما قيل في ذلك مما ليس له أصل صحيح ثابت ، ولا يتفق مع درجة النبوة وعصمة  
الانبياء \* . (٥)

وقالت السيدة عفاف : وقد اشتمل تفسير معالم التنزيل للإمام البغوى على نقول  
كثيرة من الاسرائيليات \* (٦)

ومن الأمثلة على سوقه للأخبار الاسرائيلية قصة هاروت وماروت ويبدو أنه فسق  
السمعاني في إيراده هذه القصة حيث أطال النفس فيها فجمع أغلب الروايات فيها  
وطول الكلام فيما لا طائل تحته . إذ قد عرفت حالها من الصحة . (٧)

ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما ذكره من أمر أصحاب الكهف فقد ذكر قصتهم بكثير من الإطناب  
حيث استغرقت أكثر من عشر صفحات وقد تعرض فيها لذكر لون الكلب الذي كان معهم

(١) تفسير السمعاني ( ٧٢٧ من القسم المحقق من هذه الرسالة )

(٢) سورة النازعات : آية ( ٢٤ )

(٣) تفسير السمعاني ( ص ٤٠٥ ) ومن الملاحظ على السمعاني انه أكثر من إيراده  
مثل هذه المروييات الاسرائيلية والموضوعة معتمداً في ذلك على تفسير النقاش  
ويظهر انه من أكبر المصادر التي اعتمد عليها في مثل هذه الأمور حيث يتجاوز  
ذكره في القسم الذي قمت بتحقيقه عشرات المرات ، مع أن هذا التفسير قد تكلم فيه  
العلماء بكلام قادح جداً ، انظر : سير اعلام النبلاء : ٥٧٥ / ١٥ .

(٤) مقدمته على تفسير السمعاني ( ص ٣٥٩ ) .

(٥) الثعلبي ودراسة كتابه ( ص ٧٥٣ )

(٦) البغوى ومنهجه في التفسير ( ص : ١٠٩ )

(٧) تفسير البغوى ( ١ / ١٠٠ - ١٠١ ) .

وتفاصيل أخرى من قصتهم وهي كلها راجعة إلى أخبار بني إسرائيل التي ليس عليها دليل من شرعنا . (١)

وهناك نماذج أخرى من إيراده للمرويات الاسرائيلية ذكرها الدكتور / محمد اشرف الملياري والسيدة / عفاف . (٢)

ومن الملاحظ على البغوى والسمعاني انهما لا يعقبان غالباً على هذه المروييات الاسرائيلية التي كذبها ظاهره، فلو عقبا على ما أوردها منها بكلام مناسب لقللاً من خطئهما واعتبر صنيعهما هذا من الأعمال التي يشكر عليها صاحبها وقد ما إلى طلاب العلم خدمة جليلة .

وأما الزمخشري فيصف موقفه من المروييات الاسرائيلية بالتناقض لأنه نراه في بعض الأحيان يتخذ موقف الناقد الذي يرفض كل شيء باسم المروييات الاسرائيلية ، وفي الأحيان الأخرى نراه يتسامح فيها فيوردها ولو كان من الاسطورة وقد تعرض الدكتور الصاوى لبيان موقفه من الاسرائيليات فوصفه بأنه موقف يفتقر وبعض اسلافه من ناحية ويلتقى وإياهم في أخرى يختلف وبعض اسلافه في التفسير القصصي الذي لا يمس آراء الاعتزال ، بينما يقف منه بعض المعتزلة موقف الناقد الشاك الساخر ، وأما الزمخشري فيسمح فيما لا يمس عقيدة أو يضار رأياً اعتزالياً ولا يطعن في عصمة نبي فيسمح فيسه ويورده وكان أشبه بالأسطورة والخيال " (٣)

ومع هذا يتميز الزمخشري عن . السمعاني والبغوى - حيث لا يكثر من هذه الرويات ، كما أنه يعقب على الكثير منها فيفنده تنفيذاً ، وان كان ذلك لم ينتشر في كامل تفسيره ، بل اختص بما يصادم آراءه وأفكاره - وقد امتدح الدكتور / الذهبي موقفه فقال : " لم يقع الزمخشري فيما وقع فيه غيره من المفسرين من الاغترار بالقصص الاسرائيلي والأخبار المختلفة المصنوعة ، وهذه محمودة أخرى لهذا المفسر الكبير تحمد له ويشكر عليها . (٤)

وهذا فيما أرى من المبالغة في وصفه والاعترار بشخصيته لأنه لم ينج كغيره من المفسرين من اتيانه بالاسرائيليات نعم له ميزة في عدم الاكثار منها والتعقيب على الكثير منها ولكنه فاته البعض منها فسكت عليه سكوتاً يدل على الرضا والاطمئنان إليه - كما سيأتي بعض الأمثلة على هذا - نذكر أولاً بعض النماذج من إيراده له - هذه المروييات التي عقب عليها بالكلام فمنها ما ذكره عند قوله تعالى ( وهل أتاك نبي الخضم إذ تسوروا المحراب ) الآية . (٥) حيث ذكر قصة داود عليه السلام مع أوربا ، وهي

- 
- (١) تفسير البغوى (٣/١٤٥ - ١٥٤) .  
(٢) انظر: الثعلبي ودراسة كتابه (ص ٧٥٣ - ٧٥٤) والبغوى ومنهجه في التفسير (ص ١٠٩ - ١١٧) .  
(٣) منهج الزمخشري في تفسيره (ص ١٦١) .  
(٤) التفسير والمفسرون ٤٨٢/١ وانظر: ايضاً الزمخشري للحوفي (ص ٢٣٩) .  
(٥) سورة ص: آية ٢١

قصة مشهورة يذكرها كثير من المفسرين . قال الزمخشري بعد إيراده لها : فهذا ونحوه مما لا يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أئمة المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء ، وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : من حدّثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة ، وهو حد الغرية على الأنبياء . (١)

وكذلك ما ذكره عند قوله تعالى ( ولقد فتنا سليمان وإلقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ) (٢) من حديث الخاتم والشيطان ، وعبادة الأصنام في بيت سليمان عليه السلام وهو أيضاً مما تناوله المفسرون في كتبهم عقب الزمخشري على هذه القصة بقوله : " ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله ، وقالوا : هذا من أباطيل اليهود ، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل ، وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام ، وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح ..... (٣)

هكذا نراه في بعض الأحيان يتشدد في قبول المرويات الإسرائيلية ولكنه لم يسلك على هذا النهج في جميع ما يورده منها بل خالفه في بعض الأحيان حيث يكتفى بقوله " روى " في أول القصة ، أو يفوض علمها إلى الله تعالى قائلاً في آخرها " والله أعلم بصحتها " كما أنه لا يفعل في بعض الأحيان هذا ولا ذاك ويسكت عليها سكوتاً

وأما الأمثلة على الأول فمنها ما ذكره عند قوله تعالى ( وانى مرسله اليهم بهدية ) الآية . (٤) من قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام ، فقد صدرها بقوله " روى " (٥)

وأما الأمثلة على الثاني فمنها ما ذكره عند قوله تعالى ( وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياها مان على الطين فاجعل لى صرحاً ) الآية (٦) من قصة بناء الصرح وأن فرعون ارتقى فوقه فرعى بنشابه إلى السماء إلى آخرها وهى مذكورة في كتب التفاسير وقال الزمخشري في آخرها " والله أعلم بصحته " (٧)

وقد اعتبر الدكتور الذهبى لأجل اثباته بهاتين الكلمتين أنه قد برىء من العهدة لأنه قال بعد أن أشار إلى القصتين " فالقصة الأولى صدرها الزمخشري بلفظ " روى " المشعر بضعفها والقصة الثانية صدرها أيضاً بهذا اللفظ وعقب عليها بقوله ( والله أعلم بصحته " مما يدل على أنه متشكك في صحة هذه الرواية (٨) .

وذكر أيضاً أن هذا في الغالب يكون عند ذكره للروايات التى لا يلزم من التصديق بها مساس بالدين ، وأما تنبيهه على درجة الرواية وبلغها من الصحة والضعف فيكون

- |     |                           |
|-----|---------------------------|
| (١) | الكتاب : ٣ / ٢١١ - ٣٢٢    |
| (٢) | سورة ص : آية : ٣٤         |
| (٣) | الكتاب : ٣ / ٢٢٩          |
| (٤) | سورة النمل : آية : ٣٥     |
| (٥) | الكتاب : ٣ / ١٤٢          |
| (٦) | سورة القصص : آية : ٣٨     |
| (٧) | الكتاب : ٣ / ١٦٨          |
| (٨) | التفسير والمفسرون ١ / ٤٧٨ |

في الغالب عند الروايات التي لها مساس بالدين وتعلق به . (١)

وقد خالفه الدكتور الحوفي إذ ذكر أن كلمة " روى " أو " زعمت " لاتعنيان الزمخشري ، لأن هذا من الاساطير التي كان من واجبه أن يهملها أو يعقب عليها بنفيها . (٢)

وأما الأمثلة على المزويات التي سكت عليها فمنها ما ذكره عند قوله تعالى : ( حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدَّها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سبيراً ) (٣) حيث قال : " عن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين ، فسألت عن هؤلاء فقيل : ان بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى . . . . إلى آخر القصة (٤) وفيها ما لاتقبله العقول - لكنه يسكت عليها ولم يعلق عليها بشيء وقد تقدم أن الاساطيليات التي سكت عنها شرعنا تجوز روايتها ولكن لايجوز ذكرها إلى جنب كلام الله تعالى كأنها تفسير له .

### القراءات :

هي أحد علوم القرآن التي لها جلالتها ومكانتها وقد اعتنى بها الأئمة وأمردوا فيها كتباً منها كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن ابي طالب القيسي وقد اعتنى بذكرها المفسرون في تفاسيرهم ما بين متوسع ومقتصر ، وذلك لأن لها أثراً بارزاً في تفسير القرآن الكريم وتوجيه المعاني القرآنية ولذ لك قال الزركشي : وهو فن جليل ، وبه تعرف جلاله المعاني وجزالتها \* (٥) وقد قال الزرقاني في تعريف القراءات : القراءات جمع قراءة وهي في اللغة صدر سماعي لقراً ، وفي الاصطلاح مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها (٥) ويتضح من هذا التعريف أن للقراءات حالتين : الأولى : وهي التي تتعلق بوجوه النطق والتلاوة والترتيل مما له علاقة بعلم التجويد وهذا لاعلاقة له بالتفسير ، والحالة الثانية : وهي التي تتعلق بحروف الكلمات القرآنية وحركاتها بحيث يختلف المعنى باختلاف الحرف أو الحركة ، وهذه هي التي لها علاقة بالتفسير .

(١) التفسير والمفسرون : ٤٧٦/١ - ٤٧٧ (٢) الزمخشري ( ص ٢٤١ )

(٣) سورة الكهف : آية : ٩٠

(٤) الكشف : ٤٠١/٢ .

(٥) البرهسان : ٢٣٨/١ .



وعند النظر في تفسير السمعاني يتضح أنه يتعرض لذكر كثير من القراءات فسي تفسيره ولكن بدون أسراف منه في ذلك . وأنه يهتم بالكشف عن وجوه القراءات وتوجيهها والاستدلال لها ، وبالنسبة للمصادر التي اعتمد عليها في ذكر القراءات يبدو أنه استفاد في ذلك من بعض المصاحف كصحف أبي رضي الله عنه وغيره من الصحابة كما أنه استفاد من كتب القراءات العشر والكتب التي تعنى بذكر القراءات الشاذة لأننا نراه يتعرض لذكر القراءات المتواترة والشاذة تارة منسوبة إلى أصحابها وتارة دون تصريح بمن قرأ بها كما أنه ينقل عن بعض الصحابة والتابعين ولم يذكر كيف كانت استفادته من تلك الكتب فكانت مباشرة منها أم بطريق الرواية والسماع وقد عفى الدكتور / أبو دجانة في مقدمته على تفسير السمعاني فصلاً بعنوان " مصادره في القراءات " قال فيه : " وقد أكثر السمعاني في تفسيره من ذكره للقراءات مع التوجيه وكانت أفاده لتلك القراءات على القراء العشرة المعتمدين وعن قراءات الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وكذلك قراءات التابعين وفي بعض الأحيان يفيد القراءات من بعض المصاحف (١) ويتبين لي عند المقارنة مع بعض الكتب في القراءات وبعض كتب التفاسير الأخرى أن السمعاني ليس من المكثرين لذكر القراءات بحيث أنه يغفل بعض القراءات السبعة فلا يتعرض لذكرها كما أنه لا يخوض في توجيهها وتعليلها وإنما يكفي في ذلك بجملته وجملتين ولا أكثر وقال الدكتور / أبو دجانة عند تعرضه لمنهج السمعاني في عرض القراءات : " برز اهتمام السمعاني بالكشف عن وجوه القراءات وتوجيهها والاحتجاج لها في تفسيره فهو رحمه الله تعالى يتعرض للقراءات الصحيحة مع التوجيه ، ولقراءات الصحابة رضوان الله عليهم ، ويوضح الشاذ منها ويرده " (٢)

وعند الاستعراض لمنهجه يتبين أنه كثيراً ما يذكر القراءات المختلفة في الآية الواحدة ، ثم يبين معناها على كل قراءة ويأتي بالنظائر على بعض القراءات من القرآن أو الحديث كما فعل ذلك عند قوله تعالى ( وهى أشد وطأ ) (٣) فقد ذكر فيه قراءتين أولاهما : " وَطَأَ " والثانية : " وَطَأَ " ثم ذكر معنى الآية على القراءة الأولى ، فقال : أما قوله : " وَطَأَ " قال الأحفش سعيد بن مسعدة : أشد قياماً ، والوطأ في اللغة هو الثقل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( أشدد وطأتك على مضر ) والمعنى : أنه أثقل على البدن لأنه وقت الراحة والسكون . الخ .

ثم ذكر معناها على القراءة الثانية فقال : أى أشد مواطأة ، ومعناه : موافقة بين السمع والبصر والقلب ، وذلك لقلدة الحركات وهدوء الأصوات . (٤)

وأما الأمثلة على قيامه بتوجيه وتعليل كل قراءة من القراءات التي يذكر في الآية الواحدة فمنها ما ذكره عند قوله تعالى ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه ) (٥) إذ قال فمن قرأ بالكسر ينصرف إلى قول الجن ، ومعناه : قال الجن أنه ، وقيل : ينصرف

(١) مقدمته على تفسير السمعاني ( ص ٢٩٧ ) (٢) المرجع السابق ( ص ٣٣٩ - ٣٤٠ )  
 (٣) سورة المزمل : الآية (٦) (٤) تفسير السمعاني ( ص ٩٦ - ٩٧ )  
 وانظر أيضاً ص : ٦٣٠ ، ٧١٨ ، ٧٩١ القسم المحقق من هذه الرسالة .  
 (٥) سورة الجن : الآية : ٢٠

إلى قول الله تعالى : أى قال الله تعالى : وانه لما قام عبد الله ، ومن قرأ بالفتح  
معناه : أوحى إلى أنه لما قام عبد الله \* (١)

ويقوم في بعض الأحيان بالترجيح بين القراءات المختلفة كما نراه فعل ذلك في  
قوله تعالى : " وأنه تعالى جد ربنا " (٢) حيث ذكر فيه قراءتين فقال : قرئ  
بالكسر وبالفتح ، فمن قرأ بالكسر فهو أن الجن قالوا ومن قرأ بالفتح فنصبه على معنى  
" أمنا " وأنه تعالى جد ربنا فانصب بوقوع الإيمان عليه ، والقراءة بالكسر أحسن  
القراءتين . (٣)

وقال في قوله تعالى ( لا أقسم بيوم القيامة ) (٤) أنه قرئ " لا أقسم بيوم  
القيامة " ثم قال : وأنكر النحويون من البصريين هذه القراءة ، وزعموا أنها لحسن ،  
وقالوا : لا بد من دخول النون إذا كان على هذا الوجه ، والصحيح هي القراءة  
المعروفة ، وأكثر القراء على هذا \* (٥)

كما أنه يقوم بالمناقشة أحيانا ويعقب على القراءة بما يقتضيه المقام ، نراه فعلى  
ذلك عند قوله تعالى ( والليل إذا أدبر ) (٦) فقال : قرئ ( إذا دبر ) وقيد  
أنكر بعضهم هذه القراءة وقالوا : إذا دبر يقال في ظهر البعير ، والصحيح ما بينا  
وهما قراءتان معروفتان \* (٧)

ويلاحظ في منهجه لذكر القراءات المتواترة أنه في بعض الأحيان يذكرها منسوبة  
إلى أصحابها (٨) وفي الأحيان الأخرى لا يصرح بمن قرأ بها . (٩)

وفي ذكره للقراءات الشاذة منهجان : الأول : أنه يصرح بشذوذها وهو الأكثر (١٠)  
والثاني لا يصرح بشذوذها ولكنه ينسبها إلى غير القراء العشرة ويتركها أحيانا بدون  
تصريح ولكنه قليل . (١١)

(١) تفسير السمعاني ( ص ٥٢ ، وانظر الأمثلة أيضا في ص ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦٢٢ ،  
٧٤١ القسم المحقق .

(٢) سورة الجن : الآية : ٥٣ .

(٣) تفسير السمعاني ( ص ١٤ - ١٥ من القسم المحقق من هذه الرسالة ) .

(٤) سورة القيامة : الآية : (١)

(٥) المصدر السابق ( ص ٢٠٥ - ٢٠٧ )

(٦) سورة المدثر : آية : ٣٣

(٧) المصدر السابق ( ص ١٨٣ - ١٨٤ )

(٨) المصدر السابق ( ص ٢٠٥ - ٢٠٧ )

(٩) المصدر السابق ( ص ١٤ - ١٥ )

(١٠) المصدر السابق ( ص ٧٩ ) وانظر أيضا ( ص ٧٠٢ )

(١١) المصدر السابق ( ص ٦٢١ ) .

وأغلب ما أورده من القراءات الشاذة وجدته في الكتب التي تعتنى بذكر القراءات الشاذة إلا القليل منها فلم أجد من ذكره . هذا وإذا أردت مزيداً من النماذج من ذكره للقراءات فارجع إلى مقدمة الدكتور أبي دجاجة على تفسير السمعاني . (١) وإذا نظرنا إلى البيهقي نجد أن اهتمامه أيضاً بذكر القراءات قد برز في تفسيره بصفة واضحة ولا عجب أن ينال موضوع القراءات اهتمامه الكبير لأنه قد عرف من آثاره كتاب في هذا الفن وهو كتاب الكفاية في علم القراءات .

وعليه فقد اشتمل تفسيره على كمية كبيرة من القراءات المتواترة . قال الدكتور

الذهبي : لاحظت أنه يتعرض للقراءات ولكن بدون إسراف منه في ذلك . (٢)

وقالت السيدة عفاف : وجه الإمام البيهقي اهتمامه الكبير إلى القراءات ووقف عليها كثيراً خلال تفسيره فما ترى آية وردت فيها قراءة أو قراءات أخرى إلا ونبه إلى ذلك وذكر تلك القراءات الأخرى . فجاء تفسيره زاخراً بمباحث علم القراءات خاصة ويقف في أحيان كثيرة مفصلاً وبأساط تلك المسائل وذاكراً كل ما يتصل بها ، وحين يورد البيهقي القراءة الأخرى ينبه إلى فرق ما بين القراءتين في المعنى أو علاقة ذلك باللغة والنحو والإعراب . (٣) وهو عين ما فعله السمعاني أيضاً عند ذكره للقراءات وإذا أردنا أن نعرف المصادر التي استفاد منها البيهقي في ذكره للقراءات نجده قد كانا مؤنة البحث في هذا المجال إذ صرح بنفسه حيث قال : وقد ذكرت في الكتاب قراءة من اشتهر منهم بالقراءات واختياراتهم على ما قرأته على الإمام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المقريء المرزوي (٤) رحمة الله عليه تلاوة ورواية قال : قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي (٥) قال : قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران (٦) بإسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب العناية (٧) وهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدنيان ، وأبو معبد عبد الله بن كثير الدارمي المكي وأبو عمران عبد الله بن عامر الشامي ، وأبو عمر وزيان بن العلاء المازني العطاس وأبو محمد بن يعقوب بن اسحاق الحضرمي البصريان . وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي ، وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات ، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون (٨)

(١) ( ص : ٣٣٩ )

(٢) التفسير والمفسرون ٢٣٧ / ١

(٣) البيهقي ومنهجه في التفسير ( ص ١٢٦ )

(٤) انظر: ترجمته في غاية النهاية ( ٧٢ / ٢ )

(٥) انظر: ترجمته في غاية النهاية ( ٣٤١ / ١ )

(٦) انظر: ترجمته في معرفة القراء الكبار للذهبي ٢٧٩ / ١ - ٢٨٠ وغاية النهاية لابن الجزري ٤٩ / ١ .

قال فيه الحاكم : كان امام عصره في القراءات .

(٧) كذا ورد في تفسير البيهقي ولعل الصواب : الغاية ، وقد ذكر هذا الكتاب

في ترجمة أبي بكر أحمد بن الحسين فقال : مصنف كتاب الغاية .

وذكره ابن الجزري فقال : مؤلف كتاب الغاية في العشر .

انظر: المصدرين السابقين .

(٨) تفسير البيهقي ( ٣٠ / ١ - ٣١ ) .

ثم أسند لكل من القراء المذكورين الطرق التي تلقوا بها قراءاتهم عن الصحابة رضوان الله عليهم ممن قرأوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمثال أبي بن كعب ، وعلي ، وعثمان وغيرهم . وفي ضوء هذا الكلام يمكن لنا أن نقول : إن البيهقي اعتمد في ذكره للقراءات على القراء العشرة سوى واحد منهم والذين تعتبر قراءتهم متواترة واتفقت الأمة على جواز القراءة بها وقد صرح بذلك البيهقي نفسه فقال : فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها " (١) وكانت استفادته من قراءاتهم رواية وتلاوة أي من أعلى الطرق التي تؤخذ بها القراءات ، ولم تكن استفادته من كتب المتأخرين حيث اكتفى بمجرد النقل عنها بل روى تلك القراءات التي أوردتها في تفسيره بأسانيد متصلة عن أصحابها وكانت روايته لها رواية وتلاوة والكلام الذي ذكره البيهقي يدل على أنه لا يتعرض في تفسيره لذكر القراءات الشاذة ويؤيد ذلك الأمر الواقع في خلال تفسيره وقد بحثت عن ذلك فلم أجده . ومن النماذج لما ذكره في تفسيره من القراءات أنه قال عند قوله تعالى ( وأنه تعالى جد ربنا ) (٢) قرأ أهل الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم " وأنه تعالى " بفتح الهمزة وكذلك ما بعده إلى قوله " وأنا منا المسلمون " (٣) وقرأ الآخرون بكسرها وفتح أبو جعفر منها " وأنه " — وهو ما كان مردوداً على الوحي — وكسر ما كان حكاية عن الجن ، والاختيار كسر الكل ، لأنه من قول الجن لقومهم ، فهو معطوف على قوله ( فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ) (٤) وقالوا : " ولأنه تعالى " ومن فتح على قوله : " فأمننا به " وأما بكل ذلك ففتح " أن " لوقوع الإيمان عليه . (٥)

وقال عند قوله تعالى : " وأنه لما قام عبد الله " (٦) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة ، وقرأ الباقون بفتحها " (٧)

وقال عند قوله تعالى : ( هي أشد وطأ ) (٨) : قرأ ابن عامر وأبو عمر " وطأ " بكسر الواو ومدوداً بمعنى المواطأة والموافقة يقال واطأت فلانا — مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار وقرأ الآخرون بفتح الواو وسكون الطاء

- 
- |     |                             |
|-----|-----------------------------|
| (١) | تفسير البيهقي ( ٣١ / ١ )    |
| (٢) | سورة الجن : آية ( ٣ )       |
| (٣) | سورة الجن : آية ( ١٤ )      |
| (٤) | سورة الجن : آية ( ١ )       |
| (٥) | تفسير البيهقي ٤ / ٤٠١       |
| (٦) | سورة الجن : آية ( ١٩ )      |
| (٧) | تفسير البيهقي : ( ٤ / ٤٠٤ ) |
| (٨) | سورة المزمل : آية ( ٦ )     |

أى أشد على الصلي ، وأثقل من صلاة النهار لأن الليل للنوم والراحة . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اشد وطأتك على مضر " (١)

وقال عند قوله تعالى ( لا أقسم بيوم القيامة ) (٢) قرأ القواس عن ابن كثير "لأقسم" الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة . (٣) . وقال عند قوله تعالى ( والليل إذا أديبر ) (٤) قرأ نافع وحزمة وحفص ويعقوب "إذ" بغير ألف "أديبر" بالألف وقرأ الآخرون "إذا" بالألف "ديبر" بلا ألف لأنه أشد موافقة لما يليه وهو قوله ( والصبح إذا أسفر ) ولأنه ليس في القرآن قسم بجانبه "إذ" وإنما بجانب الأقسام إذا ، وكلاهما لغة يقال : دبر الليل وأديبر إذا ولى ذاهباً " (٥)

وعند المقارنة بين البغوى والسمعاني في هذه النماذج يتضح لى أن البغوى أكثر دقة من السمعاني في ذكر القراءات حيث أنه لا يذكرها إلا منسوبة إلى من قرأ بها من أئمة القراءات كما أنه يتميز عنه في تحليل القراءات بحيث أنه يأتي بتفصيل أكثر وضوحاً ويميز السمعاني عن البغوى بالمناقشة والترجيح فإنه يناقش المشتغلين بالقراءات إذا خالفوا ما يراه صحيحاً كما أنه يقوم في بعض الأحيان بالترجيح بين القراءات ويميز أيضاً بأنه يتعرض لذكر القراءات الشاذة مبيناً لشذوذها وأما البغوى فليس من منهجه التعرض لذكر القراءات الشاذة لأنه صرح بأنه لا يذكر من القراءات إلا ما اتفقت الأمة على جواز القراءة به .

وعند الموازنة بين ما يورده البغوى وبين ما يورده السمعاني من حيث الكم يظهر أن البغوى يتفوق فيه السمعاني ، لأنى وجدته يتعرض لذكر القراءات في الآيات التي لم يتعرض لها السمعاني . (٦) .  
وإذا ذهبنا إلى الزمخشري لنعرف مدى اشتغاله بذكر القراءات نجد أنه لم يغفل هذا الجانب المهم فإن تفسيره يحتوى على كمية غير يسيرة من مباحث القراءات .  
وبالنسبة للمصادر التي استفاد منها في عرضه للقراءات يبدو أنه جمع لديه من الصحاح المختلفة عدداً كبيراً مما ساعده في ذلك يقول الدكتور الصاوى : كانت أمام الزمخشري صحاح قراء وأصاحب مختلفة منها :

- ١- صحف عبد الله بن مسعود
- ٢- صحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله
- ٣- صحف أبي بن كعب
- ٤- صحف أهل الشام والحجاز

(١) تفسير البغوى : ( ٤٠٨ / ٤ - ٤٠٩ )  
(٢) سورة القيامة : آية : (١)  
(٣) تفسير البغوى : ( ٤٢٠ / ٤ )  
(٤) سورة المدثر : الآية : (٢٣)  
(٥) تفسير البغوى ( ٤١٨ / ٤ )  
(٦) منها قوله تعالى ( رب المشرق والمغرب ) سورة المزمل : الآية ( ٩ )  
ذكر فيها البغوى قراءتين بينما أغفلها السمعاني . انظر تفسير البغوى ٤٠٩ / ٤  
وتفسير السمعاني ( ص ١٠٥ القسم المحقق من هذه الرسالة )

٥- بعض المصاحف الأخرى كما نفهم من عبارته : وفي بعض المصاحف (١)

وقد تعرض الدكتور الحوفي أيضاً لذكر مصادره في القراءات فذكر منها ما تقدم وزاد عليها : مصحف البصرة ، ومصحف أهل العراق وعكرمة ، والأعرج وابن يعمر وقال : ويذكر روايات عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب ، وزيد بن علي ونافع وابن جريج ، وحمزة والحسن وعمرو بن عبيد وغيرهم . (٢)

ويتضح من خلال هذا العرض أن الزمخشري اعتمد في عرضه للقراءات على مصاحف أئمة الشأن ، وأما بالنسبة لما يذكره من روايات الصحابة والتابعين في ذلك فليس عندنا ما نقطع به في هذا الصدد ولعله رجح في ذلك إلى الكتب التي تعتنى بذكر القراءات واختلاف القراء ، قال مرتضى الشيرازي : يعتمد ( الزمخشري ) في قراءته على استنباطاته حيناً وعلى أقوال الصحابة حيناً آخر ويعتمد أيضاً على المصاحف . . . . ثم ذكر بعض المصاحف السابقة . (٣) ولم يتضح لي كيف كان اعتماده في ذكر القراءات على استنباطاته وهو شيء لا يعتمد إلا على النقل المجرد إلا إذا كان تصده المفاضلة بين القراءات فهذه قد تحتاج إلى الاستنباط .

وأما منهجه في عرض القراءات فيصفه لنا الدكتور الحوفي فيقول : " الزمخشري لغوي نحوي أديب ذواق ولهذا أكثر من ذكر القراءات منسوبة في أكثر الأحيان وغير منسوبة في قليل من الأحيان وكان في الأغلب الأعم لا يعقب بشيء ولا يفضل قراءة على قراءة . وأحياناً كان يعقب باختيار أروع القراءات تعبيراً وأبلغها معنى وأشبهها بنظم القرآن الكريم " (٤)

ويقدم لنا الدكتور الصاوي تفصيلاً أكثر عن منهجه في عرض القراءات حيث بيّن أعراضه المختلفة من خلال ذكره للقراءات . فذكر أن الزمخشري يستعين بالقراءة على التفسير الذي يفسر فهمي تقوى منه وتلقى الضوء عليه .

ويبين فرق ما بين القراءات من حيث اللغة إذ لذلك ضرورة أثر في اختلاف معنى الآي .

ويعالج القراءات ليوّجه قراءة بعينها إلى أوجهها المعنوية المختلفة والمحتملات ليكشف عما وراء الآي من ثروة معان ، فهو يستغل القراءات في خدمة التفسير . ويهيمه من ذكر القراءات إيضاح المعنى القوي الذي تتضمنه الآي القرآنية ، ولذلك فالقراءة المفضلة عنده التي تحمل وراءها معنى قوياً يخدم التفسير القرآني .

(١) منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ٩٠ )

(٢) الزمخشري ( ص ١٢٥ )

(٣) الزمخشري لغوياً ومفسراً ( ص ٣١٢ )

(٤) الزمخشري ( ص : ١٢٥ )

وأما الترجيح بين القراءات فلا يفضل غالباً قراءة على قراءة ولكن نراه يرجح القراءة إذا كانت تجرى والنسق المعنوي في مضمار .

كما أنه يفضل القراءة التي تحفظ على الأسلوب القرآني جماله وقوة معناه فإذا ما أضاعت القراءة من أسلوب القرآن وقوة معناه رفضها وأبأها وأثر غيرها مما يحفظ على القرآن جماله . ويرى أن ضبط القراءة بحاجة إلى أهل النحو ، وقال أنساء : بيان الخطأ في قراءة من القراءات : \* ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو \* (١) ومن هنا يرفض كل قراءة لا تتفق مع القاعدة النحوية \* (٢)

وهذا الذي ذكره الدكتور الصاوي لا ينفرد به جميعه الزمخشري بل يشترك في بعضه أو أغلبه كثير من المفسرين منهم البغوي والسمعاني لأننا نراهم يستعينون بالقراءات على بعض التفاسير التي يفسرونها - كما أنهم يبينون الفروق بين القراءات من حيث اللفظة وأنهم يرجحون القراءة التي تجرى مع النسق اللفظي والمعنوي للقرآن ويمكن التأكد من ذلك خلال النماذج التي قدمتها من تفسير السمعاني وتفسير البغوي في صفحات هذا البحث .

ومن الملاحظ أن أثر تخصص الزمخشري في النحو قد برز جلياً على معالجهته للقراءات بحيث أنه لا يقبل القراءة إذا كانت لا تتفق مع القاعدة النحوية . وكذا لمكثرت تخصصه في البلاغة يبدو واضحاً في ذلك إذ يفضل القراءة التي تحفظ على الأسلوب القرآني جماله وبلاغته . ولكن ليس عنده أي اعتبار بالقراءات السبع أو القراءات العشر أو القراءات الشاذة فيضع كل واحد منها في مرتبة واحدة لا تفضل واحدة منها على الأخرى إلا التي يرى فيها بغية ومقصده ، من ذلك ما ذكره عند قوله ( وكلم الله موسى تكليماً ) (٣) حيث قال : وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما قرأ ( وكلم الله ) بالنصب (٤) وذلك لأنه يستطيع بذلك أن ينكر لله تعالى صفة الكلام وقد اشتد إنكار أبي بكر بن عياش على هذه القراءة فقد ذكر ابن كثير عن أبي بكر بن مردويه أنه روى بسنده عن عبد الجبار بن عبد الله قال : جاء رجل إلى بكر بن عياش فقال : سمعت رجلاً يقرأ : \* وكلم الله موسى تكليماً \* فقال أبو بكر : ما قرأ هذا إلا كافر قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي بن عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على علي بن أبي طالب وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وكلم الله موسى تكليماً ) ثم عقب عليه ابن كثير بقوله : وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ

(١) انظر: الكشاف ١/ ١٧١ .  
(٢) منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ١٧٢ - ١٧٩ ) وقد أتى بالأمثلة والنماذج على كل ما ذكره من خلال الكشاف .

(٣) سورة النساء : آية : ١٦٤ . . . .

(٤) الكشاف : ١/ ٣١٤ . . . .

كذلك لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه ، وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحداً من خلقه . (١)

ومن النماذج لعرضه للقراءات أنه قال عند قوله تعالى ( أنه استمع ) بالفتح لأنه فاعل أوحى ، " وانا سمعنا " بالكسر لأنه مبتدأ محكى بعد القول ثم تحمل عليهما البواتي ، فما كان من الوحي فتح ، وما كان من قول الجن كسر وكلمين من قولهم إلا الثنتين الآخرين " وأن المساجد " وأنه لما قام " ومن فتح كلمين فعطفا على محل الجار والمجرور في أمنا به ، كأنه قيل : صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا ، وأنه كان يقول سفيهننا وكذلك البواتي (٢)

ويتضح بالمقارنة بين الزمخشري وبين السمعاني والبغوي في هذا المثال أن الزمخشري لم يعز القراءات في هذه الآية إلى أصحابها كما يعزها السمعاني ولكن الأسلوب الذي اختاره السمعاني عند عدم تصريحه بالقراء يبين أن هذه القراءة من المتواترة أو الشاذة ، وهذا مفقود عند الزمخشري لأنه لا يفرق بين القراءات المتواترة وغير المتواترة ويلاحظ أنه قام بتعليق القراءتين وتوجيهيهما في هذه الآية ولكن الأسلوب الذي اختاره في هذا التوجيه مغاير لأسلوب السمعاني والبغوي كما أنه يلاحظ أن الزمخشري عمل في عرض القراءتين وتوجيهيهما في هذه الآية باختصار شديد بحيث لا يفهم من لا يوجد لديه الطام سابق بما وقع فيه من خلاف بين القراء ، .

وقال عند قوله تعالى ( هي أشد وطأً ) أي أشد مواطئة يواطىء قلبها لسانها ان أردت النفس ، أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه ان أردت القيام أو العبادات أو الساعات . أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص ( إلى أن قال ) وقرئ : أشد وطأً بالفتح والكسر ، والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل ، أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله عليه السلام " اللهم اشدد وطأتك على مضر " (٣)

نشاهد في المثال أنه اتفق في عرض القراءتين في هذه الآية مع السمعاني والبغوي إلا أن البغوي زاد عليهما حيث نسبهما إلى من قرأ بهما كما أن الزمخشري زاد عليهما في بيان معنى الآية على القرائتين فذكر لها على القراءة الأولى ثلاثة معان وعلى القراءة الثانية معنيين وهو الذي قصده الدكتور الصاوي عندما قال : " ويعالج القراءات ليوجه قراءة بعينها إلى أوجهها المعنوية المختلفة والمحتلات ليكشف عما وراء الآية من ثروة معان " .

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٧ - ٥٨٨)

(٢) الكشاف (٤ / ١٤٥)

(٣) المصدر السابق (٤ / ١٥٣)



وهكذا نجد الثلاثة يتفقون حيناً في عرض القراءات ويختلفون حيناً آخر ويزيد بعضهم على الآخر أحياناً ما لم يتعرض له وما زاد الزمخشري عليهما من القراءات هو ما ذكره عند قوله تعالى ( إنه تعالى جد ربنا ) فقال : وقرئ ( جِداً ربنا ) على التمييز . ( وجد ربنا ) أي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد " (١)

ومن الأمثلة على ذكره للمصاحف في بيان اختلاف القراءات أنه قال عند قوله تعالى ( وما هو على الغيب بضنين ) (٢) " وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف أبي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما " (٣)  
ومن الأمثلة على مفاضلته بين القراءات أنه ذكر عند قوله تعالى ( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " (٤) أن ( كلمة ) قرئت بالنصب على التمييز ، وبالرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ ، وفيه معنى التعجب لأنه قيل : ما أكبرها كلمة " . (٥)

(١) الكشاف ( ١٤٦ / ٤ )

(٢) سورة التكويد : الآية ( ٢٤ )

(٣) الكشاف ( ١٩١ / ٤ )

(٤) سورة الكهف : الآية ( ٥ )

(٥) الكشاف ( ٣٨٠ / ٢ )

ان مما يعتمد عليه المفسرون في تفسيرهم لكلام الله تعالى بعد المأثور من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين - اللغة - لأن القرآن نزل بلسان العرب وبأساليبهم ولاجل ذلك يروى عن ابن عباس أنه كان يستعين بكلام العرب في تفسير الآيات ويستشهد به . (١)

وعلى هذا نجد المفسرين الثلاثة - السمعاني والبغوي والزمخشري - اعتمدوا في تفاسيرهم على المعنى اللغوي للمفردات إلا أنهم يختلفون من حيث الكم والكيف فحظ السمعاني والبغوي من اللغة معتدل بحيث انهما لا يبالغان في تناولهما للمسائل اللغوية بل يكفيان في ذلك بقدر ما يودي الغرض ويبلغ الهدف في بيان المعنى المراد من الآيات . (٢)

بينما نجد الزمخشري - بصفة كونه لغوياً - يتوغل في الباحث اللغوية ويستخدم قدرته في مجال اللغة لتفسير كلام الله تعالى إلا انه يستغلها أحياناً لأغراض الاعتزالية . (٣)

وانذا أردنا أن نعرف المصادر التي اعتمد عليها السمعاني في تفسيره للمفردات وبيانه لمعنى الآيات من الناحية اللغوية نجده أنه توسع كثيراً في جمع المصادر واللغوية والاستفادة منها ولعله يفوق صاحبه - البغوي والزمخشري - في هذا الجانب ، وقد استعرض الدكتور أبو دجاجة في مقدمة تفسيره لهذه المصادر فذكر منها أولاً القرآن الكريم والاحاديث النبوية وأقوال الصحابة والشعر والأمثال وأقوال بعض الأعراب ثم ذكر مصادر من علماء اللغة والنحو فبلغ عدد من استفاد منهم من خلال مؤلفاتهم حوالي ثلاثين شخصاً (٤) كلهم من كبار الأئمة في اللغة والنحو ، وقدرتهم حسب وفياتهم فأولهم وفاة عيسى بن عمر النحوي أبو عمر البصري فإنه توفي سنة ١٤٩ هـ ، وآخرهم وفاة ابن عيسى المعروف بابن الأصفري وقد توفي سنة ٤٥٠ هـ مما يدل على أن السمعاني استفاد في تفسيره من الناحية اللغوية من كتب المتقدمين والمعاصرين ويتضح من النظر في هذه القائمة الثروة الضخمة من المصادر اللغوية التي رجع إليها السمعاني لتفسير كتاب الله تعالى ولعل ثراء المكتبات المتوفرة في مرو وغيرها من الأماكن التي ارتحل إليها ساعده على ذلك وسهل له الرجوع إليها والاستفادة منها ولا سيما والده محمد بن عبد الجبار كان إماماً فاضلاً أحكم العربية واللغة و صنف فيها التصانيف (٥) فلا بد أن يكون له أثر في ثقافته اللغوية والنحوية ثم ان العلماء الذين استفاد السمعاني من

- (١) انظره التفسير والمفسرون ( ٦٨ / ١ )
- (٢) انظره البغوي ومنهجه في التفسير ( ص ١١٩ ) .
- (٣) انظره التفسير والمفسرون ( ١ / ٤٢٣ ، ٤٤٥ ) .
- (٤) مقدمته على تفسير السمعاني ( ص ٣٠٤ - ٣١٦ )
- (٥) نفس المصدر السابق

مؤلفاتهم اللغوية والنحوية ليسوا من العلماء العاديين بل يعتبرون من كبار الأئمة في هذا الفن وصناديده لأنه يوجد فيهم من أمثال الخليل النحوي صاحب كتاب العين أول معجم لغوي • وسيويه ، والفراء ، والأخفش الأوسط وأبو عبيدة وغيرهم •  
وأما بالنسبة لمنهجه في معالجة الكلمات من الناحية اللغوية فقد أوضحه الدكتور أبو دجانة بقوله : أفاد أبو المظفر السمعاني رحمه الله تعالى من علماء اللغة والنحو الكثير ، ليس فقط في إطار الكلمة ومدلولها واشتقاقها وتركيب الجملة وبيان الموقع الإعرابي للمفردات والجمل ، وإنما أفاد من جهد اللغويين والنهاية المباشر في التفسير والكشف عن المعنى القرآني بمنظارهم ومن خلال رؤيتهم للنص القرآني بما أوتوه من علم ودراية في ميادين اللغة وفروعها المتعددة • (١)

وهذا يدل على أن السمعاني جمع في الاستفادة من علماء اللغة بين شيئين :  
أحدهما : معالجة الألفاظ في إطار تخصصها بمعنى أنه ينقل البحث اللغوي من محيط اللغة إلى التفسير :

والثاني : إيراد النتائج التفسيرية للغويين بمعنى أنه ينقل التفسير اللغوي للقرآن الكريم •

وفيما يبدو لي أن هذا المنهج ليس خاصاً بالسمعاني فقط فإننا نرى كثيراً من المفسرين يسلكون هذا المنهج أثناء استفادتهم من اللغويين •

وأما الأمثلة على معالجته للألفاظ في إطار تخصصها فمنها أنه ذكر عن الفراء قوله في معنى النفر : وهو أن النفرا سم لما بين الثلاثة إلى عشرة ثم قال حكاه ابن السكيت أيضاً عن ابن زيد " (٢) ومنها أنه ذكر عن أبي الحسين ابن فارس أنه قال : القيام في لغة العرب على وجهين ، قيام جد وعزم ، وقيام انتصاب • (٣) ومنها أيضاً أنه نقل عن الفراء قوله في معنى الرجز والرجز : أنهما في معنى واحد • (٤)

وكذلك نقل قوله وقول الكسائي في معنى دبر وأدبر أنهما بمعنى واحد (٥) وأما الأمثلة على إيراد النتائج التفسيرية للغويين فمنها ما نقله عن الفراء وغيره عند قوله تعالى : ( وأن لو استقاموا على الطريقة ) (٦) في معنى الطريقة : وهو أن الطريقة هاهنا طريقة الكفر والضلالة " (٧)

ومنها ما نقله في معنى ناشئة الليل فذكر عن الكسائي أنه أول الليل ، وعن ابن الأعرابي أنه قال : هو أن يستيقظ بعد أن ينام " (٨)

- (١) مقدمته على تفسير السمعاني ( ص ٣١٠ ) .
- (٢) تفسير السمعاني ( ص ١٠ - ١١ من القسم المحقق من هذه الرسالة ) .
- (٣) المرجع السابق ( ص ١٣٧ - ١٣٨ ) .
- (٤) المرجع السابق ( ص ١٤٦ ) .
- (٥) المرجع السابق ( ص ١٨٤ ) .
- (٦) سورة الجن : الآية ١٦ .
- (٧) تفسير السمعاني ( ص ٤٣ ) .
- (٨) المرجع السابق ( ص ٩٤ ) من القسم المحقق وأرجع أيضاً ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٢٣ .

كما نقل عن الفراء في معنى قوله تعالى ( قولاً ثقیلاً ) أنه قال : هو قول ثقيل

أى ليس بخفيف ولا سفاف \* (١)

فهذه بعض الأمثلة من استفادة السمعاني من علماء اللغة ويحتوى تفسيره على شيء كثير من ذلك : ويلاحظ من خلال هذه النماذج أن السمعاني يلتزم في أغلب الأحيان بتصريح من ينقل عنه من اللغويين ، كما أنه لا يكتفي بقول الواحد منهم بل يأتي بأقوال العديد منهم وقد لوحظ بأنه يختصر بعض الأحيان فيقول : قال أهل اللغة (٢) أو في اللغة (٣) وقد لا يفعل هذا ولا ذاك بحيث يكتفى بذكر المعنى للكلمة ولا يصرح بمن نقل عنه هذا المعنى (٤) وتبين لى من خلال الرجوع إلى كتب اللغة أن السمعاني دقيق في عزو الأقوال إلى اللغويين لأننى وجدت كل من عزاه إليه قولاً من الأقوال قد ذكر عنه هذا القول إما في كتابه وإما في كتب أخرى لها علاقة باللغة إلا أنه لا يلتزم في النقل بالألفاظ بل ينقل بالمعنى

ثم ان السمعاني لا يرجع إلى علماء اللغة لمعرفة معنى الكلمات ومدلولاتها فقط بل يعتمد عليهم في بيان أصل الكلمة واشتقاقها لأنه من منهجه أن يتعرض لاشتقاق الكلمة ويبحث عن أصل المادة فيستعرض في ذلك أقوال الأئمة ثم يقوم بالترجيح بينها في أغلب الأحيان ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره للبسطة في مستهل تفسيره فقال : " اختلفوا في اشتقاق الاسم ، قال المبرد وجماعة البصريين : الاسم مشتق من السمو وهو العلو والظهور فكانه ظهر على معناه وعلا عليه ، وصار معناه تحته ، وقال ثعلب من الكوفيين : هو مشتق من الوسم والسمة ، فكانه علامة لمعناه . والأول أولى لأن الاسم يصغر على السمي ولو كان مشتقاً من السمة لكان يصغر على الوسم كما يقال في الموصل وصَّيل وفي الوعد وعُيد .

وانتقل بعد ذلك إلى لفظ الجلالة " الله " فذكر أقوال العلماء في أصله ومادته وبين هل هو مشتق أم غير مشتق (٥) وهكذا مشى في كامل تفسيره يبحث عن أصل الكلمة واشتقاقها فيما رأى حاجة إلى ذلك ومن منهجه أيضاً عند تعرضه لاشتقاق الكلمات أنه يتوقف أحياناً عند بعض الكلمات بحثاً عن الأصل اللغوي لها كما نراه فعل ذلك في المثالين السابقين حيث بين الأصل اللغوي للكلمتين - الاسم - ولفظ الجلالة - مع بيان اشتقاقهما وهكذا فعل عندما تعرض لبيان اشتقاق " قريش " فقال : اختلفوا في اشتقاق هذا الاسم فقال الآكثرون سمو قريشا للتجارة وكانوا أهل تجارة ، والقريش الكسب ، يقال فلان قريش لعياله ويقتريش أى يكتسب ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سميت قريش بدابة تكون في البحر يقال

- 
- (١) تفسير السمعاني ( ص ٩١ )  
(٢) المصدر السابق ( ص ٧١٨ )  
(٣) المصدر السابق ( ص ٩٦ ، ١٦٠ )  
(٤) المصدر السابق ( ص ٤٠ ، ٥٤ )  
(٥) تفسير السمعاني ( ١ / ٦٥ ، ٥ ) بتحقيق الدكتور/ أبى دجانه .

يقال لها القرش، لا تمر بفتح ولا سمين إلا أكلته وأنشدوا في ذلك :

وقريش التي تسكن البحر . . . . . ر سميت قريش قريشاً  
ونكر أبياتا أخرى : (١)

هذا بالنسبة للسمعي وتفسيره وأما البغوي فتقدم أنه أيضاً يتعرض للمسائل اللغوية بدون إسراف منه وتوغل فيها . (٢) وإذا أردنا أن نعرف المصادر التي اعتمد عليها في هذا الجانب نجد أنه لم يصرح بها في مقدمة تفسيره كما صرح بالمصادر التفسيرية وغيرها ولكن السيدة / عفاف استعرضت تفسيره فأخرجت منه أبرز الأسماء التي تتكرر فيه فبلغت ثلاثة عشر شخصاً من علماء اللغة وأئمتها وهم : ابن الأباري ( ت ٣٢٨ هـ ) وابن كيسان ( ت ٢٩٩ هـ ) ، وأبو عبيدة النحوي ( ت ٢٠٩ هـ ) والأخفش ( ت ٢١٥ هـ ) والأزهري ( ت ٣٢٠ هـ ) والخليل بن أحمد ( ت ١٧٠ هـ ) والزجاج ( ت ٣١٢ هـ ) وسيبويه ( ت : ١٨٠ هـ ) والفراء ( ت ٢٠٧ هـ ) وابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ ) وقطرب ( ت ٢٠٦ هـ ) والكسائي ( ت ١٨٩ هـ ) والبرد ( ت ٢٨٥ هـ ) (٣) .

وهو لاء كلهم من الأئمة الكبار الذين عليهم المعول في مجال اللغة والنحو ومن هنا نستطيع أن نقول : إن السمعاني أوسع من البغوي في ذكر المصادر اللغوية والاستفادة منها .

وأما بالنسبة للمنهج الذي سلكه في تفسيره عند معالجته للألفاظ من الناحية اللغوية فذكرت السيدة / عفاف أنه يذكر معاني المفردات بصورة ميسرة تشبه جهود بعض التفاسير الحديثة التي تتجنب التطويل والتفصيل يعني أنه يبين معاني الكلمات بكلمات مفردة تناظرها في العدد وتقابلها في المعنى بحيث ينقل الكلمة من الغموض وعدم الوضوح إلى البيان والوضوح كما فعل أثناء تفسيره للآيتين الثانية والثالثة من سورة الرعد حيث قال : استوى : علا عليه ، سخر الشمس والقمر للههما

(١) انظر تفسير السمعاني ( ص ١٠٧٢ من القسم المحقق في هذه الرسالة )

(٢) انظر الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ( ص : ١٨٠ )

(٣) البغوي ومنهجه في التفسير ( ص ٧٦ - ٧٧ ) وأشارت السيدة / عفاف إلى السبب الذي جعله لا يصرح بمصادره اللغوية والنحوية فذكرت أن السبب هو عدم تفصيله وعدم مبالغته في تناول المسائل اللغوية والنحوية ولكن الذي ينظر في تفسيره يجد أنه في بعض الأحيان ينقل عن كبار اللغويين والنحويين ، وقد اعترفت بذلك السيدة نفسها فأخرجت من تفسيره أبرز الأسماء اللغويين التي تتكرر في تفسيره وهذا يدل على رجوعه إلى المصادر اللغوية فكان المفروض أن يذكرها كما ذكر غيرها من المصادر التفسيرية .

- (١) لِأَجْلِ مَسَى إِلَى وقت معلوم ، يدبر الأمر يقضيه وحده ، يفصل الآيات يبين الدلالات .  
وقد يذكر معنى الكلمة بأكثر من كلمة تدل على وجوه المعنى حيث يقول مثلاً  
في معنى فراشاً : أى بساطاً ، وقيل : مناماً وقيل : وطاء " (٢)
- وقد يعرف المعنى في بعض الأحيان بطريقة أكثر تفصيلاً كما فعل مع (يتفكرون )  
في قوله تعالى ( إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) (٣) فإنه قال : يتفكرون يستدلون  
والتفكير تصرف القلب في طلب معاني الأشياء " (٤) . ويلاحظ أن البغوى ينقل في  
تفسيره في بعض الأحيان أقوال اللغويين منسوبة إليهم - وذلك عندما ينقل عنهم -  
نتائجهم التفسيرية ومن الأمثلة على هذا أنه ذكر في معنى " قولاً ثقيلاً " عن الفراء  
أنه قال : أى ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا " .
- وعن ابن زيد أنه قال : هو - والله - ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل  
في الموازين يوم القيامة " (٥)
- وكذلك نقل في معنى " ناشئة الليل " عن بعض أئمة اللغة منهم ابن زيد  
وابن كيسان والأزهري . (٦)
- كما نقل عن ابن كيسان في معنى قوله : " لواحة للبشر " (٧) أنه قال :  
تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً " (٨)
- ونقل عن الفراء في معنى " لا " عند قوله تعالى ( لا أقسم بيوم القيامة ) (٩)  
أنه قال : " لا " رد للكلام المشركين المنكرين . (١٠)
- ومن الملاحظ أيضاً أنه قد لا يذكر الأسماء للغويين بل يجعل القول فيقول :  
قال أهل المعاني ، أو قال أهل البصرة ، أو قال أهل الكوفة . (١١)

- 
- (١) تفسير البغوى ٦/٣ (بتصرف يسير) ويبدولى عند النظر في تفسيره أن هذا هو  
المنهج الغالب في تفسيره عند شرحه للكلمات أى أنه كثيراً ما يكفي في شرح  
المفردات بذكر نظائرها من المفردات التي توضح المعنى وتزيل عنها الغموض  
دون ااطالة بعزوه الى علماء اللغة وغيرهم أو بتفصيل آخر .
- (٢) تفسير البغوى (١/٥٥) وفيما يظهر لي أن ذلك لا يسمى خروجاً عن منهجه الأول  
وإنما فيه زيادة حيث ذكر في معنى الكلمة خلاف اللغويين .
- (٣) سورة الرعد : الآية (٣)
- (٤) تفسير البغوى ٦/٣ ، وانظر أيضاً منهج البغوى في تفسيره ( ص : ١٢٠ )
- (٥) تفسير البغوى ٤/٤٠٨
- (٦) المصدر السابق ٤/٤٠٨
- (٧) سورة المدثر : الآية (٢٩)
- (٨) تفسير البغوى (٤/٤١٦)
- (٩) سورة القيامة : الآية : ١
- (١٠) تفسير البغوى (٤/٤٢١)
- (١١) انظر البغوى ومنهجه في التفسير ( ص ٧٧ )

وكما رأينا السمعاني يقف أحياناً عند بعض الكلمات يبحث عن أصلها واشتقاقها نرى البغوى أيضاً يقف أحياناً عند بعض الكلمات لأجل البحث عن أصلها ومادتها وللموازنة بينهما نرجع إلى نفس المثال الذى أتينا به من تفسير السمعاني وهو تفسير البسطة . فنجد البغوى وقف عند كلمة ( الاسم ) بحثاً عن اشتقاقها فقال : قال الصيرد : وجماعة البصريين هو مشتق من السم وهو العلو فكانه علا على معناه وظهر عليه وصار معناه تحته ، وقال ثعلب من الكوفيين : هو من الوسم والسمة وهى العلامة وكأنه علامة لمعناه وعلامة للمسمى ، والأول أصح لأنه يصغر على سمي ولو كان من السمة (١) لكان يصغر على الوسم كما يقال فى الوعد وعيد ، ويقال فى تصريفه : سميت . ولو كان من الوسم لقليل : وسمت (٢) ويلاحظ فى هذا المثال أن البغوى والسمعاني اتفقا إلى حد بعيد فى البحث عن اشتقاق هذه الكلمة كما اتفقا فى الترجيح بين الرأيين وبيان سبب الترجيح إلا أن البغوى عرض المسألة بشىء أكثر وضوحاً من السمعاني ثم انتقل البغوى بعد ذلك كالسمعاني إلى لفظ الجلالة " الله " بغية البحث عن أصل الكلمة واشتقاقها فذكر اختلاف العلماء فى ذلك وعند المقارنة بينه وبين السمعاني فى هذا المثال يتضح أنهما اتفقا فيه أيضاً إلى حد كبير وعمل البغوى فى عرض المسألة ببسط أكثر مما عند السمعاني إلا أنه أتى كل واحد منهما ببعض الأمور لم يأت به الآخر . (٣)

ومن منهج البغوى فى عرضه للمسائل اللغوية أنه يقف أحياناً عند الكلمة بغية البحث عن الأصل اللغوى لها (٤) وهو شىء قد لاحظناه عند السمعاني أيضاً ومن الأمثلة على هذا ما ذكره البغوى عند قوله تعالى ( لإيلاف قريش ) (٥) حيث وقف طويلاً كالسمعاني على كلمة قريش بغية الوصول إلى الأصل اللغوى لهذه الكلمة فقال : وسما قريشاً من القرش والتقرش وهو التكسب والجمع ، يقال : فلان يقرش لعِياله ويقترش أى يكتسب وهم كانوا تجاراً حرصاً على جمع المال والأفضال وقال أبو رريحان : سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشاً قال : لدابة تكون فى البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشىء من الغث والسمين إلا أكلته وهى تأكل ولا تؤكل ، وتعلو ولا تعلق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم ، فأنشده شعر الجمحي :

وقريش هى التى تسكن البحر . . . . . سميت قريش قريشاً

وأنشد الأبيات فى ذلك . (٦)

(١) فى المطبوع ( السميت ) والصواب ما ذكرته . (٢) تفسير البغوى ( ٣٨ / ١ )  
 (٣) المصدر السابق ( ٣٨ / ١ ) وقارنه بما فى تفسير السمعاني ( ٦٥ / ١ ) بتحقيق الدكتور ابى دجاجة .

(٤) انظر البغوى ومنهجه فى التفسير ( ص ١٢١ )  
 (٥) سورة قريش : آية ( ١ ) (٦) تفسير البغوى ٤ / ٥٣٠ وانظر الأمثلة على هذا فى " البغوى ومنهجه فى التفسير " ( ص ١٢١ )

وإذا جئنا لتفسير الزمخشري لنلقى فيه نظرة فحص ومقارنة مع تفسير السمعاني في مجال اللغة واستخدامها في تفسير كتاب الله نجد الزمخشري يتفوق في السمعاني والبغوى وغيرهما من كثير المفسرين والسبب لذلك واضح وهو أنه كان من كبار المتخصصين في اللغة وله بصيرة بحقائق اللغة وأساليبها (١) فكان من الطبيعي أن يستغل علمه وقدرته في هذا المجال ويستعين بهما على بيان بعض الدلالات الدقيقة للكلمات وتجليتها وأن يناقش العلماء السابقين والمعاصرين في بعض الكلمات في تفسيره وما حمله على استخدام اللغة عند تفسيره لبعض الآيات أنه وضع أساس تفسيره على الرأي والعقل فما كان ليعطي تفسيره من القوة ما يجعله مقبولا لدى الناس إلا إذا أسبغ عليه ثوباً من اللغة وكلام العرب وقد أثنى عليه بعض العلماء في هذا الجانب أي الجانب اللغوى فعندما تكلم ابن خلدون على القسم الثاني من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والمعنى - وصف الكشاف بأنه من أحسن ما شتمل عليه هذا الفن من التفاسير . (٢)

وبالنسبة للمصادر التي اعتمد عليها الزمخشري في هذا الجانب أي الجانب اللغوى والنحوى نجده أنه اعتمد على بعض المصادر اللغوية والنحوية بالإضافة إلى اعتماده على نفسه وقد تعرض الدكتور الصاوى لذكر هذه المصادر فبلغت عشرة وهى : كتاب سيويه الذى يستشهد به الزمخشري كثيراً بل يقدره ، واصطلاح المنطوق لابن السكيت والكامل للمبرد والكتاب المتم فى الخط والهجاء لابن درستويه ، وكتاب الحجة لأبى على الفارسي وكتاب الحلبيات لأبى على الفارسي ، وكتاب التمام لابن جنى وكتاب المحتسب لابن جنى والتبيان لأبى الفتح البهمداني والإقليد وهو غير معروف . (٣)

وقد ذكر مرتضى آية الله زاده أيضا المصادر التي استفاد منها الزمخشري في جانب اللغة والنحو فبلغت عنده أيضا عشرة وهى نفس ما سبق ذكرها عند الدكتور الصاوى وزاد عليه فقال : ونقل الزمخشري كذلك عن كثير منهم : يونس والكسائي والخليل وأستاذ الفراء معاذ بن مسلم الهراء كما نقل عن الأصمعي وأبى على الفارسي وابن جنى والجوهري " (٤) وبالنظر في هذه المصادر يتضح أنه اعتمد في مجال

- 
- (١) سماه الدكتور/الذهبي في التفسير والمفسرون (١/٤٣٩ ، ٤٤١) سلطان الطريقة اللغوية من غير مدافع . وذكر ابن خلدون في المقدمة ص : ٤٤٠ ( أن أهل السنة يقرون برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والعربية .
- (٢) مقدمة ابن خلدون ( ص ٤٤٠ ) وذكر الزرقاني في مناهل العرفان (٢/٧٠) أثناء تعرضه لما يتنازبه الكشاف اعتماد صاحبه على لغة العرب وأساليبهم .
- (٣) منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ٩٠ - ٩١ )
- (٤) الزمخشري لغويا ومفسرا ( ص ٣١٤ - ٣١٥ )



اللغة والنحو على كبار العلماء والصادر المهمة وإذا كانت هذه هي المصادر التي اعتمد عليها الزمخشري دون غيرها فالسمعاني يتفوقه أيضا في الرجوع إلى المصادر اللغوية والنحوية والاستفادة منها لأنها قد بلغت مصادر اللغوية والنحوية فسي تفسيره أكثر من ثلاثين مصدراً وهذا العدد ليس مبالغاً فيه فإن كل من ينظر في تفسيره يجده يكثر من الاستفادة من كتب اللغويين والنحويين وأحياناً لا يكفي بذكر واحد منهم بل يرجع إلى أكثر من واحد . (١)

واستعرض الدكتور الصاوي منهجه لاستخدام اللغة وكلام العرب في تفسيره للآيات فذكر أنه يعرض اللفظ القرآني عرضاً عرفته العرب في معاني منطقتها لأن القرآن عربي ومعانيه معاني كلام العرب وأنه يسير على نهج اللغويين الأوائل الذين كانوا يسمعون من العرب ومن سماعهم يفسرون كلام الله ، وهكذا فعل الزمخشري الذي طاف بأحاء أرض العرب وصحاريها ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند قوله تعالى ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ) (٢) من أن النظر في هذه الآية بمعنى التوقع والرجاء ، واستدل على هذا المعنى فقال : وسمعت سرورية مستجدياً بمكة وقت الظهر حين يعلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول : "عينتي نويظرة إلى الله وإليكم " (٣)

ومن منهجه أيضاً أنه حين يعالج اللفظ القرآني يحاول أن يلمح الأصل الحسي له وينبه إليه ومن الأمثلة على هذا أنه قال عند قوله تعالى ( لا تشرب عليكم ) (٤) : " أصل التشرب من الشرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الشرب " (٥)

وهذا المنهج - فيما يظهر لي - لا يختص بالزمخشري فقط فهناك كثير من المفسرين يقفون عند بعض الكلمات القرآنية عند معالجتهم لها من الناحية اللغوية قصد البحث عن الأصل اللغوي لتلك الكلمات . سواء أكان هذا الأصل حسياً أم غير حسي وقد شاهدنا ذلك عند السمعاني والبغوي .

وذكر الدكتور الصاوي من منهجه أيضاً أنه يفرق بين لفظين قرآنيين مترادفين تفرقة دقيقة كما قال عند قوله تعالى : ( لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ ) (٦) " فإن قلت : ما الفرق بين النصب واللغوب ؟ قلت : النصب التعب والمشقة التي

- 
- (١) انظر: على سبيل المثال تفسير السمعاني ( ص ١٠ من القسم المحقق ) حيث نقل في معنى النفر عن القراء ، وابن زيد من طريق ابن السكيت .  
 (٢) سورة القيامة : الآية : ٢٢ ، ٢٣  
 (٣) الكشاف : ٤ / ١٦٥ ، وقال الزمخشري : ما قال في هذه الآية لأن المعتزلة ينكرون رؤية الرب تعالى يوم القيامة .  
 (٤) سورة يوسف : الآية : ٩٢ (٥) الكشاف : ٢ / ٢٧٤  
 (٦) سورة فاطر : الآية : ٣٥

تصيب المنتصب للأمر المزاول له ، وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب .  
فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجه وما يحدث منه من الكلال والفترة" (١)

وقال مرتضى آية الله زاده حين تكلم عن الاتجاه اللغوي عند الزمخشري في تفسيره : " يعرض الزمخشري في كل آية وموضع للالفاظ اللغوية بالتفسير والشرح ملما بشتى فروع الكلمة وأصولها وما قاربها أو شابهها من الالفاظ " (٢)

ثم أتى ببعض الأمثلة على ذلك منها ما قاله عند تفسيره لكلمتي " الرحمن والرحيم " قال : " الرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكره وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم ، وفي الرحمن من العبالغة ما ليس في الرحيم ، ولذلك قالوا : " رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا " ويقولون : إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضباً ، وما طن على أدني من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشقذف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق ، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل ؟ أردت المحمل العراقي فقال : اليس ذاك اسمه الشقذف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه الشقذاف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى " (٣) وكذلك ما فعله عند تفسيره لكلمة الحمد حيث أشار إلى نظائرها في المعنى مثل المدح والشكر مبيئاً في ذلك الفروق الدقيقة بين الدلالات لكل هذه الكلمات كما أنه أشار إلى نقيضها . (٤)

ثم قال مرتضى آية الله زاده : ومن هذا نجد شدة استقصائه للمعاني اللغوية للالفاظ وتحريه في تحديد المعنى اللغوي تحديداً واضحاً " (٥)

وعند الموازنة بين الزمخشري وبين السمعاني والبغوي في هذين المثالين يتضح أن الزمخشري لا يتفوق فيهما بكبير فضيلة بل يبدو أن السمعاني جاء بتفصيل أكثر من الزمخشري في المثال الأول حيث بين فيه خلاف العلماء .

فقال السمعاني : قال ابن عباس : هما اسمان رقيقان - أحدهما أرق من الآخر ، وحكى عنه أيضاً أنه قال : الرحمان الرفيق بالعباد والرحيم العاطف عليهم ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم : الرحمان غير الرحيم ولكل واحد منهما معنى غير معنى صاحبه وقال بعضهم : هما واحد ، فأما من قال : الرحمان غير الرحيم قال : للرحمان معنى العموم وللرحيم معنى الخصوص ، فعلى هذا الرحمان بمعنى الرزاق في الدنيا والرزق على العموم للكافر والمؤمن والرحيم بمعنى العاني في الآخرة .

(١) الكشاف ( ٢٧٦ / ٣ - ٢٧٧ )

وانظره أيضاً منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ١٦٤ - ١٦٧ )

(٢) الزمخشري لغويًا ومفسرًا ( ص ٢٩٩ )

(٣) الكشاف : ٦ / ١ (٤) المصدر السابق : ٧ / ١

(٥) الزمخشري لغويًا ومفسرًا ( ص ٣٠١ )

والعفو في الآخرة على الخصوص للمؤمنين دون الكافرين ولذلك قيل في الدعاء :  
يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة ، فالرحمن من يصل رحمته إلى الخلق على  
العموم ، والرحيم من يصل رحمته إلى الخلق على الخصوص ولذلك يدعى غير  
الله رحيماً ولا يدعى رحماناً لأن الله تعالى هو الذي يصل رحمته إلى الخلق  
كأنه كما قال تعالى : ( ورحمتي وسعت كل شيء ) (١)

وأما غير الله قد يخص شيئاً بالرحمة فيكون بذلك رحيماً ، وأما من قال : إن معناهما  
واحد فقد قال قطرب : هما اسمان ذكر أحدهما تأكيداً للآخر مثل لهفان ولهيف  
وندمان ونديم ، وقال المبرد : هذا إنعام بعد إنعام وتفضل بعد تفضل وتطميع  
لقلوب الراغبين ووعد لا يخيب أمله \* (٢)

وهكذا قال البغوي بشيء يسير من الخلاف . (٣) وأما المثال الثاني فقد  
نكر فيه السمعاني والبغوي أيضاً الفرق بين الحمد والشكروين كل واحد منهما  
مدلولات الكلمتين بياناً أكثر وضوحاً فالذي يميز الزمخشري في هذا الجانب هو  
توخله في المسائل اللغوية والاكثار منها . وأما السمعاني أو البغوي فلا يوجد  
عندهما توخل في هذه المسائل وكذلك عدم الإكثار منها . بل انهما يتعرضان لها  
في المواضع التي تحتاج إلى ذلك ويكتفيان منها بقدر الضرورة .

ويلاحظ أن الزمخشري لا يلتزم عند تعرضه للمسائل اللغوية بذكر المصدر وعزو  
الأقوال إلى أصحابها وكثيراً ما يختار أسلوباً في المباحث اللغوية يوحي بأنه معتد  
في ذلك على نفسه ، كما يوحي أيضاً بأنه هو أول من سبق إليه - كما شاهدناه في  
المثال الأول حيث انه اختار قولاً من الأقوال التي ذكرت في معنى الرحمان والرحيم  
وهو أن الرحمان عام والرحيم خاص ثم صاغه في أسلوبه الخاص وبينه لأنه هو الذي  
سبق إليه وفي حقيقة الأمر انه قول قد سبق إليه السابقون والى مثل ذلك أشار  
أبو حيان بقوله :

(٤)

وينسب ابتداء المعاني لنفسه . . . ليوهم أعماراً وإن كان سارقاً .

ومن الملاحظ على الزمخشري في هذا المجال أنه في بعض الأحيان يسهب في بيان  
المعاني للكلمات الواضحة فيذكر كلاماً طويلاً لا طائل تحته وقد لاحظ ذلك أبو حيان

(٥)

فأشار إليه بقوله : ويسهب في المعنى الوجيز دلالة  
بتكثير الفاظ تسمى الشفاظفا

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما نقلنا من قوله في تفسير الرحمان الرحيم فقد أتى فيه  
بما لا حاجة إليه .

ومما لوحظ في الكشاف أن الزمخشري إلى جانب اعتماده على نفسه في تفسير  
القرآن باللغة وكلام العرب قد صرح في بعض الأحيان بمن اعتمد عليه من العلماء

(١) سورة الاعراف : الآية : ١٥٦ .

(٢) تفسير السمعاني ( بتحقيق د / أبو دجانه )

(٣) تفسير البغوي ( ٢٩ / ١ )

(٤) البحر المحيظ ( ٨٥ / ٢ ) (٥) المصدر السابق ( ٨٥ / ٢ )

اللغويين كما انه ناقش بعضهم وخطئه فيما يراه غير صحيح ومن الأمثلة على ذلك هو ما فعله عند قوله تعالى ( عيناً فيها تسعى سلسيلاً ) (١) حيث ذكر عن الزجاج في معنى السلسبيل أنه قال : السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة .

وقال أيضاً : وقد عزو إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن معناه : سل سبيلاً إليها ، وهذا غير مستقيم على ظاهره ، ، ، ، وهو مع استقامته فسي العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى مثل علي رضي الله عنه أبداع . (٢) وكذلك ذكر عن ابن قتيبة في معنى " الفافا " أنه زعم أن المفرد لفاف والجمع لف ثم الفاف ، وعقب عليه بقوله : وما أظنه واجداً له نظيراً " (٣)

وخلاصة القول في منهج الزمخشري واتجاهه اللغوي أنه مع طول باعسه وسعة اطلاعه على اللغة العربية وكلام العرب وأساليبهم قد أساء استخدامها في عدة جوانب منها أنه حاول تفسير الآيات مستمداً في ذلك من اللغة وكلام العرب وأساليبهم ومجانباً لما ورد فيها من أقوال مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ورضوان الله عليهم مع العلم بأن المفسر مهبط بلخ في معرفته وعلمه لا يسعه بأي حال من الأحوال الاستقلال عن النقل في تفسير كلام الله تعالى وأيضاً فإن كثيراً من الكلمات العربية كانت تستعمل في معان عند العرب ولكن لما جاءت الشريعة الإسلامية واستعملتها في معان غير المعاني المعروفة لدى العرب فصارت لها إطلاقاً آخر - فلا يمكن للمفسر أن يستقل عن النقل في تفسيره لكتاب الله تعالى ومع هذا نرى الزمخشري حاول في بعض الأحيان أن يستقل عن النقل في تفسيره لبعض الآيات . ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لـ " زيادة " في قوله تعالى : ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) (٤) بقوله : وما يزيد على المثوية وهي التفضل ، ودلل عليه بقوله تعالى : ( ويزيدهم من فضله ) (٥) وبلغ به التجرؤ إلى أن جعل الحديث الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي فسرفيه صلى الله عليه وسلم الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى مرقوعاً أي مفترى . (٦)

وإلى هذا أشار أبو حيان بقوله :

(٧)

يقول فيها الله ما ليس قائلاً . . . وكان محباً في الخطابة وامقاً

ومن الجوانب التي ساء فيها استعماله للغة العرب وكلامهم أنه تذرع في بعض

- 
- (١) سورة الانسان : الآية : ١٨
  - (٢) الكشاف : ٤ / ١٧٠ .
  - (٣) الصد رالسابق : ٤ / ٤٧٢ .
  - (٤) سورة يونس : الآية : ٢٦
  - (٥) سورة النساء : الآية : ١٧٣
  - (٦) الكشاف : ٢ / ١٨٨ .
  - (٧) البحر المحيط : ( ٨٥ / ٧ )

الاحيان بالمعاني اللغوية لنصرة مذهبه الاعتزالي لاننا نراه كغيره من المعتزلة إذا مر بلفظ يشتبه عليه ظاهره ولا يتفق مع مذهبه يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يبطل هذا المعنى وأن يثبت للفظ معنى آخر موجوداً في اللغة .  
ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما فعله عند قوله تعالى ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ) (١) وتقدم ذكره مراراً فقد جعل فيه النظر بمعنى التوقع والرجاء والسى هذا أشار أبو حيان بقوله :

(٢)  
ويحتال للالفاظ حتى يدبرها . . . لئلا يذهب سوء فيه أصبح ما رقبنا  
وهناك أمثلة أخرى كثيرة في تفسيره الكشاف يؤكد ما قاله أبو حيان ونكتفى في ذلك بما قدمناه .

وأما ما يتعلق باشتقاق الكلمات ومادتها فقد ذكرنا عن السمعاني والبغوي أنهما يقفان عند بعض الكلمات قصد البحث عن اشتقاقها ومادتها الأصلية ولما نبحت عن هذا الجانب في تفسير الكشاف نجد الزمخشري يختلف عنهما اختلافاً واضحاً بحيث أنه يتوسع فيه توسعاً كبيراً فيلج في كثير من مباحثه ويتناول أهم مسائله لأنه كان قد برع في علم الاشتقاق بحيث أنه كان ينفرد ببعض الآراء في هذا الفن فمعنى الاشتقاق عنده هو ما ذكر في تفسيره : " أن ينتظم الصيغتين فصاعداً في معنى واحد " (٣) وأراد بذلك أن الاشتراك في المعنى كاف في إثبات الاشتقاق (٤) وعلى هذا نرى أنه توسع في هذا الباب وطبق فروعه على مفردات اللغة والفاظها ومن تطبيقه لما كان يراه في معنى الاشتقاق أنه قال في تفسيره لكلمة الجلالة " الله " : صيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير، ومن أخواته وله وعله ينتظمها معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تحير في معرفته المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح .  
وعند الموازنة بينه وبين ما تقدم عن السمعاني والبغوي في تفسيرهما للفظ الجلالة يتضح أن السمعاني والبغوي ذهبا إلى المعنى اللغوي للاشتقاق وهو الأخذ فذكرنا أن لفظ الجلالة مأخوذ من أله إلهة أي عبد عبادة ،  
كما ذكرنا أيضاً أنه غير مشتق بل هو علم في رأى بعض العلماء .

(١) سورة القيامة : الآية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) البحر المحيط ( ٨٥ / ٧ )

(٣) الكشاف ٦ / ١

(٤) حاشية الكشاف للسيد الجرجاني ( ٣٩ / ١ ط الحلبي )  
والاشتقاق عند علماء الصرف : هو أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ وهو ينقسم الى ثلاثة أقسام : صغير ، وكبير والكبير انظر شذا العرف ( ص : ٤٤ )

(٥) الكشاف : ٦ / ١ .

وأما الزمخشري فذهب إلى ما كان يراه من المعنى الاصطلاحي للاشتقاق فذكر أنه مشتق من آله بمعنى تحير . وكذلك وَلِهْ وَعَلَيْهِ لِأَنَّهُمَا أَيْضًا فِي مَعْنَى التَّحِيرِ والدهشة .

ومما هو معلوم في علم الصرف أن الاشتقاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الصغير والكبير والأكبر . (١)

فالاشتقاق الصغير عند الزمخشري مسلم به كاشتقاق عالم ومعلوم من العلم مثلاً ولكن الذي يلاحظ في هذا الباب أنه يجعل أحياناً المجرد مأخوذاً من المزيد مثل اشتقاق القدير من التقدير (٢) والرعد من الارتعاد . (٣) وذكروا في سبب عدوله إلى المزيد في اشتقاق المجرد أنه جعل اللفظ مشتقاً من أشهر مواده وقيل إنه فعل ذلك لأن المزيد أعرف بالمعنى المشترك فرجح جانب المعنى على جانب اللفظ . (٤) والمقصود أنه خالف الجمهور في جعل المجرد مشتقاً من المزيد .

وأما الاشتقاق الكبير أو الأكبر فقد عرض لهما الزمخشري كثيراً في تفسيره ومن الأمثلة على الاشتقاق الكبير قوله : " الحمد والمدح أخوان وهو الشناء والنداء على الجميل . . . " (٥)

وكذلك قوله في تفسير قوله تعالى : ( لَتَلَفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ) (٦) اللفت والفتل أخوان ومطابوعها الالتفات والانفتال . (٧)

ومن الأمثلة على الاشتقاق الأكبر ما ذكر في تفسير قوله تعالى ( وأولئك هم المفلحون ) (٨) فقال : المفلح بالحاء المهملة للفائز بالبغية كأن الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه . والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقــــة : استفليحي بأمرك بالحاء والجيم ، والتركيب دال على معنى الشق والفتح ، وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى " (٩)

(١) الاشتقاق الصغير : هو ما اتحدت الكلمتان فيه حروفاً وترتيباً كعلم من العلم والكبير : هو ما اتحدتا فيه حروفاً لاتباعاً كجذب من الجذب .  
والأكبر : هو ما اتحدتا فيه في أكثر الحروف مع تناسب في الباقي كعق من النهق لتناسب العين والهاء في المخرج .  
انظر : شذا العرف ( ص ٤٤ )

(٢) الكشاف : ٤٤/١ قال الزمخشري : فان قلت : م اشتقاق القدير ؟ قلت : من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز .

(٣) المصدر السابق ٤١/١ .  
(٤) الزمخشري لغويًا ومفسرًا ( ص : ١٩٥ ) (٥) الكشاف : ٧/١  
(٦) سورة يونس : الآية : ٧٨  
(٧) الكشاف : ١٩٨/٢ .  
(٨) سورة البقرة : الآية : (٥)  
(٩) الكشاف : ٢٥/١ .

وخلاصة القول ان الزمخشري توغل في علم الاشتقاق فتناول الكثير من مباحثه في تفسيره وحاول تطبيق فروعه وما كان يذهب إليه من الآراء الخاصة في هذا الباب على مفردات اللغة والفاظها في القرآن الكريم وأما السمعاني والبغوي في تناولهما لمسائل الاشتقاق فنيقتصران على معرفة المواد الاصلية للكلمات فقط .  
أي الاشتقاق الصغير دون التطرق إلى الاشتقاق الكبير أو الأكبر .

وأما الجانب النحوي وما يتعلق بإعراب الجمل والمفردات فالأمر في ذلك لا يختلف عما سبق عنهم في الجانب اللغوي . حيث أن السمعاني والبغوي لم يتوغلا في عرض المسائل النحوية كما أنهما لم يكترا منها بل اقتصرنا في هذا الباب على ما يودى الغرض ويوضح المعنى المراد من الآية ولم يتعرضا لها إلا فيما لزم الأمر من ذلك (١) وأما الزمخشري فعلى العكس منهما نجده يتوغل في عرض المسائل النحوية ويكثر من بيان الإعراب للجمل والمفردات (٢) وطريقته في هذا الأمر أنه يفرض سوء الآتي يتعلق بالإعراب وغيره مما له علاقة بعلم النحو ثم يقوم بنفسه بالجواب عنه . وهي طريقة السمعاني والبغوي أيضا إلا أنهما يختلفان عنه في القلة والكثرة . ثم إن السمعاني أو البغوي كان قصدهما من وراء تناولهما للمسائل النحوية أو لبيان إعراب الجمل والمفردات توضيح المعنى المراد من الآية .  
وأما الزمخشري فكثيراً ما سخر النحو لخدمة عقيدته الاعتزالية وتأييد ما تبناه من أفكار ونظريات ولو أدى ذلك إلى كثير من اللغ والدوران واختراع ما لم يقل به أحد من السابقين . (٣)

ولتوغل الزمخشري في المسائل النحوية واكتاره منها سبب يرجع إلى تفوقه في هذا المجال فكان وطارت شهرته كإمام من أئمة النحو والعربية في عصره وكان يضرب به المثل في النحو واللغة . (٤)  
وما يؤكده تفوقه في هذا المجال أن له آراء خاصة ينفرد بها في علم النحو (٥) وأيضاً ما ترك من ورائه من المؤلفات القيمة في هذا الفن أصدق دليل على ذلك ولكنه كما أساء استخدام معرفته وكفاءته في لغة العرب وكلامهم أساء أيضاً استعمال قدرته وتخصصه في علم النحو ، حيث جعله خادماً لعقيدة الاعتزال بدلاً من أن يخدم به التفسير .

وأما الأمثلة على تعرضهم للمسائل النحوية فمنها ما قال السمعاني عند قوله تعالى ( وأنه كان رجال من الإنس ) (٦) : ان قال قائل : وقد قرئ هذا كله بالنصب فما وجه النصب ؟

(١) اعترفت بذلك السيد / عفاف عن البغوي فقالت: وكانت غاية الإمام البغوي بالمسائل النحوية مساً خفيفاً ولا يطيل الوقوف عليها بل يعرضها بإيجاز واختصار . انظر البغوي ومنهجه في التفسير ( ص ١٢٢ ) .

(٢) انظر: الزمخشري لغويًا ومفسراً ( ص ٣٠٥ )

(٣) المرجع السابق ( ٣٠٦ - ٣٠٧ )

(٤) انظر: الانساب للسمعاني ٣١٥/٦ وانباء الرواة للقفطي ٢٦٦/٣

(٥) راجع لمعرفة بعض هذه الآراء كتاب : " الزمخشري لغويًا ومفسراً " ص ١٨٥

(٦) سورة الجن : الآية : ٦

والجواب عنه : قد بينا وجه النصب فيما سبق (١) وباقى الآيات نصبت بحكم المجاورة والعطف ، أو بتقدير آمننا ، أو ظننا ، أو شهدنا ، والعرب قد يتباعد الكلمة الكلمة في الإعراب بنفس المجاورة والعطف مثل قولهم : جحرضب خرب (٢) وقال عند قوله تعالى : ( وَمَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ) (٣) : " نصب ( خيراً ) على أنه مفعول ثان من تجدوه وقيل ( هو ) فصل كلام ذكره الأزهرى ، وقوله ( أَعْظَمَ أَجْرًا ) معطوف على الأول . (٤) وعندما نرجع إلى تفسير البغوى عند تفسير هذه الآية نجد البغوى أنه يقول : " ونصب ( خيراً وأعظم ) على المفعول الثاني فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين و " هو " فصل فى قول البصريين ، وعماد فى قول الكوفيين لاملح لها فى الإعراب " (٥)

وقال الزمخشري فى إعراب هذه الآية : ( خيراً ) ثاني مفعولي وجد ، وهو فصل . وجازولن لم يقع بين معرفتين ، لأن الفعل من " أشبه فى امتناعه من حرف التعريف المعرفة " (٦)

ويلاحظ فى هذا المثال ان السمعاني تناول ذكر الإعراب فى هذه الآية باختصار شديد وأما البغوى فأتى فيه بتفصيل أكثر وضوحاً . ولكن الزمخشري تكلم فى إعرابه بكلام المتخصص فى الفن .

وأما الأمثلة التى تدل على توغل الزمخشري فى تناول المسائل النحوية فمنها ما قاله عند قوله تعالى : ( لا أقسم بيوم القيامة ) (٧) : " إدخال " لا " النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم وأشعارهم " ثم أشد بيتين أحدهما لامسرى القيس ، والثاني لغوثه . وقال : وفائدتها توكيد القسم ، وقالوا : إنها صلة مثلها فى " لثلا يعلم أهل الكتاب " (٨) وفى قوله : " فِي بَيْتٍ لَأُحُورِ سَرَى وَمَا شَاعَرَ " واعتراضوا عليه بأنها إنما تزداد فى وسط الكلام لافى أوله ، وأجابوا بأن القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض ، والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا فى وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى إلى امرى القيس كيف زادها فى مستهل قصيدته والوجه أن يقال : هى للنفى ، إلى آخر ما فصل فيه الكلام . (٩)

- (١) قال فى ص ١٤ : " وأنه تعالى جد ربنا " قرئ بالكسر وبالفتح فمن قرأ بالكسر فهو أن الجن قالوا ، ومن قرأ بالفتح فنصبه على معنى " آمننا "
- (٢) تفسير السمعاني ( ص ٢١ من القسم المحقق من هذه الرسالة ، وهذا الذى ذكره المؤلف من اتباع الكلمة الكلمة لأجل المجاورة غير صحيح هنا لأنه لا توجد هنا المجاورة وأيضاً المعروف الجر على الجوار لا النصب على الجوار
- (٣) سورة المزمل : الآية : ٢٠ (٤) تفسير السمعاني : ١٣٠ - ١٣١ من القسم المحقق
- (٥) تفسير البغوى : ٤ / ١٢٢ (٦) الكشاف : ٤ / ١٥٦
- (٧) سورة القيامة : الآية : (١) (٨) سورة الحديد : الآية : (٢٩)
- (٩) الكشاف : ٤ / ٦٣



ومن الأمثلة على تسخير النحوي في خدمة الاعتزال ما يرى عند قوله تعالى ( وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاَهَا عَلَيْهِمْ... الآية ) (١) فالآية في ظاهرها تخالف حرية الإرادة التي يذهب إليها المعتزلة فأعسب الزمخشري " رهبانية " على أنها منصوبة بفعل مضمير يفسره الظاهر مع تقديمه (وابتدعوا رهبانية) ولم يجز العطف على ما قبلها لأنه لا يجوز عندهم عطفها على جعلنا ، ووصفها بقوله تعالى ( ابتدعوها ) لأن ما يجعله هو تعالى لا يبتدعونه هم .

ثم رجع فذكر وجهاً آخر لاند قال : ويجوز أن تكون ( رهبانية ) معطوفة على ما قبلها وتكون وابتدعوها صفة لها في محل نصب .  
أي : وجعلنا قلوبهم فيها رافة ورحمة وrehبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولا بتداع رهبانية ..... (٢)

هذا وقد تتبع أبو حيان الأندلسي في تفسيره المسائل النحوية والصرفية واللغوية التي تعرض لها الزمخشري في الكشف فأخطأ فيها أو حاول تسخيرها لخدمة عقيدته ورأيه فبين أبو حيان هذه المسائل وعقب على آراء الزمخشري وقد ذكر مرتضى آية الله زاده بعض النماذج من تعقيباته على الزمخشري (٣) ويكفي هنا معرفة موقفه مما يشتمل عليه الكشف من مسائل نحوية وغيرها . لأنه يقول : ويخطئ في تركيبه لكلامه . . . فليس لما قد ركبه موافقاً . . . ويخطئ في فهم القرآن لأنه . . . يجوز إعراباً أبي أن يطابقاً (٤)

(١) سورة الحديد : الآية : ٢٧  
(٢) الكشف ( ٦٩ / ٤ ) وقد ذكر أبو حيان في البحر المحيطة ( ٢٢٨ / ٨ ) هذا الإعراب ووصفه بأنه إعراب المعتزلة وهم يقولون ما كان مخلوقاً لله لا يكون مخلوقاً للعبد فالرأفة والرحمة من خلق الله والرهبانية من ابتداء الإنسان فهي مخلوقة له وهذا الإعراب الذي لهم ليس بجيد من جهة صناعة العربية لأن مثل هذا هو ما يجوز فيه الرفع بالابتداء ولا يجوز الابتداء هنا بقوله ( رهبانية ) لأنها نكرة لا مسوغ لها من المسوغات للابتداء بالنكرة .

(٣) الزمخشري لغويًا ومفسراً ( ص : ٤٠٢ - ٤١٦ )

(٤) البحر المحيطة ( ٧ / ٨٥ )

فقد جرت عادة المفسرين منذ البداية على الاستشهاد بأشعار الشعراء العرب على تفسيرهم للآيات القرآنية لأن الشعر له أهمية بالغة في تفسير كتاب الله تعالى وهو يعتبر ديوان العرب وسجل لغتهم التي نزل بها القرآن ، وعلى هذا فقد كان الشعر العربي مرجعاً موثقاً يعتمد عليه في معرفة غريب القرآن ومفرداته - ولذلك قال ابن عباس إمام المفسرين وحبر الأمة : " الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك " (١)

وروى عنه عكرمة أنه قال : إذا سألتوني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب " . (٢)

ثم تأتي مسائل نافع بن الأزرق له عن مواضع من القرآن واستشهاد ابن عباس في كل جواب بيت من الشعر . (٣) دليلاً عملياً على أن الاستشهاد بالشعر في التفسير كان منهج الصحابة رضوان الله عليهم حيث استشهد ابن عباس رضي الله عنهما لكل جواب من أجوبة مسائل نافع بيت من الشعر .

ومن هنا أدرك أغلب المفسرين أهمية الشعر العربي ووظفوا لدوره المهم في تفسير كتاب الله تعالى فاستشهدوا به في كتبهم عند تفسيرهم لغرائب القرآن الكريم ومفرداته ومنهم المفسرون الثلاثة : السمعاني ، والبغوي ، والزمخشري .

فإذا تصفحنا تفسير كل واحد منهم نقف على ثروة شعرية حافلة وشواهد غزيرة متنوعة الجوانب إلا أن البغوي قليل البضاعة في ذلك لأننا نجد لا يكثر من إيراد

(١) البرهان للزركشي (١/٢٩٤)

(٢) المصدر السابق (١/٢٩٣)

(٣) أورد السهوي في الإتيان (١/١٥٨-١٧٥) هذه المسائل وأجوبتها بشواهد من الشعر وأولها : بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بين الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما فقال نافع أخبرني عن قول الله تعالى ( عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ) ( سورة المعارج الآية ٣٧ )

فقال : العزون : حلق الرفاق قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاؤا يهزؤون إليه حتى . . . يكونوا حول منبره عزينسا

ثم ساق بقية المسائل وأجوبتها . . . . .

الآبيات الشعرية إلا نادراً وأما السمعاني والزمخشري فيكثران من إيراد الآبيات والاستشهاد بها على تفسيرهما لغرائب القرآن ومفرداته وقد يتفوق السمعاني على الزمخشري في كمية الآبيات التي أوردها في تفسيره . لأنه تبين لي بعد الإحصاء لما ورد منها في المقدار الذي قمت بتحقيقه أنها تزيد على مائة بيت في تفسير السمعاني وتصل في الكشف حوالي ستين بيتاً . وأما البغوي فلم يرد في هذا المقدار من تفسيره آبيات من الشعر إلا في أربعة مواضع . الأول تفسير سورة الشرح حيث أورد فيه ما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (١) والثاني : تفسير سورة الغيل أورد فيه مناجاة عبد المطلب لربه تعالى يطلب فيها منه حماية بيته عندما عنم أبرهة على تخريبه . (٢) والثالث تفسير سورة قريش حيث أورد فيه ما قاله الجمحي في مدح قريش . وأورد فيه أيضاً ما قيل في مدح بنى عبد مناف (٣) والرابع تفسير سورة النصر أورد فيه ما قاله عمرو بن سالم الخزاعي بمناسبة نقض قريش الميثاق الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ويلاحظ بأن هذه الآبيات لم يوردها للاستشهاد على تفسيره لغريب من غرائب القرآن أو مفرد من مفرداته بل هي كلها واردة في مناسبات مختلفة وأما السمعاني والزمخشري فيوردان في كثير من الأحيان هذه الآبيات للاستشهاد على تفسيرهما لغرائب القرآن أو مفرداته كما أنهما لا يغفلان ما ورد منها في مناسبات خاصة لها علاقة بتفسير الآيات التي هما في صدد تفسيرها مثل الآبيات السابقة عند البغوي وأما الأمثلة على الاستشهاد بالآبيات على تفسير غرائب القرآن ومفرداته فمنها ما فعلاه في تفسير كلمة " المزمل " حيث أنشد السمعاني ما قاله امرؤ القيس :

كَأَنَّ نَبْرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلِّهٌ . . . كَبِيرًا نَاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ (٥)

وأنشد الزمخشري قول ذي الرمة :

وَكَأَنَّ تَخَطَّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ . . . وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لَيْلِيهَا مُتَزَمِّلٍ (٦)

وكذلك ما فعلاه في قوله تعالى ( وما نقموا منهم ) (٧) حيث أنشدا قول

- 
- (١) تفسير البغوي : ٥٠٢/٤  
(٢) المصدر السابق : ٥٢٦/٤  
(٣) المصدر السابق : ٥٣٠-٥٣١/٤  
(٤) المصدر السابق : ٥٣٦/٤  
(٥) تفسير السمعاني ( ص ٧٩ من القسم المحقق في هذه الرسالة ) .  
(٦) الكشف : ١٥١/٤  
(٧) سورة البروج : الآية : ٨

قول ابن الرقيات في تفسير "نعموا"

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا . . . أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا (١)

وما يلاحظ هنا أن السمعاني التزم في أغلب الأحيان الاستشهاد بأشعار الشعراء الجاهلين والإسلاميين إلى عصر جرير والفرزدق وغيرهما لأنهم هم الذين يستشهد بكلامهم في اللغة وأما من جاء بعدهم من الشعراء فلا يعتبر كلامهم حجة في اللغة ولكن الزمخشري وسع دائرة الاستشهاد فأستشهد بأبي تمام (٢) والمنتبى (٣) وغيرهما . وبين وجهة نظره في ذلك حيث قال عندما أورد شعراً لحبيب بن أوس : " وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء : " الدليل عليه بيت الحماسة " فيقتنعون بذلك لو ثقتهم بروايته وإتقانه " (٤)

ومن الملاحظ أيضاً أن الزمخشري لم ينس حين استشهد بالآيات أن يخدم بها عقيدته ومذهبه فنراه أنه استشهد عندما حاول تفسير النظر في قوله تعالى :  
( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ) (٥) بالتوقع والرجاء بقول القائل :

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ . . . وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمًا (٦)

وما لوحظ أيضاً أن السمعاني والزمخشري يلتزمون في الاستشهاد بكثير من الآيات عزوها إلى قائلها وقد بقي عندهما منها ما لم ينسب إلى قائله ولعل السمعاني أغفل عزوها إلى أصحابها أكثر من الزمخشري وأنا حاولت جاهداً بملا هذا الفراغ حيث قمت بعزو الكثير مما تركه السمعاني بدون عزو فعزوته إلى قائله أثناء تخريجي له .

ومن الملاحظ أيضاً أن السمعاني والزمخشري قد يتفان في الاستشهاد ببيت واحد على تفسيرهما لكلمة واحدة كما لاحظنا ذلك حينما استشهد بقول ابن العرقيات على تفسيرهما لكلمة نعموا ويختلفان في أحيان أخرى حيث يستشهد السمعاني على تفسيره لكلمة من الكلمات ببيت من الشعر، ويستشهد الزمخشري على تفسيره لنفس الكلمة ببيت آخر غير ما استشهد به السمعاني . كما شاهدنا ذلك في تفسيرهما لكلمة المزمل ويختلفان أيضاً بحيث أن أحدهما يستشهد على تفسيره لكلمة من الكلمات ببيت من الشعر والآخر لا يستشهد ببيت أصلاً على تفسيره لتلك الكلمة والأمثلة على هذا كثيرة منها أن السمعاني استشهد بقول أحيحة بن الجلاح عند

- 
- (١) تفسير السمعاني ( ص ٦٠٩ من القسم المحقق ) والكشاف ٤ / ٢٠٠ . . . . .  
 (٢) الكشاف : ٤٠ / ١  
 (٣) الكشاف : ١٥٤ / ٤  
 (٤) الكشاف : ٤٣ / ١  
 (٥) سورة القيامة : الآية ٢٢ ، ٢٣  
 (٦) الكشاف : ١٦٥ / ٤

تفسيره لقوله تعالى : ( ووجدك عائلاً فأغنى ) (١) وهو :

فَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ . . . وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْجِلُ (٢)

أما الزمخشري فأغفله ولم يستشهد به ولا بغيره من الآبيات عند تفسيره لهذه الآية .

وهكذا استشهد الزمخشري على تفسيره لكلمة الأب بقول الشاعر :

جَدُّنَا فِيهِمْ وَنَجِدُ دَارَنَا . . . وَلِنَا الْأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرَعُ (٣)

وأما السمعاني فلم يستشهد به ولا بغيره من الآبيات عندما تناول تفسير الكلمة المذكورة .

---

(١) سورة الضحى : الآية : ٨

(٢) تفسير السمعاني ( ص ٨٧٨ من القسم المحقق )

(٣) الكشاف : ١٨٦/٤

المكى والمدني :

لعلماء الشأن في تعريف المكى والمدني ثلاثة أقوال . لوحظ فيها الزمان والمكان والخطاب والراجح منها هو الأول أى الذى لوحظ فيه الزمان فقالوا : إن المكى هو ما نزل قبل الهجرة وإن كان نزوله بغير مكة . والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بغير المدينة . (١)

ومن فوائد المعرفة بالمكى والمدني تمييز الناسخ والمنسوخ لأنه إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الحكيم فى موضع واحد وكان الحكم فى إحديها مخالفاً لما فى الأخرى ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني وبذلك يمكن الحكم بأن المدني ناسخ للمكى لكون المدني متأخراً عن المكى .

ومن فوائد معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام ومنها أيضاً الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف . ويدل ذلك على اهتمام المسلمين به كل الاهتمام حتى إنهم ليعرفون منه ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر إلى غير ذلك . (٢)

ومن ثم نجد بعض الأئمة قد أمردوا هذا الفن بالتأليف فألفوا فيه مؤلفات منهم مكي بن أبى طالب والعزّ الدريني كما توجه إليه اهتمام المفسرين فتناولوه بالبحث والتحقيق وبينوا في مستهل كل سورة أهى مكة خالصة أم مدنية خالصة أم مكة فيها آيات مدنية أم مدنية فيها آيات مكة كما تعرض بعضهم لبيان الخلاف فيها إن وقع فيها خلاف بين أئمة الشأن وقام بالترجيح بين الآراء . ومن اعتنى بذلك من المفسرين السمعاني والبغوى والزمخشري أيضاً على اختلاف منهم فى بعض الأمور . وقد قال الدكتور أبو دجانة عن السمعاني : إنه يذكر في مقدمة كل سورة من سور القرآن الكريم هل هى مكة أم مدنية . أم بعضها مكي ، والبعض الآخر مدني وهكذا ٠٠٠٠ (٣) وعند النظر فى تفسير السمعاني يتضح أن الأمر لا يقتصر على هذا بل يتجاوزه إلى بيان الخلاف فيما وقع فيه خلاف بين علماء الشأن وترجيح ما يراه راجحاً عند اختلاف العلماء فى ضوء الأدلة . وذلك فى بعض الأحيان .

والملاحظ أنه لا يذكر الدليل الذى يعتمد عليه فى تحديده لنوع السورة حيث يكفى بقوله : " مكة " أو " مدنية " (٤) وأحياناً يصرح باتفاق الأئمة فيما إذا كان

(١) انظر البرهان للزركشي ١٨٧/١ ومناهل العرفان ١٩٢/١ - ١٩٤ وسسياتي مزيد من التفصيل فى ذلك فى مستهل القسم المحقق ص (١)

(٢) انظر : المصدرين السابقين .

(٣) مقدمته على تفسير السمعاني ( ص ٣٥٤ )

(٤) انظر : على سبيل المثال ( ص ١٢٥ ) من القسم المحقق من هذه الرسالة )

هناك اتفاق بينهم (١) هذا بالنسبة للسور التي لا يذكر فيها خلاف الأئمة  
وأما إذا ذكر فيها خلافهم فأحياناً يذكر الأقوال منسوبة إلى أصحابها وأحياناً  
يذكرها دون عزو إلى أصحابها وغالباً ما يعتمد في تحديد نوعية السور على المأثور  
من أقوال الصحابة والتابعين . هذا عن تفسير السمعاني وأما تفسير البغوي  
فذكرت السيدة / عفاف عن البغوي أنه قد حدد أول كل سورة نوعها مكية  
أو مدنية وقالت : والملاحظ في تحديد الإمام البغوي لنوع السور أنه يعتمد على  
المأثور من أقوال الصحابة والتابعين وأحياناً يذكر ذلك دون إشارة إلى الأقوال  
ومصادرها كما أن البغوي - في ذلك - لا يعلق على هذا التحديد ، وأحياناً  
يرجح ويختار مع ذكر الدليل . (٢)

وأما الزمخشري فيتضح من النظر في تفسيره أنه لا يتناول هذا الموضوع إلا تناولاً  
سطحياً بحيث إنه لا يخوض فيه بذكر الأقوال أو الترجيح فيما إذا كانت السورة قد  
اختلف فيها العلماء بل يمر عليها سريعاً بذكر كلمة أو كلمتين فيقول : قيل : مكية  
وقيل : مدنية (٣) أو : مختلف فيها . (٤) ولا يزيد على هذا إلا نادراً .

ولمزيد من التوضيح نسوق بعض النماذج من التفاسير الثلاثة :  
فقال السمعاني في سورة الفاتحة : " اعلم أن هذه السورة مكية على قول ابن عباس  
وقال مجاهد : هي مدنية ، وقيل : نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك  
سميت مثنى لأنها نثيت في التنزيل وهذه رواية غريبة " . (٥)

وقال البغوي في هذه السورة : وهي مكية على قول الأكثرين ، وقال مجاهد :  
مدنية ، وقيل : نزلت مرتين ، مرة بمكة ، ومرة بالمدينة . ولذلك سُميت بالمثنى  
والأول أصح أنها مكية لأن الله تعالى من أعلى الرسول صلى الله عليه وسلم  
بقوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ) (٦) والمراد منها فاتحة الكتاب ، وسورة  
الحجر مكية ، فلم يكن يمكن عليه بها قبل نزولها . (٧)

وقال فيها الزمخشري : سورة فاتحة الكتاب مكية ، وقيل : مكية ومدنية لأنها  
نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى . (٨)

ويلاحظ في هذا المثال أن الزمخشري عمل فيه باختصار شديد . حيث اقتصر  
فيه على قولين بينما ذكر الآخرون ثلاثة أقوال ثم إنه لم ينسب هذين القولين إلى

(١) كما فعل في أول سورة الغاشية حيث قال : مكية بالاجماع ( ص ٦٨٦ من القسم  
المحقق من هذه الرسالة )

(٢) البغوي ومنهجه في التفسير ( ص ١٤١ - ١٤٢ )

(٣) الكشاف ٤/٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ .

(٤) المصدر السابق ٤/١٩٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ .

(٥) تفسير السمعاني ص (٣-٤) بتحقيق د/ أبي دجانة .

(٦) سورة الحجر : الآية : ٨٧ .

(٧) تفسير البغوي : ١/٣٧ .

(٨) الكشاف : ٤/١ .

أحد ولم يبد فيها رأيه . وأما السمعاني والبغوي فاتفقا في عرض الأقوال في هذه السورة حيث ذكرا فيها ثلاثة أقوال واتفقا أيضا في عزو واحد منها إلى مجاهد ولكنهما اختلفا في عزو القول الأول حيث عزاه السمعاني إلى ابن عباس وعزاه البغوي إلى الأكثرين ثم إن السمعاني لم يقم بالترجيح بين هذه الأقوال سوى ما علق به على القول الأخير . وأما البغوي فرجح القول الأول واستدل على ترجيحه بدليل قوى من القرآن .

ونرى أنهم يختلفون في بعض الأحيان في تحديد نوع السورة . حيث يذكر أحدهم في بعض السور خلاف المفسرين ولكن الآخر لا يشير إلى ذلك الخلاف ومن الأمثلة على هذا أن السمعاني ذكر في سورة المزمل قولين : أحدهما أنها مكية ، والثاني أنها عند بعضهم مكية إلا قوله تعالى ( إن ربك يعلم أنك تقوم . . . . . إلى آخر السورة ) (١)

وأما البغوي والزمخشري فلم يذكر فيها إلا قولاً واحداً وهو أنها مكية (٢) وكذلك ذكر البغوي في سورة المطففين قولين أحدهما أنها مكية والثاني : أنها مدنية (٣) ولم يذكر فيها السمعاني إلا قولاً واحداً وهو أنها مدنية (٤) وبالرجوع إلى المصادر تبين أن فيها ثلاثة أقوال ولذلك أجمل فيها الزمخشري القول فقال : مختلف فيها . (٥)

ومما ذكر فيه السمعاني قولين ثم قام بالترجيح سورة الأعلى قال فيها : وهي مكية وفي رواية الضحاك : مدنية والأصح الأول \* (٦) وذكر فيها البغوي والزمخشري قولاً واحداً وهو أنها مكية . (٧)

وهكذا نراهم يتفقون أحياناً ويختلفون أخرى والسبب لاختلافهم اختلاف المصادر في تحديد نوع السور . ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك . ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان للمكي والمدني والسبب أن الناس في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان لأنهم كانوا يشاهدون الوحي والتنزيل ثم وقع الخلاف في تحديد نوع السور بعد ذلك ، لأن كل واحد منهم حكى ذلك حسب حفظه ومشاهدته .

- 
- (١) سورة المزمل : الآية : ٢٠ . وانظر تفسير السمعاني ( ص ٧٤ من القسم المحقق من هذه الرسالة )
- (٢) انظر : تفسير البغوي ٤ / ٤٠٦ وتفسير الزمخشري ٤ / ١٥١ .
- (٣) تفسير البغوي ٤ / ٤٥٧
- (٤) تفسير السمعاني ( ص ٥١٢ )
- (٥) الكشاف ( ٤ / ١٩٤ )
- (٦) تفسير السمعاني ( ص ٦٤٦ )
- (٧) تفسير البغوي ٤ / ٤٧٥ وتفسير الزمخشري ( ٤ / ٢٠٣ ) .



## أسباب النزول :

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً حسب الحوادث والوقائع وحاجات المسلمين وإجابة على أسئلتهم ، وهذا القسم من الآيات والسور له ارتباط وثيق بأسباب خاصة نزل عليها ومعرفة هذه الأسباب لها أهمية كبيرة في فهم المقصود من كتاب الله تعالى فهي تساعد على إدراك الحكمة التي اشتمل عليها التشريع ومما يدل على أهمية العلم بأسباب النزول أن هناك كثيراً من الآيات لا يعرف تفسيرها إلا بمعرفة سبب نزولها ومن أجله صنّف بعض علماء الشأن مؤلفات خاصة به . (١)

وقد إهتم المفسرون أيضاً في تفاسيرهم بذكر أسباب النزول للآيات إذا كان لها أسباب نزول فكان طبيعياً أن لا يغفله المفسرون الثلاثة في تفاسيرهم فتعرض كل واحد منهم في تفسيره لذكر أسباب النزول للآيات مع اختلاف يسير فيما بينهم في الكم والكيف والمنهج . ويتضح بالنظر في تفسير السمعاني أنه لم يسلك في إيراد أسباب النزول منهجاً معيناً واحداً بحيث لا يحيد عنه في كامل تفسيره وإذا أردنا أن نلخص منهجه في نقاط يمكن تلخيصه في النقاط الآتية /

- \* يعتمد في ذكر أسباب النزول على الأحاديث النبوية والمأثور من أقوال الصحابة والتابعين .
  - \* يورد كثيراً من الروايات المتعلقة بأسباب النزول مخرجاً إياها من المصادر المعنية .
  - \* يروي بعض هذه الروايات بأسانيد في بعض الأحيان .
  - \* يجمع الروايات المختلفة إن كانت هناك أكثر من رواية تتعلق بسبب النزول لآية ما .
  - \* قد يذكر اختلاف المفسرين في سبب النزول لآية ويذكر أقوالهم ويقوم بالترجيح بين الأقوال أحياناً ويغفله أحياناً أخرى .
  - \* قد يذكر سبب النزول للآية دون تصريح بصدوره مكتفياً في ذلك بقوله : عن فلان وفي بعض الأحيان يختصر أكثر من ذلك فيقول : سبب نزول هذه الآية ثم يذكره دون عزو إلى أحد .
- هذا بالنسبة للسمعاني وأما البغوي فذكرت السيدة / عفاف منهجه في إيراد أسباب النزول للآيات ويمكن تلخيصه في الأمور الآتية :

(١) منها أسباب النزول للواحدى ، ولباب النقول للسيوطي ، ولمعرفة هذا الفن انظر البرهان ( ١ / ٢٢ - ٢٩ ) ، والإتقان ( ٢٨ - ٤٦ ) .

- \* يعتمد في إيراد أسباب النزول للآيات على الأحاديث النبوية والمأثور من أقوال الصحابة والتابعين .
- \* يروى بعض هذه الأسباب بأسانيد .
- \* يجمع الروايات المختلفة لسبب واحد .
- \* يذكر الخلاف في سبب النزول ويورد أقوال أئمة التفسير دون ترجيح واختيار .
- \* يورد سبب نزول الآية ثم يختار عليه غيره لعدم موافقته مع وقت النزول للسورة أو الآية .
- \* يورد سبب النزول دون الإشارة إلى مصدر الرواية (١) ويلاحظ أن السمعاني والبغوي يجمعهما كثير من النقاط في منهجهما لإيراد أسباب النزول للآيات فنرى أن كلا منهما يعتمد على الأحاديث النبوية والمأثور من أقوال الصحابة ويروى بعض أسباب النزول بأسانيد ويجمع الروايات المختلفة لسبب واحد ويذكر الخلاف كما أنهما يختلفان في بعض الأمور منها عدم قيام البغوي بالترجيح عند اختلاف المفسرين ومنها أن السمعاني يصرح في بعض الأحيان بالصدر الذي يأخذ منه سبب النزول .
- وأما الزمخشري فيلتقى هو أيضا معهما في بعض الأحيان وقد عرض منهجه في ذلك الدكتور الصاوي فذكر أنه يورد أحيانا سبب النزول ومناسبتة مسند الرواية إلى أصحابها بقوله مثلاً : عن ابن عباس . وأحيانا يوردها مسبوقه بلفظة " قيل " أو " روى " أي دون عزو إلى أصحابها أو روايتها .
- ولا يفصح برأيه المختار بين الآراء المختلفة في أسباب النزول إلا نادراً (٢) فنرى أن الزمخشري يلتقى مع السمعاني والبغوي في عدم عزوها إلى مصدر الرواية غير أن هذا منهج الزمخشري في كامل تفسيره وأما السمعاني أو البغوي يفعلونه في بعض الأحيان .
- ويتفق الزمخشري مع البغوي في عدم الإفصاح بالرأي المختار بين الآراء المختلفة .
- ولمزيد من الإيضاح نسوق جملة من النماذج من أسباب النزول في تفاسيرهم فقال السمعاني في تفسيره عند قوله تعالى : ( قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن ) (٣) سبب نزول هذه الآية ما روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم انطلق في نفر من أصحابه . . . . . ثم سرد

(١) البغوي ومنهجه في التفسير ( ص ١٤٢ - ١٤٦ ) .

(٢) منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ١٥٤ - ١٥٥ ) .

(٣) تفسير السمعاني ( ص ١ - ١٠ ) القسم المحقق من هذه الرسالة .

قصة الجن بكاملها ويلاحظ هنا أنه تناول لجميع الروايات المتعلقة بقصة الجن مبيناً لما يوجد بينها من التعارض ثم قام بدفع هذا التعارض . (١)

وذ كرسبب نزول الآية " يا أيها المزمل " فقال : قال ابن عباس : لما ترأى له جبريل صلوات الله عليه في ابتداء الوحي فرق منه فرقاً شديداً فرجع إلى بيته ، وتزمل بثيابه ، فأنزل الله تعالى قوله ( يا أيها المزمل ) (٢)

وأورد في سبب النزول لسورة الإخلاص روايتين إحداهما ما رواه جويرع عن ابن عباس قال : دخلت اليهود على نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد صف لنا ريك ، وانسيه لنا . . . . . إلى آخر القصة ، ثم ساق لها سنده الذي روى به هذا الحديث .

والرواية الثانية ذكرها نقلًا عن الترمذي فقال : ذكر أبو عيسى في كتابه برواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا : يا رسول الله انسب لنا ريك فأنزل الله تعالى ( قل هو الله أحد ) (٣)

وقال عند قوله تعالى ( ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ) (٤) \* اختلف القول فيمن نزلت هذه الآية فأصح الأقاويل أن الآية على العموم والقول الثاني أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين رواه عمرو بن عبيد عن الحسن البصري . (٥)

وقال في سورة عبس : وسبب نزول الآية ( أي عبس وتولى ) : هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلم رجلاً من أشرف المشركين ويدعوه إلى الإسلام قال عطاء : كان عتبة بن ربيعة وأبي بن خلف ، وكان يدعوهم إلى الإسلام ويقرا عليهم القرآن ، وفي بعض الروايات : أنه كان عنده جماعة من أشرف قريش وكان يدعوهم إلى الإسلام واشتد طمعه فيهم فجاء عبد الله بن أم مكتوم وجعل يقول : يا رسول الله علمني مما علمك الله - أرشدني - . . . . . إلى آخر ما ذكر من روايات عديدة مختلفة في هذه القصة . (٦)

فيلاحظ أن السمعاني في هذه السورة لم يبين المصدر الذي اعتمد عليه في إيراده لسبب النزول كما أنه أتى بجميع الروايات المختلفة في هذه القصة وعزا بعضها إلى أصحابها .

ولما البغوى فذكر في سبب النزول لسورة الإخلاص ثلاث روايات : الأولى : هي رواية أبي العالية عن أبي بن كعب التي رواها الترمذي .

- 
- (١) تفسير السمعاني ( ص ٦ ) القسم المحقق من هذه الرسالة .  
 (٢) تفسير السمعاني ص ( ٧٥ ) القسم المحقق من هذه الرسالة .  
 (٣) تفسير السمعاني ( ص ١١٢٨ - ١١٢٩ ) القسم المحقق من هذه الرسالة .  
 (٤) سورة الإنسان : الآية : ٨ .  
 (٥) تفسير السمعاني ( ص ٢٦٩ ) القسم المحقق من هذه الرسالة .  
 (٦) تفسير السمعاني ص ( ٤٢١ - ٤٢٣ ) القسم المحقق من هذه الرسالة .

والثانية : هي عن الضحاك وقتادة ومقاتل : جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم . . . . . وهي نفس ما ذكره السمعاني من طريق جويبر عن ابن عباس .

والثالثة : هي رواية أبي ظبيان عن أبي صالح عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر : يا أمّ تدعونا يا محمد؟ قال : إلى الله ، قال : صفه لنا أمن ذهب هو ؟ أم من فضة؟ أم من حديد ؟ أم من خشب ؟ فنزلت هذه السورة . (١)

وذكر في سبب النزول لسورة الفلق ثلاث روايات أيضا :

أحداها : عن ابن عباس وعائشة .

والثانية : عن عائشة . والثالثة عن زيد بن أرقم علما بأن هذه الروايات الثلاث كلها تفيد بأن النبي صلى الله عليه وسلم سحر سحره رجل من اليهود وفيه نزلت سورتا المعوذتين . ويلاحظ أن الرواية الثانية والثالثة رواهما البيهقي بسنده . (٢)

وذكر سبب النزول لقوله تعالى ( أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ) (٣) وهو ابن أم مكتوم ، . . . . . وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية يدعوهم إلى الله . . . . . فذكر قصته إلى آخرها . (٤) ولم يصرح البيهقي هنا بمن نقل عنه هذا السبب ويبدو أنه جمع الروايات المختلفة في هذه القصة ثم صاغها في أسلوبه .

وإذا جئنا إلى الزمخشري نجده يتفق مع البيهقي في سرد هذه القصة — قصة ابن أم مكتوم — (٥) فهما متقاربان في اللفظ والأسلوب إلى حد كبير كما أنهما لم ينسبا هذا السبب إلى أحد ممن رواه . وكذلك لم يذكر المصدر الذي اعتمدا عليه في نقل هذا السبب . وذكر سبب النزول لسورة المسد فقال : روى أنه لما نزل " وأندر عشيرتك الأقرين " (٦) رقى الصفا

- 
- (١) تفسير البيهقي ٤ / ٥٤٤  
(٢) المصدر السابق ٤ / ٥٤٦  
(٣) سورة عبس : الآية : ٢  
(٤) تفسير البيهقي ٤ / ٤٤٦ ، وقد اعتذرت عنه السيدة / عفاف على عدم إشارته إلى مصدر الرواية فقالت : ولعل البيهقي لم يذكر المصدر لاشتهار الرواية وعدم الاختلاف فيها ووجود ما يعارضها .  
البيهقي ومنهجه في تفسيره ( ١٤٥ - ١٤٦ )  
وهذا الاعتذار له اعتبار إذا كان من منهج البيهقي عدم ذكر المصدر لما اشتهر من الروايات وإذا لم يكن من منهجه وهو الغالب على الظن فلا اعتبار له .  
(٥) الكشاف ٤ / ١٨٤  
(٦) سورة الشعراء : الآية : ٢١٤

وقال : يا صاحبا فاستجمع إليه الناس من كل أوب ، فقال : يا بني عبدالمطلب يا بني فهران أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم صدقي ؟ قالوا : نعم قال : فإني لكم نذير بين يدي الساعة فقال أبو لهب : تبا لك ، لهذا دعوتنا فنزلت . (١)

وقال في سبب النزول لسورة الإخلاص : وعن ابن عباس : قالت قریش : يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت \* . (٢)

ويلاحظ أن الزمخشري أيضاً يعتمد في إيراد أسباب النزول للآيات على الأحاديث النبوية والمأثور من أقوال الصحابة حيث يسوق بعض الأحيان الفاظ الخديث كما نشاهد فيما ذكر في سورة المسد . وهو حديث متفق عليه من رواية ابن عباس (٣) إلا أنه التزم بعدم الإشارة إلى مصدر الرواية - ويلاحظ أيضاً أنه لا يسرد الروايات المختلفة في سبب النزول كما لا يتعرض لذكر الخلاف فيه وقد لعب به التعصب الاعتزالي في هذا المجال أيضاً بحيث أنه يغفل من هذه الأسباب ما يصادم مع عقيدته ومذهبه كما فعل في سورتَي المعوذتين بحيث أنه اغفل إغفالاً تاماً ما ذكر في سبب النزول لهاتين السورتين من قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم مع أنها ثابتة في الصحيح وذلك لأن هذه القصة تثبت للسحر حقيقة وهذا خلاف ما عليه المعتزلة فأراد من إغفاله لهذا السبب أن يذر الرماد في وجوه الناس . وما يؤخذ على هؤلاء أنهم لا يتحرون الصحة فيما يوردونه من أسباب النزول فيروون عن الضعفاء والمتروكين . كما فعل السمعاني عندما روى في سورة الإخلاص من طريق جوير عن ابن عباس وجوير هذا ضعيف جداً .

(١) الكشاف : ٢٤٠ / ٤

(٢) المصدر السابق : ٢٤٢ / ٤

(٣) الكافي الشاف : ص ١٩٠

## الناسخ والمنسوخ :

ان لمعرفة الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن أهمية عظيمة ، وقد قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ وقد قال علي رضي الله عنه لقاص : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا . قال : هلكت وأهلك ، وعلى هذا فقد قال الزركشي : والعلم به عظيم الشأن . (١) ولاهيمته نرى بعض العلماء خصصوا له مؤلفات عظيمة . (٢) ومن ثم كان لزماً على من يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى أن يهتم بذكر الناسخ والمنسوخ وبالفعل فإن أغلب المفسرين أعطوا لهذا الباب ما يستحقه من العناية والاهتمام منهم مفسرونا الثلاثة : السمعاني ، والبغوي ، والزمخشري .

فقال السمعاني عند قوله تعالى ( واصبر على ما يقولون ) (٣) وهذا فسي ابتداء الإسلام قبل نزول آية السيف ، وكذلك قوله تعالى ( واهجرهم هجراً جميلاً ) (٤) وقد نسخ بآية السيف . (٥)

وذكر من رواية سعد بن هشام أنه قال : قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أأنت تقرأ سورة المزمل ؟ قلت : نعم ، قالت : فرض الله تعالى قيام الليل على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقاموا سنة حتى تورمت أقدامهم ثم أنزل الله تعالى قوله ( إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ) (٦) فنسخ قيام الليل . (٧)

وقال في سورة الكافرون : ( قيل إن هذه السورة نزلت قبل آية السيف ثم نسخت بآية السيف ) (٨)

(٩) وقال البغوي عند قوله تعالى : ( واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ) نسختها آية القتال . (١٠)

وقال عند قوله تعالى : ( أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ) (١١) " خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير ،

- 
- (١) انظر البرهان ٢٨/٢ - ٢٩ .
  - (٢) منها نواسخ القرآن لابن الجوزي .
  - (٣) سورة المزمل : الآية : ١٠ .
  - (٤) سورة المزمل : الآية : ١٠ .
  - (٥) تفسير السمعاني ( ص ١٠٥ من القسم المحقق )
  - (٦) سورة المزمل : الآية : ٢٠ .
  - (٧) تفسير السمعاني ( ص ١٠٥ ، ١٢٠ من القسم المحقق من هذه الرسالة .
  - (٨) المصدر السابق ( ص ١١٠٢ )
  - (٩) سورة المزمل : الآية : ١٠ .
  - (١٠) تفسير البغوي ٤/٤٠٩ .
  - (١١) سورة المزمل : الآية : ٤ .

وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ، ومتى النصف ، ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله ( فاقروا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى ) ( ١ ) فكان بين أول السورة وآخرها سنة ثم أورد رواية سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها بسنده . ( ٢ )

ويلاحظ في هذا المثال أن السمعاني والبغوي اختلفا في تعيين الناسخ ، فالسمعاني يرى أن الناسخ لها قوله تعالى ( ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ) ( ٣ ) بينما يذهب البغوي ان الناسخ لها قوله تعالى ( فاقروا ما تيسر من القرآن ) ( ٤ ) وفي تحديد الناسخ أقوال أخرى ذكرتها في تعليقي على تفسير السمعاني في الموضوع الذي تعرض فيه السمعاني لهذه المسألة . ولا يخفى أن مسألة الناسخ والمنسوخ قد وقع فيها خلاف كبير بين العلماء فمثلاً يدعى البعض منهم النسخ في آية ما ، ولكن الآخر لا يرى النسخ فيها كما وقع الخلاف أيضا في تحديد الناسخ وتعيينه ولذلك نرى السمعاني والبغوي مع اتفاقهما في كثير من الأمور يختلفان أحيانا في هذا الباب ومن ذلك اختلافهما في سورة الكافرون إذ ذكر السمعاني أنها منسوخة بآية السيف ، وأما البغوي فلم يذكر فيها النسخ مما يدل على أن السورة محكمة في نظره . وقد قال ابن الجوزي في هذه السورة : قال كثير من المفسرين : هو منسوخ بآية السيف وإنما يصح هذا إذا كان المعنى : قد أقررتم على دينكم وإذا لم يكن هذا مفهوم الآية بعد النسخ . ( ٥ )

وأما الزمخشري فنراه أنه أيضا تعرض للنسخ المذكور في قوله تعالى : ( يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ) ( ٦ ) حيث أشار إليه مع تلميحته إلى ما وقع فيه من خلاف فقال : فإن قلت : أكان القيام فرضاً أم نقلاً ؟ قلت : عن عائشة رضي الله عنها ان الله جعله تطوعاً بعد أن كان فريضة ، وقيل : كان فرضاً قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به . ( ٧ )

وهكذا اتفق مع السمعاني والبغوي في ذكر النسخ في هذه الآية إلا أنه اختلف معهما في تحديد الناسخ حيث جعل فرض الصلوات الخمس ناسخاً لقيام الليل .

( ١ ) سورة المزمل : الآية : ٢٠  
 ( ٢ ) تفسير البغوي : ٤ / ٤٠٧ .  
 ( ٣ ) سورة المزمل : الآية : ٢٠  
 ( ٤ ) سورة المزمل : الآية : ٢٠ وإذا أردت مزيداً من الأمثلة علي ذكره للناسخ والمنسوخ فارجع إلى كتاب " البغوي ومنهجه في التفسير " ( ص : ١٤٨ - ١٥٢ )

( ٥ ) نواسخ القرآن ( ص : ٥٠٩ )  
 ( ٦ ) سورة المزمل : الآية : ١  
 ( ٧ ) الكشاف : ٤ / ١٥٢ .

وكذلك ذكر النسخ في قوله تعالى : ( واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلًا ) (١) فقال : وقيل : هو منسوخ بآية السيف " (٢) ويلاحظ أنسبه صدره بصيغة التعمير مما يدل على ضعف هذا القول ثم إنه قبل ذكره لهذا النسخ فسر الآية بما يوحي أنها محكمة في نظره . ونراه أنه اتفق مع البغوى في عدم ذكر النسخ في سورة الكافرون . (٣)

### استنباط المسائل :

=====

من المعلوم أن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساسي للتشريع الإسلامي على الإطلاق ، وأغلب المسائل المتعلقة بالعقيدة وأصول الدين أو بالعبادات والأحكام الفقهية مأخوذة منه . وهو يشتمل على كثير من الأمور مما له علاقة بأصول الدين والأحكام الفقهية كما أنه يحتوى على كثير من الأدلة الشرعية ولكن لا يتضح ذلك لكل من ينظر في القرآن ، ومن هنا كان من وظائف المفسران يضع يده على تلك المسائل ، ويشرح تلك الأدلة . وعليه فقد اتجه اهتمام الكثير من المفسرين الذين يتصدون لتفسير كتاب الله تعالى إلى بيان المسائل العقدية والفقهية واستنباط الأحكام منه . وتوضيح ما يشتمل عليه من الأدلة . ومن هؤلاء المفسرون الثلاثة : السمعاني ، والبغوى ، والزمخشري .

ونبدأ باستنباطهم للمسائل العقدية :

فقد تقدم في ترجمة كل واحد البيان التفصيلي لما كان يعتقد في أصول الدين حيث بينا أن السمعاني والبغوى كانا من كبار علماء أهل السنة والجماعة المتحمسين للدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة .  
وأما الزمخشري فكان من كبار المعتزلة الناصبين للعداوة ضد أهل السنة والجماعة والمتوغلين في نصرة الآراء الاعتزالية وقد نصر في كتبه لاسيما التفسير عقيدة الاعتزال نصراً مؤزراً وقام بالرد على أهل السنة والجماعة ووصفهم بأقبح الأوصاف .  
فوجهة الزمخشري ووجهة السمعاني والبغوى في المسائل العقدية على طرفى نقيض مما أوجب الخلاف بينه وبين السمعاني والبغوى وغيرهما من مفسري أهل السنة في استنباط المسائل العقدية حيث أنه يؤيد آراء المعتزلة ويستدل لها ويرد على عقيدة أهل السنة ويحاول تفنيدها في تفسيره . بينما نرى السمعاني وصاحبه يقومان بتأييد مذهب السلف وينتصران له ويفندان آراء المعتزلة وغيرهم من الفرق المنحرفة وخلاصة الكلام أن كل واحد منهم طبع تفسيره بلون ما كان يعتقد ويذهب إليه فيما يتعلق بأصول الدين فطبع الزمخشري تفسيره الكشاف

(١) سورة العزل : الآية : ١٠

(٢) الكشاف ١٥٤/٤

(٣) إذا أردت مزيداً من النماذج على هذا فارجع إلى كتاب منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ١٥٥ - ١٥٧ ) .



بطابع من الاعتزال . وطبع السمعاني والبغوى تفسيرهما بطابع من عقيدة السلف  
أهل السنة والجماعة .

ولمزيد من الإيضاح نسوق بعض الأمثلة من المسائل العقدية من التفاسير  
الثلاثة:

### أولاً: تعريف الإيمان:

فقد عرف السمعاني والبغوى الإيمان تعريفاً سلفياً صحيحاً حيث يقول  
السمعاني عند قوله تعالى ( الذين يؤمنون بالغيب ) (١) " والإيمان فسي  
الشريعة يشتمل على الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان " (٢)  
وقال في تفسير قوله تعالى : ( وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ) (٣) " أى  
يقيناً وتصديقاً وذلك أنه كلما نزلت آية فامنوا بها ازدادوا إيماناً وتصديقاً ، وهذا  
دليل لأهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص " (٤)  
وهكذا عرفه البغوى حيث قال عند الآية الأولى : وحقيقة الإيمان : التصديق  
بالقلب ، قال الله تعالى ( وما أنت بمؤمن لنا ) (٥) أى بصدق وهونسي  
الشريعة : الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان ، فسمى الإقرار  
والعمل إيماناً لوجه من المناسبة . لأنه من شرائعه . . . . ثم خاض في بيان الفرق  
بين الإسلام والإيمان مستدلاً في ذلك بالنصوص من الكتاب والسنة . (٦)  
وقال في تفسير الآية الثانية " تصديقاً ويقيناً ، وقال عمير بن حبيب - وكانت له  
صحبة - إن للإيمان زيادة ونقصاناً قيل : فما زيادته ؟ قال : إذا ذكرنا الله عز  
وجل وحمدناه فذلك زيادته وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه " (٧)  
وإذا رجعنا إلى الزمخشري نراه يعرف الإيمان تعريفاً معتزلياً حيث يقول في  
الآية الأولى : فإن قلت : ما الإيمان الصحيح ؟ قلت : أن يعتقد الحق ويعرب  
عنه بلسانه ويصدقه بعمله ، فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ، ومن  
أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق " (٨)

- (١) سورة البقرة : الآية : ٣
- (٢) تفسير السمعاني ٢٨ / ١ بتحقيق الدكتور/ ابو دجانه .
- (٣) سورة الأنفال : الآية : ٢
- (٤) تفسير السمعاني ١ / ١٦٩ ب نسخة الأزهرية .
- (٥) سورة يوسف : الآية : ١٧
- (٦) تفسير البغوى ٤٥ / ١ ويلاحظ أن البغوى أتى بتفصيل أكثر في تعريف  
الإيمان ثم في بيان الفرق بينه وبين الإسلام وما هي العلاقة بينهما .
- (٧) تفسير البغوى : ٢ / ٢٢٩ ، ويلاحظ في هذا المثال أن السمعاني قام بتوضيح  
الدلالة على نقصان الإيمان وزيادته الذي هو مذهب أهل السنة بينما فسره  
البغوى في ضوء ما قاله السلف من زيادة الإيمان ونقصانه .
- (٨) الكشاف : ٢٢ / ١

نراه أنه فسر الإيمان بما يثبت به المنزلة بين المنزلتين . . . . وهي منزلة الفاسق بين منزلة المؤمن ومنزلة الكافر ، فينفي الإيمان عن سليم العقيدة مادام أنه قد أخل بواجب العمل ، وهذا تعريف لا يوافقه دليل من اللغة أو الشرع .

### مسألة الاستواء على العرش :

قال السمعاني في تفسير قوله تعالى ( إِنْ رَأَيْتُمْ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) (١)  
 "أول المعتزلة الاستواء بالاستيلاء" وأنشدوا فيه :

قد استوى بشر على العراق . . . من غير سيف ودم مهراق

وأما أهل السنة يتبرأون من هذا التأويل ويقولون : إن الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف والإيمان به واجب ، ثم حكى عن مالك وغيره من أئمة السلف أنهم قالوا في هذه الآية : الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " . (٢)  
 وهكذا فعل في أغلب الآيات التي ورد فيها ذكر الاستواء حيث فسرها على مذاهب السلف دون تأويل لها . (٣)

وقال البيهقي في تفسيره عند الآية المذكورة : قال الكلبى ومقاتل : استقر وقال أبو عبيدة : سعد ، وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ، فأما أهل السنة يقولون : الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ، ويكل العلم فيه ( أى علم الكيف ) إلى الله عز وجل " ثم ذكر قول مالك ابن أنس وغيره من أئمة السلف . (٤)

وأما الزمخشري فنراه أنه أغفل تفسير جميع الآيات (٥) التي ورد فيها ذكر الاستواء للرب تعالى سوى موضع واحد وهو قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) (٦) فقال : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف

- 
- (١) سورة الاعراف : الآية ٥٤  
 (٢) تفسير السمعاني ١/ق ١٥٦ ب نسخة الأزهرية .  
 (٣) انظره للتأكيد ما قاله في تفسيره ١/ق ١٩٧ و ٢/ق ١١ ب نسخة الأزهرية .  
 (٤) تفسير البيهقي ٢/ ١٦٥ ويلاحظ أن البيهقي لم يكرر هذه المسألة بعد ذلك  
 (٥) ورد ذكر الاستواء لله تعالى في سبعة مواضع من القرآن وهي سورة الاعراف الآية : ٥٤ ، وسورة يونس : الآية : ٣ ، وسورة الرعد : الآية : ٢ ، وسورة طه : الآية : ٥ ، وسورة الفرقان : الآية : ٥٩ ، وسورة السجدة : الآية : ٤ وسورة الحديد الآية : ٤  
 (٦) سورة طه : الآية : ٥

الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا : استوى فلان علي العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة \* (١) وهذا تأويل للآية لم يقم عليه دليل من الكتاب والسنة . ومن الملاحظ انه خالف المعتزلة في تأويل الاستواء لانهم فسروه بالاستيلاء (٢) واما الزمخشري فأوله بالملك لانه رأى في تفسير زعمائه وصف الله تعالى بالعجز لان الاستيلاء لا يكون إلا بعد عجز سابق (٣) وحاول بتأويله بالملك تعمية المسألة على الناس . واما هو فلا يعترف بالعرش ولا باستواء الرب تعالى عليه .

إثبات الروئية لله تعالى يوم الدين :

إنكر الزمخشري روية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى تعريضاً وتصريحاً أما الأول فقد قال في تفسير قوله تعالى : ( فَمَنْ زُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ) (٤) ولاغاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد \* (٥) ففيه تعريض بإنكار روية الله تعالى التي هي عند أهل السنة والجماعة من أكبر النعم التي ينعم بها الله تعالى على عباده يوم القيامة .

واما إنكاره لها بالصراحة فقد قال في تفسير قوله تعالى ( لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ) (٦) ما نصه : " البصر هو الجوهر اللطيف الذي ربه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى : أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال أن يكون مبصراً في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو تابعاً كالأجسام والهيئات " (٧)

واما الأدلة التي قامت على إثبات روية الله تعالى في الكتاب فقد حاول جاهداً تفسيرها بما لا ينال من هذا المذهب كما فعل ذلك في قوله تعالى : ( إلى ربها ناظرة ) (٨) حيث جعل النظر بمعننى التوقع والرجاء (٩) وكما فعل أيضاً في قوله تعالى ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) (١٠) إذ فسر الزيادة بقوله " ما يزيد على المثوبة " ووصف الحديث الذي ورد في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الرب تعالى بأنه مرقوع . (١١)

- (١) الكشاف : ٤٢٧ / ٢  
 (٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ( ص ٢٢٦ )  
 (٣) بهذا أسكت أبو السمراء أحد اللغويين بشر الميرسي في مجلس المأمون كما ذكر السمعاني ( انظر تفسيره ١ / ق ١ / ١٩٧ )  
 (٤) سورة آل عمران : الآية : ١٨٥ (٥) الكشاف : ٢٣٥ / ١ وقد أكثر الزمخشري من استخدام أسلوب التعريض في تفسيره .  
 (٦) سورة الانعام : الآية : ١٠٣ (٧) الكشاف ٢ / ٢٢ (٨) سورة القيامة : ٢٣ .  
 (٩) الكشاف ٤ / ١٦٥ وتقدم ذكره مراراً (١٠) سورة يونس : الآية : ٢٦  
 (١١) الكشاف ٢ / ١٨٨ وتقدم ذكره مفصلاً في ص ٤٥ من قسم الدراسة .

وهذه الآية التي استدلت بها الزمخشري على عدم رؤية الرب تعالى ، فسرها السمعاني والبلغوي تفسيراً ليس فيه أدنى تعلق للمعتزلة . قال السمعاني : " استدلت بهذه الآية من يعتقد نفى الرؤية - قالوا : لما مدح بأنه لا تدركه الأبصار فمدحه على الأبد في الدنيا والآخرة . واعلم أن الرؤية حق ، على مذهب أهل السنة - وقد ورد بها القرآن والسنة " . ثم ذكر بعض الأدلة الواضحة من الكتاب والسنة . وقال بعد ذلك : فأما قوله تعالى : " لا تدركه الأبصار " فالإدراك غير الرؤية ، لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء وحقيقته والرؤية هي المعاينة .

وقد تكون الرؤية بالإدراك ، قال الله تعالى في قصة موسى : " فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ . قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا " (١) . فنفسى الإدراك مع إثبات الرؤية ، فإذا كان الإدراك غير الرؤية فالله تعالى يجوز أن يرى ولكن لا يدرك كنهه إذ لا كنه له حتى يدرك ، وهذا كما أنه يعلم ويعرف ولا يحاط به كما قال : " وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا " (٢) . فنفي الإحاطة مع ثبوت العلم . . . إلى آخر ما قال (٣) .

ولم يقتصر على ما أطنب في رده على المعتزلة وإثبات مذهب السلف في مسألة الرؤية ، في هذا الموضع بل تعرض لذلك في كل ما تشبثوا به من آيات القرآن ، منها قوله تعالى : " قَالَ : رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ : لَنْ تَرَانِي " (٤) .

وكذلك تعرض لتوضيح مذهب السلف في هذه المسألة عند جميع الآيات التي تدل على جواز رؤية الله تعالى ، منها قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٥) ، وقوله تعالى : " إلى ربها ناظرة " (٦) ، وقوله تعالى : " كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ " (٧) ، فبسط الكلام عن إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة في كل هذه المواضع . (٨)

وإذا جئنا إلى البغوي نجد أنه أيضاً فسر الآية بما لا يمكن أن يكون فيه دليلاً للمعتزلة على مذهبهم ، فإنه قال : يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه

(١) سورة الشعراء الآية ٦١ - ٦٢ .

(٢) سورة طه الآية ١١٠ .

(٣) تفسير السمعاني ١/١٤٣ ق ١/١٤٣ الأزهرية .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٥) سورة يونس الآية ٢٦ .

(٦) سورة القيامة الآية ٢٣ .

(٧) سورة المطففين الآية ١٥ .

(٨) انظر تفسير السمعاني ١/٢١٠ / ١ نسخة دار الكتب ١٠ / ٢٠٢ / ١ نسخة الأزهرية ، وص ٢٢٧ - ٢٣٣ ، ق ٥٣٣ - ٥٣٨ من القسم المحقق من هذه الرسالة .

الآية في نفى رؤية الله تعالى عياناً ، ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عياناً " ثم استدل على ذلك ببعض الآيات والأحاديث وأقوال أئمة السلف كما فعل السمعاني ، ثم قال : وأما قوله " لا تدركه الأبصار " اعلم أن الإدراك هو الوقوف ، لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به - والرؤية المعاينة - وقد تكون الرؤية بلا إدراك . قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام : " فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال <sup>(١)</sup> : كلاً " وقال : " لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى " <sup>(٢)</sup> ، فنفى الإدراك مع اثبات الرؤية فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة ، كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به - قال الله تعالى : " ولا يحيطون به علماً " <sup>(٣)</sup> ، فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم " <sup>(٤)</sup> .

ونلاحظ في هذا الكلام أن البغوى اتفق مع السمعاني في عرض هذه المسألة والرد على أهل الاعتزال إلى حد كبير ، بحيث انهما متقاربان في الأسلوب والألفاظ ، غير أن البغوى استدل بكلام بعض الأئمة الذين لم يستدل بكلامهم السمعاني في تفسيره .

ولما جاء البغوى إلى الآيات الأخرى التي تشبث بها المعتزلة ، أو التي تدل على مذهب السلف ، لا نراه تعرض للمسألة بهذا التفصيل . بل يشير إشارة خفيفة ثم يتجاوزها <sup>(٥)</sup> ، وهذا الذي فعله البغوى من عدم التكرار والإعادة لمسألة واحدة في أماكن مختلفة من مقتضيات المنهج العلمي للبحث ، ولكن ما مشى عليه السمعاني في تفسيره من بسط المسألة الواحدة المتعلقة بالعقيدة في مواضع مختلفة لا يستهان به ، لأنه أولاً يتعلق بموضوع من موضوعات العقيدة التي لا بد أن تكون واضحة كالشمس في رابعة النهار ، وثانياً يشتمل كل دليل من أدلة القرآن على ما لا يشتمل عليه الآخر ، مما يتطلب من المفسر أن يقف عند كل منها ، فيوضحه ويبينه بياناً لا يبقى فيه أى غموض ، علماً بأن السمعاني إذا كرر مسألة واحدة من مسائل العقيدة لا يكررها بنفس الألفاظ والأسلوب بل يأتي في كل مكان بما لم يأت به في الآخر ، وهذا بالإضافة إلى ذلك يدل

( ١ ) سورة الشعراء الآية ٦١ - ٦٢ .

( ٢ ) سورة طه الآية ٧٧ .

( ٣ ) سورة طه الآية ، ١١٠ .

( ٤ ) تفسير البغوى ١١٩/٢ - ١٢٠ .

( ٥ ) انظر تفسير البغوى ١٩٦/٢ ، ٣٥١ ، ٤٢٤/٤ ، ٤٦٠ .

على شدة تحمسه للدفاع عن العقيدة الصحيحة وانتصاره لها .

ثم ما قد مناه عن كل من التفاسير الثلاثة من الأمثلة على استنباطهم وتعرضهم للمسائل العقدية قليل من الكثير الذي حفل به كل واحد منها على مذهبه وطريقته ، فالزمخشري مأتفسيره المسمى بالكشاف بالعقائد الاعتزالية وانتصر لها فيه انتصاراً كبيراً ، بحيث انه حاول تطبيق القرآن على الأصول الخمسة التي بنى عليها المعتزلة مذهبهم وعقيدتهم ، وتقدم ذكر الأدلة على ذلك بالتفصيل عند الكلام على المدرسة الاعتزالية <sup>(١)</sup> ، ولم يكتف على الانتصار لهذه الأصول الخمسة ، بل تجاوز إلى أن حاول بكل ما أوتى من قوة استنباط المسائل الفرعية من آراء المعتزلة من خلال تفسيره للقرآن ، فنراه أنه حاول إبطال الكرامات للأولياء مستدلاً بقوله تعالى : " إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ " لأنه قال : " من رسول " تبين لمن ارتضى ، يعنى أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوّة خاصة لا كل مرتضى ، وفي هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسول " . <sup>(٢)</sup>

وقد وضحت مذهب أهل السنة في ذلك عند هذه الآية في قسم التحقيق <sup>(٤)</sup> وكذلك أنكر حقيقة السحر ، وسمى الذين يثبتون له حقيقة الحشوية والجهلية <sup>(٥)</sup> وقد فصلت الكلام على هذا في موضعه . <sup>(٦)</sup>

وأما تفسير السمعاني وتفسير البغوى فحافلان بكثير من المباحث العقدية على طريقة السلف الصالح من هذه الأمة ، وقد التزم في كل منهما صاحبه بانتصار العقيدة السنية الصحيحة الثابتة ، وبالرد على أهل الأهواء والزيغ والفساد من المعتزلة والمرجئة والخوارج والروافض وغيرهم . <sup>(٧)</sup>

- 
- (١) انظر ص (٥٠-٦٢) من القسم الدراسى .  
 (٢) سورة الجن الآية ٢٧ .  
 (٣) الكشاف ٤ / ١٥٠ .  
 (٤) تفسير السمعانى ( ص ٧٠ - ٧١ من القسم المحقق ) .  
 (٥) الكشاف ٤ / ٢٤٤ .  
 (٦) تفسير السمعانى ( ص ١١٤٨ - ١١٥٠ قسم التحقيق ) .  
 (٧) راجع للتفصيل مقدمة أبى دجانة على تفسير السمعانى ( ص ٢٠٠ وما بعدها ، والبغوى ومنهجه فى التفسير ( ص ١٣٠ - ١٣٤ ) .

إلا أن البغوى قد وقع فى تأويل بعض الآيات المتعلقة بصفات الله تعالى ولعله تبع فى ذلك الثعلبى الذى عرف أنه من المؤولة <sup>(١)</sup> ، ومما أوله البغوى فى تفسيره صفة الرحمة ، لأنه قال : " والرحمة إرادة الله الخير لأهله ، وقيل : هى ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحقه ، فهى على الأول صفة ذات ، وعلى الثانى صفة فعل " <sup>(٢)</sup> . والصواب فى ذلك إثبات صفة الرحمة وعدم الخوض فى تأويله .

ومنه أيضا صفة الغضب ، حيث قال : " والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة ، وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين " <sup>(٣)</sup> .

وهذه الآيات التى قام فيها البغوى بالتأويل قد تبع فيها الثعلبى وإلا عقيدته معروفة ، وهى موافقة لعقيدة السلف الصالح التى ليس فيها تأويل ولا تحريف ولا تكييف ، كما سبق أن بيناه فى ترجمته <sup>(٤)</sup> .

وأما ما يتعلق بالجانب الفقهى ، ففيه أيضا يلتقى السمعانى والبغوى معا لأنهما يعدان من فقهاء الشافعية وعلماهم <sup>(٥)</sup> . وأما الزمخشرى فيختلف معهما إذ هو ينتمى إلى مذهب الأحناف ، بل هو فخور بحنفيته <sup>(٦)</sup> ، ولكن فيما يبدو لى أنه لا يتعصب أحد منهم لمذهبه فى الفروع ، بل يختار فى ذلك ما يراه أصح وأصوب ، وإن كان ذلك مما يخالف المذهب الذى ينتسب إليه ، حتى الزمخشرى الذى يفتخر بمذهبه الحنفى يختار فى بعض الأحيان قول الشافعى مرجحا إياه على قول أبى حنيفة <sup>(٧)</sup> .

وبالنظر فى تفاسيرهم يتبين أن كل واحد منهم يستنبط المسائل الفقهية من آيات القرآن خلال تفسيره لها ، فإذا وجدوا فى آية من الآيات دليلا أو إشارة إلى مسألة تتعلق بالأحكام الفقهية يستدلون بها على تلك المسألة

- 
- (١) انظر الثعلبى ودراسة كتابه ( ص ٥٩ ) .  
 (٢) تفسير البغوى ٣٨/١ .  
 (٣) تفسير البغوى ٤٢/١ ، وإذا أردت مزيدا من النماذج على تأويله فارجع إلى كتاب : " المفسرون بين التأويل والاثبات فى آيات الصفات ( ١٦٩/١ - ١٨٣ ) .  
 (٤) انظر ص ١١٩ من القسم الدراسى .  
 (٥) قد سبق الكلام على مذهب كل واحد منهما فى ترجمته . انظر ص ( ١٠٣ و ١٢٠ ) .  
 (٦) راجع ما تقدم فى ترجمته ( ص ١٣٤ ) .  
 (٧) انظر كتاب الزمخشرى ( ص ١٦٧ ) ومنهج الزمخشرى فى تفسيره ( ص ١٧٩ ) .

ويستنبطون منها حكماً ، وقد يستعرضون لأقوال الأئمة ويبنون خلافهم فيها ولا يكتفون في ذكر الخلاف بأقوال المذاهب الأربعة فقط ، بل يذكرون أقوال الصحابة والتابعين وأئمة السلف من جاء بعدهم ، وفي بعض الأحيان يقومون بالترجيح والاختيار من بين هذه الأقوال .<sup>(١)</sup>

وأما بالنسبة للمصادر التي يعتمدون عليها في تناولهم للمسائل الفقهية فليس هناك تصريح عند أي واحد منهم بها ، ونرى أن كلهم ينقلون أقوال الفقهاء نقلًا مباشرًا سواء كان من الصحابة أو التابعين أو من جاء بعدهم ، وقد تعرض الدكتور أبو دجانة لذكر المصادر الفقهية في تفسير السمعاني ، فذكر أن السمعاني استفاد في كثير من المواضع من تفسيره من آراء الصحابة وفقهاء التابعين ، وذكر منهم الزهري وطاووس والحسن البصري والربيع بن أنس وغيرهم وكذلك استفاد من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرها من المذاهب المشهورة .<sup>(٢)</sup>

وبالنسبة لتفسير البغوي ، فلم تتعرض للمصادر الفقهية فيه السيدة / عفاف ، ويبدو لي أن الأمر يختلف عما تقدم ذكره بالنسبة لتفسير السمعاني فإن البغوي أيضا استفاد من آراء الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الأربعة وغيرها - كما هو واضح من خلال عرضه للمسائل .

وقال مرتضى آية الله زاده بالنسبة للزمخشري : وأما مصادر الفقه عنده غالباً فهم أبو حنيفة والشافعي ، ويسند الأقوال إليهم ، ونراه أيضا يسند الأقوال أحياناً إلى الفقهاء بقول مطلق " .<sup>(٣)</sup>

ثم انه لا يلزم أن يتفق الثلاثة في استنباط المسائل الفقهية من الآيات وعرض الخلاف فيها ، فقد يتعرض لذلك واحد منهم تحت أية من الآيات ولا يتعرض له الآخر .

وأما الأمثلة على تعرضهم للمسائل الفقهية ، فمنها ما قاله السمعاني فسي

(١) راجع مقدمة د . أبي دجانه على تفسير السمعاني ( ص ٣٠٠ - ٣٠٣ )

(٢) ( ٣٤١ - ٣٤٣ ) ، والبغوي ومنهجه في التفسير ( ص ١٣٤ - ١٣٧ ) ومنهج الزمخشري في تفسيره ( ١٧٩ - ١٨٤ )

(٣) مقدمة د . أبي دجانه ( ص ٣٠٠ - ٣٠٣ ) .

(٣) الزمخشري لغويا ومفسرا ( ص ٣١٧ ) ، ولا يعنى ذلك أن الزمخشري لا يعتمد على غيرهما ، بل بالعكس فإنه يستفيد من غيرهما من فقهاء الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم .



تفسير قوله تعالى : " فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر " (١).

قال : قال داود وأهل الظاهر : يجب على المسافر صوم عدة أيام آخر وان صام رمضان ، قولاً بظاهر الآية ، والجمهور على أن فيه إضماراً تقديره : فأفطر فعدة من أيام آخر .

ثم اختلفوا في حد المرض الذى يبيح الفطر ، فقال داود وأهل الظاهر هو ما ينطبق عليه اسم المرض ، وهو قول ابن سيرين من السلف .

وقال الحسن : هو المرض الذى يجوز معه الصلاة قاعداً .

ومذهب الشافعى : هو المرض الذى يخاف من الصوم معه الزيادة فى

المرض .

فأما حد السفر الذى يبيح الفطر اختلفوا فيه : فقال داود ومن تبعه : هو ما ينطبق عليه اسم السفر ، ومذهب الشافعى : أنه مسافة القصر ستة عشر فرسخاً ، ومذهب أبى حنيفة رضى الله عنه : أنه مسيرة ثلاثة أيام كما فى القصر " (٢) .

ونرى البغوى أنه لم يتعرض لهذه المسائل فى تفسيره عند الآية المذكورة وأما الزمخشرى فتعرض لبعضها وزاد عليها أخرى ، فإنه قال :

" فعدة من أيام آخر " ، وهذا على سبيل الرخصة ، وقيل : مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدة من أيام آخر ، واختلف فى المرض المبيح للإفطار ، فمن قائل : كل مرض ، لأن الله تعالى لم يخص مرضاً دون مرض ، كما لم يخص سفراً دون سفر ، فكما أن لكل مسافر أن يفطر ، فكذلك كل مريض ، .

وعن ابن سيرين أنه دخل عليه فى رمضان وهو يأكل ، فاعتل بوجع أصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمذ الشديد أو الصداع المضر ، وليس به مرض يضجعه ، فقال : انه فى سعة من الإفطار ، وقائل هو المرض الذى يعسر معه الصوم ، ويزيد فيه لقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر " (٣) .

وعن الشافعى لا يفطر حتى يجهد الجهد غير المحتمل " .  
واختلف أيضاً فى القضاء ، فعامة العلماء على التخيير ، وعن أبى عبيدة

(١) سورة البقرة الآية ١٨٤ .

(٢) تفسير السمعى ١/٣٢٨ - ٣٣٠ ( بتحقيق د . أبى دجانه ) .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

ابن الجراح رضى الله عنه إن الله لم يرخص لكم فى فطره ، وهو يريد أن يشق عليكم فى قضاة ، ان شئت فواتر وان شئت ففرق ، وعن على وابن عمر وغيرهم أنه يقضى كما فات متابعاً <sup>(١)</sup> .

ونلاحظ أن السمعاني كثيراً ما يشير إلى المسائل الفقهية أثناء تفسيره للآيات ، ويبين من استدل بها من الأئمة ، ثم يتجاوزها دون الخوض فى ذكر الخلاف ، كما فعل ذلك عند قوله تعالى : " ألم نجعل الأرض كفاتاً <sup>(٢)</sup> " حيث تعرض لمسألة قطع النباش <sup>(٣)</sup> ، فقال : عن يحيى بن سعيد وربيعة : أن النباش يقطع إذا أخرج الكفن من الحرز <sup>(٤)</sup> ، وقرأ قوله تعالى : " ألم نجعل الأرض كفاتاً ، أحياءاً وأمواتاً " <sup>(٥)</sup> .

ونلاحظ هنا أيضاً أن البغوى لم يتعرض لهذه المسألة ، وتعرض لها الزمخشري فقال : وقد استدل بعض أصحاب الشافعى رحمه الله على قطع النباش ، بأن الله تعالى جعل الأرض كفاتاً للأموات ، فكان بطنها حرزاً لهم فالنباش سارق من الحرز <sup>(٦)</sup> .

ومما تعرض له السمعاني من مسائل الأحكام تحديد ليلة القدر ، وقد أطلال فيه النفس ، بحيث ذكر الأقوال فى ذلك عن الصحابة والتابعين وغيرهم من أئمة السلف ، وما يوجد على كل قول من الأدلة ، ثم قام بالترجيح ، إذ قال : وأصح الأقاويل وأشهرها : أنها ليلة السابع والعشرين ، ومن قام العشر أدركها قطعاً وحقيقة <sup>(٧)</sup> .

وقد تعرض البغوى لهذه المسألة فى تفسيره ، ولكن ليس بالتفصيل الذى تعرض لها به السمعاني . فقال : والجمهور من أهل العلم على أنها فى

- ( ١ ) الكشاف ١ / ١١٣ .  
 ( ٢ ) سورة المرسلات الآية ٢٥ .  
 ( ٣ ) هو من نبش الموتى ، أى : استخراجهم بعد الدفن - والمقصود هنا الذى يخرج الموتى من قبورهم ليسرق أكفانهم - انظر لسان العرب ٣٥٠ / ٦ .  
 ( ٤ ) كذا العبارة فى الأصل ، ولعله وقع فيها سقط .  
 ( ٥ ) تفسير السمعاني ( ص ٣٢٧ من القسم المحقق ) .  
 ( ٦ ) الكشاف ٤ / ١٧٤ .  
 ( ٧ ) تفسير السمعاني ( ص ٩٥٧ - ٩٦٣ من القسم المحقق ) .

شهر رمضان ، واختلفوا في تلك الليلة - قال أبو زرين العقيلي : هي أول ليلة من شهر رمضان ، وقال الحسن : ليلة سبع عشرة . وهي الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ، والصحيح الذي عليه الأكثرون : أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان <sup>(١)</sup> .

وأما الزمخشري فقد أشار إليها إشارة خفيفة ، حيث قال : واختلفوا في وقتها ، فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها <sup>(٢)</sup> .

ولا يفهم مما تقدم عن البغوى أنه قليل التعرض للمسائل الفقهية ، بل هو قد يفوق السمعاني والزمخشري في هذا الجانب - فقد ذكرت السيدة / عفاف أن اهتمام البغوى بالأحكام الفقهية خلال التفسير يفوق اهتمامه بمسائل وقضايا العقيدة - ولعل ذلك يرجع إلى شغفه وحنانيته بالفقه ، ومن مظهر اهتمامه بالأحكام الفقهية عقده فصولاً لتلك الأحكام - كما عقد فصلاً في قدر الصداق وفيما يستحب منه ، ذكر فيه أقل المهر وأكثره معتمداً في ذلك على الأحاديث النبوية ، وذاكراً لآراء الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب <sup>(٣)</sup> .

وكذلك ذكر عند قوله تعالى : " وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ... الْآيَةَ " اختلاف الصحابة في المال الذي يعتبر كتماً ، فأورد عنهم ثلاثة أقوال : أحدها : وهو رأى ابن عباس وابن عمر أن كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفوناً ، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن لم يكن مدفوناً - والرأى الثانى : وهو لعلى بن أبى طالب ، كل ما زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أدبىت الزكاة أو لم تؤد ، والرأى الثالث : كل ما فضل عن الحاجة فهو كنز ، ثم قام بالترجيح فقال : والقول الأول أصح ، أن الآية في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال " ، واستدل على اختياره بحدِيثين ، ويقول عمر وابنه " . وهكذا يسهب البغوى في تعريضه للمسائل الفقهية ، ويخوض في ذكر الخلاف فيها وكيف لا يبرز اهتمامه في هذا الجانب وهو من كبار العلماء في المذهب الشافعى

(١) تفسير البغوى ٤ / ٥١٠ .

(٢) الكشاف ٤ / ٢٢٥ .

(٣) تفسير البغوى ١ / ٤١٣ - ٤١٤ . وانظر أيضاً البغوى ومنهجه فى

التفسير ( ص ١٣٤ ) .

(٤) سورة التوبة آية ٣٤ .

(٥) تفسير البغوى ٢ / ٢٨٧ - ٢٨٨ .

وله مؤلفات يعتمد عليها أصحاب المذاهب مثل : التهذيب وغيره . وأما المعاني فهو - وان كان من علماء المذهب الشافعي - وجه اهتمامه إلى انتصار العقيدة السلفية والدفاع عنها ، والرد على الطوائف المنحرفة ، فبرز اهتمامه بالمسائل العقدية أكثر من اهتمامه بالمسائل الفقهية .

وأما الزمخشري فلعله أقلهم تعرضاً للمسائل الفقهية ، لأنه صرف كل همته إلى خدمة العقيدة الاعتزالية ، وتطبيق القرآن على الأصول الخمسة التي يقوم عليها مذهب الاعتزال ، كما صرفها أيضاً في إبراز النكت البلاغية والبيانية في القرآن ، ومع ذلك لا يخلو تفسيره من اتسباط المسائل الفقهية والكلام عليها<sup>(١)</sup> .

### البلاغة :

يبقى بعد هذا كله جانب مهم من جوانب المقارنة ، ألا وهو الجانب البلاغي . وأعتقد أن الكلام في هذا واضح جداً ، بحيث أن الكل يعرف بأن الزمخشري - لبروزه وتقدمه في علم البلاغة - وجه شيئاً كبيراً من اهتمامه إلى الناحية البلاغية في القرآن . بل وضع أساس تفسيره على علم المعاني والبيان كما نجده ينوه بهما في مقدمة تفسيره ، حيث ذكر أنه لا يمكن التصدي لتفسير كتاب الله تعالى ولا سلوك طريقه والغوص على حقائقه إلا لرجل برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان .

وكذلك جاء في وصفه للقرآن أنه الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان<sup>(٢)</sup> .

ومن ثم نراه أنه أكثر إلى حد المبالغة في إبرازه لما يرى في القرآن من وجوه بلاغية - قال الدكتور الذهبي : عند ما يلقي الإنسان نظرة فاحصة على العمل التفسيري الذي قام به الزمخشري في كشفه ، يظهر له من أول وهلة أن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية كان في تبين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته ، والإتيان بأقصر سورة من مثله ، والذي يقرأ ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من الآيات

(١) من أراد مزيداً من الأمثلة في هذا الجانب ، فليرجع إلى مقدمة أبي دجاجة على تفسير المعاني ( ص ٣٠٠ - ٣٠٣ ، ٣٤١ - ٣٤٣ ) والبلغوي ومنهجه في التفسير ( ص ١٣٤ - ١٣٧ ) ومنهج الزمخشري في تفسيره ( ١٧٩ - ١٨٤ ) .

(٢) الكشاف ٣/١ . وانظر أيضاً منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ٢١٦ ) .

من ضروب الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى ، يرى أن الزمخشري كان يحرص كل الحرص على أن يبرز في حلة بديعة جمال أسلوبه وكمال نظمته وإنما لنكاد نقطع - إذا استعرضنا كتب التفسير وتأملنا مبلغ عنايتها باستخراج ما يحتويه القرآن من ثروة بلاغية في المعاني والبيان - بأنه لا يوجد تفسير أوسع مجالاً في جهوده في هذا الصدد من تفسير الزمخشري .<sup>(١)</sup> ومن إفراطه ومبالغته في تناول المباحث البلاغية في تفسيره . لكتاب الله تعالى أنه قلما ترك مصطلحاً من المصطلحات البلاغية بأنواعها الثلاثة : ( المعاني ، والبيان ، والبديع ) إلا وقد طبقه على الآيات القرآنية - ويبدو أن لهذا الإفراط والمبالغة أسباباً - منها ما تقدم أن ذكرناه ، وهو أنه كان متمكناً من علم البلاغة ومتفوقاً فيه<sup>(٢)</sup> ، ومنها أنه كان يعتقد بأن إعجاز القرآن من جهتين - من جهة نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيبي .<sup>(٣)</sup>

ولكنه يرى أن إعجاز نظم القرآن هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدى ، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر<sup>(٤)</sup>

ويقول أيضاً في تنويهه : وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم ولا بقيت محتجبة في أكمامها\* .<sup>(٥)</sup>

وعلى هذا أولى عناية فائقة لدراسة نظم القرآن وتبيين وجوه بلاغته . ومنها أيضاً أنه استطاع بذلك أن يلوى النصوص القرآنية حسب معتقداته وآرائه - كما سنرى ذلك في بعض الأمثلة .  
وأما الأمثلة على تناوله للمباحث البلاغية في تفسيره :  
فمن مسائل علم المعاني أنه قال في تفسير قوله تعالى : " بل يدها مبسوطتان"<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) التفسير والمفسرون (١/٤٤٣) .  
(٢) مما يدل على تفوقه أن له آراءً ينفرد بها في هذا المجال ، رجع إليها علماء البلاغة المتأخرون من بعده . انظر الزمخشري لغويًا ومفسرًا (ص ٢٠٥) .  
(٣) الكشاف ١٩١/٢ .  
(٤) المصدر السابق ٤٣٣/٢ ، وقد تعرض الزكشى في البرهان (٢/٩٣-١٠٦) لذكر الخلاف الواقع في تحديد الوجوه في إعجاز القرآن ، فذكر أكثر من عشرة أقوال ، ثم قال في الأخير : ان الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده ، وعزا هذا القول إلى أهل التحقيق .  
(٥) الكشاف ٣٥١/٣ .  
(٦) سورة المائدة الآية ٦٤ .

فإن قلت : لم ثبت اليد في قوله تعالى : " بل ينداه مبسوطان " ، وهي مفردة في : " يد الله مغلولة " (١) ؟ ، قلت : ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ، ونفى البخل عنه ، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً ، فبنى المجاز على ذلك " . . . (٢)

ومنها أيضاً أنه قال : فإن قلت : ما فائدة تكرير قوله : " فذوقوا عذابي ونذر ، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " (٣) ؟ ، قلت : فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبي من أنبياء الأولين إداراً وتمعظاً ، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ، وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم اللهو ، ولا يستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله : فبأى آلاء ربكما تكذبان " عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمن ، قوله : " ويل يؤمئذ للمكذبين " ، عند كل آية أوردّها في سورة المرسلات . . . (٤)

ومن مسأله أيضاً تناوله للالتفات عند قوله تعالى : " إياك نعبد وإياك نستعين " (٥) ، حيث بين أنواعه وفوائده ووجوده في كلام العرب . (٦)

وأما من مسائل البيان القرآني فتناوله للمجاز في قوله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتديين " (٧) فإن قلت : كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها ؟ قلت : هو من الإسناد المجازي ، وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له ، كما تلبست التجارة بالمشتري . (٨)

- 
- (١) سورة المائدة الآية ٦٤ .  
(٢) الكشاف ٣٥١/١ ، وفي هذا دليل واضح لما قلته سابقاً بأن الزمخشري أفرط في إبراز وجوه البلاغة في القرآن ، لأنه يتذرع بها في بعض الأحيان على إثبات ما يراه ويعتقده ، فلما رأى أن اليد لا تستعمل في معنى القدرة ، استغل علم المعاني الذي تستعمل فيه المثناة أحياناً للتأكيد .  
(٣) سورة القمر الآية ٣٩ ، ٤٠ .  
(٤) الكشاف ٤٧/٤ .  
(٥) سورة الفاتحة الآية ٥ .  
(٦) الكشاف ١٠/١ .  
(٧) سورة البقرة الآية ١٦ .  
(٨) الكشاف ٣٧/١ .

علما بأن الزمخشري لا يشغل بالمجاز إلا في الآيات التي يعارض ظاهرها  
مبادئ المعتزلة ، فيتعلق بحبل المجاز قصداً للخروج من المأزق .<sup>(١)</sup>

ومما تعرض له كثيراً من مسائل البيان هو التمثيل والتخييل ، فجعل  
قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ  
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ . . . الآية " .<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً  
من خشية الله " . من باب التمثيل والتخييل ، وأفاض في شرح ذلك .<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>

وأما من أساليب البديع ، فقال عند قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا مِنْ سِبْأِ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ هَٰذَا مِنْ جِنْسِ الْكَلَامِ الَّذِي يَسْمِيهِ الْمَحْدَثُونَ الْبَدِيعَ ، وَهُوَ  
مِنْ مَحَاسِنِ الْكَلَامِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ ، بِشَرْطِ أَنْ يَجِيءَ مَطْبُوعاً أَوْ يَصْنَعُهُ  
عَالِمٌ بِجَوْهَرِ الْكَلَامِ ، يَحْفَظُ مَعَهُ صِحَّةَ الْمَعْنَى وَسَدَادَهُ . . . فَأُبْرَزَ فِيهِ الْجِنَاسُ .<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>

وكذلك تعرض من مسائل البديع للمشاكلة ، كما نشاهده في تفسيره لقوله  
تعالى : " ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها " <sup>(٧)</sup> ، حيث  
جعله من باب المشاكلة .<sup>(٨)</sup>

وهكذا يعرض لأساليب أخرى من المعاني والبيان والبديع ، وما أتينا به  
هنا ، فهو بعض التماذج منها ، ومن أراد مزيداً من الإطلاع على تناولها  
للمباحث البلاغية ، فليرجع إلى كتاب منهج الزمخشري في تفسيره ،<sup>(٩)</sup> وكتاب  
الزمخشري .<sup>(١٠)</sup>

- 
- (١) منهج الزمخشري في تفسيره ( ص ٢٥٠ ) .  
(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .  
(٣) سورة الحشر الآية ٢١ .  
(٤) الكشاف ١٠٣/٢ ، ٨٤/٤ ، وقد اشتد إنكار ابن المنير على إطلاق  
الزمخشري لكلمة التخييل على كلام الله ، لأنه لم يرد به سمع ، وإنه  
سوء أدب في الإطلاق ، وبعد في الإصرار فإن التخييل لا يستعمل  
إلا في الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق ، انظر الانتصاف ( ١٥٢/١ ) .  
(٥) سورة النمل الآية ٢٢ .  
(٦) الكشاف ١٣٩/٣ .  
(٧) سورة البقرة الآية ٢٦ .  
(٨) الكشاف ٥٤/١ .  
(٩) ص ٢٢٠ وما بعدها .  
(١٠) ص ٢٠٥ - ٢٣١ .

وإذا نظرنا في تفسير السمعاني والبغوى ، فلا نجد هما يكثران من تناول المباحث البلاغية وإبراز الوجوه البلاغية في تفسيرهما للقرآن ، كما فعل الزمخشري في تفسيره ، حيث طبق أغلب المصطلحات البلاغية على آيات القرآن إلا أنهما لم يغفلا الإشارة إلى المسائل البلاغية بصورة سريعة تعين على فهم المعنى المراد من الآيات دون تعمق أو توسع في إيراد المصطلحات ، بل يكفي عندهما من ذلك مقدار ما يكشف عن معنى الآية في السياق القرآنى وذلك للكشف خاصة عن دقة التعبير وبيان الأسلوب الرائع المعجز .<sup>(١)</sup>

وأما الأمور البلاغية التي تعرض لها بالإشارة كل منهما خلال تفسيره للآيات فمنها : بيان أنواع الاستفهام في القرآن الكريم من الإنكارى والتقريرى .

فقال السمعاني عند تفسيره لقوله تعالى : " أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَن فِي النَّارِ " <sup>(٢)</sup> ، أى : لا تنقذه " .<sup>(٣)</sup>

وقال البغوى عند تفسير الآية المذكورة : " أى لا تقدر عليه " <sup>(٤)</sup> وكذلك قال السمعاني في تفسير قوله تعالى : " أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى " ،<sup>(٥)</sup> أى : لا تسمع ولا تهدي " .<sup>(٦)</sup>

هذا من الاستفهام الإنكارى ، وأما الاستفهام التقريرى : فمنه ما ذكره كل واحد منهما عند قوله تعالى : " هل أتى على الإنسان حين من الدهر " <sup>(٧)</sup> أى : قد أتى <sup>(٨)</sup>

ومنه ما قاله السمعاني في تفسير قوله تعالى : " أليس ذلك بقادر على

- (١) هذا ما قرره السيدة / عفاف ، بالنسبة للبغوى في كتابها " البغوى ومنهجه في التفسير " ص ١٨٢ - ١٨٨ ، وأنا أقرر ذلك بالنسبة لتفسير السمعاني في ضوء ما تبين لى من خلال استعراضى له .
- (٢) سورة الزمر الآية ١٩ .
- (٣) تفسير السمعاني مخطوط ١٧٢/٢ الأزهرية .
- (٤) تفسير البغوى ٧٥/٤ .
- (٥) سورة الزخرف الآية ٤٠ .
- (٦) تفسير السمعاني مخطوط ١٩٨/٢ ب الأزهرية .
- (٧) سورة الانسان الآية ١ .
- (٨) انظر تفسير السمعاني ( ص ٢٤٦ ) من القسم المحقق ) وتفسير البغوى ٤٢٦/٤ .



أن يحيى الموتى" (١) : يعنى هو قادر . (٢)

كما نبه كل منهما إلى فائدة التكرار في القرآن الكريم :  
فذكر السمعاني الفائدة في تكرر قوله تعالى : " فبأى آلاء ربكما تكذبان "  
في سورة الرحمن ، فقال : إنه لما كرر ذكر النعم في تلك السورة ، كرر الزجر  
على كفرانها والنهي عنها بقوله " فبأى آلاء ربكما تكذبان " ، ولما كرر ذكر الآيات  
في هذه السورة ( يقصد سورة المرسلات ) لإقامة الحجج عليهم ، كرر ذكر  
العقوبة عليهم بذكر الويل ليكون أبلغ في الإنذار والإعذار ثم ذكر أن ذلك  
موجود في كلام العرب . (٣)

وذكر البغوي الفائدة في التكرار في سورة الرحمن فقال :  
" وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنعمة ، وتأكيذاً في التذكير بها  
على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع ، يعدد على الخلق آلاءه ، ويفصل بين كل  
نعمتين بما ينبههم عليها . . . " ، ثم ذكر أن مثل هذا موجود في كلام العرب . (٤)

ويلاحظ أن السمعاني والبغوي اختلفا في ذكر الفائدة في تكرر قوله  
تعالى : " فبأى آلاء ربكما تكذبان " ، حيث ذكر السمعاني : المقصود الزجر  
على كفران هذه النعم ، والنهي عنه ، بينما قرر البغوي : أن المقصود تقرير  
النعمة والتأكيد في التذكير بها ، وهذا وإن كان مختلفاً في الألفاظ ، ولكنه  
يعود في الحقيقة إلى شيء واحد وهو عدم كفران النعمة .

ونرى السمعاني أنه تعرض لمسألة الإطناب في قوله تعالى : " إياك نعبد  
وإياك نستعين " ، حيث قال : وأما قوله " إياك نستعين " إنما كرره لأنه  
لواقتصر على قوله : إياك نعبد ونستعين ليعلم أنه المعبود وأنه المستعان  
على أن العرب قد يتكلم بمثل هذا ، ويدخل في الكلام تجزياً وتفخيماً وتعظيماً  
ولا يعد ذلك عيباً كما تقول العرب : هذا المال بين زيد وبين عمرو ، وإن كان  
يفيد قولهم : " المال بين زيد وعمرو " ما يفيد الأول ، ولا يعد ذلك عيباً في  
الكلام ، بل عد تفخيماً وتجزياً في الكلام " . (٥)

- 
- (١) سورة القيامة الآية ٤ .  
(٢) تفسير السمعاني ( ص ٢٤٤ من القسم المحقق ) .  
(٣) تفسير السمعاني ( مخطوط ٢/٢٥٢ ب نسخة الأزهرية ) . ص ٣٤١  
من القسم المحقق .  
(٤) تفسير البغوي ٤/٢٧٢ .  
(٥) تفسير السمعاني ١/١٥-١٦ بتحقيق د . أبي دجاجة .

كما نراه أنه تناول أسلوب التمثيل في تفسير قوله تعالى : " وبلغت القلوب الحناجر " <sup>(١)</sup> ، فقال : والأصح من المعنى أن هذا على طريق التمثيل ، والعرب تقول : بلغ قلب فلان حنجرتة ، أى : من الرعب والخوف ، وهو عبارة عن شدة الفزع " <sup>(٢)</sup> .

وهكذا تناول البغوى أيضا أسلوب فى الآية المذكورة فقال : وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف " <sup>(٣)</sup> .

وعرض السمعاني لمسألة مهمة من المسائل المتعلقة بالبيان ، وهى مسألة المجاز ، فقال فى تفسير قوله تعالى : " وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن " <sup>(٤)</sup> : فإن قال قائل : كيف برجال الجن والجن لا يسمون رجالاً ! : والجواب : قلنا : يجوز على طريق المجاز ، وقد ورد فى بعضه أخبار العرب فى حكاية : أن قوماً من الجن قالوا : نحن أناس من الجن فإذا جاز أن يسموا أناساً جاز أن يسموا رجالاً " <sup>(٥)</sup> .

وهناك إشارات أخرى بلاغية سجلها كل منهما فى تفسيره بصورة سريعة وسهلاً مسأ خفيفاً دون تعمق وتوسع فى ذلك .

ومن خلال هذا العرض الموجز نستطيع أن نقول : ان الزمخشري يتفوق السمعاني والبغوى فى عرض المسائل البلاغية وإبرازه لوجوه الإعجاز القرآنى المتعلقة بالمعاني والبيان ، بحيث أنه دخل فى حد الإفراط والمبالغة فيها وأما السمعاني والبغوى فلم يغفلا هذا الجانب ، ولكنهما لم يتوسعا فيه توسع الزمخشري ، بل اقتصرا من ذلك على ما يوضح المعنى للآية ، ويكشف عن دقة التعبير وروعة الأسلوب فى البيان القرآنى .

ولا يخفى أيضا أن الزمخشري قد استغل ما يسميه : بعلمى المعانى والبيان ، فى سبيل خدمة العقيدة الاعتزالية ، وتذرع بالفروض المجازية وأسلوب التمثيل والتخييل لاستبعاد ظاهر الآيات فى القرآن . ومن ذلك أننا نراه يذكر فى تفسير قوله تعالى : " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ " <sup>(٦)</sup> أربعة أوجه ، وقال فى أول هذه الأوجه : أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبطته وسعته ، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ، ولا كرسى ثمة ولا قعود

(١) سورة الأحزاب الآية ١٠ .

(٢) تفسير السمعاني مخطوط ٢ / ١٢٤ / ب الأزهرية .

(٣) تفسير البغوى ٣ / ٥١٦ .

(٤) سورة الجن الآية ٦ .

(٥) تفسير السمعاني ( ص ٢٣ من القسم المحقق ) .

(٦) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

ولا قاعد ، كقوله : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ " (١) ، من غير تصور قبضة وطى ويمين ، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه ، وتمثيل حسي ، ألا ترى إلى قوله : " وما قدروا الله حق قدره " . (٢)

ولعل القارئ يدرك معنى ما يشتمل عليه هذا الكلام من الجرأة في لى النصوص حسب هواه ومرضاته ، وأين الدكتور الذهبي من هذا الكلام حتى يصف الزمخشري بما يصفه من الأوصاف المميزة - أهذه تسمى حلة بدیعة !؟ - وهي تشتمل على ما تشتمل من الجرأة على الله تعالى ، وإنكار الحديث الصحيح فقد ثبت في تفسير قوله تعالى : " وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . الآية " حديث صحيح قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ، ثم يطوى الله الأرضين ، ثم يأخذهن بيده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الجبار ، أين المتكبرون " (٣) . وقد رد عليه ابن المنبر فقال : قوله : " ان ذلك تخييل للعظمة ، سوء أدب في الإطلاق ، وبعيد في الإصرار ، فإن التخييل إنما يستعمل في الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق " . (٤)

وهكذا يستعمل ما يسميه الناس بالوجوه البلاغية في استخدام أغراضه الخفية ، - وبهذا ننتهى إلى ختام هذا الفصل الذى قمنا فيه بالمقارنة بين السمعاني والبلغوى والزمخشري في نقاط ، يمكن أن تكون واحدة منها صالحة لأن تفرد فيها رسالة مستقلة ، ومع هذا حاولت أن أعطي كل نقطة من نقاط المقارنة ما تستحقه من البحث والدراسة . وإذا نصل إلى ختام هذا الفصل أريد أن أقرب بأن تفسير السمعاني كتاب مهم من كتب التفاسير السنية السلفية التى تجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول ، والصفة الغالبة عليه هى الرواية والنقل عن أئمة التفسير من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ومن المستحسن جداً أن يطبع هذا الكتاب ليصل إلى أيدي الناس ، فإنه لا يقل فى الأهمية عن كثير من كتب التفاسير المطبوعة المتداولة ، بل قد

(١) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٢) الكشاف ١٥٣/١ - ١٥٤ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صفة القيامة (١٣/١٧) ، وأبوداود فى

سننه . كتاب السنة باب فى الرد على الجهمية ١٠٠/٥ رقم ٤٧٣٢ (

من حديث ابن عمر .

(٤) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ١٥٣/١ .

يفضلها في بعض الجوانب .

ثم ان السمعاني والبغوى يجمعهما قدر مشترك بينهما في كثير من الأمور منها العقيدة والمذهب والعصر والبلد وغير ذلك مما جعلهما يلتقيان بعض الأحيان في تفسيريهما التقاء يوهم بأن أحدهما أخذ من الآخر ، ولذلك نرى الدكتور أبا دجانة يقرر في مقدمته على تفسير السمعاني أحد أمرين ، أولهما : أن البغوى استفاد من تفسير السمعاني ، ولكنه لم يصرح بذلك ، والثانى : أن هناك مصدراً آخر أفاد منه السمعاني والبغوى معاً <sup>(١)</sup> ، ويظهر لى أن الثانى هو الراجح ، فإن لكل واحد منهما فى تفسيره ما يبرز شخصيته ويعين استقلاله عن الآخر .

ثم ان تفسير البغوى - مع كونه مختصراً من تفسير الثعلبى - له صفة مستقلة وشخصية مميزة عن تفسير الثعلبى وغيره ، إلا أنه قد بقى فيه من بقايا تفسير الثعلبى ، من المرويات المنكرة والتأويل لبعض صفات الله تعالى .

وأما الكشاف فهو تفسير معتزلى ، يعتبر من أهم المصادر لمعرفة عقائد الاعتزال وآراء المعتزلة ، ومع هذا فإنه يشتمل على كثير من الصفات المميزة منها ما يتعلق باللغة ولسان العرب ، ولكن لا ينبغى قراءته إلا لمن هو متمكن من العقيدة الصحيحة ، وله معرفة بأساليب المعتزلة .

هذا والله أعلم بالصواب ،،،

( ١ ) مقدمته على تفسير السمعاني ( ص ٣٦٤ ) .

## " الباب الثالث "

### الفصل الأول : التعريف بالكتاب

مما يتطلب الأمر في مجال التحقيق أن يقدم المحقق للقارئ دراسة وافية عن الكتاب الذي هو في صدد تحقيقه - بحيث يبين فيها منهج المؤلف وطريقته في تأليفه لهذا الكتاب - ويقدم تعريفا كاملا للكتاب مع بيان أهميته ومكانته وماله من حسنات وما عليه من مآخذ ، ليكون الناظر فيه على بينة ممن أمره حين يحيل النظر فيه .

ومن المعلوم أن الدكتور أبا دجانة قد سبقنا إلى الكثير من ذلك ، لم يبق لنا مجال للكلام كثيراً ، ومع ذلك أرى من الضرورة بمكان أن أقوم بدراسة الكتاب ، وأقدم إلى القراء في ذلك ما يتضح لي من خلال الرؤية العلمية له فأتكلم فيما يلي على بعض النقاط التي أراها لازمة .

أولاً : اسم الكتاب وتوثيق نسبه إلى المؤلف :

لم يصرح المؤلف في مقدمة تفسيره ولا في غيرها من المواضع بما سمي به هذا الكتاب ، مما يدل على أنه لم يحدد لكتابه اسماً ، وهذا ديدن كثير من المؤلفين القدامى ، حيث أنهم لا يولون كثيراً من اهتمامهم لتسمية مؤلفاتهم بأسماء محددة ومعينة ، حتى رأينا البعض منهم ألف كتاباً قيماً ولكنه أبى أن ينسب تأليفها إلى نفسه ، مما يدل على الزهد في الدنيا وعدم الرغبة في الشهرة .

وعلى كل : لم أعر على تصريح من المؤلف ولا من غيره ممن ترجم له يسدل على اسمه المحدد ، والذي وجدناه على طرة الكتاب هو : " تفسير السمعاني " وقد ذكره كل من ترجم له بهذا الاسم أو قريب منه ، فقالوا : " صنف التفسير " أو " له تفسير " أو " له تفسير القرآن الكريم " . وهذا بالإضافة إلى دلالة على عدم تسميته باسم محدد يؤكد توثيق نسبة الكتاب إليه ، لأن أكثر من واحد ممن ترجم له صرح بأن له مصنفاً في تفسير القرآن الكريم . كما سيأتي ذكرهم عند ما نتعرض لثناء العلماء على هذا التفسير .

ثانياً : منهج المؤلف وطريقته في تأليفه :

وقد تقدم أثناء المقارنة بين التفاسير الثلاثة ما يوضح للقارئ منهج المؤلف وطريقته في تأليفه لهذا الكتاب ، لاسيما أنني حاولت عند الكلام على تفسير

السمعاني أن آتى بتفصيل أكثر من غيره ، ومع ذلك أود أن أوضح في هذا المبحث بعض الأمور التي لم يتيسر لنا الكلام عنها حينذاك .

وقد تبين لي من خلال معاشتي مع هذا الكتاب أن الإمام السمعاني لم يأت بشيء جديد ينفرد به عن سبقه من المفسرين ، بل نجده يدور معهم ولا يخرج عن دائرتهم - اللهم إلا ما اختاره من أسلوب في العرض والبيان ومناقشة الآراء - وعدم إتيانه بشيء جديد لا يعتبر مخلصاً بأهمية الكتاب أو مقلداً من شأن المؤلف ، لأن من وظيفة المفسر الذي يلتزم في تفسيره لكتاب الله تعالى بالمأثورات أن يقيد نفسه مع أولئك الذين سبقوه في هذا المجال من الصحابة والتابعين وأئمة السلف .

ولا يفهم من كلامي أن المؤلف لم يتسخدم في كتابه عقله ورأيه سوى مجرد النقل ، بل بالعكس اعتمد على عقله واجتهاده في الحدود التي أجازها علماء الشرع في كثير من الأمور ، منها قيامه بالترجيح والاختيار بين الأقوال فمن عادته في أغلب الأحيان أنه يبين صحة الأقوال وعدم صحتها ، أو ما هو معروف منها وما هو غير معروف .

ومنها أيضاً قيامه بمناقشة الآراء ، ولا سيما آراء المخالفين للعقيدة الصحيحة من المعتزلة والجبرية والخوارج والرواض وغيرهم ، كما نراه أنه ناقش السابقين من المفسرين في بعض المسائل ، وضعف آرائهم ، وعلى سبيل المثال أنه ناقش مجاهداً فيما فسره قوله تعالى : " إلى ربها ناظرة " <sup>(١)</sup> ، لأنه قال في تفسير هذه الآية : إلى ثواب ربها ناظرة ، فضعف السمعاني هذا القول في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة واللفظة . <sup>(٢)</sup>

وكذلك ناقش ابن جرير في مسألة فقهية ، ورد عليه مستدلاً بالأحاديث النبوية . <sup>(٣)</sup>

ومن طريقة السمعاني في تفسيره أنه إذا تقدم تفسير آية أو توضيح كلمة لا يكرره إذا جاءت نفس الآية أو نفس الكلمة أو يقاربها مرة أخرى ، ويقتصر في مثل ذلك بقوله : " قد بينا " ، وهذا يعتبر من دقة المؤلف في التأليف ، وهو من مقتضيات المنهج العلمي للبحث ، وأنا حاولت في مثل هذه الحالات إحالة

( ١ ) سورة القيامة الآية ٢٣ .

( ٢ ) تفسير السمعاني ( ص ٢٣١ من القسم المحقق ) .

( ٣ ) تفسير السمعاني ( ١ / ١١٣ / ١ نسخة الأزهرية ) .

القارئ إلى الموضوع الذي تقدم فيه تفسيرها وتوضيحها ببيان الصفحة أو الورقة .  
ومن عادته أيضا أنه عندما تكون الآية أو الكلمة واضحة يكتفى بقوله : معلوم  
أو ظاهر المعنى ، ولا يطيل فيه الكلام . ونلاحظ أنه يتناول أثناء تفسيره  
للآيات أغلب المفردات الواردة فيها بالشرح والإيضاح .

ومن طريقته أيضا أنه إذا اشتملت آية من الآيات على إشكال - من أي نوع  
كان - يبين هذا الاشكال ، ثم يقوم بإزالة هذا الاشكال بغاية من الجودة  
والوضوح ، ويستخدم في ذلك غالباً طريقة السؤال والجواب ، " ان قلت . . . .  
قلت . . . . " ، وهي من أحسن الطرق في العرض والبيان ، لأنها تساعد  
القارئ على الفهم والاستيعاب .

والصفة الغالبة في تفسيره التجنب عن الإطالة والخوض في عمق المسائل  
والإيجاز التام ، بحيث يراعى فيه المؤلف إيضاح المعنى ، فلا يكون من قبيل  
الاختصار المخل .

ثالثاً : بعض المآخذ على الكتاب :

من الأمور المسلمة أن الإنسان مهما بلغ في العلم والمعرفة فهو معرض للخطأ والنسيان  
فإن الكمال لله وحده .

ومن هذا المنطلق نرى أن الإمام السمعاني - إلى جانب اتصافه بكثير من  
الصفات المميزة - لم يحالفه الصواب في بعض الأمور ، وإن كانت هذه الأمور التي  
أخطأ فيها المؤلف لم ينفرد بها هو وحده ، بل هي قدر مشترك بين كثير من  
المفسرين ، ومع هذا لا نرى أن ذلك يقلل من مسئوليته ، لأنه حينما خالفهم  
في بعض المسائل المهمة ، كالعقيدة وغيرها ، كان أقدر على مخالفتهم في  
تلك الأمور التي ان لم تكن لتقل من أهمية الكتاب ، فإنها تعتبر من المآخذ عليه  
ونجمل فيما يلي بعض تلك الأمور التي بدا لي أن الصواب لم يحالف فيها  
المؤلف :

أولاً : إيراد الروايات الضعيفة الشديدة الضعف والمنكرة والأخبار  
الاسرائيلية بدون تعقيب عليها .

ثانياً : عدم قيامه بالترجيح والاختيار في بعض الأحيان .

ثالثاً : عدم تركيزه على بيان سبب الترجيح والاختيار عندما يختار قولاً من  
الأقوال ، وكذلك عدم تركيزه على سبب التضعيف ، فإنه يكتفى على قوله :

" لا يصح " ، أو " غير معروف " ، أو عبارة في هذا المعنى عند التضعيف وعلى قوله : " المعروف " ، أو " الأصح " ، أو " الصحيح " ، أو مثلها من العبارات عند الاختيار والترجيح .

رابعاً : انه في بعض الأحيان يورد الأقوال دون عزو إلى أصحابها ، وهو مما يخالف منهج التفسير بالمأثور .

وكذلك انشاده لبعض الأبيات دون عزو إلى قائلها ، يعتبر مما يخل في شأن الكتاب وأهميته ، لأن الاستشهاد بالأبيات لا يتم إلا إذا عرف قائلها ، وهل هو من العصر الذي يجوز الاستشهاد بكلام أهله أم لا .

خامساً : اعتماده على بعض المصادر التي لا تصلح للاحتجاج بها ، مثل تفسير النقاش ، ومن الملاحظ أن المؤلف يكثر من الاستفادة منه ، فقد بلغ ذكره في القسم الذي حققته عشرات المرات ، علماً بأنه لا يستحسن الأخذ منه لما فيه من الغث والسمين .

سادساً : عدم تقديمه للكتاب بمقدمة يبين فيها الباعث على تأليفه لهذا الكتاب ومنهجه وطريقته ، والمصادر التي استخدمها في تأليفه ، كما نرى غيره من المفسرين فعلوا ذلك ، منهم البغوى والزمخشري .

سابعاً : قيامه في بعض الأحيان بتأويل الآيات التي ورد فيها ذكر الصفات لله تعالى ، كما نراه فعل ذلك عندما فسر المجيء في قوله تعالى : " وجاء ربك والملك صفا صفا " .<sup>(١)</sup>

اذ جعل هذه الآية من المتشابهات التي لا يعرفها إلا الله تعالى فيفوض علمها إليه سبحانه وتعالى ، ثم عزا هذا القول إلى السلف ، علماً بأن التفويض لم يكن قط مذهب للسلف ، لأنهم لا يقولون في آيات الصفات أنها يفوض علمها إلى الله تعالى ، وإنما يكتفون بمعرفة كتبها وكيفيتها إليه تعالى ، أما المعاني فهي معروفة في اللغة .

ثامناً : استشهاده في بعض الأحيان على تفسير الآيات بمنام بعض العلماء ورؤيائهم ، مع العلم بأن المنام لا ينهض حجة في أمر من أمور الدين سوى منام الأنبياء والرسل .

(١) سورة الفجر الآية ٢٢ ، وانظر تفسير السمعاني (ص ٧٤٢ القسم المحقق) .



(١) وكذلك إيرادها لبعض الحكايات التي وإن صحت لا اعتبار لها .

فهذه بعض الأمور التي ظهرت لى أن المؤلف لم يوفق فيها للصواب ولا يستبعد أن أكون أنا بنفسى مخطئاً فيما أخذته عليه وجعلته لم يحالفه فيه الصواب .

رابعاً : أهمية الكتاب وثناء العلماء عليه :

إن لكتاب الإمام السمعانى - مع ما يوجد فيه من بعض الملاحظات وكذلك مع ما يوجد فيه من عدم الابداع - أهمية عظيمة بين كتب التفاسير التي تجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول .

وتأتى أهميته من عدة جوانب - منها جانب العقيدة - فالسمعانى خدم فى كتابه العقيدة الإسلامية الصحيحة خدمة جليلة - فكلما مرت عليه مناسبة تتعلق بأمر من أمور العقيدة قام لها وانتصر وتحمس للدفاع عن جنابها ، كما أنه حاول إفحام المخالفين لها بالحجج القوية ، وتأتى أهميته أيضاً أنه حفظ فى مطاويه شيئاً كبيراً من نصوص الكتب المفقودة ، أو شبه المفقودة ، وقد وجدته أنه نقل فى القسم الذى حققته عن تفسير ابن جريج وتفسير اسحاق بن راهويه ، وصاحب النظم أبى على الجرجانى ، وهذه الكتب تعتبر من المفقودات ، كما ينقل عن أبى جعفر النحاس نصوصاً لا توجد فى كتابه المطبوع " اعراب القرآن " ، مما يدل على أنه نقل من كتابه المخطوط ، معانى القرآن " ، وينقل عن أبى الحسين بن فارس نصوصاً لا توجد فى كتبه المطبوعة ، مما يوحى بأنه نقل عن تفسيره المخطوط هكذا نراه أنه حفظ لنا فى تفسيره نصوصاً من كتب مفقودة أو شبه مفقودة أو مخطوطة لا تصل إليها يد كل باحث .

وتأتى أهميته أيضاً من ناحية سهولته وبساطته ووضوح عباراته ، فلا توجد فيه تعقيدات فى المسائل ، ولا فى العبارات ، كما أنه خال من الفلسفة وعلم الكلام ، مما يجعله يصلح لكل طبقة من القراء ، يستفيد منه أصحاب المؤهلات العادية ، كما أن المنتهى من طلاب العلم لا يعدم فيه بغيته .

وتأتى أهميته أيضاً من ناحية أنه موسوعة علمية ذات غزارة لشتى العلوم التي لها علاقة ومساس بالقرآن وعلومه . وفى مجال القراءات تجده يضم الكثير من

( ١ ) راجع لمعرفة ذلك تفسير السمعانى ( ص ٨٦ ، ٩٠٩ من المحقق ) .

القراءات الصحيحة ، مع التوجيه والتعليل في أغلب الأحيان ، كما أنه يضم قراءات شاذة مع تنبيهه على شذوذها .

وكذلك نجده أيضاً أنه وصل الغاية في مجال شرح المفردات والغرائب في القرآن ، والاستفادة من علماء اللغة في المباحث اللغوية وغيرها ، وبلغ في مجال النحو أيضاً الغاية القصوى ، حيث أن مؤلفه أتى بمباحث نحوية تساعد على فهم القرآن بصورة أدق ، وهكذا نراه في ميدان الشعر ، أن حصيلته منه لا تقل عن غيره من المفسرين ، بل يتفوقهم في بعض الأحيان ، لأنه يستشهد بأبيات لا نجد أحداً غيره استشهد بها في تفسيره ، ثم إن ما أتى به من المباحث الفقهية لدليل واضح على ثراء المحصول الفقهي في تفسيره .

وكل ذلك لتأكيد بليغ على أن السمعاني لم يقم نفسه في ميدان التفسير بل دخل فيه بجدارة وصدق بعد أن جمع لديه من العلوم المختلفة ما يؤهله لتفسير كتاب الله تعالى .

فلهذه وغيرها من الميزات نرى بعض من ترجم له قد أثنى عليه ، وعلى تفسيره ثناءً جميلاً ، ومدحوه كثيراً ، فهذا حفيده أبو سعد السمعاني يقول عنه : صنف التفسير الحسن المليح الذي استحسنته كل من طالعه " .<sup>(١)</sup>

وقال ابن العماد الحنبلي : " وله تفسير جيد حسن " <sup>(٢)</sup> ، وقال ابن خلكان : " وله تفسير القرآن العزيز وهو كتاب نفيس " .<sup>(٣)</sup>

وقال الداودي : صنف التفسير في ثلاث مجلدات " <sup>(٤)</sup>

هذا بالإضافة إلى من ذكر في مؤلفاته كتاب التفسير " .<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) الأنساب ٢٢٤/٧ .  
 (٢) شذرات الذهب ٣٩٣/٣ .  
 (٣) وفيات الأعيان ٢١١/٣ .  
 (٤) طبقات المفسرين ٣٤٠/٢ .  
 (٥) انظر النجوم الزاهرة ١٦٠/٥ ، وطبقات الشافعية ٢٤/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١١٤/١٩ .

## الفصل الثانى : دراسة النسخ الخطية

ان أول ما يواجه المحقق الذى يقبل على تحقيق كتاب من كتب التراث هو البحث عن النسخ الخطية للكتاب الذى يريد تحقيقه - لأن الاشتغال بمخطوطة من المخطوطات تحقيقاً ودراسة لا يتم إلا بعد أن تتوفر منها نسختان مستقلتان على الأقل ، وكلما ازادت النسخ ازداد الأمر سهولة ، وتمكن المحقق من إخراج الكتاب على صورة أقرب مما وضعه عليه المؤلف ، وأما بالنسبة للنسخ من تفسير السمعانى فقد حصلنا على نسختين منه ، إحداهما من المكتبة الأزهرية بالقاهرة والأخرى من دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ولكن ثبت بعد المقابلة أن إحداهما منسوخة من الأخرى ، لما يوجد بينهما من الشبه التام ، والاتفاق الكامل فى السقط والأخطاء ، وكانت نسخة دار الكتب المصرية هى المنقولة من نسخة المكتبة الأزهرية ، لأن نوع الخط فيها حديث جداً ، ولذلك كان اشتغالنا بهذا الكتاب فى حقيقة الأمر على نسخة واحدة ، والاشتغال على نسخة واحدة له من الصعوبة ما لا يقدره إلا من عاناه ، ومع ذلك فقد حاولت التغلب على هذه الصعوبة ، ولعلنى قد وفقت إلى تذييل الكثير منها بفضل من الله تعالى ومنه ، وذلك بمساعدة المصادر الأخرى من كتب التفسير وغيرها ، كما سيأتى تفصيل ذلك فى الفصل الذى بعده ، وأما ما يتعلق بدراسة النسخ الخطية من تفسير السمعانى ، ووصفها فقد قام بها أخونا الفاضل الدكتور/عبد القادر منصور المعروف بأبى دجاجة ، بما لا مزيد عليه ، فاعترافاً بفضل سبقه أحيل القارئ إلى ما كتبه فى القسم الدراسى من رسالته .<sup>(١)</sup>

والذى أريد أن أقوله هنا هو أن النسختين مليئتان بالأخطاء والتحريفات لاسيما فى الأعلام<sup>(٢)</sup> ، كما وقع سقط وتحريف فى بعض النصوص الشعرية وغيرها .

ونظراً لما كثر الانتحال فى نسبة الكتب ، يجب علينا أن نتأكد من صحة النسبة لهذه المخطوطة إلى المؤلف وأنها هى نفسها نسخة خطية من كتاب التفسير الذى يذكره المترجمون للسمعانى ضمن مؤلفاته ، وأحسن طريقة فى مثل هذا أن يبحث المحقق عن النصوص المقتبسة من الكتاب فى بطون كتب

(١) ( ص ٣٧١ - ٣٧٤ ) .

(٢) انظر على سبيل المثال ( ص ٢٨ ) حيث وقع فيها تحريف فى اسم أوس الأودى ، والأمثلة على هذا كثيرة تتضح لمن ينظر فى الكتاب وقد قمنا بفضل من الله بتصحيح أكثر الأخطاء إلا القليل منها ، لم نهتد فيه إلى الصواب .

التأخرين عنه ، ثم يقوم بمقابلتها مع ما جاء في المخطوطة ، فإذا اتفقت هذه النصوص ، قطع بأنها هي نسخة من الكتاب نفسه .

ومع الأسف لم أهدت حتى الآن إلى من نقل عن هذا الكتاب ، حتى أقوم بالمقارنة بين ما اقتبس وبين ما يوجد في هذه المخطوطة ، وقد عثرت على نص يخيل إلى أنه من تفسير السمعاني ، وقد نقل هذا النص : أبوشامة في كتابه " ضوء الساري " : <sup>(١)</sup> " استدل مالك بن أنس وابن عينية والشافعي وأحمد ابن حنبل وجماعة من أئمتنا ، بهذه الآية ( أى : كلاً انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) <sup>(٢)</sup> ، على أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة . . . " ، ويغلب على ظني أن هذه النص مأخوذ من تفسير السمعاني ، لأنه قد تكلم بمثله عند الآية المشار إليها <sup>(٣)</sup> ، ولكن الذي يمنعني من القطع بذلك ، هو أن أباشامة عزاه إلى أبي سعد السمعاني ، ثم الذي يجعلني أشك في صحة نسبه إلى أبي سعد ، أنني لم أجد في مولفاته ما له علاقة بالتفسير أو العقيدة ، وقد ذكر له الذهبي حوالى خمسين مؤلفاً <sup>(٤)</sup> ، ولكنه لا ينهض لأن يكون حجة لنا لعدم صراحته بالنسبة إليه ، ثم اني قد استطلعت توثيق نسبتها إلى المؤلف بطريقة أخرى ، وهى أن المشايخ الذين روى السمعاني من طريقهم بعض الأحاديث ، كلهم مذكورون في قائمة شيوخه ، مما يؤكد أن هذه النسخة صحيحة النسبة إلى السمعاني ، بالإضافة إلى ما جاء في مستهل الكتاب من تصريح باسمه الكامل .

- 
- ( ١ ) ( ص ١٩٣ بتحقيق أبو البيان صديق الرحمان ) .  
 ( ٢ ) سورة المطففين الآية ١٥ .  
 ( ٣ ) تفسير السمعاني ( ص ٥٢٣ من قسم التحقيق ) .  
 ( ٤ ) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٦١ - ٤٦٢ .

### الفصل الثالث : منهجى فى التحقيق

\* حاولت تقويم النص وإخراجه بصورة صحيحة قريبة مما وضع عليه المؤلف كتابه ، وذلك بمقابلة النسختين المتوفرتين لدينا ، وكذلك بمقارنة النصوص المقتبسة فى الكتاب بمصادرهما الأصلية ، ان وجدت إليها سبيلاً ، أو بالمصادر التى توجد فيها تلك النصوص المقتبسة .

ومنهجى فى تصحيح النصوص ، أننى إذا تأكدت من وقوع الخطأ فى كلمة من الكلمات أصلحها فى المتن ، وأثبت الخطأ فى الهامش ، وأما إذا وجد محمل للكلمة - ولو من بعيد - أبقيتها فى المتن ، وأقول فى الهامش : ( إن هذه الكلمة وقعت فى النسختين - هكذا - ، ويبدو لى أن الصواب - كذا - ) ، أو كلاماً فى هذا المعنى .

وإذا وجد الخلاف بين النسختين ، أثبت الصحيح ، أو ما هو أصح فى المتن ، وأشير إلى ذلك الخلاف فى الهامش .

وكذلك إذا كتبت كلمة من الكلمات على خلاف ما أصرح عليه أهل هذا العصر ، أكتبها على اصطلاح العصر الحاضر .

وأرجع فى تصحيح النصوص ، وإثبات الأصح فيها إلى الكتب المعنية بالأمر ، فمثلاً فى تصحيح اللغات ، أرجع إلى القواميس ، وفى تصحيح الأعلام ، أرجع إلى كتب التراجم ، وفى تصحيح كلمات الأحاديث ، أرجع إلى كتب الحديث ، كما أنى أستعين فى ضبط النصوص من كتب التفاسير الأخرى ، لأن أكثرها تتفق فى بعض الأحيان فى تفسير بعض الآيات وإذا اقتبس المؤلف كلاماً من مصدر ، وصرح به ، أرجع إلى ذلك المصدر وأثبت الخلاف بينه وبين النسختين ، مع إثبات ما فيها .

\* استخدام العلامات البيانية التى يلتزم بها فى كتابات العصر الحاضر واصطلحت لنفسى بأننى أكتب الآيات القرآنية بين القوسين ، وكذلك أكتب ما أثبتته فى المتن بين القوسين عند ما أشير إلى الخلاف بين النسختين وأكتب ما أزيده من عندى معتمداً على أحد المصادر بين المعكوفين .

\* قمت بالمقارنة بين ما قاله المؤلف فى تفسير الآيات وبين ما قاله الآخرون من المفسرين المتقدمين عنه والمعاصرين له والمتأخرين عنه ، وأثبت موافقة من وافقه منهم ، ومخالفة من خالفه ، ولم ألتزم فى ذلك بالإحالة فقط

بل ذكرت كلامهم ، أو كلام بعضهم ، ليتضح مدى موافقة المؤلف لمن سبقه  
وموافقة المتأخرين له .

كما أنه يساعد في ضبط النص وتصحيحه ، وتميز أسلوب المؤلف عن غيره  
في العرض والبيان ، ومما يجدر بالذكر هنا أن المؤلف لا يستوعب الأقوال  
التي وردت عن أئمة الشأن في تفسير الآيات ، بل يكتفى في أغلب  
الأحيان بسرد البعض منها ، فأذكر أنا بقية هذه الأقوال ، إلا إذا كان  
من الصعب سرد جميعها ، فأكتفى بذكر الأهم منها ، والإشارة إلى بقيتها .  
كما أني قمت بالترجيح بين الأقوال المتعددة ، وحاولت مساندة  
بالدليل ، ولا ألتفت في ذلك إلى مخالفة المؤلف ، وقمت بالرد على كل  
قول لا يحالفه الدليل .

\* عزو الآيات القرآنية إلى سورها ورقمها ، وذلك بالنسبة للآيات التي  
أوردها المؤلف للاستشهاد والاستدلال بها على تفسيره لآية من الآيات .

\* تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب من مصادر السنة النبوية المعتبرة  
ولم أكتف في التخريج بمصدر أو مصدرين ، بل خرجت الحديث من كل ما  
أتوصل إليه من مصادر ، وراعت في سرد هذه المصادر الترتيب الزمني  
لمؤلفيها ، إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو السنن الأربعة أوردتها  
حسب ترتيبها المعروف .

هذا إذا لم يصرح المؤلف بتعيين مصدر من المصادر ، وإذا صرح  
به قدّمته في الذكر ، وفي غالب الأحيان اكتفيت بذكر الصحيحين إذا كان  
الحديث فيهما ، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين ذكرت حكمه من  
حيث الصحة والضعف ، وذلك في ضوء ما قاله علماء هذا الشأن ، وإذا لم  
أجد كلامهم على حديث من الأحاديث حكمت عليه بما تبين لي من خلال  
تراجم الرواة ، وذلك في أغلب الأحيان .

\* خرجت الآثار من الكتب التي تعنى برواية الآثار عن السلف من كتب  
التفسير وغيرها .

\* وعزوت كل قول إلى صاحبه ، وإلى المصدر الذي يوجد فيه هذا القول  
وراعيت في عزو الأقوال ، الأصالة والمنهجية ، بحيث أقدم في ذكر المصادر  
كتاب صاحب القول - إن وجد له كتاب - وإذا لم أجد له كتاباً ، أولم أجد  
فيه هذا القول أذكر الكتاب الذي يذكر فيه مؤلفه أقوال الأئمة بالأسانيد

وان لم أظفر بذلك ، أذكر كل ما أجد فيه هذا القول ، وان كان من الكتب التي لا تعنى بسوق الأسانيد .

\* عزوت القراءات التي تعرض لها المؤلف في كتابه إلى كتب القراءات المعتبرة ، فإذا كانت القراءة من القراءات السبع عزوتها إلى الكتب التي تعنى بذكر القراءات السبع ، وإذا كانت من القراءات الشاذة عزوتها إلى الكتب التي تعنى بجمع القراءات الشاذة .

\* ترجمت جميع الأعلام الواردة في الكتاب دون تفريق بين المشهورين منهم وغير المشهورين ، كما أنى لم أفرق بين أعلام الإسلام وأعلام الكفر فترجمت للجميع ، إن وقفت عليها .

\* عزوت الأشعار التي أوردها المؤلف للاستشهاد في تفسير الآيات إلى أصحابها ، وإلى مصادرها المعتمدة من دواوين الشعر وغيرها .

ثم أنى لا أستحي بتصريح ما لم أجد من الأحاديث والآثار والأقوال والأعلام والأشعار ، فأقول : ( لم أجد ) ، أو : ( لم أعر عليه ) أو كلاماً نحو هذا .

\* أشرت إلى الاسرائيليات الواردة في الكتاب ، ووضحت مخالفتها لشريعة الإسلام ، إن كانت مخالفة لها .

\* علقت على الآيات التي لها علاقة بمسألة من مسائل العقيدة أو مسائل الفقه بشئ من التفصيل ، مستعيناً في ذلك بكتب الفن ، بشرط أن يتعرض لها المؤلف في كتابه ، وإذا أغفلها أغفلتها أنا كذلك .

\* عرفت بالمواضع والأماكن .

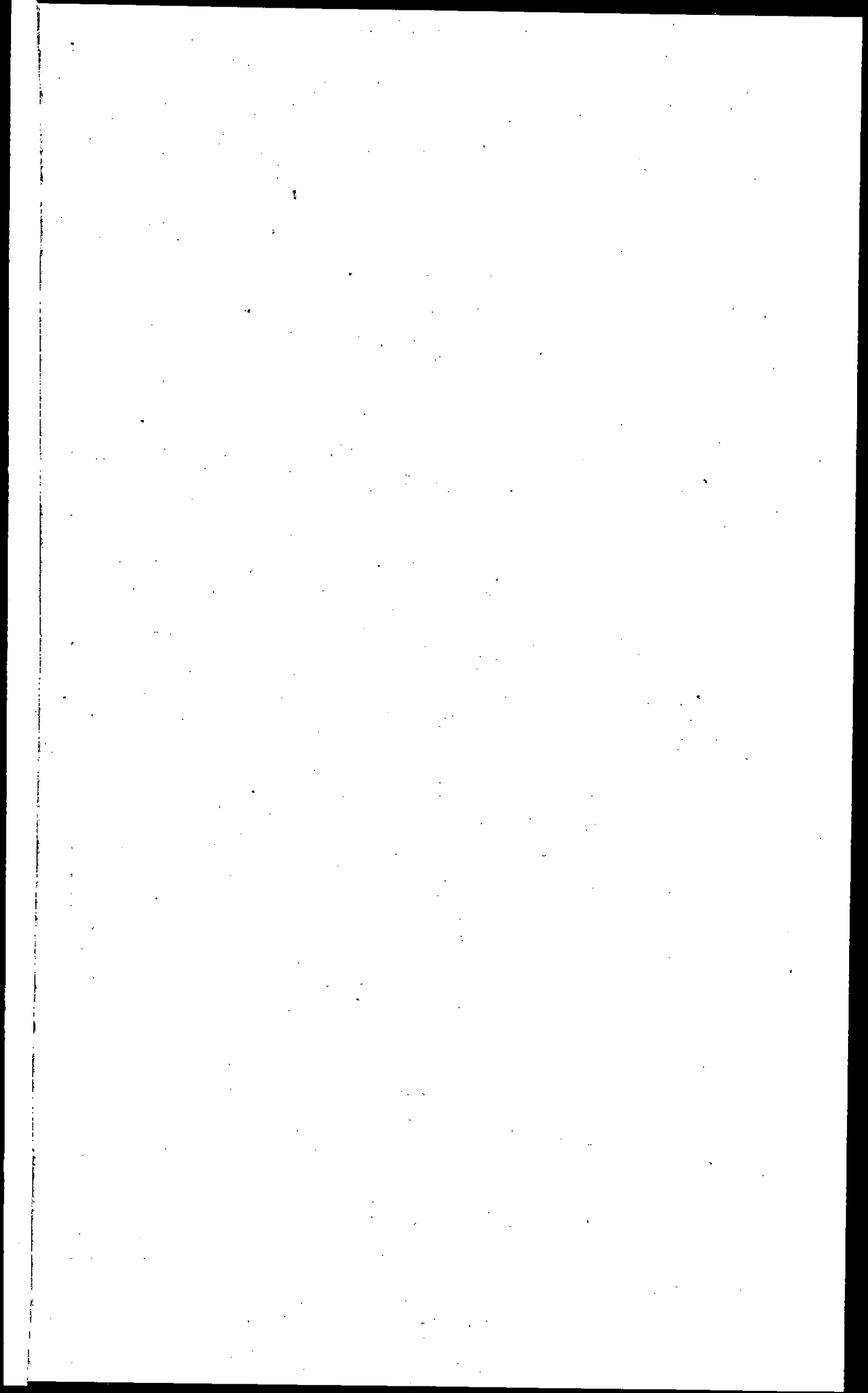
\* عرفت بالقبائل والأمم .

\* شرحت المفردات اللغوية الصعبة التي وردت في كلام المؤلف . واستعنت في جميع ذلك بكتب الشأن المعتمدة .

\* قمت بعمل فهرس عريضة :

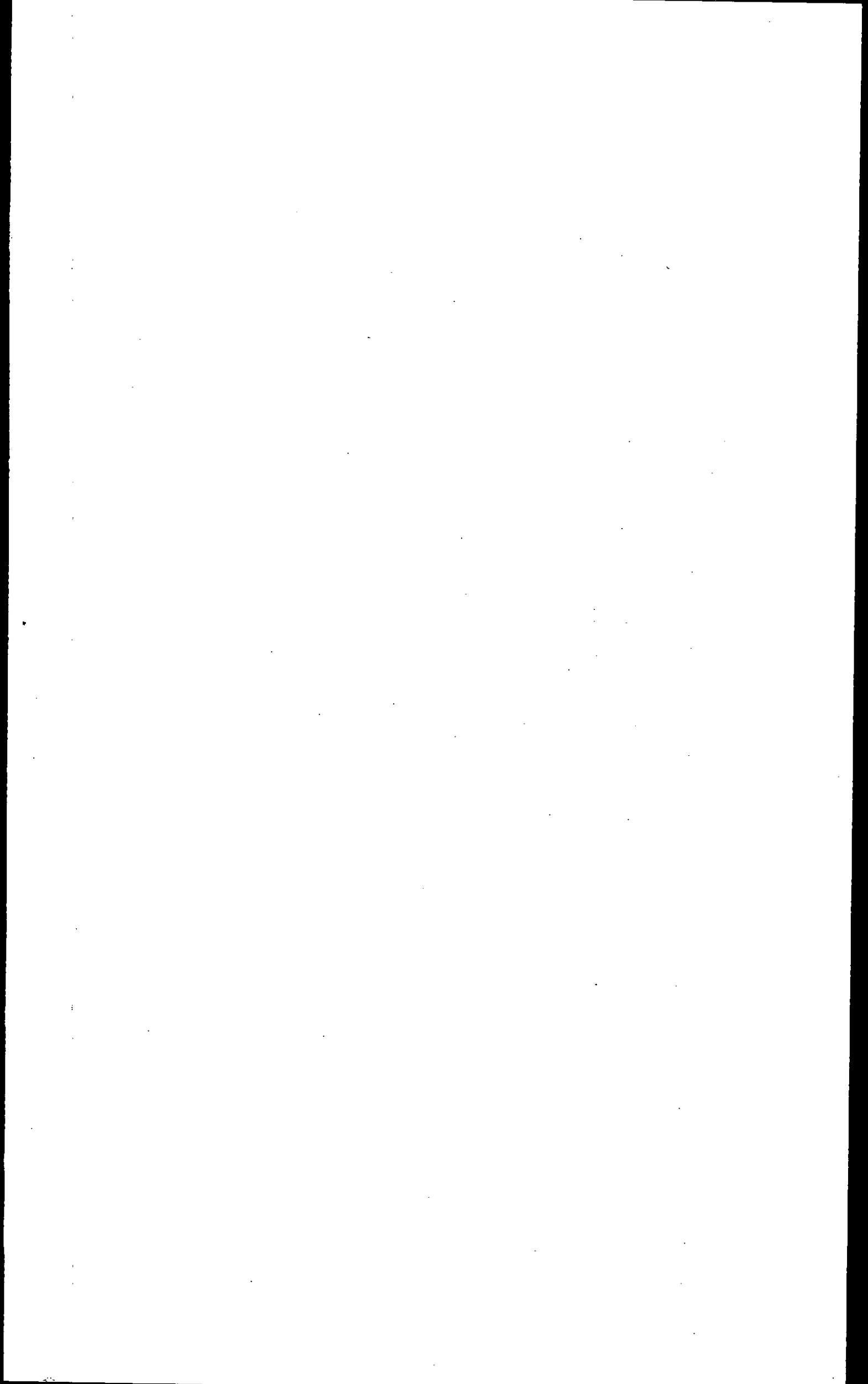
- أ : فهرس القسم الدراسي .  
ب : فهرس للسور القرآنية التي قمت بتحقيقها .  
ج : فهرس للآيات القرآنية التي جاء ذكرها في الكتاب استشهاداً من المؤلف حسب ترتيبها القرآني .  
د : فهرس للأحاديث المرفوعة والموقوفة ، حسب حروف المعجم من أولها .  
هـ : فهرس للآثار حسب قائلها .  
و : فهرس للأشعار حسب قواقيها .  
ز : فهرس للأمثال .  
ح : فهرس للأعلام .  
ط : فهرس للمواضع والأماكن .  
ي : فهرس للقبايل والأمم .  
ك : فهرس للكلمات اللغوية .  
ل : فهرس للمسائل العقدية .  
م : فهرس للمسائل الفقهية .  
ن : فهرس للمصادر والمراجع .





القسم الثاني

التحقيق



(السورقة الأولى من النسخة الأزهرية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

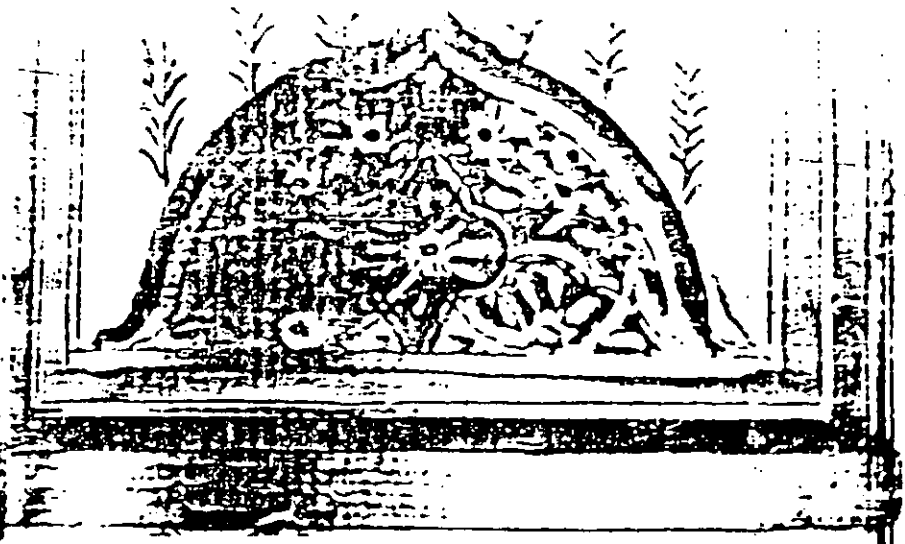
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على رسول الله محمد وآله اجمعين والاعادة وانواع الظلمة  
 القول بغير فائدة الكتاب في السور الامام الاجل الراصد حال الائمة ابو اللطف منصور بن  
 محمد السماقي رحمه الله لفي هذه السورة البعد اسامي وكلمة الكبار ام القراز والسبع المنافي والسبع  
 من المنافي بولاية عميد خير من علي رضي الله عنه لها فاجبه الكتاب فلان لها افترج الكتاب وهو القراز واما  
 ام القراز لانه اصل القرير منها بدي القراز ام السبع اصله مستند قال كنه ام القرير لانه اصل البلاد  
 واما السبع المنافي لانه سبع ايات وانما الائمة الاله دوايد ساذه انها ايات سميت ثمانيا لانها تسمى على  
 العنقون فيزداد في كل كعبة وقال كصاحبها سميت سباني لان الله تعالى استخساها لهداية الامم كانسب  
 او حقها لهم ولم يعطها الاصل واللام واما السبع من المنافي فنبه قولان احدهما انها سبع ايات مخصوصة للمنافي  
 وهو الذليل قال الله كما منشأها مساني وانما سبى القولا منها في الاستئالة على علوم مشناه من الرعدة  
 والوعده الا وانتهى ونحوها والمان في السبع المنافي وهو السبع المنافي ومنه للصلة واما منشأ هذا  
 الكلام من قوله تعالى ولقد آتيناك سبعين لسانا في العلم لهذه السورة مكتبة على قول نوح عيسى  
 وقال مجاهد في مدينة وقيل ثلثه من مرتبة من ملكية مرة بالمدينة ولذلك سميت سباني لانها سدق الذليل  
 وهذه رواية غريبة قوله بسم الله الرحمن الرحيم اية من العلو على قول بعض العلماء وهو سوري عن ابن  
 عباس وانه سئل ليس بها على قول البعض وهذا مذکور بدل العلم الفقه على ان الباء قوله بسم الله اداة  
 مكفورة بعدها والكلام مثل وعز في وعلى وانما لها وللعلو لانه لا الالة الكلام على ويد من الله  
 بسم الله او بذات السبع لانه قوله بسم الله اصل بسم الله لقوله قرأ باسمه وكل انما صدق اللفظ المكتبة  
 في اللفظ وقيل انما صدق لانه الاستعمال كقوله لانه كمن استعمالها فاستعملها فاستعملها فاستعملها  
 قوله قرأ باسمه وكل في الظاهر لان هذا لا يمكن الاستعمال في اختلاف اللفظ استعمل اللفظ قال ابن حجر  
 الاستعمال من السمع وهو العلو والظاهر في كنه طوعا ومعناه وعامله على معناه كنه وقال تليد  
 من الظاهر هو استعمل من الوسم والاسمة فكان علامة لغناه والاول اولى لان لا رسم صغر على السمي ولو كان  
 استعمل من السمة فكان يصغر على اللفظ كما يقال في الوصل وصيلا في الوصل وبعده قوله بسم الله تعالى  
 اختلاف الفقه فقال الجليل في كتابه على فاضل تليد الاستعمال وهو كما ساء العلم بالعلماء في سائر  
 زيد محمود ونحوه وهو احسن الفقه الشافعي والجماعة من اهل العلم وقال البيهقي هو اسم مستعمل في موضع  
 استعمال قولان منها انها من قولهم الله الله اي بعبادة وعوان ابن عباس في ذلك والاصح

ملک

وعلیہا ص ۱۳۰ کتب ۱۳۰۱  
۱۳۰۱  
۱۳۰۱

وشرح خبر صحیح علی حدیث الفی وقوله الخنا من معناه ما قلنا یعنی اذا ذکر العبد ربه ورجع  
 یوم ای یاطر وفسر بجمی وقوله الذی یوم من فصدوا الناس هو الشیطان  
 وقوله من الخنا ای من الخن وقوله والناس ای من الناس والمعنی انه امر بالمتحایر  
 من شیطان الخن ای البس والشیطان کل یتمرد سواء كان خفیاً او انبیا وقد ورد  
 فی الاحادیث للعبد ووفی اللب فی صلی اللہ علیہ وسلم کان اذا اراد ان ینام فراء  
 سعورۃ الارض او المفقورۃ من منفیة کفیتہم کسج صلیفہما استطاع ان ینسک  
 ویدار بوجهه وواحد روی انه صلی اللہ علیہ وسلم کان یخوض فی البحر ویکلم فیها ذکرا یوم  
 یسمی اللہ فی براتی اسم یقول فیها قال فی حدیثه فیسیر فی البحر من غیر ان ینام فیکلم  
 عن اللب صلی اللہ علیہ وسلم قال قد انزل اللہ علی علی ابائکم یومسک فی  
 السورۃ نزل الناس الاھل السورۃ وقد انزل اللہ فی السورۃ قال یومسک فی  
 صحیح قال فی حدیثه عن ابی بن کثیر ان عبد اللہ بن عمر بن عبد اللہ بن احد اصبرنا ابو العباس  
 بن سراج السمری اخبرنا ابو العباس بن محمد بن اخبرنا ابو علی بن الحافظ اخبرنا محمد بن سنان واکبرنا  
 محمد بن سعید الطحطاوی عن اسمعیل بن زید عن ابي عبد اللہ بن فضال قال لم یکن ابن مسعود  
 یأمن السورۃ بجمی فمد لہ کل حوز ان شئنا انما انزلنا اللہ فی السورۃ الا انما انزلنا  
 جاک بن سلم روی عن ابی بن کثیر عن ابی بن کثیر قال قلت لابی عبد اللہ بن مسعود  
 انک قلت فی صحیح فی العمود ان فی اللہ قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ما ذکرت من الملک الی  
 قل انما نزلت العلق فقلتها وقل قل السورۃ بورت الناس فقلتها ففی یقول انما نزلت  
 صلی اللہ علیہ وسلم انما کان ایتیا وافق بن مسعود قال فی حدیثه عن ابی عبد اللہ بن مسعود  
 من اللہ واکبرنا ابو القاسم بن حنیب باخبرنا ابو القاسم بن حنیب عن ابی عبد اللہ بن مسعود  
 فی الصحیح فی العمود ان فی اللہ قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ما ذکرت من الملک الی  
 وبنما طنا انما یخودہ فلم یبقنا ما فی الصحیح وقد قبل انما یسکنون سائر صحیف الی وذلک بعضہ  
 لکن عبد اللہ بن مسعود لم یکن یکنہ انما یخودہ لکن یکنہا لیسر سرتنا کان لکن سورۃ الفاکم  
 لسورۃنا والله اعلم واکبرنا بالصواب واللہ اعلم بالصواب

السلام علی من اتبع الهدی



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم  
بسم الله الرحمن الرحيم  
بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن في تفسيره وألفه الكتاب

هذا الشيخ زمام رجل الزاهد جليل القدر أبو القاسم محمد بن محمد السعدي  
رحمه الله أعلم أن هذه السورة أربعة أسامي فلقحة الكتاب  
والقرآن والسبع المثاني والسبع من مثاني برواية عبد خفي عن  
علي رضي الله عنه أنه فلقحة الكتاب فلقح بها افتتاح الكتاب وهو  
القرآن وأما القران فله أصل القران منها يدعي القران وأما الشيء  
أصله ومنه يبارك الله في القران لأنها أصل البلاد وأما السبع المثاني لأنها  
سبع آيات بها اتفاق الأئمة الأربعة وشهادة أنها ثمان آيات سميت  
مثاني بها لأنها في السورة ثمانية آيات وقال مجاهد أنها سميت  
مثاني لأن الله تعالى شاهده بهذه الآية لأنه أوجها لهم وله  
بعضها أحد من زعموا وأما السبع من مثاني فله قولان أحدهما  
أنها سبع آيات مفروضة عن ثمان وهو القرآن قال الله تعالى  
سماواتنا سبعاً وارضنا سبعين ومجالسنا سبعون وثمانون  
سورة من سورة مريم وسورة مريم وسورة مريم وسورة مريم  
والمثاني السبع من ثمان وهي السبع المثاني ومن فيه النصف  
والمثاني السبع من ثمان وهي السبع المثاني ومن فيه النصف  
المثاني السبع من ثمان وهي السبع المثاني ومن فيه النصف  
وقد يعطى في مدينته ويقدر في مدينته مائة ومائة مائة  
ومن مثاني السبع من ثمان وهي السبع المثاني وهذه رواية غيره

والحسن رضي الله عنهما وذكر ابا عيسى الترمذي برواية اسماعيل بن ابي  
 خالد قال حدثني قيس بن ابي مازم عن عقبة بن عامر الجهمي عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم انه قال قد انزل الله على اياته لم يزل يبعث رسله  
 اليهم الى اخر السورة وقال ابو ذر بن الفلق الى اخر السورة قال وشرح  
 حسن صحيح قال رضي الله عنه اخبرنا ان ذلك ابو عبد الله محمد بن  
 عبد الله بن احمد اخبرنا ابو العباس بن صالح السفيري اخبرنا ابو العباس  
 ابن محبوب اخبرنا ابو عيسى الخاقاني اخبرنا ابو محمد بن بشير اخبرنا  
 يحيى بن سعيد القطان عن اسماعيل بن الفضل اللخمي قال قال  
 قال لم يكن ابن مسعود هاتين السورتين في مصحفه وهما في  
 نسخة اخذها من الفزان او ليبيا من القران والحجرات عنه ان  
 حماد بن سلمة روى عن عاصم بن بهدلة عن زر بن عبد الله قال  
 لا في بن كعب ان ابن مسعود لم يكتب في مصحفه الموعودتين فقال له قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخبرنا علي بن ابي طالب قال اخبرنا  
 فقلنا وقال ابو ذر بن الناس فقلنا فقلنا يقول يقول رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم كان ابي لؤقعة ابن مسعود قال رضي الله عنه اخبرنا هذا  
 الحديث ابو الجهم بن المغيرة اخبرنا ابو القاسم بن عبيد اخبرنا ابو القاسم  
 اخبرنا هدية بن ابي سلمة بن حرب بن ابي عروة بن مسعود في المصحف فقلنا  
 ابن مسعود نوايب الموعودتين كره ما سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ  
 هاتين السورتين فيمعدنهما ما شاء انهما موعودتان فقلنا ثبتها في المصحف  
 وقد قبل انما استرناك في مصحفه الى وذكرنا في ان غننا الله بن

مسعود بن شنت عليه ابي امن المصراة ولكن يكتبها

ليبرتها مما ترك كتابه سورة الفاتحة والله

اعلمت الخواتم بن يوسف الامام

الصفاني في اجماد

١٤٧١ هـ

سنة

بالتواضع

و



(١) تفسير سورة الجن وهي مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى " قل أوحى اليّ أنه استمع نفر من الجن " سبب نزول هذه الآية ———— روى سعيد بن جبير عن (٢)

(١) للمفسرين في تحديد معنى المكي والمدني ثلاثة أقوال .  
أولها : روعي فيه مكان النزول ، فقيل : المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدني ما نزل بالمدينة ، ويدخل فيهما ما نزل في ضواحي كل منهما .  
والثاني : روعي فيه المخاطبون ، فما وقع خطابا لأهل مكة مكي ، وما وقع خطابا لأهل المدينة مدني .

والثالث : أن المكي : ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وان كان نزوله بغير مكة ، والمدني : ما نزل بعد الهجرة وان كان نزوله بمكة ، وهذا التقسيم روعي فيه زمن النزول ، وهذا هو المشهور ، وهو تقسيم صحيح سليم لأنه ضابط حاصر ، ومطرد لا يختلف ، بخلاف سابقه ، فان الأول يرد عليه أنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما .

والثاني يرد عليه أنه لا يشمل ما نزل غير مصدر بأحد هما ، ثم ان هناك آيات مدنية صدرت بصيغة " يا أيها الناس " كما أن هناك آيات مكية بصيغة " يا أيها الذين آمنوا " ولذلك اعتمد العلماء القول الثالث واشتهر بينهم .

انظر الاتقان للسيوطي ( ٩ / ١ ) ومناهل العرفان للزرقاني ( ١ / ١٩٣ -

١٩٤ ) .

وأما كون هذه السورة مكية فأوردها البيهقي في دلائل النبوة ( ١٤٣ / ٢ ) ضمن السورة التي نزلت بمكة ، وذلك فيما روى بسنده عن عكرمة والحسين البصري .

وهكذا ذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٢٧٠ ) عن جماعة من الصحابة قالوا : ان هذه السورة مكية .

( ٢ ) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولى أم محمد ويقال أبو عبد الله الكوفي من كبار التابعين ومقدم مذهب في التفسير والحديث والفقه . أخذ التفسير من ابن عباس . وأكثر روايته عنه . قال ابن حجر : ثقة ثبت فقيه . قتلته الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين ، وله تسع وأربعون سنة على الأشهر .

انظر : تهذيب التهذيب ١١ / ٤ ، تقريب التهذيب ١٢٠ .

انظر أيضا : تذكرة الحفاظ ١ / ٧٦ ، ووفيات الأعيان ١ / ٣٦٤ ، وطبقات

المفسرين ١ / ١٨٨ .



ابن عباس<sup>(١)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم انطلق في نفر من أصحابه عامد بين الى سوق عكاظ<sup>(٢)</sup> فمر بالنخلة وقد كان الشياطين منعوا من السماء وأرسلت الشهب عليهم فقالوا : لقومهم قد حيل<sup>(٣)</sup> بيننا وبين خبر السماء فقالوا انما ذلك لآمر حدث في الأرض .

وروى : أنهم قالوا ذلك لابليس ، وأن ابليس قال لهم : اضربوا في شسق<sup>(٤)</sup> الأرض ومفاربها لتعرفوا ما الأمر الذي حدث ؟ فمر نفر منهم نحو تهامة<sup>(٥)</sup> فرأوا

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن ، فكان يسمى الهمير والحبر لسعة علمه ، قال عمر : لو أدرك ابن عباس اسناننا ما عاشره منا أحد ، مات سنة ثمان وستين بالطائف ، وهو أحد المكبرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة .

انظر الاصابة ٢ / ٣٣٠ ، وتقريب التهذيب ١٧٨ .

(٢) بضم أوله وفتح ثانيه وآخره ظاء معجمة ، وهو نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، كانت تقام سوق للعرب بموضع منه يقال له الأثيداء - ذكر البكري أنها : أول ما احدثت قبل الغيل بخمس عشرة سنة ، ولم تنزل سوقا الى سنة تسع وعشرين ومائة ، فخرج الخوارج الحرورية فنهبوا فتركت الى الآن . . .

معجم ما استعجم ٣ / ٩٥٩ ومراسد الاطلاع ٢ / ٦٥٣ ، انظر أيضا فتح الباري

٨ / ٦٧١ .

(٣) هو الضنى للمجهول من حال الشيء بيني وبينك . أبي حنبل ومنع .

انظر الصحاح ٤ / ٦٧٩ ، وفتح الباري ٨ / ٦٧١ .

(٤) هذه الرواية التي ورد فيها ذكر ابليس وجنوده أخرجهما الترمذي في سننه - كتاب

التفسير ، باب ومن سورة الجن ، ( ٤٢٧ / ٥ رقم ٣٣٢٤ ) .

والنسائي في السنن الكبرى ، التفسير ( كما في تحفة الأشواق ( ٤٣٦ / ٤ ) والامام

أحمد في مسنده ( ٢٧٤ / ١ ) .

كلهم من طريق اسراييل عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) تهامة : بكسر أوله ، هو اسم لكل مكان غير عال من بلاد الحجاز سميت بذلك لشدة

حرها اشتقاقا من التهمم بفتح تين ، وهو شدة الحر وسكون الريح ، وحددها

البكري فقال : وطرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج ( قرية في نواحي الطائف )

وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق ،

انظر : معجم ما استعجم ١ / ٣٢٢ ، وفتح الباري ( ٦٧٤ / ٨ ) .

النبي صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه صلاة الفجر ببطن نخلة<sup>(١)</sup> ، وهو يقرأ القرآن فقالوا : هذا هو الأمر الذى حدث ، ورجعوا الى قومهم وأخبروهم بذلك ، وأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقد روى البخارى فى الصحيح<sup>(٢)</sup> نحواً من هذا . هذه رواية ابن عباس .  
 وذكر ابن جريج<sup>(٤)</sup> فى تفسيره عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود<sup>(٥)</sup> عن

( ١ ) ورد فى رواية البخارى " بنخلة " بدل ( ببطن نخلة ) وذكر الحافظ فى الفتح ( ٦٧٤ / ٨ ) أنه موضع بين مكة والطائف وهو على ليلية من مكة ، - انظر أيضاً لسان العرب ( ٦٥٢ / ١١ ) ووقع فى رواية سلم ( بنخل ) بلا هاء ، والصواب اثباتها ، كما صرح به الحافظ فى الفتح .

( ٢ ) هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المفيرة الجعفى البخارى ، ولد فى شوال سنة أربع وتسعين ومائة .

قال فيه الحافظ ابن حجر : جبل الحفظ وامام الدنيا فى ثقة الحديث " ا هـ .  
 وهو أمير المؤمنين فى الحديث ، وكتابه الصحيح أجمع أهل العلم على أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ، ومناقبه جمّة ، توفى سنة ست وخمسين ومائتين ، وله اثنتان وستون سنة .

انظر سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٣٩١ - ٤٧١ ) وتقريب التهذيب ( ٢٩٠ ) .

( ٣ ) كتاب التفسير ، باب سورة قل أوحى الي ( ٨ / ٦٦٩ رقم ٤٩٢١ ) وأيضاً كتاب الأذان ، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر ( ٢ / ٢٥٣ رقم ٧٧٣ - مع فتح البارى ) .  
 وأخرجه سلم فى صحيحه كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة فى الصبح والقراءة على الجن ( ٤ / ١٦٨ مع شرح النووى ) مطولاً بنحوه ، وليس عندهما ذكر البليس .

( ٤ ) هو عبد الطلك بن عبد العزيز بن جريج الأموى مولا هم أبو السيد ويقال : أبو خالد المكى ، أصله رومى . صاحب التصانيف ، " التفسير " و " السنن " وغيرهما ، أدرك صفار الصحابة لكن لم يحفظ عنهم ، قال أحمد بن حنبل : كان من أوعية العلم ، هو وابن عروبة أول من صنف الكتب بالحجاز .  
 توفى سنة خمسين ومائة .

انظر طبقات المفسرين ٣٥٨ / ١ وأما كتابه فى التفسير فلم أعثر عليه ولعله مفقود .

( ٥ ) هو عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلى أبو عبيدة الكوفى ، ويقال : اسمه كنيته ، هكذا قال الحافظ فى تهذيب التهذيب وقال فى التقريب : مشهور بكنيته ، والأشهر أنه لا اسم له غيرها ، ويقال : عامر ، كوفى ثقة . والراجح أنه لا يصح سماه من أبيه ، مات سنة ثمانين ،

تهذيب التهذيب ( ٥ / ٧٥ ) تقريب التهذيب ٤١٦ .

ابن مسعود<sup>(١)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم انطلق الى الجن ليقرأ عليهم القرآن ويدعوهم الى الله ، فقال لأصحابه : من يصحبنى منكم ؟ .

وفى رواية : ليقم منكم رجل معي ليس في قلبه حبة خردل من كبر ، فسكت القوم فقال ذلك ثانيا وثالثا فقام عبد الله بن مسعود<sup>(٢)</sup> ، قال ابن مسعود فانطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحجون<sup>(٣)</sup> حتى دخلنا شعب أبي دُب<sup>(٤)</sup> فقال فغط لي خطبا . قال : لا تبسرح هذا الخط ونزل عليه الجن مثل الحجيل<sup>(٥)</sup> فقرأ عليهم القرآن وعلا صوته

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن ، أحد السابقين الأولين أسلم قد يما وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها ، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه ، وهو من كبار العلماء من الصحابة ، مناقبه جمة ، وأمره عمر على الكوفة ، مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين .  
الاصابة ( ٣٦٨ / ٢ ) تقريب التهذيب ١٨٩ .

(٢) ورد نحوه فيما رواه أبو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود .  
أخرجه الامام أحمد في مسنده ( ٤٥٨ / ١ ) والطبراني في المعجم الكبير ( ١٠ / ٧٧ - ٨٠ رقم ٩٩٦٢ - ٩٩٦٢ ) من طرق عنه ، ولفظه في احدى الروايات عند الطبراني :  
أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انى أمرت أن أقرأ على اخوانكم من الجن ، فليقم معي رجل منكم ، ولا يقيم رجل في قلبه مثقال حبة من كبر ، فقامت معه .....  
الحديث .

وقد ضعف هذا الاسناد أحمد محمد شاكر في تعليقه على المسند ( ١٢٧ / ٦ )  
لجهالة أبي زيد . وانظر أيضا مجمع الزوائد ( ٨ / ٣١٣ - ٣١٤ ) .

(٣) بفتح أوله على وزن فعول ، موضع بكة عند المحصب ، وهو الجبل المعروف المشرف بهذا مسجد البيعة على شعب الجزارين ، نقله الحموي عن الأصمعي ، وقال أيضا :  
هو جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .  
معجم البلدان ( ٢ / ٢٢٥ ) معجم ما استعجم ( ١ / ٤٢٧ ) وهو ما زال يعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا .

(٤) قال الحموي : شعب أبي دُب بكة ، يقال : فيه مدافن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الفاكهي أبو عبد الله محمد بن اسحاق في كتاب مكة من تصنيفه : أبو دُب هذا رجل من بني سواة بن عامر بن صعصعة ، معجم البلدان ( ٣ / ٣٤٧ ) والمعروف أن قبر آمنة في الأبواء ، وهو قريب من المدينة .  
وقد صح به الحموي نفسه في المصدر السابق ( ١ / ٧٩ ) وانظر أيضا سيرة ابن هشام ( ١ / ١٥٥ ) .

(٥) الحجيل بالتحريك : طائر معروف ، واحده حجلة .  
النهاية ( ١ / ٤٣٦ ) .

فلمصقوا بالأرض حتى لا زراهم<sup>(١)</sup>.

وفى رواية : أنهم قالوا له : ما أنت ؟ ما أنت ؟ قال : نبي ، قالوا : ومن شهد لك ؟ قال : فدعا الشجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع<sup>(٢)</sup> وشهدت الشجرة له بالنبوة ثم عادت الي، مكانها<sup>(٣)</sup> . وفى هذا الخبر : أنهم سألوه الزاد فأعطاهم العظم والبعسر فكانوا يحبون العظم أو فر ما يكون لحما والبعسر علفا لدوابهم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ عن الاستنجاء بالعظم والروث<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) كذا فى الأصل ونسخة " ب " ولم يبد لي معناه . وقد جاء فى تفسير القرطبي ( ٤ / ١٩ ) ذكر هذا الحديث بنحوه . وفيه " ولمصقوا بالأرض حتى ما أراهم " وهذا هو المناسب .

( ٢ ) هو جمع مفرد القعقعة : وهى حكاية حركة الشئ " يسمع له صوت . انظر النهاية ٨٨ / ٤ ، ولسان العرب ٢٨٦ / ٨ .

( ٣ ) ذكر هذه الرواية القرطبي فى تفسيره ( ٥ / ١٩ ) قال : وفى رواية : انطلق بي عليه السلام حتى اذا جئنا المسجد الذى عند حائط عوف خطلى خطأ ، فاتاه نفر منهم ، فقال أصحابنا : كأنهم رجال الزط ، وكان وجوههم المكاكى ( هو جمع مكسوك : طاس يشرب فيه أعلاه ضيق ووسطه واسع ) فقالوا : ما أنت ؟ قال : " أنا نبي الله " قالوا : فمن يشهد لك على ذلك ؟ قال : " هذه الشجرة " فقال : " يا شجرة " فجاءت تجر عروقها ، لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه ، فقال : " على ماذا تشهد بيني " . قالت : أشهد أنك رسول الله ، فرجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة ، لها قعاقع حتى عادت كما كانت " ولم ينسب تخريجه الى أحد .

( ٤ ) ذكر القرطبي فى تفسيره ( ٥ - ٤ / ١٩ ) نحو ما أورده المؤلف نقلا عن ابن جرير من رواية أبى عبيدة عن ابن مسعود ، وللحديث روايات كثيرة عن ابن مسعود منها ما رواه عنه أبو عثمان بن سنة الخزامى - وكان رجلا من أهل الشام - أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه وهو بحكة : من أحب منكم أن يحضر الليلة امر الجن فليفعل فلم يحضر منهم غيبوى . . . الحديث بنحوه . بدون ذكر شهادة الشجر بالنبوة - أخرجه الطبري فى تفسيره ( ٢٦ / ٢١ ) . والبيهقي فى دلائل النبوة ( ٢٣٠ / ٢ ) .

وأما ما ذكر الزاد فقد ورد أيضا فيما رواه سلم فى صحيحه ( ١٦٩ / ٤ - ١٧٠ ) عن طعنة عن ابن مسعود ، وسيأتى ذكر هذه الرواية عند المؤلف . وورد أيضا فيما رواه البخارى فى صحيحه ( ١٧١ / ٧ رقم ٣٨٦٠ ) عن أبى هريرة . الا أنه قال فيه : وانسه أتانى وقد جئت نصيبين - ونعم الجن - فسألونى الزاد ، فدعوت الله لهم أن لا يمسروا بعظم ولا بروتة الا وجدوا طيبها طعاما " . وقال الحافظ فى الفتح ( ١٧٣ / ٧ ) بعد أن ذكر أن فى حديث ابن مسعود عند سلم : " ان البعسر زاد دوابهم " : ولا ينافى ذلك حديث الباب لا مكان حمل الطعام فيه على طعام الدواب " .

قال جماعة من أهل التفسير : أن أمر الجن كان مرتين مرة بمكة ومرة ببطن نخلة ، فالذى رواه ابن عباس هو الذى كان ببطن نخلة والذى رواه ابن مسعود هو الذى كان بمكة . فأما الذى كان ببطن نخلة فانهم مروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأما الذى كان بمكة فان الرسول انطلق اليهم . وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الايمان . فهذا هو الجمع بين الروایتين (١) .

وقد روى ان عبد الله بن مسعود رأى بالعراق قوما من الزط (٢) فقال أشبههم بالجن ليلة الجن . (٣)

(١) يوجد خلاف كبير بين رواية ابن عباس ورواية ابن مسعود فى قصة الجن - ومن هذا الخلاف أن رواية ابن عباس تدل على أن القصة وقعت ببطن نخلة ، ورواية ابن مسعود تدل على أنها وقعت بالسجون أى بمكة .

ومما خولف فيه أيضا أن رواية ابن عباس تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشعر بوجود الجن واستماعهم لقراءته ، الا بعدما أوحى الله اليه ، بينما رواية ابن مسعود تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذلك بل ذهب اليهم وقرأ عليهم قصدا .

ودفع هذا الخلاف بحمل القصة على التعدد ، واليه ذهب البيهقي فى دلائل النبوة (٢/٢٢٧) قال : " وهذا الذى حكاه عبد الله بن عباس إنما هو فى أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلمت بحاله ، وفى ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يروهم ، كما حكاه . ثم اتاه داعى الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن ، كما حكاه عبد الله بن مسعود ، ورأى آثارهم وآثار نيرانهم ، والله أعلم " .

وذهب السيه أيضا ابن كثير فى تفسيره (٤/٦٣) وابن حجر فى فتح البارى (٨/٦٧٤) والالكوسى فى روح المعانى (٢٩/٨٣) .

(٢) فى الأصل (بالزط) وفى نسخة "ب" (من الزط) وهو الصواب .  
والزط كما قال الجوهري فى الصحاح (٣/١١٢٩) : جيل من الناس ، الواحد زطى ، مثل الزنج وزنجي والروم ورومي ، وقال ابن الأثير فى النهاية (٢/٣٠٢) : " وهم جنس من السودان والهنود " .

(٣) ورد ذلك فيما رواه الامام أحمد فى مسنده (١/٣٩٩-٤٠٠) من طريق أبى تيبه عن عمرو البكالى عن عبد الله بن مسعود وأيضاً فيما رواه فى مسنده (١/٤٥٥) من طريق

على بن زيد عن أبى رافع عنه - وجاء أيضاً فيما رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٦/٢٠ - ٢١) من طريق قتادة عن عبد الله بن مسعود ، قال : قلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزط وهم قوم طوال سود فأفزعوه ، فقال : أظهروا . فقيل له : ان هؤلاء قوم من الزط ، فقال : ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وانظر أيضا دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٣١) وتفسير القرطبي (١٩/٥) .

وفى رواية طقمة<sup>(١)</sup> أنه قال لعبد الله بن مسعود هل كان منكم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال : لا ما شهدته منا أحد وساق خبرا . ذكره مسلم<sup>(٢)</sup> فى كتابه .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) هو طقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شهيل النخعى الكوفى ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
ثقة ثبت فقيه عابد ، مات بعد الستين وقيل بعد السبعين .  
أخرج له الجماعة .  
تهذيب التهذيب ٢٧٦/٧ ، تقريب التهذيب ٢٤٣ .

( ٢ ) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشان القشيرى . أبو الحسين النيسابورى ، صاحب الصحيح .  
ولد سنة أربع ومائتين ، وأول سماعه فى سنة ثمان عشرة ، .  
قال الذهبي : هو الامام الكبير الحافظ المجود الحجة الصادق \* .  
وقال الحافظ بن حجر : ثقة حافظ امام مصنف عالم الفقه \* وكتابه الصحيح أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى وصحيح البخارى ، وذهب بعضهم الى تفضيله على صحيح البخارى ، توفى سنة احدى وستين ومائتين .  
سير أعلام النبلاء ( ١٢ / ٥٥٧ - ٥٨٠ ) وتقريب التهذيب ( ٣٣٥ ) .

( ٣ ) كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة فى الصبح . . . الخ . ( ١٦٩ / ٤ ) .  
من طريق داود بن أبى هند عن عامر ( أى الشعبي ) قال : سألت طقمة : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : فقال طقمة أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ .  
قال : لا ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه . . . الحديث .  
وأخرجه أيضا الترمذى فى سننه - كتاب التفسير ، باب ومن سورة الأحقاف ( ٣٨٧ / ٥ )  
رقم ٣٢٥٨ . وقال فيه : هذا حديث حسن صحيح \* .  
وفى هذه الرواية دلالة على أن ابن مسعود لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن .

وفي الباب اختلاف كثير في الروايات . ( ١ )

وأما ما ذكرناه هو المختصر منها ويحتمل أن ابن مسعود كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن إلا أنه لم يكن عند خطاب الجن وقراءة القرآن عليهم . ( ٢ )

( ١ ) يشير بذلك إلى ما يوجد من خلاف في حديث ابن مسعود وقد روى عنه هذه القصة جماعة من التابعين ولذلك تعددت عنه الروايات ، جمعها ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ١٦٤ - ١٦٦ ) ويوجد فيها بعض الخلافات . ومن ذلك هذا الذي ذكره المؤلف أي حضور ابن مسعود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن أو عدم حضوره . وسيأتي الكلام عليه .

ومن الخلاف فيها أيضا ما رواه زر بن حبيش عنه أنه قال : هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه ، قالوا : انظتوا ، قالوا : صه ، . . . الحديث . أخرجه الحاكم في مستدرکه ( ٢ / ٤٥٦ ) .

وروى معن بن عبد الرحمن عن أبيه أنه قال : سألت مسروقا من آذان النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : حدثني أبوك - يعنى عبد الله - أنه أدنت بهم شجرة \* أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب المناقب ، باب ذكر الجن ( ٧ / ١٧١ رقم ٣٨٥٩ ) وكلتا الروايتين توافق حديث ابن عباس الذى سبق ذكره ( ص ١ - ٣ ) وهنالك روايات أخرى عن عبد الله بن مسعود تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الجن وقرا عليهم قصدا ، وتقدم التوفيق بين هذه الروايات بتعدد القصة . وهذا يدل على أن ابن مسعود حفظ القصةين جميعا فرواهما .

كما صرح به البيهقي في دلائل النبوة ( ٢ / ٢٢٧ ) وروى القصةين بسنده ، وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ١٦٣ ) بعد أن ذكر رواية زر بن حبيش ورواية مسروق : يحتمل أن يكون هذا في المرة الأولى ويكون اثباتا مقدا ما على نفي ابن عباس رضى الله عنهما ويحتمل أن يكون في الأولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى أدنته بهم الشجرة أى أطلعت باجتماعهم والله أعلم ، ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم .

( ٢ ) هكذا جمع البيهقي في دلائل النبوة ( ٢ / ٢٣٠ ) فانه قال : يحتمل قوله في الحديث الصحيح : " ما صحبه منا أحد " أراد به في حال ذهابه لقراءة القرآن عليهم ، إلا أن في هذا الحديث ( يقصد الرواية التى تدل على أن خروجه كان قصدا ) من اعلامه اصحابه بخروجه اليهم يخالف ما روى في الحديث من فقد انهم اياه حتى قيل : اغتيل استظير ، إلا أن يكون المراد بمن فقد غير الذى ظم بخروجه " وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ١٦٦ ) : أما ابن مسعود رضى الله عنه فانه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته الجن ، ودعا اياهم ، وانما كان بعيدا منه ، ولم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم أحد سواه ، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة ، هذه طريقة البيهقي .

وأما قوله : " المراد بمن فقد غير الذى ظم بخروجه " فقال فيه ابن كثير : " وهو محتمل على بعد " وذكر في ذلك احتمالا آخر أقوى منه وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج أول مرة لم يكن معه ابن مسعود ولا غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى ( يقصد رواية طقمة ) . . . ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى . هذا هو الصواب فيما يبدو لى لاسيما ثبت أن ابن مسعود حفظ القصةين ، وما ذكره البيهقي لا يوافق رواية طقمة إلا بالتأويل .

فانه روى أنه قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خطأ وقال : لا تبرح هذا الخط وانطلق في الجبل قال فصمعت لفظاً (صوتاً) عظيماً فارت أن أذهب في أثره فذكرت قسول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبرح الخط " فلم أذهب . فلما رجع ذكرت له ذلك ، فقال لي : لو خرجت من الخط لم ترني أبداً (٢) .

( ١ ) قال ابن الأثير : اللفظ : صوت وضجة لا يفهم معناها .

النهاية ٢ / ٢٢٥٧ .

( ٢ ) ورد ذلك ( أى أن النبي صلى الله عليه وسلم خط له خطأ وقال : لا تبرح ، وقوله : لو خرجت من الخط لم ترني أبداً ) في عدة روايات عن ابن مسعود ، منها ما رواه الامام أحمد في مسنده ( ٣٩٩ / ١ ) من طريق عمرو البكالى عن ابن مسعود قال : استبعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فانطلقنا حتى أتيت مكان كذا وكذا فخط لي خطّة ، فقال لي : كن بين ظهري هذه ، لا تخرج منها ، فانسلك ان خرجت هلكت قال : فكنت فيها . . . الحديث .

وانظر الروايات الأخرى في تفسير الطبرى ( ٢٦ / ٢١ ) والمعجم الكبير

للطبرانى ( ١٠ / ٨١ ) وتفسير ابن كثير ( ٤ / ١٦٥-١٦٦ ) .

واستدل المؤلف بذلك على ما ذكر من احتمال بأن ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم عند مخاطبته للجن وقراءته عليهم بل كان داخل الخط الذى خط له وتقدم أن هذا الاحتمال ضعيف لا يتفق مع ما جاء في رواية علقمة من تصريح بأنه لم يحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم أحد . ليلة الجن ، وقتنا : ان الصواب في ذلك هو التعدد .

أى أنه صلى الله عليه وسلم خرج في المرة الأولى لم يكن معه ثم خرج معه

في ليلة أخرى .



قوله تعالى ( قل هل أَوْحى اليّ أنه استمع نفر من الجن ) قال  
الفراء<sup>(١)</sup> : الفراء اسما بين الثلاثة الى عشرة<sup>(٢)</sup> . وحكاه ابن السكيت أيضا عن<sup>(٣)</sup>

( ١ ) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء النحوى كوفى نزل  
بغداد ، روى عن قيس بن الربيع ومنديل بن طلى وعلى بن حمزة الكسائى وغيره وعنه  
سلمة بن عاصم ومحمد بن الجهم السمرى .  
وهو ثقة ، وورد عن ثعلب أنه قال : لولا الفراء لما كانت عربية . ولسقطت . لأنه  
خلصها ، ولأنها كانت تتنازع ويدعيها كل أحد .  
وقال ابن الأنبارى : لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة الا الكسائى  
والفراء لكفى ، وقال بعضهم . أمير المؤمنين فى النحو ، مات بطريق الحج  
سنة سبع ومائتين ، وله ثلاث وستون سنة .  
انظر سير اعلام النبلاء<sup>(١٠/١١٨)</sup> وتهذيب التهذيب ( ١١/٢١٢ ) وبغية  
الوعاة ( ٢/٣٣٣ ) .

( ٢ ) لم أهد الى قوله فى معانى القرآن .  
وقد ذكر هذا القول الجوهري فى الصحاح ( ٢/٨٣٣ ) وابن منظور فى  
لسان العرب ( ٥/٢٢٦ ) دون عزو الى أحد ولفظ ابن منظور : وهو اسم جمع يقع  
على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة الى العشرة .  
انظر أيضا تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ( ص ٤٨٩ ) وتفسير القرطبي  
٠ ( ٧/١٩ )

( ٣ ) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الكسيت ( بكسر السين والمهطة والكساف  
المشددة ويعدّها يا شاة من تحتها ، ثم ثاء شاة من فوقها وعرف بذلك  
لأنه كان كثير السكوت ، طويل الضمت ) البغدادى النحوى الموهوب ، مؤلف  
كتاب اصلاح المنطق .

وكان أبوه موهبا ، فتعلم يعقوب وسرع فى النحو واللغة وأدب أولاد الأمير  
محمد بن عبد الله بن طاهر . وأدب ولد المتوكل .  
قال الخطيب : كان من أهل الفضل والدين موشوقا بروايته .  
وقال الذهبى : دىن خير ، حجة فى القراءة .  
وله من التصانيف من نحو من عشرين كتابا ، مات سنة أربع وأربعين ومائتين ،  
انظر تاريخ بغداد ( ١٤/٢٧٣ ، ٢٧٤ ) سير اعلام النبلاء ( ١٢/١٦ )  
وبغية الوعاة ( ٢/٣٤٩ ) .

ابن زيد<sup>(١)</sup> : يقولون : عشرة نفر ولا يقولون عشرون نفرا ولا ثلاثون نفرا<sup>(٢)</sup> .  
وقد روى أنهم كانوا تسعة نفر ، وذكروا أسماءهم وقد بيننا<sup>(٣)</sup> . وروى عاصم<sup>(٤)</sup> عن

( ١ ) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، ذكر الذهبي أن فيه لبنا ، وكان صاحب قرآن وتفسير ، جمع تفسيراً في مجلد ، وكتابه في الناسخ والمنسوخ ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة .

انظر سير أعلام النبلاء ( ٣٤٩ / ٨ ) .

( ٢ ) ذكره ابن منظور في لسان العرب ( ٢٢٦ / ٥ ) عن الليث " يقال : هو—ولا " عشرة نفرأى عشرة رجال ، ولا يقال : عشرون نفرا ولا ما فوق العشرة " .

( ٣ ) انظر ١ / ٢١٢ من الأصل .

عند قوله تعالى لا وإذ صرفنا اليك نفرأ من الجن يستمعون القرآن الآية ٢٩ من سورة الاحقاف .

وقال ابن حجر في فتح الباري ( ٦٧٤ / ٨ ) : أخرج ابن مردويه من طريق عمر ابن قيس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أنهم كانوا تسعة .

وأما أسماءهم ففيها خلاف كبير ، وقد ذكرها الماوردي في تفسيره ( ٣٨ / ٤ ) ، ( ٣١٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢١١ / ١٦ ) وابن حجر في فتح الباري ( ٦٧٤ / ٨ ) .

( ٤ ) هو عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود ( بنون وجيم ) . الأسدى الكوفي أبو بكر المقرئ . روى عن زر بن حبیش وأبي عبد الرحمن السلمى وقرأ عليهما القرآن ، وأبى وائل وغيرهم .

روى عنه الأعمش وشعبة والسفيانان وغيرهم .

قال الحافظ ابن حجر في التقریب : صدوق له أوهام حجة في القراءة .

مات سنة ثمان وعشرين ومائة .

تهذيب التهذيب ٣٨ / ١٥ ، تقریب التهذيب ١٥٩ .

(١) نذ أنه : كان فيهم زبيعة . (٢)

(١) هو زبن حبيش بن حباشه بن أوس بن بلال الأسدي أبو مريم الكوفي ، ثقة جليل مخضرم ، مات سنة احدى أو اثنتين وثمانين وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة . انظر تهذيب التهذيب (٣ / ٣٢١) وتقريب التهذيب ١٠٦ .

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الاصابة (١ / ٥٥٦) وقال : زبيعة الجنى أحد الجن الذين استمعوا القرآن \* . وانظر أيضا لسان العرب (٨ / ١٤٠) .  
وأما الأثر فأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢ / ٢٠) وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٣٠٤) .  
يسندهما عن سفيان عن عاصم عن زر ،

وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٤ / ٣٨ ، ٣١٨) والزمخشري في الكشاف (٤ / ٣١٠) والقرطبي في تفسيره (١٩ / ٣) وابن حجر في فتح الباري (٨ / ٦٧٤) وأبو حبان في البحر المحيط (٨ / ٣٤٧) .

وهناك أقوال أخرى في عدد هؤلاء الجن ، منها أنهم كانوا سبعة ، وقيل : أنهم كانوا خمسة عشر ، وقيل : كانوا على ستين راحلة ، وقيل : كانوا ثلاثمائة ، وقيل : كانوا اثني عشر ألفا ، راجع لمعرفة هذه الأقوال المصادر السابقة .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤ / ١٦٧) جمعا لهذه الروايات : \* فعمل هذا الاختلاف دليل على تكرور وفادتهم عليه صلى الله عليه وسلم \* وكذا جمع أبو حبان بين هذه الأقوال بتعدد القصة . وقال الألباني في روح المعاني (٢٩ / ٨٢) .

\* وقد يجمع الاختلاف في القصة والكثرة بأن ذلك لتعدد القصة \* .  
واختلف أيضا في هؤلاء الجن فقيل : أنهم كانوا من أهل نصيبين وقيل : أنهم من أهل نينوى ، وقيل : أنهم من جزيرة الموصل ، وقيل : أنهم من أهل نجران . ذكر هذه الأقوال الماوردي في تفسيره (٤ / ٣٨) ويجمع أيضا بين هذه الأقوال بتعدد القصة .

وقوله تعالى ( فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ) اي عجبا في نظمه وتأليفه وصحة

معناه (١)

ولا يصح قوله ( انا سمعنا ) الا بالكسر (٢) وقوله ( يهدى الى الرشدي ) اي الى الصواب وطريق الحق (٣) وقوله ( فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا ) اي لا نجعل أحدا

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٣١٩/٤) والقرطبي في تفسيره (٧/١٩) في معنى قوله "عجبا" عدة أوجه . . . أحدها : عجبا في فصاحة كلامه ، والثاني : عجبا في بلاغة مواعظه ، والثالث : عجبا في عظم بركته ، وكل هذه الأوجه صالحة لأنها تكون مرادة فان القرآن كلام الله تعالى القادر المطلق ، الذي لا يشبهه شيء من مخلوقاته فكذلك كلامه لا يشبهه كلام أحد من مخلوقاته ، وهو يشير اعجاب الناس لأنه خارج عن اشكاله ونظائره ، لأن العجب هو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره كما قال الزمخشري في الكشاف (٦٢٣/٤) وأبو حيان في البحر المحيط (٣٤٧/٨) وقال النحاس في اعراب القرآن (٥٢٠/٣) : ومعنى عجب عجيب في اللفظة . . . أنه الشيء الذي يقل ولا يكاد يوجد مثله " وعليه فقال الزمخشري : "عجبا" بدعي ما بينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه ، قائمة فيه دلائل الاعجاز .

وعجب مصدر ، يوضح موضع العجب وفيه مبالغة .

وقال أبو حيان : وصفوا " قرآنا " بقولهم "عجبا" وصفا بالمصدر على سبيل المبالغة أي هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه وحسن معانيه ودقة معانية وغرابة أسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه ما بينا لسائر الكتب .

انظر أيضا تفسير الرازي (١٥٤/٣٠) وتفسير النسفي (٢٧٠/٥) .

(٢) ذلك لأنه محكي بعد القول ، ومثله يجب فيه كسر " ان " . وكذا قرأ جميع القراء السبعة ، كما في الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٣٩/٢) ومعاني القرآن للفرأ (١٩١/٣) .

قال الرازي في تفسيره (١٥٤/٣٠) " أجمعوا على أن قوله " أنه استمع " بالفتح لأنه نائب فاعل " أوحى " فهو كقوله " أوحى " التي هذا القرآن " . وأجمعوا على كسر انا في قوله ( انا سمعنا ) لأنه مبتدأ محكي بعد القول " . انظر أيضا الكشاف (٦٢٣/٤) .

(٣) ذكر الماوردي في تفسيره (٣١٩/٤) والقرطبي في تفسيره (٧/١٩) قولين فسئ (الرشدي) أحدهما : مرشد الامور . والثاني : التي وعرفه الله تعالى .

وأما الآخرون فذكروا أيضا قولين - أحدهما : أن المراد الصواب ، أي يدعو الى الصواب . والثاني : الى التوحيد والايان ، انظر الكشاف (٦٢٣/٤) وتفسير

الرازي (١٥٤/٣) وتفسير النسفي (٢٧٠/٥) والبحر المحيط (٣٤٧/٨) . وكل هذه الأقوال ترجع الى معنى واحد وهو أنه يهدى الى السداد والنجاح .

انظر تفسير ابن كثير (٤٢٨/٤) .

من خلفه شريكاً له<sup>(١)</sup> وقوله تعالى ( وأنه تعالى جد ربنا ) قرئ بالكسر وبالفتح .<sup>(٢)</sup>  
فمن قرأ بالكسر فهو أن الجن " قالوا " <sup>(٣)</sup> ومن قرأ بالفتح فنصبه على معنى " آما "

( ١ ) قال الزمخشري في الكشاف ( ٦٢٣/٤ ) .

أى : ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان \* وذكر القرطبي في تفسيره ( ٧/١٩ ) قولين في معنى الآية احدهما : اى لا نرجع الى ابلين ولا نطيعه ، لأنه الذى كان يعشهم لياتوه بالخير ، ثم رمي الجن بالشهب .

والثاني : اى لا نتخذ مع الله لها آخر ، لأنه المتفرد بالربوبية ، وهذا هو المتبادر من ظاهر الآية .

قال القرطبي : وفي هذا تعجيب المؤمنين بذهاب شركي قريش عما ادركته الجن يتدبرها القرآن .

( ٢ ) اختلفت القراءة في الهمزة من " انه " و " انا " و " انهم " من هذه الآية السى قوله تعالى " وانا منا المسلمون " الآية ٤٤ وهى اثنا عشر موضعا .

فقروا ابن كثير ( هو عبد الله بن كثير للحكى ) ونافع ( هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن المدني ) وأبو بكر ( هو عاصم الكوفي ) بكسر الألفات في جميع المواضع الا قوله تعالى " وأنه لما قام عبد الله " فقروا ابن كثير وأبو عمرو بالفتح ،

وأما الباقر ( وهم عبد الله بن عامر الشامي وحفص بن سليمان وحمزة بن حبيب الكوفي والكسائي ) فقرأوا بالفتح في جميعها الا اذا كان بعد القول أو فاء الجزاء .

انظر التيسير في القراءات السبع ( ص ٢١٥ ) والكشاف عن وجوه القراءات ( ٣٣٩/٢ ) وحجة القراءات ( ص ٧٢٧ ) وتفسير القرطبي ( ٧/١٩ ) والبحر المحيط ( ٣٤٧/٨ ) .

( ٣ ) ذكر مكي بن ابي طالب في الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٣٤٠/٢ ) ان حجة من كسر في هذه المواضع انه قطعها عما قبلها وابتدأ بقوله : " وأنه تعالى جسد ربنا " وعطف عليه ما بعده من " ان " فكسرها كلها كحال المعطوف عليه .

انظر ايضا حجة القراءات ( ص ٧٢٧ ) ومشكل اعراب القرآن ( ٤١٣/٢ - ٤١٤ ) والبحر المحيط ( ٣٤٧/٨ ) .

وأنه تعالى جد ربنا ، فانتهب بوقوع الايمان عليه .<sup>(١)</sup>

والقراءة بالكسر أحسن القراءتين .<sup>(٢)</sup>

(١) أما الذين فتحوا الهمزة فذكروا في توجيه قراءتهم قولين .  
أحد هما : هذا الذي ذكره المؤلف . وقد ذهب اليه الفراء . في معانى القرآن  
(٣ / ١٩١) قال : فأما الذين فتحوا كلها فانهم ردوا " أن " في كل السورة على  
قوله " فأما به " وأما بكل ذلك ، ففتحت " أن " لوقوع الايمان عليها .

وذكر هذا التوجيه مكى بن أبى طالب في الكشف عن وجوه القراءات (٢ / ٣٤٠)  
ومشكل اعراب القرآن (٢ / ٤١٣) .

ويورد على هذا التوجيه بأنه عطف على المضمرة المخفوض بخير إعادة الخافض  
وفيه قبح ، ورد عليه أبو حيان في البحر المحيط (٨ / ٣٤٧) بأنه جائز على مذهب  
الكوفيين وهو الصحيح .

والثاني : أن كلها في موضع رفع لأنها معطوفة على قوله " أنه استمع " وهو مرفوع على  
أنه نائب فاعل " أوحى " ذكر هذا التوجيه مكى بن أبى طالب في الكشف  
(٢ / ٣٤٠) ومشكل اعراب القرآن (٢ / ٤١٣) وأبو حيان في البحر المحيط  
(٨ / ٣٤٧) وعزاه الى أبى حاتم ، ثم رد عليه بقوله : هذا لا يصح لأن مسن  
المعطوفات ما لا يصح دخولها تحت " أوحى " وهو كل ما كان ضمير المتكلم كقوليه  
" انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع " ألا ترى أنه لا يلائم " أوحى السى أنا كنا  
نقعد منها مقاعد " وكذلك باقيها .

انظر أيضا حجة القراءات ( ص ٧٢٧ - ٧٢٨ ) وتفسير الرازى (٣٠ / ١٥٤)  
وتفسير القرطبي (١٩ / ٧) .

(٢) قال القرطبي في تفسيره (١٩ / ٧) بعد أن ذكر القراءة بالفتح : وقرأ الباقيون  
كلها بالكسر ، وهو الصواب ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم عطا على قوله " فقالوا  
انا سمعنا " لأنه كله من كلام الجن .

وقال ابن جريو في تفسيره (٢٩ / ١٠٧) :  
وأحب ذلك الي أن أقرأ به الفتح فيما كان وحيا والكسر فيما كان من قول الجن ،  
لان ذلك أفصحها في العربية وأبينها في المعنى ، وان كان للقراءات الأخرى  
وجوه غير ط فوعة صحتها .

وهذا هو الصواب أن يقال فيما اختلف فيه القراء السبعة ، لأنه لا يمكن أن تكون  
احدى القراءات المتواترة خطأ فيقال في الأخرى : انها الصواب ، لأن من شرط  
التواتر أن تكون القراءة موافقة للغة العرب مطلقا .

انظر البذور الزاهرة ( ص ٧ ) .

وقوله تعالى ( جد ربنا ) أى عظمة ربنا هذا قول قتادة وغيره ، والجِد : العظمة ، وهو البخت أيضا وهو أبو الأب .<sup>(٢)</sup>

وفى حديث أنس : كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا . أى عظم .<sup>(٣)</sup>  
وقوله عليه الصلاة والسلام " ولا ينفع ذا الجد منك الجد " <sup>(٤)</sup> أى لا ينفع ذا البخت

( ١ ) رواه عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١ / ١٦٦ ) عن معمر وابن جبر فى تفسيره ( ٢٩ / بسنده عن سعيد ومعمر كلاهما عن قتادة - ولفظ سعيد : أى تعالى جلاله وعظمته وأمره ، ولفظ معمر : تعالى أمر ربنا ، تعالت عظمته .

وذكر هذا القول ( أى أن معنى جد ربنا : عظمة ربنا ) ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن ( ص ٤٨٩ ) والماوردى فى تفسيره ( ٣٢١ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٧٨ / ٨ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٨ / ١٩ ) كلهم من قول قتادة ، وزاد القرطبى فعزاه الى عكرمة ومجاهد أيضا .

( ٢ ) انظر النهاية ( ٢٤٤ / ١ ) ولسان العرب ( ١٠٨ ، ١٠٧ / ٣ ) .  
وأما البخت فهى كلمة فارسية ، تكلمت بها العرب ، انظر أيضا لسان العرب ( ٩ / ٢ ) .  
وقال الراغب فى المفردات ( ص ٨٩ ) .  
" وأنه تعالى جد ربنا " أى فيضه ، وقيل : عظمته ، وهو يرجع الى الأول ، وإضافته اليه على سبيل اختصاصه بطله ، وسمى ما جعل الله للانسان من الحظوظ النبوية جدا ، وهو البخت ، فقيل جدوت ، وحفظت .

( ٣ ) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ( ١٢٠ / ٣ ) عن يزيد بن هارون أنا حميد عن أنس فى سياق طويل ، وفيه " كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا يعنى عظم . . .

( ٤ ) هو قطعة من حديث طويل معروف أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الأذان باب الذكر بعد الصلاة ( ٣٢٥ / ٢ ، رقم ٨٤٤ ) وسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ( ٩٠ / ٥ ) ولفظ البخارى : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : فى دبر كل صلاة مكتوبة " لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " .

منك بخته اذا أردت به سوءاً أو مكروهاً<sup>(١)</sup> .

( ٣ )

وعن الحسن<sup>(٢)</sup> قال تعالى ( جد ربنا ) أى غنى ربنا .

وعن ابراهيم والسدي<sup>(٥)</sup> قالا ( جد ربنا ) أى أمر ربنا<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) نقل ابن حجر فى فتح البارى ( ٢ / ٣٣٢ ) عن ابن التين أنه قال فى معنى الحديث : هو كما نقول : ولا ينفعك منى شىء ان أنا أردت كسوه ، وعقب عليه ابن حجر بقوله : ولم يظهر من كلامه معنى " وذكر أن ذلك يقتضى أن يكون فيه حذف تقديره من قضائى أو سطوتى أو عذابى " ، ثم أورد أقوالاً أخرى فى معنى الحديث . منها ما حكاه الراغب فى المفردات ( ص ٨٩ ) أن المراد به هنسا أبو الأب ، أى لا ينفع أحداً نسبه " .

وقال النووى فى شرح صحيح مسلم ( ٥ / ٩٠ ) : المشهور الذى عليه الجمهور أنه يفتح الجيم ومعناه : لا ينفع ذا الفنى والحظ منك غناه " .

( ٢ ) هو الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى أبو سعيد مولى الأنصار أمه خيمرة مولاة أم سلمة ، قال ابن سعد : ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ونشأ بوادى القوى . وكان فصيحا .

قال ابن حجر : ثقة فقيه فاضل مشهور .

وقال الداودى : كان اماما كبير الشأن ، رفيع الذكر ، رأسا فى العلم والعمل ، له التفسير ، رواه عنه الجماعة ، توفى سنة مائة وعشر .

تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣ ، تقريب التهذيب ٦٩ ، طبقات المفسرين ( ١ / ١٥٠ ) .

( ٣ ) رواه عبد الرحمن فى زوائده على تفسير مجاهد ( ٢ / ٦٩٧ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٢٩ / ١٠٤ ) من طرق عنه .

وذكره من قوله ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨ / ٣٧٨ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ٨ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٨ / ٣٤٧ ) وعزاه القرطبى أيضا الى أنس وعكرمه ، وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٣٢٠ ) من قول عكرمه .

( ٤ ) هو ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعى أبو عمران الكوفى الفقيه ، ثقة ، إلا أنه يرسل كثيرا . مات سنة ست وتسعين وهو ابن خمسين أو نحوها . تهذيب التهذيب ( ص ٢٤ ) .

( ٥ ) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى ( بضم المهطة وتشديد الدال ، منسوب الى السدة صفة باب مسجد الكوفة . المغنى ١٣٨ ) أبو محمد الكوفى الأعور ، وهو السدى الكبير ، كان يقعد فى سدة باب الجامع ، فسمى السدى ، روى عن أنس وابن عباس وغيرهما ، وعنه الثورى وأبو عوانة وغيرهما ، صدوق يهمل ورعى بالتشيع ، مات سنة سبع وعشرين ومائة .

تهذيب التهذيب ١ / ٣١٣ ، تقريب التهذيب ٣٤ ، طبقات المفسرين ١ / ١١٠ .

( ٦ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٢٩ / ١٠٣ ) من طريق مهران عن سفیان به . وهو أيضا مروى عن ابن عباس .

وذكره من قول السدى الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٣٢٠ ) .



٠٠/٠٠

وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٧٨/٨ ) والقوطى فى تفسيره ( ٨/١٩ )  
وابن كثير فى تفسيره ( ٤٢٨/٤ ) وأما ابراهيم فلم أجد من ذكر عنه هذا القول .

واكتفى المؤلف بذكر ثلاثة أقوال فى معنى قوله " وأنه تعالى جد ربنا " .  
وهناك أقوال أخرى أوصلها الماوردى الى عشرة أقوال . منها ما قاله أبو عبيدة فى  
مجاز القرآن ( ٢٧٢/٢ ) أى أن معناه : علا ملك ربنا وسلطانه .

ومنها : أنهم عنوا بذلك الجد الذى هو أبو الأب ، ويكون هذا من قول الجن  
عن جهالة .

وأما الراجح من هذه الأقوال فقد ذهب ابن جربو فى تفسيره ( ١٠٥/٣٠ ) الى  
اختيار القول بأن معناه : تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه ، لأن الجد يستعمل  
فى كلام العرب للمعنيين .

أحد هما : الجد الذى هو أبو الأب أو أبو الام ، وهذا لا يجوز أن يقول به هؤلاء  
النفير لأنهم قد قالوا : " فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا " ومن وصف الله تعالى بأن له  
ولدا أو جد فلا شك أنه من المشركين .

والمعنى الثانى للجد هو الحظ ، يقال : فلان ذو جد فى هذا الأمر اذا كان  
له حظ فيه ، وهو الذى يقال بالفارسية البخت ، ثم قال القوطى : وإنما عنوا أن  
حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية ، فلا يكون له صاحبة ولا ولد .

وقال النحاس فى اعراب القرآن ( ٥٢١/٣ ) :  
" واحسن ما روى فى معنى " جد ربنا " قول ابن عباس : أنه الفنى والعظمة  
والرفعة ، وأصل الجد فى اللغة الارتفاع ، من ذلك الجد أبو الأب ، ومنه الجد  
الحظ ، وباللغة الفارسية البخت ، ويقال : ان الجن قصدوا هذا وانهم ارادوا  
الرفعة والحظ ، أى ارتفع ربنا عن أن ينسب الى الضعفاء الذى فى خلقه من أشخاص  
المرأة وطلب الولد والشهوة يدل على هذا أن بعده ( ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ) .

- قوله تعالى ( ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ) اي زوجة وولداً (١) .  
 وقوله تعالى ( وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً ) . فيه قولان :-  
 أحدهما : أن السفيه هو ابليس عليه اللعنة وهو قول مجاهد (٢) .  
 والآخر : أنه كل عاص متمرد من الجن (٣) .

(١) انظر تفسير الطبري ( ١٠٥ / ٢٩ ) وتفسير النسفي ( ٢٧١ / ٥ ) وهذه الجملة مفسرة لما قبلها ، ولذا لم يعطف عليه .  
 انظر الكشاف ( ٦٢٣ / ٤ ) وروح المعاني ( ٨٥ / ٢٩ ) .

(٢) ذكر هذا القول ( أي أن العراد بالسفيه ابليس ) ابن جرير في تفسيره ( ١٠٧ / ٢٩ ) وروى بسنده عن مجاهد أنه قال : في قوله " سفيهاً على الله شططاً " قال ابليس .

وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٣٢٠ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٧٨ / ٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ٩ / ١٩ ) وأبو حيان في البحر المحيطة ( ٣٤٨ / ٨ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤٢٨ / ٤ ) والألوسي في روح المعاني ( ٨٥ / ٢٩ ) .

وهو قول قتادة وابن جريج أيضاً كما قال القرطبي .  
 وذكر الماوردي والقرطبي أنه رواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعزاه أبو حيان والألوسي إلى الجمهور .

(٣) هو قول مقاتل ، فإنه قال في تفسيره ( ١ / ٣٧٢ / ٢ ) " سفيهاً " يعني جاهلنا يعني كفارهم .

وقال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٤٨٩ ) : " سفيهاً " جاهلنا .  
 وكذا قال الماوردي أيضاً في تفسيره ( ٣٢٠ / ٤ ) أي جاهلنا ، وهم العصاة منا .  
 وقال القرطبي في تفسيره ( ٩ / ١٩ ) .  
 وقيل : المشركون من الجن ،  
 وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٢٨ / ٤ ) .

" ويحتمل أن يكون العراد بقولهم ( سفيهاً ) اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة أو ولداً " .

والصواب فيما يبدو لي هو القول الأول أي أن العراد ابليس . بدليل قوله ( سفيهاً ) ولم يقل سفيهاً ونا .

وقد ثبت أنهم كانوا تحت رئاسة ابليس ، وهو الذي كان يوجههم .

وقوله ( شططا ) أى كذبا<sup>(١)</sup> ، وقيل : جورا<sup>(٢)</sup> قوله تعالى ( وانا ظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا ) .

وقرأ يعقوب<sup>(٣)</sup> ( أن لن نقول الانس والجن ) أى تتقول<sup>(٤)</sup> معناه ظاهر، كأنهم

( ١ ) ذكر هذا القول المأوردى فى تفسيره ( ٣٢٠ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٩ / ١٩ ) عن الكلبى .

( ٢ ) قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٤٨٩ ) " شططا " أى جورا فى المقال وذكره المأوردى فى تفسيره ( ٣٢٠ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٩ / ١٩ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٢٨ / ٤ ) كلهم من قول ابى مالك .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٧٨ / ٨ ) .  
" الشطط : الجور والكذب . وهو وصفه بالشريك والولد " .

وقال الراغب فى المفردات ( ص ٢٦٠ )  
الشطط : الافراط فى البعد، . . . قال : " لقد ظننا اذا شططا " أى قولاً بعيداً عن الحق .

وقال أبو حيان فى البحر المحيط ( ٣٤٨ / ٨ ) .  
والشطط : التعدى وتجاوز الحد ، . . . أى قولاً هو فى نفسه شطط، وهو نسبة صاحبة والولد الى الله تعالى " .

وكل هذه المعانى متقاربة - عبر به الجور لأنه بعيد من العدل ، وعن الكذب لأنه بعيد عن الصدق .

( ٣ ) هو يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفى ، أبو يوسف الأعمش التميمى .  
قرأ على أبى بكر ابن عياش وكان أجمل من قرأ عليه ،  
قال النفاش : كان أبو يوسف الأعمش صاحب قرآن ، وفرائض ، ولست أقدم عليه  
أحداً فى القراءة .

وقال ابن الجوزى : توفى فى حدود المائتين .  
انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ( ١ / ١٣١ - ١٣٢ ) وغاية النهاية فى طبقات  
القراء لابن الجوزى ( ٢ / ٣٩٠ ) .

( ٤ ) فى النسختين ( يقول ) والصواب ما أثبتته - وأما هذه القراءة ( لن تقول ) فذكرها  
ابن خالوية فى شواند القرآن ( ص ١٦٢ ) وابن جنس فى المحتسب ( ص ٣٢٣ ) عن  
الحسن والجحدري ويعقوب وابن أبى بكر .

انظر أيضاً زاد المسير ( ٢٧٨ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ٩ / ١٠ - ١١ ) وهسى  
قراءة شاذة .

ظنوا أن كل من قال على الله مشيئا فهو كما قال وأن لا يجرى الكذب على الله (١).

قوله تعالى ( وأنه كان رجال من الانس ) فان قال قائل : قد قرئ هذا لكسسه بالنسب فما وجه النصب فيه ؟

والجواب عنه : قد بيننا وجه النصب فيما سبق وباقي الآيات نصت بحكم المجاورة والعطف (٢) أو بتقدير آمننا أو ظننا أو شهدنا (٣) ، والعرب قد يتبع الكلمة الكلمة في الاعراب بنفس المجاورة والعطف (٤) مثل قولهم : " جحر صب خرب " (٥).

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (٣٤٨/٨) " وأنا ظننا " الآية . . . آى كسا حسنا الظن بالانس والجن واعتقدنا أن أحدا لا يجترى على أن يكذب على الله فينسب اليه صاحبة والولد فاعتقدنا ضعة ما أعوانا به ابليس ومردته حتى سمعنا القرآن فتبيننا كذبهم " .  
انظر أيضا تفسير الطبرى (١٠٧/٢٩) وزاد المسير (٣٧٨/٨) وتفسير القرطبي (٩/١٩).

(٢) تقدم في ( ص ١٩-٢٠ ) ذكر القراءتين في قوله تعالى " وأنه تعالى جد ربنا " وما بعدها من الآيات التي في أولها انه ، أو انا ، أو انهم . وهي اثنا عشر موضعا آخرها قوله تعالى ( وأنا منا المسلمون ) . مع ذكر توجيه كل قراءة .

(٣) قال الرازى في تفسيره (١٥٤/٣٠) بعد أن ذكر هذه القراءة ( آى النصب فى الكل ) : والتقدير ( فأما به ) وآمننا بأنه تعالى جد ربنا ، وبأنه كان يقول سفهينا وكذا البواقى " .

ثم ذكر على هذه القراءة اشكالين - أحدهما : أنه يفتح اضافة الايمان السى بعض هذه السورة ، فانه يفتح أن يقال : وآمننا بأنه كان يقول سفهينا على الله شططا .

والثانى : أنه لا يعطف على الهاء المخفوضة الا باظهار الخافض لا يقال : آمننا به وزيد بل يقال : آمننا به وبزيد .

وأجاب عن الاشكالين فقال : انا اذا حملنا قوله " آمننا " على معنى : صدقنا وشهدنا زال الاشكالان " .

وأجيب عن الاشكال الثانى بأنه جائز على مذهب الكوفيين كما أن فى توجيه هذه القراءة قولا آخر وهو أن كلها معطوفة على قوله " أنه استمع " وهو مرفوع لانه نائب فاعل أو حى .

انظر للتفصيل ص ٢٠ ، وأيضا البحر المحيط (٣٤٧/٨) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة " ب " .

(٥) لم أجد من ذكر هذا التوجيه - آى أنها قرئت منصوبة على المجاورة ، وهو غير صحيح هنا ، أولا لأنه لا يوجد مجاورة بين هذه الآيات ، بل بينها فواصل . وثانيا المعروف هو التجر على الجوار كما فى المثال . أما النصب على الجوار فهو غير معروف .

وقوله ( يعوذون برجال من الجن ) في التفسير : أن الرجل كان يسافر والقوم كانوا يسافرون فإذا بلغوا مكانا قفوا<sup>(١)</sup> من البرية وأمسوا قالوا : تعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه<sup>(٢)</sup> ، حكى عن بعضهم وهو كروم بن أبي السائب<sup>(٣)</sup> أنه قال : انطلقت مع أبي في سفر ، ومعنا قطعة من الغنم فنزلنا واديا . قال : فجاء نذب وأخذ حملاً من الغنم<sup>(٤)</sup> ، فقام أبي وقال : يا عامس الوادي : نحن في جوارك ، فحين قال

( ١ ) القفر والقفرة : الخلاء من الأرض ، وجمعه قفار وقفور . لسان العرب ٥ / ١١٠ .  
 ( ٢ ) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ( ١٠٨ / ٢٩ ) ورواه عن جماعة من أئمة التفسير ، وذكره الرازي في تفسيره ( ١٥٦ / ٣٠ ) . وأبو حيان في البحر المحيط ( ٣٤٨ / ٨ ) والأكوسي في روح المعاني ( ٨٦ / ٢٩ ) ونسبوه إلى جمهور المفسرين . وانظر أيضا تفسير الماوردي ( ٣٢٠ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ١٥٩ / ٧ ) وزاد المسير ( ٣٧٨ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ١٠ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٢٨ / ٤ ) .  
 وذكر الرازي وأبو حيان والأكوسي قولا آخر وهو أن العواد أنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الانس أيضا لكن من شر الجن ، مثل ان يقول الرجل : أعوذ برسول الله من جن هذا الوادي ،

وذهب أصحاب هذا القول إلى هذا التأويل لأن الرجل لا يطلق على الجن . وقال الرازي : وهذا ضعيف ، فإنه لم يقدم دليل على أن الذكر من الجن لا يسمى رجلا ،

واستغرب هذا القول أبو حيان والأكوسي ، فالراجح هو ما عليه الجمهور ، وأما إطلاق لفظ الرجال على الجن فسيأتي قريبا إن شاء الله .

( ٣ ) في الأصل ( السائب بن أبي كردم ) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته كما في المصادر الأخرى .

وقد ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ( ٢٨٩ / ٣ ) فقال : كردم بن أبي السائب . الأنصاري . . . قال البخاري وابن السكن له صحبة ، وقال ابن حبان " يقال له صحبة ثم أعاده في التابعين ، فقال يروي العراسيل " .

( ٤ ) الحمل : الخروف . وقيل : هو من ولد الضأن ، الجذع فما دونه . والجمع حملان وأحمال .

انظر لسان العرب ١١ / ١٨١ .

ذلك أرسل الذئب السحلي فوجع الحمل الى الفئم فلم يصبه كدمه (١) .  
 فان قال قائل كيف برجال من الجن والجن لا يستمون رجلا ؟ .  
 والجواب : قلنا : " يجوز على طريق المجاز " وقد ورد في بعض أخبار العرب  
 في حكاية : أن قوما من الجن قالوا : نحن أناس من الجن : فاذا جاز أن يسموا  
 أناسا جاز أن يسموا رجلا (٢) .

(١) قال ابن منظور : الكدم : تمشش العظم وتعرفه . وقيل : هو العض بأد نسي  
 الفم كما يكدم الحمار ، وقيل : هو العض عامة .  
 لسان العرب ١٢ / ٥٠٩ ( كدم ) .

والحديث أخرجه ابن أبي حاتم ( كما في تفسير ابن كثير ٤ / ٤٢٩ ) والطبراني  
 في المعجم الكبير ( ١٩ / ١٩١ رقم ٤٣٠ ) وأبو الشيخ في العظمة ( ق ٢٢٨ / ب )  
 والبخاري في تفسيره ( ٧ / ١٥٩ ) .

كثيرهم من طريق عبد الرحمن بن اسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب  
 قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم بمكة ، فأوانا المبيت الى راعي غنم ، فلما انتصف الليل جاء نئب فأخذ  
 حملا من الغنم ، فوشب الراعي ، فقال : يا عامر الوادي جارك فنادى من ناد  
 لا نراه يقول : ياسرحان : أرسله ، فأتى الحمل يشتد حتى دخل الفئم ، ولم  
 تصبه كدمته . فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأنه كان  
 رجال من الانس يعوذون برجال من الجن " هذا لفظ البخاري .

وقد أورد هذا الحديث غير واحد من المفسرين - واسناده ضعيف ، لأن فيه  
 عبد الرحمن بن اسحاق الكوفي ، وهو ضعيف ، كما قال البيهقي في مجمع الزوائد  
 ( ٧ / ١٢٩ ) .

(٢) قال الأكوسي في روح المعاني ( ٢٩ / ٨٥ ) :  
 " الآية ظاهرة في أن لفظ الرجال يطلق على ذكور الانس وقيل لا يطلق على  
 ذكور الجن " .

وعلى هذا القول فسر الآية بعض المفسرين فقالوا : انه كان رجال من الانس  
 يعوذون من شر الجن برجال من الانس ، وكان الرجل يقول مثلا أعوذ بحذيفة بن  
 اليمان من جن هذا الوادي . وقد تقدم عن الرازي وغيره تضعيف هذا القول ، وقال  
 الرازي في تفسيره ( ٣٠ / ١٥٦ ) : لم يقد دليل على أن الذكر من الجن لا يسمى رجلا .  
 وذكر القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ١٠ ) هذا القول ، ونقل عن القشيري أنه قال : وفي  
 هذا تحكم ان لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن " .

أما قوله ( فزاد وهم رهقا ) فيه قولان .

أحدهما : أن الانس زادوا الجن رهقا أى عظمة فى أنفسهم كأن الانس لما استعان بالجن ازداد الجن فى أنفسهم عظمة (١) .

والقول الثانى : هو أن الانس ازدادوا رهقا بالاستعانة من الجن ، ومعناه طفغيانا (٢) .  
وانما كان الانس لما استعانوا بالجن وآمنوا فى أنفسهم ازدادوا كفرا ، وظنوا أن آمنهم كان من الجن (٣) .

(١) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره (١٠٩/٢٩) ورواه عن قتادة وإبراهيم النخعي .

وقال أبو حيان فى البحر المحيطة (٣٤٨/٨) : " والظاهر أن الضمير المرفوع فى " فزاد وهم " عائد على رجال من الانس إذ هم المحدث عنهم ، وهو قول مجاهد والنخعي وعبيد بن عمير ، فزاد وهم : أى الانس أى جراءة وانتخا وطغيانا وغشيان المحارم وأعجابا بحيث قالوا : سدنا الانس والجن " ثم ذكر أن بعضهم فسره الرهق بالاشم ، والمعنى على هذا القول : زادت الانس الجن مأثما لأنهم عظموهم فزاد وهم استحلالا لمحارم الله تعالى .

انظر أيضا هذا القول فى تفسير مقاتل (١/٣٧٢/٢) وزاد المسير (٣٧٩/٨) وتفسير الرازي (١٥٦/٢٩) والكشاف (٦٢٤/٤) وتفسير القرطبي (١٠/١٩) .

(٢) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢٧٢/٢) " رهقا " سفهاً وطغياناً " .  
وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٤٨٩) " رهقا " أى ضللاً ، وأصل الرهق : العيب ، ومنه يقال يرهق فى دينه " .

(٣) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره (١٠٩/٢٩) قال :  
وقال آخرون : بل عنى بذلك أن الكفار زادوا بذلك طغياناً وكفراً ، روى هذا التفسير عن مجاهد . وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٣٧٩/٨) قال :  
أن الجن زادوا الانس رهقا ، ذكره الزجاج " ثم أورد فى معنى الرهق ما قاله أبو عبيدة وابن قتيبة .

انظر أيضا هذا القول فى الكشاف (٦٢٤/٤)  
وهناك قول ثالث ذكره ابن جرير وغيره وهو أن الجن زادت الانس مخافة ، يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم ويفغونهم لما رأوا من خفة أحلامهم فزادوهم واحتقروهم " .  
وهو قول قتادة وأبى العالية وابن زيد والربيع بن أنس .  
انظر تفسير الطبري (١٠٩/٢٩) وتفسير القرطبي (١٠/١٩) والبحر المحيطة (٤٣٨/٨) وتفسير ابن كثير (٤٢٨/٤) .

ونذهب ابن جرير إلى اختيار القول بأن معناه : فزاد الانس الجن بفعلهم ذلك اثماً ، وذلك زاد وهم به استحلالا لمحارم الله وهذا الذى يهظر من سياق الكلام .

وقيل : رهقاً أي غشياناً للمحارم ، وقيل : مقارفة للاشم (١) .

قال الأعشى (٢) :

لا شئَ يَنفَعُنِي مِن دُونِ رُوَيْتِهَا      وهل يَشْتَفِي عَاشِقٌ مَا لَمْ يَصِبْ رَهَقاً (٣)

(١) ذكر ابن منظور في لسان العرب (١٠/٢٩١) هذين المعنيين لكلمة الرهق ،

وذكر الماوردي في تفسيره (٤/٣٢٠) ثمانية أقوال في معنى هذه الكلمة ،  
أحدها : طغياناً - قاله مجاهد .

والثاني : اثماً قاله ابن عباس وقادة .

والثالث : خوفاً . قاله أبو العالية والربيع وابن زيد .

والرابع : كفراً قاله سعيد بن جبير .

والخامس : أذى . قاله السدي .

والسادس : غيظاً قاله مقاتل .

والسابع : عظمة قاله الكلبي .

الثامن : سفهاً . حكاه ابن عيسى .

وهذه الأقوال تعتبر تفسيراً لكلمة الرهق ، لا معناها اللغوي ، لأن الرهق

في كلام العرب هو الاشم وغشيان المحارم ، انظر لسان العرب (١٠/٢٩١) .

والمفردات للأصفهاني (ص ٢٠٤) وتفسير البغوي (٧/١٥٩) وتفسير السرازي

(٣٠/١٥٦) .

(٢) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد المعروف بأعشى قيس ،

ويقال له : اعشى بكو بن وائل ، والأعشى الكبير ، وكان أعشى الغنيتين ، وكسبى

بأبى بصير - تفاؤلاً له بشفاة بصره ، أولنقاد بصيرته ، وهو من الطبقة الأولى

من شعراء الجاهليين ، ولد في قرية منفوحة باليمامة ، عاش طويلاً ، أدرك الاسلام

ولم يسلم ، مات في السنة السابعة من الهجرة .

انظر طبقات فحول الشعراء (١/٦٥) ومعجم الشعراء للمرزياني (١٢/٤٠١)

ومعجم المؤلفين (١٣/٦٥) ومقدمة ديوانه (٥-٦) .

(٣) انظر البيت في ديوانه (ص ١٢٤) .

وفيه ( وامق ) بدل ( عاشق ) والمعنى واحد .



قوله تعالى ( وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ) في الآية :  
دليل على أنه كان في الجن قوم لا يؤمنون بالبعث كما في الانس (١) .

(١) ذكر هذا المعنى ( أى أن المراد بالبعث بعث القيامة ) الرازى في تفسيره  
( ١٥٧/٣ ) قال :

الآية دلت على أن الجن كما أنهم كان فيهم مشرك ويهودى ونصرانى ففيهم  
من ينكر البعث .  
واليه ذهب النسفى في تفسيره ( ٢٧٢/٥ ) قال :

" أن لن يبعث الله أحدا ) بعد الموت ، أى أن الجن كانوا ينكرون البعث  
كأنكاركم ، ثم بسماح القرآن اهدوا وأقروا بالبعث ، فهلا أقروتم كما أقروا "  
انظر أيضا زاد المسير ( ٢٨٠/٨ ) وتفسير القرطبي ( ١١/١٩ ) والبحر  
المحيط ( ٢٤٨/٨ ) وروح المعانى ( ٨٦/٢٩ ) .

وفي الآية قول آخر وهو أن المراد بالبعث بعثة الرسالة .  
قال الرازى : ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يبعث أحداً للرسالة على ما هو  
مذهب البراهمة .

وهذا الذى ذكره الرازى بلفظ الاحتمال قطع به ابن جرير في تفسيره  
( ١١٠/٢٩ ) ان لم يذكر غيره ، قال : يعنى أن الرجال من الجن ظنوا كما  
ظن الرجال من الانس أن لن يبعث الله أحداً رسولاً الى خلقه يدعوهم الى  
توحيدهم " ثم رواه عن الكلبى .

وقال أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٣٨/٨ ) " الظاهر أنه بعثة الرسالة الى  
الخلق ، وهو أنسب لما تقدم من الآى ولما تأخر " .  
انظر أيضا تفسير القرطبي ( ١١/١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٢٩/٤ ) . ويبدو  
لنى أن الصواب هو القول الاول أى أن المراد بعث القيامة ، لان كلمة البعث  
غالباً ما تستعمل فى هذا المعنى ، واذا أريد بها بعثة الرسالة قيد بقريضة  
تدل عليها .

ثم ان هذه الآية والتي قبلها يحتمل أن تكونا من كلام الجن ، ويحتمل أن  
تكونا من جملة الوحي ، وان كانتا من كلام الجن وهو الذى قاله بعضهم مع بعض  
كان التقدير : وان الانس ظنوا كما صننتم ايها الجن .  
وان كانتا من الوحي كان التقدير : وان الجن ظنوا كما ظننتم ياكفار قريش .  
وعلى كلا التقديرين فالآية توكيد للحجة على قريش ، أى اذا آمن هؤلاء الجن  
بمحمد فأنتم أحق بذلك .

انظر تفسير الرازى ( ١٥٦/٣٠ - ١٥٧ ) وتفسير القرطبي ( ١١/١٩ ) والبحر  
المحيط ( ٤٣٨/٨ ) .

قوله تعالى ( وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً وشد يداً شهباً ) أى ملئت حرساً بالملائكة (١) .

وقوله ( شهباً ) جمع شهاب : وهو قطعة من النار (٢) وقد ذكرنا من قبل صورة كيفية استراق الشياطين (٣) السمع من السماء ، وأنهم كانوا يسمعون الكلمة فيضمون اليها عشر ويلقونها الى الكهنة فلما كان فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم حرس السماء ورمى

(١) فى قوله ( حرساً ) ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه جمع مفرد حارس ، والمعنى : حفظه - قاله القرطبى فى تفسيره

( ١١ / ١٩ ) واليه ذهب ابن جرير فى تفسيره ( ١١٠ / ٢٩ ) .

والثانى : أنه اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ووصف

بشد يد مراعاة للغة ، ولو ذهب الى معناه : لقييل : شداد .

ذهب اليه الزمخشري فى الكشاف ( ٦٢٤ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ١٥٧ / ٣٠ )

وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٣٤٩ / ٨ ) .

والثالث : أنه مصدر ، على معنى حرس حراسة شديدة ، ذكره القرطبى فى تفسيره

( ١٢ / ١٩ ) .

ويبدو مما ذكره المؤلف أنه ذهب الى هذا القول لأنه قال : ملئت حرساً

بالملائكة . وهذا الخلاف كما يبدو لى خلاف لفظى لا يؤثر فى المعنى ، ان الكل

متفقون على أن السماء حرس حراسة شديدة . وهو لا الحراس هم الملائكة

الشداد .

انظر تفسير الماورى ( ٣٢١ / ٤ ) وزاد المصيرى ( ٣٨٠ / ٨ ) .

( ٢ ) قال الفيروز آبادى فى القاموس المحيط ( ٩٠ / ١ ) وابن منظور فى لسان العرب

( ٥٠٩ / ١ ) :

" الشهاب : شعلة نار ساطعة " .

وكذا قال الراغب فى المفردات ( ص ٢٦٧ ) : " الشهاب " : الشعلة الساطعة

من النار الموقدة ، ومن العارض فى الجو " .

وقال الطهبرى فى تفسيره ( ١١٠ / ٢٩ ) : وهى النجوم التى كانت ترجم بهبها

الشياطين " .

وقال الماورى فى تفسيره ( ٣٢١ / ٤ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١١ / ١٩ ) .

" شهباً " جمع شهاب ، وهو انقراض الكواكب المحرقة لهم عند استراق السمع " .

هكذا فسر كلمة الشهاب ، والأحسن أن يقال : " ما ينقض من الكواكب المحرقة

لهم عند استراق السمع " لان الشهاب اسم ليس مصدراً .

( ٣ ) كلمة ( الشياطين ) ساقطة من نسخة " ب " .

( ١ )  
الشياطين بالشهب .

فان قال قائل : لم يزل هذا الأمر معهوداً قبل الرسول وهو انقراض الكواكب ،

وذكره شعراء الجاهلية في أشعارهم ، وقال بعضهم :  
 فأنقض كالدرى يتبعه (٢) نفع (٣) يتور (٤) نخالة (٥) طبيبا  
 قاله أوس الأودي . (٦)

( ١ ) انظر الأصل ( ١ / ٢٥٤ ) عند قوله تعالى " الا من استرق السمع فأتبعه شهابٌ مبین " سورة الحجر الآية ١٨ ، وجاء ذكر كيفية استراق السمع في حد يسمت ابن هريرة الذي اخرج به البخارى في صحيحه ( ٢٨٠ / ٨ رقم ٤٧٠١ ) أن النسي صلى الله عليه وسلم قال : اذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوان ، ينفذهم ذلك ، فاذا فرغ عن طوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال : الحق ، وهو العلي الكبير ، فيسمعهم سترقوا السمع وسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر ، ووصف سفيان بيده وقسرج بين أصابع يده اليمنى ، نصبها بعضها فوق بعض ، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها الى صاحبه ، فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمى بها الى الذى يليه الى الذى هو أسفل منه حتى يلغوها الى الأرض ، فتلقى على فم الساحر ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيصدق ، فيقولون : أئتم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً ؟ للكلمة التى سمعت من السماء .

( ٢ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ٢٨٢ / ٤ ) " كوكبٌ درىٌ ودرىٌ : شاقبٌ ضيٌّ " .

( ٣ ) النقع : الغبار ، جمعه نقاع ونقوع . انظر القاموس المحيط ١٠ / ٣ .

( ٤ ) خال الشىء يخال خيلاً وخيلاً : ظنه ، وهو من باب ظننت وأخواتها التى تدخل على الابتداء والخبر .

انظر لسان العرب ٢٢٦ / ١١ .

( ٥ ) الطَّبِيبُ والطَّنْبُ : حَبْلُ الخِباءِ والسَّرادِقِ ونحوهما .

انظر المصدر السابق ٥٦٠ / ١ .

( ٦ ) فى النسختين ( قاله لا قوة الأوربي ) والصواب ما أثبتته كما صرح به القرطبي فى تفسيره ( ١٣ / ١٩ ) .

وهو أوس بن حجر بن عتاب التميمي أبو شريح ، شاعر تميم فى الجاهلية . أو من كبار شعرائها ، وفى نسبة اختلاف بعد أبيه حجر ، وهو زوج أم زهير بن أبى سلمى كان كثير الأسفار ، عمر طويلاً ، وذكر ابن سلام أنه مقدم الطبقة الثانية ، وروى عن أبى عمرو ابن العلاء : كان أوس فحل مضر ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه ولم يدرك إلا سلام ، انظر طبقات فحول الشعراء ( ٩٧ / ١ ) وسقط اللالكى ( ٢٩٠ / ١ ) ، والأعلام ( ٣١ / ٢ ) . والبيت فى ديوانه ( ص ٣ ) وأنشده أيضا الطاووردى فى تفسيره ( ٣٢١ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ١٥٧ / ٣٠ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٣ / ١٩ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٢٤٩ / ٨ ) وابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ( ٤٣٠ ) .

وإذا كان هذا أمراً معهوداً في الجاهلية فما معنى تعليقه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعندكم أنه كان معجزته وأساساً لنبوته ؟ .

والجواب عنه بوجهين :

أحدهما : أنه لم يكن هذا من قبل وإنما حدث في زمان نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم والأشعار كلها منحوّلة<sup>(١)</sup> على الجاهلية أو قالوها بعد مولده حين قرب مبعثه<sup>(٢)</sup> .

وذكر السدي : أن أول من تنبه للرمي بالشهب هو هذا الحي من ثقيف<sup>(٣)</sup>

( ١ ) قال ابن منظور : نَحَلَهُ الْقَوْلَ يَنْحَلُهُ نَحْلًا : نَسِيَهُ إِلَيْهِ ، وَنَحَلْتَهُ الْقَوْلَ أَنْحَلُهُ نَعْلًا بِالْفَتْحِ : إِذَا أَضْفَتَ إِلَيْهِ قَوْلًا قَالَ غَيْرَهُ وَأَدْعَيْتَهُ عَلَيْهِ ، وَفُلَانٌ يَنْتَحِلُ مَذْهَبَ كَذَا وَقَبِيلَهُ كَذَا إِذَا انْتَسَبَ إِلَيْهِه .  
لسان العرب ١١ / ٦٥١ .

( ٢ ) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٢١ ) والرازي في تفسيره ( ٣٠ / ١٥٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ١٢ - ١٣ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٨ / ٣٤٩ ) والنسفي في تفسيره ( ٥ / ٢٧٢ ) .

وعزاه الرازي الى ابن عباس وأبي بن كعب ، وأما القرطبي فعزاه الى ابن عباس وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر والكلبى وعبد الملك ابن سابور ونافع بن جبير ، وأورد عنهم آثارا تدل على ان انقضاء الكواكب لم يكن الا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو آية من آياته .

وعزاه النسفي الى الجمهور ، وقال الرازي بعد أن ذكر بعض الآثار عن ابن عباس وأبي بن كعب : وهو لا زعموا أن كتب الأوائل قد توالفت عليها التحريفات ، فلعل المتأخرين ألحقوا هذه المسألة بها طعنا منهم في هذه المعجزة ، وكذا الأشعار المنسوبة الى أهل الجاهلية ، لعلها مختلفة عليهم ومنحوّلة \* .

وذكر الماوردي والقرطبي عن الجاحظ أنه أنكرو بيت أوس بن حجر وقال : كل شعر روى فيه فهو مصنوع ، وأن الرمي لم يكن قبل المبعث ،

وأما أبو حيان فذكر عن الجاحظ خلاف ذلك ، فإنه قال القول بالرمي أصح لقوله " فوجدناها طئت " وهذا اخبار عن الجح أن زيد في حرس السماء حتى امتلأت \* .

( ٣ ) قبيلة من قبائل العرب ، وثقيف هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ، وقيل اسمه قسي<sup>١</sup> .

نزلوا الطائف ، وانتشروا في البلاد في الاسلام .

انظر جمهرة أنساب العرب ( ص ٢٦٦ ) واللباب ( ١ / ٢٤٠ ) .

( ١ )  
فخافوا خوفاً شديداً وظنوا أن القيامة قد قربت فجعلوا يمتقون العبيد ويسبيون  
المواشى فقال لهم ابن عبد ياليل<sup>(٢)</sup> : لا تعجلوا وانظروا الى النجوم المعروفة هل هي  
في أماكنها ؟ . فقالوا : هي في أماكنها ، قال : فإذا هذا الأمر هذا الرجل السدى  
خن بمكة .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) قال ابن منظور : سَبَبَ الشَّيْءَ : تَرَكَهُ . وَسَبَّبَ الدَّابَّةَ أَوِ النَّاقَةَ أَوِ الشَّيْءَ تَرَكَهُ  
بَسَبَبٍ حَيْثُ شَاءَ .

وقال أيضا : والسائبة التي في القرآن العزيز في قوله تعالى " ما جعل الله من  
بحيرة ولا سائبة " كان الرجل في الجاهلية اذا قدم من سفر بعيد أو برى من  
علة أو نجثة دابة من مشقة أو حوب قال : ناقتي سائبة أي تسببت فلا ينتفع  
بظهرها .  
لسان العرب ١ / ٤٧٨ .

( ٢ ) كذا وقع في الأصل . وفي تفسير ابن كثير ( عبد ياليل بن عمرو بن عمرو ) وذكره  
الزركلي في الاعلام ( ١٨٧ / ٤ ) قال : عبد ياليل ، من جرهم بن قحطان ،  
قال وهب بن منبه : كانت عاصمته مكة ، وكان تابعا لبني يعرب بن قحطان ملك  
اليمن ، وذكره ابن منظور في لسان العرب ( ٧٤٠ / ١١ ) وقال : اسم رجس  
جهاولي .

( ٣ ) ذكر نحوه ابن كثير في تفسيره ( ٤٣٠ / ٤ ) عن السدى .  
قال : لم تكن السماء تحرس الا ان يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر ، فكانت  
الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا  
يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث اليه محمد صلى الله عليه وسلم  
نبياً رسولاً رجعوا ليلية من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل  
السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يمتقون أرقابهم  
ويسبيون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمرو : ويحكم يا معشر أهل  
الطائف أمسكوا عن مالكم ، وانظروا الى معالم النجوم ، فان رأيتموها مستقرة فسي  
أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، انما هذا من أجل ابن ابي كبشة يعني محمداً صلى  
الله عليه وسلم وان نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء ، فتظنوا فرأوها فكفوا عن  
أموالهم . . . الخ .

والجواب الثاني : هو الأصح أن الرمي بالشهب قد كان من قبل ، ولكنه لما كان في زمان الرسول كشر وقوي ، قال معمر : <sup>(١)</sup> فلت للزهري : <sup>(٢)</sup> أكان الرمي بالشهب قبيل الرسول في الجاهلية ؟ قال : نعم ! ولكنه لما كان زمان الرسول كثر واشتد . <sup>(٣)</sup>

( ١ ) هو معمر بن راشد الأزدي الحداني أبو عروة بن أبي عمرو البصري سكن اليمن شهد جنازة الحسن البصري روى عن قتادة والزهري وغيرهما .  
ثقة ثبت فاضل ، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً ، وكذا فيما حدث به بالبصرة .  
مات سنة أربع وخمسين ومائة . وهو ابن ثمان وخمسين سنة .  
تهذيب التهذيب ١ / ٢٤٣ ، تقريب التهذيب ٣٤٤ .

( ٢ ) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، كنيته أبوبكر المدني الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته واتقانه ، أحد الأئمة الاعلام .  
مات سنة خمس وعشرين ومائة ، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين .  
تهذيب التهذيب ٩ / ٤٤٥ ، تقريب التهذيب ٣١٨ .

( ٣ ) ورد ذلك في تفسير عبد الرزاق ( ق ١٦١ / ب ) فانه روى من طريق معمر عن الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس في قوله : " يجدشها بأرصداً " قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه من الأنصار . . . الحديث . بطوله ، وفي آخره : قال معمر : فقلت للزهري : أو كان يوفى بها ؟ قال : نعم ، قلت : أفرايت قوله : " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع . . . الآية ، قال : شدد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر هذا الأثر غير واحد من المفسرين انظر الكشاف ( ٤ / ٦٢٦ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ١٣ ) والبحر المحييط ( ٨ / ٣٤٩ ) وتأويل مشكل القرآن ( ٤٢٩ ) .

وهذا القول هو الذي رجحه كثير من المفسرين ، وصرح به القرطبي فقال : والقول بالرمي أصح " واستدلوا على ذلك بأشياء منها حديث ابن عباس الذي رواه الزهري عن علي بن الحسين عنه ولفظه : قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم ، فاستنار ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا كنتم تقولون فسي

. . . / . . .

الجاهلية اذا رمى بمثل هذا ، قالوا الله ورسوله اعظم ، كنا نقول : ولد الليلة رجس عظيم ، ومات رجل عظيم . . . الحديث .

أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب السلام - باب تحريم الكهانة واثيان الكهان ٢٢٥/٨٤  
والترمذي في سننه - كتاب التفسير ، باب سورة سبأ ٣٦٢/٥ ( رقم الحديث ٢٣٢٤ ) .  
ويدل أيضا على أن الحرسي هو الحلء والكثرة قوله تعالى ( فوجدناها ملئت )  
وكذلك ( وأنا كنا نقعد منها مقاعد ) اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرسي  
والشهب والآن ملئت المقاعد كلها .

وقال تعالى ( ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين  
سورة الطك الآية ٥ ، فذكر في هذه الآية في خلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم  
الشياطين .

فهذه كلها تدل على أن الرمي بالشهب كان موجودا قبل بعثة النبي صلى الله  
عليه وسلم ، وكل ما في الامران الشياطين كانت تسترق في بعض الاحيان ، فلما بعث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه اليه الانس والجن  
ومنع الاشتراق أصلاً . مما حطهم على الضرب في الأرض لمعرفة ما حدث من جديد .

قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ( ص ٤٣٠ ) : ان الرجم قد كان قبل بعثته ولكنه  
لم يكن مثله الآن في شدة الحراسة قبل بعثته ، وكانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث  
منعت من ذلك أصلاً .

انظر ايضا تفسير الماوردي ( ٣٢١ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ١٦٠ / ٧ ) والكشاف  
( ٦٢٦-٦٢٥ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ١٥٧-١٥٨ / ٣٠ ) وتفسير القوطبي ( ١٢ / ١٩ ) ،  
والبحر المحيط ( ٣٤٩ / ٨ ) .

قوله تعالى ( وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ) أى مقاعد للإستماع (١) وقوله  
( فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ) أى يجد شهاباً أرصد له وهن ليومى به . (٢) (٣)

(١) قال القرطبي فى تفسيره (١٢/١٩) " مقاعد " مواضع يقعد فى مثلها للإستماع  
الأخبار من السماء ، يعنى : أن مودة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من  
الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها الى الكهنة .

(٢) كذا فى النسختين زيادة ( وهن ) ولم يسبد لى معناه ، ولعلها زائدة ، أو كلمة  
معرفة من " هيسىع " .

وقال البيهقي فى تفسيره (١٦٠/٧) عند هذه الآية : " أى أرصد له ليومى به " .

(٣) قال ابن منظور فى لسان العرب (١٧٧/٣) : " الراصدُ بالشيء " : الراقب لـه  
رصدته بالخير وغيره يَرصدُه رصداً ورصدًا : يرقبه ، قال : والترصدُّ الترقب ،  
والرصدُ : القوم يورصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر " .  
وما ذكره المؤلف هو أحد الوجوه التى ذكرت فى معنى رصداً ، قال الفراء فى  
معانى القرآن (١٩٣/٣) : " شهاباً رصداً " قد أرصد به له ليرجمه " .  
وذكره من قوله الرازى فى تفسيره (١٥٧/٣٠) وقال : وعلى هذا الرصد نعت  
للشهاب ، وهو فعل بمعنى مفعول .

انظر أيضاً تفسير الطبرى (١١٠/٢٩) وزاد المسير (٢٨٠/٨) وتفسير  
القرطبي (١٤/١٩) .

والوجه الثانى : قال مقاتل فى تفسيره (١/٣٧٢) " يعنى : رمياً  
من الكواكب ، ورصدًا من الملائكة " .  
وذكره الرازى فى تفسيره (١٥٧/٣٠) من قوله ، وذكره القرطبي فى تفسيره  
(١٤/١٩) دون عزو الى أحد .

والوجه الثالث : أى رصداً بمعنى راصداً ، وذلك لأن الشهاب لما كان  
معداً له ، فكان الشهاب راصداً له ومرصد له ،

ذكره الرازى والنسفى فى تفسيره (٢٧٢/٥) قال : " رصداً صفة لشهاباً  
بمعنى الراصد ، أى يجد شهاباً راصداً له ولأجله . وهناك وجه آخر وهو أن رصداً  
معنى : ذوى شهاب راصدين بالرجم ، وهم الملائكة الذين يورجمونهم بالشهب ،  
ويمنعونهم من الاستماع ، ذكره أبو حيان فى البحر المحيط (٣٤٩/٨) والنسفى  
فى تفسيره (٢٧٢/٥) .

ويبدو لى أن الراجح هو ما ذكره المؤلف - أى أن الرصد صفة للشهاب ،  
وهو فعل بمعنى مفعول ، وهو الذى قال به ابن قتيبة فى تفسيره غريب القسوان  
(ص ٤٨٩) " الشهاب الرصد : الذى قد أرصد به للرجم " .



قوله تعالى ( وانا لاندري اشر آريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً )  
 أى : أريد لهم الصلاح فى ذلك أو الفساد أو الخير أو الشر . ( ١ )

( ١ ) اختلف فى ذلك هل هو من كلام ابليس ، أو من كلام الجن .  
 فذكر القرطبي عن ابن زيد أنه قال : قال ابليس لاندري هل أراد الله بهذا المنع  
 أن ينزل على أهل الأرض عذاباً أو يوصل اليهم رسولا .

وقيل : انه من كلام الجن ولكن اختلف متى قالوه . فقال جماعة من المفسرين :  
 هو من قول الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم .  
 وقال الآخرون : بل هذا قول قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا اليهم منذرين  
 أى بعد ايمانهم بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وقيل فى معنى الآية : أنا لا ندري أن المقصود من المنع من الاشراف هو  
 اشر آريد بأهل الأرض أم صلاح وخير .

وقيل أيضا : لاندري أن المقصود من ارسال محمد الذى لأجله منع الاشتراق  
 هو أن يكذبوه فيهلكوا كما هلك من كذب من الأمم أم أراد أن يؤمنوا فيهدتوا .

واختلف أيضا فى المراد من الشر والرشد فى قولهم . فقال بعضهم : المراد  
 من الشر العذاب ، ومن الرشد ارسال الرسول .

وقيل : المراد من الشر والرشد فى الآية الكفر والايان .

وقيل أيضا : المراد منهما عذاب ورحمة .

والذى يمد و لى من هذه الآراء أنه من كلام الجن . قالوه بعد سماعهم  
 لقراءة النبى صلى الله عليه وسلم وايمانهم به .

والمراد من الرشد والشر فى قولهم هو الايمان والكفر ، وما يدل على ذلك  
 ما جمعوا فى هذا الكلام من الأرب وحسن الاعتقاد مع الله تبارك وتعالى . حيث لم  
 يصرحوا بنسبة الشرالى الله عز وجل كما صرحوا به فى الخير .

---

٠٠/٠٠

انظر تفسير الماوردي ( ٣٢٢/٤ ) والكشاف ( ٦٢٧/٤ ) وتفسير الرازي ( ١٥٨/٣٠ )  
وتفسير القرطبي ( ١٤/١٩ ) وتفسير النسفي ( ٢٧٢/٥ ) وروح المعاني ( ٨٦/٢٩ ) .

والآية تدل على أن الشر لا ينسب إلى الله تعالى ، وقد جاء في الحديث الذي  
أخرجه مسلم في صحيحه ( ٥٧-٥٩ ) " لبيك وسعدك والخير كله بين يديك ، والشر  
ليس إليك " كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فيما كان يستفتح به صلاته .

قال شارح العقيدة الطحاوية ( ٤١٢ ) : أي فإنك لا تخلق شرًا محضاً بل كل ما يخلقه  
ففيه حكمة ، هو باعتبارها خيراً ، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس ، فهذا شر  
جزئي إضافي .

فأما شر كلي أو شر مطلق فالرب سبحانه وتعالى منزّه عنه ، وهذا هو الشر  
الذي ليس إليه ولهذا لا يضاف إليه مفرداً قط ، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات  
كقوله تعالى ( الله خالق كل شيء ) الرعد ١٨ ( كل من عند الله ) النساء ٧٨ ، وإما  
أن يضاف إلى السبب كقوله ( من شر ما خلق ) الفلق ٢ ، وإما أن يحذف فاعله ، كقول  
الجن ( وأنا لاندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ) الجن  
١٠ . أه .

قوله تعالى ( وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ) أى سوى ذلك (١).

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٣٢٢/٤) وجهين في معنى هذه الآية :

أحدهما : "وأنا منا الصالحون" يعنى المؤمنون ، "ومنا دون ذلك" يعنى المشركين .

والثاني : ذكره بلفظ الاحتمال فقال : ويحتمل أن يويد بالصالحين أهل الخير ، وبـ "دون ذلك" أهل الشر ، ومن بين الطرفين على تدرج ،

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣٨٠/٨) .

"وأنا منا الصالحون" : وهم المؤمنون المخلصون ، "ومنا دون ذلك"

فيه قولان :-

أحدهما : المشركون .

والثاني : أنهم أهل الشر ودون الشرك .

وكذلك ذكر الرازي في تفسيره (١٥٩/٣٠) بعد أن قرر في قوله "وأنا

منا الصالحون" أن معناه : المتقون - ذكر في المراد بالذين هم دون الصالحين قولين :

الأول : أنهم المقتصدون في الصلاح غير كاملين .

والثاني : أن المراد من لا يكون كاملاً في الصلاح ، فيدخل فيه المقتصدون

والكافرون .

والصواب فيما يبدو لى هو الوجه الثاني من الوجهين اللذين ذكرهما الماوردي

أى أن المراد بالصالحين أهل الخير ، وبـ "دون ذلك" أهل الشر ، وذلك لأنه

أخبار منهم عن تقدم حالهم قبل إيمانهم ، وصرح به الماوردي ، قال بعد أن ذكره :

وهو أشبه من حمله على الايمان والشرك لأنه أخبار منهم عن تقدم حالهم قبل إيمانهم .

قال الحسن البصرى : فى الجن قدرية ومرجئة وروافض وخوارج وغير ذلك من الفرق ، وفيهم المعاصى والمطيع والمصلح وغير ذلك من المؤمن والكافر .<sup>(٥)</sup>

- ( ١ ) القدرية : هم الذين ينكرون القدر ، ويقولون بأن الأمر أنف ، ويجعلون العباد خالقين لأفعالهم ، ولا يرون أن الكفر والمعاصى بتقدير الله تعالى ، ويسميهم بعض السلف مجوس هذه الأمة .  
انظر التعريفات للجرجاني ( ١٥٢ ) ومجموع الفتاوى ( ٢٥٨ / ٨ ) وشرح العقيدة الطحاوية ( ص ٤٩٣ ) .
- ( ٢ ) المرجئة : هم الذين يؤخرون العمل عن الايمان ، أى أنهم يجعلون مدار الايمان على المعرفة بالله والمحبة له والاقرار بوحدانيته ، وأكثرهم يرون أن الايمان لا يتبعنى ولا يزيد ولا ينقص ، وبعضهم يقول : ان اهل القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصى وهم على أصناف - والمرجئة من الارجاء وهو التأخير .  
انظر مقالات الاسلاميين ( ص ١٣٢ - ١٥٤ ) والفرق بين الفرق ( ص ٩٩ - ٢٠٠ ) والملل والنحل ( ١ / ١٣٩ ) .
- ( ٣ ) الروافض : هو من الرضى وهو الترك ، ويطلق فى الاصطلاح على فرقة من الشيعة الذين تركوا زيد بن على بن الحسين حين نهاهم عن الطعن فى الصحابة .  
ولما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ، ويستعمل أيضا هذا اللقب فى كل من غلا فى هذا المذهب ، وأجاز الطعن فى الصحابة ، وتغلب على هؤلاء الروافض نزعة التجسيم فى مسألة الصفات . انظر عنهم منهاج السنة لشيخ الاسلام ( ٢ / ١٦٠ ) ومقتبس الأثر ومجدد مادبر - لمحمد حسين الأعلمى ( ٢٠٠ / ٨ ) والأديان والفرق ( ص ٦٢٦ ) .
- ( ٤ ) الخوارج : فى اللغة جمع خارج - أى منفصل .  
وفى الاصطلاح : يطلق على طائفة مخصوصة خرجت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهم ينكرون التحكيم ويكفرون أصحاب الكباير ويقولون بتخليد هم فى النار ، ويرون الخروج على أئمة الجور ، وأن الامامة جائزة فى غير قريش ، ويلقبون بأسمى عديدة منها الحرورية .  
انظر عنهم : مقالات الاسلاميين ( ١ / ٨٦ - ١٣١ ) والفرق بين الفرق ( ١٧ - ٢٠ ) والطل والنحل ( ١ / ١١٤ ) .
- ( ٥ ) ذكره البغوى فى تفسيره ( ٧ / ١٦٠ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨ / ٣٨٠ ) من قول السدى والحسن .  
وذكره الرازى فى تفسيره ( ٣٠ / ١٥٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ١٥ ) من قول السدى . ورواه ابو الشيخ فى العظمة ( ق ٢٣٣ / ١ ) من طريقين عن السدى أنه قال : الجن هم ملكم ، منهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة \* .

وقوله ( كنا طرائق قدا ) أى ذاهواً مختلفة ، وقدراً معناه : متفرقة ؛

قال الشاعر :

القائض الباسط الهادي بطاعته  
فى فتنة الناس إن أهواؤهم قدا  
أى متفرقة .

وقوله تعالى ( وأنا ظنننا أن لن نعجز الله فى الأرض ) معنى الظن ها هنا : اليقين ،  
أى أيقينا أن لن نعجزه فى الأرض أى لن نفوته ولا يعجزنا بأخذه إيانا .

وقوله ( ولن نعجزه هرباً ) قد بينا .

( ١ ) قال الفراء فى معانى القرآن ( ١٩٣ / ٣ ) .

وابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩٠ ) " كنا فرقاً مختلفة أهواؤها " .  
وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ٢٧٢ / ٢ ) : " واحد الطرائق : الطريقة ، واحد  
القدر قدة : أى ضرورياً وأجناساً " .

وذكر الماورى فى تفسيره ( ٣٢٢ / ٤ ) فى هذه الآية ثلاثة أقوال :  
أحدها : يعنى فرقاً شتى ، قاله السدى . الثانى : أى ياناً مختلفة قاله  
الضحك ، الثالث : أهواؤ متباينة .

انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٥ / ١٩ ) .

وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٦٢٧ / ٤ ) " قوله ( كنا طرائق قدا ) بيان  
للقسمة المذكورة . أى كنا ذوى مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة ، أو كنا فى  
اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة " .

وكل هذه المعانى صالحة لأن تكون مرادة لأن اللفظ يحتملها والأحسن فى  
نظري هو القول بأن معناه : كنا فرقاً ذات أهواء مختلفة ، لأنه هو الذى يدل عليه  
قول الشاعر ، ثم ان الناس لا يختلفون الا اذا اختلفت أهواؤهم .

( ٢ ) هو الراعى كما صرح به الماورى .

( ٣ ) أنشده الماورى فى تفسيره ( ٣٢٢ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٥ / ١٩ ) .

( ٤ ) قال بذلك غير واحد من المفسرين .

انظر تفسير البغوى ( ١٦٠ / ٧ ) والكشاف ( ٦٢٧ / ٤ ) وزاد المسير ( ٣٨٠ / ٨ )  
وتفسير الرازى ( ١٥٩ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٦ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٣٥٠ / ٨ ) .

( ٥ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١١٢ / ٢٩ ) :-

" وأنا علمنا أن لن نعجز الله فى الأرض إن أراد بنا سوءاً ، " ولن نعجزه هرباً  
ان طلبنا فنفوته ، وإنما وصفوا الله بالقدرة عليهم حيث كانوا " .

انظر أيضاً المصادر السابقة .

قوله تعالى ( وانا لما سمعنا الهدى آمنا به ) أى بالهدى ، والهدى هو القرآن لأنه يهدى الناس<sup>(١)</sup> .

وقوله ( فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ) أى نقصاناً من حسناته ولا زيادةً فى سيئاته<sup>(٢)</sup> ، وقيل : أى ظلماً<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) صرح غير واحد من المفسرين بأن المراد من الهدى القرآن ، قال الماوردى فى تفسيره ( ٣٢٢/٤ ) عند هذه الآية : يعنى القرآن سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه على رسالته " . والاكثر على أن الضمير فى " به " يعود على الهدى الذى هو بمعنى القرآن ، وذكر النسفى فيه قولاً آخر وهو أنه يعود على الله سبحانه وتعالى ، والمعنى واحد .  
انظر الكشاف ( ٦٢٧/٤ ) وزاد المسير ( ٣٨٠/٨ ) وتفسير الرازى ( ١٥٩/٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٦/١٩ ) وتفسير النسفى ( ٢٧٢/٥ ) .

( ٢ ) البُخْسُ : هو النقص والظلم ، انظر القاموس المحيط ( ١٩٩/٢ ) وأما الرهق : فقد تقدم أن معناه غشيان المحارم ،

والمراد هنا من البُخْسِ : النقص من الثواب ، ومن الرهق : الظلم ، كما قال به ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩٠ ) وقال أيضاً : وأصل الرهق : مارهق الإنسان من ظلم أو عيب " .  
انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ( ١٩٣/٣ ) .

وهذا الذى قاله المؤلف هو قول ابن عباس . رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١١٢/٢٩ ) من طريق على بن ابي طلحة عن ابن عباس قال : لا يخاف نقصاً من حسناته ، ولا زيادةً فى سيئاته " ، وذكره من قوله الماوردى فى تفسيره ( ٣٢٢/٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٦-١٧ ) . وقال : لأن البُخْسَ النقصان والرهِقَ العدوان ، وغشيان المحارم ، وهذا قول حكاه الله عن الجن بقسوة ايمانهم وصحة اسلامهم " .

( ٣ ) روى ابن جرير فى تفسيره ( ١١٣/٢٩ ) بسنده عن قتادة أنه قال : " فلا يخاف بخساً " أى ظلماً - أن يظلم من حسناته فينقص منها شيئاً ، أو يحمل عليه ذنب غيره ، " ولا رهقاً " ولا مأثماً " ، ، .

وذكر الزمخشري فى الكشاف ( ٦٢٧-٦٢٨ ) والرازى فى تفسيره ( ١٥٩/٣٠ )

وجهبين فى معنى هذه الآية .

أحدهما : لا يخاف جزاءً بخس ولا رهقاً لأنه لم يبخس أحداً حقاً ، ولا ظلم أحداً .  
فلا يخاف جزاءً هما .

والثانى : لا يخاف أن ينجس ، بل يقطع بأنه يجزى الجزاء الأوفى ولا يخاف أن ترهقه ذلة .

وهذه المعانى كلها سالحة لأن تكون مرادة فإن الله سبحانه وتعالى لا يظلم

عباده مثقال ذرة ، فهو لا ينقص من حسناتهم شيئاً ولا يحمل عليهم وزر غيرهم .

وقوله تعالى ( وانا منا المسلمون ومنا القاسطون ) أى الجائرون وهم الكفار<sup>(١)</sup>  
ويقال : أقسط اذا عدل ، وقسط اذا جار ، فمن أقسط مقسط ، ومن قسط قاسط<sup>(٢)</sup> ،

قال الفرزدق<sup>(٣)</sup> :

قومي هم قتلوا ابن هـنـدٍ عـنـوةً غـمراً وهم قـسـطوا / على النعمان<sup>(٤)</sup>  
أى جاروا .

وقوله ( فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ) أى طلبوا رشداً .

---

(١) كذا قال الفراء فى معانى القرآن ( ١٩٣/٣ ) :

" ومنا القاسطون " وهم الجائرون الكفار ، .  
وقال أبوحيان فى البحر المحيطة ( ٣٥٠/٨ ) : " ومنا القاسطون " أى  
الكافرون الجائرون .

(٢) قال ابن قتيبة فى تفسيره فى تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩٠ ) " القاسطون : الجائرون  
، يقال : قسط اذا جار ، وأقسط اذا عدل " .  
وانظر ايضا لسان العرب ( ٣٧٨/٧ ) .

قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٨١/٨ ) بعد أن ذكر قول ابن قتيبة :  
قال المفسرون : هم الكافرون .

(٣) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال التميمى المعروف بالفرزدق  
لقبه لفلاظة وجهه وجهاته ، كنيته أبو فراس ، من أصل البصرة عظيم  
الأثر فى اللغة والأخبار .

كان شريفاً فى قومه ، عزيز الجانب ، وكان لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء  
الا قاعداً ، وكان متعصباً لآل البيت شديد التشيع لهم .

توفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ ، وقد قارب المائة .  
انظر طبقات فحول الشعراء ( ٢٩٨/١ ) وتهذيب الأسماء واللغات ( ٢٨٠/٢ )  
ولسان الميزان ( ٤٣٣/٤ ، ١٩٨/٦ ، ١٩٩- ) ، ومعجم المؤلفين ( ١٣/١٥٢-  
١٥٣ ) .

(٤) البيت فى ديوان الفرزدق ( ٢٤٥/٢ ) .

وتوخوا له والضحى والتوخي بمعنى واحد <sup>(١)</sup> .  
وقوله ( وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ) أى الكافرون هو فى معنى قوله تعالى  
( وقودها الناس والحجارة ) <sup>(٢)</sup> .  
وقوله تعالى ( وأن لو استقاموا على الطريقة ) فى الطريقة قولان : أحدهما : أنها

---

( ١ ) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ٢٧٢ / ٢ ) : " تحروا رشداً " توختوا  
وعندوا .

وقال ابن قتبية فى تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩٠ ) وابن الجوزى فى زاد المسير  
( ٣٨١ / ٨ ) : أى توختوه وأمّوه " .

وقال الفراء فى معانى القرآن ( ٣٩١ / ٣ ) : أمّوا الهدى واتبعوه " .  
وقال البهوى فى تفسيره ( ١٦٠ / ٧ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٧ / ١٩ )  
" أى قصدوا طريق الحق وتوختوه " .

( ٢ ) سورة البقرة الآية ٢٤ .

وقال القرطبي فى تفسيره ( ١٧ / ١٩ ) : " حطباً " أى وقوداً ،  
وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٠ / ٤ ) : أى وقوداً تسع بهم .

ويورد هنا بعض المفسرين سوءاً وهو أن الجن مخلوقون من النار ، فكيف  
يكونون حطباً للنار ؟ .

وأجاب الرازى فى تفسيره ( ١٦٠ / ٣٠ ) عن هذا السؤال فقال : إنهم وإن  
خلقوا من النار ، لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية ، وصاروا لحمًا ودمًا .

( ٣ ) ( أن ) هنا مخففة من الثقيلة . وهو من جطة النوحى .

والمعنى : وأوحى إليّ أن الشأن والحديث لو استقاموا لكان كذا وكذا .

انظر الكشاف ٦٢٨ / ٤ ، تفسير الرازى ١٦٠ / ٣٠ ، تفسير النسفى ٢٧٤ / ٥ .



الأيمن وهذا قول مجاهد وقسادة وعكرمة<sup>(٢)</sup> وجماعة<sup>(٤)</sup> وهو في معنى قوله تعالى  
( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا )<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) هو مجاهد بن جبر ( بفتح الجيم وسكون الموحدة ) المكي أبو الحجاج المخزومي  
المقري مولى السائب بن أبي السائب .

ثقة امام في التفسير ، قال : عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة .  
قال خصيف : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد ، توفي بمكة سنة بضع ومائة . وهو  
ساجد ، وله ثلاث وثمانون سنة .  
تهذيب التهذيب ( ١٠ / ٤٢ - ٤٤ ) تقريب التهذيب ( ٣٢٨ ) ، طبقات المفسرين  
( ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٨ ) .

( ٢ ) هو قتادة بن دعامة ( بكسر المبهمة وخفة عين مبهمة ) بن قتادة بن عزيز بن عمرو  
ابن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس أبو الخطاب السدوسي البصري .  
ثقة ثبت ، قال ابن سيرين : قتادة أحفظ الناس .  
وقال معمر : سمعت قتادة يقول : ما في القرآن آية الا وقد سمعت فيها شيئاً\*  
مات بواسط في الطاعون سنة ثمانى عشرة ومائة . وله سبع وخمسون سنة .  
تهذيب التهذيب ( ٨ / ٣٥١ ) تقريب التهذيب ( ٢٨٠ ) وطبقات المفسرين  
( ٢ / ٤٧ ) .

( ٣ ) هو عكرمة البربري أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس ، أصله من البربر ، كان لخصين  
ابن أبي الحر المنبري فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي .  
قال فيه ابن حجر : ثقة ثبت عالم بالتفسير ، لم يثبت شك بينه عن ابن عمر ، ولا يثبت  
عنه بدعة ، وقد تكلم فيه الناس بأنه طي رأى الخواج .  
توفي بالمدينة سنة أربع ومائة - تذكرة الحفاظ ( ١ / ٩٥ - ٩٦ ) وتقريب التهذيب يسب  
٢٤٢ وطبقات المفسرين ( ١ / ٣٨٦ ) .

( ٤ ) ذكر هذا القول ( أى أن المقصود من الطريقة طريقة الايمان والحق ) ابن جرير في  
تفسيره ( ٢٩ / ١١٤ - ١١٥ ) وروى بسنده عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ما يدل على  
هذا المعنى ، وأما قتادة فروى عنه عبد الرزاق أيضاً في تفسيره ( ق / ١٦١ ب ) هذا  
المعنى . وأما عكرمة فلم أجد من ذكر عنه هذا القول ، وقد ذهب الى هذا القول  
سعید بن المسيب وسعيد بن جبیر وعطاء والسدى ومقاتل وغيرهم ،  
والمعنى على هذا القول : لو آمنوا لو سئنا عليهم ( لنقتنهم ) أى : لنلغتهم  
( فيه ) فننظر كيف شكرهم .

وذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع ، فان اللائق بالجن هو هذا الماء  
الشروب\* انظر تفسير مقاتل ( ق / ٣٧٢ ب ) وتفسير الماوردي ( ٤ / ٣٢٥ ) وتفسير  
البغوي ( ٧ / ١٦٠ - ١٦١ ) وزاد المسير ( ٨ / ٣٨١ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ١٨ )  
وتفسير ابن كثير ( ٤ / ٤٣١ ) .

( ٥ ) سورة الاعراف الآية ٩٦ .

والقول الثاني : ان الطريقة هاهنا طريقة الكفر والضلالة ، وهذا قول أبي مجلز

لاحق بن حميد (١) من التابعين وهو قول الفراء (٢) وجماعة (٣) ، وهو في معنى قوله ( وَلَوْلا  
أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فُضَّةٍ ) الآية .

فجعل تعاد بهم في الكفر سبباً لتوسيع النعم عليهم ، وكذلك قوله تعالى ( فَلَمَّا  
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ) (٥) ومعناه : أبواب كل شيء من الخيرات  
والنعم . قالوا : والقول الأول أولى لأنه عرف الطريقة بالألف واللام فينصرف الـ

(١) هو لاحق بن حميد بن سعيد ، ويقال : شمعة بن خالد بن كثير بن حبيش بن  
عبد الله بن سدوس ، السدوسي أبو مجلز البصري الأعور ، قدم خراسان ، مشهور  
بكنيته ، ثقة ، مات سنة ست و قيل : تسع ومائة ، وقيل : قبل ذلك .  
تهذيب التهذيب ( ١٧١ / ١١ ) تقريب التهذيب ٣٧٢ .

وأما قوله هذا فرواه ابن جرير في تفسيره ( ١١٥ / ٢٩ ) بسنده عن  
وأورده من قوله الماوردي في تفسيره ( ٣٢٥ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره  
٠ ( ١٩ / ١٩ )

(٢) انظر معاني القرآن ( ١٩٣ / ٣ ) .

(٣) قال بذلك أيضا محمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبسي  
وابن كيسان وابن قتيبة .

انظر تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩٠ ) وتفسير الماوردي ( ٣٢٥ / ٤ ) وتفسير البهوي  
( ١٦١ / ٧ ) وزاد المسير ( ٣٨١ / ٨ ) وتفسير الرازي ( ١٦١ / ٣٠ ) وتفسير  
القرطبي ( ١٩ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٣١ / ٤ ) .

(٤) سورة الزخرف الآية ٣٣ .

(٥) سورة الانعام الآية ٤٤ .

(٦) والمعنى على هذا القول : لو استقاموا على الكفر فكانوا كفارا لهم ، لا أكثرنا لهم  
المال لنفتنهم فيه عقوبة واشتدراجا ، ثم نعد بهم على ذلك .

ونظيره قوله تعالى : " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر  
بالرحمن لبيوتهم سُقفاً من فضة " ( سورة الزخرف الآية ٣٣ ) واستدلوا على هذا  
القول بما قال تعالى بعد هذه الآية " لنفتنهم فيه " فهو كقوله " انما نطلي لهم  
ليزادوا اثماً " ( سورة آل عمران الآية ١٧٨ ) .

قال ابن كثير بعد أن ذكر هذا القول : وله اتجاه ، ويتأيد بقوله " لنفتنهم

فيه " تفسير ابن كثير ( ٤٣١ / ٤ ) .

وانظر أيضا زاد المسير ( ٣٨١ / ٨ ) وتفسير الرازي ( ١٦١ / ٣٠ ) ، وتفسير  
القرطبي ( ١٩ / ١٩ ) .

الطريقة المعروفة المعهودة شرعاً وهو الايمان . (١)

وقوله (لأستقيناهم ماءً غدقاً) أى كثيراً ، يقول العرب : فرس غدق اذا  
كان كثير الجرى واسعة ، ومعناه : (٢)

(١) ذهب الى اختيار هذا القول الزجاج كما ذكر عنه ابن الجوزى فى زاد المسير  
(٣٨١/٨) واستدل على ذلك بما استدل به المؤلف ، وكذا ذهب القرطبي  
أيضاً الى اختياره ، فقال بعد أن ذكر القولين : والأول أشبه ، تفسير القرطبي  
٠ (١٩/١٩)

وأجاب أصحاب هذا القول عما استدل به أصحاب القول الثانى بأن من آمن  
فأنعم الله عليه كان ذلك الأنعام أيضاً ابتلاءً واختباراً حتى يظهر أنه هل  
يشتغل بالشكر أم لا ، وهل ينفعه فى طلب مرضى الله أو فى مرضى الشهوة  
والشيطان - وهذا هو الصواب فيما يبدو لى أيضاً ، والله أعلم بالصواب .

انظر تفسير الرازى . ١٦١/٣ ، الكشاف ٦٢٩/٤ ، وتفسير القرطبي (١٩/١٩)  
وتفسير الخازن (١٦١/٢) .

وفى هذه الآية اختلاف آخر وهو أن الضمير فى قوله (استقاموا) الى من  
يرجع ؟ ففيه قولان :

فقال بعضهم : الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم أى هؤلاء القاسطون  
لو آمنوا لفعلنا بهم كذا وكذا .

وقال آخرون : بل المراد الانس ، واحتجوا عليه بأن الانتفاع بالماء الفسق  
انما يدق بالانس لا بالجن ، وان هذه الآية انما نزلت بعدما حبس الله المطر  
عن أهل مكة سنين - ولما كان ذلك معلوماً جرى مجرى قوله (انا أنزلناه فى ليلة  
القدر) . وقيل : ان الأقرب أن الكل يدخلون فيه ، وهو الصواب وقد احتج  
له الرازى فقال : ان الله تعالى لما أثبت حكماً معللاً بعملة وهو الاستقامة ، وجب  
أن يعم الحكم بعموم العملة . انظر تفسير الرازى ١٦١/٣ وتفسير الخازن ١٦١/٢ .

(٢) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢٧٢/٢) وابن قتبية فى تفسير غريب القرآن  
(ص ٤٩٠) الفدق : الكثير .

وانظر أيضاً زاد المسير (٣٨١/٨) وتفسير القرطبي (١٨/١٩) وذكر ابن منظور  
أيضاً فى لسان العرب (٢٨٢-٢٨٣/١٠) ان المراد بالماء الفدق : الماء  
الكثير . ثم قال : الفدق الطويل من الخيل ، والفدق : الكريم الجواد  
الواسع الخلق الكثير العطية ، وقيل : هو الكثير الواسع من كل شىء ، وانسه  
لفدق الجرى والعدو ،

وقد ذكر الرازى فى تفسيره (١٦١/٣٠) فى المراد بالماء الفدق ثلاثة  
أقوال : أحدها أنه الغيث والمطر ، والثانى : انه إشارة الى الجنة ، والثالث :  
انه المنافع والخيرات ، جعل الماء كناية عنها ، لأن الماء أصل الخيرات . وهذا هو  
الصواب فى نظرى ، وبه قال أكثر المفسرين ، كما سيأتى بعده ، وذكر أبو حيان عن  
بعضهم أنه قال : المال حيث الماء .

أكثرنا لهم المال والنعمة لأن كثرة الماء سبب لكثرة المال (١).

وقوله ( لنفتنهم فيه ) أى لنبتليهم فيه ونختبرهم فيه (٢).

واستدل بهذا من قال : ان معنى الطريقة هو الكفر والضلالة لأنه قال لنفتنهم فيه (٣) ، وهذا لا يلزم من قال بالقول الأول لأن كثرة النعم فتنة للمؤمنين والكفرة جميعا (٤).

وقوله ( ومن يعرض عن ذكر ربه ) أى عن الايمان بربه (٥)

(١) صح غيو واحد من المفسرين أن المراد هنا سعة الرزق والمال وذكر الماء لأنه سبب لكثرة المال وسعة الرزق .

انظر تفسير البغوى (١٦١/٧) وزاد المسيرو (٣٨١/٨) وتفسير القرطبي (١٨/١٩) وتفسير النسفى (٢٧٤/٥) والبحر المحيط (٣٥٢/٨) وتفسير ابن كثير (٤٣١/٤) .

(٢) قال ابن الجوزى فى زاد المسيرو (٣٨١/٨) : " لنفتنهم " أى لنختبرهم ، وقال القرطبي فى تفسيره (١٨/١٩) : أى لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم .

وقال أبوحيان فى البحر المحيط (٣٥٢/٨) : " أى لنختبرهم كيف يشكسرون ما أنعم عليهم به ، أولنمتحنهم ونستدرجهم ، وذلك على الخلاف فىمن يعود عليه الضمير فى استقاموا ،

(٣) هذا هو الدليل على القول الثانى ، وتقدم الكلام عليه عند ذكر القول الثانى (ص ٤٣) .

(٤) تقدم ذكر هذا الجواب ( ص ٤٤ ) .

(٥) لم أجد من ذكر أن المراد بـ " ذكر ربه " الايمان بربه ، وذكر الزمخشري فى الكشاف (٦٢٩/٤) والرازي فى تفسيره (١٦٢/٣٠) ثلاثة أقوال فى معنى الذكو : أحدها : عن عبادته ، والثانى : عن موعظته ، والثالث : عن وحيه . وكذلك ذكر النسفى فى تفسيره (١٧٥/٥) ثلاثة أقوال : أحدها : القرآن ، والثانى : التوحيد ، والثالث : العبادة .

وذكر ابن جرير فى تفسيره (١١٥/٢٩) والماوردي فى تفسيره (٣٢٦/٤) وابن الجوزى فى زاد المسيرو (٣٨١/٨) والقرطبي فى تفسيره (١٩/١٩) أن المراد القرآن ، وعزاه الماوردي والقرطبي الى ابن زيد وقالوا : وفى أعراضه وجهان :

أحدهما : عن القبول ، ان قيل : انها فى أهل الكفر .  
والثانى : عن العمل ، ان قيل : انها فى المؤمنين .  
والظاهر أن المراد بالذكر هنا القرآن .

( يسلكه عذاباً صعداً ) أى شاقاً<sup>(١)</sup> والعذاب الشاق هو النار ، ومعناه : يدخله<sup>(٢)</sup>  
النار ، ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شي ما تصعدتني خطبة النكاح<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

(١) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩٠ ) " عذاباً صعداً " أى عذاباً  
شاقاً ، يقال : تصعدني الأمر : شق عليّ ،  
وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٧٢ / ٢ ) : " صعداً " مصدر الصعود ،  
وهو أشد العذاب ،

وقال ابن جرير في تفسيره ( ١١٦ / ٢٩ ) عند هذه الآية : يقول : يسلكه  
عذاباً شديداً شاقاً .

ثم روى من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ، وعن مجاهد أنهما قالا فسى  
معنى " صعداً " : مشقة من العذاب .  
انظر أيضاً تفسير الماوردي ( ٣٢٦ / ٤ ) وزاد المسير ( ٣٨١ / ٨ ) وتفسير القرآن  
٠ ( ١٩ / ١٩ )

(٢) قال القرطبي : سلكه وأسلكه : بمعنى - أى ندخله - .

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نفيل ( بنون وفاء مصفراً ) ابن عبد العزيز بن رياح  
( بختانية ) ابن عبد الله بن قرط ( بضم القاف ) القرشي العدوي أبو حفص  
أمير المؤمنين ، ولد بعد حرب الفجار بأربع سنين ، وذلك قبل البعث النبوي  
بثلاثين سنة ، وكان عند البعث شديداً على المسلمين ثم أسلم فكان إسلامه  
فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق .

وهو مشهور جم المناقب ، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وولى الخلافة  
عشر سنين ونصفه .

الإصابة ٢ / ٥١٨ - ٥١٩ ، تقريب التهذيب ٢٥٣

(٤) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام ( كما في هامش غريب الحديث ( ٣٨٧ / ٣ ) عن  
حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر .

وأورده ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩١ ) والزمخشري فسى  
الفائق ( ٢٩٩ / ٢ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٨١ / ٨ ) والقرطبي في  
تفسيره ( ١٩ / ١٩ ) وأبو حيان في البحر المحيطة ( ٣٥٢ / ٨ ) كلهم دون  
عزالي من أخرجه .

(١) أى شقت .

وعن ابن عباس أن قوله ( صعدا ) : هو جبل في جهنم وقيل : هو  
صخرة من نار يكلف الصعود عليها فإذا صعد عليها وقع في الدرك الأسفل .<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى ( وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا )  
اتفق القراء على فتح الألف في هذه الآية<sup>(٤)</sup>، وعلّة النصب أن معناه :

(١) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٣٨٧/٣) بعد أن ذكر هذا الأثر : أى :  
ما شق على ؛ وكل شيء ركبته أو فعلته بمشقة عليك فقد تصعدك ، قال الله  
تبارك وتعالى : " ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " سورة الأنعام الآية  
١٢٥ .

ويروى أن أصل هذا من الصعود وهى العقبة المنكرة الصعبة .  
انظر أيضا الفائق في غريب الحديث ٢٩٩/٢ ولسان العرب (٣/٢٥١) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٦/٢٩) والحاكم في مستدركه (٥٠٤/٢) من  
طريق اسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عنه .  
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وذكره  
من قوله الرازى في تفسيره (١٦٢/٣٠) والقرطبي في تفسيره (١٩/١٩)  
وأبو حيان في البحر المحيط (٣٥٢/٨) وذكره ابن الجوزى في زاد المسير  
٢٨١/٨ دون تصريح بقائله ، وروى نحوه عن ابى سعيد الخدرى أيضا .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/١٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٣٥٢/٨)  
عن عكرمة أنه قال : هو صخرة طساء في جهنم يكلف صعودها فإذا انتهى السى  
أعلاها حدر الى جهنم ، وذكر هذا الكلام الرازى في تفسيره (١٦٣/٣٠) فى  
نفس السياق لرواية ابن عباس .

والصواب فيما يظهر لى هو القول بأن معناه : عذابا شاقا لأن ذلك تعدل  
عليه اللفظة . فالصعد فى اللفظة هو المشقة ، ومنه قول عمر رضى الله عنه السدى  
أورد المولى ، وعليه فهو مصدر صعد ، ووصف به العذاب ، لأنه يتصعد المعتذب  
أى يعملوه ويغلبه فلا يطيقه ، وأيضاً على القول بأنه جبل فى جهنم يكلف صعوده  
لا يخلو من هذا المعنى .

(٤) هذا من المواضع التى اتفق فيها القراء على فتح الهمزة من " أن " فى هذه السورة ،  
وهى أربعة مواضع فيها ، أولها " قل أوجي الي أنه " والثاني : " وأن لو استقاموا "  
والثالث : هذه الآية ، والرابع " أن قد أبلغوا " .  
وقد ذكر هذا الاتفاق مكي بن أبى طالب فى الكشف عن وجوه القراءات السبع  
(٢/٣٣٩) ، وانظر أيضا المهدب (٢/٤٣١) وحجة القراءات ( ص ٧٢٨ ) .

ولأن المساجد لله ثم حذف اللام فانتصب الألف (١).

وقيل : انتصب لأن معناه : أوحى إلي أن المساجد لله (٢) ، وسبب نزول هذه الآية : أن الجن قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن نود أن نصلى معك فكيف نفعل ونحن نأون منك فأنزل الله تعالى قوله ( وان المساجد لله ) (٤) ومعناه : أنكم

(١) ذكر هذه العلة مكي بن أبي طالب في شكل اعراب القرآن (٤١٥/٢) وذكر أنه مذهب الخليل وسيبويه والكسائي .

وقال الزمخشري في الكشاف (٦٢٩/٤) : وقيل : معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا ، على أن اللام متعلقة بـ " لا تدعوا أي : فلا تدعوا مع الله أحداً فسي المساجد لأنها لله خالصة ولعبادته " .  
انظر أيضاً تفسير القرطبي (٢٠/١٩) والبحر المحيط (٣٥٢/٨) .

(٢) ذكر هذا القول النحاس في اعراب القرآن (٥٢٧/٣) ومكي بن أبي طالب في شكل اعراب القرآن (٤١٥/٢) وزجاجة في حجة القراءات (ص٢٢٨) وانظر أيضاً بقية المصادر السابقة .

وذكر مكي بن أبي طالب قولاً آخر وهو أنه في موضع نصب لنزع الخافض، وقال : وهو مذهب جماعة من النحويين ، ولعل النحاس هذا الذي قصدته عندما قال : في المصدر السابق له : " أن " في موضع نصب بمعنى " ولأن " ، والصواب فيما يبدو لي هو القول الثاني ( أي أنه مردود على قوله تعالى " قل أوحى إلي " ، لأنه لا يحتاج إلى أي تقدير .

(٣) هو من " نأى ينأى " أي بعد ، القاموس المحيط (٣٩٢/٤) .

(٤) روى ابن جرير في تفسيره (١١٧/٢٩) بسنده عن سعيد بن جبيرة أنه قال : قالت الجن لنبي الله صلى الله عليه وسلم : كيف لنا تأتي المسجد ونحن نأون عنك ؟ وكيف نشهد معك الصلاة ونحن نأون عنك ؟ فنزلت ( وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحداً ) .

وذكره البغوي في تفسيره (١٦١/٧) والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٩) .  
وأبو حيان في البحر المحيط (٣٥٢/٨) وابن كثير في تفسيره (٤٣١/٤) .  
كلهم من قول سعيد بن جبيرة ، وروى نحوه عن الأعمش أيضاً .  
انظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (٢٢٢) والدر المنثور  
(٣٧٤/٦) .

أين صليتم فمقصودكم حاصل من عبادة الله تعالى فلا تشركوا به أحداً ، وهو معنى قوله  
( فلا تدعوا مع الله أحداً )<sup>(١)</sup> .

يقال : هو ابتداء كلام : والمعنى أن اليهود والنصارى مشركون في البيع والصوامع<sup>(٢)</sup>  
وكذلك المشركون في عبادة الاصنام فانتم أيها المؤمنون : اعلموا أن الصلوات والسجود  
والمساجد كلها لله فلا تدعوا معه أحداً<sup>(٤)</sup> وفي المساجد أقوال :

أحدها : أنها بمعنى السجود وهي جمع مسجد ، يقال : سجدت سجوداً ومسجداً  
والمعنى : أن / السجود لله هو المستحق للسجود<sup>(٥)</sup> .

ب / ٢٩٨

( ١ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٢٠ / ١٩ ) بعد أن ذكر سبب النزول للآية : وقال الحسن :  
أراد بها كل البقاع لأن الأرض كلها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " أينما  
كنتم فصلوا " فأينما صليتم فهو مسجد ، وفي الصحيح : " جعلت لي الأرض مسجداً  
وطهوراً " .

انظر أيضاً زاد المسير ( ٢٨٣ / ٨ ) والبحر المحيط ( ٣٦٢ / ٨ ) .

( ٢ ) هو جمع مفردة : البيعة ، وهو معبد النصارى .  
القاموس المحيط ( ٨ / ٣ ) .

( ٣ ) هو جمع مفردة : الصومعة - وهو منار الراهب .  
لسان العرب ( ٢٠٨ / ٨ ) .

( ٤ ) روى عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٦١ / ب ) وابن جرير في تفسيره ( ١١٧ / ٢٩ ) عن  
قتادة أنه قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ،  
فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد ذكر ذلك أيضاً البغوي في تفسيره  
( ١٦١ / ٧ ) والزمخشري في الكشاف ( ٦٢٩ / ٤ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤٣١ / ٤ ) -  
وأورد السيوطي في الدر المنثور ( ٣٧٤ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضاً إلى عبد بن حميد  
وابن المنذر ، وورد نحوه عن ابن جرير أيضاً كما ذكر السيوطي من رواية ابن  
أبي حاتم .

( ٥ ) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٨٣ / ٨ ) والرازي في تفسيره  
( ١٦٢ / ٣٠ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢١ / ١٩ ) وأبو السعود في تفسيره ( ٤٦ / ٧ )  
وابن منظور في لسان العرب ( ٢٠٥ / ٣ ) والمساجد على هذا القول جمع مسجد  
وهو مصدر ميمي ، والمعنى كما قال ابن الجوزي : أخلصوا له ولا تسجدوا لفيسره ،  
واختار ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩١ ) هذا القول قال : " وأن المساجد  
لله " أي السجود لله ، هو جمع مسجد يقال : سجدت سجوداً ومسجداً " .



والقول الثاني : أن المساجد هو<sup>(١)</sup> المواضع المبنية للصلاة المهيأة لها  
وهي جمع مسجد<sup>(٢)</sup> ومعنى قوله (لله) نفي الملك عنها<sup>(٣)</sup> - أو معناه الأمر  
بإخلاص العبادة<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) كذا في النسختين ( هو ) والصواب في نظري ( هي ) لأنه يعود الـسـى  
المساجد .

( ٢ ) ذكر هذا القول الماوردى في تفسيره ( ٣٢٧/٤ ) وابن الجوزى في زاد المسير  
( ٣٨٢/٨ ) من قول ابن عباس .

وذكره الرازى في تفسيره ( ١٦٢/٣٠ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٠/١٩ ) والنسفي  
في تفسيره ( ٢٧٤/٥ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٣٥٢/٨ ) .  
وقال الرازى : وهو قول الأكثرين .

( ٣ ) لم أجد من ذكر هذا المعنى ، وله وجه حيث نفي سبحانه الملكية عن هذه البيوت  
المبنية للصلاة في كل طلة ، فهي ليست إلا له سبحانه وتعالى إذ لا يذكر فيها  
إلا اسمه ، ولا يعبد فيها إلا ذاته .

وقد ذكر هنا القرطبي في تفسيره ( ٢١/١٩ ) أن قوله تعالى " لله " إضافة  
تشريف وتكريم ، ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال : " وطهرت بيتهسى " .  
( سورة الحج الآية ٢٦ ) .

وقال أيضا : المساجد وان كانت لله ملكا وتشريفا فإنها قد تنسب الى غيره  
تصريفاً فيقال : مسجد فلان " واستدل على ذلك بما رواه البخارى في صحيحه  
كتاب الجهاد ( ٧١/٦ رقم ٢٨٦٩ ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق  
بين الخيل التي لم تضرر ، وكان أهدأها من الثنية الى مسجد بنى زريق " .

( ٤ ) ذكر هذا المعنى الرازى في تفسيره ( ١٦٢/٣٠ ) فقال بعد أن أورد هذا  
القول : وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس ، فأمر الله  
سبحانه المسلمين بالإخلاص والتوحيد .  
وانظر أيضا تفسير النسفي ( ٢٧٤/٥ ) .

والقول الثالث : أن المساجد : هي الأعضاء التي يسجد عليها الانسان من جبهته ويديه وركبتيه وقد ميسه<sup>(١)</sup> ، والمعنى : أنه لا ينبغي أن يسجد على هذه الأعضاء الا لله<sup>(٢)</sup> ، وقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أمرت أن أسجد

(١) هو قول سعيد بن جبير وعطاء وطلق بن حبيب وابن الأنباري . . .  
انظر معاني القرآن للفراء<sup>(١٩٤/٣)</sup> وتفسير الماوردي<sup>(٣٢٦/٤)</sup> وتفسير  
البغوي<sup>(١٦١/٧)</sup> والكشاف<sup>(٦٢٩/٤)</sup> وزاد المسير<sup>(٣٨٢/٨)</sup> وتفسير  
القرطبي<sup>(٢١/١٩)</sup> والبحر المحيط<sup>(٣٥٢/٨)</sup> وتفسير ابن كثير<sup>(٤٣١/٤)</sup> .

(٢) قال ابن الجوزي في معنى الآية : لا تسجدوا عليها لغيره .  
وقال البغوي : يقول : هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا  
تسجدوا عليها لغيره .  
وقال القرطبي : يقول : هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره بها  
فتجحد نعمة الله .

وهناك قول آخر ذكره الماوردي وابن الجوزي والقرطبي وغيرهم . وهو أن المراد  
بالمساجد هاهنا البقاع كلها ، وهو قول الحسن ، والمعنى على هذا القول كما  
ذكره ابن الجوزي : أن الأرض كلها مواضع للسجود ، فلا تسجدوا عليها لغير  
خالقها .

وما يستدل به لهذا القول الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب  
التيمم (٤٣٥/١) ، رقم الحديث (٣٣٥) . ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع  
الصلاة (٣/٤) من حديث جابر بن عبد الله أن نبي الله صلى الله عليه وسلم  
قال : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي . . . وفيه : جعلت لي الأرض مسجداً  
وطهورا ، فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل . . .

وقول آخر ذكره الرازي والقرطبي وابن كثير : وهو أن المراد المسجد  
الحرام ، قاله ابن عباس ، والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبة مخصوصة ، أو  
لأنه قبة المساجد كلها ، وكل أحد يسجد إليها ، وأما الراجح من هذه الأقوال  
فقد ذهب الفراء إلى اختيار القول بأن المراد البيوت التي تبنى للمعبادة  
والصلاة . انظر معاني القرآن (١٩٤/٣) .

وذكر القرطبي في تفسيره (٢١/١٩) أنه أظهر الأقوال ان شاء الله ،  
ووصفه ابو حيان في البحر المحيط (٣٥٢/٨) بأنه الظاهر ، واستبعد القول بأن  
المساجد هي الأعضاء التي يسجد عليها الانسان ، وكذلك استبعد القول بالمسجد  
الحرام ، ويبدو لي أيضا أن القول بأن المراد البيوت التي تبنى للمعبادة  
والصلاة ، هو الراجح لأنه قول اكثر المفسرين كما قال الرازي ، وأيضا السياق  
يؤيد .

على سبعة أعظم وأن لا أكف ثوباً ولا شعراً<sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه ) فمن قرأ بالكسر ينصرف الى قول الجن ، ومعناه : قال الجن وأنه ، وقيل : ينصرف الى قول الله ، أى قال الله تعالى وأنه لما قام عبد الله<sup>(٢)</sup> ، ومن قرأ في الفتح معناه : أوحى الى أنه لما قام عبد الله . . .<sup>(٣)</sup> فعلى القول الأول قوله ( كأدوا يكونون عليه لبدا ) ينصرف الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الله هو الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> ، والمعنى : أن الجن لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه خلفه وطواعيتهم له قالوا كأدوا يكونون عليه لبدا

( ١ ) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الأذان ، باب لا يكف ثوبه والدعاء فى الصلاة ( ٢ / ٢٩٩ ، رقم ٨١٦ ) . ومسلم فى صحيحه - كتاب الصلاة - باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب . . . ( ٤ / ٢٠٦ ) بسندهما عن ابن عباس بعثه كما أخرجاه عنه أيضا بألفاظ أخرى فى معناه من طرق مختلفة .

وجاء فى بعض الطرق أن قال النبي صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ، على الجبهة ، وأشار بيده على أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ، ولا نكفت الشياىب والشعر .

انظر صحيح البخارى ( ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٩ الأرقام ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١٢ ، ٨١٥ ) وصحيح مسلم ( ٤ / ٢٠٧ - ٢٠٨ ) .

( ٢ ) تقدم فى أول السورة ذكر الأماكن التى اختلفت فيها القراءة فقد قرأ بعض بفتح الهمزة من " أن " وقرأ بعضهم بكسر الهمزة منها ، وتقدم ذكر التوجيه لكل من القراءتين بالتفصيل ( انظر صفحة ١٤ ) .

وهذه الآية واحدة من تلك ، راجع الكشف عن وجوه القراءات ( ٢ / ٣٤٠ ) وحجة القراءات ( ص ٧٢٨ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٢٣ ) والبحر المحيىط ( ٨ / ٣٥٢ ) . وذكروا فى توجيه الكسر فى هذه الآية أنها جطة مستأنفة .

( ٣ ) انظر المصادر السابقة .

( ٤ ) اتفق المفسرون على أن المراد من عبد الله هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم . انظر تفسير القرطبي ( ٢٩ / ١١٧ ) وتفسير البغوى ( ٧ / ١٦٢ ) والكشاف ( ٤ / ٦٣٠ ) وزاد المسير ( ٨ / ٣٨٣ ) وتفسير الرازى ( ٣٠ / ١٦٣ ) .

أى يركب بعضهم بعضاً من الطواعية .<sup>(١)</sup>

وعلى القول الثانى<sup>(٢)</sup> : المعنى هو أن الله تعالى حكى عن الجن أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قرأ القرآن عليهم يعنى على الجن كادوا يكونون عليه لبدا أى على الرسول عليه الصلاة والسلام ، أى يركب بعضهم بعضاً بحب الاصفاء الى قرآنه والاستماع اليها<sup>(٣)</sup> ويقال : أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان صلى بهم وازدحموا عليه وكاد يركب بعضهم بعضاً<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ١٧١ / ٢٩ ) والبيهقى فى تفسيره ( ١٦٢ / ٧ ) والزمخشري فى الكشاف ( ٦٣٠ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٨٣ / ٨ ) ، والقرطبي فى تفسيره ( ٢٣ / ١٩ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٢ / ٤ ) وهو قول سعيد ابن جبير ، ورواه عن ابن عباس كما أخرج الترمذى فى سننه - كتاب التفسير - باب سورة الجن ( ٤٢٧ / ٥ رقم ٣٣٢٣ ) وابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١١٨ / ٢٩ ) كلاهما عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قول الجن لقومهم ( لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ) قال : لما رأوه ، يلقى وأصحابه يصلون بصلاته فيسجدون بسجوده قال : فعجبوا من طواعية أصحابه له قالوا : لقومهم ( لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ) . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

( ٢ ) أى أنه من كلام الله تعالى .

( ٣ ) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ١١٧ / ٢٩ ) قال : قال بعضهم : عنى بذلك الجن أنهم كادوا يركبون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا القرآن ثم روى من طريق عطية العوفى عن ابن عباس هذا المعنى . كما روى بسنده عن الضحاك أنه قال : كادوا يركبونه حرصاً على ما سمعوا منه من القرآن .

وقد ذكر أيضاً هذا القول البيهقى فى تفسيره ( ١٦٢ / ٧ ) والزمخشري فى الكشاف ( ٦٣٠ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٨٣ / ٨ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٣ / ١٩ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٢ / ٤ ) وذكر القرطبي وابن كثير أن ذلك مروى عن الزبير بن العوام أيضاً ،

( ٤ ) قال السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٧٥ / ٦ ) .

أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله وأنه لما قام عبد الله كادوا يكونون عليه لبدا ) قال : لما سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يتلى القرآن كادوا يركبون من الحرص لما سمعوه يتلى القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرؤه ( قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن ) . وتقدم ذكر رواية ابن جرير فى الهامش السابق ، ولا يوجد فيها لفظ ( كسادوا يركبون من الحرص ) وإنما يوجد فى قوله الضحاك .

وفي بعض التفاسير : كادوا يسقطون عليه <sup>(١)</sup> .

وأما على القراءة بالفتح : قوله ( كادوا يكونون عليه لبدا ) ينصرف الى الجن أيضاً ، وهو أظهر القولين أن الانصراف الى الجن <sup>(٢)</sup> ومن اللبّد قالوا : لبّد القوم اذا اجتمعوا .

ومنه اللبّد لأن بعضه على بعض <sup>(٣)</sup> ، وقيل : كادوا يكونون عليه لبدا : أى تلبدت

(١) قال القرطبي في تفسيره ( ٢٣/١٩ ) : " أى كاد يركب بعضهم بعضاً ازداً حاماً ويسقطون حرصاً على سماع القرآن " ، وذكر نحوه مكي بن أبي طالب في الكشف ( ٣٤٣/٢ ) وذكر أبو حيان في البحر المحيط ( ٣٥٣/٨ ) عن ابن عباس والضحاك أنهما قالا : ينقضون عليه لإستماع القرآن .

(٢) هذا الذي يدل عليه ما رواه الترمذى وابن جرير من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ، وتقدم ذكر الحديث في ص ٣٣ واختاره الواحدى ، وأنكر أن يكون ذلك من جملة الموحى " فقال كما نقل عنه الرازى في تفسيره ( ١٦٣/٣٠ ) : ان هذا من كلام الجن ، لا من جملة الموحى ، لأن الرسول لا يليق أن يحكى عن نفسه بلفظ المغايبية " ، وعقب عليه الرازى فقال : وهذا غير بعيد ، كما فسّر قوله تعالى " يوم نحشر الحقيين الى الرحمن وفداً " سورة مريم الآية ٨٥ .

والأكثر على أنه من جملة الموحى " اهـ ، واليه ذهب ابن جرير أيضاً في تفسيره ( ١١٩/٢٩ ) لأن ما قبله وهو قوله تعالى ( وأن المساجد لله ) وما بعده وهو قوله ( قل اتقوا الله ربى ) من جملة الموحى ، والى هذا أشار الرازى في تفسيره ( ١٦٣/٣٠ ) .

(٣) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٧٢/٢ ) .

" لبداً " جماعات ، واحداً لبدة ، وكذلك يقال للجراد الكثير .

وقال ابن قتبية في تفسير غريب القرآن ( ص ٤٩ ) " لبدا " أى يلبدون به ويتراكبون عليه رغبة في القرآن وشهوة لإستماعه ، وهو جمع لبدة ، يقال : غشيتته لبدة من الحرام ، أى قطعة لبدت به " .

وذكر البخارى في صحيحه ( ٦٦٩/٨ ) عن ابن عباس أنه قال : لبداً : أعواناً " وذكر ابن حجر في فتح البارى ( ٦٧٠/٨ ) أنها جمع لبدة ، واللبدة واللبيد الشيء الملبّد أى المتراكب بعضه على بعض ، وبه سعى اللبّد المعروف ، والمعنى : كادت الجن يكونون عليه جماعات متراكبة مزدحمين عليه كاللبدة " . وانظر أيضاً تفسير الطاوردى ( ٣٢٨/٤ ) ، زاد المسير ( ٣٨٣/٨ ) وتفسير القرطبي ( ٢٣/١٩ ) .

الجن والانس واجتمعوا على أن يطفئوا نور الله لما قام الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوه أى يدعو الله<sup>(١)</sup> وتسمى : لبدا ، أى كثيراً واللَّبْدُ<sup>(٢)</sup> : أيضا اسم آخر

(١) هذا قول ثالث - رواه عبد الرزاق فى تفسيره (ق ١٦١/ب) وابن جرير فى تفسيره (١١٨/٢٩) عن قتادة قال : تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله الا أن ينصره ويضيه ، ويظهره على من عاداه . وهو قول الحسن وابن زيد أيضا ، ذكره من قولهم ابن الجوزى فى زاد المسير (٣٨٤/٨) والقرطبي فى تفسيره (٢٣/١٩) وابن كثير فى تفسيره (٤٣٢/٤) وقال : وهو مروى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ، انظر أيضا الكشاف (٦٣٠/ع) وتفسير الرازى (١٦٣/٣٠) .  
وهناك قول آخر وهو أن معناه : كاد المشركون يركبون بعضهم بعضاً خرداً على النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره السوازى والقرطبي وأبو حيان فى البحر المحيط (٣٥٣/٨) .

وأما الراجح فذهب ابن جرير فى تفسيره (١١٩/٢٩) الى اختيار هذا القول . فقال : وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك قول من قال : ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعاً فى اطفاء نور الله " - وذكر ابن كثير فى تفسيره (٤٣٢/٤) عن ابن جرير هذا الاختيار ، وقال : وهو الأظهر لقوله بعده : " قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا " .

وأما ابن حجر فقال بعد أن ذكر أثر قتادة : وهو فى اللفظ واضح فى القراءة المشهورة ، لكنه فى المعنى مخالف " واختار أن المعنى هو أن الجن تراحموا على النبي صلى الله عليه وسلم لما استمعوا القرآن ، وقال فى هذا المعنى : وهو المعتد<sup>١</sup> هـ . واليه أميل أنا أيضا ، لما ثبت ذلك فى روايات كثيرة .

(٢) قرأ هشام "لبدا" بضم اللام ، والباقون بكسرها "لبدا" انظر التيسير (ص ٢١) . فهو بضم اللام فى معنى الكثرة ، كما جاء فى قوله تعالى (أهلكت ما لا لبدا) البلد الآية ٦) قال مكى بن أبى طالب : حطه على معنى : كادت الجن اذا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن يوكب بعضهم بعضاً ، ويلصق بعضهم بعضاً لشدة دنوهم منه للاصغاء والاستماع ، و"لبد" بالضم واحد يدل على الكثرة ، انظر الكشاف (٣٤٢/٢) . وذكر عبد الرحمن بن زنجلة فى حجة القراءات (ص ٢٢٩) والقرطبي فى تفسيره (٢٤/١٩) وابن حجر فى فتح البارى (٦٢٠/٨) أن "لبدا" جمع لبدة مثل غرفة وغرف ، - وهذا هو الصواب وقد ذكر ذلك ابن منظور فى لسان العرب (٣٨٢/٣) : ومن قرأ "لبدا" فهو جمع لبدة . وأما "لبدا" بكسر اللام فقد تقدم معناه بالتفصيل فى ص ٥٤) .

نسر من نسور لقمان بن عاد وكان عاش سبعمائة سنة .<sup>(١)</sup>

وقيل في المثل طال لبد على آمد .<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى ( قل انما ادعوى ) وقوى " قال انما ادعوى<sup>(٣)</sup> في التفسير :  
ان النضر بن الحارث<sup>(٤)</sup> قال للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وخالفت دين  
ابائك وان العرب لا يوافقونك على هذا فارجع الى دين ابيائك فانزل

(١) قال ابن منظور : وليد : اسم آخر نسور لقمان بن عاد سماه بذلك لانه لبد فبقى

لا يذهب ولا يموت كاللبد من الرجال ، اللزم لرحلة لا يفارقه .  
وقال أيضا : وتزعم العرب ان لقمان هو الذي بعثته عاد في وفد ها الى الحيوم  
يستسقى لها ، فلما اهلكوا خيبر لقمان بين يقا سبع بهرات سمر من اظب عفر  
في جبل وعمر لا يمسها القطر ، او بقا سبعة انسر كما اهلك نسر خلف بعده نسر ،  
فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لبد ا . لسان العرب ٣/٣٨٥ .

انظر أيضا الصحاح ٢/٥٣٤ ، والقاموس المحيط ١/٣٣٤ ، وتفسير القرطبي ١٩/٢٥ ،  
ومجمع الأمثال ١/٤٢٩ .

(٢) كذا في الأصل ، وجاء في مجمع الأمثال للميداني ١/٤٢٩ " طال الأبد على لبد " .  
وذكر في شرحه قصة لقمان بن عاد والنسور السبعة الى ان قال : حتى هلكت كلها  
الا السابع أخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبد ا ، وكان أطولها عمرا ، فضربت  
العرب به المثل فقالوا " طال الأبد على لبد " .

(٣) قرأ عاصم وحمة " قل " بغير ألف على الأمر . حملاً على ما أتى بعده من لفظ الأمر ،  
في قوله ( قل انى لا املك ) " قل انى لن يجيرنى " " قل ان أدرى " . فلما  
تتابع لفظ الأمر فيما بعده حملاً على ذلك .

وقرأ الباقون بألف على لفظ الخبر والغيبة حملاً على ما قبله من الخبر والغيبة من  
قوله ( وأنلما قام عبد الله ) وأيضا فان قبله شرطا يحتاج الى جواب ، فـ  
" قال " جوابه ، ولا يكون جوابه " قل " .

انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٣٤٢ . وأيضا التيسير في القراءات  
السبع ص ٧١ ، والحجة في القراءات السبع ص ٧٢٩ وتفسير القرطبي ١٩/٢٥ .

(٤) هو النضر بن الحارث بن طعنة بن كلدة بن عبد الدار القرشى العبدرى . ذكره  
ابن حجر في الاصابة (٣/٥٥٥) ، وقال : قال ابن أبي حاتم : النضر بن  
الحارث ويقال : نضير . من سلعة الفتح ، وليست له رواية . ثم ذكر ما وقع فيه  
من خلاف في ذكره من الصحابة ، فقد قيل انه توفي كافراً ، ورجح ابن حجر أنه  
من الصحابة واستشهد باليوموك .

انظر أيضا تهذيب الأسماء واللغات للنووى (٢/١٢٦) .

الله تعالى قوله ( قل انما ادعوربي ) (١) اي اؤحد ربي ، ( ولا أشرك به أحدا ) اي معه أحدا (٢) ويقال : ان هذا قاله مع الجن وهو نسق على ما تقدم . (٣)

قوله تعالى ( قل انى لا أطك لكم ضراً ولا رشداً ) يعنى لا أطك ذلك بنفسى وانما هو من الله تعالى ويعونه وتوفيقه . (٤)

( ١ ) قال مقاتل فى تفسيره ( ق ٢٧٣ / ب ) : ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة : انك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله قط ، وقد عاديت الناس كلهم ، فارجع من هذا الأمر ، فنحن نجيرك ، فأنزل الله تعالى : " قل انما ادعوربي . . . " .  
انظر أيضاً تفسير البغوى ( ١٦٢ / ٧ ) وزاد الميسير ( ٣٨٤ / ٨ ) وتفسير السرايزى ( ١٦٤ / ٣٠ ) تفسير القرطبي ( ٢٥ / ١٩ ) .

( ٢ ) قال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٢ / ٤ ) فى معنى الآية : " أى انما أعبد ربي وحده لاشريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه .

( ٣ ) لمن قال هذا الكلام ؟ فيه ثلاثة أوجه .

أحدها : قال للمتظاهرين عليه : انما ادعوربي أى لم أتكلم بأمر ينكر ، انما أعبد ربي وحده ، وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على عداوتى ، والثانى : قال للجن عند ازدهامهم متعجبين : ليس ماترون من عبادة الله بأمر يتعجب منه ، انما يتعجب ممن يعبد غيره ، والثالث : قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا كله مرتب على الخلاف فى عود الضمير فى " كأدوا " . كما أنسه مرتب على قراءة الجمهور ( قال ) . وأما على قراءة عاصم وحزمة ( قل ) فالمراد قل يا محمد لهؤلاء المزدهمين عليك ، وهم اما الجن ، واما المشركون على اختلاف القولين فى ضمير " كأدوا " . ذكر ذلك أبوحيان فى البحر المحيط ( ٣٥٣ / ٨ ) وانظر أيضاً تفسير الرازى ( ١٦٤ / ٣٠ ) والكشاف ( ٦٣١ / ٤ ) .

( ٤ ) قال ابن كثير : أى انما أنا بشر مثلكم يوحي الي وعبد من عباد الله ، ليس الي مسن الأمر شئ ، فى هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع فى ذلك كله الى الله عز وجل . تفسير ابن كثير ٤٣٧٤ .

واختلف فى معنى الضر والرشد . فقيل : الضر هو المضرة والرشد هو النفع والخير . وقيل : الضر هو الكفر ، والرشد هو الهدى ، اي انما علي التبليغ وقيل : الضر العذاب ، والرشد النعيم . وقيل : الضر هو الموت ، والرشد هو الحياة ، انظر تفسير الماوردي ( ٣٢٨ / ٤ ) والكشاف ( ٦٣٢ / ٤ ) وتفسير النسفي ٢٧٥ / ٥ وتفسير القرطبي ( ٢٥ / ١٩ ) وقال أبوحيان فى البحر المحيط ( ٣٥٣ / ٨ ) : " أمره تعالى أن يقول لهم ما يدل على تبرئة من القدرة على ايصال خير أو شر اليهم ، وجعل الضر مقابلاً للرشد تعبيراً به عن الغنى ، ان الغنى ثمرته الضر ، ويمكن أن يكون ضراً ولا نفعاً ولا غياً ولا رشداً فحذف من كل ما يدل عليه مقابله " اهـ ، ويبدولى أن المراد من الآية جميع أنواع الخير وجميع أنواع الشر ، فلا يقدر على ايصالها الى غيره سوى الله سبحانه وتعالى ، والله أعظم بالصواب .



قوله تعالى ( قل انى لن يجيبرنى من الله أحدا روى أن النضوبين الحسارث قال له ارجع الى دين آبائك ولا تخفمن أحد فانا نجيبوك ونمنعك فأنزل الله تعالى ( قل انى لن يجيبرنى من الله أحد )<sup>(١)</sup> أي لن ينصرنى ويعمى من عذاب الله أحد<sup>(٢)</sup> ويقال : انه خطاب الجن نسقاً على ما تقدم<sup>(٣)</sup> .

روى أبو الجوزاء<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس ان ابن مسعود خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فآزدهم الجن على النبى صلى الله عليه وسلم وتمادوا عليه فقال واحد منهم يقال له وردان<sup>(٥)</sup> يا محمد لا تخف فأننا أجيبوك منهم فأنزل الله تعالى

( ١ ) تقدم نقلا عن مقاتل ان كفار مكة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك جئت بأمر عظيم ، وقد عاديت الناس فارجع عن هذا ، فأنزل الله تعالى ( قل انما أدعوربى ) ويذكر المفسرون عند هذه الآية أيضا نحوه ، فقال الرازى عهد هذه الآية : قال مقاتل : انهم قالوا : اترك ماتدعوا اليه ونحن نجيبوك . فقال الله له : " قل انى لن يجيبرنى من الله أحد " تفسير الرازى ١٦٤/٣ - انظر أيضا زاد المسير ٢٨٤/٨ ولم أجد من صرح بأن القائل هو النضوبين الحسارث .

( ٢ ) قال القرطبى : أى لا يدفع عذابه عنى أحد ان استحفظته وهذا لأنهم قالوا : اترك ماتدعوا اليه ونحن نجيبوك .

ثم ذكر فى الآية احتمالين ، فقال : ويحتمل معنيين ، أحدهما : لن يجيبرنى مع اجارة الله لى أحد ، الثانى : لن يجيبرنى مما قدره الله تعالى على أحد تفسير القرطبى ٢٦٧/١٩ .

وقال الزمخشرى : ( قل انى لن يجيبرنى ) جطة معترضة اعترضها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبين عجزه . الكشاف ٦٣١/٤ .

( ٣ ) أشار اليه القرطبى فى تفسيره ( ٢٦/١٩ ) : وذكره أيضا أبو حيان ، فقال : وقيل : هو جواب لقول وردان سيد الجن وقد آزد حموا عليه ، ثم ذكره الى آخره - ( وستأتى القصة بعده ) وذكر أن هذا الخلاف ( أى الخلاف فى المخاطبين فى الآية ) مرتب على الخلاف فى عود الضمير فى " كادوا " البحر المحيط ٢/٨٥٢ "سواء" كان هذا الخطاب للجن أو للمشركين فالمراد من الآية هو العموم ، فهو خطاب لكل من يصلح له ذلك .

( ٤ ) هو أوس بن عبد الله بن الربعى ( بفتح الموحدة ) أبو الجوزاء ( بالجيم والـزى ) البصرى من ربيعة الأزدي ، روى عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وغيرهم ، وعنه بديل ابن ميسرة وأبو الأشهب وغيرهما . يرسل كثيراً ، ثقة ، من الثالثة ، مات سنة ثلاث وثمانين ، أخرج له الجماعة . تهذيب التهذيب ١/٣٨٣ ، تقريب التهذيب ٣٩ .

( ٥ ) ذكره الحافظ ابن حجر فى الاصابة ( ٦٣٣/٣ ) فقال : وردان الجنى ، ذكره ابن مردويه فى تفسير سورة الجن .

( ١ ) قل انى لن يجيرنى من الله احد (١) وقوله ( ولن أجد من دونه ملتحدا ) (٢) أى ملجأ<sup>(٢)</sup> وقيل : مهرياً ، ويقال : منرججاً ، وقوله ( الا بلاغا من الله ) أى لا أملك شيئاً<sup>(٣)</sup> من الضر والرشد إلا أن أبلغ رسالة ربي ، أى ليس بيدي إلا هذا التبليغ .

( ١ ) أخرجه ابن مردويه فى تفسيره ( كما فى الاصابة ٦٢٣/٣ ) والبيهقى فى دلائل النبوه ( ٢٣١/٢ ) كلاهما من طريق مستمر ابن الريان عن ابى الجوزاء عن عبد الله ابن مسعود قال : انطلقت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى اذا أتى الحجون فخطّ عليّ خطاً ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال لسه : ورد ان ، انى أنا أزلهم عنك ، فقال : انى لن يجيرونى . . . الآية .

وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٢٨/٤ ) قال : روى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال : انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم ذكره بمثله - ونقل عنه القرطبى فى تفسيره ( ٢٦/١٩ ) فذكر مثله . وأوردته السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٧٥/٦ ) وعزاه الى ابن مردويه والبيهقى فى دلائل النبوه ،

ويبدو مما ساقه البيهقى وابن مردويه من سند الحديث أن ما قاله المؤلف فى سند الحديث (( روى أبو الجوزاء عن ابن عباس أن ابن مسعود خرج . . . )) خطأ لا يوجد فيه ذكر ابن عباس بل روى أبو الجوزاء عن ابن مسعود مباشرة .

( ٢ ) هو قول قتادة والفراء .

انظر معانى القرآن للفراء ( ١٩٥/٣ ) وتفسير الطبرى ( ١٢٠/٢٩ ) وتفسير الماوردى ( ٣٢٨/٤ ) وتفسير القرطبى ( ٢٦/١٩ ) وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ٣٩٨/١ ) : " ملتحدا " أى معدلا ، واللحد منه الالتحاد ، وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ٤٩٢ ) " ملتحدا " أى معدلا وموئلا " وهما فى معنى قول قتادة .

( ٣ ) ذكر المفسرون فى الكلمة أقوالاً أخرى . وأنا لم أجد منهم من ذكر فيها هذا القول ، وان كان يؤيد نفس المعنى الذى يؤيد به لفظ " ملجأ " .

( ٤ ) ذكره الرازى فى تفسيره ( ١٦٤/٣٠ ) عن المبرد ، قال : قال المبرد : ملتحدا مثل قولك منرججاً ، وذكر فى معناه أقوال أخرى . منها ما قاله قتادة أيضاً : أى نصيراً ومولى ، وقال السدى : حرزاً ، وقال الكلبي : مدخلا فى الأرض مشكلاً السرب ، وقال أبو سعيد الخدرى : ولياً ولا مولى ، وقيل : مذهاً ولا مسلكتاً ، حكاه ابن الشجرة .

ذكرها القرطبى فى تفسيره ( ٢٦/١٩ ) وقال فى الأخير والمعنى واحد . انظر أيضاً تفسير الماوردى ( ٣٢٨/٤ ) والبحر المحييط ( ٣٥٣/٨ ) .

وقد قيل : ضراً ولا رشداً ، أى لا أدفع عنكم ضراً ولا أسوق إليكم خيراً وليس  
بيدى إلا أن أبلغ رسالة ربى (١) .

وقوله ( ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها ابداً ) ( أى دائماً ) (٢)  
وقوله تعالى ( حتى إذا رآوا ما يوعدون ) أى القيامة .

( ١ ) فى الاستثناء الذى وقع فى وقوله تعالى ( الا بلاغا من الله ) عدة أوجه ذكرها  
المفسرون .

منها : أنه استثناء من قوله ( لا أملك أى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغا من الله  
وهو قول قتادة .

وعليه فقوله تعالى ( قل لن يجيرنى ) جملة معترضة . اعترض بها لتأكيد نفسى  
الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه ، على معنى : أنه تعالى ان أراد به سوء لم يقدر  
أحد أن يجيره منه . وعقب عليه أبو حيان بقوله : وفيه بعد لطول الفصل بينهما .

ومنها : أنه منصوب على البدل من قوله ( ملتحداً ) وهو قول الزجاج - والمعنى :  
ولن أجد من دونه : طجاً إلا بلاغاً . أى لا ينجينى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به .

ومنها : أن إلا فى معنى " ان لا " ومعناه : ان لا أبلغ بلاغاً . كما يقال : الا قياماً  
فعموداً ، والمعنى : ان لا أبلغ لم أجد ملتحداً .

وقال الرازى : هذا الاستثناء منقطع ، لأنه تعالى لما لم يقل : ولن أجد ملتحداً ،  
بل قال : ولن أجد من دونه ملتحداً .

والبلاغ من الله لا يكون داخل تحت قوله ( من دونه ملتحداً ) لأن البلاغ من الله لا يكون  
من دون الله . بل يكون من الله واعانته وتوفيقه - انظر معانى القرآن ( ٣ / ١٩٥ ) .

وتفسير الطبرى ٢٩ / ١٢٠ ، وتفسير البغوى ٧ / ١٦٢ ) والكشاف ٤ / ٦٣١ ،  
وتفسير القرطبى ١٩ / ٢٦ ، وتفسير الرازى ٣٠ / ١٦٥ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٥٤ ، وتفسير  
ابن كثير ٤ / ٤٣٢ . وما تقدم ذكره يبدو أن ما ذكره المؤلف من القولين هو فى الحقيقة  
قول واحد ، ويبدو لى أن الأحسن من هذه الأوجه هو الوجه الأول ، أى أن  
الاستثناء من قوله ( لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ) واعتراض أبى حيان غير وارد لأن  
قوله تعالى ( قل لن يجيرنى من الله أحد ) إنما جيء به هنا لتأكيد النفى .

( ٢ ) قال القرطبى فى تفسير ( ١٩ / ٢٧ ) : وقوله ( ابداً ) دليل على أن العصيان  
هنا هو الشرك ، وقيل : هو الشرك ، وقيل : هو المعاصى غير الشرك .

٠٠/٠٠

ويكون معنى " خالدين فيها أبداً " إلا أن أعفوا أو تلحقهم شفاعة ولا محالسة إذ خرجوا من الدنيا على الايمان يلحقهم العفو . وقد استدل بهذه الآية جمهور المعتزلة على ما ذهبوا اليه من أن فساق أهل الصلاة مخلدون في النار ، وأن هذا العموم يشطبهم كشموله الكفار ، وقالوا : ان هذا العموم أقوى في الدلالة على هذا المطلب من سائر العمومات ، لأن سائر العمومات ما جاء فيها قوله ( أبداً ) فالمخالف يحمل الخلود على المكث الطويل ، أما ههنا فقد جاء لفظ الأبد فيكون ذلك صريحاً في اسقاط الاحتمال الذي ذكره المخالف . ذكره الرازي في تفسيره ( ١٦٥ / ٣٠ ) وانظر أيضاً شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ( ص ٦٢٨ ) . وأجاب أهل السنة والجماعة عن استدلالهم هذا بأن المراد بالعصيان في هذه الآية هو الشرك - ولا خلاف بين أهل السنة والمعتزلة في أن المشركين يخلدون في النار ، وإذا قيل : ان المراد بالعصيان هو جميع أنواع المعاصي غير الشرك فيكون معنى قوله " خالدين فيها أبداً " إلا أن أعفوا أو تلحقهم شفاعة ، ولا شك أنهم اذا خرجوا من الدنيا على الأيمان يلحقهم العفو، كما ثبت في أحاديث صحيحة ثابتة أنه يخرج من النار من كان في طبه مثقال ذرة من إيمان - انظر صحيح البخاري ( ١ / ٢٢ ) . كذا ذكر القوطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٧ ) وصرح أبو حيان في البحر المحيط ( ٨ / ٣٥٤ ) بأن المراد الشرك والكفر ،

وقال الألويسي في روح المعاني ( ٢٩ / ٩٤ - ٩٥ ) :

" ومن يعص الله ورسوله " أي في الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه ، فلا يصح استدلال المعتزلة ونحوهم بالآية على تخليد العصاة في النار ، وجوز أن يراد بالرسول رسول الملائكة عليهم السلام دون رسول البشر فالمراد بعصيانه أن لا يبلغ المرسل اليه ما وصل اليه كما وصل ، وهو خلاف الظاهر " . وهذا القول الذي ذكره الألويسي بقوله : " وجوز أن يراد بالرسول رسول الملائكة " ذكره الرازي في تفسيره ( ١٦٥ / ٣٠ ) وهو مثل ما تسال الألويسي خلاف الظاهر ، وهو بعيد عن الصحة وما تقدم أولاً هو الصواب .

قال ابن جزى في التسهيل ( ٤ / ١٥٥ ) والآية في الكفار ، وحطها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم في النار ، والدليل على أنها في الكفار وجهان ، أحدهما : أنها مكية ، والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار ، والآخر : دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار " .

( ١ ) قال سعيد بن جبير وغيره ، وقيل : العذاب في الدنيا قاله قتاده وغيره وقوله ( فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً ) ( ٢٧/١٩ ) أي وأقل جنداً وأعواناً ، ويقال : معنى قوله ( وأقل عدداً ) أي في القيامة .

( ١ ) أشار إلى القولين الزمخشري في الكشاف ( ٦٣١/٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٦٧/٣٠ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٧/١٩ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٣٥٤/٨ ) ولكن دون عزو إلى أحد ، وصوح القرطبي بأن المراد من عذاب الدنيا أنه القتل ببدر ، وأشار اليهما الألبوسي في روح المعاني ( ٩٥/٢٩ ) وذكر أن الأول هو الراجح ، ولكن يبدو لي أنه لا مانع من أن يراد كلاهما فقد قال مقاتل في تفسيره ( ق ٢٧٢/ب ) : ( حتى إذا رأوا ما يوعدون ) من عذاب الآخرة ، وما يوعدون من العذاب في الدنيا يعني القتل ببدر . . . . وكذا ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٨٥/٨ ) أي أن المراد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

( ٢ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٨٥/٨ ) : " فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً " أي جنداً ونصراً أهم أم المؤمنون ؟ .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٣٢/٤ ) : أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والانس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصراً وأقل عدداً ، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى ؟ أي بل المشركون لا ناصر لهم بالكيفية وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل .

( ٣ ) لعله يقصد بذلك أن قوله ( أضعف ناصراً ) في الدنيا ( وأقل عدداً ) في القيامة ، وهذا القول مع أن له وجهاً لم أجد من ذكره من المفسرين .

ثم إن " حتى " في هذه الآية ذكر فيها المفسرون عدة أوجه .  
أحدها : أنها متعلقة بقوله " يكونون عليه لبدأ " والتقدير : أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ، ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم ( حتى إذا رأوا ما يوعدون ) من يوم بدر وأظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ أنهم أضعف ناصراً ، وأقل عدداً .

والثاني : أنها متعلقة بمحذوف دللت عليه الحال من استضعاف الكفار لهم واستقلالهم لعدده ، كأنه قيل : هؤلاء لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون ذكرهما الزمخشري في الكشاف ( ٦٣٢/٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٦٧/٣٠ ) ، وذكرهما أبوحيان في البحر المحيط ( ٣٥٤/٨ ) نقلاً عن الزمخشري ، واعترض على الوجه الأول فقال : هو بعيد لطول الفصل بينهما بل لجمال الكثيرة .

والثالث : حتى هنا - حرف ابتداء ، يصلح أن يجيء بعدها جملة الابتداء والخبر . ذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٧/١٩ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٣٥٤/٨ ) ويظهر لي أن الوجه الثاني ( أنها متعلقة بمحذوف دللت عليه الحال ) هو أحسن الوجوه ، لأنه يؤيده السياق ويدل عليه ما يذكر في سبب النزول لهذه الآية - كما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وفي التفسير : ان الله تعالى يعطى المؤمن من الأزواج والولدان والحرور والقهارمة<sup>(١)</sup> وما يكثر عدد هم ويزيدون على أهل بلدة كثيرة من بلاد الدنيا فهو معنى قوله ( فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً<sup>(٢)</sup> ) فإن المشركين كانوا يعيِّرون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لظلة الناصر وظة العدد ، فقال : " فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً " أى فى القيامة وإذا وصل كل أحد الى مستقره<sup>(٤)</sup> .

قوله تعالى ( قل ان أدري أقرب ماتوعدون أم يجعل له ربي أمداً<sup>(٥)</sup> ) أى مدة وغاية<sup>(٥)</sup> ،

---

( ١ ) هو جمع مفردة قهرمانه ، وهى الخادمة . قال ابن منظور : قال ابن بسرى : القهرمان من أمناء الطك وخاصته .  
لسان العرب ١٢ / ٤٩٦ .

( ٢ ) فى الأصل ( يزيدوا ) وهو خطأ والصواب ( يزيدون ) كما تقتضيه القواعد .

( ٣ ) لم أهتم الى من ذكره من المفسرين - وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن المؤمن يعطى فى الجنة من الخدم والفلمان والحرور المدين شيئاً كثيراً يفوق تصويره ، وقد جمع الحافظ ابن القيم من هذه النصوص عدداً كبيراً فى كتابه حادى الأرواح . فاذا أردت معرفة هذه النصوص فارجع الى الكتاب ( ص ١٤٧ - ١٦٠ ) .

( ٤ ) أشار الى ذلك الزمخشري فى الكشاف ( ٦٣٢ / ٤ ) والسرازى فى تفسيره  
( ١٦٧ / ٣٠ ) .

( ٥ ) قال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن ( ص ٤٩٢ ) " أمداً " أى غاية .  
وقال ابن جرير فى تفسيره ( ١٢١ / ٢٩ ) " أمداً " يعنى غاية معلومة تطول مدتها .

انظر أيضاً زاد المسير ( ٣٨٥ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ٢١ / ١٩ ) وتفسير النسفى ( ٢٧٦ / ٥ ) والعمدة فى غريب القرآن ( ص ٣١٩ ) .

والمعنى : لا أدري أنه يعجل لكم العذاب أو يؤخره ويعجل لكم مدة ومهلة . (٢) وقد روى : أن المشركين كانوا يستعجلونه العذاب ويقولون : الى متى توعدنا العذاب ؟ فأين العذاب ؟ فأمره الله تعالى أن يكلم ذلك الى الله تعالى وأن يقول : إنه بيد الله لا بيدي . (٣)

قوله تعالى ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ) (٤) أي هو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ( إلا من ارتضاه من رسول ) فإنه يطلع على غيبه

(١) كذا في النسختين ( يعجل ) وهو خطأ ، ولعل الصواب ( يؤجل ) .  
(٢) قال ابن جرير في تفسيره ( ٢٩ / ١٢١ ) في تفسير الآية :  
يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك ما أدري أقرب ما يعدكم ربكم من العذاب وقيام الساعة ( أم يجعل له ربي أمداً ) يعني غاية معلومة تطول مدتها " وقال النسفي في تفسيره ( ٢٧٦ / ٧ ) : ( أمداً ) غاية بعيدة ، يعني أنكم تعذبون قطعاً ، ولكن لا أدري أهو حال أم مؤجل ( وذكر القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٧ ) في قوله " ماتعدون " قولين : أحدهما : قيام الساعة ، والثاني : عذاب الدنيا ، ثم قال : أي لا يعرف وقت نزول العذاب وقيام الساعة إلا الله ، فهو غيب لا أعلم منه إلا ما يعرفه الله .

وأما الرازي فقد قرر أن الآية في قيام الساعة وهذا الصواب وهو الذي يسدل عليه السياق ، فقال : المعنى : أن وقوعه متيقن ، أما وقت وقوعه غير معلوم ، وقوله " أم يجعل له ربي أمداً " أي غايةً وبعداً ، وهذا كقوله " وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون " ( سورة الأنبياء الآية ١٠٩ ) فإن قيل : أليس أنه قال : بعثت أنا والساعة كهاتين ، فكان عالماً بقرب وقوع القيامة ، فكيف قال ههنا : لا أدري أقرب أم بعيد ؟ قلنا : المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقى من الدنيا أقل مما أنقضى ، فهذا القدر من القرب معلوم ، وأما معنى معرفة القرب القريب وعدم ذلك فغير معلوم .

(٣) قال مقاتل في تفسيره ( ق ٢٧٢ / ب ) : لما سمعوا قوله ( حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً ) قال النضر بن الحارث : متى يكون هذا الذي توعدنا به ؟ فأنزل الله تعالى ( قل إن أدري أقرب ما توعدون ) الى آخره . انظر أيضاً تفسير الرازي ( ٣٠ / ١٦٧ ) وروح المعاني ( ٢٩ / ٩٥ ) ومراح لبيد ( ٢ / ٤٥٧ )

(٤) في قوله " عالم الغيب " عدة أوجه :  
أحدها : ما ذكره المؤلف أي أنه خير لمبتدأ محذوف . قاله الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٦٣٢ ) والنسفي في تفسيره ( ٥ / ٢٧٦ ) وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٧ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٨ / ٣٥٥ ) والثاني : أنه نعت لقوله " ربي " قاله النحاس في اعراب القرآن ( ٣ / ٥٢٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٧ ) الثالث : أنه بدل من قوله " ربي " جوزة أبو حيان . والصواب هو القول الأول ( أي أنه خير لمبتدأ محذوف ) لأن الوجهين الآخرين تاباهما الفاء في قوله ( فلا يظهر على غيبه أحداً ) إذ يكسون التظلم حينئذ : أم يجعل له عالم الغيب أمداً فلا يظهر على غيبه أحداً ، وفيه من الاخلال ما لا يخفى ، كذا قال أبو السعود في تفسيره ( ٩ / ٤٧ ) والالكوسي في روح المعاني

بما ينزل عليه من الآيات والبينات<sup>(١)</sup>.

وقوله ( فانه يسلك من بين يديه ) أى يجعل من بين يديه<sup>(٢)</sup> ( ومن خلفه رصداً )  
أى حفظة<sup>(٣)</sup>.

وروى سفيان عن منصور عن ابراهيم<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> قال : ملائكة يحرسونه<sup>(٦)</sup> .<sup>(٧)</sup>

(١) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٨٥ / ٨ ) فى تفسير هذه الآية : أى فلا يطلع على غيبه الذى يعلمه أحداً من الناس ( إلا من ارتضى من رسول ) لأن من الدليل على صدق الرسل أخبارهم بالغيب ، والمعنى : لأن من ارتضاه للرسالة أطلعته على ما شاء من غيبه وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٦٣٢ / ٤ ) ( من رسول ) تبين لمن ارتضى ، يعنى أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوّة خاصة .

وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٣ / ٤ ) : وهذا يعم الرسول الملقى والبشرى \* .

(٢) فى قوله " من بين يديه " ثلاثة أقوال :

أحدها : أن المراد : من بين يدي الرسول . أى ارتضاه للرسالة ، وهو قول أكسر المفسرين ، وبديل عليه قول الضحاك الآتى . والثانى : أن المراد من بين يدي السدى . الطلك ، قاله الغزالي والزجاج ، والثالث : أن المراد من بين يدي الوحي ، قاله السدى . انظر معانى القرآن للفراء ( ١٩٦ / ٣ ) وتفسير الماوردي ( ٣٢٩ / ٣ ) وزاد المسير ( ٣٨٦ / ٨ ) وانظر أيضا الكشاف ( ٦٣٣ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ١٦٩ / ٣٠ ) وتفسير النسفي ( ٢٧٧ / ٥ ) والبحر المحيط ( ٣٥٥ / ٨ ) ، وقال البغوى فى تفسيره ( ١٦٤ / ٧ ) ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها \* .

(٣) تقدم الكلام على معنى الرصد فى ص ( ٢٣ ) .

ذكر البغوى فى تفسيره ( ١٦٤ / ٧ ) وابن الجوزى فى تفسيره ( ٣٨٦ / ٨ ) والرازى فى تفسيره ( ١٦٩ / ٣٠ ) والنسفى فى تفسيره ( ٢٧٧ / ٥ ) أن الرصد هم حفظة من الملائكة .

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي صاحب التفسير المشهور . ثقة حافظ فقيه عابد امام حجة من رؤوس الطبقة السابعة ، وكان ربما دلس . قال شعبية وغيره : سفيان امير المؤمنين فى الحديث . مات سنة احدى وستين ، ولسه أربع وستون . أخرج له الجماعة .

تهذيب التهذيب ( ١١١ / ٤ ) تقريب التهذيب ١٢٨ ، طبقات المفسرين ١ / ١٩٣ .

(٥) هو منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة ، وقيل المعتمر بن عتاب بن فرقد السلمى أبو عتاب ( بمثناة ثقيلة ثم موحدة ) الكوفي ثقة ثبت ، وكان لا يدلس ، من طبقة الأعمش ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . أخرج له الجماعة .

تهذيب التهذيب . ٣١٢ / ١ ، تقريب التهذيب ٣٤٨ .

(٦) هو ابراهيم بن يزيد النخعي .

(٧) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ( ١٢٢ / ٢٩ ) عن أبى كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ابراهيم ( من بين يديه ومن خلفه رصداً ) قال : الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن .



وفي التفسير : ان الله تعالى ما بعث وحياً من السماء الا ومعه ملائكة يحرسونه ،<sup>(١)</sup>  
فان قال قائل : ومن ماذا يحفظونه ويحرسونه ؟ .

والجواب : أن الحفظ والحراسة لخطر شأن الوحي ولتعظيمه في النفوس لا بحكم  
الحاجة الى الحراسة والحفظ<sup>(٢)</sup> يقال : أن الحفظ والحراسة من المسترقين للسمع لئلا  
يسمروا شيئاً من ذلك ويلقوه الى الكهنة<sup>(٣)</sup> . وقد ورد في الأخبار : أن الله تعالى لما أنزل  
سورة الأنعام بعث معها سبعين ألف ملك يحرسونها ، وفي الآية دليل على أن من قال

( ١ ) أخرج ابن جرير بسنده عن الضحاك بن مزاحم في هذه الآية أنه قال : كان النبي  
صلى الله عليه وسلم إذا بعث إليه الطك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين  
يديه ومن خلفه أن يتشبه الشيطان على صورة الطك . تفسير الطبري ٢٩ / ٢٢١ .  
انظر أيضاً الدر المنثور ٦ / ٢٧٦ ، وأخرج ابن مردويه ( كما في روح المعاني ٩٧ / ٢٩ )  
عن ابن عباس قال : ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم آية من القرآن الا ومعه  
أربعة من الملائكة يحفظونها حتى يؤدونها الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قرأ  
( عالم الغيب ) الآية .

( ٢ ) لم أجد من صرح من المفسرين بهذا القول ، ولكن له وجه .

( ٣ ) هكذا قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٨ / ٣٨٦ ) :  
" يحفظون الوحي من أن تسترقه الشياطين ، فتلقيه الى الكهنة ، فيتكلمون به  
قبل أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم الناس " وقال الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٣٣ ) :  
" يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصونه من وساوسهم وتخاليطهم ، حتى  
يلبغ ما أوحى به اليه " . وقال الرازي في تفسيره ( ٣٠ / ١٦٩ ) :

" يحفظونه من وساوس شياطين الجن وتخاليطهم ، حتى يلبغ ما أوحى به اليه ،  
ومن زحمة شياطين الانس حتى لا يؤذونه ولا يفرونه " . انظر أيضاً تفسير النسفي  
( ٥ / ٢٧٧ ) .

( ٤ ) ورد ذلك في عدة أحاديث عن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود وغيرهم . انظر الدر  
المنثور ٣ / ٢ .

وحد يث ابن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ( ١٢ / ٢١٥ ) رقم الحديث  
١٢٩٣ . بلفظ : قال ابن عباس : نزلت سورة الانعام جملة بمكة ليلاً وحولها سبعون  
ألف ملك يجأرون بالتسبيح " وفي سنده علي بن زيد وهو علي بن زيد بن جدعان وفيه  
كلام ، قال فيه ابن حجر : ضعيف . انظر التقریب وبقية رجاله رجال الصحيح .

وحد يث ابن عمر أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ( ١ / ٨١ ) مرفوعاً بلفظ  
" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها  
سبعون ألف ملك لهم زجل ( صوت عال ) بالتسبيح والتحميد .

قال الهيثمي : وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف . انظر مجمع الزوائد ١٩ / ٢٠٠ .  
وحد يث ابن مسعود أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٢ ) وعزا تخريجه الى  
ابن مردويه .

بالنجوم شيئاً وادعى علماً من الغيب بجهتها فهو كافر بالقرآن، وقد قال بعضهم الطرق (٢)

(١) قد استدل بهذه الآية كثير من المفسرين على إبطال النجوم وأن من اشتغل به وادعى العلم بما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن - فقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٥/٨) : " وفي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر " .

وقال الواحدى أيضاً كما نقل عنه الرازى وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدل على ما يكون من حياة أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن . تفسير الرازى ٢٠ / ١٦٨ .

وأسهب القوطى في تفسيره (٢٨-٢٩ / ١٩) في الرد على المنجمين ، فقد قال : بعد أن ذكر أن الاخبار بالغيب معجزة للأنبياء ودليل على صدق نبوتهم . ( وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويجزر بالطيور ممن ارتضاه ممن رسول فيظلمه على ما يشاء من غيبه ، بل هو كافر بالله مفرط عليه بحدسه وتخمينه وكذبه ) . ثم استدل على بطلان ادعواهم بدليل عقلى فذكر عن بعض العلماء أنه قال : وليست شمعى ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف انسان على اختلاف أحوالهم وتباين رتبهم فيهم الطك والسوقة ، والعالم والجاهل ، والفني والفقير والكبير والصفير مع اختلاف طوالمهم ، وتباين مواليدهم ، ودرجات نجومهم فمهم حكم الفرق في ساعة واحدة ، فإن قال المنجم قبحه الله إنما أغرقهم الطالع الذى ركبوا فيه ، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالم كلها على اختلافها عند وفاة كل واحد منهم ، وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فائدة أبداً في عمل المواليده ، ولا دلالة فيها على شقى ولا سعيد ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم وفيه إستحلال دمه على هذا التنجيم ، ثم أطلال في ذكر قصة على بن أبى طالب مع المنجم الذى منعه من السير الى الخواج مستدلاً بعمل التنجيم . فقال ألقاهم والقمر فى العسرب . فقال على بن أبى طالب : فأين قمرهم ، وفي رواية أخرى : قال : ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده " فى كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل .

تفسير القوطى (٢٨-٢٩ / ١٩) .

(٢) الطرق : هو الضرب بالحصى الذى تفعله النساء ، وقيل : هو الخط فى الرمى ، وهو ضرب من التكهن .

انظر النهاية ٣ / ١٢١ ، ولسان العرب ١٠ / ٢١٥ .

والجبت (١) والكهان (١) كلهم مضطربون ودون الغيب

(١) الجبت : كل ما عبد من دون الله ، وقيل : هى كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك .

قال تعالى : ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، (سورة النساء الآية ٥١) .

قال الشعبي : الجبت السحر . والطاغوت : الشيطان . انظر لسان العرب ٢١ / ٢٠ . وقد جاء فى الحديث الذى رواه أبوداود فى سننه . كتاب الطب باب فى الخط وزجر الطيور (٤ / ١٢٨ ، رقم الحديث ٣٩٠٧) والامام أحمد فى مسنده (٣ / ٤٧٧) و (٥ / ٦٠) بسندهما عن قبيصة بن مخارق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : العيافة والطيرة والطرق من الجبت .

(٢) جمع الكاهن من كهن له يكهن ويكهن وكهن كهانة وتكهن تكهننا قسى له بالغيب . وقد جاء فى تعريف الكاهن : الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الاخبار .

وقد كان فى العرب كهنة كسوق وسطيح وغيرهما ، فمنهم من كان يزعم أنه له تابعاً من الجن ورعيماً يلقي اليه الاخبار ، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقد مات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذى يدعى معرفة الشئ المسروق ومكان الضالة ونحوهما .

انظر النهاية ٤ / ٢١٤ - ٢١٥ لسان العرب ١٣ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .

وقد ورد النهى عن اتيان الكاهن فى الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب السلام - تحريم الكهانة واتيان الكاهن (١٨ / ٢٢٣) عن معاوية بن الحكم السلمي قال : قلت : يا رسول الله أموراً كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان قال : فلا تأتوا الكهان . . . الحديث .

وأخرج أيضاً أبوداود فى سننه - كتاب الطب - باب فى الكاهن (٤ / ٢٢٥) ، رقم (٣٩٠٤) والترمذى فى سننه كتاب الطهارة باب ما جاء فى كراهية اتيان الحائض (١ / ٢٤٢) رقم الحديث (١٣٥) عن أبى هريرة مرفوعاً قال : من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها أو كاهناً ( وفى رواية فصدقه ) فقد برى مما أنزل الله على محمد .

وجاء أيضاً فى الحديث الذى أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب البيوع باب ثمن الكلب (٤ / ٤٢٦ رقم ٢٢٣٧) ومسلم فى صحيحه كتاب المساقاة باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغى (١٠ / ٢٣١) عن أبى مسعود الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن " وهذه الأحاديث كلها تدل على تحريم الكهانة واتيان الكهان وكل من يدعى المعرفة بالأمر الفائبة فقد قال ابن الأثير : والحديث الذى فيه " من أتى كاهناً " قد يشتمل على اتيان الكاهن والعراف والمنجم . النهاية ٤ / ٢١٥ .

أشاروا<sup>(١)</sup> وقد ورد في الأخبار : أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النظر فسى

١/٢٩٩

النجوم والمعنى<sup>(٢)</sup> : هو/ النظر فيها للدقول بالغيب عنها<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) فهم يضللون العباد بتخمينهم وحد سهم وكذبهم - وليس لهم سبيل لمعرفة الغيب قال الأزهري : وكانت الكهانة في العرب قبل بعث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث نبياً وحرست السماء بالشهب ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة بطل علم الكهانة ، وأزهق الله أباطيل الكهان بالفرقان الذي فرق الله عز وجل به بين الحق والباطل . وأطلع الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالوحى على ما شاء من علم الغيوب التي عجزت الكهنة عن الاحاطة به ، فلا كهانة اليوم بحمد الله ومنه . تهذيب اللغة ( ٢٤ / ٦ ) .

وقد استدل بهذه الآية على ابطال الكهانة والتنجيم الزمخشري أيضا في الكشاف ( ٦٢٣ / ٤ ) فإنه قال : ( وفي هذا ) ابطال الكهانة والتنجيم ، لأن أصحابهما أبعد شئ من الارتضا وأدخله في السخط .

( ٢ ) في الاحاديث التي وردت في النهي عن الإشتغال بعلم النجوم ما أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطب - باب في النجوم ( ٢٢٦ / ٤ ) ، رقم الحد يث ٣٩٠ . وابن ماجه في سننه كتاب الادب - باب تعلم النجوم ( ٤٠٤ / ٢ ) والامام أحمد فسى مسنده ( ٢٢٧ / ١ ، ٣١١ ) بأسناد هم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد " .

وأخرج أيضا الامام أحمد في مسنده ( ٧٨ / ١ ) بسنده عن علي بن أبي طالب قال : قال لني النبي صلى الله عليه وسلم : يا علي : أسبغ الوضوء وان شقق عليك . . . . . ( الى أن قال ) " ولا تجالس أصحاب النجوم " .

( ٣ ) قال الخطابي في معالم السنن : باب النهي عن إتيان الكهان ٢٢٩ / ٤ - ٢٣٠ : علم النجوم المنهى عنه هو : ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والعمادات التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأخبارهم بأوقات هبوب الرياح ، ومجيء المطر ، وظهور الحر والبرد وتغيير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور . يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقتنائها ، ويدعون لها تأثيرا في السفليات ، وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها ، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به ، لا يعلم الغيب أحد سواه . وقال السندي أيضا : هو الذي يخبر به عن المفيات والامور المستقبلية بواسطة النظر في احوال الكواكب .

انظر حاشيته على سنن ابن ماجه ٤٠٤ / ٢ .

فأما النظر فيها للإهداء أو للاعتبار أو لمعرفة القبلة وما أشبه ذلك فمطلق

(١)  
جائز .

(١) لأن ذلك إحدى ثلاث خلقت لأجلها النجوم . كما ذكر البخارى عن قتادة أنه قال : ( ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح ) سورة الطوك الآية هـ . خلقت الله هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكف ما لا علم له به .

وفى رواية أخرى ذكرها الحافظ ابن حجر : وقال فى آخرها : وان ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا فى هذه النجوم كهانة من غرس بنجم كذا كان كذا ومن سافر بنجم كذا كان كذا ، ولعمري ما من النجوم إلا يولد به الطويل والقصير والأحمر والأبيض والحسن والدميم ، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شئاً من هذا الغيب .  
انظر البخارى مع الفتح ٢٩٥/٤ .

وقال الخطابى : فأما علم النجوم الذى يدرك من طريق المشاهدة والحس كالذى يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فانه غير داخل فيما نهى عنه ، انظر معالم السنن ٢٣٠/٤ .

وقال السندى : وأما ما يعلم به أوقات الصلاة وجهة القبلة فغير داخل فيه ، حاشية على سنن ابن ماجه ٤٠٤/٢ ، وهنا مسألة أخرى يتعرض لها بعض المفسرين وهى كرامات الأولياء فان المعتزلة ينكرونها بدليل أنها لو صحت لأشبهت المعجزة . والزمخشري لما جاء فى تفسيره الكشاف (٦٣٢/٤) عند هذه الآية استدل بها لتمسكه بعقيدة المعتزلة على ابطال الكرامات . فقال : وفى هذا ابطال للكرامات ، لأن الذين تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسول ، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب .

وأما الرازى فسلك مسلكاً آخر وهو أن الآية لا تدل على شئ مما ذكره المفسرون من ابطال التنجيم والكهانة وغيرهما وكذلك مما ذكره الزمخشري من ابطال الكرامات وقال : والذى تدل عليه الآية أن قوله ( فلا يظهر على غيبه أحدا ) ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه أن لا يظهر الله تعالى على غيب واحد من غيوبه ، فنحمله على وقت وقوع القيامة ، فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لآحد ، فلا يبقى فى الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئاً من الغيوب ، ثم انه يجوز أن يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل . انظر تفسير الرازى ١٦٨٣٠ .

وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ مَذْهَبُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هُوَ اثْبَاتُ الْكِرَامَاتِ لِلأُولِيَاءِ .

وَأَجَابُوا عَمَّا يَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ : ( لَوْ جَازَتْ الْكِرَامَةُ لِلْوَلِيِّ لَمَا تَمَيَّزَتْ مَعْجَزَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غَيْرِهَا وَلَا فَسَدَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِهِ ) - بِالْفَرْقِ بَيْنَ مَعْجَزَةِ النَّبِيِّ وَكِرَامَةِ الْوَلِيِّ . أَنَّ الْمَعْجِزَةَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مَعَ عَدَمِ الْمَعَارِضَةِ مَقْسُومٌ بِالتَّحْدِي . وَلَا يَجُوزُ لِلْوَلِيِّ أَنْ يَدْعِيَ خَرَقَ الْعَادَةِ مَعَ التَّحْدِي إِذْ لَوْ ادَّعَاهُ الْوَلِيُّ لَكَفَرَ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَبِانْفِرَاقِ بَيْنِ الْمَعْجِزَةِ وَالْكِرَامَةِ ، وَقَدْ يَظْهَرُ عَلَى يَدِ الْوَلِيِّ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مِنْ غَيْرِ دَعْوَاهُ ، وَهَذَا أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى ثَبُوتِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ لِأَنَّ الْكِرَامَةَ إِنَّمَا تَظْهَرُ عَلَى يَدِ مَنْ هُوَ مُعْتَقَدٌ لِلرَّسُولِ مُتَابِعٌ لَهُ ، فَلَوْ لَمْ تَكُنْ نُبُوَّتُهُ حَقًّا لَمَا ظَهَرَ الْخَارِقُ عَلَى يَدِ مُتَابِعِهِ . وَجَعَلَ شَارِحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيُّ ( ٥٦٢ - ٥٦٣ ) قَوْلَ الْمُعْتَزِلَةِ فِي انْكَارِ الْكِرَامَاتِ ظَاهِرًا لِلْبَطْلَانِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ انْكَارِ الْمَحْسُوسَاتِ .

وَأَجَابَ عَنْ دَعْوَاهُمْ بِالتَّبَاسُطِ النَّبِيِّ بِالْوَلِيِّ عِنْدَ الْقَوْلِ بِصِحَّةِ الْكِرَامَةِ . فَقَالَ : وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ ، وَهَذِهِ الدَّعْوَى إِنَّمَا تَصَحُّ إِذَا كَانَ الْوَلِيُّ يَأْتِي بِالْخَارِقِ وَيَدْعِي النُّبُوَّةَ ، وَهَذَا لَا يَقَعُ ، وَلَوْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ لَمْ يَكُنْ وَلِيًّا بَلْ كَانَ مُتَبَيِّنًا كَذَابًا .

وَاسْتَدَلَّ الْخَازِنُ عَلَى اثْبَاتِ الْكِرَامَةِ بِمَا رَوَاهُ الْبِخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَمُسْلِمٍ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ كِلَاهِمَا مَرْفُوعًا ، \* لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مَحْدَثُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ وَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي فَانْهَ عَمْرٍ مِنَ الْخَطَابِ . اللفظ للبخاري .  
انظر الصحيح للبخاري ٤٢/٧ وصحيح مسلم ١٦٦/١٥ وتفسير الخازن ١٦٣/٧ .

وَأَجَابَ أَبُو السَّمْعُودِ عَنْ اسْتِدْلَالِ الزَّمْخَشَرِيِّ فَقَالَ : وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى نَفِي كِرَامَاتِ الْأُولِيَاءِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْكَشْفِ فَإِنَّ اخْتِصَاصَ الْغَايَةِ الْقَاصِيَةِ مِنْ مَرَاتِبِ الْكَشْفِ بِالرَّسُولِ لَا يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ حُصُولِ مَرْتَبَةٍ مَا مِنْ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ لِغَيْرِهِمْ أَصْلًا ، وَلَا يَدْعِي أَحَدٌ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُولِيَاءِ مَا فِي رَتْبَةِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ الْكَشْفِ الْكَامِلِ الْحَاصِلِ بِالْوَحْيِ الصَّرِيحِ . تَفْسِيرُ أَبِي السَّمْعُودِ ٤٨/٩ ، وَقَدْ فَصَّلَ الْأَلُّوسِيُّ فِي الْمَوْضُوعِ تَفْصِيلًا بَيْنَ مَا لِكُلِّ مِنَ الْقَوْلَيْنِ وَمَا عَلَيْهِ ، كَمَا تَمَرَّضُ أَيْضًا لِمَا نَزَّهَ إِلَيْهِ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ .

انظر روح المعاني ٢٩/٩٥-٩٧ .

قوله تعالى ( ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ) وقوى "رسالة ربهم ، وهى واحد الرسالات" (١)

واختلف القول فى قوله تعالى " ليعلم " فأحد الأقوال : هو أن معناه : ليعلم محمد أن الرسل الذين كانوا قبله قد أبلغوا رسالات ربهم على ما أنزل إليهم . (٢)

والقول الثانى : أنه منصرف الى الجن . وقوى : لتعلم الجن أن قد ابلغ الرسل رسالات ربهم ما أنزل إليهم . (٤)

والقول الثالث : ليعلم المؤمنون . (٥)

والرابع : ليعلم الله أورد الزجاج وغيره . (٦) (٧)

(١) من قراءة أبى حيو ، وهى قراءة شاذة .

انظر شوان القرآن لابن خالويه (ص ١٦٣) والبحر المحيط (٣٥٧/٨) .

(٢) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره (١٢٣/٢٩) والماوردى فى تفسيره (٣٣٠/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٢٨٦/٨) والقرطبى فى تفسيره (٣٠/١٩) وأبوحيان فى البحر المحيط (٣٥٧/٨) وهو قول قتادة ومقاتل . انظر أيضا تفسير مقاتل (ق ١/٢٧٢) .

(٣) ذكره ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن (٤٩٢) قال : لتعلم الجن أن الرسل قد بلغت عن الله إليهم بما ودوا من استراق السمع ، وذكره من قوله الماوردى (٣٣٠/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٣٨٦/٨) والقرطبى فى تفسيره (٣٠/١٩) وأبوحيان فى البحر المحيط (٣٥٧/٨) .

(٤) ذكر هذه القراءة ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن (ص ٤٩٢) .

(٥) لم أجد من ذكر هذا القول ، وقد ذكر عكس ذلك فقليل : ليعلم المشركون أو مكذبوا الرسل أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ، وهو قول مجاهد ، ذكره الماوردى (٣٣٠/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٣٨٦/٨) وأبوحيان فى البحر المحيط (٣٥٧/٨) ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٢٣/٢٩) بسنده عن مجاهد .

(٦) هو ابراهيم بن السرى بن سهل أبو اسحاق الزجاج النحوى صاحب كتاب معانى القرآن . ذكره الخطيب وقال " كان من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، وله مصنفات حسان فى الأدب ، كان يخرط الزجاج ، ثم مال الى النحو ، فلزم السرد . له من التصانيف : معانى القرآن . الاشتقاق ، خلق الانسان ، فعلت وأفعلت ، وغير ذلك . مات ببغداد فى جمادى الآخرة سنة احدى عشرة وثلاثمائة وآخر ما سمع منه : اللهم احشرنى على مذهب أحمد بن حنبل . انظر تاريخ بغداد (٨٧٦-٩٣) وبغية الوعاة (٤١/١) طبقات المفسرين (٩١-١٢) .

(٧) ذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره (٣٣٠/٤) والقرطبى فى تفسيره (٣٠/١٩) من قول الزجاج - وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٣٨٦/٨) من قول ابن قتيبة ، وأما الزجاج فذكر عنه أنه قال : ليعلم النبى أن الرسل قد أتته ، ولم تصل الى غيره . وذكره الزمخشرى فى الكشاف (٦٣٣/٤) والرازى فى تفسيره (١٧٠/٣٠) وأبوحيان فى البحر المحيط (٣٥٧/٨) وقال : اختاره الزمخشرى وقال الرازى : وهو اختيار أكثر المحققين .

فان قال قائل : ما معنى قوله " ليعلم الله " وهو عالم بالاشياء قبل كونها ووجودها ؟  
والجواب : أنا قد بينا الجواب فيما سبق في مواضع كثيرة وقد قيل : ليعلم الله أن قد  
أبلغ الرسل رسالا تزيهم شهادة ووجودا وقد كان يعلم ذلك غيبا .<sup>(١)</sup>

وقوله ( وأحاط بما لديهم ) أى أحاط علمه بما عندهم .<sup>(٢)</sup>

وقوله ( وأحصى كل شىء عددا ) أى وأحصى كل شىء معدودا<sup>(٣)</sup> ويقال : عد كسلس  
شىء عددا ، وهذا على معنى : أنه لا يخفى على الله شىء ، كثير أو قليل ، جليل أو  
دقيق ، والله أعلم .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٨٦ / ٨ ) : ليعلم الله عز وجل ذلك موجودا  
ظاهرا يجب به الثواب ، فهو كقوله " ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم  
الصابرين " ( سورة آل عمران الآية ١٤٢ ) .

وكذا ذكر الرازى أيضا فى تفسيره ( ١٧٠ / ٣٠ ) انظر أيضا تفسير ابن كثير  
( ٤٣٣ / ٤ ) وأما الزمخشري فذكر فى الكشاف ( ٦٣٣ / ٤ ) أن ذكر العلم هنا  
كذكره فى قوله " حتى نعلم المجاهدين " .

وقال ابو حيان فى البحر المحيط ( ٣٥٧ / ٨ ) : قيل : ليعلم الله رسله  
مبلغه خارجة الى الوجود ، لأن علمه بكل شىء قد سبق . وفى معنى الآية  
أقوال أخرى .

فقال سميد بن جبير : ليعلم محمد أن قد بلغ جبريل اليه رسالات ربه .  
وقيل : ليعلم أى أى رسول كان أن الرسل سواء بلغوا ، وقيل : ليعلم ابليس  
أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واسراف أصحابه .

انظر لمعرفة هذه الأقوال : تفسير الطبرى ( ١٢٣ / ٢٩ ) وتفسير الماوردى  
( ٣٣٠ / ٤ ) وزاد المسير ( ٣٨٦ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ٣٠ / ١٩ ) والبحر  
المحيط ( ٣٥٧ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٣٣ / ٤ ) . وأما الراجح من هذه  
الأقوال فقد ذهب ابن جبر الى اختيار القول بأن معناه : ليعلم الرسول أن الرسل  
قبله قد أبلغوا رسالات ربهم " وذكر فى سبب اختياره أن قوله تعالى " فإنه يسلك  
من بين يديه ومن خلفه رصدا " وهذا خبر عن الرسول ، فعلم بذلك أن هذه  
الآية أيضا خبر عن الرسول ، وذلك ليتحد سياق الكلام .

( ٢ ) قال البيهقى فى تفسيره ( ١٦٤ / ٧ ) : أى علم الله ما عند الرسل ، فلم يخف عليه شىء .  
وقال أبو حيان فى البحر المحيط ( ٣٥٧ / ٨ ) : ولما كان " ليعلم " مضمنا معنى علم ،  
صار المعنى : قد علم ذلك فعطف " وأحاط " على هذا الضمير ، والمعنى : وأحاط  
بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شىء .

( ٣ ) قال أبو حيان فى البحر المحيط ( ٣٥٧ / ٨ ) : " وأحصى كل شىء عددا " أى معدودا  
محصورا ، وانتصابه على الحال من كل شىء ، وان كان نكرة لاندرج المعرفة فى العموم ،  
ويجوز أن ينتصب نصب المصدر " لأحصى " لأنه فى معنى أحصاه .

( ٤ ) ذكر البيهقى فى تفسيره ( ١٦٤ / ٧ ) عن ابن عباس أنه قال : " أحصى ما خلق ، وعرف  
عدد ما خلق ، فلم يفته علم شىء حتى مثاقيل الذر والخردل " انظر أيضا زاد المسير



## - تفسير سورة المزمّل -

وهي مكية (١) ، وعند بعضهم هي مكية الا قوله تعالى ( ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ) الى آخر السورة (٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( يا أيها المزمّل ) معناه يا أيها المزمّل ، أدغمت التاء في الراء (٢) .

(١) روى البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) بسنده عن عكرمة والحسن البصري أن هذه السورة نزلت بمكة .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٢٧٦/٦) من رواية ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس أنها نزلت بمكة . وقال الماوردي في تفسيره (٣٣١/٤) والقرطبي في تفسيره (٣١/١٩) "سورة المزمّل مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٣٨٧/٨) اجماع المفسرين على أن السورة كلها مكية ، انظر أيضا البحر المحيط (٣٦٠/٨) .

(٢) أورد السيوطي في الدر المنثور (٢٧٦/٦) من رواية النحاس عن ابن عباس أنه قال : نزلت سورة المزمّل بمكة الا آيتين ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل . ولعل ذكر آيتين أو ذكر قوله ( ان ربك يعلم . . . ) خطأ ، لأن قوله تعالى " ان ربك يعلم . . . الى آخر السورة آية واحدة وذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير (٣٨٧/٨) فقال : قال ابن يسار ومقاتل : فيها آية مدنية ، وهي قوله تعالى " ان ربك يعلم أنك تقوم . . . " انظر أيضا هذا القول في تفسير القرطبي (٣١/١٩) والبحر المحيط (٣٦٠/٨) وقد عزاه الى الجمهور ، وذكره السيوطي في الاتقان (١٧/١) عن ابن الفرس وقال : يرويه ما أخرجه الحاكم عن عائشة أنه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة وذلك حين فرض قيام الليل في أول الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس . وذكر الماوردي والقرطبي وأبو حيان عن ابن عباس وقادة أنها ما قالا : ان هذه السورة مكية الا آيتين منها : قوله " واصبر على ما يقولون " والتي تليها . ذكره ابن الجوزي عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الاتقان (١٧/١) وقال : حكاه الأصبهاني ، ويدولى أن الصواب هو القول الأول أي أنها مكية كلها - وقد صرح الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٢/٣) أن الأكثر ذهبوا الى أن السورة مكية كلها .

ومثله قوله تعالى ( يا أيها المدثر ) أي : يا أيها المدثر ، أدغمت التاء في الدال<sup>(١)</sup> . قال ابن عباس : لما ترى له جبريل صلوات الله عليه في ابتداء الوحي فرق منه فرقاً شديداً فرجع الى بيته وتزمل بشيابه فأنزل الله تعالى قوله ( يا أيها المزمل )<sup>(٢)</sup> ثم ان جبريل عليه السلام أكثر المجيء اليه حتى أنسى .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٣١ ) عن الأخفش أنه قال : المزمل : أصله المتزمل فأدغم التاء في الزاي ، وكذا المدثر \* انظر أيضاً زاد المسيو ( ٢٨٨ / ٨ ) والكشاف ( ٤ / ٦٣٤ ) وتفسير القرطبي ( ٩ / ٣١ ) والبحر المحيط ( ٨ / ٣٦٠ ) ، وقد قرأ في السان هكذا : المتزمل ، المدثر .

( ٢ ) ذكر نحوه القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٣٢ ) قال : قيل : كان هذا في ابتداء ما أوحى إليه ، فإنه لما سمع قول الملك ونظر اليه أخذته الرعدة فأتى أهله فقال : زمّلوني ، دثروني . روى معناه عن ابن عباس .

( ٣ ) قد اتفق المفسرون على أن هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه هو المراد من المزمل ، ولكنهم اختلفوا في السبب الذي قيل لأجله المزمل فذكروا فيه عدة أقوال . منها ما ذكره المؤلف عن ابن عباس ، وقد ذكره أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ( ٨ / ٢٨٨ ) والزاوي في تفسيره ( ٣٠ / ١٧١ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٣٢ ) والخازن في تفسيره ( ٧ / ١٦٤ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٨ / ٣٦٠ ) والألوسي في روح المعاني ( ٢٩ / ١٠١ ) ونسباه الى الجمهور ، وعزاه ابن الجوزي والخازن الى المفسرين ، فقالا : قال المفسرون ثم ذكراه دون ذكر ابن عباس ، وذكر بعض المفسرين في سبب تزمله قولاً آخر رواه البزار في مسنده ( كما في كشف الأستار ( ٣ / ٧٧ ) بسنده عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة ، فقالوا : ستّموا هذا الرجل اسماً فصداً والناس عنه ، فقالوا : كاهن ، قالوا : ليس بكاهن ، قالوا : مجنون ، قالوا : ليس بمجنون ، قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر ، قالوا : يفرق بين الحبيب وحبيبيه ، فتفرق المشركون على ذلك ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في شيابه ، وتدثر فيها فاتاه جبريل عليه السلام فقال : يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر \* ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٧ / ١٣٠ ) وعزاه الى البزار والطبراني وقال : وفيه معنى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب . وهذا السبب ذكره القرطبي بصيغة التعمير ، وذكره الألوسي أيضاً .  
انظر تفسير القرطبي ١٩ / ٣٢ ، وروح المعاني ٢٩ / ١٠١ .

وذكر الرازي عن الكلبى أنه قال : انما تزمل النبي عليه السلام بشيابه للتهيب للصلاة ، وقال : هو اختيار الفراء ، انظر تفسيره ٣٠ / ١٧١ ، وهو قول قتادة أيضاً ، كما ذكر عنه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٢٩ / ١٢٤ ) وأبو حيان في البحر المحيط ٨ / ٣٦٠ - وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ( ٣ / ١٩٦ ) .

قال ابراهيم النخعي : وكان متزماً في قطيعة (١) ، وعن الضحاك (٢) في قوله ( يا أيها المزمّل ) يا أيها النائم ، وفي بعض الروايات : إن جبريل عليه السلام جاء اليه وهو نائم فقال ( يا أيها المزمّل ) أي النائم قم ، واتخذ لنفسك ظلاً يوماً لا ظل إلا ظله (٣) .

(١) قال الفيروز آبادي : القطيعة دثار مخمّل ، جمعه قطائف وقطف بضم تين . القاموس

المحيط ٣ / ١٨٦ .

وقول ابراهيم النخعي هذا أخرجه ابن أبي حاتم ( كما في الدر المنثور ٦ / ٢٧٦ )

وذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٤ / ٣٣١) والقرطبي في تفسيره (١٩ / ٣٢) .

وابن كثير في تفسيره (٤ / ٤٢٤) .

(٢) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني المفسر ، يروي عنه تفسيره عبيد بن سليمان ، روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة ، وقيل لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة .

قال الحافظ في التقریب : صدوق ، كثير الإرسال ، مات بعد المائة .

تهذيب التهذيب ٤ / ٤٥٣ ، تقريب التهذيب ١٥٥ ، طبقات المفسرين ١ / ٢٢٢ .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٩ / ٣٢) قال : قال الضحاك تزل بشيابه لناممه ،

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨ / ٣٨٨) وعزاه إلى السدي . وذكروه الزمخشري ،

والرازي والنسفي ، دون عزو إلى أحد .

انظر الكشف ٤ / ٦٣٤ ، وتفسير الرازي ٣٠ / ١٧١ ، وتفسير النسفي ٥ / ٢٧٨ ،

وذكره ابن كثير في تفسيره (٤ / ٤٣٤) عن ابن عباس والضحاك والسدي .

ونداء النبي صلى الله عليه وسلم بيا أيها المزمّل والمدثر فيه تأنيس له وملاطفة على عادة العرب فإنهم إذا قصدوا ملاطفة المخاطب وترك المعاقبة له سموه باسم مشتق من الحالة التي عليها المخاطب كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما ، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له : قم يا أبا تراب \* والأمثلة على ذلك كثيرة \* انظر تفسير القرطبي ١٩ / ٣٢ والبحر المحيط ٨ / ٣٦٠ . وقد زعم الزمخشري وتبعه الرازي في بعض ما زعمه : فقال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً بالليل متزماً في قطيعة فنبه ونودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيعة واستعداده للإستئصال في النوم ، كما يفعل من لا يبهه أمر ولا يفنيه شأن ، ثم استشهد على ذلك بأبيات عديدة ، وهو في زعمه هذا مخطئ \* ، فإن قوله هذا ينادي بسوء الأدب والاحترام مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ندد به على هذا الزعم كثير من المفسرين ، منهم الألبوسي في روح المعاني (٢٩ / ١٠١) ، ولشناعته قال أبوحيان في البحر المحيط (٨ / ٣٦٠) : ضربت عن ذكره صفحا فلم أذكره في كتابي \* .

٠٠/٠٠

وقد ذكر القرطبي في هذا النداء فائدة أخرى ، وهي أن في هذا تنبيهاً لكل متزمل راقد ليلة ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه ، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة \* .

ويروى هنا عن عائشة أنها سئلت : ما كان تزميله ؟ فقالت : كان مرطاً طوله أربع عشرة ذراعاً نصفه عليّ وأنا نائمة ، ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم . وهو يصلح ثم ذكرت وصف هذا المرط \* ذكره الزمخشري والقرطبي وعزاه إلى الثعلبي ، واستشكل هذا بأن السورة نزلت بمكة ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث بها إلا بالمدينة ، ولذا قرر القرطبي أن السورة مدنية ، وما ذكر أنها مكية لا يصح ، وهذا خلاف ما عليه الجمهور ، كما تقدم ذكره في أول السورة ، ولهذا ذكر غيره في الحديث عدة توجيهات ، لا تخلو من تكلف ، منها أنه يمكن أن يكون قد بات صلى الله عليه وسلم في بيت الصديق رضي الله عنه ذات ليلة ، وكان المرط على عائشة وهي طظة ، والباقي لطوله على النبي صلى الله عليه وسلم ، فحكيت ذلك أم المؤمنين ، ولكن ذهب أبو حيان إلى تكذيب هذا الخبر ، فقال : هذا كذب صراح ، ووافقه الألبوسي .

انظر تفسير القرطبي ٣٢/١٩ ، والبحر المحيط ٣٦٠/٨ ، وروح المعاني

١٠٢/٢٩ - ١٠٣ ، وانظر القصة في الكشف والبيان للثعلبي ( ١٢/١٩٧ ب ) .

والذي يبدو لي أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة . لعدة أوجه منها -  
 أن هذه السورة مكية والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث بها رضي الله عنها -  
 إلا بالمدينة ، كما أن المبالغة في طول المرط - الذي هو خلاف العادة -  
 توهي بعدم صحة هذا الخبر ، وهذا أرى أنه لا حاجة إلى هذه التوجيهات  
 التي كلها تكلف .

وفي بعض التفاسير : عن عكرمة يا أيها المزمّل أي يا أيها المتزمل بالنبوة وهو  
غريب . وأنشد في المزمّل (٢)

(١) روى ابن جريو في تفسيره (٢٩/٢٤٤) بسنده عن عكرمة أنه قال في الآية :  
زملت هذا الأمر فقم به ، وهكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/٣٨٨)  
وهو يوافق في المعنى ما ذكره المؤلف عن عكرمة .  
وذكره ابن العربي فقال : قال عكرمة : يا من تزمل بالنبوة. انظر أحكام القرآن  
(٤/١٨٧١) وكذا ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/٣٦٠) قال : قال  
عكرمة : معناه المزمّل للنبوة وأعيائها - أي المشمر والمجد .

وأما القرطبي فذكر قول عكرمة هذا فقال : قول عكرمة . " يا أيها المزمّل "  
بالنبوة والملتزم للرسالة " وقال بعد ذلك ، وعنه أيضا : " يا أيها الذي زملَ هذا  
الأمر أي حطّه ثم فتر " فكانه ذكر عنه قولين . انظر تفسير القرطبي ١٩/٣٢٠ .  
وقد ورد عن ابن عباس أنه قال : يا أيها المزمّل بالقرآن . ذكره القرطبي  
وابن كثير في تفسيره (٤/٤٣٤) .

وبالنظر في هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف وغيره ، يبدو أن المفسرين  
انقسموا في تأويل " يا أيها المزمّل " . إلى طائفتين = طائفة حطته على حقيقته  
- ثم اختلفت هذه الطائفة في تسميته صلى الله عليه وسلم بالمزمّل . وطائفة  
حطته على المجاز ، فقالت : يا من تزمل بالنبوة ، أو بالقرآن .  
والراجح من هذين القولين قول من قال بحقيقته ، لأنه هو الذي تدل عليه  
الروايات والاشتقاق اللغوي ، ولذلك استغرب المؤلف قول عكرمة ، وأنشد على ذلك  
ما قاله الشاعر العربي ، وأما الراجح من الأقوال التي ذكرت في سبب تسميته  
بالمزمّل هو ما عليه الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم تزمل في ثيابه في أول ما جاء  
جبريل فرقا منه .

وأما الطبري فقد رجح قول قتادة أنه تزمل في ثيابه للتهيء للصلاة ، مستدلا  
بما جاء بعده " قم الليل " .  
انظر تفسير الطبري ٢٩/١٢٤ .

(٢) القائل هو الشاعر جاهلي امرؤ القيس .

كَانَ شَبِيرًا (١) فِي عَرَانِينَ (٢) وَبَلَّةَ (٣) كَبِيرِ أَنَسِ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ (٤) (٥)

وقرى في الشاذ : يا أيها المزمّل (٦) وقوله (قم الليل الا قليلا) أي الا شيئا

يسيرا منه .

قال الكلبى : هو الثلث ، ومعناه " قم ثلثي الليل " (٧) .

(١) هو بالفتح ثم الكسر ويا ساكنة ورا ، وهو جبل بمكة ، ويقال أشرق شيركيما نفيو ، وهي أربعة أثيرة : شبير غينا ، وشبير الأعرج ، وشبير الأحدب ، وشبير حرا . انظر معجم البلدان ٧٢/٢ ، ولسان العرب ١١٠/٤ .

(٢) هو جمع مفردة : عرنين ، وعرنين كل شىء : أوله ، وعرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين ، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشم . لسان العرب ٢٨٢/١٣ .

(٣) كذا في الأصل ، ويروى ( وِدْقَةٌ ) . انظر لسان العرب ٢٨٣/١٣ . والمعنى واخذ ، البيل مصدر بلكت الشىء ببله بلا ، يقال : بلة الشاب وبلته طراؤه ، والودق : المطر . انظر المصدر السابق ٣٧٣/١ ، ٦٤/١١ .

(٤) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب ، المصدر السابق ٧٧/٣ .

(٥) البيتغى معلقته . انظر المعلقات السبع (ص. ٤) وفي ديوانه (ص ٦٢) .

(٦) أي بخفة الزاى وتشديد الميم ، وهى على حذف المفعول . أي يا أيها المزمّل نفسه أو جسمه ، وهى قراءة عكرمة .

انظر شوان القرآن لابن خالويه (ص ١٦٣) والمحتسب لابن جنى (ع ٣٣٥) .

(٧) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبى أبو النضر الكوفى النسابة المفسر ، متهم بالكذب ورمى بالرقص ، قال الأصمعى عن أبى عوانة : سمعت الكلبى يتكلم بشىء من تكلم به كفر ، وقال أبو حاتم : الناس مجمعون على ترك حديثه ، هو ذاهب الحديث لا يشتغل به . وقد كذب علماء الجرح والتعديل تفسيره ، مات سنة ست وأربعين ومائة .

انظر الجرح والتعديل ٢٧٠/٧ ، تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ ، تقريب التهذيب ٢٩٨ ، طبقات المفسرين ١٤٩/٢ .

(٨) ذكره القوطى فى تفسيره (٣٥/١٩) وأبو حيان فى البحر المحيط (٣٦١/٨) والالكوسى فى روح المعانى (١٠٣/٢٩) .

وعن وهب بن منبه <sup>(١)</sup> إلا قليلاً : هودون السدس <sup>(٢)</sup> ،  
 وقوله ( نصفه ) بدل من الليل <sup>(٣)</sup> ، أى قسم نصفه إلا قليلاً <sup>(٤)</sup> ،

( ١ ) هو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني الذماری ( بكسر معجمة عند أكثر  
 المحدثين وفتحها عند بعضهم وخفة ميم نسبة الى قرية باليمن : المغنى ص ١٠٧ )  
 أبو عبد الله الأنباري ( بفتح الهمة وسكون الموحدة بعدها نون ) روى عن أبي هريرة  
 وأبي سعيد وابن عباس وغيرهم من الصحابة ، وروى عنه ابنه عبد الله وعبد الرحمن  
 وابنا أخيه عبد الصمد وعقيل وغيرهم ، قال الحافظ في التقریب : ثقة ، مات سنة  
 بضع عشرة .

انظر تهذيب التهذيب ١١ / ١٦٦ ، تقریب التهذيب ٣٧٢ .

( ٢ ) أورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٣ / ٢٢-٢٤ ) قال : روى ابن أبي حاتم  
 من طريق وهب بن منبه قال : القليل مادون المعشار والسدس " وكذا ذكره  
 القرطبي وأبو حيان والاكوسى .  
 انظر المصادر السابقة لهم .

( ٣ ) فى الأصل ( على ) مكان ( من ) وهو خطأ ظاهر .

( ٤ ) كذا ذكره ابن الجوزي فى زاد السير ( ٨ / ٣٨٨ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٩ / ٣٥ )  
 والنسفي فى تفسيره ( ٧ / ٢٧٨ ) وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٨ / ٣٦١ ) . وعساه  
 القرطبي الى الزجاج ، فقال : قال الزجاج " نصفه " بدل من الليل ، و " إلا قليلاً "  
 استثناء من النصف ، والضمير فى " منه " و " عليه " للنصف ، المعنى : قم نصف  
 الليل أو انقص من النصف قليلاً الى الثلث أو زد عليه قليلاً الى الثلثين ، فكأنه قال :  
 " قم ثلثي الليل ، أو نصفه أو ثلثه " . وهذا هو المعنى لما ذكره المؤلف فى  
 تفسير الآية - واعترض عليه أبو حيان فإنه قال بعد أن ذكره : " فيصير المعنى : قم  
 نصف الليل إلا قليلاً أو انقص من نصف الليل قليلاً أو زد على نصف الليل ، فيكون  
 قوله " أو انقص من نصف الليل قليلاً " تكرر " لقوله " إلا قليلاً " من نصف الليل  
 وذلك تركيب غير فصيح ، ينزه القرآن عنه .

وقد ذكر هذا القول الزمخشري أيضا ، فقال : " نصفه " بدل من الليلي ، و " الا قليلا " استثناء من النصف ، كأنه قال : قم أقل من نصف الليل ، والضمير في " منه " و " عليه " للنصف ، والمعنى : التخيير بين أمرين : بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت ، وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه . الكشاف ٦٣٦/٤ واعترض عليه أيضا أبو حيان فقال : لم يتنبه للتكرار الذي يلزمه في هذا القول لأنه على تقديره " قم أقل من نصف الليل كان قوله " أو انقض من نصف الليل " تكرارا .

وفي الآية وجه آخر يذكره المفسرون وهو أن " نصفه " بدل من قوله " قليلا " وكان مخيرا بين ثلاث : بين قيام النصف بتمامه وبين الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه . كأن تقدير الكلام : قم الليل إلا نصفه ، أو أقل من نصفه ، أو أكثر من نصفه . ذكره القرطبي في تفسيره ( ٣٥ / ١٩ ) والزمخشري في الكشاف ( ٦٣٧ / ٤ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٣٦١ / ٨ ) والالكوسي في روح المعاني ( ١٠٢ / ٢٩ ) .

وهذا القول أيضا لم ينج من اعتراض أبي حيان فإنه قال : " إذا كان نصفه بسدلا " من قوله " الا قليلا " فالضمير في نصفه إما أن يعود على المبدل منه أو على المستثنى منه وهو الليل ، لا جائز أن يعود على المبدل منه لأنه يصير استثناء مجهول من مجهول . إذ التقدير " الا قليلا نصف القليل " وهذا لا يصح له معنى البتة " وان عاد الضمير على الليل فلا فائدة في الاستثناء من الليل ، إذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد عن الألباس أن يكون التركيب قم الليل نصفه " اهـ .



( ١ )  
 وقيل : في القليل على هذا القول نصف السدس .  
 وقوله ( وانقض منه قليلا ) أي من النصف الى الثلث .  
 وقوله ( أو زد عليه ) أي زد على النصف الى الثلثين .  
 والمعنى من الآية : ايجاب القيام عليه مع توسيع الأمر في المقدار ( ٢ ) . وذكر  
 النقاش ( ٣ ) ان قوله " نصفه " أو نصفه ( ٤ ) .

( ١ ) هو استنباط مما ذكره وهب بن منبه أن القليل هو دون السدس .

( ٢ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٨٨ / ٨ ) : " قال المفسرون : انقض من النصف الى الثلث ، أو زد عليه الى الثلثين ، فجعل له سعة في مدة قيامه ، إذ لم تكن محدودة " أه .

( ٣ ) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند أبو بكر المقرئ ، النقاش ، يقال انه مولى أبي رجانة سماك بن خرشة الأنصاري . كان مولده سنة ست وستين ومائتين ، روى عن اسحاق بن سفيان الختلي وأبي مسلم الكجي ومطيين وغيرهم ، وعنه ابن شاهين والدارقطني وأبو علي ابن شاذان وغيرهم قال فيه الخطيب البغدادي : كان عالما بحروف القرآن ، حافظا للتفسير ، صنف فيه كتابا سماه شفاء الصدور . . . ( الى أن قال ) وفي أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة .  
 ونقل عن البرقاني أنه قال : كل حديث منكر ، ونقل عن طلحة بن محمد جعفر أنه قال : كان يكذب في الحديث والفالب عليه القصص " وقال الذهبي : ومع جلالته ونبله فهو متروك الحديث وحاله في القراءات أمثل توفي سنة ٣٥١ تاريخ بغداد ٢ / ١٠٢ .  
 وتذكرة الحفاظ ٣ / ٩٠٩-٩٠٨ ( ٤ ) .  
 القرطبي في تفسيره ( ٣٥ / ١٩ ) وعزاه الى الأخفش ، قال : وقال الأخفش :  
 " نصفه " أي أو نصفه ، يقال : أعطته درهما درهماين ثلاثة ، يزيد : أو درهمين أو ثلاثة " أه .  
 ذكره أبو حيان أيضا ولكنه لم يعزه الى أحد ، واعترض عليه بقوله : وفيه حذف حرف العطف من غير دليل عليه . البحر المصنيط ٨ / ٣٦٢ .

وفي الآية وجه آخر ذكره ابن عطية على مورد الاحتمال ، فقال : " وقد يحتمل عندى قوله " إلا قليلا " أنه استثناء من القيام فيجعل الليل اسم جنس ، ثم قال : " إلا قليلا " أي الليلي التي تغل بقيامها عند العذر البين ونحوه ، وهذا النظر يحسن مع القول بالندب ، ذكره أبو حيان ورد عليه بقوله : وهذا خلاف الظاهر .

.. / ..

وقال الرازي في تفسيره ( ١٧٢/٣٠ - ١٧٣ ) عند هذه الآية : اعلم أن الناس قد أكثروا في تفسير هذه الآية : وعندى فيه وجهان ملخصان ، الأول أن المراد بقوله ( إلا قليلاً ) الثلث \* ثم استدل عليه بما قاله تعالى في آخر السورة ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ) قال : فهذه الآية تدل على أن أكثر المقادير الواجبة الثلثان ، فهذا يدل على أن نوم الثلث جائز ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون المراد في قوله ( قم الليل إلا قليلاً ) هو الثلث ، فإذا قوله ( قم الليل إلا قليلاً ) معناه قم ثلثي الليل ، ثم قال ( نصفه ) ، والمعنى أو قم نصفه \* ثم ذكر كلاماً نحو ما جاء في كلام النقاش والأخفش ( وهو أن حرف العطف ( أو ) محذوف ) . وقال : فعلى هذا يكون الثلثان أقصى الزيادة ويكون الثلث أقصى النقصان ، فيكون الواجب هو الثلث ، والزائد عليه يكون مندوباً .

ثم ذكر الوجه الثاني فقال : الوجه الثاني أن يكون قوله ( نصفه ) تفسيراً لقوله ( قليلاً ) وهذا التفسير جائز لوجهين ، وذكر الوجهين ثم قال في آخره : وحينئذ يرجع حاصل الآية الى أنه تعالى خيره بين أن يقوم تمام النصف ، وبين أن يقوم ربع الليل وبين أن يقوم ثلاثة أرباعه ، وعلى هذا التقدير يكون الواجب الذي لا بد منه هو قيام الربع ، والزائد عليه يكون من المندوبات والنوافل - وأشار أبو حيان في البحر المحيطة ( ٣٦٨/٨ ) الى كلام الرازي هذا ، فقال : وقال أبو عبد الله الرازي قد أكثر الناس في تفسير هذه الآية ، وعندى فيه وجهان ، ملخصان وذكر كلاماً طويلاً ملفقاً يوقف عليه من كتابه .

وهكذا اعترض أبو حيان على جميع الأقوال ، ولم يذكر هو ما يصح في نظره في تفسير هذه الآية . وأما القرطبي فقد ذكر بعد إيراده للقول الثاني ( يعنى أن نصفه بدل من قوله ( قليلاً ) الأحاديث الواردة في نزول الرب سبحانه وتعالى ، منها حدیث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ينزل الله عز وجل السى سما الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول ، أنا الملك ، أنا الملك . الحدیث وهو مخرج في صحيح البخارى ( ٢٩/٣ رقم ١١٤٥ ) وفي صحيح مسلم ( ٣٦/٦ - ٣٧ ) وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل ، وذكر حديثاً آخر عن أبى هريرة أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مضى شطر الليل - أو ثلثاه - ينزل الله وهو أيضاً مخرج في صحيح مسلم ( ٣٧/٦ - ٣٨ ) ، وهذا الحديث يبين أن ذلك يكسبون

.. / ..

٠٠/٠٠

عند نصف الليل وأورد بعد ذلك ما أخرجه ابن ماجه في سننه ( ٤١٢/١ - ٤١٣ ) من حديث ابن شهاب ( الزهري ) عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر كل ليلة فيقول : من يسألني فأعطيه ؟ . . . . . الحديث . فكانوا يستحبون صلاة آخر الليل على أوله .

وذكر أيضاً حديث ابن عباس : بت عند خالتي ميمونة حتى اذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . . . الحديث رواه مالك في الموطأ ( ١٠٨/١ ) وقال القرطبي : قال علماءنا : وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن فانهما يبصران من مشكاة واحدة \* تفسير القرطبي ( ٣٥-٣٦ / ١٩ ) فكانه يروى أن هذه الأحاديث هي التي تفسر الآية .

وقال الأوسى : وبالجملة قد أكثر المفسرون الكلام في هذه الآية حتى ذكروا ما لا ينبغي تخريج كلام الله تعالى العزيز عليه وأظهر الوجوه عندى وأبعدها عن التكلف وأدقها بجزالة التنزيل هو ما ذكرناه أولاً ، ويعنى بذلك القول الثانى ( أى أن قوله ( قليلاً ) استثناء من الليل وقوله ( نصفه ) يدل من قليلاً ) . والمعنى : تخييره صلى الله عليه وسلم بين أن يقوم نصف الليل أو أقل من النصف أو أكثر .  
روح المعانى ( ١٠٢ / ٢٩ ) .

وقوله ( ورتل القرآن ترتيلاً ) أى بينه تبيناً<sup>(١)</sup> .  
 قال الضحاك : حرفاً حرفاً<sup>(٢)</sup> ، وحقيقة الترتيل هو الترسل فى القراءة وإيقاع  
 الحروف حقها من الاشباع بلا عجل ولا هذرمة<sup>(٣)</sup> . . .  
 وروى أبو حمزة<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس قال : لأن أقرأ سورة البقرة أرتل ترتيلاً

( ١ ) هكذا فسره ابن جرير ( انظر تفسيره ( ١٢٦ / ٢٩ ) .  
 ونقله البغوى عن ابن عباس والحسن ، قال : قال ابن عباس بينه تبيناً ، قال  
 الحسن : اقراه قراءة بينة - تفسير البغوى ( ١٦٥ / ٧ ) وقال الألوسى : وأخرج  
 العسكري فى المواعظ عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه  
 الآية : فقال : بينه تبيناً ، ولا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذا الشعر . . . .  
 الحديث . انظر روح المعانى ١٠٤ / ٢٩ .  
 وقال الرازى : قال الزجاج : رتل القرآن ترتيلاً : بينه تبيناً ، والتبيين  
 لا يتم بأن يعجل فى القرآن ، إنما يتم بأن يبين جميع الحروف ويوفىها حقها من  
 الاشباع . تفسير الرازى ١٧٣ / ٣٠ .

( ٢ ) ذكره القرطبي فى تفسيره ( ٢٧ / ١٩ ) قال : قال الضحاك : " اقراه حرفاً  
 حرفاً " وذكره ابن منظور فى لسان العرب ( ٢٦٥ / ١١ ) قال : وقال الضحاك :  
 أنبده حرفاً حرفاً .

( ٣ ) قال ابن منظور : الهذرمة : السرعة فى القراءة والشئى . النهاية ٢٥٦ / ٥  
 لسان العرب ٦٠٦ / ١٢ ( هذرم ) .  
 وقال فى معنى الترتيل : الترتيل فى القراءة : الترسل فيها والتبيين من غير  
 يفي " . ونقل عن أبى اسحاق الزجاج ما تقدم أن نغناه من تفسير الرازى والترتيل  
 من الرتل : وهو فى اللفظة حسن تناسق الشئى ، وشعر رتل ورتل : حسن  
 التنضيد مستوى النبا .  
 وقيل : المظج ، وقيل : بين أسنانه فروج لا يوكب بعضها بعضاً ومنه كلام رتل  
 ورتل : أى مرتل حسن على توءدة . ورتل الكلام : أحسن تأليفه وأبانسه  
 وتمهل فيه . انظر لسان العرب ٢٦٥ / ١١ .

( ٤ ) هو نصر بن عمران بن عصام الضبعى ( يضم المعجمة وفتح الموحدة بعد ها  
 مهطة ) أبو جمر ( بالجيم ) البصرى ، نزيل خراسان ، مشهور بكنيته ، روى  
 عن أبيه وابن عباس وابن عمر وغيرهم . وعنه ابن علقمة والحمامان وغيرهم .  
 ثقة ثبت ، من الثالثة ، مات سنة ثمان وعشرين ، أخرج له الجماعة .  
 تهذيب التهذيب ٤٣١ / ١ ، تقريب التهذيب ٣٥٧ .

أحب الي من أن اقرأ جميع القرآن هذرمة<sup>(١)</sup> .

وعن أنس<sup>(٢)</sup> أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان يمسد  
مدا<sup>(٣)</sup> ، وفي الحكايات عن صدقة المقابري<sup>(٤)</sup> أنه قال : قمت ليلة وقرأت أحدر  
حدراً<sup>(٥)</sup> قرأيت في المنام كأنى أزرع شعيراً ثم رتلت قرأيت في المنام كأنى أزرع  
حنطة ثم حففت<sup>(٦)</sup> قرأيت في المنام كأنى أزرع سمسطاً<sup>(٧)</sup> وقد صح بروايته

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب الصلاة باب ترتيب القراءة  
(٢/١٣) وأبو عبيد النهروى فى غريب الحديث (٤/٢٢٠) كلاهما  
يسندهما عن حماد بن سلمة عن أبى جمرة قال : قلت لابن عباس : انسى  
سريع القراءة ، انى أهدت القرآن ، فقال ابن عباس : لأن أقرأ سورة البقرة  
فأرتلها أحب الي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة .

ورواه أيضا عبد الرزاق فى مصنفه (٢/٤٨٩ رقم ٤١٨٧) عن معمر عن  
أبى جمرة الضبعى به بنحوه .

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم أبو حمزة الأنصارى الخزرجى خدام  
رسول الله صلى الله عليه وسلم . خدمه عشر سنين ، مناقبه وفضائله كثيرة  
جداً ، مات سنة اثنتين وقيل : ثلاث وتسعين ، وقد جاوز المائة .  
الإصابة (١/٧١) ، تقريب التهذيب ٣٩ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن - باب الترتيل فى القراءة  
(٩/٩٠ ، رقم ٥٠٤٥) . من طريق قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن  
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان يمد مداً .

(٤) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء (١٠/٣١٧) قال : وأما صدقة المقابري فمن  
أقران المتقدمين كبشر بن الحارث وطبقته ، وكان من التحقق والتحفظ بالمحصل  
العالى .

(٥) هو من الحدرد : أى الإسراع فى القراءة ، وذكر الأزهري فى تهذيب اللغفة  
(٤/٤٠٧) أن كل شىء أرسلته إلى أسفل فقد حدردته ، حدراً وحدوراً وفيه سميت  
القراءة السريعة الحدرد ، لأن صاحبها يحدردها حدراً .

(٦) كذا فى الأصل ، ولم تتضح لى هذه الكلمة ، ولعلها من الحفيف وهو صوت الشىء  
تسمعه كالرننة أو طيران الطائر أو الرمية أو التهاب النار ونحو ذلك .

(٧) لم أهدت الي من ذكر أو روى هذا الأثر .

سعد بن هشام<sup>(١)</sup> أنه قال : قلت لعائشة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنها : أخبريني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ألسنت اقرأ سورة المزمل ؟ قلت : نعم . قالت : فرض الله تعالى قيام الليل على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقاموا سنة حتى تورمت<sup>(٣)</sup> أقدامهم ثم أنزل الله تعالى قوله ( ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ) فنسخ قيام الليل وفي هذا الخبر أنه أنزل أول السورة وأمسك خاتمتها سنة<sup>(٤)</sup> ،

( ١ ) هو سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ابن عم أنس . روى عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ، وعنه الحسن البصري وحميد بن هلال وغيرهما . ثقة ، من الثالثة - استشهد بأرض الهند .

تهذيب التهذيب ٣ / ٤٨٣ ، تقريب التهذيب ١١٩ .

( ٢ ) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق . أم المؤمنين ، ألقبها النساء مطلقاً ، وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا خديجة ففيها خلاف شهير ، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس وماتت سنة ثمان وخمسين ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع ، صاحبة مناقب جمّة ، ومهراة من فوق سبع سماوات ، رضي الله عنها وعن أبيها .

انظر الإصابة ٤ / ٣٥٩ ، تقريب التهذيب ٤٧٠ .

( ٣ ) أي انتفخت من طول قيامهم في صلاة الليل .  
النهاية ٥ / ١٧٧ .

( ٤ ) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين - باب صلاة الليل ( ٢٥ / ٦ - ٢٨ ) وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب في صلاة الليل ( ٢ / ٨٧ - ٨٨ ) ، رقم الحديث ١٣٤٢ ) كلاهما من طريق قتادة عن زُرارة بن أوفى عن سعد بن هشام في سياق طويل ، وجاء فيه : " فقلت ( القائل سعد بن هشام ) أنبتني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : " ألسنت اقرأ " يا أيها المزمل قلت : بلى قالت : فإن الله عز وجل إفترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً ، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة . . . الحديث . هذا لفظ مسلم وليس فيه ذكر " تورمت أقدامهم " وجاء في لفظ أبي داود : ( حتى انتفخت أقدامهم ) .

٠٠/٠٠

وعليه فاتفق أكثر المفسرين على أن الآية منسوخة ولكنهم اختلفوا في الناسخ لها فقال بعضهم : هو كما جاء في الحديث قوله تعالى ( أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ) . وقالوا : ليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها سوى هذه السورة .

وزهب قوم الى أنه نسخ قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ( ومن الليل فتهدى به نافذة لك ) سورة الاسراء الآية ٧٩ . ونسخ في حقيق المؤمنين بالصلوات الخمس .

وقيل : الناسخ لها قوله تعالى ( علم أن لن تحصوه ) .

وقيل : قوله تعالى ( علم أن سيكون منكم مرضى ) .

وقيل : قوله تعالى ( فاقرءوا ما تيسر منـه ) .

وقد ذكر هذه الأقوال القرطبي في تفسيره ( ٣٦ / ١٩ ) ثم قال : القبول الأول يعم جميع هذه الأقوال . وقد قال تعالى " وأقيموا الصلاة " فدخل فيها قول من قال : ان الناسخ للصلوات الخمس \* أه ، وعليه فالقول الأول هو الصواب وعليه أكثر المفسرين .

انظر نواسخ القرآن (ص ٤٩٦) والناسخ والمنسوخ للنحاس ( ص ٢٥٢) والناسخ والمنسوخ لهبة الله (ص ٩٦) ، وزاد المسير ٣٨٨/٨-٣٨٩ ، وأحكام القرآن ٤ / ١٨٨١ ومختصر قيام الليل ( ص ١٤ - ١٥ ) .

وفى بعض الروايات ستة عشر شهراً<sup>(١)</sup> ، وفى بعض الفرائب من الروايات عشر سنين<sup>(٢)</sup> .

(١) حكى ذلك الماورى عن عائشة رضى الله عنها .

انظر تفسيره (٣٣٢/٤) وأيضاً : زاد المسير ٣٨٩/٨ ، تفسير القرطبي (٣٧/٩)

(٢) أخرج ابن جريو فى تفسيره (٢٩/٢٥) بسنده عن سعيد بن جبير قال : لما أنزل الله على نبيه " يا أيها المزمل " قال : مكث النبى صلى الله عليه وسلم على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله عليه بعد عشر سنين ( ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل .... ) الى قوله ( وأقيموا الصلاة ) فخفف الله عنهم بعد عشر سنين . ذكر هذه الرواية السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٧٦/٦ ) وعزاه الى عبد بن حميد وابن ابى حاتم أيضاً . وهناك رواية أخرى عن عائشة أيضاً تقول فيها : أنهم مكثوا ثمانية أشهر يقومون . فأخرج ابن جريو فى تفسيره ( ٢٩/٢٥ ) بسنده عن موسى ابن عبيدة قال : ثنا محمد بن طلحة مولى أم سلمة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً يصل على من الليل ، فتسامع به الناس . . . . إلى أن قالت : " حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فودهم الى الفريضة وترك قيام الليل " . وعلى هذه الروايات اختلف المفسرون فى المدة التى فرض فيها قيام الليل فقال بعضهم : سنة . وهو قول ابن عباس وهو الذى جاء فى رواية عائشة عند مسلم .

وقيل : انها ستة عشر شهراً . حكاه الماورى عن عائشة .

وقيل : انها عشر سنين . وهو مروى عن سعيد بن جبير . واستغربه المؤلف .

وقيل : انها ثمانية أشهر ، وقيل غير ذلك من الأقوال . والصواب منها هو الأول يعنى سنة ، لأنه هو الذى ورد فى الأحاديث الصحيحة عند مسلم وأبى داود وغيرهما من أصحاب السنن .

راجع زاد المسير ٣٨٩/٨ ، تفسير القرطبي ٣٧/٩ ، روح المعاني ٢٩/١١١ .



(١) قوله تعالى ( انا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً ) قال الحسن : ثقیل العمل به ،  
وقال الزجاج : هو الصلاة والصيام وسائر الأوامر والنواهي لا يفعلها الا نسان الا  
بتكلف يشقل عليه . (٢)

وعن قتادة قال : ثقیل والله حدوده وفرائضه . (٣)

وقيل : ثقیلاً في الميزان يوم القيامة .

قاله الحسن في احدى الروايتين . (٤)

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢٧/٢٩) عن يعقوب بن ابراهيم قال :  
ثنا ابن عليه عن أبي رجا عن الحسن في قوله " انا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً " .  
قال العمل به ، قال : ان الرجل ليهذ السورة ، ولكن العمل به ثقیل ، وأورد  
السيوطي في الدر المنثور (٢٧٨/٦) وعزاه الى عبد بن حميد وابن المنذر  
وابن نصر .

وذكره البغوي في تفسيره (١٦٧/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٩٠/٨)  
والقرطبي في تفسيره (٣٨/١٩) وابن حجر في فتح الباري (٢٣/٣) .

(٢) لم أجد من ذكر هذا القول عن الزجاج .

وقد أورد نحوه الرازي في تفسيره (١٧٤/٣٠) فقال : قالوا : المراد  
بالقول الثقیل : القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقية  
ثقیلة على المكلفين عامة ، وعلى رسول الله خاصة ، لأنه يتحملها بنفسه ويلفها  
الى أمته . ولم ينسبه الى أحد - ونقل البغوي في تفسيره (١٦٧/٧) عن  
مقاتل أنه قال : ثقیل لما فيه من الأمر والنهي والحدود .

انظر تفسير مقاتل ( ق ١/٣٧٣ ) .

وأما الزجاج فذكر عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٠/٨) والرازي  
في تفسيره أنه قال : انه قول له وزن في صحته وبيانه ونفعه ، كما تقول : هذا  
كلام رصين ، وهذا قول وزن اذا استجدته .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١/١٦٢ ) وابن جرير في تفسيره (١٢٧/٢٩)  
من طريق سعيد بن أبي عروبة ومعه عنه . وأورد السيوطي في الدر المنثور  
(٢٧٧/٦) وعزاه الى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن نصر ، وذكره  
البغوي في تفسيره (١٦٧/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٩٠/٨) والقرطبي  
في تفسيره (٣٨/١٩) .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره (١٧٤/٣٠) والزمخشري في الكشاف (٦٣٨/٤) وعزاه  
كل منهما الى الحسن . وذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣٩٠/٨) والقرطبي  
في تفسيره (٣٨/١٩) وعزاه كل منهما الى ابن زيد .

وقال الفراء : هو قول ثقيل أي ليس بخفيف ، ولا سفاف<sup>(١)</sup> وهو ثقيل : أي له وزن بصحته وبيانه تنسقه<sup>(٢)</sup> ، يقال : هذا كلام رزين رصين<sup>(٣)</sup> أي ليس بقول لا معنى له<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) قال ابن منظور : السَّفَافُ : الرَّدِيُّ من كل شيء ، والأمرُ الحقيرُ وكلُّ عملٍ دُونَ الإِحْكامِ ، لسان العرب ( ١٥٤ / ٩ ) .

وانظر الفراء في معاني القرآن ( ١٩٧ / ٣ ) وذكره ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٣٩٣ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٩٠ / ٨ ) والرازي في تفسيره ( ١٧٤ / ٣٠ ) والقرطبي في تفسيره ( ٣٨ / ١٩ ) وعزاه كل منهم سوى ابن قتيبة إلى الفراء : وزادوا في آخره ( لأنه كلام رينا ) .

( ٢ ) هذه الكلمة في الأصل غير واضحة ويبدو أنها ( تنسقه ) وقد ذكر غير واحد هذا القول ، وقالوا ( نغمه ) .

( ٣ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ١٧٩ / ١٣ ) الرِّزِينُ : الثقيل من كل شيء ،

( ٤ ) في الأصل ( صين ) ولم يبد لي معناه ، والصواب ما أثبتته . وكذا جاء في تفسير ابن الجوزي .

والرَّصِينُ : المحكم الثابت . كما في لسان العرب : ١٨١ / ٣٤ .

( ٥ ) يبدو من الأسلوب الذي ذكره المؤلف أن هذا القول من ضمن كلام الفراء ، وقد سبق أن ذكرنا أنه قول الزجاج .

وقد ذكر المفسرون أقوالاً أخرى في تفسير ( قولاً ثقيلاً ) منها : أن معناه

القرآن نفسه ، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه ( ١٨ / ١ ) ،

رقم ( ٢٢ ) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله

عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس

وهو أشده عليَّ فيفصمُ عنى وقد وعيتُ عنه ما قال . . . . . الحديث ، وفيه :

قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد

فيفصمُ عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً . . . . .

ذكره البيهقي في تفسيره ( ١٦٧ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٨٩ / ٨ ) ،

والزمخشري في الكشاف ( ٦٣٨ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٣٨ / ١٩ ) .

٠٠/٠٠

ومنها : أنه ثقيل على المنافقين ، وقيل : على الكفار ، لما فيه من الاحتجاج  
والبيان بضاللتهم وسب آلهتهم ، وغير ذلك من الأقوال التي ذكرها القرطبي ، والرازي  
في تفسيره ( ١٧٤/٣٠ - ١٧٥ ) .

أما ابن جرير فقد ذكر القولين : ثقيل العمل به . ثقيل محمله ، وقال : وأولى  
الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : إن الله وصفه بأنه قول ثقيل ، فهو كما وصفه به  
ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه .  
انظر تفسير الطبري ( ١٢٨/٢٩ ) .

ونذكر ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٨٧٦/٤ ) قولين في معنى الآية ،  
أولهما : أن معناها : ثقة على النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يلقيه الطلح إليه ،  
والثاني : ثقل العمل به .

ثم قال : والأول أولى . لأنه قد جاء " وما جعل عليكم في الدين من حرج " .  
سورة الحج الآية ٧٨ .

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة \* ١ هـ .  
يعنى أن العمل بالقرآن لا يكون ثقيلًا - انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢٨/١٩ )  
وهذا الذي يبدو لي أيضا أنه الصواب لأنه يوافق النصوص الواردة في ثقل الوحي على  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما القول بأن المراد ثقيل العمل به ، فهو يخالف  
النصوص الواردة في سماحة الإسلام ويسره .

قوله تعالى ( ان ناشئة الليل ) روى عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وسعيد  
ابن جبير : أنه الليل كله .<sup>(٢)</sup>

وعن ابن عمر وأنس : هو ما بين المغرب والعشاء<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني - ثقة  
فقيه مشهور . مات سنة أربع وتسعين على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عمر  
الغاروق . أخرج له الجماعة .  
تقريب التهذيب ٢٣٨ .

( ٢ ) روى ابن جرير هذا القول عن الجميع ، انظر تفسيره ( ١٢٨ / ٢٩ ) وذكره  
البغوي في تفسيره ( ١٦٧ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٩٠ / ٨ )  
والرازي في تفسيره ( ١٧٥ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ٣٩ / ١٩ ) والبحر المحيط  
( ٣٦٣ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٣٥ / ٤ ) وانظر أيضا السنن الكبرى  
( ١٩ / ٣ - ٢٠ ) .

( ٣ ) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل المدوني أبو عبد الرحمن ولد سنة ثلاث  
من المبعث ، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وهو أحد المكثرين  
عن الصحابة والعبادة ، وكان من أشد الناس للأثر . مات سنة ثلاث وسبعين  
في آخرها أو أول التي تليها .  
انظر الاصابة ٣٤٧ / ٢ ، وتقريب التهذيب ١٨٢

( ٤ ) هو انس بن مالك بن النضر بن ضمضم أبو حمزة الأنصاري الخوزجي ، خدام  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

( ٥ ) لم أجد من روى عن ابن عمر هذا القول ، وقد ذكره عنه القرطبي وغيره كما سيأتي  
ذكره .

وأما أنس فروى البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة - باب من فسر  
عن قيام الليل ( ٢٠ / ٣ ) بسنده عن ثابت عن أنس في قوله ( ان ناشئة الليل )  
قال : ما بين المغرب والعشاء .

وروى ابن نصر المروزي في قيام الليل ( انظر مختصره ٢٦ ) بسنده عن ثابت  
كان أنس يصلي ما بين المغرب والعشاء ، فقيل له ما هذه الصلاة ؟ قال :  
أما سمعتم قول الله ( ان ناشئة الليل ) هذه ناشئة الليل .

وذكره البغوي في تفسيره ( ١٦٧ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير  
( ٣٩١ / ٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ٤٠ / ١٩ ) والاكوسي في روح المعاني  
( ١٠٥ / ٢٩ ) عزاه البغوي الى علي بن الحسين ، وابن الجوزي الى أنس وعزاه  
القرطبي والاكوسي الى ابن عمر وأنس وعلي بن الحسين .

وعن الكسائي<sup>(١)</sup> أول الليل<sup>(٢)</sup>، وعن بعضهم : من صلاة العشاء الآخرة الى الصبح قاله الحسن والحكم بن عتيبة<sup>(٣)</sup> . وعن ابن الأعرابي<sup>(٤)</sup> هو أن يستيقظ بعد

(١) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي الكسائي أحد أئمة القراءة والتجويد في بغداد ، وهو امام الكوفيين في النحو واللغة . وأحد القراء السبعة المشهورين ، وسمى الكسائي لأنه أحرم في كسائه ، وقيل غير ذلك ، قال ابن الأعرابي : كان الكسائي أعلم الناس شابطاً عالماً بالمرية قارئاً صدوقاً له مؤلفات في القراءات ومعاني القرآن والنحو ، مات سنة ثمانين ومائة ، وقيل غير ذلك .  
انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١١/٤٠٣) ، تهذيب التهذيب ٣١٣/٧ ، طبقات المفسرين ١/٤٠٤ .

(٢) ذكره من قوله الرازي في تفسيره (٣٠/١٧٥) وأبوحيان في البحر المحييط (٣٦٣/٨) والاكوسي في روح المعاني (٢٩/١٠٥) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/٣٩١) والقرطبي في تفسيره (١٩/٤٠) وعزاه كل منهما الى عطية وعكرمه . وقال الرازي : قال زين العابدين (علي بن الحسين) : ناشئة الليل : ما بين المغرب الى العشاء ، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك والكسائي : قالوا : لأن ناشئة الليل هي الساعة التي منها بيتدي سواد الليل .  
وقال الاكوسي : وقال الكسائي : ناشئة أوله ، وقريب منه ماروي عن ابن عمر وأنس بن مالك وعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم هي ما بين المغرب والعشاء انظر أيضا السنن الكبرى (٣/١٩-٢٠) .

(٣) هو الحكم بن عتيبة (بالضناة ثم الموحد مصفراً) أبو محمد الكندي الكوفي روى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وغيرهم ، وعنه الأعمش ومحمد بن جحادة وأبو اسحاق السبيعي وغيرهم . ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس ، مات سنة ثلاث عشرة أو بعدها ، وله نيف وستون ، أخرج له الجماعة تهذيب التهذيب ٣٢٧/٤٣ ، تقريب التهذيب ٨٠ . وهذا القول - يعني أن ناشئة الليل من صلاة العشاء الى الصبح - ذكره البغوي في تفسيره (٧/١٦٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٨/٣٩١) والقرطبي في تفسيره (١٩/٤٠) وعزاه البغوي الى الحسن ، وابن الجوزي الى الحسن ومجاهد وقتاده وابن مجلسين ، وأما القرطبي فقد عزاه الى الحسن ومجاهد فقط - انظر أيضا تفسير الطبري (٢٩/١٢٩) والبحر المحييط (٨/٣٦٣) .

(٤) هو الامام الحافظ الزاهد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي صاحب التصانيف ، المعروف بابن الأعرابي سمع الحسن بن محمد الزعفراني وسعدان ابن نصر وأبا داود السجستاني وغيرهم ، روي عنه ابن المقرئ وابن منده وخلائق . قال الذهبي : وكان ثقة ثبتاً عارفاً عابداً ربانياً كبير القدر بعيد الصيت ، ذكر نحوه ابن العماد أيضاً وزاد عليه : وجمع وصف ورحلوا اليه ، مولده سنة ست وأربعين ومائتين ومات في سنة أربعين وثلاث مائة . تذكرة الحفاظ ٣/٨٥٢ ، شذرات الذهب ٣/٣٥٤ .

أن ينام (١) ، وناشئة الليل ساعات الليل (٢) .

وحقيقته هي : أن ساعات الناشئة من الليل أى التى تنشأ بعضها فى أشر

(٣)  
بمعنى .

(١) ذكر هذا القول ( يعنى أن الناشئة القيام بعد النوم ) البغوى فى تفسيره (١٦٧/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٣٩١/٨) والقرطبي فى تفسيره (٤٠/١٩) والزمخشري فى الكشاف (٦٣٨/٤) وعزاه البغوى الى عائشة ، وابن الجوزى الى عائشة وابن الأعرابي وقال : وقد نسي عليه أحمد فى رواية المرزوى وعزاه القرطبي الى عائشة وابن عباس ومجاهد . وقال : ومن قام أول الليل قبل النوم فما قام ناشئة وعزاه الزمخشري الى عائشة فقط .

(٢) قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (٤٩٣) : "إن ناشئة الليل " ساعاته ، الناشئة : من نشأت إذا ابتد " انظر أيضا تفسير القرطبي (٤٠/١٩) ، وقال الزمخشري فى الكشاف (٦٣٨/٤) : هى ساعات الليل كلها لأنها تحدث واحدة بعد أخرى " . وهكذا ذكر المؤلف فى معنى ناشئة الليل خمسة أقوال للمفسرين وهناك قول آخر وهو أنها القيام من آخر الليل ، ذكره البغوى فى تفسيره (١٦٧/٧) وعزاه الى ابن كيسان وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٣٩١/٨) والقرطبي فى تفسيره (٤٠/١٩) وعزاه كل منهما الى يعان وابن كيسان

(٣) قال القرطبي فى تفسيره (٣٩/١٩) .

قوله تعالى : (إن ناشئة الليل ) قال العلماء ناشئة الليل أى أوقاته وساعاته ، لأن أوقاته تنشأ أولاً فأولاً ، يقال نشأ الشيء ينشأ : إذا ابتدأ وأقبل شيئاً بعد شئ ، فهو ناشئ ، وانشأه الله فنشأ .

وقال : المراد ان ساعات الليل الناشئة ، فاكفى بالوصف عن الاسم فالتأنيث للفظ ساعة ، لأن كل ساعة تحدث ، وقيل : الناشئة مصدر بمعنى قيام الليل كالخاطئة والكاذبة ، أى ان نشأة الليل هى أشد وطأ ، وقيل : إن ناشئة الليل قيام ، قال ابن مسعود : الحبشة يقولون : نشأ أى قام . فلعله أن الكلمة عربية ولكنها شائعة فى كلام الحبشة غالبية عليهم وإلا فليس فى القرآن ما ليس فى لغة العرب " أه .

فكان اختلاف المفسرين فى معنى ناشئة الليل ناشئاً من اختلاف اللغويين انظر الصحاح ٧٧-٧٨ ولسان العرب ١/١٧٢ ، والراجح من هذه الأقوال هو ما تقتضيه اللفظة ويعطيه اللفظ فذكر ابن العربي عن قول أنس أنه هو الذى تقتضيه اللفظة ويعطيه اللفظ ، انظر أحكام القرآن (١٨٧٧/٤) وقال ابن كثير فى تفسيره (٤٣٥/٥) : والفرض أن ناشئة الليل هى ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة فالذي بيدولي من بعد دراسة هذه الأقوال ان المراد (بناشئة الليل ) أنها الليل كله -

وقوله ( هي أشدُّ وَطَاءً ) وقريءٌ وَطَاءً (١) ، أما قوله وَطَاءً قال الأخفش سعيد  
ابن سعد (٢) : أشد قِيَامًا (٣) .  
والوطأ في اللفظة : هو الثقل (٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) في ( وَطَاءً ) قراءتان .  
الأولى : وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر : بكسر الواو وفتح الطاء والمد ، ( وَطَاءً )  
والثانية : وهي قراءة الباقيين : بفتح الواو واسكان الطاء من غير مد ، وهـيَا  
قراءتان صحيحتان معروفتان ، كما قال ابن جرير فالذي مذه جعله مصدرًا من  
" واطأ وطاءً " على معنى : يواطىء السمع القلب في الليل ، لأنهما لا يشتغلان  
في الليل بمسموع ولا بمبصر ، وأما من لم يمهده جعله مصدرًا من " وَطِيءَ يَطِيءُ وَطَاءً "  
على معنى : هي أشد على الإنسان من قيام النهار لأن الليل للدعة والسكون  
انظر التيسير في القراءات السبع ٢١٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٤٥ / ٢ ،  
والحجة في القراءات السبع ٧٣ ، وتفسير الطبري ٢٩ / ٢٩ ، وزاد المسير  
٣٩١ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٤٠ / ١٩ .

(٢) هو إمام النحو أبو الحسن سعيد بن سعد بن سعد بن اليخني ثم البصري الأخفش الأوسط  
من الأخفش الثلاثة المشهورين ، كان مولى بني مُجَاشِع بن دارم من أهل بلخ ،  
سكن البصرة ، وكان أجلب لا تنطبق شفتاه على لسانه ، قرأ النحو على سيويسه .  
وكان أسن منه ولم يأخذ عن الخليل ، وكان معتزلياً ، حدث عن الكلبى والنخعي  
وهشام بن عروة ، وروى عنه أبو حاتم السجستاني ، وقال فيه : كان الأخفش قَدْرِيًّا  
رجل سَوٌّ ، كتابه في المعاني صُوْلِحَ ، وفيه أشياء في القدر .  
قال المبرد : وكان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحد قهَم بالجدل .  
وقال الذهبي : وكان ثعلب يُفَضِّلُ الأخفش ، ويقول : كان أوسع الناس علمًا ،  
وله كتب كثيرة في النحو والمروض ومعاني القرآن منها : الأوساط في النحو ،  
معاني القرآن ، المقاييس في النحو ، الاشتقاق ، المروض .  
مات سنة عشر وقليل : سنة خمس عشرة وقليل إحدى وعشرين ومائتين .  
سير أعلام النبلاء ٢٠٦ / ١٠ - ٢٠٨ ، بغية الوعاة ١ / ٥٩٠ - ٥٩١ ، طبقات  
المفسرين ١ / ١٩١ - ١٩٣ .

(٣) ذكره عنه القرطبي في تفسيره (٤١ / ١٩) وأبو حيان في البحر المحيط ٣٦٣ / ٨  
وابن حجر في فتح الباري (٢٣ / ٣) .

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب ( ١ / ١٩٧ ) و .  
والوَطَاءَةُ : موضع القدم ، وهي أيضاً كالضفْطَةِ .  
والوَطَاءَةُ : الأُخْدَةُ الشَّدِيدَةُ .  
وقال ابن حجر في فتح الباري ( ٢٣ / ٣ ) : وأصل الوطاء في اللفظة الثقل ، كما في  
الحديث " أشد دوطأتك على ضرر " .

"وأشد وطأتك على مضر" (١) يقال : اشتد وطأ السلطان في بلد كذا أي ثقله (٢) ، فعلى هذا معنى قوله "أشد وطأ" أي ثقلاً والمعنى : أنه أثقل على البدن لأنه وقت الراحة والسكون ، فيكون القيام فيه أثقل ، وإذا كان القيام أثقل فالثواب أعظم فإن الجهد إذا كان أشد والعمل أتمب فالثواب أكبر وهو المراد بالآية في هذه القراءة (٣) .

وأما القراءة الثانية أي أشد مواطاة ، ومعناه : موافقة بين السمع والبصر والقلب وذلك لطفة الحركات وهدوء الأصوات ، فإن بالنهار يكون العين مشتغلة بالنظر والأذن بالسمع والقلب مشتغل بالتصرفات فلا يقع الموافقة كالاتماع والتفهم (٤) .

(١) أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب الأذان - باب يهوى بالتكبير حين يسجد (٢/٢٩٠ ، رقم ٨٠٤) وسلم في صحيحه - كتاب المساجد ، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات (٥/١٧٦) بسندهما عن أبي هريرة في سياق طويل . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يرفع رأسه يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، يدعو لرجال فيسميهم بأسمائهم فيقول : اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمه بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنيسن يوسف . . . الحديث . واللفظ للبخارى .

(٢) قال ابن قتيبة في مشكل القرآن (٣٦٥) : وقوله : (أشد وطأ) أي أثقل على المصلى من ساعات النهار ، وهو من قولك : اشتدت على القوم وطأة سُلطانهم ، إذا ثقل عليهم ما يلزمهم ويأخذهم به ، فأعلم الله نبيه أن الثواب في قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها .  
وذكره ابن الجوزى في تفسيره (٨/٣٩١) والقرطبي في تفسيره (١٩/٤٠) .

(٣) قال القرطبي في تفسيره (١٩/٤٠) فالمعنى : أنها أثقل على المصلى من ساعات النهار ، وذلك أن الليل وقت منام وتودع واجمام ، فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة " وانظر أيضا معانى القرآن للفرأ (٣/١٩٧) وتفسير غريب القرآن (ص ٤٩٣) .

(٤) قال ابن قتيبة في مشكل القرآن (ص ٣٦٥) " ومن قرأها " ( وطأ ) على تقدير فعال فهو مصدر لوطأت فلاناً على كذا موطأة ووطأه وأراد : أن القراءة فسي الليل يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم والأداء والإستماع بأكثر مما يتواطأ عليه بالنهار ، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٤٣٥) ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطاة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ، ولهذا قال تعالى ( هي أشد وطأ وأقوم قبلاً ) أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت إنتشار الناس ولفظ الأصوات وأوقات المعاش .



قال الغزالي : أشد وطأً أي أجدر أن تحصوا مقادير قيامكم لفراغ قلوبكم (١) .  
وقوله ( وأقوم قبلاً ) قال الكلبي ومقاتل (٢) : أبين قولاً (٣) .

(١) قال الغزالي في معاني القرآن (١٩٧/٣) : وقراً بعضهم : هي أشد وطأً  
فكسر الواو ومدّه ، يريد : أشدّ علاجاً ومعالجة ومواطأة \* وقد ذكر عنه  
القرطبي وأبو حيان أنه قال في تفسير ذلك : أثبت قراءة وقياًماً .  
وذكر القرطبي عنه قولاً آخر وهو أنه أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من  
العبادة ، والدليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع \* .  
انظر تفسير القرطبي ٤١ / ١٩ ، والبحر المحيط ٣٦٣ / ٨ وأما ما ذكره عنه  
المؤلف فلم أجده من ذكره عنه ، وقد روى ابن جرير في تفسيره ( ١٣٠ / ٢٩ )  
بسند عن ابن عباس أنه قال : هو أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام ،  
وذلك أن الانسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ \* .

(٢) هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر ،  
نزىل مرو ، ويقال له : ابن دواز ، كذبوه وهجروه ورمى بالتجسيم ، وقال  
الذهبي عقب ترجمة مقاتل بن حيان : فأما مقاتل بن سليمان المفسر فكان في  
هذا الوقت ، وهو متروك الحديث ، وقد لطح بالتجسيم مع أنه كان من أوعية  
الملم بحراً في التفسير \* توفي سنة خمس ومائة .  
تاريخ بغداد ١٦٠ / ١٣ ، تذكرة الحفاظ ١٧٤ / ١ ، تقريب التهذيب ٣٤٦ ،  
طبقات المفسرين ٣٣٠ / ٢ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ( ١٦٨ / ٧ ) عن الكلبي ، وأما مقاتل فقال في تفسيره  
( ق ١ / ٣٧٣ ) ( وأقوم قبلاً ) بالدليل وأثبت لأنه فارغ القلب بالدليل \* هذا  
وقد ذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٣٤ / ٤ ) ثلاثة أقوال أخرى في معناه ،  
الأول : معناه أبلغ في الخير وأمعن في المدل . وعزاه الى الحسن .  
والثاني : أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم قاله مجاهد وقادة .  
والثالث : أنه أعجل إجابة للدعاء . حكاه ابن شجرة .  
وقال البغوي بعد ذكره لقول الكلبي : وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطاً  
وأتم إخلاصاً وأكثر بركة وأبلغ في الثواب .

وعن أنس : أنه قرأ " أَشَدُّ وَطْأً وَأَهْيَأُ وَطْأً " (١) وهو قريب المعنى من الأول .  
وعن ابن مسعود أنه قال : " ناشية الليل " هو جميع الليل بالحيشية وهي  
معرية (٢) ، قوله تعالى ( ان لك في النهار سبحاً طويلاً ) اى فراغاً طويلاً للاستراحة (٣) .

(١) روى ابن جرير في تفسيره (٢٩ / ١٣٠ ، ١٣١) وأبو يعلى في مسنده ( كما فى  
تفسير ابن كثير ٤٣٥ / ٤ ) وابن جنى فى المحتسب (ص ٣٣٦) . كلهم من  
طرق عن الأعمش أنه قال : قرأ أنس هذه الآية " ان ناشئة الليل هى أشد وطأً  
وأصوبقيلاً " فقال له بعض القوم : يا أباحمزة انما هى " أقوم قتيلاً " قال : أقوم  
وأصوب وأهياً واحد " . وفى السند انقطاع لأنه لم يثبت للأعمش سماع من أنس  
انظر تهذيب التهذيب ٣٣٢ .

وقد استدل بعض الناس بهذا الأثر على أن من قرأ بحرف يوافق معنى حرف  
من القرآن فهو مصيب ، اذا لم يخالف معنى ولم يأت بتفسير ما أراد الله وقصد له ،  
وهو قول باطل وقد اشتد انكار القرطبي على القائلين بذلك إن وصفهم بالزيغ .  
وقال : وهو قول لا يُعْرَجُ عليه ولا يلتفت إلى قائله ، لأنه لو قرأ بالفاظ تخالف  
الفاظ القرآن اذا قاربت معانيها واشتطت على عامتها لجاز أن يقرأ فى موضع  
" الحمد لله رب العالمين " الشكر للبارى ملك المخلوقين ، ويتسع الأمر فى هذا  
حتى يبطل لفظ جميع القرآن " . وقال : ولا حجة لهم فى قول ابن مسعود :  
نزل القرآن على سبعة أحرف ، وانما هو كقول أحدكم ، هلم وتعال وأقبل لأن  
هذا الحديث يوجب أن القراءات المأثورة المنقولة بالأسانيد الصحاح عن النبى  
صلى الله عليه وسلم اذا اختلفت ألفاظها ، واتفقت معانيها ، كان ذلك فيها .  
بمنزلة الخلاف فى هلم وتعال وأقبل ، وأما ما لم يقرأ به النبى صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه وتابعوهم رضى الله عنهم فإنه من أورد حرفاً منه فى القرآن بهت  
ومال وخرج من مذهب الصواب . ثم ذكر أن الحديث لا يصح ، لأنه مبنى على رواية  
الأعمش عن أنس فهو مقطوع ليس بمتصل . انظر تفسير القرطبي ١٩ / ٤١ ، ٤٢ .

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه (٢ / ٥٠٥) بسنده عن أبى اسحاق عن عمرو بن شرحبيل  
عن عبد الله رضى الله عنه " ان ناشئة الليل ، قال : هى بالحيشية قيام الليل " .  
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .  
وتقدم التفصيل فى بيان معنى ناشئة الليل ، والمقصود من كلام ابن مسعود .

(٣) قراءة الجمهور فى هذه الآية " سبحاً " بالحاء المهملة ، والسبح : هى الجرى  
والدوران ، ومنه السابح فى الماء لتقلبه بيده ورجليه ، وفرس سامح . رشديس  
الجرى . وعليه قيل فى تفسير الآية : أى تصرفاً فى حوائجك واقبالاً وادباراً  
ونهاباً ومجيباً . وذكرت أقوال أخرى منها أن السبح هو الفراغ ، أى ان لك  
فراغاً للحاجات بالنهار ، وقيل : يعنى فراغاً طويلاً لنومك وراحتك فاجعل ناشئة  
الليل لمبادتك ، وهو قول ابن عباس وعطاء وغيرهما وقال الزجاج : ان فاتك فى  
الليل شئ " فلك فى النهار فراغاً للإستدراك . انظر تفسير البغوى ٧ / ١٦٨ ،  
وتفسير الماوردي ٤ / ٣٣٤ ، تفسير القرطبي ١٩ / ٤٢ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٤٣٥ .

- وقال ابن قتيبة : سبّحاً طويلاً أى تصرفاً واقبالاً وادباراً فى أمورك<sup>(٢)</sup> .  
 وقرأ يحيى بن يعمر \* سبّحاً طويلاً \* بالخاء المعجمة<sup>(٣)</sup> .  
 قال : ثعلب : السبّح هو الاضطراب والسبّح هو السكون<sup>(٤)</sup> .

(١) هو عهد الله بن مسلم بن قتيبة الدى بنورى النحوى اللغوى الكاتب ، نزيل بغداد قال الخطيب : وكان ثقة دينا فاضلاً ، وهو صاحب التصانيف المشهورة ، والكتب المعروفة ، وقال الذهبى : وقد ولي قضاء الدينور ، وكان رأساً فى علم اللسان العربى والأخبار وأيام الناس .  
 وقيل انه كان يميل إلى التشبيه ، ولكنه لم يصح ، وله كتاب فى الرد على الجهميه والمشبّهة ، توفى سنة مائتين وست وسبعين .  
 تاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ ، سير اعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٦ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٣٣ طبقات المفسرين ١ / ٢٥١ .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن ٣٦٦ ، وتفسير غريب القرآن (ص ٤٩٤) .

(٣) هو يحيى بن يعمر ( يفتح التحتانية والميم بينهما مهطة ساكنة ) البصرى نزيل مرو ، وقاضيها ، ثقة فصيح ، وهو أول من نقط المصاحف ، توفى قبل المائة وقيل بعدها .  
 تهذيب التهذيب ١ / ٣٠٥ ، تقريب التهذيب ٣٨٠ .

(٤) روى ابن جرير فى تفسيره ( ١٣١ / ٢٩ ) بسنده عن يحيى بن يعمر انه كان يقرأ \* سبّحاً طويلاً \* بالخاء - وذكر هذه القراءة ابن خالويه فى شواذ القرآن ( ١٦٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ١٦٧ / ٧ ) عن يحيى بن يعمر ، وهى منسوبة أيضاً إلى علي وابن مسعود وأبى عمران وأبى واثل وعكرمة وابن ابي عيلة .  
 انظر زاد المسير ( ٣٩٢ / ٨ ) وتفسير القرطبى ( ٤٢ / ١٩ ) والبحر المحيط ٨ / ٣٦٢ .  
 (٥) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى مولى هم البغدادى ، صاحب الفصح والتصانيف . يعرف بثعلب ، ولد سنة مائتين ، وابتدأ النظر فى العربية والشعر واللغة سنة ست عشرة .

قال الخطيب ، وكان ثقة حجة دينا صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة ، والمعرفة بالفريب ، ورواية الشعر القديم توفى سنة احدى وتسعين ومائتين .  
 تاريخ بغداد ٥ / ٢٠٤ ، سير اعلام النبلاء ٥ / ١٤ ، بغية الوعاة ١ / ٣٩٦ .

(٦) ذكره عنه الثعلبى فى الكشف والبيان ( ١٢ / ٢٠١ / ١ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٤٣ / ١٩ ) .

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها في السارق عنها :  
لا تسبخي برايك عليه ، أى لا تخففي .<sup>(١)</sup>

وقوله ( واذكر اسم ربك ) ، قال مقاتل<sup>(٢)</sup> : اذا قرأت فقل بسم الله الرحمن  
الرحيم عند افتتاح<sup>(٣)</sup> ؛ وقيل : اذكر ربك .<sup>(٤)</sup>

وقوله ( تبتل إليه تبتيلاً ) أى إنقطع إليه انقطاعاً ومنه العذراء البتول  
لمريم أى المنقطعة إلى الله تعالى فى النسك وكذلك الزهراء البتول لفاطمة<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة - باب الدعاء ( ١٦٨ / ٢ ، رقم ١٤٩٧ )  
والإمام أحمد فى مسنده ( ٤٥ / ٦ ) بسندهما عن عطاء عن عائشة قالت : سُرقت  
مِلْحَفَةٌ لَهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى مَنْ سَرَقَهَا ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :  
لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ .

هذا لفظ أبى داود . وقال : لا تسبخي أى لا تخففي عنه .

وقال ابن العربى فى تفسيره ( ١٨٧٨ / ٤ ) : فإن السارق أخذ مالها ، وهى  
أخذت من عرضه فإذا وقعت المقاصة كان تخفيفاً مما لها عليه من حق السرقة .  
وذكرت فى معنى السبخ أقوال أخرى منها أن التسبيح النوم الشديد ، وأيضاً  
التسبيح توسيع القطن والصوف وتنغيشها .

قال ابن جرير : وإنما عني بقوله " إن لك فى النهار سبياً طويلاً " إن لك فى  
النهار سعة لقضاء حوائجك ، والسبح والسبخ قريباً المعنى فى هذا الموضع " اهـ .  
وذكر القرطبي معنى السبخ ، ثم قال : قلت : فعلى هذا يكون من الأضداد ،  
وتكون بمعنى السبخ بالحاء غير المعجمة " اهـ .  
تفسير الطبرى ١٣٢ / ٢٩ ، تفسير القرطبي ٤٣ / ١٩ ، انظر أيضاً زاد المسير  
٣٩٢ / ٨ ، والمفردات للأصفهاني .

( ٢ ) هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر .

( ٣ ) لم أجد هذا القول فى تفسير مقاتل ( ١ / ٣٧٣ / ٢ ) عند هذه الآية وإنما قال :  
( واذكر اسم ربك ) يعنى : بالتوحيد والإخلاص . وقد ذكر ما أورده المؤلف عن  
مقاتل . الماوردي فى تفسيره ( ٣٣٤ / ٤ ) وعزاه إلى ابن بحر ، وذكره القرطبي  
فى تفسيره ( ٤٣ / ١٩ ) وعزاه إلى سهل .

( ٤ ) ذكر الماوردي فى تفسير قوله تعالى ( واذكر اسم ربك ) تأويلين :  
أحدهما هذا الذى ذكره المؤلف ، يعنى : انه اذا أردت القراءة فابدأ  
بالتسمية بسم الله الرحمن الرحيم وعزاه إلى ابن بحر .

.. / ..

والثاني : أقصد بعطك وجه ربك \* تفسير الماوردي ٣٣٤ / ٤ . وأما القوطبي فقال في تفسيره ( ٤٣ / ١٩ ) " أي أدعه باسمائه الحسنى ليحصل لك مع الصلاة محمود المأقبة ، ثم ذكر التأويلين السابقين وقال بعد ذلك : وقيل ان ذكر اسم ربك في وعده ووعدته ، لتوفر على طاعته وتعديل عن معصيته ، وقال الكلبي : صلّ لربك أي بالنهار .

قلت : وهذا حسن فإنه لما ذكر الليل ذكر النهار إذ هو قسيمه ، وقد قال الله تعالى : " وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر " ( سورة الفرقان الآية ٦٢ ) \* ١ هـ .

وقال الألويسي في روح المعاني ( ١٠٦ / ٢٩ ) : أي ود م على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك ، وفسر الأمر بالدوام لأنه عليه الصلاة والسلام لم ينسه حتى يومه بذكره سبحانه ، والمراد الدوام الحرفي لا الحقيقي لعدم إمكانه ، ولأن مقتضى السياق أن هذا تعميم بعد التخصيص كان المعنى على ما سمعت من اعتبار ليلاً ونهاراً \* ١ هـ وقد فسر الأمر بالدوام أبوحيان أيضاً في البحر المحيط ( ٣٦٣ / ٨ ) أي د م على ذكره ، وهو يتناول كل ذكر من تسبيح وتهليل وغيرهما وهذا الذي ذكره أبوحيان والألويسي هو الأنسب في تفسير الآية فإن ذلك عام ولا داعي لتخصيصه ، ويؤيده ما روتته عائشة الصديقة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه - أخرجه مسلم في صحيحه

\* ( ٦٨ / ٤ )

المنقطعة عن أقرانها في الفضل ومنه صدقة بتلة أي منقطعة خارجة من مال المتصدق  
بها (١).

(١) قال الأصمغاني في مفرداته (ص ٣٦) في معنى الآية أي انقطع في العبادة  
واخلاق النية إنقطاعاً يختص به "أه".  
والأصل في البتل : القطع ، والتبتل : الإنقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى ،  
وكذلك التبتل ، يقال للمعابد إذا ترك كل شيء ، وأقبل على العبادة : قد تبتل  
أي قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته ويقال : صدقة بتلة أي منقطعة من مال المتصدق  
بها خارجة في سبيل الله . والبتول من النساء : المنقطعة عن الرجال لا أرب  
لها فيهم ، وبها سميت مريم أم المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام قالوا لمريم  
العدراة البتول والتبتل لذلك . ذكره ابن منظور في لسان العرب (١١/٢٦٤) -  
٤٣) وذكر الأزهري في تهذيب اللفظة (١٤/٢٩١) أن البتل : تصييز الشيء  
من الشيء ، والبتول : كل امرأة تنقبض عن الرجال لا شهوة لها ، ولا حاجة فيهم .  
ومنه التبتل وهو ترك النكاح والزهد فيه ، وقال : أصل البتل : السقط ، وسئل  
أحمد بن يحيى عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم قيل لها  
البتول ؟ فقال : لأنقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً ودينياً  
وحسناً "أه" . وقال ابن عرفة في معنى البتل : وهو عند العرب التفرد ،  
والراجح هو ما تقدم ذكره يعني أن التبتل هو القطع ، وقد صرح به ابن العربي  
في تفسيره ٤/١٨٧٩ وعلى هذا قال ابن جرير في تفسيره (٢٩/١٣٢) في  
معنى الآية "يقول : وانقطع إليه إنقطاعاً لحوائجك وعبادتك دون سائر  
الأشياء غيره ، وهو من قولهم : تبتلت هذا الأمر " .  
انظر أيضاً زاد المسير ٨/٣٩٢ ، تفسير القرطبي ١٩/٤٤٠ .

وذكر ابن العربي أيضاً في تفسيره (٤/١٨٧٩) جميع هذا التفصيل في  
معنى التبتل ، ولكنه قال فيما يذكر عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
هذا قول أحدثه الشيعة وإلا فقد اختلف الناس في التفصيل بينها وبين عائشة ،  
وليس من المسائل المهمة ، وكتاهما من الدين والجلال في الغاية القصوى ، وربك  
أطم بمن هو أفضل وأعلى . أه - .

والآية تدل على أن التبتل مأمور به وقد ورد في أحاديث عديدة عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التبتل . انظر المسند للإمام أحمد بن حنبل  
١/١٧٥ ، ٣/١٥٨ ، ٢٤٥ ، وذلك يوحى بالتعارض بين قوله تعالى وقول النبي  
صلى الله عليه وسلم ، ويدفع هذا التعارض بأن التبتل المأمور به في القرآن الإنقطاع  
إلى الله باخلاص العبادة له ، كما قال ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له  
الدين "سورة البينة الآية ٥ . والتبتل المنهى عنه في قول النبي صلى الله عليه  
وسلم هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع " انظر أحكام  
القرآن لابن العربي ٤/١٨٧٩-١٨٨٠ وتفسير القرطبي ١٩/٤٤٠ والمفردات للتراغب  
الأصمغاني ص ٣٦ ، وقال ابن العربي : ولكن عند فساد الزمان يكون خير مسال  
المسلم غنما يتبع بها شرف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " .

وقيل : تبتل إليه تبثلاً أي أخلص له اخلاصاً<sup>(١)</sup> .  
 وذكر النقاش عن محمد بن علي الباقر<sup>(٢)</sup> : أنه رفع اليدين في الصلاة<sup>(٣)</sup> .  
 وعن زيد بن أسلم<sup>(٤)</sup> أنه رفض الدنيا وطلب ما عند الله تعالى<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) هو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما .  
 رواه ابن جرير في تفسيره ( ١٣٢ / ٢٩ ) عن ابن عباس ومجاهد من طرق أنهم قالوا  
 قالوا في تفسير الآية . أخلص له اخلاصاً - وذكره البخاري في صحيحه ( ٦٧٥ / ٨ )  
 عن مجاهد وقال ابن العربي في تفسيره ( ١٨٧٩ / ٤ ) قال مجاهد : معناه  
 أخلص له العبادة ، ولم يرد " انقطع عن الناس والنساء " ، وهو اختيار البخاري -  
 لأجل ما روى من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبثل . انظر أيضاً الدر المنثور  
 ٢٧٨ / ٦ .

( ٢ ) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني أبو جعفر  
 الباقر ، ثقة فاضل . ولد سنة ست وخمسين ، ومات سنة سبع وعشر ومائة .  
 وله تفسير رواه عنه زياد بن المنذر أبو الجارود الكوفي الأعشى رئيس الجارودية  
 من الرافضة .  
 تهذيب التهذيب ٣٥٠ / ٩ ، تقريب التهذيب ٣١١ ، طبقات المفسرين ٢٠٠ / ٢ .

( ٣ ) ذكره عنه الثعلبي أيضاً في الكشف والبيان ( ١ / ٢٠٢ / ١٢ ) .

( ٤ ) هو زيد بن أسلم المدوني الإمام أبو عبد الله العمري المدني الفقيه ، ثقة عالم  
 وكان يرسل .

قال ابن عجلان : ما هبت أحداً هديتي زيد بن أسلم .  
 وقال الذهبي : ولزيد تفسير برويه عنه ولده عبد الرحمن . وكان من العلماء  
 الأبرار . توفي سنة ست وثلاثين ومائة .  
 تذكرة الحفاظ ١٣٢ / ١ ، تقريب التهذيب ١١١ ، طبقات المفسرين ١٨٢ / ١ .

( ٥ ) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ( ١ / ٢٠١ / ١٢ ) .  
 والبغوي في تفسيره ( ١٦٨ / ١ ) قال : قال زيد بن أسلم : التبثل : رفض الدنيا  
 وما فيها والتماس ما عند الله .  
 وذكره الرازي في تفسيره ( ١٧٨ / ٣٠ ) قال : قال زيد بن أسلم في تفسير  
 البغوي ( ابن زيد ) لعله خطأ .

وقد ذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٣٤ / ٤ ) في معنى الآية أربعة أقوال :  
 الأول : هو ما ذكرناه عن مجاهد - أخلص له اخلاصاً . الثاني : تعبد له  
 تعبداً ، قاله ابن زيد . الثالث : انقطع إليه انقطاعاً ، قاله أبو جعفر  
 الرابع : وتضرع إليه تضرعاً .

والراجح من هذه الأقوال هو ما ذكره ابن جرير الطبري لأنه يؤيد المعنى  
 اللغوي ، وهو يشتمل على معنى الإخلاص أيضاً .

قوله تعالى ( رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذهُ وكيلاً ) .  
قال الفراء : كفيلاً <sup>(١)</sup> وقيل : إلهاً <sup>(٢)</sup> وقيل : كل أمرئ <sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( واصبر على ما يقولون ) وهذا في ابتداء الإسلام قبل نزول آية  
السيف وكذلك قوله تعالى ( واهجرهم هجراً جميلاً ) . وقد نسخ آية السيف والهجر <sup>(٤)</sup>

( ١ ) انظر معاني القرآن ( ١٩٨ / ٣ ) فإنه قال : كفيلاً بما وعدك .  
وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٣٥ / ٤ ) ولم يميزه الى أحد وذكره القرطبي في  
تفسيره ( ٤٥ / ١٩ ) . قال : قيل : كفيلاً بما وعدك وذكره الخازن في تفسيره ( ١٦٨ / ٧ )  
قال : قيل : معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلاً بما وعدك من النصر على الأعداء :  
انظر أيضاً الكشاف ( ٦٤٠ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ١٨٠ / ٣٠ ) .

( ٢ ) لم أجد من ذكر هذا التفسير .

( ٣ ) كذلك لم أجد من ذكر هذا التفسير .

وقد ذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٣٥ / ٤ ) في معنى وكيفاً ثلاثة أوجه : أحدها  
معيناً ، الثاني : كفيلاً ، الثالث : حافظاً . وقال البيهقي في تفسيره ( ١٦٧٧ )  
قيماً بأمرئ ففوضها إليه . وقال القرطبي في تفسيره ( ٤٥ / ١٩ ) : قائماً  
بأمرئ " اهـ وكل هذه المعاني قريبة بعضها من بعض .

( ٤ ) هذا قول قتادة وغيره .

وآية السيف هي قوله تعالى ( فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ) سورة التوبة  
الآية ٩ .

وهذا الذي اختاره أكثر المفسرين يعني أن الآية منسوخة بآية القتال ، وقد صرح  
به ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٢٣ / ٢٩ ) والنحاس في النسخ والمنسوخ

( ٢٥٢ - ٢٥١ ) .

ورواه كل منهما عن قتادة ، انظر أيضاً الإيضاح لنسخ القرآن ومنسوخه ( ص ٣٨٤ )  
وذكره البيهقي في تفسيره ( ١٦٩ / ٧ ) والماوردي في تفسيره ( ٣٣٥ / ٤ )  
وابن العربي في أحكام القرآن ( ١٨٨٠ / ٤ ) وصرح بأن كل منسوخ لا فائدة  
لمعرفة معناه " . والقرطبي في تفسيره ( ٤٥ / ١٩ ) .

وذكر الآخرون أن هذه الآية محكمة لم يدخل فيها نسخ . ومن القائلين  
بعدم النسخ فيها ابن الجوزي فإنه فسر في نواسخ القرآن ( ص ٥٠٠ ) الآية بقوله :  
واصبر على ما يقولون من تكذب بهم إياك وإن أهم لك ( واهجرهم هجراً جميلاً ) لا جزع  
فيه " - ثم قال : وعلى ما بينا من تفسيرها يمكن أن تكون محكمة " .

وذكر الرازي في تفسيره ( ١٨٠ / ٣٠ ) القولين ورجح عدم النسخ فيها .



( ١ ) الجميل ، قيل هو الذي لا جزع فيه .

قوله تعالى ( وذرنى والمكذبين ) فإن قال قائل أليس معنى قوله ( وذرنى

والمكذبين ) ولا حائل يحوله عنهم ؟ ( ٢ )

والجواب : أن العرب يقول ذلك وإن لم يكن شئ حائل ولا مانع على ما بيننا . ( ٣ )

وقوله ( أولي النعمة ) أي التنعيم ( ٤ ) وفي بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم

( ١ ) هكذا فسره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٩٢ / ٨ ) ونواسخ القرآن ( ص ٥٠٠ )

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٣٣ / ٢٩ ) \* والهجر الجميل : هو الهجر في ذات الله .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٦٤٠ / ٤ ) : الهجر الجميل : أن يجانبهم بقلبهم وهواه وبخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والإغضاء وترك المكافاة .

وأما الماوردي فذكر في تفسيره ( ٣٣٥ / ٤ ) في الآية ثلاثة أوجه أحدها : اصفح عنهم وقل : سلام ، قاله ابن جرير ، الثاني : أن يعرض عن سفههم ويوبخهم صغر عداوتهم ، الثالث : أنه الهجر الخالي من ذم وإساءة \* اهـ .

والأحسن أن يقال في تفسير الآية أن الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما كان يواجهه من قبل المشركين من السب والاستهزاء والأذى وكذلك أمره بعدم التموض لهم والاشتغال بمكافأتهم ، ولذلك قال ابن السمعاني

في أحكام القرآن ( ١٨٨٠ / ٤ ) بعد أن ذكر فيه قولين : وبالجملة فهو مجرد الاعراض .

انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٤٥ / ١٩ ) .

( ٢ ) كذا في الأصل ويبدو أن في الكلام سقطاً .

( ٣ ) انظر ( ٢ / ٢٨٩ ب ) .

قال الرازي في تفسيره ( ١٨٠ / ٣٠ ) \* اعلم أنه إذا اهتم انسان بمهم ، وكان غيره قادر

على كفاية ذلك المهم على سبيل التمام والكمال ، قال له : ذرنى أنا وذاك أي لا

حاجة مع اهتمامي بذاك إلى شئ آخر ، وهو كقوله \* ذرنى ومن يكذب بهذا

الحديث \* سورة الظم الآية ٤٤ انظر أيضا الكشاف ٦٤٠ / ٤ .

وقد قال المؤلف في تفسير قوله تعالى ( ذرنى ) ومن يكذب بهذا الحد يث \*

سورة الظم الآية ٤٤ ، \* أي خلني وإياه وكله إلي لأجازه بعلمي ، وقيل : ذرنى

أي : لا تشغل قلبك به ودعني وإياه فإني مجازيه ومكافئه ، وهو بمعنى الأول ،

والعرب تقول مثل هذا القول وإن لم يكن هناك أحد يمنع منه - انظر الورقة

٢٨٩ ب ، وإلى هذا أشار بقوله \* على ما بيننا \* . هذا وقال القرطبي في معنى

الآية : أي ارضى بي لعقابهم \* انظر تفسيره ( ٤٥ / ١٩ ) .

( ٤ ) انظر تفسير الطبري ( ١٣٤ / ٢٩ ) وزاد المسير ( ٣٩٢ / ٨ ) وقال الزمخشري في

الكشاف ( ٦٤٠ / ٤ ) : النعمة : بالفتح التنعيم ، وبالكسر : الانعام ، وبالضم

المسرة .

قال : أن عباد الله ليسوا بمتنعمين . ( ١ )

وقوله ( ومهلهم قليلاً ) أى أمهلهم مدة طويلاً ، قالت عائشة رضی الله عنها :  
لم يكن بين نزول هذه الآية ووقعة بدر إلا شيئاً يسيراً . ( ٢ )

وقد قيل : إن الآية نزلت في بنى المغيرة وهو مغيرة بن عبد الله بن مخزوم . ( ٤ )  
ويقال إنها نزلت في اثني عشر رهطاً من قريش هم المطعمون يوم بدر . ( ٥ )

( ١ ) أخرجه الامام أحمد في مسنده ( ٢٤٣ / ٥ ، ٢٤٤ ) وفي الزهد ( ص ٦ ) بسنده عن  
بقية بن الوليد عن السري بن يثعم عن مريح بن مسروق عن معاذ بن جبل أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به الي اليمين قال : إياي والتمتع ، فإن عباد الله  
ليسوا بالمتنعمين \* وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢٥٠ / ١٠ ) وعزاه السي  
الامام أحمد وقال : رجاله ثقات .

( ٢ ) ذكر الرازي في قوله تعالى " ومهلهم قليلاً " وجهين أحدهما : المراد من القليل  
الحياة الدنيا ، والثاني : المراد من القليل تلك المدة القليلة الباقية الي يوم  
بدر . انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٤٦ / ١٩ ) .

( ٣ ) أخرجه ابن جرير في تفسيره ( ١٣٤ / ٢٩ ) والبيهقي في دلائل النبوة ( ٣٦٨ / ٢ )  
كلاهما من طريق محمد بن اسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير  
عن عائشة قالت : لما نزلت هذه الآية " ونرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم  
قليلاً ، ان لدينا انكلاً وجحيماً " الآية - قال : لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة  
بدر " هذا لفظ الطبري .  
وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٢٧٩ / ٦ ) وعزاه أيضا إلى أبي يعلى وابن المنذر  
والحاكم - ولكن لم أجده في المستدرک عند مظانه - انظر الرواية أيضا في سيرة  
ابن هشام ٢ / ٢٢٨ . وهذا الحديث يؤيد ما ذكره من أن المراد من القليل المدة  
القليلة الباقية الي يوم بدر .

وقيل إن هذه الآية أيضا منسوخة بآية السيف ، ولكن ابن الجوزي قال : وليس  
بصحيح ، لان قوله ( نرني ) وعيد ، وأمره بامهالهم ليس على الإطلاق ، بل أمره  
بامهالهم إلى حين يومر بقتالهم ، فذهب زمان الإمهال فأين وجه النسخ ، نواسخ  
القرآن ( ص ٥٠ ) وانظر أيضا زاد المسير ( ٣٩٣ / ٨ ) .

( ٤ ) انظر أسماء بنى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم في جمهرة أنساب العرب ص ١٤٤ .  
وهذا الذي ذكره المؤلف من نزول الآية في بنى المغيرة هو قول يحيى بن سلام .  
انظر تفسير الماوردى ( ٣٣٥ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ٤٥ / ١٩ ) وذكره ابن الجوزي  
في زاد المسير ( ٣٩٣ / ٨ ) وعزاه إلى مقاتل بن سليمان .

( ٥ ) هو قول مقاتل بن حيان وسعيد بن جبیر - انظر تفسير البغوى ( ١٦٩ / ٧ ) وتفسير  
الماوردى ( ٣٣٥ / ٤ ) ، وزاد المسير ٣٩٢ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٤٥ / ١٩ ، وانظر أيضا  
تفسير مقاتل ( ٣٧٤ / ٢ ب ) والمطعمون : هم الذين ضمتوا الإطعام لأهل بدر .  
وهناك قول آخر وهو أنها نزلت في المستهزئين وهم صناديد قريش . ذكره البغوى  
في تفسيره ( ١٦٩ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٩٣ / ٨ ) وقال : حكاه  
الثعلبي - والقرطبي في تفسيره ( ٤٥ / ١٩ ) .

قوله تعالى ( ان لدينا أنكالا ) أى قيوداً (١) وقالت الخنساء (٢) :  
 دَعَاكَ فَقَطَعَتْ أَنْكَالَهُ ٩ ولولاك يا صخر لم تقطع (٣)  
 وقال أبو عمران الجوني (٤) ان لدينا أنكالا (أى اللجم من النار .  
 وقوله ( وجحيما ) قد بينا (٦) وقوله ( وطعاماً ذا غصنة ) .

(١) بذلك فسره غير واحد من أئمة التفسير . مثل عكرمة والحسن ومجاهد وغيرهم  
 انظر تفسير ابن جرير الطبري ١٣٤/٢٩ - ١٣٥ والدر المنثور ٢٧٩/٦ .  
 قال القرطبي : الأنكال : القيود ، عن الحسن ومجاهد وغيرهما واحد ها نكل ،  
 وهو مانع الإنسان من الحركة ، وقيل : سمي نكلاً ، لأنه ينكّل به . تفسير  
 القرطبي ٤٦/١٩ .  
 انظر أيضا المفردات للراغب الأصفهاني ٥٠٦ .

(٢) هى خنساء بنت عمرو بن الشريد المسلمية الشاعرة المشهورة اسمها تماضر بضمناة  
 فوقانية أوله وضاد معجمة ، أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها  
 ولا بعدها أشعر منها .  
 الاصابة ٢٨٧/٤ .

(٣) هكذا ورد البيت فى الأصل - وقد جاء فى ديوان الخنساء على خلاف ذلك  
 (ص ٩٢) .  
 دعاك فهتكت أغلاله وقد ظن قبلك لا تقطع  
 وأنشده المفسرون الآخرون فقالوا :- دَعَاكَ فَقَطَعَتْ أَنْكَالَهُ ٩  
 وقد كن قبلك لا تقطع  
 انظر تفسير الماورى ٣٣٦/٤ ، تفسير القرطبي ٤٦/١٩ ، البحر المحيط  
 ٣٦٤/٨ .

(٤) هو عبد الملك بن حبيب الأزدي ويقال الكندي أبو عمران الجوني البصرى . مشهور  
 بكنيته ، أحد الأعلام ثقة ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة وقيل بعدها .  
 تهذيب التهذيب ٣٨٩/٦ ، تقريب التهذيب ٢١٨ .

(٥) هكذا ذكره المؤلف عن أبي عمران الجوني وذكر السيوطى عنه . أنه قال : قيوداً  
 والله لا تحل عنهم . وعزاه الى عبد بن حميد . الدر المنثور ٢٧٩/٦ .  
 وذكر الماورى فى تفسيره ( ٣٣٥/٤ ) وتبعه القرطبي فى تفسيره ( ٤٦/١٩ )  
 فى " أنكالا " ثلاثة أوجه أحدها أغلالا . قاله الكلبي ، الثانى : أنها القيود  
 الثالث : أنها أنواع المذاب الشديد ، قاله مقاتل .  
 وقال القرطبي : الأول - يعنى القيود - أعرف فى اللغة ، ومنه قول الخنساء -  
 ثم أنشده .

(٦) قال المؤلف عند قوله تعالى " ولا تسأل عن أصحاب الجحيم " ( سورة البقرة  
 الآية ١١٩ ) الجحيم : اسم للنار الشديدة الإلتها ب .  
 انظر ( ص من القسم المحقق ) .

قال مجاهد : هو الزقوم<sup>(١)</sup>، وقيل هو شوك يحصل في الثعالب فلا ينزل ولا يخرج<sup>(٢)</sup>  
وقيل هو الضريع .<sup>(٣)</sup>

وفي الحكايات : أن الحسن البصرى طوى<sup>(٤)</sup> ثلاث ليالٍ ولم يفطر وكان كلما  
قدم إليه الطعام ذكر هذه الآية فيأمر برفعه حتى أكره من بعد على شربة سويق .<sup>(٥)</sup>

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣٥ / ٢٩) . وذكره الماوردي في تفسيره  
(٣٣٦ / ٤) والقرطبي في تفسيره (٤٦ / ١٩) وابن الجوزي في تفسيره (٣٩٣ / ٨)  
وعزاه الى مقاتل .

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧٩ / ٦) عن ابن عباس وعزاه الى الحاكم .  
ولكني لم أجده في المستدرک ، وذكره أيضا عن مجاهد وعزاه الى عبد بن حميد .

(٢) هو قول ابن عباس ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٥ / ٢٩) والحاكم في  
مستدرکه (٥٠٥ / ٢) .

بسند هما عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . وقال الذهبي : شبيب ضعفه .

وذكره الماوردي في تفسيره (٣٣٦ / ٤) وعزاه الى ابن عباس وذكره ابن الجوزي في  
زاد المسير (٣٩٣ / ٨) وعزاه الى ابن عباس وعكرمة - انظر تفسير القرطبي ٩ / ٤٦١ .

(٣) هو قول الزجاج . ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣٩٣ / ٨) والقرطبي في  
تفسيره (٤٦ / ١٩) وذكر قول رابع وهو الزقوم والفسلين ، ذكره ابن الجوزي في  
زاد المسير (٣٩٣ / ٨) وقال : حكاه الثعلبي .

وذكره القرطبي في تفسيره (٤٦ / ١٩) وقال : قاله ابن عباس . وقال بعد أن ذكر  
هذه الأقوال : والمعنى واحد .

(٤) هو من الطوى ، وهو الجوع ، لسان العرب ١٥ / ٢٠٠ .

(٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (١٢ / ٢٠٢ / ١) بسنده عن صالح المري قال : وقال

خالد بن حسان : أمسى الحسن عندنا صائماً ، فأتيته بطعام فعرضت له هذه الآية  
\* إن لدينا أنكالاً وجحيماً ، وطعاماً \* فقال : ارفع طعامك . وذكر القصة الى آخرها  
وفيها : فانطلق ابنه الى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء ، فحدثهم ،

فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق ، وذكره بنحوه الزمخشري في الكشف  
٤ / ٦٤١ والقرطبي في تفسيره (٤٧ / ١٩) إلا أنه قال : (خليد بن حسان) بدل  
(خالد بن حسان) . وما ذكره القرطبي هو الصواب ، فقد ذكره الذهبي في

ميزان الاعتدال (١ / ٦٦٣) وذكر أنه روى عن الحسن ، ونقل عن السليمانى أنه قال :  
فيه نظر ، وصالح المري هو صالح بن بشير الزاهد أبو بشر المري ضعفه يحيى بن  
معين ، وقال أحمد : هو صاحب قصص ، ليس هو صاحب حديث ، ولا يعرف

الحديث \* . انظر ميزان الاعتدال (٢ / ٢٨٩) .

وقد ورد في بعض الفرائب من الأخبار : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرئ<sup>١</sup>  
عنده هذه الآية فصعق صعقة - وهو غريب جداً (١).

قوله ( وعذاباً أليماً ) أي موجعاً (٢) وفي بعض الأخبار : ان الله يحب النكَل<sup>٣</sup>  
على النكَل<sup>٤</sup> أي الرجل القوي المجرب على الفرس المجرب ، وقوله تعال<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه الامام أحمد في الزهد (ص ٢٧) وابن عدي في الكامل (٨٤٢/٢) ،  
وابن جرير الطبري في تفسيره (١٣٥/٢٩) والشعبي في الكشف والبيان  
(١/٢٠٢/١٢) كلهم من طريق حمزة الزيات عن حمران بن أعين أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قرأ " ان لدينا أنكلاً وجهياً وطعاماً ذا غصة " فصعق . وأخرجه  
ابن عدي أيضاً من وجه آخر عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين عن أبي حرب  
ابن أبي الأسود أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ . . . الحديث .  
والحديث ضعيف لأن حمرا بن أعين قال فيه يحيى بن معين : ضعيف ، ليس  
بشيء ، وقال النسائي : ليس بثقة . انظر الكامل ٨٤٢/٢ ، تهذيب التهذيب  
٢٥/٣ ، وميزان الاعتدال ٦٠٤/١ ، ولذلك استغربه المؤلف .

(٢) قال ابن جرير في تفسيره (١٣٥/٢٩) " وقوله ( وعذاباً أليماً ) يقول :  
وعذاباً مؤلماً موجعاً " .

(٣) أورده أبو عبيد الهروزي في غريب الحديث (٤٤/٣) بلفظ : ان الله يحب  
النكَل<sup>٥</sup> على النكَل<sup>٦</sup> قيل : وما النكَل<sup>٧</sup> على النكَل<sup>٨</sup> ؟ قال : الرجل المجرب القوي  
المبدئ<sup>٩</sup> المعيد<sup>١٠</sup> على الفرس القوي المجرب<sup>١١</sup> والمجرب<sup>١٢</sup> - الشك من أبي عبيد - المبدئ<sup>١٣</sup> المعيد<sup>١٤</sup> .

وقال : حدثني محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو السيباني -  
قال ابن كثير : أكثر ظني أنه برفعه ، وقال : غير ابن كثير عن أبي هريرة  
ولا برفعه .

وقال : النكل : قال الفراء : يقال : رجل نكل ونكل ومعناه قريب من التفسير  
الذي في الحديث .

وقال في معنى : المبدئ<sup>١٥</sup> المعيد<sup>١٦</sup> : الذي قد أبدأ في غزوة وأعاد ، أي قد غزا  
مرة بعد مرة ، وجرب الأمور أعاد فيها وأبدأ . وقد ذكر هذا الحديث من المفسرين  
الماوردي في تفسيره (٣٣٦/٤) وليس عنده ( المبدئ<sup>١٧</sup> المعيد<sup>١٨</sup> ) وقال عقبه : ومن  
ذلك سمي القيد نكلاً لقوته ، وكذلك الفل ، وكل عذاب قوي واشتد . ونقله عنه  
القرطبي في تفسيره (٤٦/١٩) . وذكره من أصحاب اللفظة : ابن الأثير في  
النهاية (١١٦/٥) والجوهري في الصحاح (١٨٣٥/٥) والراغب الأصفهاني في  
المفردات (٥٠٦) وابن منظور في لسان العرب (٦٧٨/١١) ولم يهز أحد  
تخريجه إلى أحد من المحدثين .

( يوم ترجف الأرض والجبال ) أى تنزلزل ومنه الرجفة أى الزلزلة .<sup>(١)</sup>

وقوله ( وكانت الجبال كثيباً مهيبلاً ) أى رملاً سائلاً<sup>(٢)</sup> ويقال : المهيل : هو الذى إذا أخذ الطرف منه انهال الطرف الآخر<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( انا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم ) هو محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٩٣ / ٨ ) \* أى تنزلزل وتحرك أغلظ حركة \* انظر أيضاً الكشاف ٤ / ٦٤١ ، وقال القرطبي : أى تتحرك وتضطرب . انظر تفسيره ( ٤٧ / ١٩ ) وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٧ / ٤ ) : تنزلزل . وقال الراغب الإصفهاني فى المفردات ( ١٨٩ ) الرجف : الاضطراب الشديد . وقال ابن منظور فى لسان العرب ( ١١٣ / ٩ ) \* رجفت الأرض إذا تنزلزلت \* .

( ٢ ) هو قول ابن عباس . رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٣٦ / ٢٩ ) بسنده عن معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس - وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٧٩ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٣٦ / ٤ ) وعزاه إلى ابن عباس وذكره البغوى فى تفسيره ( ١٦٩ / ٧ ) دون عزوه إلى أحد .

( ٣ ) هو قول الضحاك والكلبى .

فانهما قالا : إن المهيل : هو الذى إذا وطئته بالقدم زل من تحتها ، وإذا أخذت أسفله انهال أعلاه .

انظر تفسير الماورى ( ٣٣٦ / ٤ ) وزاد المسير ( ٣٩٣ / ٨ ) وتفسير القرطبي ٤٧ / ١٩ . والمهيل : أصله مهَيول ، مَفْعول من : هَلت عليه التراب أهيله هَيْلاً : إذا صبته يقال : مهيل ومهَيول .

انظر لسان العرب ١١ / ٧١٣ - ٧١٤ ، وتفسير القرطبي ٤٧ / ١٩ .

( ٤ ) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٩٣ / ٨ ) قوله تعالى \* انا أرسلنا اليكم \* يعنى أهل مكة . \* رسولاً \* يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم . وقال القرطبي فى تفسيره ( ٤٨ / ١٩ ) \* يريد النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى قريش \* .

انظر أيضاً تفسير الخازن ٧ / ١٦٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٣٦٤ .

وقوله ( كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ) هو موسى صلوات الله عليه (١) .  
 وقوله ( فعصى فرعون الرسول ) أي خرج عن أمره (٢) . وقوله ( فأخذناه أخذاً  
 وبيلاً ) أي شد يدأ ويقال : طعام وبيل إذا أكله الإنسان فلم يستمره وقيل : وبيلاً  
 ثقيلاً (٥) .

- (١) انظر زاد المسير (٣٩٤/٨) وتفسير القرطبي (٤٨/١٩) وتفسير الخازن ١٦٩٧ .  
 (٢) قال القرطبي في تفسيره (٤٨/١٩) " أي كذب به ولم يؤمن " وذكر غير واحد من  
 المفسرين لتخصيص موسى وفرعون بالذكر سبباً وهو أن أهل مكة ازدروا محمداً صلى  
 الله عليه وسلم ، واستخفوا به ، لأنه ولد فيهم كما أن فرعون أزدري موسى ، لأنه  
 رياه ونشأ فيما بينهم .
- انظر تفسير القرطبي ٤٨/١٩ وتفسير الخازن ١٦٩/٧ ، والبحر المحيط  
 ٣٦٤/٨ . ودخلت الألف واللام في الرسول لتقدم ذكره .  
 انظر الكشاف ٦٤١/٤ ، وتفسير القرطبي ٤٨/١٩ ، والبحر المحيط ٣٦٤/٨ .
- (٣) هو قول ابن عباس ومجاهد وقناة رواه الطبري في تفسيره (١٣٧/٢٩) بسنده عنهم  
 وذكره الماوردي في تفسيره (٣٣٦/٤) والقرطبي في تفسيره (٤٨/١٩) وابن كثير  
 في تفسيره (٤٣٨/٤) وعزاه كل منهم إلى ابن عباس ومجاهد ، وزاد ابن كثير : قتادة  
 والسدي والثوري . وذكره البغوي في تفسيره (١٦٩/٧) دون عزه إلى أحد .
- (٤) قال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٤٩٤) : أي شد يدأ ، هو من قولك استوتيت  
 البلد ، إذا استوتختها ، ويقال : كلاً استوتيت أي : لا يستمرأ . انظر أيضاً زاد المسير  
 (٣٩٤/٨) .  
 وقال ابن جرير : وهو من قولهم : كلاً استوتيت : إذا كان لا يستمرأ وكذلك الطعام  
 انظر تفسير الطبري ١٣٦/٢٩ ، انظر أيضاً الكشاف (٦٤١/٤) والبحر المحيط  
 (٣٦٤/٨) ولسان العرب (١١/٧٢٠) .
- (٥) هو قول الزجاج ، ذكره الماوردي في تفسيره (٣٣٦/٤) وابن الجوزي في تفسيره  
 (٣٩٤/٨) والقرطبي في تفسيره (٤٨/١٩) قالوا : قال الزجاج : أي ثقيلاً غليظاً  
 ، ومنه قيل للمطر العظيم وابل - وبهذا فسر الزمخشري . انظر الكشاف (٦٤١/٤)  
 وقد ذكر الماوردي في تفسيره (٣٣٦/٤) أربعة تأويلات في هذه الآية ، وأحد هـا  
 هو ما تقدم عن ابن عباس ومجاهد والثاني هو هذا القول ، وذكر قولين آخرين أحدهما :  
 متتابعاً وعزاه إلى ابن زيد - والثاني : مهلكاً - ولم يعزه إلى أحد .  
 وهناك قول آخر وهو أن المراد بهذا الأخذ الوبيل : الفرق ، قاله مقاتل . انظر  
 تفسيره (ق ٣٧٣/ب) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣٩٤/٨) قال : وهذا  
 تخويف لكفار مكة أن ينزل بهم العذاب لتكذبهم ، كما نزل بفرعون .  
 ولا مانع أن تكون جميع هذه المعاني مقصودة في الآية .

قوله تعالى ( فكيف تتقون إن كفرتم يوماً ) أي كيف تتقون من عذاب يوم إن كفرتم (١) - ثم وصف اليوم فقال ( يجعل الولدان شيباً ) وهذا على طريق كلام العرب في ذكر شدة اليوم فإنهم يقولون : هو يوم يشيب النواصي (٢) .

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٩٤/٨ ) " أي : عذاب يوم - قال الزجاج : المعنى : بأي شيء تتحصنون من عذاب يوم من هو له يشيب الصغير من غير كبير .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٤٩/١٩ ) : " قوله تعالى : فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً " هو توبيخ وتقريع ، أي كيف تتقون العذاب إن كفرتم وفيه تقديم وتأخير ، أي : كيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم - .

وذكر المفسرون في ( يوماً ) عدة توجيهات ، أظهرها وجهان :  
الأول : يحتمل أن يكون يوماً معمولاً للمتقون .  
والثاني : يحتمل أن يكون معمولاً للكفرتم .

فعلى الأول يكون المعنى : كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا أفرع العظيم إن كفرتم .

وعلى الثاني : كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحد تموه .  
قال ابن كثير : وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم . تفسير ابن كثير ٤٣٨/٤ .  
انظر أيضاً تفسير الطبري ١٣٧/٢٩ ، وتفسير القرطبي ٤٩/١٩ ، ومشكل اعراب القرآن ٤٢٠/٢ .

(٢) جمع مفردة ناصيه ، والناصيه عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ، لا الشعر الذي تسميه العامة الناصية ، وسمى الشعر ناصية لنباته من ذلك الموضع .  
لسان العرب : ٣٢٢/١٥ .  
والمقصود بالناصية الواردة في المثل الذي أورده المؤلف هو الشعر لأن الشيب يظهر في الشعر لا في منبته .



ويوم يبييض فيه القار ، والمراد من الآية : هو الأخبار عن شدة الأمر ، وفى التفسير : أنه يشيب فيه ولدان الكفار لا ولدان المؤمنين .<sup>(٢)</sup>

وقوله ( السماء منطربة ) قد ورد عن كثير من السلف : أن قوله ( منطربه ) أى بالله وهو نزول يوم القيامة لفضل القضاء بلا كيف ، وقيل : ( السماء منطربه )<sup>(٣)</sup>

(١) ذكره القرطبي فى تفسيره (٥٠/١٩) قال : وقيل : هذا ضربٌ مثل لشدة ذلك اليوم ، وهو مجاز ، لأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان ، ولكن معناه أن هيمسبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبى لشاب رأسه من الهيبة ، ويقال : هذا وقت الفزع .

وذكره الزمخشري : - فقال : ( ويجعل الولدان شييا ) مثل فى الشدة ويقال فى اليوم الشديد " يوم يشيب نواصي الأطفال " . والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تعاقبت على الإنسان أسرع فيه الشيب ، الكشاف ٦٤١/٦ انظر أيضا البحر المحيط ٣٦٥/٨ . وأما الخازن فذكر فى الآية وجهين أحدهما أن ذلك عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره . فقد ورد فى ذلك قوله تعالى " يأيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شى عظيم " ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها . . . " سورة الحج الآية ١ - ٢ . وأيضا قد جاء فى صفة ذلك اليوم فى حديث الصور الطويل " فتذهل المرضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان " .

الثانى : أنه فى القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازاً ، لأن القيامة ليس فيها شيب وإنما هو مثل فى شدة الأمر وهوله يقال فى اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الأطفال ، والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تعاقبت على الإنسان أسرع فيه الشيب . تفسير الخازن ١٦٩/٧ - ١٧٠ .

(٢) هذا على قول ألقائلين بأن الآية على الحقيقة ، لا مجاز فيها ولا كناية . وقد ذكر هذا القول القرطبي فى تفسيره (٥٠/١٩) قال : وقال السدى : هم أولاد الزنا ، وقيل : أولاد المشركين والعموم أصح ، أى يشيب فيه الصغير من غير كبير .

انظر أيضا البحر المحيط ٣٦٤/٨ ، وروح المعانى ١٠٩/٢٩ ، وجوز الزمخشري أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يلبقون فيه أو أن الشيوخة والشيب . الكشاف ٦٤٢/٤ ، ويبدو أن التفصيل الذى ذهب إليه الخازن هو الأنسب .

(٣) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب " نزوله " .

(٤) قوله " بالله وهو . . . " إلى قوله " بلا كيف " ساقط من نسخة " ب " وأما هذا التفسير فهو مروى عن ابن عباس ومجاهد .

انظر تفسير الطبرى ٢٨/٢٩ ، وتفسير ابن كثير ٤٣٨/٤ ، وذكره الهفوى فى تفسيره ( ١٧٠/٧ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٥١/١٩ ) ، دون عزو إلى أحد .

أى فيه ، معنى أن السماء منشفة في يوم القيامة (١) ذكره أبو جعفر النحاس (٢) وذكر أنه أحسن المعاني (٣) . وقوله ( كان وعده مفعولا ) أى : محققاً

( ١ ) قال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ٤٩٤ ) " السماء منغطر به " أى منشق فيه ، - ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٩٤/٨ ) . وقال القرطبي في تفسيره ( ٥٠/١٩ ) - " قوله تعالى : ( السماء منغطر ) أى متشققة لشدة ، ومعنى ( به ) أى ( فيه ) أى في ذلك اليوم . وقال أيضا ويقال : مُشْطَبة به أثقالاً يؤدى الى انقطاعها لمطامته عليها وخسبته من وقوعه ، كقوله تعالى : نَطَقَتِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ " وقيل ( به ) أى له ، أى لذلك اليوم ، وقد ذهب الى هذا القول - أى أن الضمير يعود الى اليوم - الفراء في معاني القرآن ( ١٩٩/٣ ) .

( ٢ ) هو الامام العلامة امام الحريية أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادى . أبو جعفر النحوى الميسرى . بعضهم يقول : انه يعرف بالنحاس ، والبعض الآخر يقول : يعرف بابن النحاس . صنف كتباً كثيرة ، منها اعراب القرآن ، ومعاني القرآن ، نقل السيوطى عن ابن يونس أنه قال : كان عالماً بالنحو ، صادقاً ، وكتب الحديث ، توفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

انظر سير اعلام النبلاء ١٥ / ١٠١ ، بغية الوعاة ١ / ٣٦٢ ، شذرات الذهب ٢ / ٣٤٦ ، معجم المؤلفين ٢ / ٨٢ .

( ٣ ) لعل هذا الكلام فى معانى القرآن له .

وهكذا ذكر القرطبي أيضا فى تفسيره ( ٥٠/١٩ ) فإنه قال بعد أن ذكر هذا التوجيه : هذا أحسن ما قيل فيه ، . وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٨/٤ ) : وقوله تعالى : ( السماء منغطر به ) قال الحسن وقتادة : أى بسببه من شدته وهوله ، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى . وروى عن ابن عباس ومجاهد ، وليس بقوى لأنه لم يجر له ذكر ها هنا " ا هـ .

والذى بيدولى - والله أعلم - أن الضمير يعود الى اليوم لأنه سبق ذكره . وأما ما ذكره المؤلف من نزول الرب عز وجل يوم القيامة لفصل القضاء فهو ثابت بالقرآن والسنة الصحيحة الثابتة . قال تعالى : " كلا اذا دككت الأرض دكا دككا ، وجاء ربك والملك صفا صفا " سورة الفجر الآيه : ٢١ - ٢٢ .

٠٠/٠٠

قال ابن كثير : ( وجاء ربك ) يعني لفصل القضاء بين خلقه . وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي التوبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : أنا لها أنا لها فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك . . . الخ تفسير ابن كثير ٤ / ٥١٠ ، وقد جاء ذلك في آية أخرى أيضا ان يقول فيها سبحانه وتعالى : هل ينظرون إلا أن تأتيهم الله في ظلل من الغمام " سورة البقرة الآية

٠ ٢١٠

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بنزول الرب عز وجل وإتيانه لفصل القضاء دون تأويل أو تشبيه أو تكيف ، خلافاً لمن تأول الآيات الواردة في ذلك بنزول أمره وغير ذلك من التأويلات .

انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣ / ١٣٣ ، ١٦٠ / ١٠٧ - ١٠٩ .

هذا وقد ذكر الماوردي في تفسير الآية أربعة أوجه : أحدها : متلثة به ، قاله ابن عباس ، الثاني : مشقة ، قاله مجاهد . الثالث : مخزونة به ، قاله الحسن ، الرابع منشقة من عظته وشدته قاله ابن زيد . انظر تفسيره ٤ / ٣٣٧ . ولم يتعرض لما يعود إليه الضمير في ( به ) وذكر المفسرون في تذكير السماء في الآية عدة توجيهات . أولها : أن السماء تذكر وتؤنث وهي هاهنا في وجه التذكير ، والثاني : أن السماء هنا بمعنى السقف . ، والثالث : هو على قولهم : امرأة مريض على جهة النسب . فالمعنى : السماء ذات انقطاع ، كما أن المريض ذات ارضاع .

انظر زاد المسير ٨ / ٣٩٤ ، وتفسير القرطبي ١٩ / ٥١ ، انظر أيضا الكشاف

٠ ٦٤٢ / ٤

كائناً لا محالة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى ( إن هذه تذكرة ) أى السورة تذكرة عبرة وعظة<sup>(٢)</sup> .  
قوله ( فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ) أى طريقاً ووجهة إلى الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) فسر ابن الجوزى بقوله : وذلك أنه وعد بالبعث ، فهو كائن لا محالة ، زاد المسير ٣٩٥/٨ ، وقال القرطبي فى تفسيره ( ٥١/١٩ ) ( كان وعده ) أى بالقيامة والحساب والجزاء ( مفعولاً ) كائناً لا شك فيه ولا خلف .

وقال ابن كثير : أى كان وعد هذا اليوم مفعولاً أى واقعاً لا محالة . وكائناً لا محيد عنه . انظر تفسيره ٤٣٨/٤ .

أما الماورى فذكر فى ذلك ثلاثة أوجه :  
أحد ها : وعده بأن السماء منغطربة وكون الجبال كتيماً مهيباً وأن يجعل الولدان شيباً . قاله يحيى بن سلام .

الثانى : وعده بأن يظهر دينه على الدين كله ، قاله مقاتل .  
الثالث : وعده بما بشر وأنذر من ثوابه وعقابه .  
انظر تفسيره ٣٢٧/٤ .

والذى يدل عليه السياق هو الوجه الأول لأنه هو الذى جرى له الذكر .  
وأما ( وعده ) فهو من إضافة المصدر إلى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى ، ولم يذكر لكونه معلوماً ، انظر الكشاف ٦٤٢/٤ .

( ٢ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ٥١/١٩ ) .  
قوله تعالى : ( إن هذه تذكرة ) بويده هذه السورة أو الآيات عظة .  
وقيل : آيات القرآن ، إذ هو كالسورة الواحدة ، وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٩٥/٨ ) . ( إن هذه ) يعنى آيات القرآن ( تذكرة ) أى تذكير وموعظة . وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٨/٤ ) .

يقول تعالى ( إن هذه ) أى السورة ( تذكرة ) أى يتذكر بها أولئك الألباب \* سواء كان المراد السورة أو الآيات كلاهما واحد وتشتمل كل واحدة منهما على عبر ومواعظ لمن اعتبر بها واتعظ .

( ٣ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ٥١/١٩ ) ( فمن شاء اتخذ إلى ربه ) أى من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك إلى ربه ( سبيلاً ) أى طريقاً إلى رضاه ورحمته فلم يغيب فقد أمكن له لأنه أظهر له الحجج والدلائل .  
وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٦٤٣/٤ ) " معنى اتخاذ السبيل إليه : التقرب

٠٠/٠٠

• والتوسل بالطاعة . وقال الرازي في تفسيره ( ١٨٥/٣٠ ) .

واتخاذ السبيل عبارة عن الإشتغال بالطاعة والإحتراز عن المعصية . وما ذكره القرطبي هو أوضح . ومفعول شاء محذوف يدل عليه الشرط ، أى فمن شاء أن يتخذ سبيلاً اتخذهُ إلى ربه - ذكره أبو حيان في البحر المحيط ( ٢٦٦/٨ ) وقال : وليست المشيئة هنا على معنى الإباحة بل تتضمن معنى الوعيد والوعد \* ١ هـ .

وقد قيل فى هذه الآية إنها منسوخة - والناسخ لها حسب ما ذكره ابن الجوزى

فى نواسخ القرآن ( ص ٥٠٠ ) .

قوله تعالى ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ) سورة الدهر الآية ٣٠ . وحسب ما ذكر القرطبي فى تفسيره ( ٥١/١٩ ) آية السيف ومن القائلين بالنسخ فى هذه الآية ابن حزم فى معرفة الناسخ والمنسوخ ( ٣٨٣ ) وابن سلامة فى ناسخه ( ص ٩٦ ) .

ولكن ابن الجوزى لم يرض بدعى النسخ فيها واشتد إنكاره على القائل بسببه إن وصفه بأنه لا فهم له ، وقال : وليس هذا بكلام من يدري ما يقول ، لأن الآية الأولى أثبتت للإنسان مشيئته ، والآية الثانية أنه لا يشاء حتى يشاء الله ، وكيف يتصور النسخ \* .

وذكر القرطبي أيضا عن الثعلبي أنه قال : والأشبه أنه غير منسوخ \* وهذا هو

الأرجح عندى ، والله أعلم .

قوله تعالى ( إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ ) وقسرى  
(نصفه) (١) فمن قرأ بفتح الفاء نصبه على تفسير الأَدْنَى (٢) ، ومن قرأه بكسر الفاء  
أي أدنى من نصفه . (٣)

وقوله ( وثُلُثُهُ ) معطوف إلى النصف في القراءة تين وقوله ( وطائفة من الذين معك )  
قد بينما أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا حولاً حتى تورمت أقدامهم  
وفي التفسير : أنهم كانوا يقومون جميع الليل مخافة أن ينقصوا من المقدار المفروض  
واختلف القول : في أنه كان القيام مفروضاً على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جميع  
أصحابه أو على النبي وحده ، ففي أحد القولين : أنه كان مفروضاً عليه وعلى جميع  
أصحابه وفي قول آخر كان مفروضاً عليه وحده .

(١) أي بالكسر .

(٢) هي قراءة الكوفيين وابن كثير .  
وتوجيه هذه القراءة : أن ( نصفه ) معطوف على ( أدنى ) الذي هو منصوب  
بـ ( تقوم ) والتقدير : وتقوم نصفه وثلثه .

(٣) هي قراءة نافع وابن عامر وأبي عمرو - وتوجيه هذه القراءة : أن ( نصفه )  
معطوف على ( ثلثي الليل ) أي : وأدنى من نصفه وأدنى من ثلثه .  
قال مكي بن أبي طالب : وكلا القراءتين حسن ، غير أن النصب أقوى - ثم  
ذكر سبب الترجيح خلاصته أن المعنى على هذه القراءة هو الأنسب والأظهر .

انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٣٤٦ ، وانظر أيضاً التيسير  
ص ٢١٦ ، ومشكل اعراب القرآن ٢ / ٤٢١ وحجة القراءات ٧٣١ .  
انظر أيضاً زاد المسير ( ٨ / ٣٩٥ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٥٠ ) .

(٤) انظر ع ( ٨٧ )

(٥) نقل القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٥٣ ) عن مقاتل وغيره أنه لما نزلت ( قم  
الليل الا قليلاً . نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ) شق ذلك ، وكان  
الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه ، فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطئ ،  
فانتفخت أقدامهم وانتفعت ألوانهم ، فرحمهم الله وخفف عنهم . فقال تعالى :  
( علم أن لن تحصوه ) .

انظر أيضاً تفسير مقاتل ( ق ٣٧٤ / ١ ) وزاد المسير ( ٨ / ٣٨٨ ) .

ذكره أبو الحسن الماوردي (١) وذكر أيضاً قولين : في أنه هل بقي عليه قيام الليل بعد النسخ فأحد القولين : أن النسخ كان في حق الصحابة ، وأما في حقه فبقي إلى أن توفاه الله تعالى .

القول الثاني : / صار منسوخاً في حقه والصحابة جميعاً وإنما بقي التنفل ٣/١ والتطوع به فحسب . (٢)

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب القاضي البصري المعروف بالماوردي . ( وهو نسبة إلى بيح ماورد ) قال الخطيب : كان من وجوه الفقهاء الشافعيين ، وله تصانيف عدة ، في أصول الفقه وفروعه وفي غير ذلك وجعل إليه ولاية القضاء ببلدان كثيرة - ثم وثقة ، فقال : كان ثقة - وقد اتهمه ابن الصلاح بالإعتزال في بعض المسائل والصحيح أنه ليس معتزلياً ، ولكنه يقول بالقدر ، فقط وهي بلية غلبت البصريين - من أشهر مؤلفاته تفسير القرآن الذي سماه النكت ، والأحكام السلطانية . توفي سنة خمسين وأربع مائة . تاريخ بغداد ١٢/١٠٢ ، لسان الميزان ٤/٢٦٠ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣/٣٠٣ ، طبقات المفسرين للداودي ١/٤٢٧ - ٤٢٩ .

وأما ما ذكره عنه المؤلف فقال في تفسيره (٤/٣٣١) \* وفي فرضه على مسن سواء من أمته قولان . أحدهما : فرض عليه دونهم لتوجه الخطاب إليه ، ويشبه أن يكون قول سعيد بن جبير - الثاني : - أنه فرض عليه وعليهم فقاموا حتى ورمست أقدامهم ، قاله ابن عباس وعائشة . انظر أيضاً زاد المسير ٨/٣٨٩ ، ونواسخ القرآن (ص ٤٩٧) .

(٢) قال الماوردي في تفسيره (٤/٣٣٢) فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضاً عليه ، وفي نسخه عنه قولان : أحدهما : أنه كان فرضاً عليه ، واظب عليه إلى أن قبضه الله - الثاني : أنه نسخ عنه كما نسخ عن أمته . انظر أيضاً زاد المسير ٨/٣٨٩ ، وتفسير القرطبي (١٩/٥٤ - ٥٥) والصواب من القول أن صلاة الليل بالنسبة لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم غير مفروضة عليهم ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/٣) : وقد أجمعوا إلا شذوذاً من القدماء على أن صلاة الليل ليست مفروضة على الأمّة \* اهـ ، وأما بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم فهي غير مفروضة عليه أيضاً ولكنه صلى الله عليه وسلم ألزمها على نفسه ، فواظب عليها إلى أن توفاه الله تعالى ، ويدل على هذا ما رواه البخاري في صحيحه - كتاب التهجد - باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل (٣/١٤ رقم ١١٣٠) بسنده عن المغيرة قال : إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم - أو ليصلي - حتى تحرم قدماه - أو ساقاه - فيقال له ، فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً \* وورد نحوه عن عائشة أيضاً ، رواه البخاري في كتاب التفسير (٨/٥٨٤ رقم ٤٨٣٧) . فذلك صريح في أن قيام الليل لم يكن واجباً عليه لأنه لو كان واجباً لأجاب السائل بأنه واجب عليه ، قال الحافظ في فتح الباري (٣/١٥) : قال العلماء : إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظم نعمة الله تعالى عليهم ، وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاتها ، فبدلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها المعبود . \*

وقوله ( والله يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ) أى لا يفوت عن علمه ساعات الليل والنهار  
 فيعلم ما يقومون من ذلك وما يتركون . (١)

وقوله ( علم أن لن تحصوه ) أى لن تطيقوه (٢) والمعنى أنه يشق عليكم معرفة مقدار  
 المفروض والقيام بالأمر ، وذلك لأن الإنسان إذا نام ثم استيقظ لا يدري كم نام ؟ وكم  
 بقى من الليل ؟ وقد كان الله تعالى فرض قيام الليل على مقدار معلوم ، وهو لا ينقص من

---

( ١ ) ذكر البغوي في تفسيره ( ١٧٠ / ٧ ) عن عطاء أنه قال : يريد : لا يفوته علم  
 ما تفعلون - أى انه يعلم مقدار الليل والنهار ، فيعلم القدر الذى تقومون من  
 الليل ، وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٩٥ / ٨ ) .  
 ( والله يقدر الليل والنهار ) يعلم مقدار يرهما ، فيعلم القدر الذى تقومون به  
 من الليل . وقال القرطبي فى تفسيره ( ٥٣ / ١٩ ) قوله تعالى ( والله يقدر  
 الليل والنهار ) أى يعلم مقدار الليل والنهار على حقائقها ، وأنتم تعلمون  
 بالتحري والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ .

وقال الماوردي فى تفسيره ( ٣٣٧ / ٤ ) " يعنى يقدر ساعاتهما ، فاحتمل  
 ذلك وجهين ، أحدهما تقد يرهما لأعمال عباده ، الثانى لقضائه فى خلقه ، وقال  
 ابن الصربى فى أحكام القرآن ( ١٨٨١ / ٤ ) " يعنى : يقدره للعبادات ، فإن  
 تقدير الخلق لا يتعلق به حكماً ، وإنما يربط الله به ما شاء من وظائف التكليف .

ويبدو من النظر فى هذه التفسيرات للآية أن بعض المفسرين فسروها فى ضوء  
 ما جاء فى السياق . وبعضهم فسروها تفسيراً عاماً دون اعتبار للسياق . وكل  
 هذه التفسيرات صحيحة - وتفسير المؤلف والبغوي وابن الجوزى للآية  
 متقارب .

( ٢ ) فى الأصل ( لن تطيقونه ) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته لأن القاعدة تقتضيه  
 وهكذا فسره الحسن البصرى وسعيد بن جبير وسفيان رواه عنهم ابن جرير الطبرى  
 فى تفسيره ( ١٤٠ / ٢٩ ) .  
 انظر تفسير البغوي ١٧٠ / ٧ ، انظر أيضاً مختصر قيام الليل لابن نصر ( ص ١٤ ) .



الثالث ويبلغ الثلثين إن أراد (١) ، وقوله ( فتاب عليكم ) أى نسخه عليكم ورفعته ، ومعنى التوبة : هو الرفع والعفو ها هنا (٢) ، وقوله ( فاقروا ماتيسر من القرآن )

(١) قال الماوردي فى تفسيره (٣٢٧/٤) فيه وجهان . أحدهما : لن تطيقوا قيام الليل ، قاله الحسن .

والثانى : يريد تقدير نصف الليل وثلثه وربعه . قاله الضحاك .

وقال ابن الجوزى فى تفسيره (٣٩٥/٨) وفيه قولان : أحدهما : لن تطيقوا قيام ثلثي الليل ولا ثلث الليل ، ولا نصف الليل ، قاله مقاتل .

والثانى : لن تحفظوا مواقيت الليل ، قاله الفراء .

انظر أيضا تفسير مقاتل (ق ٣٧٤ / ١) ومعانى القرآن للفراء (٢٠٠ / ٣) ، وقال القرطبي فى تفسيره (٥٣ / ١٩) .

( علم أن لن تُخْصَوْهُ ) أى لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به - وقيل : أى لن تطيقوا قيام الليل - ثم قال : .

والأول أصح ، فإن قيام الليل ما فرض كلفه قط ، وذكر ما قاله مقاتل وغيره : من قيام الصحابة الليل كله - لأنهم كانوا لا يهدرون متى نصف الليل من ثلثه . فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطئ ، فشق ذلك عليهم . فرحمهم الله وخفف عنهم .

وأما المؤلف رحمه الله فلم يذكر فى ذلك إلا قولاً واحداً وهو السدى رحمه القرطبي ، فأصاب فى ترجيحه .

(٢) فى النسختين ( رفضه ) وليس له معنى هنا ، والصواب ما أثبتته ويدل عليه السياق .

(٣) قال الماوردي فى تفسيره (٣٢٧/٤) .

( فتاب عليكم ) يحتمل وجهين : أحدهما : فتاب عليكم فى تقصيركم فيما مضى - فاقروا فى المستقبل ماتيسر .  
الثانى : فخفف عنكم .

وقال البغوى فى تفسيره (١٧٠ / ٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٣٩٦/٨) ( فتاب عليكم ) أى : عاد عليكم بالمغفرة والتخفيف . وقال الزمخشري فى الكشاف (٦٤٣ / ٤) ( فتاب عليكم ) عبارة عن الترخيص فى ترك القيام المقدر كقوله ( فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن بأشروهن ) سورة البقرة الآية ١٨٧ ، والمعنى : أنه رفع التبعة فى تركه عنكم ، كما يرفع التبعة عن التائب .

وقال القرطبي فى تفسيره (٥٣ / ١٩) أى : فعاد عليكم بالعفو ، وهذا يدل على أنه كان فيهم من ترك بعض ما أمر به وقيل : أى فتاب عليكم من فرض القيام إن عجزتم ، وأصل التوبة الرجوع ، فالمعنى : رجع لكم من تشقيل إلى تخفيف ومن عسر إلى يسر ، وإنما أمروا بحفظ الأوقات على طريق التحرى ، فخفف عنهم ذلك التحرى . وما ذكره المؤلف فى تفسير الآية لا يتعارض مع ما تقدم نقلنا عن المفسرين ، إن مؤدى الكل واحد ، وهو أن الله تعالى خفف عنهم ما لا قوا فى قيام الليل من مشقات .

فيه قولان أحدهما : صلوا ما تيسر من الصلوة وهذا على طريق النافذة والتطوع لا على طريق الفرض ، وقال الحسن وقتادة : يجب قيام الليل ولو حلب شاة لهذه الآية<sup>(١)</sup> ، والأصح هو القول الأول ، لأنه قد ثبت : أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه أعرابي<sup>(٢)</sup> ثائر الرأس يسمع دوى صوته<sup>(٣)</sup> ولا يفهم ما يقول الخبر - إلى أن قال : هل على

( ١ ) روى ابن أبي شيبه في المصنف - كتاب الصلاة - باب من كان يأمر بقيام الليل ( ٢٧١ / ٢ ) بسنده عن الحسن أنه قال : صلوا من الليل ولو قدر حلب شاة ، وروى عن ابن سيرين أنه كان يستحب أن لا يترك قيام الليل ، ولو قدر حلب شاة ولم أجد من روى عن قتادة هذا القول وقد ذكره القرطبي في تفسيره ( ٣٦ / ١٩ ) قال : وقد ذهب الحسن وابن سيرين إلى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة .  
وقال في نفس المصدر ( ٥٤ / ١٩ ) : قال قوم : فرض قيام الليل بالليل بياق وهو مذهب الحسن .

وذكر في الموضوع الأول عن الحسن أيضا أنه قال في هذه الآية : الحمد لله تطوع بعد الفريضة . وعقب عليه القرطبي بقوله : وهو الصحيح إن شاء الله تعالى ، وليس قول الحسن هذا قولاً ثانياً ، فإن السيوطي أورده في السدر المنشور ( ٢٨٠ / ٦ ) في سياق طويل وقال فيه : قال الحسن : فالحمد لله الذي جعله تطوعاً بعداً فريضة ، ولا بد من قيام الليل - وعزاه إلى عبد بن حميد . وانظر هذا الأثر أيضا في مختصر قيام الليل ( ص ١٠ ) .

وأما ما ذكره المؤلف من قول قتادة بوجوب قيام الليل فهو يخالف ما رواه ابن نصر ( انظر مختصر قيام الليل ص ١٠ ) عنه أنه قال : افترض الله قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حـولاً فأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً ثم أنزل الله التخفيف في آخرها . فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة .  
انظر أيضا الدر المنثور ٢٨٠ / ٦ - فلعل ذكر قتادة خطأ ، والصواب ابن سيرين .

( ٢ ) قال ابن الأثير في النهاية ٢٢٩ / ١ أي منتشر شعر الرأس قائمة .

( ٣ ) قال ابن الأثير في النهاية ١٤٣ / ٢ ، الدوى : صوت ليس بالعالي كصوت النحل ونحوه .

غيرهن ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع .<sup>(١)</sup> فدل هذا الخبر أن قيام الليل ليس بمفروض وفيه إجماع<sup>(٢)</sup> . والقول الثاني : إلى قوله ( فاقروا ما تيسر من القرآن ) أي فاقروا فسي الصلاة ما تيسر من القرآن من غير توصيف ولا تقدير وهذا على قول الشافعي وعليه العلماء فيما وراء الفاتحة<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ( كتاب الايمان ، باب الزكاة من الاسلام ١/١٠٦ ) رقم الحديث (٤٦) . وسلم في صحيحه كتاب الايمان - باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الاسلام (١/١٦٦) .

(٢) هذا هو قول أكثر علماء المذاهب . قال أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن (٣/٤٦٨) \* لا خلاف بين المسلمين فسي نسخ فرض قيام الليل ، وأنه مندوب إليه مرغب فيه - وقد تقدم نقلاً عن ابن حجر أنه قال : وقد أجمعوا إلا شذوذاً من القدماء على أن صلاة الليل ليست مفروضة على الأمة \* انظر ص (١٢٠٠) وانظر أيضاً المغني لابن قدامة (٢/١٣٥) .

(٣) هو الامام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي نزيلي مصر .

قال فيه الحافظ ابن حجر : وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين . مات سنة أربع ومائتين . وله أربع وخمسون سنة . تقريب التهذيب ٢٨٩ .

(٤) وقد فكر هذين القولين أي : فصلوا ما تيسر من الصلاة فعبر عن الصلاة بالقراءة لأنها ببعض أركانها أو اقروا في الصلاة ما تيسر من القرآن حملاً للخطاب على ظاهر اللفظ ، غير واحد من المفسرين . منهم الماوردي في تفسيره (٤/٣٣٧-٣٣٨) . وذكر في كل من القولين احتمالين أو وجهين .

فقال في القول الأول : فعلى هذا يحتمل في المراد بما تيسر من الصلاة وجهان - أحدهما : ما يتطوع به من نوافله لأن الفروض المقدر لا يؤمر فيه بما تيسر .

الثاني : - أنه محمول على فروض الصلوات الخمس لانتقال الناس من قيام الليل إليها ، ويكون قوله \* ما تيسر \* محمولاً على صفة الأداء في القوة والضعف ، والصحة والمرضى ولا يكون محمولاً على المعدد المقدر شرعاً .

.. / ..

ثم ذكر في القول الثاني أيضا وجهين أحدهما أن المراد به قراءة القرآن في الصلاة فيكون الأمر به واجباً لوجوب القراءة في الصلاة . ثم أشار إلى خلاف الأئمة الفقهاء في مقدار ما يلزمه أن يقرأ به في الصلاة .

وقال : والوجه الثاني أن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولاً على الوجوب أو على الإستحباب .

ثم ذكر في كل منهما خمسة أقاويل .

وفي نظري لا حاجة إلى هذه التقسيمات والتفريعات ، فإن السياق يعين أن المراد به الصلاة - وقد عبر عنها بالقراءة ، لأنها فيها ، وقد وردت في القرآن تسمية الصلاة بالقرآن ، فقال تعالى ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) سورة الاسراء الآية ٧٨ وعلى هذا فقد ذهب ابن العربي في أحكام القرآن ( ٤ / ١٨٨١ ) بعد ذكره للقولين إلى ترجيح القول الأول ، وقال : وهو الأصح ، لأنه عن الصلاة أخبر ، واليه رجع القول .

وان كان القرطبي لم يرض هذا الترجيح ان قال بعد ايراده لقول ابن العربي الأول - يعنى أن المراد نفس القراءة - أمح حملاً للخطاب على ظاهر اللفظ ، والقول الثاني مجاز ، فإنه من تسمية الشئ ببعض ما هو من أعماله " ا هـ . تفسير القرطبي ( ١٩ / ٥٣ - ٥٤ ) وهذا ليس بشئ " لأن تسمية الشئ ببعضه واردة . وقد ذهب البيهقي في كتابه القراءة خلف الامام ( ص ١٢ ) إلى أن المراد بالقراءة هنا الصلاة قال : وفي الآية دلالة على أنه سمي ماتيسر من صلاة الليل قرآنا حيث قال : " فاقروا ماتيسر من القرآن " يريد ماتيسر من الصلاة التي يقرأ فيها القرآن وهو كما سمي في آية أخرى صلاة الفجر قرآنا لأن القرآن يتلى فيها ، ثم ذكر الآية السابقة من سورة الاسراء أنظر أيضا تفسير البغوي ( ٧ / ١٧٠ ) والكشاف ( ٤ / ٦٤٣ ) ، وتفسير الخازن ( ٧ / ١٧٠ ) -

وذكر أبو الحسن الدارقطني<sup>(١)</sup> في كتابه بإسناده عن قيس بن أبي حازم<sup>(٢)</sup> أنه قال : صليت خلف ابن عباس فقرأ الفاتحة في الركعة الأولى وقرأ الآية الأولى من البقرة ثم قام في الركعة الثانية ، وقرأ الفاتحة والآية الثانية من سورة البقرة . فلما فرغ قرأ قوله تعالى : " فاقراءوا ما تيسر من القرآن " يعني أنه الذي تيسر ، قال علي بن عمر وهو الدارقطني : وهو دليل على قول من يقول : إن ما تيسر هو ما وراء الفاتحة<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) هو الامام الحافظ المجود أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني من أهل محلة دار القطن ببغداد . ولد سنة ست وثلاث مائة ، هو أخيه بذلك .

قال الخطيب البغدادي : وكان فريداً عصره وقريح دهره ، ونسباً وحده ، واماماً وقته ، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلم الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة مع الصدق والأمانة والفقه والعدالة وقبول الشهادة وصحة الاعتقاد وسلامة المذهب والاضطلاع بعلوم سوى الحديث . توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . تاريخ بغداد ١٢ / ٣٤ - ٤٠ ، انظر سيرة أعلام النبلاء ١٦ / ٤٤٩ - ٤٦٠ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٩٩١ - ٩٩٥ .

( ٢ ) هو قيس بن أبي حازم البجلي أبو عبد الله الكوفي ، ثقة ، من الثانية مخضرم ، ويقال له رواية ، وهو الذي يقال انه اجتمع له ان يروي عن العشرة ، مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاوز المائة وتفسير . تقريب التهذيب ( ص ٢٨٣ ) .

( ٣ ) انظر سنن الدارقطني - كتاب الصلاة - باب قدر القراءة في الظهر والعصر والضحى ( ١ / ٣٢٨ ) .

والحديث رواه أيضا البيهقي في السنن الكبرى - كتاب الصلاة - باب تعيين القراءة بفاتحة الكتاب ( ٢ / ٤٠ ) وفي كتابه القراءة خلف الامام ( ص ١٦ ) من طريق الدارقطني وقال : " هذا اسناد حسن " .

وعقب عليه ابن الترمذي في الجوهر النقي ( ٢ / ٣٩ ) المطبوع بذييل السنن الكبرى ) : كيف يكون اسناداً حسناً ، وفيه سهل بن عامر البجلي ، قال أبو حاتم الرازي : كان يفتعل الحديث ، وقال البخاري : منكر الحديث . ولكن ليس هذا الحديث وحده الذي يدل على وجوب القراءة بآم القرآن ، وأن الصلاة بغيرها خداج غير تام ، بل هناك أحاديث أخرى كثيرة تدل وجوب القراءة بفاتحة الكتاب .

( ٤ ) السبب لمتقيده بما وراء الفاتحة هو أن أبا حنيفة وأصحابه استدلوا بهذه الآية ( فاقراءوا ما تيسر من القرآن ) على أن الفرض في الصلاة مطلق القراءة لا الفاتحة بخصوصها ، وقالوا : تكفيه آية واحدة من آي القرآن ، وفي رواية أخرى :

٠٠/٠٠

ثلاث آيات وقالوا : إن تعيين الفاتحة ثبت بالحدِيث فيكون واجباً ، يأثم من يتركه ، وتجزئ الصلاة بدونه ، وإذا نسيه سجد له ، لأن الغرض لا يثبت عندهم بما يزيد على القرآن ، وورد فيه قراءة ما تيسر منه دون تعيين الفاتحة . راجع لمعرفة مذهبهم : أحكام القرآن للجصاص ( ٤٦٩/٣ ) وشرح الدر المختار للحصكفي ( ٧٧/١-٧٩ ) .

وأما عند المالكية والشافعية وفي الصحيح من مذهب الحنابلة فيجب قراءة الفاتحة في كل ركعة . ولا تصح الصلاة بدون الفاتحة ، واستدلوا على وجوب قراءتها بهجج كثيرة منها ما أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ( ٢٣٦/٢ رقم ٧٥٥ ) وسلم في صحيحه كتاب الصلاة - باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ( ١٠٠/٤ ) بسندهما عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " . ومنها ما أخرجه مسلم في المصدر السابق ( ١٠١/٤ ) بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام " وهناك أدلة أخرى كثيرة - يمكن الإطلاع عليها في كتاب القراءة خلف الإمام للبيهقي .

واستدل الأحناف على مذهبهم بقوله تعالى ( فاقروا ما تيسر من القرآن ) غير صحيح لأن المراد بالقراءة هنا الصلاة وإن سلمنا أن المراد به القراءة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد عين هذا المصطلح بقوله " لا صلاة الا بفاتحة الكتاب " .

راجع للتفصيل : المجموع للنووي ( ٢٦٠/١ ) وفتح الباري ( ٢٤٢/٢ ) والمفني لابن قدامة : ٤٨٥/١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١٨٨٣/٤ ، وتفسير القرطبي ٥٧/١٩ ، وروح المعاني ١١٢/٢٩ - ١١٣ .

وقوله ( علم أن سيكون منكم مرضى ) أى ذو مرض ، وقوله ( وآخرون يضربسون  
 فى الأرض يبتغون من فضل الله ) أى التجار وسائر المسافرين . وقوله ( وآخرون  
 يقاتلون فى سبيل الله ) أى الغزاة والكل بيان وجوه المشقة فى قيام الليل .<sup>(١)</sup>  
 وقوله ( وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ) أى الصلوات الخمس المفروضة ، وقيل  
 بأن الزكاة هاهنا زكاة الرووس ، وهو زكاة الفطرة<sup>(٢)</sup> . وقوله ( وأقرضوا الله قرضاً حسناً )<sup>(٣)</sup>

( ١ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ٥٥ / ١٩ ) " قوله تعالى ( علم أن سيكون منكم مرضى )  
 الآية بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل ، فإن الخلق منهم المريض ويشق عليهم  
 قيام الليل ، ويشق عليهم أن تفوتهم الصلاة والمسافر فى التجارات قد لا يطيق  
 قيام الليل ، والمجاهد كذلك ، فخفف الله عن الكل لأجل هؤلاء .

وقال أيضا : سوى الله تعالى فى هذه الآية بين درجة المجاهد بين والمكتسبين  
 المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان والإفضال ، فكان هذا دليلاً  
 على أن كسب المال بمنزلة الجهاد ، لأنه جمعه مع الجهاد فى سبيل الله .

ثم أورد بعض الأحاديث والآثار التى تدل على فضل التجارة . انظر  
 أيضا تفسير الماوردي ٣٣٩ / ٤ .

( ٢ ) هكذا ذكر أكثر المفسرين . انظر تفسير الماوردي ( ٣٣٩ / ٤ ) وزاد المسير  
 ( ٣٩٦ / ٨ ) والكشاف ( ٦٤٤ / ٤ ) ، وتفسير القرطبي ( ٥٨ / ١٩ ) .

( ٣ ) هو قول الحارث المكلبي ، وقال ذلك لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك .  
 وقيل : إنها زكاة الأموال . قاله عكرمة وقتادة . وعندهما آخر السورة مدنى .  
 وقيل : صدقة التطوع . وقيل : كل أفعال الخير .  
 وقال ابن عباس : طاعة الله والإخلاص له .

انظر المصادر السابقة - وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٣٩ / ٤ ) " وقوله  
 تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " أى : أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم ،  
 وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا دليل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة ، لكن مقادير  
 النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة ، وهذا الذى تميل إليه نفسى ، وقد قال  
 بذلك أبو حيان فى البحر المحيط ( ٣٦٧ / ٨ ) قال : قوله ( وآتوا الزكاة  
 أمر بأداء الواجب ) .

قد ذكرنا من قبل<sup>(١)</sup> وقيل : هو جميع النوافل ووجوه الصلاة<sup>(٢)</sup> .

وقيل : هو قوله " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر<sup>(٣)</sup> " .  
ويقال : انه النفقة على الأهل<sup>(٤)</sup> وقوله ( وما تقدوا لانفسكم من خير تجدوه عند  
الله ) أى ثوابه عند الله يوم القيامة<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) قال المؤلف في سورة الحديد الآية ١٨ : قال الزجاج : العرب تقول : كل من  
فعل فعلاً حسناً قد أقربى . قال الشاعر :  
إذا جوزيت قرضاً فاقضيه  
إنما يجزى الفتى ليس إلا بسـ  
فمعنى الآية على هذا : من الذى يفعل فعلاً حسناً فيجازيه الله بذلك - وهو  
على العموم . انظر ( ٢ / ق / ٢٥٩ / ١ ) وهذا أحد الأقوال الخمسة التى ذكرها  
الماوردى فى تفسيره ( ٣٣٩ / ٤ ) . فإنه قال فى الوجه الخامس : إنه أمر بفعل  
جميع الطاعات التى يستحق عليها الثواب ، وذكره الرازى فى تفسيره ( ١٨٨ / ٣٠ )  
قال : يريد كل شىء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال .

( ٢ ) هو قول ابن زيد - فإنه قال كما ذكر عنه الماوردى فى المصدر السابق : أنه  
النوافل بعد الغروى .

( ٣ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٣٩ / ٤ ) وعزاه الى ابن حبان .

( ٤ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٣٩ / ٤ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٥٨ / ١٩ ) من قول  
زيد بن أسلم .

وهناك قول آخر ذكره كل منهما عن عمر بن الخطاب : وهو النفقة فى سبيل الله \*  
وذكر الرازى فى تفسيره ( ١٨٨ - ١٨٧ / ٣٠ ) ثلاثة أقوال - أحدها هو ما تقدم  
أى أن المراد كل شىء يفعل من الخير ، والثانى : المراد سائر الصدقات ،  
والثالث : المراد أداء الزكاة على أحسن وجه ، وهو إخراجها من أطيب الأموال  
وأكثرها نفعاً للفقراء ، ونذهب أبوحيان إلى اختيار القول بأن المراد من الآية  
الصدقات التى يتطوع بها ، وأما قوله تعالى " وآتوا الزكاة " فالمراد منه الزكاة  
المفروضة .

ويظهر لى أن المراد من القربى المحسن هو كل ما قصد به وجه الله تعالى  
خالصاً من المال الطيب ، كذا ذكر الزمخشورى فى الكشاف ( ٦٤٤ / ٤ ) ،  
والقرطبى فى تفسيره ( ٥٨ / ١٩ ) .

( ٥ ) قال الماوردى فى تفسيره ( ٣٤٠ / ٤ ) ( تجدوه عند الله ) يعنى تجدوا ثوابه  
عند الله ( هو خيراً ) يعنى مما أعطيتهم وفعلتم .

انظراً أيضاً تفسير البغوى ١٧١ / ٧ ، وزاد الصير ٣٩٦ / ٨ ، وتفسير القرطبى



وقوله ( هو خيراً وأعظم )<sup>(١)</sup> نسيبه على أنه مفعول ثان من تجدوه وقيل : ( وهو )

فصل كلام ذكره الأزهري .<sup>(٢)</sup>

(١) نقل في تفسير قوله تعالى ( وأعظم أجراً ) عن أبي هريرة أنه قال : الجنة ، وقيل : يحتمل أن يكون أعظم أجراً لإعطائه بالحسنة عشرأ . انظر تفسير الماوردي ٣٤٠ / ٤ وتفسير القرطبي ٥٩ / ١٩ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح أبو منصور الأزهري اللخمي الأديب الهروي الشافعي ، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين . قال الذهبي : وكان رأساً في اللغة والفقه ، ثقة ، ثبتاً ، ديناً . وقال السيوطي : وكان عارفاً بالحديث ، عالمي الأسناد ، شخين الورع ، وله كتاب تهذيب اللغة ، وكتاب التفسير ، وكتاب تفسير ألفاظ مختصر المزني ، وغيرها من المؤلفات . توفي سنة سبعين وثلاث مائة . سير أعلام النبلاء ٣١٥ / ١٦ - ٣١٧ ، بغية الوعاة ١٩ / ١ - ٢٠ ، طبقات المفسرين ٦٥ / ٢ - ٦٧ .

وأما كلامه هذا فلم أهتمد إلى محله .

وقد ذكره مكى بن أبى طالب في شكل اعراب القرآن ( ٤٢٢ / ٢ ) فقال : قوله تعالى ( هو خيراً ) نصب على أنه مفعول ثان ل ( تجدوه ) و ( هو ) فاعلة لا موضع لها من الاعراب . وينسوه ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٦٤٤ / ٤ ) وقال : وجازوا لم يقع بين معرفتين ، لأن ( أفعل من ) أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة .

ونقل ذلك أبو حيان في لبحر المحيط ( ٣٦٧ / ٨ ) وقال : وليس ما ذكر متفقاً عليه ومنهم من أجازة ، وليس أفعل من أحكام الفصل ومسائله والخلاف الوارد فيها كثير جداً . ثم انه قد ذكر عن بعض المفسرين في ذلك وجهين آخرين أحدهما : أنه بدل ، والثاني : أنه تأكيد . ورد القول بالبدلية وهم قائله لأنه لو كان بدلاً لطابق في النصب فكان يكون آياه .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٥٩ / ١٩ ) : " ونصب " خيراً وأعظم " على المفعول الثاني ل " تجدوه " و ( هو ) فصل عند البصريين ، وعماد في قول الكوفيين ، لا محل له من الاعراب .

هذا وقد قرئ في غير قراءة الجمهور ( هو خير وأعظم ) يرفعها على الإبتداء والخبر ، وقيل : هو لفظة بنى تميم يرفعون ما بعد الفاعلة . انظر الكشاف ٦٤٤ / ٤ والبحر المحيط ٣٦٧ / ٨ ، وروح المعاني ١١٤ / ٢٩ ، ويبدو أن القول بالفصل هو الراجح لاتفاق أكثر المفسرين عليه .

وقوله ( اعظم أجراً ) معطوف على الأول وقوله ( واستغفروا لله  
ان الله غفور رحيم ) ظاهر المعنى والله أعلم . (١)

---

(١) قال القرطبي : " استغفروا لله " أى سلوه المغفرة لذنوبكم " ان الله  
غفور " لما كان قبل التوبة " رحيم " لكم بعدها . قاله سعيد بن جبير .  
تفسير القرطبي ٥٩ / ١٩ ، انظر أيضاً تفسير الماوردي ٤ / ٣٤٠ .

## تفسير سورة المدثر

وهي مكية (١) وذكر جابر بن عبد الله (٢) أنها أول سورة أنزلت من القرآن (٣)، وروى أن

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣٩٨/٩) "وهي مكية بإجماعهم، وقال مقاتل: فيها من المدني آية وهي قوله تعالى (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة) وذكر الماوردي في تفسيره . والقوطبي في تفسيره (٥٩/١٩) أن السورة مكية في قول الجميع - ونقل أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٠/٨) عن ابن عطية أنها مكية بإجماع وهذا هو الصواب لأن عليه أكثر المفسرين . انظر أيضا دلائل النبوة للبيهقي (١٤٢/٧) وتفسير البغوي ١٢٢/٧ ، والكشاف ٦٤٤/٤ وتفسير الرازي ١٨٩/٣٠ ، وتفسير النسفي ٢٨٥/٥ ، وتفسير ابن كثير ٤٤٠/٤ .

(٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد ، أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة . قال الحافظ في التقریب (ص ٥٢) صحابي ابن صحابي غزا تسع عشرة غزوة ، ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن ٩٤ . انظر أيضا الاصابة ٢١٣/١ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦٧٧/٨ رقم ٤٩٠٤) بسنده عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : يا أيها المدثر - فقلت : أنبئت أنه ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) فقال أبو سلمة : سألت جابرا ابن عبد الله : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : يا أيها المدثر ، فقلت : أنبئت أنه ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) فقال : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . الحديث .

وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٤٠/٤) وقال : "وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) ... وسيأتي الكلام عليه والجمع بين القولين قريبا .

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراً<sup>(١)</sup> شهراً ، فلما نزلت واستبطنت الوادى فنوديت يا محمد فنظرت من قدامى و خلفى ويمينى وشمالى ، فلم أر أحداً فنوديت ثم نوديت فرفعت رأسى ، فإذا هو فى الفرس فى الهوا<sup>(٢)</sup> يعنى جبريل عليه السلام فجئت منه فرقاً فرجعت إلى البيت وقلت : زطونى . دشرونى ، وفى رواية : صبا عليّ ماء بارداً ثم جاءنى جبريل فقال : ( يا أيها المدثر قم فأندر ) .

ومن المعروف : أن أول ما نزل من القرآن سورة ( اقـــــــرأ ) .

( ١ ) حرا<sup>١</sup> : بالكسر والتخفيف والمد : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال ، وهو معروف ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه الوحي : يتعبد فى غار من هذا الجبل ، وفيه أتاه جبرائيل عليه السلام ، انظر معجم البلدان ٢/٢٣٣ .

( ٢ ) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الوحي ( ١ / ٢٧ رقم ٤ ) وكتاب التفسير ( ٦٧٦ / ٨ - ٦٧٩ - أرقام ٤٩٢٢ - ٤٩٢٦ ) ومسلم فى صحيحه ( ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٩ ) كتاب الايمان باب بدء الوحي . والترمذى فى سننه كتاب التفسير ، باب سورة المدثر ٥ / ٤٢٨ رقم ٣٣٢٥ ) والامام أحمد فى مسنده ( ٣ / ٣٧٧ ، ٣٩٢ ) من طرق كلها عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله ، وأخرجه أيضا غير واحد من المحدثين والمفسرين ، وذكره فى سبب النزول للسورة .

انظر تفسير البغوى ٧ / ١٧٢ ، وتفسير الطبرى ٢٩ / ١٤٣ ، وأسباب النزول للواحدى ( ص ٣٢٩ ) والصحيح المسند من أسباب النمول لمقبل بسن هادى ( ص ١٦٦ - ١٦٧ ) .

( ٣ ) ذكر هذا القول ابن كثير فى تفسيره ( ٤ / ٤٤٠ ) وعزاه إلى الجمهور . وذكره السيوطى فى الاتقان ( ١ / ٢٤ ) وقال : هو الصحيح .

واستدل عليه بأحاديث منها ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث عائشة الطويل . وقد ورد فيه " فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارى " ، قال : فأخذنى ففطنتى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ قلت : ما أنا بقارى ، فأخذنى ففطنتى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ : فقلت : ما أنا بقارى ، فأخذنى ففطنتى الثالثة ثم أرسلنى فقال : ( اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ) . . . الحديث .

أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الوحي ( ١ / ٢٣ رقم ٣ ) ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويبين من بعد (١) ، ويمكن الجمع بين الروايتين فيقال : ان سورة ( اقرأ ) أول ما نزل من القرآن حين بدأ بالوحي ، وسورة المدثر أول ما نزل بعد فتور الوحي .  
( ٢ )

( ١ ) في أول سورة المعلق ( ص ٩٣٠ ) .

ويأتي ذكر اختلاف المفسرين في أول ما نزل من القرآن ان شاء الله .

( ٢ ) أورد السيوطي في المصدر السابق له أثناء ذكره لأقوال المفسرين في أول ما نزل من القرآن - هذا القول ( أى أن سورة المدثر هي أول ما نزل من القرآن ) وذكر حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما من رواية الشيخين ، ثم أجاب عنسه بأجوبة - منها ما ذكره المؤلف وهو أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة .

وذكر أربعة أجوبة أخرى : أحدها أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة . فبين أن سورة المدثر نزلت بكاملها قبل نزول تمام سورة ( اقرأ ) فإنها أول ما نزل منها صدرها . فقد ورد في بعض الروايات لحديث جابر بن عبد الله وسيأتي ذكره قريباً " فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض " الحديث - فهو يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التى نزل فيها ( اقرأ باسم ربك ) .

والثانى : أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالانذار ، وعبر بعضهم عن هذا بقوله " أول ما نزل للنبوة ( اقرأ باسم ربك ) . وأول ما نزل للرسالة ( يا أيها المدثر ) .

والثالث : أن المراد أول ما نزل بسبب مقدم ، وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب ، وأما ( اقرأ ) فنزلت ابتداءً بغير سبب مقدم ، ذكره ابن حجر .

والرابع : أن جابراً استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته فيتقدم عليه ما روته عائشة - قاله الكرمانى وذكر السيوطى أن أحسن هذه الأجوبة الأول والأخير . الاتقان ١/٣٤ - ٣٥ ، انظر أيضاً فتح البارى ٨/٦٢٨ ، وروح المعانى ٢٩/١١٥ ، وتفسير الخازن ٨/١٧٢ - ١٧٣ ، ومناهل العرفان ( ١/٩٤ - ٩٥ ) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( يا أيها المدثر ) معناه : يا أيها المدثر مثل قوله يا أيها  
المزمل أي المتزمل<sup>(١)</sup> والفرق بين الشعار والدثار أن الشعار : هو الثوب الذي يلبس  
جلد الانسان<sup>(٢)</sup> ، والدثار : هو الثوب الذي فوق ذلك<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) المدثر مثل المزمل يعنى فى المعنى وما وقع فيه من ادغام - وقد تقدم التفصيل فى ذلك فى أول سورة المزمل - فالمدثر : أصله المدثر - ثم ادغمت التاء فى الدال لتقارب مخرجهما . انظر زاد المسير ٣٩٩/٨ ، وتفسير الرازى ١٨٩/٣٠ ، وأما معناه فذكر فيه الطاوردى فى تفسيره ( ٣٤١/٤ ) قولين أحدهما : يا أيها المدثر بشيابه ، قاله قتادة . الثانى - بالنبوة وأثقالها ، قاله عكرمة . انظر أيضا تفسير الطبرى ١٤٢/٢٩ ، ١٤٤ ، وزاد المسير ٣٩٩/٨ . وذكر ابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٨٨٥/٤ ) القول الثانى وقال : هذا مجاز بعيد ، لأنه لم يكن نبياً إلا بعد ، على أنها أول القرآن ، ولم يكن تمكن منها بعد أن كانت ثانى منازل . ثم ذكر أن هذه ملاطفة من الكريم إلى الحبيب ناداه بحاله ، وعبر عنه بصفته - ومثله قول النبى صلى الله عليه وسلم لمعلى رضى الله عنه قم أبا تراب . وقوله لحذيفة يوم الخندق : قم يا نومان - وقال الرازى فى تفسيره ( ١٨٩/٣٠ ) " أجمعوا على أن المدثر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واختلفوا فى أنه عليه الصلاة والسلام لم سمي مدثراً ، فمنهم من أجراه على ظاهره وهو أنه كان مدثراً بثوبه ، ومنهم من ترك هذا الظاهر .

أما على الوجه الأول فاختلّفوا فى أنه لآى سبب تدثر بثوبه على وجهه - ثم ذكر ثلاثة أوجه . أحدها هو ما تقدم فى حديث جابر بن عبد الله أنه قال " دثرونى دثرونى " . والثانى : أنه لما سمع من قريش ما كرهه فاعتصم ، فتغطى بثوبه مفسراً كما يفعل المغموم فأنزل الله تعالى ( يا أيها المدثر ، قم فأندر ) . والثالث : أنه عليه الصلاة والسلام كان نائماً مدثراً بشيابه فجاءه جبريل عليه السلام وأيقظه وقال ( يا أيها المدثر ، قم فأندر ) .

وعلى القول الثانى أيضاً ذكر ثلاثة أوجه . أحدها هو ما تقدم عن عكرمة . وهو أن العراء كونه مدثراً بدثار النبوة والرسالة . والثانى أن المدثر بالشوب يكون كالمختفى فيه ، وأنه عليه الصلاة والسلام فى جبل حراء كان كالمختفى من الناس ، فكانه قيل : يا أيها المدثر بدثار الخمول والإختفاء قم بهذا الأمر . والثالث : أنه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل له : يا أيها المدثر بلا ثوب العليم المظنون الخلق الكريم . . . والصواب من هذه الأقوال كلها هو ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وقد تقدم ذكره ، وعليه أكسرو المفسرين .

( ٢ ) انظر الصحاح للجوهري ( ٦٩٩/٢ ) ولسان العرب ( ٤١٢/٤ ) .

( ٣ ) انظر المصدرين السابقين .

وقد روى معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الطمك الذي جاءني بحراً جالس بين السماء والأرض فجثت منه رعباً ، فرجعت وقلت : زملوني دشروني ، فأنزل الله تعالى ( يا أيها المدثر ) وهذا خبر متفق على صحته .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) هو معمر بن راشد الأزدي الحداني مولاهم أبو عروة بن أبي عمرو البصري ، نزيل اليمن . تقد مترجمته في صفحة ( ٣١ )

( ٢ ) هو محمد بن مسلم بن عبید الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث تقدمت ترجمته -

في صفحة ( ٣١ )

( ٣ ) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الأزهرى الطدني ، قيل : اسمه عبد الله ، وقيل اسماعيل - ثقة مكثر . من الثالثة مات سنة أربع وتسعين ، وكان مولده سنة بضع وعشرين . تقريب التهذيب ( ص ٤٠٩ ) .

( ٤ ) في بعض الروايات ( جثت ) .

قال ابن الأثير في النهاية ( ٢٣٢/١ ) : في حديث الميمت " فجثت منه فرقاً " أي نعتت وخفت . يقال : جثت الرجل ، وجثف وجث : إذا فرغ .

( ٥ ) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب ( وثيابك فطهر ) ( ٦٧٨/٨ ) .

رقم ( ٤٩٢٥ ) .

ومسلم في صحيحه كتاب الايمان ، باب بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ٢٠٦/٢ ) .

والترمذي في سننه كتاب التفسير ، باب من سورة المدثر ( ٤٢٨/٥ رقم ٢٣٢٥ ) ، والامام أحمد في مسنده ( ٢٧٧/٣ ) وعبد الرزاق في المصنف ( ٣٢٤/٥ ) .

كلهم من طريق معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله - بنحوه . وللحديث طرق أخرى غير هذا الطريق ، وقد تقدمت الاشارة اليها في

صفحة ( ١٣٣ ) -

قال رضى الله عنه : أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد<sup>(١)</sup> أخبرنا  
 أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار<sup>(٢)</sup> أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافر<sup>(٣)</sup> ،  
 أخبرنا اسحق بن ابراهيم الدبري<sup>(٤)</sup> ، أخبرنا عبد الرزاق<sup>(٥)</sup> عن معمر الخبير - قوله  
 تعالى ( قم فأنذر ) قال أبو الحسين بن فارس : القيام فى لفظة العرب على وجهين :

( ١ ) لم أهتد الى ترجمته .

( ٢ ) ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد ( ١١ / ٤٢ ) فقال : " عبد الصمد بن عبد الرحمن  
 أبو سهل الفقيه المروزي ، قدم بغداد حاجاً وحدث بها عن الحسين بن الحسن  
 النضرى ، ومحمد بن زكريا العذافر - أما النضرى فيروى عن عباس الدورى ، وأما  
 العذافر فيروى عن اسحاق بن ابراهيم الدبري وعلى بن عبد العزيز البغوى . ولم  
 يذكر فيه جرحاً ولا تعدىلاً .

( ٣ ) ذكره السمعاني فى الأنساب ( ٩ / ٢٦٠ ) قال : " وهو أبو بكر محمد بن زكريا بن  
 عذافر المؤدب السرخسى ، شيخ من المراوزة أصله من كور سرخس ، سمع بمرو  
 أيوب بن غسان وأبا الموجه وبالمراق أبا سلم الكجى ، وباليمن اسحاق بن ابراهيم  
 الدبري روى عنه أبو العباس أحمد بن سعيد المعدانى وأبو سعيد الكرابيسى  
 وأبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار المذكور .  
 وقال : توفى العذافر قريباً من الأربعين والثلاثمائة " ولم يذكر فيه جرحاً ولا  
 تعدىلاً .

( ٤ ) هو اسحاق بن ابراهيم بن عباد الدبري أبو يعقوب الصنعاني صاحب عبد الرزاق .  
 قال ابن عدى : استصفر فى عبد الرزاق ، أحضره أبوه عنده وهو صغير جداً ،  
 وقال الذهبى : ما كان الرجل صاحب حديث ، وإنما أسمعه أبوه واعتنى بسنه ،  
 سمع من عبد الرزاق تصانيفه ، وهو ابن سبع سنين أو نحوها . ولكن روى عن  
 عبد الرزاق أحاديث منكورة ، فوقع التردد فيها . هل هى منه فانفرد بها أو هى  
 معروفة مما تفرد به عبد الرزاق . وقد احتج بالدبري أبو عوانة فى صحيحه وغيره ،  
 وأكثر عنه الطبرانى وقال الدارقطنى فى رواية الحاكم : صدوق ما رأيت فيه خلافاً  
 إنما قيل : لم يكن من رجال هذا الشأن .

قلت : ويدخل فى الصحيح ؟ قال : أى والله - توفى سنة خمس وثمانين ومائتين .  
 الكامل لابن عدى ٣٨ / ١ ، ميزان الاعتدال ١٨٣ / ١ لسان الميزان ١ / ٣٤٩ .

( ٥ ) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى مولى همام أبي بكر الصنعاني ثقة حافظ مصنف  
 شهير ، عمى فى آخره ، فتغير وكان يتشيع من التاسعة مات سنة احدى عشرة ولسه  
 خمس وثمانون . تقريب التهذيب ص ٢١٣ .

( ٦ ) هو الامام العلامة اللغوى المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن  
 حبيب القزوينى المعروف بالرازى المالكى ، نزيل همدان ، صاحب كتاب المجمل ومجم  
 مقاييس اللغة ، قال فيه الذهبى : وكان رأساً فى الأدب ، بصيراً بفقهاء مالك ، مناظراً  
 متكماً على طريقة أهل الحق ، ومذهبه فى النحو على طريقة الكوفيين ، جمع اتقان  
 العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر . توفى سنة خمس وتسعين وثلاث مائة ، انظر  
 سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٠٣ - ١٠٤ وأيضاً الديباج المذهب ( ١ / ٦٣ - ١٦٥ )  
 وطبقات المفسرين ( ١ / ٦٠ - ٦١ ) .



قيام جد وعزم ، وقيام انتصاب ، فقيام الانتصاب معلوم ، وقيام الجد والعزم فهو مثل  
قول الشاعر : قد رضينا فقم فسمه (٢)  
قاله لبعض الخلفاء في بعض ولاية العهد : - وقال الضحاك : كان النبي صلى  
الله عليه وسلم نايماً فنزل ( يا أيها المدثر ) أي التائم ( قمأنذر ) أي قم من  
النوم وأنذر الناس . (٤)

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ( ٤٣/٥ ) - وذكر هذين المعنيين الزمخشري في  
الكشاف ( ٦٤٥/٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٠/٣٠ ) ، والنسفي في تفسيره  
٠ ( ٢٨٥/٥ )

(٢) لم أعرف، قلته ، وكذا لم أهتمد الى محله في المصادر الأخرى .

(٣) ذكر الرازي في تفسيره ( ١٨٩/٣٠ ) عند هذه الآية أيضاً إجماع المفسرين على  
أن المراد من المدثر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما سبب تسميته  
بالمدثر فذكر فيه أيضاً وجهين كما ذكرهما في تسميته بالمزمل ، أحدهما :  
أنه على ظاهره ، وهو أنه كان متدثراً بثوبه ، والثاني : أنه على المجاز ، ثم  
اختلف القاطنون بأنه على ظاهره في سبب تدثره بالثوب : وكذلك اختلف  
القاطنون بأنه على المجاز في معناه ، وذكر في كل منهما ثلاثة أقوال ، وقد  
تقدم ذكرها في أول سورة المزمل - فانظر ( ص ٧٥ ) .

(٤) قال الماوردي في تفسيره ( ٣٤١/٤ ) " ويحتمل هذا الإنذار وجهين  
أحدهما : اعلامهم بنبوته لأنه مقدمة الرسالة ، الثاني : دعاؤهم الى التوحيد  
لأنه المقصود بها ، وقال القرطبي في تفسيره ( ٦١/١٩ ) " أي خوف أهل  
مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا . ثم ذكر الوجهين السابقين عن الماوردي  
وزاد عليهما وجهاً آخر فقال : قال الفراء : قم فصل وأمر بالصلاة " اهـ . انظر  
أيضاً معاني القرآن ( ٢٠٠/٣ ) وأكثر المفسرين يخصصون الإنذار بكفار مكة  
فيقولون : حذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا - أو أنذر كفار مكة .  
انظر تفسير البغوي ١٧٣/٧ ، وزاد الميسر ٤٠٠/٨ ، وتفسير الرازي ١٩٠/٣٠ .  
والصواب أنه عام ، وعليه فسر المؤلف الآية بقوله " قم من النوم وأنذر الناس " .  
ولم يقل : كفار مكة أو قومك .  
قال الزمخشري في الكشاف ( ٦٤٥/٤ ) " والصحيح أن المعنى : فافعل  
الإنذار من غير تخصيص له بأحد " وقال أبو حيان في البحر المحيظ ( ٣٧٠/٨ ) .  
" والإنذار عام بجميع الناس وبعثه إلى الخلق " .

وقوله ( وربك فكبر ) أى عظمته ، ودخلت الفاء بمعنى جواب الجسراء (٢)

( ١ ) هكذا فسره غير واحد من المفسرين . فإنهم قالوا \* أى عظمه عما يقوله عبدة الأوثان \* .

انظر تفسير البغوى ( ١٧٣ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٠٠ / ٨ ) وتفسير السراى ( ١٩٠ / ٣٠ ) وعزاه إلى الكلبى ، وتفسير الخازن ( ١٧٣ / ٧ ) ، وانظر أيضا تفسير ابن كثير ( ٤٤٠ / ٤ ) .

ونقل الرازى فى تفسير التكبير وجوهاً أخرى ، منها ما ذكره المؤلف وهو أن يقول : الله أكبر - وعزاه إلى مقاتل - ومنها : أن المراد منه التكبير فى الصلوات ، وقال : فإن قيل : هذه السورة نزلت فى أول البعث وما كانت الصلاة واجبة فى ذلك الوقت ؟ قلنا : لا يبعد أنه كانت له عليه السلام صلوات تطوعية فأمر أن يكبره فيها . وذكر وجهين آخرين . انظر تفسيره ( ١٩١ / ٣٠ ) وقال الزمخشرى فى الكشاف ( ٦٤٥ / ٤ ) ( وربك فكبر ) واختص ربك بالتكبير ، وهو الوصف بالكبرياء . وأن يقال : الله أكبر ، ويروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر . فكبرت خديجة وفرحت ، وأيقنت أنه الوهى . وقد يحمل على تكبير الصلاة \* ١ هـ .

وقال ابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٨٨٦ / ٤ ) \* التكبير هو التعظيم ، ومعناه ذكر الله بأعظم صفاته بالقلب ، والشأن عليه باللسان بأقصى غايات المدح والبيان ، والخضوع له بنهاية العبادة كالسجود له ذلة وخضوعاً . ثم قال : هذا القول وإن كان يقتضى بعمومه تكبير الصلاة فإنه مراد به التكبير والتقدير والتنزيه بخلق الأنداد والأصنام دونه ، ولا تتخذ ولياً غيره ، ولا تمبد ولا ترى لغيره فعلاً إلا له ولا نعمة إلا منه ، لأنه لم تكن صلاة عند نزولها وإنما كان ابتداء التوحيد \* ١ هـ . وهذا الذى يبد وأن الراجح من تلك الأقوال .

( ٢ ) ذكر هذا التوجيه الرازى فى تفسيره ( ١٩١ / ٣٠ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ٦٢ ) وعزاه كل منهما إلى الزجاج والمعنى على هذا القول : \* قم فكبر ربك \* وهكذا ما بعده وذكرنا فى ذلك وجهاً آخر وهو أن الفاء زائدة . وهو مثل قولك زيدا فاضرب ، أى زيدا اضرب . عزاه الرازى إلى أبى الفتح الموصلى وعزاه القرطبى إلى ابن جنى وهناك وجه ثالث ذكر الزمخشرى فى الكشاف ( ٦٤٥ / ٤ ) فقال : ودخلت الفاء لمعنى الشرط ، كأنه قيل : وما كان فلا تدع تكبيره . ذكره أبوحيان فى البحر المحيط ( ٣٧٠ / ٨ - ٣٧١ ) وقال : وهو قريب مما قدره النحاة فى قولك ( زيدا فاضرب ) قالوا : تقديره : تنبه فاضرب زيدا فالفاء هى جواب الأمر ، وهذا الأمر إما مضمن معنى الشرط ، وإما الشرط بعبءه محذوف على الخلاف الذى فيه عند النحاة \* ١ هـ . وعليه فالفاء ليست زائدة وهو الصواب .

وقيل : ( ربك فكبر ) أى قل : الله أكبر<sup>(١)</sup> وقوله ( وشيايبك فطهر )  
قال مجاهد وقتادة : معناه لا تلبسها على غدر وفجور .  
( ٢ )

( ١ ) ذكره الرازي فى تفسيره ( ١٩١ / ٣٠ ) عن مقاتل . وقال مقاتل فى تفسيره  
( ق ٢٧٤ / ب ) : " وربك فكبر " : يعنى فعظّم ، ولا يعظمن كفسار  
مكة فى نفسك فقام من مضجعه ذلك ، فقال : الله أكبر كبيراً ، فكبرت خديجة .

( ٢ ) هذا الذى ذكره المؤلف عن مجاهد وقتادة روى عن ابن عباس ومالك بن أنس  
وعكرمة والنضحاك ، ولم أجد من ذكره عن مجاهد وقتادة . أما عن ابن عباس  
فقد رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٤٥ / ٢٩ ) بسنده عن الأجلح عن عكرمة عن  
ابن عباس قال : أتاه رجل وأنا جالس فقال : أرايت قول الله وشيايبك فطهر  
قال : لا تلبسها على معصية ولا على غدر ، ثم قال : أما سمعت قول غيلان  
ابن سلمة الشقفي .  
وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَأَشُوبُ فَأَجْرُ لَبِستُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ اتَّقَنَسْتُ  
وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٨١ / ٦ ) وعزاه إلى سعيد بن منصور  
وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وغيرهم .

أما عن مالك بن أنس فقد ذكره ابن العربى فى تفسيره ( ١٨٨٧ / ٤ ) قال :  
وقد روى عبد الله بن نافع عن أبى بكر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن  
الخطاب عن مالك بن أنس فى قوله تعالى " وشيايبك فطهر " أى لا تلبسها على  
غدر .  
انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٦٤ / ١٩ ) .

وأما عن عكرمة والنضحاك فرواه عنهما ابن جرير فى تفسيره ( ١٤٥ / ٢٩ ) ،  
( ١٤٦ ) ، انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٦٥ / ١٩ ) ، وذكره البغوى فى تفسيره  
( ١٧٣ / ٧ ) عن أبى بن كعب أيضا .

وأما مجاهد فروى عنه ابن جرير فى تفسيره ( ١٤٦ / ٢٩ ) بلفظ " عطاك  
فأصلح " ولفظ " لستبكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا " وذكر عنه السيوطى  
فى الدر المنثور ( ٢٨١ / ٦ ) أنه قال : " ليس ثيابه الذى يلبس " وعزاه إلى عبد  
ابن حميد ، وأما قتادة فروى عنه ابن جرير فى تفسيره ( ١٤٥ / ٢٩ ) بسند حسن .  
فقال فى إحدى الروايتين : " طهرها من المعاصي ، فكانت العرب تسمى الرجل  
إذا نكسك ولم يف بعهد أنه نيس الثياب وإذا وفى وأصلح قالوا : مطهر الثياب .  
وذكر البغوى فى تفسيره ( ١٧٣ / ٧ ) ، وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٠٠ / ٨ )  
عن مجاهد وقتادة أنهما قالا : طهر نفسك من الذنب ، فكفى عن النفس  
بالثوب .

وقال السدى : وعملك فأصلح<sup>(١)</sup> ، وقال الشاعر<sup>(٢)</sup> في القول الأول : واني يحمد الله  
لا ثوبَ فأجرٍ - ليهنتُ ولا منْ غَدْرَةٍ اتَّقنُ<sup>(٣)</sup> . وقال السدى : تقول العرب فلان نقى  
الشياب إذا كانت أعماله سالحة ، وفلان دنس الشياب إذا كانت أعماله خبيثة ، وقيل :  
شيابك فظهر : أى قلبك فأصلح<sup>(٤)</sup> .

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٦/٢٩) وأورده الماوردي في تفسيره  
(٣٤١/٤) من قول مجاهد ، وذكره البغوي في تفسيره (١٧٣/٧) وابن الجوزي  
في زاد المسير (٤٠١/٨) عن الضحاك ، وأورده أبو حيان في البحر المحيط  
(٣٧١/٨) فقال : قيل كناية عن طهارة العمل ، المعنى : وعملك فأصلح  
قاله مجاهد وابن زيد ، ثم قال : ونحو هذا عن السدى وقال الألويسي في  
روح المعاني (١١٧/٢٩) بعد أن ذكره عن مجاهد : ونحوه عن السدى .

(٢) هو غيلان بن سلمة الثقفي كما ورد بالتصريح به في المصادر الآتية .

(٣) البيت في تفسير الطبري (١٤٦/٢٩) وتفسير الثعلبي (١/٢٠٥/١٢) وتفسير  
الماوردي (٣٤١/٤) ، وتفسير البغوي (٣٧٣/٧) ، وزاد المسير (٤٠٠/٨) ،  
وتفسير القرطبي (٦٣/١٩) ، والبحر المحيط (٣٧١/٨) ، وتفسير ابن كثير  
(٤٤١/٤) ، وأغلبهم نسبوه إلى غيلان .

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في تفسيره (١/٢٠٥/١٢) والبغوي في تفسيره (١٧٣/٧)  
من قول السدى وذكره القرطبي في تفسيره (٦٣/١٩) من قول أبي رزین وقال :  
ونحوه عن السدى ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣٧١/٨) من قول ابن زيد . قال :  
قال ابن زيد : إذا كان الرجل خبيث العمل قالوا : فلان خبيث الشياب وإذا كان حسن العمل قالوا :  
فلان طاهر الشياب . ثم قال : ونحو هذا عن السدى - وما جاء عند ابن حبان  
من ذكر ابن زيد لعله خطأ والصواب ما عند القرطبي أى أنه من قول أبي رزین  
وقد رواه ابن جرير في تفسيره (١٤٦/٢٩) من قول أبي رزین ١٥٦ .

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (١٧٣/٧) من قول سعيد بن جبير وابن الجوزي  
في زاد المسير (٤٠١/٨) من قول سعيد ، وذكره القرطبي في تفسيره  
(٦٣/١٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٣٨١/٨) من قول ابن عباس وسعيد بن  
جبير وذكره الماوردي في تفسيره (٣٤١/٤) دون عزو ، وقال : ولهم في الآية  
وجهان . أحدهما معناه : وقلبك فظهر من الإثم والمعاصي ، قاله ابن عباس ،  
وقتاده ، والثاني : وقلبك فظهر من الفدر ، وهذا مروى عن ابن عباس .

- (١) قال امرؤ القيس :  
فَإِنْ تَكُ قَدْ سَأَبْتُكَ مِنْي خَدِيقَةً  
فَسَلِّيْ شِيَابِي مِنْ شِيَابِكَ تَنْسَلِ (٢)
- وقال طاووس : (٣) \* وثيابك فطهر \* أي قصّر / فإن الثوب إذا طال انجر على ٨٠٢ ب  
الأرض فيصيبه ما ينجسه . (٤)
- وقال عمر في رجل يجر ثيابه : قصر من ثيابك فإنه أنقى وأبقى وأتقى . (٥)

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل الجزار أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يمانى الأصل ، مولده بنجد اشتهر بلقبه ، واختلف في اسمه ، فقيل : حَفْدَج ، وقيل : طليكة ، وقيل : عدى ، ويُعرف أيضاً بالملك الضليل ، وقد قال فيه لبيد بن ربيعة : أشعر الناس ذو القروح ، يعنى : امرأ القيس ، ويذكر في سبب وفاته أنه كسى حلة مسمومة من قبل ملك السروم ، فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتفتّر جسمه .

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٧ - ٥٦) شرح الزوزنى (٥٥ - ٦٠) والأعلام للزركلي (١١/٢ - ١٢) ومقدمة ديوانه (٥ - ٢٧) .

(٢) انظر ديوانه ص ٣٧ ، وهو في معلقته أيضا - انظر المعلقات السبع مع شرح الزوزنى ( ص ١٥ ) وقد أنشده أكثر من تقدم ذكره من المفسرين للاستدلال على أن الثياب تستعمل بمعنى القلب .

(٣) هو طاووس بن كيسان أليمانى أبو عبد الرحمن الحميرى الجندى ( يفتح الجيم والنون ) مولى بحير بن ريسان من أبناء الفرس كان ينزل الجند - وقيل اسمه ذكوان وطاوس لقب ثقة فقيه فاضل ، من الثالثة . مات سنة ست ومائة وقيل بعد ذلك . تهذيب التهذيب ٨/٥ ، تقريب التهذيب ١٥٦ .

(٤) ذكره الثعلبى في تفسيره (١٢/٢٠٥/ب) والبغوى في تفسيره (١٧٢/٧) قال : قال طاووس : وثيابك فقصر وشمر ، لأن تقصير الثياب طهرة لها - وذكره الماورى في تفسيره (٣٤٢/٤) وابن الجوزى في زاد المسير (٤٠١/٨) قال : وثيابك فقصر وشمر ، قاله طاووس . وذكره القرطبي في تفسيره (١٩/٦٥) بمثله . وزاد عليه " فإن تقصير الثياب أبعد من النجاسة ، فإذا أنجرت على الأرض لم يؤمن . أن يصيبها ما ينجسها - قاله الزجاج وطاوس .

(٥) ورد ذلك في الحديث الطويل الذى أخرجه البخارى في صحيحه كتاب المناقب - باب قصة البيعة والإتفاق على عثمان . . . (٥٩/٢ - ٦٢ رقم ٢٧٠٠) وفيه ذكر مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وورد فيه : وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدِم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، قال : وددت أنى ذلك كفاع لا على ولا لى ، فلما أدبر إذا أزاره يمس الأرض ، قال : رددوا على الملام ، قال : يا ابن أخى أرفع ثوبك ، فإنه أبقى لشوبك وأبقى لربك .

وعن ابن سيرين : فى قوله ( وثيابك فطهر ) أى اغتسلها من النجاسات<sup>(١)</sup>  
وهو قول مختار عند الفقهاء .

وذكر الزجاج : أن التطهر هو التخصير على ما ذكرنا عن طاوس<sup>(٢)</sup> وقيل :  
نساءك فاصح ، أى تزوج المؤمنات المعفيات<sup>(٣)</sup> ، وقد بينا : أن اللباس يكتفى به عن  
النساء فكذا يجوز فى الشيا<sup>(٤)</sup>ب .

( ١ ) هو قول ابن زيد أيضا ، رواه عنهما ابن جريو فى تفسيره ( ١٤٦ / ٢٩ - ١٤٧ )  
وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٤٢ / ٤ ) قال : وثيابك فطهر من النجاسات  
بالما . قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء والبغوى فى تفسيره  
( ١٧٣ / ٧ ) قال : قال ابن سيرين وابن زيد : أمر بتطهير الشيا<sup>(٤)</sup>ب من  
النجاسات التى لاتجوز الصلاة معها ، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون  
ولا يطهرون ثيابهم .

وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٠١ / ٨ ) وعزاه إليهما ، والقرطبي  
فى تفسيره ( ٦٥ / ١٩ ) وعزاه إلى ابن سيرين وابن زيد والفقهاء .

وذكره ابن العربي فى أحكام القرآن ( ١٨٨٨ / ٤ ) دون عزو إلى أحمد  
وقال : وهو ظاهر منها صحيح فيها .

( ٢ ) تقدم ذكره فى ص ( ١٤٢ )

( ٣ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٤١ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٦٤ / ١٩ ) ،  
وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٣٧١ / ٨ ) وذكروا أن من ذهب إلى أن المراد  
النساء والزوجات دليلهم قوله تعالى " هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ " سورة  
البقرة الآية ١٨٧ ، ولهم فى تأويل الآية وجهان .  
( أحدهما ) معناه : ونساءك فطهر باختيار المؤمنات المعفيات .

( الثانى ) الاستمتاع بهن فى القبل دون الدبر .  
وذكره ابن العربي فى أحكام القرآن ( ١٨٨٨ / ٤ ) وقال : " وقد أشار بعض  
الصوفية إلى أن معناه : وأهلك فطهر وهذا جائز ، فانه قد يعبر عن الأهل  
بالثياب ، قال الله تعالى ( هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ) سورة البقرة  
١٨٧ .

( ٤ ) انظر ( . . ) من القسم المحقق عند الآية المذكورة . وهذه الأقوال

التي ذكرها المؤلف هى سبعة أقوال وهناك قول آخر ذكره الثعلبى فى تفسيره  
( ١٢ / ٢٠٥ / ب ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٠١ / ٨ ) وهو " خُلِقَ كَ  
فَحَسَنٌ ، قاله الحسن والقرطبي . "

٠٠/٠٠

وأما الراجح من هذه الأقوال فذهب ابن جريو في تفسيره (١٤٧/٢٩) إلى السي  
ترجيح قول ابن سيوين وابن زيد ، ان قال بعد ذكره له " وهذا القول الذي قاله  
ابن سيوين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه " ا ه .

وكذا ذكر أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٧/٨) وذكر ابن كثير في تفسيره  
(٤٤١/٤) ترجيح ابن جريو ، فقال : وهذا القول اختاره ابن جريو ثم قال : وقد  
تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب ، فإن العرب تطلق الثياب عليه " ثم أنشد  
البيت الذي تقدم ذكره لا مرى القيس " وهكذا ذكر ابن العربي في أحكام القرآن  
(١٨٨٧/٤) ان قال : ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة  
والمجاز " .

وقد ذهب أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن (٤٧٠/٣) إلى أن الآية تدل على  
وجوب تطهير الثياب من النجاسات للصلاة ، وأنه لا تجوز الصلاة في الثوب النجس  
لأن تطهيرها لا يجزي إلا للصلاة ، ثم أورد حديثين يدل كل واحد منهما على وجوب  
التطهير من النجاسات . ثم أشار إلى بعض المعاني التي تقدم ذكرها ، وقال : هذا  
كلمة مجاز لا يجوز صرف الكلام إليه إلا بدلالة - واحتج هذا الرجل - يعنى القائل  
بالمجاز في الآية - بأنه لا يجوز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاج إلى  
أن يؤمر بفسل ثيابه من البول وما أشبهه - .

ورد على هذا الاعتراض بقوله : وهذا كلام شديد الإختلال والفساد والتناقض  
لأن في الآية أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهجر الأوثان بقوله تعالى ( والرجز فاهجر )  
ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان هاجراً للأوثان قبل النبوة وبعد ها وكان مجتنباً  
للآثام والقدرات في الحالين فإذا جاز خطابه بترك هذه الأشياء وان كان النبي صلى الله  
عليه وسلم قبل ذلك تاركاً لها فتطهير الثياب لأجل الصلاة مثله " - وحمل الآية على  
الظاهر هو الراجح في نظري . لاسيما قد اختاره ابن جريو الطبري كما تقدم ذكره .  
وبهذا فسر الزمخشري في الكشاف (٦٤٥/٤) قال : أمر بأن تكون ثيابه ظاهرة من  
النجاسات ، لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة ، لا تصح إلا بها ، وهي الأولى والأحب  
في غير الصلاة ، وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثاً - ثم ذكر الأقوال الأخرى - .

وقوله ( وَالرَّجِزَ فَاهْجُرْ ) قال مجاهد وإبراهيم (١) : معناه فاهجر أي ابعده (٢) .  
والقول الثاني (٣) في الأوثان فاهجر وهو قول معروف (٤) وقد قرئ والرجيز

(١) هو إبراهيم النخعي .

(٢) كذا في النسختين ، ويبدو أن في العبارة سقطاً ، ولعلها هكذا ( معناه :  
الإثم فاهجر أي ابعده ) لأنه هو الذي روى عن إبراهيم النخعي ، انظر  
تفسير ابن جرير الطبري (١٤٧/٢٩) وتفسير القرطبي (٦٦/١٩) والبحر  
المحيط (٣٧١/٨) وتفسير ابن كثير (٤٤١/٤) وروى هذا المعنى  
أيضاً عن ابن عباس ، انظر تفسير البغوي (١٧٤/٧) وتفسير القرطبي  
(٦٦/١٩) وزاد المسير (٤٠٣/٨) ورواه أيضاً ابن جرير في تفسيره  
(١٤٧/٢٩ - ١٤٨) عن الضحاك . انظر أيضاً تفسير ابن كثير (٤٤١/٤) .  
وذكر الماوردي في تفسيره (٣٤٢/٤) هذا القول وعزاه إلى السدي ولم أجد  
من ذكره منسوباً إلى مجاهد ، والمعروف عنه هو القول الثاني الآتي ذكره  
بعده مباشرة .

(٣) في النسختين زيادة ( في ) بعد ( القول الثاني ) ولا يظهر لها معنى .

(٤) روى هذا القول عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد وغيرهم .  
انظر تفسير الطبري (١٤٧/٢٩) وتفسير البغوي (١٧٤/٧) وتفسير  
الماوردي (٣٤٢/٤) وزاد المسير (٤٠١/٨) وتفسير القرطبي (٦٦/١٩)  
والبحر المحيط (٣٧١/٨) وتفسير ابن كثير (٤٤١/٤) ، وذكر بعضهم  
الدليل على هذا القول من قوله تعالى " فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ " سورة  
الحج الآية ٣٠ .

وهناك أربعة أقوال أخرى غير هذين القولين :  
أحدها : الشرك قاله ابن جبير والضحاك ، والثاني : الذنب ، قاله الحسن  
والثالث : العذاب - قاله ابن السائب ، والرابع : الشيطان قاله  
ابن كيسان . ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٤٠٢/٨) .  
انظر أيضاً تفسير الماوردي (٣٤٢/٤) وتفسير القرطبي (٦٦/١٩ - ٦٧)  
قال الزمخشري في الكشاف (٦٤٥/٤) " معناه : اهجر ما يهودى إليه من  
عبادة الأوثان وغيرها من المآثم والمعنى : الثبات على هجره ، لأنه كان  
بريئاً منه " .

وذكر ابن كثير في تفسيره (٤٤١/٤) القولين الأولين ، وقال بعد ذلك :  
وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشئ من ذلك . كقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ  
اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ " سورة الاحزاب الآية ١٠ . ( وقال موسى لأخيه  
هَارُونَ اخْلَعْنِي فِي قَوْمِي وَأَهْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ) سورة الاعراف الآية ١٤٢ .



فاهجر بهذا المعنى (١) . وقال الفراء : الرجز والرَّجَزُ بمعنى واحد (٢) ، وقيل :

الرجز هو الرجس ، معنى : اجتنب الرجاسات والنجاسات ، وعلى هذا القول أبدلت

السين بالزاء (٣) . ويقال : الرجز هو العذاب ، والمعنى اجتنب ما يؤدى الى العذاب (٤)

وقوله ( ولا تمنن تستكثر ) وقراً ابن مسعود ( ولا تمنن أن تستكثر ) قال الكسائي (٦) :

سقطت أن فارتفع (٧) وقال الحسن : معناه : ولا تمنن بعطائك على أحد (٨) وذكر الاستكثار

(١) فى الرجز قراءتان : الاولى بضم الراء . قراءة حفص ، والثانية : بكسر الراء قراءة الباقر . وحجة من ضم أنه جعله اسم صنم ، وقيل هما صنمان كانا عند البيت " اساف وناظة " وحجة من كسر أنه جعل " الرجز " العذاب . والمعنى أنه أمر أن يهجر ما يحل العذاب من أجله ، والتقدير : وذا الرجز فاهجر .

انظر التيسير ص ٢١٦ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٣٤٧) ، وحجة القراءات ( ص ٧٣٣ ) والمهذب ٢/٤٣٤ انظر أيضا تفسير الطبرى (١٤٧/٢٩) وتفسير البغوى (١٧٤/٧) وزاد المسير (٨/٤٠١) وتفسير القرطبي (١٩/٦٧) .

(٢) انظر معانى القرآن (٣/٢٠١) .

(٣) لم أجد من ذكر هذا القول - سوى أن الرازى قال فى تفسيره (٣٠/١٩٣) الرجز اسم للقبيح المستقدر وهو معنى الرجس .

(٤) انظر تأويل مشكل القرآن (ص ٤٧١) والصحاح ٢/٨٧٨ ولسان العرب ٨/٣٥٢ وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٨/٤٠٢) " قال الزجاج : الرجز فى اللغة : العذاب ، ومعنى الآية : اهجر ما يؤدى الى العذاب " .

(٥) ذكره الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٠١) ، والطبرى فى تفسيره (٢٩/١٥٠) والبغوى فى تفسيره (٧/١٧٤) والقرطبي فى تفسيره (١٩/٦٩) وأبوحيان فى البحر المحيظ (٨/٣٧٢) والالوسى فى روح المعانى (٢٩/١٢٠) وقال السيوطى فى الدر المنثور (٦/٢٨٢) وأخرج ابن المنذر عن حماد قال : قرأت فى مصحف أبى ( ولا تمنن أن تستكثر ) .

(٦) هو على بن حمزة المعروف بالكسائي . تقدمت ترجمته فى ص (٩٤) .

(٧) ذكره القرطبي فى تفسيره (١٩/٦٩) .

(٨) هكذا ذكر المؤلف عن الحسن البصرى ، وقد روى ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٩/١٤٩) من طرق عن الحسن ، ولفظه فى إحدى الروايات : " لا تمنن عمك تستكثره على ربك " - وكذا ذكره الماوردى فى تفسيره (٤/٣٤٣) والبغوى فى تفسيره (٧/١٧٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٨/٤٠٢) وابن الفري فى أحكام القرآن (٤/١٨٨٨) والقرطبي فى تفسيره (١٩/٦٧) ، وقال الحسن فى رواية ثانية عند الطبرى " لا تمنن تستكثر عمك " وفى رواية ثالثة : لا تمنن تستكثر عمك الصالح " ونقل الرازى فى تفسيره (٣٠/١٩٤) عن الحسن أنه قال : لا تمنن على ربك بحسناتك فتستكرها .

لأنه إنما بين إذا رآه كثيراً ، والقول المعروف - لا تعطي أحداً لتعطي أكثر مما تعطي (١) .

قال إبراهيم : وهذا في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لأن الله تعالى أمره بأشرف الآداب وأجل الأخلاق ، فأما في حق غيره فلا بأس به ، ورواه المفيد عن ابن مقسم الضبي (٢) عن إبراهيم (٣) وقد حكى هذا الذي قلناه عن غير إبراهيم (٤)

(١) وهو قول أكثر المفسرين ، كما قال البغوي في تفسيره (١٧٤/٧) والرازي في تفسيره (١٩٤/٣) وقد رواه الطبري في تفسيره (١٤٨/٢٩) عن عديد من أئمة التفسير ، منهم ابن عباس وعكرمة وإبراهيم النخعي والضحاك ومجاهد وقتادة . وأورد الماوردي في تفسيره (٣٤٣/٤) وابن الجوزي في تفسيره (٤٠٢/٨) والقرطبي في تفسيره (٦٧/١٩) وعزوه إلى ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم . (٢) هو المفيد بن مقسم (بكسر الميم) الضبي مولى أBOهشام الكوفي الأعمى . ثقة متقن إلا أنه كان يدرس ، ولا سيما عن إبراهيم . مات سنة ست وثلاثين ومائة على الصحيح . تقريب الشهاب ٣٤٥ .

(٣) هو إبراهيم النخعي .

(٤) نقل القرطبي في تفسيره (٦٧/١٩) عن الضحاك أنه قال هذا حرره الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجل الأخلاق ، وأباحه لأئمة ، وروى عنه هذا المعنى ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٨/٢٩-١٤٩) ومجاهد ، وذكره عنهما البغوي في تفسيره (١٧٤/٧) انظر أيضاً تفسير الماوردي (٣٤٣/٤) وزاد المسير (٤٠٢/٨) وللرازي فيه تفصيلات انظر تفسيره (١٩٤/٣٠) . واقتصر المؤلف على هذين القولين في تفسير الآية . مع أنه قد ذكرت فيه أقوال أخرى أو عليها القرطبي إلى ثلثة عشر قولاً - وأما غيره من المفسرين فذكر أكثرهم أربعة منها وذكر بعضهم خمسة ، والأقوال التي ذكرها القرطبي فأولها : لا تمنن على ريك بما تتحمله من أثقال النبوة ، كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الفير . ذكره الرازي في تفسيره (١٩٤/٣٠) ولم ينسبه أحد منهما إلى أحد والثاني هو ما تقدم عن ابن عباس وغيره . والثالث : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، من قولك (رجل منين) إذا كان ضعيفاً ، وهو قول مجاهد ، رواه ابن جرير في تفسيره (١٤٩/٢٩) بسنده عن خصيف عن مجاهد - وذكره عنه الماوردي في تفسيره (٣٤٣/٧) والبغوي في تفسيره (١٧٤/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٠٢/٨) والرازي في تفسيره (١٩٤/٣٠) والرابع : " لا تعظم عظمك في عينك أن تستكثر من الخير ، فإنه مما أنعم الله عليك ، ذكره عن مجاهد والربيع . وذكره أيضاً البغوي في تفسيره . . . / . . .

٠٠/٠٠

( ١٧٤/٧ ) عن الربيع والخامس : هو ما تقدم عن الحسن : أى لا تمنى على الله  
بعملك فتستكثره ، والسادس : لا تمنى بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجوراً  
تستكثر به ، ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٤٩/٢٩ ) ورواه عن ابن زيد وذكره الماورى  
فى تفسيره ( ٣٤٣/٤ ) والبعوى فى تفسيره ( ١٧٤/٧ ) ، وابن الجوزى فى تفسيره  
( ٤٠٢/٨ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٤١/٤ ) ، السابع : لا تعط مالك ممانعة ،  
ذكره عن القرطبي ، الثامن : اذا أعطيت عطية فأعطها لربك ، التاسع : لا تقل دعوت فلم  
يستجب لى . العاشر : لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها ، ولكن اصبر حتى يكون الله هو  
الذى يشيك عليها ، الحادى عشر : لا تفعل الخير لتراعى به الناس . ذكره الماورى  
فى تفسيره ( ٣٤٣/٤ ) بصيغة الإحتمال .

وبالنظر فى هذه الأقوال يبدو أنها يتقارب بعضها إلى بعضى ولا يمكن إرجاعها  
فى ثلاثة أو أربعة ، كما فعل ابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٨٨٩/٤ ) وقد ذهب  
ابن جرير فى تفسيره ( ١٥٠/٢٩ ) وابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٨٨٩/٤ )  
وابن كثير فى تفسيره ( ٤٤١/٤ ) إلى اختيار القول القائل ولا تمنى على ربك تستكثر  
عملك المصالح .

واستدل ابن جرير على أولويته فقال : لأن ذلك فى سياق آيات تقدم فيهن أمر  
الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجد فى الدعاء إليه ، والصبر على ما يلقي من الأذى  
فيه ، فهذه بأن تكون من أنواع تلك ، أشبه منها بأن تكون من غيرها .

وقال ابن العربى ( ١٨٨٩/٤ ) " أما من قال : أراد به العمل : أى لا تستكثر  
به على ربك فهو صحيح ، فإن ابن آدم لو أطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله  
بعض الشكر .

أما القرطبي فقد ذهب إلى ترجيح قول ابن عباس وغيره : لا تعط لتأخذ أكثر  
مما أعطيت من المال " وقال : هذه الأقوال وإن كانت مرادة فأظهرها قول ابن عباس  
وقال بعد أن سرد : يقال : مننت فلاناً كذا أى أعطيته ، ويقال للعطية المننة ،  
فكانه أمر بأن تكون عطايه لله ، لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها ، لأنه عليه السلام  
ما كان يجمع الدنيا ، ولهذا قال : مالي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود  
عليكم " وكان ما يفضل من نفقة عياله مصروفاً إلى مصالح المسلمين ، ولهذا لم يورث ،  
لأنه كان لا يطك لنفسه إلا دثار والاقنعة ، وقد عممه الله تعالى عن الرغبة فى شئ من  
الدنيا ، ولذلك حرمت عليه الصدقة وأبيحت له الهدية فكان يقبلها ويشيب عليها .

انظر أيضاً أحكام القرآن ( ١٨٨٨/٤ - ١٨٨٩ ) وفيما يبدو لى أن ما ذهب  
إليه ابن جرير وابن العربى هو الصواب ، والله أعلم .

وقوله ( ولربك فاصبر ) قال مجاهد : على ما أؤذيت<sup>(١)</sup>، قيل : على الحق  
وابلاغ الرسالة<sup>(٢)</sup>، وعن ابراهيم قال : ( ولربك فاصبر ) حتى تثاب على عملك  
أورده النحاس عنه<sup>(٣)</sup>.

( ١ ) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٥١ / ٢٩ ) من طريقين عن ابن أبي نجيح  
عن مجاهد ، ولكنه قال : على ما أوتيت . " .  
ونذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٤٣ / ٤ ) بلفظ : فاصبر على ما لا يقته من  
الأذى والمكروه . قاله مجاهد .  
ونذكره البغوي في تفسيره ( ١٧٤ / ٧ ) قال : وقال مجاهد : فاصبر لله على  
ما أؤذيت فيه . "

وقال القرطبي في تفسيره ( ٦٩ / ١٩ ) : على ما أؤذيت . وقال ابن كثير في  
تفسيره ( ٤٤١ / ٤ ) : أي اجعل صبرك على آذاهم لوجه ربك عز وجل ، قاله  
مجاهد . وبهذا يتبين أن ما جاء في تفسير الطبري خطأ مطبعي .

( ٢ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٤٤ / ٤ ) عن ابن عيسى ما يقرب من هذا المعنى  
فقال : على ما أمرك الله من أداء الرسالة وتعليم الدين ، حكاه ابن عيسى .  
وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٣٧٧ / ٨ ) " ( ولربك فاصبر ) أي لوجه ربك  
أمر بالصبر فيتناول الصبر على تكاليف النبوة وعلى أداء طاعة الله ، وعلى أذى  
الكفار .

( ٣ ) لعله ذكره في معاني القرآن .

وكذا نقل المؤلف عن النحاس قول ابراهيم النخعي ولكن روى ابن جرير  
في تفسيره ( ١٥٠ / ٢٩ ) من طرق عن ابراهيم النخعي بلفظ " اصبر على عطيتك  
لله " وبهذا اللفظ ذكره الماوردي ( ٣٤٣ / ٤ ) والزمخشري في الكشاف  
( ٦٤١ / ٤ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤٤١ / ٤ ) وقال الزمخشري بعد إيراد هذا  
القول : لأنه وصله بما قبله وجعله صجراً على المعطاء من غير استكثار . "

٠٠/٠٠

أما ما ذكره النحاس ونقله عنه المؤلف من قول ابراهيم : فيقرب منه ما ذكره  
الماوردي في تفسيره ( ٣٤٣/٤ ) عن ابن شجرة فإنه قال : على انتظام ثواب عطيك  
من الله تعالى " وهو معنى قول ابن شجرة . هذا وقد ذكر المؤلف في تفسير الآية  
ثلاثة أقوال . وهناك أقوال أخرى ذكرها المفسرون منها : ما قال ابن زيد أي :  
على محاربة العرب ثم المعجم .

وقال السدي : على الحق فلا يكن أحد أفضل عندك فيه من أحد ، وقال عطاء :  
فاصبر على الوعظ لوجه الله ، وقيل : فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله تعالى  
وقيل : فاصبر على البلوى لأنه يمتحن أوليائه وأصفياؤه وقيل : على أوامره  
ونواهيه . وقيل : على فراق الأهل والأوطان .

انظر هذه الأقوال : في تفسير الطبري ١٥٠/٢٩ وتفسير الشلمبي ( ٢٠٦/١٢ )  
ب ( وتفسير الماوردي ( ٣٤٣/٤ ) وتفسير البقوي ( ١٧٤/٧ ) وتفسير القرطبي  
٠ ( ٦٩/١٩ )

وأورد الزمخشري في الكشاف ( ٦٤٦/٤ ) بمعنى هذه الأقوال وقال : " والوجه  
أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد  
الصبر على أذى الكفار ، لأنه أحد ما يتناوله العام " وهذا الذي يبدو لي أنه الراجح  
من تلك الأقوال يعني أن تحمل الآية على العموم .

و قوله تعالى ( فَإِذَا نُقِرَ فِي النُّاقُورِ ) أى الصور<sup>(١)</sup> ، ويقال : هو النفخة الأولى ،  
ويقال : هو الثانية<sup>(٢)</sup> وقد روى أن زرارَةَ بن أبي أوفى<sup>(٣)</sup> كان يصلى يقوم فقراً

(١) أكثر المفسرين صرحوا بأن المراد من الناقور الصور . وهو مروى عن غير واحد من السلف ، كما رواه عنهم ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥١/١٩) - انظر تفسير مجاهد ٢/٧٠٤ وصحيح البخارى (٣٦٧/١١) وتفسير البغوى (١٧٤/٧) وزاد المسير (٤٠٣/٨) وتفسير القرطبي (٧٠/١٩) وتفسير الخازن (١٧٤/٧) ولكن ذكر الماورى في تفسيره (٣٤٤/٤) فى معنى الناقور ثلاثة تأويلات .

أحدها : هو ماتقدم : يعنى ( نفخ فى الصور ) وعزاه إلى ابن عباس .  
الثانى : أن الناقور القلب يجزع إذا دعى الانسان للحساب .  
حكاه ابن كامل . والثالث : ذكره بلفظ الإحتمال وهو أن الناقور صحف الأعمال إذا نشرت للمرض . والصواب هو القول الأول وعليه أكثر المفسرين كما تقدم .

(٢) ذكر هذين القولين : الماورى فى تفسيره (٣٤٤/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٤٠٣/٨) والزمخشري فى الكشاف (٦٤٦/٤) والقرطبي فى تفسيره (٧٠/١٩) وقال : لأنها أول الشدة الهائلة العامة وذكره النسفى فى تفسيره (٢٨٦/٥) .  
والخازن فى تفسيره (١٧٤/٧) وقال فى القول الثانى وهو الأصح . وذلك لأن النفخة الثانية هى التى يقع فيها الحساب وتكون شديدة على الكفار . وعليه فلم يذكر البغوى إلا هذا القول . انظر تفسيره (١٧٤/٧) .

(٣) كذا فى الأصل ( زرارَةَ بن أبي أوفى ) وهو خطأ ، والصواب ( زرارَةَ بن أوفى ) كما فى ترجمته ، وكذا فى المستدرک .  
وهو زرارَةَ بن أوفى العامرى الخُرَشى ( بمهمله وراء مفتوحتين ثم معجمة ) أبو حاب البصرى القاضى ، روى عن غير واحد من الصحابة .  
ثقة عابد .

مات فجأة فى الصلاة سنة ثلاث وتسعين .

تهذيب التهذيب ٣/٣٢٢ ، تقريب التهذيب ١٠٦ .

( ١ ) فإذا نقر في الناكور ) فخر مفسياً ( ١ ) ، وقيل : انه شبه البوق ( ٢ ) ، وقوله ( فذلك يومئذ يوم عسير ) أي شديد ( ٣ ) ( على الكافرين غير يسير ) أي غير هين ولا لين ( ٤ )  
 وقوله ( ذرني ومن خلقت وحيداً ) .

( ١ ) رواه الحاكم في مستدركه ( ٥٦ / ٢ ) بسنده عن بهز بن حكيم قال : أَمَّا زُرَّارَةُ ابن أوفى في مسجد بني قشير فقرأ المديثر ، فلما انتهى إلى هذه الآية ( فإذا نقر في الناكور ) خوسميتاً ، قال بهز : فكنت فيمن حملته .  
 وذكره القرطبي في تفسيره ( ٧٠ / ١٩ ) وابن حجر في تهذيب التهذيب بسبب ( ٣٢٢ / ٣ ) من رواية أبي حبان القصاب ، وفيها تصريح بأنه مات من ذلك .  
 انظر أيضاً تفسير ابن كثير ٤٤٢ / ٤ .

( ٢ ) هو قول مجاهد .  
 ذكره عنه البخاري في صحيحه ( ٣٦٨ / ١١ ) معلقاً وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٥١ / ٢٩ ) بسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال في الصور : هو شىء كهيئة البوق ، وقد وردت تسمية الصور بالقرن أيضاً - فأخرج أبو داود في سننه ( ١٠٧ / ٥ ) رقم ( ٤٧٤٢ ) .  
 والترمذي في سننه ( ٣٧٣ / ٥ ) ، رقم ( ٣٢٤٤ ) بسندهما عن عبد الله بن عمر قال : قال أعرابي : يا رسول الله . ما الصور؟ قال : قرن ينفخ فيه " .  
 وعليه فقد ذهب الجمهور من أهل السنة والجماعة إلى أن الصور قرن على هيئة البوق ينفخ فيه نفختان " .  
 انظر التذكرة للقرطبي ١ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ، فتح الباري ١١ / ٣٦٧ ، تفسير ابن كثير ٢ / ١٤٦ .

( ٣ ) انظر تفسير ابن جرير ( ١٥٢ / ٢٩ ) ، تفسير البغوي ( ١٧٤ / ٧ ) ، وزاد المسير ( ٤٠٣ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ٧٠ / ١٩ ) .

( ٤ ) راجع المصادر السابقة .  
 قال القرطبي بعد أن فسر الآية بقوله : أي غير سهل ولا هين ، وذلك أن عقد هم لا تنحل إلا إلى عقدة أشد منها بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين فإنها تنحل إلى ما هو أخف منها حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى . انظر تفسيره ( ٧٠ / ١٩ ) . وذكر الزمخشري فائدة قوله ( غير يسير ) مع أن ( عسير ) مفعول عنه فقال : لما قال ( على الكافرين ) فقصر العسير عليهم قال ( غير يسير ) ليوزن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً ، ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ، ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسير المسير في أمور الدنيا ، الكشاف ٤ / ٦٤٧ .

قوله ( ذرني ) معناه : دعني ، وقد بينا وجه ذلك <sup>(١)</sup> .  
 قوله " وحيداً " فيه قولان - أحدهما : خلقته وحده لا مال له ولا ولد <sup>(٢)</sup> .  
 والثاني : خلقته وحدي لم يشركني في خلقه غيري <sup>(٣)</sup> ، وهو

( ١ ) راجع ما تقدم في ص ( ١٠٦ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٧٠ / ١٩ ) " ذرني " أي دعني ، وهي كلمة وعيد وتهديد .

( ٢ ) ذكره الغراء في معاني القرآن ( ٢٠١ / ٣ ) وقال : وهو أجمع الوجهين ، وهو قول مجاهد وقتادة ، كما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٥٢ / ٢٩ ) من طرق عديدة عنهما ، وذكره البغوي في تفسيره ( ١٧٤ / ٧ ) والزمخشري في الكشاف ( ٦٤٧ / ٤ ) ونون عزو إلى أخذ وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٤٤ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٣ / ٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧٠ / ١٩ ) = ( ٧١ ) .  
 وقال الماوردي بعد إيراده لهذا القول : فعلى هذا الوجه في المراد بخلقه وجهان .

أحدهما : أن يعلم به قدر النعمة عليه فيما أعطى من المال والولد ، الثاني : أن يدل به بذلك على أنه يبعث وحيداً كما خلق وحيداً . انظر تفسيره ٣٤٤ / ٤ .  
 وزاد القرطبي على هذين الوجهين وجهاً آخر فقال : قيل : الوحيد السدي لا يعرف أبوه ، وكان الوليد معروفاً بأنه دعسي .

وقد خص الوليد بن المغيرة بالذكر وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه لاختصاصه بكفر النعمة وايداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى الوحيد في قومه . وكان يقول : أنا الوحيد بن الوحيد وليس لي في العرب نظير ، ولا لأبي المغيرة نظير ، فقال الله تعالى وذرني ومن خلقت " بزعمه " وحيداً " .  
 لا أن الله تعالى صدقه بأنه وحيد .  
 انظر تفسير القرطبي ( ٧١ / ١٩ ) وتفسير الرازي ١٩٨ / ٣٠ .

( ٣ ) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٣٤٤ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٣ / ٨ ) والزمخشري في الكشاف ( ٦٤٧ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٨ / ٣٠ ) والخازن في تفسيره ( ١٧٤ / ٧ - ١٧٥ ) . كلفهم دون عزو إلى أحد سوى ابن الجوزي فإنه عزاه إلى الزجاج .

وذكر بعضهم قولاً ثالثاً في معنى الآية وهو " ذرني وحدي معه فأننا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم " .

ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٦٤٧ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٨ / ٣٠ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧١ / ١٩ ) وعلى هذين القولين - الثاني والثالث - قوله " وحيداً " حال من ضمير الفاعل وهو التاء في " خلقت " وعلى القول الأول حال من ضمير المفعول المحذوف .



الوليد بن المغيرة<sup>(١)</sup> على قول أكثر المفسرين ، وقوله ( وجعلت له مالا ممدوداً ) فيه أقوال كثيرة ، أحدها : أنه ألفا ، د ينار قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، وعن سفیان<sup>(٤)</sup> : أربعة آلاف دينار<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي ، وكان من أثرياء قريش ، صاحب أموال طائلة وأولاد كثيرين كما سيأتي ذكره ، وكان أيضاً من أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لجاهله وشرفه في زعمه يطمع في النبوة ، فقال : أينزل على محمد وأنا كبير قريش وسيدها . انظر سيرة ابن هشام ( ٢٤٣ / ١ ) و ( ٩ / ٢ ) وانظرو نسبه في ترجمة ابنه في الإصابة ( ٤١٣ / ١ ) .

( ٢ ) صرح غير واحد من المفسرين بأن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وقد ذكره الرازي في تفسيره ( ١٩٨ / ٣٠ ) إجماع المفسرين على ذلك . وانظر أيضاً تفسير الماوردي ( ٣٤٤ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ١٧٤ / ٧ ) ، وتفسير القرطبي ( ١٧ / ١٩ ) وتفسير الخازن ( ١٧٥ / ٧ ) .

( ٣ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٤٤ / ٤ ) من قول ابن عباس . وهو قول سعيد ابن جبير ومجاهد . كما رواه ابن جريو الطبري في تفسيره ( ١٥٣ / ٢٩ ) بسنده عنهما ورواه الفراء في معاني القرآن ( ٢٠١ / ٣ ) بسنده عن مجاهد وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٤ / ٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧١ / ١٩ ) وعزاه كل منهما إلى ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير . وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٢٨٢ / ٦ ) من قول ابن عباس وعزاه إلى ابن المنذر ، وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال : تسعة آلاف مثقال فضة ذكره البغوي في تفسيره ( ١٧٥ / ٧ ) والخازن في تفسيره ( ١٧٥ / ٧ ) وروى عنه أيضاً أنه قال : هو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الأبل والحجور والنعم والجنان والمبيد والحواري ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٦٤٧ / ٤ ) ، والبغوي في تفسيره ( ١٧٥ / ٧ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٨٣٠ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧١ / ١٩ ) .

( ٤ ) هو سفیان بن سعيد الثوري .

( ٥ ) رواه ابن جريو في تفسيره ( ١٥٣ / ٢٩ ) عن ابن حميد قال ثنا مهران عن سفیان ( وجعلت له مالا ممدوداً ) قال : بلغني أنه أربعة آلاف دينار .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٤٤ / ٤ ) من قول سفیان . وذكره القرطبي في تفسيره ( ٧١ / ١٩ ) من قول سفیان الثوري وقناة - وذكره البغوي في تفسيره ( ١٧٥ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٥ / ٨ ) من قول قناة فقط . وذكر البغوي عن سفیان الثوري أنه قال : ألف ألف وذكره القرطبي أيضاً فقال : الثوري أيضاً : ألف ألف دينار . وذكر الروائين عن سفیان الألويسي في روح المعاني ( ١٢٢ / ٢٩ ) .

وقال قتادة : ستة آلاف دينار<sup>(١)</sup> ، وعن مجاهد في بعض الروايات : مائة ألف دينار<sup>(٢)</sup> ، والقول الأول معروف لأن الحساب يمتد إليه فيقطع<sup>(٣)</sup> .

وعن عمر بن الخطاب : حيلة شهر بشهر<sup>(٤)</sup> ، وقد ورد أنه كان له بستان بالطائف لا ينقطع دخله شتاءً وصيفاً<sup>(٥)</sup> . وقيل : هو المال الذي يستوعب جميع وجوه المكاسب من التجارة والزرع والضرع وغير ذلك<sup>(٦)</sup> .

(١) ذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٣٤٤/٤) والقرطبي في تفسيره (٧١/٩) وتقدم أن له قولاً آخر وهو أنه أربعة آلاف . وذكر هذه الرواية عنه الثعلبي في تفسيره (١/٢٠٧/١٢) .

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٤٤/٤) وتقدم عنه قول آخر وهو : ألف دينار وذكر الماوردي عنه قولاً آخر : أنها أرض يقال لها ميثاق ، وقال : وهذا مروى عن مجاهد أيضاً .

(٣) قال الفراء : نرى أن الممدود جعل غاية للعدد . لأن الألف غاية العدد . يرجع في أول العدد من الألف .

معاني القرآن للفراء (٢٠١/٣) انظر أيضاً زاد المسير (٤٠٥/٨) .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٣/٢٩) وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٨٢/٦) وعزاه أيضاً إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والدينوري في المجالسه وانظر أيضاً تفسير الماوردي (٣٤٤/٤) ، وزاد المسير (٤٠٤/٨) ، وتفسير القرطبي (٧١/٩) .

(٥) هو قول مقاتل في تفسيره (ق ٢٧٥ / ب) .

انظر أيضاً تفسير البغوي (١٧٥/٧) وتفسير القرطبي (٧١/٩) .

(٦) قال الماوردي في تفسيره (٣٤٥/٤) بعد أن ذكر عن المفسرين ثمانية أقوال " ويحتمل تاسعاً أن يستوعب وجوه المكاسب فيجمع بين زيادة الزراعة وكسب التجارة ونتاج المواشى فيمد بعضها ببعض لأن لكل مكسب وقتاً " .

وعن ابن عباس في بعض الروايات : كانت له الإبل الموبلة<sup>(١)</sup> والخيل المسومة<sup>(٢)</sup> والأنعام من الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة وغير ذلك .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) قال ابن الأثير في النهاية ( ٢٦٠/١ ) عند شرح الفريبي من حديث ضوال الإبل " أنها كانت في زمن عمر ابلاً موبلة لا يمسه " .  
" إذا كانت الإبل مهلمة قيل ابل أبل ، فإذا كانت للقتية قيل : إنها موبلة ، أراد أنها كانت لكثرتها مجتمعة حيث لا يتعرض إليها . انظر أيضاً لسان العرب ٥/١١١ .

( ٢ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٣١٢/١٢ ) وفي التنزيل العزيز : والخيل المسومة " قال أبو زيد : الخيل المسومة المرسلّة وعليها ركبائها ، وهو من قولك " سومت فلاناً إذا خلّيته وسومه أي وما يريد " .

( ٣ ) تقدمت الإشارة إلى هذه الرواية في ص ( ١٥٤ ) .  
هذه هي الأقوال التي ذكرها المؤلف في مقدار المال الممدود وهناك أقوال أخرى ذكرها بعض المفسرين ، وأغلبها المؤلف - كما أنه أغفل تفسير الممدود ، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٤/٨ ) في معنى الممدود ثلاثة أقوال .  
أحدها : كثيراً ، قاله أبو عبيد .  
والثاني : داءماً قاله ابن قتيبة ( انظر قوله في تفسير غريب القرآن ٤٩٦ ) .  
والثالث : غير منقطع ، قاله الزجاج .

وبعد ذلك بدأ في سرد الأقوال في مقداره . واختلف موقف المفسرين من هذه الأقوال ، فأكثرهم ذكروها دون أن يبدوا في ترجيحها رأياً . ويظهر أن المؤلف يذهب إلى ترجيح القول الأول ، فإنه قال : والقول الأول معروف ، لأن الحساب يمتد إليه ( الألف ) فيقطع " وهو اختيار الفراء أيضاً - كما تقدم ذكره . وقال ابن جرير في تفسيره ( ١٥٣/٢٩ ) بعد أن ذكر أربعة أقوال : والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله ( وجعلته مالا ممدوداً ) وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته " .

وقال الرازي في تفسيره ( ١٩٩/٣٠ ) بعد ذكره لبعض هذه الأقوال : وهذه التحكمات مما لا يميل إليها الطبع السليم " وهكذا سماها أبو حيان في البحر المحييط ( ٣٧٣/٨ ) تحكماً ، فقال : " كل هذا تحكم " ونقل القرطبي عن القشيري : والأظهر أنه أشار إلى مالا ينقطع زرقة ، بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة . انظر تفسيره ( ٧١/١٩ ) وقال الألويسي في روح المعاني ( ١٢٢/٢٩ ) : وهذه الأقوال انصحت ليس المراد بها تعيين المال الممدود وأنه متى أطلق يراد به ذلك ، بل بيان أنه كان بالنسبة إلى المحدث عنه كذا " .

قوله تعالى / ( وينين شهوداً ) في التفسير : أنه كان له عشر بنين ، ٣/٣٠  
 وقيل : ثلاثة عشر ، <sup>(٢)</sup> وقيل : غير ذلك <sup>(٣)</sup> . وقوله ( شهوداً ) أى حضوراً  
 لا يغيبون عنه لحاجة أو لخوف . <sup>(٤)</sup> رواه مسلم . <sup>(٥)</sup>

- ( ١ ) هو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى . انظر تفسير الطبري ( ٣٤٥/٢٩ )  
 وتفسير الماوردي ( ٣٤٥/٤ ) وتفسير البغوي ( ١٧٥/٧ ) والكشاف ( ٦٤٨/٤ )  
 وزاد المسير ( ٤٠٥/٨ ) وتفسير الرازي . ١٩٩/٣٠ وتفسير القرطبي ( ٧٢/١٩ )  
 وتفسير ابن كثير ( ٤٤٢/٤ ) .
- ( ٢ ) هو قول سعيد بن جبير . انظر تفسير الماوردي ( ٣٤٥/٤ ) وزاد المسير  
 ( ٤٠٥/٨ ) والكشاف ( ٦٤٨/٤ ) وتفسير القرطبي ( ٧٢/١٩ ) .
- ( ٣ ) هناك أقوال أخرى منها أنهم اثنا عشر روى عن السدى وقال الضحاك : سبعة  
 ولدوا بمكة وخصه ولدوا بالطائف وقال مقاتل : كانوا سبعة كلهم رجال .  
 انظر المصادر السابقة - بالإضافة إلى تفسير مقاتل ( ق ٣٧٥ / ب ) .
- ( ٤ ) هو قريب مما ذكر عن السدى فإنه قال : أنهم حضور معه لا يغيبون عنه في تصرف .  
 ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٤٥/٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧٢/١٩ ) ،  
 وهكذا ذكره البغوي في تفسيره ( ١٧٥/٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير  
 ( ٤٠٥/٨ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٩/٣٠ ) .
- وذكر في تفسير " شهوداً " أقوال أخرى :  
 أحدهما : أنه إذا ذكر ذكروا معه - قاله ابن عباس . ذكره الماوردي في  
 تفسيره ( ٣٤٥/٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧٢/١٩ ) .
- والثاني : أنهم كلهم رب بيت ، قاله سعيد بن جبير ذكره الماوردي في المصدر  
 السابق .
- والثالث : أنهم قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده ، والقيام بما كان يباشره  
 ذكره الماوردي والقرطبي في نفس المصدرين السابقين لهما ، وذكره أيضاً  
 الزمخشري في الكشاف ( ٦٤٨/٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٩/٣٠ ) .
- ( ٥ ) كذا في النسختين ولم يتبين لي معناه - وقد بحثت عنه في صحيح مسلم فلم أجده  
 ولعله وقع فيه تحريف على أيدي بعض النساخ والصواب : رواه السدى ، والله  
 أعلم .

من بني أسلم اثنان خالد بن الوليد<sup>(١)</sup> وهشام بن الوليد<sup>(٢)</sup> والباقون ماتوا في الجاهلية<sup>(٣)</sup>.

(٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي سيف الله أبو سليمان ، كان أحد أشرف قريش في الجاهلية وكان إسلامه بين الحديبية والفتح .  
قال ابن حجر في التقريب (ص ٩١) من كبار الصحابة ، وكان أميراً على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح ، إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين .  
انظر ترجمته مفصلاً في الاصابة ١/٤١٣ - ٤١٥ .

(٢) هو هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي .  
قال ابن عبد البر : من المؤلفات قلوبهم ، وفي ذلك نظر . انظر الاستيعاب ٣/٥٩٧ ، (المطبوع على هامش الاصابة) والاصابة ٣/٦٠٦ .  
(٣) ذكر المؤلف أن الاثنان من أبناء الوليد بن المغيرة أسلما ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن ثلاثة منهم أسلموا ، ولكنهم اختلفوا في ذكر الثالث ، فذكر القرطبي في تفسيره (٧٢/١٩) والألوسي في روح المعاني (٢٩/١٢٢) الوليد ابن الوليد . بينما ذكر الآخرون عمارة بن الوليد .  
انظر تفسير البغوي (١٧٥/٧) والكشاف (٤/٦٤٨) ، وتفسير الرازي ٣/١٩٩ ، وتفسير الخازن (١٧٥/٧) . والصواب هو ما ذكره القرطبي والألوسي . وقد ترجم له الحافظ ابن حجر في الاصابة (٣/٦٣٩) وذكر أنه أسلم بعد بدر .

وأما عمارة بن الوليد فذكر ابن حجر في المصدر السابق (٣/١٧١) أن مقاتلاً قال في تفسيره في قوله تعالى ( ذرني ومن خلقت وحيداً ) قال : نزلت في الوليد بن المغيرة كان له من الولد سبعة أسلم ثلاثة خالد وهشام وعمارة .  
وأورد الثعلبي في تفسيره عن مقاتل . انظر أيضاً تفسير مقاتل (ق ٣٧٥/ب) وتفسير الثعلبي (١٢/٢٠٧/١) . ثم قال ابن حجر : والصواب خالد وهشام والوليد . فأما عمارة فإنه مات كافراً " .

وقال الألوسي في تفسيره (٢٩/١٢٢) بعد أن ذكر أن عمارة قتل كافراً : ورواية الثعلبي عن مقاتل إسلامه لا تصح وقد نص ابن حجر على أن ذلك غلط ، وقد وقع في هذا الغلط صاحب الكشاف وتبعه فيه من تبعه ، والعجب أيضاً أنهم لم يذكروا الوليد بن الوليد فيمن أسلم مع أن المحدثين عن آخرهم أطبقوا على إسلامه " اهـ .

قلت : وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم حين حبسه أخواله عيسى إسلامه فقال : اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمه بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين الحديث . وهو في صحيح البخاري ٢/٢٩٠ رقم ٨٠٤ ، وصحيح مسلم ٥/١٧٦ .

وقوله ( وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمَهِيداً ) هو التهيئة والتوطئة<sup>(١)</sup> وقيل : وسعت عليه  
 الأمر توسيعاً<sup>(٢)</sup> ، وقيل : بسطت له مابين اليمن والشام أى فى التجارة<sup>(٣)</sup> ، وقيل :  
 التمهيد هو تيسير أسباب المعيشة كأنه كان تيسر عليه كل ما كان يطلبه وبويده  
 من أسبابها<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ٤١٠ / ٣ ) " مَهَّدَ لِنَفْسِهِ خَيْرًا وَاْمَهَّدَهُ :  
 هَيَّأَهُ وَتَوَطَّأَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى " فَلَا تُنْفَسِمُ يَمَّهَدُونَ " سورة الروم الآية ٤٤  
 أى يُوَطِّئُونَ . انظر أيضا المفردات للراغب ٤٧٦ .  
 وقال القرطبي فى تفسيره ( ٧٢ / ١٩ ) " والتمهيد عند العرب : التوطئة  
 والتهيئة ، ومنه مَهَّدُ الصَّبِيَّ " .  
 وقال الألوسى فى روح المعانى ( ١٢٢ / ٢٩ ) " وأصل التمهيد التسوية والتهيئة  
 وتَجَوَّزَ بِهِ عَنْ بَسْطَةِ الْمَالِ وَالْجَاهِ ، وَكَانَ لِكثْرَةِ غِنَاهُ وَنِضَارَةِ حَالِهِ الرَّائِقَةِ فِي الْأَعْيُنِ  
 مَنْظَرًا وَمَخْبِرًا يَلْقَبُ رِيحَانَةَ قَرِيشٍ " .

( ٢ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ٧٢ / ١٩ )  
 قوله تعالى ( وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمَهِيداً ) أى بسطت له فى العيش بسطاً ، حتى أقام  
 ببلده مطمئناً مترفها يوجع إلى رأيه " .

( ٣ ) ذكر القرطبي فى تفسيره ( ٧٢ / ١٩ ) عن ابن عباس ومجاهد . بلفظ : أى وسعت  
 له مابين اليمن والشام .

( ٤ ) لم أجد من ذكره بهذا النص . وكل هذه الأقوال التى ذكرها المؤلف تسمى  
 معنى واحداً وهو أن الوليد ابن المفيرة قد بسط له فى العيش وطول العمر  
 بسطاً مع الجاه العريض والرئاسة فى الناس - وقد قال مجاهد أيضاً فى تفسيره  
 الآية : أنه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش ، ذكره القرطبي فى  
 تفسيره ( ٧٢ / ١٩ ) - وذكره الثعلبي فى تفسيره ( ١٢ / ٢٠٧ ) عن ابن عباس ،  
 وانظر أيضا تفسير الخازن ( ١٧٥ / ٧ ) .

وقوله ( ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر ما أعد الله تعالى للمسلمين من نعم الجنة ، قال الوليد ابن المغيرة : أنا أيسركم وأكثركم بنين فانا أحق بالجنة منكم فأنزل الله تعالى ( ثم يطمع أن أزيد كلا ) ( ٢ )  
وقيل : هذا في الدنيا وقد أعسر من بعد واحتاج . ( ٢ )

وقوله ( إِنَّهُ كَانَ لَأَيَاتِنَا عُنِيدًا ) ( ٣ ) أي معانداً ، وقيل : جاحداً .  
وقوله ( سَاءَ زُهْقُهُ صَعُودًا ) ( ٤ ) الإرهاق في اللعنة : هو حمل الرجل

( ١ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٧٢ / ١٩ ) .

قال الحسن وغيره : أي ثم يطمع أن يدخل الجنة ، وكان الوليد يقول : إن كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لي . فقال الله تعالى رداً عليه وتكديماً له : " كلا " أي لست أزيده . وهذا أحد القولين في الزيادة التي كان الوليد يطمع فيها .

( ٢ ) هذا قول ثان ، وهو أن الوليد كان يطمع في الزيادة في المال والولد . عزاه الماوردي في تفسيره ( ٣٤٥ / ٤ ) إلى ابن عباس والرازي في تفسيره ( ١٩٩ / ٣٠ ) إلى مقاتل والكلبي وفيه قول آخر : أي ثم يطمع أن أنصره على كفره .

انظر قول مقاتل في تفسيره ( ٣٧٥ / ب ) ، وانظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٧٢ / ١٩ ) .

( ٣ ) أكثر المفسرين فسروا " عنيداً " فقالوا : أي معانداً .

انظر تفسير الطبري ( ١٥٤ / ٢٩ ) ، وتفسير البغوي ( ١٧٥ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٠٥ / ٨ ) وتفسير الخازن ( ١٧٥ / ٧ ) ، وقال النسفي في تفسيره ( ٢٨٧ / ٥ )  
أي : معانداً جاحداً .

وأما الماوردي والقرطبي فذكر كل واحد منهما حوالي خمسة تأويلات فيها أحدها : معاند ، قاله مجاهد وأبو عبيدة ، الثاني : مباحد ، قاله أبو صالح . الثالث : جاحد ، قاله قتادة . الرابع : معرض ، قاله مقاتل .  
والخامس : أنه المجاهر بعد اوتيه ، ذكره دون عزو إلى أحد . وانظر أيضاً  
... / ...

٠٠/٠٠

قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٧٥ / ٢ ) وقول مقاتل في تفسيره ( ق ٣٧٥ / ب )  
 وذكر القرطبي عن مجاهد قولاً آخر وهو أنه قال : " مجانِباً للحق معانداً له معرضاً  
 عنه - وقال بعد إنتهائه من ذكر هذه الأقوال : والمعنى كله متقارب ، والمعرب  
 تقول : عِنْدَ الرَّجُلِ إِنْ أَعْتَا وَجَاوَزَ قَدْرَهُ ، وَالْعَنْوُدُ مِنَ الْإِبِلِ : الَّذِي لَا يَخَالِطُ  
 الْإِبِلَ ، إِنَّمَا هُوَ فِي نَاحِيَةٍ .

ورجل عَنُوْدٌ إِذَا كَانَ يَحِلُّ وَحْدَهُ لَا يَخَالِطُ النَّاسَ ، وَالْعَنِيدُ مِنَ التَّجْبِيْرِ ، وَعَرَقٌ  
 عَانِدٌ : إِذَا لَمْ يَوْقَأْ رَمَهُ . كُلُّ هَذَا قِيَاسٌ وَاحِدٌ . انظر أيضاً لسان العرب

٠٣٠٧/٣

وأما المراد بالآيات فذكر فيه الماوردي في تفسيره ( ٣٤٥ / ٤ ) وابن الجوزي  
 في زاد المسير ( ٤٠٥ / ٨ ) ثلاثة آقاويل . أحدها : القرآن . قاله سعيد بن  
 جبير ، والثاني : الحق قاله مجاهد ، والثالث : محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله  
 السدي .

ويبدو أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الأول كما يدل عليه سياق الآيات .  
 وقال الخازن في تفسيره ( ١٧٥ / ٧ ) في معنى الآية : " والمعنى أنه  
 كان معانداً في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكراً للكل ، وقيل :  
 كان كفره كفر عناد ، وهو أنه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر  
 وأفحشه ، وقال الزمخشري في الكشاف ( ٦٤٨ / ٤ ) في هذه الآية : " تعليل للردع  
 على وجه الإستئناف ، كأن قائلها قال : لم لا يزال " فقليل : إنه عاند آيات المنعم  
 وكفر بذلك نعمته " .

وانظر أيضاً تفسير الرازي ٠١٩٩/٣



على الشئ<sup>(١)</sup> ، وقوله ( صعوداً ) روى أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : هو جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى به كذلك فيه أبداً ، ذكره  
أبو عيسى الترمذى فى كتابه<sup>(٤)</sup> وروى أنه صخرة من نار إذا وضع يده عليها ذابت

( ١ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ١٠ / ١٢٩ ) " أَرْهَقَنِي فُلَانٌ إِثْمًا حَتَّى رَهَقْتَهُ :  
أَي حَمَلَنِي إِثْمًا حَتَّى حَمَلْتَهُ لَهُ ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فى تَفْسِيرِهِ ( ١٩ / ٧٣ ) .  
" وَالْإِرْهَاقُ فى كَلَامِ الْعَرَبِ : أَنْ يَحْمَلَ الْإِنْسَانُ عَلَى الشَّيْءِ ، وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ : أَيْ  
سَأَلْتَهُ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : سَأَلْتَهُ ، وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فى تَفْسِيرِهِ ( ٨ / ٤٠٥ )  
" قَالَ الزَّجَاجُ : سَأَحْمَلُهُ عَلَى مَشَقَّةٍ مِنَ الْعَذَابِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : سَأَلَّغَهُ مَشَقَّةً مِنَ  
الْعَذَابِ لِأَنَّ رَاحَةَ لَهُ مِنْهَا " .

( ٢ ) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصارى أبو سعيد الخدرى ، له ولأبيه  
صعبة ، استصفر بأحد ، ثم شهد ما بعدها وروى الكثير ، مات بالمدينة سنة  
ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقليل : سنة أربع وسبعين .  
تقريب التهذيب ( ص ١١٩ ) انظر ترجمته مفصلة فى الاصابة ٢ / ٣٥ .

( ٣ ) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى أبو عيسى الترمذى  
صاحب الجامع أحد الأئمة .  
طاف البلاد وسمع خلقاً من الخراسانيين والمراقيين والحجازيين ثقة حافظ ،  
مات سنة تسع وسبعين ومائتين .  
تهذيب التهذيب ٩ / ٣٨٧ ، تقريب التهذيب ٣١٤ .

( ٤ ) انظر سنن الترمذى - كتاب التفسير - باب سورة المدثر ( ٥ / ٤٢٩ ) ، رقم  
٣٣٢٦ - والحدِيث أَخْرَجَهُ أَيضاً الْإِمَامُ أَحْمَدُ فى مَسْنَدِهِ ( ٣ / ٧٥ ) وابن جرير  
فى تفسيره ( ٢٩ / ١٥٥ ) والشلمبى فى تفسيره ( ١٢ / ٢٠٧ ب ) والحاكم  
فى مستدركه ( ٢ / ٥٠٧ ) . كلهم بإسنادهم عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد  
الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند الإمام أحمد زيادة أخرى فى  
أوله .

وقال الترمذى : هذا حديث غريب ، إنما نعرفه مؤفوعاً من حديث ابن لهيعة  
وقد روي شئ من هذا عن عطية عن أبى سعيد قوله موقوف . وقال الحاكم : صحيح  
الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأورده ابن كثير فى تفسيره ( ٤ / ٤٤٢ )  
وقال : " وفيه غرابة ونكارة " .

إسناده ضعيف ، لأن فيه دراجاً ، قال فيه الحافظ ابن حجر فى التقريب  
( ص ٩٧ ) صدوق ، فى حديثه عن أبى الهيثم ضعيف ، وقد أورد هذا الحديث  
غير واحد من المفسرين .

وإذا رفعها عادت<sup>(١)</sup>، قال الكلبي : يجر من قدامه بالسلاسل ويضرب من خلفه بالمقامع<sup>(٢)</sup> فإذا صعد عليها هوى هكذا ابتداءً<sup>(٣)</sup>.

(١) هو مروى عن أبي سعيد الخدرى موقوفاً ومرفوعاً ، أخرجه ابن جرير الطبرسى فى تفسيره (١٥٥/٢٩) ، وابن أبي حاتم فى تفسيره ( كما فى تفسير ابن كثير ٤٤٢/٤ ) والطبرانى فى الأوسط ( كما فى الكافى الشاف لابن حجر ٦٤٨/٤ المطبوع فى هامش الكشاف ) والشعلبى فى تفسيره ( ٢٠٧/١٢ ب ) والبغوى فى تفسيره ( ١٧٥/٧ ) .

كلهم من طريق شريك عن عمار الدهنى عن عطية العوفى عن أبو سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم ( سأرهقه صعوداً ) قال : هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده ، فإذا وضع يده زابت . . . . الحديث .

وقد روى ذلك موقوفاً من قول أبي سعيد الخدرى كما أشار إليه الترمذى . أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١٦٣ ب ) . بلفظ : صخرة فى جهنم إذا وضعوا أيديهم عليها زابت \* .

ونذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٨٣/٦ ) وعزاه أيضاً إلى سعيد بن منصور والفريابى وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر والطبرانى والبيهقى .

واسناده أيضاً ضعيف ، لأن فيه عطية العوفى ، قال فيه الذهبى فى ميزان الاعتدال ( ٧٩/٣ ) . . . . تابعى شهير ضعيف ، ثم نقل تضعيفه عن عدي من علماء الجرح والتعديل .  
انظر أيضاً مجمع الزوائد ١٣١/٤ .

(٢) جمع ، مفردة : مقمعة بالكسوة ، وهى سياط تعمل من حديد ، رؤسها معوجة النهاية ١١٠/٤ .

(٣) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٤٦/٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ١٧٥/٧ ) ، وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٠٦/٨ ) ، والقرطبى فى تفسيره ( ٧٣/١٩ ) ولكنه لفته مع رواية أبي سعيد الخدرى أن ساقهما سياطاً واحداً .

ويقال : الصعود العقبة الشاقة . وهذا القول قريب مما ذكرنا (٢) ، قوله تعالى ( إنه فكر ) أى تدبر وقوله ( وقدر ) هو بمعنى التكفر أيضاً (٣) وقوله ( فقتل كيف قدر ) أى لعن كيف قدر . (٤)

(١) قاله ابن قتبية ، انظر تأويل مشكل القرآن ( ص ٤٣٢ ) وتفسير غريب القرآن (٤٩٦) وزاد المسير ( ٤٠٥/٨ - ٤٠٦ ) وذكرت فى معنى الصعود أقوال أخرى :

منها ما قال مجاهد : مشقة من العذاب . وما قال قتادة : أنه عذاب لراحة فيه . واختاره ابن جرير الطبرى . انظر تفسيره ( ١٥٥/٢٩ ) وانظر أيضاً تفسير الماورى ( ٣٤٦/٤ ) ، وتفسير القرطبي ( ٧٤/١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٤٢/٤ ) .

وقال الماورى أيضاً بعد إيراد هذه الأقوال عن أئمة التفسير ويحتمل أن لم يثبت هذا النقل قولاً خامساً أنه تصاعد نفسه للنزع ، وإن لم يتعقبه موت ليعذب من داخل جسده كما يعذب من جسده \* وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٦٤٨/٤ ) \* ( سأرهقه صعوداً ) سأغشيه عقبة شاقة المصعد ، وهو مثل لما يلقي من العذاب الشاق الصعد الذى لا يطاق \* .

(٢) يقصد ماتقدم ذكره من رواية أبى سعيد الخدرى مرفوعاً وموقوفاً ومن قول الكلبي ، أى أنه جبل فى النار .

(٣) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٠٦/٨ ) \* قوله تعالى : ( إنه فكر ) أى تفكر ماذا يقول فى القرآن . ( وقدر ) القول فى نفسه . وقال القرطبي فى تفسيره ( ٧٤/١٩ ) \* وقدر \* أى هياً الكلام فى نفسه ، والعرب تقول : قدرت الشئ إذا هياته \* .

وقال الرازى فى تفسيره ( ٢٠٠/٣٠ ) \* ثم إنه تعالى حكى كيفية عناده فنقل " إنه فكر وقدر " يقال : فكر فى الأمر وتفكر إذا نظر فيه وتدبر ، ثم لما تفكر رتب فى قلبه كلاماً وهياً وهو المراد من قوله " فقدر " وقال الخازن فى تفسيره ( ١٧٥/٧ ) ( إنه فكر وقدر ) أى فكرو فى الأمر الذى يريد ونظر فيه وتدبره ورتب فى قلبه كلاماً وهياً لذلك الأمر .

(٤) هكذا فسره أكثر المفسرين . وقال بعض أهل التأويل : معناه فقهر وغلب ، وقال الزهرى : عذب . انظر تفسير الطبرى ( ١٥٦/٢٩ ) تفسير البغوى ( ١٧٦/٧ ) وزاد المسير ( ٤٠٦/٨ ) وتفسير القرطبي ( ٧٥-٧٤/١٩ ) وتفسير الخازن ( ١٧٦/٧ ) والبحر المحيط ( ٣٧٤/٨ ) وقال الماورى فى تفسيره ( ٣٤٧/٤ ) \* فيه وجهان أحدهما : أى عوقبتم عوقب ، فيكون العقاب تكرر عليه مرة بعد أخرى الثانى : أى لعن ثم لعن كيف قدر أنه ليس بشعر ولا كهانة وأنه سحر .

- قال صاحب النظم : معناه لعن على أى حال قدر ما قدر . (٢)  
 وقوله ( ثم قتل كيف قدر ) على وجه التأكيد (٣) ومعناه ما بينا .  
 وقوله ( ثم نظرو ) أى برأيه وعقله فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم . (٤)

- (١) صاحب النظم هو أبو على الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني ، ذكره السهيمي ، وقال : له من التصانيف عدة منها من نظم القرآن مجلدتان ، وكان رحمه الله من أهل السنة .  
 تاريخ جرجان ١٨٧-١٨٨ .
- (٢) هذا المعنى ذكره البغوى فى تفسيره (١٧٦/٧) وابن الجوزى فى تفسيره (٤٠٦/٨) والقرطبي فى تفسيره (٧٥/١٩) ، والخازن فى تفسيره (١٧٦٧) وقيل " كيف " ها هنا بمعنى التعجب والإنكار والتوبيخ ، كما يقال للرجل للتعجب من صنيعه : كيف فعلت ؟ . وذلك كقوله " انظرو كيف ضربوا لسلك الأثمال . سورة الأسراء الآية ٤٨ .  
 انظر المصادر السابقة . وذكر فى الآية أوجه أخرى . راجع لمعرفة هذا الكشاف (٦٤٨/٤ - ٦٤٩) وتفسير الرازى ٢٠٠/٣٠ والبحر المحيط (٣٧٤/٨) وروح المعانى ١٢٤/٢٩ .
- (٣) انظر تفسير البغوى (١٧٦/٧) وزاد المسير (٤٠٦/٨) وتفسير الخازن (١٧٦/٧) .
- (٤) قال الماوردى فى تفسيره (٣٤٧/٤) " وفى ما نظر فيه وجهان : أحدهما : أنه نظر فى الوحي المنزل من القرآن ، قاله مقاتل ( انظر أيضا تفسير مقاتل ق ٣٧٥ / ب ) . الثانى : أنه نظر إلى بنى هاشم حين قال فى النبى صلى الله عليه وسلم . إنه ساحر ليعلم ما عندهم .  
 ويحتمل ( ثالثاً ) ثم نظر إلى نفسه فيما أعطى من المال والولد فطفى وتجبر " .  
 وذكر البغوى فى تفسيره (١٧٦/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٤٠٦/٨) والخازن فى تفسيره (١٧٦/٧) أنه نظر فى طلب ما يدفع به القرآن ويوده . وقال القرطبي فى تفسيره (٧٥/١٩) بأى شئ يرد الحق ويندفعه - وقيل الزمخشري فى الكشاف (٦٤٩/٤) ( ثم نظر ) فى وجوه الناس . . . وقيل : قدر ما يقوله ، ثم نظر فيه . . . وقيل : قطب فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . والصواب ما عليه أكثر المفسرين وهو أنه نظر فى طلب ما يدفع به القرآن ويوده . ولا يمتنع أيضا أنه نظر فى وجوه المشركين ليعرف مدى اقتناعهم بما وصف به النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى اسحاق ابراهيم الحنظلي<sup>(١)</sup> في كتابه بإسناده عن مجاهد أن المشركين اجتمعوا عند الوليد بن المغيرة وقالوا : هذا الموسم يأتي ويقدم فيه الناس ، ويسألوننا عن هذا الرجل ، فإن سألونا نقول : إنه شاعر ، فقال الوليد : إنهم يسمعون كلامه ، ويعلمون أنه ليس بشاعر ، فقالوا : نقول : إنه مجنون ، فقال : إنهم يسمعون حديثه فيعلمون أنه عاقل ، فقالوا : نقول : إنه كاهن ، فقال : إنهم قد رأوا الكهنة فيعلمون أنه ليس بكاهن ، قالوا : فماذا نقول ؟ فحينئذ فكر وقدر ونظر . وقوله ( ثم عيس وبسر ) أي قطب وجهه ، يقال للقارب وجهه : بأسر<sup>(٢)</sup> ، وقيل :

(١) هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم بن عبد الله بن مطر الإمام الحافظ الكبير المجتهد أبو يعقوب التميمي الحنظلي المروزي نزيل نيسابور وعالمها ، بل هو شيخ أهل المشرق ، ويعرف بابن راهويه ، صاحب المسند والسنن والتفسير المشهور ، ولا يوجد من مؤلفاته شيء سوى قطعات من المسند ، قال فيه الحافظ ابن حجر : ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته ببسيرة ، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وله اثنتان وسبعون .

تقريب التهذيب ٢٧ ، طبقات المفسرين ١٠٣/١ ، تاريخ التراث العربي لغو<sup>١</sup> اد سركين ٢٠٨/١ .

(٢) قال الجوهرى فى الصحاح ( ٥٨٩/٢ ) " وبسر الرجل وجهه بسوراً : أى كبح

، يقال : عيس وبسر ، وجاء فى لسان العرب ( ٥٨/٤ ) .  
" البِشْرُ : بالمعجمة . الطلاقة - والبَسْرُ : بالمهجمة : القُطُوبُ ، وجاء فيه أيضاً ( ١٢٨/٦ ) : عَيْسٌ يَعْيسُ عَيْسًا وَعَيْسٌ : قَطَبٌ ما بين عينيه ،

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٠٦/٨ ) " ثم عيس وبسر " قال اللغويون :  
أى كَرَّةً وَجْهَهُ وَقَطَبٌ ، يقال : بسر الرجل وجهه . أى : قبضه .

وقال القرطبي فى تفسيره ( ٧٥/١٩ ) " ثم عيس " أى قطب بين عينيه فى وجهه  
المؤمنين " وقال : والعَيْسُ مخففاً مصدر عَيْسَ يَعْيسُ عَيْسًا وَعَيْسًا : إذا قَطَّبَ ،  
ثم قال : " وبسر أى كبح وجهه وتغير لونه ، قاله قتادة والسدى .

العَبُوسُ بِمَدِّ المَحَاوِرَةِ ، وَالبِسُورُ قَبْلَ المَحَاوِرَةِ (١) - وَالأَصْحَحُ : أَنَّهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ (٢)  
وَإِنَّمَا قَبِلَ / ذَلِكَ لِأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَهَمَّهُ الأَمْرُ وَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِيهِ وَبَوْتَى (٣) تَعَسَّسَ  
وَجْهَهُ كَالْمَكَارِهِ بِشَيْءٍ (٤) ، ثُمَّ أَنَّ الوَلِيدَ لَمَّا فَعَلَ جَمِيعَ مَا فَعَلَ (٥) لِلقَوْمِ قَوْلُوا : إِنَّهُ  
سَاحِرٌ ، يَبْغِضُ بَيْنَ المَتَحَابِّينَ ، وَيُحِبُّ بَيْنَ المَتَبَاغِضِينَ وَإِنْ مُحَمَّدًا كَذَلِكَ  
فَخَرَجُوا وَاجْتَمَعُوا عَلَى هَذَا القَوْلِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لِكُلِّ مَنْ يَلْقَاهُمْ : إِنَّهُ ٣٠٣ ب/  
سَاحِرٌ فَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ( فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُوَثَّرُ ) (٦) أَي القُرْآنِ ،

( ١ ) ذَكَرَهُ المَاورِدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٣٤٧ / ٤ ) وَالقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٧٦ / ١٩ ) .  
( ٢ ) يُوَثِّرُ ذَلِكَ مَا تَقْدِمُ نَقْلُهُ عَنِ ابْنِ مَنظُورٍ إِذْ فَسَّرَ الكَلِمَتَيْنِ - أَي عَسَّسَ وَيَسَّرَ -  
بِقَطْبٍ .

( ٣ ) كَذَا فِي النَسَخَتَيْنِ ( بَوْتَى ) وَيُؤَدُّ لِي أَنَّ الصَّوَابَ . . . ( يَتْرَوَى ) . . .

( ٤ ) قَالَ البَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ١٧٦ / ٧ ) .  
" ثُمَّ عَسَّسَ وَيَسَّرَ " كَلْحَ وَقَطْبَ وَجْهَهُ فَنظَرَ بِكُورَاهِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كَالْمَهْتَمِّ المَتَفَكِّرِ  
فِي شَيْءٍ . . .

انظُرْ أَيْضًا زَادَ المَسِيرِ ٨ / ٤٠٧ ، وَتَفْسِيرَ الخَازِنِ ( ١٧٦ / ٧ ) .

وَذَكَرَ القُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٧٦ / ١٩ ) لِكَلِمَةِ ( بَسَرَ ) مَعْنَى آخِرَ قَالٍ :  
وَقَالَ قَوْمٌ : ( بَسَرُوا ) وَقَفَّ لا يَتَقَدَّمُ وَلا يَتَأَخَّرُ ، قَالُوا : وَكَذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ  
الْيَمَنِ إِذَا وَقَفَّ المَرْكَبُ ، ظَمَّ يَجِيءُ ، وَلَمْ يَذْهَبْ ، قَدْ بَسَرَ المَرْكَبُ وَأَبْسَرَ ، أَي  
وَقَفَّ .

( ٥ ) الظَّاهِرُ أَنَّ فِي العِبَارَةِ سَقَطًا ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ ( قَالَ لِلقَوْمِ ) .

( ٦ ) ذَكَرَهُ الوَاحِدِيُّ فِي سَبَبِ النِّزُولِ ( ٣٣٠ ) عَنِ المَجَاهِدِ بِدُونِ سَنَدٍ ، وَذَكَرَهُ  
بَنُو العَرَاءِ فِي مَعَانِي القُرْآنِ ( ٢٠٢ / ٣ ) وَابْنُ الجَوَازِيِّ فِي زَادِ المَسِيرِ  
( ٤٠٣ / ٨ - ٤٠٤ ) وَابْنُ هِشَامٍ فِي سِيَرَتِهِ ( ٢٤٣ / ١ ) . وَرَوَيْتُ هَذِهِ القِصَّةَ  
بِشَيْءٍ مِنَ الإِخْتِلَافِ عَنِ ابْنِ عِبَّاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ : " دَخَلَ الوَلِيدُ بَيْنَ المَغْبِيَةِ عَلَى  
أَبِي بَكْرٍ بِنِ ابْنِ قُحَافَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَسْأَلُهُ عَنِ القُرْآنِ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ خَرَجَ  
عَلَى قَرِيشٍ فَقَالَ : يَعْجَبُ لِمَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ، فَوَاللّهِ مَا هُوَ بِشَعْرٍ وَلا بِسِحْرٍ ،  
. . . / . . .

ولا يهذى من الجنون ، وان قوله لمن كلام الله ، فلما سمع بذلك النفر من قريش  
 ائتمروا وقالوا : والله لئن صبأ الوليد لتصبأن قريش ، فلما سمع بذلك أبو جهل  
 قال : أنا والله أكفيكم شأنه ، فانطلق حتى دخل عليه بيته ، فقال للوليد :  
 ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة ، قال : ألسنت أكرههم مالاً وولداً ؟ فقال له  
 أبو جهل : يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه ، قال  
 الوليد : لقد تحدثت بيه عشيروتي ، فلا يتصر عن سائر بني قصى ، لا أقرب أبابكر ولا عمر  
 ولا ابن أبي كبشة ، وما قوله إلا سحر يوثر ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم :  
 " ذرني ومن خلقت وحيداً " الى " لا تبقى ولا تذر " .

رواه الطبري في تفسيره ( ١٥٦ / ٢٩ ) بسنده عن عطية العوفي عن ابن عباس  
 ورواه أيضا الحاكم في مستدركه ( ٥٠٦ / ٢ ) والواحدى في أسباب النزول ( ص ٣٣٠ )  
 كلاهما من طريق عبدالرزاق عن معمر عن أيوب السخيتاني عن عكرمة عن ابن عباس أن  
 الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه القرآن وكأنه رق له  
 فبلغ ذلك أبا جهل فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه . . . الى  
 آخر القصة .

قال فيه الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه .

وقوله ( يَوْشَرَ ) أى يَأْثُرُهُ عن غيره <sup>(١)</sup> كانوا يقولون : إنه يتعلم من غلام ابن الحضرمي ، وقيل غيره <sup>(٢)</sup>

وقوله ( ثم أدبر واستكبر ) أى تولى وتكبر <sup>(٣)</sup> . وقوله ( إن هذا إلا قول البشر )

أى القرآن قول البشر ليس بقول الله تعالى . وقوله تعالى ( سأصليه سقر ) اسم من أسماء جهنم <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) انظر تفسير ابن جرير الطبري ( ١٥٧ / ٢٩ ) وتفسير القرطبي ( ٧٦ / ١٩ ) .

( ٢ ) هو قول السدي : قال : يعنون أنه من قول أبي اليسر عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ، فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك " ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٤٨ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧٦ / ١٩ ) وقال ( سيار ) بدل : أبي اليسر .

وقال البغوي في تفسيره ( ١٧٧ / ٧ ) وتبعه الخازن في تفسيره ( ١٧٦ / ٧ ) يعنى يساراً وجبراً فهو يَأْثُرُهُ عنهما " - وقيل : أراد الله : تلقنه من أهل بابل وقيل : عن مسيلمة ، وقيل : عن عدى الحضرمي الكاهن " .

انظر معاني القرآن للفراء ٢٠٣ / ٣ ، وتفسير القرطبي ٧٧ / ١٩ .

( ٣ ) قال الماوردي في تفسيره ( ٣٤٧ / ٤ ) " يحتمل وجهين ، أحدهما : أدبر عن الحق واستكبر عن الطاعة . الثاني : أدبر عن مقامه واستكبر في مقاله . وقال البغوي في تفسيره ( ١٧٦ / ٧ ) ( ثم أدبر ) عن الإيمان ( واستكبر ) تكبر حين دعى إليه . انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٠٧ / ٨ ) وقال القرطبي ( ٧٦ / ١٩ ) ، ( ثم أدبر ) أى ولى وأعرض ذاهباً إلى أهله ( واستكبر ) أى تعظم عن أن يؤمن ، وقيل : أدبر عن الإيمان واستكبر حين دعى إليه .

( ٤ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٧ / ٨ ) أى : من كلام الانس ، وليس من كلام الله ، وقال القرطبي في تفسيره ( ٧٦ / ١٩ ) . أى : ما هذا إلا كلام المخلوقين ، يَخْتَدِعُ به الطوب كما تَخْتَدِعُ بالسحر .

( ٥ ) هو قول الزجاج ، كما ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠١ / ٨ ) وهو مأخوذ من قولهم : سَقَرَتْهُ الشمسُ : لَوَحَّتْهُ وَالْمَتَدُ ماغته بحرهما فسميت جهنم بذلك لشدتها وإيلامها - وقيل : سميت بذلك لأنها تذيب الأجسام وقيل : هو اسم أعجمي علم لنار الآخرة . والصواب أنه اسم عربي .

انظر : لسان العرب ٣٧٢ / ٤ ، وزاجع أيضاً تفسير الماوردي ٣٤٨ / ٤

ومعاني القرآن للفراء ٢٠٣ / ٣ ، وتفسير البغوي ١٧٧ / ٧ ، وزاد المسير

١٠١ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٧٧ / ١٩ ، وتفسير الخازن ١٧٧ / ٧ .



قال ابن عباس هو الدرك الخامس<sup>(١)</sup> والدركات سبع كلها في القرآن جهنم

(٢)

ولظى والجحيم وسقر وسعير والهواية والحطمة .

قوله ( وما أدراك ما سقر ) قاله تعظيماً لا مر السقر<sup>(٣)</sup> . وقوله ( لا تبقى ولا تذر )

قال مجاهد لا يبقى حياً فيستريح ولا ميتاً فيتخلص وهو معنى قوله تعالى " لا يموت فيها

(٤)

ولا يحيى .

(١) ذكره الرازي في تفسيره (٢٠٢/٣٠) قال : قال ابن عباس : " سقر " اسم للطبقة السادسة من جهنم ، وذكره القرطبي في تفسيره (٧٧/١٩) بلفظ : هي الطبقة السادسة من جهنم ، وأورد السيوطي في الدر المنثور (٢٨٣/٦) عن ابن عباس أنه قال : " سقر أسفل الجحيم نار فيها شجرة الزقوم " .

(٢) كذا ذكر البغوي في تفسيره (١٧٩/٧) والرازي في تفسيره (٢٠٩/٣٠) .  
للجهنم سبع دركات ، أعاننا الله منها .

وقال البيهقي في شعب الإيمان (١١١/١/١) " روينا في حديث مرسل :  
أنها سبعة أبواب : جهنم ولظى " . . . وذكر السبعة ، ثم قال : وقال بعض  
أهل العلم : جهنم أصل جميع الدركات ودركاتها سبع . فذكر هذه ، وذكر معهن  
الحريق " .

(٣) انظر زاد المسير (٤٠٧/٨) وتفسير القرطبي (٧٧/١٩) .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٨/٢٩) من وجهين كلاهما عن ابن أبي نجيد  
عن مجاهد . قال : لا تميت ولا تحيي ، .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٢٨٣/٦) بلفظ الطبري . وعزاه إلى  
عبد بن حميد وابن المنذر .

وأورد الماوردي في تفسيره (٣٤٨/٤) بلفظ : " لا تبقى من فيها حياً ، ولا تذر  
ميتاً قاله مجاهد " والبغوي في تفسيره (١٧٧/٧) بلفظ : قال مجاهد :  
لا تميت ولا تحيي ، يعني لا تبقى من فيها حياً ولا تذر من فيها ميتاً كلما احترقوا  
جددوا " .

انظر أيضاً تفسير القرطبي (٧٧/١٩) .

ويقال : " لا تبقى ولا تذر " أى لا تبقى لحماً ولا عظماً ولا تذر أى إذا أحرقت الكلى لم تذر لأنه يعود خلقاً جديداً<sup>(١)</sup> ، وقيل : لا تبقى أحداً من الكافرين ، أى تأخذ جميع الكافرين ولا تذرهم من العذاب وقتاً ما أى تحرقهم أبداً<sup>(٢)</sup> وفى بعض التفاسير : أن كل شىء يسأم ويمل سوى جهنم<sup>(٣)</sup> وقوله ( لواححة للبشر ) أى محرقة قسماً أبو رزين : يحرقهم حتى يصبوا سوداً كالليل المظلم<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكر الشعلبي فى تفسيره ( ٢٠٨ / ١٢ / ب ) والبغوي فى تفسيره ( ١٧٧ / ٧ ) عن السدى أنه قال : لا تبقى لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً " وقال القرطبي فى تفسيره ( ٧٧ / ١٩ ) " أى لا تترك لهم عظماً ولا لحماً ولا دماً إلا أحرقتهم ، وكرر اللفظ تأكيداً " وقيل : لا تبقى منهم شيئاً ، ثم يعادون خلقاً جديداً ، فلا تذر أن تماود إحراقهم هكذا أبداً .

انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٠٧ / ٨ ) .

( ٢ ) ذكر الماوردي فى تفسيره ( ٣٤٨ / ٤ ) قريباً من هذا القول قال : لا تبقى أحداً من أهلها أن تتناولوه ، ولا تذر من العذاب ، حكاه ابن عيسى .

( ٣ ) ذكر الشعلبي فى تفسيره ( ٢٠٨ / ١٢ / ب ) والبغوي فى تفسيره ( ١٧٧ / ٧ ) عن الضحاك أنه قال : إذا أخذ تنغيهم لم تبقى منهم شيئاً ، وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تنغيهم ، ولكل شىء ملالة وفترة إلا جهنم " وذكره الخازن أيضاً فى تفسيره ( ١٧٧ / ٧ ) وقال أيضاً : قيل هما بمعنى كما تقول : صدعنى وأعرضنى ، وقيل : لا بد من الفرق والالزم التكرار ثم ذكر بعض ما تقدم من أقوال المفسرين . انظر أيضاً تفسير الرازي ( ٢٠٢ / ٣٠ ) .

( ٤ ) هو مسعود بن مالك أبو رزين الأسدى مولى أبى واغل الأسدى الكوفى ، ثقة فاضل مات فى سنة خمس وثمانين .  
تهذيب التهذيب . ١١٨ / ١ ، تقريب التهذيب ٣٣٤ .

( ٥ ) رواه ابن جريو فى تفسيره ( ١٥٩ / ٢٩ ) من ثلاثة أوجه : ولفظه فى إحدى الروايات : تلفح الجلد لفحة ، فتدعه أشد سواد من الليل وقال فى رواية : غيوت جلودهم فاسودت . وذكره الماوردي فى تفسيره ( ٣٤٨ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٧٧ / ١٩ ) بلفظ : " وقال أبو رزين : تلفح وجوههم لفحة تدعها أشد سواداً من الليل " .

وزاد القرطبي فقال : وقاله مجاهد ، والمرب تقول : لاه البرد والحمر والسقم والحزن : إذا غيره ، ومنه قول الشاعر :  
تقول ما لا حاك يا مسافر  
يا بنى عمى لا حنى الهواجر  
وذكره البغوي فى تفسيره ( ١٧٧ / ٧ ) بهذا اللفظ وعزاه إلى مجاهد .

وقيل : ( لواحة للبشر ) أى يحرق اللحم حتى تلوح العظم <sup>(١)</sup> ويقال معناه :  
أن بشرة أجسادهم تلوح على النار حكى هذا عن مجاهد <sup>(٢)</sup> .

وقيل : ( لواحة للبشر ) أى معطشة <sup>(٣)</sup> قال الشاعر <sup>(٤)</sup>  
سَقَتْنِي عَلَى لَسُوْحٍ مِنَ الْمَاءِ شَكْرِيَّةٌ سَقَاهَا بِهِ اللَّهُ الرَّهْمَانَ الْفَوَادِيَا <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>

( ١ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٤٨ / ٤ ) من قول عطية . قال : تحرق البشر حتى تلوح العظم ، قاله عطية ، وذكره الثعلبى فى تفسيره ( ١ / ٢٠٩ / ١٢ ) عن ابن عباس وزيد بن أسلم أنهما قالا : محرقة للجلد .

( ٢ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٤٨ / ٤ ) وعزاه إلى مجاهد ، ولم أجد من ذكره بهذا اللفظ غير المؤلف والماوردى وقد ذكر عنه الثعلبى فى تفسيره ( ١٢ / ٢٠٨ / ب ) نحو ما تقدم عن أبى رزین .

( ٣ ) ذكر هذا التفسير الماوردى فى تفسيره ( ٣٤٨ / ٤ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٧٨ / ١٩ ) وقالا : إن اللوح شدة العطش ، والمعنى أنها معطشة للبشر ، أى لأهلها ، قاله الأخفش ، ثم أنشأ البيت .

( ٤ ) لم أعرفه .

( ٥ ) كذا فى النسختين ( الرهان ) .

ووالصواب ( الرهام ) كما جاء فى المصادر الأخرى . وهو جمع ، مفرده الرَّهْمَةُ بالكسر : المطر الضعيف الدائم الصفيو القَطْرُ ، لسان العرب ٢٥٧ / ١٢ ، وزاد فى الأصل حرف الواو بين الرهان والفوادىيا وهو غير صحيح .

( ٦ ) هو جمع ، مفرده الفَادِيَّةُ : السَّحَابَةُ الَّتِي تَنْشَأُ غُدُوَّةً . لسان العرب ١١٨ / ١ . والبيت فى تفسير الماوردى ( ٣٤٨ / ٤ ) وتفسير القرطبى ( ٧٨ / ١٩ ) . وذكر فى تفسير الآية قول آخر ، فقال الحسن وابن كيسان : تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً ، نظيرة قوله تعالى : وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ \* سورة الشَّعْرَاءِ الآية ٩٠ - ذكره الثعلبى فى تفسيره ( ١ / ٢٠٩ / ١٢ ) .

.../...

والبغوى فى تفسيره (١٧٧/٧) والرازى فى تفسيره (٢٠٢/٣٠) والقوطبى فى تفسيره (٧٨١/١٩) وذكر عن ابن عباس أيضا أنه قال : "لواحة" أى تلوح للبشر من مسبوة خمسمائة عام وذكره أيضا أبوحيان فى البحر المحيطة (٣٧٥/٨) .

هذا وينقل المفسرون فى معنى البشر قولين :-

أحدهما : أنه جمع بشرة ، وهى جلدة الإنسان الظاهرة ، وهذا قول مجاهد والفراء والزجاج وغيرهم ( انظر قول الفراء فى معانى القرآن ٢٠٣/٣ ) .

والثانى : أنهم الإنس من أهل النار ، قاله الأخفش والاكثرون .

قال القوطبى : هذا على التفسير الأول وأما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه إلا الناس لا الجلود ، لأنه من لاح الشئ يلوح : إذا لمع . ثم إن القائلين بالقول الثانى طعنوا فى التفسير الأول وهو أنها مغيرة لألوانهم ، فقالوا : لا يجوز أن يصفها بتسويد البشرة مع قوله إنها ( لاتبقى ولا تذر ) .

ذكره الرازى فى تفسيره ( ٢٠٢/٣٠ ) وسكت عنه ، وذكره الأوسى فى روح المعانى ( ١٢٥/٢٩ ) وذكر أنه أجيب عن ذلك بأنها فى أول الملائقة تسوده ثم تحرقه وتهلكه أو الأول حالها مع من دخلها ، وهذا حالها مع من يقرب منها .

وذكر أن المراد ذكر أوصافها المهولة الفظيعة من غير قصد إلى ترق من فطيسع إلى أفضع .

وقوله ( عليها تسعة عشر ) أى من الزبانية وخزنة النار . وفى التفسير : أن من

( ١ ) قال الماوردى فى تفسيره ( ٣٤٩ / ٤ ) ( عليها تسعة عشر ) هو "هؤلاء خزنة جهنم وهم الزبانية ، وعدد هم هذا الذى ذكره الله تعالى . وقال البغوى فى تفسيره ( ١٧٧ / ٧ ) " أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر " .

انظر أيضا زاد المسير ( ٤٠٧ / ٨ ) وتفسير الرازى ( ٧٩ / ١٩ ) وتفسير القرطبي ( ٧٩ / ١٩ ) وذكر الثعلبى فى تفسيره ( ٢٠٩ / ١٢ ) فى قوله " تسعة عشر " ثلاثة احتمالات ، فقال : يحتمل أن يكونوا تسعة عشر صنفاً ، ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر صنفاً ، ويحتمل أن يكونوا تسعة عشر صنفاً ، ولا يستنكر هذا ، فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحسب أن يكون تسعة عشر على عذاب بمعنى الخلائق من ورجح القرطبي الإحتمال الثالث ، فقال : والصحيح ان شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء النقباء . وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها ، كما قال الله تعالى " وما يعلم جنود ربك إلا هو " وقد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يوفى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " تفسير القرطبي ٨٠ / ١٩ .

انظر أيضا البحر المحيط ٣٧٥ / ٨ ، وروح المعانى ١٢٦ / ٢٩ وقد ذهب الماوردى فى تفسيره ( ٣٤٩ / ٤ ) إلى تفصيل آخر ظهر له فى الإقتصار على هذا العدد ، وهو أن تسعة عشر عدد يجمع أكثر الظليل من العدد وأقل الظليل ، لأن العدد أحاد وعشرات ومئون وألوف ، والأحاد أقل الأعداد ، وأكثر الأحاد تسعة ، وما سوى الأحاد كثير وأقل الكبر عشرة ، فلذلك وقع عليها الإقتصار . ثم ذكر احتمالين آخرين كلاهما ظن وتخمين ليس عليه دليل من الكتاب والسنة . وكذلك ذكر الرازى فى تفسيره ( ٢٠٣ / ٣٠ ) فى تقدير هذا العدد ثلاثة أوجه كلها خرس وتخمين - والقرآن أجل من أن يفسر بالخرص والتخمين - .

وقد أورد الألوسى فى روح المعانى ( ١٢٨ / ٢٩ - ١٢٩ ) كل هذه الأوجه عن الماوردى والرازى دون تصريح منه ثم قال : والذى مال إليه أكثر العلماء أن ذلك مما لا يعلم حكمته على التحقيق إلا الله عز وجل ، وهو كالمتشابه .

منكب أحد هم إلى المنكب الآخر مسيرة سنة ويأخذ بكفه مثل عدد ربيعة ومضو (١) (٢)  
ويدفع في النار دفعة واحدة سبعين ألفاً ، وقيل : تسعين ألفاً وأعينهم كالبرق  
الخاطف وأسنانهم كصياض البقر (٣) (٤) . وذكر الكلبى : أن لهم من الأعوان والجنود ما لا يعلم  
عددهم إلا الله تعالى (٥) .

(١) ربيعة : شعب عظيم ، فيه قبائل عظام وبطنون وأفخاذ ينتسب إلى ربيعة بن  
نزار بن معد بن عدنان ، ويعرف بربيعة الفرس . وكانت يار هذا الشعب فيما  
يليه من بلاد نجد وتهامة .

انظر معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة (٢/٤٢٤ - ٤٢٥) .

(٢) مضو : هو مضرب بن نزار - قبيلة عظيمة من العدنانية ، كانت يارهم حيز الحرم  
إلى السروات وما دونها من الغور وما والاها من البلاد وكانوا أهل الكثرة  
والغلب بالحجاز من سائر بنى عدنان ، وكانت لهم رئاسة مكة . المصدر  
السابق (٣/١١٠٧) .

(٣) أى قرونها ، وهو جمع واحدته صِيصِيَّة . النهاية ٦٧/٣ .

(٤) ذكر نحوه البيهقي في تفسيره (١٧٧/٧) قال : وجاء في الأثر " أعينهم  
كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين  
منكبى أحد هم مسيرة سنة نزع من الرحمة يرفع أحد هم سبعين ألفاً فيومهم  
حيث أراد من جهنم ، قال عمرو بن دينار : إن واحدا منهم يدفع بالدفع  
الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضو " وهي رواية أوردها الشعبي في  
تفسيره (١٢/٢٠٩/١) بسنده عن ابن جريج قال : حدثتُ حدثاً مرفوعاً  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه نعت خزنة النار فقال : كأن أعينهم البرق ..  
وذكر مثل ما تقدم عن البيهقي . وهذا إسناد فيه انقطاع بين ابن جريج والنبي  
على الله عليه وسلم .

وأورده الزمخشري في الكشاف (٤/٦٥١) وابن الجوزي في زاد المسير

(٨/٤٠٧) والرازي في تفسيره (٣٠/٢٠٣) والقرطبي في تفسيره (١٩/٧٩) .

وقال ابن حجر في تخريج الكشاف : لم أجده ، وأورده السيوطي في الدر المنثور

(٦/٢٨٤) عن ابن عباس قال : حدثتُ أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف خزان

جهنم فقال . . . ثم ذكره بنحوه ، وعزاه إلى ابن مردويه .

(٥) لم أجده من ذكر عن الكلبى هذا القول .

وقوله تعالى ( وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ) سبب نزول هذه الآية :  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر بعدد الزبانية وقال أبو جهل : أرى محمداً  
 يوعدكم بتسعة عشر وأنتم الدهم<sup>(١)</sup> أفلا تقرنون معهم ليعمد كل عشرة منكم إلى واحد  
 فيدفعه .

وقال أبو الأسد بن كعدة وكان رجلاً من بني جمح<sup>(٢)</sup> : أنا أتقدكم على الصراط  
 فادفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر . وتمرون إلى الجنة ، وقال لكعدة  
 ابن أسيد : أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين<sup>(٣)</sup> فانزل الله تعالى

( ١ ) الدهم : العدد الكثير . النهاية ٢ / ١٤٥ .

( ٢ ) وقع في اسمه خلاف كبير - ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٢٩ / ١٦٠ ) ،  
 والماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٥٠ ) فقالا : أبو الأشد بن الجمحي وذكره البغوي  
 في تفسيره ( ٧ / ١٧٧ ) فقال : أبو الأشد أسيد بن كعدة بن خلف الجمحي ، وذكره  
 ابن الجوزي في زاد المسير ( ٨ / ٤٠٨ ) فقال : أبو الأشد بن وقال مقاتل : اسمه  
 أسيد بن كعدة ، وقال غيره : كعدة بن خلف الجمحي - انظر تفسير مقاتل ( ق  
 ٣٧٦ / ١ ) وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٨٠ ) فقال : أبو الأسود ابن كعدة  
 الجمحي ، وذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٤٤٤ ) فقال : أبو الأسد بن واسمه كعدة  
 ابن أسيد بن خلف \* - والصواب أنه أبو الأشد بن أسيد بن كعدة بن خلف الجمحي ،  
 وذكر مقاتل في تفسيره ( ق ٣٧٦ / ١ ) أنه سمي أبا الأشد بن لشدة .

وكان قد بلغ هذا الرجل من القوة أنه كان يقف على جلد البقرة ويجانبه  
 عشر فلينزعه من تحت قدميه ، فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه . وقال السهيلي في  
 الروض الأنف ( ٢ / ٦٥ ) : وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
 مصارعة ، وقال : إذا صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مراراً فلم  
 يوه من . انظر أيضاً تفسير ابن كثير ( ٤ / ٤٤٤ ) .

( ٣ ) ذكره الثعلبي في تفسيره ( ١٢ / ٢٠٩ / ١ ) قال : قال ابن عباس وقتادة والضحاك  
 لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كيشه  
 يخبر أن خزنة جهنم تسعة عشر . . . . . ثم ذكره بنحوه إلى آخره .  
 انظر أيضاً تفسير مقاتل ( ق ٣٧٦ / ١ ) وتفسير البغوي ( ٧ / ١٧٧ ) وزاد المسير  
 ( ٨ / ٤٠٨ ) وتفسير الرازي ( ٣٠ / ٢٠٣ ) وتفسير القرطبي ( ٩ / ٨٠ - ٨١ ) .

( وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ) أى هو "لا" تسعة عشر من الملائكة وكيف  
تطيقونهم . (١)

وروى أن المسلمين لما سمعوا منهم هذا قالوا : تقيسون الملائكة بالحداد يس  
أبي السجانيين (٢) وقوله تعالى ( وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ) أى محنسة  
وبلية حتى قالوا ما قالوا . (٣)

(١) قال البغوى فى تفسيره (١٧٧/٧) فى تفسير الآية : " لا رجالاً آدميين  
فمن ذا يغلب الملائكة " .  
وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٤٠٨/٨) " لا آدميين ، فمن يطيقهم ومن  
يغلبهم ؟ " .

وقال القرطبي فى تفسيره ( ٨١/١٩ ) بعد أن ذكر هذا المعنى : " وقيل :  
جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعدن بين من الجن والإنس فلا يأخذهم  
ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة " .  
انظر أيضاً تفسير الرازى ٢٠٤/٣٠ .

(٢) ذكره الرازى فى تفسيره ( ٢٠٤/٣٠ ) قال : قال المسلمون : ويحكم لاتقاس  
الملائكة بالحداد ين ، فجرى هذا مثلاً فى كل شيئين لا يسوى بينهما ، والمعنى :  
لاتقاس الملائكة بالسجانيين والحداد ، السجان الذى يحبس النار .

(٣) قال البغوى فى تفسيره (١٧٧/٧) فى تفسير الآية " أى ضلالة لهم حتى قالوا  
ما قالوا " . وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٠٨/٨ ) " ( وما جعلنا  
عدتهم ) فى هذه القلة ( إلا فتنة ) أى : ضلالة . ( للذين كفروا ) حتى  
قالوا ما قالوا ، وقال القرطبي فى تفسيره ( ٨١/١٩ ) " أى بلية ، كما قال  
تعالى : " يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ " ( سورة الذاريات الآية ١٣ ) " ذوقوا  
فَتَنَتِكُمْ هذا الذى كنتم به تَسْتَفْجِلُونَ " . سورة الذاريات الآية ١٤ . أى  
جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب " .

وذكر الرازى فى تفسيره ( ٢٠٤/٣٠ ) وجهين فى كون هذا العدد سبباً  
لفتنة الكفار .

الأول : أن الكفار يستهزئون ، يقولون لِمَ لِمَ يكونوا عشرين ، وما المقتضى لتخصيص  
هذا العدد بالوجود ؟ .

الثانى : أن الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر  
خلق العالم من الجن والإنس . . .

انظر أيضا البحر المحيط ( ٣٧٦/٨ ) .



وقوله ( ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ) أى ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن محمداً صلى الله عليه وسلم قال ما قال من الله تعالى فإنه وافق هذا العدد الذين وعدوا في التوراة والإنجيل (١).

وقوله ( ويزاد الذين آمنوا إيماناً ) أى يزداد الذين من أهل الكتاب إيماناً (٢)،  
وقيل : يزداد جميع المؤمنين إيماناً إذا رأوا ما / قاله النبي صلى الله عليه وسلم موافقاً ٣٠٤/أ  
لما حكاه أهل الكتاب (٣) وقوله ( ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ) أى لا يشكون (٤)

(١) ذكر ابن جرير في تفسيره (٢٩ / ١٦٠) والماوردي في تفسيره (٤ / ٣٥٠) في تفسير الآية وجهين .

أحدهما : يستيقنوا عدد الخزنة لموافقة التوراة والإنجيل .  
الثاني : ليستيقنوا أن محمداً نبى لما جاء به من موافقة عدة الخزنة روى ابن جرير الوجه الأول عن ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم ، والثاني عن ابن زيد وقال القرطبي في تفسيره (١٩ / ٨٢) " أى ليؤمن الذين أعطوا التوراة والإنجيل أن عدة خزانة جهنم موافقة لما عندهم ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم " . ثم يحتمل أنه يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله ابن سلام ، ويحتمل أنه يريد الكل " وهو الصواب .

(٢) ذكر هذا القول البغوي في تفسيره (٧ / ١٧٨) وابن الجوزي في زاد المسير (٨ / ٤٠٨) والقرطبي في تفسيره (١٩ / ٨٢) والخازن في تفسيره (١٧٨٧) .

(٣) أشار إلى هذا القول الزمخشري في تفسيره (٤ / ٦٥٢) والصواب فيما يظهر لي أن المراد كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب وغيرهم ، قال أبوحيان في البحر المحيط (٨ / ٣٧٦) عند هذه الآية : وبورود الحقائق من عند الله تعالى يزداد كل ذي إيمان إيماناً ويزول الريب عن المصدقين من أهل الكتاب ، وعن المؤمنين " .

(٤) في الأصل " لا يشكوا " والصواب ما أثبتته لأنه تقتضيه القاعدة العربية .

في العدد إذا وجدوا التوراة والإنجيل والقرآن متفقة على هذا العدد (١) وقوله  
 ( وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ) أي  
 كيف ذكر الله هذا العدد وخص الزبانية به وهو تفسير قوله تعالى ( إلا فتنة  
 للذين كفروا ) (٢) وقوله كذلك " يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء " يعنسى  
 كما أضل الكفار بهذا العدد وهدى المؤمنين بقبوله كذلك يضل الله من يشاء

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٨/٨ ) أي ولا يشك هو إلا في عدد  
 الخزنة " وقال القرطبي في تفسيره ( ٨٢/١٩ ) " ( لا يوتاب ) أي : ولا يشك  
 ( الذين أوتوا الكتاب ) أي أعطوا الكتاب ، ( والمؤمنون ) أي المصدقون  
 من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر " .  
 أورد هنا الزمخشري في الكشاف ( ٦٥٢/٤ ) سؤالا ثم أجاب عنه .

قال : فإن قلت : لم قال ( ولا يوتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون )  
 والإستيقان وأرد ياد الإيمان دالان على إنتفاء الإرتياب ؟ .

قلت : لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفى الشك كان أكد وأبلغ لوصفهم  
 بسكون النفس وثلج الصدر ، ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم ، كأنه قال :  
 وليتخالف حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر .

وذكر نحو هذا السؤال الرازي في تفسيره ( ٢٠٦/٣٠ ) وأجاب عنه  
 بقوله : أن المطلوب إذا كان غامضا دقيق الحجة كثير الشبهة ، فإذا  
 اجتهد الإنسان فيه وحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات  
 ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك والشبهة ، فإثبات اليقين في بعض  
 الأحوال لا ينافي طريان الإرتياب بعد ذلك ، فالمقصود من هذا الكلام  
 هو أنه حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل عقبيه البتة شك ولا ريب .  
 انظر أيضا تفسير الخازن ١٢٨/٧ وروح المعاني ١٢٧/٢٩ .

(٢) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٨/٨ ) في قوله تعالى ( وليقول الذين  
 في قلوبهم مرض ) ثلاثة أقوال .  
 أحدها : النفاق - ذكره الأكثرون .  
 والثاني : أنه الشك ، قاله مقاتل . وزعم أنهم يهود أهل المدينة ، وعنده أن  
 هذه الآية مدنية .

٠٠/٠٠

والثالث : أنه الخلاف ، قاله الحسين بن الفضل . وقال : لم يكن بمكة نفاق .  
وهذه مكة .

انظر قول مقاتل في تفسيره ( ق ٣٧٦ / ١ ) وانظر أيضا تفسير الشعلي  
( ١٢ / ٢٠٩ / ب ) وأكثر المفسرين على أن المرغى في هذه الآية بمعنى النفاق  
كما صرح به ابن الجوزي . ولما أورد عليهم أنه لم يكن بمكة نفاق فكيف ذكر الذين  
في قلوبهم مرض ، وهم المنافقون . والسورة مكية ، أجابوا عن ذلك بأن معناه  
وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ، وهو  
كسائر الأخبار بالغيوب . فعلى هذا تصير الآية معجزا لنبى صلى الله عليه  
وسلم ، لأنه أخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل : يحتمل أن يسراد  
بالذين في قلوبهم مرض أهل مكة لأن فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب  
انظر الكشاف ٤ / ٦٥٢ ، تفسير الرازى ٣٠ / ٢٠٨ ، تفسير القرطبي ١٩ / ٨٢ ،  
تفسير الخازن ( ١٧٨ / ٧ ) .

أما قوله تعالى ( ماذا أراد الله بهذا مثلا ) فقال القرطبي في تفسيره ( ٨٢ / ٩ )  
أى : ما أراد بهذا العدد الذى ذكره حديثا أى ما هذا من الحديث .  
انظر أيضا زاد المسير لابن الجوزى ( ٨ / ٤٠٩ ) وتفسير الخازن ( ١٧٨ / ٧ ) .

ويهدى من يشاء بما ينزل من القرآن<sup>(١)</sup> وقوله ( وما يعلم جنود ربك إلا هو ) روى أن الكفار لما سمعوا هذا العدد قالوا : ما أقل هذا العدد فأنزل الله تعالى ( وما يعلم جنود ربك إلا هو ) أي له من الجنود سوى هذا العدد ما لا يعلم عدد ها إلا هو<sup>(٢)</sup> .

وقوله ( وما هي إلا ذكري للبشر ) أي هذه الآيه عظة وعبرة للبشر<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٩/٨ ) في تفسير الآية \* أي : كما أضل من أنكّر عدد الخزنة ، وهدى من صدق بفضله من يشاء ويهدى ممن يشاء \* .

انظر أيضا تفسير القرطبي ٨٢/١٩ ، وتفسير الخازن ١٧٨/٧ .

( ٢ ) قال الرازي في تفسيره ( ٢٠٨/٣٠ ) قوله تعالى ( وما يعلم جنود ربك إلا هو ) فيه وجوه .

أحد ها وهو الأولى أن القوم استظفوا ذلك العدد . فقال تعالى : ( وما يعلم جنود ربك إلا هو ) فهبان هو لا تسعة عشر إلا أن لكل واحد منهم من الأعوان والجنود ما لا يعلم عدد هم إلا الله .

وثانيها : وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو ، فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ، ولكن له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق ، وهو جل جلاله يعلمها . ثم ذكر وجه آخر غير هذين .

انظر أيضا الكشاف ٦٥٣/٤ .

( ٣ ) ذكر فيه الماوردي في تفسيره ( ٣٥٠/٤ ) ثلاثة أوجه أحدها : وما نار جهنم إلا ذكري للبشر ، قاله قتادة وذكر هذا الوجه أيضا ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٦٢/٢٩ ) ورواه عن قتادة وغيره ، وذكره البغوي في تفسيره ( ١٧٨/٧ ) ، والزمخشري في تفسيره ( ٦٥٣/٤ ) والرازي في تفسيره ( ٢٨/٣٠ ) وغيرهم من المفسرين .

الثاني : وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة لنار الآخرة ، حكاها ابن عيسى . وذكره أيضا ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٩/٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ٨٣/١٩ ) وعزاه إلى الزجاج والاكوسي في روح المعاني ( ١٣٠/٢٩ ) ووصفه بأنه أضعف الأقوال .

الثالث : وما هذه السورة إلا تذكرة للناس . قاله ابن شجرة . وذكره أيضا الزمخشري في تفسيره ( ٦٥٣/٤ ) والرازي في تفسيره ( ٢٩٨/٣٠ ) والقرطبي في تفسيره ( ٨٣/١٩ ) وذكر القرطبي وجه آخر أيضا فقال : وقيل : أي ما هذه العدة إلا ذكري للبشر ، أي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى . وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار ، فالكناية على هذا في قوله تعالى \* وما هي ترجع إلى الجنود ، لأنه أقرب مذکور \* وهذا أحسن الوجوه في نظري ، انظر أيضا روح المعاني

قوله تعالى ( كَلَّا وَالْقَمَرَ ) كلا هورد لما قالوا (١) .

(١) قال الزمخشري في الكشاف (٦٥٣/٤) .  
 ( كلا ) إنكار بعد أن جعلها ذكرى . أن تكون لهم ذكرى . لأنهم لا يتذكرون  
 أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبرند بواً .  
 ووجه أبوحيان في البحر المحيط ( ٣٧٨/٨ ) نقداً إلى الوجه الأول فقال :  
 ولا يسوغ هذا في حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر ثم ينكر أن تكون  
 لهم ذكرى ، وإنما قوله للبشر عام مخصوص \* .  
 وأجيب عنه بأنه لا تناقض لأن معنى كونها ذكرى أن شأنها أن تكون مذكرة  
 لكل أحد ، ومن لم يتذكر لغلبة الشقاء عليه لا يعد من البشر ولا يلتفت لعدم  
 تذكره \* .

انظر روح المعاني ١٣٠/٢٩ .

وذكر الرازي في تفسيره ( ٢٠٨/٣٠ ) وجهين آخرين إلى جانب الوجهين

السابقين :

أحدهما أنه ردع لقول أبي جهل وأصحابه أنهم يقدرون على مقاومة خزنة النار ،  
 والثاني : أنه ردع لهم عن الاستهزاء بالعدة المخصصة \* .

وذكر القرطبي في تفسيره ( ٨٤/١٩ ) ثلاثة أوجه :-

أحدها : قال الفراء \* كلا صلة للقسم . التقدير " أي والقمر " .

والثاني : قيل : المعنى : حقاً والقمر . وعلى هذا التقدير بين لا يوقف على  
 " كلا " .

والثالث : أنه ردع على الذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم ، ذكره عن الطبري ،  
 وهو في معنى ما تقدم عن الرازي وعلى هذا التقدير يجوز الوقف على " كلا " .  
 وهذا الوجه فيما يظهر لي أحسن الوجوه .

انظر أيضاً تفسير الطبري ١٦٢/٢٩ ، والبحر المحيط ٣٧٨/٨ ، وروح

المعاني ١٣٠/٢٩

وقوله " وَالْقَمَرِ " ابتداءً قسم وقوله ( وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ) وقوى " إِذَا دَبَّرَ " (١)  
 أى تولى وذهب وقوله " إِذَا أَدْبَرَ أَي إِذَا جَاءَ خَلْفَ النَّهَارِ " (٢).

وروى أن عبد الله بن عباس سئل عن قوله " وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ " فقال للسائل :  
 أمكث ، ظمما أَذِنَ المَوْءِنَ للصبح ، قال : هذا حين

(١) فى الآية قراءتان .

الأولى : إِذَا أَدْبَرَ ، . باسكان الذال وبهزمة قبل الدال ، وهى قراءة نافع وحفص  
 وحمزة ، والثانية : إِذَا دَبَّرَ - بالفتح بعد الذال " دَبَّرَ " على وزن فَعَلَ ، وهى  
 قراءة الباقيين .

انظر التيسير ص ٢١٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٣٤٧ وحجة  
 القراءات ص ٧٣٣ ، والمهذب ٢ / ٤٣٤ .

وأما المختار من القراءتين فنقل عن أبى عبيد أنه اختار القراءة الثانية  
 وقال : لأنها أكثر موافقة للحروف التى تليه ، ألا تنراه يقول " والنصبح إِذَا  
 أسفر " فكيف يكون أحدهما " إِذَا " والآخر " إِذَا " وليس فى القرآن  
 قسم تعقبه " إِذَا " وإنما يتعقبه " إِذَا " انظر تفسير البغوى ( ١٧٨ / ٧ ) ،  
 وتفسير القرطبى ( ٨٤ / ١٩ ) وحجة القراءات ( ٧٣٤ ) .

أما ابن جريو فقال : والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان  
 معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارىء فصيب تفسير الطبرى

( ١٦٢ / ٢٩ ) وهذا هو الصحيح عندى ، لأن القراءات المتواترة لا يجوز ترجيح بعضها  
 على بعض لأن ذلك يعنى أن بعضها أصح من بعض وهذا لا يصح القول به .

( ٢ ) هل معنى القراءتين واحد أم لا ؟ ففيه قولان :  
 أحدهما : أنهما لفتان بمعنى واحد ، يقال : دَبَّرَ الليل، وَأَدْبَرَ وَدَبَّرَ الصَّيفَ  
 وَأَدْبَرَ ، وهذا قول الفراء والأخفش وشعلب .

والثانى : أن معناهما مختلفان - وفيه وجهان . أحدهما : أنه دبر إِذَا  
 خلفته خلفك ، وأدبر إِذَا ولىَّ أمامك قاله أبو عبيدة .

والثانى : أنه دَبَّرَ إِذَا جَاءَ بعد غيره . . . . . وَأَدْبَرَ إِذَا ولىَّ مدبراً ، قاله  
 ابن بحر \* انظر تفسير الماوردى ( ٣٥١ / ٤ ) وزاد المسير ( ٤٠٩ / ٨ - ٤١٠ )  
 وتفسير الرازى ( ٢٠٨ / ٣٠ ) انظر أيضا معانى القرآن للاخفش الأوسط ٢ / ٥١٥  
 ومعانى القرآن للفراء ( ٢٠٤ / ٣ ) ومجاز القرآن لأبى عبيدة ( ٢٧٥ / ٢ ) .

دبر الليل . (١) وقد أنكر بعضهم هذه القراءة وقالوا : إذا أدبر يقال في ظهر  
البعير ، والصحيح ما بيننا ، وهما قراءتان معروفتان . (٣) وقال الكسائي والفراء :  
دبر وأدبر بمعنى واحد . (٤)

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥/٦) وعزا تخريجه الى مسدد في مسنده  
وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٢/٢١٠/١) قال : قال أبو الضحى : كان  
ابن عباس يهيب على من يقرا " دبر " ويقول : إنما يدبر ظهر البعير .

وذكره الرازي في تفسيره (٢٠٨/٣٠) فقال : روى أبو الضحى أن ابن عباس  
كان يهيب هذه القراءة ، ويقول : إنما يدبر ظهر البعير .

وذكره القوطي في تفسيره (٨٤/١٩) فقال : وقال ابن عباس فسي  
رواية عنه : الصواب " أدبر " إنما يدبر ظهر البعير .

(٣) قال ابن جريو في تفسيره (١٦٣/٢٩) . " والصواب من القول في ذلك  
عندى أنهما لغتان بمعنى ، وذلك أنه محكى عن العرب ، : قبح الله ما قبل  
منه وما دبر " وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا في تفسيرهم بين القراءتين  
وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك ، لأنهما بمعنى واحد ، وقال  
أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٥٤٧/٣) .

\* الصحيح أن دبر وأدبر بمعنى واحد ، على هذا كلام أهل التفسير  
وأكثر أهل اللغة ، و" إذا " لل مستقبل و" إذ " للماضي . وأما قول  
أبي عبيد أنه يختار " إذا دبر " لأن بعده " والصبح إذا أسفر " لأن  
الله تعالى يقسم بما شاء ولا يتحكم في ذلك بأن يكونا جميعا مستقبلين أو  
ماضيين .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢٠٤/٣) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير

(٤٠٩/٨) والرازي في تفسيره (٢٠٨/٣٠) والقوطي في تفسيره (٨٤/٩)

عن الفراء . ولم أجد من ذكره عن الكسائي .

انظر أيضا الصحاح (٦٥٤/٢) ولسان العرب (٢٧٠/٤) .

قوله ( والصبح اذا أسفر ) أى تبين واضحاً<sup>(١)</sup> ويقال : سَفَرَتِ المرأة عن وجهها ،  
وتسفر الرجل بيته إذا كسبه حتى كشف عن تراب البيت ، وقوله ( إنها لا حدى الكبر )<sup>(٢)</sup>  
أى القيامة لا حدى العظام<sup>(٣)</sup> ويقال : الكبر دركات جهنم<sup>(٤)</sup> . وقوله ( إنها  
لا حدى الكبر ) أى سقر إحدى دركات جهنم<sup>(٥)</sup> . فينصرف إلى ما ذكرنا<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) قال البغوى فى تفسيره ( ١٧٩ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤١٠ / ٨ ) ،  
" أى أنها وتبين " . وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ٤٩٧ ) : أسفر :  
أى أضأ .

( ٢ ) قال الثعلبى فى تفسيره ( ١٢٠ / ٢١٠ ب ) : ويجوز أن يكون من قولهم سَفَرَتِ  
المرأة إذا أَلَقَتِ خمارها عن وجهها ، ويحتمل أن يكون معناها نفى الظلام ،  
كما يُسَفَرُ البيت أى يُكَنَسُ ويقال للمكنسة المُسَفَرَةُ .  
انظر أيضاً تفسير القرطبى ( ٨٤ / ١٩ ) ولسان العرب ( ٣٦٧ - ٣٦٩ ) .

( ٣ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٥١ / ٤ ) بلفظ الإحتمال فقال بعد أن ذكر فيه ثلاثة  
تأويلات . " ويحتمل ( رابعاً ) أن قيام الساعة لا حدى الكبر ، والكبر هــى  
العظام والعقوبات والشدائد ، قال الراجز :  
يا بن المعلّى نزلت إحدى الكُبُرِ داهية الدهرِ وصعاعُ الغيْرِ  
وذكره القرطبى أيضاً فى تفسيره ( ٨٥ / ١٩ ) . وأبوحيان فى البحر المحيط  
( ٣٧٨ / ٨ ) .

( ٤ ) هو قول مقاتل والكلبى - فإنهما قالا : أراد بالكبر درجات جهنم السبعة .  
انظر تفسير مقاتل ( ق ٣٧٦ / ب ) وتفسير البغوى ( ١٧٩ / ٧ ) وزاد المسير  
( ٤١٠ / ٨ ) وتفسير الخازن ( ١٧٩ / ٧ ) .

( ٥ ) الضمير فى قوله ( إنها ) على قول مقاتل والكلبى يعود إلى سقر ، قاله  
الثعلبى فى تفسيره ( ١٢٠ / ٢١٠ ب ) : يعنى سقر لا حدى الأمور العظام .  
وقال ابن جرير فى تفسيره ( ١٦٣ / ٢٩ ) " إن جهنم لا حدى الكبر ، يعنى  
الأمور العظام " . ثم رواه عن غير واحد من أئمة التفسير ، وقال النحاس فى  
أعراب القرآن ( ٥٤٧ / ٣ ) : أى إن النار لا حدى الأمور العظام .

وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٥١ / ٤ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٨٥ / ١٩ ) :  
أى إن هذه النار لا حدى الكبر ، أى لا حدى الدواهى ، وقد صرح الفراء فى  
معانى القرآن ( ٢٠٥ / ٣ ) بأن الهمزة كناية عن جهنم .

( ٦ ) قد ذكر أن سقر هو الدرك الخامس ( ١٧٠ / ١ ) وذكر فى معنى الآية قولان آخران :  
أحد هما : أى أن تكذبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لا حدى الكبر ، أى الكيسرة  
من الكبائر . والثانى : أن هذه الآية لإحدى الكبر ، حكاه ابن عيسى . انظر تفسير  
الماوردى ( ٣٥١ / ٤ ) وتفسير القرطبى ( ٨٥ / ١٩ ) .



وقوله ( نذيراً للبشر ) أى انذاراً للبشر ، (١) وذكر النحاس أنه رجس إلى قوله  
( قم ) أى قم نذيراً للبشر (٢) . وقوله ( لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر )

(١) قال الزمخشري في الكشاف (٦٥٣/٤) والرازي في تفسيره (٢٠٩/٣٠) :  
" نذيراً تمييزاً من ( إحدى ) على معنى أنها لا إحدى الواهي انذاراً كما  
تقول : هي إحدى النساء عفاً ."

ونقل القرطبي في تفسيره (٨٥/١٩) عن الفراء أنه قال : " يجوز أن يكون  
النذير بمعنى الإذار ، أى أنذر انذاراً ، فهو كقوله تعالى : " فكيف كان نذير"  
أى إنذاري ، فعلى هذا يكون راجعاً إلى أول السورة ، أى " قم فأنذر " أى  
انذاراً ، وذكره بنحوه أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٥٤٨/٣) ولكنه قال :  
ويكون التقدير " وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة انذاراً " انظر أيضاً معاننى  
القرآن للفراء (٢٠٥/٣) ، وتفسير الطبري (١٦٣/٢٩-١٦٤) .

(٢) قال أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٥٤٧/٣) " قال الكسائي : أى قم  
نذيراً ، وهذا يرجع إلى قول ابن زيد ."

هذا وقد وقع خلاف كبير في اعراب " نذيراً " وفي المراد به - فقيل : إن  
المراد محمد صلى الله عليه وسلم فهو نذير للبشر ، حين قال له " قم فأنذر "  
- ذكره الطبري في تفسيره (١٦٤/٢٩) ورواه عن ابن زيد ، وذكره البغوي  
في تفسيره (١٧٩/٧) وقال : هذا معنى قول ابن زيد ، وأورده الماوردي في  
تفسيره (٣٥١/٤) وعزاه إلى ابن زيد . وذكره القرطبي أيضاً في تفسيره  
(٨٥/١٩) ، وقال مبيناً لأعرابه : و " نذيراً " حال من " قم " فى أول  
السورة حين قال : " قم فأنذر " وعزاه إلى ابن علي الفارسي وابن زيد ، وقال :  
" وروى عن ابن عباس ، وأنكره الفراء " .

ثم نقل عن ابن الأنباري أنه قال : قال بعض المفسرين معناه " يا أيها  
المدثر قم نذيراً للبشر " وهذا قبيح ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما " - وأشار  
إليه الزمخشري في الكشاف (٦٥٣/٤) وقال : وهو من بدع التفاسير .

.../...

وقيل : إن المقصود النار ، أى النار نذير للبشر ، قال الحسن : والله ما أنذر الخلائق قط بشئ أدهى منها . ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١٦٣ / ٢٩ )  
ورواه عن الحسن والماوردى فى تفسيره ( ٣٥١ / ٤ ) والنحاس فى اعراب القرآن ٥٤٧/٣  
والبغوى فى تفسيره ( ١٧٩ / ٢ ) وابن الجوزى فى تفسيره ( ٤١٠ / ٨ ) والقرطبى فى  
تفسيره ( ٨٥ / ١٩ ) . وقال : فهو ( نذيراً ) نصب على الحال من الضمير فى  
"إنها" قاله الزجاج ، وُدُكَّرَ لَأَن معناه معنى العذاب ، أو أراد ذات إنذار على  
معنى النسب \* - وقيل فى اعرابه غير ذلك .

وقيل : هو صفة من الله تعالى ، فهو خير من الله عن نفسه أنه نذير  
لخلقه ، ذكره الطبرى فى تفسيره ( ١٦٣ / ٢٩ ) وروى بسنده عن أبى رزين أنه قال :  
" نذيراً للبشر " يقول الله " أنالكم منها نذير فاتقوها " .

وذكره البغوى فى تفسيره ( ١٧٩ / ٢ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٨٥ / ١٩ ) وقال :  
و " نذيراً " على هذا نصب على الحال ، أى " وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة " .  
منذراً بذلك البشر " وُدُكَّرَ وجوهاً أخرى فى اعرابه ، وذكر الماوردى والقرطبى  
إحتمالاً آخر فى المراد من نذيراً . وهو أن القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد  
والوعيد .

انظر تفسير الماوردى ( ٣٥٢ / ٤ ) وتفسير القرطبى ( ٨٦ / ١٩ ) ، وهذه الأقوال  
وإن كانت غير ممتعة ولكن الراجح منها حسبما يبدو لى هو قول القائل إن المقصود  
النار ، لأنها هى التى تقدم الكلام عنها قريباً ، والله أعلم بالصواب .

أى يتقدم للإيمان أو يتأخر عنه . ( ١ )

وقوله ( كل نفس بما كسبت رهينة ) أى مرتبهة . ( ٢ )

وقوله ( إلا أصحاب اليمين ) فليسوا لمرتبهين لأنه ليست لهم ذنوب ، ( ٣ )

( ١ ) ذكره ابن الجوزى فى تفسيره ( ٤١٠ / ٨ ) وفيه أقوال أخرى للمفسرين . منها : أن يتقدم فى طاعة الله أو يتأخر عن معصيته قاله ابن جريج ، ومنها : أن يتقدم فى الخير أو يتأخر إلى الشر ، قاله يحيى بن سلام ، ومنها : أن يتقدم إلى النار ، أو يتأخر عن الجنة ، قاله السدى .

انظر تفسير الماوردى ( ٣٥٢ / ٤ ) وزاد المسير ( ٤١٠ / ٨ ) وتفسيرا القرطبي ( ٨٦ / ١٩ ) والبحر المحييط ( ٢٧٩ / ٨ ) وقد احتج المعتزلة بهذه الآية على كون العبد متمكنا من الفعل غير مجبور . ذكره الرازى فى تفسيره ( ٢١٠ / ٣٠ ) وأجاب عنه بقوله : إن هذه الآية دللت على أن فعل العبد معلق على مشيئته ، لكن مشيئة العبد معلقة على مشيئة الله تعالى لقوله ( وما تشاءون إلا أن يشاء الله ) وحينئذ تصير الآية حجة عليهم ، وقال : وذكر الأصحاب عن وجه الاستدلال بهذه الآية جوابين آخرين .

الأول : أن معنى إضافة المشيئة إلى المخاطبين التهديد ، كقوله ( فمن شاء فليؤم من ومن شاء فليكفر ) سورة الكهف الآية ٢٩ .

الثانى : أن هذه المشيئة لله تعالى على معنى لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر .

( ٢ ) قال البغوى فى تفسيره ( ١٢٩ / ٧ ) " مرتبهة فى النار ، بكسبها مأخوذة بمعطيا " وقال القرطبي أيضا فى تفسيره ( ٨٦ / ١٩ ) بنحوه ، وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٦٥٤ / ٤ ) " رهينة " ، ليستبتانيت رهين فى قوله ( كل امرئ بما كسب رهين ) لتانيت النفس ، لأنه لو قصدت الصفة لقليل : " رهين " لأن فعلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وإنما هى اسم بمعنى الرهن ، كالشتم ، بمعنى الشتم كأنه قيل : كل نفس بما كسبت رهن " .

انظر أيضا تفسير الرازى ٢١٠ / ٣٠ ، وتفسير القرطبي ( ٨٦ / ١٩ ) .

( ٣ ) اختلف المفسرون فى معنى الآية على عدة أقوال : منها : كل نفس بالفئة مرتبهة بمعطيا لتحاسب عليه ( إلا أصحاب اليمين ) فإنه لا حساب عليهم لأنه لا ذنوب لهم ، وقيل : - كل نفس من أهل النار مرتبهة فى النار ، إلا أصحاب اليمين فإنهم فى الجنة .

انظر تفسير الماوردى ٣٥٢ / ٤ ، وزاد المسير ( ٤١١ / ٨ ) . ثم إنهم اختلفوا فى تعيين المراد من أصحاب اليمين ، كما سيأتى عند المؤلف .

قال زاذان<sup>(١)</sup> عن علي : هم ولدان المسلمين<sup>(٢)</sup> وقيل : هم الأنبياء<sup>(٣)</sup> وقيل : هم الذين يعطون الكتاب بأيمانهم<sup>(٤)</sup> وقيل : هم الذين أخذوا من

---

(١) هو زاذان أبو عمر الكندي مولا هم البزار الكوفي الضري ، يكنى أبا عبد الله أيضا - يقال إنه شهد خطبة عمر بالجابية وروى عنه وعن علي وغيرهما .  
صدوق يرسل ، وفيه شيعية ، مات سنة اثنتين وثمانين .  
تهذيب التهذيب ٣ / ٣٠٢ ، تقريب التهذيب ١٠٥ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (ق ١ / ١٦٣) وابن جرير في تفسيره (١٦٥ / ٢٩) والحاكم في مستدركه (٥٠٧ / ٢) والشمسلي في تفسيره (١٢ / ٢١١ / ١) كلهم من طريق زاذان عن علي بن أبي طالب .  
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥ / ٦) وعزاه أيضا إلى الفريابسي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وهو مروى أيضا عن ابن عمر ، كما في الدر المنثور وقد أورده غير واحد من المفسرين في تفاسيرهم ، وهو أحد الأقوال التي رويت في المراد من أصحاب اليمين .

(٣) لم أجد في المصادر المتوفرة لدى هذا القول - وقد ذكر الشمسلي في تفسيره (١٢ / ٢١١ / ١) والقرطبي في تفسيره (٨٧ / ١٩) عن الحكم ما يقرب منه : فإنه قال : هم الذين اختارهم الله لخدمته فلم يدخلوا في الرهن ، لأنهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم .

(٤) هو قول مقاتل ، انظر تفسيره (ق ٣٧٦ / ب) . وذكره عنه الشمسلي في تفسيره (١٢ / ٢١١ / ١) والبغوي في تفسيره (١٧٩ / ٧) والرازي في تفسيره (٢١٠ / ٣٠) وذكره القرطبي في تفسيره (٨٧ / ١٩) والخازن في تفسيره (١٧٩ / ٧) ونحوه عزوا إلى أحد .

صلب آدم من الجانب الأيمن وقال الله تعالى لهم هو "أبالي" (١) .  
وعن ابن عباس : أنهم الملائكة (٢) ، وقوله ( في جنات ) أي بساتين (٣) ، وقوله

( ١ ) هو أيضا منسوب إلى مقاتل - ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ( ١٢ / ٢١١ / ١ ) ،  
والبغوي في تفسيره ( ٧ / ١٧٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٨٧ ) ، وذكره  
الرازي أيضا في تفسيره ( ٣٠ / ٢١٠ ) ولكنه عزاه إلى الكلبى . والخازن في  
تفسيره ( ٧ / ١٧٩ ) دون عزو إلى أحد .

( ٢ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٢٩ / ١٦٦ ) ورواه بسنده عن أبي ظبيان عن ابن عباس  
- وذكره البغوي في تفسيره ( ١٢ / ٢١١ / ١ ) والبغوي في تفسيره ( ٧ / ١٧٩ )  
قالا : وروى أبو ظبيان عن ابن عباس هم الملائكة . وذكره الخازن في تفسيره  
( ٧ / ١٧٩ ) والاكوسى في روح المعاني ( ٢٩ / ١٣٢ ) وذكر أنه تعقب بأن  
إطلاق النفس على الملك غير معروف وبأنهم لا يوصفون بالكسب أيضا ، على  
أن الظاهر سابقا وسياقا أن يواد بهم طائفة من البشر المكلفين .

وهناك أقوال أخرى ذكرها المفسرون عن السلف في المراد من أصحاب اليمين ،  
فقال الضحاك : الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، وقال ابن جزيج : كل  
نفس يعملها محاسبة " إلا أصحاب اليمين " وهم أهل الجنة فإنهم لا يحاسبون .  
وقال الحسن وابن كيسان : هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتبهين ، لأنهم  
آتوا ما كان عليهم ، وروى عن ابن عباس : أنه قال : المسلمون - وغير ذلك من  
الأقوال الكثيرة . راجع لمعرفة تفسير الثعلبي ( ١٢ / ٢١١ / ١ ) وتفسير  
الماوردي ٤ / ٣٥٢ وزاد المسير ٨ / ٤١١ ، وتفسير البغوي ( ٧ / ١٧٩ )  
وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٨٧ ) وتفسير الخازن ( ٧ / ١٧٩ ) .

وأما المختار من هذه الأقوال فقد ذهب الفراء إلى اختيار القول الأول ،  
وقال : وهو شبيه بالصواب ، لأن ولدان لم يكتسبوا ما يرتبهون به - وفى  
قوله " يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر " ما يقوى أنهم ولدان لأنهم  
لم يعرفوا الذنوب ، فسألوا : " ما سلككم فى سقر " معانى القرآن ٣ / ٢٠٥  
انظر أيضا تفسير الرازي ( ٣٠ / ٢١٠ ) . وقال الخازن في تفسيره ( ٧ / ١٧٩ )  
بعد ذكره لهذا القول " وهو أشبه بالصواب لأن الأطفال لم يكتسبوا إثما  
يرتبهون به " وقال الاكوسى في روح المعاني ( ٢٩ / ١٣٢ ) بعد ذكره لهذه  
الأقوال كلها : ولاتدافع بين هذه الأقوال كما لا يخفى " ويبدولى أن القول  
بأنهم الذين يعطون الكتاب بأيمانهم هو الأقرب والأحسن .

( ٣ ) انظر تفسير القرطبي ( ١٩ / ٨٧ ) وتفسير الخازن ( ٧ / ١٧٩ ) .

( يتسألون عن المجرمين ما سلككم في سقر ) أى ما أدخلكم فى سقر (١) وإنما سألوا عن ذلك لأنهم لم يعرفوا الذنوب وهذا يصح إذا حملنا على الملائكة وولدان المسلمين (٢) وأما إذا حملنا على غيرهم فهو سؤال مع المعرفة ويجوز أن يسأل الإنسان عن غيره مع معرفة حاله (٣).

قوله تعالى ( قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين ) قال قتاده : لما غوى قوم غوينا / معهم (٤) ، وقيل : كنا ب/٣٠٤

(١) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨ / ٤١١ ) قال المفسرون : سلككم : بمعنى أدخلكم ، وقال مقاتل : ما حبسكم فيها \* .  
انظر أيضا تفسير الخازن ( ٧ / ١٧٩ ) .

(٢) تقدم عن الفراء أنه قال : فى هذا ما يقوى أن أصحاب اليمين الولدان ، لأنهم لا يعرفون الذنوب ، وتقدم أيضا أن فى حمل الآية على الملائكة نظروا .

(٣) نقل القرطبي فى تفسيره ( ١٩ / ٨٧ ) عن الكلبي أنه قال : فيسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار بإسمه ، فيقول له : يا فلان .....  
وقيل : إن المؤمن يسألون الملائكة عن أقربائهم ، فتسأل الملائكة المشركين فيقولون لهم : ما سلككم فى سقر \* وقال الرازى فى تفسيره ( ٣٠ / ٣١١ ) \* المقصود من السؤال زيادة التوبيخ والتخجيل \* .

وقال الأكوسى فى روح المعاني ( ٢٩ / ١٣٢ ) \* الظاهر أن السؤال سؤال توبيخ وتحسير وإلا فهم عالمون ما الذى أدخلهم النار ، ولو كانوا الأطفال فيما أظن لانكشف الأمر ذلك اليوم \* .

(٤) رواه عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١٦٣ / ١ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٢٩ / ١٦٦ ) بسندين عن قتاده - ولغظهما : كلما غوى غاو غوينا معه .

وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٢٨٥ ) وعزاه أيضا إلى عبد بن حميد وابن المنذر . وهو أحد الوجوه التى ذكرها المفسرون فى معنى الآية .

نحوه مع الخائضين في أمر محمد ونسبه إلى السحر والشعر وغير ذلك .  
 وقوله ( وكنا نكذب بيوم الدين حتى آتانا اليقين ) أي الموت . وقوله ( فما تنفعهم  
 شفاعة الشافعين لأنهم كفرة . فلا يكون لهم شفيع ولو كان لم ينفعهم . وفي التفسير :  
 أن هذا حين يخرج قوم من المؤمنين من النار بشفاعة الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء  
 والصدّيقين وكل هذا مروى الأخبار . وتبقى الكفار في النار على  
 (١) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٥٢/٤) والقرطبي في تفسيره (٨٧/١٩) ونسباه  
 إلى ابن زيد وذكره عن السدي أنه قال : أي وكنا نكذب مع المكذبين وقيل  
 معناه : وكنا أتباعاً ولم نكن متبوعين .

(٢) أكثر المفسرين فسروا اليقين في الآية بالموت . وذكر الماوردي في تفسيره (٣٥٧/٤)  
 وجهها آخر وهو أنه البعث يوم القيامة .  
 انظر أيضاً تفسير البغوي (١٧٩/٧) وزاد المسير (٤١١/٨) وتفسير القرطبي  
 . (٨٨/١٩)

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٤٤٧/٤) عند تفسير هذه الآية :  
 " أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع ،  
 لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً ، فأما من وافى الله كافراً يوم  
 القيامة فإن له النار لا محالة خالداً فيها " .  
 وقال الأوسى في روح المعاني (١٢٣/٢٩) " لو شفّعوا لهم جميعاً ، فالكلام  
 على الفرض " .

(٤) هذا النوع الأخير من أنواع الشفاعة الثمانية التي ذكرها شارح العقيدة الطحاوية  
 (ص ٢٥٨) فقال : النوع الثامن : شفاعته في أهل الكباير من أمته ، ممن دخل  
 النار فيخرجون منها وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث " وقال :

" وهذه الشفاعة تشارك فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً ، ثم ذكر  
 أحاديث هذا النوع منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً :  
 قال : فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ،  
 ولم يسبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعطسوا  
 خيراً قط . . . " . أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢/٣) والإمام أحمد في مسنده  
 (٩٤/٣) وقد أنكر هذه الشفاعة المعتزلة والخوارج بناءً على قاعدة تهم المعروفة  
 بأن مرتكب الكبيرة يخرج من الجنة عند الخوارج ويبقى بين المنزلتين عند  
 المعتزلة - ويخلد في النار عند الطائفتين . وأما أهل السنة والجماعة  
 فيصرون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكباير وشفاعة غيره ، لكن  
 لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حداً " .  
 انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٦٠) .

الخصوص<sup>(١)</sup> وقوله ( فما لهم عن التذكرة معرضين ) أى العظة والعبرة<sup>(٢)</sup> وقوله ( كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ) وقوى<sup>(٣)</sup> مستنفرة بفتح الفاء . وقوله ( مُسْتَنْفِرَةٌ ) نافرة وقوله

( ١ ) مما يدل على بقاء الكفار فى النار قوله تعالى ( وما هم بخارجين من النار ) سورة البقرة الآية ١٦٧ . وقوله تعالى " وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ " سورة الاعراف الآية ٤٠ .

( ٢ ) قال الزمخشري فى الكشاف ( ٤٨٦ / ٤ ) والرازي فى تفسيره ( ٢١١ / ٣٠ ) ( عن التذكرة ) عن التذكير وهو العظة ، يريد القرآن أو غيره من المواعظ \* وقال الطائرى فى تفسيره ( ٤٥٣ / ٤ ) ، \* فما لهم عن التذكرة معرضين \* قال قتادة : عن القرآن ويحتمل ( ثانياً ) عن الإعتبار بمقولهم .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤١٢ / ٨ ) \* يعنى كفار قريش حين نفروا عن القرآن والتذكير بمواعظه ، والمعنى : لاشئ لهم فى الآخرة إذا أعرضوا عن القرآن فلم يؤمنوا به \* .

( ٣ ) فى " مُسْتَنْفِرَةٌ " قراءتان . الأولى : قرأها نافع وابن عامر بفتح الفاء ، على معنى أنها استدعيست للنفار من القسورة ، فهى مفعول بها فى المعنى .

والثانية : قرأ الباقون بكسر الفاء ، جعلوها فاعلة لقوله ( فرت ) وحجتهم أن العرب تقول : ( نفرت واستنفرت ) جميعاً بمعنى واحد .

وقال صاحب حجة القراءات : قال أهل المعانى : الفتح هو المختار بمعنى ( فعل ذلك بها ) لأن أكثر ما تكلمت به العرب إذا جعلوا الفعل للحمير أن يقولوا ( نفرت ) ولا يكادون يقولون استنفرت إذا كانت هى الفاعلة ، ويقولون استنفرت إذا فعل ذلك بها فهى مستنفرة ، فكان القسورة استنفرتها أو الرامى ثم قال : والكسر أولى ، ألا ترى أنه قال : " فرت من قسورة " فهذا يدل على أنها هى استنفرت \* .

وقال ابن جرير : والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيهما قرأ القارىء فمصيب \* .

انظر التيسير ص ٢١٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٣٤٧ ، وحجة القراءات ص ٧٣٤ ، وتفسير الطبرى ٢٩ / ١٦٨ ، وزاد المسير ( ٤١٢ / ٨ ) ( وتفسير البغوى ( ١٨٠ / ٧ ) .



( ١ ) ( مُسْتَنْفَرَةٌ ) أى مذغورة<sup>(١)</sup> وقوله ( فرت من قسورة ) قال ابن عباس وأبو هريرة : هو الأسد<sup>(٢)</sup> . قال ابن عباس : يقال بالعربية الأسد وبالحبشية القسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أريا<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) انظر تفسير البغوى ( ١٨٠ / ٧ ) وتفسير الخازن ( ١٨٠ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ٨٩ / ١٩ ) وذكر أن الفتح اختاره أبو عبيد وأبو حاتم .

( ٢ ) هو أبو هريرة الدوسى الصحابى الجليل حافظ الصحابة ، اختلف فى اسمه واسم أبيه ، قيل عبد الرحمن بن عخر وقيل ابن غنم وقيل عبد الله بن غنم ، وقيل غيسر ذلك وذهب الأكثرون الى أن الأول هو الراجح ، مات سنة سبع ، وقيل : سنة ثمان وقيل : تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة . انظر الاصابة ٢٠٢ / ٤ - ٢١١ ، وتقريب التهذيب ٤٣١ .

( ٣ ) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ( ١٧٠ / ٢٩ ) بسنده عن معاوية عن على عن ابن عباس .

وكذلك أخرجه فى نفس المصدر من طرق كلها عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة . وهو أحد الأقوال التى رويت عن أئمة التفسير فى معنى القسورة ، وقد ذكره غير واحد من المفسرين ، وهو قول عطاء والكلبى . وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت ، وكذلك هو<sup>(١)</sup> المشركين إذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه .

انظر تفسير البغوى ( ١٨٠ / ٧ ) وتفسير الماوردى ( ٣٥٣ / ٤ ) وزاد المسير ( ٤١٢ / ٨ ) .

( ٤ ) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ( ١٧٠ / ٢٩ ) بسنده عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه سئل عن قوله " فرت من قسورة " قال : هو بالعربية : الأسد . وبالفارسية : شار ، وبالنبطية : أريا ، وبالحبشية : قسورة .

ونذكر هذه الرواية القرطبي فى تفسيره ( ٨٩ / ١٩ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٤٧ / ٤ ) .

وعن أبي موسى الأشعري "فَرَّتْ من قَسْوَرَةٍ" هـم النقايون (٢) وقيل : هـم  
رماة النبل (٣) . وقوله ( بل يُرِيدُ كُلُّ امرئٍ منهم أن يؤتى صحفاً مَشْهُورَةً ) روى

(١) هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حَضَارٍ (بفتح المهبطه وتشديد الضاد المعجمة)  
ابن حرب بن عامر ، أبو موسى الأشعري صحابي مشهور ، أمره عمر ش عثمان ، وهو  
أحد الحكيمين بصفين ، مات سنة خمسين وقيل بعد ها .  
انظر ترجمته في الإصابة (٢/٣٥٩ - ٣٦٠) ، وتقريب التهذيب ١٨٥ .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (١/٧٦٩) : النَّقَابُ وَالْمُنْقَبُ بالكسر والتخفيف  
الرجل العالم بالاشياء ، الكثير البَحْثِ عنها " وهذه الرواية التي أورد ها المؤلف  
عن أبي موسى لم أجد من ذكرها عنه ، والذي روى عنه في معنى القسورة هو أنسه  
قال : القسورة الرماة رجال القنص ، أخرجه الحاكم في مستدرکه (٢/٥٠٨) بسنده  
عن الأعمش عن أبي ظبيان عنه ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم  
يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٨٦) وعزاه  
إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) هو قول أبي موسى الأشعري كما تقدم . ومرور عن ابن عباس - وبه قال مجاهد  
وقتادة والضحاك ومقاتل وابن كيسان . انظر تفسير مقاتل (ق ٢٧٦ / ب )  
وتفسير الطبري (٢٩/١٦٨) وتفسير البغوي (٧/١٨٠) وزاد المسير  
(٨/٤١٣) وتفسير القرطبي (١٩/٨٩) وذكرت أقوال أخرى في معنى  
القسورة . منها : أنهم عُصَبُ الرجال ، رواه أبو حمزة عن ابن عباس ، ومنها :  
أنه أصوات الناس ولغظهم - رواه عطاء عن ابن عباس ، ومنها : أنه القناس أي  
الصيد . وهو قول سعيد بن جبیر ورواه عطية عن ابن عباس ، ومنها : أنه  
النبل . قال قتادة . ومنها : أنه الظلمة والليل ، قاله عكرمة ، وقيل : أيضاً :  
إنه حبال الصيادين .

انظر لمعرفة هذه الأقوال تفسير الطبري (٢٩/١٦٨-١٧٠) وتفسير  
الماوردي (٤/٣٥٣) وتفسير البغوي (٧/١٨٠) وزاد المسير (٨/٤١٣) ،  
وتفسير القرطبي (١٩/٨٩) ، وقال الألوسي في روح المعاني (٢٩/١٣٤)  
بعد ذكره لهذه الأقوال : " وأيا ما كان فقد شبهوا في إعراضهم عن القرآن  
واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم بحمر وحشية جدت في نفارها مما آفزعها  
وفي تشبيهم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بيّن كما في قوله سبحانه  
" كمثل الحمار يحمل أسفارا " (سورة الجمعة الآية ٥) أو شهادة عليهم  
بالبله وظة العقل " ا هـ .

ويبدو لي أن المختار من هذه الأقوال هو القول بأن معناه الأسد ، لأنه  
هو الذي تهرب منه الحمر الوحشية مذعورة ، وذكر الثعلبي في تفسيره (١٢/٢١٢ / ب)  
أنه فعولة مسن ، القسر وهو القهر سمي بذلك لأنه يقهر السباع كلها .

أن الكفار قالوا : لانو من بك يا محمد حتى يأتي كل واحد منا كتاباً من الله أن آمن  
بمحمد فإنه رسولي<sup>(١)</sup> وقوله ( كلا أي لا يؤتون هذه الصحف<sup>(٢)</sup> وقيل : كلا أي لـ  
أوتوا هذه الصحف لم يؤمنوا<sup>(٣)</sup> ) وقوله ( بل لا يخافون الآخرة ) أي لـ  
خافوا لم يطلبوا هذه الأشياء<sup>(٤)</sup> وقوله ( كلا إنه تذكرة ) أي القرآن عظمة

( ١ ) ذكره البغوي في تفسيره ( ١٨٠ / ٧ ) قال : قال المفسرون : أن كفار قريش  
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور  
من الله أنك لرسوله نؤمن فيه باتباعك \* .

وقد أورد السيوطي في الدر المنثور ( ٢٨٦ / ٦ ) نحوه عن قتادة وعزاه إلى  
عبد بن حميد وابن المنذر .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٥٣ / ٤ ) عن قتادة وابن الجوزي في زاد المسير  
( ٤١٣ / ٨ ) وعزاه إلى الجمهور ، وذكره الرازي في تفسيره ( ٢١٢ / ٣٠ ) والقرطبي  
في تفسيره ( ٩٠ / ١٩ ) بنحو ما تقدم ، وزاد في آخره : نظيره : وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ  
حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ سورة الاسراء الآية ٩٣ ، وفي تفسير الآية أقوال  
أخرى سيأتي ذكرها قريباً ان شاء الله .

( ٢ ) هكذا فسره البغوي في تفسيره ( ١٨٠ / ٧ ) والخازن في تفسيره ( ١٨٠ / ٧ ) ،  
وقال الأخير : وهو رد عليهم عن هذه الاقتراحات .

( ٣ ) لم أجد من فسره الآية بذلك . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤١٤ / ٨ )  
والبغوي في تفسيره ( ١٨٠ / ٧ ) في تفسير " كلا " أي " حقاً " وزاد البغوي  
وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه \* وذكر ابن الجوزي قولاً آخر فقال : وقيل :  
معنى ( كلا ) ليس الأمر كما يريدون ويقولون \* .

وفسره القرطبي في تفسيره ( ٩٠ / ١٩ ) أي ليس يكون ذلك . ثم ذكر التفسير  
السابق . فقال : وقيل : حقاً ، والأول أجود ، لأنه رد لقولهم .

( ٤ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ١٨٠ / ٧ ) " أي لا يخافون عذاب الآخرة ،  
والمعنى أنهم لم يخافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة ، وزاد عليه  
الخازن فقال : لأنه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة  
النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التمنت \* .

وعبرة<sup>(١)</sup> وقوله ( فمن شاء ذكره ) أى اتعظ به واعتبر به ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال  
( وما يذكرون إلا أن يشاء الله ) أى لا يعتبرون ولا يتعظون إلا بمشيئتي<sup>(٢)</sup> .

وقوله ( هو أهل التقوى وأهل المغفرة ) أى أهل أن أبقي خالدًا فسي  
الجنة من أتقى ولم يجعل معي إلهًا وأهل المغفرة أى لمن اتقى ولم يجعل معي  
إلهًا فأنا أهل أن أغفر له ، وفى هذا خبر مسند برواية أنس عن النبي صلى الله  
عليه وسلم على نحو هذا المعنى ذكره أبو عيسى فى كتابه<sup>(٣)</sup> ، وعن محمد بن النضر

( ١ ) فى هذه الآية ( كلا ) بمعنى ( حقاً ) كما ذكر غير واحد من المفسرين  
انظر تفسير البغوى ( ١٨١ / ٧ ) ، وتفسير الخازن ( ١٨١ / ٧ ) وتفسير القرطبي  
( ٩٠ / ١٩ ) وقال الرازى فى تفسيره ( ٢١٣ / ٣٠ ) \* وهو رد عليهم عن اعراضهم  
عن التذكرة \* .

والهاء فى " إنه " عائدة على القرآن ، كما صرح به ابن الجوزى فى زاد المسير  
( ٤١٤ / ٨ ) وقال الغزالي فى معانى القرآن ( ٢٠٦ / ٣ ) \* يعنى هذا القرآن ،  
ولو قيل : " إنها تذكرة " لكان صواباً كما قال فى عبس ، فمن قال : ( إنها )  
أراد السورة ، ومن قال ( إنه ) أراد القرآن \* اهـ .

لست أدرى كيف ساغ له أن يقول : لو قيل : " إنها لكان صواباً - ويفهم  
منه أن قوله ( إنه ) خطأ - ولعل قصده من قوله \* ولو قيل \* فى غير القرآن .

( ٢ ) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤١٤ / ٨ ) فى تفسير الآية \* فالمعنى :  
فمن شاء أن يذكر ويتعظ به ويفهمه ذكره . ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال تعالى :  
( وما يذكرون إلا أن يشاء الله \* أى : إلا أن يريد لهم الهدى .

( ٣ ) الحديث الذى أشار إليه المؤلف أخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير ،  
باب " ومن سورة المدثر \* ( ٤٣٠ / ٥ ) رقم ٢٣٢٨ وابن ماجه فى سننه - كتاب  
الزهد ، باب ما يوجب من رحمة الله يوم القيامة ( ٥٧٧ / ٢ ) والإمام أحمد فى  
مسنده ( ١٤٢ / ٣ ، ٢٤٣ ) ، والدارمى فى سننه ( ٣٠٢ / ٢ - ٣٠٣ ) والحاكم

.. / ..

في مستدرکه ( ٥٠٨/٢ ) وغير واحد من أئمة الحدیث والتفسیر . کلهم من طریق  
سُهَيْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَطِيعِيِّ عَنْ نَائِبَتِهِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَفْظُهُ عِنْدَ  
الترمذی : " أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ( هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ) قَالَ :  
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَقَى ، فَمَنْ اتَّقَانِي فَلَمْ يَجْعَلْ مَعِيَ إِلَهًا ، فَأَنَا  
أَهْلٌ أَنْ أَعْفِرَ لَهُ " .

وقال الترمذی : هذا حدیث غریب ، وسُهَيْلٌ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ فِي الْحَدِيثِ قَدْ  
تَفَرَّدَ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ نَائِبَتِهِ .

وقال الحاكم : هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه " ووافقہ الذہبی  
وقال ابن حجر فی تخریج الکشاف ( ٦٥٢/٤ ) .

" ورواه الحکیم الترمذی فی السابع والسبعین بعد المائة ، بلفظ " قال : هو  
أهل أن يتقى ، فمن اتقى فهو أهل أن يعفرو له " وله شاهد من رواية عبد الله قال :  
سمعت ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبا هريرة وابن عمر  
وابن عباس رضی الله عنه يقولون : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى  
فذكره " ١ هـ . فبهذا الشاهد يرفع الضعف عن حدیث أنس .

الحارثي<sup>(١)</sup> . في هذه الآية : أن قوله ( هو أهل التقوى وأهل المغفرة ) المعنى أنا أهل التقى لترك الذنوب وأهل المغفرة أي أنا أهل المغفرة أي اغفر للمذنبين إن لم يتقوا<sup>(٢)</sup> .

وذكر الأزهري في قوله ( بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة ) قولاً آخر وهو أن المشركين قالوا : كانت بنو إسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنباً ظهر ذنبه مكتوباً على باب داره " فما لنا " لا يكون لنا ذلك إن كنا مذنبين فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٣)</sup> وأخبر على هذا المعنى وأخبر أنه لا يفعل ذلك لهذه الأمة وإن ذلك كان مخصوصاً ببني إسرائيل والله أعلم .

( ١ ) هو أبو عبد الرحمن محمد بن النضر أبو عبد الرحمن الحارثي الكوفي ، عابد أهل زمانه بالكوفة ، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء<sup>( ١٧٥ / ٨ - ١٧٦ )</sup> ونقل عن أبي اسامة أنه قال : كان من أعبد أهل الكوفة ، وعن ابن المبارك أنه قال : كان محمد بن النضر إذا ذكر الموت اضطربت مفاصله \* .

( ٢ ) رواه الثعلبي في تفسيره<sup>( ١٢ / ٢١٢ / ب )</sup> بسنده عن عبد الله بن حنبل عن أبيه عن عبد القدوس بن بكر قال : سمعت محمد بن النضر الحارثي يذكر في قوله عز وجل " هو أهل التقوى وأهل المغفرة " قال : أنا أهل أن يتقيني عدي ، فإن لم يفعل كنت أهلاً أن أغفر له \* وذكره القرطبي في تفسيره<sup>( ١٩ / ٩١ )</sup> من قوله . هذا وقد ذكر الماوردي في تفسيره<sup>( ٤ / ٣٥٣ )</sup> في تفسير الآية ثلاثة أوجه . أحدها : هذا الذي رواه مرفوعاً ، وطيه اقتصر أكثر المفسرين . والثاني : هو أهل أن تتقى محارمه ، وأهل أن يغفر الذنوب ، قاله قتادة . الثالث : هو أهل أن يتقى عذابه وأهل أن يعمل بما يؤدى إلى مغفرته . وقال : ويحتمل ( رابعاً ) أهل الانتقام والانعام .

( ٣ ) لم أعرف أين قال هذا الكلام .

وقد ذكره الفراء في معاني القرآن<sup>( ٣ / ٢٠٦ )</sup> فقال : قالت كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : كان الرجل يذنب في بني إسرائيل ، فيصبح ذنبه مكتوباً في رقعة ، فما بالناس لا يرى ذلك ؟ فقال الله عز وجل : " بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة " .

وذكره البغوي في تفسيره<sup>( ٧ / ١٨٠ )</sup> والقرطبي في تفسيره<sup>( ١٩ / ٩٠ )</sup> عن الكلبي وذكره الماوردي في تفسيره<sup>( ٤ / ٣٥٤ )</sup> وابن الجوزي في زاد المسير<sup>( ٨ / ٤١٣ )</sup> عن الفراء - وذكرت في معنى الآية وجوه أخرى : منها أن يؤتى براءة من النار أنه لا يقذف فيها نسب ذلك إلى ابن عباس وأبي صالح ، ومنها أن يؤتى كتاباً من الله بما أحمل له وحسوم عليه قاله مقاتل ..

انظر تفسير الماوردي<sup>( ٤ / ٣٥٣ )</sup> وزاد المسير<sup>( ٨ / ٤١٣ )</sup> وتفسير القرطبي

- تفسير سورة القيامة وهي مكية (١) -

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال : من أراد أن يشاهد القيامة فليقرأ سورة  
القيامة (٢) ، وعن المغيرة بن شعبه (٣) أنه قال : يقولون القيامة ومن مات فقد  
قامت قيامته (٤) - أورد هذين الأثرين النقاش في تفسيره .

(١) ذكر ابن الجوزى في زاد المسير (٤١٥/٨) أن هذه السورة كلها مكية  
بإجماع المفسرين .

وقال الألوسى في روح المعاني (١٣٥/٢٩) : وهي مكية من غير حكاية خلاف  
انظر أيضا دلائل النبوة للبيهقى (١٤٢/٧) .

(٢) أورد السيوطى في الدر المنثور (٢٨٧/٦) بلفظ " عن قتادة قال : حدثنا  
عمر بن الخطاب قال : من سأل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة " وعزا تخريجه  
إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) هو المغيرة بن شعبه بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفى أبو عيسى أو أبو محمد  
- صحابى مشهور أسلم قبل الحديبية وولى إمرة البصرة ثم الكوفة ، مات سنة  
خمسين على الصحيح - .

الإصابة ٤٥٢/٣ ، تقريب التهذيب ٣٤٥ .

(٤) رواه ابن جرير فى تفسيره (١٧٤/٢٩) والثعلبى فى تفسيره (١٣/٣) (١)  
بسندهما عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبه قال : يقولون : القيامة  
وانما قيامة أحدهم : موته - .

وأورد البغوى والخازن فى تفسيرهما (١٨١/٧) دون عنونى من أخرجه  
- وروى الثعلبى أيضا بسنده عن ابن قيس قال : شهدت جنازة فيها علقمة ،  
فلما دفن قال : أما هذا فقد قامت قيامته \* ذكره أيضا البغوى والخازن فى  
تفسيرهما ، وعقبطيهما الخازن فقال : وفيه ضعف لا تفاق المفسرين على أن  
المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات فى ذلك \* .

## بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( لا أقسم بيوم القيامة ) قال سعيد بن جبيرة : معناه أقسم بيوم القيامة<sup>(١)</sup> - وعنه أيضا أنه سأل ابن عباس / عن قوله ( لا أقسم بيوم القيامة ) ٣٥/١ فقال : إن ربنا تعالى يقسم بما شاء من خلقه<sup>(٢)</sup> - واختلفوا في قوله " لا " على أقوال : أحد الأقوال أنها صلة أي زائدة على ما هو مذهب كلام العرب<sup>(٣)</sup> - وأنكر الفراء هذا وقال : الصلة إنما يكون في أثناء الكلام ، فأما في إبتداء الكلام فلا ومعنى قوله " لا " أي ليس الأمر كما يزعمون أن لا بعث ولا جنّة ولا نار ،

( ١ ) أخرجه ابن جرير في تفسيره ( ١٧٣ / ٢٩ ) بسنده عن سفیان ، عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم بن نياق عن سعيد بن جبيرة ( لا أقسم بيوم القيامة ) قال : أقسم بيوم القيامة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٢٨٧ / ٦ ) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر .

( ٢ ) أخرجه ابن جرير في تفسيره ( ١٧٣ / ٢٩ ) والحاكم في مستدرکه ( ٥٠٩ / ٢ ) ، بسندهما عن جرير عن مغيرة عن أبي الخيبر بن تميم ( وفي المستدرک عن تميم النخعي ) عن سعيد بن جبيرة قال : قال لي ابن عباس ممن أنت ؟ فقلت : من أهل العراق ، فقال : أيهم ؟ فقلت : من بني أسد ، فقال : من حريتهم ، أو ممن أنعم الله عليهم ؟ فقلت : لا بل ممن أنعم الله عليهم ، فقال لي : سل : فقلت : لا أقسم بيوم القيامة ، فقال : يقسم ربك بما شاء من خلقه ، هذا لفظ الطبري ، وفي المستدرک زيادات أخرى ، ونقل القرطبي في تفسيره ( ٩٢ / ١٩ ) عن أبي الليث السمرقندي إجماع المفسرين علي أن معنى " لا أقسم " أقسم ، ولكنهم اختلفوا في تفسير " لا " على عدة أقوال كما ذكره المؤلف ، وسيأتي ذكر بعض هذه الأقوال إن شاء الله .

( ٣ ) ذكر هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٧٢ / ٢٩ ) والماوردي في تفسيره ( ٣٥٥ / ٤ ) وعزاه إلى ابن عباس وابن جبيرة وأبي عبيدة - انظر قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٧٧ / ٢ ) . وذكره البغوي في تفسيره ( ١٨١ / ٧ ) والزمخشري



٠٠/٠٠

في الكشاف ( ٦٥٨/٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٩٢/١٩ ) وقال : قال بعضهم :  
 " لا " زيادة في الكلام للزينة ، ويجرى في كلام العرب زيادة لا . كما قال في آية  
 أخرى : " قال ما منعك أن تسجد إذ أمرتك " ( سورة الأعراف : الآية ١٢ ) يعني  
 " أن تسجد " . واستدل بعضهم أيضا بقوله تعالى " لِمَسئلاً يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ "  
 ( سورة الحديد الآية ٢٩ ) .

وقد ذكر أيضا هذا القول غير واحد من المفسرين سوى من تقدم ذكرهم ، منهم  
 الرازي في تفسيره ( ٢١٤/٣٠ ) وقد ضعفه بقوله : " وهذا القول عندى ضعيف  
 من وجوه ، ( أولها ) أن تجوز هذا يفضي إلى الطعن في القرآن ، لأن على هذا  
 التقدير يجوز جعل النفي إثباتاً وإثبات نفياً ، وتجويزه يفضي إلى أن لا يبقى الاعتماد على  
 إثباته ولا على نفيه " .

وثانيها : أن هذا الحرف إنما يزداد في وسط الكلام لا في أوله ، ( وهو ما اعترض  
 به الفراء على هذا القول . كما سيأتي ) .

وبهذا ضعفه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ( ص ٢٤٧ ) فقال : " ولو جاز  
 هذا لم يكن بين خبر فيه الجحد وخبر فيه الإقرار - فرق " ثم ذكر وجهها ثالثاً فسوى  
 تضعيف هذا القول فقال : " إن المراد من قولنا ( لا ) صلة أنه لنو باطل ، يجب  
 طرحه واسقاطه حتى ينتظم الكلام ، ومعلوم أن وصف كلام الله تعالى بذلك لا يجوز .

ثم ابتداءً بقوله ( أقسم )<sup>(١)</sup> وأجاب من قال بالقول الأول : أن القرآن كله متصل  
بعضه بالمعنى فى المعنى فيصلح أن يكون " لا " صلة فى هذا الموصل وإن كان  
عند ابتداء السورة<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) ليس هذا نص ما قاله الفراء فى معانى القرآن ( ٢٠٧ / ٣ ) وإنما هو معناه ، فإنه  
قال بعد أن ذكر أن كثيراً من النحويين يقولون : لا صلة : " ولا يبتدأ بجحد ،  
ثم يجعل صلة يراد به الطرح ، لأن هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد من خبر  
لا جحد فيه ، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكسروا البعث والجنة والنار ،  
فجاء الإقسام بالرد عليهم فى كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ ، كقولك  
فى الكلام لا والله لا أفعل ذلك " ثم ذكر أنه إذا ألغيت ( لا ) لم يكن  
هناك فرق بين اليمين التى تكون جواباً ، واليمين التى تستأنف " .

وقد اختار هذا القول ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ( ٢٤٧ ) وانظر  
أيضاً تفسير الطبرى ( ١٧٣ / ٢٩ ) والكشاف ( ٦٥٩ / ٤ ) وتفسير الخازن  
( ١٨١ / ٧ ) وقد طعن الرازى فى هذا القول أيضاً فقال بعد أن ذكره :  
" وهذا أيضاً فيه إشكال ، لأن إعادة حرف النفى مرة أخرى فى قوله ( لا أقسم  
بالنفس اللوامة ) مع أن المراد ما ذكره تقدح فى فصاحة الكلام " تفسير الرازى  
( ٢١٥ / ٣٠ ) وذكره أبوحيان فى البحر المحیط ( ٢١٣ / ٨ ) وعزاه إلى سعيد  
ابن جبير ويعنى النحاة ثم قال : ولا يجوز لأن فى ذلك حذف اسم لا وغيرها ،  
وليس جواباً لسائل سأل فيحتمل نحو قوله لا ، لمن قال : هل من رجل فسئ  
الدار " .

( ٢ ) ذكر هذا الاعتراض والجواب عنه أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن ٣ / ٥٥٢ ،  
والزمخشري فى الكشاف ( ٦٥٨ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ٢١٤ / ٣٠ )  
والخازن فى تفسيره ( ١٨١ / ٧ ) .

وقال الزمخشري : والاعتراض صحيح ، لأنها لم تقع مزيدة إلا فى وسط الكلام  
ولكن الجواب غير سديد ، ألا ترى إلى امرى القيس كيف زادها فى مسهل  
قصيده ( يقصد قصيده التى استهلها بقوله " لا وأبيك ابنة العامرى . . . . . " )  
وسياتى عند المؤلف قريباً ( والوجه أن يقال : هى للنفى ، والمعنى فى ذلك

٠٠/٠٠

أنه لا يقسم بالشيء إلا اعظاماً له يدل ذلك عليه قوله تعالى ( فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم ) ( سورة الواقعة الآية ٧٥ ) فكأنه بإدخال حرف النفس يقول : إن اعظامي له بإقسامي به كإعظام ، يعني أنه يستأهل فوق ذلك . وقال الخازن بعد إيراد الجواب : وفيه ضعف لأن القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا أن تفرق سورة بما بعد ها . فذلك غير جائز .

ثم ذكر أنه قيل : الوجه فيه أن يقال : إن " لا " هي للنفس والمعنى فسئ ذلك كأنه قال : لا أقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس إلا اعظاماً لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه ، وقيل : معناه لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب ، فإن إثباته أظهر من أن يقسم عليه .

أما الرازي فإنه أيضاً ذكر الاعتراض والجواب ثم رد على الجواب بنحو ما تقدم واختار أن " لا " في الآية لنفي القسم ، فقال : كأنه قال : لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس ، ولكني أسألك غير مقسم أنت حسب أنا لا تجمع عظامك إذا تفرقت بالموت ، فإن كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرين على أن نفعل ذلك ، وهذا القول اختيار أبي مسلم وهو الأصح - ثم ذكر في مسانده وجوهاً - وقد تقدم أن المفسرين أجمعوا على أن معنى ( لا أقسم ) أقسم ، وقد ذكر ابن العربي أيضاً في أحكام القرآن ( ١٩٣٤ / ٤ ) هذا القول والاعتراض عليه وما أجاب به عنه أصحابه ثم قال : والجواب الصحيح أن نقول : إن الصلة بها في أول الكلام كصلة آخره بها ، كذكرها في أثناءه " وذكر أنه لو كان خارجاً عن فصاحة العرب وبلاغتهم لا اعتراض عليه الخصم من العرب .

والقول الثالث : أن معنى قوله لا على معنى التنبيه كأنه قال ألا فتنبه

ثم أقسم . (٢) ومثله قول الشاعر : (٣)

ألا وأبيك ابنة العامري لا يدعي قوم أنى أفير (٤)

وقرأ ابن كثير (٥) لأقسيم بيوم القيامة وهو قراءة الحسن

(١) سقطت كلمة (ثم) من نسخة ب .

(٢) لم أجد من ذكر هذا القول هنا من أصحاب المصادر المتوفرة لدى ، وقد ذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٣/٧٠٣) ومكي بن أبي طالب في مشكل اعراب القرآن (٢/٤٧٥) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٥٩) كلهم في أول سورة البلد ، وذكر النحاس والقرطبي أن الألفش أجاز أيضا أن تكون بمعنى "ألا" .

(٣) هو امرؤ القيس .

(٤) البيت في ديوان امرؤ القيس (ص ١٠٩) هكذا فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنى أفير وعلى هذا فلا حجة فيه للمؤلف ، وقد أنشده هكذا الماوردي في تفسيره (٤/٣٥٥) والقرطبي في تفسيره (١٩/٩٢) واستدل به على أنها دخلت توكيدا للكلام ، كقوله "لا والله" وهو قول أبي بكر بن عياش ، ذكره أيضا ابن جرير في تفسيره (٢٩/١٧٣) وأنشده الزمخشري في الكشاف (٤/٦٨٥) وقال : "لا وأبيك" بدل "فلا وأبيك" واستدل به على أن إدخال "لا" النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم ، انظر أيضا تفسير الخازن (٧/١٨١) وكذا أنشده الرازي في تفسيره (٣٠/٢١٤) واستدل به على أن (لا) تزداد في ابتداء الكلام ، خلاف مقاله الفراء .

(٥) هو عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد ، مولى عمرو بن علقمة الكنانى الدارى المكي إمام المكيين فى القراءة ، وأحد القراء السبعة المشهورين أصله فارسى . قرأ على عبد الله بن السائب المخزومى وعلى مجاهد بن جبر ودرباس مولى ابن عباس ، وتصدر للقراءة وصار امام أهل مكة فى ضبط القرآن .  
توفى سنة عشرين ومائة .

معرفة القراء الكبار (١/٧٢) . انظر أيضا الجرح والتعدد يلى ١٤٤/٢  
وغاية النهاية لابن الجزرى (١/٤٤٣-٤٤٥) .

والأعرج<sup>(١)</sup> وانكر النحويون من البصريين هذه القراءة وزعموا أنها لحن

(١) هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس ، وقرأ عليه القرآن نافع بسن أبي نعيم وغيره ، وقال إبراهيم بن سعد : كان الأعرج يكتب المصاحف . قال الذهبي : كان الأعرج أحد من يوزن في القرآن والسنة وقالوا : هو أول من وضع العربية بالمدينة ، أخذ عن أبي الأسود ، وله خبرة بالنسب قریش ، وافر العلم مع الثقة والأمانة ، اتفق أنه خرج إلى الاسكندرية فأدركه أجله بها في سنة سبع عشرة ومائة - معرفة القراء الكبار ١/٦٣ - ٦٤ ، وانظر أيضا غاية النهاية ( ١ / ٣٨١ ) .

أما هذه القراءة فقد عزاها ابن زنجلة إلى ابن كثير وقال : روى عن الحسن أنه على هذه القراءة قال : ان الله تعالى أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة . حجة القراءات ( ص ٧٣٥ ) . وذكرها أبو عمرو الداني في التيسير ( ص ٢١٦ ) ومكي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٢ / ٣٤٩ ) ونسبها إلى قتيل .

وذكرها أيضاً الفراء في معاني القرآن ( ٣ / ٢٠٧ ) وقال : \* وكان بعض من لم يعرف هذه الجهة فيما ترى يقرأ \* لا أقسم بيوم القيامة \* ذكر عن الحسن يجعلها ( لا ما ) دخلت على أقسم وهو صواب ، لأن العرب تقول : \* لأحلف بالله ليكون كذا وكذا ، يجعلونه ( لا ما ) بغير معنى ( لا ) .

وقد ذكرها من المفسرين أيضاً ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٧٧/٢٩ ) وعزاها إلى الحسن والأعرج . والماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٥٥ ) وعزاها إلى الحسن وابن كثير ، والبغوي في تفسيره ( ٧ / ١٨١ ) وعزاها إلى ابن كثير وعبد الرحمن الأعرج . وابن الجوزي في زاد المسير ( ٨ / ٤١٥ ) وعزاها إلى ابن كثير . وقال : وهي قراءة ابن عباس وأبي عبد الرحمن والحسن ومجاهد وعكرمة وابن محيصن .

وقد تقدم عن ابن عباس أنه ذكر أن \* لا \* صلة زائدة ولعل ذلك من اختلاف الروايات عنه . وقال القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٩٢ ) \* وهي قراءة الحسن وابن كثير والزهرى وابن هرمز \* .

وقالوا : لا بد من دخول النون إذا كان على هذا الوجه <sup>(١)</sup> - والصحيح هي القراءة المعروفة ، وأكثر القراءة على هذا <sup>(٢)</sup> - وقوله ( بيوم القيامة ) سميت القيامة

( ١ ) قال النحاس في اعراب القرآن ( ٥٥١ / ٣ ) وهذا لحن عند الخليل وسيبويه ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤١٦ / ٨ ) عن الزجاج أنه قال : من قرأ " لا أقسم " فاللام لام القسم والتوكيد ، وهذه القراءة بعيدة في العربية ، لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون ، تقول : لأضرب زيداً ، ولا يجوز : لأضرب زيداً . وذكره الرازي في تفسيره ( ٣٠ / ٢١٥ ) ، وحكى عن أبي عبيدة أنه طعن في هذه القراءة - وقد أجاب مكي بن أبي طالب عن هذا الاعتراض فذكر أن النون المسددة إنما تدخل لتأكيد القسم ، ولتوذن بالاستقبال ، فإذا لم يكن الفعل للاستقبال جازت ترك النون فيه ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٣٤٩ / ٢ ) ، ولكن اعترض عليه ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٣٤ / ٤ ) من وجه آخر فقال : وأما من قرأها ( لا أقسم ) فاختلّفوا ، فمضمهم من حذفها في الخط كما حذفها في اللفظ وهذا لا يجوز فإن خط المصحف أصلٌ ثبت بإجماع الصحابة ومضمهم من قال : أكتبها ولا ألفظ بها ، كما كتبوا " لا إله إلا الله الجحيم " الصافات الآية ٦٨ " ولا إله إلا الله تحشرون ( آل عمران ١٥٨ ) بالف ولم يلفظوا بها ، وهذا يلزمهم في قوله " فلا أقسم بمواقع النجوم " ، وشبهه ، ولم يقولوا به .

هذا وقد ذكر بعض المفسرين أن ( لا ) دخلت توكيداً للكلام ، وهو قول أبي بكر ابن عياش وتقدم ذكره في ( ٢١٧ ) ، ذكره ابن العربي في المصدر السابق ، وذكر أن هذا القول لا معنى له ، لأن التوكيد إنما يكون إذا ظهر المؤكد .

( ٢ ) ذهب إلى اختيار هذه القراءة ابن جبري في تفسيره ( ١٧٢ / ٢٩ ) فقال : " والقراءة التي لا أستجيز غيرها في هذا الموضع : " لا " مفصولة ، ( أقسم ) مبتدأة على ما عليه قراءة الأئمة لمصار لإجماع الحجة من القراءة عليه ، هذا من ناحية القراءة ، وأما من ناحية التفسير للآية فاختار قول القاطنين بأنه " لا " رد لكلام قد كان تقدمه من قوم وجواباً لهم .

واختار هذا القول ابن العربي أيضاً في أحكام القرآن ( ١٩٣٤ / ٤ ) وقال : وأما من قال : إنها رد فهو قول ليس له رد ، لأنه يصح به المعنى ، ويتمكن اللفظ والمراد " وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ( ٤٤٧ / ٤ ) ولكن هذا القسول أيضاً لا يخلو من اعتراض ، لأن فيه حذف اسم لا وخبرها بدون دليل ، كما تقدم ذكره عن أبي حيان ، وقد ذكر هذه الأوجه كلها أحمد بن عبد العزيز اللهيب في كتابه أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم ( ص ٣٤٩ - ٣٥٧ ) مع ما أورد على كل وجه منها ، ثم ذهب إلى اختيار القول بأن هذا الاستعمال من أساليب القسم وأن " لا " أتت بها لتأكيد القسم ، وقال : وهذا أولى من التأويلات التي تصرف الآية عن مقصودها " وهو بيد ولي أيضاً أنه أرجح الأقوال .

لأن الناس يقومون في هذا اليوم للحساب وجزاء الأعمال<sup>(١)</sup> ، وقوله ( ولا أقسم  
بالنفس اللوامة ) أى أقسم - وعن الحسن أنه قال : أقسم بيوم القيامة ولم يقسم  
بالنفس اللوامة<sup>(٢)</sup> والأصح أن القسم بهما<sup>(٣)</sup> - وفي اللوامة أقوال أحدها : أنها  
الفاجرة تلام يوم القيامة ، فمعنى اللوامة الطومسه هاهنا على هذا القول<sup>(٤)</sup> .

- ( ١ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٩٢ / ١٩ ) : " أى بيوم يقوم الناس فيه لربهم " .  
( ٢ ) تقدم ذكره قريباً . انظر أيضاً تفسير الطبري ( ١٠ / ٢٩ ) وزاد المسير ٤١٦٨  
وتفسير ابن كثير ( ٤٤٧ / ٤ ) .  
( ٣ ) وهذا هو اختيار أكثر المفسرين .  
انظر تفسير الطبري ( ١٧٤ / ١٧٣ / ٢٩ ) وتفسير القرطبي ( ٩٢ / ١٩ ) وتفسير  
الماوردي ( ٣٥٥ / ٤ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٤٧ / ٤ ) .  
( ٤ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ١٧٤ / ٢٩ ) ورواه عن قتادة والبنغوى في تفسيره  
( ١٨١ / ٧ ) وعزاه إلى قتادة ، والقرطبي في تفسيره ( ٩٣ / ١٩ ) ، وقال  
مقاتل في تفسيره ( ق ١ / ٣٧٧ ) : يعنى النفس الكافرة التى تلوم نفسها فى  
الآخرة فيقول : ياليتنى قد متلحياتى ، ويا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله  
يعنى فى أمر الله فى الدنيا " وذكره عنه الثعلبي فى تفسيره ( ١ / ٣ / ١٣ )  
والبنغوى والقرطبي فى تفسيرهما .

وهذا القول لا يتوجه إلا على القراءة الثانية . لأقسم على معنى : انسى  
لأقسم بيوم القيامة لشرفه ولا أقسم بالنفس اللوامة لخستها ، وذكر هذا  
القول الألوسى فى تفسيره ( ١٣٦ / ٢٩ ) من قول قتادة وقال : وجاء نحوه  
فى رواية عن ابن عباس ، والحق أنه تفسير لا يناسب هذا المقام " . وذلك  
لأن هذه القراءة التى يتوجه عليها هذا القول ضعيفة وأكثر القراء على  
خلافها .

والقول الثاني : وهو الأصح أنها المؤمنة تلوم نفسها على ما تفعل من

المعاصي (١) ، قال مجاهد : المؤمن يلوم نفسه على المعاصي والكافر يمتنى قدماً  
قدماً في المعاصي ولا يفكر فيه (٢) .

وفي التفسير : أنه ما من أحد إلا ويلوم نفسه يوم القيامة إن كان محسناً

يلوم إلا ازداد ، واستكثر من الإحسان . وإن كان سيئاً يلوم نفسه الا اطلع من  
الاساءة والمعاصي (٣) .

(١) ذكره البغوي في تفسيره (١٨٢/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٤١٦/٨)  
والزمخشري في الكشاف ٦٥٩/٤ والرازي في تفسيره (٢١٦/٣٠) والقرطبي  
في تفسيره (٩٣/١٩) وذكروا عن الحسن أنه قال : هي والله نفس المؤمن ،  
ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلامي ؟ ما أردت بأكلي ؟ وما أردت  
بحد يث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه .  
انظر أيضاً الدر المنثور (٢٨٧/٦) .

(٢) هكذا ذكر المؤلف عن مجاهد ، ولم أجد من ذكره عنه ، وإنما روى ذلك عن  
الحسن - كما تقدم ذكره - . وقد أورده أيضاً ابن كثير في تفسيره (٤٤٧/٤)  
والسيوطي في الدر المنثور (٢٨٧/٦) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد  
وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس ، أما مجاهد فروى عنه أنه قال : تنسب  
على ما فات وتلوم عليه \* رواه ابن جريو في تفسيره (١٧٤/٢٩) وأورده الماوردي  
في تفسيره (٣٥٦/٤) والبغوي في تفسيره (١٨١/٧) وغيرهما من  
المفسرين .

(٣) هذا القول ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٤١٦/٨) والبغوي في تفسيره (١٨١/٧)  
والرازي في تفسيره (٢١٥/٣٠) وعزاه إلى ابن عباس والقرطبي في تفسيره  
(٩٣/١٩) والالكوسي في روح المعاني (١٣٦/٢٩) وهو معنى ما قاله الفراء  
في معاني القرآن (٢٠٨/٣) " ليسن من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم  
نفسها إن كانت عطت خيراً قالت : هاذا ازدادت وإن كانت عطت سوءاً قالت :  
ليتني لم أفعل " . ذكره أكثر المفسرين من قول الفراء وحكى الألكوسي أنه  
مروى عن قول النبي صلى الله عليه وسلم ، واعترض على هذا القول الرازي من  
ثلاثة أوجه ، ثم أجاب عنها بحمل اللوم على تمنى الزيادة .



وكذلك اعترض عليه الألويسي ثم أجاب عنه ، قال : وُضعف ( أى هذا القول ) بأن هذا القدر من اللوم لا يكون مداراً للأعظام بالإقسام ، وإن صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس\* . ثم قال مجيباً عن ذلك : وأجيب بأن القسم بها حينئذ يقطع النظر عن الصفة والنفس من حيث هي شريفة لأنها الروح التي هي من عظيم أمر الله عز وجل ، ثم قال : وفيه أنه لا يظهر لذكر الوصف حينئذ فائدة .

هذا وفي معنى \* النفس اللوامة \* أقوال أخرى لأئمة التفسير ، راجع لمعرفة هذه الأقوال : تفسير الثعلبي ( ١٣ / ٣ / ١ ) والكشاف ( ٦٥٩ / ٤ ) ، وتفسير الرازي ( ٢١٦ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ٩٣ / ١٩ ) وتفسير الخازن ( ١٨٢ / ٧ ) . وللماوردي في ذكر هذا الخلاف تفصيل آخر ، إذ ذكر أولاً أن في وصف النفس باللوامة قولين :-

أحدهما : أنها صفة مدح ، وهو قول من جعلها قسماً .  
الثاني : أنها صفة ذم ، وهو قول من نفي أن يكون قسماً فمن جعلها صفة مدح فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه :-  
أحدها : أنها التي تلوم على ما فات وتندم ، قاله مجاهد .  
الثاني : أنها ذات اللوم ، حكاه ابن عيسى .  
الثالث : أنها التي تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها .

فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى اللائمة ، ومن جعلها صفة ذم فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه :-  
أحدها : أنها الطومة قاله ابن عباس .  
الثاني : أنها التي تلام على سوء ما فعلت .  
الثالث : أنها التي لا صبر لها على محن الدنيا وشدائدها . فهي كثيرة اللوم فيها .

فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى الطومة . تفسير الماوردي ٣٥٧ / ٤ . وقال ابن جريو في تفسيره ( ١٧٥ / ٢٩ ) بعد أن ذكر ثلاثة أقوال في معنى اللوامة :

\* وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها فمقاربات المعاني ، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والبشر وتندم على ما فات\* . ذكره ابن كثير أيضاً في تفسيره ( ٤٤٨ / ٤ ) وأقره ، وهو الذي يبدو لي أيضاً أنه أحسن الأقوال .

وقوله ( أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ) أَيْ لَنْ نَحْمِيَ عِظَامَهُ بِجَمْعِهَا

لِلْأَحْيَاءِ بَعْدَ تَفْرِقِهَا ( ٢ )

وقوله ( بَلَى ) هُوَ جَوَابُ الْقِسْمِ وَعَلَيْهِ وَقَعَ الْقِسْمُ . ( ٣ )

( ١ ) فِي نَسْخَةِ " ب " ( فَلَنْ يَجْمَعُهَا " .

( ٢ ) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٩٣ / ١٩ ) " وَقَوْلُهُ تَعَالَى " أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ " فَنَعْمِيدُهَا خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ أَنْ صَارَتْ رُفَاتًا " .. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٤٤٨ / ٤ ) .

" وَقَوْلُهُ تَعَالَى " أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ " أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْظُنُّ أَنَا لَا نَقْدِرُ عَلَى إِعَادَةِ عِظَامِهِ وَجَمْعِهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا الْمُتَفَرِّقَةِ " .

وَذَكَرَ الشَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ١٣ / ٣ / ب ) وَالْبَيْهَقِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ١٨٢ / ٧ ) أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَدِي بْنِ رَبِيعَةَ حَلِيغِيْنِي زَهْرَةَ خَتْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ الشَّقْفِيِّ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي جَارِي السَّوْءِ يَعْنِي عَدِيًّا وَالْأَخْنَسِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ رَبِيعَةَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ حَدِّثْنِي عَنِ الْقِيَامَةِ مَتَى تَكُونُ ؟ وَكَيْفَ أَمْرُهَا وَحَالُهَا فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : لَوْ عَانَيْتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَمْ أَصْدَقْكَ وَلَمْ أَوْمِنْ بِكَ ، أَوْ يَجْمَعُ اللَّهُ الْعِظَامَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ " ١ هـ .

وَقِيلَ : نَزَلَتْ فِي عَدُو اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ حِينَ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ . انظُرْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ٩٣ / ١٩ .

( ٣ ) ذَكَرْتُ فِي جَوَابِ الْقِسْمِ هُنَا عِدَّةَ أَقْوَالٍ . فَقِيلَ : جَوَابُ الْقِسْمِ مَحذُوفٌ عَلَى تَقْدِيرِ " لَتَبْعَثَنَّ " وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى " أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ " قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ ( ٤ / ٦٥٩ ) . وَذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٨ / ٤١٧ ) وَعَزَاهُ إِلَى ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَالرَّازِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٣٠ / ٢١٧ ) وَقَالَ : وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ ، وَالْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٩٣ / ١٩ ) وَعَزَاهُ إِلَى النَّحَّاسِ ، وَقِيلَ : وَقَعَ الْقِسْمُ عَلَى قَوْلِهِ " بَلَى قَادِرِينَ " وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ . أَوْرَدَهُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٣٠ / ٢١٧ ) مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ وَذَكَرَهُ الْخَازِنُ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِهِ ( ٧ / ١٨٢ ) وَوَدَّ أَنْ يَكُونَ عَزْوُ وَذَكَرَ الرَّازِيُّ قَوْلًا آخَرَ وَقَالَ فِيهِ : وَهُوَ أَقْرَبُ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِقِسْمٍ بَلْ هُوَ نَفْيٌ لِلْقِسْمِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْجَوَابِ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : لَا أَقْسِمُ بِكَذَا وَكَذَا عَلَى شَيْءٍ ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ ( أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ " . وَتَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا خِلَافٌ مَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنَ الْمَفْسَرِينَ . وَنَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٩٣ / ١٩ ) عَنِ الزَّجَاجِ أَنَّهُ قَالَ : أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ لِيَجْمَعَ الْعِظَامَ لِلْبَعْثِ ، فَهَذَا جَوَابُ الْقِسْمِ " .

وقوله ( قادرين ) أى بلى لشجاعتكم قادرين وقيل : بل نقدر قادرين ، وقوله  
 ( على أن نسوى بنانه ) أى على تسوية بنانه ، وهى أطراف الأصابع وفيها عظام  
 صغار<sup>(٣)</sup> وخصها بالذكر لأنه تعالى إذا قدر على جمع العظام الصغار فعلى الكبار  
 أقدر على جمعها واحيائها<sup>(٤)</sup> . وعن قتادة فى قوله ( على أن نسوى بنانه ) أن يجعل  
 أصابعه بمنزلة خف البعير وحافر الحمار وهذا قول مشهور فى التفاسير .<sup>(٥)</sup>

(١) هو قول سيبويه ، كما ذكره النحاس فى اعراب القرآن (٣/٥٥٤) وعلى هذا  
 القول " قادرين " حال من الفاعل المضمر فى الفعل المحذوف - انظر تفسير  
 الرازى (٣٠/٢١٧) وتفسير القرطبي (١٩/٩٣) .

(٢) هو قول الفراء . انظر معانى القرآن (٣/٢٠٨) واعراب القرآن ٣/٥٥٤ ،  
 وانظر أيضا تفسير القرطبي (١٩/٩٤) وقيل : إن تقدير الآية " كنا  
 قادرين على أن نسوى فى الإبتداء " فوجب أن تبقى قادرين على تلك التسوية فى  
 الإنتهاء . ذكره الرازى فى تفسيره (٣٠/٢١٧) والقرطبي فى تفسيره (١٩/٩٤) .  
 وقيل : التقدير : بلى نقدر ، فلما حول ( نقدر ) إلى ( قادرين ) نصب .  
 ذكره الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٠٨) والنحاس فى اعراب القرآن (٣/٥٥٣)  
 وذكر أن ذلك خطأ .

واختار ابن كثير فى تفسيره (٤/٤٤٨) القول الأول فقال : والظاهر من  
 الآية أن قوله تعالى ( قادرين ) حال من قوله تعالى ( نجمع ) أى أيطسن  
 الإنسان أنا لانجمع عظامه ؟ بل سنجمعها قادرين على أن نسوى بنانه " .

(٣) انظر الصحاح للجوهري ٥/٢٠٨ .

(٤) هذا قول الزجاج وابن قتبية - انظر تأويل مشكل القرآن (٣٤٦) وتفسير  
 البغوى (٧/١٨٣) وزاد المسير (٨/٤١٨) وتفسير القرطبي (١٩/٩٤) ،  
 وتفسير ابن كثير (٤/٤٤٨) .

(٥) رواه ابن جرير الطبري فى تفسيره (٢٩/١٧٦) من طريقين عنه - قال فى  
 أحد اللفظين : قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة ، أو كخف  
 البعير ، ولو شاء لجعله كذلك ، وإنما ينقى طعامه بفيه " .

وهذا القول مروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد  
 والضحاك . انظر المصدر السابق . وانظر أيضا الدر المنثور (٦/٢٨٧) .  
 وذكره غير واحد من المفسرين ، وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٨/٤١٧)  
 هذا قول الجمهور .

وعزه القرطبي فى تفسيره (١٩/٩٤) إلى عامة المفسرين وذكر الرازى فى  
 تفسيره (٣٠/٢١٨) القولين وقال : " والقول الأول أقرب إلى الصواب " .

وقوله تعالى ( بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ) في التفسير : أن معناه يُقدِّم

الذنب ويؤخر التوبة وهو بمعنى التسويف في ترك المعاصي والتوبة إلى

الله (١) ، وروى علي بن طلحة الوالبي (٢) عن ابن عباس : أن معناه هو التكذيب

بالقيامة (٣) ، والفجور هو الميل عن الحق والكاذب مائل عن الصدق فهو فاجر (٤)

وحكى ابن قتيبة : أن أعرابياً جاء إلى عمر رضي الله عنه وقال : إن بعيرى

قد دبر ، فاحطنى على بعير ، فلم يحمله عمر ، فولى الأعرابي ، وهو يقول :

(١) هو قول سعيد بن جبير ، ذكره عنه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص ٣٤٦)

والبغوى في تفسيره ( ١٨٣/٧ ) وابن الجوزى في تفسيره ( ٤١٨/٨ ) ،

والزمخشوى في الكشاف ( ٦٥٩/٤ ) ، والرازى في تفسيره ( ٢١٨/٣٠ ) وذكر

نحوه الماوردى في تفسيره ( ٣٥٧/٤ ) وعزاه إلى القاسم بن الوليد .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٤٨/٤ ) : وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير

والضحاك والسدى وغير واحد من السلف هو الذى يجعل الذنوب ويسوف

التوبة .

انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٩٥/١٩ ) .

(٢) هو علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمي مولى بنى العباس ، يكنى

أبا الحسن وقيل غير ذلك ، أسلمه من الجزيرة ، وانتقل إلى حمص ، أرسل

عن ابن عباس ولم يره - صدوق قد يخطئ ، مات سنة ثلاث وأربعين .

تهذيب التهذيب ( ٣٣٩/٧ ) تقريب التهذيب ٢٤٦ .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ( ١٧٨/٢٩ ) بسنده عن معاوية عن علي ( ابن أبي طلحة )

به . وذكره الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٤ / ١ ) من قول ابن عباس

وابن زيد .

(٤) انظر الصحاح للجوهري ٧٧٨/٢ ولسان العرب ٤٧/٥ ، وتأويل مشكل

القرآن ( ٣٤٧ ) . انظر أيضا تفسير البغوى ( ١٨٣/٧ ) ، وتفسير الماوردى

( ٣٥٧/٤ ) .

(٥) قال ابن الأثير في النهاية ( ٩٦/٢ ) :

"الدبر : بالتحريك : الجرح الذى يكون في ظهر البعير يقال : دبر

يدبر دبراً : وقيل : هو أن يفتح خف البعير ."

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ  
 مَأْسُتَهُ (١) مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبَّسٍ (٢)  
 اغفر له اللهم إن كان / فجزء (٤) أي كذب .  
 ب/٣٥

- (١) كذا في الأصل ، وفي تأويل مشكل القرآن (ص ٣٤٧) "مسها" .  
 (٢) قال ابن الأثير في النهاية (١٠٢/٥) بعد أن ذكر هذا الرجز :  
 أراد بالنقب هاهنا رقة الأخفاف ، وقد نقب البعير ينقب فهو نقب .  
 (٣) في النسختين "اغفر" وفي المصادر الأخرى "فاغفر" .  
 (٤) الرجز في تأويل مشكل القرآن (ص ٣٤٧) والصاجي لابن فارس (ص ٢٩٨)  
 ولسان العرب (٧٦٦/١) وخزانة الأدب للبغدادي (٣/٣٥٢-٣٥١)  
 مع ذكر القصة بطولها - وقد نسبه ابن حجر في فتح الباري (٩٤-٩٣/٣)  
 إلى عبدالله بن كيسان النهدي - وأشار إلى القصة ، ونسبه بعضهم إلى  
 ربيعة بن العجاج ، ولكن البغدادي رده ، وقال : هذا لا أصل له " لأن  
 ربيعة لم يلق عمر بن الخطاب ، هذا وقد ذكرت في تفسير الآية أقوال  
 أخرى ، منها : يكثر الذنوب ، ويؤخر التوبة ، قاله الكلبي ، وقيل :  
 يتمنى الخطيئة .

وقال الحسن : يمضى أمامه قدماً لا ينزع عن فجور ، .  
 وقال الضحاك : هو الأمل يومئذ الإنسان ، أعيش وأصيب من  
 الدنيا كذا ، وأصيب كذا ، ولا يذكر الموت .

وقال ابن زيد : بل يريد أن يكذب بالقيامة ولا يعاقب بالنار ، ذكره  
 الماوردي ثم قال : ويحتمل وجهاً خامساً : بل يريد أن يكذب بما فى  
 الآخرة كما كذب بما فى الدنيا " ثم ذكر ما قاله ابن قتيبة " .

فكانه اعتبرهما قولين مستقلين بينما ذكرهما القرطبي وابن كثير  
 واعتبراه قولاً واحداً .

وأما الراجح من هذه الأقوال فقال ابن كثير فى تفسيره (٤٤٨/٤) بعد  
 أن أورد ما رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس : وهذا هو الأظهر من المراد  
 ولهذا قال بعده : " يسأل أيا ن يوم القيامة " أى يقول : متى يكون يوم  
 القيامة ؟ وإنما سوءه سوءة استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده " .

انظر أيضاً تأويل مشكل القرآن (٣٤٦-٣٤٧) وتفسير الطبرى (١٧٧/٢٩-  
 ١٧٨) ، وتفسير الماوردي (٣٥٧/٤) وتفسير البغوى (١٨٣/٧) وزاد الميسر  
 (٤١٨/٨) ، وتفسير الرازى (٢١٨/٣٠) ، وتفسير القرطبي (٩٥-٩٤/١٩) .

قال قتاده في قوله تعالى (لِيَجْزِيَ أَمَامَهُ) : أى يمضى أمامه ركباً هوواه لا يفكر في ذنب ولا يتوب عن معصية<sup>(١)</sup> ، و قوله تعالى ( ليسأل أيمان يوم القيامة ) وكانوا يقولون ذلك على وجه الاستهزاء<sup>(٢)</sup> . وهو دليل على صحة القول الذى ذكرنا عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> .

و قوله تعالى ( فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ) وقرىء ( بَرَقَ ) بالفتح<sup>(٤)</sup> - فقوله بَرَقَ البَصَرُ : أى شخص من الهول فلم يطرف ، وقوله بَرَقَ أى تحيروا فـسزع

( ١ ) لم أجد من ذكره عن قتادة بهذا اللفظ .

وقد روى نحوه عن الحسن البصرى فإنه قال : يمضى قدماً فى معاصى الله " رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٧٧ / ٢٩ ) وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٨٨ / ٦ ) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير .

أما قتادة فذكر عنه السيوطى أنه قال : ( بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ) لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً إلا من عصم الله " وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، ولكن رواه ابن جرير فى المصدر السابق بسنده عن قتادة عن الحسن من قوله .

( ٢ ) قال الزمخشرى فى الكشاف ( ٦٦٠ / ٤ ) ( يسأل ) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة فى قوله ( أيمان يوم القيامة ) ونحوه .

( ٣ ) هو أن معناه التكذيب بيوم القيامة ، كما تقدم فى ص ( ٢١٣ ) .

( ٤ ) هى قراءة نافع .

وأما الباقر فقرأوها بكسر الراء : انظر التيسر ( ص ٢١٦ ) ، والكشاف عن وجوه القراءات السبع ( ٣٥٠ / ٢ ) وحجة القراءات ( ص ٧٣٦ ) . انظر أيضاً تفسير الماوردى ( ٣٥٧ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ١٨٣ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤١٨ / ٨ ) وتفسير القرطبى ( ٩٥ / ١٩ ) ، وذكر الطبرى فى تفسيره ( ١٧٨ / ٢٩ ) ( ١٧٩ ) القراءتين ، وقال : وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب كسر الراء . ( فَإِذَا بَرَقَ ) بمعنى : فزع فسق وفتح من هول القيامة وفزع الموت وبذلك جاءت أشعار العرب " .

ويقال غشسيه مثل البرق (١) وقوله ( وخسف القمر ) أى ذهب ضوءه (٢) ومنه يقال : بشر  
منخسفة وغير منخسفة . (٣)

(١) قال الجوهري في الصحاح (١٤٤٩/٤) \* وبرق البصر بالكسر يبرق بَرَقًا :  
إذا تحير فلم يطرق \* ثم قال : فإذا قلت : بَرَقَ البصر بالفتح : فإنما تعنى  
بريقه إذا شخصه \* انظر أيضا لسان العرب ١٥/١٠ - ١٦ ، واختلاف  
المفسرون في معنى القراءتين ثم في الوقت الذي يحصل لهم ذلك \* .

أما الأقوال التي ذكرت في معنى برق فأحدها هذا الذي أورده المؤلف  
ونكره القرطبي أيضا في تفسيره (٩٥/١٩ - ٩٦) وعزاه إلى أبي عمرو الزجاج  
وغيرهما ، ثم قال : وقيل : بَرَقَ يَبْرُقُ بالفتح : شق عينيه وفتحها \* قاله  
أبو عبيدة .

وقيل : إن كسر الراء وفتحها لغتان بمعنى \* ( أى بمعنى واحد )  
واكتفى ابن الجوزي في زاد المسير (٤١٨/٨) على هذا القول الأخير .  
كما صرح ابن كثير في تفسيره (٤٤٨/٤) بأن القراءتين قريبتا المعنى .

أما الأقوال التي ذكرت في الوقت الذي يحصل له ذلك فذكر السمراسي  
في تفسيره (٢١٩/٣٠) ثلاثة أقوال : قيل : عند الموت ، وقيل : عند  
البعث ، وقيل : عند رؤية جهنم .  
انظر أيضا تفسير الماوردي (٣٥٧/٤ - ٣٥٨) وتفسير البغوي (١٨٣/٧) ،  
وما ذكره المؤلف بقوله ( غشسيه مثل البرق ) لم أجد من ذكره .

(٢) انظر تفسير الماوردي (٣٥٨/٤) وتفسير البغوي (١٨٣/٧) والكشاف (٦٦٠/٤)  
وقال الرازي في تفسيره (٢٢٠/٣٠) \* يحتمل أن يكون المراد من خسوف  
القمر ذهب ضوءه كما نعه من حاله إذا خسف في الدنيا ، ويحتمل أن يكون  
ذهابه بنفسه كقوله \* فخسفنا به وبداره الأرض \* سورة القصص الآية ٨١ . انظر  
أيضا تفسير القرطبي (٩٦/١٩) .

(٣) ذكر ابن منظور في لسان العرب (٦٨/٩) عن أبي عمرو قال : الخَسِيفُ : البسر  
التي تُخْفَرُ في الحجارة فلا ينقطع ماؤها ككرة \* .

وعن أبي حاتم محمد بن إدريس السرازي<sup>(١)</sup> أنه قال الكسوف أن يذهب بعين الضوء ،  
والخسوف أن يذهب جميع الضوء<sup>(٢)</sup> وهو قول مروى عن غيره أيضاً وقوله ( وجمع الشمس  
والقمر ) أى فى الخسفة وان هاب الضوء<sup>(٣)</sup> . وقال ابن مسعود : يصيران كالبعيريين  
القرنين ثم يلقيان فى النار فيصيران نارا على الكفار<sup>(٤)</sup> وهذا على معنى

( ١ ) هو أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الإمام الحافظ الناقد  
شيخ المحدثين الحنظلى القيطاني الرازي . كان من بحور العلم طوف البلاد  
وبرع فى المتن والإسناد وجمع وصنف ، وجرح وعدل ، وصحح وعلل .  
قال الخطيب : كان أحد الأئمة الحفاظ الأثبات - مشهوراً بالعلم مذكوراً  
بالفضل ، وقال هبة الله اللالكاسى : كان أبو حاتم اماماً حافظاً متبناً ، توفى  
سنة سبع وسبعين ومائتين .

انظر تاريخ بغداد ٢ / ٧٣-٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٤٧-٢٦٢ .

( ٢ ) ذكره القرطبي فى تفسيره ( ١٩ / ٩٦ ) . انظر أيضاً المفردات للراغب ( ص ١٤٨ )  
وقيل : الكسوف للشمس والخسوف للقمر . ذكره ابن منظور فى اللسان ( ٩ / ٦٧ )  
عن ثعلب ، وقال : هذا أجود الكلام " وقيل : الكسوف والخسوف بمعنى واحد .  
انظر المفردات ص ١٤٨ ولسان العرب ( ٩ / ٦٧ ) وزاد المسير ( ٨ / ٤١٩ ) .

( ٣ ) هو اختيار الفراء . انظر معانى القرآن ( ٣ / ٢٠٩ ) وروح المعانى ( ٢٩ / ١٣٩ ) ،  
وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٣٥٨ ) وقال : حكاه ابن شجرة وذكره البغوى  
فى تفسيره ( ٧ / ١٨٣ ) ، وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨ / ٤١٩ ) والقرطبي  
فى تفسيره ( ١٩ / ٩٦ ) من قول الفراء والزجاج .  
انظر أيضاً الكشاف ( ٤ / ٦٦٠ ) وتفسير الرازي ( ٣٠ / ٢٢٠ ) .

( ٤ ) ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨ / ٤١٩ ) قال : قال ابن مسعود : جمعاً  
كالبعيريين القرنيين .

وذكر القرطبي فى تفسيره ( ١٩ / ٩٧ ) عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قالا : جمع  
بينهما أى قرن بينهما فى طلوعهما من المغرب أسود بين مكورين مظلمين كأنهما  
ثوران عقيران " . وليس فيه ذكر لِقَدْ فهما فى النار ، وقد ورد قَدْ فهما فى البحر  
فى أثر آخر عن عطاء بن يسار أخرجه ابن جرير فى تفسيره ( ٢٩ / ١٨٠ ) بسنده  
عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية يوماً ( وجمع الشمس  
والقمر ) قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان فى البحر ، فيكون نار الله  
الكبرى " وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨ / ٤١٩ ) عن عطاء بن يسار  
وقال : وقيل : يقذفان فى النار " . وذكر القرطبي أيضاً أثر عطاء بن يسار  
ثم قال : وقال على وابن عباس : يجعلان فى نور الحجب ، وقد يجمعان فى  
نار جهنم ، لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما  
جماد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبيكيت الكافرين وحسرتهم " .



قوله ، وعن مجاهد : ( وجمع الشمس والقمر ) أى كور كلاهما - وقوله ( يَقُولُ  
الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُوجُ ) أى أين المهرب ، وقوى ( أَيْنَ الْمَفْرُوجُ ) أى أين  
موضع الفرار<sup>(٢)</sup> ، وقوله ( كَلَّا لَا وَزَرَ ) أى لا مهرب ولا فرار<sup>(٣)</sup> .

وأما قوله ( لا وزر ) فيه أقوال - قال سعيد بن جبير : لا محيص<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٩ / ١٨٠ ) بسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد  
قال : كورا يوم القيامة . وأورد السيوطى في الدر المنثور ( ٦ / ٢٨٨ ) وعزاه  
إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

وأثر في تفسير الآية أقوال أخرى ، والصواب فيما يبدو لى - والله  
أعلم - أنهما يجمعان فى النار ، لأنه ورد فى حديث أنس بن مالك  
مرفوعاً - " ان الشمس والقمر ثوران عقوان فى النار " أخرجه أبوداود الطيالسى  
فى مسنده ( ٣٠٣ / ٢١ ) والطحاوى فى مشكل الآثار ( ١ / ٦٦ ) بسند فسيه  
ضعف ولكن له شاهد من حديث أبى هريرة مرفوعاً أخرجه الطحاوى فى المصدر  
السابق فى سياق طويل وفيه " الشمس والقمر ثوران مكوران فى النار يوم  
القيامة " . وقال فيه الألبانى : وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى  
انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحد يث ١٢٤ .

( ٢ ) قرأ الجمهور " الْمَفْرُوجُ " بفتح الميم والفاء ، وهو مصدر - أى أين الفرار - وقوى  
فى الشان " الْمَفْرُوجُ " بفتح الميم وكسر الفاء - أى أين موضع الفرار ، ذكر هذه  
القراءة ابن جنى فى المحتسب ( ص ٣٤١ ) عن ابن عباس وعكرمة وأيوب السختياني  
والحسن ، وذكرها ابن خالويه فى شواذ القرآن ( ص ١٦٥ ) عن الحسين بن  
على والحسن بن بزوا بن عباس والزهرى " وهى مروية عن جماعة آخرين أيضا .

انظر أيضا معانى القرآن ٣ / ٢١٠ ، وتفسير ابن جرير ٢٩ / ١٨٠ - ١٨١  
وزاد المسبو ( ٨ / ٤١٩ - ٤٢٠ ) ، وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٩٧ - ٩٨ ) .

( ٣ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ١٩ / ٩٨ ) : ( كَلَّا ) أى لا مضر : فكلا رد  
وهو من قول الله تعالى ، ثم فسر هذه الزيادة فقال ( لا وزر ) .

( ٤ ) ذكره الماورى فى تفسيره ( ٤ / ٣٥٩ ) بمثله . والقرطبي فى تفسيره  
( ١٩ / ٩٨ ) بلفظ : " لا محيص ولا منعة " ، وأخرج ابن جرير فى  
تفسيره ( ٢٩ / ١٨٤ ) بسنده عن سعيد بن جبير ( لا وزر ) : لا حصن .  
وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٢٨٨ ) بمثل ما رواه ابن جرير . وعزاه  
إلى عبد بن حميد ، وهو مروى أيضا - عن ابن مسعود وعطية وأبى قلابة وغيرهم  
انظر المصدر السابق .

وقال عكرمة : لا منعة ، وعن مجاهد : لا منجأ ، وقال مطرف بن عبد الله  
 الشخير<sup>(٣)</sup> والنحاك : لا جبل<sup>(٤)</sup> ، وهو قول مشهور وكانت العرب إذا طرقتهم  
 الخيل قالوا : الوزر الوزأي الجبل الجبل<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) لم أجد من ذكره عنه .

( ٢ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ١٨٢ / ٢٩ ) بسنده عن مجاهد قوله ( لا وزر )  
 لا ملجأ ولا جبل .

( ٣ ) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الخرشى العامري أبو عبد الله البصرى .  
 ثقة عابد فاضل - مات سنة خمس وتسعين . تهذيب التهذيب . ١ / ١٧٣ ،  
 تقريب التهذيب ٣٣٩ .

( ٤ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ١٨٢ / ٢٩ ) بسند بين عن مطرف بن الشخير  
 أنه قال : هو الجبل ، إن الناس إذا فروا قالوا : عليك بالوزر . وذكره  
 السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٨٨ / ٦ ) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير .  
 وأخرج ابن جرير أيضا فى المصدر السابق له ( ١٨٣ / ٢٩ ) بسنده عن الضحاک  
 أنه قال فى قوله ( كلا لا وزر ) يعنى الجبل بلغة حمير . وذكره السيوطى فى  
 الدر المنثور ( ٢٨٨ / ٦ ) وعزاه إلى ابن جرير .

( ٥ ) روى ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٢ / ٢٩ ) بسنده عن الحسن قال : كانت  
 العرب فى الجاهلية إذا خشوا عدواً قالوا : عليكم الوزر ، أى عليكم الجبل .  
 وقال القرطبى فى تفسيره ( ٩٨ / ١٩ ) بعد إبراهمه لبعض الأقوال المأثورة عن  
 أئمة التفسير : المعنى فى ذلك كله واحد ، والوزر فى اللغة : ما يلجأ إليه  
 من حصن أو جبل أو غيرهما .

وانظر أيضا لسان العرب ( ٢٨٢ / ٥ ) - وقال أبو حيان فى البحر المحيط  
 ( ٣٨٦ / ٨ ) \* والظاهر أن قوله ( كلا لا وزر ، إلى ريك يومئذ المستقر ) من  
 تمام قول الإنسان ، وقيل : هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن الإنسان .

وقال الشاعر<sup>(١)</sup> :

لَعَمْرُكَ مَا لِفَتَى مِنْ وَرْدٍ (٢) إِذَا (٣) الْمَوْتُ يُدْرِكُهُ وَالْكِبَرُ

وهذا على معنى المنجأ وقوله (إلى ربك يومئذ المستقر) أي يظهر مستقرا

العباد في الجنة أو النار<sup>(٤)</sup> وقوله (ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) قال

ابن مسعود وابن عباس : بما قدم من طاعة فعمل بها وأخر من سنة سيئة فعمل

بها بعده .<sup>(٥)</sup>

(١) لم أتمكن من معرفته .

(٢) كذا في النسختين ( إذا ) وفي المصادر الأخرى ( من ) .

(٣) البيت في تفسير القرطبي ( ٩٨ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٣٨٢ / ٨ ) ، وروح

المعاني ( ١٤٠ / ٢٩ ) غير منسوب .

(٤) ذكر في تفسير هذه الآية قولان للمفسرين : أحدهما : أنه استقار أهل

الجنة في الجنة وأهل النار في النار قاله ابن زيد .

والثاني : أنه غنى بذلك إلى ربك المنتهي . قاله قتادة .

انظر تفسير ابن جرير ( ١٨٣ / ٢٩ ) وتفسير الماوردي ( ٣٥٩ / ٤ ) وتفسير

الرازي ( ٢٢١ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ٩٨ / ١٩ ) .

(٥) روى ابن جرير في تفسيره ( ١٨٣ / ٢٩ ) بسند عن معاوية عن علي عن

ابن عباس أنه قال في الآية : ما عمل قبل موته ، وما سن فعلم به بعد موته .

وأورد السيوطي في الدر المنثور ( ٢٨٨ / ٦ ) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم

وروى عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١ / ١٦٤ ) وابن جرير في المصدر السابق له

بسنده عن زياد بن أبي مريم عن ابن مسعود أنه قال : ( بما قدم ) من عمله

( وأخر ) من سنة عمل بها من بعده من خير أو شر .

وأورد السيوطي في الدر المنثور ( ٢٨٨ / ٦ ) وعزاه إلى عبد الرزاق

وابن جرير وابن المنذر ، وهو أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون في تفسير

الآية .

انظر تفسير الماوردي ( ٣٥٩ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ١٨٤ / ٧ ) وزاد المسير

( ٤٢٠ / ٨ ) والكشاف ( ٦٦١ / ٤ ) .

ويقال ( بما قدم وأخر ) بأول عطه وآخره وهو محكى عن مجاهد وإبراهيم<sup>(١)</sup> . وقيل :  
( بما قدم وأخر ) أى يلقى جزاء جميع أعماله من طاعة ومعصية<sup>(٢)</sup> ، وعن زيد بن أسلم ،  
بما قدم من المال للصدقة وأخر من المال للورثة<sup>(٣)</sup> .

- ( ١ ) رواه ابن جريو فى تفسيره ( ١٨٤ / ٢٩ ) من طرق عن مجاهد وإبراهيم النخعي  
بمثله .  
وأورده السيوطي فى الدر المنثور ( ٢٨٨ / ٦ ) وعزاه إلى ابن أبى شيبه وعبد بن  
حميد وابن جريو ، وأورده عد يد من المفسرين ضمن ما قيل فى تفسير الآية . انظر  
المصادر المذكورة فى الهامش السابق .
- ( ٢ ) لم أجد من روى عنه هذا القول ، ولعل المؤلف يقصد بذلك ماروى عن ابن عباس  
فى رواية أخرى وعن قتادة - أى بما قدم من المعصية وآخر من الطاعة .  
انظر تفسير الطبرى ( ١٨٤ / ٢٩ ) وتفسير البغوى ( ١٨٤ / ٧ ) ، وتفسير  
الماوردى ( ٣٥٩ / ٤ ) ، وزاد المسير ( ٤٢٠ / ٨ ) .
- ( ٣ ) أورده الثعلبى فى تفسيره ( ١٢ / ٥ / ب ) والبغوى فى تفسيره ( ١٨٤ / ٧ ) ،  
وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢٠ / ٨ ) عن زيد بن أسلم أنه قال : بما قدم من  
أمواله لنفسه ، وما أخر خلفه للورثة .  
وذكره القرطبي أيضا فى تفسيره ( ٩٩ / ١٩ ) ولكنه عزاه إلى ابن زيد ، ولعله  
خطأ مطبعى . هذه هى أربعة أقوال ذكرها المؤلف فى تفسير الآية . وقد  
ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٣٥٩ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢٠ / ٨ )  
عن عكرمة أنه قال : بما قدم من الشر وأخر من الخير .  
وعن الضحاك أنه قال : بما قدم من فروض وآخر من فروض . وقد ذهب ابن جريو  
فى تفسيره ( ١٨٤ / ٢٩ ) إلى عدم التخصيص لأى من هذه الأقوال ، وصرح بأن  
كل ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة .  
أما أبو جعفر النحاس فقد ذهب فى اعراب القرآن ( ٥٥٦ / ٣ ) إلى اختيار  
قول قتادة ، وقال : من أحسن ما قيل فيه قول قتادة ثم ذكره - .  
واختار الفراء فى معاني القرآن ( ٢١٠ / ٣ ) وابن قتبية فى تفسيره غريب  
القرآن ( ص ٥٠ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٩٩ / ١٩ ) القول الأول - ( أى قول  
ابن سمعون وابن عباس ) وقال القرطبي : والأول أظهر - واستدل عليه بأحاديث  
منها : ما أخرجه ابن ماجه فى سننه - المقدمة - باب ثواب معلم الناس الخير .  
( ١٠٦ / ١ ) بسنده عن الزهري ، حدثني أبو عبد الله الأغر عن أبى هريرة قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مما يلحق المؤمن من عظمته وحسناته بعد  
موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، الحديث . ومنها : ما أخرجه مسلم فى  
صحيحه - كتاب العلم - باب من سن سنة حسنة أو سيئة ( ٢٢٦ / ١٦ ) بسنده عن  
جرير بن عبد الله فى سياق طويل قال فيه صلى الله عليه وسلم : من سن فى الإسلام  
سنة حسنة فعلم بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شئ .  
الحديث .

وقوله ( بل الإنسان على نفسه بصيرة ) أى شاهد ، والمعنى هو لزوم الحججة عليه كما يلزم بالشهادة وما من أحد إلا وله من نفسه على نفسه بصيرة<sup>(١)</sup> . وقيل : هو شهادة الجوارح عليه يوم القيامة<sup>(٢)</sup> . قال ابن عباس : يشهد عليه يداه ورجلاه وفرجه وغير ذلك<sup>(٣)</sup> ودخلت التاء في قوله ( بصيرة ) للمبالغة مثل قولهم علامة وراوية وما يشبهها<sup>(٤)</sup> .  
وقوله ( ولو ألقى معاذيرة ) فيه قولان معروفان ، أحدهما : ولو جاء بكل عذر وأبلى بذكر حجة . أى لا يقبل منه ذلك لأنه لا عذر له ولا حجة<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) قال الأخفش في معاني القرآن ( ٥١٧ / ٢ ) " فجعله هو البصيرة ، كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك " وذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٥٩ / ٤ ) في الآية ثلاثة تأويلات أحدها : أنه شاهد على نفسه بما تقوم به الحججة عليه ، كما قال تعالى " اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً " سورة الاسراء الآية ١٤ .  
انظر أيضاً تفسير البغوى ( ١٨٤ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ١٠٠ / ١٩ ) .

( ٢ ) هو ثانياً التأويلات التي ذكرها الماوردي في تفسيره ( ٣٦٠ / ٤ ) ودليل هذا التأويل من التنزيل قوله تعالى " يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " سورة النور الآية ٢٤ ، وقد ذكره غير واحد من المفسرين . انظر معاني القرآن للفراء ( ٢١١ / ٣ ) واعراب القرآن لابن جعفر النحاس ( ٥٥٧ / ٣ ) وتفسير البغوى ( ١٨٤ / ٧ ) وزاد المسبو ( ٤٢٠ / ٨ ) .

أما التأويل الثالث الذي ذكره الماوردي فهو : أن معناه بصير بمعنى يبصرون الناس غافل عن عيب نفسه فيما يستحقه لها وعليها من ثواب أو عقاب ، وهذا التأويل مروى عن الحسن وقتادة ، وفيما يظهر لى أن القول الأول هو الصواب ، لأنه هو الذى يدل عليه ظاهر الكلام .

( ٣ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ١٨٥ / ٢٩ ) بسنده عن معاوية عن علي عن ابن عباس قال : سمعه وبصره ويده ورجلاه وجوارحه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٢٨٩ / ٦ ) وعزاه أيضاً إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم . وقيل في معنى البصيرة : أن المراد الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر . انظر تفسير القرطبي ( ١٠٠ / ١٩ ) .

( ٤ ) هو قول أبي عبيد : وقيل : جاء تأنيث البصيرة لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح . لأنها شاهدة على نفس الإنسان ، وهو معنى ما قاله ابن قتبية في تفسيره غريب القرآن ص ٥٠ . وقيل : ويجوز أن يكون ( بصيرة ) نعتاً لإسم مؤنث فيكون تقديره : بل الإنسان على نفسه عين بصيرة " اختاره الفراء . انظر معاني القرآن ( ٢١١ / ٣ ) واعراب القرآن ( ٥٥٧ / ٣ ) وتفسير البغوى ( ١٨٤ / ٧ ) وزاد المسبو ( ٤٢٠ / ٨ ) والبحر المحيط ( ٣٨٦ / ٨ ) .

( ٥ ) هو قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين . انظر تفسير مقاتل ( ق ٣٨٨ / ب ) ومعاني القرآن للفراء ( ٢١١ / ٣ ) ومجاز القرآن ( ٢٧٨ / ٢ ) وتفسير الطبري ( ١٨٦ - ١٨٥ / ٢٩ ) وتفسير الشعلي ( ١٣ / ٦ / ب ) وتفسير الماوردي ( ٣٦٠ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ١٨٤ / ٧ ) وزاد المسبو ( ٤٢٠ / ٨ ) وتفسير الرازي ( ٢٢٢ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ١٠ ) وعلى هذا القول يكون معنى الإلقاء القول كما قال تعالى " قَالُوا لِيهِمُ الْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ " سورة النحل الآية ٨٦ .

والقول الثاني : ان قوله ( ولو ألقى معاذ بيه ) أى ستوره واحدها معذار . قال

الزجاج : وهو الستر . وقيل : هولغة يمانية<sup>(٢)</sup> والمعنى : أنه وإن ستر جميع أعماله بالستور فإنما يظهر يوم القيامة ويجازى عليه .<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى ( لا تحرك به لسانك لتعجل به ) روى سفيان بن عيينة<sup>(٤)</sup> عن

( ١ ) ذكره من قوله ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢١ / ٨ ) والرازى فى تفسيره ( ٢٢٢ / ٣٠ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٠٠ / ١٩ ) .

( ٢ ) هو قول الضحاك . أورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٨٧ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر - وذكره الثعلبى فى تفسيره ( ٦ / ١٣ ) والبغوى فى تفسيره ( ١٨٤ / ٧ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٠٠ / ١٩ ) كلهم من قول الضحاك وذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٦٦١ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ٢٢٢ / ٣٠ ) عن المبرد - وقال الزمخشري : إن صحت هذه الرواية فذاك مجاز من حيث ان الستر يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعمذرة عقوبة المذنب انظر أيضا لسان العرب ( ٥٥٣ / ٤ ) . وقد ذهب إليه السدى أيضا . انظر المصادر المذكورة فى الهامش رقم ٢٠١ . وذكر الماورى عن السدى أنه قال : لو أظهر حجته . . وهو قريب من القول الأول ، ولذلك ذكره القرطبي فى تفسيره ( ١٠١ / ١٩ ) مع القائلين بالقول الأول .

( ٣ ) قال الرازى فى تفسيره ( ٢٢٢ / ٣٠ ) : " والمعنى على هذا القول أنه وإن أسبل الستر ليخفى ما يعمل فإن نفسه شاهدة عليه ، وكذا ذكره القرطبي أيضا فى تفسيره ( ١٠٠ / ١٩ ) واقتصر المؤلف فى بيان معنى الآية على القولين فقط . وهكذا اقتصر عليهما ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢٠ / ٨ - ٤٢١ ) والزمخشري فى الكشاف ( ٦٦١ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ٢٢٢ / ٣٠ ) وقد رويت فى الآية أقوال أخرى منها : ما ذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٦٠ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٠١ / ١٩ ) عن ابن عباس أنه قال : أى لو تجرد من ثيابه ، وذكره السيوطى أيضا فى الدر المنثور ( ٢٨٧ / ٦ ) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . هذا ، وقد ذهب ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٦ / ٢٩ ) بعد إيواده لما قيل فى معنى الآية إلى اختيار القول بأن معناه : ولو اعتذر يعنى قول قتادة وغيره . وقال : لأن ذلك أشبه المعانى بظاهر التنزيل . واليه ذهب القرطبي أيضا فى تفسيره ( ١٠١ / ١٩ ) فإنه قال : والأظهر أنه الإدلاء بالحجة والإعتذار من الذنب . ثم قال : والدليل على هذا قوله تعالى فى الكفار " وَاللَّهُ رَبُّنَا مَأْكِنٌ مُّشْرِكِينَ " سورة الأنعام الآية ٢٣ ، وقوله تعالى فى المنافقين : " يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ " ( سورة المجادلة الآية ١٨ ) . انظر أيضا تفسير ابن كثير ( ٤٤٩ / ٤ ) .

( ٤ ) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهالسي أبو محمد الكوفي ثم المكي - ولد سنة سبع ومائة وطلب العلم فى صفره . قال ابن حجر : ثقة حافظ فقيه امام حجة ، إلا أنه تغير حفظه بآخره ، وكان ربما دلس لكن عن الثقات ، وقال الداودى : وكان اماما حجة حافظا واسع العلم كبير القدر ، توفى سنة ثمان وتسعين ومائة ولسه احدى وتسعون سنة .

تقريب التهذيب عن ١٢٨ ، طبقات المفسرين ١ / ١٩٦ - ١٩٨ .

موسى بن أبى عائشة<sup>(١)</sup>، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي تحرك به لسانه يريد أن يحفظه فانزل الله تعالى قوله ( لا تحرك به لسانك لتعجل به ) قال وحرك سعيد بن جبير شفقيه وحرك ابن عباس شفقيه<sup>(٢)</sup>. قال رضى الله عنه وأخبرنا بهذا الحديث أبوولى الشافعى<sup>(٣)</sup> أخبرنا أبو الحسن ابن فارس<sup>(٤)</sup> أخبرنا أبو جعفر الدَّيْلَمِي<sup>(٥)</sup> أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى<sup>(٦)</sup>

(١) هو موسى بن أبى عائشة الهمداني مولا هم أبو الحسن الكوفى ثقة عابد من الخاصة وكان يرسل . تقريب التهذيب ٣٥١ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب التفسير - باب سورة القيامة (٨/٦٨٠ ، رقم الحديث ٤٩٢٧) من طريق سفيان بن عيينة ، وسلم فى صحيحه - كتاب الصلاة - باب الإستماع للقراءة (٤/١٦٥ - ١٦٦) من طريق جرير بن عبد الحميد وأبى عوانة كلهم عن موسى بن أبى عائشة به . ولفظه عند البخارى : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي تحرك به لسانه - ووصف سفيان - يريد أن يحفظه فانزل الله : لا تحرك به لسانك لتعجل به . وللحديث طرق أخرى غير طريق سفيان بن عيينة - كما أن الحديث أخرجه غير واحد من المفسرين والمحدثين . انظر تفسير ابن جرير الطبرى (٢٩/١٨٢ - ١٨٨) وتفسير ابن كثير (٤/٤٤٩) ، والدر المنثور (٦/٢٨٨) . وتفسير سفيان بن عيينة ( جمع وتحقيق أحمد صالح محابرى ) ص ٣٣٩ .

(٣) هو الشيخ العالم الثقة ، أبوولى الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن المكي الشافعى الحنطاط ، آخر من حدث عن أحمد بن ابراهيم بن فراس العبَّقى ، وتحدث عنه أبوالمظفر السمعاني وغيره ، وثقه أبو سعد السمعماني ، وقال فيه اسماعيل بن محمد الحافظ : عدل ثقة كثير السماع ، توفي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة . انظر الأنساب ٢٥٦/٧ ، وسير أعلام النبلاء ٣٨٤/١٨ ، وشدرات الذهب ٣٤٢/٣

(٤) كذا فى الأصل (ابن فارس) والصواب (ابن فراس) لأنه هو الذى يروى عنه أبوولى الشافعى ، وسيأتى ذكره عند المؤلف قريباً قال فيه (ابن فراس) وهو القاضى العدل أبو الحسن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن على بن فراس العبَّقى (نسبة إلى عبد القيس) المكي المعطار مُسند الحجاز ، سمع فى صباه - وهو ابن عشر سنين - من أبى جعفر محمد بن ابراهيم الدَّيْلَمِي وغيره ، قال أبودر : ثقة ، ثبت ، ذكره الذهبى ، كما ذكره عن غير واحد توثيقه ، مات سنة خمس وأربعمائة .

الأنساب ٣٧٠/٨ ، سير أعلام النبلاء ١٧/١٨١ ، تذكرة الحفاظ ٣/٦٣ .

(٥) هو أبو جعفر محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن الفضل الدَّيْلَمِي ثم المكي (ود بيل : بلدة من إقليم الهند) سمع محمد بن زنبور وسعيد بن عبد الرحمن المخزومى وغيرهما ، قال فيه الذهبى : كان مُسند الحرم فى وقته ، ووصفه أيضا بالمحدث الصدوق ، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ٩١٥-١٠٠ ، شدرات الذهب ٢/٢٩٥ .

(٦) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان - ويقال : ابن عبد الرحمن بن أبى سعيد أبو عبيد المخزومى - ثقة ، مات سنة تصنع وأربعين ومائتين .

تهذيب التهذيب ٥٥/٤ ، تقريب التهذيب ٨ ص ٢٣

عن ابن عيينة الحديث ، واختلف القول : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما إذا كان يحرك لسانه ؟ فأحد القولين : أنه كان يحركه مخافة الإنفلات لكيلا ينساه وهو المعروف .<sup>(١)</sup>

والقول الثاني : أنه كان يحرك لسانه حباً للوحى ذكره الضحاك . وقوله ( إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ) أى جمعه فى صدرك وقرآنه تيسير قراءته عليك ، فالقرآن ها هنا بمعنى القراءة . وقال قتادة : ( إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ) فى صدرك وتأليفه على ما أنزلناه .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ذكره ابن جرير الطبرى ( ١٨٨ / ٢٩ ) ورواه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما . وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٦٠ / ٤ ) ، والقرطبى فى تفسيره ( ١٠٦ / ١٩ ) ، وقد جاء التصريح بذلك فى بعض الروايات لحديث موسى بن أبى عائشة . انظر صحيح البخارى ( ٦٨١ / ٨ ) .

( ٢ ) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٢ / ٢٩ ) وروى بسنده عن الشعبي أنه قال فى الآية : كان إذا نزل عليه الوحي عجل يتكلم به من حبه إياه " فنزل " لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ " . وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٦٠ / ٤ ) ، والقرطبى فى تفسيره ( ١٠٦ / ١٩ ) عن الشعبي . وقد ذكر الألوسى القولين ، وعزا الأول إلى ابن عباس والثانى إلى الشعبي وبين أنه لا تنافى بينهما . انظر روح المعانى ( ١٤٢ / ٢٩ ) .

( ٣ ) ذكره الطبرى فى تفسيره ( ١٨٨ / ٢٩ ) فقال : إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَ هَذَا الْقُرْآنِ فى صدرك يا محمد حتى نشبته فيه حتى تقرأه بعد أن جمعه فى صدرك . وذكر أن القرآن على هذا القول مصدر من " قرأت أقرأ قرآنا وقراءة " . انظر أيضا تفسير الماورى ( ٣٦١ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٢٢٤ / ٣٠ ) .

( ٤ ) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٨ / ٢٩ ) قال : " وكان آخرون يتأولون قوله ( وقرآنه ) وتأليفه ، وكان معنى الكلام عندهم : إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ فى قلبك حتى تحفظه وتأليفه " ثم روى بسندين عن قتادة أنه قال فى تفسير الآية : حفظه وتأليفه " . وقال أيضاً : وكان قتادة وجه معنى القرآن إلى مصدر من قول القائل : قد قرأت هذه الناقة فى بطنها جنيناً " ا هـ يعنى أنه بمعنى الجمع والتأليف . وقد ذكر هذا القول الماورى فى تفسيره ( ٣٦١ / ٤ ) وعزا إلى قتادة . وأورد الرازى فى تفسيره ( ٢٢٤ / ٣٠ ) دون عزو إلى أحد . ويمكن أن يقال : إنه يلزم على هذا الوجه التكرار لأن الجمع والقرآن واحد ، فيجاب عن ذلك بأنه يحتمل أن يكون المراد من الجمع جمعه فى نفسه ووجوده الخارجى . ومن القرآن جمعه فى ذهنه وحفظه ، وحينئذ يندفع التكرار ، ذكره الرازى فى المصدر السابق . وقد أورد الماورى فى تفسيره ( ٣٦١ / ٤ ) هنا قولاً ثالثاً : فقال " علينا أن نجمع لك حتى تشبته فى قلبك ، قاله الضحاك وهو يمكن إرجاعه إلى القول الأول فإن ابن جرير الطبرى رواه عنه ضمن القائلين به - انظر تفسيره ( ١٨٩ / ٢٩ ) وبهذا يتبين أن عزو المؤلف للقول الثانى ( وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان يحرك لسانه حباً للوحى ) إلى الضحاك نظراً ، إلا إذا كان له روايتان ، ولكن لم أجد من ذكر عنه هذا القول .



وقوله ( فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ) أى إذا أنزلناه فاستمع له<sup>(١)</sup> ويقال : إذا قرأه جبريل عليك فاتبع قرآنه أى فاتبع القرآن فى العمل به فى الحلال والحرام والأمر والنهى<sup>(٢)</sup> ، وقوله ( ثم إنَّ علينا بيانه ) أى علينا أن نجعله فى صدرك لتبينه للناس وتقرأه عليهم وهو مذكور بمعنى تيسير الحفظ عليه وتسهيله بمعرفة الله تعالى<sup>(٣)</sup> وقد كان يلقي من الحفظ شدة قبل ذلك ، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية كان إذا قرأ عليه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأ كما أنزل<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٩ / ٢٩ ) ورواه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

انظر أيضا تفسير الماوردى ( ٣٦١ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ١٠٦ / ١٩ ) .

( ٢ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٩٠ / ٢٩ ) وقال آخرون : بل معناه : فإذا بيننا فاعمل به . ثم رواه بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

انظر أيضا تفسير الماوردى ( ٣٦١ / ٤ ) وزاد المسيو ( ٤٢٢ / ٨ ) وذكر هنا قول ثالث وهو أن معناه : إذا تلى عليك فاتبع ما فيه من الشوايح والأحكام ، وهو مروى عن قتادة .

انظر المصادر السابقة . واختار ابن جرير من هذه الأقوال قول القاظيين بأن معناه : فإذا تلى عليك فاعمل به من الأمر والنهى ، واتبع ما أمرت به فيه وذكر سبب اختياره فقال : لأنه قيل له : " إنَّ علينا جمعه " فى صدرك " وقرآنه " ودللنا على أن معنى قوله " وقرآنه " وقراءته . فقد بين ذلك عن معنى قوله " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " .

( ٣ ) فى تفسير هذه الآية عدة أقوال :-

أحدها : إنَّ علينا بيان ما فيه من أحكام وحلال وحرام ، قاله قتادة .  
والثانى : علينا بيانه بلسانك إذا نزل به جبريل حتى تقرأه كما أقرأك . قاله ابن عباس .  
الثالث : علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد أو وعيد قاله الجيسمن .  
الرابع : علينا أن ننزله قرآنا عربيا ، فيه بيان للناس قاله الزجاج .  
انظر تفسير ابن جيسمر ( ١٩٠ - ١٩١ ) وتفسير الماوردى ( ٣٦١ / ٤ ) ، وزاد المسيو ( ٤٢٢ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ١٠٦ / ١٩ ) ويظهر لى أن القول الأول هو الراجح .

( ٤ ) ورد ذلك فيما أخرجه البخارى فى صحيحه ( ٦٨٢ / ٨ ، رقم ٤٩٢٩ ) ومسلم فى صحيحه كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقراءة ( ١٦٥ / ٤ ) عن قتبية بن سعيد حدثنا جبرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فى قوله " لا تحرك به لسانك لتعجل به " قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه وكان مما يحرك به لسانه وشفته فيشتد عليه . . . الحديث ، وفى آخره : قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعد الله .

و قوله تعالى ( كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ) هي خطاب للكفار لأنهم كانوا يعملون للدنيا ولا يعملون للآخرة فهذا هو معنى الآية (١) وقوله ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ) . قوله ( ناصرة ) بالضاد أى سرورة طلقة هشة بشة والناصره هى النعمة والبهجة فى اللغة (٢) . وقوله (إلى ربها ناظرة) هو النظر إلى الله تعالى بالأعين وهو ثابت للمؤمنين فى الجنة بوعده الله تعالى وبخبر الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) .

(١) قال ابن الجوزى فى زاد المسير (٤٢٢/٨) " والمراد : كفار مكة ، يحبونها ويعملون لها " ويذرون الآخرة " أى يتركون العمل لها إيثاراً للدنيا عليها " . انظرا أيضاً تفسير القرطبي (١٠٧/١٩) .

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب (٢١٢/٥) " النَّصْرَةُ : النَّعْمَةُ وَالْعَيْشُ وَالْفَيْسُ ، وَقِيلَ : الْحُسْنُ وَالرَّوْنُقُ " . وقال البغوى فى تفسيره (١٨٥/٧) فى بيان معنى ناصرة : " قال ابن عباس : حسنة ، وقال مجاهد : سرورة ، وقال ابن زيد : ناعمة - وذكر أقوالاً أخرى كلها تؤيد معنى واحد وهى أنها تكون فى أحسن الأحوال .

(٣) هذه الآية من أهم الأدلة القرآنية التى تدل على أن المؤمنين يرون ربهم عياناً فى الآخرة وقد وصفها شارح العقيدة الطحاوية (ص ٤٠) بأنها من أظهر الأدلة " وهناك أدلة أخرى كثيرة جداً فى هذا الباب من الكتاب والسنة الصحيحة ، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٤٢٦/١٣) : وأدلة السمع طافحة بوقوع ذلك فى الآخرة لأهل الإيمان دون غيرهم " فمن أدلة القرآن قوله تعالى " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (سورة يونس الآية ٢٦) فالحسنى الجنة ، والزيادة : هى النظر إلى وجهه الكريم ، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى ذكر هذا الحديث عند المؤلف قريباً . ومنها قوله تعالى : " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " سورة المطففين الآية ١٥ ، قد احتج الشافعى رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرواية لأهل الجنة . وأما أدلة السنة الصحيحة فهى كثيرة جداً حتى بلغت حد التواتر ، ذكر المؤلف البعض منها ، ومنها أيضاً ما أخرجه البخارى فى صحيحه (٤١٩/١٣) بسنده عن جرير قال : كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضمامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتقلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا " . وفى رواية أخرى عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم : إنكم سترون ربكم عياناً " وقد جمع الحافظ ابن القيم فى حادى الأرواح (ص ٢٠٥) - (٢٣١) أكثر الأحاديث الواردة فى الباب ووصف هذه الأحاديث بأنها متواترة " وكذلك وصفها شارح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٥) أيضاً بأنها متواترة - ولذلك قال بهيثوث الرواية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة فى الدين وأهل الحديث ، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة كما صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (٣٣٦/٢) ، والحافظ ابن القيم فى حادى الأرواح (ص ٢٤١) وشارح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٤) ونظّم الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٤٢٦/١٣) عن ابن بطلال - ولكن أنكر هذه النعمة العظمى التى أعدها الله لعباده الصالحين الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة - واستدلوا عليه فى زعمهم ببعض الأدلة من الكتاب .

منها : قوله تعالى : " لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ " سورة الأنعام الآية ١٠٣ . قالوا : إن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الروئية ، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر ، وأجيب عن استدلالهم هذا بأن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الروئية . فالمعنى : أنه سبحانه وتعالى يرى ، ولا يدرك ولا يحاط به ، فالآية دليل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لكامل عظمته لا يدرك بحيث يحاط به . ومما استدلووا به أيضاً قوله تعالى لموسى عليه السلام : " لَنْ تَرَانِي " سورة الاعراف الآية ١٤٢ ، ولن لتأبيد النفي ، وإذا لم يره موسى لم يره غيره إجماعاً ، وأجيب بأن " لَنْ " ليست لتأبيد النفي ، وإنما هي للنفي في المستقبل فقط ، ولا تدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت ، قال تعالى : " ولن يتموه أبداً " سورة البقرة الآية ٩٥ مع قوله تعالى : " ونادوا يا مالِك ليقض علينا ربك " سورة الزخرف الآية ٧٧ .

هذا وقد استدل بهذه الآية من أثبت رؤئية الله تعالى من عدة أوجه - منها أن موسى سأل الروئية ، ولو امتنع لما سأل ، لأنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه . ومنها : أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سوءه ولو كان محسلاً لأنكره ، ومنها : أنه علق الروئية على استقرار الجبل ، واستقرار الجبل أمر ممكن في نفسه وما علق على الممكن فهو ممكن ، وهكذا كل ما استدل به هؤلاء قد أجاب عنه السلف بأجوبة مفحمة - والدافع لهم لأنكار رؤئية الله هو أنهم اشتروا في الروئية شروطاً عظيمة كالبنية المخصوصة والمقابلة واتصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب ، وقد سمي القرطبي هذه الشروط كما نقل عنه ابن حجر في فتح الباري ( ٤٢٦ / ١٣ ) بأنها تخبط وتحكم ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وأهل السنة لا يشترطون شيئاً من ذلك سوى وجود المرئي " وكذلك دفعهم إلى إنكار الروئية أن من شرط المرئي أن يكون في جهة ، والله سبحانه وتعالى منزه عن الجهة - وعلى هذا فقد صرح المشبثون للروئية من الأشاعرة بأن الروئية تكون من غير مواجهة لأنهم ينفون عن الله الجهة - وأما السلف فيقولون كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر " فالمومنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل بواه فوجه وجهه ، كما يرى الشمس والقمر " صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ( ١٠٧ / ٥ ) ، وجملة القول : أن رؤئية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من هذه الأمة ، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن الذين ينعم عليهم بالنظر إلى وجهه الكريم .

راجع لمعرفة مذهب المعتزلة وأدلتهم : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ( ص ٢٣٢ - ٢٧٦ ) وانظر أيضاً فتح الباري ( ٤٢٥ - ٤٢٦ ) . وراجع لمعرفة قول الأشاعرة : المواقف لمحمد بن أحمد الأيجي ( ص ٢٠٩ - ٣١٠ ) وراجع لمعرفة مذهب السلف وأدلتهم والرد على المعتزلة والأشاعرة : الجامع الصحيح للبخاري ( ١٣ / ٤١٩ - ٤٢٤ ) وكتاب التوحيد لابن خزيمة ( ص ١٦٧ - ١٩٠ ) ومجموع الفتاوى ( ٤٣١ / ٦ - ٤٣٥ ) وحادي الأرواح - الباب الخامس والستون ( ص ١٩٦ - ٢٤١ ) ، وشرح العقيدة الطحاوية ( ص ٢٠٤ - ٢١٤ ) .

قال رضي الله عنه : أخبرنا أبو الحسن بن النعمان (١) ، أخبرنا أبو القاسم ابن حباب (٢) ،  
أخبرنا البغوي (٣) ، أخبرنا هديبة بن خالد (٤) ، عن حماد بن سلمة (٥) ، عن ثابت البناني (٦) ،  
عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (٨) ، عن صهيب (٩) ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخل

(١) هو أبو الحسين ( وفي بعض المصادر : أبو الحسن ) أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن  
عبد الله البغدادي البزاز ، المعروف بابن النعمان ، ذكره الخطيب البغدادي وقال :  
وكان صدوقاً . ونقل الذهبي عن ابن خيرون توثيقه . وقال فيه الذهبي : وكان صحيح  
السمع متحريراً في الرواية . ووصفه بقوله : الشيخ الجليل ، الصدوق مسند العراق .  
توفي سنة سبعين وأربع مائة ، عن تسعين سنة . تاريخ بغداد ٤ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، تذكرة  
الحفاظ ٣ / ١١٦٤ ، سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٧٢ .

(٢) هو الشيخ المسند العالم الثقة أبو القاسم ، عبد الله بن محمد بن اسحاق بن سليمان  
البغدادي السكتوثي ( نسبة إلى متوك بلدة بين قرقوب وكور الأهواز ) يعرف  
بابن حباب ( بالتخفيف ) . سمع عبد الله بن محمد أبا القاسم البغوي وغيره . وثقة  
الخطيب . توفي سنة تسع وثمانين وثلاث مائة . تاريخ بغداد ( ١٠ / ٣٧٧ ) سيرة  
أعلام النبلاء ( ١٦ / ٥٤٨ ) .

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور . الحافظ الإمام الحجة  
المعمر مسند العصر ، أبو القاسم البغوي الأصل البغدادي الدار والمولد ، سمع أحمد  
ابن حنبل وعلي بن المديني وخلق كثير . قال فيه الدارقطني : ثقة جبل ، إمام من  
الأئمة ثبت ، أقل المشايخ خطأ ، وكلامه في الحديث أحسن من كلام ابن صاعد . توفي  
سنة سبع عشرة وثلاث مائة . انظر ترجمته مفصلة في سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤٤٠ - ٤٥٦ .

(٤) في النسختين ( بنت ) وهو خطأ والصواب ما أثبتته .

(٥) هو هديبة ( بضم أوله وسكون الدال بعدها موحدة ) ابن خالد ابن الأسود القيسي  
الثوباني أبو خالد البصري الحافظ يقال له هذاب . ثقة عابد تفرد النسائي بتلقيه  
مات سنة بضع وثلاثين ومائتين .

تهذيب التهذيب ١١ / ٢٤ ، تقريب التهذيب ٣٦٣ .

(٦) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة مولى تميم ويقال مولى قريش وقيل غير  
ذلك . ثقة عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بآخره مات سنة سبع وستين ومائة .  
تهذيب التهذيب ٣ / ١١ ، تقريب التهذيب ٨٢ .

(٧) هو ثابت بن أسلم البناني ( بضم الموحدة ونون مخففين ) أبو محمد البصري ، ثقة  
عابد مات سنة بضع وعشرين وله ست وثمانون . تهذيب التهذيب ٢ / ٧ ، تقريب التهذيب

٥٥٥ .

(٨) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى واسمه يسار ويقال بلال ويقال داود بن بلال بن بديل  
الأنصاري الأوسي أبو عيسى المدني ثم الكوفي . ثقة - اختلف في سماعه من عمر ، مات بوقعة  
الجمام سنة ست وثمانين ، وقيل إنه غرق . تهذيب التهذيب ٦ / ٢٦٠ ، تقريب التهذيب ٢٠٩ .

(٩) هو صهيب بن سنان بن مالك أبو يحيى الرومي أصله من النمر وقيل له الرومي لأن الروم  
سيوه صغيراً ، ويقال : كان اسمه عبد الملك وصهيب لقب ، صاحب شهيد مات بالمدينة  
سنة ثمان وثلاثين في خلافة علي وقيل قبل ذلك . انظر ترجمته مفصلة في الاصابة

٢ / ١٩٥ ، انظر أيضاً تقريب التهذيب ١٥٤ .

أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحسب إليهم من النظر إلى الله تعالى (١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو علي الشافعى (٢) بمكة، أخبرنا أبو الحسن بسن (٣) فراس بإسناده عن إسرائيل (٤)، عن ثوير بن أبي فاخته (٥)، عن ابن عمر رضى الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألف سنة بوى أقصاه كما بوى أدناه وأن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى

(١) أخرجه الدارقطنى فى كتاب الرواية (١ / ٢٩٧) بسنده عن هدية بن خالد به - وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب الإيمان - باب اثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة لربهم سبحانه وتعالى (٣ / ١٦ - ١٧) عن عبيد الله بن عمر بن ميسرة قال حدثنى عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة به - بمثله .

وأخرجه أيضاً الترمذى فى سننه - كتاب التفسير - باب ومن سورة يونس (٥ / ٢٨٦) ، رقم ٣١٠٥ وابن ماجه فى سننه - المقدمة - باب فيما أنكرت الجهمية (١ / ٨١) ، والإمام أحمد فى مسنده (٦ / ١٦) كلهم من طرق عن حماد بن سلمة به - بنحوه . وعند الترمذى وابن ماجه زيادة قوله تعالى ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) فى أول الحديث .

وقال الترمذى : هكذا روى غير واحد عن حماد بن سلمة مرفوعاً وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قوله - ولم يذكر فيه عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم " . فكان الحديث رفعه معلول عند الترمذى - ولكن قال الدارقطنى عقب إخراجها فى المصدر السابق له : حديث صحيح أخرجه مسلم . . . . ولا شك أن الحديث صحيح مرفوعاً وحماد بن سلمة أثبت الناس وأعلمهم فى ثابت كما ذكرنا فى ترجمته . . . وقد نقل الدارقطنى عن يحيى بن معين يقول من خالف حماد بن سلمة فالقول قول حماد بن سلمة قليل له : سليمان بن المغيرة عن ثابت؟ قال سليمان ثبت وحماد بن سلمة أعلم الناس بثابت . . . . انظر كتاب الرؤى . . . ١ / ١٠ -

(٢) هو الحسن بن عبد الرحمن المكي أبو علي الشافعى الحنظلي . . . . . وقد مات ترجمته فى ص (٢٢٤)

(٣) فى النسختين (أبو الحسين) والصواب ما أثبتته - وقد مات ترجمته فى ص (٢٢٤) .

(٤) هو إسرائيل بن يونس بن أبى اسحاق السبعمى الهمدانى أبو يوسف الكوفى . ثقة تكلم فيه بلا حجة - مات سنة ستين ومائتين وقليل بعدها . تهذيب التهذيب (١ / ٢٦١) ، تقريب التهذيب ٣١ .

(٥) هو ثوير (مضراً) بن أبى فاخته (بمعجمة مكسورة ومثناة مفتوحة) سعيد بن علاقة الهاشمى أبو الجهم الكوفى ، مولى أم هانىء وقليل مولى زوجها جعدة . ضعيف روى بالرفض من الرابعة . تهذيب التهذيب (٢ / ٣٦) ، تقريب التهذيب ٥٢ .

كل يوم مرتين ، وفي رواية : / غدوة وعشياً - ثم قرأ قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة ) (١) ٣٠٦/ب  
والذي ذكرناه من النظر إلى الله هو قول عامة المفسرين (٢) ، هو مروى عن الحسن  
البصرى أيضاً أنه حمل الآية على هذا (٣) . وذكره سائر الرواة ، وحكى بعضهم عن  
مجاهد : إلى ثواب ربها ناظرة (٤) ، وليس يصح لأن العيوب لا تطلق هذا اللفظ

( ١ ) أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب صفة الجنة - باب ماجاء فى روية الربيتبارك وتعالى  
( ٤ / ٦٨٨ رقم ٢٥٥٣ ) وكتاب التفسير - باب سورة القيامة ( ٥ / ٤٣١ ) ، رقم ٣٣٣٠ )  
والإمام أحمد فى مسنده ( ٢ / ٦٤ ) وابن جرير الطبرى ( ٢٩ / ١٩٣ ) والبغوى فى  
تفسيره ( ٧ / ١٨٦ ) كلهم من طريق اسراييل عن ثوبان عن ابن عمر مرفوعاً بنحوه .  
وعند الجميع ( ألف سنة ) سوى الطبرى فعنده ( ألفى سنة ) كما أن عند هـمـيـر  
الطبرى ( غدوة وعشية ) بدل ( كل يوم مرتين ) وقد أشار المؤلف إلى الروايتين .  
وقد روى الحديث من طريق آخر عن عبد الملك بن أبجر عن ثوبان بن أبى فاخته  
عن ابن عمر مرفوعاً . بنحوه .

أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ( ٢ / ١٣ ) والطبرانى فى المعجم الكبير ( كما  
فى حادى الأرواح لابن القيم ١٠٥ ) والحاكم فى مستدركه ( ٢ / ٥٠٩ ) كلهم ممن  
طريق أبى معاوية عن عبد الملك به - والحديث بهذا الإسناد ضعيف لأن مداره  
على ثوبان وهو ضعيف كما تقدم . ولكن هناك أحاديث كثيرة صحيحة لا غبار عليها  
ثبتت روية الله تبارك وتعالى فى الآخرة ، كما تقدم فى ص ( ٢٢٢ - ٢٢٨ ) .

( ٢ ) بل هو قول عامة السلف من هذه الأمة - قال ابن كثير فى تفسيره ( ٤ / ٤٥٠ ) وهذا  
بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه  
بين أئمة الإسلام هداة الأنام \* .

( ٣ ) أخرج ابن جرير فى تفسيره ( ٢٩ / ١٩٢ ) والآجرى فى الشريعة ( ص ٢٥٦ ) كلاهما  
من طريق المبارك عن الحسن فى قوله ( وجوه يومئذ ناضرة ) قال : حسنة ( إلى  
ربها ناظرة ) قال : تنظر إلى الخالق ، وحق لها أن تنظر وهى تنظر إلى الخالق .  
هذا لفظ ابن جرير ، وأما الآجرى فقال : ( وجوه يومئذ ناضرة ) قال : الناضرة :  
الحسن ، ( إلى ربها ناظرة ) قال : نظرت إلى ربها عز وجل فنصرت لنوره \* .  
وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٢٩٠ ) باللفظين وعزاه أيضاً إلى  
الدارقطنى واللالكائى والبيهقى .

( ٤ ) روى الطبرى فى تفسيره ( ٢٩ / ١٩٢ ) من طرق عن مجاهد أنه قال : فى الآية :  
تنستظر الثواب من ربها .

وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٣٦١ ) وعزاه إلى ابن عمر ومجاهد وذكره  
القرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ١٠٨ ) وقال : وقال عكرمة : تنتظر أمر ربها ، حكاه  
الماوردى عن ابن عمر وعكرمة أيضاً ، وليس معروفاً إلا عن مجاهد وحده \* - فهو  
فى نظر القائلين بذلك على تقدير المضاف المحذوف ، وزعم البعض أن " إلى " مفردة  
الآلاء بمعنى النعم \* .

انظر تفسير القرطبى ١٩ / ١١٠ ، وتفسير ابن كثير ( ٤ / ٤٥٠ ) والبحر المحيـط  
( ٨ / ٣٨٩ ) وروح المعانى ٢٩ / ١٤٥ .

في مثل هذا الموضوع إلا والمراد منه النظر بالمعنى ، ولعل القول المحكى عن مجاهد لا يثبت لأنه لم يورده من يوشق بروايته (١) ، وحمل بعضهم قوله ( ناظرة ) أى منتظرة (٢) وهذا أيضا تأويل باطل لأن العرب لاتصل .

(١) فيه نظر - لأن ابن جرير روى من طرق عديدة عن مجاهد أنه ذهب في تفسير الآية إلى أنها تنتظر الثواب من ربها ، كما تقدم ذكره ، وأغلب هذه الطرق صحيحة . لأن رجالها كلهم ثقات - وإن كان هذا الذى ذهب إليه مجاهد ضعيف جداً ، خارج عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار ونقل ابن حجر في فتح البارى (١٣/٤٥) عن ابن عبد البر أنه بالغ في رد هذا القول عن مجاهد وقال : هو شذوذ .

وأما القول بأن " إلى " واحد الآلاء فهو أيضاً باطل لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء . انظر تفسير القرطبي ١٩/٨٠ : ١١٠ ، وقال ابن كثير فى تفسيره (٤/٤٥٠) . " ومن تأول ذلك المراد بالياء مفرد الآلاء وهى النعم كما قال الثورى عن منصور عن مجاهد ( إلى ربها ناظرة ) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا الناظر النجعة ، وأبطل فيما ذهب إليه - وأين هو من قوله تعالى ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " سورة المطففين الآية ١٥ . قال الشافعى رحمه الله تعالى : ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل . ثم قد تواردت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى ( إلى ربها ناظرة ) - هذا على قول القائلين بأن إلى مفردة الآلاء - أما على قول القائلين بتقدير المضاف المحذوف فقال أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٣/٥٥٩) وأما من قال : إن المعنى إلى ثواب ربها " فخطأ أيضا على قول النحويين الروساء لأنه لا يجوز عندهم ولا عند أحد طمسه : نظرت زيدا أى نظرت ثوابه - .

(٢) ذكره الماوردى فى تفسيره (٤/٣٦١) عن عكرمة قال : تنتظر أمر ربها قاله عكرمة - .

وهكذا ذكر المؤلف فى الآية ثلاثة أقوال متبعا فى ذلك ما ذكره الماوردى فإنه قال : " ( إلى ربها ناظرة ) فيه ثلاثة أقاويل : أحدها : تنظر إلى ربها فى القيامة . قاله الحسن وعطية العوفى - الثانى : إلى ثواب ربها - قاله ابن عمر ومجاهد - الثالث : تنتظر أمر ربها ، قاله عكرمة - وكذلك ضرح أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٣/٥٥٩) بأن فى ( ناظرة ) ثلاثة أقوال . أولها : أن المعنى منتظرة . والثانى : أن المعنى إلى ثواب ربها . والثالث : أنها تنتظر إلى الله عز وجل . وذكر أن القول الأول والثانى خطأ وأن الصواب هو القول الثالث . وقد روى عن عكرمة بسند صحيح إثبات روية الله تعالى ، وأنه قال فى تفسير هذه الآية : تنظر إلى ربها نظراً " ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١٣/٤٢٥) وأشار إلى أنه روى عنه من وجه آخر إنكار الروية ، ويمكن الجمع بالحمل على غير أهل الجنة " .

قوله ( ناظرة ) بكلمة إلى إلا بمعنى النظر بالمعين (١) قال الشاعر (٢) :

نظرت اليها بالمحصب (٣) من فتى ولي نظر لولا التحرج عـ (٤)

هي فأما إذا أرادت الانتظار فانهم لا يصلونها بالى .

قال الشاعر (٥) :

فإنكم إن تنظروني ساعةً من الدهر تنفقني لدى أم جندب (٦)

(١) قال أبو منصور الأزهري في تهذيب اللغة (٣٧١/١٤) " ومن قال : إن معنى قوله ( إلى ربهنا ناظرة ) بمعنى منتظرة فقد أخطأ ، لأن العرب لا تقول : نظرت إلى الشئ ، بمعنى إنتظرت ، إنما تقول : نظرت فلاناً أى إنتظرتة ، ومنه قول الخطيئة :

وقد نظرتكم أبناء صـادـرةٍ للورد طال بها حوزى وتنسـاسـسى وإذا قلت : نظرت إليه لم يكن إلا بالمعين ، وإذا قلت : نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكراً فيه وتدبراً بالقلب " ١ هـ .

انظر أيضاً لسان العرب ٥/٢١٦ - ٢١٧ .

ونقل هذا الكلام الخازن في تفسيره (١٨٥/٧) وقال : " ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله " انظرونا نصيب من نوركم " سورة الحديد الآية ٣ ، وقوله " هل ينظرون إلا تأويله " سورة الأعراف الآية ٥٣ ، " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله " سورة البقرة الآية ٢١٠ ،

والوجه : إذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الروية . وأما قوله : " أنظر إلى الله ثم إليك " على معنى أتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب إنما يجوز هذا إذا لم يسند إلى الوجه ، فإذا اسند النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار وإذا بطل المعنيين لم يبق لبقاء الروية كلام وإن شق ذلك عليهم " انظر أيضاً تفسير الثعلبي (١٧٨٣) .

(٢) هو عمر بن أبى ربيعة المخزومي ، من رواد شعر الغزل في عصر بنى أمية .

(٣) هو موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب .

انظر معجم البلدان (٦٢/٥) .

(٤) البيت في ديوانه (ص ٣٤٨) وأنشده أيضاً ياقوت الحموي في معجم البلدان (٦٢/٥) .

(٥) هو امرؤ القيس .

(٦) انظر البيت في ديوانه (ص ٦٤) وأم جندب من بنى طى ، تزوجها امرؤ القيس ،

ولكنها فضلت عليه مرة علقمة في الشعر ، فطلقها وتزوجها علقمة وبه سمي علقمة الغمل والبيت دليل على أن النظر يكون بمعنى الانتظار إذا لم يكن متعدياً إلى المفعول

بالى .



أى تنتظرانى - ولى المعنى لا يصح أيضا هذا التأويل لأن الطلاقية والهشاشة والسرور إنما يكون بالوصول إلى المطلوب ، فأما مع الانتظار فلا - فإن فى الانتظار منغصاً ومشقة (١) ،

وقوله ( ووجه يومئذ باسرة ) أى كالحة عابسة - (٢)

وقوله ( تظن أن يفعل بها فاقرة ) أى تتيقن أن الذى تفعل فاقرة ، والفاقرة : هو الأمر الشديد الذى ينكسر معه فقار الظهر ، وقيل : فاقرة داهية أو أمر عظيم . (٣)

(١) قال القرطبي فى تفسيره (١١٠/١٩) : " والمنتظر للشئ \* مُتَنَغِّصٌ العيش ، فلا يوصف أهل الجنة بذلك " .

وذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٤٢٥/١٣) عن البيهقى أنه قال : النظر فى كلام العرب أربعة أشياء ، نظر التفكير والإعتبار كقوله تعالى ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ) سورة الفاشية الآية ١٧ ونظر الانتظار كقولته تعالى : ( مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ) سورة يس الآية ٤٩ ، ونظر التعطف والرحمة كقوله تعالى : ( وَلَا يَكْفُرُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) آل عمران الآية ٧٧ ، ونظر الروئية كقوله تعالى : ( يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ) سورة محمد الآية ٢٠ .

والثلاثة الأول غير مرادة ، أما الأول فلأن الآخرة ليست بدار استدلال ، وأما الثانى فلأن فى الانتظار تنغيصاً وتكديراً ، والآية خرجت مخرج الإمتنان والبشارة ، وأهل الجنة لا ينتظرون شيئاً لأنه مهما خطر لهم أتوا به ، وأما الثالث فلا يجوز لأن المخلوق لا يتعطف على خالقه ، فلم يبق إلا نظر الروئية ، وانضم إلى ذلك أن النظر إذا ذكر مع الوجه انصرف إلى نظر العينين اللتين فى الوجه ، لأنه هو الذى يتعدى إلى كقوله تعالى : ( يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوِيرًا مِنْهُمْ ) سورة الأحراب الآية ١٩ .

انظر أيضا الأسماء والصفات ٦٠٧ ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٥) .

(٢) قال الجوهرى فى الصحاح (٥٨٩/٢) " وَسَرَّ الرَّجُلُ وَجْهَهُ بَسُورًا : أى كَسَحَ ، يقال : عَبَسَ وَسَرَّ " . وقال ابن قتيبة : " وجوه يومئذ باسرة " أى عابسة مقطبة . تفسير غريب القرآن (٥٠٠) وقال القرطبي فى تفسيره (١١٠/١٩) " أى وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة " .

(٣) قال البيهقى فى تفسيره (١٨٧/٢) " ( تظن أن يفعل بها فاقرة ) تستيقن أن يعمل بها عزيمة من العذاب ، والفاقرة : الداهية العظيمة والأمر الشديد يكسر فقار الظهر وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العَجَب ، لسان العرب (٦١/٥) ، وذكر الماورى فى تفسيره (٣٦٢/٤) فى هذه الآية أربعة أوجه أحدها : أن الفاقرة الداهية ، قاله مجاهد - . الثانى : الشر - قاله قتادة الثالث : الهلاك قاله السدى . الرابع : دخول النار . قاله ابن زيد . وذكر القرطبي فى تفسيره (١١٠/١٩) هذه الأوجه ، ثم قال : والمعنى متقارب ، وأصلها الوسم على أنف البعير بحد يده أو نار حتى يخلص إلى المعظم قاله الأصمعى " .

وقوله تعالي ( كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ) المعنى : أنه ليس الأمر كما يظنون ويتوهمون ، ويستعملون ذلك إذا بلغت النفس التراقي ، والتراقي جمع ترقوة : وهو مقدم الحلق المتصل بالصدر وهو الحشرجة<sup>(٢)</sup> ، ذكره أبو عيسى<sup>(٣)</sup> .

وقوله ( وقيل من راق ) أى هل من طبيب يشفى ويداوى قاله قتادة<sup>(٤)</sup> ، وقيل : معناه : أن الملائكة يقولون من يوقى بروحه أى يصعد ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ذكر نحوه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١٩٤ / ٢٩ ) وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢٣ / ٨ ) عن الزجاج أنه قال " ( كلا ) ردع وتنبيه - المعنى : ارتدعوا عما يؤدى إلى العذاب ثم قال : وقال غيره : معنى ( كلا ) لا يؤمن الكافر بهذا " وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٦٢٣ / ٤ ) ( كلا ) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل : ارتدعوا عن ذلك وتنهبوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده منقطع العاجلة عنكم . . . . إلى آخر ما قال . وقيل : إن معناه " حقا " أى حقا أن المساق إلى الله " . انظر تفسير القرطبي ( ١١١ / ١٩ ) .

( ٢ ) قال الجوهري فى الصحاح ( ٣٠٦ / ١ ) " الحشرجة : الفزعرة عند الموت ، وتسرود النفس " . انظر أيضا لسان العرب ( ٢٣٧ / ٢ ) .

( ٣ ) لم أتمكن من معرفته ، وأما معنى التراقي فقال الراغب الأصفهاني فى المفردات ( ص ٢٠٢ ) " والترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر حيث ما يترقى فيه النفس " ( كلا إذا بلغت التراقي ) وقال القرطبي فى تفسيره ( ١١١ / ١٩ ) " والتراقي جمع ترقوة ، وهى المظام المكتنفة لنقرة النحر ، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر ، موضع الحشرجة " . وقال أيضا : وقد يكنى عن الإشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقي والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت " . انظر أيضا زاد المسير ( ٤٢٤ / ٨ ) .

( ٤ ) رواه عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١٦٤ / ١ ) وابن جرير فى تفسيره ( ١٩٥ / ٢٩ ) بسندهما عن قتادة ولفظه عند ابن جرير : أى التصوا له الأطباء فلم يفتوا عنه من قضاء الله شيئا ، وقال فى رواية عبد الرزاق : من راق : من طبيب وهو أيضا قول أبى قلابة والضحاك وابن زيد . انظر تفسير ابن جرير ( ١٩٤ / ٢٩ - ١٩٥ ) وتفسير الماورى ( ٣٦٢ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ١٨٧ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ١١١ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٥١ / ٤ ) .

( ٥ ) هو مروى عن ابن عباس وأبى الجوزاء وغيرهما . انظر تفسير ابن جرير ( ١٩٥ / ٢٩ ) ، وتفسير البغوى ( ١٨٧ / ٧ ) ، وتفسير الماورى ( ٣٦٢ / ٤ ) ، وتفسير القرطبي ( ١١٧ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٥١ / ٤ ) ، والدرا المنثور ( ٢٩٥ / ٦ ) وكلمة ( راق ) على هذا القول من رقى يوقى : إذا صعد ، والمعنى : من يوقى بروحه إلى السماء ؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فهو إما من قول الملائكة بعضهم لبعض . وأما على القول الأول فهى من رقى يوقى أى يشفى وهو من قول أهله - هذا وقد ذكر الماورى فى تفسيره ( ٣٦٢ / ٤ ) قولاً ثالثاً وهو أن ( راق ) من الرقية : أى قال أهله : من راق يوقيه بالرقى وأسماء الله الحسنى " . وجعل الآخرون هذا القول والقول الأول قولاً واحداً . فقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢٤ / ٨ ) بعد أن ذكر أنه قول الملائكة بعضهم لبعض : والثانى : أنه قول أهله : هل من راق يوقيه بالرقى ؟ وهو مروى عن ابن عباس أيضا وبه قال عكرمة والضحاك وأبو قلابة وقاتة وابن زيد " وذكر آخرين . انظر أيضاً المصادر المذكورة .

وقوله ( وطن أنه الفراق ) قرأ ابن عباس : وأيقن أنه الفراق ، وهو صحيح عنه ،  
وهو المعنى ( ١ ) .

وقوله ( والتفت الساق بالساق ) أى اتصل شدة الدنيا بشدة الآخرة ، وقيل :  
يجتمع عليه كرب الموت وهول المطلع . ( ٣ )

قال الضحاك : هو فى أمر عظيم ، الناس يجهزون بدنه والملائكة يجهزون روحه . ( ٤ )  
وعن الحسن ( والتفت الساق بالساق ) أى فى الكنف وهو الساق المعروف ، وطى ( ٥ )

( ١ ) ذكره ابن جنى فى المحتسب ( ص ٣٤٢ ) وقال السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٩٥ / ٦ )  
" أخرج سميد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضى  
الله عنهما أنه كان يقرأ " وأيقن أنه الفراق " وأنا لم أجده فى تفسير ابن جرير  
عند هذه الآية .

أما المعنى فأكثر المفسرين فسروا الآية بما ذكره المؤلف أى أن الظن بمعنى  
اليقين ، انظر تفسير ابن جرير ( ١٩٥ / ٢٩ ) وتفسير البغوى ( ١٨٧ / ٧ ) ، وزاد  
المسيب ( ٤٢٤ / ٨ ) .

( ٢ ) هو مروى عن ابن عباس . ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٩٥ / ٢٩ ) ورواه عن ابن عباس  
وغیره . انظر أيضا تفسير البغوى ١٨٧ / ٧ ، وزاد المسيب ( ٤٢٤ / ٨ ) وتفسير القرطبي  
( ١١٢ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٥١ / ٤ ) .

( ٣ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٦٢ / ٤ ) فقال بعد أن ذكر القول الأول : الثانى : الشدة  
بالشدة والبلاء بالبلاء . وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع ، قاله عكرمة ومجاهد  
وذكره القرطبي فى تفسيره ( ١١٢ / ١٩ ) كأنه تفسير لقول ابن عباس السابق وقال : والدليل  
على هذا قوله تعالى " إلى ربك يومئذ المساق " .

( ٤ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٩٦ / ٢٩ ) من طرق عن الضحاك وأورده السيوطى فى  
الدر المنثور ( ٢٩٦ / ٦ ) وعزاه إلى عبد بن حميد أيضا . وذكره البغوى فى تفسيره  
( ١٨٧ / ٧ ) ، وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٦٣ / ٤ ) وعزاه إلى ابن زيد والقرطبي  
فى تفسيره ( ١١٢ / ١٩ ) وعزاه إلى الضحاك وابن زيد . انظر أيضا تفسير ابن كثير  
( ٤٥١ / ٤ ) .

( ٥ ) أخرج ابن جرير فى تفسيره ( ١٩٧ / ٢٩ ) من طرق عن الحسن أنه قال : لهما فى الكفن .  
وفى لفظ آخر : هما ساقك إذا لقتا فى الكفن " . وأورده السيوطى فى الدر المنثور  
( ٢٩٦ / ٦ ) بهذا اللفظ ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

انظر أيضا تفسير البغوى ( ١٨٧ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ١١٢ / ١٩ ) وطى هذا  
القول فهو فى معناه المعروف أى العضو المعروف . هذا ورويت أقوال أخرى فى تفسير  
الآية . منها : التفاضل بين الموت ، وهو مروى عن الشعبي ، ومنها : يبسهما  
عند الموت ، روى ذلك عن الحسن والسدى . ومنها : بلاء ببلاء ، وهو مروى عن مجاهد  
انظر تفسير ابن جرير ( ١٩٧ / ٢٩ - ١٩٨ ) ، وتفسير القرطبي ( ١١٢ / ١٩ ) وتفسير  
ابن كثير ( ٤٥١ / ٤ ) ، والدر المنثور ( ٢٩٦ / ٦ ) .

القول الأول الساق بمعنى الشدة<sup>(١)</sup> وقد ذكرنا من قبل<sup>(٢)</sup> ، وقوله ( إلى ربك يومئذ المساق ) أى السوق فإنه يساق إما إلى الجنة وإما إلى النار . بأمر الله تعالى<sup>(٣)</sup> . وقوله تعالى ( فلا صدق ولا صلى ) معناه : فلا صدق الكافر ولا صلى - معناه : لم يصدق الكافر ولم يصل<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قال الرازى فى تفسيره ( ٢٣١-٢٣٢ / ٣٠ ) فى تفسير الآية " الإلتفاف هو الإجماع ، كقوله تعالى ( جئنا بكم لغيفا ) ، وفى الساق قولان ( القول الأول ) أنه الأمر الشديد ، قال أهل المعانى : لأن الإنسان إذا دهته شدة شعر لها عن ساقه ، فقبل للأمر الشديد : ساق ، وتقول العرب : قامت الحرب على ساق أى : اشتدت ، ثم كرهت أنواع من الشدائد التى يواجهها الرجل عند ما يموت ، ثم قال : وبالجملة فالشدائد هناك كثيرة ، كسدة الذهاب إلى الآخرة والقدوم على الله . . . وقال : والقول الثانى : أن المراد من الساق هذا العضو المخصوص ثم ذكروا على هذا القول وجوها ، وأورد منها ثلاثة .

وأما الراجح من هذه الأقوال فقال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٩ / ١٩٨ ) " وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة عندى قول من قال : معنى ذلك : والتفت الساق الدنيا بساق الآخرة ، وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المظلم - والذى يدل على أن ذلك تأويله قوله إلى ربك يومئذ المساق " والعرب تقول لكل أمر اشتد : قد شعر عن ساقه ، وكشف عن ساقه " . وهذا هو الذى اختاره الفراء فى معانى القرآن ( ٢١٢ / ٣ ) ، وأبو جعفر النحاس كما ذكر عنه القرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ١١٢ ) ووصفه بأنه أحسن الأقوال ، وكذلك ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن ( ص ٥٠ ) وإليه أميل أنا أيضا .

( ٢ ) ذلك عند قوله تعالى ( يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ) سورة القلم الآية ٤٢ - انظر ( ٢ / ٢٨٨ ق ١ / ٢ )

( ٣ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٤ / ١٨٧ ) " أى مرجع العباد إلى الله يساقون إليه " وقال القرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ١١٣ ) ( المساق ) أى المرجع ، وفى بعض التفاسير قال : يسوقه ملكه الذى كان يحفظ عليه السيئات ، والمساق : المصدر من ساق يسوق .

( ٤ ) انظر معانى القرآن للأخفش ( ص ٥١٨ ) وتأويل مشكل ، القرآن ( ص ٥٤٨ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٥٠ ) فإنهما فسرا " لا " بلم ، ونقل ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨ / ٤٢٥ ) عن أبى عبيدة أنه صرح بأن " لا " هاهنا فى موضع " لم " انظر أيضا تفسير القرطبى ( ١٩ / ١١٣ ) أما تفسير الآية فقال الماوردى : وفيه وجهان . أحدهما : فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله - قاله قتادة . والثانى : فلا صدق بالرسالة ولا آمن بالمرسل وهو معنى قول الكلبي .

ويحتمل ثالثاً : فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه " ذكر هذه الأقوال القرطبى أيضا فى تفسيره ( ١٩ / ١١٣ ) ، وزاد قولاً آخر فقال : وقيل : ولا صدق بمال له ، ذخراً له عند الله ولا صلى الصلوات التى أمره الله بها ، ويبدو أن الصواب من هذه الأقوال هو قول قتادة . فإن ابن جرير لم يذكر إلا هذا القول .

قال المفسرون : نزلت الآية في أبي جهل بن هشام<sup>(١)</sup> . وقوله ( ولكن كذب وتولى )<sup>(٣)</sup>  
 أى كذب بآيات الله وأعرض عن الحق<sup>(٢)</sup> . وقوله ( ثم ذهب إلى أهله يتمطى ) أى يتبختر<sup>(٤)</sup>  
 ومشيته المطيطاء<sup>(٥)</sup> هو مشية التبختر ، وقيل : هو أن يولى مططاه<sup>(٦)</sup>

( ١ ) هو فرعون هذه الأمة عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . كان  
 يكنى في الجاهلية أبا الحكم فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل وكان من  
 أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم بدر كافراً ، قتله عمرو  
 ابن الجموح وابن عفراء الأنصاريان وكانا حدِيثين .  
 انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ( ١ / ٣٣٨-٣٣٩ ) ، انظر أيضا سيرة ابن اسحاق  
 ( ص ١٩٢ ) ( ٢ / ٢٠٦ ) .

وأكثر المفسرين صرحوا بأن الآية نزلت في أبي جهل . انظر تفسير الماوردي  
 ( ٤ / ٣٦٣ ) وتفسير البغوي ( ٧ / ١٨٧ ) وزاد المسير ( ٨ / ٤٢٥ ) وتفسير الخازن  
 ( ٧ / ١٨٧ ) وقيل : يرجع هذا إلى الإنسان في أول السورة ، في قوله تعالى :  
 ( أي حسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ) وهو اختيار الزمخشري والرازي .  
 انظر الكشاف ( ٤ / ٦٦٤ ) وتفسير الرازي ( ٣٠ / ٢٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٤١٣ ) .

( ٢ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ٢٩ / ١٩٩ ) في تفسير الآية " كذب بكتاب الله وتولى فأدبر  
 عن طاعة الله " ثم روى هذا المعنى بسنده عن قتادة . أما الماوردي فقد ذكر في  
 تفسيره ( ٤ / ٣٦٣ ) في تفسير هذه الآية وجهين - أحدهما : كذب الرسول وتولى  
 عن المرسل . الثاني : كذب بالقرآن وتولى عن الطاعة .

( ٣ ) بهذا فسر الفراء في معاني القرآن ( ٣ / ٢١٢ ) وابن قتبية في تفسير غريب القرآن  
 ( ص ٥٠١ ) راجع أيضا لسان العرب ( ١٥ / ٢٨٤-٢٨٥ ) وذكره الطبري في تفسيره  
 ( ٢٩ / ١٩٩ ) ورواه عن قتادة وزيد بن أسلم . كما ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٦٣ )  
 وعزاه إلى زيد بن أسلم فقط .

( ٤ ) في النسختين : ( المططياء ) وهو خطأ والصواب ما أثبتته .  
 وأشار بذلك المؤلف إلى الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الفتن  
 ( ٤ / ٥٢٦ ، رقم الحديث ٢٢٦١ ) بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مشت أمتي بالمططياء وخدتها أبناء الطوك  
 أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها .

( ٥ ) قال ابن الأثير في النهاية ( ٤ / ٣٤٠ ) " إذا مشت أمتي المططياء " هي بالمد  
 والقصر : مشية فيها تبخترومد اليدين ، ويقال : مطوت ومططت : بمعنى مددت  
 وهي من المصفرات التي لم يستعمل لها مكر " اهـ .

( ٦ ) كذا في النسختين ( يولى ) ولعل الصواب ( يلى ) كما جاء في المصادر  
 الأخرى .

والمَطَّ الظَّهْرُ ، وفي بعض التفاسير : أنه مشينة بنى مخزوم - وقيل : التَّمطى هو التمدد من كسل أو مرض ، فأما من المرض فهو غير مذموم ، وأما من الكسل إذا كان تثاقلاً عن الحق فهو مذموم .<sup>(٣)</sup>

وقوله (أولى لك فأولى) اختلف القول في هذه اللفظة<sup>(٤)</sup> ، فأحد / الأقوال : ٣٠٧/أ أن معناها الويل لك ثم الويل لك<sup>(٥)</sup> ، والثانى : معناها : وليك المكسروه

- (١) ذكره الفراء في معانى القرآن (٢١٢/٣) وابن جرير في تفسيره (٢٠٠/٢٩) ،  
 والماوردي في تفسيره (٣٦٣/٤) ، والقُرطبي في تفسيره (١١٤/١٩) ، قال :  
 قيل : يَتَمَطَّى من المَطَّ ، وهو الظَّهْر ، والمعنى يَلْوَى مَطَّاه .  
 انظر أيضا الكشاف (٦٦٤/٤) وتفسير الرازي (٢٣٣/٣٠) .
- (٢) قبيلة من قريش ، وهو مخزوم بن يَقْظَةَ بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب .  
 انظر الأنساب (١٣٦/١٢) وانظر أيضا معجم قبائل العرب (١٠٥٨/٣) .
- وأما هذا القول فذكره ابن جرير في تفسيره (١٩٩/٢٩) والماوردي في تفسيره  
 (٣٦٢/٤) ضمن قول زيد بن أسلم .

(٣) ذكر البغوى في تفسيره (١٨٧/٧) والزمخشري في الكشاف (٦٦٤/٤) والرازي  
 في تفسيره (٢٣٣/٣٠) أن أصله " يتمطط " أى يتمدد .  
 وقال القرطبي في تفسيره (١١٤/١٩) بعد أن ذكر القول بأن أصله من المَطَّ  
 وهو الظَّهْر : وقيل : أصله يتمطط ، وهو التمدد من التَّكْسَل والتثاقل ، فهو  
 يتثاقل عن الداعى إلى الحق . فأبدل من الطاء " ياء " كراهة التضعيف ، والتَّمطى  
 يدل على قلة الإكتراث ، وهو التمدد ، كأنه يمد ظهره ويلويه من التبخر .

(٤) اتفق المفسرون وأهل العلم بالقرآن بأن ذلك تهديد ووعيد . انظر تأويل مشكل  
 القرآن (ص ٥٤٩) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٠١) وتفسير ابن جرير (٢٠٠/٢٩) ،  
 وتفسير البغوى (١٨٨/٧) ولكنهم اختلفوا فى أصل الكلمة ومعناها .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٣/٤) بلفظ " ويل لك " والقرطبي في تفسيره  
 (١١٥/١٩) بلفظ " الويل لك " وقال : وعلى هذا التأويل قيل : هو من المطلوب ،  
 لأنه قيل : أويل ، ثم آخر الحرف المعتل - والمعنى : الويل لك حياً ، والويل لك  
 ميتاً ، والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار - ثم قال : وضعف هذا القول  
 وقال الزمخشري في الكشاف (٦٦٤/٤) وتبعه الرازي في تفسيره (٢٣٣/٣٠) " أولى  
 لك " بمعنى ويل لك - هو دعاء عليه بأن يلبه ما يكره .

وقارب منك - وهذا قول قتاده وجماعته . (١)

والقول الثالث الذم أولى لك ثم طرح (٢) لفظ الذم للإستغناء عنها ولأنه معلوم (٣)  
ذكره علي بن عيسى (٤) وفي التفسير : أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل وهو  
يخرج من باب بنى مخزوم يتبختر فأخذه بيده وهزه مرة أو مرتين ثم قال لــــه

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٣/٤) .

ونقل ابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٥/٨) عن الزجاج أنه قال : العرب تقول :  
أولى لفلان : إذا دعتطيه بالمكروه . ومعناه : وليك المكروه يا أبا جهل .

وذكر القرطبي في تفسيره (١١٥/١٩) عن الأصمعي بواسطة ثعلب - أن  
"أولى" في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك كأنه يقول : قد وليت الهلاك ،  
قد دأيت الهلاك ، وأصله من الولي ، وهو القرب .  
قال الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار )  
سورة التوبة - ١٢٣ ، أي يقربون منكم .

ثم قال القرطبي : وكان أبو العباس ثعلب يستحسن قول الأصمعي ويقول :  
ليس أحد يفسر كتفسير الأصمعي " انظر أيضا تفسير البغوي (١٨٨٧) ولسان العرب  
(٤١١/١٥ - ٤١٢) .

وأما نسبة هذا القول إلى قتادة فلم أجد أحداً من أصحاب المصادر التي  
توصلت إليها ذكره عنه - سوى أن الماوردي قال بعد أن ذكر هذا القول : قال  
قتادة : هذا وعيد علي وعيد وهذا رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠٠/٢٩)  
بسنده عن قتادة .

(٢) في النسختين " طرحت " والصواب ما أثبتته - لأنه تقتضيه اللغة العربية .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١١٥/١٩) ولكنه قال : " قيل : معناه : الذم لك  
أولى من تركه - إلا أنه كثير في الكلام فحذف " .

(٤) هو الإمام المحدث الصارقي الوزير العادل أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن  
الجراح البغدادي الكاتب . وزر غير مرة للمقتدر وللقاهر - وكان عديم النظر في  
فنه ، ولد سنة نيف وأربعين ومائتين .  
قال فيه الخطيب البغدادي : وكان صدوقاً ديناً فاضلاً عفيفاً في ولايته ، محموداً  
في وزارته ، كان كثير البر والمعروف وقراءة القرآن ، والصلاة والصيام يحب أهل العلم  
ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم - وقال أيضاً : ولم يزل علي بن عيسى من حديثه معروفاً  
بالستر والصيانة - والصلاح والديانة - . وذكر الذهبي عن الصولي قوله : لا أعلم  
أنه وزر لبني العباس مثله في عفته وزهده وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه " . له كتب  
معاني القرآن وتفسيره ومشكله " أعانه علي علمه ابن مجاهد المقرئ " وآخره توفى  
سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . انظر : تاريخ بغداد ١٢ / ١٤ - ١٦ ، سير أعلام  
النبلاء ١٥ / ٢٩٨ - ٣٠١ ، طبقات المفسرين ١ / ٤٢٣ .

( أولى لك فأولى ) فآخبر الله تعالى في القرآن قول الرسول على ما قال<sup>(١)</sup> ، وهذا قول حسن لأن أولى في لغة العرب ، بمعنى ( كاد وهم )<sup>(٢)</sup> ولغظة ( كاد ) بالخلق أليق فهو حكاية من الله تعالى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> وأنشدوا في كلمة أولى قول الخنساء :

هَمَمْتُ بِنَفْسِي بِمَعْنَى الْهَمُومِ  
سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَى الْكَلْبَةِ  
فَأَوْلَى لِنَفْسِي أَوْلَى لَهَا  
فَأَمَّا عَلَيْهَا وَأَمَّا لَهَا  
( ٤ )  
آلة أي حالة .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) ذكره بنحوه القرطبي في تفسيره ( ١١٤ / ١٩ ) وزاد في آخره " فقال له أبوجهل : أتهددني ؟ فوالله اني لأعز أهل الوادي وأكرمه ، ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لأبي جهل " وروى ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٢٠٠ / ٢٩ ) بسنده عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمجامع ثيابه ( أبي جهل ) فقال : ( أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى ) فقال عدو الله أبوجهل : أيوعدني محمد ، والله ما تستطيع لي ، أنت ولا ربك شيئاً ، والله لأننا أعز من مشى بين جبليةا .

وذكرت هذه القصة بشي من الاختلاف في الألفاظ ولكن كلها تدل على أن ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي جهل . انظر تفسير الشعيبى ( ١٣ / ١٠ ب ) وتفسير الماوردي ( ٣٦٣ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ١٨٩ / ٧ ) ، وتفسير ابن كثير ( ٤٥١ / ٤ - ٤٥٢ ) والدر المنثور ( ٢٩٦ / ٦ ) .

( ٢ ) لم أجد من صرح بأن أولى بمعنى ( كاد وهم ) سوى ما نقله القرطبي في تفسيره ( ١١٦ / ١٩ ) عن أبي جعفر النحاس أنه قال : " العرب تقول : أولى لك : كدت تهلك ثم أفلتت ، وكان تقديره : أولى لك وأولى بك الهلكة " . وما ذكره ابن منظور في لسان العرب ( ٤١٢ / ١٥ ) عن أبي العباس من قوله : يقول الرجل إذا حاول شيئاً فأفليت من بعد ما كاد يصيبه - أولى له . فإذا أفلت من عظيم قال : أولى لي " .

وقال الراغب لأصفهاني في المفردات ( ص ٣٢ ) " وقوله تعالى ( أولى لك فأولى ) كلمة تهديد وتخويف يخاطب به من أشرف على هلاك فيسحبت به على التحرز ، أو يخاطب به من نجحاً ذليلاً منه فينهى عن مثله ثانياً - وأكثر ما يستعمل مكرراً ، وكأنه حث على تأمل ما يتوَلَّى إليه أمره ليتنبه للتحرز منه " .

( ٣ ) نقل الرازي في تفسيره ( ٢٣٣ / ٣٠ ) عن القفال أنه ذكر في هذه الآية ثلاثة وجوه . أحدها : أنه وعيد مبتدأ من الله للكافرين ، والثاني : أنه شى قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعدوه ( أبي جهل ) فاستنكره عدو الله لعزته عند نفسه ، فأنزل الله تعالى مثل ذلك - والثالث : أن يكون ذلك أمراً من الله لنبيه بأن يقولها لعدو الله ، فيكون المعنى ( ثم ذهب إلى أهله يتمطى ) فقل له يا محمد ( أولى لك فأولى ) أي : احذر .

( ٤ ) انظر البيهقي في ديوان الخنساء ( ص ١٢١ ) وانظر أيضا تفسير الماوردي ( ٣٦٣ / ٣ ) وتفسير القرطبي ( ١١٥ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٣٩٠ / ٨ ) واستدل المفسرون بقولها على أن المعنى " ويل لك " وتقدم ذكره .

( ٥ ) انظر لسان العرب ( ٣٩ / ١١ ) ( مادة أول ) .



قوله تعالى ( أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ) أى مهملًا لا يؤمر ولا ينهى قاله مجاهد<sup>(١)</sup> - وقيل : لا يبعث ولا يحاسب ولا يعاقب قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :-  
فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ جَهْدَ الْيَمِينِ      مَا تَتْرَكَ اللَّهُ شَيْئًا سُدًى<sup>(٣)</sup>

وقوله ( أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ) وقريء بالتاء ( تمنى ) والمنى : ماء معروف يخلق منه الإنسان<sup>(٥)</sup> - فالقراءة بالياء ينصرف إلى المنى ، والتاء ينصرف

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٩/٢٠٠ - ٢٠١) بسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : لا يؤمر ولا ينهى . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٩٦) بلفظ : باطلاً لا يؤمر ولا ينهى " وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر . وهو قول ابن عباس وابن زيد والشافعي . انظر تفسير الطبري (٢٩/٢٠٠) وتفسير الماوردي (٤/٣٦٤) وتفسير البغوي (٧/١٨٨) وتفسير القرطبي (١٩/١١٦) وتفسير ابن كثير (٤/٤٥٢) قال : ( أن يترك سدى ) أى يهمل - فلا يؤمر ولا ينهى ولا يعاقب ، يقال : أسديت الشيء إذا أهملته .

(٢) هو قول السدى .

انظر تفسير الماوردي (٤/٣٦٤) وتفسير القرطبي (١٩/١١٦) وتفسير ابن كثير (٤/٤٥٢) ، وقال ابن كثير بعد ذكره للقولين : والظاهر أن الآية تعم الحالين ، أى ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأثور منهى في الدنيا ، محشور إلى الله في الدار الآخرة ، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكروه من أهل الزيغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلًا على الإعادة بالبداية فقال تعالى ( أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ ) "أهـ .

(٣) لم أتمكن من معرفة قائله .

وقد أنشده الماوردي في تفسيره (٤/٣٦٤) والقرطبي في تفسيره (١٩/١١٦) والألوسي في روح المعاني (٢٩/١٤٩) غير منسوب .

(٤) قرأه حفص عن عاصم بالياء ، وهى أيضا قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن أبي عمرو ، واختار هذه القراءة أبو عبيد ، وقراءة الباقر بالتاء . واختارها أبو حاتم ، صوب ابن جرير القراءتين ووصفهما بأنهما معروفتان صحيحتا المعنى وهذا الصواب فى مثل هذه القراءة السبعية .

انظر التيسير (ص٢١٧) والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٣٥١ وحجة القراءات (ص٧٣٧) وانظر أيضا تفسير ابن جرير (٢٩/٢٠١) وتفسير البغوي (٧/١٨٨) وزاد المسير (٨/٤٢٥) وتفسير القرطبي (١٩/١١٧) .

(٥) قال الجوهري فى الصحاح (٦/٢٤٩٧) ، " والمنى : ماء الرجل ، وهو مشدد . وقال الراغب الأصفهاني فى المفردات (ص٤٧٥) " ( يقال ) المنى للذى قدر به الحيوانات " .

إلى معناه وهو النطفة<sup>(١)</sup>، وقوله ( تمنى ) يقذف فى الرحم وقيل : يقدر<sup>(٢)</sup> .  
وقال الشاعر<sup>(٤)</sup> :  
... ما يعنى لك المانىسى<sup>(٥)</sup>  
أى يقدر لك المقدر .

(١) انظر معانى القرآن (٢١٣/٣) وعراب القرآن للنحاس (٥٦٩/٣) وتفسير  
الرازى (٢٣٤/٣٠) والبحر المحيط (٣٩١/٨) وذكر الغراء أن القوليين  
صواب . وأما النحاس فقد اختار الأول لأن لفظ المنى أقرب .

(٢) قال البيهقى فى تفسيره (١٨٨/٧) " تصب فى الرحم " وذكر الماوردى فى  
تفسيره (٣٦٤/٤) فى هذه الآية ثلاثة أوجه - أولها : أن معنى يمنى  
براق ، ولذلك سميت منى لإرارة الدماء فيها . وذكر هذا الوجه القرطبي أيضا  
فى تفسيره (١١٧/١٩) هو وما ذكره المؤلف فى معنى واحد .

(٣) هو من المنى ، وهو القدر أو التقدير .  
قال الراغب الأصفهاني : المنى التقدير : يقال : منى لك المانى - أى قدر  
لك المقدر . المفردات (ص ٤٧) انظر أيضا الصحاح (٢٤٩٧/٦) ولسان العرب  
٢٩٢/١٥ ، وقال الماوردى عند ذكره للوجه الثانى : بمعنى ينشأ ويخلق  
وهو أيضا قريب مما ذكره المؤلف .

أما الوجه الثالث فقال فيه : إنه بمعنى يشترك أى اشتراك ماء الرجل بماء  
المرأة . والأول هو الأظهر لأنه يقال منى الرجل وأمنى إذا خرج منه المنى .  
(٤) لعنه يزيد بن عامر أو سويد بن عامر المصطلقى - كما جاء فى بعض المصادر .

(٥) هكذا ورد فى الأصل ، وهو جزء من عجز بيت نسب إلى عديد من الشعراء . ذكر  
الماوردى هذا البيت فى الوجه الثانى من الأوجه الثلاثة المذكورة عنده فى تفسير  
الآية - قال ومنه قول يزيد بن عامر :

فاسلك طريقك تمشى غير مختشم . . . حتى تلاقى ما يعنى لك المانىسى

وذكره ابن منظور فى لسان العرب (٢٩٢/١٥) فقال :  
واسلك طريقك فيها غير مختشم . . . حتى تلاقى ما يعنى لك المانىسى  
ونقل عن ابن برى أن الشعر لسويد بن عامر المصطلقى . وأنشده أيضا فقال :  
ولا تقولن لشيء : سوف أفعلنه . . . حتى تلاقى ما يعنى لك المانىسى  
وعزاه إلى أبى قلابة الهذلى .

وقال أيضا : وهو الحديث : أن منشدا أنشد النبى صلى الله عليه وسلم  
لاتأمنن ، وإن أسييت فى حرم . . . حتى تلاقى ما يعنى لك المانىسى  
فالخير والشرم مقرونان فى قرآن . . . بكل ذلك يأتيك الجد يدان  
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو أدرك هذا الاسلام .

وقوله تعالى ( ثم كان علقه ) أى المنى علقه وهو الدم المنعقد <sup>(١)</sup> ، وقوله  
 ( فَخَلَقَ فَسْوَى ) أى فخلق منه الإنسان فسوى خلقه <sup>(٢)</sup> ، وقوله ( فجعل منه الزوجين  
 الذكر والأنثى ) وقيل : من المنى الذكر والأنثى <sup>(٣)</sup> . وقوله ( أليس ذلك بقادر على  
 أن يحيى الموتى ) معناه : أليس الله الذى خلق الإنسان من النطفة يقادر على  
 أن يحيى الموتى يعنى هو قادر <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ٢٦٧ / ١٠ ) \* وَالْمَلَقُ : الدم - ما كان - وقيل :  
 هو الدم الجامد الغليظ وقيل : هو ما اشتدت حمرة . والقطعة منع علقه \*  
 ثم قال : وفى حديث ابن أبى أوفى : أنه بزق علقه ثم مضى فى صلاته \* أى قطعة  
 دم منعقد \* انظر أيضاً النهاية ( ٢٩٠ / ٣ ) وقال القرطبي فى تفسيره ( ١١٧ / ١٩ )  
 ( ثم كان علقه ) أى دماً بعد النطفة ، أى قدرته الله تعالى بهذا كله على  
 خسة قدره \* .

( ٢ ) ذكر الماوردي فى تفسيره ( ٣٦٤ / ٤ ) فى تفسير الآية وجهين .  
 أحدهما : خلق فى الأرحام قبل الولادة وسوى بعدها عند استكمال القوة  
 وتتمام الحركة . الثانى : خلق الأجسام وسواها للأفعال . فجعل لكل جارحة  
 عملاً - والله أعلم - .  
 وذكر الرازى أيضاً فى تفسيره ( ٢٣٤ / ٣٠ ) وجهين ولكنه قال : الأول : فخلق  
 فقدر - فسوى : فعدل - وبهذا فسره القرطبي فى تفسيره ( ١١٧ / ١٩ ) .  
 الثانى : فخلق : أى فنفع فيه الروح - فسوى : فكمل أعضائه وهو قول ابن عباس  
 ومقاتل . وذكر الخازن فى تفسيره ( ١٨٨ / ٧ ) كلا الوجهين وكل هذه الأوجه  
 مرادة ليس فيها تناقض .

( ٣ ) ذكر القرطبي فى تفسيره ( ١١٧ / ١٩ ) فى قوله ( منه ) وجهين - الأول : ان الضمير  
 يعود إلى الإنسان ، والثانى : انه يعود إلى المنى . أما البغوى وابن الجوزى  
 فقد ذكرا وجهاً واحداً وهو الوجه الثانى فقط .

انظر تفسير البغوى ( ١٨٨ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٢٦ / ٨ ) .  
 وأما الزمخشري والرازى والخازن فهم أيضاً ذكروا وجهاً واحداً وهو الوجه الأول  
 فقط . انظر الكشاف ( ٦٦٤ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٢٣٤ / ٣٠ ) ، وتفسير الختازن  
 ( ١٨٨ / ٧ ) ، والأرجح فيما يبدو لى والله أعلم هو أن الضمير يعود إلى المنى  
 لأنه اقرب ، ومنه تكون خلقه الإنسان .

( ٤ ) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢٦ / ٨ ) ، وهذا تقرير لهم ، أى : ان من  
 قدر على الإبتداء قدر على الإعادة \* وقال القرطبي فى تفسيره ( ١١٧ / ١٩ ) ( أليس  
 ذلك بقادر ) أى أليس الذى قدر على خلق هذه النسمة من قطرة من ماء \* ( بقادر  
 على أن يحيى الموتى ) أى على أن يعيد هذه الأجسام كهيتها للبعث بعد  
 البلى \* .

وعن ابن عباس : أنه إذا بلغ هذه الآية قال : اللهم بلى . وفي رواية سبحانه بلى (١) . وقد روى هذا مرفوعاً في بعض المسانيد (٢) والله أعلم وأحكم (٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ( كما في تفسير ابن كثير (٤/٤٥٢) ) بسنده عن أبي اسحاق عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية ( أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ) قال : سبحانه بلى . وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٦/٢٩٦ ) من قول ابن عباس وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر . وهو موقوف ، وفي إسناده أبو اسحاق السبيعي وهو ثقة عابد ولكنه اختلط بآخره . كما في التقريب (ص. ٢٦٠ - ٢٦١) .

(٢) أخرج أبوداود في سننه - كتاب الصلاة - باب مقدار الركوع والسجود ( ١/٥٥٠ ) ، رقم ( ٨٨٢ ) والإمام أحمد في مسنده ( ٢/٢٤٩ ) والبغوي في تفسيره ( ٢/١٨٨ ) ، كلهم بإسناد هم عن سفيان حدثني اسماعيل بن أمية سمعت أعرابياً يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ منكم ( التيسن والزيتون ) فانتهى إلى آخرها ( أليس الله بأحكم الحاكمين ) فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ ( لا أقسم بيوم القيامة ) فانتهى إلى ( أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ) فليقل : بلى . . . الحدِيث هذا لفظ أبي داود ، وقد أعل إسناده بالأعرابي الذي لم يسم ، أورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير ( ٥/٢٣٨ ) وقال فيه : ضعيف . ولكن له طريق آخر أخرجه أبوداود في سننه - كتاب الصلاة - باب الدعاء في الصلاة ( ١/٥٩٩ ) ، رقم ( ٨٨٤ ) بسنده عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال : كان رجل يصلّي فوق بيته - وكان إذا قرأ " أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى " قال : سبحانه . فبلى ، فسألوه عن ذلك فقال : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤/٤٥٢ ) وقال : تفرد به أبوداود ولم يسم هذا الصحابي ، ولا يضر ذلك . وللحديث طريق آخر أخرجه الحاكم في مستدركه ( ٢/٥١٠ ) ولكن في سننه يزيد بن عياض وهو مشرّوك كما قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف ( ٤/٦٦٥ ) .

وباجتماع هذه الطرق يرفع عن الحديث الضعف ، ويبلغ درجة الحسن ، والله أعلم بالصواب .

(٣) سقطت من نسخة " ب " عبارة " والله أعلم وأحكم " .

تفسير سورة الإنسان

وهي مكية. في قول بعضهم - مدنية في قول بعضهم - وقيل : بعضها مكية وبعضها مدنية . (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( هل أتى على الإنسان حين من الدهر ) معناه : قد أتى على الإنسان حين من الدهر قاله الفراء . (٢)

(١) أورد ابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٧/٨) هذه الأقوال الثلاثة قال : وفيها ثلاثه أقوال :-

أحدها : أنها مكية كلها - قاله الجمهور منهم مجاهد وقتادة .  
والثاني : مكية - قاله ابن يسار ، ومقاتل وحكي عن ابن عباس .  
والثالث : أن فيها مكيًا ومدنيًا - ثم في ذلك قولان :-  
أحدهما : أن المكي منها آية ، وهو قوله تعالى ( ولا تطع منهم أثماً أو كفوراً ) .  
وباقيا جميعه مدني قاله الحسن وعكرمة .  
والثاني : أن أولها مدني إلى قوله تعالى ( انا نحن نزلنا عليك القرآن )  
ومن هذه الآية إلى آخرها مكي . حكاه الماوردي .  
انظر أيها تفسير الماوردي ٣٦٥/٤ ، وتفسير القرطبي (١١٨/١٩) والبحر المحيط (٣٩٣/٨) ، وذكر السيوطي في الإتقان (١٤/١) قولين فقط فقال :  
"سورة الإنسان" قيل : مدنية ، وقيل : مكية " .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٢١٣/٣) وقال أيضا : " و ( هل ) قد تكون جحداً وتكون خبيراً فهذا من الخبر - لأنك قد تقول : فهل وعظمتك ؟ فهل أعطيتك ؟ تقرره بأنك قد أعطيته ووعظته - والجحد أن تقول : وهل يقدر واحد على مثل هذا " . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٧٩/٢) عند هذه الآية :  
مجازها : قد أتى على الإنسان ، ليس باستفهام " .

وذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٥/٤) وعزاه إلى الفراء وأبي عبيدة وذكره البغوي في تفسيره (١٨٨/٧) دون عزو إلى أحد .  
وابن الجوزي في تفسيره (٤٢٧/٨) والقرطبي في تفسيره (١١٩/١٩) ونسباه إلى الفراء . وقال الزمخشري في الكشاف (٦٦٥/٤) :  
"هل" بمعنى "قد" في الاستفهام خاصة ، والأصل : أهل بدليل قوله : "أهل رأونا يسفع القاع ذي الأكم" .  
فالمعنى : أقد أتى ؟ على التقريب والتقريب جميعاً ، أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب . (حين من الدهر لم يكن) فيه ( شيئاً مذكوراً ) .

وقيل : أتى على الإنسان حين من الدهر . (١) والإنسان هو آدم على قول أكثر المفسرين . وعن ابن جريج : أنه كل إنسان من الآدميين وقوله ( حين من الدهر )

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٥/٤) - قال : " إنه بمعنى " أتى على الإنسان " الآية على وجه الاستفهام . حكاه ابن عيسى . انظر أيضا تفسير القرطبي (١١٩/١٩) .

والراجح هو القول الأول ، لأنه قول أكثر المفسرين ونقل الرازي اتفاق المفسرين عليه - واستدل على أن ( هل ) هنا ليست للاستفهام من وجهين أحدهما : أنه روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع هذه الآية قال : ياليتها كانت تمت فلا نبئلى " ولو كان ذلك استفهاما لما قال : ليتها تمت ، لأن الاستفهام إنما يجاب بلا أو بنعم ، فإذا كان المراد هو الخبر ، فحينئذ يحسن ذلك الجواب .

الثاني : أن الاستفهام على الله محال فلا بد من حمله على الخبر " . انظر تفسير الرازي (٢٣٥/٣٠) وأيضاً تأويل مشكل القرآن (ص ٥٣٨) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٠٢) وزاد المسير (٤٢٨/٨) .

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٠٢/٢٩) ورواه عن قتاد وسفيان وهو قول عكرمة والسدي أيضا ، كما ذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٥/٤) . والقرطبي في تفسيره (١١٩/١٩) وعزاه ابن الجنوزي في زاد المسير (٤٢٨/٨) إلى الجمهور . وهو اختيار البغوي في تفسيره (١٨٩/٧) .

(٣) هو قول ابن عباس أيضا .

ذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٥/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٨/٨) والقرطبي في تفسيره (١٢٠/١٩) والدليل عليه قوله تعالى بعده ( إنا خلقنا الإنسان من نطفة ) وهو اختيار الزمخشري في الكشاف (٦٦٥/٤) - وإليه ذهب الرازي في تفسيره (٢٣٥/٣٠) وقال بعد ذكره لهذا القول : " فالإنسان في الموضعين واحد ، وعلى هذا التقدير يكون نظم الآية أحسن " .

وليس هناك مانع من أن يراد به كلا القولين ، قال أبو جعفر النحاس في

أعراب القرآن (٥٧١/٣) :

( الإنسان الأول عند أهل التفسير يراد به آدم عليه السلام ، وقد يجوز أن يراد به الجنس ، والثاني للجنس لا غير " .

هو أربعون سنة<sup>(١)</sup>. قال محمد بن اسحاق<sup>(٢)</sup> : صور الله آدم عليه السلام ثم تركه أربعين سنة ينظر إليه ثم نفخ فيه الروح - وفي رواية خلقه من طين ثم بعد أربعين سنة صار صلصالاً من غير أن تمسه النار<sup>(٣)</sup> - وفي رواية : كان أربعين سنة طيناً وأربعين سنة

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٣٦٥/٤) في قوله تعالى ( حين من الدهر ) ثلاثة أقاويل .

أحدها : أنه أربعون سنة مرتقب أن ينفخ فيه الروح وهو طقي بين مكة والطائف .  
الثاني : أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ، ثم من حملاً مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة . فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ، ثم نفخ فيه الروح ، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك عنه .

الثالث : أن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر ، وزمان غير محدود قاله ابن عباس أيضاً . انظر أيضاً تفسير القرطبي (١١٩/١٩) .

وذكر فيه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠٢/٢٩) والرازي في تفسيره (٢٣٥/٣٠) قولين فقط دون عزو إلى أحد ، أولهما : أنه أربعون سنة ، والثاني : لأحد للحين في هذا الموضع . وذكر البغوي في تفسيره (١٨٩/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٨/٨) والهازم في تفسيره (١٨٩/٧) قولاً واحداً وهو القول الأول أي : التحديد بأربعين سنة وعزاه ابن الجوزي إلى الجمهور . والصواب - والله أعلم - عدم التعيين - لأن القول بالتحديد بالأربعين مبنى على آثار ضعيفة . كما سيأتي قريباً إن شاء الله .

(٢) هو محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار - وقيل : ابن كوثان العلامة الحافظ الأخباري أبو بكر وقيل : أبو عبد الله القرشي المظلي مولى لهم المدني ، صاحب السيرة النبوية ، ولد سنة ثمانين ورأى أنس بن مالك بالمدينة وسعيد بن المسيب وتكلم فيه مالك وغيره بقادح ، ولكنه غير مقبول ، وقد وثقه غير واحد ، وقال الذهبي : وقد أمسك عن الاحتجاج بزوايات ابن اسحاق غير واحد من العلماء لأشياء منها : تشييعه ، ونسب إلى القدر ، ويدلس في حديثه ، فأما الصدق فليس بمد فوع عنه . مات سنة خمسين ومائة وقيل بعدها . انظر سير أعلام النبلاء (٥٥-٣٣/٧) .

(٣) روى ابن جرير في تاريخه (٩٣/١) عن ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن اسحاق قال : يقال والله : خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالغبار ولم تمسه نار . وهذا أشهر مقطوع ، وفي إسناده ضعف ، لأن ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي ، قال فيه ابن حجر في التقريب (٢٩٥) حافظ ضعيف . وذكر الماوردي في تفسيره (٣٦٥/٤) والقرطبي في تفسيره (١١٩/١٩) ونسباه إلى ابن عباس من رواية أبي صالح عنه ، وهو أيضاً ضعيف لأن أبا صالح وهو يازام مولى أم هانئ قال فيه ابن حجر في تقريب التهذيب (ص ٤٢) " ضعيف مدلس " .

حما<sup>(١)</sup> مسنوناً وأربعين سنة صلصلاً<sup>(٢)</sup> .

وقوله ( لم يكن شيئاً مذكوراً ) أى كان شيئاً إلا أنه لم يكن شيئاً يذكر<sup>(٣)</sup> .

وروى : أنه قرئت هذه الآية عند عمر رضى الله عنه / فقال ياليتها تمت - أى<sup>(٣)</sup> . ٣٠/ب

( ١ ) أورده الماوردي فى تفسيره ( ٣٦٥ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ٢٣٥ / ٣٠ ) ،

والقرطبي فى تفسيره ( ١١٩ / ١٩ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٣٩٣ / ٨ )

وزادوا فى آخره : فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ، ثم نفخ فيه الروح ونسبوه إلى ابن عباس فى رواية الضحاك عنه .

وقال القرطبي : وزاد ابن مسعود فقال : أقام وهو من تراب أربعين سنة ، فتم

خلقه بعد مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح .

( ٢ ) قال الفراء فى معانى القرآن ( ٢١٣ / ٣ ) " يريد : كان شيئاً ، ولم يكن مذكوراً

وذلك من حين خلقه الله من طين إلى أن نفخ فيه الروح " . وبهذا فسر ابن

جرير فى تفسيره ( ٢٠٢ / ٢٩ ) والبغوى فى تفسيره ( ١٨٩ / ٧ ) وابن الجوزى

فى زاد المسير ( ٤٢٨ / ٨ ) وذكر فى الماوردي فى تفسيره ( ٣٦٥ / ٤ ) وجهين :

أحدهما : لم يكن شيئاً مذكوراً فى الخلق ، وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً -

قاله يحيى بن سلام .

الثانى : أى كان جسداً مصوراً تراباً وطيناً لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه

، ولا ما يرات به ، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً ، قاله الفراء وقطرب وشعلب -

وقال مقاتل : فى الكلا تقيدهم وتأخيرهم - وتقديره : هل أتى حين من الدهر

لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً . لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق

بعده حيواناً .

واتخذ الزمخشري والرازى فى تفسيرهما طريقاً آخر فذكرا أنه فى محل

النصب لأنه حال من الإنسان ، كأنه قيل : " هل أتى عليه حين من الدهر

غير مذكور ، أو أنه فى محل رفع لأنه وصف لحين ، تقديره : هل أتى على

الإنسان حين لم يكن فيه شيئاً ، انظر الكشاف ( ٦٦٥ / ٤ ) وتفسير الرازى

( ٢٣٦ / ٣٠ ) والراجح هو ما ذكره المؤلف لأنه هو الذى ذهب إليه أكثر

المفسرين .

( ٣ ) رواه ابن المبارك فى الزهد ( ص ٧٩ رقم ٢٣٥ ) بسنده عن عمر بن الخطاب أنه سمع

رجلاً يقرأ " هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً " فقال

عمر : ياليتها تمت ، - وأورده القرطبي فى تفسيره ( ١٢٠ / ١٩ ) وأورده السيوطي

فى الدر المنثور ( ٢٩٧ / ٦ ) وعزاه أيضاً إلى ابن عبيد فى فضائله وعبد بن حميد

وابن المنذر . وفى سند ابن المبارك لى لأن فيه أبا عمرو زياد بن أبى مسلم

قال فيه الحافظ ابن حجر فى التقريب ( ص ١١٦ ) صدوق فيه لى " وروى نحوه عن

أبى بكر الصديق - ذكره الرازى فى تفسيره ( ٢٣٥ / ٣٠ ) والقرطبي ( ١٢٠ / ١٩ )

بلغظ : ليتها تمت فلا تتبلى " كما روى عن ابن مسعود أيضاً - وأورده السيوطي فى

الدر المنثور ( ٢٩٧ / ٦ ) وعزاه إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .



تلك الحالة<sup>(١)</sup>، قوله تعالى (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) أى أخلط<sup>(٢)</sup> - قال ابن مسعود : أمشاجها عروقها التي في النطفة<sup>(٣)</sup>، وفي اللغة : أن الأمشاج واحدها مشج وهو الخلط<sup>(٤)</sup> - والمعنى : اختلاط ماء الرجل بماء المرأة أو اختلاط الدم بالنطفة<sup>(٥)</sup>.

(١) أورده البغوي في تفسيره (١٨٩/٧) عن عمر رضي الله عنه وقال مبينا لمعناه : يريد : ليته بقى على ما كان - .  
وقال القرطبي في تفسيره (١٢٠/١٩) : أى ليت المدة التي أتت على آدم لم تكن شيئا مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا يتلى أولاده .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن (٢١٤/٣) "الأَمْشَاجُ : الأَخْلَاطُ - ماء الرجل وماء المرأة والدم والعَلَقَةُ، ويقال للشئ من هذا إذا خِلَطَ : مَشِيجٌ، كقولك : خَلِيطٌ، ومَمَشُوجٌ، كقولك : مَخْلُوطٌ".  
انظر أيضا تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٥٠٢) وتفسير القرطبي (١٢١/١٩).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٠٥/٢٩) بسنده عنه قال : "أمشاجها : عروقها .  
وأورد السيوطي في الدر المنثور (٢٩٧/٦) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم - وهو أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون في تفسير الأمشاج .  
انظر تفسير ابن جرير (٢٠٥/٢٩) وتفسير الماوردي (٣٦٧/٤) وتفسير البغوي (١٨٩/٧) وتفسير الرازي (٢٣٦/٣٠) وتفسير القرطبي (١٢١/١٩).

(٤) قال الجوهري في الصحاح (٣٤١/١) "مَشَجَتْ بَيْنَهُمَا مَشَجًا : خَلَطَتْ، والشئ مَشِيجٌ، والجمع أمشاجٌ مثل يتيم وأيتام، ويقال : نُطْفَةُ أَمْشَاجٍ، لما الرجل يخلط بماء المرأة ودَمِهَا".

وقال ابن منظور في لسان العرب (٣٦٧/٢) "المَشِجُ والمَشِيجُ والمَشِيجُ : كل لَوْنَيْنِ اخْتَلَطَا، وقيل : هو ما اختلط من حمرة وبياض، وقيل : هو كل شئيين مختلطين، والجمع أمشاجٌ مثل يتيم وأيتام .  
وذكر الزمخشري في الكشاف (٦٦٥/٤) أن الأَمْشَاجَ من الألفاظ المفردة غير الجموع، لأنها وقعت صفة للمفرد - ثم ذكر المعنى فقال : والمعنى : من نطفة قد امتزج فيها الماءان " وتقدم عن الجوهري وابن منظور أن الأمشاج جمع - وقال أبو حيان وقوله / أى الزمخشري " مخالف لنص سيويه والنحويين على أن أفعالا لا يكون مفردا " . البحر المحيط (٣٩٤/٨) .

(٥) وهو أيضا من الأقوال التي ذكرها المفسرون في تفسير الأمشاج ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٠٣/٢٩) ورواه عن ابن عباس وعكرمة والحسن وغيرهم .  
وذكره الماوردي (٣٦٦/٤) وعزاه إلى الحسن وعكرمة .  
انظر أيضا تفسير البغوي (١٨٩/٧) وتفسير الرازي (٢٣٦/٣٠) وتفسير القرطبي (١٢١/١٩).

وقيل : إن الله تعالى خلق الطبائع التي في الإنسان في النطفة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليوسسة فهي الأمشاج ثم عدلها ثم بنى البنية الحيوانية على هذه الطبائع المعدلية ثم نفخ فيها الروح ثم شق لها السمع والبصر فسبحان من خلص هذا الخلق من نطفة مهينة أو علقة نجسة .<sup>(١)</sup>

وقيل : أمشاج أى اطوار فالنطفة طور والعلقة طور والمضفة طور وكذلك ما بعد هذا .<sup>(٢)</sup>

وقيل : أمشاج أى السوان<sup>(٣)</sup> ، وفي الخبر : أن ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة

(١) ذكره الرازي في تفسيره (٢٣٦/٣٠) قال : " وقال قوم : إن الله تعالى جعل في النطفة أخلاطاً من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليوسسة والتقد يو : من نطفة ذات أمشاج فحذف المضاف وتم الكلام " . وذكره الخازن أيضاً في تفسيره (١٧٩/٧) . انظر أيضاً روح المعاني (١٥٢/٢٩)

(٢) هو قول قتادة .

ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢٩) ورواه عن قتادة وغيره . وذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٦/٤) والبيهقي في تفسيره (١٨٩/٧) والقروطبي في تفسيره (١٢١/١٩) كلهم من قول قتادة . انظر أيضاً تفسير الرازي (٢٣٦/٣٠) وتفسير الخازن (١٨٩/٧) .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (٢٠٤/٢٩) ورواه عن ابن عباس ومجاهد . وأورد الماوردي في تفسيره (٣٦٦/٤) وعزاه إلى ابن عباس . وقال : ومجاهد : نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، ونطفة المرأة خضراء وصفراء .

وذكره البيهقي في تفسيره (١٨٩/٧) من قول الضحاك . انظر أيضاً تفسير الرازي (٢٣٦/٣٠) وتفسير القروطبي (١٢١/١٩) .

وأما الراجح من هذه الأقوال فهو القول بأن المراد اختلاط نطفة الرجل والمرأة ، والدليل على ذلك أن الله وصف النطفة بأنها أمشاج وهي إذا انتقلت فصارت علقة فقد استحالت عن معنى النطفة .

انظر تفسير الطبري (٢٠٥/٢٩) وتفسير الرازي (٢٣٦/٣٠ - ٢٣٧) .

أذكَرَتْ (١)

وقوله ( نبتليه ) أى نختبره ونمتحنه . (٢) وقيل فى الآية تقديم وتأخير ،  
ومعناها فجعلنا سمعياً نبتليه ونختبره . (٣)

(١) أورده القرطبي فى تفسيره (١٩/١٢١) قال : وروى عن أبى أيوب الأنصارى :  
قال : جاء خبر من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخبرنى عن  
ماء الرجل وماء المرأة ؟ فقال : ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق  
فإذا علا ماء المرأة أنثت ، وإذا علا ماء الرجل أذكرت .

وقد ورد ذلك فى أحاديث عديدة : منها ما أخرجه مسلم فى صحيحه  
كتاب الحيض - باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها (٣/٢٢١-٢٢٣)  
والنساء فى سننه - كتاب الطهارة - باب الفصل بين ماء الرجل وماء المرأة  
(١/١١٥-١١٦) والامام أحمد فى مسنده (٣/٢١) كتهجاسنادهم عن  
قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماء الرجل غليظ أبيض ،  
وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق كان الشبه \* هذا لفظ النسائي .

وروى الإمام أحمد فى مسنده (١/٢٧٤) بسنده عن ابن عباس قال أقبلت  
يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالوا : يا أبا القاسم : إننا  
نسألك عن خمسة أشياء . . . . الحديث بطوله - وفيه : قالوا : أخبرنا :  
كيف توهنت المرأة وكيف تذكر ؟ قال : يتلقى الماءان ، فإذا علا ماء الرجل  
ماء المرأة أذكرت \* وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت . قال أحمد شاكر  
فى تعليقه على المسند (٤/١٦١) "إسناده صحيح" .

(٢) قال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن (ص٥٠٢) ( نبتليه ) نختبره \* وبهذا فسر  
ابن جرير فى تفسيره (٢٩/٢٠٥) وغير واحد من المفسرين ، وقال البغوى  
فى تفسيره (٧/١٨٩) : ( نبتليه ) نختبره بالأمر والنهى ، وذكر فيه الماوردى  
فى تفسيره (٤/٣٦٧) وجهين :-  
أحدهما : نختبره ، والثانى : نكلفه بالعمل .

ثم قال : فإن كان معناه الاختبار ففيما يختبر به وجهان . أحدهما :  
نختبره بالخير والشر ، قاله الكلبى ، والثانى : نختبر شكره فى السراء وصبره فى  
الضراء ، قاله الحسن ومن جعل معناه التكليف ففيما كلفه وجهان .  
أحدهما : العمل بعد الخلق قاله مقاتل .  
الثانى : الدين ، ليكون مأموراً بالطاعة ، ومنهياً عن المعاصى .  
انظر أيضاً تفسير القرطبي (١٩/١٢٢-١٢٣) .

(٣) هو قول الفراء وابن قتيبة والزجاج ومقاتل . قال الفراء فى معانى القرآن  
(٣/٢١٤) : وقوله : ( نبتليه ) والمعنى - والله أعلم - جعلناه سمعياً بصيراً

٠٠/٠٠

لنتبليه ، فهذه مقدمة معناها التأخير ، انظر أيضا تفسير مقاتل (ق ٣٧٨/ب) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٠٢) وتفسير الماوردي (٣٦٧/٤) وزاد المسير (٤٢٨/٨) . وذكره البغوي في تفسيره (١٨٩/٧) وعزاه إلى بعض أهل المربية ، وأورده القرطبي في تفسيره (١٢٢/١٩) من قول الفراء .

وسانده بقولهما : لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة " - وقال الرازي في تفسيره (٢٣٧/٣٠) بعد آيواده لهذا القول : " والقول الثاني : أنه لا حاجة إلى هذا التفسير والمعنى : إنا خلقناه من هذه الأمشاج لا للبعث بل للابتلاء والإمتحان ، ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر ، فقال : ( فجعلناه سميعاً بصيراً ) والسمع والبصر كناية عن الفهم والتمييز " ا هـ .

وكثير من المفسرين لم يعجبهم القول بالتقديم والتأخير في الآية فقال ابن جرير في تفسيره (٢٠٥/٢٩) بعد أن ذكر هذا القول : " ولا وجه عندى لما قال يصح ، وذلك أن الابتلاء إنما هو بصحة الآلات وسلامة العقل من الآفات . وإن عدم السمع والبصر .

وأما إخباره إيانا أنه جعل لنا أسماعاً وأبصاراً في هذه الآية فتذكير منه لنا بنعمه وتنبيه على موضع الشكر ، فأما الابتلاء فبالخلق مع صحة الفطرة وسلامة العقل من الآفة كما قال ( وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

وقال أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٥٧٢/٣) بعد أن ذكره عن الفراء : " وقال من خالفه في هذا : هو خطأ من غير جهة ، فمنها أنه لا يكون مع الفاء تقديم وتأخير ، لأنها تدل على أن الثاني بعد الأول " . . . وذكر وجوهاً أخرى منها ما تقدم عن الطبري ، وقال الزمخشري في الكشاف (٦٦٦/٤) :

" وهو من التعسف " ، فالصواب أن الآية ليس فيها تقديم وتأخير لأن المعنى يصح بدون حاجة إلى ذلك ، قال أبو حيان في البحر المحيط (٣٩٤/٨) : ولا حاجة إلى ادعاء التقديم والتأخير . والمعنى يصح بخلافه ، وامن تعالى عليه بجعله بهاتين الصفتين وهما كناية عن التمييز والفهم " .

قوله تعالى ( إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ) أى الخير والشر (١) ، وهو مثل قوله تعالى  
 ( وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ) (٢) وقيل : بينا له طريق الإيمان والكفر (٣) ، وقوله تعالى ( إِمَّا  
 شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ) .

(١) ذكر الماوردي فى تفسيره (٣٦٧/٤ - ٣٦٨) والقرطبي فى تفسيره (١٢٧/٩)  
 فى هذه الآية عدة تأويلات ؛

أحدها : هذا الذى ذكره المؤلف ، وهو قول عطية .  
 واختاره البيهقي فى تفسيره (١٩٠/٧) وذكره الرازي فى تفسيره (٢٣٨/٣٠)  
 وقال بعد ذكره له : " ويكون معنى ( هدىناه ) أى عرفناه وبيننا كيفية كل واحد  
 منهما له - كقوله تعالى ( وهدىناه النجدين ) ويكون السبيل اسماً للجنس ،  
 ولهذا أفرد لفظه " .

وذكره ابن كثير فى تفسيره (٤٥٣/٤) وعزاه إلى عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد  
 فى المشهور والجمهور " .

والثانى : الهدى ضمن الضلالة . قاله عكرمة . ذكره الماوردي - وهو اختيار  
 ابن الجوزي فى زاد المسير (٤٢٨/٨) وذكره الرازي أيضاً فى تفسيره (٢٣٨/٣٠)  
 فقال بعد أن ذكر القول الأول : ويجوز أن يكون المراد من السبيل هو سبيل  
 الهدى لأنها هى الطريقة المعروفة المستحقة لهذا الاسم على الإطلاق ،  
 فأما سبيل الضلالة فإنما هى سبيل بالأضافة .

وقال : ومن ذهب إلى هذا جعل معنى قوله ( هدىناه ) أى أرشدناه ،  
 وإذا أرشد لسبيل الحق ، فقد نبه على تجنب ما سواها . فكان اللفظ دلالة على

الطريقين من هذا الوجه " . وذكره الخازن أيضاً فى تفسيره (١٩٠/٧) .

الثالث : سبيل الشقاء والسعادة . قاله مجاهد - ذكره الماوردي والقرطبي .

والرابع : خروجه من الرحم . قاله الضحاك وأبو صالح والسدى . ذكره

الماوردي والقرطبي . وذكره ابن كثير وعزاه إلى مجاهد أيضاً وقال

فيه : وهذا قول غريب .

والخامس : سبيل منفعه ومضاره التى يهتدى إليها بطبعه وكمال عقله - ذكره

الماوردي والقرطبي . والصواب من هذه الأقوال : هو الأول ، كما

قال ابن كثير فى تفسيره (٤٥٣/٤) .

(٢) سورة البلد الآية ١ .

(٣) لم أجد من ذكر هذا القول - ويمكن أرجاعه إلى القول الثالث .

عند البصريين ان (إِمَّا) بمعنى (أو) وعند الكوفيين : ان ،

معناه إما كان شاكراً وإما كان كفوراً - وقيل : إما شاكراً وإما سعيداً .

( ١ ) ذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٥٧٢/٣ ) قال : ( انا هديناك السبيل إما شاكراً وإمّا كفيئاً ) منصوبان على الحال أى انا خلقنا الإنسان شاكراً أو كفوراً .

ومعنى (إمّا) أو - وان كانت تجيء في أول الكلام ليدل على المعنى ، ويدل على ذلك قول أهل التفسير ان المعنى انا هديناك السبيل إما شاكراً أو سعيداً .

( ٢ ) ذكر القرطبي في تفسيره ( ١٢٢/١٩ ) مذهب الكوفيين في هذه الآية فقال : قال الكوفيون : " إن " هاهنا تكون جزءاً وما زائدة . أى بينا له الطريق إن شكر أو كفر .

واختاره الفراء : قلت : وقد صرح الفراء في معاني القرآن ٢١٤/٣ بأن (إمّا) هاهنا كما في قوله تعالى (إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم) سورة التوبة الآية ١٠٦ .

وذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٥٧٢/٣ ) وقال : وهذا القول ظاهره خطأ لأن " ان " التى للشرط لا تقع على الأسماء وليس نفسى الآية (إمّا شكر) إنما فيها إما شاكراً وإمّا كفوراً ، فهذان اسمان ولا يجازى بالاسماء عند أحد من النحويين .

وذكر نحوه أيضاً القرطبي في تفسيره ( ١٢٢/١٩ ) فقال : " ولم يجزه البصريون ، إذ لا تدخل " ان " للجزاء على الأسماء إلا أن يضم بعدها فعل " اه . والذي يبدولى أن هذا الخلاف لفظى ، لأن ( ان ) يجوز دخولها على الأسماء في حالة تقدير الفعل بعدها كما صرح به القرطبي .

( ٣ ) قال البغوى في تفسيره ( ١٩٠/٧ ) في تفسير هذه الآية : " إمّا مؤمناً سعيداً وإمّا كافراً شقيماً " .

وقد ذكر الرازى في تفسيره ( ٢٣٨/٣٠ - ٢٣٩ ) في الآية خمسة أقوال وصفها جميعاً بأنها لا ثقة بمذهب المعتزلة سوى قول واحد قال فيه : إنه المطابق لمذهب أهل السنة والجماعة وهو أن ( إمّا ) في هذه الآية كما في قوله ( إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم ) سورة التوبة الآية ١٠٦ . أما ابن كثير فقال في تفسيره ( ٤٥٣/٤ ) : " وقوله تعالى ( إمّا شاكراً وإمّا كفوراً ) منصوب على الحال من الهاء في قوله ( انا هديناك السبيل ) تقديره فهو في ذلك إمّا شاكراً وإمّا سعيداً كما جاء في الحديث الذى رواه مسلم عن أبى مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل الناس يفتدو فباع نفسه - فمعتقها أو موبقها " . انظر أيضاً صحيح مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء ( ٩٩/٣ - ١٠٠ ) .

قوله ( إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ) وقرئ : سلاسل (١) :  
والأصل (سلاسل) لا ينصرف - (٢) وأما صرفه على قراءة من قرأ (سلاسلًا وأغلالًا)  
وسعيرًا) على موافقة قوله (أغلالًا) وذلك جائز على مذهب العسب (٣).

(١) قرأه نافع وأبو بكر وهشام والكسائي بالتنوين ، " وقرأه الباقر بغير تنوين -  
وكثيهم وقف عليه بالألف (سلاسلًا) إلا حمزة وقتبلا فإنهما وقفا بغير الألف  
(سلاسل) .

انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٣٥٢)

وانظر أيضا التيسير (ص ٢١٧) وحجة القراءات (ص ٧٣٧) .

(٢) هذه حجة من قرأه بغير تنوين . فإنه غير منصوف ، لأن (فعال) لا تنصرف ،  
وكذلك كل جمع ثالثة ألف وبعدها حرف مشدّد أو حرفان خفيفان أو أكثر  
فإنه لا ينصرف في معرفة ولا نكرة .

انظر حجة القراءات (ص ٧٣٧) وانظر أيضا الكشف (٢/٣٥٣) وعراب القرآن

(٣/٥٧٣) .

(٣) قال صاحب حجة القراءات (ص ٧٣٧ - ٧٣٨) :

"وحجة من صرف : أمران ، أحدهما : ذكر الفراء فقال : إن العسب  
تجرى ما لا يجرى ، في الشعر ، فلو كان خطأ ما أدخلوه في أشعارهم ، ثم ذكر  
الوجه الثاني ، فقال : انهم اهتموا مرسوم المصاحف في الوصل ، والوقف لأنها  
مكتوبة بالألف ، وإن لم تكن رأس آية فهي تشاكل رؤوس الآي لأن بعدها : "أغلالًا  
وسعيرًا" وقال صاحب الكشف (٢/٣٥٢) : حجة من نونه أنه حمله على لفظة  
لبعض العرب ، حكى الكسائي أن بعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا "أفعل  
منك" قال الأخفش : سمعنا من العرب من يصرف هذا ، ويصرف جميع  
ما لا ينصرف . ثم قال : وأكثر ما ينصرف هذا وشبهه في الشعر ، فأما في الكلام  
فهو قليل . وذكر أبو جعفر النحاس في عراب القرآن (٣/٥٧٣) ثلاث أدلة  
لهذه القراءة - أحدها : هو ما ذكره الكسائي وغيره .  
والثاني هو ما نقل صاحب حجة القراءات عن الفراء .

ثم ذكر الدليل الثالث فقال : وحجة ثالثة : أنه لما كان إلى جانبه  
جمع ينصرف فأتبع الأول الثاني . وهو ما ذكره المؤلف . وحجة من وقف بالألف  
أنه أتبع خط المصحف ، لأن الألف فيه ثابتة في المصحف . وأيضا فإنه إن كان ممن  
ينونه في الوصل أجراه مجرى سائر المنونات المنصوبات ، أما حجة من وقف بغير  
ألف أنه لما لم يثبت فيه في الوصل تنوين لم يثبت فيه في الوقف ألف ، كما فصل به  
"أباريق" وشبهه . انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٣٥٣) وانظر  
أيضا زاد المسير (٨/٤٣٠) وتفسير القرطبي (١٩/٢٣٣ - ٢٤١) وقول المؤلف  
(وذلك جائز على مذهب العرب) والصواب (على مذهب بعض العرب) كما جاء  
في كلاه واحد .

والأغلال جمع غل (١) ، وروى جبير بن نغير (٢) عن أبي الدرداء (٣) أنه قال : إرفعوا  
أيدكم إلى الله قبل أن تغل بالأغلال (٤) .

وقوله ( سعياً ) أى ناراً موقدة (٥) ، وفى بعض الأخبار برواية عطية عسّس  
أبى سعيد الخدرى : ان الله تعالى يبعث سحابة فيقف على رؤوس أهل النار ،  
ويقال لهم : ماتريدون ؟ فيقولون : الشراب فيمطرهم الله منها السلاسل والأغلال  
والجحيم (٦) قال : الحسن إن الله لا يغفل الكفار عجزاً عن حفظهم ولكن

(١) قال الراغب الأصفهاني في المفردات (ص ٣٦٣) " الغل مُخْتَصَّ بِمَا يُقَيَّدُ بِهِ فَيَجْعَلُ  
الأغْضَاءَ وَسَطَهُ . وَجَمْعُهُ أَغْلَالٌ وَغُلٌّ فَلَانٌ يُقَيَّدُ بِهِ " .

(٢) جبير بن نغير ( بنون وفاه مصفرا ) بن مالك بن عامر الحضرمي الحمصي ، ثقة  
جليل - مخضرم ولأبيه صحبة ، فكانه هو ما وفد إلا في عهد عمر ، مات سنة ثمانين  
وقيل بعدها .

تقريب التهذيب (ص ٥٤) . انظر أيضا تهذيب التهذيب ٦٤ / ٢ .

(٣) هو عويمو بن زيد بن قيس الأنصاري .

مختلف في أسم أبيه ، وإنما هو مشهور بكنيته - وقيل : اسمه عامر وعويمر لقبه ،  
صحابي جليل - أول مشاهده أحد - وكان عبداً - مات في آخر خلافة عثمان -  
وقيل عاش بعد ذلك .

انظر تقريب التهذيب (ص ٢٦٧) والاصابة (٤٥ / ٣ - ٤٦) .

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢٤ / ١٩) دون عزو إلى أحد . وأنا لم أجده من  
خبره .

(٥) قال ابن جبري في تفسيره (٢٠٦ / ٢٩) " وقوله : ( وسعياً ) يقول : وناراً  
تسعر عليهم فتوقد " . وقال البخوي في تفسيره (١٩٠ / ٧) . " وقوداً شديداً " .

(٦) لم أهد إلى رواية أبى سعيد الخدرى ، وقد ورد نحوه مرفوعاً عن يعلى بن منبه  
قال : ينشى الله سحابة لأهل النار سوداً مظلمة ، يقال : يا أهل النار أئى  
شى تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا ، فيقولون : ياربنا الشراب ، فتمطرهم  
أغلالاً تزيد في أعناقهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجرماً يلتهب عليهم " .

أورد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧ / ٥) وعزا تخريجه إلى ابن أبي حاتم  
والطبراني في الأوسط وابن مردويه " وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٠ / ١٠)  
: وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه " . وأما رواية أبى سعيد الخدرى فهى  
أيضاً لا تخلوا من ضعف لأن عطية وهو عطية بن سعيد العوفى قال فيه ابن حجر  
في التقريب (ص ٢٤) صدوق يخطئ كثيراً كان شيعياً مدلساً " .



حتى إذا خبت النار عنهم التسبب (٢) أعلاهم في أسفل النار (٣) ، قوله تعالى ( إن الأبرار يشربون ) الأبرار : هم المطيعون (٤) ، وقيل : هم الذين بروا الآباء والأبناء (٥) . وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الدر (٦) . وفي بعض الأخبار : مامن ولد ينظر إلى والده نظراً وعطف إلا كتب الله له به حجة . فقيل :

(١) خَبَتِ النَّارُ وَالْحَرْبُ تَخْبُو خَبُوءًا : سَكَنَتْ وَطَفِنَتْ وَخَمَدَ لَهَا ، لسان العرب (٢٢٣/١٤) .

(٢) لم تتضح لي هذه الكلمة في النسختين ، وقد جاء هذا الأثر في الدر المنثور (٤٤/٤) وفيه : أرسبتهم .

(٣) أورده المصطفى في الدر المنثور (٤٤/٤) بلفظ : عن الحسن رضى الله عنه قال : إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب ولكنها جعلت في أعناقهم لكي إذا طفا بهم اللهب أرسبتهم في النار . وهذا يدل على أن في العبارة سقطاً ، وأورده القرطبي في تفسيره (١٢٤/١٩) مختصراً ، قال : قال الحسن : إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار ، لأنهم أعجزوا الرب سبحانه ، ولكن إنزالاً .

(٤) هو قول مقاتل ، فإنه قال في تفسيره (ق ٣٧٨/ب) : " إن الأبرار " يعنى الشاكرين المطيعين لله تعالى . وذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٣٦٨/٤) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٣٠/٨) وذكر الماوردي في معنى الأبرار قولاً آخر وهو أنهم الصادقون - وعزاه إلى الكلبى - وذكره ابن الجوزي أيضاً ولكن دون عزو إلى أحد .

(٥) هو قول ابن عمر رضى الله عنهما .  
ذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٨/٤) والقرطبي في تفسيره (١٢٥/١٩) وقال : وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما سماهم الله جبل شأنه الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالدك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حقاً .

(٦) قال الجوهري في الصحاح (٦٦٣/٢) الدر : جمع ذرة - وهى أصفر النمل . وهذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٣٠/٨) ، والزمخشري فى الكشاف (٦٦٢/٤) والقرطبي في تفسيره (١٢٥/١٩) والشعالبي في تفسيره (٣٧١/٤) وذكره الماوردي في تفسيره (٣٦٨/٤) بلفظ آخر قال : " لأنهم كفوا الأذى . قاله الحسن .

والصواب من هذه الأقوال هو القول الأول أى أن المراد من الأبرار هم الشاكرون المطيعون لله ، وهو يجمع أنواع البر والطاعة .

يارسول الله ! وإن نظر في اليوم مائة مرة ؟ قال : الله أكبر وأطيب<sup>(١)</sup> .

وقوله ( من كَأْسٍ ) قال الزجاج : العرب لا يذكر الكأس إلا إذا كانت فيهِ  
الخمير ، قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

صَرَفْتِ الكَأْسَ عَتَاً أُمَّ عَمْرٍو  
وكان الكَأْسُ مَجْرَاهَا التَّيْمِينَا<sup>(٤)</sup>

وقوله ( كان مزاجها كافورا ) أى مزج بالكافور وهو مزاج وجود الرائحة  
لا مزاج وجود الطعم<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ذكره السيوطى بلفظ : ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظر رحمة إلا كتب الله  
له بها حجة مقبولة مبرورة .

وعزاه إلى الرافعى عن ابن عباس ، ورمزله بالضعف .  
انظر الجامع الصغير مع فيض القدير للمناوى ٥ / ٤٨٣ ، انظر أيضا ضعيف الجامع  
الصغير للألبانى ( ١١٧ / ٥ ) .

( ٢ ) ذكره الألوسى عن الزجاج فى روح المعانى ( ١٥٤ / ٢٩ ) وبهذا فسر غير واحد  
من المفسرين . وقال الزمخشورى فى الكشاف ( ٦٦٧ / ٤ ) " والكأس : الزجاجية  
إذا كانت فيها خمير ، وتسمى الخمير نفسها : كأساً " ولهذا روى عن ابن عباس  
ومقاتل أنهما قالا : يريد الخمير .

انظر تفسير الرازى ( ٢٤٠ / ٢٩ ) وتفسير القرطبى ( ١٢٥ / ١٩ ) .  
انظر أيضا تفسير البغوى ( ١٩٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٣٠ / ٨ ) ، والصحاح  
للجوهرى ( ٩٦٩ / ٣ ) ولسان العرب ( ١٨٩ / ٦ ) .

( ٣ ) هو الشاعر الجاهلى المعروف عمرو بن كلثوم .

( ٤ ) هو فى معلقته .

انظر المعلقات السبع ( مع شرح الزوزنى ص ١١٩ ) وفيه ( صَبَّئْتِ ) وذكر  
هذا البيت القرطبى أيضا فى تفسيره ( ١٢٥ / ١٩ ) وفيه أيضا ( صَبَّئْتِ ) ومعنى  
( صَبَّئْتِ وَصَرَفْتِ ) واحد .

( ٥ ) ذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٢٥ / ١٩ ) ، وهو قريب مما ذكر عن قتادة ، كما  
ذكر عنه الماوردى فى تفسيره ( ٣٦٨ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٣٠ / ٨ )  
والقرطبى فى تفسيره ( ١٢٥ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٣٩٥ / ٨ ) .  
وقيل : طعمه طعم الكافور ، وهو قول السدى . وقيل : برده ، وهو قول  
الحسن .

وهذه الأَقْوَال كلها على قول القائلين بأن المراد من الكافور هو الكافور  
المعروف .

انظر تفسير الماوردى ( ٣٦٨ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ١٩٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٣٠ / ٨ )  
وتفسير القرطبى ( ١٢٥ / ١٩ ) .

وقيل : إن الكافور والزنجبيل / أسمان لعينين من عيون الجنة <sup>(١)</sup> . وقوله ١/٣٠٨  
 ( عيناً يشرب بها عباد الله ) النصب على المدح . أعنى عيناً يشرب بها  
 عباد الله <sup>(٢)</sup> أى منها عباد الله <sup>(٣)</sup> وقوله ( يفجرونها تفجيروا ) أى يجرونها

(١) هو قول ابن عباس وعطاء ، وابن السائب الكلبى ، انظر المصادر السابقة ،  
 وانظر أيضا الكشاف (٤/٦٦٧-٦٦٨) ويذكر فيه قول آخر وهو أن المعنى  
 : مزاجها كالكاפור في بياضه وطيب ريحه وبرده - لأن الكافور لا يشرب  
 وهو كقوله تعالى : " حتى إذا جعله ناراً " سورة الكهف الآية ٥٦ ، أى كنار  
 ذكره الفراء .

انظر معانى القرآن (٣/٢١٥) وتفسير البغوى (٧/١٩٠) وزاد المسير  
 (٨/٤٣٠) وتفسير القرطبي (١٩/١٢٥) ويبدولى والله أعلم بالصواب أن  
 الراجح هو القول الأول أى أنه مزج بالكافور ، والمراد من الكافور راحته .  
 وقد جاء ذكر الكافور عند العرب بكثرة ، فإنهم كانوا يحبون راحته .

(٢) قال الرازى فى تفسيره (٣٠/٢٤١) " إن قلنا : الكافور اسم النهر كان عيناً  
 بدلا منه - وإن شئت نصبت على المدح . والتقدير ( أعنى عيناً ) .  
 وقال البغوى فى تفسيره (٧/١٩٠) " قيل : نصب على المدح وقيل : أعنى  
 عيناً " وقال القرطبي فى تفسيره (١٩/١٢٦) " قيل نصب على المدح ، كما  
 يذكر الرجل فتقول : العاقل اللبيب " أى ذكرت العاقل اللبيب ، فهو نصب  
 بإضمار أعنى " وذكره أبوحيان فى البحر المحيط (٨/٣٩٥) ضمن أقوال أخرى  
 فقال : أو نصب على الإختصاص . وفى الآية أقوال أخرى : منها ما ذكره  
 الفراء فى معانى القرآن (٣/٢١٥) أنها مفسرة للكافور . وقيل : إنها  
 بدل من الكافور ، وهو قريب مما ذكر الفراء ، وقيل : إنها حال من المضممر  
 فى ( مزاجها ) ، وقيل : إنها مفعول به : والتقدير : يشربون عيناً  
 يشرب بها عباد الله كان مزاجها كافورا " . ونقل عن الزجاج أنه قال : الأجود  
 أن يكون المعنى : " من عين " .

انظر اعراب القرآن للنحاس (٣/٥٧٤) وتفسير البغوى (٧/١٩٠) وزاد المسير  
 (٨/٤٣٠) وتفسير القرطبي (١٩/١٢٦) والبحر المحيط (٨/٣٩٥) ويبدو  
 أن القول بأنه منصوب على المدح هو الراجح ، لأنه قال به أكثر المفسرين .

(٣) فى قوله تعالى ( يشرب بها ) ثلاثة أوجه :-  
 أحدها ما ذكره المؤلف . وهو أن الباء بمعنى ( من ) . وهو قول ابن قتبية  
 فى تأويل مشكل القرآن (ص ٥٧٥) .

والثانى : أن المعنى ( يشربها ) والباء زائدة وقال بعضهم صلة .  
 والثالث : قال الفراء : يَشْرَبُ بِهَا وَيَشْرِبُهَا سِوَاهُ فى المعنى ، وكان يشرب بها  
 يروى بها - ( معانى القرآن ٣/٢١٥ ) .

انظر أيضا اعراب القرآن (٣/٥٧٤) وتفسير البغوى (٧/١٩٠) والبحر  
 المحيط (٨/٣٩٥) .

إجرا على ما يريدون ويشتهون<sup>(١)</sup> وقيل : أن الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي<sup>(٢)</sup> والزبير<sup>(٣)</sup>

(١) قال الزمخشري في الكشاف (٦٦٨/٤) \* ( يفجرونها ) يجرونها .  
حيث شاءوا من منازلهم \* وقال الفراء في معاني القرآن (٢١٥/٣) \* أيها  
أحب الرجل من أهل الجنة فجرها لنفسه \* وقال ابن كثير في تفسيره  
(٤٥٤/٤) .

\* وقوله تعالى \* يفجرونها تفجيرا ( أى يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين  
شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم والتفجير هو الإنباع \* .

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التميمي أبو بكر الصديق بسن  
أبي قحافة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد بعد الغيل بسنتين  
وسنة أشهر . صحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وسبق إلى الإيمان  
به واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد  
كلها . مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة ولـه  
مناقب جملة .

الاصابة ٢ / ٣٤١ - ٣٤٤ .

(٣) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي  
أبو الحسن ، أول الناس اسلاماً في قول كثير من أهل العلم ، ولد قبل البعثة  
بعشر سنين على الصحيح فربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه  
وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك - مناقبه كثيرة - وهو ابن عم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته . استشهد في رمضان سنة أربعين وله ثلاث  
وستون سنة على الأرجح .

الاصابة (٢ / ٥٠٧ - ٥١٠) وتقريب التهذيب ٢٤٦ .

(٤) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي أبو عبد الله حواري  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وأحد العشرة المشهور لهم بالجنة  
وأحد الستة أصحاب الشورى . استشهد سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من  
وقعة الجمل :

الاصابة (١ / ٥٤٥) وتقريب التهذيب ( ص ١٠٦ ) .

وعبد الرحمن بن عوف<sup>(١)</sup> وسعد وأبي عبيدة<sup>(٢)</sup> - وفي بعض التفاسير : وابن مسعود<sup>(٣)</sup>

( ١ ) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث القرشي الزهري أبو محمد - أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى .  
قال الحافظ في التقریب ( ص ٢٠٨ ) .  
" أسلم قديماً ، ومناقبه شهيرة ، ومات سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك " .  
انظر أيضا الإصابة ( ٤١٦ / ٢ ) .

( ٢ ) هو سعد بن مالك بن أهيب ويقال : وهيب بن عبد مناف القرشي أبو اسحاق ابن أبي وقاص - أحد العشرة وآخرهم موتاً .  
قال الحافظ ابن حجر : وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، ومناقبه كثيرة ، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور ، وهو آخر العشرة وفاة .  
الإصابة ( ٣٣ / ٢ - ٣٤ ) تقریب التهذيب ( ١١٩ ) .

( ٣ ) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن فهر القرشي الغهري - أبو عبيدة بن الجراح مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جده ، وهو أحد العشرة أسلم قديماً . مات شهيداً بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة - وله ثمان وخمسون سنة .  
الإصابة ( ٢٥٢ / ٢ - ٢٥٤ ) تقریب التهذيب ( ص ١٦١ ) .

أما سبب النزول لهذه الآية فقال السيوطي في الدر المنثور ( ٢٩٨ / ٦ ) وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال : لما صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالأسارى عن بدر أنفق سبعة من المهاجرين على أسارى مشركى بدر منهم أبوبكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن وسعد وأبو عبيدة بن الجراح فقالت الأنصار : قتلناهم فسى الله وفي رسوله ، وتوفونهم بالنفقة فأنزل الله فيهم تسع عشر آية : " إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا " إلى قوله " عينا فيها تسمى سلسبيلا " وذكره أيضا الطائري في تفسيره ( ٣٧٠ / ٤ ) .

وحديفة (١) وسلمان (٢) وأبو ذر (٣) .

قوله تعالى ( يوفون بالنذر ) أى يوفون بأقوالهم (٤) وقيل :

(١) هو حديفة بن اليمان واسم اليمان : حُسَيْيل ( مصغراً ) ويقال : حَسَيْيل ( بكسر ثم سكون ) العبسي ( بالموحدة ) حليفاً لأنصار . كان أبوه قد أصاب دماً فهرب إلى المدينة فحالف بنى عبد الأشهل فسماه قومه اليمان لكونه حالف اليمانية .

قال ابن حجر فى التقریب (ص ٦٦) : صحابى جليل من السابقين صح فى مسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة ، وأبوه صحابى أيضاً استشهد بأحد ، ومات حديفة فى أول خلافة على سنة ست وثلاثين .

انظر أيضاً الإصابة ( ٣١٧ / ١ - ٣١٨ ) .

(٢) هو سلمان الفارسى أبو عبد الله ، ويقال له : سلمان بن الإسلام وسلمان الخير ، أصله من أصبهان ، وقيل من رامهرمز ، من أول مشاهد الخندق ، وكان قد سمع بأن النبى صلى الله عليه وسلم سيبعث فخرج فى طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة فاشتغل بالرق حتى كان أول مشاهد الخندق . مات سنة أربع وثلاثين ، يقال : بلغ ثلاثمائة سنة .

الإصابة ( ٦٢ / ٢ ) وتقریب التهذيب (ص ١٣٠) .

(٣) هو أبو ذر الغفارى الصحابى المشهور الزاهد الصادق اللهجة مختلف فى اسمه واسم أبيه - والمشهور أنه جندب بن جنادة . قال ابن حجر فى التقریب (ص ٤٠) : " تقدم إسلامه وتأخرت هجرته ، فلم يشهد بدرأً ومنلقبه كثيرة جداً ، مات سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان .

انظر أيضاً الإصابة ( ٦٢ / ٤ - ٦٤ ) . أما قول المؤلف ( وفى بعض التفاسير : وابن مسعود وحديفة وسلمان وأبو ذر ) فلم أجد من ذكره فى المصادر التى توصلت إليها . وأما ما ذكره من أن هذه الآية نزلت فى شأن أبى بكر ومن معه فقد أورده الألبوسى فى روح المعانى ( ١٥٥ / ٢٩ ) من رواية ابن عساکر . وقال : لم أراه لفرد غير ابن عساکر ولا وثوق لى بصحته . وهو يقتضى مدنية هذه الآيات وقد علمت الخلاف فى ذلك . نعم عند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار فى دار الإسلام ولا تعرف إليهم الواجبات .

(٤) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ - ولعل قصد المؤلف من ذلك ما ذكره عن الكلبى من قوله : يوفون بالعهد لمن عاهدوه .

ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٦٩ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ٢٤٢ / ٣٠ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٢٧ / ١٩ ) .

نفس النذر<sup>(١)</sup> ، والأول أولى ، لأن النذر مكروه على ما ورد في بعض الأخبار : إن النذر يستخرج به البخيل<sup>(٢)</sup> والمعنى : أن الجود لا يحتاج إلى النذر<sup>(٣)</sup> ، وعلى الجبلة الوفاء

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٢٦٩/٤) وعزاه إلى مجاهد والزمخشري في الكشاف (٤/٦٦٨) وقال : والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجره هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى .  
وذكر نحوه الرازي أيضاً في تفسيره (٣٠/٢٤١) ولكنه عزاه إلى الأصم - ثم قال : وهذا التفسير في غاية الحسن .

وذكره أبوحيان في البحر المحيط (٤/٣٩٥) فقال : والظاهر : أن المراد بالنذر ما هو المعمود في لشريعة أنه نذر .  
قال الأصم وتبعه الزمخشري : هذا مبالغة في وصفهم . . . ثم ذكره بمشمل ماتقدم . وذكر في الآية تأويل آخر وهو أن النذر هنا عام لما أوجبه الله تعالى وما أوجبه العبد على نفسه - فيدخل فيه الإيمان وجميع الطاعات ، لأن النذر معناه الإيجاب .

انظر تفسير الرازي (٣٠/٢٤٢) والبحر المحيط (٤/٣٩٥) .

(٢) كذا في النسختين ، والصواب ( من البخيل ) كما جاء في الحديث . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب القدر - باب إلقاء العبد النذر إلى القدر (١١/٤٩٩ ، رقم الحديث ٦٦٠٨ ، ٦٦٠٩) وأيضاً في كتاب الإيمان والنذور ، باب الوفاء بالنذر (١١/٥٧٥ رقم ٦٦٩٢ - ٦٦٩٤) ومسلم في صحيحه - كتاب النذر (١١/٩٧-٩٨) من حديث أبي هريرة وابن عمر باللفاظ متعددة ، وجاء في أحد اللفاظ لحديث ابن عمر : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر وقال : إنه لا يرد شيئاً ولكنه يستخرج به من البخيل .

(٣) نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/٥٨٠) عن البيضاوي قوله في معنى الحديث : عادة الناس تملق النذر على تحصيل منفعة أو دفع مضرة ، فنهى عنه لأنه فعل البخلاء إذ السخي إذا أراد أن يتقرب بادر إليه ، والبخيل لا تطاوعه نفسه باخراج شئ من يده إلا في مقابلة عوض يستوفيه أولاً ، فيلتزمه في مقابلة ما يحصل له ، وذلك لا يغني من القدر شيئاً فلا يسوق إليه خيراً . لم يقدر له ولا يرد عنه شراً قضى عليه . لكن النذر قد يوافق القدر فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه .

بالنذر محمود<sup>(١)</sup> . وقوله ( ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ) أى فاشياً<sup>(٢)</sup> ، وقيل :

ممتداً ، وقيل : منتشراً ، قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :  
(٥)

(١) بل هو واجب ، إذا كان في طاعة الله تعالى . يلزم الوفاء به - بدليل قوله صلى الله عليه وسلم \* من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه \* أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأيمان والنذور - باب النذر فى الطاعة ( ٥٨١ / ١١ - رقم الحديث ٦٦٩٦ ) من حديث عائشة رضى الله عنها وقد استدل ابن قدامة فى المغنى ( ١ / ٩ ) على صحة النذر فى الجملة ولزوم الوفاء به بالكتاب والسنة والإجماع ، فقال أما الكتاب فقول الله تعالى ( يوفون بالنذر ) سورة الإنسان الآية ٧ - وقال ( وليوفوا نذورهم ) سورة الحج الآية ٢٩ ، ثم ذكر من السنة حديث عائشة هذا ، وحديث عمران بن حصيين الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجى قوم يندرون ولا يفون . . . الحديث ، وهو أيضاً مما رواه البخارى . ثم قال : وأجمع المسلمون على صحة النذر فى الجملة ولزوم الوفاء به . . . أما حديث النهى عن النذر فاختلف فيه العلماء - فمنهم من حملته على ظاهره ومنهم من حملته على الكراهة ، وقد صرح ابن قدامة فى المصدر السابق بأن النذر غير مستحب . ثم ذكر حديث ابن عمر وقال : وهذا نهى كراهة لانهى تحريم لأنه لو كان حراماً لما مدح الموفين به لأن ذنبهم فى ارتكاب المحرم أشد من طاعتهم فى وفائه ، ولأن النذر لو كان مستحباً لفعله النبى صلى الله عليه وسلم وأفاضل أصحابه " ١ هـ .

انظر أيضاً أحكام القرآن لابن العربى ( ١٨٩٨ / ٤ ) وفتح البارى ( ٥٧٧ / ١١ )

(٢) هو قول ابن عباس : ذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٩٩ / ٦ ) من قوله وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٦٩ / ٤ ) وقال : قاله ابن عباس والأخفش : انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٣١ / ٨ ) .

(٣) قال الفراء فى معانى القرآن ( ٢١٦ / ٣ ) " ممتد البلا ، والعرب تقول : استطار الصدع فى القارورة وشبهها واستطال " . وذكره الماورى ( ٣٦٩ / ٤ ) وعزاه إلى الفراء ، وقال : ومنه قول الأعشى :  
فبانست وقد أوزت فى الفؤاء . . .  
ر صدعاً على تأيها مستطيراً  
أى ممتداً .

(٤) قال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن ( ص ٥٠٢ ) " أى فاشياً منتشراً ، يقال : استطار الحريق إذا انتشر ، واستطار الفجر : إذا انتشر الضوء " انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٣١ / ٨ ) وقيل فى معنى المستطير " سريعاً " ذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٦٩ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ٢٤٣ / ٣٠ ) وليس فى هذه المعانى خلاف كبير ولذلك فسره الزمخشري فى الكشاف ( ٦٦٨ / ٤ ) بقوله : " فاشياً منتشراً بالفسا أقصى المبالغ ، من استطار الحريق واستطار الفجر ، وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر " وقال الخازن فى تفسيره ( ١٩١ / ٧ ) " أى منتشراً فاشياً ممتداً ، وقيل : استطار خوفه فى أهل السموات والأرض " .

(٥) هو حسان بن ثابت الأندلسى شاعر النبى صلى الله عليه وسلم .



وَهَانَ عَلَى سَرَاهِ بَنِي لُؤَيٍّ (١) وَ (٢) حَرِيقٌ بِالْبُيُوتِ (٣) مَسْتَتِيرٌ (٤)

اي منتشر ، انتشار شر يوم القيامة في السموات والأرض : أما في السموات فتكوير  
شمسها ، وخسوف قمرها ، وانتشار كواكبها ، وطي السموات كطي السجل وما  
أشبه ذلك .

وأما شره في الأرض فقلع (٥) جبالها ، وطم أنهارها ، وإخرا ببناءها ، وكسر  
بعضها على بعض وما أشبه (٦) ذلك من تبدل الأرض وإهلاك الخلق وغيره . (٨)

(١) هو جمع سَرَىٍّ من غير قياس ، وهو من سَرَا يَسْرُو سَرَوًا وَيَسْرَى سَرَاءً إذا شرفه .  
انظر لسان العرب ٣٧٨/١٤ .

(٢) بنو لؤي : بطن من قريش ، من العدنانية ، وهم بنو لؤي بن غالب بن فهر بن  
مالك .  
انظر معجم قبائل العرب ٣/١٠١٩ .

(٣) البوية : هو موضع منازل بني النضير اليهود الذين غزاهم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فأحرق نخلهم وقطع زرعهم وشجرهم . معجم البلدان ١/٥١٢ .

(٤) البيت في ديوان حسان بن ثابت (ص ١١) .

(٥) في النسختين ( فتلع ) والصواب ما أثبتته ، لأن السياق يقتضيه .

(٦) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٧٠/١٢) " طَمَّ الماءُ يَطِمُّ طَمًّا وَطُمُومًا :  
عَلَا وَغَمَّرَ ، وَكَلَّ مَا كَسُرَ وَعَلَا حَتَّى غَلَبَ فَقَدْ طَمَّ يَطِمُّ " .

(٧) في نسخة " ب " ( وأشار بذلك ) .

(٨) روى ابن جرير في تفسيره ( ٢٩ / ٢٠٩ ) بسنده عن قتادة قوله : استطار واللسان

شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، وقال مقاتل في تفسيره ( ق ٣٧٨ / ب ) .  
" يعني كان شرًا فاشتياً في أهل السموات والأرض ، فانشقت السماء وتناشرت

الكواكب وفزعت الملائكة وكنوزت الشمس والقمر فذهب ضوءهما ، وبدلت

الأرض ونسفت الجبال وغارت المياه ، وتكسر كل شئ على الأرض من جبل أو بناء

أو شجر ففضا شر يوم القيامة فيها " . وأورد القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٨ )

عن قتادة ومقاتل قولها ما .

وقوله ( ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ) أى على حب الطعام وشهوتهم إياه  
وحاجتهم إليه . (١) وقوله ( مسكيناً ) هو المحتاج (٢) (ويتيماً) هو الذى لا أب له (٣) (وأسيرواً)

(١) هو قول الجمهور كما ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٤٣٣/٨) وذكره ابن جرير  
فى تفسيره (٢٠٩/٢٩) ورواه عن مجاهد ، وذكره البغوى فى تفسيره (١٩١/٧)  
دون عزو إلى أحد وذكره القرطبى فى تفسيره (١٢٨/١٩) من قول ابن عباس  
ومجاهد : على قلبه وحبه إياه وشهوتهم له \* وقال الماورى فى تفسيره (٣٦٩/٤)  
" فيه ستة أوجه \* ولم يذكر منها إلا ثلاثة - قال : ( أحدها ) على حب الطعام  
قاله مقاتل ، ( الثانى ) على شهوته . قاله الكلبي ، ( الثالث ) على قلبه ،  
قاله قطرب . وهذه الأقوال الثلاثة مؤداها واحد ، وعليها يعود الضمير فى  
قوله ( حبه ) على الطعام . وقيل : إنه يعود على الله تعالى لدلالة السياق  
عليه . ذكره المؤلف - كما سيأتى قريباً ان شاء الله - عن أبى سليمان الدارانى  
ولكن الأول هو الأظهر قال ابن كثير فى تفسيره (٤٥٤/٤) بعد ذكره للقول  
الثانى : والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أى : ويطعمون الطعام فى حال  
محبتهم وشهوتهم له - قاله مجاهد ومقاتل ، واختاره ابن جرير كقوله تعالى ( وآتى  
المال على حبه ) سورة البقرة الآية ١٧٧ وكقوله تعالى ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا  
ما تحبون ) سورة آل عمران الآية ٩٢ \* انتهى .

(٢) اختلفت الأقوال فى معنى المسكين وتحد يده . فقيل : الذى لا شىء له ، وقيل :  
الذى لا شىء له يكفى عياله . وقال ابن كثير فى تفسيره (٢٠٨/١) عند قوله  
تعالى ( وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ) سورة البقرة  
الآية ١٧٧ - ( والمساكين ) وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم  
وسكناهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم ، وفى الصحاح حين عن أبى هريرة :  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس المسكين بهذا الطواف الذى  
ترده الثمرة والتمرتان واللحمة واللحمة ، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه  
ولا يظن له فيصدق عليه \* انظر صحيح البخارى (٣/٣٤١ رقم ١٤٧٨) \*  
وصحيح مسلم (٧/١٢٩) وهذا هو المعتمد فى تعريف المسكين .  
انظر أيضاً لسان العرب (١٣/٢١٤) .

(٤) ذكر ابن منظور فى لسان العرب (١٢/٦٤٥) عن الليث قوله : \* اليتيم الذى مات  
أبوه فهو يتيم حتى يبلغ ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم \* . وقال البغوى فى تفسيره  
(١٩١/٧) \* ( ويتيماً ) صغيراً لا أب له \* .  
وقال ابن كثير فى تفسيره (٢٠٨/١) عند الآية السابقة : \* ( واليتامى ) هم  
الذين لا كاسب لهم ، وقد مات أبواهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدر  
على التكسب \* . ثم ذكر مارواه عبد الرزاق بسنده عن على مرفوعاً : لا يتم بعد  
حلم \* .

قال سعيد بن جبير : هو المحبوس المسجون ، ، (١)  
وعن مجاهد وقادة وجماعة : هو الأسير من المشركين . (٢)

(١) هو قول مجاهد أيضا .

قال ابن جرير في تفسيره (٢١٠/٢٩) : وقال آخرون : عنى بذلك :  
المسجون من أهل القبلة " ثم رواه عن مجاهد وسعيد بن جبير .  
وقال الماوردي في تفسيره (٣٧٠/٤) : في الأسير ثلاثة أقاويل : (أحدها)  
أنه المسجون المسلم - قاله مجاهد - وقال البغوي في تفسيره (١٩١/٧) : قال  
مجاهد وسعيد بن جبير : هو المسجون من أهل القبلة " . وكذا ذكره  
ابن الجوزي في زاد المسير (٤٣٣/٨) وعزاه إلى عطاء ومجاهد وابن جبير .  
انظر أيضا الكشاف (٦٦٨/٤) وتفسير الرازي (٢٤٥/٣٠) وتفسير القرطبي  
(١٢٩/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٥٤/٤) .

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٠٩/٢٩) ورواه عن قتادة والحسن . وذكره الماوردي  
في تفسيره (٣٧٠/٤) وعزاه إلى الحسن وسعيد بن جبير . وذكره البغوي في  
تفسيره (١٩١/٧) من قول قتادة . وابن الجوزي في تفسيره (٤٣٣/٨) ،  
والزمخشري في الكشاف (٦٦٨/٤) والرازي في تفسيره (٢٤٥/٣٠) كلهم  
من قول قتادة والحسن .

وذكره القرطبي في تفسيره (١٢٩/١٩) من قول ابن عباس وقادة - وقال :  
" وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة وابن عباس " . وذكر بعض المفسرين في  
معنى الأسير أقوالاً أخرى . منها ما ذكره الماوردي والبغوي وابن الجوزي والقرطبي  
والرازي وابن كثير - أنه العبد ، وعزاه أكثرهم إلى عكرمة . وقيل : إنه المرأة ، ذكره  
البغوي وابن الجوزي والرازي والقرطبي . وعزاه بعضهم إلى أبي حمزة الثمالي ،  
كما ذكر بعضهم في مسانده حدِيث " استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم " .  
أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب النكاح - باب حق الزوج على المرأة (١/٥٦٨ -  
٥٦٩) . وذكر الماوردي وجهاً آخر بلفظ الاحتمال - وهو أن يريد بالأسير  
الناقص العقل ، لأنه في أسر خيله وجنونه - وقيل : الأسير هو الغريم - ذكره  
الزمخشري والرازي والخازن في تفسيره (١٩١/٧) والدليل على ذلك قول النبي  
صلى الله عليه وسلم : غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك " . أما الراجح من هذه  
الأقوال فقد ذهب ابن جرير بعد ذكره للقولين الأولين إلى أن اسم الأسير يشتمل  
على الغريقين (أى المشركين والمسلمين) ، وقد عم الخبر عنهم أنهم يطعمونهم -  
فالخبر على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له " انظر تفسيره (٢١٠/٢٩) . وقال  
القرطبي في تفسيره (١٢٩/١٩) بعد ذكره للأقوال السابقة : " وكان هذا القول عام  
يجمع جميع الأقوال ، ويكون اطعام الأسير المشرك قرية إلى الله تعالى ، غير أنه من  
صدقة التطوع ، فأما الغريضة فلا ، والله أعلم " . أما ابن كثير فقد ذكر كلاماً يدل  
على أن ابن جرير ذهب إلى اختيار قول عكرمة وهو أن الأسير هو العبد فإنه قال بعد  
ذكره لهذا القول : اختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك " .

وعن أبي سليمان الداراني (١) : على حب الله . (٢)

واختلف القول فيمن نزلت هذه الآية - فأصح الأقاويل أن الآية على العموم ، (٣)  
والقول الثاني : إنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين رواه عمرو بن عبيد (٤) - (٥) - (٦) (٧)  
عن الحسن البصري . (٨)

وحكى عن ابن عباس ذلك في بعض الروايات ، وفي القصة : أن علياً وفاطمة

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية ، أبو سليمان الداراني من أهل داريا وهي ضيعة إلى جنبد مشق ، كان أحد عباد الله الصالحين ومن الزهاد الصالحين ورد بغداد وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام فأقام بداريا حتى توفي . توفي سنة خمس أو خمس عشرة ومائتين . تاريخ بغداد ٢٥٠/١٠ .

(٢) تقدمت الإشارة إليه ، وذكره عنه من المفسرين ابن الجوزي في زاد المسير (٤٣٣/٨) وأبو حيان في البحر المحيط (٣٩٥/٨) والقرطبي في تفسيره (١٢٨/١٩) .

(٣) قال القرطبي في تفسيره (١٣٠/١٩) "والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ، ومن فعل فعلاً حسناً ، فهي عامة" .

(٤) هي فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم الهاشمية - أم الحسنين تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة ، وماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر ، وقد جاوزت العشرين بقليل . انظر الإصابة ٣٧٧/٤ - ٣٨٠ ، تقريب التهذيب ٤٧١ .

(٥) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته ، أمير المؤمنين أبو محمد ولد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه ، مات سنة خمس وقليل بعدها . انظر الإصابة (٣٢٨/١ - ٣٣١) وتقريب التهذيب (ص ٧٠) .

(٦) هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته حفظ عنه - استشهد يوم عاشوراء سنة احدى وستين ، وله ست وخمسون سنة . انظر الإصابة ٣٣٢/١ - ٣٣٥ ، وتقريب التهذيب ٧٤ .

(٧) هو عمرو بن عبيد بن باب (بموحدين) التميمي مولا هم أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور ، كان داعية إلى بدعة ، اتهمه جماعة مع أنه كان عبداً - مات سنة ثلاث وأربعين أو قبلها . تقريب التهذيب (ص ٢٦١) .

(٨) ذكر الماوردي في تفسيره (٣٧١/٤) أنه حكاه عمرو عن الحسن أنها نزلت في علي وفاطمة .

أصبحت صائمين ، فهيات فاطمة ثلاثة أقراص من شعير لتأكل قرصاً بنفسها ويأكل على قرصاً وللحسن والحسين قرص ، فلما كان المساء جاء مسكين فأعطوه أحد الأقراص ، ثم جاء يتيم فأعطوه القرص الثاني ، ثم جاء أسير فأعطوه القرص الثالث وطووا .<sup>(١)</sup>

وفي رواية : أن علياً كان أجر نفسه من يهودى يستقى له بشى من شعير وحمل ذلك الشعير إلى فاطمة وأعدت منه الأقراص الثلاثة .<sup>(٢)</sup> وفي بعض الروايات : أن ذلك كان في ثلاث ليال<sup>(٣)</sup> والله أعلم . وفي هذه الرواية خبط كثير تركنا ذكره .<sup>(٤)</sup>

(١) هو من الطوى : وهو الجوع . انظر لسان العرب (٢٠/١٥) والقصة ذكرها مختصراً الماوردى في تفسيره (٣٧١/٤) وفي ذلك قصة طويلة مشهورة رواها الثعلبي في تفسيره (١/١٦/١٣) من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ومن رواية الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس . وجاء في هذه القصة : أن الحسن والحسين مرضا ، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس معه : فقالوا : يا أبا الحسن : لسو نذرت على ولدك ، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ، إن برآ مما بهما أن يصوماً ثلاثة أيام - إلى آخر القصة ، وفي أثنائها أشعار لعلى وفاطمة .

وقد سرد هذه القصة بطولها وذكر اختلاف الألفاظ فيها القرطبي في تفسيره (٣٠/١٩-١٣٤) وعزاها إلى النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين - وأشار إلى أن القصة رواها جابر الجعفي عن قنبر مولى علي - أيضاً .

(٢) ذكره الواحدى في أسباب النزول (ص ٣٣١) والبغوى في تفسيره (١٩١/٧) ، وابن الجوزى في زاد المسير (٤٣٢/٨) من رواية عطاء عن ابن عباس .

(٣) انظر هذه الرواية في تفسير القرطبي (١٣٣/١٩) .

(٤) إن هذه القصة إلى جانب اختلاف كثير في سياقها لا تصح سنداً كما صرح به القرطبي في تفسيره (١٣٠/١٩) وقال الحكيم الترمذى في نوادر الأصول (٦٥-٥٤) " ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث رووه عن مجاهد عن ابن عباس ، فذكره بشغره - ثم ذكر أنه حديث مزوق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل " . وقال أبو حيان في البحر المحيط (٣٩٥/٨) : وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جداً ظاهرة الاختلاف وفيها اشعار للمسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة وأشعار لفاطمة رضى الله عنها تخاطب كل واحد منهم ظاهرة الاختلاف لسفساف ألفاظها وكسر أبياتها وسفاطة معانيها " .

٠٠/٠٠

وذكر الرازي في تفسيره ( ٢٤٤ / ٣٠ ) أن قوله تعالى ( إن الأبرار يشربون ) صيغة جمع فيتناول جميع الشاكرين والأبرار ، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد ، لأن ذلك يفسد نظم السورة ، وذكر أيضا أن الموصوفين بهذه الصفات المذكورون بصيغة الجمع فتخصيصه بجمع معينين خلاف الظاهر ، ولا ينكر دخول علي بن أبي طالب فيه ، ولكنه أيضا داخل في جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين ، فكما أنه داخل فيها فكذا غيره من أتقيا الصحابة والتابعين داخل فيها ، فحينئذ لا يبقى للتخصيص معنى البتة .

ويضاف إلى هذا أن ما جاء في هذه القصة من تصدق علي رضي الله عنه يخالف ما ثبت بالقرآن والسنة - فقد قال تعالى " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " ( سورة البقرة الآية ٢١٩ ) والعفو : هو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك ، وكذلك ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى " وأبدأ بنفسك شيم من تعول " وقد دل القرآن والسنة على أن الله تعالى افترض على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم ، وبعد ذلك أي حسب عاقل أن علياً رضي الله عنه جهل هذا الأمر حتى أجهد صبياناً صفاراً من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن ؟ حتى تضوروا من الجوع . وغارت الميون منهم ، لخلاف أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد ؟ وهبأنه أثر على نفسه هذا السائل ، فهل كان يجوز أن يحمل أهله على ذلك ؟ وهبأن أهله سمحت بذلك لعلي فهل جازله أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام ولياليهن ؟ ما يروج مثل هذا إلا على حمقى جهال ، أبي الله لظوب متنبهة أن تظن بعلي مثل هذا ، انتهى بتصريف من نوادر الأصول (ص ٦٥) .

والخلاصة : إن القصة آثار الوضع ظاهرة عليها لفظاً ومعنى وسنداً . وطسى ذلك لم يتعرض لذكرها ابن جرير وابن كثير في تفسيرهما . وهذا لا يعني أن الآية لا تشمل علياً وأهل بيته بل بالعكس فإنها تشملهم كما تشمل غيرهم من الأبرار من الصحابة والتابعين وغيرهم .

وقيل : أن الآية نزلت في أبي الدرداء<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ) أى جزاءً بالفعل ولا ثناءً بالقول<sup>(٢)</sup> : وفى التفسير : أنهم لم يقولوا هذا القول ولكنه كان فى ضميرهم فأخبر الله تعالى على ما كان فى ضميرهم . قوله ( إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ) لأن الوجوه تنعيس فيه<sup>(٣)</sup> ، وأضاف العبوس إلى اليوم على طريق

( ١ ) كذا فى النسختين ( أبى الدرداء ) والصواب ( أبى الدحداح ) .  
فقد ذكر مقاتل فى تفسيره ( ق ٣٧٩ / ١ ) ونقل عنه ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٣٢ / ٨ ) أن الآية نزلت فى أبى الدحداح الأنصارى صام يوماً ، ظمأ أراد أن يفطر جماعة مسكين ، ويتيمم ، وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة ، وبقي له ولاهله رغيف واحد ، فنزلت فيهم هذه الآية . وذكره البغوى أيضاً عن مقاتل ولكنه قال " نزلت فى رجل من الأنصار أطعم فى يوم واحد مسكيناً ويتيماً وأسيراً " .  
وقال الخازن : قيل : نزلت فى رجل من الأنصار يقال له أبوالدحداح " انظر تفسيرهما ( ١٩١ / ٢ ) وهناك قول آخر ذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٧١ / ٤ ) عن الضحاك عن جابر : أنها نزلت فى مطعم بن ورقاء الأنصارى نذر نذراً فوفسأه " انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٣٠ / ١٩ ) .

( ٢ ) قال الماورى فى تفسيره ( ٣٧٠ / ٤ ) فى تفسير قوله تعالى ( لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ) : جزاءً بالفعال ، وشكوراً بالمقال .  
انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٣٤ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ١٣٠ / ١٩ ) والبحر المحييط ( ٣٩٥ / ٨ ) .

( ٣ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٢١٠ - ٢١١ / ٢٩ ) بسنده عن مجاهد وسعيد بن جبير ، ولفظ سعيد بن جبير : أما والله ما قالوه بالسنتهم ولكن علمه الله من قلوبهم ، فأثنى عليهم ليغرب فى ذلك راغب " . وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٧٠ / ٤ ) عن مجاهد . وذكره البغوى فى تفسيره ( ١٩٢ / ٧ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٥٥ / ٤ ) .  
( ٤٣٤ / ٨ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٣٠ / ١٩ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٥٥ / ٤ ) ، كلهم من قول مجاهد وسعيد بن جبير ، وذكر الزمخشري فى الكشاف ( ٦٦٨ / ٤ ) فى هذه الآية وجهين فقال : يجوز أن يكون قولاً باللسان منعاً لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر ، لأن إحسانهم مفعول لوجه الله ، فلا معنى لمكافأة الخلق ، وأن يكون قولهم لطفاً وتفقيهاً وتنبيهاً على ما ينبى أن يكون عليه من إخلاص لله ، ثم قال : ويجوز أن يكون ذلك بياناً وكشفاً عن اعتقادهم وضحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئاً " وذكر قول مجاهد . انظر أيضاً تفسير الرازى ( ٣٤٦ / ٣٠ ) والبحر المحييط ( ٣٩٥ / ٨ ) وصرح أبوحيان بأن ما ذكره الزمخشري أولاً هو الظاهر وفى كلا القولين هو على إضمار القول ( أى يقولون ) .

( ٤ ) قال ابن قتبية فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٠٢ ) ( يوماً عبوساً ) أى يوماً تعبس فيه الوجوه ، فجعل عبوساً من صفة اليوم ، كما قال ( فى يوم عاصف ) ( سورة ابراهيم الآية ١٨ ) عاصف الريح ، انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٣٤ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ١٣٥ / ١٩ ) .

(١) ومعنى ( نخاف من ربنا يوماً ) أى من عذاب يوم وقوله ( قمطريوا ) أى ٣٠٨ ب / شد يدأ :- يقال : يوم قمطريير وقماطر إذا اشتد فيه الأمر - قال الشاعر (٤) :  
بنى عمّنا هل تذكرون بلائنا  
عليكم إذا ما كان يوم "قماطري" (٥)

(١) قال الزمخشري فى الكشاف (٦٦٩/٤) " ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين :  
أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء ، كقولهم : نهارك صائم ، روى ( عن ابن عباس )  
أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران ، وأن يشبهه  
فى شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل " .

وشرح الخازن أيضاً فى تفسيره (١٩٢/٧) بأن وصف ذلك اليوم بالعبوس  
مجاز ، كما يقال : نهاره صائم ، والمراد أهله ، وقال : والمعنى : تعبس فيسه  
الوجه من هولته وشدته ، وقيل : وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة " .  
انظر أيضاً تفسير الرازى (٢٤٧/٣٠) والبحر المعيط (٣٩٥/٨) وتفسير  
الشعالبي (٣٧٣/٤) .

(٢) لم أجد من ذكر هذا التقدير .  
قال القرطبي فى تفسيره (١٣٥/١٩) بعد ذكره لمعنى ( عبوساً ) " فالمعنى :  
نخاف يوماً ذا عبوس " . والذى ذكره المؤلف غير خطأ ، فإنه لا يخاف ذلك اليوم  
إلا لما يوجد فيه من الشدة والعذاب .

(٣) قال الفراء فى معانى القرآن (٢١٦/٣) " والسقمطريو : الشديد ، يقال : يــــوم  
قمطريو ، ويوم قماطر " وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٠٢) : ( والقمطريو )  
الصعب الشديد ، يقال : يوم قمطريو وقماطر : إذا كان صعباً شديداً أشد ما يكون  
من الأيام وأطولها فى البلاء ، ويقال : المعبس الوجه " اهـ . انظر أيضاً المفردات  
للراغب (ص ٤١٣) . وذكر المفسرون فى معنى العبوس والقمطريو عدة أقوال :  
أحدها هو ما تقدم يعنى : أن العبوس الذى يعبس الوجه من شره و والقمطريو :  
الشديد - قاله ابن زيد - وهو قول الفراء وابن قتيبة والثانى : أن العبوس الضيق ،  
والقمطريو الطويل ، قاله ابن عباس والثالث : أن العبوس بالشفقتين ، والقمطريو :  
بالجبهة والحاجبين ، فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم " .  
قاله مجاهد .

انظر تفسير ابن جرير (٢١١-٢١٢/٢٩) وتفسير الماورى (٣٧٠/٤) وتفسير  
البغوى (١٩٢/٧) وتفسير القرطبي (١٣٥/١٩) وتفسير الخازن (١٩٢/٧) ،  
وتفسير الرازى (٢٤٧/٣٠) وتفسير ابن كثير (٤٥٥/٤) وقال ابن كثير بعد أن ذكر  
هذه الأقوال : وأوضح العبارات واجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس " .  
يقصد بذلك ما رواه عكرمة وغيره عن ابن عباس : بلفظ : " يعبس الكافر يومئذ حتى  
يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران " .

(٤) لم أتمكن من معرفته .

(٥) استشهد بهذا البيت غير منسوب لأحد الفراء فى معانى القرآن (٢١٦/٣) وقال :  
أشدنى بعضهم - والبيت أيضاً فى تفسير الطبرى (٢١١/٢٩) وأعراب القرآن للنحاس  
(٥٧٦/٣) وزاد المسير (٤٣٥/٨) وتفسير القرطبي (١٣٥/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٥٥/٤)  
وفى لسان العرب (١١٦/٥) ( مادة قمطر ) وهو غير منسوب عند الجميع .



وقوله تعالى ( فواقهم الله شر ذلك اليوم نصرته وسرورا ) أى نصرته فى الوجه  
وسروراً فى القلوب ، والنصرة هو الحسن فى الوجوه من النعمة وهو التمتع <sup>(٢)</sup> وقولسه  
( وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ) على الأمر والنهى ، وقيل : على المحن والشدائد  
وعلى الجوع مع ايشار <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) هو قول الحسن وقتادة . رواه عنهما ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ٢١٣ / ٢٩ ) ،  
وقد ذكره البخارى فى صحيحه ( ٣١٧ / ٦ ) تعليقاً ، والماوردى فى تفسيره  
( ٣٧١ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٣٥ / ٨ ) من قول الحسن . وذكره  
القرطبى فى تفسيره ( ١٣٦ / ١٩ ) من قول الحسن ومجاهد وذكره ابن كثير فى  
تفسيره ( ٤٥٥ / ٤ ) وعزاه إلى الحسن البصرى وقتادة وأبو العالية والربيع بن  
أنس ، ثم قال : وهذه كقوله تعالى \* ( وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة )  
( سورة عبس الآية ٣٨ ، ٣٩ ) وذلك أن القلب إذا سرائتار الوجه \* .

( ٢ ) قال الراغب فى المفردات ( ص ٤٩٦ ) \* النَّصْرَةُ الحُسْنُ كالتَّضَارَةِ \* . وقال ابن منظور  
فى لسان العرب ( ٣١٢ / ٥ ) \* والنصرة نعيم الوجه \* .

وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٣٧١ / ٤ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٣٦ / ١٩ )  
فى معنى النصرة ثلاثة أقوال :  
أحدها : أنها البياض والنقاء قاله الضحاك .  
والثانى : الحسن والبهاء ، قاله ابن جبير .  
والثالث : أنها أثر النعمة . قاله ابن زيد .

( ٣ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٢١٣ / ٢٩ ) فى تفسير الآية : \* يقول تعالى ذكره :  
وأثابهم الله بما صبروا فى الدنيا على طاعته ، والعمل بما يرضيه عنهم الجنة  
وحريراً \* .

ثم روى بسنده عن قتادة قوله : وجزاهم بما صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن  
معصيته ومحارمه ، جنة وحريراً .

وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٧١ / ٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ١٩٢ / ٧ ) والقرطبى  
فى تفسيره ( ١٣٦ / ١٩ ) دون عزو إلى أحد .  
وقال القرطبى : وهذا على أن الآية نزلت فى جميع الأبرار ومن فعل فعلاً حسناً \* .

( ٤ ) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ .

وقال البغوى فى تفسيره ( ١٩٢ / ٧ ) \* قال الضحاك : على الفقر ، وقال  
عطاء : على الجوع . انظر أيضاً تفسير القرطبى ( ١٣٦ / ١٩ ) وقال الخازن فى  
تفسيره ( ١٩٢ / ٧ ) بعد ذكره للقول الأول \* وقيل : على الفقر والجوع مع الوفاء  
بالنذر والإيثار \* وكل هذه الأقوال تؤيد معنى واحداً ، كما أن الآية تشمل جميع  
أنواع الصبر ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصبر قال : الصبر أربعة : -  
أولها عند الصدمة الأولى والصبر على الفرائض ، والصبر على اجتناب محارم الله والصبر  
على المصائب \* . ذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٣٦ / ١٩ ) .

وقوله ( جنة وحريرا ) أى البساتين والشباب من الديباج (١) . قوله تعالى ( متكئين فيها على الأرائك ) الأرائك هى السرور فى الحجال (٢) عليها الفرش والعسرب لاتسميها أريكة إلا إذا كانت فى حجلة (٤) .

وقوله تعالى ( لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً ) أى : حراً ولا بـ—————رداً (٥)

( ١ ) قال البغوى فى تفسيره ( ١٩٢/٧ ) " قاله الحسن : أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير " .

( ٢ ) فى النسختين ( السرور ) والصواب ( سرر ) جمع سرير .

( ٣ ) قال الجوهري فى الصحاح ( ١٦٦٧/٤ ) " والحجلة بالتحريك : واحدة حجال العروس ، وهى بيت يزين بالشباب والأسرة والستور " .

( ٤ ) قال الجوهري فى المصدر السابق ( ١٥٧٢/٤ ) " والأريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة ، والجمع : الأرائك " .

انظر أيضاً تفسير ابن جرير ( ٢١٣/٢٩ ) وتفسير البغوى ( ٢٩٢/٧ ) وتفسير الرازى ( ٢٤٧/٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٣٧/١٩ ) ، وقد ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٣٧١/٤ ) فى تفسير الأرائك قولين : أحدهما : أنها الأسرة . قاله ابن عباس . والثانى : أنها كل ما يتكأ عليه ، قاله الزجاج .

( ٥ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٢١٣/٢٩ ) " وقوله ( لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً ) يقول تعالى ذكره : ( لا يرون شمساً فيؤذ بهم حرها ، ولا زمهرياً : وهو البسرد الشديد فيؤذ بهم بردها . ثم روى بسنده عن قتادة أنه قال : إن شدة الحر تؤذى ، وشدة القرتؤذى ، فوقاهم الله أذاهما .

وقال البغوى فى تفسيره ( ١٩٢/٧ ) " أى صيفا ولا شتاء ، قال مقاتل : يعنى شمساً يؤذ بهم حرها ولا زمهرياً يؤذ بهم برده لأنهما يؤذيان فى الدنيا " . وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٣٥/٨ ) " والمعنى : لا يجدون فيها الحر والبرد " هذا وقد ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٣٧٣/٤ ) فى المراد بالشمس وجهين وفى المراد بالزمهريو ثلاثة أوجه - فقال : أما المراد بالشمس فففيه وجهان : أحدهما : أنهم فى ضياء مستديم لا يحتاجون فيه إلى ضياء ، فيكون عدم الشمس مبالغة فى وصف الضياء ، الثانى : أنهم لا يرون فيها شمساً فيتأذون بحرها ، فيكون عدمها نفيًا لأذاها .

وفى الزمهيرى ثلاثة أوجه : أخذها أنه البرد الشديد ، قال عكرمة : لأنهم لا يرون فى الجنة حراً ولا برداً ، الثانى : أنه لون من العذاب ، قاله ابن مسعود الثالث : أنه فى هذا الموضع القمر ، قاله اشعلب .

وقال : معناه أنهم فى ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار ، لأن ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر " وقد مال إليه القرطبي وجوهه ، ولكن أكثر المفسرين اختاروا المعنى الأول ( يعنى لا شمس يؤذ بهم حرها ولا زمهريو يؤذ بهم بردها .

انظر تفسير القرطبي ( ١٣٨/١٩ ) وأيضاً ( ١٢٧/١١ ) وراجع أيضاً تفسير الكشاف ( ٦٧٠/٤ ) وتفسير الرازى ( ٢٤٨/٣٠ ) وتفسير الخازن ( ١٩٢/٧ ) .

( ١ )

قال الشاعر :

مُنْمَمَةٌ طَفَلَةٌ مَسَاهُ لَمْ تَرَوْ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (٢)

قوله تعالى ( ودانية عليهم ) نصب ( ودانية ) عطفاً على قوله ( متكئين ) (٣)

وقوله ( عليهم ظلالها ) أي ظلال الحجال . (٤)

( ١ ) هو الأعمى .

( ٢ ) كذا في النسختين وهو في ديوان الأعمى (ص ٨٦) هكذا :

مبتله الخلق مثل المهـ : : لم تر شمساً ولا زمهريراً  
 وأنشده القرطبي أيضاً في تفسيره (١٣٧/١٩) فقال :  
 مُنْمَمَةٌ طَفَلَةٌ كَالْمَهـ : : لَمْ تَرَوْ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا

( ٣ ) هذا الوجه ذكره الطبري في تفسيره (٢١٤/٢٩) وأبو جعفر النحاس في اعراب

القرآن (٥٧٧/٣) والرازي في تفسيره (٢٤٨/٣٠) وعزاه إلى الأعمى  
 والكسائي والفراء والزجاج ، وذكر أنه كما يقال : في الدار عبد الله متكئاً ومرسلة

عليه الحجال ، وذكره القرطبي في تفسيره (١٣٩/١٩) ، وأبو حيان في البحر  
 المحيط (٣٩٤/٨) وعزاه إلى الزجاج .

وفي نصب " دانية " أوجه أخرى :-

منها أنها حال بالمعطف على محل ( لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ) ،  
 والتقدير : غير راثنين فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها ، وقيل :  
 إنها نعت للجنة ، والمعنى : وجزاهم جنة دانية ، فهي صفة لموصوف  
 محذوف . وقيل : إنها منصوبة على المدح .

انظر معاني القرآن (٢١٦/٣) وتفسير الطبري (٢١٤/٢٩) واعراب

القرآن (٥٧٧/٣) والكشاف (٦٧١/٤) وتفسير البغوي (١٩٢/٧) وتفسير

الرازي (٢٤٨/٣٠) وتفسير القرطبي (١٣٩/١٩) .

( ٤ ) قال البغوي في تفسيره (١٩٢/٧) في تفسير الآية : " أي قريبة منهم ظلال  
 أشجارها " .

وهكذا فسره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٣٦/٨) وقال القرطبي فسي

تفسيره (١٣٨/١٩) :

" قوله تعالى ( ودانية عليهم ظلالها ) أي ظل الأشجار في الجنة قريبة  
 من الأبواب ، فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس ولا قمر شم ،  
 كما أن أشاطهم الذهب والفضة ، وإن كان لا وسخ ولا شعث " .

وهذا أحسن مما ذكره المؤلف ، فإنهم يكونون في داخل الحجال ، فلا

معنى لقرب ظلالها .

وقوله ( وَذَلَّلْتُ قَطُوفَهَا تَدْلِيلًا ) أى : أدنبت قطوفها إليهم - وفى التفسير :  
 أنهم إذا قاموا ارتفعت إليهم وإذا قعدوا تدللت إليهم وإذا اضطجعوا دنت منهم  
 وقيل : لا يمنعهم منها بعد ولا شوك .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٠٣) ( وذللت قطوفها ) أى : أدنبت  
 منهم من قولك : حائط ذليل ، إذا كان قصير السمك \* .  
 وذكره الرازى فى تفسيره ( ٢٤٨ / ٣٠ ) من قول ابن قتيبة . وأشار إليه الزمخشري فى  
 الكشف ( ٦٧١ / ٤ ) .  
 وقال السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٠٠ / ٦ ) : أخرج عبد بن حميد عن الضحاك  
 ( وذللت قطوفها تذليلة ) قال : أدنبت منهم يتناولونها وهم متكئون \* .

( ٢ ) روى نحوه ابن جرير فى تفسيره ( ٢١٥ / ٢٩ ) بسنده عن مجاهد قال : إذا قام  
 ارتفعت بقدره ، وإن قعد تدلت حتى ينالها وإن اضطجع تدلت حتى ينالها ، فذللك  
 تذليلة .  
 وذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٠٠ / ٦ ) عن مجاهد ، وعزاه إلى عبد بن حميد .  
 انظر أيضا تفسير الماورى ( ٣٧٢ / ٤ ) وتفسير القرطبى ١٣٩ / ١٩ وتفسير  
 ابن كثير ( ٤٥٦ / ٤ ) .

( ٣ ) هو قول قتادة . رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٢١٥ / ٢٩ ) بسنده عن قتادة ، بلفظ :  
 لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك \* . وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٧٢ / ٤ ) ،  
 انظر أيضا الكشف ( ٦٧١ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٢٤٨ / ٣٠ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٥٦ / ٤ ) .  
 وذكر الماورى فى معناه احتمالاً آخر فقال : " ويحتمل ( ثالثاً ) أن يكون تذليلة  
 قطوفها أن تبرز لهم من أكمامها وتخلص من نواها \* .  
 وليس هناك مانع من أن يواد القولان الأولان . وقد روى عن البراء بن عازب موقوفاً  
 قال : إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً وضطجعين ، وعلى أى  
 حال شاءوا \* . أخرجه سعيد بن منصور عن شريك عن أبى اسحاق عنه كما ذكره  
 ابن حجر فى فتح البارى ( ٦٨٥ / ٨ ) .

أما ما ذكره الماورى بلفظ الاحتمال فاستبعده القرطبى فى تفسيره ( ١٣٩ / ١٩ )  
 فقال بعد إيواذه له : وفى هذا بعد \* . ثم ذكر ما أخرجه حسين المروزي  
 فى زياداته على الزهد لابن المبارك (ص ٥٢٣) بسنده عن ابن عباس موقوفاً : نخل  
 الجنة كريبها ذهب أحمر ، وجذوعها زمرود أخضر وسعفها كسوة لأهل الجنة ، منها  
 مقطعاتهم وحللتهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أحلى من العسل وألين من  
 الزبد ليس له عجم وأخرجه أيضا الحاكم فى مستدركه ( ٤٧٥ / ٢ ) وصحح اسناده  
 ومعنى القطوف فى الآية : الثمر ، واحدها " قِطْف " كما قال ابن قتيبة فى تفسيره  
 غريب القرآن (ص ٥٠٣) .

وقوله ( وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ) والأكواب هي الأباريق التي لا خراطيم لها ، وأحدها كُوبٌ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى ( كانت قواريرا ) قواريرا . قال الشعبي : لها صفاة القوارير وبياض الفضة <sup>(٢)</sup> . وعن ابن عباس : أنه لو أخذت قطعة من فضة وجعلت في الزقعة كجناح ذباب لم يمر من داخله ، وفضة الجنة

( ١ ) قال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥٠٣) \* كيزان لا عرى لها ، واحد ها كوب \* .

وذكره البخاري في صحيحه ( ٣١٨/٦ ) فقال : \* والكوب : مالا أذن لسه ولا عروة ، والأباريق : ذوات الأذان والمرى \* .

وقال ابن جرير في فتح الباري (٣٢٢/٦) \* وهو قول الفراء سوا ، وروى عبد بن حميد من طريق قتادة قال : الكوب الذي دون الأبريق ليس له عروة \* .

انظر أيضا تفسير القرطبي (١٤٠/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٥٦/٤) .

( ٢ ) أورد عنه السيوطي في الدر المنثور (٣٠١/٦) بلفظ \* صفاؤها صفاة القوارير وهي من فضة \* . وعزاه إلى عبد بن حميد - وذكره الماوردي في تفسيره (٣٧٢/٤) بلفظ \* أنها من فضة في صفاة القوارير وعزاه إلى الشعبي \* وقال البغوي في تفسيره (١٩٢/٧ - ١٩٣) .

قال المفسرون : أراد ببياض الفضة في صفاة القوارير فهي من فضة في صفاة الزجاج يرى ما في داخلها من خارجها \* .  
وقال الفراء في معاني القرآن (٢١٧/٣) \* يقول : كانت كصفاة القوارير ، وبياض الفضة ، فاجتمع فيها صفاة القوارير ، وبياض الفضة \* .

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٤٣٦/٨) عن الفراء وابن قتيبة أنهما قالوا : هذا على التشبيه ، المعنى : كأنها من فضة ، أي : لها بياض كبياض الفضة وصفاة كصفاة القوارير \* .

وقال ابن القيم في حادي الأرواح (ص ١٣٣) بعد ذكره للآية \* فالقوارير هي الزجاج فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة ، وأنها بصفاة الزجاج وشفافته وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها ، وقطع سبحانه توههم كون تلك القوارير من زجاج فقال : ( قوارير من فضة ) ثم أشار إلى قول ابن قتيبة وقال : وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة ، و" من " ههنا لبيان الجنس ، كما تقول : خاتم من فضة ، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة بل : جنسه ومادته الفضة ، ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير وهو الزجاج ، وليس في ذلك اشكال لما ذكرناه \* .

انظر أيضا تفسير ابن كثير (٤٥٦/٤) .

بوى من داخلها (١) - فهو فى صفا القوارير على هذا المعنى ، وعنه أيضا : أن القوارير فى الدنيا أصلها من الرمل ، فإذا كان أصلها من الفضة فكيف يكون فى الحسن والصفاء (٢) - وعنه أيضا : أنه لا يشبه شىء فى الجنة شيئاً فى الدنيا ، وإنما فى الدنيا إلا أسامى ما فى الجنة فحسب (٣) . وقوله ( قوارير من فضة قدروها تقديرا ) أى مقدرة على قدر الرسمى لا زيادة ولا نقصان (٤) ، وقيل : على قدر الكسف

(١) رواه عبد الرزاق فى تفسيره (ق ١٦٥ / ١) عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : " إنك لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر الماء من ورائها ولكن قوارير الجنة بياض الفضة فى صفا القوارير " وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٠٠ / ٦ ) وعزاه إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور والبيهقى فى البعث من طريق عكرمة عن ابن عباس .

ذكره القرطبى أيضا فى تفسيره ( ١٤١ / ١٩ ) .

(٢) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٧٢ / ٤ ) بلفظ : " قال ابن عباس : قوارير كسل أرض من تربتها ، وأرض الجنة الفضة لذلك كانت قواريرها فضة " وذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٣٨ / ١٩ ) بلفظ : أرض الجنة من فضة ، والأوانى تتخذ من ترسة الأرض التى هى منها " وذكر نحوه البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ١٩٣ / ٧ ) من قول الكلبى .

(٣) لم أجد من رواه بهذا اللفظ .

وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره ( كما فى تفسير ابن كثير ٤٥٦ / ٤ ) بسنده عن اسماعيل عن رجل عن ابن عباس : " ليس فى الجنة شىء إلا قد أعطيتهم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة " . وذكره بهذا اللفظ القرطبى فى تفسيره ( ١٤١ / ١٩ ) والسيوطى فى الدر المنثور ( ٣٠١ / ٦ ) وعزاه إلى ابن أبى حاتم ولكن الراوى عن ابن عباس مهم ، وعليه فإسناده ضعيف .

(٤) ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ٢١٧ / ٢٩ ) قال : " وقوله : ( قدروها تقديرا ) يقول : قدروا تلك الآنية التى يطاف عليهم بها تقديرا على قدر ريتهم لاتزيد ولا تنقص " . ثم روى هذا المعنى عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم ، وذكره البغوى فى تفسيره ( ١٩٣ / ٧ ) دون عزوه إلى أحد . قال : قدروا الكاس على قدر ريتهم لا يزيد ولا ينقص أى : قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون " . وذكره الزمخشرى أيضا فى الكشاف ( ٦٧١ / ٤ ) ، وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٣٧ / ٨ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٤١ / ١٩ ) وعزاه إلى ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وذكر عن الكلبى أنه قال : وذلك الذى وأشهى " . وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٥٦ / ٤ ) : " وقوله تعالى ( قدروها تقديرا ) أى : على قدر ريتهم لاتزيد عنه ولا تنقص بل هى معدة لذلك مقدرة بحسب رى

صاحبها ، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى صالح وذكر جماعة . ثم قال : وقاله ابن جرير وغير واحد ، وهذا أبلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة " .

أى على ما يسمعه (١) ، وقيل : مثلثه (١) وقوله ( وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا ) أى من كأسٍ وقوله ( كان مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ) كانت العرب تستطيب طعام الزنجبيل فذكر ذلك على ما اعتاده (٣) . وقيل : الزنجبيل اسم العين لا أنه زنجبيل معروف فى الطعام والرائحة (٤) ، فعلى هذا قوله ( مزاجها زنجبيلًا ) أى مزاجه من عين الزنجبيل .

(١) ذكره ابن جرير فى تفسيره (٢١٧/٢٩) قال : " وقال آخرون : بل معنى ذلك : قدروها على قدر الكف " ورواه عن ابن عباس . وذكره الماوردى فى تفسيره (٣٧٢/٣) وعزاه إلى الضحاك والقرطبي فى تفسيره (١٤١/١٩) وعزاه إلى ابن عباس وذكره ابن كثير فى تفسيره (٤٥٦/٤) من قول ابن عباس والربيع ابن أنس والضحاك ، وقال : وهذا لا ينافى القول الأول ، فإنها مقدرة فى القدر والرئى " .

(٢) لم أجد من ذكر هذا القول . وهناك قول آخر ذكره بعض المفسرين ، وهو أنهم قدروها فى أنفسهم فجاءت على ما قدروها . ذكره الماوردى فى تفسيره (٣٧٢/٤) وعزاه إلى الحسن والزمخشري فى تفسيره (٦٧١/٤) واختاره . والقرطبي فى تفسيره (١٤١/١٩) دون عزو إلى أحد وهو أيضا لا ينافى القول الأول . والضمير على هذا القول راجع إلى الشاربين ، وأما على القول الأول فيرجع إلى الطائفين وعليه فقد ذكر الرازى فى تفسيره (٢٥٠/٣٠) فى المقدر قولين فقال : المقدر لهذا التقدير من هو ؟ فيه قولان .

أحدهما : أنهم هم الطائفون الذين دل عليهم قوله تعالى ( ويطاف عليهم ) وذلك أنهم قدروا شرابها على قدر رى الشارب ، والثانى : أنهم هم الشاربون ، وذلك لأنهم إذا اشتها مقداراً من المشروب جاءهم على ذلك القدر " .

(٣) ذكره الماوردى فى تفسيره (٣٧٣/٤) قال : " تمزج بالزنجبيل ، وهو مما تستطيه العرب لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول - قاله السدى وابى نجیح .

انظر أيضا تفسير ابن جرير (٢١٨/٢٩) وتفسير البغوى (١٩٣/٧) وتفسير الرازى (٢٥٠/٣٠) وتفسير القرطبي (١٤٢-١٤١/١٩) .

(٤) ذكره ابن جرير فى تفسيره (٢١٨/٢٩) قال : " وقال بعضهم : الزنجبيل اسم للعين التى منها مزاج شراب الأبرار " ورواه عن قتادة . وذكره الماوردى فى تفسيره (٣٧٣/٤) من قول مجاهد والبغوى فى تفسيره (١٩٣/٧) من قول قتادة والزمخشري فى الكشاف (٦٧١/٤) دون عزو إلى أحد واختاره . والقرطبي فى تفسيره (١٤٢/١٩) من قول مجاهد وقاتة وذكر الماوردى فى معنى الزنجبيل قولاً آخر وهو أن الزنجبيل طعام من طعام الخمر يعقب الشرب منه لذقه . وقال : حكاه ابن شجرة . وذكر القرطبي أيضا قولاً آخر فقال : قيل : إن فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل والمعنى كأن فيها زنجبيلًا .

وقوله عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١) يقال : إن السلسبيل هو عين الزنجبيل أيضا -  
 ونصب على المدح ، ومعناه أعنى عينا (٢) ، وقوله ( تسمى سلسبيلا ) أى سلسل الجرى  
 فى حلوقهم - (٣) وفى بعض الأشار : أنها إذا أدنيت من أفواههم تسلسلت فى

(١) قال ابن كثير فى تفسيره (٤/٤٥٦) "أى الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا  
 قال عكرمة : اسم عين فى الجنة" وانظر أيضا تفسير غريب القرآن (ص ٥٠٣) وتفسير  
 الماوردى (٤/٣٧٣) وزاد المصير (٨/٤٣٩) .

(٢) ذكر الرازى فى تفسيره (٣٠/٢٥١) فى نصب (عينا) وجهين الأول : أنه  
 بدل من زنجبيل ، والثانى : أنه نصب على الاختصاص " وهكذا ذكره أبوحيان  
 فى البحر المحيط (٨/٣٩٨) إلا أنه زاد فقال : بدل من كأس أو من زنجبيل .  
 وأما القرطبي فذكر فيه ثلاثة أوجه : أحدها أنه بدل من كأس . والثانى :  
 أنه منصوب بإضمار فعل : أى يسقون عينا . والثالث : أنه منصوب بإسقاط  
 الخافض ، أى من عين . انظر تفسير القرطبي (١٩/١٤٢) .  
 وما ذكره المؤلف قريب مما تقدم عن الرازى من أنه منصوب على الاختصاص ، وتقدم  
 الكلام مفصلاً عند قوله تعالى " عينا يشرب بها عباد الله " .

(٣) اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى ( عينا تسمى سلسبيلا ) على قولين أو  
 ثلاثة أقوال - ذكر الفراء القولين فقط فقال عند هذه الآية : ذكروا أن  
 السلسبيل اسم للعين - وذكر أنه صفة للماء لسلسته وعذوبته . انظر معانى  
 القرآن (٣/٢١٧) . وأما الأخفش وابن جرير فقد ذكرا فيه ثلاثة أقوال .  
 قال الأخفش : وقال بعضهم : إن " سلسبيل " صفة للعين بالسلسبيل  
 وقال بعضهم : إنما أراد عينا تسمى سلسبيلا " أى تسمى من طبيها ، أى :  
 توصف للناس كما تقول : الأعوجى والأزجيبى والمهري من الإبل . ثم قال : وقال  
 بعضهم : لا بل هو اسم العين ، وهو معرفة .  
 معانى القرآن ( ص ٥٢١ ) .

وذكر نحوه أيضا ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٩/٢١٩) ثم اختلف  
 هؤلاء المفسرون فى سبب تسمية العين أو وصفها بالسلسبيل على أقوال .  
 أحدها هذا الذى ذكره المؤلف بقوله ( سلسل الجرى فى حلوقهم )  
 وهو قول ابن عباس . كما ذكره الماوردى فى تفسيره (٤/٣٧٣) وذكره  
 القرطبي من قول مجاهد أيضا . انظر تفسيره (١٩/١٤٢) .

وذكر البغوى فى تفسيره (٧/١٩٣) عن الزجاج أنه قال : " سميت  
 سلسبيلا لأنها فى غاية السلاسة تتسلسل فى الحلق " .  
 انظر أيضا الكشاف (٤/٦٧٢) وزاد المصير (٨/٤٣٨) ، وتفسير ابن كثير  
 (٤/٤٥٦) .



حلوقةم<sup>(١)</sup> ومن قال في قوله ( سلسبيل ) سلتى سبيلا إليها<sup>(٢)</sup> - فقد أبعد وهو  
تأويل باطل وليس هو من قول أهل العلم وعن ابن الأعرابي<sup>(٣)</sup> قال : لم أسمع

(١) لم أجد من ذكر هذا الأثر - وقد جاء عن ابن عباس أنه قال : إنها تنسل في  
حلوقةم انسلالاً ، وقد تقدم ذكره قبله مباشرة .

(٢) أورده الماوردي في تفسيره (٣٧٣/٤) والزمخشري في الكشاف (٦٧٢/٤) ،  
وابن الجوزي في زاد المسير (٤٣٨/٨) والرازي في تفسيره (٢٥٠/٣٠) ،  
والقروطبي في تفسيره (١٤٣/١٩) وأبو حيان في البحر المحیط (٣٩٨/٨) ،  
وعزوه إلى علي بن أبي طالب .

(٣) قال الزمخشري في المصدر السابق له : " وهذا غير مستقيم على ظاهره ،  
إلا أن يراد أن جملة قول القائل : سل سبيلا إليها : جعلت علماً للعين ،  
كما قيل : تأبط شراً ، وذرى حياً ، وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من  
سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح كـ وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع ،  
وعزوه إلى مثل علي رضي الله عنه أبداع " .

وكذا ذكره الرازي في المصدر السابق له والألوسي في روح المعاني (١٦١/٢٩)  
وزاد عليه : ونص بعضهم على أنه افتراء عليه " . وقال أبو حيان في المصدر  
السابق له : " وقال بعض المعربين ( سلسبيل ) أمر للنبي صلى الله عليه  
وسلم ولأمته بسؤال السبيل إليها وقد نسبوا هذا القول إلى علي كرم الله وجهه  
ويجب طرحه من كتب التفسير " ثم استخرج من توجيه الزمخشري فقال :  
وأعجب من ذلك توجيه الزمخشري له واشتغاله بحكايته ويذكر نسبه إلى علي  
كرم الله وجهه ورضي عنه " .

قلت : إن الزمخشري لم يشتغل بتوجيه القول على أنه ثابت عن علي رضي الله عنه  
فإنه صرح بعد انتهائه من التوجيه بأن ذلك تكلف وابتداع وعزوه إلى علي رضي الله  
عنه أبداع بل يؤخذ ذلك على الرازي إذ لم يصرح بما صرح به الزمخشري وكان  
الأحرى للثنين عدم الاشتغال بتوجيهه مادام الأثر غير ثابت عن علي رضي الله  
عنه " انظر أيضاً فتح الباري (٣٢١/١) وتاج العروس (٣٨١/٢) .

(٤) هو إمام اللغة أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولا هم الأحمول  
النسابة . ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة . قال الخطيب البغدادي : يعرف  
بابن الأعرابي صاحب اللغة كان أحد العالمين بها والمشار إليهم في معرفتها  
كثير التخلف لها ويقال : لم يكن بالكوفيين أشبه برواية البصريين منه " وقال  
الأزهري : ابن الأعرابي صالح زاهد ورع صدوق حفظ ما لم يحفظه غيره ، توفي  
سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

انظر تاريخ بغداد ٥/٢٨٢ - ٢٨٥ ، وتهذيب اللغة ١/٢٠ - ٢١ ، وسير أعلام  
النبلاء ١٠/٦٨٧ - ٦٨٨ .

سلسبيلا إلا في القرآن - وقيل : هو اسم العيين على ما ذكرنا ، فإن قيل :

إذا جعلتم السلسبيل اسم العيين فكيف ينصرف ؟ والجواب : إنما انصرف لأنه / ٣٠٩ / رأس آية<sup>(٢)</sup> وقد بينا من قبل<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) رواه عنه الأزهرى في تهذيب اللغة ( ١٥٦ / ١٣ ) من طريق ثعلب عنه .  
 وذكره أيضاً<sup>(٢)</sup> منظور في لسان العرب ( ٣٤٤ / ١١ ) وكذا ذكره عنه الرازى فى  
 تفسيره ( ٢٥٠ / ٣٠ ) وقال فعلى هذا لا يعرف له اشتقاق . انظر أيضاً روح  
 المعانى ( ١٦٠ / ٢٩ ) وقال الأكتيون : يقال : شراب سلسل وسلسان وسلسبيل  
 أى عند سهل المساغ - ذكره الرازى فى المصدر السابق له .  
 وقال القرطبي فى تفسيره ( ١٤٢ / ١٩ ) " السَّلسَبِيلُ : الشراب اللذيذ ، وهو  
 قَلِيلٌ مِنَ السَّلَالَةِ .  
 تقول العرب : هذا شراب سَلِسٌ وسَلَسٌ وسَلَسَالٌ وسَلَسَبِيلٌ ومعنى : أى  
 طيب الطعم لذينه .  
 وفى الصحاح ( ١٧٣١ / ٥ ) وتسلسل الماء فى الحلق جرى ، وسلسلته أنا :  
 صببته فيه ، وما سلسل وسلسال : سهل الدخول فى الحلق لهدوئته  
 وصفائه " .

فهذا يدل على أن ( سلسبيلا ) مشتق من السلاله . وبهذا قال  
 الزمخشري فى الكشاف ( ٦٧٢ / ٤ ) وذكر أن الباء زيدت فيه للدلالة  
 على غاية السلاله . ولكن أبا حيان لم يرض بذلك فإنه قال بعد نقله عنه :  
 فإن كان عنى أنه زيد حقيقة فليس بجيد لأن الباء ليست من حروف الزيادة  
 المعهودة فى علم النحو ، وإن عنى أنها حرف جاء فى سنح الكلمة وليس فى  
 سلسل ولا فى سلسال فيصح ويكون مما اتفق معناه وكان مختلفاً فى المادة  
 البحر المحيط ( ٣٩٨ / ٨ ) . انظر أيضاً روح المعانى ( ١٦١ / ٢٩ ) .

وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٣٨ / ٨ ) عن ابن الأنبارى أنه قال :  
 السلسبيل صفة للماء يسلسيه وسهولة دخله فى الحلق ، يقال : شراب  
 سَلَسَلٌ وسَلَسَالٌ وسَلَسَبِيلٌ . ويبدو أن هذا هو الصواب ، وقد ذكر البغوى  
 فى تفسيره ( ١٩٣ / ٧ ) أن أكثر العلماء على أن سلسبيلا صفة لا اسم ، بسل  
 حكى ابن جرير إجماع أهل التأويل على ذلك . انظر تفسيره ( ٢٢٠ / ٢٩ ) .

( ٢ ) كذا ذكره الأخفش معانى القرآن ( ص ٥٢١ ) وابن الجوزى فى زاد المسير  
 ( ٤٣٨ / ٨ ) والرازى فى تفسيره ( ٢٥١ / ٣٠ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٤٢ / ١٩ ) .

( ٣ ) ذلك عند قوله تعالى ( إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ) .  
 انظر ص ( ٢٥٦ ) .

وروى سفيان عن ابن أبي نجیح (١) عن مجاهد قال ( سلسبيل ) أى شديدة الجوى (٢) - وقال قتادة : سلسلة أى تجرى فى خلوقهم على غاية السهولة (٣) ، وقيل ثعلب ( سلسبيل ) : أى ليناً (٤) .

(١) هو عبد الله بن أبى نجیح يسار المكى أبو يسار الشقى مولا هم روى عن أبيه ومجاهد وعطاء وغيرهم .

ثقة روى بالقدَر ، وربما دلّس ، مات سنة إحدى وثلاثين أو بعدها .  
تهذيب التهذيب ٥٤/٦ ، تقريب التهذيب ١٩١ .

(٢) رواه عبد الرزاق فى تفسيره (ق ١/١٦٥) عن الشورى عن ابن أبى نجیح قال :

" سلسبيل " شديدة الجرىة . ورواه ابن جرير فى تفسيره (٢١٨/٢٩) عن سفيان الثورى عن ابن أبى نجیح عن مجاهد قال : حديدة الجرىة ، وقال فى رواية أخرى عند ابن جرير : سلسلة الجرىة وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣٠١/٦) باللفظ الأول وعزاه إلى عبد الرزاق وسعيد ابن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى .

وأورده أيضا بلفظ : " تجرى سلسلة السبيل " وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير .  
وأورده الماوردى فى تفسيره (٣٧٢/٤) وعزاه إلى مجاهد .

انظر أيضا تفسير القرطبي (١٤٢/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٥٦/٤) وابن حجر فى فتح البارى (٣٢١/٦) وقال فى معنى حديدة الجرىة : قوية الجرىة .

(٣) روى عبد الرزاق فى تفسيره (ق ١/١٦٥) وابن جرير فى تفسيره (٢١٨/٢٩) بسندهما عن قتادة أنه قال فى تفسير الآية : عينا سلسلة مستقيدا ماؤها وفى لفظ آخر : سلسلة يصرفونها حيث شاءوا . هذا لفظ الطبرى ، ولفظ عبد الرزاق : سلسلة لهم يصرفونها حيث شاءوا .

وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣٠١/٦) بلفظ : " سلسلة فيها يصرفونها حيث شاءوا " وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير ، وقد أورد نحوه غير واحد من المفسرين . انظر تفسير الماوردى (٣٧٢/٤) وتفسير البغوى (١٩٣/٧) وتفسير القرطبي (١٤٣/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٥٦/٤) وفتح البارى (٣٢١/٦) وأما ما ذكره المؤلف عن قتادة فلم أجد أحداً من المفسرين ذكره . وهو قريب مما ذكره الماوردى فى المصدر السابق عن ابن عباس فإنه قال : أنها تنسل فى خلوقهم إنسلاً . وكذا ذكره الزبيدى فى تاج العروس (٣٨١/٧) عن ابن عباس .

(٤) لم أجد من ذكره عن ثعلب ، وقد ذكر هذا المعنى الزبيدى فى المصدر السابق عن ابى جعفر الباقى .

وعن سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup> : السلسبيل : عين تجرى تحت العرش في قضيب من ذهب<sup>(٢)</sup> . وفي قوله ( وكان مزاجها زنجبيلاً ) كلام آخر وهو أن يمزج لسائر أهل الجنة ويشربه المقربون صرفاً وهو مثل التنسيم<sup>(٣)</sup> - على ما يأتي من بعد<sup>(٤)</sup> وأنشدوا في الزنجبيل<sup>(٥)</sup> وكان طعم الزنجبيل به إن ذقته وسلافة الخمر<sup>(٦)</sup> . وهذا يدل على أنهم كانوا يستطيعون طعم الزنجبيل وقيل : في السلسبيل أيضاً

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو القرشي المخزومي ، ولد لسنتين بقنا من خلافة عمر رضي الله عنه قال فيه الحافظ بن حجر : أحمد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار . وقال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، ما تبعه التسعين وقد ناهز الثمانين .

تهذيب التهذيب ٤ / ٨٤ - ٨٨ ، تقريب التهذيب ١٢٦ .

(٢) لم أجد من ذكر عنه هذا القول .

(٣) روى ابن جرير في تفسيره ( ٢٩ / ٢١٨ ) بسنده عن قتادة أنه قال في تفسير الآية : رقيقة يشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لسائر أهل الجنة ، وذكره البغوي في تفسيره ( ٧ / ١٩٣ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٢ / ١٤٢ ) بلفظ : يشربها المقربون صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة .

أما أنه مثل التنسيم فقد جاء ذكره في حديث أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٠١ ) عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربع عيون في الجنة - عينان تجريان من تحت المرش . إحداهما التي ذكر الله يفجرونها تفجيراً ، والأخرى : الزنجبيل ، وعينان نضاختان من فوق إحداهما التي ذكر الله سلسبيلاً والأخرى التنسيم \* وعزا تخريجها إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وهو من مراسيل الحسن ومراسيله غير مقبولة لدى أئمة الحديث .

(٤) ذلك عند قوله تعالى " ومزاجه من تنسيم " ( سورة المطففين الآية ٢٧ ) ذكر المؤلف عند هذه الآية عن بعض أئمة التفسير أنه أشرف شراب لأهل الجنة كما ذكر عن بعضهم أنه عين في الجنة ( انظر ص ٥٤٩ - ٥٥٥ )

(٥) سقطت كلمة ( في الزنجبيل ) من نسخة ب .

(٦) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٩ / ١٥٩ ) : وسلاف الخمر وسلاقتها : أول ما يعصر منها ، وقيل : هو ما سال من غير عصر وقيل : السلافة أول كل شئ عَصِر .

(٧) القائل هو المسيب بن طس وهو يصف فم المرأة . والبيت في ديوانه الطحلق بدوان الأعشى ابن أخته وروايته ( ٣٥٢ ) وأنشده أيضاً ابن أخته وروايته ( ٣٥٢ ) وأنشده أيضاً ابن قتبية في تفسير غريب القرآن ( ٥٠٣ ) والماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٧٣ ) والزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٦٧٢ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٨ / ٤٣٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ١٤٢ ) .

أنه تسيل عليهم في قصورهم وغرفهم وعلى مجالسهم ، قوله تعالى ( ويطوف عليهم بولدان مكدون ) اى غلمان مكدون <sup>(٢)</sup> وقوله ( مكدون ) اى لا ييلون ولا يفتون ، <sup>(٣)</sup> وقيل : ( مكدون ) مقرطون <sup>(٤)</sup> مسورون .

(١) هو قول مقاتل فى تفسيره (ق ٣٩١ / ١) وذكر نحوه البغوى فى تفسيره (١٩٣ / ٧) والقرطبى فى تفسيره (١٤٣ / ١٩) عن أبى العالىة ومقاتل : قالا : إنما سميت سلسبيلاً لأنها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم ، تنبع من أصل العرش من جنة تعدن إلى أهل الجنة . وقد ذكر الماوردى فى تفسيره (٣٧٣ / ٤) عن مقاتل أنه قال : "إنما سميت السلسبيل لأنها تسيل عليهم فى مجالسهم وغرفهم وطرقهم" . فهذه هى الأقوال التى ذكرها المفسرون فى سبب وصف العين بالسلسبيل ، وقد ذهب ابن جرير إلى اختيار أن قوله تعالى (تسمى سلسبيلاً) صفة للعين لا اسم لها .

أما الأسباب التى ذكرت عن أئمة التفسير فى وصفها بالسلسبيل فاختار أنها تعم ذلك كله . انظر تفسيره (٢١٩ / ٢٩ - ٢٢٠) وذكره عنه ابن كثير ووافقه . انظر تفسيره (٤٥٦ / ٤) واختاره أيضا البغوى فى تفسيره (١٩٣ / ٧) وقال : ومعنى قوله (تسمى) أى توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلاً صفة لا اسم .

وقال أبوحيان فى البحر المحيط (٣٩٨ / ٨) "والظاهر أن هذه العين تسمى سلسبيلاً بمعنى توصف بأنها سلسة فى الاتساع سهلة فى المذاق ولا يحمل سلسبيل على أنه اسم حقيقة لأنه إن ذاك ممنوع من الصرف للتانيث والعلمية" .

(٢) كما جاء فى قوله تعالى ( وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غُلَامٌ لَهُمْ لَهْلَاهُ وَكَانَ لَهُمْ لَوْلَاهُ مَكْنُونٌ ) سورة الطور الآية ٢٤ .

(٣) اختلف المفسرون فى معنى مكدون على أقوال : أحدها هذا الذى ذكره المؤلف ، وقد حكى ابن جرير هذا القول بلفظ : قال بعضهم : معنى ذلك أنهم لا يموتون . ثم رواه بسنده عن قتادة . انظر تفسيره (٢٢٠ / ٢٩) وذكره أيضا الماوردى فى تفسيره (٣٧٣ / ٤) وعزاه إلى قتادة . انظر أيضا تفسير القرطبى (١٤٣ / ١٩) .

(٤) كذا ذكره القرطبى فى المصدر السابق له والخازن فى تفسيره (١٩٣ / ٧) دون عزو إلى أحد . وذكر الماوردى فى تفسيره (٣٧٣ / ٤) فقال : أى مسورون قاله ابن عباس . وذكره ابن جرير فى تفسيره (٢٢٠ / ٢٩) كأنهما قولان عنده فقال : وقال آخرون عنى بذلك (مسورون) . وقال آخرون : بل عنى به أنهم مقرطون . وهكذا ذكره الفراء أيضا لأنه قال : وقوله عز وجل ( مكدون ) يقول : محلون مسورون ، ويقال : مقرطون . معانى القرآن (٢١٨ / ٣) .

.../...

والقُرْطُ : هو نوع من أنواع الحلي التي توضع في الأذن ، ويقال : جارية مُقَرَّطَةٌ : أي ذات قُرْطٍ ، راجع لسان العرب (٣٧٤/٧ - ٣٧٥) . وفي معنى (مخلدون) قول آخر وهو أن معناه : دائم شبابهم لا يتغيرون عن تلك السن . ذكره الفراء في المصدر السابق له ، وابن جرير في تفسيره (٢٢٠/٢٩) وذكره الماوردي في تفسيره (٣٧٣/٤) فقال : " صغار لا يكبرون وشباب لا يهرمون - قاله الضحاك والحسن ". وقال القرطبي في تفسيره (١٤٣/١٩) : أي باقون على ما هم عليه من الشباب والفضاضة والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة .

وهذا المعنى اختاره الفراء فقال بعد ذكره له : " وهو أشبهها بالصواب - والله أعلم - وذلك أن العرب إذا كبر الرجل ، وثبت سواد شعره قيل : إنه لمخلد ، وكذلك يقال : إذا كبر وثبتت له أسنانه وأضراسه قيل : إنه لمخلد ثابت الحال ، كذلك ولدان ثابتة أسنانهم " انظر معاني القرآن (٢١٨/٣) .

وذكر ابن جرير أيضا نحوه ، واختاره ابن كثير في تفسيره (٤٥٦/٤) وقال : ومن فسّرهم بأنهم مخرصون في آذانهم الأقرطة فإنما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير . انظر أيضا حادي الأرواح (ص ١٤٧) وقال الرازي في تفسيره (٢٥١/٣٠) .

" والأقرب أن المراد به دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يواد في الخدم أبلغ منها ، وذلك يتضمن دوام حياتهم وخدمتهم ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة " .

وقال الشاعِرُ (١) :  
مُخَلِّدَاتٍ بِاللَّجَيْنِ كَذَا نَمَّا      أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِلُ (٢) الْكُتُبِ (٤)

وقوله ( إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منشوراً ) إنما شبه باللالى فى الصفاء  
والحسن والكثرة (٥) وذكر ( منشوراً ) لأن اللؤلؤ المنشور فى المجلس أحسن

(١) لم أعرف اسمه .

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب (٣٧٩/١٣) " واللجَيْنُ : الغضة - لامكبر  
له جاء مصفراً مثل الثريا والكميت . "

(٣) كذا فى الأصل ( أقاول ) وفى المصادر الأخرى ( أقاوز ) قال ابن منظور  
فى لسان العرب (٣٩٨/٥) " القَوْزُ من الرَّمْلِ : صغير مستد يو تشبه به  
أرداف النساء . "

(٤) البيت فى تفسير الطبرى (٢٢٠/٢٩) وتفسير الماورى (١٦٧/٤) ، وفى  
تهذيب اللغة (٢٧٨/٧) ولسان العرب (٣٩٩/٥) وفى الجميع غير  
منسوب .

(٥) قال ابن جرير فى تفسيره (٢٢٠/٢٩) " وقوله ( إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً  
منشوراً ) يقول تعالى ذكره : إذا رأيت يا محمد هؤلاء الولدان مجتمعين  
أو مفترقين تحسبهم فى حسنهم ونقا بياض وجوههم وكثرتهم لؤلؤاً مبدداً  
أو مجتمعاً مصبواً " ثم روى بسنده عن قتادة أنه قال ( لؤلؤاً منشوراً )  
قال : من كثرتهم وحسنهم . "

وروى عن سفيان أنه قال : فى كثرة اللؤلؤ وبياض اللؤلؤ . وقد  
ذكر الماورى فى تفسيره (٣٧٤/٤) فى الآية قولين :  
أحدهما : أنهم مشبهون باللؤلؤ لكثرتهم وعزاه إلى تقتادة .  
الثانى : الصفاء ألوانهم وحسن منظرهم وقال : وهو معنى قول سفيان .  
فكان الماورى اعتبر ما روى عن قتادة وسفيان قولين مستقلين ، بينما اعتبره  
ابن جرير والمؤلف قولاً واحداً .

وذكر القرطبي فى تفسيره (١٤٤/١٩) قولاً آخر فقال : وقيل : إنما  
شبههم بالمنشور ، لأنهم سراع فى الخدمة ، بخلاف الحور العيسن  
إن شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون ، لأنهن لا يمتحن بالخدمة .  
وقال ابن كثير فى تفسيره (٤٥٦/٤) :-

وقوله تعالى ( إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منشوراً ) أى : إذا رأيتهم  
فى انتشارهم فى قضا حوائج السادة وكثرتهم وضباحة وجوههم وحسن  
ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤاً منشوراً .

منه منظوماً (١) - وفي تفسير النقاش : أنهم ينتشرون في الخدمة فلهذا قال لسولوا منشوراً فلو كان صفاً واحداً لقال منظوماً (٢).

قوله تعالى ( وإذا رأيتم رأيتم رأيتم ) فيه حذف ، والمعنى : إذا رأيتم ما ثم رأيتم (٣) ( نعيماً وملكاً كبيراً ) قال سفيان الثوري : بلغنا أنه

( ١ ) قال البغوي في تفسيره ( ١٩٣ / ٧ ) نقلاً عن عطاء : " يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه ، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوماً " . وقال القرطبي في تفسيره ( ١٤٣ / ١٩ ) والخازن في تفسيره ( ١٩٣ / ٧ ) : واللؤلؤ إذا نثر على بساط كان أحسن منه منظوماً ، . وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٥٦ / ٤ ) بعد أن ذكر تفسير الآية : " ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنشور على المكسان الحسن " . وذكر نحو هذا الكلام ابن القيم في حادي الأرواح ( ص ١٤٧ ) .

( ٢ ) ذكر البغوي في تفسيره ( ١٩٣ / ٧ ) عن أهل المعاني أنهم قالوا : إنما شبهوا بالمنشور لا نتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم " . انظر أيضاً تفسير الرازي ( ٢٥١ / ٣٠ ) .

( ٣ ) تبع المؤلف في ذلك الفراء فإنه قال في معاني القرآن ( ٢١٨ / ٣ ) " وقوله عز وجل : " وإذا رأيتم رأيتم رأيتم نعيماً " يقال : إذا رأيتم ما ثم رأيتم نعيماً ، وصلاح اضمار ( ما ) كما قيل : " لقد تقطع بينكم " والمعنى : ما بينكم ، والله أعلم " .

وذكر في نفس المصدر قولاً آخر وهو أن " ثم " مفعول به لـ " رأيتم " وهذا القول عزاه أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٥٧٩ / ٣ ) ومكي بن أبي طالب في مشكل اعراب القرآن ( ٤٣٩ / ٢ ) إلى الأخفش أيضاً ، وهو قول أكثر المفسرين ، وذكر الأخفش الأوسط في معاني القرآن ( ٥٢١ / ٢ ) أن ( رأيتم ) الأول غير معني ، وهو كما تقول : ظننت في الدار خيراً ، لمكان ظنه وذلك اخبار بمكان رؤيته ، وهو قول أكثر البصريين ، كما ذكره النحاس في اعراب القرآن ( ٥٧٩ / ٣ ) ومكي بن أبي طالب في مشكل اعراب القرآن ( ٤٣٩ / ٢ ) وعلى القول الأول : ( ما ) موصولة ، و ( ثم ) صلتهما فحذفت " ما " وقامت " ثم " مقامها ، ولا يجوز عند البصريين حذف الموصول وإقامة صلته مقامه ، كما صرح بذلك مكي بن أبي طالب في المصدر السابق ليه والزجاج أيضاً كما ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٤٤ / ١٩ ) ، ولذلك خطأ الزمخشري في الكشاف ( ٦٧٣ / ٤ ) هذا القول فقال : ومن قال معناه " ما ثم " فقد أخطأ ، لأن " ثم " صلة لما ، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة " . ولكن اعترض عليه أبو حيان في البحر المحيط ( ٣٩٩ / ٨ ) فقال : " وليس بخطأ مجمع عليه بل قد أجاز ذلك الكوفيون ، وثم شواهد من لسان العرب كقوله : فمن يهجو رسول الله منكم . . . ويمدحه وينصره سواه " . أي " ومن يمدحه " فحذف الموصول وأبقى صلته " انظر أيضاً تفسير البغوي ( ١٩٣ / ٧ ) وتفسير الرازي ( ٢٥١ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٤٤ / ١٩ ) وروخ المعاني ( ١٦١ / ٢٩ ) .



( ١ )  
تسليم الملائكة عليهم .

وعن الكلبي ومقاتل وغيرهما : أنهم قالوا هو استئذان الملائكة للتسليم عليهم فهو الملك الكبير .<sup>( ٢ )</sup> وفي بعض الأخبار برواية أبي سعيد الخدري :

( ١ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ٢٢١ / ٢٩ ) بسنده عن عبد الرحمن قال : سمعت سفيان يقول في قوله ( ملكاً كبيراً ) قال : بلغنا أنه تسليم الملائكة .

وروى أيضاً من طريق سفيان قال : ثنا من سمع مجاهد يقول : ( وإذا رأيتم رأيتم رأيتم نعيماً وملكاً كبيراً ) قال : تسليم الملائكة - وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٤٥ / ١٩ ) عن سفيان الثوري ، واستدل له بقوله تعالى ( : والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ) سورة الرعد الآية ٢٣ ، ٢٤ .

( ٢ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٤٤ / ١٩ ) قال : والملك الكبير : استئذان الملائكة عليهم - قاله السدي وغيره \* وهذا التفسير رواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٢١ / ٢٩ ) عن سفيان . وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٧٤ / ٤ ) بلفظ : لإستئذان الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام \* ولكنه لم ينسبه إلى أحد .

وذكر البغوي في تفسيره ( ١٩٣ / ٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٤٤ / ١٩ ) عن الكلبي ومقاتل بن سليمان أنهما قالا : هو أن يأتي الرسول من عند الله بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف إلى ولي الله وهو في منزله ، فيستأذن عليه فذلك الملك العظيم . هذا لفظ القرطبي .

وذكرت في تفسير الآية أقوال أخرى منها ما ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٧٤ / ٤ ) أنه الملك الكبير لسعته وكثرته . وقيل : إنه ملك التكوين ، فإذا أرادوا شيئاً كان ليقوله تعالى : ( لهم ما يشاءون فيها ولد ينه مزيد ) - الآية ٣٥ - نسب ذلك إلى الترمذي الحكيم . انظر تفسير القرطبي ( ١٤٥ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٣٩٩ / ٨ ) .

والصواب - والله أعلم - هو أن الآية عامة كما فسرها ابن كثير في تفسيره ( ٤٥٧ / ٤ ) فقال : وقوله جل وعلا ( وإذا رأيتم رأيتم نعيماً وملكاً كبيراً ) أي : وإذا رأيتم رأيتم نعيماً وملكاً كبيراً . ( ثم ) أي هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعته وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور ( رأيتم نعيماً وملكاً كبيراً ) أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً \* .

أن أدنى أهل الجنة منزلة يكون له ثمانون ألف خادم واثنان وستون زوجة - (١) وفي بعض الأخبار أيضا : للواحد منهم سبعون قصراً في كل قصر سبعون داراً في كل دار سبعون بيتاً في كل بيت خيمة طولها في السماء فرسخ وعرضها فرسخ : فسي فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب - (٢) قوله تعالى (عَالِيهِمْ) وقري (عَالِيهِمْ) (٣)

(١) أخرجه الترمذى في صحيحه كتاب صفة الجنة - باب ماجاء ما لا دنسى أهل الجنة من الكرامة (٦٩٥/٤ ، رقم الحديث ٢٥٦٢) من طريق رشدي بن سعيد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم ، واثنان وستون زوجة ، يمشي معه من لؤلؤ وزبرجد ويقوت كما بين الجابية إلى صنعاء . وقال الترمذى عقبه : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدي .

ورشد بن سعد ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في التقريب (ص ١٠٣) .  
وأيضاً يوجد في السند دراج قال فيه الحافظ في المصدر السابق (ص ٩٧) :  
صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف .

انظر أيضاً الكلام على الحديث في حادى الأرواح (ص ١٥٩) ولكن هنالك أحاديث أخرى صحيحة تدل على معنى الآية . منها ما أخرجه البخارى في صحيحه (٤١٨/١١ - ٤١٩) ومسلم في صحيحه (٤٤٤/٣ - ٤٦) جاء فيه : أن أدنى أهل الجنة منزلة يعطيه الله تعالى مثل الدنيا وعشرة أمثالها . هذا الخبر لم أهتد إلى من رواه أو ذكره من أصحاب المصادر . وقد جاء فيما أخرجه البخارى في صحيحه (٣١٨/٦) بسنده عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً قال : الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون وفي بعض الروايات : "ستون ميلاً" .

(٣) قرأه نافع وحمزة باسكان الياء وقرأ الباقر بالفتح .  
انظر التيسير في القراءات (ص ٢١٨) والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٥٤/٢) وحجة القراءات (ص ٧٤) . انظر أيضاً تفسير ابن جرير (٢٩/٢٢٢) وتفسير البغوى (١٩٤/٧) وزاد المسير (٤٣٩/٨) وتفسير القرطبي (١٤٥/١٩) وقال ابن جرير بعد ذكره للقراءتين : والصواب من القول في ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فيأتيهما قرأ القارئ فمضيب .  
وقال أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٥٨٠/٣) في القراءة بالسكون : هذه قراءة بيّنة .

فمن قرأ بفتح الياء أي فوقهم<sup>(١)</sup> ، ومن قرأ بسكون الياء فمعناه عليهم<sup>(٢)</sup> ، ويقال ( عليهم ) أي غال الحجال المذكورة من قبل<sup>(٣)</sup> وقوله ( ثياب سندس خضر ) وخضر أي ألوانها خضر ، فمن قرأ بالرفع فينصرف إلى الثياب - ومن قرأ بالكسر

( ١ ) هو قول الفراء ، قال في معاني القرآن ( ٢١٨ / ٣ ) " جعلوها كالصفحة ( فوقهم ) والعرب تقول : قومك داخل الدار فينصبون داخل الدار ، لأنه محل ، فعاليهم من ذلك " ولكن أنكره الزجاج وقال : هو مما لا نعرفه في الظروف ولو كان ظرفاً لم يجز إسكان الياء ، ولكنه بالنصب على الحال من شيئين :

أحد هما الهاء والميم في قوله " يطوف عليهم " أي على الأبرار " ولدان " عالياً الأبرار ثياب سندس ، أي يطوف عليهم في هذه الحال ، والثاني أن يكون حالاً من الولدان . أي " إذا رأيتهم حسبتهم لو لوأ منشوراً " فسي حال علو الثياب أبداً نهم " ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٤٦ / ١٩ ) .

انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٣٩ / ٨ ) وتفسير البغوي ( ١٩٤ / ٧ ) ،  
وتفسير الرازي ( ٢٥٢ / ٣٠ ) وعراب القرآن ( ٥٨٠ / ٣ ) ومشكل اعراب القرآن ( ٤٤٠ / ٢ ) .

( ٢ ) قال الزجاج : أما تفسير اعراب " عاليهم " بإسكان الياء فيكون رفعه بالابتداء ، ويكون الخبر ( ثياب سندس ) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٣٩ / ٨ ) ، وذكر في ذلك وجه آخر وهو أنه يجوز أن تكون " ثياب " مرتفعة ب ( عاليهم ) لأن عالياً اسم فاعل من العلو - فهو مبتدأ ، و" ثياب " فاعل ، سد مسد خبر " عاليهم " . انظر اعراب القرآن للنحاس ( ٥٨٠ / ٣ ) ومشكل اعراب القرآن ( ٤٤٠ / ٢ ) وتفسير القرطبي ( ١٤٥ / ١٩ ) .

( ٣ ) كذا في النسختين ( عليهم ) ويبدولى أن الصواب ( عاليهم ) .  
( ٤ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٢٢٢ / ٢٩ ) فقال : " يقول تعالي ذكره : فوقهم ، يعني فوق هؤلاء الأبرار ثياب سندس ، وكان بعض أهل التأويل يتأول قوله ( عاليهم ) فوق حجالهم المشتقة عليهم ( ثياب سندس ) وليس ذلك ، لأن ذلك إذا كان فوق حجالهم فيها ، فقد علاهم فهو عاليهم " .

وذكر أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٥٨٠ / ٣ ) في معناه قولين :-  
أحدهما : أن الخضرة تعلو ثياب أهل الجنة .  
والقول الآخر : أن هذه الثياب الخضر فوق حجالهم لا عليهم .

فهو نعت السندس - (١) والسندس : هو مارق من الدجاج والإستبرق ما غلظ منه (٢) -  
 وقوله ( وإِستَبْرَقٌ ) وقوى ( واستبرق ) فعلى الرفع ينصرف إلى الشياب ، وعلى  
 الخفض على تقدير من استبرق (٤) وقوله ( وحلوا أساور من فضة ) الأساور  
 والأشورة جمع السوار (٥) ، فإن قيل : وأى زينة في السوار والأغنياء لا يبالون

(١) قرأه ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي بالخفض ، ورفعها الباقون .  
 انظر التيسير (ص ٢١٨) والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٣٥٥) ،  
 وحجة القراءات (ص ٧٤٠) .

ونقل ابن الجوزي في زاد المسير (٨/٤٤٠) عن الزجاج أنه قال :  
 " من قرأ " خُضِرٌ " بالرفع ، فهو نعت الشياب ولفظ الشياب لفظ الجمع ، ومن قرأ  
 " خُضِرٌ " فهو من نعت السندس " .

انظر أيضا تفسير الطبري ٢٩/٢٢٢ ، وتفسير البغوي (٧/١٩٤)  
 وتفسير القرطبي (١٩/١٤٦) ومشكل اعراب القرآن (٣/٤٤١) .

(٢) انظر المفردات للراغب (ص ٢٢٨) ولسان العرب (٦/١٠٧) انظر أيضا تفسير  
 ابن جرير (٢٩/٢٢٢) وتفسير القرطبي (١٩/١٤٦) وقال ابن كثير في تفسيره  
 (٤/٤٥٧) عند تفسير هذه الآية : " أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ،  
 ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق  
 منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس " .

(٣) قرأ الحرميان وعاصم بالرفع في ( استبرق ) وخفضه الباقون .  
 انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٣٥٥) . انظر أيضا التيسير  
 (ص ٢١٨) وحجة القراءات (ص ٧٤٠) .

(٤) نقل ابن الجوزي في زاد المسير (٨/٤٤٠) عن الزجاج قوله : " ومن قرأ  
 " وإِستَبْرَقٌ " فهو نسق على " شياب " المعنى : وطيهم " استبرق " ومن  
 خفض ، عطفه على السندس ، فيكون المعنى : وطيهم شياب من هذين النوعين .  
 وقال أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٣/٥٨١) " القراءة الأولى ( أى  
 الرفع فيها ) حسنة متصل الرفع بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، فحُضِرٌ نعت للشياب ، واستبرقٌ  
 معطوف عليها " . اهـ .  
 انظر أيضا تفسير الطبري (٢٩/٢٢٢) وتفسير القرطبي (١٩/١٤٦) .

(٥) انظر لسان العرب (٤/٣٨٧) .

بها : والجواب عنه <sup>(١)</sup> أنه قد ذكر الذهب واللؤلؤ في موضع آخر <sup>(٢)</sup> ، فيحلون من ذهب تارة ومن فضة أخرى ومن لؤلؤ تارة ليكون أجمع لمحاسن الزينة <sup>(٣)</sup> . ويقال : الذهب للنساء والفضة للرجال <sup>(٤)</sup> وقيل : إن الذهب إنما يفضل الفضة في الدنيا لكثرة الفضة وعزة الذهب وهذا التفاوت لا يوجد في الجنة وإنما المقصود عين الزينة والزينة توجد فيهما جميعاً <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) لم يتبين لي وجه المطابقة بين السؤال والجواب ، إلا إذا كان السؤال : وأي زينة في الفضة ، والأغنياء لا يبالون بها ؟ فيتطابق السؤال والجواب .

( ٢ ) جاء ذكر الذهب في قوله تعالى " يُحَلِّسُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ " سورة الكهف الآية ٣١ .

وذكر الذهب واللؤلؤ معاً في قوله تعالى " جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّسُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا " سورة فاطر الآية ٣٣ .

( ٣ ) قال القرطبي في تفسيره ( ١٤٧ / ١٩ ) " قيل : تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة " وذكر نحوه الرازي في تفسيره ( ٢٥٣ / ٣٠ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٠٠ / ٨ ) والاكوسي في روح المعاني ( ١٦٣ / ٢٩ ) .

( ٤ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٤٧ / ١٩ ) .

( ٥ ) لم أجد من ذكر هذا التوجيه من المفسرين . وذكرت في ذلك أوجه أخرى ، فأورد القرطبي في تفسيره ( ١٤٧ / ١٩ ) عن سعيد بن المسيب . أنه قال : يجمع في يد أحد هم سواران من ذهب وسواران من فضة ، وسواران من لؤلؤ ، ليجتمع لهم محاسن الجنة . انظر أيضاً الكشاف ( ٦٧٤ / ٤ ) وتفسير النسفي ( ٣٠٤ / ٥ ) .

وقيل : لكل قوم ما تميل إليه نفوسهم . ذكره الرازي في تفسيره ( ٢٥٣ / ٣٠ ) ، والقرطبي في تفسيره ( ١٤٧ / ١٩ ) . وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٥٧ / ٤ ) عند هذه الآية : " وهذه صفة الأسوار ، وأما المقربون فكما قال تعالى " يُحَلِّسُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ " . سورة الحج الآية ٢٣ " فالصواب فيما يبدو لي - والله أعلم - . أن يقال : إن الفضة والذهب واللؤلؤ كل هذه الأشياء تكون لأهل الجنة حسب درجاتهم ومراتبهم في الجنة . واستشكل بأن السوار إنما يليق بالنساء وهو عيب للرجال ذكر هذا الاستشكل الرازي في تفسيره ( ٢٥٤ / ٣٠ ) وأجاب عنه بأن أهل الجنة جرد مرد شهباب فلا يبعد أن يحلوا ذهباً وفضة وإن كانوا رجالاً . وقيل : هذه الأسورة من الفضة والذهب إنما تكون لنساء أهل الجنة والصبيان فقط ثم غلب في اللفظ جانب التذكير . قلت : نص القرآن الكريم عام يدل على أن أهل الجنة يحلوسن أساور من ذهب وفضة ، ولم يثبت ما يخص أن الأساور للإناث دون الذكور . فيبقى هذا النص على عمومه .

وقوله ( وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ) قال الزجاج : / ليس برجس كخمر ٣٠٩ ب

(١) الدنيا .

وعن أبي قلابة<sup>(٢)</sup> وإبراهيم<sup>(٣)</sup> أنهما قالا : إذا فرغ أهل الجنة من الطعام يوتون بالشراب الطهور فيطهر أجوافهم ويضمربطونهم ويوجد منهم جشأ ورشح له رائحة المسك فيشتهون الطعام مرة أخرى<sup>(٤)</sup> ، وقيل : إن الشراب الطهور من عين على باب الجنة فإذا شرب منها المسلمون طهرت أجوافهم من كل غل

(١) انظر معاني القرآن للفرأء ( ٢١٩ / ٣ ) وتفسير البغوي ( ١٩٤ / ٧ ) ، والكشاف ( ٦٧٤ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ٢٥٤ / ٣٠ ) وتفسير النسفي ( ٣٠٤ / ٥ ) وقال ابن جرير في تفسيره ( ٢٢٢ / ٢٩ ) عند الآية : " يقول تعالى ذكره : " وسقى هؤلاء الأبرار ربهم شراباً طهوراً . ومن طهره أنه لا يصير بولاً نجساً ، ولكنه يصير رشحاً من أبدانهم كرشح المسك " .

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر الجرمي أبو قلابة البصري .

قال الحافظ ابن حجر في التقریب ( ص ١٧٤ ) :

ثقة فاضل كثير الإرسال . قال العجلي : فيه نصب يسير ، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة ، وقيل : بعدها . انظر أيضاً تهذيب التهذيب ( ٢٢٤ / ٥ ) .

(٣) هو إبراهيم النخعي .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١ / ١٦٥ )

وابن جرير في تفسيره ( ٢٢٣ / ٢٩ ) بسندهما عن أبان عن أبي قلابة : إن أهل الجنة إذا أكلوا وشربوا ماشوا وأبواب الشراب الطهور فيشربونه ، فتطهر بذلك بطونهم ، ويكون ما أكلوا وشربوا رشحاً وريح مسك ، فتضمر لذلك بطونهم " وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٠١ / ٦ ) عن أبي قلابة . وعزاه إلى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر . وأورده البغوي في تفسيره ( ١٩٤ / ٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٤٧ / ١٩ ) عن أبي قلابة وإبراهيم النخعي ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٠ / ٨ ) والرازي في تفسيره ( ٢٥٤ / ٣٠ ) من قول أبي قلابة فقط .

وخيانة وحسد<sup>(١)</sup> - وهذا قول - لأن الطهور هو الطاهر المطهر على ما ذكر في  
 القصة<sup>(٢)</sup> - والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام ( عند ما<sup>(٣)</sup> ) سئل عن التوضي  
 بماء البحر - ( فقال<sup>(٤)</sup> ) : هو الطهور ماؤه أي المطهر ماؤه<sup>(٥)</sup> .  
 قوله تعالى ( إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ) الشكر المضاف إلى  
 الرب تعالى هو بمعنى قبول الحسنات والعفو عن السيئات<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) هو قول مقاتل في تفسيره ( ق ٣٨٠ / ب ) وذكره البغوي في تفسيره ( ١٩٤ / ٧ )  
 والرازي في تفسيره ( ٢٥٤ / ٣٠ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٤٧ / ١٩ ) وذكره  
 الخازن أيضا في تفسيره ( ١٩٤ / ٧ ) ولكن دون غزو إلى أحد .

( ٢ ) قال الرازي في تفسيره ( ٢٥٤ / ٣٠ ) بعد إيراد القولين ( أي قول مقاتل  
 وقول أبي قلابية ) : وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهراً لأنه يطهر  
 باطنهم عن الأخلاق الذميمة ، والأشياء الموهنية .

( ٣ ) زيادة يقتضيها السياق .

( ٤ ) سقطت من الأصل كلمة ( فقال ) وهي موجودة في نسخة " ب " .

( ٥ ) هذا الحديث أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطهارة - باب الوضوء بماء  
 البحر ( ١ / ٦٤ ، رقم ٨٣ ) والترمذي في سننه كتاب الطهارة ، باب ما جاء  
 في ماء البحر أنه طهور ١ / ٠٠ ( رقم الحديث ٦٩ ) . بسندهما عن أبي هريرة  
 قال : سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نُرَكِّبُ  
 الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطَشْنَا ، أَوْ تَوَضَّأْنَا مِنْ  
 مَاءِ الْبَحْرِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ ، الْحِلُّ  
 مَيْتَتُهُ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

( ٦ ) قال الرازي في تفسيره ( ٢٥٦ / ٣٠ ) " كون الله تعالى شاكراً للعبد محال  
 إلا على وجه المجاز ، وهو من ثلاثة أوجه ( الأول ) قال القاضي : إن الثواب  
 مقابل لعطيمهم ، كما أن الشكر مقابل للنعم .

الثاني : - قال القفال : إنه مشهور في كلام الناس : أن يقولوا للراضى بالقليل  
 والمثنى به إنه شكور ، فيحتمل أن يكون شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بما لقليل  
 من الطاعات وإعطاؤه إياهم عليه ثواباً كثيراً . ثم ذكر الوجه الثالث : خلاصته  
 أن قوله تعالى " إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً " إشارة إلى الذي تصير به النفس  
 راضية من ربها وقوله ( وكان سعيكم مشكوراً ) إشارة إلى كونها مرضية لربها .  
 وأما القرطبي فقال في تفسيره ( ١٤٧ / ١٩ ) " ( وكان سعيكم ) أي عطاكم  
 ( مشكوراً ) أي من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته ، وثناؤه عليه ولثابته إياه " .  
 وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٥٧ / ٤ ) . وقوله تعالى ( وكان سعيكم مشكوراً )  
 أي جزاكم الله تعالى على القليل بالشكور .

قوله تعالى ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ) ظاهر المعنى وقوله ( فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ) في التفسير : أن الآثم هو عتبة بن ربيعة (١) والكفور هو الوليد بن المغيرة (٢) وقيل : إن الآثم هو أبو جهل (٣) . وفي بعض

(١) هو أبو الوليد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الكافر، كان مع صناديد قريش في محاربة النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، وذكر ابن اسحاق في سيرته (ص ١٨٧ - ١٨٨) أنه عرض على النبي صلى الله عليه وسلم المال والرياسة في مقابل أن يترك دعوته - قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر كافراً \* .  
انظر تهذيب الاسماء واللفظ (٣١٩/١) وسيرة ابن هشام (٢٥٢/٢) .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (١٩٤/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٤٤١/٨) من قول مقاتل ، وجاء في تفسير مقاتل (١/٣٨١/٢) أن الآثم هو الوليد بن المغيرة ابن هشام المخزومي ، والكفور هو عتبة بن ربيعة ، و(أو) هاهنا صلة - وذكر الزمخشري في الكشاف (٦٧٤/٤) مثل ما ذكره المؤلف وقال : \* لأن عتبة كان ركاباً للمأثم ، متعاطياً لأنواع الفسوق وكان الوليد غالباً في الكفر ، شديد الشكيمة في المتو \* انظر أيضاً تفسير الرازي (٢٥٨/٣٠) وتفسير القرطبي (١٤٩/١٩) .

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٢٤/٢٩) ورواه عن قتادة . وذكره البغوي أيضاً في تفسيره (١٩٤/٧) عن قتادة فقال : \* قال قتادة : أراد بالآثم والكفور أبوجهل ، وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبوجهل عنها ، وقال : لكن رأيت محمداً يصلي لأطان عنقه \* وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤١/٨) والرازي في تفسيره (٢٥٨/٣٠) كلاهما دون عزو إلى أحد ، وذكره القرطبي في تفسيره (١٤٩/١٩) عن قتادة .

وذكرت في المراد من الآثم والكفور أقوال أخرى . منها : ما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤١/٨) والرازي في تفسيره (٢٥٨/٣٠) وهو أن الآثم هو الوليد ، والكفور هو عتبة ابن ربيعة وهو الذي ورد في تفسير مقاتل ، ولكن ذكروا عنه عكسه كما تقدم وذكر الرازي عن القفال أنه قال : ويدل عليه أنه تعالى سمي الوليد أثيماً في قوله ( وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلِيفٍ مَّهِينٍ ) الى قوله ( مَنَعَ لِلنَّخِيرِ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ ) سورة الظلم آيات : ١ ، ١١ ، ١٢٠ .

ثم ذكر الرازي ما تقدم عن الزمخشري وقال : والقول الأول أولى لأنه متأيد بالقرآن ( أي أن الآثم هو الوليد والكفور هو عتبة ) وذكر قولاً آخر وهو أن الآثم هو الوليد والكفور هو عتبة ) وذكر قولاً آخر وهو أن الآثم والكفور مطلقان غير مختصين بشخص معين ، وقال في هذا القول : وهذا هو الأقرب إلى الظاهر \* بل هذا هو الصواب ، وإن كانت الآية نزلت في شخص معين ولكن حكمها عام يشمل جميع من كان على هذا الوصف .



التفاسير : أن الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لِمَ تركت دين آباءك ؟  
 ولملك إنما تركت للفقير فارجع إلى دين أبيك ، وأعطيك نصف مالي . وقال أبو البختري ( ١ )  
 ابن هشام : أنا أزوجك ابنتي وهي أحسن النساء جمالاً وأفصحهن منطقاً وأعذبهن  
 لساناً وقطعت قريش ذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو مسعود الثقفي : ( ٢ )  
 إن كنت تخاف من الله فأنا أجيرك منه فحين سمع النبي ذلك قام وذهب ، فأُنزل  
 الله تعالى هذه الآية وهو قوله ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ) إلى آخر الآيتين ( ٣ )

( ١ ) هو العاص بن هشام ( وقيل : هاشم ) بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي  
 ابن كلاب الكافر ، قتل يوم بدر ، قتله المجذر بن زياد البلوي .  
 انظر سيرة ابن هشام ( ١ / ٢٣٩ ، ٢ / ٢٥٢ ) .

( ٢ ) هو سيد ثقيف أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي ، قال الوليد بن المغيرة : أنزل  
 على محمد وأترك أنا وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود بن عمير الثقفي  
 سيد ثقيف ونحن عظيمي القريتين فأُنزل الله تعالى فيه : وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا  
 الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ \* الزخرف الآية ٣١ ، انظر سيرة ابن هشام ( ١ / ٩٢ )

( ٣ ) أورده مقاتل في تفسيره ( ٢ / ٣٨١ / ١ ) قال بعد أن ذكر المراد من الأثم  
 والكفور : وذلك أنهم خلوا به في دار الندوة وفيهم عمرو بن عمير بن مسعود  
 الثقفي ، فقالوا يا محمد أخبرنا لِمَ تركت دين آباءك وأجدادك ؟ فقال الوليد  
 ابن المغيرة : إن طلبت مالاً أعطيتك نصف مالي على أن تدع مقالتي هذه ،  
 وقال أبو البختري : ابن هشام : واللآء والعزى : إن ارتد عن دينه لأزوجنه  
 ابنتي ، فإنها أحسن النساء وأجملهن جمالاً وأفصحهن قولاً ، وأبلغهن علماً ،  
 وقد علمت العزى بذلك ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلم يجبهما  
 شيئاً ، فقال أبو مسعود الثقفي : مالك لا تجيبنا ؟ إن كنت تخاف عذاب ربك وذمة  
 أجرتك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك وقبض ثوبه وقام عنهم وقال :  
 أصعب أقوال وأضعف أعمال ، فأُنزل الله عز وجل : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ  
 تَنْزِيلًا . . . وجاء في سيرة ابن هشام وغيره أن الذي فاوض النبي صلى الله عليه  
 وسلم وعرض عليه المال والجاه والنساء ليتخلى عن دعوته هو عتبة بن ربيعة . انظر  
 تفصيل القصة في سيرة ابن هشام ( ١ / ٢٦١ - ٢٦٢ ) وسيرة ابن كثير ( ١ / ٥٠١ -  
 ٥٠٢ ) ومجمع الزوائد ( ٦ / ١٩٩ - ٢٠٠ ) ويبدولى أن هذا هو الصواب لأن ما ذكره  
 مقاتل والمؤلف لا يعرف له إسناد ، وأما ما ذكره ابن هشام وابن كثير فهو مروى  
 بسند متصل ، رواه غير واحد من أئمة الحديث والتفسير ، بإسنادهم عن جابر  
 ابن عبد الله . انظر الدر المنثور ( ٥ / ٣٥٨ ) .

وعلى فرض صحة مقاله مقاتل يحتمل أن تكون القصة وقعت أكثر من مرة -  
 والله أعلم بالصواب .

فإن قيل : هَلَّا قال : ( آثَمًا وكفورًا ) وأيش معنى ( أو ) هاهنا ؟  
والجواب عنه : أن للكلمة ( أو ) هاهنا زيادة معنى لا يوجد في الواو وهو المنع من  
طاعة كل واحد منهما على الإنفراد . فإن الرجل إذا قال لغيره : لا تطع فلاناً وفلاناً ،  
فإذا أطاع أحدهما ما كان عاصياً على الكمال وإذا قال : لا تطع فلاناً ولا فلاناً أو  
فلاناً ، فإذا أطاع أحدهما كان عاصياً على الكمال وهو مثل قولهم جالس الحسن أو  
ابن سيرين معناه أيهما جالست فأنت مصيب وإذا قال جالس الحسن وابن سيرين  
فلا تكون مصيباً إلا إذا جالستهما وكذلك يقال اقتد بمالك أو الشافعي على هذا المعنى .  
قوله تعالى ( واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ) أي بالغدو والعشى وفي بعض الفرائب

( ١ ) ذكر نحوه القرطبي في تفسيره ( ١٤٩ / ١٩ ) نقلاً عن الزجاج .  
وقال الفراء في معاني القرآن ( ٢١٩ / ٣ ) : " أو " هاهنا بمنزلة " لا " ، وذكر  
البهغوي في تفسيره ( ١٩٤ / ٧ ) أن الألف صلة " وأشار إليه النحاس في  
أعراب القرآن ( ٥٨٤ / ٣ ) فإنه قال : ويجوز أن يكون المعنى : لا تُطِيعَنَّ مَنْ  
أشم وكفر بوجهه ، فتكون قريبة المعنى من الواو " وهذا الذي ذكره البهغوي  
والنحاس هو قول مقاتل كما تقدم ذكره ، وما ذكره المؤلف هو اختيار أكثر المفسرين  
كما قال الرازي في تفسيره ( ٢٥٩ / ٣٠ ) وانظر أيضاً الكشاف ( ٦٧٥ / ٤ ) .  
والصواب هو أن ( أو ) بمعنى ( لا ) كما ذكر النحاس ، وذلك لأن  
( أو ) تكون في الاستفهام والمجازاة والنفي بمنزلة ( لا ) قال النحاس : فالقول  
الأول ( أي أنه بمنزلة لا ) صواب على قول سيويه . والثاني خطأ ، لا يكون  
( أو ) بمعنى الواو ، لأنك إذا قلت : لا تكلم زيداً أو عمراً ، فمعناه : لا تكلم  
واحداً منهما ولا تكلمهما إن اجتمعا وليس كذا الواو " ثم أشار إلى الفرق السدي  
ذكره المؤلف بين ( الواو ) و ( أو ) ، واستدل به على أن أو لا تكون بمعنى الواو .

( ٢ ) قال الماوردي في تفسيره ( ٣٧٤ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٥٠ / ١٩ ) " أي  
صل لربك أول النهار وآخره - ففي أوله صلاة الصبح ، وفي آخره صلاة الظهر  
والعصر " .  
انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٤١ / ٨ ) وتفسير الرازي ( ٢٥٩ / ٣٠ ) وتفسير الخازن  
( ١٩٥ / ٧ ) .

من الأخبار: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة قال : الله أكبر ثلاثاً وإذا صلى العصر قال : الله أكبر ثلاثاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى (ومن الليل فاسجد له ) أى صل له وقيل هو صلاة المغرب والعشاء<sup>(٢)</sup>  
وقوله ( وسبحه ليلاً طويلاً ) هو التطوع من بعد صلاة العشاء الأخيرة إلى الصبح<sup>(٣)</sup>  
وهذا على الندب والاستحباب .<sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) لم أجد من روى هذا الحديث ، وذكره مقاتل في تفسيره ( ق ٣٨١ / ١ ) قال :  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الغداة ثم يكبر ثلاثاً ، وإذا صلى المغرب  
كبر ثلاثاً \* .

وقال في تفسير الآية : يعنى إذا صليت صلاة الغداة فكبر واشهد أن  
لا إله إلا هو ، وأصيلاً إذا أمسيت وصليت صلاة المغرب فكبره وأشهد أن لا إله  
إلا هو ، فهو براءة من الشرك .

( ٢ ) انظر تفسير الماوردي ( ٣٧٤ / ٤ ) وزاد المصير ( ٤٤١ / ٨ ) وتفسير الرازي  
( ٢٥٩ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٥٠ / ١٩ ) وقال الرازي : فتكون هذه الكلمات  
جامعة الصلوات الخمس \* .

( ٣ ) انظر تفسير الماوردي ( ٣٧٤ / ٤ ) وزاد المصير ( ٤٤١ / ٨ ) وتفسير الخازن  
( ١٩٥ / ٧ ) .

وذكر في تفسير هذه الآية قول آخر وهو أن المراد الذكر والتسبيح ، والمقصود  
أن يكون ذاكر الله في جميع الأوقات في الليل والنهار بقلبه ولسانه ، ذكره الرازي  
ومال إلى القول الأول لأن التقييد بالبكرة والأصيل يدل على أن المراد هو الصلاة .  
انظر تفسيره ( ٢٥٩ / ٣٠ ) وتفسير الخازن ( ١٩٥ / ٧ ) .

( ٤ ) ذكر فيه القرطبي ثلاثة أقوال : قيل : إنه منسوخ بالصلوات الخمس ، وقيل :  
هو ندب ، وقيل : هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم .  
انظر تفسيره ( ١٥٠ / ١٩ ) .

قوله تعالى ( إِنَّ هُوَ لَآ يَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ) معناه : إِنَّ هُوَ لَآ الكفار يحبون العاجلة - أى الدنيا - (١) وقوله تعالى ( ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ) هو يوم القيامة - (٢) وتركهم له هو تركهم العمل والسمى ، (٣) وقوله ( ثقيلاً ) يجوز / أن يكون سماه ثقيلاً ١٣٠ / لشد قالهول والغزع فيه (٤) ، ويجوز : أن يكون سماه ثقيلاً لفصل القضاء فيه بين العباد

( ١ ) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٤١ / ٨ ) \* ( إِنَّ هُوَ لَآ ) يعنى : كفار مكة ( يحبون العاجلة أى : الدار العاجلة : وهى الدنيا ، وقال القرطبي فى تفسيره ( ١٥٠ / ١٩ ) \* قوله تعالى ( إِنَّ هُوَ لَآ يحبون العاجلة ) توبيخ وتقريع ، والمراد أهل مكة ، والعاجلة الدنيا \* .

وذكر الماورى فى تفسيره ( ٣٧٥ / ٤ ) فى المراد بهم قولين : أحدهما : أنه أراد بهم اليهود وما كنموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته .

الثانى : أنه أراد المنافقين لاستبطنهم الكفر \* . وقال : ويحتمل قوله " يحبون العاجلة " وجهين : أحدهما : أخذ الرشا على ما كنموه إذا قيل : إنهم اليهود ، الثانى : طلب الدنيا إذا قيل إنهم المنافقون . ولعله ذهب إلى ذلك لأنه يرى أن السورة مدنية - وأما الآخرون فقد صرحوا بما تقدم ذكره ، وهو أن المراد كفار مكة .

انظر تفسير البغوى ( وتفسير الخازن ( ١٩٥ / ٧ ) وأشار القرطبي إلى ما ذكره الماورى دون تصريح به وقال : والآية تعم ، انظر تفسيره ( ١٥١ / ١٩ ) وهذا هو الصواب .

( ٢ ) صرح غير واحد من المفسرين بأن المراد باليوم الثقيل هو يوم القيامة . انظر تفسير البغوى وتفسير الخازن ( ١٩٥ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ١٥١ / ١٩ ) ، وتفسير ابن كثير ( ٤٥٨ / ٤ ) .

وأما الماورى فذكر فيه وجهين :

أحدهما : ما يحل بهم من القتل والجلأ إذا قيل إنهم اليهود .  
الثانى : يوم القيامة إذا قيل إنهم المنافقون \* انظر تفسيره ( ٣٧٥ / ٤ ) .  
وما ذكره أكثر المفسرين ( يعنى أن المراد يوم القيامة ) هو الصواب .

( ٣ ) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٤١ / ٨ ) فى تفسير الآية : \* والمعنى : أنهم يتركون الإيمان به والعمل له \* . وقال الخازن فى تفسيره ( ١٩٥ / ٧ ) . \* والمعنى : أنهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعطون له \* .

( ٤ ) ذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٧٥ / ٤ ) والزمخشري فى الكشاف ( ٦٧٥ / ٤ ) ، والرازى فى تفسيره ( ٢٦٠ / ٣٠ ) وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٠١ / ٨ ) ، والقرطبي فى تفسيره ( ١٥١ / ١٩ ) .

وعد له معهم وهو في غاية الثقل عليهم إلا من تداركه الله بفضل<sup>(١)</sup> ، قوله تعالى  
( نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ) أي قوينا خلقهم<sup>(٢)</sup> ، وقيل : شدنا مفاصلهم<sup>(٣)</sup> .  
وقيل : هي الأوصال مشددة بالعروق والأعصاب<sup>(٤)</sup> .

وعن مجاهد : أن الأسر هو الشرج<sup>(٥)</sup> ، وذلك مصراً لأنسان يسترخيان<sup>(٦)</sup>

(١) قال الماوردي في تفسيره (٣٧٥/٤) بعد ذكره للوجه الأول : " الثاني :  
للخصائص من عباده " - وقال القرطبي في تفسيره (١٥١/١٩) : وقيل :  
للخصائص فيه بين عباده " . ولا يوجد بين هذه الأوجه خلاف كبير ، ولا يمنع  
أن يكون وصف يوم القيامة بالثقل لهذه الأوجه كلها - وقد جاء في هذا  
اليوم ( إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت  
وتضع كل ذات حمل حملها . . . الآية ) سورة الحج الآية (١ - ٢) .

(٢) هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل . انظر تفسير مقاتل (ق ٣٨١/ب) ،  
وتفسير ابن جرير (٢٢٦/٢٩) وتفسير الماوردي (٣٧٥/٤) وتفسير البغوي  
(١٩٥/٧) وزاد المسير (٤٤١/٨) وتفسير القرطبي (١٥١/١٩) .

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/٢٩) ورواه عن أبي هريرة . انظر أيضاً  
تفسير الماوردي (٣٧٥/٤) وزاد المسير (٤٤١/٨) وتفسير القرطبي (١٥١/١٩)  
والدر المنثور (٣٠٢/٦) .

(٤) ذكر البغوي في تفسيره (١٩٥/٧) عن الحسن أنه قال : " يعني أوصالهم  
شدنا ببعضها إلى بعض بالعروق والعصب " و ذكره ابن الجوزي أيضاً في زاد المسير  
(٤٤١/٨) عن الحسن أنه قال : أوصالهم ببعضها إلى بعض بالعروق والعصب "

وهو قريب مما روي عن أبي هريرة - ولذلك ذكره القرطبي في تفسيره (١٥١/١٩) .  
وعزاه إلى أبي هريرة والحسن والربيع . فقال : وقال أبو هريرة والحسن والربيع : " شدنا  
مفاصلهم وأوصالهم ببعضها إلى بعض بالعروق والعصب "

(٥) قال ابن منظور في لسان العرب (٣٠٧/٢) :  
" الشرج والشرج ، والأولى أفصح : أعلى ثقب الإشت ، وقيل : حثارتها  
( أي حلقة الدبر ) ، وقيل : الشرج العصب التي بين الدبر والأنثيين " .

(٦) كذا في النسختين ، وذكر ابن منظور في لسان العرب (١٩/٤) معنى الأسر  
فقال : مَصْرَتِي البَوْل والفئات " وهذا هو الصواب كما يدل عليه السياق .

عند الفئات ليسهل خروج الأذى فإذا خرج انقبضت<sup>(١)</sup> ، قوله تعالى ( وَإِذَا شِئْنَا  
بدلنا أمثالهم تبديلاً ) أى أهلكناهم وخلقنا خلقاً غيرهم<sup>(٢)</sup> ، قوله ( إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ )

( ١ ) هو مروى عن مجاهد ، ذكره البغوى فى تفسيره ( ١٩٥ / ٧ ) قال : وروى عن مجاهد  
فى الاسر قال : الفوج ، ( لعله الشرح ) يعنى موضع مصر فى البول والفئات  
إذا خرج الأذى انقبضت<sup>(١)</sup> وذكره القوطى فى تفسيره ( ١٥١ / ١٩ ) قال : " وقال  
مجاهد فى تفسير الأسر : هو الشرح ، أى إذا خرج الفئات والبول تقبضت<sup>(١)</sup>  
الموضع " وذكر هذا المعنى ابن منظور فى لسان العرب ( ١٩ / ٤ ) عن ابن الأعرابى  
أنه قال : مَصْرَتَى البول والفئات إذا خرج الأذى تَقَبَّضَتْ ، أو معناه : أنهم ما  
لا تسترخيان قبل الإرادة " وهذا المعنى داخل فى شدة الخلق وكونه موثقاً حسناً :  
انظر روح المعانى ( ١٦٧ / ٢٩ ) .

وقد ذكر فى معنى الأسر قول آخر وهو القوة ، ذكره ابن جرير فى  
تفسيره ( ٢٢٦ / ٢٩ ) عن ابن زيد . وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٧٥ / ٤ )  
والقوطى فى تفسيره ( ١٥١ / ١٩ ) من قول ابن زيد . ، ،

وأما الراجح من هذه الأقوال فقد ذهب ابن جرير إلى اختيار القول الأول  
وهو أن المراد من قوله ( شددنا أسرههم ) أى شددنا خلقهم ، وذكر أن ذلك  
هو المعروف عن العرب - وهو اختيار الفراء فى معانى القرآن ( ٢٢٠ / ٣ ) ،  
وابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن ( ص ٥٠٤ ) وقال : " وأصل هذا من " الإِسَارِ "   
وهو : القيد الذى يشد به الأفتاب ، يقال : ما أحسن ما أسر قتيبه ، أى :  
ما أحسن ما شدّه بالقيد ، وكذلك : امرأة حسنة المصعب إذا كانت مدمجة الخلق  
كأنها عصيت : أى شدت .  
انظر أيضاً لسان العرب ( ١٩ / ٤ ) .

( ٢ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٢٧ / ٢٩ ) عند هذه الآية : " يقول : وإذا نحن  
شئنا أهلكنا هؤلاء وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم أمثالهم من الخلق ، مخالفين  
لهم فى العمل " . ثم روى هذا المعنى عن ابن زيد .

وقال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ١٩٥ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير  
( ٤٤١ / ٨ ) والرازى فى تفسيره ( ٢٦١ / ٣٠ ) " أى إذا شئنا أهلكناهم وأتينا  
بأشباهم فجعلناهم بدلاً منهم " . وزاد الرازى فقال : هو كقوله ( على أن تبدل  
أمثالكم ) سورة الواقعة الآية ٦١ ، والفرض منه بيان الاستفناء التام عنهم كأنسه

٠٠/٠٠

قيل : لا حاجة بنا إلى أحد من المخلوقين البتة ، ويتقدّر أن تثبت الحاجة إلى هؤلاء الأتّوام ، فإننا قادرون على إفنائهم وعلى إيجاد أمثالهم ، ونظيره قوله تعالى " إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا " سورة النساء الآية ١٣٣ وقال : ثم قيل : بدلنا أمثالهم أي في الخلقة وإن كانوا أضدادهم في العمل ، وقيل : أمثالهم في الكفر .

وذكر القرطبي في تفسيره ( ١٥٢ / ١٩ ) عن ابن عباس أنه قال : " يقول : لو نشاء لأهلكناهم وجدنا بأطوع لله منهم ، وعنه أيضا لفتيّنا محاسنهم إلى أسمى الصور وأقبحها ، كذلك روى الضحاك عنه والأول رواه عنه أبو صالح .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٥٨ / ٤ ) : أي وإننا شئنا بمثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً ، وهذا استدلال بالبداية على الرجعة .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٦٧٥ / ٤ ) في تفسير الآية : ( وإننا شئنا ) أهلكناهم ( وبدلنا أمثالهم ) في شدة الأمر يعنى النشأة الأخرى ، وقيل : معناه : بدلنا غيرهم ممن يطبع ، وحقه أن يجىء بأن ، لا بإن ، كقوله ( وإن تتولوا قوماً غيركم ) سورة محمد الآية ٣٨ ( إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ) سورة إبراهيم الآية ١٩ .

وأشار إليه الرازي في تفسيره ( ٢٦١ / ٣٠ ) وقال : وأعلم أن هذا الكلام كأنه طعن في لفظ القرآن وهو ضعيف ، ثم ذكر أن ( إن ) لا تستعمل فيما يكون معلوم الوقوع ، وحرف إذا يستعمل فيما كان معلوم الوقوع ، فهبنا لما كان الله تعالى عالماً بأنه سيجىء وقت يبدل الله فيه أولئك الكفرة بأمثالهم في الخلقة وأضدادهم في الطاعة ، لا جرم حسن استعمال حرف إذا " والصواب من هذه الأقوال هو القول الأول لأنه تدل عليه آية أخرى ، كما تقدّم ذكره نقلاً عن الرازي .

أى الآيات التى أنزلناها ( تذكرة ) أى موعظة وعبوة .<sup>(١)</sup>

قوله تعالى ( فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ) أى : من شاء منكم أيها المخاطبون أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ، فيسهل ذلك عليه لوجود الدلائل ورفع الأعداء فليفعل<sup>(٢)</sup> ، وقيل : هو بمعنى الأمر<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ذكر الماورى فى تفسيره ( ٣٧٥ / ٤ ) فى كل من " هذه " و " تذكرة " وجهين ، فقال : يحتمل بالمراد بـ " هذه " وجهين : أحدهما : هذه السورة ، والثانى : هذه الخلقة التى خلق الإنسان عليها . ويحتمل قوله " تذكرة " وجهين .

أحدهما : إن كان ما غفلت عنه عقولهم ، الثانى : موعظة بما تؤول إليه أمورهم وأكثر المفسرين ذكروا فى الآية وجهاً واحداً وهو أن هذه السورة تذكير وموعظة - وهذا هو الظاهر .

انظر تفسير الطبرى ( ٢٢٧ / ٢٩ ) وتفسير البغوى والخازن ( ١٩٥ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ١٥٢ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٥٨ / ٤ ) .

( ٢ ) ذكر الماورى فى تفسيره ( ٣٧٦ / ٤ ) فى تفسير قوله ( سبيلاً ) وجهين - أحدهما : طريقاً إلى خلاصه .

والثانى : وسيلة إلى جنته " وأما القرطبي فذكر فيه ثلاثة أوجه : فقال : " سبيلاً " أى طريقاً موثقاً إلى طاعته وطلب مرضاته ، وقيل : " سبيلاً " أى وسيلة ، وقيل : وجهة وطريقاً إلى الجنة ، والمعنى واحد ، انظر تفسيره ( ١٥٢ / ١٩ ) .

وأما معنى الآية فقال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٢٧ / ٢٩ ) : " يقول : فمن شاء أيها الناس اتخذ إلى رضا ربه بالعمل بطاعته ، والانتها إلى أمره ونهيه ، وما تشاءون " اتخذ السبيل الى ربكم أيها الناس إلا أن يشاء الله " ذلك لكم لأن الأمر إليه لا إليكم " .

وقال القرطبي : " وما تشاءون " أى الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله " إلا أن يشاء الله " فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم ، وأنه لا تنفذ مشيئة أحد ولا تتقدم ، إلا أن تتقد مشيئته " .

وقال ابن جزى فى التسهيل ( ١٧٠ / ٤ ) : " فمن شاء " تحضيض وترغيب ، ثم قيد مشيئتهم بمشيئته " .

( ٣ ) لم أجد من صرح بهذا القول ، وقد أشار إليه شيخ الإسلام ابن قتيبة فى مجموع الفتاوى ( ٤٨٨ / ٨ ) ثم رد على ذلك - قال : " إذا قالوا : المراد بالمشيئة هنا الأمر على أصلهم ، والمعنى : وما يشاءون فعل ما أمر الله به إن لم يأمر الله به ، قيل : سياق الآية يبين أنه ليس المراد هذا ، بل المراد وما تشاءون بعد أن أمرتم بالفعل أن تفعلوه إلا أن يشاء الله ، فإنه تعالى ذكر الأمر والنهى والوعد والوعيد ثم قال بعد ذلك : " إن هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً وما تشاءون إلا أن يشاء الله " .



وقوله ( وما تشاءون إلا أن يشاء الله ) رد مشيئتهم إلى مشيئته ، والمعنى : لا يريدون إلا بإرادة الله - وهو موافق لعقائد أهل السنة : أنه لا يفعل أحد شيئاً ولا يختاره ولا يشاءه إلا بمشيئة الله<sup>(١)</sup> - وفي بعض الأخبار : أن رجلاً كان يقول

( ١ ) هذه المسألة من أهم المسائل في العقيدة ، وهى تتعلق بأحد أركان الإيمان الستة وهو الإيمان بالقضاء والقدر ، وقد كثر فيها القيل والقال ، واختلف الناس فيها على ثلاثة أقوال .

القول الأول : هو قول القدرية والمعتزلة فإنهم يقولون : إن العبد له الخيار المطلق فى سلوكه سبيل الخير والشر ، وإنه خالق لأفعاله الاختيارية . ولا تعلق لها بخلق الله تعالى ، وإن له المشيئة والإرادة الكاملة ، حتى قالوا : قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله " تعالى الله عما يقولون .

والقول الثانى : هو قول الجبرية الجهمية ، الذين يقولون بنفى الفعل حقيقة عن العبد ، ويقولون بإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى . فالعبد عندهم مجبور محض ، ليس له إرادة ولا مشيئة ، وأفعاله كلها اضطرارية كحركات المرتعش ، وإضافتها إليه مجاز ، والقول الثالث : هو قول أهل السنة والجماعة ، الذين توسطوا بين الطائفتين حيث أخذوا ما عند كل من الفريقين من الحق ، وردوا ما عند كل منهما من الباطل فأثبتوا للعباد أفعالاً حقيقية بها صاروا مطيعين لله وعصاة له ، وقالوا : إنها مخلوقة لله تعالى ، لأنه هو الذى تنفرد بخلق المخلوقات ، فلا خالق سواه ، كما أنهم أثبتوا للعباد اختياراً ومشيئة وقالوا : إن هذا الاختيار أو هذه المشيئة معلقة بمشيئة الله تعالى إذ لا يكون فى ملكه إلا ما يشاء ، فلا بد أن تتقدم مشيئة الله على مشيئة عباده - وهذا هو الصواب الذى دل عليه الكتاب والسنة وعليه سلف هذه الأمة ثم إن كلا من الطائفتين استدلوا على ما ذهبوا إليه بأدلة ، وكسل دليل صحيح يقيمه الجبرى ، فهو يدل على أن الله خالق كل شىء وأنه على كل شىء قدير ، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته . وأنه ما يشاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولكنه لا يدل على أن العبد ليس بفاعل فى الحقيقة ولا مرید ولا مختار ، وكذلك كل دليل صحيح يقيمه القدرى فهو يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مرید له مختار له حقيقة وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق ، ولكنه لا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى ، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته ، فإذا ضم ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل

٠٠/٠٠

ذلك على ما دل عليه الكتاب والسنة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال ، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم ، انتهى ملخصاً من شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٩٤) .

وراجع لمعرفة قول الطائفتين وأدلتهم بالتفصيل شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ٣٢٣ - ٣٩٢ ) والطل والنحل للشهرستاني ( ١ / ٤٥ ، ٨٥ ) ، وانظر مذهب السلف والرد على أدلة الطائفتين في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٢١ - ١٢٥ ) وأماكن أخرى من هذا المجلد ، وشرح العقيدة الطحاوية ( ٤٩٤ - ٥٠٢ ) ولوامع الأنوار ( ١ / ٢٩١ - ٣٠٠ ) .

وأما الاستدلال بهذه الآية فذكر الرازي في تفسيره ( ٣٠ / ٢٦٢ ) أن كتبا الطائفتين استدلت على مذهبها بهذه الآية ، فالقدرى تمسك بقوله تعالى ( فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ) وأما الجبرى فقال : متى ضمت هذه الآية إلى الآية التي بعدها خرج منه صريح مذهب الجبر .

وأما شيخ الاسلام ابن تيمية فذكر في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٤٨٨ ) قوله تعالى : ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ) وقال : ( لا يدل ( أى الآية المذكورة ) على أن العبد ليس بفاعل لفعله الاختيارى ، ولا أنه ليس بقادر عليه ، ولا أنه ليس بمريد بل يدل على أنه لا يشاؤه إلا أن يشاء الله ، وهذه الآية رد على الطائفتين ، المجسرة الجهمية ، والمعتزلة القدرية ، فإنه تعالى قال : " لِيَعْنِ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ " فأثبت للعبد مشيئة وفعلاً ، ثم قال : ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ) فبين أن مشيئة العبد معلقة بمشيئة الله ، والأولى رد على الجبرية ، وهذه رد على القدرة الذين يقولون : قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله كما يقولون : إن الله يشاء ما لا يشاءون ) .

إلا ماشاء الله وشاء محمد فسمع النبي عليه السلام ذلك فقال : أمثلان ؟ قال : قتل :  
 ماشاء الله ثم شاء محمد . (١)

وقوله ( إن الله كان عليمًا حكيمًا ) قد بيناه قوله تعالى ( يدخل من يشاء فسي  
 رحمة ) أي في جنته ، وقيل : في الإسلام<sup>(٢)</sup> ، والأول أفضل في هذا الموضع لأن

(١) روى الإمام أحمد في مسنده ( ٢١٤ / ١ ) بسنده عن ابن عباس : " أن رجلاً  
 قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ماشاء الله وشئت ، فقال له النبي صلى الله  
 عليه وسلم : أجعلتنى والله عدلاً ، بل ماشاء الله وحده . . وأخرج أيضاً في  
 مسنده ( ٣٧١ / ٦ - ٣٧٢ ) والحاكم في المستدرک ( ٢٩٧ / ٤ ) بسندهما عن  
 قتيلة بنت صفى الجهنية قالت : أتى حبر من الأعبار رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، فقال : يا محمد . نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ، قال : سبحان الله  
 وماذا لك ؟ قال : " تقولون إذا حلفتم : والكعبة " ، قالت : فأمهـل  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : إنه قد قال : فمن حلف فليحلف  
 برب الكعبة ، - قال : يا محمد . نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله نداً ،  
 قال : سبحان الله ، وماذا لك . . . قال : تقولون : ماشاء الله  
 وشئت ، قال : فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : إنه قد  
 قال : فمن قال : ماشاء الله فليفصل بينهما ثم شئت " هذا لفظ الإمام أحمد  
 وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي " .  
 وقد أورد الألبانى في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٣٦ هذا الحديث وغيره  
 من الأحاديث فسي هذا المعنى وصححها .

(٢) ذكر القولين الرازى في تفسيره ( ٢٦٣ / ٣٠ ) قال : " إن فسرنا الرحمة  
 بالإيمان ، فالآية صريحة في أن الإيمان من الله ، وإن فسرناها بالجنة  
 كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله وفضله لا بسبب الاستحقاق .  
 انظر أيضاً تفسير الخازن ( ١٩٥ / ٧ ) .

أما ابن الجوزى والقرطبى فلم يذكر فيهما إلا القول الأول . انظر زاد  
 المسير ( ٤٤٣ / ٨ ) وتفسير القرطبى ( ١٥٣ / ١٩ ) .

الله قال عقبه ( والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً ) أى النار ، ونصب ( الظالمين ) لأن  
تقديره : وأعد للظالمين عذاباً أليماً<sup>(١)</sup> .

وأورد أبو الحسن بن فارس<sup>(٢)</sup> فى تفسيره فى آخر السورة برواية جابر الجعفى عن  
قيس<sup>(٤)</sup> مولى على أن الحسن والحسين مرضاً مرضاً شديداً فنذر على صيام ثلاثة أيام  
ونذرت فاطمة كذلك ونذر الحسن والحسين كذلك فلما شفاهما الله تعالى ابتدوا  
جميعاً الصوم فلما كان فى اليوم الأول خبزت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير وقد موها عند  
إفطارهم ليفطروا فجاء مسكين وقال يا أهل بيت الرسول مسكين على الباب اطعموا  
مما أطعمكم الله فأعطوه الاقراص وطووا ثم أنهم لما كانوا فى اليوم الثانى اتخذت فاطمة  
رضى الله عنها مثل ما اتخذت فى اليوم الأول وقد موه عند المساء ليفطروا فجاء يتيم

( ١ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٢٧ / ٢٩ ) " ونصب قوله ( والظالمين ) لأن  
السواو ظرف لأعد ، والمعنى : وأعد للظالمين عذاباً أليماً ، وذكر أن  
ذلك فى قراءة عبد الله ( وللظالمين أعد لهم ) بتكرير اللام " .

وقد ذكر أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن ( ٥٨٦ / ٣ ) هذا التوجيه  
وعزاه إلى الكوفيين .

وقال أبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٠٢ / ٨ ) :

وقرأ الجمهور ( الظالمين ) نصباً بإضمار فعل يفسره قوله ( أعد لهم )  
وتقديره ويمذّب الظالمين وهو من باب الاشتغال جملة عطف فعلية على  
جملة فعلية .

وقال : وقرأ عبد الله ( وللظالمين ) بلام الجر وهو متعلق ( بأعد لهم )  
توكيداً ، ولا يجوز أن يكون من باب الاشتغال ويقدر فعل يفسره الفعل السدى  
بعده فيكون التقدير : وأعد للظالمين أعد لهم وهذا مذهب الجمهور " .

( ٢ ) كذا فى النسختين ( أبو الحسن ابن فارس ) وتقدم ذكره غير مرة فى بعضها  
( ابن فراس ) وفى بعضها ( ابن فارس ) والصواب ( ابن فراس ) تقدمت ترجمته  
فى صفحة ( ٢٢٤ )

( ٣ ) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى أبو عبد الله الكوفى أحد علماء الشيعة .  
قال الحافظ ابن حجر : ضعيف رافضى .  
انظر ميزان الاعتدال ٣٧٩ / ١ ، وتقريب التهذيب ٥٣ .

( ٤ ) كذا فى النسختين ( قيس ) ولعله تصحيف من ( قنبر ) والقصة أوردها القوطى فى  
تفسيره ( ١٣١ / ١٩ ) من رواية جابر الجعفى ، فقال : ورواه جابر الجعفى عن قنبر  
مولى على ، وقنبر ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال ( ٣٩٢ / ٣ ) قال : قنبر مولى  
على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يشب حد يث ، قال الأزدي : يقال : كبر حتى  
كان لا يدرى ما يقول أو يروى - قلت : قل ما روى " هـ .

ودعا كما ذكرنا فاعطوه وطووا شم لما كان في اليوم الثالث اتخذت  
فاطمة ما بينا وقد موه في المساء ليفطروا فجاء أسير وقال يا أهل  
بيت محمد أطمعونا مما أطمعكم فاعطوه ذلك وطووا فأنزل الله  
( يوفون بالندر ) الآيات والله أعلم .<sup>(١)</sup>

---

(١) ذكر هذه الرواية القرطبي في تفسيره (١٣١/١٩) وتقدم الكلام  
على هذه القصة (في ص ٢٧٠) والصحيح أنها غير ثابتة سنداً ومتناً  
راجع للتفصيل الصفحة المشار إليها .

- تفسير سورة المرسلات - وهي مكية - (١)

وعن ابن عباس وقتادة قالا : هي مكية إلا قوله تعالى ( وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ) ، وروى ابراهيم عن الأسود (٣) عن عبد الله بن مسعود قال : نزلت سورة ( والمرسلات ) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه على جبل / حراء ، ١٠٠ / فآخذتها رطباً من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت حية من جحرها فقصدتها فدخلت جحرها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وَقِيَّتْ شَرْكُكُمْ كَمَا وَقِيَّتُمْ شَرَّهَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ (٤) .

(١) صرح ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤٣/٨) بأن السورة كلها مكية في قول الجمهور .

وعزا الماوردي في تفسيره (٣٧٧/٤) والقرطبي في تفسيره (١٥٣/١٩) هذا القول إلى الحسن وعكرمة وعطاء وجابر .  
انظر أيضاً دلائل النبوة للبيهقي (١٤٢/٧) .

(٢) ذكر هذا القول عن ابن عباس وقتادة الماوردي في تفسيره (٣٧٧/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٤٤٣/٨) والقرطبي في تفسيره (١٥٣/١٩) ، وذكره السيوطي في الإتقان (١٧/١) وقال : حكاه ابن الفرس وغيره .

(٣) هو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن مخضرم ثقة مكشور فقيه ، مات سنة أربع أو خمس وسبعين .  
تقريب التهذيب ( ص ٣٦ ) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٥/٨ - رقم ٤٩٣١) والإمام أحمد في مسنده (٤٥٦/١) . كلاهما من طريق الأعمش عن ابراهيم عن الأسود ، كما أخرجهما من طرق أخرى متعددة .

انظر صحيح البخاري ٣٥/٤ ، ٣٥٥/٦ ، ٦٨٥/٨ - ٦٨٦ ، ومسند

الإمام أحمد ٣٧٧/١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٨ ، ٤٥٢ .

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ) قال أكثر المفسرين : على أنها الرياح ( ترسل عرفاً ) أى تتبع بعضها بعضاً كعريف الغوص . ( ٢ ) وعن ابن مسعود وأبي هريرة قالا : هبى الملائكة ترسل بالعرف أى المعروف . ( ٣ )

( ١ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ٢٤١ / ٩ ) " وعُرْفَالِدٌ يَكُ وَالْفَرَسُ وَالِدَا بَسَّةٍ وَغَيْرَهَا : مَنبَتُ الشَّعْرِ وَالرَّيْشِ مِنَ الْعُنُقِ " .

( ٢ ) هو قول الجمهور من المفسرين ، كما صرح به القرطبي فى تفسيره ( ١٥٤ / ١٩ ) ، وقد ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٢٢٨ / ٢٩ ) ورواه عن عبد الله بن مسعود من طريق أبي العبيد بن عباس وأبي صالح ومجاهد وقتادة وغيرهم . وذكره ابن الجوزى فى تفسيره ( ٤٤٤ / ٨ ) وعزاه إلى من تقدم ذكرهم ، وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٧٧ / ٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ١٩٥ / ٧ ) دون عزوه إلى أحد . انظر أيضاً تفسير الرازى ( ٣٠ / ٢٦٤ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٥٩ / ٤ ) والدر المنثور ( ٣٠٣ / ٦ ) .

( ٣ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٢٢٩ / ٢٩ ) بسنده عن مسروق عن عبد الله بن مسعود وذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٠٣ / ٦ ) وعزاه إلى ابن جرير . أما حديث ابن هريرة فقد رواه الحاكم فى مستدرکه ( ٥١١ / ٢ ) بسنده عن الأعشى عن أبي صالح عنه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ووافقه الذهبى وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٠٣ / ٦ ) وعزاه إلى ابن أبي حاتم أيضاً . وأورده الماورى فى تفسيره ( ٣٧٧ / ٤ ) وعزاه إلى أبي هريرة وإن مسعود ، وأورده ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٤٤ / ٨ ) ونسبه إلى ابن مسعود وأبي هريرة ومقاتل ، وزاد عليه القرطبي فى تفسيره ( ١٥٤ / ١٩ ) فذكر أنه قول أبي صالح والكلبي " واختاره الفراء أيضاً ، وقال : وأما قوله ( عرفاً ) فيقال أرسلت بالمعروف ، ويقال : تتابعت كعريف الفرس ، والعرب تقول : تركت الناس إلى فلان عرفاً واحداً إذا توجهوا إليه فأكثروا " انظر معانى القرآن ( ٢٢١ / ٣ ) وانظر أيضاً تفسير مقاتل ( ق / ٣٨١ ) وقيل ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن ( ٥٠٥ ) " ( المرسلات ) الملائكة ، ( عرفاً ) أى متتابعة - يقال : هم إليه عرفواً واحد ، ويقال : أرسلت بالعرف ، أى بالمعروف " . انظر أيضاً تفسير البغوى ( ١٩٥ / ٧ ) والكشاف ( ٦٧٧ / ٤ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٥٩ / ٤ ) ، وأثر فى معنى المرسلات قول آخر وهو أنهم الأنبياء والرسل يوسلون بما يعرفون به من المعجزات ، ذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٧٧ / ٤ ) وعزاه إلى أبي صالح وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٤٥ / ٨ ) وقال : وهذا معنى قول أبي صالح - ذكره الزجاج . وذكره القرطبي فى تفسيره ( ١٥٤ / ١٩ ) عن ابن عباس وأبي صالح وقد توقف ابن جرير فى تفسيره ( ٢٢٩ / ٢٩ ) فى اختيار أحد هذه الأقوال . وصرح بأنه ليس هناك نص يدل على تعيين المراد منه فكل من كانت صفته كذا يدخل فى قسمه تبارك وتعالى . وأشار ابن كثير فى تفسيره ( ٤٥٩ / ٤ ) إلى توقف ابن جرير ثم قال : والأظهر أن المرسلات هى الرياح كما قال تعالى ( وأرسلنا الرياح لواقح ) سورة الحجر الآية ٢٢ ، وقال تعالى ( وهو الذى يُوسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ عَصَاتِهِ ) ( سورة الأعراف الآية ٥٧ ) وبهذا يمكن أن نختار القول بأن المرسلات هى الرياح .

وقوله ( فَالْمَاصِفَاتِ عَصْفًا ) هي الرياح وعصفها شدة هبوبها<sup>(١)</sup> . يقال :  
عَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَعَصَفَتْ إِذَا اشْتَدَّتْ ، قاله ابن السكيت<sup>(٢)</sup> . يقال : الرياح عاصفات  
لأنها تأتي بالعصف أي بورق الزرع<sup>(٣)</sup> . وقيل : إنها الملائكة تعصف بأرواح الكفار<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكره ابن جريرو في تفسيره ( ٢٢٩ / ٢٩ ) وقال في تفسير هذه الآية : " يقول  
جل ذكره : فالرياح العاصفات عصفاً ، يعني الشديداً الهبوب السريعات  
الممر " ثم روى هذا المعنى عن غير واحد من أئمة التفسير ولم يذكر في الآية  
قولاً آخر . وأورد هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٣٧٧ / ٤ ) وعزاه إلى السي  
ابن مسعود .

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٥ / ٨ ) وعزاه إلى الجمهور وصرح القرطبي  
في تفسيره ( ١٥٥ / ١٩ ) نقلاً عن المهدوي بأنه ليس في ذلك خلاف " وقد ذكر  
فيه قولاً آخر كما سيأتي إن شاء الله فلعلم المقصود من التصريح بعدم الخلاف في  
ذلك هو اتفاق أكثر المفسرين .

( ٢ ) ذكره عنه الأزهري في تهذيب اللغة ( ٤٢ / ٢ ) وقال الجوهري في الصحاح ( ١٤٠٤ / ٤ )  
وَعَصَفَتِ الرِّيحُ ، أي اشتدت ، فهي ريح عاصف وعصوف " .  
انظر أيضاً لسان العرب ( ٢٤٨ / ٩ ) .

( ٣ ) قال القرطبي في تفسيره ( ١٥٥ / ١٩ ) " وعن ابن مسعود : هي الرياح العواصف  
تأتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه " وأشار إلى هذا القول ابن سيده في المحكم  
( ٢٧٨ / ١ ) وابن منظور في لسان العرب ( ٢٤٨ / ٩ ) فقالا : وفي التنزيل :  
" وَالْمَاصِفَاتِ عَصْفًا " يعني الرياح ، والرِّيحُ تَعَصِفُ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ جَوْلَانِ التَّرَابِ  
تمضي به ، وقد قيل : إن العصف الذي هو التبن مشتق منه لأن الرياح تعصيف به ،  
وعقب على هذا ابن سيده فقال : وهذا ليس بقوى " .

( ٤ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٧٧ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٥ / ٨ ) ونسبها  
إلى مسلم بن صبيح وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٥٥ / ١٩ ) قال : قيل : العاصفات  
الملائكة المولكون بالرياح يعصفون بها ، وقيل : الملائكة تعصف بروح الكافر ، يقال :  
عصف بالشئ أي : أباده وأهلكه " . وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٠٤ / ٨ ) .  
" قيل : الملائكة تعصف بأرواح الكفار أي تزعجها بشدة . أو تعصف في مضيها كما  
تعصف الرياح تحقاً في امثال أمره " .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٧٧ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٥٥ / ١٩ ) ،  
وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٠٤ / ٨ ) قولاً آخر وهو أنها الآيات المهلكة كالزلازل  
والخسوف - والقول الأول ( أي أنها الرياح ) هو اختيار أكثر المفسرين . انظر معاني  
القرآن للفراء ( ٣٢١ / ٣ ) وتفسير غريب القرآن ( ٥٠٥ ) وتفسير البغوي ( ١٩٥ / ٧ )  
وتفسير ابن كثير ( ٤٥٩ / ٤ ) .



وقوله ( والناشرات تنشرا ) وهى الرياح أيضا تنشر السحاب<sup>(١)</sup> . وقيل : إنها الملائكة تنشر الصحف على العباد يوم القيامة<sup>(٢)</sup> . وقال أبو صالح<sup>(٣)</sup> : هى الأمطار تنشر النبات<sup>(٤)</sup> . قال الأعشى<sup>(٥)</sup> :

لو أسندت ميثاً إلى صدرها      عاش ولم يُنقل إلى قابِـر  
حتى يقول الناسُ ما رأوا      يا عجباً للميتِ الناشرِ

(١) ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٩/٢٣٠) ورواه عن عبد الله بن مسعود ومجاهد وقتاده وأبى صالح . وذكره الماورى فى تفسيره (٤/٣٧٨) قال : "إنها الرياح تنشر السحاب، قاله ابن مسعود" وكذا ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٨/٤٤٥) وعزاه أيضا إلى الجمهور . انظر أيضا تفسير البغوى (٧/١٩٥) وتفسير القرطبي (١٩/١٥٥) .

(٢) قال ابن جرير : وقال آخرون : بل هى الملائكة التى تنشر الكتب - وروى ذلك عن أبى صالح . انظر تفسيره (٢٩/٢٣١) وذكره الماورى فى تفسيره (٤/٣٧٨) وابن الجوزى فى زاد المسير (٨/٤٤٥) ونسباه إلى أبى صالح . وذكره البغوى فى تفسيره (٧/١٩٥) من قول مقاتل . وأبوحيان فى البحر المحيط (٨/٤٠٤) وعزاه إلى السدى وأبى صالح ومقاتل - وقال مقاتل فى تفسيره (ق/٣٨١ ب) " والناشرات نشرأ " : وهى أعمال بنى آدم تنشر يوم القيامة " . (٣) هو باذان ويقال : باذان ، أبو صالح مولى أم هانىء ضعيف مدلس . انظر تقريب التهذيب (ص٢٤) .

(٤) زواه ابن جرير فى تفسيره (٢٩/٢٣١) بسنده عن أبى صالح وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٦/٣٠٣) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ فى العظمة " وأورده الماورى فى تفسيره (٤/٣٧٨) قال : إنه المطر . ينشر النبات ، قاله أبو صالح . وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٨/٤٤٥) نقلاً عن الماورى وذكره القرطبي أيضا فى تفسيره (١٩/١٥٥) عن أبى صالح ، وقال : فالنشر بمعنى الإحياء ، يقال : نشر الله الميت وأنشره أى أحياه . انظر أيضا البحر المحيط (٨/٤٠٤) .

(٥) هو ميمون بن قيس بن جندل الأعشى الكبير شاعر جاهلى تقدمت ترجمته فى ص (٢٥)

(٦) انظر البيهقي فى ديوان الأعشى (ص٩٣) ، وهما سيأتيان عند قوله تعالى " ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره " سورة عبس ( الآية ٢١ ، ٢٢ ) . وقد ذكر فى معنى ( الناشرات ) قولان أخران أحدهما : أنه البعث يوم القيامة تنشر فيه الأرواح قاله الربيع ، والثاني : أنها الصحف تنشر على الله بأعمال العباد قاله الضحاك . انظر تفسير الماورى (٤/٣٧٨) وزاد المسير (٨/٤٤٥) وتفسير القرطبي (١٩/١٥٥) . وهنا أيضا توقف ابن جرير ولم يعين شيئا . من هذه الأقوال . وأما ابن كثير فقد اختار منها القول بانها الرياح - كما اختار فى العرشات والمعاصفات أنها الرياح . فقال : وكذا الناشرات هى الرياح التى تنشر السحاب فى آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل " .

انظر تفسير الطبرى (٢٩/٢٣١) وتفسير ابن كثير (٤/٤٥٩) .

وقوله ( فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا ) في قول أكثر المفسرين : هم الملائكة يأتون بالفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام<sup>(١)</sup> . وقال قتادة : هي آي القرآن فرقت بين الحق والباطل والحلال والحرام<sup>(٢)</sup> ، وقوله ( فالملقيات ذكرا ) : هي الملائكة تلقي الوحي على الأنبياء والرسل<sup>(٣)</sup> ، وقيل : إنهم الأنبياء<sup>(٤)</sup> . وكذلك فسرت الآية الأولى وهي مثل

( ١ ) ذكره ابن جريو في تفسيره ( ٢٣٢ / ٢٩ ) ورواه عن ابن عباس وأبي صالح ، وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٧٨ / ٤ ) من قول ابن عباس . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٦ / ٨ ) وقال : قاله الأكتشرون . وهو قول ابن مسعود ومجاهد والضحاك ومسروق والربيع بن أنس والسدي والثوري أيضاً .  
انظر تفسير البغوي ( ١٩٥ / ٧ - ١٩٦ ) وتفسير القرطبي ( ١٥٥ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٤٠٤ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٥٩ / ٤ ) .

( ٢ ) رواه ابن جريو في تفسيره ( ٢٣٢ / ٢٩ ) بسنده عن قتادة . وهو قول الحسن وابن كيسان أيضاً .

انظر تفسير الماوردي ( ٣٧٨ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ١٩٦ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٤٦ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ١٥٥ / ١٩ ) . وقيل في معناه أيضاً : أنها الرياح تفوق السحاب وتبدده قال مجاهد .

وقيل : الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام قاله أبو صالح . وقيل : العقول تفرق بين الحق والباطل .

انظر تفسير البغوي ( ١٩٦ / ٧ ) وتفسير الماوردي ( ٣٧٨ / ٤ ) وزاد المسير والقرطبي ( ١٥٥ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٤٠٤ / ٨ ) ، وهنا أيضاً توقف ابن جريو ولم يقطع بواحد من هذه الأقوال وقال : أقسم ربنا جل ثناؤه بالفارقات ، وهي الفاصلات بين الحق والباطل ، ولم يخصص بذلك منهن بعضاً دون بعض ، فذلك قسم بكل فارقة بين الحق والباطل . ملكاً كان أو قرآناً ، أو غير ذلك .  
انظر تفسيره ( ٢٣٢ / ٢٩ ) .

( ٣ ) ذكره ابن جريو في تفسيره ( ٢٣٢ / ٢٩ ) فقال : " وقوله ( فالملقيات ذكراً ) يقول : فالمبلغات وحي الله ورسله وهي الملائكة " ثم روى نحو هذا المعنى عن ابن عباس وقتادة وسفيان .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٧٨ / ٤ ) قال : الملائكة تلقي ما حملت من الوحي والقرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء قاله الكلبى . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٦ / ٨ ) وقال : هذا مذهب ابن عباس وقتادة والجمهور ، انظر أيضاً البحر المحيط ( ٤٠٤ / ٨ ) .

( ٤ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٧٨ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٦ / ٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٥٦ / ١٩ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٠٤ / ٨ ) كلهم نسبوه إلى قطرب .

قوله ( فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا ) في بعض الأقوال (١) - والإلقاء طرح الشيء على الشيء (٢) ، وهو فسي هذا الموضح للتبيين والإفهام فالملائكة يلقون على الأنبياء والأنبياء يلقون على الأمم والمعلماء يلقون على المتعلمين . (٣)

(١) يقصد بذلك ماتقدم في تفسير الآية السابقة ( فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا ) من قول أبي صالح : إنهم الرسل الذين يفرقون بين الحق والباطل .

(٢) قال الزاغب الأصفهاني في المفردات (ص ٤٥٣) " الإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه أي تراه ، ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح " . وقال ابن منظور في لسان العرب (٢٥٥/١٥) " ألقى الشيء : طَرَحَهُ " انظراً أيضاً الصحاح (٢٤٨٤/١) .

(٣) لم أجد من ذكر هذا التوجيه ، وفي الآية أقوال أخرى ، منها ما ذكره الماوردي في تفسيره (٣٧٨/٤) فقال : ويحتمل ثالثاً : أنها النفوس تلقي في الأجساد ماتريد من الأعمال . وقيل : هو جبريل وسمى باسم الجمع ، لأنه كان ينزل بها ذكره القرطبي في تفسيره (١٥٦/١٩) . وقال الربيع : آيات القرآن ألقى على النبي صلى الله عليه وسلم ، والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول ( أي الملائكة ) لأنه يكاد يكون مجمعاً عليه بين المفسرين . وقد صرح القرطبي في تفسيره (١٥٦/١٩) نقلاً عن المهدوي الإجماع على ذلك ، وذكر ابن كثير في تفسيره (٤٥٩/٤) في الفارقات والطقيات أنها الملائكة - ثم نسبه إلى جماعة من المفسرين وقال بعد ذلك : ولا خلاف ههنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغي ، والحلال والحرام وتلقى إلى الرسل وحياً فيه إعدار إلى الحق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره .

هذا ، واختار الزمخشري في الكشاف (٦٧٧/٤) أن تكون ( والمرسلات ) إلى آخر الأوصاف إما للملائكة وإما للرياح . فللملائكة تكون عذراً للمحقين أو نذراً للمبطلين ، وللرياح يكون المعنى : فالقنين ذكراً إما عذر للذين يعتذرون إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها ولمسا إنذاراً للذين يغلطون عن الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء ويجعلن طقيات للذكور لكونهن سبباً في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت . . . ونذهب بعض المفسرين إلى أن المقسم به شيطان ، وذلك لأنه جاء العطف بالواو في ( والناشرات ) والعطف بالواو يدل على التفايير ، فالظاهر أنه أقسم أولاً بالرياح فهي مرسلاته تعالى ويبدل عليه عطف الصفة بالفاء وأن العصف من صفات الريح ، والقسم الثاني فيه ترق إلى أشرف من المقسم به الأول وهم الملائكة - ويكون الفارقات فالطقيات من صفاتهم انظر البحر المحيط (٤٠٤/٨) - وقال النحاس في اعراب القرآن (٥٨٩/٣) ، " ولم نجد حجة قاطعة لأحد هذه الأقوال فوجب أن يرد إلى عموم الظاهر فيكون عاماً لهذه الأشياء كلها " . ورجح ابن القيم في التبيين (ص ١٠٧) أن القسم في هذه الآيات توقع على النوعين الرياح والملائكة ، ووجه المناسبة أن حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان بالرياح بخقد جعلها الله نشرواً ، وحياة القلوب والأرواح بالملائكة فهذين النوعين يحصل نوعاً الحياة " .

وقوله (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) وقرئ (عُذْرًا) بتسكين الذال (١) : قال الفراء : إِعْذَارًا  
وإِنذارًا (٢) ، وقيل : للإِعْذَارِ وَالإِنذارِ (٣) ، وقال الحسن : ليقيم عذره لخلقه بإقامة  
الحجة عليهم وأنه عذبهم حين استحقوا العذاب بإنكارهم بعد إقامة الحجج، والعذر :  
ظهور معنى يوضع اللوم عن الإنسان وهذا الحد في حق الخلق ، فأما في حق  
الله فإلا (٤) - ونصب (عُذْرًا) على أنه بدل من قوله (نُذْرًا) فكأنه قال : فالمطقيات

(١) قال عبد الرحمن بن زنجلة في حجة القراءات (ص ٢٤٢) "قرأ الأعمش : "عُذْرًا  
أَوْ نُذْرًا" بضم الذال فيهما - وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وأبو بكر : "عُذْرًا"  
ساكنة الذال "أَوْ نُذْرًا" مضمومة الذال ، وقرأ الباقون بإسكان الذال فيهما"  
انظر أيضا التيسير (ص ٢٦٨) والكشف عن وجوه القراءات ٣٥٧/٢ وتفسير  
البفوى (١٩٦/٧) وزاد المسير (٤٤٦/٨) وقال ابن جربو في تفسيره (٢٣٣/٢٩)  
بعد ذكره لهذه القراءات : والتخفيف فيهما أعجب إليّ ، وإن لم أرفع صحة التثقيب  
لأنهما مصدران بمعنى الإِعْذَارِ وَالإِنذارِ .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن (٢٢٢/٣) "وهو مصدر مخففاً كان أو مثقلاً ،  
ونصب (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) أي : أرسلت بما أرسلت به إِعْذَارِ مِنَ اللَّهِ وَإِنذارًا"  
انظر أيضا زاد المسير (٤٤٦/٨) وتفسير القرطبي (١٥٦/١٩) .

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤٦/٨) "ويجوز أن يكون المعنى :  
فالمطقيات ذكرًا للإِعْذَارِ وَالإِنذارِ"  
انظر أيضا تفسير القرطبي (١٥٦/١٩) وتفسير الخازن (١٩٦/٧) .

(٤) لم أجد من ذكر عن الحسن هذا القول . وقد صرح ابن قتبية في تفسير غريب  
القرآن (ص ٥٤٣) بأن (أَوْ) في هذه الآية بمعنى واو النسق ، يريد عُذْرًا  
وَنُذْرًا ، وقال في تفسير غريب القرآن (ص ٥٠٥) : "عُذْرًا أَوْ نُذْرًا" إِعْذَارًا  
مِنَ اللَّهِ وَإِنذارًا"  
وقال الماوردي في تفسيره (٣٧٨/٤) : "عُذْرًا أَوْ نُذْرًا" : يعني عُذْرًا مِّنَ  
اللَّهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ ، وَنُذْرًا إِلَىٰ يَهُودٍ مِنْ عَذَابِهِ ، وَيَحْتَمِلُ ثَانِيًا : عُذْرًا مِنَ اللَّهِ بِالْتَمَكُنِ  
وَنُذْرًا بِالْتَحْذِيرِ ، ثُمَّ ذَكَرَ فِيهَا جَعْلَهُ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ثَلَاثَةَ أَقْوَابٍ .  
أحدها : الملائكة ، قاله ابن عباس . الثاني : الرسل ، قاله أبو صالح ،  
الثالث : القرآن ، قاله السدي .  
وليس هناك مانع من إرادة جميع هذه الأقوال وغيرها مما يدخل تحت العذر  
والنذر .

(٥) هذا الذي ذكره المؤلف في معنى العذر لم أجد من ذكره من اللغويين والمفسرين ،  
وقال ابن منظور في لسان العرب (٥٤٥/٤) : العذر : الحجة التي يعتذر بها"  
وقال أبو حيان في البحر المحیط (٤٠٥/٨) : والإِعْذَارُ : هو بقاء الحججة  
على الخلق ، والإِنذارُ : هو بالعذاب والنقمة " - وقال ابن جزي في التسهيل  
(١٧٠/٤) : العذر فسرّه ابن عطية وغيره بمعنى إِعْذَارِ اللَّهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ لِثَلَاثِ  
تَبْقَىٰ لَهُمْ حُجَّةٌ أَوْ عَذْرٌ ، - وقال : وأما نُذْرًا فمِنَ الإِنذارِ وَهُوَ التَّخْوِيفُ .

عُذْرًا أو نُذْرًا (١) ، قوله تعالى ( إِنَّمَا تَوَعَّدُونَ لِمَ لَوَاقِع ) إلى هذا الموضع كان قسمًا ، وقوله ( إِنَّمَا تَوَعَّدُونَ لِمَ لَوَاقِع ) عليه وقع القسم ، وقيل : إن الله تعالى أقسم بهذه الأشياء له أن يقسم بما شاء من خلقه (٢) ، وقيل : في الآية إضمار ، ومعناه : ورب المرسلات عرفًا ، ورب العاصفات ، إلى آخره - فيكون قد أقسم بنفسه (٤) .

(١) ذكر المفسرون في نصب "عُذْرًا وَنُذْرًا" عدة أوجه . فإذا كان مصدرًا ففيه ثلاثة أوجه أحدها : هو ما ذكره المؤلف أي أنه بدل من قوله ( نَكَرًا ) ، والثاني : أنه مفعول له ، والمعنى : والملكيات ذكر للإعذار والإنذار ، والثالث : أنه مفعول لـ " نَكَرًا " أي فالملكيات ، أي تُذَكَّرُ عُذْرًا أو نُذْرًا ، ولكن هذا الوجه استبعده أبوحيان ، وقال : إن المصدر هنا لا يراد به العمل وإنما يراد به الحقيقة ، وأما إذا كان "عُذْرًا أو نُذْرًا" جمعًا فيكون منصوبًا على الحال من الإلقاء ، والتقدير : فالملكيات نَكَرًا حال عاذرين ومنذرين " انظر الكشاف (٦٢٨/٤) وتفسير الرازي (٢٦٨/٣٠) وتفسير القرطبي (١٥٦/١٩) والبحر المحيط (٤٠٥/٨) ومشكل اعراب القرآن (٤٤٦-٤٤٥/٢) .

(٢) صرح بذلك فخر واحد من المفسرين . انظر تفسير الماوردي (٣٢٨/٤) وتفسير الرازي (٢٦٨/٣٠) وتفسير القرطبي (١٥٦/١٩) والبحر المحيط (٤٠٥/٨) ، والمراد من قوله ( إِنَّمَا تَوَعَّدُونَ لِمَ لَوَاقِع ) هو يوم القيامة .

وذكر الرازي عن الكلبي أنه قال : أن المراد كل ما توعَّدون به من الخير والشر لواقِع . ولكن الراجح هو القول الأول أي أن المراد هو القيامة فقط لأن الله سبحانه وتعالى ذكر عقب هذه الآيات علامات يوم القيامة مما يدل على أن المراد من هذه الآية هو القيامة فقط . انظر تفسير الرازي (٢٦٩/٣٠) .

(٣) ذكره السيوطي في الإتيان (١٣٤/٢) ضمن الأوجه التي أجاب بها عما وقع في القرآن من قسم الله تعالى بمخلوقاته ، فقال : إن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه ، والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم بتارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على باريه وصانع وقال : وأخرج ابن حاتم عن الحسن قال : إن الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله .

(٤) ذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٥٨٩/٣) وهو أيضا مما أجاب به السيوطي في المصدر السابق عن قسم الله تعالى بمخلوقاته . كما ذكر وجهًا آخر في ذلك فقال : إن المراد كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها ، فنسزل القرآن على ما يعرفون ، ويبدو لي أن أحسن هذه الأوجه هو الوجه الأول .

وقوله تعالى ( فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ) أى محييت وأزهد ضوءها (١) .  
 وقوله ( وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ) أى شقت (٢) . وقوله ( وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ) أى  
 قطعت من أماكنها (٣) . وقوله ( وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ) أى جمعت لوقتها - وهو يسوم  
 القيامة ليشهدوا على الأمم (٤) . وقيل : التوقيت تقدير الوقت لوقوع الفعل فلما كانت

( ١ ) قال الماوردي في تفسيره ( ٣٧٩ / ٤ ) " أى ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس  
 الكتاب " وكذا ذكره القرطبي أيضا في تفسيره ( ١٥٧ / ١٩ ) وزاد عليه : يقال :  
 طمس الشيء إذا درس ، وطمس فهو مطموس .  
 انظر أيضا زاد المسير ( ٤٤٧ / ٨ ) وتفسير البغوي ( ١٩٦ / ٧ ) وتفسير ابن كثير  
 ( ٤٥٩ / ٤ ) وقال الراغب الاصفهاني في المفردات ( ص ٣٠٧ ) " الطمس إزالة  
 الأثر بالمحو " .

( ٢ ) كذا فسر البغوي في تفسيره ( ١٩٦ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٧ ) وقال  
 الخازن في تفسيره ( ١٩٦ / ٧ ) : " أى شقت وقيل فتحت " وقال الماوردي في  
 تفسيره ( ٣٧٩ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٥٧ / ١٩ ) " أى فتحت وشقت ، وزاد  
 القرطبي فقال : ومنه قوله تعالى : " فتحت السماء فكانت أبوابا " سورة النبأ الآية ١٩  
 وقال الرازي في تفسيره ( ٢٦٩ / ٣٠ ) الفرج الشق ، يقال فرجه الله فانفجر ،  
 وكل مشقوق فرج ، فهنا قوله فرجت : أى شقت ، نظيره : " إذا السماء انشقت "  
 سورة الانشقاق الآية ١ ، " ويوم تشقق السماء بالغمام " سورة الفرقان الآية ٢٥ .

( ٣ ) كذا فسر البغوي والخازن في تفسيرهما ( ١٩٦ / ٧ ) وذكره القرطبي في تفسيره  
 ( ١٥٧ / ١٩ ) عن المبرد ، وقال السزجاج : " أى ذهب بها كلها بسرعة ، يقال :  
 انتسفت الشيء : إذا أخذته بسرعة ، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٧ / ٨ ) .

( ٤ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ١٩٦ / ٧ ) : " أى جمعت لميقات يوم معلوم  
 وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم " وقال الزمخشري في الكشاف ( ٦٧٨ / ٤ ) :  
 " ومعنى توقيت الرسل : تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم " .  
 وذكره الرازي في تفسيره ( ٢٦٩ / ٣٠ ) فقال : " فى التأقيت قولان الأول : وهو  
 قول مجاهد والزجاج أنه تبين الوقت الذي يحضرون للشهادة على أممهم " .  
 ثم ضعف هذا القول ، فقال : وهذا ضعيف ، وذلك لأن هذه الأشياء جعلت  
 علامات لقيام القيامة : كأنه قيل : إذا كان كذا وكذا كانت القيامة ، ولا يليق بهذا  
 الموضوع أن يقال : وإذا بين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم  
 قامت القيامة ، لأن ذلك البيان كان حاصلًا فى الدنيا ، ولأن الثلاثة المتقدمة وهى  
 الطمس والفرج والنسف مختصة بوقت قيام القيامة ، فكذا هذا التوقيت يجب أن  
 يكون مختصاً بوقت قيام القيامة " ١ هـ . ثم ذكر القول الثانى واختاره ، وسيأتى  
 ذكره قريباً ، ولعله اعتمد فى هذا التضعيف على قول الزمخشري السابق ذكره  
 وفهم من التوقيت أنه يبين لهم فى الوقت نفسه - وليس الأمر كذلك - بل التوقيت  
 معناه كما ذكر القرطبي فى تفسيره ( ١٥٧ / ١٩ ) شىء يقع يوم القيامة ، كالطمس  
 ونسف الجبال وتشقيق السماء وهو جمع الرسل للشهادة على الأمم ، وهذا هو  
 الذى اختاره القرطبي .

الرسول عليهم السلام قد قدرُوا / إرسالهم لأوقات معلومة بحسب صلاح العباد بها (١/١١) /  
 كانت قد وقتت لكل الأوقات (١) - وقرى : وَقَّتْ وَوَقَّتَتْ وَأُقَّتَتْ بمعنى واحد ،  
 والواو إذا غممت وابتدى بها الكلمة أبدلت بالهمزة - تقول العرب : ووجوه وأجوه  
 ووحدانا وأحدانا (٢) - وقيل : وإذا الرسل وقتت أى أجلت (٤)

(١) لم أجد من ذكر هذا القول بهذا اللفظ . وقد قال القرطبي في تفسيره (١٥٧/١٩) وقيل : " أَقَّتَتْ " أى أرسلت لأوقات معلومة على ما علمه الله وأراد " وفي الآية أقوال أخرى - منها ما ذكره القرطبي في تفسيره (١٥٧/١٩) بقوله : وقيل : هذا في الدنيا أى جمعت الرسل لميقاتها الذى ضرب لها في إنزال العذاب بمن كذبهم بأن الكفار مهلكون وإنما تنزل الشكوك يوم القيامة . وذكر ابن الجوزى في زاد المسير (٤٤٧/٨) عن الزجاج أنه قال : " جعل لها وقت واحد لفصل القضاء بين الأمة " وذكر الرازى في تفسيره (٢٧٠/٣٠) أن المراد به هذا التأقيت تحصيل الوقت وتكوينه ، وهذا أقرب أيضاً إلى مطابقة اللفظ ، لأن بنسب التفعيلات على تحصيل الماهيات ، فالتسويد تحصيل السواد والتحرك تحصيل الحركة ، فكذا التأقيت تحصيل الوقت ، ثم إنه ليس في اللفظ بيان أنه تحصيل لوقت أى شىء ، وإنما لم يبين ذلك لأجل أن يذهب الوهم إلى كل جانب فيكون التهويل أشد .

(٢) قرأ أبو عمرو بالواو وتشديد القاف على الأصل ، لأنها ( فُعِّلَتْ ) من الوقت . وقرأ الباقون : أَقَّتَتْ بالهمزة المضمومة بدلاً من الواو لانضمامها .  
 انظر التيسير (ص ٢١٨) والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٣٥٧) وحجوة القراءات (ص ٧٤٢-٧٤٣) وفيها قراءات أخرى ، فقد قرأ أبو جعفر وشيئة والأعرج ( وُوقَّتَتْ ) بالواو وتخفيف القاف ، وهو فُعِّلَتْ من الوقت ، وقرأ الحسن : ( وُوقَّتَتْ ) بواوين ، وهو فُوقِلَتْ من الوقت ولو طبقت الواو في هاتين القراءتين ألفاً لجاز - انظر المهدب (٢/٤٤٠) والمحتسب لابن جنى (٢/٣٤٥) ، وتفسير البغوى (٧/١٩٦) وزاد المسير (٨/٤٤٧) وتفسير القرطبي (٩/١٥٧) -  
 (١٥٨) وذكر ابن جرير في تفسيره (٢٩/٢٣٤) ثلاث قراءات ( أَقَّتَتْ ) و ( وُوقَّتَتْ ) و ( وُوقَّتَتْ ) وقال : إن كل ذلك قراءات معروفة ولفغات مشهورات بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارىء فمصيب " اهـ . وأما ( وُوقَّتَتْ ) فهى قراءة شاذة .

(٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٣٥٧) وتفسير الطبرى (٢٩/٢٣٤) ، وزاد المسير (٨/٤٤٧) وتفسير القرطبي (١٩/١٥٨) .

(٤) ذكره الماورى في تفسيره (٤/٣٧٩) وعزاه إلى مجاهد . وذكره القرطبي فى تفسيره (١٥٧/١٩) قال : " وقيل : أَقَّتَتْ : وُعِدَتْ وَأُجِّلَتْ " وذكر الماورى فى معناه قولاً آخر وهو أن معناه : أوجدت ، قاله إبراهيم ، والصواب هو ما تقدم أى أن معناه : جمعت ، وهو الذى عليه أكثر المفسرين .

وقوله ( لَأَيَّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ) أى لَأَيَّ يَوْمٍ أُخِرَتْ (١) ، وقوله ( لِيَوْمِ الْفَصْلِ ) أى أُخِرَتْ ليوم الفصل وهو يوم القيامة (٢) . وقوله ( وما أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ) قال الحسن : والله ما درى حتى أعلمه الله تعالى (٣) . وقوله ( وَيَلَّيُّمُنِدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ) قال النعمان بن بشير (٤) : الويل واد فى جهنم فيه ألوان من العذاب (٥) وهو مروى عن ابن مسعود أيضاً (٦) .

( ١ ) قال البغوى فى تفسيره ( ١٩٦ / ٧ ) . " أى أُخِرَتْ ، وضرب الأجل لجمعهم فمجب العباد من ذلك اليوم " .

وقال القرطبي فى تفسيره ( ١٥٨ / ١٩ ) عند هذه الآية : " أى أُخِرَتْ ، وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم " .

انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٤٦ / ٨ ) والكشاف ( ٦٧٨ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٢٧٠ / ٣٠ ) وتفسير الخازن ( ١٩٦ / ٧ ) والبحر المحيط ( ٤٠٥ / ٨ ) .

( ٢ ) قال ابن الجوزى فى تفسيره ( ٤٤٧ / ٨ ) .

" وهو يوم يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق " وذكر الرازى فى تفسيره ( ٢٧٠ / ٣٠ ) ، هذا المعنى من قول ابن عباس .

( ٣ ) لم أجد من ذكره عن الحسن ، وقد جاء عن سفيان بن عيينة أنه قال : كل شئى فى القرآن : وما يدريك فلم يخبر به ، وما كان : وما أدراك فقد أخبره " انظر تفسير سفيان بن عيينة ( ص ٣١ ) .

( ٤ ) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن زيد الأنصارى الخزرجى يكنى أبا عبد الله ، وهو مشهور له ولأبيه صحبة ، ذكر ابن حجر عن الواقدي أنه أول مولود فى الإسلام من الانتصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً . سكن الشام ثم ولى إمرة الكوفة ثم قتل بعمص سنة خمس وستين ، وله أربع وستون سنة .

انظر تقريب التهذيب ٣٥٨ ، والإصابة ٥٥٩ / ٣ .

( ٥ ) ذكره القرطبي فى تفسيره ( ١٥٨ / ١٩ ) قال :

" وروى عن النعمان بن بشير قال : ويل : واد فى جهنم فيه ألوان العذاب " ، ولم ينسب تخريجه إلى أحد ، وقال : قاله ابن عباس وغيره ، وأنا لم أجد من أخرجه عن النعمان بن بشير .

( ٦ ) ذكر السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٠٣ / ٦ ) عن ابن مسعود أنه قال : " ويل واد فى جهنم يسيل فيه صديد أهل النار فجعل للمكذبين " وعزا تخريجه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .



وقوله تعالى ( أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ) أى قوم نوح وعاد وشمود ومن قرب ممن زمانهم وقوله ( ثم نتبعهم الآخرين ) أى الذين كانوا بعد ذلك من فرعون وهامان وقارون ومن بعدهم <sup>(١)</sup> وقوله ( كذلك نفعل بالمجرمين ) أى مشركى مكة أى ينزل بهم لأنهم عملوا مثل عملهم . وقيل ( ثم نتبعهم الآخرين ) : هم كفار قريش ، وقوله <sup>(٢)</sup> ( كَذَلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ ) هم الذين يأتون بعد هم من الكفار إلى يوم القيامة <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكر ابن جريو فى تفسيره ( ٢٩ / ٢٣٥ ) أن الأولين : هم قوم نوح وعاد وشمود ، والآخرين : هم قوم إبراهيم وقوم لوط وأصحابه من ، انظر أيضا زاد المسير ( ٤٤٨ / ٨ ) . وهذا هو اختيار الزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٦٧٩ ) . وذكر الماورى فى تفسيره ( ٤ / ٣٧٩ ) فىمن أريد بالأولين وجهين أحدهما : قوم نوح عليه السلام لعدم هلاكهم بالطوفان لأن هلاكهم أشهر وأعم .  
الثانى : أنه قوم كل نبي استؤصلوا . لأنه فى خصوص الأمم أندر وكذا ذكر الرازى فى تفسيره ( ٣٠ / ٢٧١ ) فى المراد من الأولين والآخرين قولين : أحدهما أن الأولين هم قوم نوح وعاد وشمود ، والآخرين قوم شعيب ولوط وموسى .  
والثانى : أن المراد بالأولين جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم . ثم اختار هذا القول ، وضعف القول الأول . لأن قوله ( نتبعهم الآخرين ) يلفظ المضارع فهو يتناول الحال والاستقبال ، ولا يتناول الماضى البتة . وأمّا أبوحيان فذكر فى البحر المحيط ( ٨ / ٤٠٥ ) فى قوله ( نتبعهم ) احتمالين الأول : أن يكون معطوفاً على نهلك والثانى : أن يكون استثناءً . ثم قال بعده : فعلى الاستثناء يكون " الأولين " الأمم التى تقدمت قريشاً أجمعاً ويكون " الآخرين " من تأخر من قريش وغيرهم وعلى التشريك يكون " الأولين " قوم نوح وإبراهيم عليهما السلامون كان معهم ، و " الآخرين " قوم فرعون ومن تأخر وقرب من مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر أيضا روح المعانى ( ٢٩ / ١٧٤ ) .

( ٢ ) ذكره الرازى فى تفسيره ( ٣٠ / ٢٧١ ) .

( ٣ ) قال مقاتل ( ق ٣٨٢ / ١ ) : " ثم نتبعهم الآخرين " يعنى : كفار مكة لما كذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم . وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٤٨ / ٨ ) من قول مقاتل ، انظر أيضا تفسير البغوى ( ٧ / ١٩٧ ) . وتفسير الرازى ( ٣٠ / ٢٧١ ) ، وتفسير القرطبي ( ١٩ / ١٥٩ ) وتفسير النسفى ( ٥ / ٣٠٧ ) .

( ٤ ) لم أجد من صرح فى تفسير المجرمين بهذا اللفظ ، وقال مقاتل فى المصدر السابق : يقول : هكذا نفعل بالمجرمين يعنى : الكفار الظلمة يخوف كفار مكة لئلا يكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فاحذروا يا أهل مكة أن نفعل بكم كما فعلنا بالقرىون الأولى . وقال ابن جريو فى تفسيره ( ٢٩ / ٢٣٥ ) عند هذه الآية : يقول كما أهلكنا هؤلاء بكفرهم بى وتكذيبهم برسلى ، كذلك سنتى فى أمثالهم من الأمم الكافرة فهلك المجرمين بإجرامهم إذا طفوا وبغوا .

وقال الرازى فى تفسيره ( ٣٠ / ٢٧٢ ) " أى هذا الإهلاك إنما نفعله بهم لكونهم مجرمين ، فلا جرم عم فى جميع المجرمين لأن عموم العلة يقتضى عموم الحكم " .

وقرأ ابن مسعود ثم ( سَنَتَبِعَهُمْ ) (١) وقرأ الأعرج ( ثم نتبعهم ) بجزء  
العين . (٢)

وقوله ( ألم نخلقكم من ماء مهين ) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ضعيف  
وقوله ( فجعلناه في قرار مكين ) . قال عطاء وابن جريج والربيع بن أنس : هو  
الرحم ،

(١) ذكر هذه القراءة ابن خالويه في شوان القرآن (ص ١٦٧) عن ابن مسعود ،  
وذكره أيضا الفراء في معاني القرآن (٢٢٣/٣) وابن الجوزي في زاد المسير  
(٤٤٧/٨) والزمخشري في الكشاف (٦٧٩/٤) والرازي في تفسيره (٩٧١/٣٠)  
والقرطبي في تفسيره (١٥٩/١٩) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤٥٨/٨) .

(٢) هي قراءة الأعرج وأبي عمرو . ذكرها ابن خالويه في شوان القرآن (ص ١٦٧)  
وابن جنى في المحتسب (٣٤٦/٢) والرازي في تفسيره (٢٧١/٣٠) ، والقرطبي  
في تفسيره (١٥٩/١٩) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤٠٥/٨) ، وذكرها  
الزمخشري في الكشاف (٦٧٩/٤) دون عزو إلى أحد .

وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤٧/٨) قال : وقد قرأ قوم منهم  
أبو حيوة بإسكان العين . وقال ابن جنى : يحتمل جزؤه أمرين . أحدهما :  
أن يكون أراد معنى قراءة الجماعة ( نتبعهم ) بالرفع فأسكن العين استثقالا  
لتوالي الحركات . والآخر : أن يكون جزما فيعطفه على قوله ( نهلك ) .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/٢٩) بسنده عن ابن عباس أنه قال : يعنى  
بالمهين : الضعيف .

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٠٣/٦) وعزاه إلى ابن جرير . وقال أيضا :  
وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله : ( من ماء  
مهين ) قال : ضعيف . وأورد أيضا في المصدر السابق (١٧٢/٥) عند  
قوله تعالى ( ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ) سورة السجدة الآية ١٨  
عن مجاهد أنه قال : ضعيف نطفة الرجل . وأورد أيضا عند الآية المذكورة  
عن قتادة أنه قال : ضعيف وعزاه الأول إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير  
وابن المنذر وعزاه الثاني إلى عبد الرزاق وابن المنذر .

وذكر الماوردي في تفسيره (٣٧٩/٤) في قوله تعالى ( ألم نخلقكم من  
ماء مهين ) ثلاثة أوجه أحدها : من صفوة الماء . قاله ابن عباس ، الثاني :  
من ماء ضعيف ، قاله مجاهد وقتادة .

الثالث : من منى سائل . قاله ابن كامل .

والراجح هو القول الأول أي أن معناه ضعيف ، لأنه هذا الذي تدل عليه  
اللفظة ، يقال : المهين من الرجال : أي الضعيف ، . انظر لسان العرب  
(٤٢٥/١٣) والمراد منى الرجل والمرأة . انظر البحر المحيط (٤٠٦/٨) .

(٤) هو الزبيح بن أنس البكري أو الحنفي بصرى نزل خراسان صدوق له أوهام رمى  
بالتشيع مات سنة أربعين ومائتين أو قبلها . تقريب التهذيب . . .

والماء المهين هو النطفة<sup>(١)</sup> ، وقوله (إلى قدر معلوم) أى إلى وقت معلوم ، وهو إشارته إلى مدة مكثه فى البطن فى رحم الأم<sup>(٢)</sup> .

قوله ( فَقَدَرْنَا فَنَعَمَ الْقَادِرُونَ ) وقوى : " فَقَدَرْنَا " بتشديد الدال<sup>(٣)</sup> ، قال القتيبي<sup>(٤)</sup> : هما بمعنى واحد ، والعرب تقول : قَدَرَ وَقَدَّرَ ، منه قوله

(١) لم أجد من ذكر عنهم هذا القول . وقد فسر القرار المكين بالرحم غير واحد من المفسرين فقال ابن جرير فى تفسيره (٢٣٥/٢٩) عند هذه الآية : " يقول : فجعلنا الماء المهين فى رحم استقر فيها فتمكن " وفسر البغوى والخازن فسى تفسيرهما (١٩٧/٧) الماء المهين بالنطفة والقرار المكين بالرحم . انظر أيضا تفسير الرازى (١٧٢/٣٠) وتفسير الثعالبي (٣٧٧/٤) ، وروح المعانى (١٧٤/٢٩) وذكر الماورى فى تفسيره (٣٧٩/٤) فى القرار المكين وجهين أحدهما : قاله وهب بن منبه فى رحم أمه لا يؤذيه حر ولا برد . الثانى : مكين حريز لا يعود فيخرج ولا يلبث فى الجسد فيدوم ، قاله الكلبي .

(٢) انظر تفسير الطبرى (٢٣٦/٢٩) وتفسير البغوى (١٩٧/٧) وزاد المسير (٤٤٨/٨) وتفسير الرازى (٢٧٣/٣٠) وقال القرطبي فى تفسيره (١٦٠/٩) ، عند هذه الآية : " قال مجاهد : إلى أن نصوره ، وقيل : إلى وقت الولادة .

(٣) قرأه نافع والكسائى بالتشديد ، وقرأ الباقون بالتخفيف ، وحجتهم قوله تعالى " فنعم القادرون " ولم يقل " المقدرين " فأجروا على لفظ ما جازره . ومن شدد فإنه أحب أن يجرى على معنيين كل واحد منهما بخلاف الآخر ، وكون اللفظين بمعنيين وفائدتين يدلان على التقدير والقدرة أولى من كونهما بمعنى واحد وهو القدرة فقط . انظر التيسير (ص ٢١٨) والكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٥٨/٢) وحجة القراءات (ص ٧٤٣) انظر أيضا تفسير الطبرى (٢٣٦/٢٩) وقال ابن جرير بعد ذكره للقراءتين : " إنهما قراءتان معروفتان ، فبأيهما قرأ القارى فصيب وإن كنت أوشر التخفيف لقوله ( فنعم القادرون ) ، انظر أيضا زاد المسير (٤٤٨/٨) وتفسير البغوى (١٩٧/٧) وتفسير القرطبي (١٦٠/٩) .

(٤) هو ابن قتيبة .

عليه السلام : " فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدِرُوا لَهُ " أَي قَدِّرُوا لَهُ (١) وقد أُعترض على هذا القول فقيل : لو كان قَدَّرْنَا بمعنى قَدَّرْنَا (٢) لقال : فنعم المقدرون والجواب : أنه جمع بين اللغتين (٣)

وقال الشاعر (٤) في مثل هذا .

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتِ  
مِنَ الْحَوَارِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَ (٥)

وقيل في الفرق بين قَدَّرْنَا وَقَدَّرْنَا بالتخفيف : معناه - ملكنا فنعم المالكون ومعنى قَدَّرْنَا بالتشديد : أَي قَدَّرْنَا خلق الإنسان على تارات مختلفة ، من نطفة وعلقة ومضغسة وما بعد ذلك إلى أن جعلناه إنساناً سوياً ، وقيل : قَدَّرْنَا شقياً وسعيداً ، وصفيراً

(١) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٥٠٦) : " فقدرنا فنعم القادرون " بمعنى " قَدَّرْنَا " مشددة . يقال : قدرت كذا وقَدَّرْتَهُ ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال : " إِذَا غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدِرُوا لَهُ " أَي قَدَّرُوا لَهُ المسير والمنازل .

انظر أيضاً تفسير القرطبي (١٦٠/١٩) .

وأما الحديث " فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ . . . . " فهو جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الصيام ، باب " هل يقال رمضان أو شهر رمضان . . . . " (١١٣/٤) ، رقم الحديث (١٩٠٠) ، وأيضاً باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " إِذَا رَأَيْتُمُ الْهَيْلَالَ فَصُومُوا . . . " (١١٩/٤) ، رقم (١٩٠٦ ، ١٩٠٧) .  
ومسلم في صحيحه (١٨٩/٧ - ١٩٣) من طرق عديدة عن ابن عمر - جاء في أحد الالفاظ عندهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفتروا حتى تروه ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ ( وعند مسلم أغمى عليكم ) فاقدروا له " .

(٢) العبارة فيما بين القوسين ساقطة من المتن ، وهي مكتوبة بخط مفيار في الهامش وهي ساقطة من نسخة " ب " .

(٣) ذكر الاعتراض والجواب عليه الغراء في معاني القرآن (٢٢٣/٣) فقال : وقد احتج الذين خففوا فقالوا : لو كان كذلك لكانت : فنعم المقدرون ، وقد يجمع العسرب بين اللغتين ، قال الله تبارك وتعالى : فمهل الكافرين أمهلهم رويداً " سورة الطارق الآية ١٧ . انظر أيضاً تفسير الطبري (٢٣٦/٢٩) وزاد المسير (٤٤٨/٨) وتفسير الرازي (٢٧٣/٣٠) وتفسير القرطبي (١٦٠/١٩) .

(٤) هو الأعشى الكبير .

(٥) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٠٤/٨) " الصَّلَعُ : نَهَابُ الشَّعْرِ مِنْ مَقْدَمِ الرَّأْسِ إِلَى مُؤَخَّرِهِ ، وَكَذَلِكَ إِنْ نَهَبَ وَسَطُهُ " وأما البيت فهو في ديوان الأعشى (ص ١٠٥) وأنشده أيضاً الغراء في معاني القرآن (٢٢٢/٣) وابن جرير في تفسيره (٢٣٦/٢٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٤٩/٨) ، والقرطبي في تفسيره (١٦٠/١٩) وقد جمع الأعشى بين لفظة أنكرت ، ولفظة نكرت .

أو كبير ، وأسود وأبيض وغير ذلك (١)

قوله تعالى ( ألم نجعل الأرض كفاتا ) أي كِنَاً (٢) وقيل : مجمعاً فالكفت هو الضم (٤) ومعنى الكفات ها هنا : هو أن الأرض تضم الخلق أحياء وأمواتاً فالضم في حيال الحياة هو باكتنائهم واستقرارهم على ظهرها وبعد الممات باكتنائهم في بطنها وهو القبور (٥) . وكان بقيق الفرقد يسمى الكفتة (٦) . وعن

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦٠/١٩) : وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤٨/٨ - ٤٤٩) بعد ذكره للقراءتين : وهل بينهما فرق ؟ فيسه قولان . أحدهما : أنهما لفتان بمعنى واحد ، ثم ذكر قول الفراء وذكر بعده القول الثاني . فقال : إن المخففة من القدرة والملك والمشددة من التقدير والقضاء \* والصواب فيما يبدو لي أنهما لفتان بمعنى واحد ، وإن كان المشدد فيه زيادة معنى .

(٢) قال الفيومي كَفَّتُهُ أَكْفُهُ مِنْ بَابِ قَتَلَ سَتَرْتُهُ فِي كِنَيْهِ بِالْكَسْرِ وَهُوَ السُّتْرَةُ . المصباح المنير (ص ٥٤٢) . وهو قول ابن عباس . رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٣٧/٢٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٠٤/٦) وعزاه أيضا إلى ابن أبي حاتم ، وذكره الماوردي أيضا في تفسيره (٣٨٠/٤) من قول ابن عباس انظر أيضا تفسير ابن كثير (٤٦٠/٤) .

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٨٠/٤) من قول المفضل كما ذكر له معنيين آخرين .  
أحدهما : غطاء ، قاله مجاهد ، الثاني : وعاء .

(٤) قال وابن منظور في لسان العرب (٧٩/٢) . كَفَّتَ الشَّيْءُ أَكْفَتُهُ كَفْتًا : إِذَا ضَمَّتْهُ إِلَى نَفْسِكَ \* .  
انظر أيضا المفردات (ص ٤٣٣) وتفسير غريب القرآن (٥٠٦) ، وزاد المسير (٤٤٩/٨) .

(٥) قال الفراء في معاني القرآن (٢٢٤/٣) \* تكفتهم أحياء على ظهرها في بيوتهم ومنازلهم ، وتكفتهم أمواتاً في بطنها : أي تحفظهم وتحرزهم \* .  
انظر أيضا تفسير الطبري (٢٣٦/٢٩) وتفسير الماوردي (٣٨٠/٤) وتفسير القرطبي (١٦١/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٦٠/٤) .

(٦) بقيق الفرقد : قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤٧٣/١) أصل البقيق في اللغة : الموضع الذي فيه أروم (أصول) الشجر من ضروب شتى ، وبه سمي بقيق الفرقد ، والفرقد : كبار العوسج (شجر من شجر الشوك) وهو مقبرة أهل المدينة ، وهي داخل المدينة . وأما تسميتها بالكفتة فذكرها ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٠٦) والشعبي في الكشف والبيان (٢٣/ب) ، والقرطبي في تفسيره (١٦١/١٩) وابن منظور في لسان العرب (٧٩/٢) .

يحيى بن سعيد (١) وربيعية (٢) : أن النباش يقطع إذا أخرج الكفن من الحرز (٣)  
وقرأ قوله تعالى ( ألم نجعل الأرض كفاتناً أحياء وأمواتاً ) (٤)

(١) في النسختين ( ابن يحيى بن سعيد ) والصواب ما أثبتته ، وهو يحيى بن سعيد  
ابن قيس بن عمرو ، وقيل : يحيى بن سعيد بن قيس بن فهد الإمام العلامة  
المجود عالم المدينة في زمانه وشيخ عالم المدينة وتلميذ الفقهاء السبعة ،  
أبوسعيد الأنصارى الخزرجى النجارى المدنى ، القاضى ، ثقة ثبت ، مات سنة  
أربع وأربعين ومائة .  
انظر سير أعلام النبلاء ( ٤٦٨ / ٥ - ٤٨١ ) وتقريب التهذيب ٣٧٦ .

(٢) هوربيعة بن أبى عبد الرحمن بن فروخ التيمى مولاهم أبو عثمان المدنى ، المعروف  
بربيعة الراى ، ثقة فقيه مشهور ، وكانوا يتقونه ( أى أصحاب الحديث ) لموضع  
الرأى ، قال الذهبي : وكان إماماً حافظاً فقيهاً مجتهداً بصيراً بالرأى مات  
سنة ست وثلاثين ومائة على الصحيح .  
انظر تذكرة الحفاظ ( ١٥٧ / ١ - ١٥٨ ) وتهذيب التهذيب ( ٢٥٨ / ٣ ) ، وتقريب  
التهذيب ١٠٢ .

(٣) كذا العبارة في النسختين ويبدو أن فيها نقصاً - وينبغي أن تكون هكذا " إذا  
أخرج الكفن من القبر ، لأن القبور من الحرز " أو مثل هذا الكلام .

(٤) أورد القرطبي في تفسيره ( ١٦١ / ١٩ ) عن ربيعة هذا الأثر ، فقال : روى  
عن ربيعة فى النباش قال : تقطع يده ، فقيل له : لِمَ قُلت ذلك ؟ قال : إِنَّ اللَّهَ  
عز وجل يقول : " ألم نجعل الأرض كفاتناً أحياء وأمواتاً " فالأرض حرز " وجاء  
ذكر ربيعة فى المجموع ( ٢٠ / ١٩ ) ضمن القائلين بقطع النباش . وهذه المسألة  
قد اختلف فيها العلماء على ثلاثة أقوال : الأول : أن النباش تقطع يده ، وهذا  
قول الأئمة الثلاثة الشافعى ومالك وأحمد - ، وبه قال أبو يوسف وابن الزبير وعمرو  
ابن عبد العزيز والنخعى وإسحاق بن راهويه وجمهور من العلماء - .

والدليل على هذا القول : هو عموم قوله تعالى : ( " والسارق والسارقة فاقطعوا  
أيديهما ) سورة المائدة الآية ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم :  
" من نبش قطعناه " رواه البيهقى فى كتاب المعرفة - فى سنده من يجهل  
حاله . وقول عائشة : سارق أمواتنا كسارق أحيائنا " رواه أيضا البيهقى فى  
المعرفة .

والقول الثانى : أنه لا قطع على النباش ، وهو قول أبى حنيفة ومحمد وبه  
قال الثورى والأوزاعى . والدليل على هذا القول : هو قول النبى صلى الله عليه  
وسلم لا قطع على المختفى ، وهو النباش بلفظ أهل المدينة - وهو حديث غريب

وقول ابن عباس : ليس على النباش قطع .

والقول الثالث : إن نبش قبر وسرق منه الكفن - فإن كان في بريقلم يقطع - لأنه ليس بحررز للكفن ، وإنما يدفن في البرية للضرورة وإن كان في مقبرة على العموان قطع ، قاله الشيرازي في المهذب .

وسبب هذا الخلاف هو اختلافهم في اعتبار القبور حرزاً ، وأن الكفن مال متقوم محرز يحرز مثله - فالذين ذهبوا إلى القطع اعتبروا القبور حرز ، وأن الكفن مال متقوم محرز يحرز مثله فيقطع فيه ، وأما الذين ذهبوا إلى عدم القطع اعتبروا القبور غير حرز ، وأن الكفن ليس ملكاً للميت ولا لورثته ، بل هو مال معرض للتلف ، والصواب أن القبور حرز ، والكفن مال للميت ، بدليل قوله تعالى " ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً " فجعل سبحانه وتعالى حال المرء فيها بعد الممات في كفتها له وضمها لحاله كحالة الحياة ، وما تحفظه وتحرز حالة كونه حياً كذلك يجب أن يكون ميتاً .

وهناك حديث يدل على أن القبور حرز ، وقد عقد أبو داود في سننه ( ٥٦٤/٤ - ٥٦٥ ) باب قطع النباش ، ثم روى بسنده عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا ذر قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، فقال : " كيف أنست إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف ، يعني القبر . . . الحديث . ثم قال أبو داود : قال حماد بن أبي سليمان : يقطع النباش ، لأنه دخل على الميت بيته " .

فالشاهد من الحديث هو أنه صلى الله عليه وسلم سمي القبر بيتاً والبيت حرز ، والسارق من البيت مقطوع .

وقد رد ابن العربي على قول الأحناف بأن القبر ليس حرزاً ، والكفن مال معرض للتلف لا مالك له فقال : وأما قولهم : إن القبر غير حرز فباطل ، لأن حرز كل شيء بحسب حاله الممكنة فيه ، ولا يمكن ترك الميت عارياً ، ولا يمكن أن يدفن إلا مع أصحابه ، فصارت هذه الحجة قاضية بأن ذلك حرزه - ثم استدلل بالآية وقال : وأما قولهم : إنه عرضة للتلف فكل ما يلبسه الحي أيضاً معرض للتلف والإخلاق بلباسه ، إلا أن أحد الأمرين أعجل من الثاني " .

انظر : فتح القدير لابن الهمام ( ٢٣٤/٤ ) ونصب الراية للزيلعي ( ٣٦٦/٣ ) ، ( ٣٦٧ ) ، وأحكام القرآن لابن العربي ( ٦١١/٢ - ٦١٢ ) ( ١٩٠١/٤ ) وتفسير القرطبي ( ١٦٤/٦ ) والمجموع ( ٢٠/١٩ - ٢٢ ) والمغني ( ٢٧٢/٨ ) .

رواه سليمان بن بلال<sup>(١)</sup> عنهما<sup>(٢)</sup> ، وعن الخليل بن أحمد<sup>(٣)</sup> : أن الكفت هو  
التقلب وقوله ( كفاتاً ) أي منقلباً<sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى ( وجعلنا فيها رواسي  
شامخات ) أي مرتفعات<sup>(٥)</sup> يقال : شمخ فلان بأنفه إذا رفع قدره<sup>(٦)</sup> - قال  
بعضهم<sup>(٧)</sup> :

إذا كانت الأجداد أصلى / ومنصبي  
وقام بأمرى جازم وابن جازم ٣١١/ب  
عطستبأنف شامخ وتناولت  
يداي الثريا قاعداً غير قائم<sup>(٨)</sup>

( ١ ) في النسختين ( سليمان بن بلال ) والصواب ما أثبتته . لأنه هو الذي  
ذكر في مشايخه ربيعة ويحيى بن سعيد . وهو أبو أيوب أو أبو محمد  
سليمان بن بلال التيمي القرشي مولاهم المدني ، وثقه أحمد وابن معين  
والنسائي ، قال ابن سعد : كان بَرَبْرِيًّا جميلاً حسن الهيئة عاقلاً ، وكان  
يفتى بالمدينة وولى خراجها ، وكان ثقةً ، كثير الحديث ، توفي سنة اثنتين  
وسبعين ومائة .

انظر طبقات ابن سعد ( ٤٢٠ / ٥ ) وتذكرة الحفاظ ( ٢٣٤ / ١ ) وسير أعلام  
النبلاء\* ( ٤٢٥ / ٧ ) .

( ٢ ) سقطت كلمة ( عنهما ) من نسخة ب .

( ٣ ) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري أبو عبد الرحمن  
اللفوي ، صاحب العربية والعروض . قال السيوطي : كان الغاية في استخراج  
مسائل النحو ، وتصحيح القياس فيه ، وهو أول من استخراج العروض ، وخصر  
أشعار العرب بها ، وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ  
ضبط اللغة ، وكان من الزهاد في الدنيا ، والمنقطعين إلى العلم . وقال  
الذهبي : وكان رأساً في لسان العرب ، ديناً ورعاً قانعاً متواضعاً كبير  
الشان . مات سنة بضع وستين ومائة .

سير أعلام النبلاء\* ( ٤٢٩٧ - ٤٣٠ ) ، وبغية الوعاة ( ٥٥٧ - ٥٥٨ ) .

( ٤ ) قال الخليل بن أحمد في كتاب العين ( ٣٤١ / ٥ ) : الكفتُ : تَقْيِبُ الشَّيْءِ ظَهْرًا  
لِبَطْنٍ وَبَطْنًا لظَهْرٍ \* .

( ٥ ) قال البغوي في تفسيره ( ١٩٧ / ٧ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٤٩ / ٨ ) ،

والرازي في تفسيره ( ٢٧٤ / ٣٠ ) ، والقوطبي في تفسيره ( ١٦٢ / ١٩ ) ،  
في معنى " شامخات " أي : عاليات .

انظر أيضا المفردات للراغب ( ص ٢٦٧ ) .

( ٦ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٣٠ / ٣ ) ، " وقد شَمَخَ أَنفَهُ وَبِأَنفِهِ يَشْمَخُ شُمُوحًا :  
تكبر وتعظم " .

( ٧ ) لم أعرف من هو .

( ٨ ) لم أجد البيتين عند غيره .



وقوله ( واسقيناكم ماءً فَرَاتًا ) أي عذبا (١) ، وعن ابن عباس قال : أصول الأنهار العذبة أربعة : جيحان وهو نهر بلخ ودجلة (٢) وفيرات للكوفة (٣) ونيل مصر (٤) ،

(١) انظر تفسير الطبري (٢٣٨/٢٩) وتفسير البغوي والخازن (١٩٧/٧) وتفسير ابن كثير (٤٦٠/٤) .

(٢) ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان (١٩٦/٢) : جَيْحَانُ : نهر بالمصيصة بالشعر الشامي يخرج من بلاد الروم ويصب في بحر الشام \* وقال الجوهري في الصحاح (٢٠٩١/٥) : جيحان نهر بالشام ، وأما ما قال المؤلف من أن جيحان نهر بلخ فهو خلاف ما ذكر الجوهري والحموي فإنهما ذكرا أن جيحون يقال له نهر بلخ \* ونهر جيحان ، ونهر جيحون نهران مختلفان . انظر الصحاح (٢٠٩١/٥) ومعجم البلدان (١٩٧/٢) والنهاية (٣٢٣/١) ، ولسان العرب (٨٦/١٣) .

(٣) قال ياقوت في المصدر السابق (٤٧٩/١) : بلخ : مدينة مشهورة بخراسان وذكر أنها من أجمل مدنها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ، ويقال لجيحون : نهر بلخ ، بينهما نحو عشرة فراسخ \* .

(٤) قال ياقوت في المصدر السابق (٤٤٠/٢) : دجلة : نهر بفداد ، لاتد خله الألف واللام \* وذكر أول مخرجه فقال : أول مخرج دجلة من موضع يقال له عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد من موضع يعرف بهلورس من كهف مظلم \* وذكر أقوالاً أخرى عنه .

(٥) قال ياقوت في المصدر السابق (٢٤١/٤) : الفرات : بالضم ثم التخفيف وآخره تاء مثناة من فوق ، والفرات في أصل كلام العرب أعذب المياه \* ثم ذكر أن أول مخرجه فيما زعموا من أرمينية . ثم من القيقلا قرب خلاط ، ويدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم وذكر أن له فضائل كثيرة \* .

(٦) قال ياقوت في المصدر السابق (٤٩٠/٤) : الكوفة بالضم : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق - سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب : رأيت كوفاناً وكوفاناً ، للرميلة المستديرة \* وذكر أقوالاً أخرى في سبب تسميتها ، وتمصيرها كان في أيام عمر بن الخطاب .

(٧) قال ياقوت الحموي في المصدر السابق (٣٣٤/٥) : وأما نيل مصر فقال حمزة : هو تعريف نيلوس من الرومية ، قال القاضي : ومن عجائب مصر النيل جعله الله لها سقياً يُزرع عليه ويستغنى به عن مياه المطر في أيام القَيْظ \* .

وذكر الكلبى : في الدنيا ثلثة من الجنة : العجوة والفرات ، ونهر الأردن <sup>(١)</sup> وأنشد  
الشاعر <sup>(٢)</sup> :

إذا غاب عنها غاب فراتها — وان شهد احدى نيلسه وفواضله <sup>(٣)</sup>

قوله ( انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ) في التفسير : أن الناس يقفون على رؤس قبورهم أربعين عاماً إذا بعثوا وتدنو الشمس من رؤسهم <sup>(٤)</sup> ويوزاد في حرها حتى يأخذهم الكرب العظيم وحتى تأخذ بأنفاسهم ، ثم إن الله تعالى ينجي المؤمنين إلى ظل من ظله برحمته ويبقى الكفار فيخرج لهم دخان من نار تتشعب ثلاث شعب فيقال لهم : انطلقوا إلى ذلك الدخان فاستظلوا به ، فهو معنى قوله تعالى ( انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ) وإنما قال : ما كنتم به تكذبون

(١) روى ابن جرير في تفسيره ( ٢٣٨ / ٢٩ ) بسنده عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية : من أربعة أنهار ، سيحان وجيحان والنيل والفرات وكل ما يشربه ابن آدم فهو من هذه الأنهار ، وهي تخرج من تحت صخرة من عند بيت المقدس . وأما سيحان ببلخ ، وأما جيحان فدجلة ، وأما الفرات ففرات الكوفة ، وأما النيل فهو بمصر ولا يصح هذا الخبر فإن شيخ ابن جرير وهو محمد بن سنان القزاز رماه أبو داود بالكذب .

انظر ميزان الاعتدال ( ٥٧٥ / ٢ ) والصواب في تفسير الآية أنه عام في جميع المياه العذبة سواء كان من الأنهار أو من السحاب أو من العيون ، قال ابن كثير في تفسيره ( ٤٦٠ / ٤ ) في تفسير الآية : أى : عذبا زلالا من السحاب أو أنبعه من عيون الأرض .

(٢) ذكر ياقوت الحموى في المصدر السابق ( ١٤٧ / ١ ) : أن الأردن اسم البلد وهى أحد أجناد الشام الخمسة ، وهى كورة واسعة منها الفجور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك ، وهما أردنان . أردن الكبير وأردن الصغير ، فأما الكبير فهو نهر يصب إلى البحر بحيرة طبرية ، بينه وبين طبرية لمن عبر البحيرة فى زورق اثنا عشر ميلا ، تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجرى فى هذا النهر ، فتسقى أكثر ضياع جند الأردن مما يلى ساحل الشام وطريق صور ثم قال : وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب فى وسط الفجور فيسقى ضياع الفجور .

(٣) لم أهدأ إلى من ذكر رواية الكلبى هذه .

وقال القرطبى فى تفسيره ( ١٦٣ / ١٩ ) : " وفى بعض الحديث يقال أبو هريرة : فى الأرض من الجنة الفرات والدجلة ونهر الأردن " .

قلت : والذى ثبت فى الصحيح هو ما أخرجه مسلم فى صحيحه ( ١٧٦ / ١٧ ) والإمام أحمد فى مسنده ( ٤٤٩٢٨٩ / ٢ ) بسندهما عن أبى هريرة مرفوعا : سيحان وجيحان - والفرات والنيل كل من أنهار الجنة " .

وفى رواية أخرى عند الإمام أحمد فى مسنده ( ٢٥١ / ٢ ) عنه أيضا : فجرت أربعة أنهار من الجنة - الفرات والنيل . والسيحان وجيحان " وهذا الحديث وإن كان صحيحا ليس تفسيراً للآية لأن الآية عامة فى جميع المياه العذبة - كما تقدم .

لأنهم كانوا يكذبون بالنار وهذا دخان النار<sup>(١)</sup> وقوله تعالى ( انطلقوا إلى ظلٍ ندي  
تلك شُعب ) فهو ما ذكرنا<sup>(٢)</sup> ، وهو بيان الأول .

(١) ذكر نحوه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص ٣١٩) ، فقال : " هذا يقال  
في يوم القيامة للمكذبين ، وذلك أن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق ، وليس عليهم  
يومئذ لباس ، ولا لهم كنان ، فتلفحهم الشمس وتشفعهم وتأخذ بأغاسيهم ، ومثل ذلك  
اليوم عليهم وكربهم ، ثم ينجي الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظله ، فهناك  
يقولون : " فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم " سورة الطور الآية ٢٧ .

ويقال للمكذبين : " انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون " ( سورة المرسلات  
الآية ٢٩ ) من عذاب الله سبحانه وعقابه ، انطلقوا من ذلك إلى ظل من دخان  
نار جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق ، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع  
أن يتشعب " وذكره بنحوه مختصراً الرازي في تفسيره ( ٢٧٥ / ٣٠ ) والقرطبي في  
تفسيره ( ١٦٢ / ١٩ ) وأما ما جاء عند المؤلف من وقوف الناس على قبورهم  
أربعين عاماً فلم أجد من ذكره هنا ، وذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٨٠ / ٤ ) في  
تفسير هذه الآية ثلاثة أقوال : أولها : أن الشعبة تكون فوقه ، والشعبة عن  
يمينه ، والشعبة عن شماله ، فتحيط به ، قاله مجاهد والثاني بأن الشعب الثلاث

الضريع والزقوم والغسلين ، قاله الضحاك .  
والثالث ذكره بلفظ الإجمال : أن الشعب الثلاث اللهب والشرر والدخان ، لأنه  
ثلاثة أحوال هي غاية أوصاف النار إذا اضطربت واشتدت " . وذكر البغوي في  
تفسيره ( ١٩٧ / ٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٦٣ / ١٩ ) قولاً آخر وهو أنه يخرج  
عُتق من النار فيتشعب ثلاث شعب نور ودخان ولهب . فأما النور فيقف على  
رؤوس المؤمنين ، والدخان يقف على رؤوس المنافقين ، واللهب الصافي يقف  
على رؤوس الكافرين " وهو قول مقاتل في تفسيره ( ق ١ / ٣٧٢ ) وروى عن  
ابن عباس أنه قال : يقال ذلك لعبدة الصليب ، فالؤمنون في ظل اللهب  
عز وجل ، وهم في ظل معبودهم وهو الصليب له ثلاث شعب " ذكره أبو حيان  
في البحر المحيط ( ٤٠٧ / ٨ )

كما أن هناك أقوالاً أخرى ذكرها الرازي في تفسيره ( ٢٧٥ / ٣٠ ) والقرطبي  
في تفسيره ( ١٦٣ / ١٩ ) .

وأما ما تقدم عن ابن قتيبة وهو أنه ظل من دخان نار جهنم سطع ثم افتسرق  
ثلاث شعب " هو الصواب لأنه اختيار كثير من المفسرين ، وذكر ابن كثير أن من  
شدة هذا الدخان يكون له ثلاث شعب .

انظر تفسير الطبري ٢٩ / ٢٣٩ وتفسير البغوي والخازن ( ١٩٧ / ٧ ) وتفسير  
القرطبي ( ١٦٢ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٠ / ٤ ) .

وقوله ( لا ظليل ) الظل : حجاب عال يدفع أذى الحر عن الإنسان<sup>(١)</sup> .  
 فقوله ( لا ظليل ) أى : لا يدفع الأذى فهو فى صورة ظل وليس له معنى الظل وقوله  
 ( ولا يغنى من اللهب ) أى لا يدفع عنهم أذى اللهب واللهب لهب النار<sup>(٢)</sup> ، وعن  
 قطرب<sup>(٣)</sup> قال : اللهب هو العطش<sup>(٤)</sup> .

وقوله ( انها ترمى بشور ) أى يتطايرونها الشرر<sup>(٥)</sup> ، وقوله ( كالقصر ) قال  
 أبو عمرو<sup>(٦)</sup> : كالبناء العظيم<sup>(٧)</sup> ، وقيل : كالخيمة من خيام العرب والمغرب

( ١ ) ذكر الراغب الأصفهاني فى المفردات (ص ٤٣١) أن الظل يقال لكل موضع لم  
 تصل إليه الشمس .

( ٢ ) قال ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن (ص ٣١٩) عند هذه الآية : أى :  
 لا يظلكم من حر هذا اليوم بل يدنيكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من  
 حر الشمس ، ولا يغنى من اللهب .  
 انظر أيضا زاد المسير ( ٨ / ٤٥٠ ) وتفسير القوطى ( ١٩ / ١٦٢ ) .

( ٣ ) هو محمد بن المستنير أبو على النحوى المعروف بقطرب لا يزم سيويه ، وكان  
 يُدلىح إليه ، فإذا خرج رآه على باب ، فقال له : ما أنت إلا قطرب ليل ( دويبة  
 كانت فى الجاهلية يزعمون أنها ليس لها قرار البتة ) فلقب به .

وكان يرى رأى المعتزلة النظامية ، ولم يكن ثقة . وله من المؤلفات : اعراب  
 القرآن ، مجاز القرآن ، المثلث النوارى وغير ذلك . مات سنة ست ومائتين .  
 انظر بغية الوعاة ( ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣ ) .

( ٤ ) لم أجد من ذكره عنه غير المؤلف ، وقد ذكر هذا المعنى الأزهى فى تهذيب  
 اللغة ( ٦ / ٣١٤ ) عن أبى عبيد عن أبى عبيدة أنه قال : اللهب : العطش ،  
 وقال الراغب فى المفردات (ص ٤٥٥) " وَيُسْتَعْمَلُ اللَّهْبُ فِي الْحَرِّ الَّذِي يَنَالُ  
 الْعَطْشَانَ " . وانظر أيضا لسان العرب ( ١ / ٧٤٤ ) .

( ٥ ) انظر تفسير البغوى ( ٧ / ١٩٧ ) وزاد المسير ( ٨ / ٤٥٠ ) وتفسير القوطى  
 ( ١٩ / ١٦٣ ) .

( ٦ ) لعلمه أبو عمرو بن العلاء وستأتى ترجمته فى ( ص ٣٩٦ ) .

( ٧ ) لم أهدد إلى من ذكر عنه هذا القول . وقد ذكره ابن قتيبة فى تفسير غريب  
 القرآن (ص ٥٠٧) وابن جرير فى تفسيره ( ٢٩ / ٢٣٩ ) ورواه عن مجاهد  
 وابن عباس وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٣٨٠ ) من قول ابن مسعود . انظر  
 أيضا تفسير البغوى وتفسير الخازن ( ٧ / ١٩٧ ) والكشاف ( ٤ / ٦٨٠ ) والسرائى  
 ( ٣٠ / ٢٧٦ ) وزاد المسير ( ٨ / ٤٥٠ ) وتفسير القوطى ( ١٩ / ١٦٣ ) .

تسمى ذلك قصراً (١) . وقراً ابن عباس : ( كالقَصْر ) بتحريك الصاد (٢) وقيل : إنها -  
أعناق النخيل ، وقيل : أصول النخيل . (٣)

وعن بعضهم : أنه خشبة كان أهل الجاهلية يعتضدون بها (٥) نحو ثلاثة أذرع  
يسمونها القصر . (٦)

(١) لم أجد من صرح بأن المراد من القصر هو الخيمة - إلا أن الفراء قال في  
معاني القرآن (٢٢٤/٣) عند هذه الآية : " يريد : القصر من قصور ميساء  
العرب " .

وذكر الرازي في تفسيره (٢٧٧/٣٠) عن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله ( إنها -  
ترعى بشر كالقصر ) أن هذا التشبيه إنما ورد في بلاد العرب ، وقصورهم قصيرة  
السك جارية مجرى الخيمة " ثم بين الرازي أن الصواب هو أن القصر البنساء  
العظيم .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٠/٢٩) بسنده عن سعيد بن جبيرة عن  
ابن عباس أنه قرأها ( كالقَصْر ) بفتح القاف والصاد " وذكرها عن ابن عباس بسن  
خالويه في شواذ القرآن (١٦٧) وأوردها عنه السيوطي في الدر المنثور (٣٠٤/٦)  
وعزاها إلى ابن جرير وابن المنذر " . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٥٠/٨)  
فقال : وقراً ابن عباس وأبو رزين ومجاهد ، وأبو الجوزاء ( كالقَصْر ) بفتح الصاد " وفيه  
قراءات أخرى ذكرها ابن الجوزي ، والصواب من هذه القراءات هو ما عليه الجمهور  
من القراء ، وهو بإسكان الصاد .  
انظر تفسير الطبري (٢٤٠/٢٩) ، وزاد المسير (٤٥٠/٨) .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٠/٢٩) بسنده عن ابن عباس أنه قال : قصر  
النخل ، يعني الأعناق . وذكره البغوي في تفسيره (١٩٨/٧) قال : وقراً علي ،  
وابن عباس ( كالقَصْر ) بفتح الصاد أي أعناق النخل ، والقَصْرَة : العنق وجمعها قَصْر  
وقَصْرَات . وذكره أيضاً ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٥٠٧) فقال أثناء ذكره  
لمعاني القصر : ويقال : أعناق النخل أو الإبل : شبهها بقصر الناس أي أعناقهم  
انظر أيضاً تفسير القرطبي (١٦٤/١٩) ولسان العرب ٥/١٠١ .

(٤) هو قول قتادة وسعيد بن جبيرة والضحاك . انظر تفسير غريب القرآن (٥٠٧) وتفسير  
الطبري (٢٤٠/٢٩) وتفسير الماوردي (٣٨٠/٤) وتفسير البغوي (١٩٨/٧) ،  
وزاد المسير (٤٥٠/٨) وتفسير القرطبي (١٦٣/١٩) والدر المنثور (٣٠٤/٦) .

(٥) كذا في الأصل ، وفي تفسير الماوردي (٣٨٠/٤) ( يقصدونها ) .

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٨٠/٤) قال : " إنها خشبة كان أهل الجاهلية  
يقصدونها ، نحو ثلاثة أذرع يسمونها القصر " قاله ابن عباس . وروى البخاري في  
صحيحه - كتاب التفسير - باب قوله ( إنها ترمي بشر كالقصر ) ٦٨٧/٨ رقم ٤٩٣ .

وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٠/٢٩) والحاكم في مستدركه (٥١١/٢)  
بإسنادهم عن ابن عباس أنه قال : كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل فنرفعه  
للشاة فنسميه القصر " هذا لفظ البخاري . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٠٤/٦  
وعزاها أيضاً إلى عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .  
انظر أيضاً تفسير البغوي ١٩٨/٧ وزاد المسير ٤٥٠/٨ ، وتفسير القرطبي (١٦٣/١٩) .

وعن مجاهد : أن ( القَصْر ) بتسكين الصاد وهو الجبل <sup>(١)</sup> .  
وعن قتادة : أعناق الدواب وهو ينصب الصاد <sup>(٢)</sup> .

( ٣ )  
وعن ابن عباس في رواية : هو ظوس السفن ، وقيل : حبال السفن .  
وعن المبرد قال : هو الجزل العظيم من الحطاب <sup>(٤)</sup> .  
<sup>(٥)</sup>

( ١ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٨٠ / ٤ ) والقوطبي في تفسيره ( ١٦٤ / ١٩ ) وعزاه  
الأول إلى مقاتل ، والذي جاء في تفسير مقاتل ( ق ٣٨٢ / ١ ) هو خلاف ذلك ،  
فإنه قال في معنى القصر : وهو أصول الشجر ، يكون في البرية فإذا جاء  
الشتاء قطعت أعضائها فتبقى لا أصول لها ، فتحرقه البرد فتسود ، فتراها في  
البرية كأمثال الجمال إذا أنيخت في البرية فذلك قوله : إنها ترمى بشرر كالقصر .  
وأما ما ذكره المؤلف بقوله ( وعن مجاهد : أن القصر بتسكين الصاد وهو الجبل )  
فلم أجد من ذكره من المفسرين عنه وقد روى عنه ابن جريو في تفسيره ( ٢٤٠ / ٢٩ )  
بسنده أنه قال : حزم الشجر ، يعني الحزمة . انظر أيضا تفسير مجاهد ٢ / ٧١٧  
وفيه جذم الشجر والدر المنثور ( ٣٠٤ / ٦ ) .

( ٢ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٨٠ / ٤ ) من قول قتادة . وذكر عنه القوطبي في  
تفسيره ( ١٦٤ / ١٩ ) أنه قال : أعناق الإبل " وذكر ابن الجوزي في زاد المسير  
( ٤٥٠ / ٨ ) عن الزجاج أنه قال : أراد أعناق الإبل " .

وأما ابن جريو فروى عنه في تفسيره ( ٢٤٠ / ٢٩ ) أنه قال : أصول الشجر  
وأصول النخل " وكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣٠٤ / ٦ ) وعزاه إلى  
عبد السزاق وعبد بن حميد وابن جريو وابن المنذر ، ولعل ذلك من تعدد  
الروايات عنه .

( ٣ ) كذا وردت العبارة فيما بين القوسين في النسختين . وهذا ليس محلها . لأنها  
تفسير لقوله تعالى ( جمالت صفر ) .

( ٤ ) هو إمام النحو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبى الأزدي البصري النحوي  
الأخباري صاحب الكامل ، المعروف بالمبرد ، وكان إماماً علامةً جميلاً وسيمًا  
فصيحاً بليغاً مفوهاً ، موثقاً صاحب نوادر وطرف . يقال : مارأى المبرد مثل  
نفسه ، مات في سنة ٢٨٦ .

سير أعلام النبلاء ٣ / ١٣٥٧٦ ، بغية الوعاة ١ / ٢٦٩ ، طبقات المفسرين ٢ / ٢٦٩ .

( ٥ ) ذكره الرازي في تفسيره ( ٢٧٦ / ٣٠ ) قال : قال المبرد : يقال : للواحد من  
الحطاب الجزل الفليظ قصرة والجمع قصر " ويروى نحوه عن الحسن أيضا . انظر  
تفسير الطبري ( ٢٤١ / ٢٩ ) وتفسير القوطبي ( ١٦٣ / ١٩ ) والدر المنثور ١ / ٣٠٤ ،  
ولسان العرب ( ١٠١ / ٥ ) ، وهذه هي الأقوال التي ذكرت في معنى القصر ،  
والصواب منها ، هو ما عليه الجمهور من المفسرين وهو أنه واحد القصور المبنية  
كما صرح به ابن جريو الطبري في تفسيره ( ٢٤١ / ٢٩ ) وقال : وذلك لدلالة قوله  
( كأنه جمالات صفر ) على صحته ، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية " .

انظر أيضا زاد المسير ( ٤٥٠ / ٨ ) .

قوله ( كَانَتْ جَمَالَاتٌ صُفْرٌ ) أى نوق سود (١) . وَالْجَمَالَاتُ جمع جمل . وقيل : إنها جمع الجمع كأنهم قالوا : جمل وجمال وجمالات ، وهو مثل قولهم رجلٌ ورجالٌ ورجالات (٢) وقرئ بضم الجيم . وهى جمال ، وقرئ ( وجمالة ) على الوجدان مثل حجر وحجارة أجمل وجمالة (٣) ، وقوله ( صفر ) : أى سود وإنما سماها صفرًا لأنها تشوبها

(١) ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٩ / ٢٤١) ورواه بسنده عن الحسن وقتادة ومجاهد . وذكره الماورى فى تفسيره (٤ / ٣٨١) وعزاه إلى من تقدم ذكرهم . انظر أيضا تفسير غريب القرآن (ص ٥٠٧) ومعانى القرآن للفرأ (٣ / ٢٢٥) وتفسير القرطبي (١٩ / ١٦٤) . وقد وردت فى معنى الآية أقوال أخرى ، منها أنه عنى بذلك قلوب السفن (أى حبالها) وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير . وقيل : بل معناه أنه قطع النحاس ، وهو أيضا مروى عن ابن عباس . انظر الجامع الصحيح للبخارى (٨ / ٦٨٨) وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٥٠٧) وتفسير الطبرى (٢٩ / ٢٤١) - (٢٤٢ / ٢٤٢) وتفسير الماورى (٤ / ٣٨١) وتفسير البغوى (٧ / ١٩٨) وتفسير القرطبي (١٩ / ١٦٥) . والراجح من هذه الأقوال هو ما ذكره المؤلف وهو أن المراد بالجمالات الصفر الإبل السود . كما صرح به ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٩ / ٢٤٢) وقال : لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب . انظر أيضا تفسير ابن كثير (٤ / ٤٦٠) .

(٢) انظر معانى القرآن للفرأ (٣ / ٢٢٥) وتفسير الطبرى (٢٩ / ٢٤٢) وزاد المسير (٨ / ٤٥١) وتفسير القرطبي (١٩ / ١٦٥) .

(٣) فى (جمالات) عدة قراءات . قرأها من أصحاب القراءات السبع حمزة والكسائى وحفص " كَانَتْ جَمَالَاتٌ صُفْرٌ " على التوحيد بغير ألف - كذا ذكره أبو عمر والدانى فى التيسير (ص ٢١٨) وانظر أيضا زاد المسير (٨ / ٤٥١) وذكر القيسى وابن زنجلة أنه على وزن فعالة ، وجمع جمل على جمال . ثم لحقته هاء التانيث . انظر الكشف (٢ / ٣٥٨) وحجة القراءات (٧٤٤) وانظر أيضا تفسير الطبرى (٢٩ / ٢٤٢-٢٤٣) وتفسير البغوى (٧ / ١٩٨) وقرأها الباقون منهم (جمالات صفر) بالألف والياء . على أنها جمع الجمع . انظر التيسير (ص ٢١٨) والكشف (٢ / ٢٥٨) وحجة القراءات (ص ٧٤٤) وانظر أيضا تفسير الطبرى (٢٩ / ٢٤٢) وتفسير البغوى (٧ / ١٩٨) وزاد المسير (٨ / ٤٥١) وقرأ رويس عن يعقوب (جمالات) بضم الجيم وألف بعد اللام ، وهو جمع جمالة بضم الميم ، وهى الحبال الغليظة من حبال السفينة . المذهب (٢ / ٤٤١) وزاد المسير (٨ / ٤٥١) انظر أيضا تفسير القرطبي (١٩ / ١٦٥) وقرأها أبو رزين وحديد وأبو حيو " جمالة " بضم الجيم على التوحيد ، انظر شوان القرآن (ص ١٦٧) وزاد المسير (٨ / ٤٥١) وتفسير القرطبي (١٩ / ١٦٥) . وصوب ابن جرير فى تفسيره (٢٩ / ٢٤٣) القراءتين الأولىين يعنى (جمالات) وجمالات لأنها قراءتان معروفتان . وقال : وأما بضم الجيم فلا أستجيزه لإجماع الحجة من القراء على خلافه .

لون من السواد وإن كانت صفراء ، ومنه يقال للظباء البيض : أدم . لأنه يشوبها شىء  
من الكدرة وإن كانت بيضاء . (١) وقال الشافعي (٢) :  
تِلْكَ خَيْلِي مِنْهَا (٣) وتلك رِكَابِي . هن صفراء أو لادها (٤) كالزبيبي (٥) أي سود  
وقوله تعالى ( هذا يوم لا ينطقون ) فإن قال قائل : قد قال في موضع آخر ( وأقبل بعضهم  
على بعض يتسألون ) (٦) فكيف الجمع بين الآيتين ؟ والجواب بيئنا : أن ليوم القيامة  
مواطن ومواقف . (٧)

(١) انظر معاني القرآن (٢٢٥/٣) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٠٧) وتفسير البغوى  
(١٩٨/٧) وزاد المسير (٤٥١/٨) ، وتفسير القرطبي (١٦٤/١٩) . وذكر  
القرطبي عن الترمذى ( أى الحكيم الترمذى ) تضعيف هذا القول ، فإنه قال : وهذا  
القول محال فى اللغة ، أن يكون شىء يشوبه شىء قليل فنسبكه إلى ذلك الشائب  
فالمعجب لمن قد قال هذا " . ثم ذكر فى توجيهه كلاماً طويلاً خلاصته أن نار  
جهنم سوداء وقد بعث الله تعالى إليها سلطانة وغضبه ، فاسودت من سلطانته  
وازدادت حدة ، وهى ترمى بشررها على أهل الموقف ولا يصل ذلك إلى الموحد بين  
ولكنهم يعاينون ذلك الرمي فإذا عاينوه نزع الله ذلك السلطان والغضب عنه فسى  
راى العين منهم حتى يروها صفراء ، ليعلم الموحدون أنهم فى رحمة الله لا فى  
سلطانة وغضبه " . ولكن ما ذكره جمهور المفسرين وهو أن ( جمالات صفر ) إبسل  
سود . هو الصواب ، ولا سيما يوجد له نظير فى كلام العرب الذين نزل القرآن  
بلغتهم . وليس هناك ما يدل على التفريق الذى ذكره الترمذى هذا والله  
أعلم بالصواب .

(٢) هو الأعشى .  
(٣) فى ديوان الأعشى والمصادر الأخرى ( منه ) بدل ( منها ) .  
(٤) فى النسختين ( ألوانها ) وفى ديوان الأعشى والمصادر الأخرى ( أولادها ) ولذا  
أثبتته .

(٥) البيت فى ديوان الأعشى (ص ٢٧) وأنشده أيضا الماوردى فى تفسيره (٣٨١/٤)  
والقرطبي فى تفسيره (١٦٤/١٩) .

(٦) سورة الصافات الآية ٢٧ ، ٥٠ ، وسورة الطور الآية ٢٥ .

(٧) ذكر ابن جرير فى تفسيره (٢٤٣/٢٩) هذا الاعتراض وأجاب عنه بقوله : إن ذلك  
فى معنى الأحوال دون معنى " . وقال البغوى فى تفسيره (١٩٨/٧) عند هذه  
الآية : " فى القيامة مواقف وفى بعضها يختصمون ويتكلمون وفى بعضها يختتم  
على أفواههم فلا ينطقون " وذكره بنحوه الزمخشري فى الكشاف (٦٨١/٤) ،  
وابن الجوزى فى زاد المسير (٤٥١/٨) والقرطبي فى تفسيره (١٦٦/١٩) ، وأجيب  
عن ذلك بأجوبة أخرى منها : أنهم لا ينطقون بحجة نافعة ، وقيل : إن هذا  
وقت جوابهم " أخسأوا فيها ولا تكلمون " سورة المؤمنون الآية ١٠٨ .  
انظر تفسير القرطبي (١٦٦/١٩) وتفسير الرازى (٢٧٩/٣٠) .



وقوله ( ولا يؤذن لهم فيعتذرون ) لأنه لا عذر لهم ، وقوله ( هذا يوم الفصل جمعناكم / والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون ) أي إن كان لكم حيلة فاحتالوا ، (٢) ١٣١٢  
 قوله تعالى ( إن المتقين في ظلال وعيون ) قيل : ظلال القصور والأشجار . (٤) وقيل :  
إن الظل هو ما يدفع أذى الحر عن الإنسان ، وهو الجنة ينافي كل أذى فهو

(١) ذكر الثعلبي في تفسيره (٢٤/١٣ ب) والبيهقي في تفسيره (١٩٨/٧) ،  
 والقرطبي في تفسيره (١٦٦/١٩) عن الجنيد أنه قال : أي عذر لمن أعرض عن  
 منعه وكفر بأيد به ونعمه .

وقال الرازي في تفسيره (٢٨٠/٣٠) قوله ( ولا يؤذن لهم فيعتذرون ) يوهم  
 أن لهم عذراً وقد منعوا من ذكره ، وهذا لا يليق بالحكيم ، ( والجواب ) أنه  
 ليس لهم في الحقيقة عذر ولكن ربما تخيلوا خيلاً فاسداً أن لهم فيه عذراً  
 فهم لا يؤذنون لهم في ذكر ذلك العذر الفاسد .

(٢) كذا فسره الفراء في معاني القرآن (٢٢٧/٣) وابن قتبية في تفسير غريب  
 القرآن (ص ٥٠٧) وهو قول مقاتل أيضاً : انظر تفسيره (ق ٣٨٢/ب) .  
 انظر أيضاً تفسير الماوردى (٣٨١/٤) وتفسير البيهقي (١٩٨/٧) وذكر  
 الماوردى قولاً آخر فقال : إن استطعتم أن تمتنعوا عني فامتنعوا ، وهو معنى  
 قول الكلبي .

وذكر القرطبي في تفسيره (١٦٧/٢٩) ثلاثة أقوال أخرى غير القول  
 الأول وهو أن الكيد بمعنى الحيلة .  
 فقال : قيل : أي " فإن كان لكم كيد " أي قدرتم على حرب " فكيدوني " أي حاربوني  
 كذا زوى الضحاك عن ابن عباس وقيل : أي إنكم كنتم في الدنيا تعلمون بالمعاصي  
 وقد عجزتم الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم .

وقيل : إنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود " فكيدوني جميعاً  
 ثم لا تنظرون " سورة هود الآية ٥٥ ، والصواب هو الأول وهو أن الكيد بمعنى  
 الحيلة في التخلص من عقاب الله . لأنه قول أكثر المفسرين .  
 انظر تفسير الطبري (٢٤٤/٢٩) وزاد المسير (٤٥٢/٨) .

(٣) في الأصل زيادة ( في ظلمات ) بين كلمتي ظلال وعيون ) وليس لهذه الزيادة  
 معنى فحذفها - وهي غير موجودة في نسخة ب .

(٤) قال البيهقي والخازن في تفسيرهما (١٩٨/٧) " ظلال جمع ظل : أي في ظلال  
 أكنان القصور " وقال القرطبي في تفسيره (١٦٧/١٩) . والمراد بالظلال  
 ظلال الأشجار وظلال القصور مكان الإطس في الشعب الثالث وفي سورة  
 يس " هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون " الآية ٥٦ .

ظل على هذا المعنى وإن لم يكن هناك شمس<sup>(١)</sup> ، وقوله ( وفواكه مما يشتهون ) أى يتمنون<sup>(٢)</sup> ،  
 وقوله ( كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ) قد بينا من قبل<sup>(٣)</sup> ، وقوله ( إنا كذلك  
 نجزي المحسنين ) قال الحسن البصرى : المحسن من أى جميع فرائض الله وأجتنب  
 جميع مناهى الله<sup>(٤)</sup> ، قوله تعالى ( كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ) هذا على طريق  
 التهديد والوعيد لا على طريق الأمر ومعناه : إفعالوا ما أنتم فاعلون سينالكم رعب  
 ذلك وعاقبته<sup>(٥)</sup> . وقوله ( وإذا قيل : لهم اركعوا لا يركعون ) معناه : إذا قيل لهم :  
 صلوا ، لا يصلون ، وقيل : إنها نزلت فى ثقيف<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) ذلك لأنه قال تعالى : ( متكئين فيها على الأرائك ، لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً )  
 سورة الإنسان الآية ١٣ ، ولم أجد من ذكر هذا التفسير .

( ٢ ) انظر تفسير القرطبي ( ١٦٧ / ١٩ ) .

( ٣ ) فى سورة الطور الآية ( ١٩ ) انظر الأصل ٢ / ق ٢٣٦ / ١ قال : قوله تعالى : ( كلوا  
 واشربوا هنيئاً ) أى تهنئون هنيئاً وقوله : ( بما كنتم تعملون ) أى : تعملون من  
 الطاعات . وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٥٢ / ٨ ) عند هذه الآية " أى  
 ويقال لهم : كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون فى الدنيا بطاعة الله " . وذكر  
 الرازى فى تفسيره ( ٢٨٣ / ٣٠ ) فى قوله تعالى ( كلوا واشربوا ) اختلاف  
 العلماء هل هو أمر أو إذن . والصواب أنه ليس بأمر وإنما يريد بقوله إكسرام  
 المؤمنين ، لأن الأمر والنهى إنما يحصلان فى زمان التكليف ، وليس هذا صفة الآخرة .  
 ( ٤ ) لم أجد من ذكره عنه .

( ٥ ) صرح بأن ذلك وعيد وتهديد من الله تعالى للكفار والمكذبين . الطبرى فى تفسيره  
 ( ٢٤٥ / ٢٩ ) ، والرازى فى تفسيره ( ٢٨٣ / ٣٠ ) ، والقرطبي فى تفسيره ( ١٦٨ / ١٩ )  
 والخازن فى تفسيره ( ١٩٩ / ٧ ) .

( ٦ ) قال الفراء فى معانى القرآن ( ١٦٨ / ٣ ) عند هذه الآية : يقول : " إذا أمروا  
 بالصلاة لم يصلوا " وهو قول ذهب إليه مجاهد وآخرون - وهو يعنى أنه يقال لهم  
 فى الدنيا . انظر تفسير مجاهد ( ٧١٨ / ٢ ) وتفسير الطبرى ( ٢٤٥ / ٢٩ - ٢٤٦ )  
 وزاد المسير ( ٤٥٢ / ٨ ) وتفسير القرطبي ( ١٦٨ / ١٩ ) . وروى الطبرى فى تفسيره  
 ( ٢٤٥ / ٢٩ ) بسند . عن العوفى عن ابن عباس أنه قال : يدعون يوم القيامة إلى  
 السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله فى الدنيا " .  
 انظر أيضاً تفسير البغوى ( ١٩٩ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٥٢ / ٨ ) وتفسير القرطبي  
 ( ١٦٨ / ١٩ ) ، وقال ابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٩٠٤ / ٤ ) : " وظن قوم  
 أن هذا إنما يكون فى القيامة ، وليست بدار تكليف ، فيتوجه فيها أمر يكون عليه ويصل  
 وعقاب ، وإنما يدعون إلى السجود كشفاً لحال الناس فى الدنيا ، فمن كان يسجد لله  
 تمكن من السجود ، ومن كان يسجد رثاءً لغيره صار ظهره طبقاً واحداً " .

استَعَفُوا مِنَ الصَّلَاةِ (١) . وقيل : كانوا استعطفوا (٢) من الركوع والسجود فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا خير في دين ليس له ركوع ولا سجود (٣) ، وقوله (فبأى حديث بعده يوم منون) أى بأى كتاب بعد القرآن يوم منون إن لم يؤمنوا بهذا الحديث بعد ظهور براهينه وقيام الدلائل على أنه من عند الله (٤) .

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٨١/٤) والقرطبي في تفسيره (١٦٨/١٩) من قول مقاتل قال : نزلت في ثقيف، امتنعوا عن الصلاة فنزل ذلك فيهم " ولم أجد هذا القول في تفسير مقاتل عند هذه الآية .

(٢) في نسخة (ب) ( استعَفُوا ) وكتاهما صواب. والأنسب ( استعَفُوا ) .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٦٨٣/٤) " وقيل : نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، فقالوا : لا نجس ( من التجبية وهى الإنحناء ) فإنها مسببة علينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود " . وقال ابن حجر في تخریج الكشاف : هكذا ذكره الثعلبي . وأخرجه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني من رواية الحسن بن عثمان بن أبي العاص به وأتم منه " .

قلت : أخرجه أبو داود في سننه (٤٢٠/٣) والإمام أحمد في مسنده (٢١٨/٤) والطبراني في المعجم الكبير (٤٥/٩) كلهم بإسنادهم عن حميد بن الحسن بن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيفلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم ، فاشترطوا عليه أن لا يُحشروا ولا يُعشروا ولا يُحبسوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا ، ولا خير في دين ليس فيه ركوع " .

قوله ( لا تُحشروا ) معناه : الحشر في الجهاد والنفير له ، وقوله ( ولا تُعشروا ) معناه : الصدقة ، أى لا يؤخذ عشر أموالهم وقوله ( أن لا يُحبسوا ) معناه : لا يصلوا ، هذا وقد ذكر القرطبي في تفسيره (١٦٩/١٩) في معنى هذه الآية قولين آخرين فقال : وقيل : أى إذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون ، فهو عام في الصلاة وغيرها ، وإنما ذكر الصلاة لأنها أصل الشرائع بعد التوحيد ، وقيل : الأمر بالإيمان ، لأنها لا تصح من غير الإيمان " والأصح في ذلك هو ما ذكره مجاهد وهو أنه إذا قيل لهم في الدنيا صلوا ، فلا يصلون - وقد صرح به ابن الجوزي في زاد المسير (٤٥٢/٨) وأما ما رواه ابن جرير عن ابن عباس وهو أن ذلك في يوم القيامة فسند ضعيف - لأن فيه الحسن بن عطية الراوى عن عطية العوفى قال فيه ابن حجر : ضعيف . وآبئه الحسين أيضا ضعيف . انظر ميزان الاعتدال (٥٣٧/١) وأما كونها نزلت في بني ثقيف فعلى فرض ثبوته العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤٥٢/٨) " أى : إن لم يصدقوا بهذا القرآن فبأى كتاب بعده يصدقون ولا كتاب بعده " وقال القرطبي في تفسيره (١٦٩/١٩) " أى : إن لم يصدقوا بالقرآن الذى هو المعجز والدلالة على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام فبأى شئ يصدقون " .

فإن قال قائل : ما وجه التكرار في قوله ( ويل يومئذ للمكذبين ) في هذه السورة  
والمرة الواحد تغنى عن المراد به ؟ والجواب : قد بينا هذا في سورة الرحمن .  
ووجه ذلك : أنه لما كرر ذكر النعم في تلك السورة كرر الزجر عن كفرانها والنهي عنها  
بقوله ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) .

ولما كرر ذكر الآيات في هذه السورة لاقامة الحجج عليهم كرر ذكر العقوبة عليهم  
بذكر الويل ليكون أبلغ في الإنذار والإعذار . وهو على عادة كلام العرب ، فإن الرجل  
يقول لغيره : ألم أحسن إليك ، بأن فعلت لك كذا ألم أحسن بأن خلاصتك من المكاره ،  
ألم أحسن بأن تشفعت لك إلى فلان وغير ذلك فيحسن منه التكرير لا اختلاف ما يقسره  
به قال مهلهل بن ربيعة<sup>(٣)</sup> يوشى أخاه كليبا<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذلك في ( ٢ / ق / ٢٥٢ / ب )

( ٢ ) قال القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ١٦٩ ) : " وكثر<sup>١</sup> ويل يومئذ للمكذبين<sup>٢</sup> " لمعنى تكرر التخويف والوعيد " وقيل : ليس بتكرار ، لأنه أراد بكل قول منه غير الذي أراد بالآخر ، كأنه ذكر شيئاً فقال : ويل لمن يكذب بهذا " ثم ذكر شيئاً آخر فقال : ويل لمن يكذب بهذا ، ثم ذكر شيئاً آخر فقال : ويل لمن يكذب بهذا ، ثم كذلك إلى آخرها " وإلى القول الثاني ذهب ابن الجوزي في زاد المسير ( ٨ / ٤٤٨ ) .

( ٣ ) هو عدى بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم ، من تغلب أبو ليلى ، المهلهل شاعر جاهلي ، من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد ، وهو خال امرئ القيس ، وقيل : لقب مهلهلا لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رققه ، ونفى اسمه خلاف .

وعكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء فسماه أخوه كليب " زير النساء " أي جلسهن ، ولما قتل جساس بن مرة كديبا ثار المهلهل فانقطع عن الشرب واللبس وألى أن يثار لأخيه فكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة وعرفت بحروب البسوس . انظر طبقات فحول الشعراء ( ١ / ٣٩ - ٤٠ ) . والشعر والشعراء ( ١٦٤ - ١٦٦ ) وجمهرة أشعار العرب ( ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ) الاعلام ( ٤ / ٢٢٠ ) .

( ٤ ) هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة التغلبي الوائلي سيد الحيين بكر وتغلب ، من الشجعان الأبطال ، وأحد من تشبهوا بالملوك في امتداد السلطة ، وهو أخو مهلهل بن ربيعة وخال امرئ القيس ، وتقدمت قصة قتله وبدء الحرب التي وقعت على اثر قتله بين بكر وتغلب ، وكان قتله سنة ١٣ قبل الهجرة .

انظر الاعلام ( ٥ / ٢٣٢ ) .

إذا طردَ التَّيْمُ مِنَ الْجَزُورِ	على أن ليس عدلاً من كُيِّب
إذا صرختَ مَخْبِئَةَ الْخُدُورِ	على أن ليس عدلاً من كُيِّب
غداةَ بَلَائِلِ الأَمْرِ الكَبِيرِ	على أن ليس عدلاً من كُيِّب
إذا ماجارَ جَارَ المَسْتَجِيرِ	على أن ليس عدلاً من كُيِّب

( ١ ) انظر هذه الأبيات في أمالي القاسي ( ٢ / ١٣٢ ) .

تفسير سورة النبأ وهي مكية (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ) معناه : ( عنما يتساءلون ) فأدغمت النون في الميم ، وأسقطت الألف فصار ( عَم ) (٢) .

قال الزجاج : لفظه لفظ الاستفهام . والمعنى تفخيم القصة مثل القائل أى شئ (٣)  
زيد .

وفي التفسير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بُعِثَ ودعا المشركين إلى التوحيد جعل بعضهم يسأل بعضاً فيما نذا بُعِثَ محمد وإلى ما نذا يدعوناً فنزل تعالى هذه الآية (٤) . ومعنى : يتساءلون : أى يسأل بعضهم بعضاً (٥) .

(١) صرح ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٩) بأنها مكية كلها بإجماع المفسرين . انظر أيضاً دلائل النبوة للبيهقي (١٤٢٧) وتفسير الماوردي (٣٨٢/٤) .

(٢) قال البغوي في تفسيره (١٩٩/٧) " ( عَم ) أصله عن ما فأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقوله فيم ويم . وينحوه ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٩) وذكر الرازي في تفسيره (٢/٣١) في سبب حذف الألف أربعة أوجه . أحدها : قال الزجاج : لأن الميم تشرك الفنة في الألف فصارا كالحرفين المتماثلين . وثانيها : قال الجرجاني : إنهم إنذا وضعوا ما في استفهام حذفوا ألفها تفرقة بينها وبين أن تكون اسماً كقولهم : فيم ويم ولم وعلام وحتام . وثالثها : قالوا : حذفت الألف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كجزء منه لتنبه عن شدة الاتصال .

ورابعها : السبب في هذا الحذف التخفيف في الكلام فإنه لفظ كثير التداول على اللسان . انظر أيضاً تفسير القرطبي (١٦٩/١٩ - ١٧٠) .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (١٩٩/٧) عن الزجاج وقال الزمخشري في الكشاف (٦٨٤/٤) : " ومعنى هذا الاستفهام : تفخيم الشأن ، كأنه قال : عن أى شئ يتساءلون . ونحوه ما في قولك : زيد ما زيد . انظر أيضاً زاد المسير (٤/٩) وتفسير الخازن (١٩٩/٧) والبحر المحييط (٤١٠/٨) .

(٤) روى ابن جريو في تفسيره (١/٣٠) هذا السبب لنزول الآية بسنده عن الحسن . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٠٥/٦) وعزا تخريجه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه . انظر أيضاً تفسير البغوي (١٩٩/٧) وزاد المسير (٤/٩) وذكر القرطبي في تفسيره (١٧٠/١٩) سبباً آخر فقال : " وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتحدث فيما بينها فمهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " .

(٥) قال الرازي في تفسيره (٣/٣١) " التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل .

وقوله ( عن النبا العظيم ) قيل معناه : <sup>(١)</sup> عن النبا العظيم <sup>(٢)</sup> واختلف القول في النبا العظيم . روى / أبو صالح عن ابن عباس : أنه القرآن . وعن ٣١٢ ب قتادة : أنه البعث <sup>(٣)</sup> وهو قول أبي العالية <sup>(٤)</sup> والربيع بن أنس وجماعة <sup>(٥)</sup> .

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧٠/١٩) فقال : " وذكر بعض أهل العلم أن الاستفهام في قوله : " عن " مكرر إلا أنه مضمّر ، كأنه قال : عمّ يتساءلون ؟ عن النبا العظيم ؟ " وعلى هذا يكون متصلاً بالآية الأولى . وذكر في ذلك وجهاً آخر وهو أن ( عن ) لا تتعلق بـ " يتساءلون " الذي في التلاوة ، بل هي متعلقة بـ ( يتساءلون ) آخر مضمّر .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧٠/١٩) قال : " روى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو القرآن وقال السيوطي في الدر المنثور (٣٠٥/٦) : " وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله ( عمّ يتساءلون عن النبا العظيم ) قال : القرآن . وهو قول مجاهد ومقاتل والفراء . والدليل على هذا القول قوله تعالى " قل هو نبيّ عظيم أنتم عنه معرضون " سورة ص الآية ٦٧ . فالقرآن نبيّ وخبر وقصص . انظر تفسير مجاهد (٧١٩/٢) ومعاني القرآن للفراء (٢٢٧/٣) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٠٨) وتفسير الطبري (٢٠١/٣٠) وتفسير الماوردي (٣٨٢/٤) وتفسير البغوي (١٩٩/٧) والكشاف (٦٨٤/٤) وزاد المسير (٤/٩) وتفسير القرطبي (١٧٠/١٩) .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (٢/٣٠) ورواه بسنده عن قتادة وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٠٥/٦) عن قتادة ، وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر . انظر أيضاً تفسير الماوردي (٣٨٢/٤) وتفسير البغوي (١٩٩/٧) وزاد المسير (٤/٩) وتفسير القرطبي (١٧٠/١٩) .

(٤) هو رُفَيْع ( بالتصغير ) ابن مهران أبو العالية الرّياحيّ ( بكسر الراء والتحتانيّة ) البصريّ المقريّ الفقيه - مولى امرأة من بنى رباح بطن من تميم . رأى أبا بكر وقرأ القرآن على أبيّ وغيره . قال أبو بكر بن أبي داود : ليس أحدٌ بعد الصحابة أطم بالقرآن من أبي العالية ، ثم سعيد بن جبّير . وقال ابن حجر : ثقة كثير الإرسال وله تفسير رواه عنه الربيع بن أنس البكري . مات سنة تسعين وقيل : ثلاث وتسعين . انظر تقريب التهذيب (ص ١٠٤) وطبقات المفسرين (١٧٨-١٧٩) .

(٥) لم أجد من ذكر عنهما هذا القول . وقد روى ابن جرير في تفسيره (٢/٣٠) بسنده عن ابن زيد أنه قال في تفسير النبا : يوم القيامة . وذكره الماوردي في تفسيره (٣٨٢/٤) وجعله قولاً مستقلاً عن قول قتادة بينما ذكرهما الطبري ضمن قول واحد ، وهو أنه عنى به البعث ، وتبعه ابن كثير في تفسيره (٤٦٢/٤) فقال : قال قتادة وابن زيد : النبا العظيم البعث بعد الموت .

وعن الحسن أنه قال : هو النبوة<sup>(١)</sup> . والقولان الأولان معروفان<sup>(٢)</sup> . وقوله ( الذي هم فيه مختلفون ) أى منهم المصدق ومنهم المكذب<sup>(٣)</sup> وقوله ( كلاً سيعلمون ثم كلاً سيعلمون ) قال الحسن : هو تهديد بعد تهديد<sup>(٤)</sup> ، وعن الضحاك قال : قوله ( كلاً سيعلمون ) أى الكفار ، وقوله ( ثم كلاً سيعلمون )

( ١ ) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٦٨٤ ) والرازي في تفسيره ( ٣ / ٤ ) والخازن في تفسيره ( ٧ / ١٩٩ ) كهم دون عزو إلى أحد . وقال الرازي : وذلك لأنه لما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام ، جعلوا يتساءلون بينهم ما ذا الذي حدث؟ فأنزل الله تعالى ( عم يتساءلون ) . وذكر في ذلك قول آخر وهو أنه أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أورده الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٨٢ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٤ ) وعزاه إلى الزجاج والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ١٧٠ ) .

( ٢ ) ولذلك اكتفى بعض المفسرين بذكرهما فقط . كما فعل الطبري في تفسيره ( ٣٠ / ٢١ ) وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ٥٠٨ ) والبغوي في تفسيره ( ٧ / ١٩٩ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٤٦٢ ) ، ونذهب إلى اختيار ما قاله قتادة وابن زيد ، وذكر أنه الاظهر لقوله ( الذي هم فيه مختلفون ) وكذا ذهب الرازي أيضا في تفسيره ( ٣ / ٣ - ٤ ) إلى اختيار القول بأن النبأ العظيم هو يوم القيامة . فقال بعد ذكره له : وهذا هو الأقرب ، ويدل عليه وجوه ثم ذكر ثلاثة أوجه تدل على أن المراد هو يوم القيامة .

( ٣ ) قال البغوي في تفسيره ( ٧ / ١٩٩ ) عند هذه الآية : " فصدق ومكذب " . وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٤ - ٥ ) " من قال : إنه القرآن . فإن المشركين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو سحر ، وقال بعضهم : هو شعر . وقال بعضهم : أساطير الأولين ، إلى غير ذلك . وكذلك من قال : هو أمر النبي صلى الله عليه وسلم فأما من قال : إنه البعث والقيامة ففي اختلافهم قولان . أحدهما : أنهم اختلفوا فيه لما سمعوا به ، فمنهم من صدق وآمن ، ومنهم من كذب ، وهذا معنى قول قتادة . والثاني : أن المسلمين والمشركين اختلفوا فيه ، فصدق به المسلمون وكذب به المشركون ، قاله يحيى بن سلام . انظر أيضا تفسير الطبري ( ٣٠ / ٢ ) وتفسير الماوردي ( ٤ / ٣٨٢ ) وتفسير الخازن ( ٧ / ١٩٩ ) .

( ٤ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٠٥ - ٣٠٦ ) فقال : وأخرج ابن المنذر عن الحسن بن الحسن في قوله ( كلاً سيعلمون ثم كلاً سيعلمون ) قال : وعيد بعد وعيد " وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٨٢ ) فقال : إنه وعيد بعد وعيد للكفار ، قاله الحسن فالأول : كلاً سيعلمون ما ينالهم من العذاب في القيامة ، والثاني : كلاً سيعلمون ما ينالهم من العذاب في جهنم . انظر أيضا تفسير البغوي ( ٧ / ١٩٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ١٧١ ) .



أى المؤمنون (١) . والظاهر أنهما جميعاً للكفار (٢) ، وقوله تعالى ( ألم نجعل الأرض مهّاداً ) لما أخبر الله تعالى باختلافهم فى القرآن والقيامة - وكان اختلافهم فى البعث بالتصديق والتكذيب ، واختلافهم فى القرآن أنه سحر أو شعر أو كهانة (٣) - فذكر الله تعالى الدلائل عليهم فى التوحيد وأن ما أنزله حق وصدق ، وعدّد نعمه عليهم ليعترفوا به ويشكروه (٤) . وقوله ( مهّاداً ) أى بساطاً وفراشاً ، والنعمة فى تذليلها وتوطئتها لهم (٥) ، وقوله ( والجبال أوتاداً ) قال ابن عباس: لما خلق الله الأرض جعلت تكفاً (٦) ، وحرك ابن عباس يده . فخلق الله الجبال

(١) رواه ابن جريو فى تفسيره (٣/٣٠) بسنده عن الضحاك ابن مزاحم . وزاد فى آخره : وكذلك كان يقروها . وذكره الماوردى فى تفسيره (٣٨٢/٤) فقال : " إن الأول للكفار فيما ينالهم من العذاب فى النار ، والثانى للمؤمنين فيما ينالهم من الثواب فى الجنة ، قاله الضحاك .  
انظر أيضاً تفسير البغوى (١٩٩/٧) وتفسير القرطبي (١٧١/١٩) وذكر القرطبي أنه قيل بالعكس من ذلك .

(٢) ولذلك اكتفى بذكره فقط ابن الجوزى فى زاد المسير (٥/٩) وابن كثير فى تفسيره (٤٦٢/٤) .

(٣) تقدّم ذكر اختلافهم فى القرآن ويوم القيامة عند قوله تعالى ( الذى هم فيه مختلفون ) (٤) قال البغوى فى تفسيره (١٩٩/٧) عند هذه الآية : " ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده .

وقال الخازن فى تفسيره (١٩٩/٧) " ثم ذكر أشياء من عجائب صنائعه ليستدلسوا بذلك على توحيده ويعلموا أنه قادر على إيجاد العالم وفنائه بعد إيجاد مرة أخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى ( ألم نجعل الأرض مهّاداً ) انظر أيضاً زاد المسير (٥/٩) وتفسير القرطبي (١٧١/١٩) وتفسير السمرقانى (٥/٣١) .

(٥) انظر تفسير غريب القرآن (ص ٥٠٨) وتفسير البغوى (١٩٩/٧) وزاد المسير (٥/٩) وقال القرطبي فى تفسيره (١٧١/١٩) : معناه : أنها لهم كالمهد للصبي . وهو ما يهد له فينوم عليه .

(٦) أى تتميل وتنظب . انظر النهاية (١٨٢/٤) .

وأرساها بها أى أثبتها فهى أوتاد الأرض كما يثبت الشئ على الحائط بالوتد (١) ،  
 وقوله ( وخلقناكم أزواجاً ) أى : أصنافاً (٢) - وموضع النعمة هى سكنون بعضهم  
 إلى بعض (٣) فالرجل والمرأة زوج ، وكذلك السماء والأرض والليل والنهار وغير ذلك  
 من الخلق ، وقيل : أزواجاً أى متكافئين تألفون أزواجكم وتألفكم أزواجكم (٤) ،

( ١ ) روى الحاكم فى مستدركه ( ٥١٢ / ٢ ) بسنده عن طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس  
 رضى الله عنهما قال : لما أراد الله أن يخلق الخلق أرسل الريح فتسهبست  
 الماء حتى أبدت عن حشفة وهى التى تحت الكعبة ، ثم مد الأرض حتى بلغت  
 ماشاء الله من الطول والعرض ، وكانت هكذا تمتد وأراني ابن عباس بيده هكذا  
 وهكذا قال : فجعل الله الجبال رواسى أوتاداً ، فكان أبو قبيس من أول جبل  
 وضع فى الأرض .  
 وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .  
 وقال الذهبى : طلحة ضعفه .

( ٢ ) قال البيهقى فى تفسيره والخازن فى تفسيره ( ١٩٩ / ٧ ) عند هذه الآية : أصنافاً  
 ذكوراً وإناثاً .  
 وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٥ / ٩ ) : أى : أصنافاً ، وأعداداً ذكوراً وإناثاً  
 سوداً وبيضاً وحمراً .

( ٣ ) لم أجد من ذكر هذا الكلام . وقد قال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٦٢ / ٤ ) عند  
 هذه الآية " يعنى ذكراً وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ، ويحصل التناسل  
 بذلك كقوله ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل  
 بينكم مودةً ورحمةً ) سورة الروم الآية ٢١ .

( ٤ ) لم أعثر على من ذكر هذا القول . وقد ذكر الرازى فى تفسيره ( ٦ / ٣١ ) فى  
 تفسير الآية قولين : الأول أن المراد الذكر والأنثى كما قال ( وأنه خلق الزوجين  
 الذكرو والأنثى ) سورة النجم الآية ٤٥ ، والثانى : أن المراد منه كل زوجين وكل  
 متقابلين من القبيح والحسن والطويل والقصير وجميع المتقابلات والأضداد  
 كما قال ( ومن كل شئ خلقنا زوجين ) سورة الذاريات الآية ٤٩ ، ثم قال :  
 وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان  
 فيتعبد الفاضل بالشكر ، والمفضل بالصبر . وذكر القرطبي فى تفسيره ( ١٧١ / ١٩ )  
 فى هذه الآية ثلاثة أقوال : اثنان منها ما تقدم ذكره نقلاً عن الرازى والثالث :  
 أن المراد منه الأيون . ولعل الصواب من هذه الأقوال هو القول بأن المراد  
 الذكر والأنثى ، لأن السياق فى تعديد نعم الله تعالى على الإنسان ، وهى  
 أظهر فى خلق الذكرو والأنثى . وقد قال تعالى : ( ومن آياته أن خلق  
 لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً ) سورة  
 الروم الآية ٢١ .

وقوله ( وجعلنا نومكم سباتاً ) قال ثعلب : قطعاً لأعمالكم : (١) وأصل السبات هو التمدد والسكون (٢) والمعنى : أنهم ينقطعون عن الحركة بالليل فيسكنون ويستريحون ووقيل : سباتاً أى راحة (٣)

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٨٢/٤) قال : "سباتاً : أى قطعاً لأعمالهم ، لأن أصل السبات القطع ومنه قولهم : سبت الرجل شعره إذا قطعه . قال ابن الأنباري : وسمى يوم السبت لانقطاع الأعمال فيه . انظر أيضاً تفسير البغوي (١٩٩/٧) وتفسير الرازي (٦/٣١) وتفسير القرطبي (١٧٢/١٩) ولسان العرب (٣٧/٢) والمفردات للأصفهاني (ص ٢٢٠) .

(٢) صح ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥٠٨) . بأن أصل السبت : التمدد . وقال القرطبي في تفسيره (١٧١/١٩) . "وقيل : أصله التمدد ، يقال : سبتت المرأة شعرها : إذا حلتها وأرسلته ، فالسبات كالممد ، وزجل مسبوت الخلق : أى ممدود ، وإذا أراد الرجل أن يستريح تمدد ، فسميت الراحة سبتاً " . وقال ابن منظور في لسان العرب (٣٧/٢) ، "وسبتت يسبت سبتاً : استراح وسكن " . وقال أيضاً : السبات : نوم المريضي والشيخ المسين وهو النومة الخفيفة : وأصله من السبت : الراحة والسكون . ولذلك ورد عن قتادة أنه قال في تفسير السبات : سكتاً . ذكره الماوردي في تفسيره (٣٨٢/٤) . وقال ابن جرير في تفسيره (٣/٣٠) <sup>٣</sup> السبت والسبات هو السكون ولذلك سمي السبت سبتاً ، لأنه يوم راحة وده " .

(٣) ذكره ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥٠٨) قال : أى راحة لأبدانكم . وكذا فسره البغوي في تفسيره (١٩٩/٧) والقرطبي في تفسيره (١٧١/١٩) وقال ابن جرير في تفسيره (٣/٣٠) عند هذه الآية : "يقول : وجعلنا نومكم لكم راحة ودية ، تهدون به وتسكنون كأنكم أموات لا تشعرون ، وأنتم أحياء لم تفاركم الأرواح . انظر أيضاً تفسير الماوردي (٣٨٢/٤) والصحاح (٢٥٠/١) ولسان العرب (٣٧/٢) ، ولكن أنكر أبو بكر ابن الأنباري أن يقال للراحة سبات . كما ذكره عنه القرطبي في تفسيره (١٧١/١٩) ولذلك قال الرازي في تفسيره (٧/٣١) عند ما ذكر قول ابن قتيبة : وليس غرضه منه أن السبات اسم للراحة بل المقصود أن النوم يقطع التعب ويزيله ، فحينئذ تحصل الراحة . وقد ذكرت في تفسير السبات أقوال أخرى منها : النعاس ، قاله السدي ، انظر تفسير الماوردي (٣٨٢/٤) والموت ، قاله الزجاج . انظر تفسير الرازي (٦/٣١) والنفسى ، قاله الليث : المصدر السابق ولكن الرازي ضعفه بين القولين ، واختار أن السبت هو القطع ، وذكر علي هذا ثلاثة أوجه في معنى الآية . الأول : أن يكون المعنى : وجعلنا نومكم نوماً منقطعاً لا دائماً . والثاني : أن الإنسان إذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل عنه ذلك التعب . والثالث : ما قاله المبرد في تفسير الآية : أى جعلناه نوماً خفيفاً يمكنكم دفعة وقطعه . وقال بعد ذكره لهذه الوجوه : وهذه الوجوه كلها صحيحة ، والصواب في نظري - والله أعلم بالصواب - هو ما ذكره أكثر المفسرين : يعنى راحة لأبدانكم . ولئن كان ابن الأنباري قد أنكر أن يقال للراحة سبات . فإن أصحاب اللغة قد كروا في معنى السبات : الراحة . انظر الصحاح للجوهري ٢٥٠/١ ، ولسان العرب (٣٧/٢) .

( ١ )

قال الشاعر :

مَا وَبَّيْنَا الْأَقْتَابَ (٢) أَمَا نَهَارُهَا \_\_\_\_\_  
فَسَبَّتْ وَأَمَا لَيْلُهَا فَذَمِيمٌ (٥٢)

وقوله تعالى ( وجعلنا الليل لباساً ) أى مستتراً لكم (٤) وهو مذكور على طريق المجاز . ووجهه : أن ظلمة الليل لما غشيت كل إنسان كما يفشاه اللباس سماه لباساً على طريق المجاز (٥) وقوله ( وجعلنا النهار معاشاً ) أى يبتغى معاش ويطلب معاش ، والمعنى : أنه الزمان الذى يعيشون ويتصرفون فيه . (٦)

( ١ ) هو حميد بن ثور .

( ٢ ) كذا فى الأصل ( الأقطاب ) وفى المصادر الأخرى ( الأقواب ) .

( ٣ ) الذَمِيمُ : ضرب من سحر الابل ، وقيل : هو السير اللين ما كان ، وقيل هو فوق

العَنَقِ ( العَنَقُ نوع من سحر الابل ) لسان العرب ( ١١ / ٢٥٩ ) . ، والبيت

فى ديوان حميد بن ثور ( ص ١١٦ ) وأنشده أيضاً الجوهري فى الصحاح ( ١ / ٢٥٠ )

وابن منظور فى لسان العرب ( ٢ / ٣٨ ) ، منسوباً إلى حميد بن ثور . وأنشده

القرطبي فى تفسيره ( ١٩ / ١٧٢ ) غير منسوب .

( ٤ ) كذا ذكره ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٠٨ ) وقال البغوى والخازن

فى تفسيرهما ( ٧ / ٢٠٠ ) فى تفسير اللباس : غطاءً وغشاً يستتر كل شىء بظلمته .

( ٥ ) نقل الرازى فى تفسيره ( ٣١ / ٧ ) عن القفال أنه قال : " أصل اللباس هو الشىء

الذى يلبسه الإنسان ويتغطى به فيكون ذلك مغطياً له ، فلما كان الليل يغشى

الناس بظلمته فيغطى بهم جعل لباساً لهم ، ولهذا السبب سمي الليل لباساً

على وجه المجاز ، والمراد كون الليل ساتراً لهم .

( ٦ ) ذكر الرازى فى تفسيره ( ٣١ / ٧ ) فى المعاش ووجهين :

أحدهما : أنه مصدر ، يقال : عاش يعيىش ومعاشاً ومعيشة وعيشة ، وعلى هذا

التقدير فلا بد فيه من إضمار ، والمعنى وجعلنا النهار وقت معاش .

والثانى : أن يكون معاشاً مفعلاً و ظرفاً للعيش ، وعلى هذا لا حاجة إلى

إضمار ، ومعنى كون النهار معاشاً أن الخلق يمكنهم التقلب فى

هوائهم ومكاسبهم فى النهار لا فى الليل .

انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٩ / ١٧٢ ) .

وقوله ( وَبَيْنَنَا قَوْقُكُم سَبْعًا شِدَادًا ) أي السموات السبع<sup>(١)</sup> ، وقوله ( شِدَادًا ) أي صلبه<sup>(٢)</sup> . وفي الآثار : أن غلظ كل سما<sup>(٣)</sup> مسيرة خمسمائة عام ، وقوله ( وجعلنا سراجاً وهاجاً ) أي جعلنا الشمس وقادراً مثلاً<sup>(٤)</sup> ليا<sup>(٤)</sup> ، وقوله

( ١ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢٠٠ / ٧ ) " يريد سبع سموات " .  
انظر أيضاً تفسير الرازي ( ٨ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ١٧٢ / ١٩ ) ، وتفسير الخازن ( ٢٠٠ / ٧ ) .

( ٢ ) قال الرازي في تفسيره ( ٨ - ٧ / ٣١ ) " شِدَادًا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان ، لا فطور فيها ولا فروج " .  
انظر أيضاً تفسير الطبري ( ٤ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٧٢ / ١٩ ) .

( ٣ ) قال مقاتل في تفسيره ( ق ١ / ٣٨٣ ) وذكر عنه ابن الجوزي في زاد المسير ( ٥ / ٩ ) " غلظ كل سما<sup>٥</sup> مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سما<sup>٥</sup> من مثل ذلك ، وهي فوقكم ، يا بني آدم ، فاحذروا أن تعصوا فتخر عليكم " .  
وقد روى أثر بنحوه عن عبد الله بن مسعود موقوفاً ، وعن أبي نذر الغفاري مرفوعاً .  
أما أثر عبد الله بن مسعود فقد أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ( ص ٥٢٨ - ٥٢٩ ، رقم ٢٠٣ ) بسنده عن زب<sup>٥</sup> عن عبد الله ابن مسعود قال : إن ما بين السما<sup>٥</sup> والأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام ، ونضد كل سما<sup>٥</sup> - يعني غلظه - خمسمائة عام . . . . الحد يث .

وأخرجه أيضاً الدارمي في الرد على بشر المريسي ( ص ٥ : ١ ) وابن خزيمة في التوحيد ( ص ١٠٥ - ١٠٦ ) ولكن ليس فيه ذكر ( نضد كل سما<sup>٥</sup> - يعني غلظه - خمسمائة عام ) وقد وصف الذهبي في العلو وابن القيم في الصواعق المرسله بإسناده بالصحة ، انظر مختصر العلو ( ص ١٠٣ ) ومختصر الصواعق ( ٢ / ٣٧٣ ) ، وحد يث أبي نذر أخرجه البزار في مسنده ( ص ٢٠٠ ) وأبو الشيخ في العظمة ( ص ٥٢٠ ، رقم ٢٠٠ ) والجوزقاني في الأباطيل ( ١ / ٦٩ ) بإسناد هم عن أبي نصر عن أبي نذر مرفوعاً ، وجاء فيه : وكتف السما<sup>٥</sup> خمس مائة عام ، وما بين سما<sup>٥</sup> الدنيا والثانية مسيرة خمسمائة عام . . . ولكن إسناده منقطع ، لأن أبا نصر لم يسمع من أبي نذر كما صرح به البزار في مسنده .

( ٤ ) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٠٨ ) عند الآية " أي : وقادراً ، يعني : الشمس " وقال الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٣٨٣ ) ، " يعني بالسراج الشمس ، وفي الوهاج أربعة أقاويل . أحدهما : المنبر ، قاله ابن عباس ، والثاني : المتلاكي<sup>٥</sup> قاله مجاهد ، الثالث : إنه من هوج الحر قاله الحسن ، الرابع : إنه الوقاد ، الذي يجمع بين الضياء والجمال .

انظر أيضاً تفسير البغوي ( ٢٠٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ٦ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٧٢ / ١٩ ) .

( ١ ) ( وأنزلنا من المعصرات ما \* ) قال ابن عباس : هي الرياح <sup>(١)</sup> ، وتسميتها بهذا الاسم لأن الرياح تلتفح السحاب ليكون فيه المطر فكأن المطر كان من الرياح <sup>(٢)</sup> ، والقول الثاني : أن المعصرات هي السحاب ، وهو مروى عن ابن عباس <sup>(٣)</sup> أيضاً . وهو قول مجاهد <sup>(٤)</sup> وجماعة ، قال الميسر : تسميته بالمعصرات لأنه

( ١ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٥ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن العوفي عن ابن عباس . وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣٠٦ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضاً إلى عبد ابن حميد وأبي يعلى وابن أبي حاتم والخرائطي . وبه قال مجاهد وعكرمة وابن زيد وقتادة ومقاتل .

انظر تفسير مجاهد ( ٧١٩ / ٢ ) وتفسير الطبري ( ٥ / ٣٠ ) وتفسير الماوردي ( ٣٨٣ / ٤ ) وتفسير البقوي ( ٢٠٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ٦ / ٩ ) ، وتفسير القرطبي ( ١٧٢ / ١٩ ) وتفسير الرازي ( ٨ / ٣١ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٢ / ٤ ) .

( ٢ ) قال الرازي في تفسيره ( ٨ / ٣١ ) بعد ذكره لهذا القول : ودليله قوله تعالى ( اللَّهُ الَّذِي يُوسِّلُ الرِّيحَ فُثْبِيرُ سَحَابًا ) سورة الروم الآية ٤٨ ، فإن قيل : على هذا التأويل كان ينبغي أن يقال وأنزلنا بالمعصرات ، قلنا : الجواب من وجهين ، الأول : أن المطر إنما ينزل من السحاب ، والسحاب إنما يشيره الرياح ، فصح أن يقال : هذا المطر إنما حصل من تلك الرياح ، كما يقال : هذا من فلان ، أي من جهته وبسببه . الثاني : أن من ههنا بمعنى الباء ، والتقدير : وأنزلنا بالمعصرات . وذكر ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ٥٠٨ ) في توجيهه كلاماً آخر فقال : ويقال " هن زوات الأعاصير أي الرياح " . وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٦٢ / ٤ ) " ومعنى هذا القول : أنها تستدر المطر من السحاب " .

( ٣ ) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ( ٥ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن أبي طلحة عن ابن عباس . وهو قول سفيان والربيع والضحاك وأبي المعالي وغيرهم واختاره ابن قتيبة .

انظر تفسير غريب القرآن ( ص ٥٠٨ ) ، وانظر أيضاً تفسير الطبري ( ٥ / ٣٠ ) وتفسير ( ٢٠٠ / ٧ ) وتفسير الماوردي ( ٣٨٣ / ٤ ) وزاد المسير ( ٦ / ٩ ) وتفسير الرازي ( ٨ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ١٧٢ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٢ / ٤ ) .

( ٤ ) نسبة هذا القول إلى مجاهد فيها نظر ، فإنني لم أجد أحداً ذكره عنه ، وقد صرح غير واحد بأنه قال : المعصرات هي الرياح . وكذا في تفسيره . كما تقدم النقل عنه قريباً .

ينعصر بالمطر شيئاً فشيئاً<sup>(١)</sup> . وقيل : من المعصرات أى بالمعصرات<sup>(٢)</sup> ماءً شجاجاً .  
 قوله ( شجاجاً ) أى منصباً بعضه فى أشربعض<sup>(٣)</sup> ، وعن النبى صلى الله عليه  
 وسلم أنه قال : أفضل الحج العج والشج<sup>(٤)</sup> ، فالعج : رفع الصوت بالتلبية ، والشج ١/٣١٣

( ١ ) ذكر القرطبى فى تفسيره ( ١٧٣ / ١٩ ) عن المبرد أنه قال : " يقال : سحاب  
 مُعَصْرُ أى ممسك للماء ، ويُعْتَصِرُ منه شىءٌ بعد شىءٍ " وقال ابن قتيبة فى تفسير  
 غريب القرآن ( ص ٥٠٨ ) فى سبب تسميته بالمعصرات : يقال : شبهت بمعاصير  
 الجوارى . والمعصر : الجارية التى دنت من الحيض .  
 انظر أيضاً تفسير البغوى ( ٢٠٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ٦ / ٩ ) وتفسير القرطبى  
 ( ١٧٢ / ٢٩ ) .

( ٢ ) هذا على القول بأن المعصرات هى الرياح . كما تقدم ذكره .  
 انظر أيضاً تفسير البغوى ( ٢٠٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ٦ / ٩ ) .

( ٣ ) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٦ / ٣٠ ) قال : " يقول : ماءً منصباً يتبع بعضه  
 بعضاً كشج د ماء البُدن ، وذلك سفكها " ثم روى هذا المعنى عن ابن عباس  
 ومجاهد وقتادة وسفيان والربيع بن أنس . وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٣٨٣ / ٤ )  
 من قول ابن عباس . وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٠ / ٧ ) ( ماءً شجاجاً ) أى صبباً ،  
 وقال مجاهد : مدارا ، وقال قتادة : متتابعاً يتلو بعضه بعضاً .  
 انظر أيضاً زاد المسير ( ٦ / ٩ ) وتفسير القرطبى ( ١٧٤ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير  
 ( ٤٦٢ / ٤ ) . وذكر فى معناه قول آخر وهو : أنه عنى بذلك " كثيراً " .  
 ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٦ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن ابن وهب . وذكره الماوردى  
 فى تفسيره ( ٣٨٣ / ٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٠٠ / ٧ ) وابن كثير فى تفسيره  
 ( ٤٦٢ / ٤ ) .

( ٤ ) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الحج - باب ما جاء فى فضل التلبية والنحر  
 ( ١٨٠ / ٣ رقم ٨٢٧ ) .

وابن ماجه فى سننه كتاب المناسك - باب رفع الصوت بالتلبية ( ٢١٧ / ٢ ) .  
 والدارمى فى سننه ( ٣١ / ٢ ) كسهم بإسنادهم عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن  
 ابن بربوع عن أبى بكر قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الحج  
 أفضل ؟ قال : العج والشج .

وزاد الدارمى : العج يعنى التلبية والشج يعنى إهراق الدم .  
 قال الحافظ ابن حجر فى تخريج الكشاف ( ٦٨٦ / ٤ ) : " لم يسمع ابن المنكدر  
 عن عبد الرحمن بن بربوع " .

إِزَاقَةُ الدَّمَاءِ<sup>(١)</sup> ، وعن قتادة : أن المعصرات هو السماء<sup>(٢)</sup> ، وهو قول غريب<sup>(٣)</sup> .  
 قوله ( لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً ) أي ملتفة وواحد<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) انظر النهاية لابن الأثير ( ٢٠٧/١ ، ١٨٤/٣ ) .

( ٢ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٥/٣٠ ) ورواه بسنده عن الحسن و قتادة ، وذكره

الماوردي في تفسيره ( ٣٨٣/٤ ) من قولهما وأورده البغوي في تفسيره ( ٢٠٠/٧ )  
 من قول الحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان . وأورده

ابن الجوزي في زاد المسير ( ٦/٩ ) من قول أبي بن كعب والحسن وابن جبير .  
 انظر أيضا تفسير القرطبي ( ١٧٢/١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٢/٤ ) .

( ٣ ) استغربه أيضا ابن كثير في تفسيره ( ٤٦٢/٤ ) وأما الراجح من هذه الأقوال

الثلاثة في المعصرات : فقد ذهب ابن جرير في تفسيره ( ٥/٣٠ ) إلى اختيار  
 القول بأنها السحاب لأنها هي التي ينزل منها المطر ، وكان يصح أن تكون  
 الرياح لو كانت القراءة ( وأنزلنا بالمعصرات ) . وهو اختيار ابن قتيبة أيضا

في تفسير غريب القرآن ( ٥٠٨ ) وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٦٢/٤ ) .  
 " والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى ( الله الذي يوسل  
 الرياح فتنبو سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج  
 من خلاله ) سورة الروم الآية ٤٨ . أي من بينه .

ونقل القرطبي في تفسيره ( ١٧٣/١٩ ) عن النحاس أن هذه الأقوال صحاح ،

يقال للرياح التي تأتي بالمطر معصرات ، والرياح تلقح السحاب فيكون المطر ،  
 والمطر ينزل من الريح على هذا ويجوز أن تكون الأقوال واحدة " وهذا هو

الصواب ، وأما ( شجاجاً ) فقد اختار فيه ابن جرير في تفسيره ( ٦/٣٠ ) القول

بأن معناه الصب المتتابع ، وذكر في تأييده الحديث السابق ، وقال : ولا يعرف في

كلام العرب من صفة الكثرة الشج . وذكر ابن كثير في تفسيره ( ٤٦٢/٤ ) كلام

ابن جرير واختياره ثم قال : وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى

الله عليه وسلم " نعت لك الكرسف يعني أن تحتشي بالقطن ، فقالت : يا رسول الله

هو أكثر من ذلك ، إنما أشج شجاجاً " وهذا فيه دلالة على استعمال الشج في الصب  
 المتتابع الكثير " وذكر القرطبي في تفسيره ( ١٧٤/١٩ ) القولين . وقال : والمعنى

واحد .

( ٤ ) كذا ذكر ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٠٨ ) وقال ابن جرير في تفسيره

( ٧/٣٠ ) في تفسير ( ألفافاً ) : ملتفة مجتمعة " ورواه عن عدي من أئمة التفسير ،

ونقل ابن الجوزي في زاد المسير ( ٧/٩ ) عن ابن عبيد أنه قال في تفسير ( ألفافاً ) :

ملتفة من الشجر ليس بينها خلال . انظر أيضا تفسير البغوي ( ٢٠٠/٧ ) وتفسير

القرطبي ( ١٧٤/١٩ ) والمفردات للأصفهاني ( ص ٤٥٢ ) وذكر الماوردي في تفسيره

( ٣٨٤/٤ ) ثلاثة أوجه في معنى الكلمة . فقال : ( أحدها ) أنها الزرع المجتمع

بعضه إلى جنب بعض ، قاله عكرمة ، ( الثاني ) أنه الشجر الملتف بالشمر ، قاله

السدي ، ( الثالث ) أنها ذات الألوان . قاله الكلبي ويحتمل ( رابعاً ) أنها التي

يلف الزرع أرضها والشجر أعاليها فيجتمع فيها الزرع والشجر ملتفاً . والصواب من  
 هذه الأقوال هو الأول لأنه قول أكثر المفسرين ويوافق ما قاله اللغويون .

انظر الصحاح ( ١٤٢٨/٤ ) ولسان العرب ( ٣١٨/٩ ) .



الألفاف لَيْفًا (١) والمطتفة : هي الداخل بعضها في بعض .

قوله تعالى ( إن يوم الفصل كان ميقاتاً ) أى ميعاد للخلائق وهو يوم القيامة (٢) وقوله ( يوم ينفخ في الصور ) ذكر النفاث في تفسيره : أن إسرافيل عليه السلام ينزل فيجلس على صخرة بيت المقدس ويجعل الأرواح في الصور كأشكال النحل واستدارة فم الصور كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ثم ينفخ فيخرج الأرواح منها وترجع إلى أجسادها (٣) وقوله ( فتأتون أفواجا ) قال مجاهد : زمراً زمراً (٤) ،

(١) هو قول أكثر المفسرين واللغويين .

انظر معاني القرآن للأخفش (٢/٥٢٥) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٠٩) ،  
وتفسير الطبري (٣٠/٧) وتفسير البغوي (٧/٢٠٠) وتفسير الرازي (٣١/٩)  
وتفسير القرطبي (١٩/١٧٤) والصحاح (٤/١٤٨) ، ولسان العرب (٩/٣١٨)  
وذكر الزمخشري في الكشاف (٤/٦٨٧) أنه لا واحد له ، كالأوزاع والأخفاف .  
وقيل : هو جمع الجمع ، واحده لَيْفٌ ، وَلَيْفًا ، وجمعه لَيْفٌ وجمع الجمع أَلْفَافٌ .  
انظر تفسير غريب القرآن (ص ٥٠٩) ، وتفسير الطبري (٣٠/٧) وتفسير البغوي  
(٧/٢٠٠) وتفسير القرطبي (١٩/١٧٤) والصواب ما ذكرناه أولاً يعني أنه جمع مفرد لَيْف وهو الذي اختاره الطبري .

(٢) صرح الماوردي في تفسيره (٤/٣٨٤) بأن المراد من يوم الفصل يوم القيامة ، وقال :  
سمى بذلك لأنه يفصل فيه الحكم بين الأولين والآخرين والمثابين والمعاقبين \*  
وذكر في معنى الميقات وجهين ، أحدهما : ميعاداً للاجتماع والثاني : وقتاً  
للثواب والمعقاب .

وقال القرطبي في تفسيره (١٩/١٧٥) عند هذه الآية : \* أى وقتاً ومجمعاً وميعاداً  
للاولين والآخرين لما وعد الله من الجزاء والثواب ، وسمى يوم الفصل لأن الله  
تعالى يفصل فيه بين خلقه .

(٣) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ .

والذي جاء في حديث الصور المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان  
الله عز وجل لما فرغ من خلق السموات والأرض ، خلق الصور فأعطاه إسرافيل ، فهو  
واضعه على فيه شاخصاً بصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر ، ( إلى أن قال ) والذي  
بعثني بالحق ان عظم دارة فيه كمرغ السموات والأرض \* الحديث . انظر الأحاديث  
الطوال للطبراني المطبوع في آخر المعجم الكبير ج ٢٥ ص ٢٦٦ - ٢٧٧ ، رقم  
الحديث ٣٦ .

(٤) انظر تفسير مجاهد (٢/٧٢٠) وتفسير الطبري (٣٠/٨) وهكذا فسره البغوي  
في تفسيره (٧/٢٠٠) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٧) وقال القرطبي فسمى  
تفسيره (١٩/١٧٥) \* ( أفواجا ) أى أمماً ، كل أمة مع امامهم ، وقيل : زمراً  
جماعات \* .

وقوله ( وفتحت السماء ) أى جعلت طرفاً ، وقيل : فتحت أبواب السماء لنزول الملائكة (١)  
 وقوله ( فكانت أبواباً ) أى كانت طرفاً على ما بينا ، وقوله ( وسيرت الجبال فكانت سراباً ) أى هباءً منبثاً (٢) ، وقيل : هو يصير كالسراب ترى أنه شىء وليس بشىء (٣) .

(١) صرح البغوى وابن الجوزى والقرطبي بأنها تفتح لنزول الملائكة ، وزاد القرطبي فقال : كما قال تعالى : **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا** سورة الفرقان الآية ٢٥ .

انظر تفسير البغوى (٢٠٠/٧) وزاد المسير (٧/٩) وتفسير القرطبي (١٧٦/٩) وتفسير ابن كثير (٤٦٣/٤) . وقال الطبري فى تفسيره (٨/٣٠) عن هذه الآية : " يقول تعالى ذكره : وشقت السماء فصدعت ، فكانت طرفاً ، وكانت من قبيل شداداً لا فطوراً فيها ولا صدوع " وذكره القرطبي أيضاً فى تفسيره (١٧٦/٩) فقال : وقيل : أبوابها طرفها . كما ذكر أقوالاً أخرى : منها ما ذكره بقوله : قيل : تقطعت فكانت قطعاً كالأبواب . وهذا القول ذكره الطبري أيضاً فى تفسيره (٨/٣٠) وما ذكره بقوله : وقيل : تنحل وتتناثر ، حتى تصير فيها أبواب ، وهذا القول ذكره البغوى أيضاً فى تفسيره (٢٠٠/٧) والصواب فيما يبدو لى أن المراد هو أنها تفتح لنزول الملائكة كما تدل عليه الآية الأخرى .

(٢) قال البغوى فى تفسيره والخازن فى تفسيره (٢٠٠/٧) عند هذه الآية : " أى هباءً منبثاً لعين الناظر كالسراب " وقال القرطبي فى تفسيره (١٧٦/٩) " أى لا شىء كما أن السراب كذلك ، يظنه الرائي ماءً وليس بماء ، وقيل : نسفت من أصولها ، وقيل : أزيلت عن مواضعها " .

(٣) قال ابن الجوزى فى زاد المسير (٧/٩) . " ( وسيرت الجبال ) عن أمكنها ( فكانت سراباً ) أى : كالسراب لأنها تصير هباءً منبثاً فيراها الناظر كالسراب بعد شدتها وصلابتها " .

وقال ابن كثير فى تفسيره (٤٦٣/٤) : " أى يخيل إلى الناظر أنها شىء ، وليس بشىء ، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) سورة طه آية ١٠٥-١٠٧ . وقال تعالى : ( وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ) سورة الكهف الآية ٤٧ . والقولان اللذان ذكرهما المؤلف ليس بينهما فرق كبير ، ويبدو أنه تبع فى ذلك الماوردى فإنه سرد القولين فقال : ( فكانت سراباً ) فيه وجهان : أحدهما : فكانت هباءً .

الثانى : كالسراب لا يحصل منه شىء كالذى يراب السراب يظنه ماءً وليس بماءً .



والوجه الثاني : وهو أن معنى ( لا بشين فيها أحقاباً ) لا تخبو عنهم النار فإذا  
خبت النار وزيدوا سعيرواً لبثوا أبداً<sup>(٢)</sup> .

والوجه الثالث : ما قاله ابن كيسان<sup>(٣)</sup> ، وهو أن معناه ( لا بشين فيها أحقاباً )  
أى أحقاب لا ينقطع أبداً<sup>(٤)</sup> ، قال النحاس : وهو أبيسن الأقوال<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) خبت النار أى خمد لهبها ، وتقدم معناه فى ( ٢٥٨ ) .  
( ٢ ) لم أجد من صرح بهذا القول - ولعله يشير بذلك إلى قوله تعالى ( مأواهم جهنم  
كلما خبت زناهم سعيروا ) سورة الاسراء الآية ٩٧ .

( ٣ ) هو محمد بن أحمد بن ابراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوى ، قال الخطيب : كان  
أحد المذكورين بالعلم والموصوفين بالفهم ، وكان يحفظ مذهب البصريين  
والكوفيين أخذ عن المبرد وشعلب<sup>٢</sup> ، وذكر أن كيسان ليس جده وإنما هو كنية  
أبيه<sup>٣</sup> ، ومن تصانيفه : معانى القرآن والمهذب فى النحو . توفى سنة تسع  
وتسعين ومائتين .

انظر تاريخ بغداد ( ٣٣٥ / ١ ) وبغية الوعاة ( ١٨ / ١ ) وطبقات المفسرين ٥٨٢ .

( ٤ ) ذكره القرطبي فى تفسيره ( ١٧٩ / ١٩ ) قال : " وقال ابن كيسان : معنى  
" لا بشين فيها أحقاباً " لا غاية لها انتهاء ، فكأنه قال أبداً " وهو قول قتادة  
والربيع بن أنس أيضاً - واختاره الطبرى فى تفسيره ( ١٢ / ٣٠ ) .

( ٥ ) قال النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٠٦ / ٣ ) من أحسن ما قيل فيها أن قتادة  
قال : لا بشين فيها أحقاباً " لا انقطاع لها " واستحسنه . لأنه إلى جانب  
موافقته لما دلت عليه الأدلة من القرآن والسنة من خلود الكفار فى النار  
لا يحتاج إلى تأويل بينما نرى الذين ذكروا فى معنى الحقب مدة معينة يؤتون  
تعليق لبث الكفار بالأحقاب ، هرباً من الاعتراض الوارد عليه وهو أن عذاب  
أهل النار متناه وإن طال مدتة . فأولوا تعليق لبثهم بالأحقاب بأنه كلما  
مضى حقب جاء بعده حقب ، أو أن ذلك حد لعذابهم بالحميم والفساق  
فإذا انقضت الأحقاب عذبوا بغير ذلك من العذاب ، بل أدى ذلك بعض  
المفسرين إلى أن ادعوا فى هذه الآية النسخ فقالوا إنها منسوخة نسخها قوله  
تعالى ( فسذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ) سورة النبأ الآية ٣٠ .

وقد رفق الآخرون ادعاء النسخ وقالوا : إن هذه الآية خبر والأخبار

لا يكون فيها نسخ وإنما النسخ يكون فى الأمر والنهى .

انظر تفسير الطبرى ( ١٢ / ٣٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٧٩ / ١٩ ) . فالصواب

فى معنى الآية أن هذه الأحقاب لا تنقض عليها ولا انقطاع ، وهو اختيار الطبرى

والقرطبي .

(١) العطش وقوله (إلا حميماً وغساقاً) قال أبو عبيدة: الحميم الماء الحار، (٣/٣١) ومنه الحمى (٣) . ومنه قوله تعالى (وظل من يحموم) وقيل: الحميم هو الماء أنه يجمع دموعهم فيسقطون وقولته (وغساقاً) القيقح الفليط (٦)

(١) انظر البحر المحيط (٣/٨) (٤) وتقدم ذكر قول مقاتل وهو أنه: لا يدوقون فيها برداً ينفعهم من حرها، ولا شراباً ينفعهم من عطشها، انظر أيضاً تفسيره (ق ٣٨٣/١) وقال الماوردي في تفسيره (٣٨٥/٤): والشرب هاهنا: العذاب، ويحتمل أن يريد بالشراب السوى، لأن الشراب يروي وهم فيها عطاش أبداً .

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولى هدم البصري النحوي، صاحب التصانيف ولد في سنة عشر ومائة، قال فيه الجاحظ: لم يكن في الأرض جماعياً ولا خارجي: أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة من علماء العرب .

لمسحبة قال علي بن المدني: كان لا يخفى عن العربي إلا الشيء الصحيح . وقال المبرد: كان هو والأصمعي متقاربين في النحو . وقال الذهبي: ولم يكن صاحب حديث وإنما أوردته (أي في السير) لتوسعة في علم اللسان وأيام العرب . وله ما كتبه مصنفاً منها مجاز القرآن، منسخت سنة تسع ومائتين .

انظر تاريخ بغداد (١٠٣/٢٥٨-٢٥٨) وسير أعلام النبلاء (٤٤٥/٩) . (٤٤٦) وبغية الوعاة (١٢٩٤/٢) .

(٣) كذا ذكره عن أبي عبيدة - القوطي في تفسيره (١٨٠/٩) وفي مجاز القرآن (٢٨٢/٢): (حميماً) ماء . وهذا قول ابن عباس، كما ذكر الماوردي في تفسيره (٣٨٥/٤) .

انظر أيضاً الدر المنثور (٣٠٨/٦) وهو اختيار ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥١) واختيار الرازي في تفسيره (٣١١/٥) .

(٤) سورة الواقعة الآية ٤٣ - وذكر القوطي عن النحاس أنه قال: أصل الحميم الماء الحار، ومنه اشتق الحمام، ومنه الحمى ومنه: وظل من يحموم . انظر تفسير القوطي (١٨٠/٩) .

(٥) هو قول ابن زيد . كما ذكره الماوردي في تفسيره (٣٨٥/٤) والقوطي في تفسيره (١٨٠/٩) انظر أيضاً لسان العرب (٥٣/١) وذكر الماوردي عن السدي في تفسير الحميم قولاً آخر وهو أنه نوع من الشراب لأهل النار .

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٨٦/٤) من قول ابن عمرو .

وقيل : هو صديد أهل النار<sup>(١)</sup> . وقيل : الحميم ما هو في نهاية الحر ،  
والفساق ما هو في نهاية البرد ، وهو الزمهرير ، فيعدون بكل واحد من العذابين ،<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٨٦ / ٤ ) من قول قتادة . وذكره ابن قتيبة فسئ  
تفسيره في القرآن ( ٣٨١ ) قال : الفساق : ما يسيل من جلود أهل النار  
وهو الصديد .

ويبدو أن هذا القول والذي قبله قول واحد وإن كان المؤلف ذكرهما  
قولين مستقلين ، ولعله تبع في ذلك الماوردي .

وقد ذكر الطبري في تفسيره ( ١٣ / ٣٠ ) هذا المعنى فقال : \* اختلف  
أهل التأويل في معنى الفساق ، فقال بعضهم : هو ما سال من صديد  
أهل جهنم \* روى هذا المعنى عن عديك من أئمة التفسير ، ومنهم من  
فسره بالصديد ومنهم من فسره بالقيح .

وقال الرازي في تفسيره ( ١٥ / ٣١ ) أثناء ذكره لما قيل في معنى الفساق :  
الفساق : ما يسيل من أهل النار وجلودهم من الصديد والقيح  
والعرق وسائر الرطوبات المستقدرة ، .

وقال القرطبي في تفسيره ( ١٨١ / ١٩ ) : الفساق : صديد أهل النار  
وقيحهم . انظر اعراب القرآن للنحاس ( ٦٠٨ / ٣ ) وتفسير البغوي ( ٢٠١ / ٧ )  
ولسان العرب ( ٢٨٩ / ١٠ ) .

( ٢ ) لم أجد من ذكره بهذا التفصيل ، وذكر ابن جرير في تفسيره ( ١٤١ / ٣٠ ) هذا  
القول فقال : وقال آخرون : الفساق : الزمهرير . ثم روى ذلك عن ابن عباس  
ومجاهد والربيع وأبي العالية وذكره النحاس في اعراب القرآن ( ٦٠٨ / ٣ ) قال :  
روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : الفساق الزمهرير . وذكره الماوردي  
في تفسيره ( ٣٨٦ / ٤ ) فقال : إنه الزمهرير البارد الذي يحرق من برده ، قاله  
ابن عباس . انظر أيضا تفسير البغوي ( ٢٠١ / ٧ ) وتفسير الرازي ( ١٥ / ٣١ )  
وتفسير القرطبي ( ١٨١ / ١٩ ) ، هذا وقد ذكر الطبري في تفسيره ( ١٤ / ٣٠ )  
والماوردي في تفسيره ( ٣٨٦ / ٤ ) في معنى الفساق : أنه المنتن باللغظة  
الطخارية وفي تفسير الماوردي ( الطحاوية ) وذكره الرازي وابن منظور ولم يذكر  
هذه الكلمة وذكر الرازي في تفسيره ( ١٥ / ٣١ ) في معناه أقوالاً أخرى . منها  
ما نقله عن أبي معاذ من قوله : كنت أسمع مشايخنا يقولون : الفساق : فارسية  
معربة يقولون للشئ الذي يتقدرونه خاشاك ، وقال أيضا : الفساق : هو  
المظلم ، قال تعالى \* ومن شرعاسق إذا وقب \* سورة الفلق الآية ٣ ، وقد ذكر  
أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٠٨ / ٣ ) ثلاثة من هذه الأقوال ، وهي  
أن الفساق ما يسيل من صديد أو أنه المنتن ، أو أنه الزمهرير ، وقال بعد ذكره  
لها : \* هذه الأقوال ليست بمتناقضة لأنه يكون ما يسيل من جلودهم منتنا شديد  
البرد \* .

وقوله ( جزاءً وفاقاً ) أى جزاءً يوافق أعمالهم . قال ابن زيد ( ٢ ) : عطوا شراً فجزوا شراً ( ٣ ) ، قوله تعالى ( إنهم كانوا لا يرجون حساباً ) أى لا يخافون ( ٤ ) : وقد

( ١ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٠١ / ٧ ) عند هذه الآية : " أى جازيناهم جزاءً وافق أعمالهم . وقال الفراء فى معانى القرآن ( ٢٢٩ / ٣ ) " وفقاً لأعمالهم " وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ٥١٠ ) " أى وفقاً لأعمالهم " وذكر عن مقاتل أنه قال : وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النار . انظر تفسير البغوى ( ٢٠١ / ٧ ) وتفسير القرطبى ( ١٨١ / ١٩ ) وزاد المسيرى ( ٩ / ٩ ) وذكر الرازى فى تفسيره ( ١٦ / ٣١ ) فى هذه الآية وجهين : أحدهما : أنه تعالى أنزل بهم عقوبة شديدة بسبب أنهم أتوا بمعصية شديدة فيكون العقاب وفقاً للذنب . والثانى : أنه وفاقاً من حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه .

( ٢ ) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

( ٣ ) رواه عنه الطبرى فى تفسيره ( ١٥ / ٣٠ ) ولفظه : عطوا شراً فجزوا شراً ، وعطوا حسناً فجزوا حسناً ، ثم قرأ قول الله تعالى ( ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى " سورة الروم الآية ١٠ .

( ٣ ) كذا فسره ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ٥١٠ ) وقال ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١٥ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " إن هو إلا الكفار كانوا فى الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم فى الآخرة على نعمه عليهم وإحسانه إليهم ، وسوء شكرهم له على ذلك - ثم روى عن قتادة أنه فسره بقوله " أى لا يخافون حساباً " . وبهذا فسره البغوى فى تفسيره ( ٢٠٢ / ٧ ) فقال : " لا يخافون أن يحاسبوا ، والمعنى : إنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون " وذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره ( ٣٨٦ / ٤ ) فقال : " لا يخافون ويعيد الله بحسابهم ومجازاتهم ، وهذا معنى قول قتادة . وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٩ ) فقال : لا يخافون أن يحاسبوا ، لأنهم لا يؤمنون بالبعث ، قاله الجمهور ، وذكره الرازى فى تفسيره ( ١٦ / ٣١ ) من قول مقاتل انظر أيضاً تفسير القرطبى ( ١٨١ / ١٩ ) ، وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٣٨٦ / ٤ ) قولاً آخر فقال : " لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً " قاله ابن عباس .

وكذا ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٨١ / ١٩ ) عن الزجاج أنه قال : لا يرجون ثواب حساب لأنهم لا يؤمنون بالبعث .

وذكر الرازى فى معنى الرجاء أقوالاً أخرى ، ولكن الصواب هو ما قاله الجمهور : إن الرجاء هنا بمعنى الخوف وقال ابن جرير فى تفسيره ( ٩٥ / ٢٩ ) عند قوله تعالى ( مالكم لا ترجون لله وقاراً ) سورة نوح الآية ١٣ ، " إن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد فى موضع الخوف " ثم استشهد عليه بقول أبى ذؤيب : إذا السعت النحل لم ينج لسفها وخالفها فى بيت نوب عواسيـل

بيننا الرجاء بمعنى الخوف فيما سبق (١) ، وقوله ( وكذبوا بآياتنا كذاباً ) أى تكذيباً  
قال الغراء : هى لغة فصيحة يمانية ، وقوله ( وكلُّ شئٍ أحصيناه كتاباً )  
هو مثل قوله تعالى ( وكل شئٍ أحصيناه فى إمامٍ مبينٍ ) (٣) . أى مبيناً فى اللوح  
المحفوظ ، (٤) وقوله ( فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ) أى يقال لهم : فذوقوا العذاب  
فهو غير منقطع عنكم ولا تتراذون إلا العذاب (٥) . قال الشاعر :

(١) ذلك عند قوله تعالى ( مالكم لا ترجون لله وقاراً ) سورة نوح الآية ١٣ . انظر  
انظر الأصل (٢٠/ق ١/٣٩٥) .

(٢) انظر معانى القرآن (٢٢٩/٣) . انظر أيضاً تفسير الطبرى (١٦/٣٠) ،  
وتفسير البغوى (٢٠٢/٧) وزاد المسير (٩/٩) وتفسير الرازى (١٧/٣١) ،  
وتفسير القرطبي (١٨١/١٩) .

(٣) سورة يس الآية ١٢ .

(٤) قال البغوى فى تفسيره (٢٠٢/٧) :  
" وكل شئٍ أحصيناه كتاباً ) أى وكل شئٍ من الأعمال بيناه فى اللوح  
المحفوظ كقوله " وكل شئٍ أحصيناه فى إمام مبين " وذكر نحوه ابن الجوزى فى  
زاد المسير (١٠/٩) قال : " قال المفسرون : وكل شئٍ من الأعمال أثبتناه  
فى اللوح المحفوظ " وذكر القرطبي فى تفسيره (١٨٢/١٩) فى هذه الآية  
ثلاثة أقوال فقال : ( كتاباً ) نصب على المصدر ، لأن معنى أحصينا : كتبنا  
أى كتبناه كتاباً ، ثم قيل : أراد به العلم ، فان ما كتب كان أبعد من النسيان ،  
وقيل : أى كتبناه فى اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة ، وقيل : أراد ما كتب  
على العباد من أعمالهم ، دليله قوله تعالى ( وإن عليكم لحافظين كراماً  
كاتبين ) سورة الأنعام الآية ١٠ ، ١١ .  
انظر أيضاً تفسير الخازن (٢٠٣/٧) .

(٥) قال ابن جرير فى تفسيره (١٧/٣٠) عند هذه الآية : " يقول جل ثناؤه :  
يقال لهؤلاء الكفار فى جهنم إذا شربوا الحميم والفساق : ذوقوا أيها  
القوم من عذاب الله الذى كنتم به فى الدنيا تكذبون ، فلن نزيدكم إلا عذاباً  
على العذاب الذى أنتم فيه لا تخفيفاً منه ولا ترفها " .

ثم روى بسنده عن عبد الله بن عمر وقال : لم تنزل على أهل النار أية  
أشد من هذه . وقال : فهم فى مزيد من العذاب أبداً . وقد روى هذا  
المعنى من طريق أبى برزة الأسلمى مرفوعاً .  
انظر الدر المنثور (٣٠٨/٦) .



فَصَدَّقْتَهَا وَكَذَّبْتَهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ (١)

وقوله (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) أي فوزاً والمفاز موضع الفوز (٢) . وقوله ( حدائق  
وأعابا ) ظاهر المعنى (٣) وقد بينا وقوله ( وكواعب أترابا ) والكواعب : هي النواهد  
يقال : جارية كاعب أي خرج ثديها مثل الكمب وهي ناهد (٤) .

(١) هكذا ذكر هذا البيت في النسختين في هذا المحل ، وهو ليس محله ،  
ولا مناسبة له هنا ، وإنما محله عند قوله تعالى ( وكذبوا بآياتنا كذابا ) أو عند  
قوله تعالى ( لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ) ، وقد أنشده المؤلف هناك  
فلعل ذكره هنا خطأ من النساخ .

(٢) كذا ذكره ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ٥١٠ ) انظر أيضا تفسير القرطبي  
( ١٨٣ / ١٩ ) وذكر الزمخشري في الكشاف ( ٦٩٠ / ٤ ) والرازي في تفسيره  
( ٢٠ / ٣١ ) في ( مفازا ) وجهين . أحدهما : أنه يحتمل أن يكون مصدراً  
بمعنى فوزاً وظفراً بالبقية ، والثاني : أنه يحتمل أن يكون المراد منه فوزاً  
بالنجاة من العذاب \* أما من جهة المعنى فذكر الماوردى في تفسيره  
( ٣٨٦ / ٤ ) وجهين :

أحدهما : نجاة من شرها ، قاله ابن عباس ، والثاني : فازوا بأن نجوا من  
النار بالجنة ، ومن العذاب بالرحمة ، قاله قتادة .

وتحقيق هذا التأويل أنه الخلاص من الهلاك ، ولذلك قيل للغلاة إذا قل  
ماؤها مفازة تفاء ولاً بالخلاص منها . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠ / ٩ )  
في ( مفازا ) قولين أحدهما هو ما ذكره الماوردى عن قتادة . والثاني : مستترهما  
قاله ابن عباس والضحاك . انظر أيضا تفسير القرطبي ( ١٨٣ / ١٩ ) وتفسير  
البغوي ( ٢٠٣ / ٧ ) وقال الرازي في تفسيره ( ٢٠ / ٣١ ) " والفوز يحتمل أن يكون  
المراد منه فوزاً بالمطلوب ، وأن يكون المراد منه فوزاً بالنجاة من العذاب ، وأن يكون  
المراد مجموع الأمرين " ثم اختار الفوز بالمطلوب ، وذلك لأنه فسر بما بعده وهو  
قوله تعالى ( حدائق وأعابا ) فوجب أن يكون المراد من الفوز هذا القدر .

(٣) قال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥١) " ( حدائق ) بساتين نخل ، واحد ها :  
حديقة " وقال القرطبي في تفسيره ( ١٨٣ / ١٩ ) " حدائق : جمع حديقة ، وهي البستان  
الممّوط عليه ، يقال أحدق به ، أي أحاط " وقال : والأعاب : جمع عنب : أي كروم عنب .

(٤) قال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥١) " ( وكواعب ) : نساء قد كعبت ثديهن  
وقال البغوي في تفسيره ( ٢٠٣ / ٧ ) " جوارى نواهد تكعبت ثديهن " وقال القرطبي  
في تفسيره ( ١٨٣ / ١٩ ) " كواعب : جمع كاعب ، وهي الناهد ، يقال : كعبت الجارية  
تكعب كعوا ، وكعبت وتكعب تكعباً ونهذت تنهذاً نهوذاً " . انظر أيضا المفردات  
( ٤٣٢ ) والصحاح ٢١٣ / ١ . والناهد : من نهذ الثدي ينهد نهوذاً إذا كعب  
وانتبر وأشرف . لسان العرب ٤٢٩ / ١ ، وذكر الماوردى في تفسيره ( ٣٨٦ / ٤ )  
والقرطبي في تفسيره ( ١٨٣ / ١٩ ) في معنى الكواعب قولين . أحدهما هو ما تقدم  
أي النواهد ، وصرح الماوردى بأن ابن عباس قاله . والثاني : العذارى ذكره من  
قول الضحاك .

وقوله ( أتراباً ) أى لِيَدَاتٍ (١) وقيل هى بنات ثلاث وثلاثين سنة (٢) . وقولسه  
 ( وَكَأَنَّ رِهَاقًا ) أى ممتلئة قاله مجاهد (٣) ، وقال عكرمة : صافية (٤) . وعن بعضهم  
 (٥) - والقول الأول أظهر وهو محكى عن ابن عباس وعنه أنه قال : كثيراً

( ١ ) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٦٩٠) ، وقال الراغب في المفردات (ص ٧٤)  
 "أى لِيَدَاتٌ تُشْبِهُنَّ مَعًا تَشْبِيهًا فِي التَّسَاوِي وَالتَّمَاثُلِ بِالتَّرَائِبِ الَّتِي هِيَ  
 صَلُوعُ الصُّدُرِ أَوْ لَوْقُوعُهُنَّ مَعًا عَلَى الأُرْبَى وَقِيلَ : لِأَنَّهِنَّ فِي حَالِ الصَّبَا  
 يَلْتَقِينَ بِالتَّرَابِ مَعًا " .  
 انظر أيضا لسان العرب ١ / ٢٣١ .

( ٢ ) هو قول ابن عباس ، رواه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عنه قال : يعنى فى  
 سن واحدة ، ثلاث وثلاثين سنة " .  
 انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٢٩٢) والدر المنثور (٦ / ١٥٨) وذكرت فى معنى  
 الأتراب أقوال أخرى .

فقال مجاهد : الأتراب : المستويات ، وفى رواية عنه الأمشال .  
 وقال عطية : الأقران ، وقال عكرمة ، المتصفيات .  
 وقال السدى : ( أتراباً ) أى فى الأخلاق المتواخيات تبينهن ليس بينهن تباعض  
 ولا تحاسد . انظر تفسير مجاهد (٢ / ٦٤٨) وتفسير الماورى (٤ / ٣٨٦) ،  
 وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٩٢) وليس هناك مانع من أن تتصف نساء أهمل  
 الجنة بجميع هذه الأوصاف .

( ٣ ) قال مجاهد كما فى تفسيره (٢ / ٧٢٢) : يعنى الملاى المتتابعة . وهو قول  
 ابن عباس رواه عنه أبو صالح . وبه قال الحسن وقتادة وابن زيد . انظر تفسير  
 الطبرى (٣٠ / ١٩) وتفسير الماورى (٤ / ٣٨٧) وتفسير البغوى (٧ / ٢٠٢) ،  
 وزاد المسير (٩ / ١٠) وتفسير الرازى (٣١ / ٢٠) .

( ٤ ) رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٠ / ١٩) بسنده عن عمر بن عطاء عن عكرمة . وذكره  
 عنه بهذا اللفظ البغوى فى تفسيره (٧ / ٢٠٣) وابن الجوزى فى زاد المسير  
 (٩ / ١١) وابن كثير فى تفسيره (٤ / ٤٦٥) وذكره الماورى فى تفسيره (٤ / ٣٨٧)  
 وقال : " رواه عمر بن عطاء " لعل كلمة ( عن عكرمة ) سقطت منه .

( ٥ ) هو قول سعيد بن جبير ، ورواه مجاهد عن ابن عباس . وروى عن مجاهد  
 أيضا كقولين ، انظر تفسير الطبرى (٣٠ / ١٩ - ٢٠) وتفسير البغوى  
 (٧ / ٢٠٢) وزاد المسير (٩ / ١١) وتفسير ابن كثير (٤ / ٤٦٥) وذكره الماورى  
 (٤ / ٣٨٧) من قول عكرمة . وذكره الرازى فى تفسيره (٣١ / ٢٠) من قول  
 أبى هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد . ونقل عن الواحدى أن أصل هذا القول من  
 قول العرب " هَاقَتِ الحِجَارَةُ إِذْ هَاقًا " وهو شدة تلازمها أو دخول بعضها فى  
 بعض " .

انظر أيضا تفسير القرطبي (١٩ / ١٨٣) .

سمعت العباس يقول : اسقيني يا جارية الكاس وأدهق<sup>(٢)</sup> - وعنه أيضا : أنه دعا بكأس فجاءت به جارية ملأى فقال : هذا هو الدهاق<sup>(٣)</sup> وقوله ( لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً ) اللغو هو الكلام المطروح<sup>(٤)</sup> وقوله ( كذاباً ) أى يكذب

( ١ ) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الفضل ولد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، شهد بدرًا مع المشركين مكرهاً فأسر فاقتدى نفسه ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ورجع إلى مكة فأسلم وكنم إسلامه قومه ، ثم هاجر قبل الفتح بقليل وشهد الفتح ، وشبهت يوم حنين ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين .  
الإصابة ( ٢ / ٢٧١ ) .

( ٢ ) رواه الحاكم في مستدركه ( ٢ / ٥١٢ ) بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل ( كأساً دهاقاً ) قال : هى المتابعة الممتلئة ، قال : وربما سمعت العباس يقول : اسقنا وأدهق لنا . وذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٣٠٩ ) بلفظ : قال : " هى الممتلئة المترعة المتابعة وربما سمعت العباس يقول : يا غلام : اسقنا وأدهق لنا " .

وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى البعث . وقال الحاكم فى هذا الحديث : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : على شرط البخارى .

( ٣ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ١٨ ) بسنده عن مسلم بن نسطاس قال : قال ابن عباس لفلامه : اسقنى دهاقاً ، قال : فجاء بها الغلام ملأى ، فقال ابن عباس : هذا الدهاق .

( ٤ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ١٩ / ١٨٤ ) " اللغو : الباطل ، وهو ما يلقى من الكلام ويَطْرَح ، ثم قال : وذلك أن أهل الجنة إذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا بلغو بخلاف أهل الدنيا " .

وأما الماوردى فذكر فى معنى اللغو أربعة أقوال :  
أحدها : الباطل ، قاله ابن عباس . الثانى : الحلف عند شربها قاله السدى الثالث : الشتم قاله مجاهد ، الرابع : المعصية ، قاله مجاهد .  
ولا يمتنع أن يراد كل هذه الأقوال ، قال ابن كثير فى تفسيره ( ٤ / ٤٦٥ ) : " وقوله تعالى ( لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً ) كقوله ( لا لغو فيها ولا تأثيم ) أى ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب ، بل هى دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص " .

بعضهم بعضاً (١) ، وقرئ ( كَذَابًا ) بالتخفيف (٢) ومعناه الكذب لا غير قال الشاعر (٤)  
فَصَدَّقْتَهَا وَكَذَّبْتَهَا وَالْمَرْءُ يُنْفَعُهُ كِذَابُهُ (٥)

أى كذبه . وقوله تعالى ( جزاء من ربك عطاء حساباً ) أى عطاء كافياً . (٦)

(١) ذكر هذا المعنى ابن جرير في تفسيره ( ٢٠ / ٣٥ ) والماوردي في تفسيره ( ٢٨٧ / ٤ ) وعزاه إلى سعيد بن جبير والبيهقي في تفسيره ( ٢٠٢ / ٧ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ١١ / ٩ ) قال : \* أى : لا يكذب بعضهم بعضاً لأن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل ، وأهل الجنة منزّهون عن ذلك \* وذكر الماوردي في معناه : قولين آخرين أحدهما أنه الخصومة قاله الحسن ، والثاني : المآثم قاله قتادة .

(٢) قرأه الكسائي ( ولا كِذَابًا ) بتخفيف الذال ، والباقون بتشديد ها \* .  
انظر التيسير (ص ٢١٩) والكشف عن وجوه القراءات ( ٣٥٩ / ٢ ) وحجة القراءات ( ٧٤٦ ) وقال الغراء في معاني القرآن ( ٢٢٩ / ٣ ) ، ( وكان الكسائي يُخَفِّفُ \* لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذَابًا \* لأنها ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدرًا ، ويشدد \* وكذبوا بآياتنا كِذَابًا \* لأن كذبوا يقيد الكِذَابَ بالمصدر ، ثم قال : والذي قال : حسن ومعناه : لا يسمعون فيها لغواً يقول : باطلاً ، ولا كِذَابًا لا يكذب بعضهم بعضاً .

وقال ابن جرير في تفسيره ( ٢٠ / ٣٥ ) بعد ذكره لقراءة الكسائي ، والتشديد أحب إلي من التخفيف ، وبالتشديد القراءة ، ولا أرى قراءة ذلك بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء على خلافه \* .

انظر أيضاً زاد المسير ( ١١ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٨٤ / ١٩ ) .

(٣) الكِذَابُ بالتخفيف مصدر ( كَذَبَ ) مثل : كَتَبَ كِتَابًا .

وقيل : إنه مصدر المكاذبة . وقيل : إنه مصدر للتكذيب وليس في المعنى كبير فرق .  
انظر اعراب القرآن ( ٦١٢ / ٣ ) وزاد المسير ( ١١ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٨٤ / ١٩ ) وحجة القراءات ( ٧٤٦ ) .

(٤) هو الأعشى .

(٥) البيت في طهق ديوان الأعشى ( ٢٣٨ ) نقلًا من هامش زاد المسير ١٠ / ٩ ، وقال المبرد في الكامل ( ٢١٠ / ٢ ) : وأنشد المازني للأعشى وليس ما روت الرواة متصلاً بقصيدة : فَصَدَّقْتَهُمْ وَكَذَّبْتَهُمْ . . . وَالْمَرْءُ يُنْفَعُهُ كِذَابُهُ .  
والبيت أيضاً في تفسير الطبري ( ٢٠ / ٣٥ ) وتفسير الماوردي ( ٣٨٦ / ٤ ) وزاد المسير ( ١٠ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٨١ / ١٩ ) وحجة القراءات (ص ٧٤٦) وشواهد الكشاف (ص ٣٤٨) .

(٦) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٣٨٧ / ٤ ) من قول الكلبى والبيهقي في تفسيره ( ٢٠٢ / ٧ ) والكشاف في تفسيره ( ٦٩٠ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ٢١ / ٣١ ) ونقل ابن الجوزي في زاد المسير ( ١١ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٨٥ / ١٩ ) عن الزجاج أنه قال : معناه : ما يكفيهم .

يقال : أعطاني فلان حتى أحسبني يعني حتى قلت حسبي (١) .

وقال قتادة : عطاء حسابا أي كثيرا (٢) وقال الشاعر في المعنى الأول (٤)  
وَنُقِّي (٥) وَلَيْدَ الْحَسْبِ إِنْ كَانَ جَائِعًا وَحُسْبِهِ إِنْ كَانَ لَيْمَسَ بِجَائِعٍ (٦)

(١) قال ابن قتيبة : نرى أصل هذا : أن يعطيه حتى يقول : حسبي . تفسير  
غريب القرآن (٥١٠) انظر أيضا الكشاف (٦٩٠/٤) وتفسير الرازي (٢١/٣١)  
وتفسير القرطبي (١٨٥/١٩) ولسان العرب (٣١٢/١) .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢١/٣٠) بسنده عن قتادة . وذكره السيوطي فسي  
الدر المنثور (٣٠٩/٦) وعزاتخريجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر أيضا وذكره  
الماوردي في تفسيره (٣٨٧/٤) والقرطبي في تفسيره (١٨٤/١٩) من قول  
قتادة . وهو قول ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥١) وانظر أيضا تفسير  
البخوي (٢٠٢/٧) وتفسير الرازي (٢٢/٣١) وذكر في معنى (حسابا) قول  
آخر وهو أن قوله (حسابا) ماخوذ من حسبت الشيء إذا أعدته وقدرته .  
فقوله (عطاء حسابا) أي يقدر ماوجب له فيما وعده من الإضعاف ، لأنه تعالسى  
قدر الجزاء على ثلاثة أوجسه ، وجه منها على عشرة أضعاف ووجه على سبعمائة  
ضعف ، ووجه على مالا نهاية له ، كما قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم  
بغير حساب) سورة الزمر الآية ١٠ . وهو معنى ما قاله مجاهد .  
انظر تفسير مجاهد (٧٢٢/٢) وتفسير الطبري (٢١/٣٠) وتفسير الماوردي  
(٣٨٧/٤) والكشاف (٦٩٠/٤) وتفسير الرازي (٢٢/٣١) وتفسير  
القرطبي (١٨٥/١٩) .

(٣) وقع خلاف في نسبة هذا البيت . فعزاه ابن منظور في لسان العرب (٣١٢/١)  
إلى امرأة من بني قشير .  
وقيل : إنه لا امرأة من بني نمير أو هي غيثة أم الهيثم . . انظر الاشتقاق  
لابن دريد (ص ٧٤) . ونسب لعبد الرحمن بن حسان في المخصص لابن سيده  
(٥٧/١٤) .

(٤) استشهد بهذا البيت في القول الأول (أي أن (حسابا) معناه : كافيا) أيضا  
أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٦١٢/٣) وابن منظور في لسان العرب  
(٣١٢/١) وأما ابن قتيبة فقد استشهد به على ما اختاره وهو أن (حسابا)  
معناه كثيرا . انظر تفسير غريب القرآن (٥١٠) . انظر أيضا تفسير الرازي  
(٢٢/٣١) وتفسير القرطبي (١٨٤/١٩) .

(٥) نُقِّيهِ : أي نُؤْتِرُهُ بِالْقَفِيَّةِ ، وهي ما يُؤْتِرُ بِهِ الضَّيْفُ وَالصَّبِيُّ . انظر لسان العرب  
(٣١٢/١) .

(٦) هو في الاشتقاق لابن دريد (ص ٧٤) والمخصص لابن سيده (٥٧/١٤) ، ولسان  
العرب (٣١٢/١) على اختلاف في نسبه إلى القائل وهو أيضا في تفسير غريب  
القرآن (٥١٠) واعراب القرآن (٦١٢/٣) وتفسير الرازي (٢٢/٣١) وتفسير  
القرطبي (١٨٤/١٩) وأما القائل (٢٥٤/٢) غير منسوب .

وقوله ( جزاء من ربك ) أى جوز وأجزاء وأعطوا عطاءً<sup>(١)</sup> .  
 قوله تعالى ( رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ) . كلاهما بالرفع ، وقوى  
 ( رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ) الأول بالكسر والآخر بالرفع ، وقوى  
 كلاهما بالكسر ( رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ )<sup>(٢)</sup> فوجه القراءة الأولى : أن  
 قوله ( رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) رفع بالابتداء و ( الرَّحْمَنُ ) خبره ، ووجه القراءة الثانية :  
 أن قوله رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مخفوض اتباعاً لقوله ( من ربك ) وقوله ( الرَّحْمَنُ ) ابتداءً  
 ووجه القراءة الثالثة : أن كليهما مخفوض اتباعاً لقوله ( من ربك )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٢ / ٧ ) : أى جازاهم جزاءً وأعطاهم عطاءً " ونقل  
 ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١١ / ٩ ) عن الزجاج أن المعنى : جازاهم بذلك  
 جزاءً ، وكذلك عطاءً ، لأن معنى أعطاهم وجازاهم واخذ " يعنى نصباً على المصدر .  
 انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٨٤ / ١٩ ) .

( ٢ ) الأولى وهى قراءة الاسمين بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو .  
 والثانى وهى قراءة الأولى بالكسر والثانى بالرفع قرأ بها حمزة والكسائى .  
 والثالثة وهى قراءة الاسمين بالكسر قرأ بها ابن عامر وعاصم .

انظر التيسير ( ص ٢١٩ ) والكشف عن وجوه القراءات ( ٣٥٩ / ٢ ) وحجج  
 القراءات ( ص ٧٤٧ ) .

انظر أيضاً تفسير الطبرى ( ٢١ / ٣٠ ) وتفسير البغوى ( ٢٠٢ / ٧ ) وزاد المسير  
 ( ١١ / ٩ ) وتفسير الرازى ( ٢٢ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ١٨٥ / ١٩ ) .

وقال ابن جرير : ولكل ذلك عندنا وجه صحيح ، فبأى ذلك قرأ القارى فصيب  
 غير أن الخفض فى السور لقربه من قوله ( جزاء من ربك ) أعجب إلي ، وأما  
 ( الرحمن ) بالرفع فإنه أحسن لبعده عن ذلك .

( ٣ ) كذا ذكر البغوى فى تفسيره ( ٢٠٢ / ٧ ) فى توجيه هذه القراءات الثلاث . انظر  
 أيضاً الكشف عن وجوه القراءات ( ٣٦٠ / ٢ ) وحجج القراءات ( ص ٧٤٧ ) ، وذكر  
 الرازى فى تفسيره ( ٢٢ / ٣١ ) فى توجيه القراءة بالرفع فيها أربعة أوجه .

أولها هو ما ذكره المؤلف يعنى : رب السموات مبتدأ والرحمن خبره ،  
 ثم استونف ( لا يملكون منه خطاباً ) . والثانى : ( رب السموات ) مبتدأ ، و ( الرحمن )  
 صفة و ( لا يملكون خبره ) .

والثالث : أن يضم المبتدأ والتقدير ( هو رب السموات هو الرحمن ) ثم استونف  
 ( لا يملكون ) .

والرابع : أن يكون ( الرحمن ) و ( لا يملكون ) خبرين .  
 انظر أيضاً الكشف / ٤ / ٦٩٠ ، زاد المسير ( ١١ / ٩ ) وشكل اعراب القرآن  
 ( ٤٥٣ / ٢ ) .

وقوله تعالى ( لا يطقون منه خطابا ) أى لا يتكلمون مع الله ويمنعون من الكلام معه (١) وقيل ( لا يطقون منه خطابا ) : أى لا يشفعون لأحد إلا بإذنه على ما قال من بعد (٢) .

قوله تعالى ( يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ) قال مجاهد : الروح خلق يشبهون بينى آدم وليسوا بنى آدم . وقيل هو جبريل عليه السلام (٣) وقيل : هو خلق من خلق الله لم يخلق بعد العرش أعظم / منه يقوم يوم القيامة صفاً وجميع الملائكة صفاً (٤) وقيل : صفاً ١٤/٣

(١) هو قول مقاتل فى تفسيره (ق ١/٣٨٤) وحكاة البغوى فى تفسيره (٢٠٢/٧) ، وابن الجوزى فى زاد المسير (١٢/٩) ، وقال القرطبى فى تفسيره (١٨٦/١٩) " وقيل : الخطاب الكلام ، أى لا يطقون أن يخاطبوا الرب سبحانه إلا بإذنه ، دليله : لا تكلم نفس إلا بإذنه " سورة هود الآية ١٠٥ .

(٢) هو قول الكلبى ، كما ذكره البغوى فى تفسيره (٢٠٢/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٢/٩) وذكره القرطبى فى تفسيره (١٨٦/١٩) من قول الكسائى : والصواب : أن الخطاب هنا الكلام ، والضمير فى ( لا يطقون ) لأهل السموات والأرض والمعنى : أنهم لا يقدر أن يكلموا الرب سبحانه وتعالى إلا بإذنه . وهذا هو اختيار الرازى فى تفسيره (٢٣/٣١) .

(٣) رواه عبد الرزاق فى تفسيره (ق ١/١٦٧) وابن جرير فى تفسيره (٢٢/٣٠ - ٢٣) بسندهما عن مجاهد بلفظ : هم خلق على صورة بنى آدم ، يأكلون ويشربون " وأورد السيوطى فى الدر المنثور (٣٠٩/٦) بهذا اللفظ وعزا تخريجه أيضا إلى عبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم " وقد رواه مجاهد فى تفسيره (٧٢٢/٢) عن ابن عباس بلفظ : الروح : أمر من أمر الله ، خلق من خلق الله ، صورهم على بنى آدم ، ما نزل من السماء طك ، إلا معه واحد من الروح " وهذا قول أبى صالح والأعمش وقادة .

انظر تفسير الطبرى (٢٣-٢٢/٣٠) وتفسير الطاوردى (٣٨٨/٤) ، وتفسير البغوى (٢٠٣/٧) وزاد المسير (١٢/٩) والكشاف (٦٩١/٤) وتفسير الرازى (٢٤ - ٢٣/٣١) وتفسير القرطبى (١٨٧/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٦٥/٤) وروح المعانى (٢٠/٣٠) .

(٤) هو قول الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك . انظر المصادر السابقة . وقال ابن كثير فى تفسيره (٤٦٥/٤) بعد ذكره لهذا القول " ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل ( نزل به الروح الأمين ) ، على قلبك لتكون من المنذرين " سورة الشعراء الآية ١٩٣ .

(٥) ذكر الزمخشري فى الكشاف (٦٩١/٤) والألوسى فى روح المعانى (٢٠/٣٠) وهذا القول قريبا من لفظ المؤلف ، وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومقاتل . وقد رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٢/٣٠) بسنده عن ابن مسعود قال : " الروح : ملك

٠٠/٠٠

في السماء الرابعة ، هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح الله كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة ، يخلق الله من كل تسبيحة طكاً من الملائكة ، يجي يوم القيامة صفاً وحده .

قال ابن كثير في هذا القول : وهذا قول غريب جداً .

انظر تفسير ابن كثير ( ٤٦٥/٤ ) انظر أيضاً المصادر السابقة . واقتصر المؤلف في بيان معنى الروح على هذه الأقوال الثلاثة ، وقد ذكرت في معناه أقوال أخرى عديدة ، وأصلها الماوردي في تفسيره ( ٣٨٨/٤ ) إلى خمسة أقوال غير الثلاثة المذكورة ، وتبعه القرطبي في تفسيره ( ١٨٦/١٩ - ١٨٧ ) .

- الأولى : أنهم أشرف الملائكة قاله مقاتل بن حيان .
- الثاني : أنهم حفظة على الملائكة ، قاله ابن أبي نجيح .
- الثالث : أرواح بني آدم يقومون صفاً والملائكة صفاً . قاله الحسن .
- الرابع : أنهم بنو آدم قاله قتادة ، الخامس : أنه القرآن .

قاله زيد بن أسلم . انظر أيضاً تفسير البغوي ( ٢٠٢/٧ - ٢٠٣ ) وقد ذكر البغوي أقوالاً أخرى .

وانظر أيضاً زاد المسير ( ١٢/٩ - ١٣ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٥/٤ ) . وأما الراجح من هذه الأقوال فقد توقف ابن جرير ولم يقطع بشئ منها . انظر تفسيره ( ٢٣/٣٠ ) وكذا توقف فيه التحاسن في أعراب القرآن ٦١٣/٣ وقال الأكوسي بعد ذكره لهذه الأقوال ولم يصح عندي فيه هنا شئ " روح المعاني ٢٠/٣٠ .

وقد ذهب الرازي في تفسيره ( ٢٤/٣١ ) إلى اختيار قول القائل بأن الروح هو جبريل عليه السلام ، وقال بعد ذكره لهذا القول : وهذا القول هو المختار عند القاضي . قال : لأن القرآن دل على أن هذا الاسم اسم جبريل عليه السلام وثبت أن القيام صحيح من جبريل ، والكلام صحيح منه .

ويصح أن يؤخذ له ، فكيف يصرف هذا الاسم عنه إلى خلق لانعرفه ، أو إلى القرآن الذي لا يصح وصفه بالقيام .

وأشار ابن كثير في تفسيره ( ٤٦٦/٤ ) إلى توقف ابن جرير . وقال : والأشبه عندي - والله أعلم - أنهم بنو آدم . ولكن هذا القول ليس عليه دليل من القرآن والسنة بينما القول بأن الروح هو جبريل عليه السلام قد دل عليه القرآن الكريم ، وقد استشهد به ابن كثير نفسه على هذا القول . كما تقدم النقل عنه فالراجح أن المراد جبريل عليه السلام . وقد جاءت تسميته بالروح في القرآن الكريم كما تقدم ذكره .



أى صفوفاً وموضع صلاة العيد يسمى صفاً لأنه موضع الصوف . (١)

وقوله ( لا يتكلمون ) أى لا يشفعون أى الملائكة ، وقيل : لا يتكلمون مطلقاً ،  
وقوله ( إلا من أذن له الرحمن ) أى بالشفاعة والكلام . وقوله ( وقال صواباً )  
أى حقاً . وقيل : هو لا إله إلا الله . والمعنى : أنهم لا يتكلمون إلا  
بالإذن أو كلاماً صواباً : هو لا إله إلا الله .

(١) هو قول ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن (ص ٥١١) فإنه قال عند هذه الآية :  
أى صفوفاً ، ويقال ليوم العيد يوم الصف ، وقال : فى موضع آخر : ( وجاء  
ربك والملك صفاً صفاً ) سورة الفجر الآية ٢٢ فهذا يدل على الصوف . انظر  
أيضاً تفسير القرطبي (١٨٧/١٩) وذكر الرازى فى تفسيره (٢٤/٣١) فى  
معنى ( صفاً ) ثلاثة أوجه :

الأول : أن المعنى أن الروح على اختلاف الأقوال وجميع الملائكة يقومون صفاً  
واحدًا ، والثانى : أن يكون المعنى يقومون صفيين ، الثالث : أن المعنى  
يقومون صفوفاً ، وقال : والصف فى الأصل مصدر فينبى عن الواحد والجمع .  
وظاهر قول المفسرين أنهم يقومون صفيين ، فيقوم الروح وحده صفاً ، وتقوم الملائكة  
كلهم صفاً واحدًا .

انظر تفسير القرطبي (١٨٧/١٩) .

(٢) هو قول الحسن ، كما ذكره الماورى فى تفسيره (٣٨٨/٤) انظر أيضاً تفسير  
القرطبي (١٨٧/١٩) .

(٣) ذكره الماورى فى تفسيره (٣٨٨/٤) من قول ابن عباس . انظر أيضاً تفسير القرطبي  
(١٨٨/١٩) والصواب أن الكلام مطلقاً ، ويدخل فيه الشفاعة ، كما تقدم فى قوله :  
" لا يملكون منه خطاباً " .

(٤) هو قول مجاهد والضحاك . انظر تفسير مجاهد (٧٢٣/٢) وتفسير الماورى  
(٣٨٨/٤) وتفسير البغوى (٢٠٣/٧) وزاد المسير (١٣/٩) وتفسير القرطبي  
(١٨٧/١٩) والدر المنثور (٣١٠) .

(٥) هو قول ابن عباس وعكرمة وأبى صالح . انظر تفسير الطبري (٢٤/٣٠) وتفسير  
الماورى (٣٨٨/٤) وتفسير البغوى (٢٠٣/٧) وزاد المسير (١٣/٩) وذكر  
ابن الجوزى أن ذلك قول أكثر المفسرين وتفسير القرطبي (١٨٧-١٨٨) والدر  
المنثور (٣١٠/٦) وذكر الماورى والقرطبي عن الحسن قال : " أن الروح يقول  
يوم القيامة : لا تدخل الجنة إلا بالرحمة ولا النار إلا بالعمل ، فهو معنى قوله  
" وقال صواباً " وقال ابن كثير فى تفسيره (٤٦٦/٤) : ( وقال : صواباً ) : أى  
حقاً ، ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة . فالراجح أن معنى قوله  
( صواباً ) حقاً . ويدخل فيه جميع ما هو الحق ، ومن الحق قول لا إله إلا الله " .  
ويدل ظاهر الآية على أن المراد الملائكة والروح ، قال القرطبي فى تفسيره  
(١٨٨/١٩) وقيل : " لا يتكلمون " يعنى الملائكة والروح الذين قاموا صفاً ، لا يتكلمون  
هيبية وإجلالاً ، إلا من أذن له الرحمن فى الشفاعة هم قد قالوا صواباً ، وأنهم يوحدون  
الله تعالى ويستبحونه " ولما كانت الملائكة والروح لا يقدر على ابتداء مخاطبته إلا  
بإذنه فمن باب أولى لا يقدر عليه أهل الموقف إلا بإذنه .

قوله تعالى ( ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ) أى القيامة هو اليوم الحق ومعنى الحق هاهنا أنه كائن لا محالة <sup>(١)</sup> . وقوله ( فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً ) أى منقلباً حسناً بالطاعة والعبادة <sup>(٢)</sup> . وقوله تعالى ( إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ) أى النار: وكل آت فهو قريب <sup>(٣)</sup> .

وقوله ( يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ) أى ما قدمت يداه من الخيسر

( ١ ) انظر تفسير الطبرى ( ٢٥ / ٣٠ ) وتفسير الماورى ( ٣٨٨ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ٢٠٣ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٣ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٨٨ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٦ / ٤ ) ، وذكر الماورى فى تسمية يوم القيامة بالحق وجهين .  
أحدهما : لأن مجيئه حق وقد كانوا على شك .  
الثانى : أن الله تعالى يحكم فيه بالحق بالشواب والعقاب .

( ٢ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٣ / ٧ ) فى تفسير الآية :  
" مرجعاً وسبيلاً بطاعته ، أى فمن شاء رجع إلى الله بطاعته ، وقال القرطبي فى تفسيره ( ١٨٨ / ١٩ ) : " أى مرجعاً بالعمل الصالح ، كأنه إذا عمل خيراً رده إلى الله عز وجل وإذا عمل شراً عده منه " . وذكر الماورى فى تفسيره ( ٣٨٨ / ٤ ) فى تفسير ( مآباً ) وجهين : أحدهما سبيلاً . قال قتادة . الثانى : مرجعاً ، قاله ابن عيسى . وكلا التفسيرين يؤيد معنى واحداً .

( ٣ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٣ / ٧ ) عند هذه الآية :  
" يعنى العذاب فى الآخرة . وكل ما هو آت قريب " . وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٦٦ / ٤ ) " يعنى يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً لأن كسل ما هو آت " .

وهكذا فسره غير واحد ، فقال بعضهم : يوم القيامة ، وقال بعضهم عذاب الآخرة " .

انظر زاد المسير ( ١٣ / ٩ ) وتفسير الرازى ( ٢٥ / ٣١ ) وتفسير الخازن ( ٢٠٣ / ٧ ) وذكر الماورى فى تفسيره ( ٣٨٨ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٨٨ / ١٩ ) فى تفسير الآية قولين : أحدهما هو هذا الذى تقدم ذكره ، وهو قول الكلبي وغيره . والثانى : عقوبة الدنيا ، لأنها أقرب العذابين ، قاله قتادة . وقال مقاتل : هى قتل قريش ببدر " انظر تفسيره ( ق ١ / ٣٨٤ ) وصرح القرطبي بأن الأظهر أنه عذاب الآخرة ، وهو الموت والقيامة ، لأن من مات فقد قامت قيامته " وهذا هو الضواب .

(١) والشعر ، وقوله ( ويقول الكافرُ باليتنى كُنْتُ تُراباً ) روى جعفر بن برقان (٢) عن ابن الأصم (٣) عن ابن عباس (٤) : ان الله تعالى يجمع الخلق يوم القيامة من السدواب

(١) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٣/٩ ) فى هذه الآية : " أى يسرى عليه مثبتاً فى صحيفته خيراً كان أو شراً " وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٦٦/٤ ) " يعرض عليه جميع أعماله خيراً وشرها قد يمها وحد يشها " كقوله تعالى " ووجدوا ما عطوا حاضراً " سورة الكهف الآية ٤٩ . وكقوله تعالى " ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخسر " القيامة الآية ١٣ . انظر أيضاً تفسير البغوى ( ٢٠٣/٧ ) وتفسير الخازن ( ٢٠٣/٧ ) وقال الماورى فى تفسيره ( ٣٨٩/٤ ) . " يعنى يوم ينظر المرء ما قدم من عمل خير ، قال الحسن : قدم فقدم على ما قدم ."

ويحتمل أن يكون عاماً فى نظر المؤمن إلى ما قدم من خير ، وفى نظر الكافر إلى ما قدم من شر . واختار الزمخشري فى الكشاف ( ٦٩١/٤ ) أن المرء هو الكافر لقوله تعالى ( إنا أنذرناكم عذاباً قريباً ) والكافر فى قوله ( ويقول الكافر . ) ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم . وأما القوطى فقد اختار أن المرء هنا المؤمن ، لأنه هو الذى يجد لنفسه عملاً ، فأما الكافر فلا يجد لنفسه عملاً . فيتمنى أن يكون تراباً ، واستدل بأن الله تعالى لما قال ( ويقول الكافر ) علم أنه أراد بالمرء المؤمن . واختار الرازى فى تفسيره ( ٢٥/٣١ ) أن المرء عام فى كسل أحد ، وصرح بأن هذا هو الأظهر ، لأن المكلف إن كان قد عم المتقين فليس له إلا الثواب العظيم ، وإن كان قد عم الكافرين فليس له إلا العقاب ، فلا رجاء لمن ورد القيامة من المكلفين فى أمر سوى هذين .

(٢) فى الأصل ( أبو جعفر ابن برقان ) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته - كما هو فى ترجمته - وأعاد المؤلف ذكره فقال ( جعفر بن برقان ) وهو جعفر بن برقان ( يضم الموحدة وسكون الراء بعد ها قاف ) الكلابى أبو عبد الله الرقى .

صدوق يهيم فى حديث الزهري ، مات سنة خمسين ومائة وقيل بعد هـ . انظر تقريب التهذيب ( ٥٥ ) .

(٣) هو يزيد بن الأصم واسمه عمرو بن عميد بن معاوية البكائى ( بفتح الموحدة والتشديد ) أبو عوف كوفى نزل الرقة ، وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين ، يقال له رؤية ولا يشبت ، وهو ثقة ، مات سنة ثلاث ومئنة . تقريب التهذيب ( ٣٨١ ) .

(٤) كذا فى النسختين عن ابن عباس ، وانى لم أجده من رواه من طريقه وجاء فى تفسير عبد الرزاق الذى رواه المؤلف من طريق " ابن عباس " .

والطوبور والناس والجن فإذا انزل الشطين منازلهم قال للطبور والبهايم والدواب :  
 "كوني ترابا فتكون ترابا فحينئذ يقول الكافر ياليتني كنت تراباً" (١).

قال رضى الله عنه أخبرنا بهذا الحديث : أبو محمد عبد الله بن أحمد ، أخبرنا أبو سهل  
 عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار ، أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافرى ، أخبرنا  
 الدبرى ، هو اسحاق بن ابراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن جعفر بن برقان (٢).  
 الحديث .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٦/٣٠) عن ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن شور  
 عن معمر قال : وحدثنى جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال :  
 "إن الله يحشر الخلق كلهم ، كل دابة وطائر وإنسان ، يقول للبهايم والطيور  
 "كونوا تراباً" فعند ذلك يقول الكافر : ياليتني كنت تراباً .  
 وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٦/٣١٠) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بسن  
 حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقى فى البعث والنشور .

(٢) انظر تفسير عبد الرزاق (ق ١/١٦٢) .

وأورده القزطبي فى تفسيره (١٨٩/١٩) من رواية أبى جعفر النحاس ،  
 قال : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع ، قال : حدثنا سلمة بن شبيب ، قال :  
 حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، قال أخبرنى جعفر بن برقان الجمرى  
 ، عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة قال : إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم  
 من دابة وطائر وإنسان ثم يقال للبهايم والطيور : كوني ترابا ، فعند ذلك  
 يقول الكافر " ياليتني كنت ترابا " .

وهو حديث موقوف ، رجاله إسناده ثقات سوى جعفر بن برقان قال فيه الحافظ  
 ابن حجر : صدوق بهم فى حديث الزهرى ، كما تقدم فى ترجمته . وهذا ليس  
 من حديث الزهرى . ويوجد له شاهد آخر من حديث أبى هريرة مرفوعاً ، وهو  
 المعروف بحديث الصور الذى تقدمت الإشارة إليه غير مرة .

وقد أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٢٦/٣٠) عند هذه الآية بلفظ : الشاهد  
 منه . وأخرجه مطولاً الطبرانى فى الطوال (ص ٢٦٦ رقم الحديث ٣٦) وغيره  
 واحد من أئمة الحديث .

وتكلم العلماء على سند الحديث ونقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية  
 (١/٢٢٣-٢٢٤) عن أبى موسى المدينى قال : وهذا وإن كان فيه نكارة وفى  
 إسناده من تكلم فيه فعامة ما يروى مرفوعاً فى أسانيد ثابتة .  
 انظر أيضاً تفسيره (٢/١٤٩) وله شاهد آخر من حديث عبد الله بن عمرو موقوفاً .  
 أخرجه الطبرى فى تفسيره (٢٦/٣٠) .

وقيل : إن الكافر هاهنا هو أبو جهل<sup>(١)</sup> . وذكر النقاش في تفسيره عن الحسين  
ابن واقد<sup>(٢)</sup> قال : إن الكافر يقول : ياليتني كنت خنزيراً فاصير تراباً فيقول التراب  
له لا ولا كرامة لك يعني لا تكون مثلي ، وحكى مثل هذا عن السدي أيضاً<sup>(٣)</sup> . وعن  
بعضهم : أن معنى قوله ( ياليتني كنت تراباً ) أي ياليتني لم أبعث وقد ورد في  
الحق الذي ذكرنا أشران .

أحدهما : عن ابن عمر أنه قال ليعمل أحدكم بالطاعة ولا يتكلم على أنه يدخل النار  
ثم يخرج منها فإنه لا يدخل النار أحد فيخرج منها إلا بعد أن

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨٨/١٩) فقال :  
" قيل : المرء هاهنا : أبي بن خلف وعقبة بن معيط " ويقول الكافر "  
أبوجهل ، وذكر الماوردي في تفسيره (٣٨٩/٤) والقرطبي أيضاً عن مقاتل  
أنه قال : نزل قوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ) في أبي سلمة بن  
عبد الأسد المخزومي ، ( ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ) في أخيه  
الأستود بن عبد الأسد .

وذكر القرطبي أيضاً قولاً آخر فقال : وقيل : هو عام في كل أحد وإنسان  
يؤى في ذلك اليوم جزاء ما كسبت .

وهذا القول هو الذي بيد وأنه الصواب ، لأن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص  
السبب ، وقيل : إن المراد هنا إبليس ، يقول ذلك لأنه افتخر بأنه  
خلق من نار " وهو بعيد .  
انظر روح المعاني (٢٢/٣٠) .

(٢) هو الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله القاضي .  
ثقة له أوهام ، صنف التفسير ، ووجوه القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، مات سنة  
تسع ويقال : سبع وخمسين ومائة .  
انظر تقريب التهذيب (ص ٧٥) وطبقات المفسرين (١٦٣/١ - ١٦٤) .

(٣) لم أجد من ذكر عنهما هذا القول . وقد ذكر ذلك البغوي والخازن في تفسيرهما  
(٢٠٤/٧) عن أبي هريرة . وقال الثعلبي في تفسيره (١/٣١/١٣) : " وقال  
المقاتلان ( لعله يقصد بذلك مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان ) : إن الله  
تعالى يجمع الوحوش والهوام والطيور وكل شيء غير الثقلين ، فيقول من ربكم ؟  
فيقولون : الرحمن الرحيم ، فيقول لهم الرب جل جلاله بعد ما يقضى بينهم حتى  
يقضى للجما من القبرنا : انا خلقتكم وسخرتكم لبنى آدم ، وكنتم مطيعين  
أيام حياتكم ، فارجعوا إلي الذي كنتم ، كونوا تراباً ، فيكونون تراباً ، فإذا التفت  
الكافر إلى الشيء الذي صار تراباً يتمنى ، فيقول : ياليتني كنت في الدنيا طس  
صورة خنزير رزقي كرزقه ، وكنت اليوم في الآخرة تراباً " وذكر مقاتل بن سليمان في  
تفسيره (ق ٣٨٤/ب) نحو هذا الكلام ولكن ليس عنده ذكر الخنزير ، وهذا ليس  
عليه دليل من الكتاب والسنة .

يمكث أحقاباً ، وذكر الحقب كما بينا من ذكر الثمانين (١) .

والأشور الثاني : ماروى عن ابن سمود فى بقاء النعيم لأهل الجنة والعذاب لأهل النار ، وهو ماروى السدى (٢) عن مروة (٣) عن عبد الله أنه قال : لو علم أهل النار أنهم يمكثون فى النار عدد الحصى سنين ثم يخرجون منها الفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يمكثون فى الجنة عدد الحصى سنين ثم يخرجون منها الحزنوا (٤) . والأشوران غريبان .

(١) أخرجه البزار فى مسنده ( كما فى تفسير ابن كثير ) (٤ / ٤٦٣) والشعلبى فى الكشف والبيان (١٣ / ٢٧ / ١) بسندهما عن سليمان بن مسلم عن سليمان التيمي عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً ، والحقب بضع وثمانون سنة ، كل سنة ثلاث مائة وستون يوماً ، كل يوم ألف سنة مما تعدون ، فلا يتكلم أحد على أن يخرج من النار . لم يذكر البزار الجطة الأخيرة .

وأورد السيوطى فى الدر المنثور (٦ / ٣٠٨) وعزا تخريجه أيضاً إلى ابن مردويه والديلمي . وفى الإسناد سليمان بن مسلم قال فيه ابن حبان : " لاتحل الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار " المجروحين ٢ / ٣٣٢ .

وقد ذكر الذهبى فى ميزان الاعتدال (٢ / ٢٢٣) هذا الحديث وحد يشاً آخر ثم قال : هما موضوعان فى نقدي " .

(٢) هو اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير .

(٣) هو مروة بن شراحيل الهمدانى ( بسكون الميم ) أبو اسماعيل الكوفى يقال له : مروة الطيب ، ومروة الخير ، الكوفى المفسر العابد ، قال فيه ابن حجر : ثقة عابد .

وقال الداودى : يقال : إنه سجد حتى أكل التراب جبهته . وكان بصيراً بالتفسير ! وهو مخضرم ، مات سنة ست وسبعين وقيل بعد ذلك .  
تقريب التهذيب (٢ / ٣٣) طبقات المفسرين (٢ / ٣١٧ - ٣١٨) .

(٤) لم أجد من أخرج هذا الأثر .

وأورد البغوى والنخازن فى تفسيرهما (٧ / ٢٠٦) ، قال : روى السدى عن مروة عن عبد الله قال : لو علم أهل النار . . . ثم ذكره إلى آخره .

- تفسير سورة والنازعات وهي مكية والله أعلم -

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( والنازعات غرقا ) فيه أقوال أظهرها : أنه الملائكة تنزع أرواح الكفار بشدة . وهو قول ابن عباس وجماعة - وروى مثله عن ابن مسعود وفي رواية مسروق .<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

( ١ ) صرح الماوردي في تفسيره ( ٣٩٠ / ٤ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٤ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٠ / ١٩ ) الإجماع على أن هذه السورة مكية بألفها ، انظر أيضا دلائل النبوة للبيهقي ( ١٤٢ / ٧ ) .

( ٢ ) هذا ليس قول ابن عباس . بل ورد عنه في رواية : أنها الملائكة تنزع نفوس بني آدم - على الإطلاق - رواه عطية العوفي عنه - وهو رواية عن مجاهد أيضا . انظر تفسير الطبري ( ٢٧ / ٣٠ ) وزاد المسير ( ١٤ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٩٠ / ١٩ ) وروح المعاني ( ٢٣ / ٣٠ ) .

وأما القول بأنها الملائكة تنزع أرواح الكفار فهو مروى عن عبد الله بن مسعود وغيره ، كما سيأتي ذكره .

( ٣ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣١١ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وأبي حاتم . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٤ / ٩ ) وقال : قاله علي وابن مسعود . انظر أيضا تفسير القرطبي ( ١٩٠ / ١٩ ) .

أما الماوردي فذكر في تفسيره ( ٣٩٠ / ٤ ) في معنى النازعات ستة أقاويل : أحدها : أنه الملائكة تنزع نفوس بني آدم ، وعزاه إلى ابن مسعود ومسروق .

( ٤ ) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة الكوفي - ثقة فقيه عابد مخضرم .

ما تسنه اثنتين ، ويقال : سنة ثلاث وستين . تقريب التهذيب ( ص ٣٣٤ ) وقد عزا هذا القول إلى مسروق الماوردي في تفسيره ( ٣٩٠ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٤ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٠ / ٩ ) .

وروى ابن جرير في تفسيره ( ٢٧ / ٣٠ ) بسنده عن مسروق أنه كان يقول في النازعات : هي الملائكة . وقد نسب هذا القول إلى سعيد بن جبير وأبي صالح وأبي الضحى والصدى . انظر تفسير الطبري ( ٢٧ / ٣٠ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٦ / ٤ ) وقال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٥١٢ ) : يقال : هي الملائكة تنزع النفوس إغراقاً كما يفرق النازع في القوس .

قوله ( غرقا ) أى إغراقاً يقال : أغرق فى النزع إذا بلغ الغاية (١) .  
 وعن الحسن : أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق أى تطلع وتغرب (٢) .  
 وعن عطية بن أبى رباح (٣) / : أنها القيسي (٤) - وهو من : نزع القوس ٣١٤ ب/

(١) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٤/٧ ) " والفرق اسم أقيم مقام الإغراق  
 أى ( والنازعات إغراقاً ) والمراد بالإغراق المبالغة فى المد " .  
 وقال أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤١٩/٨ ) . " وغرقاً إغراقاً ، وهى  
 المبالغة فى الفعل ، أو غرقاً فى جهنم يعنى نفوس الكفار " .  
 وقال القوطى فى تفسيره ( ١٩١/١٩ ) " وأراد بالإغراق : المبالغة فى  
 النزع ، وهو سائغ فى جميع وجوه تأويلها " .  
 انظر أيضاً لسان العرب . ( ٢٨٤/١ )

(٢) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٢٧/٣٠ - ٢٨ ) ورواه عن الحسن وقتادة .  
 وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٩٠/٤ ) من قول الحسن وقتادة . وانظر أيضاً  
 تفسير مجاهد ( ٧٢٥/٢ ) .  
 وهو قول قتادة وابن كيسان وأبى عبيدة والأخفش ، انظر مجاز القرآن ( ٢٨٤/٢ )  
 وتفسير البغوى ( ٢٠٤/٧ ) وزاد المسير ( ١٤/٩ ) وتفسير القوطى  
 ( ١٩٠/١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٦/٤ ) وذكر هذا القول الزمخشري  
 فى الكشاف ( ٦٩٣/٤ ) دون عزو إلى أحد وقال : وإغراقها فى النزع  
 أن تقطع الظلك كله حتى تنحط فى أقصى المغرب ، والتي تخرج من برج  
 إلى برج " .

(٣) هو عطية بن أبى رباح ( بفتح الراء والموحدة ) واسم أبى رباح أسلم ، أبو محمد  
 القرشى مولاهم المكى ، مقتى أهل مكة ومحدثهم ولد فى خلافة عثمان  
 وقيل : فى خلافة عمر .  
 قال ابن جرير : كان المسجد فراشه عشرين سنة ، وكان من أحسن  
 الناس صلاة " .

وقال عبد الله بن عباس : يا أهل مكة تجتمعون على عطية وعندكم عطية ؟ .  
 وقال الذهبى : مناقب عطية فى العلم والزهد والتأله كثيرة .  
 وقال ابن حجر : ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال .  
 مات سنة أربع عشرة ومائة على المشهور .  
 تذكرة الحفاظ ( ٩٨/١ ) وتقريب التهذيب ( ٢٣٩ ) .

(٤) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٢٨/٣٠ ) ورواه بسنده عن عطية وذكره أيضاً الماورى  
 فى تفسيره ( ٣٩٠/٤ ) من قول عطية ، وهو قول عكرمة أيضاً .  
 انظر تفسير البغوى ( ٢٠٤/٧ ) وزاد المسير ( ١٥/٩ ) وتفسير القوطى ( ١٩١/١٩ )  
 والبحر المحيط ( ٤١٩/٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٦/٤ ) .



والإغراق فيه <sup>(١)</sup> وقوله ( والناشِطَاتِ نَشِطًا ) على القول الأول : هي الملائكة  
أيضا تنشط أرواح الكفار أي : بحذبها بسرعة <sup>(٢)</sup> ، قال الشاعر <sup>(٣)</sup> :  
أَمَسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ الْمُنَاشِطَا      الشَّامِ بِسَطَوْرًا وَطَوْرًا وَسِطًا <sup>(٤)</sup>

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٨٤/١٠) "أَغْرَقَ النَّبِيلَ وَغَرَّقَهُ : بَلَغَ بِهِ  
غَايَةَ الْمَدِّ فِي الْقَوْسِ .

وَأَغْرَقَ النَّازِعَ فِي الْقَوْسِ أَي اسْتَوْفَى مَدَّهُمَا .  
واقصر المؤلف في معنى النازعات على هذه الأقوال الثلاثة وهناك أقوال أخرى  
رويت عن أئمة التفسير . فقول : إنه الموت ينزع النفوس - قاله مجاهد .  
وقيل : إنها النفس حين تنزع ، قاله السدي .  
وقيل : إنها الوحوش تنزع من الكلاً وتنفر ، حكاه يحيى بن سلام .  
وقيل : إنها الرماة . حكاه الثعلبي .

انظر تفسير الطبري (٢٨/٣٠) وتفسير الماوردي (٢٠٤/٧) وزاد المسير  
(١٥٠-١٤/٩) وتفسير القرطبي (١٩٠/١٩ - ١٩١) وتفسير ابن كثير (٤٦٦/٤)  
وقال ابن كثير : والصحيح الأول وطيه الأكثرون يعني القول بأنها الملائكة .

(٢) هو قول علي بن أبي طالب وابن عباس في رواية ونقل البغوي في تفسيره (٤٠٤/٧)  
وابن الجوزي في زاد المسير (١٥/٩) والقرطبي في تفسيره (١٩٢/١٩) عن علي  
رضي الله عنه أنه قال : هي الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والأظفار  
حتى تخرجها من أجوافهم نشطاً بالكرب والفهم (وزاد القرطبي) كما تنشط الصوف  
من سفود الحديد . والقرطبي هو الذي عزا هذا القول إلى ابن عباس أيضاً .  
وقال أيضاً : وهي من النشط بمعنى الجذب ، يقال : نشطت الدلو أنشطتها  
بالكسو ، وأنشطتها بالضم : أي نزعها .

(٣) هو هيمان بن قحافة - وقد جاء في تفسير الماوردي همام بن قحافة - والصحيح  
الأول كما صرحت به أكثر المصادر المعتبرة مثل الصحاح للجوهري ٢٢٦٤/٣  
ولسان العرب ٤١٥/٧ .

(٤) أنشده الجوهري في الصحاح (١١٦٤/٣) وابن منظور في لسان العرب  
(٤١٥/٧) والثعلبي في تفسيره (١٤/٣٤) والماوردي في تفسيره (٣٩٠/٤)  
- (٣٩١) وابن الجوزي (١٦/٩) والقرطبي في تفسيره (١٩٢/١٩) .  
واستشهدوا به على أن النازعات هي الوحوش تنشط من بلد إلى بلد أو أنها النجوم  
تنشط من سرج إلى برج كالشور الناشط من بلد إلى بلد ، والهجوم تنشط  
الإنسان من بلد إلى بلد .  
وانشده ابن جرير أيضاً واستشهد به على أن الناشطات تعمم كل شيء من صفته ينشط .  
انظر تفسيره (٢٩/٣٠) .

(١) والنشط في اللغة : هو الجذب . ويقال : تجذب روح الكفار كما يجذب السفود<sup>(١)</sup> من الصوف الرطب<sup>(٢)</sup> ، وقيل : إِنَّ مَعْنَى النَّاشِطَاتِ أَخْذَ الْمَلَائِكَةِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَهْوَةٍ كَمَا يَنْشِطُ الْبَعِيرُ مِنَ الْعَقَالِ<sup>(٣)</sup> ، وفي الأخبار : إِنَّهُ الْمَلَائِكَةُ تَأْخُذُ رُوحَ الْكُفَّارِ بِغَايَةِ الشَّدَةِ فَإِذَا بَلَغَتْ ثَرْقُوتَهُ رَدَّوْا الرُّوحَ فِي جَسَدِهِ ثُمَّ نَزَعَتْهُ هَكَذَا قَرَأَتْ عَقُوبَةَ لَهُ

(١) يقال : نَشِطَ الدَّلْوُ مِنَ الْبَيْتْرِ يَنْشِطُهَا وَيَنْشِطُهَا نَشْطًا : نَزَعَهَا وَجَذَبَهَا مِنْ الْبَيْتْرِ صُعْدًا بِغَيْرِ قَامَةٍ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : بَيْتْرٌ أَنْشَاطٌ : أَي قَرْيَةٌ الْقَعْرُ وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهَا الدَّلْوُ بِجَذْبَةٍ وَاحِدَةٍ .

انظر الصحاح ( ١١٦٤ / ٣ ) ولسان العرب ( ٤١٤ / ٧ ) . انظر أيضا تفسير القرطبي ( ١٩٢ / ١٩ ) وتفسير الرازي ( ٢٧ / ٣١ ) .

(٢) السَّفُودُ وَالسُّفُودُ : بِالتَّشْدِيدِ : حَدِيدَةٌ ذَاتُ شُعَبٍ مُعَقَّقَةٌ مَعْرُوفٌ يُشَوَّى بِهَ اللَّحْمِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ ( ٢١٨ / ٣ ) .

(٣) ذكر البغوي في تفسيره ( ٢٠٤ / ٧ ) عن مقاتل أنه قال : " ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل ، فتخرج نفسه كالفریق في الماء " .  
انظر أيضا تفسير مقاتل ( ق / ٣٨٤ ) .

(٤) هو قول ابن عباس ، ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩٠ / ٤ ) قال : هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة ، كنشط العقال . قاله ابن عباس .  
وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٥ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩١ / ٩ ) عن ابن عباس نحوه .

وحكى هذا القول الفراء في معاني القرآن ( ٢٣٠ / ٣ ) قال : يقال : إنَّهَا تَقْبِضُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ كَمَا يَنْشِطُ الْعَقَالُ مِنَ الْبَعِيرِ ، وَالذِّي سَمِعْتَ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا : أَنْشَطْتُ وَكَأَنَّمَا أَنْشِطُ ، مِنْ عَقَالٍ ، وَرِبْطُهَا : نَشِطُهَا ، فَإِذَا رِبْطُهَا الْحَبْلُ فِي يَدِ الْبَعِيرِ فَأَتَتْ نَاشِطًا ، وَإِذَا حَلَلْتَهُ فَقَدْ أَنْشِطْتَهُ وَأَنْتَ مَنْشِطٌ " . ولهذا قال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٥١ ) عند هذه الآية : هي الملائكة تقبض نفس المؤمن وتنشطها كما ينشط العقال : أي يربط " .

وذكر القرطبي قول الفراء ثم نقل عن الليث أنه قال : ويقال : نشط بمعنى أنشط لغتان بمعنى - وقال القرطبي : وعليه يصح قول ابن عباس المذكور أولاً " ، يعني الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال في يد البعير : إنَّهَا حَلَّ عَنْهُ " . وقد ذكر القرطبي في تفسيره ( ١٩١ / ١٩ - ١٩٢ ) عن ابن عباس قولين آخرين . أحدهما : هي أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت إلا وتعرض عليه الجنة قبل أن يموت - فيرى فيها ما أعد الله له من أزواجه وأهله من الحور العين فهم يدعون إليها ، وهذا القول ذكره أيضا البغوي في تفسيره ( ٢٠٤ / ٧ ) . والثاني : أنها أنفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقاب الذي يعقب به السهم .  
وعنه أيضا : الناشطات : الملائكة لنشاطها ، تذهب وتجيء بأمر الله حيثما كان " .

ويأخذ روح المؤمن بسرعة وسهولة<sup>(١)</sup> والقول الثاني : **إِنَّ النَّاشِطَاتِ** : هي النجوم<sup>(٢)</sup>  
على ما ذكرنا عن الحسن ، والمراد : سرعة سيرها ويقال رجوعها من المغرب إلى مطالعها  
وذلك في السبع السيارة ، وهو في معنى قوله تعالى ( **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ، الْجَوَارِ الْكُنُوسِ** )<sup>(٣)</sup>  
على ماسنين ، ذكره النقاش<sup>(٤)</sup> .

(١) ذكر البغوي في تفسيره (٢٠٤/٧) عن ابن مسعود أنه قال : " ينزعها ملك  
الموت من تحت كل شجرة ومن الأظافر وأصول القدمين ويوردها في جسده بعد  
ما ينزعها حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده بعد ما ينزعها ، فهذا عطه بالكفار"  
وورد في حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده  
(٢٨٢/٤) بسنده عن زاذان عنه مرفوعاً : **إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي نَفْسِ**  
**انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضَ الْوُجُوهِ كَأَنَّ**  
**وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنَ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ**  
**عِنْدَ الْبَصْرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : أَيَّتْهَا**  
**النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ : فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ**  
**الْقَطْرَةُ مِنَ فِي السَّقَاءِ . . . . . الْحَدِيثُ .**

وجاء فيه أيضاً : **وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ**  
**الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوَدَ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمَسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ عِنْدَ**  
**الْبَصْرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكَ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ**  
**أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ ، قَالَ : فَتَخْرُجُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا**  
**يَنْتَزِعُ السَّفُوفَ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ . . . الْحَدِيثُ .**

(٢) هو قول الحسن وقادة وأبي عبيدة والأخفش . انظر مجاز القرآن (٢٨٤/٢) ،  
وزاد المسير (١٦/٩) .  
انظر أيضاً تفسير الطبري (٢٩/٣٠) وتفسير الماوردي (٢٩٠/٤) وتفسير البغوي  
(٢٠٤/٧) وتفسير القرطبي (١٩٢/١٩) .

(٣) سورة التكويد الآية ١٥ - ١٦ .

(٤) ذكر الزمخشري في الكشاف (٦٩٣/٤) في معناه : أنها تخرج من برج إلى برج  
من قولك " ثور ناشط " إذا خرج من بلد إلى بلد .  
وأورد الرازي في تفسيره (٣٠/٣١) كلام الزمخشري . ثم قال : يوجع حاصل هذا  
الكلام إلى أن قوله ( والنازعات غرقا ) إشارة إلى حركتها اليومية ، ( والناشطات  
نشطا ) إشارة إلى انتقالها من برج إلى برج ، وهو حركتها المخصوصة بها في أفلاكها  
الخاصة ، والعجب أن حركاتها اليومية قسرية ، وحركتها من برج إلى برج ليست  
قسرية ، بل ملائمة لذواتها ، فلا جرم عبر عن الأول بالنزع وعن الثاني بالنشط .  
قال الألويسي في روح المعاني (٢٤/٣٠) بعد سرد له لما قيل في معنى هذه  
الكلمات الخمس : ولا يخفى أن أكثر هذه الأقوال لا يليق بشأن جزالة التنزيل وليس  
له قوة مناسبة للمقام ، ومنها ما فيه قول بما عليه أهل الهيئة المتقدمون من الحركة  
الإرادية للكوكب وهي حركتها الخاصة ونحوها مما ليس في كلام السلف ولم يتم عليه  
برهان ، وإنما قال بخلافه المحدثون من الفلاسفة .

والقول الثالث : **يُنْهَى الْأَوْهَاقُ** <sup>(١)</sup> ، قوله تعالى ( والسابحات سبحاً ) عطسى  
القول الأول : هي الملائكة ، وسبحها : سيرها بين السماء والأرض <sup>(٢)</sup> ، وعلى القول

(١) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٣٨٦/١٠ ) **الْأَوْهَاقُ** جمع وَهَقٍ بالتحريك  
وقد يسكن وهو جبل كالطَّوَل تشد به الإبل والخيل لثلاثين . وهذا قول  
عطاء وعكرمة .

انظر تفسير الطبري ( ٢٩/٣٠ ) وتفسير البغوي ( ٢٠٤/٧ ) وتفسير الماوردي  
( ٣٩٠/٤ ) وتفسير القرطبي ( ١٩٢/١٩ ) .

واكتفى المؤلف كالسابق في معنى ( الناشطات ) على ثلاثة أقوال فقط ، وقد  
ذكرت فيه أقوال أخرى ، منها : أنه الموت ينشط نفس الإنسان ، قاله مجاهد .  
وقيل : هي النفس حيث نشطت بالموت ، قاله السدي . وقيل : هي الوحش تنشط  
من بلد إلى بلد . وتقدم عن ابن عباس عدة أقوال فيها .

انظر المصادر السابقة وزاد المسير ( ١٥/٩ - ١٦ ) وفي الناشطات أيضاً  
توقف ابن جرير فلم يقطع بشئ من هذه الأقوال ، واختار ابن قتيبة في تفسير القرآن  
( ص ٥١٢ ) . أنها الملائكة تقبض نفس المؤمن وتنشطها .

وذهب الرازي في تفسيره ( ٢٧/٣١ ) إلى أن قوله ( والنازعات غرقا ) إشارة  
إلى كيفية قبض أرواح الكفار ، والثاني : إشارة إلى كيفية قبض أرواح المؤمنين .  
انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٩٢/١٩ ) .

(٢) قد ذهب عدد يد من المفسرين في تفسير ( السابحات ) إلى أنها الملائكة ، ولكنهم  
اختلفوا في توجيه معنى السبح = فروى ابن جرير في تفسيره ( ٣٠/٣٠ ) بسند عن  
مجاهد قال في قوله ( والسابحات سبحاً ) : الملائكة . ثم قال ابن جرير : فإن يكن  
ما ذكرنا عن ابن حميد ( الذي روى من طريقه هذا الأثر ) صحيحاً فإن مجاهداً كان  
يروى أن نزول الملائكة من السماء سباحة . وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٩٣/١٩ )  
فقال : وعن مجاهد أيضاً : الملائكة تسبح في نزولها وصعودها .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٩١/٤ ) عن ابن مسعود والحسن أنهما قالوا :  
هي الملائكة سبحوا إلى طاعة الله من بني آدم . وذكر البغوي في تفسيره  
( ٢٠٤/٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٣/١٩ ) عن مجاهد وأبي صالح قال : هم  
الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد . وهو قول الغزالي أيضاً . انظر معاني  
القرآن ( ٢٣٠/٣ ) وزاد المسير ( ١٦/٩ ) وذكر ابن الجوزي في زاد المسير  
( ١٦/٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٣/١٩ ) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
قال : هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين ، وعن الكلبي قال : هي الملائكة تقبض  
أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء ، فأحياناً ينغمس وأحياناً يرتفع ، يسلمونها  
سلاً رقيقاً بسهولة . ثم يدعونها حتى تستريح . وهو اختيار البغوي والخازن في  
تفسيرهما ( ٢٠٤/٧ - ٢٠٥ ) .

الثاني : إنها النجوم ، وسبحها : سيرها في الفلك <sup>(١)</sup> ، والقول الثالث : إنها الخيل ، وسبحها : سرعة جريها <sup>(٢)</sup> - يقال للفارس الجواد سابع <sup>(٣)</sup> .

قوله ( فالسباقات سبقا ) على القول الأول : هي الملائكة ، وسبقها مبادرتها إلى الأعمال الصالحة والخيرات ، وقيل : سبقها هو المسابقة إلى تبليغ الوحي قبل استراق الشياطين السمع <sup>(٤)</sup> . وعلى القول الثاني : هي النجوم تسبق بعضها بعضاً فسي السير <sup>(٥)</sup> . وعلى القول الثالث : هي الخيل أيضاً يسبق بعضها بعضاً عند المسابقة <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) هو قول قتادة والحسن وأبي عبيدة قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٦ / ٩ ) : إنها النجوم والشمس والقمر ، " كل في فلك يسبحون " انظر أيضاً مجاز القرآن ٤٨٤ / ٢ وتفسير الماوردي ( ٣٩١ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ٢٠٤ / ٧ ) وتفسير الرازي ( ٣٠ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ١٩٣ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٦ / ٤ ) .

( ٢ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩١ / ٤ ) وقال : حكاه ابن شجرة . واستشهد بقول عنتره :  
والخيل تعلم حين تسبح  
في حياض الموت سبوحاً  
انظر أيضاً تفسير البغوي ( ٢٠٤ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٦ / ٩ ) ، وتفسير القرطبي ( ١٩٣ / ١٩ ) .

( ٣ ) قال الجوهري في الصحاح ( ٣٧٢ / ١ ) " وسبح الفرس : جزيه . وهو فرس سابع " ، وقال ابن منظور في لسان العرب ( ٤٧٠ / ٢ ) " والسوايح : الخيل لأنها تسبح ، وهي صفة غالبية " .

( ٤ ) قد ذهب إلى أن ( السباقات ) هي الملائكة . عديد من المفسرين ولكنهم اختلفوا في معنى السبق على أقوال . أحدها : أنها سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح حكاه البغوي في تفسيره ( ٢٠٤ / ٧ ) عن مجاهد ، والقرطبي في تفسيره ( ١٩٣ / ١٩ ) عن مجاهد وأبي رزق .

الثاني : أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام حكاه الماوردي في تفسيره ( ٣٩١ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٧ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٣ / ٩ ) عن علي بن أبي طالب ومسروق ، وزاد القرطبي فعزاه إلى مجاهد أيضاً .

الثالث : أنها سبقت إلى الإيمان والتصديق به ، حكاه الماوردي في تفسيره ( ٣٩١ / ٤ ) وابن الجوزي في تفسيره ( ١٧ / ٩ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤٦٦ / ٤ ) عن الحسن .

الرابع : أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة " حكاه البغوي في تفسيره ( ٢٤٠ / ٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٣ / ١٩ ) عن مقاتل وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٧ / ٩ ) عن مجاهد وأبي رزق .

( ٥ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٣١ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن قتادة وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩١ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ٢٠٤ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٧ / ٩ ) وابن كثير ( ٤٦٦ / ٤ ) كلهم من قول قتادة . وحكاه القرطبي في تفسيره ( ١٩٣ / ١٩ ) عن قتادة والحسن ومعمر .

( ٦ ) هو قول عطاء . قال ابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ٣٠ ) وقال آخرون : بل هي الخيل السابقة ثم روى بسنده عن عطاء ( فالسباقات سبقا ) قال : الخيل . وذكره الماوردي ( ٣٩١ / ٤ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٠٤ / ٧ ) وابن الجوزي ( ١٧ / ٩ ) وابن كثير ( ٤٦٦ / ٤ ) كلهم قالوا : قال عطاء : هي الخيل . وحكاه عنه القرطبي في تفسيره ( ١٩٣ / ١٩ ) بقوله : هي الخيل التي تسبق إلى الجهاد " .

وقيل : إنها النفوس تسبق إلى الخروج عند الموت .<sup>(١)</sup> وقد ذكر السدي أيضا :  
 أن معنى (النازعات) هي النفوس والأرواح تنزع عند الموت ، وقوله تعالى (فالمندبرات  
 أمرا) هي الملائكة في قول الجميع ،<sup>(٣)</sup> إلا ما روى في رواية غريبة برواية خالد بن  
 معدان<sup>(٤)</sup> عن معاذ بن جبل : أنها النجوم .<sup>(٥)</sup> فمعنى التدبير من الملائكة هو

(١) هو قول الربيع - حكاه الماوردي (٣٩١/٤) والقرطبي في تفسيره (١٩٣/١٩) ،  
 وذكر البغوي في تفسيره (٢٠٤/٧) والقرطبي في تفسيره (١٩٣/١٩) عن ابن مسعود  
 قال : هي أنفس المؤمنين تتسارع وتسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقاً إلى لقاء  
 الله وكرامته وقد عاينت السرور\* وحكى الماوردي في تفسيره (٣٩١/٤) وابن الجوزي  
 في زاد المسير (١٧/٩) والقرطبي في تفسيره (١٩٣/١٩) عن مجاهد قال : أنه الموت  
 يسبق الإنسان\* .

(٢) تقدم عند قوله تعالى (والنازعات غرقا) انظر ص (٣٨٢) .

(٣) ذكر القرطبي عن القشيري الإجماع على أن المراد الملائكة . وصرح النحاس وابن كثير  
 بأنهم لم يختلفوا في هذا . انظر اعراب القرآن (٦١٦/٣) وتفسير القرطبي  
 (١٩٤/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٦٦/٤) ولم يذكر فيه ابن جرير الطبري والبغوي  
 وابن الجوزي وغيرهم . سوى هذا القول ، وأما الماوردي فقال : فيهم قولان : أحدهما :  
 هي الملائكة ، قاله الجمهور . الثاني هي الكواكب السبعة ، حكاه خالد بن معدان  
 عن معاذ بن جبل . .

(٤) هو خالد بن معدان الكلابي الحمصي أبو عبد الله شيخ أهل الشام حدث عن خلیق  
 من الصحابة ، وأكثر ذلك مرسل ، قال الذهبي : هو معدون في أئمة الفقه ، وثقه  
 ابن سعد والبخاري ويعقوب بن شيبة وابن خراش والنسائي ، وقال ابن حجر : ثقة  
 عابد يرسل كثيراً . مات سنة ثلاث ومائة ، وقيل بعد ذلك .  
 انظر سير أعلام النبلاء (٥٣٦/٤) وتقريب التهذيب ٩٠ .

(٥) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري . الخزرجي أبو عبد الرحمن ، من أعيان  
 الصحابة ، شهد بدرًا وما بعدها وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن .  
 ومناقبه كثيرة جداً ، قيل : إنه كان من أفضل شباب الأنصار حليماً وحياءً وسخياً ، مات  
 بالشام سنة ثمان عشرة بالمشهور .  
 انظر الإصابة (٤٢٦-٤٢٧) وتقريب التهذيب (٣٤٠) .

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٩١/٤) والقرطبي في تفسيره (١٩٤/١٩) وأبو حيان في  
 البحر المحیط (٤١٩/٨) وأشار إليه الأکوسی في روح المعاني (٢٥/٣٠) فقال :  
 " وفي حمل المندبرات على النجوم إيهام صحة ما يزعمه جهلة المنجمين وهو باطل عقلاً  
 ونقلًا\* هـ . وليبطلان هذا القول عقلاً ونقلًا استغرب المؤلف روايته عن معاذ بن جبل  
 فوصفها بأنها غريبة\* .

ما جعل الله إليهما من الأمور (١) .

قال عبد الرحمن بن سابط (٢) : قال جبريل الرياح والجنود وإلى ميكائيل القطر والنبات وإلى عزارئيل قبض الأرواح وإلى اسرافيل إنزال الأمور إليهم في هذه الأشياء إلى الملائكة (٣) . وأما إذا حطنا على النجوم فيجوز أن يعلق الله تعالى على مطالعها ومغاربها وسيورها أشياء وأضاف التدبير إليهما على طريق المجاز (٤) .

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٣٩١/٤) في تدبير الملائكة بالأمر وجهين :

أحد هما : تدبير ما أمرت به وأرسلت به .

الثاني : تدبير ما وكلت فيه من الرياح والأمطار .

انظر أيضا تفسير القرطبي (١٩٤/١٩) والبحر المحيط (٤١٩/٨) .

(٢) هو عبد الرحمن بن سابط ويقال : ابن عبد الله بن سابط وهو الصحيح ، ويقال : ابن عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي ، ثقة كثير الإرسال ، مات سنة ثمانى عشرة ومائة .

تقريب التهذيب (٢٠٢) .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٩١٣ ، رقم ٢٧٦) ، وأيضا (٨١٧ رقم ٣٧٨) من طريقين ، والبيهقي في شعب الإيمان (١/١/٤٨) صورة الشيخ حماد الأنصاري ( من طريق آخر عن عبد الرحمن بن سابط بلفظ : يدبر الأمور أربعة : جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ، فجبريل على السروح والجنود ، وميكائيل على القطر والنبات ، وملك الموت يقبض الأرواح ، وإسرافيل يلغهم ما يؤمرون به .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣١١/٦) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان ، وهو إسناد مقطوع وقد ورد نحوه في حديث مرفوع أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/٣٧٩ رقم ١٢٠٦) وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٧٤٣ - ٧٤٥ رقم ٢٩١) بسندهما عن ابن عباس وفي سننه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك . انظر فتح الباري (٣٠٧/٦) .

(٤) ذكر الماوردي في تفسيره (٣٩٢/٤) على هذا القول أيضا وجهين فقال : وعلسى

هذا في تدبيرها للأمر وجهان . أحد هما : تدبير طلوعها وأفولها ، الثاني : تدبير ما قضاه الله فيها من تقلب الأحوال .

وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤١٩/٨) بعد أن ذكر قول معان : " وإضافة التدبير إليها ( أى الكواكب ) مجاز ، أى يظهر تقلب الأحوال عند قرانها وتربيعها وتسديسها وغير ذلك " . وتقدم عن الأوكسى تضعيف هذا القول - ولم أهتد إلى من أخرج هذا الخبر عن معان بن جبل لمعرفة مدى صحته سنداً ، غير أن خالد بن معدان عرف بإرساله عن الصحابة .

واختلف القول في القسم في هذه الكلمات والمقسم عليه فأحد القولين أنه أقسم بهذه الأشياء ، والله أن يقسم من خلقه بما شاء<sup>(١)</sup> . والقول الثاني : أن معناه ( ورب النا زعات فذكر الرب مضمراً في هذه الكلمات وإنما أقسم بنفسه لا بهذه الأشياء<sup>(٢)</sup> ) فما الذي وقع عليه القسم ؟ . فيه قولان : أحدهما : أنه محذوف والمعنى لتبعثن ولتحاسبن \* وما أشبه ذلك<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩٢ / ٤ ) فقال : \* إنه أقسم بها وإن كانت مخلوقة ، لا يجوز لمخلوق أن يقسم بها لأن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه \* .

وقال القرطبي في تفسيره ( ١٩٤ / ١٩ ) \* ومن أول السورة إلى هنا قسم أقسم الله به ، والله أن يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لنا ذلك إلا به عز وجل \* .

( ٢ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩٢ / ٤ ) فقال : \* أن ذكرها بخالقها \* . وهذا الوجهان مما أجيب به عما ورد من قسم الله تعالى بمخلوقاته عامة .

انظر الإتيان ( ١٣٤ / ٢ ) .

( ٣ ) هو قول الفراء ، قال في معاني القرآن ( ٢٣١ / ٣ ) :

\* فهو مما ترك جوابه لمعرفة المعنى وكأنه لو ظهر كان : لتبعثن ، ولتحاسبن ، ويدل على ذلك قولهم : إذا كنا عظاماً نخرة \* ألا ترى أنه كالجواب لقوله \* لتبعثن \* إذ قالوا : إذا كنا عظاماً نخرة \* وذكره ابن جرير في تفسيره ( ٣٢ / ٣٠ ) وعزاه إلى بعض نحوبي الكوفة فذكره أيضاً أبو جعفر النحاس في أعراب القرآن ( ٦١٧ / ٣ ) وقال فيه إنه أصح الأقوال وأحسنها \* .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩٢ / ٤ ) والبغوي في تفسيره والخازن في تفسيره

( ٢٠٥ / ٧ ) والزمخشري في الكشاف ( ٦٩٣ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ٣٣ / ٣١ )

وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٨ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٤ / ١٩ ) وأبو حيان

في البحر المحیط ( ٤٢٠ / ٨ ) وصرح بعضهم بأن ذلك قول الفراء .

واختار الطبري أن جواب القسم محذوف ، وصرح أبو حيان بأن قول الفراء هو

المختار .



والقول الثاني : إن الذي وقع عليه القسم هو قوله تعالى ( إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ) قوله تعالى ( يوم ترجفُ الراجفة ) الرجف والراجفة : هي الاضطراب والزلازل الشديد وهو في معنى قوله تعالى ( إذا زلزلت الأرض زلزالها ) (٢) / ٣١٥  
وقيل : الراجفة هي الصيحة الأولى التي تميت بها الخلائق . (٣)  
وقوله : ( تَتَّبِعَهَا الزَّادِفَةُ ) فيه قولان - أحدهما : أنها القيامة . (٤)

(١) هو قول مقاتل . كما صرح بذلك الماوردي في تفسيره (٣٩٢/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (١٧/٩) . وذكره القرطبي في تفسيره (١٩٥/١٩) وقال : هذا اختصار الترمذي ابن طي ( أي الحكيم الترمذي ) وقد اعترض عليه أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٦١٧/٣) فقال بعد ذكره له : هذا بعيد ، لأنه قد تباعد ما بينهما . \*

وذكر القرطبي في تفسيره (١٩٥/١٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٢٠/٨) عن ابن الأنباري قال : وهذا قبيح ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما . \*

وذكر الرازي في تفسيره (٣٣/٣١) عن الأخفش والزجاج : أن الجواب (لننفضن في الصور نفختين) يدل على هذا المحذوف ذكر الراجفة والرادفة وهما نفختان .

وعن الكسائي : أن الجواب الضمر هو أن القيامة واقعة \* وذكر البغوي في تفسيره (٢٠٥/٧) والقرطبي في تفسيره (١٩٥/١٩) أنه قيل : فيه تقديم وتأخير ، وتقديمه : يوم ترجف الراجفة وتتبعها الرادفة والنازعات غرقا . \*

قال فيه أبو حيان : وليس بشيء ، انظر البحر المحيط (٤٢٠/٨) وفيه أقوال أخرى ، ولكنها لا تخلو من كلام واعترض ، والراجح هو ما تقدم أولاً ، انظر اعراب القرآن (٦١٧/٣) وتفسير القرطبي (١٩٥/١٩) والبحر المحيط (٤٢٠/٨) .

(٢) سورة الزلزلة الآية ١ ، وهو قول مجاهد .  
انظر تفسير مجاهد (٧٢٥/٢) وتفسير الطبري (٣٢/٣٠) وتفسير الماوردي (٣٩٢/٤) وتفسير القرطبي (١٩٥/١٩) والبحر المحيط (٤٢٠/٨) وتفسير ابن كثير (٤٦٦/٤) .

(٣) هو قول ابن عباس والحسن وقتادة .  
انظر تفسير الطبري (٣١/٣٠) وتفسير الماوردي (٣٩٢/٤) وتفسير البغوي (٢٠٥/٧) وزاد المسير (١٨/٩) والكشاف (٦٩٣/٤) وتفسير القرطبي (١٩٥/١٩) والبحر المحيط (٤٢٠/٨) وتفسير ابن كثير (٤٦٦/٤) وهذا القول هو الصواب ، اختاره الفراء في معاني القرآن (٢٣١/٣) .

(٤) قال الماوردي في تفسيره (٣٩٢/٤) بعد أن ذكر في الآية ثلاثة أقوال : ويحتمل (رابعا) أن الراجفة : أشارت الساعة والرادفة : قيامها .  
وحكى القرطبي في تفسيره (١٩٥/١٩) عن عبد الرحمن بن زيد قال : الراجفة : الأرض والرادفة : الساعة .

والآخر : أنها الصحيحة الثانية<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس : ان بينهما أربعين سنة تمطر السماء في هذه الأربعين فتتهتز الأرض وتنبت الناس في القبور ثم يرد إليهم أرواحهم في الصحيحة الثانية<sup>(٢)</sup> .  
 وقوله تعالى ( قلوبٌ يومئذٍ اجفةٌ ) أى مضطربة<sup>(٣)</sup> ، يقال وجف يجف ووجب يجب بمعنى واحد<sup>(٤)</sup> . وقيل : واجفة أى وجلة<sup>(٥)</sup> ، وقوله ( أبصارها خاشعة ) أى ذليله وقوله ( يقولون ) هذا إخبار عن قولهم في الدنيا : أى يقولون في الدنيا<sup>(٦)</sup> ( أننا لمرودون في الحافرة ) أى إلى أول أمرنا .

( ١ ) ذهب إليه من تقدم عنهم أن الراجفة هي الصحيحة ، وهذا هو الصواب ، واختاره الفراء .

( ٢ ) لم أجد من ذكر عن ابن عباس هذه الرواية . وذكر ابن حجر في فتح الباري ( ٥٥٢/٨ ) أن ابن مردويه أخرج من وجه ضعيف عن ابن عباس قال : ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة . وروى ابن جرير في تفسيره ( ٣٠/٣١ ) بسنده عن قتادة في قوله تعالى ( يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ) قال : هما الصيحتان أما الأولى فتعميت كل شيء ، بإذن الله ، وأما الأخرى فتحيى كل شيء ، بإذن الله ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " بينهما أربعون " قال أصحابه والله ما زادنا على ذلك ، وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يبعث في تلك الأربعين مطر يقال له الحياة . حتى تطيب الأرض وتهتز ، وتنبت أجساد الناس نبات البقل ، ثم تنفخ الثانية فإذا هم قيام ينظرون .  
 أما قوله " ( بينهما أربعون ) فقد ورد في حديث أبي هريرة مرفوعاً متصلاً أخرجه البخاري في صحيحه ( ٥٥١/٨ ، رقم ٤٨١٤ ) .

( ٣ ) حكى القرطبي في تفسيره ( ١٩٦/١٩ ) عن المبرد أنه قال : مضطربة " وقال البغوي في تفسيره ( ٢٠٦/٧ ) عند هذه الآية : " خائفة طقة مضطربة " . وقال القرطبي في تفسيره ( ١٩٦/١٩ ) " أى خائفة وجلة ، قاله ابن عباس ، وعليه عامة المفسرين ، انظر أيضاً تفسير الطبري ( ٣٠/٣٣ ) وتفسير الماوردي ( ٣٩٢/١٩ ) وزاد المسير ( ١٨/٩ ) .

( ٤ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٣٥٢/٩ ) " وَجَفَ الشَّيْءُ : إِذَا اضْطَرَبَ ، وَوَجَّفَ الْقَلْبُ وَجِيفًا : خَفَقَ وَقَالَ أَيضًا ( ٧٩٤/١ ) " وَجَبَّ الْقَلْبُ يَجِبُّ وَجَبًّا وَوَجَّيْبَسًا وَوَجُّوبًا وَوَجَّبَانًا : خَفَقَ وَاضْطَرَبَ " انظر أيضاً الصحاح ( ٤/٤٣٧ ) ، وتفسير البغوي ( ٢٠٦/٧ ) وتفسير القرطبي ( ١٩٦/١٩ ) .

( ٥ ) ذكره البغوي في تفسيره ( ٢٠٦/٧ ) عن مجاهد . وذكر هو والقرطبي في تفسيره ( ١٩٦/١٩ ) عن السدي أنه قال : زائلة عن أماكنها ، نظيره : " لِإِذِ الْقُوتُ لَسَدَى الْحَنَاجِرِ " سورة غافر الآية ١٨ ، وذكر القرطبي عن الموح : طقة مستوفزة مرتكفة غير ساكنة " وقال بعد سرده لهذه الأقوال : والمعنى متقارب ، والمراد قلوب الكفار .

( ٦ ) قال أبو حيان في البحر المحيط ( ٨/٤٢٠ ) " ( يقولون ) حكاية حالهم في الدنيا والمعنى : هم الذين يقولون " .

والمعنى : أنرد أحياء بعد أن متنا على طريق الإنكار<sup>(١)</sup> - يقال : رجع فلان على حافرته إذا رجع من حيث جاء ، العرب تقول : النَّقْدُ عِنْدَ الْحَافِرَةِ أَي عِنْدَ أَوَّلِ كَلِمَةِ أَي فِي السُّؤْمِ<sup>(٢)</sup> . وقال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَاحٍ وَشَئِبٍ      مَعَانِدَ اللَّيْلِ مِنْ سَفَهِ وَعَارٍ<sup>(٤)</sup>

وقال السدي : ( أينا لمردون في الحافرة ) أي إلى الحياة<sup>(٥)</sup> ، وهو على ما ظننا

- (١) قال القرطبي في تفسيره (١٩٦/١٩) عند هذه الآية :
- "أي يقول هو" لا الكفار المكذبون المنكوبون للبعث ، إذا قيل لهم : انكم تبعثون ، قالوا منكرين متعجبين : أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنمسود أحياء كما كنا قبل الموت . وهو كقولهم "أنتنا لنبعثون خلقا جديدا" سورة الاسراء الآية ٤٩ .
- يقال : رجع فلان في حافرته ، وعلى حافرته ، أي رجع من حيث جاء . قاله قتادة . وقد حكاه أيضا من قول قتادة الماوردي في تفسيره (٣٩٣/٤) وهو اختبار ابن تسمية في تفسير غريب القرآن (ص ٥١٣) . انظر أيضا معاني القرآن للفراء ٢٣٢/٣ وتفسير الطبري (٣٣/٣٠) وتفسير البغوي (٢٠٦/٧) وزاد المسير (١٨/٩) والكشاف (٦٩٣/٤ - ٦٩٤) .
- (٢) انظر المفردات للراغب (ص ١٢٤) ومعاني القرآن (٢٣٢/٣) والصحاح (٦٣٥/٢) ولسان العرب (٢٠٥/٤ - ٢٠٦) .
- (٣) لم أتمكن من معرفته .
- (٤) البيتغير منسوب : في الصحاح (٦٣٥/٢) وتفسير غريب القرآن (ص ٥١٣) ، ولسان العرب (٢٠٥/٤) ، وفي تفسير الطبري (٣٣/٣٠) وتفسير الماوردي (٣٩٣/٤) وفيه "من جهل وطيش" بدل "من سفه وعار" . وزاد المسير ١٩/٩ والكشاف (٦٩٥/٤) وتفسير القرطبي (١٩٦/١٩ - ١٩٧) وذكر بعضهم : أن ابن الأعرابي أنشده .
- (٥) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣٤/٣٠) ورواه بسنده عن السدي وذكره الماوردي في تفسيره (٣٩٣/٤) فقال : "ان الحافرة الحياة بعد الموت ، قاله ابن عباس والسدي وعطية" .

وقيل : إلى النار<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى ( أَلَا إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً ) وقسرى  
( ناخرة )<sup>(٢)</sup> .

(١) هو قول ابن زيد . ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٣٤ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن ابن زيد وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩٣ / ٤ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٠٦ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٩ / ٩ ) وأبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦١٨ / ٣ ) كلهم من قول ابن زيد .

وحكاه القرطبي في تفسيره ( ١٩٧ / ١٩ ) من قول مقاتل وزيد بن أسلم وكذلك أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٢٠ / ٨ ) عن زيد بن أسلم . وذكرت قسى معنى الحافرة أقوال أخرى منها :

"أن الحافرة : الأرض التي تحفر فيها قبورهم فساها : الحافرة ، والمعنى المحفورة ، كما قيل : ماء دافق : يريد : مدفوق .  
ذكره الفراء في معاني القرآن ( ٢٣٢ / ٣ ) والطبري في تفسيره ( ٣٤ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن مجاهد .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩٣ / ٤ ) وقال : قاله ابن عيسى . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٨ / ٩ ) من قول مجاهد والخليل . واستشهد بالبيت السابق على هذا القول . فقال : قال ابن قتيبة في الحافرة : أي إلى أول أمرنا ، ومن فسرها بالأرض في إلى هذا يذهب ، لأننا منها بُدئنا . قال الشاعر :  
ثم أنشد البيت .

وغيره من المفسرين استشهدوا به على قول قتادة وهو الرجوع إلى أول الحال وابتداء الأمر - بمعنى الحياة بعد الموت - وهذا هو - والله اعلم - الصواب لأنه مؤيد باللفظة وكلام العرب .

(٢) ( ناخرة ) قراءة أبي بكر وحزمة والكسائي .

وأما الباقيون فقرواها ( نخرة ) بغير الألف . وحجة الذين قرأوا ( ناخرة ) أن رؤوس الآيات بالألف ، نحو الحافرة ، الرادفة والراجفة ، الساهرة ) . وحجة الذين قرأوا ( نخرة ) أن ما كان صفة منتظر لم يكن فهو بالألف ، وما كان وقسح فهو بغير ألف . وقيل : إنهما بمعنى واحد .

انظر التيسير ( ص ٢١٨ ) والكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٣٦١ / ٢ ) وحجبة القراءات ( ص ٧٤٨ ) . انظر أيضا تفسير الطبري ( ٣٠ - ٣٥ ) ومعاني القرآن ( ٢٣١ / ٣ ) واعراب القرآن ( ٦١٨ / ٣ ) وتفسير القرطبي ( ١٩٧ / ١٩ ) واختصار الفراء والطبري ( ناخرة ) بالألف لوفاق رؤوس الآيات . وقال النحاس : القراءتان حسنتان لان الجماعة نقلتهما .

قال الفراء : هما واحدة وهى البالية الغانية<sup>(١)</sup> - وعن أبى عمرو بن العلاء<sup>(٢)</sup> :  
 أن النخرة هى التى قد بليت ، والناخرة هى التى لم تبل بعد ، وعن وكيع<sup>(٣)</sup> : قال :  
 هى التى تدخل الريح فى جوفها فتخفر<sup>(٤)</sup> ، وهو منقول أيضا عن أهل اللغفة<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر معانى القرآن ( ٢٣١ / ٣ ) .

(٢) هو أبوعمر بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله المازنى النحوى القارى ،  
 أحد إقراء السبعة المشهورين اختلف فى اسمه على أحد وعشرين قولاً ،  
 منها أن اسمه كنيته ، وقيل : زيان ، وهو الأصح ، كذا ذكره السيوطى  
 وحكى ابن حجر : أن زيان أشهر والعريان أصح عند الصولى .  
 وقال السيوطى أيضا : وسبب الاختلاف فى اسمه أنه كان لجلالته لا يسأل عنه -  
 كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة .  
 وقال ابن حجر : ثقة من طمأ العربية \* مات سنة أربع وخمسين ومائة ، وهو  
 ابن ست وثمانين سنة .

تقريب التهذيب ( ٤١٩ ) بغية الوعاة ( ٢٣١ / ٢ ) .

(٣) ذكره القوطى فى تفسيره ( ١٩٨ / ١٩ ) قال : وقال أبوعمر بن العلاء : الناخرة  
 التى لم تنخر بعد ، أى لتتبل ولا بد أن تنخر \* .  
 وذكره الأوسى فى روح المعانى ( ٢٨ / ٣٠ ) قال : قال عمرو بن العلاء ( كذا ،  
 والصواب : أبوعمر ) النخرة التى قد بليت والناخرة التى لم تنخر بعد .

(٤) هو وكيع بن الجراح بن وليح الرواسى ( بضم الراء وهمزة ثم مهطة ) أبوسفیان  
 الكوفى ، الإمام الحافظ الثبت محدث العراق ، صاحب التفسير الذى رواه عنه  
 محمد بن اسماعيل الحسانى . ، قال أحمد بن حنبل : ما رأيت أوعى للمعلم ولا أحفظ  
 من وكيع \* وقال ابن حجر : ثقة حافظ عابد \* مات فى آخر سنة ست أو أول سنة  
 سبع وتسعين وله سبعون سنة . تقريب التهذيب ( ص ٢٦٩ ) طبقات المفسرين ٣٥٨ / ٢ .

(٥) لم أجد من ذكره عن وكيع ، وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٦ / ٧ ) بعد أن ذكر  
 القراءتين \* وهما الفتان مثل : الطمع والطامع والحذر والحاذر ، ومعناها البالية ،  
 وفرق قوم بينهما فقالوا : النخرة البالية ، والناخرة : المجوفة التى تمر فيها الريح  
 فتخرف أى تصوت . وذكر الماوردى عكس ذلك ، فقال : ومن قرأ ( ناخرة ) فى  
 الناخرة البالية ، والناخرة : التى تنخر فيها الريح . انظر تفسير الماوردى ٣٩٣ / ٤  
 انظر أيضا تفسير القوطى ١٩٨ / ١٩ وذكر الأزهري فى تهذيب اللغة ( ٣٤٥ / ٧ )  
 أنه قد فرق بعضهم بين الناخرة فقال : النخرة البالية ، والناخرة العظام  
 التى تمر فيها الرياح فتخرف \* . وذكر القوطى أقوالاً أخرى منها : " الناخرة :  
 التى أكلت أطرافها وبقيت أوساطها ، والناخرة : التى فسدت كلها . والصواب - والله  
 أعلم - هو ما ذكره الفراء بأن الكلمتين فى معنى واحد ، وهو قول غير واحد من اللغويين  
 انظر زاد المسير ( ١٨ / ٩ ) وتفسير الثعالبي ( ٣٨٤ / ٤ ) .

(٦) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ١٩٨ / ٥ ) : " نَخِرَتِ الخَشْبَةَ بالكسر ، نَخْرًا ، فهى  
 نَخْرَةٌ : بَلِيَّتٌ وَأَنْفَعَتْ أَوْ اسْتَرْخَتْ تَتَفَتَّتْ إِذَا مُسَّتْ ، وكذلك العظم ، يقال : عَظْمٌ  
 نَخِرٌ وَنَاخِرٌ ، وقيل : النَخْرَةُ من العظام البالية ، والناخِرَةُ التى فيها بقية " .

وقوله ( قالوا : تلك إذا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ) أى : رجعة ذات خسوان .  
 والمعنى : إِنَّا نَكُونُ فِي خَسَارٍ إِنْ رَجَعْنَا ، <sup>(٢)</sup> ويجوز أن يكون المراد : أنهم  
 يخسرون إذا رجعوا <sup>(٢)</sup> ، وعن الحسن قال : خاسرة أى كاذبة يعنى ليست  
 بكائنة <sup>(٣)</sup> - وقوله ( فإنما هى زجرة واحدة ) هو إخبار عن سهولة الأمر على الله  
 فى القهزم ، والزجرة الصحيحة <sup>(٥)</sup> وقوله ( فإذا هم بالساهرة ) القول المعسوف :

- ( ١ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٦/٧ ) عند هذه الآية : " رجعة خائبة - يعنى  
 إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيينا بعد الموت " . وقال ابن الجوزى فى  
 زاد المسير ( ١٩/٩ ) " أى : إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيينا  
 مما بعدنا به محمد " . وقال القرطبى فى تفسيره ( ١٩٨/١٩ ) .  
 " قبلى : هى كرة خُسران ، والمعنى : أهلها خاسرون كما يقال : تجارة  
 رابحة ، أى يوبح صاحبها ، ولا شئ أخسر من كرة تقتضى المصير إلى النار " .  
 وهذا القول من الكفار استهزا " .  
 الكشاف ( ٦٩٤/٤ ) تفسير الرازى ( ٣٧/٣١ ) والبحر المحيط ( ٤٢١/٨ ) .  
 ( ٢ ) لم يتبين لى الفرق بين هذا القول والذى قبله .

( ٣ ) ذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٩٨/١٩ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٢١/٨ )  
 والثعالبى فى تفسيره ( ٣٨٤/٤ ) وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٣٩٣/٣ ) نحوه  
 عن يحيى بن سلام فقال عند هذه الآية : فيها تأويلان : أحدهما : باطللة  
 لا يجى منها شئ " ، كالخسران ، وليست كاسبة ( كذا ، ولعله كائنة ) قاله  
 يحيى بن سلام . الثانى : معناه لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنخسرن بالنار  
 قاله قتادة ومحمد بن كعب .

( ٤ ) قال أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٢١/٨ ) : " لما تقدم ( يقولون أئنا لمرودون  
 . . . ) تضمن قولهم استبعاد النشأة الثانية واستضعاف أمرها فجاء قوله ( فإنما )  
 مراعاة لما دل عليه استبعادهم فكانه قيل ليس يصعب ما تقولون فإنما هى نفخة  
 واحدة فإذا هم منشورون أحياء على وجه الأرض " .  
 انظر أيضا تفسير الرازى ( ٣٧/٣١ ) وتفسير القرطبى ( ١٩٨/١٩ ) .

( ٥ ) فسر الزجرة بالصيحة مجاهد . انظر تفسيره ( ٧٢٦/٢ ) ، والطبرى فى تفسيره  
 ( ٣٥/٣٠ ) رواه عن مجاهد ، والبغوى فى تفسيره ( ٢٠٦/٧ ) وابن الجوزى  
 فى تفسيره ( ١٩/٩ ) . وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٣٩٣/٤ ) فى معنى الزجرة  
 قولين أحدهما : نفخة واحدة يحيى بها الجميع فإذا هم قيام ينظرون قاله  
 الربيع بن أنس " وروى ذلك الضحاك عن ابن عباس كما صرح القرطبى فى تفسيره  
 ( ١٩٨/١٩ ) - والثانى : الزجرة الفضب وهو غضب واحد ، قاله الحسن .  
 انظر أيضا تفسير ابن كثير ( ٤٦٧/٤ ) وقال الرازى فى تفسيره ( ٣٧/٣١ ) :  
 المراد من هذه الصيحة النفخة الثانية " .

إنها وجه الأرض يعني أنهم يخرجون من بطنها إلى ظهرها<sup>(١)</sup> ، وسميت الأرض  
ساهرة : لأن عليها سهر الخلق ونومهم<sup>(٢)</sup> - وقال النخعي : فإذا هم : أي  
فوق الأرض<sup>(٣)</sup> . وعن وهب بن منبه أنه قال : الساهرة جبل بجانب بيت المقدس<sup>(٤)</sup> .

(١) ذكره الطبري في تفسيره<sup>(٣٥/٣٠ - ٣٧)</sup> ورواه عن ابن عباس وعكرمة  
ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم . وجاء في رواية قتادة  
أنه قال : لما تباعد البعث في أعين القوم قال الله تعالى : ( فإنما هي زجرة  
واحدة ، فإذا هم بالساهرة ) يقول : فإذا هم بأعلى الأرض بعدما كانوا في  
جوفها . وقد اختار هذا المعنى الفراء في معاني القرآن<sup>(٢٣٢/٣)</sup> .  
وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن<sup>(٥١٣)</sup> وذكره الماوردي في تفسيره<sup>٣٩٤/٤</sup>  
والبغوي في تفسيره<sup>(٢٠٦/٧)</sup> وابن الجوزي في زاد المسير<sup>(٢٠/٩)</sup> والقرطبي  
في تفسيره<sup>(١٩٩-١٩٨/١٩)</sup> وابن كثير في تفسيره<sup>(٤٦٧/٤)</sup> .

(٢) ذكره الفراء في معاني القرآن<sup>(٢٣٢/٣)</sup> قال : وهو وجه الأرض ، كأنها سميت  
بهذا الاسم ، لأن فيها الحيوان نومهم وسهرهم : انظر أيضاً تفسير الطبري .  
<sup>(٣٥/٣٠)</sup> وتفسير الماوردي<sup>(٣٩٤/٤)</sup> وتفسير البغوي<sup>(٢٠٦/٧)</sup> وزاد المسير  
<sup>(٢٠/٩)</sup> وتفسير القرطبي<sup>(١٩٨/١٩ - ١٩٩)</sup> ولسان العرب<sup>(٣٨٣/٤)</sup> .  
وقال الزمخشري في الكشاف<sup>(٦٩٤/٤)</sup> : والساهرة : الأرض البيضاء المستوية  
سميت بذلك لأن السراب يجري فيها ، من قولهم : عين ساهرة جارية الماء . وفي  
ضدّها : نائمة - وذكر الرازي في تفسيره<sup>(٣٧/٣١ - ٣٨)</sup> في ذلك ثلاثة  
أوجه ، أحدها هو هذا الذي تقدم عن الزمخشري ، والثاني : أن سالكها لا ينم  
خوفاً منها - والثالث : إن الأرض إنما تسمى ساهرة لأن من شدة الخوف فيها  
يطير النوم عن الإنسان ، فلك الأرض التي يجتمع الكفار فيها في موقف القيامة  
يكونون فيها في أشد الخوف .

(٣) لم أهد إلى من رواه أو ذكره عنه .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره<sup>(٣٨/٣٠)</sup> بسنده عن وهب بن منبه وذكره السيوطي  
في الدر المنثور<sup>(٣١٢/٦)</sup> وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر . وذكره  
عن وهب بن منبه غير واحد من المفسرين . هذا ، وقد اكتفى المؤلف في بيان معنى  
الساهرة على قولين فقط وذكر غيره من المفسرين أقوالاً أخرى منها أنها جهنم ، وهو  
مورى عن قتادة . وقيل : إنها أرض بالشام . قاله سفيان الثوري ، وقال عثمان بن  
أبي العاتكة : إنه اسم مكان من الأرض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل  
أريحا وجبل حسان وقيل : اسم الأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب  
عليها الخلائق ، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض . والصواب من القول هو  
ما ذكره المؤلف أولاً بقوله : القول المعروف : إنها وجه الأرض . وأما الأقوال الأخرى  
فهي غريبة ، وقد صرح بذلك ابن كثير في تفسيره<sup>(٤٦٧/٤)</sup> انظر أيضاً تفسير الطبري  
<sup>(٣٨-٣٧/٣٠)</sup> وتفسير الماوردي<sup>(٣٩٤/٤)</sup> وزاد المسير<sup>(٢٠/٩)</sup> وتفسير  
القرطبي<sup>(١٩٩-٢٠٠)</sup> وذهب الرازي في تفسيره<sup>(٣٨/٣١)</sup> إلى أن أنها  
أرض الآخرة لأنهم عند الزجرة ينقلون أفواجاً إلى أرض الآخرة .

قال الشاعر<sup>(١)</sup> في الساهرة :

فانما قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَةِ      ثم يعودُ بَعْدَهَا فِي الْحَا فِرَةِ  
من بعدِ ما كُنَّا عِظَامًا نَاخِرَةً<sup>(٢)</sup>      <sup>(٣)</sup>

قوله تعالى ( هل أتاك حديث موسى ) أى قد أتاك<sup>(٤)</sup> ، وقوله ( إذ ناداه ربه  
بالوادي المقدس ) أى المطهر<sup>(٥)</sup> - وقولنه ( طوى ) أى طوى بالبركة  
والتقديس<sup>(٦)</sup> مرتين : وقيل : سماه طوى لأن موسى

( ١ ) هو الهدانى - وقال مقاتل في تفسيره ( ق ٣٨٥ / ب ) : قال شاعر  
همدان يوم البيروك . .

( ٢ ) كذا في الأصل ، وفي تفسير الطبرى ( كنت ) وفي المصادر الأخرى ( صرت ) .

( ٣ ) أنشده مقاتل في تفسيره ( ق ٣٨٥ / ب ) والطبرى في تفسيره ( ٣٩ / ٣٠ ) والماوردي  
في تفسيره ( ٣٩٤ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩٩ / ١٩ ) وابن منظور في لسان  
الغريب ( ١٩٨ / ٥ ) وقال : قال ابن بربري : قال الهدانى يوم القادسية . أقدم  
أخانتهم على الأساورة . ولا تهولنك روه وس ناديرة وذكر بقية الأبيات .

( ٤ ) كذا فسر البغوى في تفسيره ( ٢٠٦ / ٧ ) وابن الجوزى في زاد المسير ( ٢٠ / ٩ )  
فقالا : قد جاءك ) . وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٠٠ / ١٩ ) . " أى قد جاءك  
ويلفك حديث موسى ، وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم " . ثم ذكر أنه قيل :  
هل بمعنى " ما " أى ( ما أتاك ، ولكن أخبرت به ) وقال الرازى في تفسيره ( ٣٨ / ٣١ )  
" قوله ( هل أتاك ) يحتمل أن يكون معناه أليس قد ( أتاك حديث موسى )  
هذا إن كان أتاه ذلك قبل هذا الكلام ، أما إن لم يكن قد أتاه فقد يجوز أن يقال :  
( هل أتاك ) كذا ، أم أنا أخبرك به ، فإن فيه عبرة لمن يخشى " .

( ٥ ) قال الرازى في تفسيره ( ٣٨ / ٣١ ) : " الوادى المقدس : المبارك المطهر " .  
وذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٩٥ / ٤ ) قال : وفي المقدس تأويلات . أحدهما :  
المبارك قاله ابن عباس .

الثانى : المطهر .

( ٦ ) هو مروى عن الحسن وقتادة ذكره ابن جرير الطبرى في تفسيره ( ١٤٥ / ١٦ - ١٤٦ ) و  
( ٣٨ / ٣٠ ) وذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦١٩ / ٣ ) قال : " وقراءة  
الحسن ( طوى ) بكسر الطاء والتنوين ، ومعناه عنده : بالوادي الذى قدس مرتين  
ونودى فيه . وذكره الماوردي في تفسيره ( ٣٩٥ / ٤ ) بلفظ : " لأنه طوى بالبركة ،  
قاله الحسن . وقال القرطبي في تفسيره ( ١٧٥ / ١١ ) عند قوله تعالى : إنك بالوادي  
المقدس طوى " سورة طه الآية ٢ ) ، وقال بعضهم : " طوى " مثل " طوى " وهو  
الشيء الشئى وقالوا في قوله : " المُقدِّس طوى " طوى مرتين أى قدس . وقال الحسن :  
سُنِّيت فيه البركة والتقديس مرتين " وذكر عنه أيضا أن معناه أنه قدس مرتين " .



وطيه بقدمه (١) ، وقيل : إنه اسم الوادى (٢) - وقيل : هو الأرض التي بين المدينة ومصر ، وقرأ الحسن ( طوى ) بكسر الطاء ، والآخرون ( طوى ) (٤) - وهو غير مصروف لأنه اسم البقعة من الوادى وهو معروفة (٥) .

(١) هو قول ابن عباس .

ذكره الماورى فى تفسيره (٣٩٥/٤) وذكره القرطبي فى تفسيره (١٧٥/١١) وقال بعد ذكره : " فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه ، فكأنه قال : " إنك بالوادى المقدس " الذى طويته طوى ، أى تجاوزته فطويته بسيرك " .

(٢) هو قول مجاهد وقتادة وعكرمة - انظر تفسير مجاهد (٧٢٧/٢) وتفسير الطبرى (٣٨/٣٠) وتفسير الماورى (٣٩٥/٤) وتفسير القرطبي (١٧٥/١١) عزاه القرطبي الى ابن عباس ومجاهد . وتفسير الرازى (٣٨/٣١) وتفسير ابن كثير (١٤٤/٣) قال ابن كثير : قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : هو اسم للوادى ، وكذا قال غير واحد ، فعلى هذا يكون عطف بيان " انظر الدر المنثور (٢٩٣/٣) - وورد التصريح عند بعضهم أن ذلك الوادى بالشام .

(٣) ذكره الفراء فى معانى القرآن (٢٣٢/٣) قال : " هو واد بين المدينة ومصر " . هذا ، وقد ذكرت فى ذلك أقوال أخرى ، منها أنه عبارة عن الأمر بالطوى بقدميه - ذكره ابن جرير فى تفسيره (٣٨/٣) ورواه عن مجاهد ، وذكره الماورى فى تفسيره (٣٩٥/٤) عن عكرمة ومجاهد ، وابن كثير فى تفسيره (١٤٤/٣) دون عزو إلى أحد ، وذكر الرازى فى تفسيره (٣٨/٣١) قولاً آخر ، وهو أن ( طوى ) بمعنى ( يارجل ) بالعجزانية ، فكأنه قال : يارجل ( اذهب إلى فرعون ) وقال : وهو قول ابن عباس ، والصواب من هذه الأقوال هو القول بأنه اسم الوادى . كما صرح به ابن كثير فى تفسيره (١٤٤/٤) وأنه بالشام ، كما قال الجوهرى فى الصحاح (٢٤١٦/٦) .

(٤) ذكره أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٦١٩/٣) عن الحسن ، وقال القرطبي فى تفسيره (٢٠١/١٩) " وقرأ الحسن وعكرمة ( طوى ) بكسر الطاء " .

(٥) ذكر أبو عمرو الدانى فى التيسير (ص ١٥٠) ومكى بن أبى طالب فى الكشف عن وجوه القراءات (٩٦/٢) فى سورة طه آية ١٢ عند قوله تعالى " إنك بالوادى المقدس طوى " أن الكوفيين وابن عامر قرأوا ( طوى ) هنا وفى سورة النازعات بالتنوين ، وقرأهم الباقون بغير تنوين ، انظر أيضاً حجة القراءات (٥٦) . وقال مكى بن أبى طالب : حجة من نونه أنه جعله اسماً للوادى فأبدله منه فصرفه فى المعرفة والنكرة لأنه سمى مذكراً بمذكر ، وحجة من لم ينونه أنه جعله اسماً للبقعة والأرض ، فيكون قد سمى مؤنثاً بمذكر ، فلا ينصرف فى المعرفة لانتقاله من الخفة إلى الثقل والتعريف . وقد يجوز أن يكون معدولاً كعمر ، وإن كان لا يعرف عن أى شىء عدل ثم قال : وقد قيل : إن طوى معدول عن طاو كعمر عن عامر ، والقراءتان حسنتان " انظر أيضاً حجة القراءات (ص ٤٥١) وزاد المسير (٢٧٤/٥) ومجاز القرآن لأبى عبيدة (١٦/٢) ولسان العرب (٢١/١٥) .

وعن الزجاج قال : يجوز أن يكون معدولاً من طاءٍ فهذا لم يصرف مثل عمّر معدول عامر - (١) وقرئ مصروفًا وأنشدوا :

أَعَاذِلَ إِنْ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَى طُؤَى مِنْ غَيْتِكَ الْمُتَوَدِّدِ (٢)

وقوله ( إن هب إلي فرعون إنه طفي ) قد بينا ، (٣) والطفيان هو مجاوزة الحد . (٤)

وقوله ( فقل هل لك إلى أن تزكى ) وقرئ ( تزكى ) بالتشديد بين . (٥)

(١) ذكر ابن زنجلة في حجة القراءات ( ص ٤٥١ ) هذا الوجه عن الزجاج - كما ذكر عنه الوجه الآخر وهو أن ( طوى ) اسم للبقعة فاجتمع فيه التانيث والمعرفة - وقد أنكر الفراء في معاني القرآن ( ٢٣٣/٣ ) للوجه الذي ذكره المؤلف وهو أنه معدول من طاءٍ ، وزعم أنه لا يُصَرَّفُ في كلام العرب اسماً من ذوات الياء والواو مقدر ولا من فاعل إلي فعل . ولكن يجوز أن يكون ترك الصرف على أنه اسم للبقعة ، فيكون طسى غير ما تناول ، كما صرح بذلك أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦١٩/٣ ) ، ولذلك اكتفى أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١٦/٢ ) على هذا الوجه فقال : ومن جعل ( طوى ) اسم أرض لم ينون فيه لأنه لا ينصرف .

(٢) قاله عدى بن زيد العبادي - انظر ديوانه ( ص ١٠٢ ) وهو أيضاً في مجاز القرآن ( ٢٨٥، ١٦/٢ ) وقال أبو عبيدة : وبعضهم يقول : طوى ، وبعضهم يقول : نسي انظر أيضاً تفسير الطبري ( ٩٦/١٦ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠١/١٩ ) ولسان العرب ( ٢١/١٥ ) .

(٣) ذلك في سورة طه الآية ٢٤ - " اذهب إلى فرعون إنه طفي " أي جاوز الحد فسي العصيان والتعمر ، ويقال : كان اسمه وليد بن مصعب وكان أعتى الفراعنة الذين كانوا بمصر .

(٤) قال الجوهرى في الصحاح ( ٢٤١٢/٦ ) " طَفَى يَطْفَى وَيَطْفُو طُفْيَانًا : أي جاوز الحد ، وكل مجاوز حده في العصيان فهو طاغ " انظر أيضاً لسان العرب ( ٧/١٥ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠١/١٩ ) قال الرازي في تفسيره ( ٣٩/٣١ ) " الطفيان مجاوزة الحد ، ثم إنه تعالى لم يبين أنه تعدى في أي شيء ، فلهذا قال بعض المفسرين : معناه أنه تكبر على الله وكفر به ، وقال آخرون : إنه طفى على بنى إسرائيل والأولسى عندى الجمع بين الأمرين ، فالمعنى أنه طفى على الخالق بأن كفر به ، وطفى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبد لهم .

(٥) قرأه الحرميان ( نافع وابن كثير ) ( أن تزكسى ) بالتشديد للزاي على أن أصله ( تزكى ) ثم أدرجت التاء في الزاي . وقرأ الباقون بتخفيف الزاي على حذف التاء الثانية ، لاجتماع تاءين بحركة واحدة استخفافاً . وقد قسوى مكي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات ( ٢٦١/٢ ) القراءة الأولى ( أي تشديد الزاي ) وقال : وذلك حسن قوى ، لأنك تنقل التاء بالإدغام إلى لفظ الزاي ، والزاي أقوى من التاء بكسوة ، فأنت بالإدغام تنقل الأضعف إلى الأقوى .

انظر أيضاً التيسير ( ص ٢١٩ ) وحجة القراءات ص ٧٤٩ وتفسير الطبري ٣٩/٣٠ وتفسير البغوي ( ٢٠٦/٧ ) وزاد المسير ( ٢٠/٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠/١٩ ) - والمعروف أن حذف التاء في مثل هذه الأفعال أكثر من الإدغام .

قال أبو عمرو بن العلاء: / لا يجوز بالتشديد بين ويجوز بالتخفيف لأن ( تزكى ) ( ٣١٥ ب ) هو من إعطاء الزكاة - وقوله ( تزكى ) هو الدخول في طهارة الإسلام - وتابعه أبو عبيد ( ٢ ) على هذا ( ٣ ) - وذكر النحاس في تفسيره: إن هذا غلط و ( تزكى ) و ( تزكى ) بمعنى واحد، قال: تزكى مدغم وتزكى مخذوف منه، يقال: زكاه الله أى طهره - بالإسلام فتزكى، ويقال أيضاً لمن أعطى زكاة ماله: تزكى ( ٤ ) .

( ١ ) لم أجد من ذكره بهذا النص، وقال ابن جرير في تفسيره ( ٣٩ / ٣٠ ) : " وكان أبو عمرو يقول فيما ذكر عنه ( تزكى ) بتشديد الزاى، بمعنى: تتصدق بالزكاة فتقول: تتزكى، ثم تدغم - وموسى لم يدع فرعون إلى أن يتصدق وهو كافر، وإنما دعاه إلى الإسلام، فقال: تزكى، أى تكون زاكياً مؤمناً، والتخفيف هو أفصح القراءتين فى العربية ."

وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٠١ / ١٩ ) " قال أبو عمرو بن العلاء: " تزكى " بالتشديد تتصدق بالصدقة . و " ( تزكى ) يكون زاكياً مؤمناً، وإنما دعا فرعون ليكون زاكياً مؤمناً قال: فلهذا اخترنا التخفيف ."

( ٢ ) هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة، قال ابن سعد: كان أبو عبيد مؤمناً صاحباً نحو وعربية وطلب للحدِيث والفقہ، وقال الخطيب: وكان أبو عبيد ورعاً جواداً .

وذكر الذهبي عن ابن درستويه النحوي قال: ومن علماء بغداد النحويين على مذهب الكوفيين، ورواة اللغة والغريب عن البصريين، والعلماء بالقراءات ومن جمع صنوفاً من العلم وصنف الكتب في كل فن أبو عبيد " من مؤلفاته غريب الحديث، وكتاب الأموال . توفي سنة أربع وعشرين ومائتين .

انظر تاريخ بغداد ( ٤٠٣ / ١٢ - ٤١٦ ) وطبقات ابن سعد ( ٣٥٥ / ٢ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ٤٩٠ / ١٠ ) .

( ٣ ) قال الطبري في تفسيره ( ٣٩ / ٣٠ ) عند هذه الآية: " يقول: فقل له: هل لك أن تتطهر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟ ثم روى بسند عن ابن زيد أنه قال: إلى أن تسلم . والتزكى فى القرآن كله الإسلام . وروى عن عكرمة أنه قال: هل لك إلى أن تقول: لا إله إلا الله " وتفسيره ب " لا إله إلا الله " مروى عن ابن عباس أيضاً . كما ذكره البقوى فى تفسيره ( ٢٠٦ / ٧ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٠١ / ١٩ ) وقال الرازى فى تفسيره ( ٤٠ / ٣١ ) : هذه الكلمة جامعة لكل ما يدعو إليه، لأن المراد هل لك إلى أن تفعل ما تصويه زاكياً عن كل ما ينفي، وذلك يجمع كل ما يتصل بالتوحيد والشرايع ."

( ٤ ) قال النحاس فى اعراب القرآن ( ٦١ / ٣ ) " ولا يعرف التفريق بينهما . ولعل الذى أخذه منه المؤلف فى معانى القرآن وغير موجود ."

وقوله ( وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ) أى إذا أصبت الهداية حسنت منك (١)  
 وقوله ( فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ) يقال : هى العصا (٢) . وقيل : إنها اليد البيضاء (٣)  
 ويقال : كلاهما (٤) - وقوله ( فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أُدْبِرَ يَسْمَى ) أى أعرض

(١) لم أجد من ذكر هذا المعنى . وقال القرطبي فى تفسيره (٢٠١/١٩) :  
 " أى وأرشدك إلى طاعة ربك " فخشى " أى تخافه وتتقيه " .  
 وقال أبوحيان فى البحر المنهبط (٤٢١/٨) : ( وأهديك إلى ربك فخشى ) :  
 هذا تفسير للتركيب ، وهى الهداية إلى توحيد الله تعالى ومعرفة ، فخشى :  
 أى تخافه لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة .  
 (٢) هو قول عطاء ، كما صرح به الرازى فى تفسيره (٤١/٣١) واختاره الزمخشري فى  
 الكشف (٦٩٥/٤) فقال : " الآية الكبرى " قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة  
 والأصل ، والأخرى كالتبع لها .  
 انظر أيضا تفسير القرطبي (٢٠٢/١٩) .

(٣) هو قول مقاتل والكلبي ، كما صرح به الرازى فى تفسيره (٤١/٣١) فقال : قال  
 مقاتل والكلبي : هى اليد ، لقوله فى طه ( وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بِيضًا  
 مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةٌ أُخْرَى لِنُرْيِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ) الآية ٢٢ ، ٢٣ .  
 وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٢١/٩) وقال : قاله الزجاج . انظر  
 أيضا تفسير مقاتل (ق ١/٣٨٥) وتفسير القرطبي (٢٠٢/١٩) .

(٤) ذكره الطبري فى تفسيره (٣٩/٣٠) ورواه عن الحسن ومجاهد وقادة . وذكره  
 الماوردي فى تفسيره (٣٩٥/٤) وعزاه إلى الحسن وقادة واختاره البغوي فى  
 تفسيره (٢٠٦/٧) وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٢١/٩) وعزاه إلى جمهور  
 المفسرين . والزمخشري فى الكشف (٦٩٥/٤) وأبوحيان فى البحر المعيط  
 (٤٢١/٨) وذكر أن جعلها واحدة لأن اليد كأنها من جملة العصا لكونها  
 تابعة لها .

وقال الرازى فى تفسيره (٤١/٣١) بعد ذكره لهذا القول : وذلك لأن  
 سائر الآيات دللت على أن أول ما أظهر موسى عليه السلام لفرعون هو العصا  
 ثم أتبعه باليد ، فوجب أن يكون المراد من الآية الكبرى مجموعها .  
 وذكرت فى ذلك أقوال أخرى ، منها أنها الجنة والنار ، قاله السدي  
 ذكره الماوردي فى تفسيره (٣٩٥/٤) وقيل : إنها فلق البحر ، وقيل : الآية  
 إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته " ذكرهما القرطبي فى تفسيره (٢٠٢/١٩) .  
 دون غزو إلى أحد ، ويبدو والله أعلم أن الصواب هو القول الأخير أى أنها إشارة  
 إلى جميع الآيات والمعجزات ، وقد قال ابن كثير فى تفسيره (٤٦٨/٤) عند  
 هذه الآية : " يعنى فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً  
 واضحاً على صدق ما جاء به من عند الله " ولم يحدد معجزة من معجزاته .

وجعل يسمي في إبطال أمر موسى (١) ، وقوله ( فحشر فنادى ) الحشر: هو الجمع من كل جهة (٢) ، وقوله ( فنادى ) أى ناداهم وقال لهم ( أنا ربكم الأعلى ) (٣) أى لا رب فوقى .

قال الحسن: كان فرعون عجباً من أهل أصبهان (٥) طوله أربعة أشبار (٦) .

(١) قال القرطبي في تفسيره (٢٠٢/١٩) : أى ولّى مدبراً معرضاً عن الإيمان يسمي : أى يعمل بالفساد في الأرض ، وقيل : يعمل في نكايه موسى وقيل " أدبر يسمي " هارباً من السعي .  
وقال أبوحيان في البحر المحيط : " قيل أدبر حقيقة أى قام من مكانة فاراً بنفسه ، وقال الجمهور : هو كناية عن إعراضه عن الإيمان ، يسمي : يجتهد في مكيدة موسى عليه السلام " .  
وبه قال ابن كثير في تفسيره (٤٦٨/٤) .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (١٩٠/٤) : " حَشَرَهُمْ يَحْشُرُهُمْ وَيَحْشِرُهُمْ حَشْرًا : جمعهم ، ومنه يوم الحَشْرِ " وقال القرطبي في تفسيره (٢٠٢/١٩) في معنى ( فحشر ) : أى جمع أصحابه لينضموا منها ، وقيل : جمع جنوده للقتال والمحاربة ، والسحرة للمعارضة ، وقيل : حشر الناس للحضور " .  
انظر أيضا تفسير الماوردي (٣٩٥/٤) .

(٣) قال القرطبي في تفسيره (٢٠٢/١٩) : " ( فنادى ) أى : قال لهم بصوت عال ( أنا ربكم الأعلى ) أى لا رب لكم فوقى .

(٤) قال الجوهري في الصحاح (٣٣٠/١) " والعِجَجُ : الرجل من كفار العجم " وقال أيضا : ورجل عَجَجَ : بكسر اللام : أى شديد " .  
وقال ابن منظور في لسان العرب (٣٢٦/٢) " العِجَجُ : الرجل الشديد الغليظ ، وقيل : هو كل ذى لِحْيَةٍ ثم ذكر مثل ما ذكره الجوهري " .

(٥) أصبهان : بفتح الهمزة وكسرها - وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها .  
قال ياقوت الحموى : وهى من نواحي الجبل من آخر الإقليم الرابع ، معجم البلدان ٢٠٦/١ . وهى معروفة باسمها فى إيران .

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٠١/١٩) عن الحسن ، وزاد عليه فقال : " يقال له : ذو ظفر " .

وعن مجاهد : علج من أهل هَمَذَانَ<sup>(١)</sup> - وعن بعضهم : أنه من أهل إِصْطَخْر<sup>(٢)</sup> -  
 وفي القصة : أن موسى قال لفرعون لك ملك لا يزول وشباب لا هرم فيه ولك الجنة قسي  
 الآخرة . نقل : هو ربي وأنا عبده ، فقال : حتى أستشيرها مان فلما استشاره  
 قال : أتصير عبداً بعد أن كنت معبوداً ، لاتقل هذا ، فأبى أن يقول - نكسره  
 النقاش في تفسيره<sup>(٣)</sup> ، وقوله ( فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ) أي أخذه أخذاً  
 نكلاً لمقاتلة الآخرة والأولى فمقاتلة الأولى : قوله ( ما علمت لكم من إله غيري )<sup>(٤)</sup>  
 ومقاتلة الآخرة ( أنا ربكم الأعلى )<sup>(٥)</sup> ويقال : نكل به وعاقبه في الدنيا والآخرة

( ١ ) هَمَذَانَ : قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ( ٤١٠ / ٥ ) :

" بالتحريك ، والذال معجمة وآخره نون ، وذكر أنها سميت باسم همذان  
 ابن الطَّوَجِّ بن سام بن نوح ، وهمذان وأصبيهان أخوان ، بنى كل واحد  
 منها بلدة وهمذان أكبر مدينة بالجبال " .

وهذا القول ذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٠١ / ١٩ ) عن الحسن أيضا .

( ٢ ) إِصْطَخْرُ : بالكسر وسكون الخاء المعجمة - قال الحموي : بلدة بفارس من الإقليم

الثالث . . . وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها ، وقيل : أول من  
 أنشأها إِصْطَخْرُ بن طهمورث . معجم البلدان ١ / ٢١١ .

أما هذا القول فذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٠١ / ١٩ ) عن مجاهد .

( ٣ ) لم أجد من ذكر هذه القصة وهي من الأسرائيليات الصنتي ملاً بها النقاش  
 تفسيره .

( ٤ ) سورة القصص الآية ٣٨ .

( ٥ ) هو مروى عن ابن عباس وعكرمة والشعبي ومجاهد ، وبه قال السدي ومقاتل  
 والفراء وابن قتيبة . وذكر عن بعضهم أن المدية بين الكلتين كانت أربعين  
 سنة . وقيل : ثلاثين سنة - فأمهله سبحانه وتعالى في الأولى ثم أخذه فسي  
 الآخرة ، فمذبه بكلمتيه . وذكر الفراء معنى الآية فقال : أي : أخذه الله  
 أخذاً نكلاً للآخرة والأولى .

انظر تفسير مجاهد ( ٧٢٨ / ٢ ) وتفسير مقاتل ( ق ٣٨٥ / ١ ) ومعاني القرآن

للغفراء ( ٢٣٣ / ٣ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٥١٣ ) وتفسير الطبري ( ٤١ - ٤٢ / ٣٠ )

وتفسير الماوردي ( ٣٩٥ / ٤ ) وتفسير البيهقي ( ٢٠٧ / ٧ ) وزاد المسير ( ٢١ / ٩ )

وتفسير القرطبي ( ٢٠٢ / ١٩ ) وتفسير الرازي ( ٤٣ / ٣١ ) .

ففي الدنيا هو الفرق وفي الآخرة هو النار<sup>(١)</sup> . وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ) أي اعتباراً لمن يخاف الله تعالى<sup>(٢)</sup> . قوله تعالى ( أَلَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ) استدلال عليهم بهذه الآيات في قدرته على البعث<sup>(٣)</sup> والمعنى : أن إعادتك خلقاً جديداً أشد أم خلق السماء ، وهو مثل قوله تعالى

(١) هو قول الحسن وقتادة .

وقال الربيع بن أنس : عذبه الله في أول النهار بالفرق ، وآخره بالنار ، انظر تفسير الطبري (٤٢/٣٠) وتفسير العاودي (٣٩٥/٤) وتفسير البغوي (٢٠٧/٧) وزاد المسير (٢١/٩) وتفسير القرطبي (٢٠٢/١٩) وتفسير الرازي (٤٣/٣١) .

واقصر المؤلف في ذلك على قولين فقط وقد ذكر المفسرون قولين آخرين ، أحدهما : أنه عذاب أول عمره وآخره ، وهو مروى عن مجاهد . وقيل : الأولى عصيانه وكفوره ، والآخره قوله ( أنا ربكم الأعلى ) انظر المصادر السابقة .

وذكر الرازي عن القفال أنه قال : وهذا كأنه الأظهر ، لأنه تعالى قال : ( فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال : أنا ربكم الأعلى ) فذكر المعصيتين ثم قال : ( فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ) فظهر أن المراد أنه عاتبه على هذين الأمرين .

وأما ابن كثير فقد اختار القول الثاني وهو أنه عذبه في الدنيا بالفرق وفي الآخرة بالنار ، قال عند هذه الآية : ( أي انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتعدين في الدنيا ، ( ويوم القيامة يئس اليرفد المرفود ) ( سورة هود الآية ٩٩ ) كما قال تعالى ( وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينجرون ) ( القصص الآية ٤ ) وهذا هو الصحيح في معنى الآية ، أن المراد بقوله ( نكال الآخرة والأولى ) أي الدنيا والآخرة ، وصرح أيضا بأن هذا هو الصحيح الذي لا شك فيه . انظر تفسير ابن كثير (٤٦٨/٤) .

(٢) قال القرطبي في تفسيره (٢٠٣/١٩) " أي اعتباراً وعظة لمن يخاف الله " وقال ابن كثير في تفسيره (٤٦٨/٤) " أي لمن يتعظ وينزجر " .

(٣) قد صرح كثير من المفسرين بأن ذلك خطاب من الله تعالى لمنكري البعث يحتج به عليهم .

انظر تفسير الطبري (٤٣/٣٠) وتفسير البغوي (٢٠٧/٧) وزاد المسير (٢٢/٩) وتفسير الرازي (٤٣/٣١) وتفسير ابن كثير (٤٦٨/٤) .

( لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ) (١) قوله ( أُمُّ السَّمَاءِ بِنَاهَا ) معناه :  
 أى السماء التى بناها (٢) . وقيل : المعنى : أنتم أشد خلقاً أم السماء ، وتم الكلام (٣) ،  
 ثم قال : بناها أى بناها الله تعالى (٤) وقوله ( رفع سمكها فسواها ) هو فى معنى  
 قوله تعالى ( هل تهرى من فطور ) (٥) أى من شقوق وفروج . (٦)

( ١ ) سورة غافر الآية ٥٧ ، قال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٧/٧ ) عند هذه الآية :  
 " يعنى أخلقكم بعد الموت أشد عندكم فى تقد بركم أم السماء . وهما فى قدرة الله  
 واحد كقوله " لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس " سورة غافر الآية ٥٧ .  
 وقال القرطبى فى تفسيره ( ٢٠٣/١٩ ) .

" يريد أهل مكة ، أى أخلقكم بعد الموت أشد فى تقد بركم أم السماء .  
 فمن قدر على السماء قدر على الإعادة ، كقوله تعالى ( لخلق السموات والأرض  
 أكبر من خلق الناس ) سورة غافر الآية ٥٧ . وقوله تعالى ( أوليس الذى  
 خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ) ( ٨ ) فى معنى  
 الكلام التقرىيع والتوبيخ ، وذكر الرازى فى تفسيره ( ٤٣/٣١ - ٤٤ ) فى المقصود  
 من هذا الاستدلال وجهين . أحدهما : هو هذا الذى تقدم ، وذكر أنه تنبيه  
 على أمر يعلم بالمشاهدة .

والوجه الثانى : أن المقصود من هذا الاستدلال بيان كونهم مخلوقين " ثم ضعف  
 هذا القول لأن أول السورة كان فى بيان مسألة الحشر والنشر ، فحمل هذا الكلام  
 عليه أولى " .

( ٢ ) ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٢/٩ ) قال : قال الزجاج : ذهب بعض  
 النحويين إلى أن قوله تعالى : ( بناها ) من صفة السماء ، فيكون المعنى : أم السماء  
 التى بناها " . وذكره الرازى فى تفسيره ( ٤٤/٣١ ) قال : " وعند أبى حاتم  
 الوقف على قوله ( بناها ) قال : لأنه من صلة السماء ، والتقدير : أم السماء  
 التى بناها . فحذف ( التى ) ومثل هذا الحذف جائز ، ونقل عن القفال كلاماً  
 طويلاً فى توجيهه .

( ٣ ) ذكره ابن الجوزى فى تفسيره ( ٢٢/٩ ) نقلاً عن الزجاج قال : وقال قوم : السماء ليس  
 مما توصل ، ولكن المعنى : أنتم أشد خلقاً أم السماء أشد خلقاً ، ثم بين كيف خلقها  
 وذكره الرازى فى تفسيره ( ٤٤/٣١ ) قال : قال الكسائى والفراء والزجاج : هذا  
 الكلام ثم عند قوله تعالى ( أم السماء ) " ثم قوله تعالى ( بناها ) ابتداءً كلام آخر " .  
 راجع أيضاً معانى القرآن ( ٢٣٣/٣ ) ويبدو والله أعلم أن هذا هصو الصواب ، وذلك  
 لأنه لا يحتاج إلى تقدير . وقال الرازى : والفراء أن يحتج على قوله بأنه لو كان  
 قوله ( بناها ) صلة للسماء لكان التقدير : أم السماء التى بناها ، وهذا يقتضى  
 وجود سماء ما بناها الله ، وذلك باطل " .

( ٤ ) ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٢/٩ ) معنى بناها فقال : رفعها ، وكل شئ  
 ارتفع فوق شئ فهو بنا " .

( ٥ ) سورة الطك الآية ٣ .

( ٦ ) ذكره الرازى فى تفسيره ( ٤٦/٣١ ) فقال : قيل : المراد فى الشقوق عنها ، كقوله  
 تعالى ( ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ) سورة الطك الآية ٣ . انظرايضاً تفسير  
 البغوى ( ٢٠٧/٧ ) وتفسير القرطبى ( ٢٠٤/١٩ ) .



وقيل : معنى التسوية ها هنا هو أنه ليس بعضها أرفع من بعض ولا أخفض من بعض - (١) والسماك الإرتفاع (٢) وقوله ( وأعطش ليلها وأخرج ضحها ) (٣) أي أظلم ليلها ( وأخرج ضحاها ) أي أبوز نهارها ، وقيل : أظهر ضوءها (٤) وأضاف الظلمة والضوء إلى السماء لأنهما يظهران من جانب السماء عند طلوع الشمس وغروبها (٥)

(١) قال ابن جريو في تفسيره (٤٣/٣٠) في تفسير الآية : " يقول تعالى ذكره : فسوى السماء ، فلا شىء أرفع من شىء ، ولا شىء أخفض من شىء ، ولكن جميعها مستوى الارتفاع والامتداد وقال ابن الجوزى في تفسيره (٢٢/٩) : " فسواها بلا شقوق ولا فطور ، ولا تفاوت ، يرتفع فيه بعضها على بعض " . وذكر الرازى في معنى التسوية : وجهين أحدهما هو ما تقدم ، يعنى أن المراد نفي الشقوق عنها ، والثانى : أن المراد تسوية تأليفها ، وقال أصحاب هذا القول ( فسواها ) عام فلا يجوز تخصيصه بالتسوية ، فى بعض الأشياء " انظر تفسيره (٤٦/٣١) ويظهر أن هذا القول هو الصواب .

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب (٤٤٣/١٠) : " سَمَكَ الشىءُ يَسْمُكُهُ سَمَكًا فَسَمَكَ : رَفَعَهُ فَارْتَفَعَ . انظر أيضا المفردات (ص ٢٤٢) . " قال ابن الجوزى فى تفسيره (٢٢/٩) : ومعنى ( رفع سمكها ) رفع ارتفاعها وعلوها فى الهواء " .

(٣) انظر معانى القرآن (٢٣٣/٣) وتفسير الطبرى (٤٣/٣٠) وتفسير الماوردى (٣٩٦/٤) وقال ابن الجوزى : أي أظلمه فجعله مظلمًا ، قال الزجاج : يقال : غطش الليل وأعطش ، وغبش ، وأغبش ، وغسق وأغسق ، وغشي وأغشى . كسبه بمعنى أظلم . انظر أيضا تفسير القرطبي (٢٠٤/١٩) .

(٤) لم أجد من ذكرهما كأنهما قولان مستقلان وليس بينهما فرق كبير ولذا قال البغوى فى تفسيره (٢٠٧/٧) فى تفسير الآية : " أبرز وأظهر نهارها ونورها " وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٢٢/٩) : أي : أبرز نهارها والمعنى : أظهر نورها بالشمس ، وقال القرطبي فى تفسيره (٢٠٤/١٩) : أي أبوز نهارها وضوءها وشمسها " . وقال الرازى فى تفسيره (٤٧/٣١) : أي أخرج نهارها ، وإنما عبر عن النهار بالضحى ، لأن الضحى أكمل أجزاء النهار فى النور والضوء ، وقد ذكر الماوردى فى تفسيره (٣٩٦/٤) فى معنى الآية وجهين أحدهما : أضاء نهارها والثانى : قال ابن عباس : أن أخرج ضحاها : الشمس .

(٥) أكثر المفسرين ذكروا هذا التوجيه ، انظر تفسير الطبرى (٤٤/٣٠) وتفسير الماوردى (٣٩٦/٤) وتفسير البغوى (٢٠٧/٧) وزاد المسير (٢٢/٩) والكشاف (٦٩٧/٤) وتفسير القرطبي (٢٠٤/١٩) وقال الرازى فى تفسيره (٤٧/٣١) : وإنما أضاف الليل والنهار إلى السماء لأن الليل والنهار إنما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها ، ثم غروبها وطلوعها إنما يحصلان بسبب حركة الفلك ، فلهذا السبب أضاف الليل والنهار إلى السماء .

( والأرض بعد ذلك دحاها ) أى بسطها<sup>(١)</sup> : قال أمية بن أبى الصلت<sup>(٢)</sup> :

وَبَسَّتِ الْخَلْقَ فِيهَا إِذْ دَحَاهَا      فَهَمْ قُطَانُهَا حَتَّى التَّنَادِي<sup>(٣)</sup>

وقال سعيد بن زيد<sup>(٤)</sup> :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي<sup>(٥)</sup> لِمَنْ أَسْلَمَتْ      لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِيلَ صَخْرًا ثِقَالًا<sup>(٦)</sup>  
دَحَاهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ شَدَّهَا<sup>(٦)</sup> (بأيدي)

وَأُرْسَى عَلَيْهَا جِبَالًا<sup>(٧)</sup>

(١) قال الجوهري فى الصحاح (٢٣٣٤/٦) : " تَحَوَّتِ الشَّمْسُ دَحْوًا : بَسَطَتْهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى " وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، أَيْ بَسَطَهَا - أَنْظَرُ أَيْضًا مَجَازَ الْقُرْآنِ ٢٨٥/٢ وَتَفْسِيرُ غَرِيبِ الْقُرْآنِ (٥١٣) وَتَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ (٢٠٧/٧) وَزَادَ الْمَسِيرُ (٢٢/٩) .

(٢) هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ الثَّقَفِيِّ ، كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعَثِ ، وَيُنْشِدُ فِي أَبْيَاتِهِ الشَّعْرَ الْمَلِيحَ ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَسْلَمْ . وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَكَانَ أُمِيَّةٌ كَثِيرَ الْمَجَائِبِ يَذْكَرُ فِي شَعْرِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَذْكَرُ الْمَلَائِكَةَ ، وَيَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَذْكَرْهُ أَحَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَكَانَ قَدْ شَامَ (أَيْ دَنَا) أَهْلَ الْكِتَابِ .

انظر طبقات فحول الشعراء (٢٦٢/١) وتهذيب الأسماء واللغات (١٢٦/١) .

(٣) انظر ديوانه (ص ٣٨٣) جمع وتحقيق د / السطلي وفيه (سكانها) بدل (قطانها) انظر أيضا تفسير الماوردي (٣٩٦/٤) وتفسير القرطبي (٢٠٤/١٩) وروح المعاني (٣٢/٣٠) وقال المحقق : البيت من الشعر المتهم .

(٤) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ (سعيد بن زيد) وفي المصادر الأخرى (زيد بن عمرو) وهو زيد بن عمرو بن نوفل القرشي المدوني ، والد سعيد بن زيد أحد المشركين المشهورين لهم بالجنة ، وزيد هذا ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل ، وهو أيضا كان يتعبد في الفترة قبل النبوة على دين إبراهيم ويتطلب دينه ويوحده الله تعالى ويعيب على قريش ذبايحهم على الأنصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب ، وفي صحيح البخاري جملة عن أخباره .

انظر الجامع الصحيح ١٤٢/٧ وتهذيب الأسماء واللغات (٢٠٤/١ - ١١٥) .

(٥) فى الأصل (لوجهي) وهو خطأ والصواب ما أثبتته .

(٦) ما بين المعكوفين غير موجود فى النسختين . وهو موجود فى المصادر الأخرى .

(٧) البيتان فى تفسير الماوردي (٣٩٦/٤) وتفسير القرطبي (٢٠٤/١٩) وروح المعاني (٣٢/٣٠) وأنشده الرازى فى تفسيره (٤٧/٣١) البيت الثانى فقط ، وقد استدل به الجميع سوى الرازى على أن (دحا) بمعنى سوى . وقيل أيضا فى معنى الدحو : إنه الحمرث والشقي ذكره ابن جرير فى تفسيره (٤٧/٣٠) والماوردي فى تفسيره (٣٩٦/٤) عن ابن زيد .

وقوله ( بعد ذلك ) أى مع ذلك (١) ؛ وقيل : إنه خلق الأرض قبل السماء على ما قال فى حم السجدة ثم بسطها بعد خلق السماء (٢) ، وفى الأثر : عن ابن عباس / ٣١٦ / أنه لم يكن إلا العرش والماء فخلق على الماء حجراً كالغبر ثم خلق عليه د خائلاً ملتصقاً به ثم خلق موجاً على الماء ثم رفع الدخان من الحجر وخلق من الحجر الأرض ومن الدخان السماء ومن الموج الجبال (٤) .

( ١ ) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٤٥ / ٣٠ ) قال : وقال آخرون : . . . . . معنى ذلك : والأرض مع ذلك دحائها - وقالوا : الأرض خلقت ودحيته قبل السماء وذلك أن الله قال : ( هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ) ( سورة البقرة الآية ٢٩ ، ثم ذكر نظيره من قوله تعالى ( عتلى بعد ذلك زينيم ) سورة القلم الآية ١٣ - ثم روى هذا القول عن مجاهد والسدى . انظر أيضاً تفسير الماوردي ( ٣٩٦ / ٤ ) وقد عزاه إلى ابن عباس أيضاً وتفسير الرازى ( ٤٨ / ١ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠٥ / ١٩ ) وزاد المسير ( ٢٢ / ٩ - ٢٣ ) وتفسير البغوى ( ٢٠٧ / ٧ ) .

( ٢ ) يقصد قوله تعالى : ( قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ) سورة فصلت الآيات ٩ - ١٢ .

( ٣ ) انظر تأويل مشكل القرآن ( ص ٦٧ ) وذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره ٤٥ / ٣٠ ورواه عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو .

وذكره الماوردي فى تفسيره ( ٣٩٦ / ٤ ) وعزاه إلى ابن عمر وعكرمة . وهذا هو اختيار ابن جرير ووصفه بأنه أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل . وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٣ / ٩ ) بعد أن ذكر القول بأن ( بعد ) هنا بمعنى ( مع ) : ولا يمتنع أن تكون الأرض خلقت قبل السماء ، ثم دحيته بعد كمال السماء ، وهذا مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص .

وذكر ابن كثير فى تفسيره ( ٤٦٨ / ٤ ) : أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيته بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل ثم قال : هذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير . انظر أيضاً تفسيره ( ٩٢ / ٤ ) .

( ٤ ) لم أهتمد إلى من ذكر هذا الأثر . وقد روى البخارى فى صحيحه كتاب التفسير باب سورة حم السجدة ( ٥٥٥ / ٨ ) بسنده عن طاوس عن ابن عباس فى سياق طويل أنه أجاب رجلاً بقوله : وخلق الأرض فى يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحا الأرض ، ودحوها : أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما فى يومين آخرين ، فذلك قوله ( دحائها ) .

وقوله ( أخرج منها ماءها ومرعاها ) أى أخرج من الأرض الماء لحياة النفوس والمرعى للأنعام<sup>(١)</sup> وقوله ( والجبال أرساها ) أى أثبتها<sup>(٢)</sup> وقوله ( متاعاً لكم ) أى إمتاعاً لكم ولأنعامكم ) وإنما انتصب لأن معناه : للامتع ، ثم نزلت السلام الخافضة فانتصب ، قوله تعالى ( فإذا جاءت الطامة الكبرى ) الطامة : فى اللغة هو الداهية العظيمة ، وقيل : هى الأمر الذى لا يستطيع ولا يطاق ، يقال : طم الوادى إذا جاء منه ما لا يطاق وعلا كل شئ<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قال ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ( ص ٥ ) كيف دل بشيئين على جميع ما أخرج من الأرض قوتا ومتاعاً للأنام من العشب والشجر والحب والتمر والحطب والعصف واللباس والنار والطح لأن النار من العيدان والطح من الماء " .

( ٢ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٤٧/٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول : والجبال أثبتها فيها ، وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره ، وهو ( فيها ) وذلك أن معنى الكلام : والجبال أرساها فيها . انظر زاد المسير ( ٢٣/٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠٥/١٩ ) .

( ٣ ) وهو على هذا مفعول له .

وقد ذكر الأكوسى فى روح المعانى ( ٣٥/٣٠ ) عدة أوجه ، أحدها أنه مفعول له : أى فعل ذلك متميماً لكم ولأنعامكم وهذا اختيار الزمخشري فى الكشاف ( ٦٩٧/٤ ) . والثانى : أنه مصدر مؤكّد لفعله الضمر ، أى متعكم بذلك متاعاً .

والثالث : أنه منصوب على المصدر من غير لفظه ، لأن قوله ( أخرج منها ماءها ومرعاها ) فى معنى : متع بذلك ، ذكره القرطبي أيضاً فى تفسيره ( ٢٠٦/١٩ ) وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٣/٩ ) عند هذه الآية : " أى : للامتع لأن معنى ( أخرج منها ومرعاها ) أمتع بذلك . وقال الفراء فى معانى القرآن ( ٢٣٣/٣ ) " خلق ذلك منفعة لكم ومتعة لكم " وقال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن ( ص ٥١٣ ) " ( متاعاً لكم ) أى : منفعة لكم .

( ٤ ) قال الجوهري فى الصحاح ( ١٩٧٦/٥ ) : " جاء السيل فطم الركبة ، أى دفنها وسواها ، وكل شئ كثر حتى علا وغلب فقد طم يطم " .

وقال ابن منظور فى لسان العرب ( ٣٧٠/١٢ ) : " طم الماء يطم طمّاً وطموماً : علا وغمر ، وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم يطم " وقال أيضاً : والطامة الداهية تغلب ما سواها " وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٠٨/٧ ) : " والطامة عند العرب : الداهية التى لا تستطاع " . انظر أيضاً زاد المسير ( ٢٣/٩ ) وتفسير الرازى ( ٤٩/٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠٦/١٩ ) .

وعن ابن عباس : أن الطامة اسم القيامة وسميت القيامة الطامة لأنها تطم كل شئ<sup>(١)</sup>  
 أى فوق كل شئ . وفى بعض الأخبار : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
 ما من طامة إلا وفوقها طامة<sup>(٢)</sup> وهو خير غريب . وقوله ( يوم يتذكر الإنسان  
 ما سمى ) أى يذكر . وقوله ( وبرزت الجحيم لمن يرى ) وفى التفسير :  
 أن الحكمة فى إظهار الجحيم مشاهدة الكفار مكان عقوبتهم وليعلم المؤمنون  
 من أى عذاب نجوا<sup>(٣)</sup> وقوله ( فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ) أى على الآخرة<sup>(٤)</sup> .  
 وحكى أبو الحسن بن فارس فى تفسيره<sup>(٥)</sup> عن حذيفة<sup>(٦)</sup> : أن من أكل

( ١ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٤٧ / ٣٠ ) بسنده عن ابن عباس قال : من أسماه يوم القيامة  
 - عظمه الله ، وحذره عباده ، وقال السيوطى فى الدر المنثور ( ٣١٣ / ٦ ) " وأخرج  
 ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله ( فإذا جاءت الطامة الكبرى ) قال :  
 الطامة من أسماه يوم القيامة " وذكره الماورى فى تفسيره ( ٣٨٧ / ٤ ) بنحوه  
 وعزاه إلى ابن عباس وذكره القرطبى فى تفسيره ( ٢٠٦ / ١٩ ) بنحو ما ذكره المؤلف  
 وعزاه إلى ابن عباس والضحاك . وهو اختيار الفراء فى معانى القرآن ( ٢٣٤ / ٣ )  
 وانظر أيضا تفسير البغوى ( ٢٠٨ / ٧ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٦٩ / ٤ ) وقد ذكرت  
 أقوال أخرى فى معنى الطامة منها أنها النفخة الأخيرة ، وهو قول الحسن .  
 وقيل إنها الساعة - طمت كل داهية والساعة أدنى وأمر ، وهو قول الربيع .  
 وقيل إنها الساعة التى يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار  
 قاله القاسم بن الوليد ، وهو معنى قول مجاهد .

انظر تفسير الطبرى ( ٤٧ / ٣٠ ) وتفسير الماورى ( ٣٩٧ / ٤ ) وتفسير البغوى  
 ( ٢٠٧ / ٧ - ٢٠٨ ) والكشاف ( ٦٩٧ / ٤ ) وتفسير القرطبى ( ٢٠٦ / ١٩ ) .

( ٢ ) هو جزء من حد يشطويل رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة ( ص ٢٣٧ - ٢٤١ ) والبيهقى  
 فى دلائل النبوة ( ٤٢٢ / ٢ - ٤٢٧ ) فى عرش النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على  
 قبائل العرب بسندهما عن أبان بن عبد الله البجلي عن أبان بن تغلب عن عكرمة  
 عن ابن عباس به .

وذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة ( ص ١٤٧ ) والمجلونى فى كشف الخفاء  
 ( ٣٤٣ / ١ ) وذكر أن ابن لال رواه فى مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس مرفوعاً :  
 ما من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول " . وذكر الزرقانى فى شرح  
 المواهب اللدنية ( ٣٠٩ / ١ ) أن إسناده حسن .

( ٣ ) ذكر القرطبى فى تفسيره ( ٢٠٧ / ١٩ ) عدة أقوال فى معنى الآية : فقال : قال  
 ابن عباس : يكشف عنها فبها تتلظى كل ذى بصر ، وقيل : المراد الكافر لأنه الذى  
 يرى النار بما فيها من أصناف العذاب ، وقيل : يراها المؤمن ليعرف قدر  
 النعمة ويصلى الكافر بالنار " .

( ٤ ) انظر تفسير البغوى ( ٢٠٨ / ٧ ) وزاد المسير ( ٢٤ / ٩ ) .

( ٥ ) ذكره الداودى فى طبقات المفسرين ( ٦٠ / ١ ) باسم : جامع التأويل فى تفسير  
 القرآن ، قال : إنه أربع مجلدات ولعله فى عدد المفقود .

( ٦ ) هو حذيفة بن اليمان الصحابى الجليل .

على مائدة ثلاثة ألوان من الطعام فقد آثر الحياة الدنيا<sup>(١)</sup> - وأورد في خبر مرفوع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من آثر الحياة الدنيا على الآخرة شئت الله عليه .  
 هذه ثم لم يسأل بأيها هلك<sup>(٢)</sup> ، وقوله ( فإن الجحيم هي المأوى ) أى مأواه الجحيم<sup>(٣)</sup> وهو معظم النار<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكر القرطبي في تفسيره ( ٢٠٧ / ١٩ ) نحوه عن يحيى بن أبي كثير قال : روى عن يحيى بن أبي كثير قال : من اتخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طغى .  
 وأما حدیفة فذكر عنه أثراً آخر فقال : وروى جويبر عن الضحاک قال : قال حدیفة أخوفما أخاف على هذه الأمة أن يوشروا ما يرون على ما يعلمون . وجويبر ضعيف جداً كما صرح به التحافظ بن حجر في تقريب التهذيب ( ٥٨ ) .

( ٢ ) لم أهدت إلى من رواه بهذا اللفظ .  
 وذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٠٧ / ١٩ ) نحوه ، قال : يروى أنه وجد في الكتب : إن الله جل ثناؤه قال : " لا يُؤثِرُ عبدٌ لى دنياه على آخرته ، إلا بثبت عليه همومه وضيعته ، ثم لا أبالي فى أيها هلك " .

وقد وردت فى هذا المعنى أحاديث عديدة - منها ما أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد - باب الهم بالدنيا ( ٥٢٥ / ٢ ) بسنده عن عبد الله ابن مسعود قال : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : من جعل الهموم هما واحداً ، همّ المعاد كفاء الله همّ دنياه ، ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديته هلك " . أورده الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ( ٢٧٩ / ٥ ) وقال فيه : حسن .

وأخرج أيضاً ابن ماجه فى المصدر السابق ( ٥٢٤ / ٢ ) وابن حبان ( ص ٤٧ ، رقم ٧٢ ) بسندهما عن زيد بن ثابت مرفوعاً فى سياق طويل " ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأت من الدنيا إلا ما كذب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله أمره ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راعمة " . ونقل السندى عن البوصيرى فى حاشيته : إسناد صحيح رجاله ثقات " .

( ٣ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ٢٠٧ / ١٩ ) عند هذه الآية : " أى مأواه ، والألف واللام بدل من الهاء " .

ونقل ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٤ / ٩ ) عن الزجاج أنه قال : " أى هسى المأوى له ، وهذا جواب " فإذا جاءت الطامة الكبرى " فإن الأمر كذلك " .

( ٤ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ٨٤ / ١٢ ) " وهو اسم من أسماء جهنم ، وأصله ما اشتد لهبه من النار " .

وقوله ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ) أى قيامه عند ربه للحساب - وقوله ( وَنَهَى  
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ) أى عما هواه ويشتبهه على خلاف الشرع <sup>(٢)</sup> ، وقوله ( فَإِنَّ الْجَنَّةَ  
هِيَ الْمَأْوَى ) أى منزلة ومأواه الجنة . وفي بعض التفاسير : أن الآية الأولى نزلت  
في النضر بن الحارث <sup>(٣)</sup> وأمّية بن خلف <sup>(٤)</sup> وعقبة <sup>(٥)</sup> وعتيبة <sup>(٦)</sup> ابني أبي لهب وجماعة <sup>(٧)</sup> .

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٣٩٧/٤) والقرطبي في تفسيره (٢٠٧/١٩) وجهين  
في معنى هذه الآية : أحدهما : هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند  
مواقعة الذنب فيقطع ، نظيره قوله تعالى : ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ) سورة  
الرحمان الآية ٤٦ - وهذا قول مجاهد . والثاني : هو خوفه في الآخرة من  
وقوعه بين يدي الله للحساب وهو قول الربيع بن أنس \* وكلا القولين محتمل .

(٢) قال البغوي في تفسيره (٢٠٨/٧) عند هذه الآية : " عن المحارم التي  
تشتبهها ، وقال مقاتل : هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها " .  
وقال القرطبي في تفسيره (٢٠٨/١٩) : " أى زجرها عن المعاصي والمحرّم " .  
وقال النسفي في تفسيره (٣٢٢/٧) " أى زجرها عن اتباع الشهوات ، وقيل :  
هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها - والهوى ميل النفس  
إلى شهواتها .

(٣) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كعدة القرشي المبدري ، تقدم ذكره في ص (٥٦)  
(٤) هو أمّية بن خلف بن وهب بن جمح أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم ،  
وهو الذي كان يعذب بلالاً رضي الله عنه على إسلامه ، قتل يوم بدر ، قتل رجلاً  
من الأنصار .

انظر سيرة ابن هشام (٢٧٧/١ ، ٢٥٥/٢) والأعلام (٢٢/٢) .

(٥) ، (٦) عتبة وعتيبة هما من أبنا أبي لهب عبد العز بن عبد المطلب وعتيبة هو الذي  
دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ، وستأسى  
ذكر قصته عند المؤلفين (٤٣٥-٤٣٦) ، وأما عتيبة فكان أبو لهب يكنى به ، وكلاهما  
كانا على طريقة أبيهما في الكفر .

(٧) ذكره مقاتل في تفسيره (ق ٣٨٤/ب) وذكر معهم حبيب بن عبد ياليل ، وبعد ذكرهم  
قال : فهو إلا الكفار ومنهم مصعب وأبو الروم ابنا عمير ، وذلك أنهم وجدوا جزوراً فأسى  
البرية ضلت من الأعراب ، فنحروها وجعلوا يقتسمونها بينهم ، صار لمصعب وأبي الروم  
سهمان ثم قال مصعب وذكر مقامه بين يدي رب العالمين ، فخاف أن يحاسبه الله  
تعالى يوم القيامة ، فقال : ان سهمي وسهم أخى لكم ، قال له عند ذلك أمّية بن خلف ،  
ولم ذلك ؟ قال : انى أخاف أن يحاسبنى الله تعالى ، فقال له أمّية : هاته وأنا أحل  
عك هذا الوزر عند المليك في الآخرة وفشا ذلك في قريش في أمر مصعب فأنزل الله  
هذه الآية . وذكر القرطبي في تفسيره (٢٠٧/١٩) أن الآية نزلت في النضر وابنه  
الحارث ، وذكر أيضاً في (٢٠٨/١٩) أنها نزلت في عامر بن عمير أخو مصعب بن عمير ،  
وقيل : إنها نزلت في أبي جهل ابن هشام المخزومي - والصواب أنها عامة في كل  
كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة .

والآية الثانية : نزلت في مصعب بن عمير<sup>(١)</sup> وكان قد وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه يوم أحد حتى دخلت المشاقص<sup>(٢)</sup> في جوفه واستشهد في ذلك اليوم وكان صاحب لواء المهاجرين<sup>(٣)</sup> ، قوله تعالى ( يسألونك عن الساعة أيان مرساها ) أي متى قيامها ومرساها سهماً<sup>(٤)</sup> والمعنى : عن ماهيتها<sup>(٥)</sup> ، وقوله ( فيم أنت من ذكراها ) أي مالك

( ١ ) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدي أحد السابقين إلى الإسلام يكنى أبا عبد الله ، وأسلم قديماً والنبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم وكنتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه فعلمه عثمان بن طلحة فأطعم أهله فأوثقوه فلم يسزل محبوباً إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا ثم شهد أحد ومعه اللواء فاستشهد . انظر الإصابة ٣ / ٤٢١ .

( ٢ ) المشاقص : جمع مفرد مشقص : وهو نضل السهم إذا كان طويلاً غير عريض ، فإذا كان عريضاً فهو المقبلية . لسان العرب ٧ / ٤٨ .

( ٣ ) قال الماوردي في تفسيره ( ٣٩٧ / ٤ ) : ذكر أنها نزلت في مصعب بن عمير . وذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٠٧ / ١٩ ) بحثل ما ذكره المؤلف وزاد عليه فقال : فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشطحاً في دمه قال : " عند الله أحسبك " وقال لأصحابه : " ولقد رأيتك وعليه بردان ماتعرف قيمتها وإن شراك نعليه من ذهب " انظر أيضاً الكشاف ( ٦٩٨ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ٥٢ / ٣١ ) والبحر المحيظ ٨ / ٢٤٤ وروح المعاني ( ٣٦ / ٣٠ ) وذكروا أن مصعب بن عمير قتل أخاه أبا عزيز يوم أحد . وذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٠٨ / ١٩ ) عن السدي أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أن أبا بكر كان له غلام يأتيه بطعام ، وكان يسأله من أين أتيت بهذا ، فأثاه يوماً بطعام فلم يسأله وأكله فقال له غلامه : لم لا تسألني اليوم ؟ فقال : نسيت ، فمن أين لك هذا الطعام ؟ فقال : تكهنت لقوم فنسى الجاهلية فأعطونيهِ فتأياهُ من ساعته ، وقال : يارب ما بقى في العروق فانت حبسته فنزلت : ( وأما من خاف مقام ربه ) والصواب أنها عامة - قال الكلبي : نزلت في من هم بمعصية وقدر عليها في خلوة ثم تركها من خوف الله " ذكره القرطبي وقال : ونحوه عن ابن عباس .

( ٤ ) كذا هو مرسوم في النسختين ، وذكر في المصادر الأخرى في معنى ( مرساها ) منتهاها فالأقرب أن تكون الكلمة ( منتهاها ) .

( ٥ ) لم أجد من ذكر من المفسرين أن المعنى : عن ماهيتها ، وقد ذكر الغزالي في معاني القرآن ( ٢٣٤ / ٣ ) أن معنى رسوها قيامها كرسو السفينة وقال : هو كقولك قد قام المعدل وقام الحق أي ظهر وثبت ، وذكره الزمخشري في الكشاف ( ٦٩٨ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ٥٢ / ٣١ ) فقالا : متى إرساؤها ، أي إقامتها . أرادوا متى يقيمها الله ويوجد لها ويكونها " انظر أيضاً تفسير الطبري ( ٤٨ / ٣٠ - ٤٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠٩ / ١٩ ) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٨٥ / ٢ ) : مرساها : منتهاها . مرسى السفينة حيث تنتهي " وذكره البخاري في صحيحه ( ٦٩٠ / ٨ ) ، والقرطبي في تفسيره ( ٢٠٩ / ١٩ ) وقال هو قول ابن عباس : وذكر الماوردي في تفسيره ( ٣٩٧ / ٤ ) والقرطبي عن الربيع بن أنس أنه قال : متى زمانها - ثم قال القرطبي : والمعنى متقارب .



ومعرفة وقت قيام الساعة<sup>(١)</sup> ، وفي بعض التفاسير : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل كثيراً عن جبريل عن الساعة فلما أنزل الله تعالى هذه الآية ارتدع وكف ولم يسأل بعد ذلك<sup>(٢)</sup> ، وهو مثل قول القائل : مالك وهذا لأمر وفيه زجر إياه عن السؤال ،

(١) قال ابن جرير في تفسيره (٤٩/٣٠) في تفسير هذه الآية : "يقول : في أي شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها" وقال البغوي في تفسيره (٢٠٨/٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٤/٩) "لست في شيء من علمها وذكرها أي لا تعلمها" وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٢٤/٨) : "والمعنى : في أي شيء أنت من تحد يد لها ووقتها - أي لست من ذلك في شيء" . وقد ذكر الماوردى في تفسيره (٣٩٧/٤) في تفسير هذه الآية : وجهين - أحدهما : فيم يسألك المشركون يا محمد عنها ولست ممن يعلمها ، وهو معنى قول ابن عباس . الثاني : فيم تسأل أنت يا محمد عنها وليس لك السؤال ، وهذا معنى قول عروة بن الزبير . وذكر الزمخشري في الكشاف (٦٩٩/٤) أيضاً في ذلك وجهين أحدهما : في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به ، يعني : ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها في شيء ، والثاني : ( فيم ) إنكار لسؤالهم أي : فيم هذا السؤال ، ثم قيل "أنت من ذكرها ، أي : إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل المبعوث في نسمة الساعة ، ذكر من ذكرها وعلامة من علامتها ، وذكر الرازي أيضاً في تفسيره (٥٢/٣١) هذين الوجهين بشيء تظليل من الاختلاف في اللفظ .

وذكر أبو حيان في البحر المحيط (٤٢٤/٨) الوجه الثاني . وقال بعد سرده له : وهذا القول حكاه الزمخشري وزمكه بكثرة ألفاظه وهو تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر المتبادر إلى الفهم ولم يخله من دسيسة الاعتزال "اهـ . وأورده الألبوسي في روح المعاني (٣٧/٣٠) دون عزو إلى أحد والصواب هو ما ذكره أبو حيان فإنه يترتب على هذا القول تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر المعروف .

(٢) أخرجه اسحاق بن راهويه في مسنده ( كما في تخريج الكشاف ٦٩٩/٤ ) والبزار في مسنده ( انظر كشف الاستار ٧٨/٣ ) وابن جرير الطبري في تفسيره (٤٩/٣٠) والحاكم في مستدركه (٥١٣/٢) وابن مردويه في تفسيره ( كما في تخريج الكشاف ٦٩٩/٤ ) كلهم بإسناد هم عن سفیان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى أنزل الله عز وجل ( فيم أنت من ذكرها ، إلى ربك منتهاها ) هذا لفظ الطبري . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٦) بنحوه وزاد في آخره : ( فلم يسأل عنها ) وعزا تخريجه أيضاً إلى ابن المنذر .

وقال الحاكم في هذا الحديث : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فإن ابن عيينة كان يوسله بآخره . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٣٣/٧ ) : رجاله رجال الصحيح . ونقل ابن حجر في تخريج الكشاف ( ٦٩٩/٤ ) عن ابن أبي حاتم عن أبي زرعنة " والصحيح أنه مرسل " هذا وقد روى الحديث من طرق أخرى غير هذا الطريق . انظر الدر المنثور ( ٣١٤/٦ ) .

وقوله ( الى ربك منتهاها ) اي منتهى علم قيامها وقيل : معناه أن كل من يسأل عنه يقول الله أعلم . فيرد علمها إلى الله<sup>(١)</sup> . وقوله ( إنما أنت منذر من يخشاها ) أي تنذر بعذاب يوم القيامة<sup>(٢)</sup> ، وقوله ( كأنهم يوم يرونها / لم يلبثوا إلا عشية<sup>(٣)</sup> أو ضحاها ) أي أول نهار أو آخر نهار . فأول النهار من طلوع الشمس إلى ارتفاعها وآخر النهار من العصر إلى غروبها وهو مثل قوله تعالى ( كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) أكثر المفسرين صرحوا في معنى الآية بأن منتهى علمها عند الله .

انظر تفسير البغوي ( ٢٠٨ / ٧ ) وتفسير الماوردي ( ٣٩٧ / ٤ ) وزاد المسير ( ٢٤ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠٩ / ١٩ ) وقال القرطبي : فلا يوجد عند غيره علم الساعة وهو كقوله تعالى : \* قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي \* سورة الأعراف الآية ١٨٧ . وقوله تعالى : ( إِنَّا لَنَعْلَمُ السَّاعَةَ ) سورة لقمان الآية ٣٤ .

وأما ما ذكره المؤلف بقوله \* وقيل : معناه : أن كل من يسأل عنه يقول : الله أعلم . . . ) فلم أجده من ذكره من المفسرين ومع ذلك فهو صحيح ، ولكنه ليس تفسير الآية .

( ٢ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢٠٨ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٤ / ٩ ) ، \* إنما أنت مخوف من يخافها ، والمعنى : إنما ينفع إنذارك من يخافها ، وهو المؤمن بها ، وأما من لا يخافها فكأنه لم يُنذَر \* .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٢١٠ / ١٩ ) : \* أي مخوف ، وخص الإنذار بمن يخشى ، لأنهم المنتفصون به وإن كان منذراً لكل مكلف ، وهو كقولك تعالى \* ( إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغييب ) سورة يس الآية ١١ .

( ٣ ) سورة يونس الآية ٤٥ .

قال الماوردي في تفسيره ( ٣٩٨ / ٤ ) عند هذه الآية : ( كأنهم يوم يرونها ) يعني الكفار يوم يرون الآخرة . ( لم يلبثوا ) في الدنيا . ( إلا عشية ) وهي ما بعد الزوال . ( أو ضحاها ) وهو ما قبل الزوال .

لأن الدنيا تصغر عندهم وقلَّت في أعينهم كما قال تعالى ( ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ) انظر أيضاً زاد المسير ( ٢٤ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢١٠ / ١٩ ) وصرح القرطبي بأن المراد تقليل مدة الدنيا .

فإن قيل : كيف أضاف ضحى النهار إلى عشيته وإنما ضحى النهار يضاف إلى النهار فبأى وجه تستقيم هذه الإضافة ؟ . والجواب : أنه يجوز مثل هذا فى كلام العرب وهم يفعلون كذلك ويريدون بحثل هذه الإضافة الإضافة إلى النهار :  
قال الشاعر :<sup>(٢)</sup>

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا      عَشِيَّةَ الْهِلَالِ أَوْ سِرَارِهَا<sup>(٣)</sup>

(١) قال الفراء فى معانى القرآن (٢٣٤/٣ - ٢٣٥) : " يقول القائل : وهى للمشى ضحا ؟ إنما الضحى لصدر النهار فهذا بين ظاهر من كلام العرب أن يقولوا : أتيتك العشيية أو غداتها ، وأتيتك الغداة أو عشيته ، تكون العشيية فى معنى "آخر" والغداة فى معنى "أول" .

ذكر ابن جرير فى تفسيره (٤٩/٣٠) نحوه ، والبغوى فى تفسيره (٢٠٨/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٢٥/٩) والقوطبى فى تفسيره ١٩/٣٠٠ نقلًا من قول الفراء .

وذكره الرازى فى تفسيره (٥٣/٣١) فقال :  
وقال الفراء والزجاج : المراد بإضافة الضحى إلى العشيية إضافتها إلى يوم العشيية كأنه قيل : إلا عشيية أو ضحى يومها ، والعرب تقول : أتيتك العشيية أو غداتها .

وذكر وجهين آخرين : أحدهما : قال عطاء عن ابن عباس : الهيا والألف صلة للكلام يريد لم يلبثوا إلا عشيية أو ضحى .

والثانى : أن النحويين قالوا : يكفى فى حسن الإضافة أدنى سبب ، فالضحى المتقدم على عشيية يصح أن يقال إنه ضحى تلك العشيية ، وزمان المحنة قد يعبر عنه بالعشيية وزمان الراحة قد يعبر عنه بالضحى ، فالذي يحضرون فى موقف القيامة يعبرون عن زمان مجنتهم بالعشيية وعن زمان راحتهم بضحى تلك العشيية فيقولون كأن عمرنا فى الدنيا ما كان إلا هاتين الساعتين .

وقال أبو حيان فى البحر المحيط (٤٢٤/٨) :  
" ( لم يلبثوا ) لم يقيموا فى الدنيا إلا عشيية يوم أو بكرته ، وأضاف الضحى إلى العشيية لكونها طرفى النهار بدأ بذكر أحدهما فأضاف الآخر إليه تجوزاً واتساعاً ، وحسن الإضافة كون الكلمة فاصلة .

(٢) القائل بعض بنى عقيل كما صرح به الفراء .

(٣) هو فى معانى القرآن (٢٣٥/٣) وتفسير الطبرى (٥٠/٣٠) وزاد المسير

(٢٥/٩) وتفسير القوطبى (٢١٠/١٩) وفى لسان العرب (٣٥٧/٤) غير

منسوب .

وقيل : معنى ذلك كأن لم يلبثوا إلا عشية أوضاها ( أى يوماً من الأيام - فالمراد من العشية هو اليوم والضحى هو اليوم أيضاً<sup>(١)</sup> . فإن قيل كيف يصح هذا الظن ، وعندكم أنهم يمدّبون في قبورهم ؟  
والجواب : أنهم يخفتون<sup>(٢)</sup> خفتة بين النفتين فإذا بعثوا ظنوا مابتنا لأنهم نسوا العذاب في تلك الخفتة - والله أعلم - . .<sup>(٣)</sup>

- 
- ( ١ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢١٠ ) قال : " وروى الضحاك عن ابن عباس كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا يوماً واحداً " .  
وذكر قولاً آخر فقال : وقيل : ( لم يلبثوا ) في قبورهم " إلا عشية أوضاها وذلك أنهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول " .
- ( ٢ ) ذكر ابن منظور في لسان العرب ( ٢ / ٣١ ) : " يقال للرجل إذا مات : قد خَفَتَ أَوْ انْقَطَعَ كَلَامُهُ . وَخَفَتَ خُفَاتًا أَيْ : مَاتَ فَجَاءَهُ " .
- ( ٣ ) لم أجد من ذكر ذلك من المفسرين .  
وفيما يبدو لي أن الكفار بسبب ما يواجهون يوم القيامة من شدائد وأهوال يستقصرون ما تمتعوا به في الدنيا .

تفسير سورة عبس وهي مكية (١) والله أعلم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

( ٢ ) ( عبس وتولى ) هو الرسول صلى الله عليه وسلم في قول الجميع - ومعنى عبس كَلَح وجهه ( ٣ ) ( وتولى ) أى أَعْرَضَ ( ٤ ) . والمعنى : أظهر الكراهة ، وقوله ( أن جاءه الأعمى ) قال الزجاج : معناه : لأن جاءه الأعمى ، ونصب على أنه مفعول ( ٥ ) . وهو عبد الله بن أم مكتوم ( ٦ ) في قول الجميع ( ٧ ) .

( ١ ) صرح بالإجماع على كونها مكية الماوردي في تفسيره ( ٣٩٩ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٦ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢١١ / ١٩ ) وانظر أيضا دلائل النبوة للبيهقي ( ١٤٢ / ٧ ) .

( ٢ ) قال الرازي في تفسيره ( ٥٥ / ٣١ ) : أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى هو الرسول عليه الصلاة والسلام . وقال ابن حجر في الفتح ( ٦٩٢ / ٨ ) : ولم يختلف السلف في أن فاعل عبس هو النبي صلى الله عليه وسلم .

( ٣ ) قال البخاري في صحيحه ( ٦٩١ / ٨ ) ( عبس وتولى ) كَلَح وأَعْرَضَ ، وقد عزا ابن حجر في الفتح ( ٦٩٢ / ٨ ) تفسير عبس إلى أبي عبيدة . وقال الطبري في تفسيره ٥٠٣ . " ( عبس ) قبض وجهه تكرها " . وقال البيهقي في تفسيره ( ٢٠٨ / ٧ ) : " ( عبس ) كَلَح " وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٧ / ٩ ) : ومعنى ( عبس ) قطب وكَلَح " انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢١١ / ١٩ ) والمفردات ٣٢٠ .

( ٤ ) فسر غير واحد من المفسرين كلمة التولى هنا بالإعراض . راجع المصادر السابقة سوى المفردات .

( ٥ ) ذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٢٦ / ٣ ) ومكي بن أبي طالب في مشكل اعراب القرآن ( ٤٥٧ / ٢ ) وصرح بأنه مفعول لأجله - وهذا الوجه ذكره غير واحد من المفسرين . انظر تفسير الطبري ( ٥٠ / ٣٠ ) وزاد المسير ( ٢٧ / ٩ ) والكشاف ( ٧٠١ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ٥٥ / ٣١ ) وذكر الزمخشري والرازي أن الناصب له تولى أو عبس على اختلاف المذهبين ( أى المذهب البصرى والمذهب الكوفى ) في أعمال الأقرب أو الأبعد ، وذكر أبو جعفر النحاس ومكي بن أبي طالب في الآية وجهين أخذهما : أنه في موضع خفض على إضمار اللام ، والثاني : أنه بمعنى ( لاند ) .

( ٦ ) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ( ٥٢٣ / ٢ ) فيمن اسمه عمرو ، وقال : ويقال : اسمه عبد الله ، وعمر أكثر ، وهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم ، وهو ابن خصال خديجة أم المؤمنين ، استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة غير مرة ، مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه . انظر أيضا تقريب التهذيب ( ٢٥٩ ) .

( ٧ ) ذكر الرازي أيضا في تفسيره ( ٥٥ / ٣١ ) الإجماع على ذلك قال : وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتوم . وقال ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٠٥ / ٤ ) : " لا خلاف أنها نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى " .

وسبب نزول الآية : هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلم رجلاً من أشرف المشركين ويدعوه إلى الإسلام<sup>(١)</sup> ، قال عطاء : كان عتبة ابن ربيعة وأبى بن خلف<sup>(٢)</sup> وكان يدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن<sup>(٣)</sup> ، وفي بعض الروايات : أنه

(١) اختلفت الأقوال والروايات - بعد إجماع المفسرين على أن الآية نزلت في ابن أم مكتوم وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشغولاً في الكلام مع بعض عظماء قريش طمعاً في إسلامهم - في تعيين هؤلاء الأشخاص ، وقد روى الترمذى في سننه كتاب التفسير - باب سورة عبس ( ٤٣٣/٥ رقم ٣٣٣١ ) وابن حبان في صحيحه . ( انظر موارد الظمان ٤٣٨ ) والحاكم في مستدرکه ( ٥١٤/٢ ) وابن جرير في تفسيره ( ٥٠/٣٠ ) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أنزل ( عبس وتولى ) في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع المشركين فجمع رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرض عنه ويقيل على الآخر ويقول : أتري بما تقول يا ساء ، فيقال لا ، ففي هذا النزل . هذا لفظ الترمذى . وقال الترمذى : هذا حديث غريب ، وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أنزل ( عبس وتولى ) في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة . وصححه الحاكم وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة - وأورد ابن كثير في تفسيره ( ٤٧٠/٤ ) من رواية أبي يعلى وابن جرير . ورواه الواحدى في اسباب النزول ( ص ٣٣٢ ) من طريق أبي يعلى . انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٢١١/١٩ - ٢١٣ ) وقد جمع القرطبي روايات عديدة في ذلك .

(٢) هو أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وكان قد أصاب وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم - جاء إليه مرة بعظم بال قد أرفقت ، فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم قته بيده ، ثم نفخ في الريح نحوه صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله ولياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك الله النار \* . انظر سيرة ابن اسحاق ( ١٢٥ ) وسيرة ابن هشام ( ٩/٢ - ١٠ ) .

(٣) لم أجد من ذكر هذه الرواية عن عطاء . وقد جاء في رواية قتادة أن السدى كان يناجيه النبي صلى الله عليه وسلم هو أبى بن خلف . ذكره عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٦٢/ب ) عن معمر عنه . وابن جرير في تفسيره ( ٥١/٣٠ ) من طريق غيره .

وأورد ابن حجر في فتح الباري ( ٦٩٢/٩ ) كما أورد روايات أخرى غير هذه الرواية فقال : وروى سعيد بن منصور من طريق أبى مالك أنه أمية بن خلف ، وروى ابن مردويه من حديث عائشة أنه كان يخاطب عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وممن طريق العوفي عن ابن عباس قال : عتبة وأبوجهل وعياش ، ومن وجه آخر عن عائشة كان في مجلس فيه ناس من وجوه المشركين منهم أبوجهل وعتبة \* ثم قال : فهذا يجمع الأقوال \* يقصد أن المجلس كان يجمع كثيراً من وجهاء قريش .

كان عنده جماعة من أشراف قريش ، وكان يدعوهم إلى الإسلام واشتد طمعه فيهم  
فجاء عبد الله بن مكتوم وجعل يقول : يا رسول الله . علمني مما علمك الله ، أرشدني<sup>(١)</sup>  
وفي رواية : أنه جاء مع قائده فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى قائده أن كفه  
قد فتح في ظهر قائده ، وأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .<sup>(٢)</sup>

وفي بعض الروايات عن سفیان الثوري : أن الذي كان يكلمه ويدعوه إلى  
الإسلام كان العباس بن عبد المطلب<sup>(٤)</sup> فلما دخل ابن أم مكتوم في خطابه وجعل  
يكرر عليه قوله علمني أرشدني كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى ظهرت الكراهة  
في وجهه وعبس وأعرض عنه فأنزل الله تعالى هذه الآية معاتباً له فيما فعله .<sup>(٥)</sup>

( ١ )

( ١ ) أخرج ابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ٥١ ) من طريق العوفي عن ابن عباس قال :  
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام  
والعباس بن عبد المطلب ، وكان يتصدى لهم كثيراً ، ويعرض عليهم أن يؤمنوا ،  
فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم ، يمشى وهو يناجيهم ، فجعل  
عبد الله يستقرى النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن ، وقال : يا رسول  
الله . علمني مما علمك الله ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبس في  
وجهه وتولى ، وكبره كلامه ، وأقبل على الآخرين ، فلما قضى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، وأخذ ينظف إلى أهله ، أمسك الله بعض بصره ، ثم خفق برأسه  
ثم أنزل الله ( عبس وتولى . . . ) الحديث .  
وأورده ابن كثير في تفسيره ( ٤٧٠ / ٤ ) من رواية ابن أبي حاتم وابن جرير .

( ٢ ) حرف ( الى ) ساقط من النسختين والصواب إثباته .

( ٣ ) هو مروى عن ابن زيد ، رواه ابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ٥٢ ) عن يونس قال :  
أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد وسألته عن قول الله عز وجل ( عبس وتولى  
أن جاءه الأعمى قال : جاء ابن أم مكتوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وقائده يبصر ، وهو لا يبصر ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى  
قائده يكف ، وابن أم مكتوم يدفعه ولا يبصر ، قال : حتى عبس رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فماتته الله في ذلك . . .

وذكره القرطبي أيضاً في تفسيره ( ١٩ / ٢١٤ ) عن ابن زيد .

( ٤ ) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم .

( ٥ ) ذكر القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢١٢ ) رواية سفیان دون عزو إلى أحد . وهكذا  
اختلفت الروايات فيمن كان يناجيه النبي صلى الله عليه وسلم ويدفع هذا الاختلاف  
في الروايات ما ذكره ابن حجر من حديث عائشة وقد تقدم ذكره في ( ص ٤٢١ )  
وهو أن المجلس كان يضم وجهاء قريش .

. . / . .

وقال ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٠٥ / ٤ ) :

"وأما قول طماننا : إنه الوليد بن المفيرة ، وقال آخرون : إنه أمية بن خلف ، فهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين ، وذلك أن أمية والوليد كانا بمكة ، وابن أم مكتوم كان بالمدينة ، ما حضر معهما ولا حضرا معنسه ، وكان موتهما كافرين ، أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر ، ولم يقصد قط أمية المدينة ، ولا حضر عنده مفرداً ولا مع أحد .

ونذكره القرطبي في تفسيره ( ٢١٢ / ١٩ ) عن ابن العربي . وما ذكره ابن العربي خطأ ، وما وصف به المفسرين من الجهل وعدم التحقيق غير مناسب وغير لائق . وكلامه يدل على أن السورة مدنية وابن أم مكتوم من الأنصار لا من المهاجرين ، وكلا الأمرين خطأ فإن السورة كلها مكية بالإجماع ، وابن أم مكتوم من المهاجرين . القرشيين ، قد يسم الإسلام والهجرة ، ذكر ابن حجر في الإصابة ( ٥٢٣ / ٢ ) عن البراء أنه قال : أول من أتانا مهاجراً مصعب بن عمير ثم قدم ابن أم مكتوم .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٢٧ / ٨ ) :

وهذا المستغنى هو الوليد أو أمية أو عتبة وشيبة ، وجميع المذكورين في سبب النزول أقوال : قال القرطبي : وهذا كله غلط من المفسرين " ثم ذكر نحو ما تقدم عن ابن العربي ، وقال بعده : والغلط من القرطبي كيف ينفي حضور ابن أم مكتوم معهما وهو وهم منه وكهيم من قريش وكان ابن أم مكتوم بها ، والسورة كلها مكية بالإجماع ، وكيف يقول : وابن أم مكتوم بالمدينة - كان أولاً بمكة ثم هاجر إلى المدينة ، وكانوا جميعاً بمكة حين نزول هذه الآية " .

أخطأ أبو حيان في نسبة هذا القول إلى القرطبي لأنه لم يقله ، وإنما نقله عن

ابن العربي دون تعقيب عليه .

انظر تفسيره ( ٢١٢ / ١٩ ) .



وفي بعض الروايات : أنه عليه السلام قام وذهب <sup>(١)</sup> - وقوله ( وما يدريك لعله  
يركس ) أي يتركس <sup>(٢)</sup> ، والمراد منه ابن أم مكتوم <sup>(٣)</sup> وقوله ( يركس ) أي يقبل ماتذكرة به  
وتعلمه وقيل : يتطهر <sup>(٤)</sup> وقوله ( أو يذكر ) معناه : أو يتذكر <sup>(٥)</sup> وقوله ( فتنفعه الذكرى )  
تنفحة التذكرة والعظة <sup>(٦)</sup> - والمعنى : أنك تعرض عنه إغراض من لا ينفعه تعليمه  
وتذكيوه ولا تدرى لعله ينفعه التعليم/ والتذكير فعليك أن تعلمه وتذكروه <sup>(٧)</sup> ، وقوله ٣١٧/أ

- ( ١ ) لم أهتد إلى معرفة الرواية التي ورد فيها هذا اللفظ .  
( ٢ ) قال أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٢٦ / ٣ ) : " والأصل ( يتركس )  
أدغمت التاء في الزاي " .  
( ٣ ) ذكر القرطبي في تفسيره ( ٢١٣ / ١٩ ) أن الضمير في ( لعله ) لابن أم مكتوم .  
وقيل : للكافر - يعني أنك إذا طمعت في أن يتركس بالإسلام أو يذكر ، فتقرب به  
الذكري إلى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن " انظر أيضا الكشاف  
( ٧٠١ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ٥٦ / ٣ ) والسياق يدل على أن المراد هو  
عبد الله بن أم مكتوم كما ذكره المؤلف .  
( ٤ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢٠٩ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٧ / ٩ ) في  
معنى الآية : يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك " وذكر البغوي  
عن زيد بن أسلم أنه قال : يسلم .  
وذكر ابن الجوزي عن مقاتل أنه قال : لعله يؤمن . وذكر الماوردي في تفسيره  
( ٣٩٩ / ٤ ) أربعة أوجه في معنى ( يركس ) أحدها : يؤمن ، قاله عطاء ،  
والثاني : يتعبد بالأعمال الصالحة قاله ابن عيسى ، الثالث : يحفظ ما يتلوه  
عليه من القرآن ، قاله الضحاك ، الرابع : يتفقه في الدين ، قاله ابن شجرة .  
يحتمل أن يواد جميع هذه الأقوال - لأن من يؤمن بدعوته صلى الله عليه وسلم  
ويقبلها يتعبد بالأعمال الصالحة ويحفظ ما يتلى عليه من القرآن ويتفقه في أمر دينه .  
( ٥ ) الأصل في ( يذكرك ) يتذكر - أدغمت التاء في الزاي . انظر اعراب القرآن ( ٦٢٦٣ )  
أما المعنى فقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٧ / ٩ ) : " أي : يتعظ بما  
يتعلمه منك من مواعظ القرآن " .  
انظر أيضا تفسير البغوي ( ٢٠٩ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ٢١٤ / ٨٩ ) والكشاف  
( ٧٠١ / ٤ ) .  
( ٦ ) فسر البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٠٩ / ٧ ) كلمة ( الذكرى ) بالموعظة ، وفسرها  
القرطبي في تفسيره ( ٢١٤ / ١٩ ) بالعظة ، وهو أحد الوجهين اللذين ذكرهما  
الماوردي في الكلمة . والوجه الثاني : الفقه . انظر تفسيره ( ٣٩٩ / ٤ ) .  
( ٧ ) قال الزمخشري في الكشاف ( ٧٠١ / ٤ ) في معنى الآية : " والمعنى :  
أنك لا تدرى ما هو مترقب منه ، من ترك أو تذكر ، ولودريت لما فرط  
ذلك منك " .

(أما من استغنى) يبنى من أظهر الإستغناء عنك<sup>(١)</sup> وقوله (فانتله تصدّي) (أى تتعرض - وتقبل عليه<sup>(٢)</sup> وقيل : إن أصله تصدّر فقلت إحدى الدالين ياء<sup>(٣)</sup> قوله (وما عليك ألا يزكى) (أى وما عليك ألا يسلم والمعنى : أنه لو لم يسلم<sup>(٤)</sup>

(١) ذكر البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٠٩/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٢٧/٩) عن ابن عباس أنه قال : استغنى عن الله وعن الإيمان بماله من المال ، وقال القرطبي فى تفسيره (٢١٤/١٩) : "أى : كان ذا ثروة وغنى" .

ونذكر الرازى فى تفسيره (٥٦/٣١) عن عطاء : يريد عن الإيمان ، وعن الكلبى أنه قال : استغنى عن الله " ثم قال : قال بعضهم : استغنى : أشرى ، وهو فاسد ههنا ، لأن إقبال النبی عليه الصلاة والسلام لم يكن لثروتهم وما لهم ، حتى يقال له : أما من أشرى . فأنت تقبل عليه ، ولأنه قال (وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى) ولم يقل : وهو فقير عديم ، ومن قال : أما من استغنى بماله فهو صحيح ، لأن المعنى أنه استغنى عن الإيمان والقرآن بماله من المال .  
انظر أيضا البحر المحيط (٤٢٧/٨) .

(٢) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٠٩/٧) فى تفسير الآية : " تتعرض له وتقبل عليه وتصفى إليه " . ونقل الرازى فى تفسيره (٥٦/٣١) عن الزجاج : أى أنت تقبل . وتعرض له وتميل إليه ، يقال : تصدى فلان لفلان يتصدى ، إذا تعرض له " .

انظر أيضا مجاز القرآن (٢٨٦/٢) وتفسير غريب القرآن (٥١٤) .  
(٣) قال القرطبي فى تفسيره (٢١٤/١٩) : " أصله تتصدّر من الصدّ ، وهو ما استقبلك ، وصار قبالتك يقال : دارى صدّد داره أى قبالتها ، نصيب على الظرف . وقيل : من الصدّى وهو العطش ، أى تتعرض له كما يتعرض العطشان للماء ، والمصاداة : المعارضة . وقال ابن منظور فى لسان العرب (٤٥٦/١٤) : " وقيل فى قولهم فلان يتصدى لفلان : إنه ماخوذ من اتبأه صداه أى صوته ومنه قول آخر : ماخوذ من الصدّ فقلت إحدى الدالات ياء فى يتصدّى " . ثم ذكر قوله تعالى (فأنت له تصدى) وقال : أى تتعرض والأصل فيه الصدّ وهو القوب ، وأصله يتصدّر فقلت إحدى الدالات ياء ، وكل ما صار قبالتك فهو صدّدك " .

(٤) تكررت العبارة من قوله " وما عليك ألا يزكى " ، (إلى قوله) ولو لم يسلم فى نسخة الأصل ، وهى غير مكسرة فى نسخة ب ، إلا أنه جاء بعد قوله (ولو لم يسلم) زيادة (وطيك) وليس لهذه الزيادة معنى .

ذلك الذي أقبلت عليه لم يكن عليك من ذلك شيء<sup>(١)</sup> وقوله ( وأما من جاءك يسعى ) أى يطلب الخير<sup>(٢)</sup> وقوله ( وهو يخشى ) أى يخاف الله تعالى<sup>(٣)</sup> وقوله ( فأنت عنه تلهى ) أى تعرض ، وقيل : تشتغل عنه بغيره<sup>(٤)</sup> ، ومن هذا ما روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه قال : إذا رأيت الله استأثر عليك بشيء ، فإله عنه<sup>(٥)</sup> ، أى أتركه وأعرض عنه ،

( ١ ) قال الرازى فى تفسيره ( ٥٦ / ٣١ ) " المعنى : لا شيء عليك فى أن لا يسلم من تدعوه إلى الإسلام ، فإنه ليس عليك إلا البلاغ ، أى : لا ييلفن بك الحرص على إسلامهم إلى أن تعرض عن أسلم للاشتغال بدعوتهم ، وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٨ / ٩ ) : " أى : أى شيء عليك فى أن لا يسلم من تدعوه إلى الإسلام ؟ يعنى : أنه ليس عليه إلا البلاغ " وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٧٠ / ٤ ) " أى ما أنت بمطالب منه إذ لم يحصل له زكاة " .

( ٢ ) قال الرازى فى تفسيره ( ٥٧ / ٣١ ) : " ( وأما من جاءك يسعى ) أى : يسرع فى طلب الخير ، كقوله تعالى ( فاسعوا إلى ذكر الله ) وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢١٥ / ١٩ ) : " يطلب العلم لله " .  
وقال أبو حيان : " أى يسعى بسرعة فى أمر دينه " انظر البحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ )

( ٣ ) كذا ذكره القرطبي فى تفسيره ( ٢١٥ / ١٩ ) وأما الرازى فقد ذكر فى معنى ( يخشى ) ثلاثة أوجه . أحدها : يخشى الله ويخافه فى أن لا يهتم بأداء تكليفه والثاني : يخشى الكفار وأذاهم فى إتيانك . والثالث : أو يخشى الكبوة ، فإنه كان أعى ، وما كان له قائد . وذكر هذه الأوجه الثلاثة أبو حيان أيضا فى البحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) والصواب أنه كان يخاف الله ويخشاه - لأنه هو الذى يليق بأمثاله من الصحابة الأجلة . وأما أنه جاء وليس له قائد فقد تقدم فى أثر ابن زيد ما يدل على أن له قائد . انظر ص ٤٢٢ .

( ٤ ) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٠٩ / ٧ ) فى معنى ( تلهى ) " تتشاغل وتعرض " وقال الزجاج : " تتشاغل عنه ، يقال : لهيت عن الشيء ، الهى عنه : إذا تشاغلت عنه . وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢١٥ / ١٩ ) " أى تعرض عنه بوجهك وتشتغل بغيره " وأصله : تلهى يقال : لهيت عن الشيء ، الهى : أى تشاغلت عنه ، والتلهى : التفاضل . انظر أيضا تفسير الرازى ( ٥٧ / ٣١ ) والبحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) والمفردات ( ٤٥٥ ) ويتبين من هذه النقول أن القولين اللذين ذكرهما المؤلف معناهما واحد .

( ٥ ) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى أمير المؤمنين ، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولى أمرة المدينة للوليد ، وكان مع سليمان كالوزير ، وولى الخلافة بعده فعد مع الخلفاء الراشدين ، توفى فى رجب سنة إحدى وأربعين ، وله أربعون سنة ومدة خلافته سنتان ونصف .  
انظر تقريب التهذيب ( ٢٥٥ ) وشذرات الذهب ( ١١٩ / ١ ) .

( ٦ ) لم أهد إلى من ذكر هذا الأثر أو رواه .

وقد قال سفيان ابن عيينة : كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا جاءه عبد الله بن أم مكتوم بسطر رداه وقال : يا من عاتبنى فيه ربي - واستخلفه على المدينة مرتين .<sup>(١)</sup> وقيل : مرات<sup>(٢)</sup> حتى خرج إلى الغزو .<sup>(٣)</sup> وفي بعض التفاسير : أن النبي صلى الله عليه وسلم ماروى بعد ذلك متصدياً لفني ولا معرضاً عن فقير<sup>(٤)</sup> ، قوله تعالى

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٢١٥/١٩) عن سفيان الثوري لا عن سفيان بن عيينة .

وفيما يبدو لي أن ما ذكره القرطبي هو الصواب لأنه تقدم عن سفيان الثوري رواية في هذه القصة ولا يستبعد أن يكون ذلك خطأ من النسخ . وقد ذكر البغوي في تفسيره (٢٠٨/٧ - ٢٠٩) سبب النزول لهذه الآية بنحو ما تقدم عن ابن عباس ، وذكر في آخره : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه ، وإذا رآه قال : مرحباً بمن عاتبنى فيه ربي ، ويقول له : هـنـلـك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم " اهـ .

انظر أيضاً تفسير الثعلبي (١/٣٢/١٣) .

وأما استخلافه على المدينة فقد جاء في رواية قتادة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه مرتين على المدينة في غزوتين غزاها ، صلى بأهلها انظر تفسير الطبري (٥١/٣٠) .

(٢) ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (٥٠٢/٢) - المطبوع بهامش الإصابة) أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته - ثم عند هذه الغزوات الاثنتي عشرة ، وقال : ذكر ذلك جماعة من أهل السير والعلم بالنسب والخبر . وأشار إلى رواية قتادة ثم قال : " لم يبلغه ما بلغ غيره " انظر أيضاً الإصابة (٥٢٣/٢) .

(٣) يقصد خروجه إلى القادسية ، كما جاء ذلك عن أنس قال : إنه رآه يوم القادسية معه راية سوداء وعليه درع له " رواه الطبري في تفسيره (٥١/٣٠) .  
وذكر خروجه إلى القادسية كل من ابن عبد البر وابن حجر .  
واختلف في موته فذكر الزبير بن بكار أنه شهد القتال واستشهد هناك ، وذكر الواقدي أنه رجع إلى المدينة فمات بها .  
انظر الاستيعاب (٥٠٢/٢) والإصابة (٥٢٣/٢) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٥/٦) قال : " أخرج ابن أبي حاتم عن الحكم قال : ماروى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية متصدياً لفني ولا معرضاً عن فقير " .

( كلا ) قال الحسن : <sup>(١)</sup> حقاً . وقيل : المعنى هو الردع والزجر يعنى ليسس  
ينبغى أن تكون الأمر على هذا <sup>(٢)</sup> - وهو ما سبق ذكره <sup>(٣)</sup> ، وقوله ( إنها تذكرة )  
أى هذه السورة تذكرة <sup>(٤)</sup> ، وقيل : الأنبياء والقصص تذكرة <sup>(٥)</sup> . وقوله ( فمن شاء ذكره )  
أى فمن شاء الله الهمة وذكره <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) لم أجد من ذكر هنا عن الحسن أن ( كلا ) معناه : حقاً ، وقد ذكر القرطبي  
في تفسيره ( ٧٠ / ١٩ ) عند قوله تعالى " كلا إنه كان لآياتنا عنيدا " سورة  
المدثر الآية ١٦ أنه قيل : كلا بمعنى حقاً . وذكر ابن منظور في لسان  
العرب ( ٥٩٨ / ١١ ) أن كلا قد ترد بمعنى حقاً وكلا المعنيين ( أى أن معناه :  
تهديد ، أو أن معناه : حقاً ) ورد عن الحسن .  
انظر ما تقدم في ( ص ٣٤٥ ) وما سياتى في ( ص ٤٤١ ) نقلاً عن البغوى .

( ٢ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٢١٥ / ١٩ ) " ( كلا ) : كلمة ردع وزجر ، أى ما  
الأمر كما تفعل مع الفريقين ، أى : لاتفعل بعدها مثلها : من اقبالك على  
الثنى ، واعراضك عن المؤمن الفقير .

( ٣ ) في عديد من الآيات . انظر على سبيل المثال ص ( ٢٣٥ )

( ٤ ) هو قول الغراء . انظر معاني القرآن ( ٢٣٦ / ٣ ) : وذكره الماوردي في تفسيره  
( ٣٩٩ / ٤ ) وعزاه إلى الغراء والكلبى . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير  
( ٢٨ / ٩ ) وعزاه إلى الغراء وذكره الرازي في تفسيره ( ٥٧ / ٣١ ) عن الكلبى ، وقال :  
وهو قول الأخفش - وهذا هو اختيار ابن قتيبة .  
انظر تفسير غريب القرآن ( ٥١٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢١٥ / ١٩ ) .

( ٥ ) لم أجد من ذكر هذا القول . قال مقاتل في تفسيره ( ٣٨٦ / ب ) : يعنى آيات  
القرآن . وانظر أيضا تفسير الماوردي ( ٣٩٩ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ٢٠٩ / ٧ ) ،  
وزاد المسير ( ٢٨ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢١٥ / ١٩ ) وقال ابن كثير في تفسيره  
( ٤٧١ / ٤ ) " أى هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس فى إبلاغ العلم  
بين شريفهم ووضيعهم " ثم ذكر عن قتادة والسدى أنهما قالا : ( كلا إنها  
تذكرة ) يعنى القرآن . وهذا القول ذكره الرازي في تفسيره ( ٥٧ / ٣١ ) وقال :  
والقرآن مذكر ، إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة أخرجه على لفظ التذكرة . انظر  
أيضا تفسير القرطبي ( ٢١٥ / ١٩ ) .

( ٦ ) هو قول مقاتل . كما ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٠٠ / ٤ ) والبغوى في تفسيره  
( ٢٠٩ / ٧ ) وفي تفسير مقاتل ( ق ٣٨٦ / ب ) : يعنى الرب تعالى نفسه يقول :  
من شاء الله تعالى فقهه يعنى القرآن . وقال القرطبي في تفسيره ( ٢١٥ / ١٩ ) :  
روى الصحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى : ( فمن شاء ذكره ) قال : من شاء الله  
تبارك وتعالى الهمة . وذكر الماوردي فى تفسيره ( ٤٠٠ / ٤ ) قولاً آخر فقال :  
فمن شاء أن يتذكر بالقرآن أن ذكره الله ، وهو معنى قول الكلبى . وقال ابن كثير  
فى تفسيره ( ٤٧١ / ٤ ) " أى فمن شاء ذكر الله تعالى فى جميع أموره ، ويحتمل  
عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه .

وقوله ( في صحف ) يعنى القرآن ، وقيل : الأنبياء والقصص<sup>(١)</sup> ، فعلى القول الأول قوله ( فمن شاء ذكره ) ينصرف إلى القرآن<sup>(٢)</sup> . والصحف جمع صحيفة

( ١ ) لم أجد من صرح فى معنى ( الصحف ) بهذين القولين اللذين ذكرهما المؤلف . وقد ذكر أبو حيان فى البحر المحييط ( ٤٢٨ / ٨ ) والالكوسى فى زوح المعانى ( ٤٢ / ٣٠ ) فى معناها ثلاثة أقوال .

أحدها : أن المراد بها اللوح المحفوظ ، وهذا القول ذكره القوطبى فى تفسيره ( ٥٣ / ٣٠ ) وأبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٢٨ / ٣ ) وقال : هذا على تفسير ابن عباس - وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٩ / ٩ ) وعزاه إلى مقاتل .  
انظر أيضا تفسيره ( ٣٨٦ / ب ) ولكن الألكوسى لم يروض بهذا القول ، وقال : " وهو غير ظاهر " - ولذلك ذكر هذا القول بلفظ : الصحف المنتسخة من اللوح المحفوظ " وبهذا اللفظ ذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٧٠٢ / ٤ ) ، والرازى فى تفسيره ( ٥٨ / ٣١ ) .

والثانى : كتب الأنبياء - ذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٠٩ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٩ / ٩ ) وقال : ذكره الثعلبى ، والرازى فى تفسيره ( ٥٨ / ٣١ ) والثعالبى فى تفسيره ( ٣٨٧ / ٤ ) - ويدل عليه قوله تعالى : ( إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صَحَافِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ) سورة الأعلى الآية ١٩ ) انظر الكشاف والبيان ( ١ / ٣٩ / ١٣ ) .

والثالث : صحف المسلمين ، على أنه إخبار بالنفيس فإن القرآن بمكة لم يكن فى الصحف ، وإنما كان متفرقا فى الدفاف والجريد ونحوهما ، وأول ما جمع فى صحيفة فى عهد أبى بكر الصديق " وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٧١ / ٤ ) عند هذه الآية : " أى هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن فى صحف مكة " أى معظمة موفورة .

ويدل على أن الصواب هو القول الأول يعنى أن المراد اللوح المحفوظ ، وذلك لأن الأوصاف المذكورة للصحف إنما تليق باللوح المحفوظ .

وقوله ( مكْرمة ) أى كريمة على الله . وقيل : مكْرمة لأنها نزلت من رب كريم . (١) وقوله ( مرفوعة ) يجوز : أن يكون المعنى مرفوعة فى المكان . ويجوز : أن يكون المعنى مرفوعة القدر والمنزلة عند الله تعالى (٢) وقوله تعالى ( مطهرة ) قال الحسن : مطهرة من كل دنس ، (٤) وقيل : مطهرة أى مصونة من أن ينالها

(١) ذكر الماوردي فى تفسيره (٤/٤٠٠) والقوطي فى تفسيره (١٩/٢١٥) فى معنى ( مكْرمة ) عدة أقوال .

أحدها : أنها مكْرمة عند الله - قاله السدى . والثانى : أنها مكْرمة فى الدين لما فيها من العلم والحكم . والثالث : أنها مكْرمة لأنها نزل بها كرام الحفظ ، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ . والرابع : أنها مكْرمة لأنها نزلت من كريم ، لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه .

(٢) ذكره الماوردي فى تفسيره (٤/٤٠٠) والقوطي فى تفسيره (١٩/٢١٦) ، وأبوحيان فى البحر المحيط (٨/٤٢٨) عن يحيى بن سلام بلفظ : مرفوعة فى السماء السابعة ، وذكره البغوى أيضا فى تفسيره (٧/٢٠٩) دون عزو إلى أحد انظر أيضا الكشاف (٤/٧٠٢) وتفسير الرازى (٣١/٥٨) وهو قول مقاتل أيضا : انظر تفسيره (ق/٣٨٦ ب) .

(٣) ذكره الماوردي فى تفسيره (٤/٤٠٠) والقوطي فى تفسيره (١٩/٢١٦) عن الطبرى : مرفوعة القدر والذكر . وذكره البغوى فى تفسيره (٧/٢٠٩) بلفظ : رفيع القدر عند الله عز وجل " ولم يعززه إلى أحد . انظر أيضا الكشاف (٤/٧٠٢) وتفسير الرازى (٣١/٥٨) والبحر المحيط (٨/٤٢٨) . وذكر الماوردي بلفظ : الاحتمال والقوطي وأبوحيان ذكرا قولاً آخر وهو : أنها مرفوعة عن الشَّبه والتناقض " .

ويبدو لى - والله أعلم - أن أحسن هذه الأقوال هو القول بأنها عالية القدر عند الله عز وجل ، وهو الذى اختاره ابن كثير (٤/٤٧١) وإن كانت جميعها يتصف بها القرآن .

(٤) ذكره القوطي فى تفسيره (١٩/٢١٦) وأبوحيان فى البحر المحيط (٨/٤٢٨) والأكوسى فى روح المعانى (٣٠/٤٢) عن الحسن وذكره الماوردي فى تفسيره (٤/٤٠٠) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٢٩) عن يحيى بن سلام . وذكر عن الحسن قول آخر وهو أنها مطهرة من أن تنزل على المشركين .

أيدى الكفار الأنجاس<sup>(١)</sup> . وقوله ( بأيدى سفرة ) السفرة : هى الملائكة الذين يَشْفِرُونَ بالوحي بين الله وبين رسوله<sup>(٢)</sup> . ويقال للكتاب " سفرة " وللصالح بين الجماعة " سفير " وهو مأخوذ من تبين الأمر وإيضاحه ، ويقال : سَفَرَتِ المرأةُ عَن وجهها إذا كشفته ، ويقال : أسفر الصبح إذا أضاء<sup>(٣)</sup> ، ومن قول

( ١ ) ذكره القرطبي فى تفسيره ( ٢١٦ / ١٩ ) وقال : وهو معنى قول السدى . وقد ذكرت أقوال أخرى فى معنى ( مطهرة ) منها أنها مطهرة من الشرك والكفر ، قاله مقاتل . وقيل : إنها مطهرة لأنه لا يمسها إلا المطهرون - قاله الفراء . وقيل : إنها منزهة عن أيدى الشياطين ، لا يمسها إلا أيدى ملائكة مطهرين ، ذكره الزمخشري .

انظر معانى القرآن ( ٢٣٦ / ٣ ) وتفسير الماوردي ( ٤٠٠ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ٢٠٩ / ٧ ) وزاد المسير ( ٢٩ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢١٦ / ١٩ ) والكشاف ( ٧٠٢ / ٤ ) والبحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) .

( ٢ ) قال ابن الجوزي فى زاد المسير ( ٢٩ / ٩ ) : " قوله تعالى : ( بأيدى سفرة ) فيهم قولان : أحدهما : أنهم الملائكة ، قاله الجمهور . الثانى : أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - قاله وهب بن منبه .

وفى معنى ( سفرة ) ثلاثة أقوال :

أحدها : أنهم الكتبة - قاله ابن عباس ومجاهد وأبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج . ثم ذكر عن الزجاج ما قاله فى معنى الكلمة - وهى مثل كتبة معنى ووزناً .

والثانى : أنهم القراء - قاله قتادة ، وذكر هذا المعنى المؤلف أيضا كما سيأتى قريباً . والثالث : أنهم السفراء ، وهم المصلحون - قال الفراء : والمغرب تقول : سَفَرَتُ بين القوم إذا أصلحت بينهم ، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تبارك وتعالى وتأديبه كالسفير الذى يصلح بين القوم . انظر معانى القرآن للفراء ( ٢٣٦ / ٣ ) ومجاز القرآن لأبى عبيدة ( ٢٨٦ / ٢ ) وتفسير غريب القرآن ( ٥١٤ ) وتفسير الطبرى ( ٥٣ / ٣٠ ) وتفسير الماوردي ( ٤٠٠ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ٢٠٩ / ٧ ) والكشاف ( ٧٠٢ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٥٨ / ٣١ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٧١ / ٤ ) .

( ٣ ) ذكر ابن الجوزي فى زاد المسير ( ٢٩ / ٩ ) نحو هذا الكلام عن الزجاج . انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢١٦ / ١٩ ) ولسان العرب ( ٣٧٠ / ٤ ) .



( ١ )  
توبة بن حمير :

( وكنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ ) لَيْلَى تَبَرَّقَعْتُ فَقَدَّرَ ابْنِي مِنْهَا الْفِدَاةَ سَفُورَهَا ( ٣ )

أى ظهورها ، وقال قتادة والضحاك : ( بأيدى سفرة ) هم القراء الذين يقرءون الآيات ( ٤ ) .

وقال الفراء في قوله ( مرفوعة مطهرة ) سعاها مرفوعة مطهرة لأنها أنزلت من

اللوح المحفوظ ( ٥ ) .

( ١ ) هو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العُقَيْلِي العامري أبو جريب ، شاعر من شعراء الغزل ، وأحد المشلق المشهورين عرف بحبه ليلي الأخيلية وكان موجودا في صدر دولة بني أمية ، وكان يغير على بعض القبائل ، أغتار مرة على بني عوف بن عامر فأطرد ابلمهم وقتل رجلا منهم فطلبوه حتى قتلوه .

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ( ٢٦٨ ) والأغاني ( ٢٠٤ / ١١ ) ، وسمط اللالكسي ( ١٢٠ / ١ ) ( ٢٠٧ / ٢٠ ) والأعلام ( ٨٩ / ٣ - ٩٠ ) .

( ٢ ) في الأصل تكررت عبارة ( إِذَا مَا جِئْتُ ) ولا توجد فيه وفي نسخة ( ب ) كلمة ( وكنْتُ ) والتصويب من ديوانه .

( ٣ ) البيت في الشعر والشعراء ( ص ٢٦٩ ) والأغاني ( ٢٠٥ / ١١ ) ولسان العرب ( ٩ / ٨ ) .

( ٤ ) ذكره ابن جريو في تفسيره ( ٥٣ / ٣٠ ) والماوردي في تفسيره ( ٤٠ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٩ / ٩ ) والرازي في تفسيره ( ٥٨ / ٣١ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤٧١ / ٤ ) كلهم ذكروا عن قتادة أنهم القراء - زاد بعضهم فقال : - لأنهم يقرءون الأسفار ولم أجد من ذكره عن الضحاك . وقد ذكره ابن كثير مع القائلين بأنهم الملائكة .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : السفرة بالنبطية القراء . ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣١٥ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

( ٥ ) انظر معاني القرآن ( ٢٣٦ / ٣ ) . ونص كلامه : ( في صحيف مكرمة ) لأنها نزلت من اللوح المحفوظ عند ربك هنالك مطهرة ، لا يمسها إلا المطهرون ، وهذا مثل قوله : " فالمدببرات أمرا " .

وقيل : ( سفرة ) : هم ملائكة موكون بالأسفار من كتب الله تعالى ومنه  
 أسفار موسى واحدها سفر وقال الشاعر<sup>(٢)</sup> :  
 فَمَا أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي  
 وَمَا أَمْشِي بِفِيهِ إِنْ مَشَيْتُ<sup>(٣)</sup>  
 وسمى السفير بين الاثنين سفيراً لأنه يظهر عما في قلب هذا وعما في قلب  
 الآخر ليصلح بينهما .

( ١ ) لم أجد أحداً من المفسرين ذكر هذا القول .  
 وأما الراجح فيما تقدم من أقوال في معني ( سفرة ) فذكر ابن جرير في  
 تفسيره ( ٥٤ / ٣٠ ) أن الصحيح : القول بأنهم الملائكة الذين يسفرون بين  
 الله ورسله بالوحي وسفير القوم : الذي يسمى بينهم بالصلح ، يقال :  
 سفرت بين القوم : إذا أصلحت بينهم . وذكر أيضاً أنه يحتمل على هذا  
 التأويل قول القائلين بأنهم الكتبة أو أنهم القراء ، لأن الملائكة هي التي  
 تقرأ الكتب وتسفر بين الله وبين رسله .

وكذا ذكر أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٢٨ / ٣ ) فقال : والصحيح  
 القول الأول ( أي أنهم الملائكة ) ومعروف في كلام العرب أنه يقال : سَفَّرَ  
 الرجل بين القوم إذا ترَسَّلَ بينهم بالصلح ، والملائكة سفرة لأنهم رسل الله  
 تعالى إلى أنبيائه صلوات الله عليهم ، وهم أيضاً كتبة يكتبون أفعال  
 العباد . فهذا كله غير متناقض ( وروى الثعلبي في تفسيره ( ١ / ١٩ / ١٣ )  
 بسنده عن وهب بن منبه : أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو غير  
 صحيح .

قال ابن العربي : لقد كان أصحاب محمد كراماً برة ، ولكن ليسوا بمراديين  
 بهذه الآية ولا قاربوا المراديين بها ، بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند  
 الإطلاق ، ولا يشاركهم فيها سواهم ولا يدخل معهم في تناولها غيرهم .

ثم ذكر الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه ( ٦٩١ / ٨ ) بسنده عن  
 عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ  
 وَهُوَ حَافِظُهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَمَاهَدُهُ وَهُوَ  
 عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ " . انظر احكام القرآن لابن العربي ٤ / ١٩٠٦ .

( ٢ ) لم أعرف من هو .

( ٣ ) البيت من شواهد الغراء في معاني القرآن ( ٢٣٦ / ٣ ) وهو في تفسير الطبري  
 ( ٥٤ / ٣٠ ) وزاد المسير ( ٣٠ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢١٦ / ١٩ ) وتفسير  
 ابن كثير ( ٤٧١ / ٤ ) والبحر المحيط ( ٤٢٥ / ٨ ) وهو في الجميع غير منسوب .

وقوله ( كرام بسرة ) فقوله كرام صفة الملائكة : أى كرام على الله (١) / ٣١٧ ب  
 وقوله ( برره ) أى مطيعين - وهو فى معنى قوله ( لا يعصون الله ما أمرهم  
 ويفعلون ما يؤمرون ) (٢) وفى بعض الكتب : أن فى السماء ملائكة بأيدىهم  
 الصحف يقرءون القرآن وعبادتهم ذلك ، وهذا راجع إلى ما بينا من قبل  
 قول الضحاك (٥)

( ١ ) هو قول الكلبى - كما صرح به الماوردى فى تفسيره ( ٤٠١ / ٤ ) والقرطبى  
 فى تفسيره ( ٢١٧ / ١٩ ) وذكره الرازى فى تفسيره ( ٥٨ / ٣١ ) من قول مقاتل ،  
 وانظر أيضاً تفسيره ( ق ٣٨٦ / ب ) وذكره البغوى والخازن فى تفسيرهما  
 ( ٢٠٩ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٠ / ٩ ) دون عزو إلى أحد .

وذكر الماوردى والقرطبى أقوالاً أخرى فى معنى الكلمة منها : أنهم  
 كرام عن المعاصى فهم يوفعون أنفسهم عنها ، قاله الحسن ، وقيل : إنهم  
 يتكرومون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا بزوجه أو تبسز لفائظه . هذا  
 لفظ القرطبى وذكر أنه رواه الضحاك عن ابن عباس ، وذكره بهذا اللفظ  
 الرازى أيضاً وعزاه إلى عطاء .

وأما الماوردى فذكره بلفظ : يتكرومون على من باشر زوجته بالستر عليه  
 دفاعاً عنه وصيانة له - وهو معنى قول الضحاك " وقيل : إنهم يؤثرون منافع  
 غيرهم على منافع أنفسهم . ذكره الماوردى بلفظ الاحتمال ، وذكره القرطبى .

( ٢ ) هو قول السدى - وقد صرح به الماوردى فى تفسيره ( ٤٠١ / ٤ ) وذكره الرازى  
 فى تفسيره ( ٥٨ / ٣١ ) من قول مقاتل .

وذكره البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٠٩ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير  
 ( ٣٠ / ٩ ) دون عزو إلى أحد . وذكر الماوردى قولين آخرين أحدهما :  
 صادقين وأصلين قاله الطبرى ، وأنا لم أجده عنده .

والثانى : متقين مطهرين قاله ابن شجرة . وقال بعد ذكره لهذه الأقسام  
 الثلاثة : ويحتمل قولاً رابعاً : أن البسرة من تعدى خبرهم إلى غيرهم ، والخيرة  
 من كان خبرهم مقصوداً عليهم . وذكر الفراء فى معاني القرآن ( ٢٣٧ / ٣ ) :  
 واحد البسرة فى قياس العربية : بار ، لأن العرب لا تقول : فعله يتوون به  
 الجمع إلا والواحد منه فاعل : مثل : كافر وكفرة ، ولكن الذى تقوله العرب :  
 رجل برّ وامرأة برة ، ثم جمع على تأويل فاعل .

( ٣ ) سورة التحريم الآية ٦ .

( ٤ ) لم أجده من ذكره من المفسرين .

( ٥ ) يقصد القول الذى ذكره عن الضحاك وقتلادة وهو أن المراد من ( سفرة ) القراء  
 الذين يقرءون الآيات .

قوله تعالى ( قتل الإنسان ما أكفره ) بين الله تعالى من العبر والآيات في الآدمى ما لا ينبغي أن يكفر معها وقوله ( قتل ) أى لمن - والإنسان : هو الكافر<sup>(٢)</sup> ، وقيل : هو الوليد بن المغيره وقيل : أمية بن خلف<sup>(٣)</sup> ، وروى الضحاك عن ابن عباس : أن الآية نزلت في عتبة بن أبي لهب لما أنزل الله تعالى سورة (والنجم) قال عتبة : انا أكفر بالنجم<sup>(٤)</sup> إذا هوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك - وروى أنه قال :

( ١ ) كذا فسره البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٠٩ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٠ / ٩ ) واختاره ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٥١٤ ) وذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤٧١ / ٤ ) قال : قال الضحاك عن ابن عباس - انظر أيضا اعراب القرآن ( ٦٢٨ / ٣ ) وهو أحد الوجهين اللذين ذكرهما الماوردى في تفسيره ( ٤٠١ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢١٧ / ١٩ ) والوجه الثاني : عذب .

وقال النحاس : ومعنى قتل : أهلك ، لأن المقتول مهلك ، انظر اعراب القرآن ( ٦٢٨ / ٣ ) وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٠٢ / ٤ ) وتبعه السرازي في تفسيره ( ٥٩ / ٣١ ) : ( قتل الإنسان ) دعاء عليه ، وهى من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدايد الدنيا وفظائعها .  
انظر أيضا البحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) .

( ٢ ) هو قول مجاهد ، وقد صرح به الماوردى في تفسيره ( ٤٠١ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٠ / ٩ ) وذكر أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٢٨ / ٣ ) : قال مجاهد : إذا قال الله تعالى : قتل الإنسان أو فعل به فهو الكافر .  
انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢١٧ / ١٩ ) .

( ٣ ) ذكر الماوردى في تفسيره ( ٤٠١ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٠ / ٩ ) عن الضحاك أنه أمية بن خلف - انظر أيضا تفسير الخازن ( ٢١٠ / ٧ ) ولم أجد من صرح من المفسرين بأن المراد من الإنسان هو الوليد بن المغيره سوى أن الرازي ذكر في تفسيره ( ٥٩ / ٣١ ) " المراد بالإنسان الذين أقبل الرسول عليهم وتترك ابن أم مكتوم بسببهم " وتقدم أن الوليد بن المغيره كان من أولئك الذين يتكلم معهم النبي صلى الله عليه وسلم طمعا في إسلامهم .

( ٤ ) ورد فيما ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣١٥ / ٦ ) من رواية ابن المنذر عن عكرمة : أن عتبة قال : كفرت برب النجم .

اللهم سلط عليه أسد الفاضرة<sup>(١)</sup> والفاضرة موضع - ثم إنه خرج بعد ذلك في رفقة فلما بلغ ذلك الموضع ذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمر أهل الرفقة أن يحرسوه تلك الليلة ففعلوا وجاء الأسد ووثب وثبة وصار على ظهره واقترسه<sup>(٢)</sup>

(١) الفاضرة في الأصل اسم قبيلة ، كما قال الزبيدي في تاج العروس (٣ / ٤٥٠) الفاضرة قبيلة من أسد وهم بنو فاضرة بن بغريض بن زيث بن غطفان بن سعد ، وفاضرة حي من بنى غالب بن صعصعة بن معاوية ولم أجد من ذكر أن الفاضرة اسم موضع إلا المؤلف ، ولعل هذا الموضع سمي بذلك نسبة إلى هذه القبيلة .

(٢) هو قول مقاتل في تفسيره (ق ٣٨٦ / ب) وذكر لذلك قصة وهي أن عتبة غضب على أبيه فأتى محمداً صلى الله عليه وسلم فآمن به ، فلما رضى عنه فصالحه وجهه - وسرحه إلى الشام بالتجارات فقال : بلغوا محمداً عن عتبة أنه كفر بالنجم ، فلما سمع بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم سلط عليه . الخ . وذكره الماوردي في تفسيره (٤ / ٤٠١) فقال :

إنه عتبة بن أبي لهب حين قال : إنى كفرت برب النجم إذا هوى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم سلط عليه ككبك ، فأخذه الأسد في طريق الشام - قاله ابن جريج والكلبي ، وذكره البغوي في تفسيره (٧ / ٢٠٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٩ / ٣٠) والثعلبي في تفسيره (٢ / ٣٩١) عن مقاتل . انظر أيضاً تفسير الرازي (٣١ / ٥٩) وتفسير الخازن (٧ / ٢١٠) .

أما القصة فقد ذكرها القرطبي في تفسيره (٩ / ٢١٧) بأطول مما ذكره المؤلف . قال : روى الضحاك عن ابن عباس قال : نزلت في عتبة بن أبي لهب ، وكان قد آمن . فلما نزلت ( والنجم ) ارتد وقال : آمنست بالقرآن كله إلا النجم ، فأنزل الله فيه ( قتل الإنسان ) إلى آخر القصة . ولكنه قال : " اللهم سلط عليه ككبك أسد الفاضرة " . وقال فيه أيضاً " فجعل لمن معه ألف ديناراً إنه هو أصبح حياً " فجعلوه فسى وسط الرفقة ، وجعلوا المتاع حوله .

وذكر القصة أيضاً الألويسي في روح المعاني (٣٠ / ٤٣) مطولاً قال : أخرج ابن المنذر عن عكرمة . قال : نزلت في عتبة ابن أبي لهب فاضب أباه فأسلم ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه إلى الشام فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كافر برب النجم إذا هوى ، إلى آخر القصة . وذكرها أبو حيان أيضاً في البحر المحيط (٨ / ٤٢٨) دون عزو إلى أحد وقال : والآية وإن نزلت في مخصوص فالإنسان يواد به الكافر وهو الصواب والله أعلم .

واختار الرازي في تفسيره (٣١ / ٥٩) أن المراد من كل غني ترفع على فقير بسبب الغنى والفقر - ثم ذكر وجوهها تدل على ذلك - منها أنه تعالى ذمهم لترفعهم فوجب أن يعم الحكم بسبب عموم العلة .

وقوله ( ما أكفره ) ويجوز أن يكون أيضاً<sup>(١)</sup> على وجه التوبيخ وإن كان اللفظ لفظ الاستفهام فالمعنى أى شىء أكفره بالله وقد أراه من قدرته ما أراه<sup>(٢)</sup> . وقولـــــــــــــــــه

( ١ ) كذا في النسختين (أيضاً) ولم يسبق له أن ذكر قولاً في معنى قوله تعالى ( ما أكفره ) مما يدل على أنه وقع سقط في العبارة . ولعل الساقط هو " إنه على وجه التعجب " وقد ذكره بعض المفسرين .

( ٢ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٠١ / ٤ ) من قول السدي ويحيى ابن سلام . قال : أى شىء أكفره ، على وجه الاستفهام . قاله السدي ويحيى بن سلام . وذكره البغوي في تفسيره ( ٢١٠ / ٧ ) من قول الكلبي ومقاتل . ويعني أى شىء حمله على الكفر " وفي تفسير مقاتل ( ق / ٣٨٦ ب ) يقول : ما الذى أكفره " وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣١ / ٩ ) من قول السدي . وقال : فعلى هذا يكون استفهام توبيخ . انظر أيضاً تفسير الطبري ( ٥٤ / ٣٠ ) وعراب القرآن ( ٦٢٨ / ٣ ) وتفسير القرطبي ( ٢١٨ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٧١ / ٤ ) وذكر في ذلك وجه آخر وهو أنه على وجه التعجب قال الماوردي في تفسيره ( ٤٠١ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢١٨ / ١٩ ) : إن " ما " تعجب ، وعادة العرب إذا تعجبوا من شىء قالوا : قاتله الله ما أحسنه وأخزاه الله ما أظلمه ، والمعنى : أعجبوا من كفر الإنسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣١ / ٩ ) " إنه على وجه التعجب ، وهذا التعجب يومئذ سر به الأدميون . والمعنى : أعجبوا أنتم من كفره . قاله الزجاج وذكر بعض المفسرين عن الزجاج أنه قال : ما أشد كفره . وعن قتادة أنه قال : ما ألعنه .

انظر تفسير الطبري ( ٥٤ / ٣٠ ) وتفسير البغوي ( ٢٠٩ / ٧ - ٢١٠ ) والبحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٧١ / ٤ ) وذكر الرازي في تفسيره ( ٥٩٣ / ٣ ) على القول بأن قوله تعالى ( قتل الإنسان ) دعاء عليه ، وعلى القول بأن ( ما أكفره ) تعجب اعتراضاً ، فقال : فإن قيل : الدعاء على الإنسان إنما يليق بالمعجز والقادر على الكل كيف يليق به ذلك ؟ والتعجب أيضاً إنما يليق بالجاهل بسبب الشىء ، فالعالم بالكل كيف يليق به ذلك . ثم أجاب عن هذا الاعتراض بقوله : أن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب " .

وأما الراجح فيما ذكر في ( ما أكفره ) فقد ذهب الفراء في معاني القرآن ( ٢١٧ / ٣ ) إلى اختيار القول بأنه تعجب . ولكن أبا جعفر النحاس قال : الأولى أن تكون " ما " استفهامية أى ما الذى أكفره مع ظهور آيات الله عز وجل وإنعامه عليه .

انظر عراب القرآن ( ٦٢٨ / ٣ ) ، ويبدو أن القول بالتعجب هو الأصح .

(من أي شيء خلقه) معناه : أفلا يتفكر هذا الكافر من أي شيء خلقه الله تعالى . ثم بين من أي شيء خلقه .<sup>(١)</sup>

وقوله ( من نطفة خلقه ) وقوله تعالى ( فقدره ) قال الكلبي سوى خلقه من يديه ورجليه وعينيه وسائر جوارحه الظاهرة والباطنة ، وهسى<sup>(٢)</sup> معنى قوله تعالى ( خلقك فسواك ) قيل ( فقدره ) : أي وضع كل شيء موضعه وهياً له ما يصلح له .<sup>(٤)</sup>

(١) قال البغوي في تفسيره ( ٢١٠ / ٧ ) : ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه ، فقال : ( من أي شيء خلقه ) لفظه : استفهام ومعناه التقرير وقال القرطبي في تفسيره ( ٢١٨ / ١٩ ) : أي " من أي شيء خلق الله هذا الكافر فتكبر ؟ أي اعجبوا لخلقته " .

(٢) في النسختين زيادة ( هو ) بعد كلمة ( هي ) ولم يبد لي معنى لهذه الزيادة .

(٣) سورة الانعطاف الآية ٧ .

وذكر البغوي في تفسيره ( ٢١٠ / ٧ ) عن الكلبي أنه قال : " قدر خلقه ، رأسه وعينيه ويديه ورجليه " وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣١ / ٩ ) : قدر أعضائه : رأسه وعينيه ويديه ورجليه - قاله ابن السائب ( أي الكلبي ) .

(٤) قال أبوحيان في البحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) " أي فهاه لما يصلح له " . وقال الألويسي في روح المعاني ( ٤٤٤ / ٣٠ ) " ( فقدره ) فهاه لما يصلح له ويليق به من الأشكال والأعضاء فالتقدير بمعنى التهيئة لما يصلح " وقال مقاتل في تفسيره ( ق ٣٨٦ / ب ) وذكر عنه ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣١ / ٩ ) في معنى هذه الآية : قدره أطواراً : نطفة ، ثم علقه ، إلى آخر خلقه " . وذكر هذا القول القرطبي في تفسيره ( ٢١٨ / ١٩ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) دون عزو إلى أحد .

وذكر ابن الجوزي عن الزجاج أنه قال : قدره على الاستواء وذكره القرطبي أيضاً قال : وقيل : ( فقدره ) أي فسواه كما قال : " أكرمت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ) سورة الكهف الآية ٣٧ .

وقال : " الذي خلقك فسواك " سورة الانعطاف الآية ٧ وذكر القرطبي أيضاً وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) " ( فقدره ) في بطن أمه ، وقال القرطبي : كذا روى الضحاك عن ابن عباس : أي قدر يديه ورجليه وعينيه وسائر آراجه ، وحسنه ودميمه ، وقصيراً وطويلاً ، وشقياً وسعيداً " وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٧١ / ٤ ) : " أي قدر أجله ووزقه وعمله وشقى أو سعيد " . وكل هذه الأقوال يصلح أن تكون تفسيراً لقوله تعالى ( فقدره ) فإن كلمة التفسير تشمل كل هذه المعاني .

وقوله ( ثم السبيل يسره ) أكثر أهل التفسير : على أن المراد منه هو الخروج من الرحم . (١) وقيل : معناه يسره سبيل الخير . (٢)

وقيل : بين له سبيل الشقاوة والسعادة قاله مجاهد (٣) والذي تقدم منه قول الحسن . وقوله ( ثم أماته فأقبره ) أى جعل له قبراً يدفن فيه يقال :

(١) هو قول ابن عباس فيما رواه عنه الصوفى وقتادة والسدى ومقاتل . انظر تفسير مقاتل (ق ٣٨٦/ب) وتفسير الطبرى (٥٥/٣٠) وتفسير الماوردى (٤٠٢/٤) وعزاه الماوردى إلى عكرمة والضحاك - وتفسير البغوى (٢١٠/٧) وزاد المسير (٣١/٩) وتفسير الرازى (٦٠/٣١) وتفسير القرطبي (٢١٨/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٧٢/٤) .

(٢) ذكر القرطبي فى تفسيره (٢١٨/١٩) عن مجاهد أنه قال : يسره الطريق الخير والشر، أى بين له ذلك ، دليله : " إنا هدينا السبيل " سورة الإنسان الآية ٣ " وهدينا النجدين " سورة البلد الآية ١٠ .

وقال القرطبي : وقاله الحسن وعطاء وابن عباس أيضاً فى رواية أبى صالح عنه " وقد رواه عنه ابن أبى نجيح أنه قال : هو مثل قوله ( إنا هدينا السبيل ) سورة الإنسان الآية ٣ .

انظر تفسير مجاهد (٧٣٠/٢) وتفسير الطبرى (٥٥/٣٠) ، وذكره البغوى فى تفسيره (٢١٠/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٣١/٩) بلفظ : سهل له العلم بطريق الحق والباطل - ونسباه إلى الحسن ومجاهد .

(٣) روى ابن جرير فى تفسيره (٥٥/٣٠) بسنده عن مجاهد قال : سبيل الشقاوة والسعادة ، وهو كقوله : " إنا هدينا السبيل " . وذكره الماوردى فى تفسيره (٤٠٢/٤) والقرطبي فى تفسيره (٢١٨/١٩) من قول مجاهد .

هذا وروى ابن جرير بسنده عن ابن زيد أنه قال : هداه للإسلام السدى يسره له وأعلمه به ، والسبيل سبيل الإسلام ، وذكره القرطبي أيضاً عن ابن زيد ، كما ذكر عن أبى بكر بن طاهر أنه قال : يسر على كل أحد ما خلقه له ، وقدره عليه دليله قوله عليه السلام " اعطوا فكل ميسر لما خلق له " .

وحكاه أيضاً البغوى فى تفسيره (٢١٠/٧) دون عزو إلى أحد . وأما الراجح من هذه الأقوال فقد ذهب ابن جرير إلى اختيار القول الأول وهو أنه يسره للخروج من بطن أمه ، وذكر أن ذلك أشبه بظاهر الآية لأن الآيات قبلها وبعدها كلها تتعلق بصفة خلقه وتدبير جسده وتصريفه من حال إلى حال أخرى . انظر تفسير الطبرى (٥٥/٣٠) .

وأما ابن كثير فقد صرح بعد ذكره لما اختاره ابن جرير بأن الأرجح هو ما قاله الحسن ومجاهد وهو أن ذلك كقوله تعالى ( إنا هدينا السبيل إماماً شاكرًا وإمامًا كفورًا ) . انظر تفسير ابن كثير (٤٧٢/٤) . وما ذكره ابن كثير هو الذى يبدو لى أنه الصواب وقد جاءت به الآيات الأخرى .



قبرت فلاناً إذا رفته ، وأقبرته إذا جعلت له موضعاً يدفن فيه <sup>(١)</sup> - قال الأعشى :  
لَوْ أَشَدَّتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهِمَا عَاشَ وَلَسْمَ يُنْقَلُ إِلَى قَابِئِهِ <sup>(٢)</sup>

وقوله ( ثم إذا شاء انشره ) أى أحياه وبعثه - قال الأعشى <sup>(٣)</sup>  
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَاعَجَبًا لِلْمَيْتِ النَّاشِرِ <sup>(٤)</sup>

(١) قال الفراء في معاني القرآن (٢٣٧/٣) عند هذه الآية :

" جعله مقبوراً ، ولم يجعله ممن يلقي للسباع والطيور ، ولا ممن يلقي في النواويس ، كأن القبر مما أكرم المسلم به ، ولم يقل : فقبره لأن القابر هو الدافن بيده ، والمقبر : الله تبارك وتعالى ، لأنه صيره ذا قبر وليس فعله كفعل الآدمي . . . " أ. هـ .

وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨٦/٢) :

" أمر بأن يقبر ، قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح بن عبد الرحمن أقبرنا صالحاً قال : دونكموه - والذي يدفن بيده هو القابر ثم أنشد قول الأعشى :

انظر أيضاً تفسير غريب القرآن (ص ٥١٤) وتفسير الطبري (٥٦/٣٠) واعراب القرآن (٦٢٩/٣) وتفسير القرطبي (٢١٩/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٧٢/٤) .

(٢) تقدم البيت في ص ٣١٤ .

وقد أنشده أيضاً عند هذه الآية أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨٦/٢) والطبري في تفسيره (٥٦/٣٠) وأبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٦٢٨/٣) وغيرهم من المفسرين .

(٣) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨٦/٢) : " ( أنشره ) أحياه ، ونشر الميت حياً نفسه " .

كذا ذكره الطبري في تفسيره (٥٦/٣٠) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٢/٩) . وأبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٦٢٨/٣) وذكر القرطبي في تفسيره (٢١٩/١٩) أن ( أنشر ونشر ) لفتان فصيحتان بمعنى واحد ، يقال : أنشر الله الميت ونشره .

وذكر ابن منظور في لسان العرب (٢٠٦/٥) ما يدل على صحة القولين ، قال : ونشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورًا ، وأنشره فنشر الميت لا غير : أحياه . انظر أيضاً تفسير غريب القرآن (٥١٤) وتفسير الماوردي (٤٠٢/٤) وتفسير البغوي (٢١٠/٧) .

(٤) تقدم البيت في ص (٣١٤) .

وأنشده أيضاً عند هذه الآية أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨٦/٢) والطبري في تفسيره (٥٦/٣٠) وأبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٦٢٩/٣) وغيرهم من المفسرين .

وقوله ( كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمْرُهُ ) يعني : لم يفعل ما أمره الله تعالى (١) ، قال مجاهد : ليس أحد من الخلق يفعل كل ما أمره الله تعالى (٢) .

وعن ابن عباس ( كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمْرُهُ ) أى ما أخذ عليه من العهد يوم الميثاق (٣) .

(١) قال البيهقي في تفسيره (٢١٠/٧) : قال الحسن : حَقًّا ( لَمَّا يَقْضِ مَا أَمْرُهُ ) أى لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه . انظر أيضا تفسير القرطبي (٢١٩/١٩) .

(٢) ورد ذلك في تفسير مجاهد (٧٣١/٢) بلفظ : لا يقضى أحد أبداً كل ما فرض عليه .

ورواه ابن جرير في تفسيره (٥٦/٣٠) بسنده عن ابن أبي نجيح عنه قال : لا يقضى أحد أبداً ما افترض عليه ، وفي رواية : كل ما افترض عليه . وذكره الطائري في تفسيره (٤٠٢/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٢/٩) من قول مجاهد ، انظر أيضا الدر المنثور (٣١٦/٦) وحكاه القرطبي في تفسيره (٢١٩/١٩) من قول مجاهد وقناة .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٢١٩/١٩) عن ابن عباس . قال : وكان ابن عباس يقول : " لما يقضى ما أمره " لم يف بالميثاق الذي أخذ عليه فى صلب آدم " وقد ذكر الماوردي فى تفسيره (٤٠٢/٤) وابن الجوزي فى زاد المسير (٣٢/٩) فى هذه الآية وجهين . أحدهما أن الآية عامة تشمل المسلم والكافر ، ثم ذكر قول مجاهد . والثانى أنها خاصة بالكافر فإنه لم يفعل ما أمر به من الطاعة والإيمان . قاله يحيى بن سلام .

وذكر الرازى فى تفسيره (٦١/٣١) فى الآية ثلاثة أوجه أحدها هو ما ذكره مجاهد يعنى أن الآية عامة ، والثانى : المراد أن الإنسان التكبر ليس يقضى ما أمر به من ترك التكبر ، والثالث : نقل عن ابن فورك أنه قال : كَلَّا لم يقضى الله لهذا الكافر ما أمره به من الإيمان وترك التكبر بل أمره بما لم يقضى له به .

واعترض الرازى على قول مجاهد وقال : وهذا التفسير عندى فيه نظر ، لأن قوله ( لما يقضى ) الضمير فيه عائد إلى المذكور السابق وهو الإنسان فى قوله ( قتل الإنسان ما أكفره ) وليس المراد من الإنسان ههنا جميع الناس . بل الإنسان الكافر فقوله ( لما يقضى ) كيف يمكن حمله على جميع الناس " وأورد ابن كثير فى تفسيره (٤٧٢/٤) قول مجاهد من رواية الطبرى وابن أبى حاتم وقال : وحكاه البيهقي عن الحسن البصرى بنحو من هذا ، ولم أجد للتحققين فيه كلاماً سوى هذا ، والذي يقع لى فى معنى ذلك - والله أعلم - أن المعنى ( ثم إذا شاء أنشره ) أى بعثه ( كَلَّا لما يقضى ما أمره ) أى : لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة ويفرغ القدر من بنى آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ، ويخرج إلى الدنيا ، وقد أمر به تعالى كونا وقدرًا فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم " وهذا الكلام فى تفسير الآية له وجهه ، وهو متفق مع ظاهر الآية .

وقوله تعالى ( فلينظر الإنسان إلى طعامه ) أى إلى ما يخرج منه كيف انقلب من الطيب إلى الخبيث <sup>(١)</sup> ، وعن الحسن : أن الله تعالى وكل ملكاً فإذا جلس الإنسان على حاجته ثنى رقبته لينظر إلى ما يخرج منه ذكره النقاش <sup>(٢)</sup> وأورد أيضاً أن أبا الأسود الديلسى <sup>(٣)</sup> سأل عمران بن الحصين <sup>(٤)</sup> ولم ينظر الإنسان إلى ما يخرج

( ١ ) ذكر الماورى فى تفسيره ( ٤٠٢/٤ ) فى هذه الآية وجهين :

أحدهما : إلى طعامه الذى يأكله وتحيا به نفسه من أى شىء كان ، قاله يحيى ابن سلام ، وبهذا فسرها الزمخشري فى الكشاف ( ٢٠٤/٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٣/٩ ) .

والوجه الثانى : ما يخرج منه أى شىء كان ؟ ثم كيف صار بعد حفظ الحياة وموت الجسد ، ثم ذكر قول الحسن الآتى ، وقال أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٢٩/٨ ) : " والظاهر أن الطعام هو المطعوم وكيف يبسره الله تعالى بهذه الوسائط المذكورة من صب الماء وشق الأرض والنبات . وهذا قول الجمهور . وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٧٢/٤ ) عند هذه الآية : " فيه امتنان وفيه استدلاله بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت غظاً بالية وتراباً متمزقاً " .

( ٢ ) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٣١٦/٦ ) بنحوه ، وعزا تخريجه إلى ابن أبى حاتم . وذكره الماورى فى تفسيره ( ٤٠٢/٤ ) عن الحسن وأورد نحوه القوطى فى تفسيره ( ٢٢٠/١٩ ) عن ابن عمر . قال : وقال أبو الوليد : سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاه فينظر ما يخرج منه ؟ قال : يأتيه الطك فيقول : انظر ما بخلت به إلى ما صار ؟ .

( ٣ ) هو قاضى البصرة أبو الأسود الديلسى ( بكسر المهبطة وسكون التحتانية ) ويقال : الدؤلسى ( بالضم بعد ها همزة مفتوحة ) واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ، ويقال : عمرو بن ظالم . ويقال بالتصغير فيهما . ويقال : عمرو بن عثمان أو عثمان بن عمرو . والأول أشهر . ولد فى أيام النبوة .

قال أحمد العجلي : ثقة . كان أول من تكلم فى النحو ، وكان من أصحاب عيسى رضى الله عنه . وقال ابن حجر : ثقة فاضل مخضرم ، مات سنة تسع وتسعين . انظر تاريخ الثقات للعجلي ( ص ٢٣٨ ) وسير أعلام النبلاء ( ٨١/٤ - ٨٦ ) وتقريب التهذيب ( ص ٣٩٣ ) وبغية الوعاة ( ٢٢/٢ - ٢٣ ) .

( ٤ ) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعى أبو نجيد ( بنون وجيم مصفرا ) كان إسلامه عام خيبر وغزا عدة غزوات ، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح - كان فاضلاً ، وقضى بالكوفة ، مات سنة اثنتين وخمسن بالكوفة . انظر الإصابة ( ٢٦/٣ ) وتقريب التهذيب ( ٢٦٤ ) .

منه فلم يدر عمران ما يجيبه به ثم ذهب عمران إلى المدينة فذكر ذلك لأبي بن كعب (١)  
فقرأ هذه الآية فلينظر الإنسان إلى طعامه ثم قال ليعلم إلى ما صار / ما بخل به (٢) ١٣١٨  
وقوله ( أنا صبينا الماء صباً ) قرأ : بكسر الألف وفتحها (٣) فقله بالكسر

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية الأنصاري النجاري أبو المنذر  
وأبو الطفيل سيد القراء ، كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرًا والمشاهد  
كلها ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : " ليهنك العلم أبا المنذر ، وقال له :  
إن الله أمرني أن أقرأ عليك ، وكان عمر يسميه بسيد المسلمين .

قال الحافظ ابن حجر في التقريب : من فضلاء الصحابة ، اختلف في سنة  
وفاته اختلافاً كثيراً قيل : سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل  
غير ذلك .

انظر الإصابة ( ١٩ / ١ ) وتقريب التهذيب ( ص ٢٥ ) .

(٢) لم أجد من ذكر هذا الأثر سوى ما حكاه أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٢٩ / ٨ )  
فإنه قال : وقال أبي وابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم ( إلى طعامه ) أي إذا  
صار رجيعاً ليتأمل عاقبة الدنيا على أي شيء يتفانى أهلها . وقال القرطبي في  
تفسيره ( ٢٢٠٧ / ١٩ ) : وقال أبي بن كعب : قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
" إن مطلقم ابن آدم جليل مثلاً للدنيا وإن قزحه وطمحه فانظر إلى ما يصير " وهذا  
الحديث رواه الثعلبي في تفسيره ( ١٢ / ٤٠ / ١ ) بسنده عن ابن حنبل حدثني محمد  
ابن عبد الرحيم حدثني أبو حذيفة نا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عتي عنه ،  
وقد ذهب الألبوسي في تفسيره ( ٤٦ / ٣٠ ) إلى تضعيف هذه الرواية عن هؤلاء  
الأئمة ، وقال : إن هذا بعيد الإرادة عن السياق " ويبدو لي أن هذا هو  
الراجح ، لأن قوله تعالى بعد ذلك ( أنا صبينا الماء صباً ) يؤكد أن المراد  
أن ينظر الإنسان ويتدبر كيف خلق الله تعالى طعامه الذي هو قوام حياته . فكان  
مابعده تفسير للنظر " . وقال ابن جزى في التسهيل ( ١٧٩ / ٤ ) بعد أن  
ذكر القولين : والأول ( أي أنه أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله ) أشهر  
وأظهر في معنى الآية على أن القول الثاني صحيح ، انظر كيف فسره بقوله  
" أنا صبينا الماء صباً " .

(٣) قرأ الكوفيون وقد سماهم صاحب حجة القراءات : عاصم وحمزة والكسائي " أنا  
صبينا " بفتح الألف على بدل الاشتغال من الطعام .

وقراءه الباقون " أنا " بالكسر على الاشتغال ، ويكون ذلك تفسيراً للنظر إلى طعامه  
انظر التيسير ( ص ٢٢٠ ) والكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٢ / ٣٦٢ ) وحجج  
القراءات ( ص ٧٥ ) وقال الطبري في تفسيره ( ٥٧ / ٣٠ ) . " والصواب من القول  
في ذلك عندنا أنها قراءتان معروفتان فبايتهما قرأ القاري فمصيب " .  
انظر أيضاً تفسير البغوي ( ٧ / ٢١٠ ) وزاد المسير ( ٩ / ٣٣ ) وتفسير القرطبي  
( ١٩ / ٢٢١ ) .

إنا على الابتداء<sup>(١)</sup> . وقوله أنا بالفتح منصوب<sup>(٢)</sup> على البدل من الطعام كأنه قال  
 فليُنظر الإنسان إلى أنا صبينا . ذكره الفراء<sup>(٣)</sup> .  
 وقيل : معناه فليُنظر الإنسان إلى طعامه لأننا صبينا<sup>(٤)</sup> . وقوله ( صبينا الماء  
 صبا ) أي أجريناه إجرأ<sup>(٥)</sup> وقوله ( ثم شققنا الأرض شقا ) أي لخروج النبات<sup>(٤)</sup>

( ١ ) انظر تفسير الطبري ( ٥٧ / ٣٠ ) وزاد المسير ( ٣٣ / ١ ) ونقل ابن الجوزي  
 عن الزجاج أنه قال : من كسر " إنا " فعلى الابتداء والاستئناف " وتفسير القرطبي  
 ( ٢٢١ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٤٢٨ / ٨ ) وتفسير الرازي ( ٦٢ / ٣١ ) .

( ٢ ) كذا في الأصل ( منصوب ) وهو خطأ ، ومتعارض مع التقدير الذي ذكره ، وجنا  
 في معاني القرآن للفراء الذي نقل عنه ( في موضع خفض ) .

( ٣ ) انظر معاني القرآن للفراء ( ٢٣٨ / ٣ ) ونص كلامه : قرأ الأعمش وعاصم ( أنا )  
 يجعلانها في موضع خفض أي : فليُنظر إلى صبينا الماء إلى أن صبينا . وذكره  
 مكي بن أبي طالب في مشكل اعراب القرآن ( ٤٥٨ / ٢ ) بقوله : " قيل : في موضع  
 خفض على البدل من " الطعام " لأن هذه الأشياء مشتقة على الطعام ، منها  
 يتكون ، لأن معنى " إلى طعامه " إلى حدوث طعامه كيف يتأثر ، فالاشتغال في  
 هذا إنما هو من الثاني على الأول . انظر أيضا تفسير الطبري ( ٥٧ / ٣٠ ) وزاد  
 المسير ( ٣٣ / ٩ ) وتفسير الرازي ( ٦٢ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٢٢١ / ١٩ ) والبحر  
 المحيط ( ٤٢٩ / ٨ ) .

( ٤ ) ذكره مكي بن أبي طالب في مشكل اعراب القرآن ( ٤٥٨ / ٢ ) والقرطبي في تفسيره  
 ( ٢٢١ / ١٩ ) . وذكر مكي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات ( ٣٦٢ / ٢ )  
 والقرطبي في تفسيره ( ٢٢١ / ١٩ ) أنه أجاز بعضهم أن يكون " أنا " في موضع رفع ،  
 على معنى : هو أنا صبينا ، أي : هو صبينا الماء " وذكر مكي بن أبي طالب في  
 مشكل اعراب القرآن ( ٤٥٨ / ٢ ) قولاً آخر وهو أنه في موضع نصب لعدم اللام .

( ٥ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ٥٧ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول : أنا أنزلنا  
 الفيث من السماء أنزلاً وصهيناها عليها صبا " وصرح غير واحد من المفسرين  
 بأن المراد بصب الماء المطر . انظر تفسير البغوي ( ٢١٠ / ٧ ) وزاد المسير  
 ( ٣٣ / ٩ ) وتفسير الماوردي ( ٤٠٣ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٢١ / ١٩ ) وتفسير  
 الرازي ( ٦٢ / ٣١ ) والبحر المحيط ( ٤٢٩ / ٨ ) .

( ٦ ) انظر المصادر المذكورة قبله - فإنهم صرحوا بأن المراد شق الأرض بالنبات ، وقال  
 أبوحيان : والظاهر أن الشق كناية عن شق الفلاح بما جرت العادة أن يشق به ،  
 وقيل : شق الأرض هو بالنبات " اهـ . وهذا هو قول أكثر المفسرين .

وقوله (فأبتنا فيها حياً) هو البر والشعير وكل ما هو قوت الناس<sup>(١)</sup> - وقولسه  
(وعنباً) هو العنب المعروف . وقولسه (وقضباً) هو القت بلغته أهل مكة<sup>(٢)</sup>  
وعن ابن عباس هو الرطبة<sup>(٣)</sup> - وهو قول معروف . وسمى قضباً لأنه يقضب أى يقطع وينبت  
ثم يقطع وينبت هكذا<sup>(٤)</sup> . وقوله (وزيتونا) هو الزيتون المعروف

(١) قال الفراء: الحب: كل الحبوب الحنطة والشعير وما سواهما . وقال البغوى  
فى تفسيره: (٢١٠/٧) : يعنى الحبوب التى يتغذى بها . وقال القرطبى  
فى تفسيره (٢٢١/١٩) : أى قمحاً وشعيراً وسُلتاً وسائر ما يحصد ويدخر .  
انظر أيضاً البحر المحيط (٤٢٩/٨) .

(٢) ذكره الفراء فى معانى القرآن (٢٣٨/٣) وابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن  
(٥١٤) وابن جرير الطبرى فى تفسيره (٥٧/٣٠) وذكره القرطبى فى تفسيره  
(٢٢١/١٩) عن ثعلب وابن قتيبة .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره (٢٢١/١٩) وأبو حيان فى البحر المحيط (٤٢٩/٨)  
عن ابن عباس . ورواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٥٧/٣٠) بسنده عن الضحاك  
وروى أيضاً بسنده عن ابن عباس وقادة أن القضب الفصفصة - ثم قال ابن جرير:  
الفصفصة . الرطبة - ذكره القرطبى أيضاً عن ابن عباس . ونقل عن الخليل  
: القضب الفصفصة الرطبة ، وقيل : بالسین فإذا بيست فهو قت ، قال :  
والقضب : اسم يقع على ما يقضب من أغصان الشجرة ليتخذ منها سهام أو قسى .  
وقال الرازى فى تفسيره (٦٢/٣١) :

قوله تعالى : "وقضباً" فيه قولان .

الأول : أنه الرطبة وهى التى إذا بيست سميت بالقت ، وأهل مكة يسمونها  
بالقضب ، وأصله من القطع ، وذلك لأنه يقضب مرة بعد أخرى . وكذلك  
القضب لأنه يقضب أى يقطع . وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل ، واختيار  
الفراء وابن عبيد والأصمى .

والثانى : قال المبرد : القضب هو العلف بعينه ، وأصله من أنه يقضب  
أى يقطع وهو قول الحسن .

انظر قول الحسن أيضاً فى تفسير الطبرى (٥٧/٣٠) وتفسير البغوى (٢١٠/٧)  
والبحر المحيط (٤٢٩/٨) وتفسير ابن كثير (٤٧٢/٤) والقول بأن القضب هو  
الفصفصة قد ضعفه أبو حيان وقال : وهو داخل فى الاب .

(٤) قال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن (٥١٤) : (القضب) القت . يقال : سمسى  
بذلك : لأنه يقضب مرة بعد مرة أى يقطع .

انظر أيضاً تفسير الماورى (٤٠٣/٤) وتفسير البغوى (٢١٠/٧) وزاد المسير  
(٣٣/٩) وتفسير القرطبى (٢٢١/١٩) ذكره القرطبى عن الحسن .

وقوله ( ونخلًا وحدائق غلبا ) الحديقة كل بستان يتحوط عليه ، وما لا يكون محوطاً عليه لا يكون حديقه <sup>(١)</sup> وقوله ( غلبا ) أى غلاظ الأعناق <sup>(٢)</sup> . يقال رجل أغلب إذا كان شديداً غليظ الرقبة <sup>(٣)</sup> . وقيل غلبا مطفة دخل بعضها فى بعض <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكره القرطبي فى تفسيره ( ٢٢٢ / ١٩ ) من قول الكلبى . قال : وكل شئ أحيط عليه من نخيل أو شجر فهو حديقة . وبه قال الفراء فى معانى القرآن ( ٢٣٨ / ٣ ) انظر أيضا زاد المسبو ( ٣٣ / ٩ ) وذكر الماورى فى تفسيره ( ٤٠٣ / ٤ ) فى " حدائق " ثلاثة أقاويل . أحدها : أنها ما التف واجتمع ، قاله ابن عباس الثانى : أنه نبت الشجر كله . الثالث : هو الذى ذكره المؤلف ، وهو أن كسل ما أحيط عليه من النخل والشجر ، وما لم يحط عليه فليس بحديقة ، وقال فيه : حكاه أبو صالح . وذكر ابن جرير الطبرى هذه المعانى الثلاثة فى تفسيره ( ٥٧ / ٣٠ - ٥٨ ) . ثم ذكر قولاً آخر بصيغة الاحتمال فقال : ويحتمل قولاً ( رابعاً ) أن الحدائق ما تكامل شجرها واختلف ثمرها حتى عم خيرها . ويبعد لى أن الضواب هو ما ذكره المؤلف واختاره الفراء . من أن الحديقة كل بستان كان عليه حائط ، وقد ذكر هذا المعنى ابن منظور فى لسان العرب ( ٣٨ / ١٠ ) .

( ٢ ) قال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن ( ص ٩٥ ) " والغلب : الغلاظ الأعناق : يعنى النخل . وقال الفراء فى معانى القرآن ( ٢٣٨ / ٣ ) : " والغلب : ما غلظ من النخل . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ٢٨٦ / ٢ ) : " يقال : نخلة وشجرة غلبا إذا كانت غليظة " .

وذكر الرازى فى تفسيره ( ٦٢ / ٣١ - ٦٣ ) فى معنى الغلب قولين - أحدهما : أن يكون المراد وصف كل واحد من الأشجار بالغلظ والعظم ، قال عطاء بن ابن عباس يويد الشجر العظام ، ثم نقل قول الفراء . وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٧٠٤ / ٤ ) : " يحتمل أن يجعل كل حديقة غلبا ، فيريد تكاتفها وكثرة أشجارها وعظمها ، كما تقول : حديقة ضخمة - وأن يجعل شجرها غلبا ، أى عظاماً غلاظاً " .

( ٣ ) قال الراغب الأصفهاني فى المفردات ( ص ٣٦٤ ) " والأغلب الغليظ الرقبة ، يقال : رجل أغلب وامرأة غلبا وهضبة غلبا كقولك هضبة عنقا ورقبا : أى عظيمة العنق والرقبة ، والجمع غلب " . انظرا أيضا تفسير القرطبي ( ٢٢٢ / ١٩ ) .

( ٤ ) هو قول مجاهد ومقاتل ، وقد صرح به البيهقى فى تفسيره ( ٢١٠ / ٧ ) والرازى فى تفسيره ( ٦٢ / ٣١ ) وهو القول الأول من القولين اللذين ذكرهما فى معنى الغلب أما الثانى فتقدم ذكره . انظر قول مجاهد فى تفسيره ( ٧٣١ / ٢ ) وقد ذكر فى معنى الغلب ( طوال ) أيضا . انظر تفسير الطبرى ( ٦٢ / ٣٠ ) وتفسير الماورى ( ٤٠٣ / ٤ ) وتفسير البيهقى ( ٢١٠ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ٢٢٢ / ١٩ ) .

وقوله ( وفاكهة وأبا ) الفاكهة : هي الثمار ، والأب : هي الكلال<sup>(١)</sup> - قال ابن عباس ومجاهد : الأب مرعى الأنعام<sup>(٢)</sup> ، وقيل : الأب للبهائم بمنزلة الفاكهة للناس .

وقال الضحاك<sup>(٣)</sup> : الأب التبن<sup>(٤)</sup> ، وعن الحسن : أن الفاكهة ما طاب واجلولى<sup>(٥)</sup> من الثمار . ومن المعروف أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى

( ١ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ٥٩ / ٣٠ ) عند تفسيره لهذه الآية : " يقول تعالى ذكره : وفاكهة ما يأكله الناس من ثمار الأشجار والأب : ما تأكله البهائم من العشب والنبات . وذكر البيهقي نحو هذا المعنى عن عكرمة وقتادة قال : ( وفاكهة ) يريد ألوان الفواكه ، ( وأبا ) يعنى الكلال والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله الأنعام والدواب .

قال عكرمة : الفاكهة : ما يأكل الناس ، والأب ما يأكله الدواب ، ومثله عن قتادة قال : الفاكهة لكم والأب لأنعامكم ) . راجع أيضا تفسير القرطبي ( ٢٢٢ / ١٩ ) ( ٢ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ٦٠ / ٣٠ ) من طرق عديدة عن ابن عباس قال : الأب : ما أنبتت الأرض مما لا يأكل الناس . وقال في رواية عنه : الأب : نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . وفي رواية أخرى عنه : الأب : الكلال والمرعى كله . ورواه أيضا عن مجاهد والحسن وغيرهم .

وانظر قول مجاهد والحسن في تفسير مجاهد ( ٧٣ / ٢ ) فإن مجاهداً قال في تفسيره : الفاكهة ما يأكل الناس . والأب ما يأكل الأنعام ، وبمثلته قال الحسن أيضا . وانظر قول ابن عباس في تفسير القرطبي أيضا ( ٢٢٢ / ١٩ ) .

( ٣ ) في نسخة " ب " مالك ، والصواب ما في الأصل .

( ٤ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٢٣ / ١٩ ) قال : قال الضحاك : هو التبن خاصة " ، وهو محكى عن ابن عباس أيضا .

انظر أيضا تفسير الماوردي ( ٤٠٤ / ٤ ) والبحر المحيط ( ٤٢٩ / ٨ ) وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٠٣ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٢٢ / ١٩ ) عن الضحاك أنه كل شئ ينبت على وجه الأرض . وقال القرطبي : كذا قال أبو رزين : هو النبات .

( ٥ ) هو من الحلوى : نقيض المر . انظر لسان العرب ( ١٩١ / ١٤ ) .

( ٦ ) ذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٣١٧ / ٦ ) عن الحسن أنه قال : " ما طاب

واجلولى فلکم ، والأب لأنعامکم " وعز تخريجه إلى عبد بن حميد . ورد أيضا عن الحسن أنه قال : الفاكهة ما يأكل بنو آدم والأب ما يأكل الأنعام ، رواه المبارك بن فضالة . انظر تفسير مجاهد ( ٧٣ / ٢ ) .

هذا وقد ذكر في معناه أنه كل نبات سوى الفاكهة ، وقيل : إن رطب الثمار هو الفاكهة ويابسها هو الأب .

انظر تفسير الطبري ( ٥٩ / ٣٠ - ٦١ ) وتفسير القرطبي ( ٢٢٣ / ١٩ ) وتفسير الماوردي ( ٤٠٤ / ٤ ) .



( وفاكهة وأبا ) ثم قال : قد عرفت الفاكهة فما الأب ثم قال : يابن الخطاب هذا والله هو التكذيب وألقى العصا من يده . (١) وقوله ( متاعاً لكم ولأنعامكم ) أى منفعة لكم ولأنعامكم . (٢) وقوله ( فإذا جاءت الصاخة ) هى اسم من أسماء القيامة ذكره ابن عباس - (٣) مثل الطامة والحاقة والقارعة وأشباهها وقيل : الصاخة هى

(١) أخرج ابن جرير فى تفسيره (٥٩/٣٠ - ٦١) من طرق والحاكم فى مستدركه (٥١٤/٢) كلهم بإسناد هم عن الزهري أن أنس بن مالك أخبره أنه سمع عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول : ( فأنبئتنا فيها حياً وعباً وقضياً وزيتوناً ونخلًا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ) قال : فكل هذا قد عرفناه فما الأب ثم نفث عصاً كانت فى يده ، فقال : هذا العمر الله التلكف اتبعوا ماتبين لكم من هذا الكتاب " هذا لفظ الحاكم ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي . وقد روى بسند منقطع عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن قوله ( أبا ) فقال : أى سما تظلنى وأى أرض تظنسى إذا ظننى كتاب الله ما لا أعلم ، رواه أبو عبيدة فى فضائل القرآن وعبد بن حميد وغيرهما . انظر الدر المنثور (٣١٧/٦) وتخريج الكشاف (٧٠٤/٤) وأورده ابن كثير فى تفسيره (٤٧٣/٤) ووصف إسناده بالنقطاع . وحديث عمر رضى الله عنه وذكر أن إسناده صحيح وقال : وقد رواه غير واحد عن أنس به ، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض ، لقوله تعالى ( فأنبئتنا فيها حياً وعباً وقضياً وزيتوناً ونخلًا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ) . وقد ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (٣٤/٩) فى معنى الأب قولين أحدهما : أن ترعاه البهائم - وعزاه إلى ابن عباس وعكرمة واللفويين . والثانى : أنه الشمار الرطبة ، رواه الوالى عن ابن عباس . ويبدو أن الأول هو الصواب ، فقد اختاره الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة . انظر معانى القرآن (٢٣٨/٣) ومجاز القرآن (٢٨٦/٢) وتفسير غريب القرآن (٥١٥) .

(٢) قال الفراء فى معانى القرآن (٢٣٨/٢) " أى خلقناه متعة لكم ومنفعة " وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (٥١٣) عند قوله تعالى ( متاعاً لكم ) سورة النازعات الآية ٣٣ ، " أى منفعة لكم " وقال البيهقى فى تفسيره (٢١١/٧) . " ( متاعاً لكم ) منفعة لكم يعنى الفاكهة ، ( ولأنعامكم ) يعنى العشب " .

(٣) أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٦١/٣٠) بسنده عن معاوية عن علي عن ابن عباس قال : هذا من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحدّره عباده " وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣١٧/٦) وعزاه تخريجه إلى ابن العنذر أيضاً . انظر أيضاً تفسير ابن كثير (٤٧٣/٤) وقال الفراء فى معانى القرآن (٢٣٨/٣) وابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (٥١٥) : الصاخة : القيامة . وهو أحد القولين اللذين ذكرهما الماوردي فى تفسيره (٤٠٤/٤) انظر أيضاً البحر المحيطة (٤٢٩/٨) .

الداهية التي يعجز عنها الخلق<sup>(١)</sup>، وقيل : الصاخة الصاكة ، يقال : صخ فلاناً إذا صكه ، قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

يا جارتى هل لك أن تجاليدى جلادة كالصَّخ بالجلاد<sup>(٤)</sup>  
أى كالصك ، وقيل : إن الصاخة صيحة إسرائيل تصك الأسماع<sup>(٥)</sup> .

وعن بعضهم : ان الصاخة ماتصخ له كل شىء أى ينصت<sup>(٦)</sup> ، يقال

(١) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ ، وقال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ٥١٥ ) بعد أن ذكر أن الصاخة : القيامة : والداهية صاخة أيضا . وذكر ابن منظور في لسان العرب ( ٣٣/٣ ) أن الصاخة : الداهية . وذكر القرطبي في تفسيره ( ٢٢٤/١٩ ) أن من قول العرب : " صختهم الصاخة وباتتهم الباتة : وهى الداهية . وقال الأكوسى في روح المعانى ( ٤٨/٣٠ ) : " الصاخة : هى الداهية العظيمة من صخ بمعنى أصاح أى استمع والمراد بها النفخة الثانية . ووصفتها لأن الناس يصخون لها فجعلت مستمعة مجازاً فى الظرف أو الإسناد .

(٢) قال الرازى فى تفسيره ( ٦٣/٣١ ) : " قال الزجاج : أصل الصخ فى اللغة الطعن والصك ، يقال : صخ رأسه بحجر أى شدخه ، والفراب يصخ بمنقاره فى دبر البعير أى يطعن ، فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها للأذان " . وقال القرطبي : وأصل الكلمة : الصك الشديد ، وقيل : هى مأخوذة من صخه بالحجر : إذا صكه ، انظر تفسيره ( ٢٢٤/١٩ ) وقال الأكوسى فى روح المعانى ( ٤٨/٣٠ ) : " وقيل : مأخوذة من صخه بالحجر أى صكه - " .

(٣) لم اتمكن من معرفته .

(٤) جمع مفرده الجلمد والجلمود : وهو الصخر ، لسان العرب ( ١٢٩/٣ ) ، والبيت فى تفسير القرطبي ( ٢٢٤/١٩ ) .

(٥) قال البغوى فى تفسيره ( ٢١١/٧ ) : " ( فإذا جاء الصاخة ) : يعنى صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الاسماع ، أى تبالغ فى اسماعها حتى تكاد تصمها " وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٤/٩ ) " وهى النفخة الثانية " ثم نقل عن ابن قتيبة : الصاخة القيامة : صخت تصخ صخاً : أى تصم . ونقل القرطبي فى تفسيره ( ٢٢٤/١٩ ) عن الخليل : " الصاخة : صيحة تصخ الأذان صخاً أى تعمها بشدة وقفها .

(٦) قال أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٣١/٣ ) : " وقال الحسن : يصيخ لها كل شىء : أى يصمت لها كل شىء " .

رجل أصخ أى أصم . (١) وقوله ( يوم يفر المرأ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه )  
يفر منهم لأنه لا يمكنه أن ينفهم وينتفع بهم . وقيل : يفر لثلا يـرو  
الهبوان الذى ينزل فيه . (٢) وقيل : يفر منهم ضجراً لعظم ما هو فيه . وفى  
بعض التفاسير : أن قوله ( من أخيه ) قابيل من هابيل ، وقوله ( وأمه ) هـو

(١) قال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن (ص ٥١) : يقال : رجل أصخ وأصلخ ،  
إذا كان لا يسمع .

ويبدولى أن فى الصاخرة ثلاثة أقوال : الأول : أنها اسم من أسماء  
القيادة ، قاله ابن عباس . الثانى : أنها الصيحة الثانية ، قاله الحسن .  
الثالث : أنها الصيحة الأولى ، قاله عكرمة . وأما هذه الأقوال الكثيرة التى  
ذكرها المؤلف فهى فى أصل الكلمة ومعناها ، ويجوز أن تكون كل هذه الأقوال  
مرادة .

انظر تفسير الماورى (٤/٤٠٤) وزاد المسير (٩/٣٤-٣٥) والكشاف

(٤/٧٠٥) وتفسير القرطبي (١٩/٢٢٤) .

(٢) ذكره القرطبي فى تفسيره (١٩/٢٢٥) قال : وقيل : لعلمه أنهم لا ينفمونـه  
ولا يفتنون عنه شيئاً ، كما قال تعالى : ( يَوْمَ لَا يَفْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً )  
سورة الدخان الآية ٤١ -

(٣) قال النحاس فى اعراب القرآن (٣/٦٣١) : وقيل : يفرّون لأن بعضهم  
يستحي من بعض فيكره أن يوى ما ينزل به من الفضيحة ، وذكر الماورى فى تفسيره  
(٤/٤٠٤) فى فراره منهم ثلاثة أوجه ، وقال فى أحد هذه الأوجه : حتى  
لا يروا عذابه . وقال القرطبي فى تفسيره (١٩/٢٢٤) : وقيل : لثلا يروا ما هو  
فيه من الشدة .

(٤) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ ، وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٣٥) : قال  
المفسرون : المعنى : لا يلتفت الإنسان إلى أحد من أقاربه لعظم ما هو فيه . تقدم أن  
الماورى ذكر فى فراره ثلاثة أوجه . أحدها : حتى لا يروا عذابه - والثانى :  
حذراً من مطالبتهم إياه للتبعات التى بينه وبينهم ، والثالث : لاشتغاله بنفسه  
كما قال تعالى بعده : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ) .

انظر أيضاً تفسير الطبرى (٣٠/٦١) وتفسير البغوى (٧/٢١١) وتفسير  
القرطبي (١٩/٢٢٤) والبحر المحييط (٨/٢٩٩) وذكر الرازى فى تفسيره (٣١/٦٤)  
فى المراد من الفرار احتمالين ، فقال : يحتمل أن يكون المراد من الفرار ما يشعر به  
ظاهره وهو التباعد والاحتراز - والسبب فى ذلك الفرار الاحتراز عن المطالبة  
بالتبعات . ثم قال : ويحتمل أن يكون المراد من الفرار ليس هو التباعد ، بل المعنى  
أنه يوم يفر المرء من موالاة أخيه لاهتمامه بشأنه .

الرسول صلى الله عليه وسلم من أمه وقوله ( وأبيه ) هو ابراهيم صلوات الله عليه وسلم من أبيه وقوله ( وصاحبتة ) هو لوط عليه السلام من زوجته وقوله ( وبنيه ) هو آدم عليه السلام من بنيه المفسدين ، وقيل : هو نوح عليه السلام من ابنه (١) ، وقوله ( لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ) أى شئ يكفيه ويشغله . وقال القُتَيْبِيُّ : شئ يصرفه عن غيره (٣) ، والشأن هو الأمر العظيم (٤) وقوى فسى

(١) ذكره البغوى فى تفسيره (٢١١/٧) عن قتادة . وابن الجوزى فى زاد المسير (٣٥/٩) عن الحسن و قتادة .  
وذكره القرطبي فى تفسيره (٢٢٥/١٩) من رواية الضحاك عن ابن عباس ، ومن قول الحسن ، ثم قال : فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم ، وهـذا فرار التبروء .

وقد أورد السيوطى فى الدر المنثور (٣١٧/٦) أثر الحسن وعزاتخرجه إلى ابن عساکر \* وقد اشتهد إنكار الأکوسى فى تفسيره (٤٩/٣٠) على هذا الخبر .

والصحيح أن الآية عامة . قال ابن كثير فى تفسيره (٤٧٣/٤) \* أى ينوهم ويفر منهم ويبتعد منهم لأن الهول عظيم ، والخطب جليل ثم قال : وفى الحديث الصحيح فى أمر الشفاعة : أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عنسند الله فى الخلائق يقول نفسى ، لا أسألك إلا نفسى ، حتى أن عيسى بن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسى ، لا أسأله مريم التى ولدتنى .

وأما الترتيب فذكر عن قتادة أنه قال : الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب \* وقد وضع هذا المعنى الخازن فى تفسيره (٢١١/٧) فقال : وفائدة الترتيب كأنه قيل : يوم يفرا المرء من أخيه بل من أبويه لأنهما أقرب من الإخوة بل من صاحبة والولد لأن تعلقه بهما أشد من تعلقه بالأبوين .

(٢) قال البغوى فى تفسيره (٢١١/٧) عند هذه الآية : \* يشغله عن شأن غيره \* وقال ابن جرير فى تفسيره (٦١/٣٠) : يقول : أمر يغنيه ، ويشغله عن شأن غيره \* .

(٣) انظر تفسير غريب القرآن (ص ٥١) ونص كلامه : أى يصرفه ويصدّه عن قرابته ، ومنه يقال : أغن عنى وجهك ، أى أصرفه ، وأغن عن السفه . انظر أيضا زاد المسير (٣٥/٩) وتفسير القرطبي (٢٢٥/١٩) وقال الفراء فى معانى القرآن (٢٣٨٣) \* أى يشغله عن قرابته \* .

(٤) قال الراغب فى المفردات (ص ٢٧١) \* الشَّانُ : الحالُ والأمرُ الذى يَتَّفِقُ وَيُصْلِحُ ولا يُقالُ إلا فيما يَعْظُمُ مِنَ الأحوالِ والأشورِ \* .

الشاذ ( يُعنيه ) من عنى يعنى بالمعنى غير معجمه (١) قوله تعالى ( وجوه يومئذ مسفرة ) أى / ذات فرحة سرورة ، وقيل : نيرة ، وقيل : هو فى معنى قولسه ٣١٨ ب تعالى ( يوم تبيض وجوه ) (٢) أى وجوه يومئذ تبيض : وقوله ( ضاحكة مستبشرة ) أى من السرور والفرح (٤) وقوله ( ووجوه يومئذ عليها غبرة ) أى كسوف وسواد (٥) وقولسه

(١) ذكر هذه القراءة ابن خالويه فى شوان القرآن ( ص ١٦٩ ) وعزاها إلى ابن محيصن والزهرى ، وقال : وروى عن الحسن بن علي \* وذكرها ابن جنى فى المحتسب (٢/٣٥٣) عن ابن محيصن فقط ، وعزاها ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٣٥) إلى أبى عبد الرحمن السلمى والزهرى وأبى العالية ، وابن السميع وابن محيصن وابن أبى عبدة . ونقل عن الزجاج أنه قال : معنى الآية : له شأن لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره \* .

وقد وصف هذه القراءة بالشذوذ الفراء فى معانى القرآن (٢/٢٣٨) انظر أيضا تفسير القرطبي (٩/٢٢٥) والبحر المحيط (٨/٤٣٠) وقال أبو حيان : هو من قولهم عنانى الأمر قصدنى \* .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٦ .

(٣) ذكر الماوردى فى هيدى الآية قولين . أحدهما : مشرقة ، الثانى : فرحة . حكاه السدى . وقال ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٠/٦٢) : \* يقول تعالى ذكره : وجوه يومئذ مشرقة مضيئة ، وهى وجوه المؤمنين الذين قد رضى الله عنهم ، يقال : أسفر وجه فلان : إذا حسن ، ومنه أسفر الصبح إذا أضاء ، وكل مضى فهو مسفر . وبهذا فسر غير واحد من المفسرين ، قال البغوى والخازن (٧/٢١١) : أى مشرقة مضيئة .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٣٦) والقرطبي فى تفسيره (٩/٢٢٥) : أى مشرقة مضيئة ، قد علمت مالها من الخير والفوز والنعيم .

(٤) قال البغوى فى تفسيره (٧/٢١١) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٣٦) ، \* ( ضاحكة ) بالسرور ( مستبشرة ) فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل \* وقال القرطبي فى تفسيره (٩/٢٢٥) \* ( ضاحكة ) أى : سرورة فرحة ، ( مستبشرة ) : أى بما آتاها الله من الكرامة \* . وذكر الماوردى فى تفسيرها (٤/٤٠٥) وجهين أحدهما : ضاحكة من مسرة القلب ، الثانى : ضاحكة من الكفار شماتة وغيظا ، مستبشرة بأنفسها مسرة وفرحا .

(٥) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما (٧/٢١١) عند هذه الآية : \* سواد وكآبة مما يشاهدونه من الغم والهم \* . وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٣٠٦) \* أى غبار ، وقال مقاتل : أى : سواد وكآبة . وأما الماوردى فذكر فى هذه الآية أيضا وجهين بصيغة الاحتمال . أحدهما : أنه غبار ، جعل شيئا لهم ليميزوا به فيعرفوا ، الثانى : إنه كناية عن كمد وجوههم بالحزن حتى صارت كالغبرة . انظر تفسيره (٤/٤٠٥) .

( ترهقها قتره ) أى يملوها الكآبة والحزن<sup>(١)</sup> - وقيل هو فى معنى قوله تعالى ( وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ )<sup>(٢)</sup> . عن عطاء الخراسانى<sup>(٣)</sup> ( وجوه يومئذ مسفرة ) لكثرة ما أغبرت فى الدنيا بالحق وقوله ( ووجوه يومئذ عليها غبرة ) من كثرة ما ضحكت فى الباطل<sup>(٤)</sup> . وقولسه ( أولئك هم الكفرة الفجرة ) يعنى أصحاب الوجوه وهم الذين كفروا بالله وفجروا واللسه<sup>(٥)</sup> أعلم .

( ١ ) ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٠٥ / ٤ ) فى هذه الآية خمسة أقاويل . أحدها : تغشاها ذلة وشدة . قاله ابن عباس . الثانى : خذى ، قاله مجاهد ، الثالث : سواد ، قاله عطاء . الرابع : غبار ، قاله السدى . وقال ابن زيد : القتره ما ارتفعت إلى السماء . والفجرة : ما انحطت إلى الأرض . الخامس : كسوف الوجه - قاله الكلبي ومقاتل .

واختار أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ٢٨٦ / ٢ ) وابن قتبية فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥١ ) فى معنى القتره : الفجرة . انظر أيضا تفسير البغوى والخازن ( ٢١١ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ٢٢٦ / ١٩ ) .

( ٢ ) سورة آل عمران الآية ١٠٦ ، لم أجد من صرح بهذا القول ، ولعله يقصد بذلك مانظله الماوردى فيما تقدم عن عطاء أنه قال : سواد . ونقل ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٦ / ٩ ) عن الزجاج أنه قال : يملوهما سواد كالدخان . انظر البحر المحيط ( ٤٣٠ / ٨ ) وهو الذى بيدولى أنه الصواب ، لأنه تفسير القرآن بالقرآن .

( ٣ ) هو عطاء بن أبى مسلم أبو عثمان الخراسانى ، واسم أبيه " ميسرة " ، وقيل : عبد الله له كتاب " تنزيل القرآن " و " تفسيره " و " ناسخه ومنسوخه " وهو صدوق يهيم كثيراً ويوسل ويدلس ، مات سنة خمس وثلاثين ومائة . تقريب التهذيب ( ٢٣٩ ) طبقات المفسرين ١ / ٣٨٥ .

( ٤ ) رواه أبو نعيم فى الحلية ( ٢٠٠ / ٥ ) بسنده عن عطاء الخراسانى فى قولسه تعالى ( وجوه يومئذ مسفرة ) قال : من طول ما أغبرت فى سبيل الله . وذكره القرطبي فى تفسيره ( ٢٢٦ / ١٩ ) وقال : ذكره أبو نعيم . وذكره عمن الضحاك أنه قال : من أثار الوضوء . وعن ابن عباس : من قيام الليل ، لما روى فى الحديث " من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار " .

( ٥ ) قال الماوردى فى تفسيره ( ٤٠٥ / ٤ ) :-  
" يحتمل جمعه بينهما وجهين : أحدهما : أنهم الكفرة فى حقوق الله ، الفجرة فى حقوق العباد .  
الثانى : لأنهم الكفرة فى أديانهم ، الفجرة فى أفعالهم " .

- تفسير سورة كورت وهي مكية - (١)

روى عبد الرزاق عن عبد الله بن يحيى (٢) عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني (٣) قال : سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين ذلك اليوم فليقرأ ( إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت ) (٤) قال رضى الله عنه أخبرنا بهذا

(١) أجمع على ذلك أئمة التفسير كما صرح به الماوردي في تفسيره (٤٠٦/٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٧/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٢٦/١٩) وذكر السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٦) عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة أنهم قالوا : نزلت سورة ( إذا الشمس كورت ) بمكة .

(٢) هو عبد الله بن يحيى ( بفتح الموحدة وكسر المهبط ) ابن ريسان ( بفتح الراء ) وسكون التحتانية بعدها مهبط ) أبو وائل القاص الصنعاني وثقه يحيى بن معين ، واضطرب فيه كلام ابن حبان . تهذيب التهذيب (١٥٤/٥) وتقريب التهذيب ( ص ١٦٨ ) .

(٣) هو عبد الرحمن بن يزيد اليماني أبو محمد الصنعاني القاص روى عن أبي هريرة وابن عمر ، وعنه عبد الله بن يحيى بن ريسان وغيره ، صدوق . تهذيب التهذيب (٣٠٠/٦) تقريب التهذيب ٢١١ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب التفسير ، باب ومن سورة ( إذا الشمس كورت ) ( ٤٣٣/٥ رقم الحديث ٣٣٣٢ ) والإمام أحمد في مسنده ( ٢٧/٢ ، ٣٦ ، ١٠٠ ) . كلاهما من طريق عبد الرزاق به بمثله - إلا أن الإمام أحمد زاد في آخره ( واحسبه أنه قال : سورة هود ) .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وروى هشام بن يوسف وغيره هذا الحديث بهذا الإسناد وقال : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ ( إذا الشمس كورت ) ولم يذكر ( وإذا السماء انفطرت ) و ( إذا السماء انشقت ) " اهـ .

وقد أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في مستدركه ( ٥١٥/٢ ) بسنده عن هشام ابن يوسف الصنعاني حدثني عبد الله بن يحيى الصنعاني به إلى قوله ( فليقرأ إذا الشمس كورت ) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي وأخرجه أيضا بهذا اللفظ البيهقي في تفسيره ( ٢١٢/٧ ) ولكن من طريق آخر عن إبراهيم بن خالد ثنا عبد الله بن يحيى به .

الحديث ابو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الفتال<sup>(١)</sup> أخبرنا أبو العباس  
السنجى الطحان<sup>(٢)</sup> أخبرنا العباس بن عبد العظيم العنبرى<sup>(٣)</sup> أخبرنا عبد الرزاق .

( ١ ) لم أجد ترجمته .

( ٢ ) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج السنجى ( نسبة إلى السنج : قرية  
كبيرة من قرى مرو ) الطحان - ذكره أبو سعد السمعاني في الأنساب  
( ٢٦٣ / ٧ ، ٥١ / ٩ ) وقال : من علماء مرو ، راوية جامع الترمذى وغيره عن  
ابى العباس المحبوسى ، روى عنه جدى الأعلى القاضى أبو منصور محمد بن  
عبد الجبار السمعاني ، وتوفى بعد سنة أربع مائة \* .

( ٣ ) هو عباس بن عبد العظيم بن اسماعيل بن توبة العنبرى أبو الفضل البصرى  
الحافظ ، روى عن عبد الرزاق وغيره .  
ثقة حافظ ، توفى سنة أربعين ومائتين .  
تهذيب التهذيب ١ / ٥ ، تقريب التهذيب ١٦٥ .

وفى هذا الإسناد سقط ، لأن أبا العباس السنجى الطحان ليس ممن روى  
عن العباس بن عبد العظيم ، وإنما يروى عن أبو العباس محمد بن أحمد المحبوسى  
الراوى لجامع الترمذى . فالصواب أن يكون السند هكذا : أخبرنا أبو العباس  
السنجى الطحان ، أخبرنا أبو العباس المحبوسى ، أخبرنا أبو عيسى  
الترمذى أخبرنا العباس بن عبد العظيم \* .



## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى (إذا الشمس كورت) قال ابن عباس : ذهب ضوءها (١) . وروى سفيان الثوري عن أبيه عن الربيع بن خثيم قال : كورت رُمي بها (٢) ، وعن سعيد بن جبير : كورت غُورَت (٣) ،

(١) روى ابن جريو في تفسيره (٦٤/٣٠) بسنده عن معاوية عن علي ( وهو علي بن أبي طلحة ) عن ابن عباس ، قوله ( إذا الشمس كورت ) يقول : أظلمت . وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٦) بهذا اللفظ وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وأبى حاتم والبيهقي في البعث ، وروى ابن جريو في المصدر السابق من طريق آخر عن العوفي عن ابن عباس أنه قال في تفسيره ( كورت ) : يعني ذهبته وذكوره الماوردي في تفسيره (٤٠٦/٤) بلفظ : يعني ذهب نورها وأظلمت قاله ابن عباس .

وقال البغوي في تفسيره (٢١٢/٧) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أظلمت ، وقال قتادة ومقاتل والكلبي : ذهب ضوءها . انظر أيضا تفسير مقاتل (١/٣٨٧) . وقد عزاه القرطبي في تفسيره (٢٢٧/١٩) إلى الحسن وقادة ومجاهد وقال : وروى عن ابن عباس أيضا ١٠ هـ .

وقد اختار هذا القول الفراء في معاني القرآن (٢٣٩/٣) انظر أيضا تفسير غريب القرآن (٥١٦) وزاد المسير (٣٨/٩) وتفسير ابن كثير (٤٧٥/٤) .

(٢) هو سعيد بن مسروق الثوري .  
ثقة ، مات سنة ست وعشرين ومائة وقيل : بعد ها . تقريب التهذيب (ص ١٢٦) .  
(٣) هو الربيع بن خثيم ( يضم المعجمة وفتح المثناة ) ابن عائذ بن عبد الله الثوري أبو يزيد الكوفي ثقة عابد مخضرم .  
قال له ابن مسعود : لوراك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك ، مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . تقريب التهذيب (ص ١٠١) .

(٤) رواه ابن جريو في تفسيره (٦٤/٣٠) بسنده عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خثيم ، بثله فعنده واسطة أبي يعلى بين سعيد بن مسروق وبين الربيع . وذكره عنه القرطبي في تفسيره (٢٢٧/١٩) وابن كثير في تفسيره (٤٧٥/٤) . وقال الماوردي في تفسيره (٤٠٦/٤) بعد أن ذكر فيه أربعة أقوال : الخامس : جمعت فألقيت ، ومنه كارة الشياح لجمعها ، وهو قول الربيع بن خثيم .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٦) وعزا تخريجه إلى ابن أبي حاتم وقال أيضا : وأخرج ابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ( إذا الشمس كورت ) قال : أغورت وذكره عن سعيد بن جبير البغوي في تفسيره (٢١٢/٧) والقرطبي في تفسيره (٢٢٧/١٩) وابن كثير في تفسيره (٤٧٥/٤) .

وقال : كور كوز<sup>(١)</sup> - وقيل : اضمحلت<sup>(٢)</sup> . وقيل : لفت وجمعت ومنه كور  
العمامة والمعنى : أنها لفت وجمعت وطرح بهما<sup>(٣)</sup> .

(١) روى ابن جرير فى تفسيره (٦٤/٣٠) عن ابن حميد قال : ثنا يعقوب  
القضى عن جعفر عن سعيد فى قوله (إذا الشمس كورت) قال : غورت ، وهى  
بالفارسية كور تكور . وذكره الماورى فى تفسيره (٤٠٦/٤) فقال : الثانى  
(أى القول الثانى) : غورت ، وهو بالفارسية كوربكور ، قاله ابن جبير ،  
وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٣٨/٩) .

والثالث (أى القول الثالث) : غورت ، روى عن ابن عباس وسعيد بن  
جبير وابن الأنبارى ، وهذا من قول الناس بالفارسية : كور بكور ، وقورات  
على شيخنا ابن منصورى اللغوى قال : هو بالفارسية كوربور ، وقد نقله أيضاً  
الجوالقى فى المعرب (ص ٢٨٧) وذكر الرازى فى تفسيره (٦٦/٣١) عن عمر  
أنه قال : إنه لفظة مأخوذة من الفارسية ، فإنه يقال للأعمى كور .

(٢) هو قول مجاهد . انظر تفسير الطبرى (٦٤/٣٠) وتفسير البغوى (٢١٢/٧)  
وتفسير الماورى (٤٠٦/٤) وزاد المسير (٣٨/٨) وتفسير ابن كثير (٤٧٥/٤) .

(٣) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢٨٧/٢) \* (إذا الشمس كورت) مثل تكوير العمامة  
تلف فتمحى . انظر أيضاً تفسير غريب القرآن (٥١٦) وزاد المسير (٣٨/٩)  
وقد ذكر فى معنى كورت قول آخر عن أبى صالح ، وهو أن معنى كورت : نكست ،  
انظر تفسير الطبرى (٦٤/٣٠) وتفسير الماورى (٤٠٦/٤) وتفسير القرطبى  
(٢٢٧/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٧٥/٤) وذكر القرطبى عن ابن عباس أنه  
قال : تكويرها ادخالها فى العرش .

وقال الزمخشرى فى الكشاف (٧٠٦/٤) : \* فى التكوير وجهان : أن يكون  
من كورت العمامة إذا لفتها ، أى : يلف ضوءها فيذهب انبساطه وانتشاره فى  
الآفاق ، وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها ، لأنها مادامت باقية كان ضياؤها  
منبسطة غير ملفوف أو يكون لفتها عبارة عن رفعها وسترها ، لأن الثوب إذا أريد  
رفعه لفت وطوى ، وذكر نحوه أيضاً الرازى فى تفسيره (٦٦/٣١) واختار ابن جرير  
فى تفسيره (٦٤/٣٠) أن معنى التكوير فى كلام العرب : جمع بعض الشئ إلى  
بعض ، وذلك كتكوير العمامة وهو لفتها على الرأس ، وتكوير الكارة وهى جمع الشياح  
بعضها إلى بعض ولفها ، فكذلك قوله تعالى (إذا الشمس كورت) إنما معناه :  
جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها \*  
انظر أيضاً تفسير ابن كثير (٤٧٥/٤) . وقد روى البخارى فى صحيحه كتاب  
بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر (٢٩٦/٦) ، رقم الحديث ٣٢٠٠ بسنده عن  
أبى هريرة مرفوعاً ، قال : الشمس والقمر مكوران يوم القيامة \* وفى رواية أخرى عن  
غيره زيادة (فى النار) فيجمعان فى النار تبيكيتاً لمن كان يعبد هما فى الدنيا \* .  
انظر فتح البارى (٣٠٠/٦) .

وقوله ( وإذا النجوم انكدرت ) أى تناثرت وتساقطت <sup>(١)</sup> . وفى بعض التفاسير :  
 أن النجوم فى قناديل من نور معلقة بالسما\* الدنيا بسلاسل فى أيدي الملائكة فإذا  
 جاءت القيامة تساقطت السلاسل من أيدي الملائكة وانتشرت النجوم <sup>(٢)</sup> ، وروى أن أهل  
 الأرضين يسمعون أدة عظيمة من وقوع النجوم على الأرض <sup>(٣)</sup> . <sup>(٤)</sup>

( ١ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢١٢ / ٧ ) " أى تناثرت من السما\* وتساقطت على  
 الأرض ، يقال : انكدر الطائر إذا سقط عن عشه " .  
 وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٨ / ٩ ) : أى : تناثرت وتهاقت يقال :  
 انكدر الطائر فى الهواء : إذا انقض . انظر أيضا تفسير القرطبي . وذكر  
 ابن جرير فى تفسيره ( ٦٥ / ٣٠ ) فى معنى انكدر قولين .  
 أحدهما : انكدر انصب . والثانى : انكدر . تغيير .  
 وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٠٦ / ٤ ) فى ذلك ثلاثة تأويلات .  
 أحدهما : تناثرت ، قاله الربيع بن خثيم ، الثانى : تغبوت ، فلم يبق لها  
 ضوء ، قاله ابن عباس ، الثالث : تساقطت . قاله قتادة .

وقال الماوردى : ويحتمل ( رابعاً ) أن يكون انكدارها طمس آثارها  
 وسميت النجوم نجومًا لظهورها فى السما\* بضوئها . وذكر القرطبي فى تفسيره  
 ( ٢٢٨ / ١٩ ) بعض هذه الأقوال : وقال : والمعنى مقارب .

( ٢ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ٢٢٨ / ١٩ ) : وروى الضحاك عن ابن عباس قال :  
 تساقطت ، وذلك أنها قناديل معلقة بين السما\* والأرض بسلاسل من نور ، وتسلك  
 السلاسل بأيدي ملائكة من نور ، فإذا جاءت النفخة الأولى مات من فى الأرض ،  
 ومن فى السموات ، فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من أيدي الملائكة  
 لأنه مات من كان يسكها " والضحاك لم يلق ابن عباس . وقد ذكره الرازى فى  
 تفسيره ( ٦٧ / ٣١ ) من قول عطاء " وليس فى الكتاب والسنة ما يدل على صحته ،  
 فلعله مأخوذ من الاسرائيليات .

( ٣ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ٧١ / ٣ ) : " الإِدْرُ وَالْإِدْرَةُ : الْعَجِيبُ وَالْأَمْرُ  
 الْعَظِيمُ الْعَظِيمُ وَالِدَاهِيَّةُ . وقال أيضا : وَأَدَّتِ النَّاقَةُ وَالْإِبِلُ تَوَدُّ أَدًّا : رَجَعَتْ  
 الْحَنِينَ فِي أَجْوَانِهَا " .

( ٤ ) لم أجد من ذكره - وهو أيضا لا يستبعد أن يكون من الاسرائيليات .  
 وقال سيد قطب فى هذا المقام : وانكدار النجوم قد يكون معناه انتشارها من  
 هذا النظام الذى يربطها ، وانطفاء شعلتها واطلام ضوئها . . والله اعلم ما هى  
 النجوم التى يصيبها هذا الحادث ، وهل هى طائفة من النجوم القريبة منا ،  
 مجموعتنا الشمسية مثلاً ، أو مجرتنا هذه التى تبلغ مئات الملايين من النجوم - أم  
 هى النجوم جميعها ، والتى لا يعلم عددها ومواضعها إلا الله ، فوراً ما نرى منها  
 بمراصدنا مجرات وفضاءات لها لانعرف لها عدداً ولا نهاية ، فهناك نجوم سيصيبها  
 الانكدار كما يقرر هذا الخبر الصادق الذى لا يعلم حقيقته إلا الله " .  
 انظر ظلال القرآن ( ٣٨٣٨ / ٦ ) طبعة دار الشروق .

وقوله ( وإذا الجبالُ سُيِّرَتْ ) أى سَيَّرَتْ وكانت سراباً وقيل : دقت دقاً وصارت بمنزلة الهباء ، والآية فى معنى قوله تعالى ( وترى الجبالَ تحسبها جامدةً ، وهى تَدُومُ السَّحَابِ )<sup>(١)</sup> وقوله ( وإذا المشارعطلت ) المشار : واحدها عُشْرَاءُ : وهى الناقة التى أتت عشرة أشهر على حملها<sup>(٢)</sup> - وهى أحسن ما يكون من النوق وأعزها على أربابها<sup>(٣)</sup> . وتعطيهم إهمالها وتركها بلا راع

### ( ١ ) سورة النمل الآية ٨٨ .

قال ابن جرير فى تفسيره ( ٦٥ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول : وإذا الجبال سبورها الله ، فكانت سراباً ، وهباً منبثاً " وقال الماورى فى تفسيره ( ٤٠٦ / ٤ ) : " يعنى ذهبى عن أماكنها . قال مقاتل : فسويت بالأرض كما خلقت أول مرة وليس عليها جبل ولا فيها واد " .

وقال البيهقى فى تفسيره ( ٢١٢ / ٧ ) :  
 ( وإذا الجبال سبورت ) على وجه الأرض فصارت هباً منبثاً " وذكره القرطبى فى تفسيره ( ٢٢٨ / ١٩ ) فى معنى الآية قولين :  
 أحدهما : يعنى ظمعت من الأرض ، وسبورت فى الهواء ، وهو مثل قوله تعالى : ( ويوم نسف الجبال وترى الأرض بارزة ) سورة الكهف الآية ٤٧ والثانى : سبورها تحولها عن منزلة الحجارة ، فتكون كتيلاً مهيللاً أى رملاً ساغلاً ، وتكون كالعهن ، وتكون هباً منشوراً وتكون سراباً " .

( ٢ ) قال ابن قتبية فى تفسيره غريب القرآن ( ٥١٦ ) : " المشار من الإبل : الحوامل واحدها : عُشْرَاءُ وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع " .

انظر أيضاً تفسير ابن جرير ( ٦٦ / ٣٠ ) وتفسير الماورى ( ٤٠٦ / ٤ ) وتفسير البيهقى ( ٢١٢ / ٧ ) وزاد المسير ( ٣٨ / ٩ ) وتفسير القرطبى ( ٢٢٨ / ١٩ ) ، والمفردات للأصبهاني ( ص ٣٣٥ ) .

( ٣ ) صرح بذلك هديد من المفسرين :

انظر تفسير الماورى ( ٤٠٦ / ٤ ) وتفسير البيهقى ( ٢١٢ / ٧ ) وزاد المسير ( ٣٨ / ٩ ) وتفسير القرطبى ( ٢٢٨ / ١٩ ) والكشاف ( ٧٠٧ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٦٧ / ٣١ ) .

بوعاهداً (١) ولا يفعل ذلك إلا يوم القيامة (٢) والمعنى أن كل إنسان يشتغل بنفسه عن كل شيء وإن كان عزيزاً عنده ، وقوله ( وإذا الوحوش حشرت ) فيه قولان :

(١) ذكر بعض المفسرين في معنى "عطلت" عدة أقوال . أولها : عطلت تركت وسبقت ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أهطت ، وهو قول أبي بن كعب والضحاك والربيع بن أنس .

والثالث : لم تحلب ولم تصر تخلي منها أربابها ، وهو قول الربيع بن خثيم .  
والرابع : تركت لاراعي لها ، قاله الضحاك .

انظر تفسير الطبري ( ٦٦ / ٣٠ ) وتفسير الماوردي ( ٤٠٧ / ٤ ) وتفسير

البغوي ( ٢١٢ / ٧ ) والكشاف ( ٧٠٧ / ٤ ) .

قال ابن كثير بعد ذكره لهذه الأقوال : والمعنى في هذا كله مقارب ، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر وأحدتها عشراً ، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ، وقد أشغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعدما كانوا أرغب شئ فيهما بما دهمهم من الأمور العظيمة المفضية الهائل .

انظر تفسير ابن كثير ( ٤٧٦ / ٤ ) .

(٢) قد صرح البغوي في تفسيره ( ٢١٢ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٨ / ٩ )

بأن ذلك لا يكون إلا لاشتغالهم عنها بأهوال يوم القيامة . وذكر ابن كثير في تفسيره ( ٤٧٦ / ٤ ) في ذلك قولين .

أحدهما : أن ذلك يكون عند انعقاد أسباب يوم القيامة ووقوع مقدماتها . والثاني : بل يكون ذلك يوم القيامة . وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٢٨ / ١٩ - ٢٢٩ ) : " هذا على وجه المثل ، لأن في القيامة لا تكون ناقة عشراً ولكن أراد به المثل ، أن هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراً لعطلها واشتغل بنفسه ، وقيل : إنهم إذا قاموا من قبورهم ، وشاهد بعضهم بعضاً ، ورأوا الوحوش والدواب محشورة ، وفيها عشارهم التي كانت أنفُس أموالهم لم يعباوا بها ولم يهتم أمرها .

هذا وقد ذكر في معنى العشار أقوال أخرى ، منها أنها السحاب تعطيل عن المسير بين السماء والأرض لخواب الدنيا ، وقيل : إنها الأرض التي تعشر وقيل : إنها الديار التي كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها .

وقد ذكر هذه الأقوال القرطبي في تفسيره ( ٢٢٩ / ١٩ ) وفي التذكرة

( ٢٥٨ / ١ ) وقال : - والأول ( أي الإبل ) أشهر وعليه من الناس الأكثر ، وذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤٧٦ / ٤ ) وقال : " لا يعرف عن السلف والأئمة شواه ، والله أعلم " .

انظر أيضاً تفسير الماوردي ( ٤٠٧ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ٦٧ / ٣١ ) .

أحدهما : أن المعنى ماتت ، والحشر هو الجمع فكأنها جمعت في الموت (١) -  
والقول الثاني وهو الأظهر : أن حشرها أحياءها يوم القيامة . (٢)

وقد ورد في الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقتصر  
للجماء (٣) من القرناء .

(١) روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال : حشر اليهائم موتها . انظر تفسير الطبري  
(٦٧/٣٠) واختاره الفراء في معاني القرآن (٢٣٩/٣) ، وانظر أيضا تفسير  
الماوردي (٤٠٦/٤) وتفسير البغوي (٢١٢/٧) وزاد المسير (٣٩/٩) ،  
وتفسير القرطبي (٢٢٩/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٧٦/٤) وقال أبو حيان :  
حشرت أي : جمعت من كل ناحية ، قال ابن عباس : جمعت بالموت فلا تبعث  
ولا يحضر في القيامة غير الثقلين . البحر المحيط (٤٣٢/٨) .

(٢) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ ، وقال الماوردي في تفسيره (٤٠٧/٤) بعد أن  
ذكر فيه قولين : الثالث : حشرت إلى القيامة ، للقضاء فيقتصر للجماء من القرناء  
قاله السدي . وقال البغوي في تفسيره (٢١٢/٧) : " ( حشرت ) : جمعت  
بعد البعث ليقتصر لبعضها من بعض . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣٩/٩) :  
" جمعت إلى القيامة " قاله السدي .

وذكر الماوردي في تفسيره (٤٠٦/٤) قولين آخرين في ذلك أحدهما : جمعت ،  
وعزاه إلى الربيع . وقد ذكره القرطبي أيضا في تفسيره (٢٢٩/١٩) فقال :  
" أي جمعت ، والحشر : الجمع - وعزاه إلى الحسن وقتادة وغيرهما . والقول  
الثاني : اختلطت - قاله أبي بن كعب ، فصارت بين الناس .

وروى هذا القول ابن جرير في تفسيره (٦٧/٣٠) بسنده عن أبي بن كعب .  
وقد رجح ابن جرير قول القائل بأن معنى " حشرت " جمعت ، فأثبت . لأن  
المعروف في كلام العرب من معنى الحشر الجمع ، ومنه قول الله تعالى (والطير  
محشورة) يعني : مجموعة .

انظر أيضا تفسير ابن كثير (٤٧٦/٤) .

(٣) الجماء : التي لا قرن لها . النهاية ١/٣٠٠ .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٧٢/١) بسنده عن عثمان بن عفان  
رضي الله عنه ، بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الجماء لتقتصر  
من القرناء يوم القيامة " وهو ضعيف لأن في سنده ججاج بن نصير وهو ضعيف  
يقبل التلقين ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١١٥/٤) ولكن روى  
الحدِيث من طرق أخرى صحيحة عن أبي هريرة بزيادة فيه - أخرجه مسلم فسي  
صحيحه - كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، (١٣٦/١٦) والترمذي في صحيحه  
كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الحساب والقصاص (٦١٤/٤) ، رقم الحدِيث  
٢٤٢٠ . والإمام أحمد في مسنده (٢٣٥/٢) ولفظه عند مسلم : أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال : لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد  
للشاة الجلماء من الشاة القرناء " .

وقال الترمذي : حدِيث حسن صحيح .

وعن ابن عباس قال : يحشر كل شيء حتى الذباب<sup>(١)</sup> - وقوله ( وإذا البحار سجرت ) قال الحسن : يبست<sup>(٢)</sup> - وعنه أنه قال : فاضت أي أدخل بعضها في بعض<sup>(٣)</sup> ، وعن كعب الأحبار : سحبت أي ملئت<sup>(٤)</sup> ناراً<sup>(٥)</sup> .

١٣١٩

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٧٦/٤) وقال : رواه ابن أبي حاتم وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي وغير واحد . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٩/٦) وعزا تخريجه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

وذكر القرطبي في تفسيره (٢٢٩/١٩) هذا الأثر ، وأثراً آخر ثم قال : وهذا أصح مما رواه عنه عكرمة ، ( وهو أن الحشر الموت ) وقد ذكر نحو هذا الأثر عن قتادة الرازي في تفسيره (٦٧/٣١) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٣٢/٨) .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٦٨/٣٠) بسنده عن الحسن ، وروى عن قتادة أنه قال : ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة \* انظر أيضاً الدر المنثور (٣١٩/٦) . وقد ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٤٠٧/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٩/٩) وابن كثير في تفسيره (٤٧٦/٤) كلهم من كلام الحسن . وذكره البغوي في تفسيره (٢١٣/٧) عن الحسن ، ثم قال : وهو قول قتادة ، ثم ذكر ماتقدم نقله . وقال القرطبي في تفسيره (٢٣٠/١٩) " وعن الحسن أيضاً وقاتة وابن حيان : تيبس فلا تبقى من مائها قطرة " .

(٣) قال القرطبي في تفسيره (٢٣٠/١٩) : " وروى الربيع بن خثيم : سجرت فاضت وملئت . وقاله الكلبي ومقاتل والحسن والضحاك " .

قال ابن أبي زئيم : سجرت : حقيقتها ملئت ، فيفيض بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً . وما ذكره القرطبي عن الربيع رواه ابن جرير في تفسيره (٦٨/٣٠) . انظر أيضاً تفسير الماوردي (٤٠٧/٤) .

(٤) هو كعب بن ماتع الحميري أبو اسحاق المعروف بكعب الأحبار . ثقة - مخضرم كان من أهل اليمن فسكن الشام . مات في خلافة عثمان ، وقد زاد على المائة . تقريب التهذيب ( ص ٢٨٦ ) .

(٥) لم أجد من ذكره عن كعب الأحبار بهذا اللفظ ، وذكر الزمخشري في الكشف (٧٠٧/٤) والالكوسي في روح المعاني (٥٢/٣٠) نحو هذا القول . فقلاً : وقيل : ملئت بيراناً تضطرم لتعذيب أهل النار " . وذكر الماوردي في تفسيره (٤٠٧/٤) في أحد الأقوال المذكورة عنده أن معنى سَجَّرت : ملئت ، ولكنسه قال : أرسل عذبتها على مالحتها ومالحتها على عذبتها حتى امتلأت ، قاله أبو الحجاج وكذا ذكره البغوي في تفسيره (٢١٢/٧) عن مجاهد ومقاتل ثم قال : وقال الكلبي : ملئت . وقال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥١٦) " (سجرت) ملئت ، يقال : يفضى بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً " واختار أبو جعفر النحاس في أعراب القرآن (٦٣٣/٣) أن سجرت معناه : ملئت ، قال : معروف في اللغة أن يقال : سَجَّرت الشيء ملأته . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣٩/٩) وقد ذكر في معناه ثلاثة أقوال : والثالث : ملئت بأن صار تبحراً واحداً وكثر ماؤها . قاله ابن السائب (الكلبي) والفراء وابن قتيبة . انظر أيضاً معاني القرآن للفراء (٢٣٩/٣) وتفسير القرطبي (٢٣٠/١٩) .

قال شمر بن عطية<sup>(١)</sup> : يسجر كما يسجر التنور<sup>(٢)</sup> ، وعن سعيد بن المسيب : أن عطية رضى الله عنه سأل رجلاً من اليهود عن جهنم فقال : هو البحر . فقال : ما أراه إلا صادقاً ثم قرأ قوله تعالى ( وإذا البحار سجرت )<sup>(٣)</sup> وعن بعضهم<sup>(٤)</sup> : أن بحر الروم وسط الأرض وفي أسفله أبار من نحاس مطبقة فإذا كان يوم القيامة سجرت ناراً<sup>(٥)</sup> . ومن هذا قوله تعالى ( والبحر المسجور )

( ١ ) هو شمر ( بكسر أوله وسكون الميم ) ابن عطية الأندلسي الكاهلي الكوفسي ، صدوق .

انظر تهذيب التهذيب ( ٤ / ٣٦٤ - ٣٦٥ ) تقريب التهذيب ( ١٤٧ ) .

( ٢ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ٦٨ / ٣٠ ) بسنده عن شمر بن عطية في قوله ( والبحر المسجور ) قال : بمنزلة التنور المسجور ، ( وإذا البحار سجرت ) مثله . وأورد السيوطي في الدر المنثور ( ٣١٩ / ٦ ) قال : " وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن شمر بن عطية في قوله ( وإذا البحار سجرت ) قال : تسجر كما تسجر التنور " .

وقد ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٠٧ / ٤ ) نحو هذا القول فقال : يعنسى أو قددت فانقلبت ناراً ، قاله علي وابن عباس وأبي بن كعب .

وذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٣٠ / ١٩ ) وعزاه إلى ابن زيد وشمر وعطية وسفيان ووهب وأبي ، وعلي بن أبي طالب وابن عباس في رواية الضحاك عنه . انظر أيضاً تفسير البغوي ( ٢١٢ / ٧ ) وزاد المسير ( ٣٩ / ٩ ) .

( ٣ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ٦٧ / ٣٠ ) عن يعقوب قال : ثنا ابن عطية ، عن داود عن سعيد بن المسيب قال : قال علي رضى الله عنه . ثم ذكر مثله . ( ٤ ) هو معاوية بن سعيد .

( ٥ ) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ( ٤٧٦ / ٤ ) عن علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط عن معاوية بن سعيد قال : " إن هذا البحر بركة - يعني بحر السروم - وسط الأرض والآنهار كلها تصب فيه ، والبحر الكبير يصب فيه ، وأسفله أبار مطبقة بالنحاس فإذا كان يوم القيامة أسجر " وذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٣١ / ١٩ ) عن معاوية بن سعيد دون عزو إلى أحد . قال ابن كثير عقب الأثر : وهذا أثر غريب عجيب " ثم أورد ما أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الجهاد - باب في ركوب البحر في غزو البحر ( ١٣ / ٣ ) رقم الحديث ٢٤٨٩ ) بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يركب البحر إلا حجاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله ، فإن تحمت البحر ناراً ، وتحمت النار بحراً ، وهو أيضاً ضعيف .

قال فيه الألباني في الضعيفة ( ١ / ٤٩٠ ) منكر ، وقال أيضاً : هذا سند ضعيف فيه جهالة واضطراب .



وقد بينا<sup>(١)</sup> - ويجوز أن يجمع بين هذه الأقاويل فيقال : أن البحار يدخل بعضها في معنى فيصير بحراً واحداً ثم يبيض ويبيض ثم يملأ ناراً<sup>(٢)</sup> . وقوله (وإذا النفوس زوجت) قال الشعبي : الأبدان بالأرواح<sup>(٣)</sup> ، وقيل : قوت بأعمالها<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر ٢/٢٣٥ ق/٢٣٥ ب من هذا الكتاب . وقد ذكر الماوردي في تفسيره (٤٠٧/٤) في معنى (سجرت) أقوالاً أخرى - منها : فجرت فصارت بحراً واحداً ، قاله الضحاك ومنها : سبوت كما سيرت الجبال ، قاله السدي . ومنها : أن معناه أنه جعل ماؤها شراباً يعذب به أهل النار ، حكاه ابن عيسى ، ومنها : هو حمرة مائها حتى تصير كالدم .  
انظر أيضاً تفسير الطبري (٦٨٠/٦٧/٣٠) وتفسير القرطبي (٢٣١/٢٣٠/٨٩) ، وقال القرطبي : ثم جمیع ما فی هذه الآيات يجوز أن يكون في الدنيا ، قبل يوم القيامة ، ويكون من أشراتها ، ويجوز أن يكون يوم القيامة ، وما بعد هذه الآيات فيكون في يوم القيامة - .

(٢) ذكر القرطبي في تفسيره (٢٣٠/١٩) عن النحاس أنه قال : "وقد تكون الأقوال متفقة ، يكون تبيين من الماء بعد أن يفيض ، بعضها إلى بعض ، فتقلب ناراً" . أما ابن جرير فقد ذهب إلى اختيار القول بأن معناه : ملئت حتى فاضت ، فلنفجرت وسالت ، ولستدل عليه بقوله تعالى " وإذا البحار فجرت " سورة الانفطار الآية ٣ .  
وقال : والمرب تقول للنهر أو للسركي المطوء : ماء مسجور" وكذا اختصاره النحاس ، كما تقدم عنه .

(٣) هو عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو ، ثقة مشهور فقيه فاضل ، قال مكحول : ما رأيت أفتقه منه ، مات بعد المائة ، وله نحو من الثمانين . تقريب التهذيب (ص ١٦١) .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٧٠/٣٠) من وجهين ، ولفظه في أحد الوجهين : زوجت الأجساد فردت الأرواح في الأجساد . وروى هذا المعنى عن عكرمة أيضاً - وذكره الماوردي في تفسيره (٤٠٨/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٩/٩) عن عكرمة والشعبي والبيهقي في تفسيره (٢١٣/٧) والقرطبي في تفسيره (٢٣٢/١٩) من قول عكرمة .  
انظر أيضاً الكشاف (٧٠٧/٤) وتفسير الرازي (٦٩/٣١) وتفسير ابن كثير (٤٧٧/٤) وقد عزاه إلى ابن العالدية وسعيد بن جبيرة والحسن البصري .

(٥) ذكره الرازي في تفسيره (٦٩/٣١) عن الزجاج ، وذكره البيهقي والخازن في تفسيرهما (٢١٣/٧) والزمخشري في الكشاف (٧٠٨/٤) والقرطبي في تفسيره (٢٣٢/١٩) كلهم دون عزو إلى أحد .

وعن عمر رضى الله عنه قال : الصالح مع الصالح والفاجر مع الفاجر ، وعن بعضهم : المؤمنون يقرون بالحوار العيين والكفار بالشياطين .<sup>(٢)</sup>

(١) رواه عبد الرزاق فى تفسيره (ق ١٦٨ / ١) وابن جرير فى تفسيره (٦٩ / ٣٠) ، والحاكم فى مستدرکه (٥١٥ / ٢) (٥١٦) كلهم من طريق سماع بن حرب عن النعمان بن بشير قال : سئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قول الله ( ولذا النفوس زوجت ) قال : يقرون بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار \* هذا لفظ ابن جرير .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى وقد أورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٣١٩ / ٦ ) وعزاه أيضا إلى ابن أبى شيبه وسعيد بن منصور والفرىابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وغيرهم - وله روايات عديدة أخرى جمعها السيوطى فى المصدر السابق .

وأورده البغوى فى تفسيره ( ٢١٣ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٩ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٣١ / ١٩ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٧٦ / ٤ ) .

(٢) هو قول عطاء ومقاتل - كما ذكره البغوى فى تفسيره ( ٢١٣ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٣٩ / ٩ ) وذكره الرازى فى تفسيره ( ٦٩ / ٣١ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٣١ / ١٩ ) من قول ابن عباس .

وذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٧٠٨ / ٤ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٧٧ / ٤ ) وقال ابن كثير : حكاه القرطبى فى التذكرة . وذكر فى معنى الآية أقوال أخرى ، منها ما ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤٠٨ / ٤ ) بلفظ : يعنى عمل يهن عمل مثل عملها ، فيحشر العامل بالخير مع العامل بالخير إلى الجنة ، ويحشر العامل بالشر مع العامل بالشر إلى النار ، ومنها ما ذكره بلفظ : يزوج كل رجل نظيره من النساء فإن كان من أهل الجنة زوج بامرأة من أهل الجنة وإن كان من أهل النار زوج بامرأة من أهل النار ، قاله عمر بن الخطاب ، وقرا ( واحشروا الذين ظلموا وأزواجهم ) سورة الصافات الآية ٢٢ . ومنها ما ذكره بلفظ : " إنه قرن كل غايي بمن أعواه من شيطان أو إنسان ، حكاه ابن عيسى " .

انظر أيضا تفسير البغوى ( ٢١٣ / ٧ ) وتفسير الرازى ( ٦٩ / ٣١ ) وتفسير القرطبى ( ٢٣٢ ، ٢٣١ / ١٩ ) وذهب ابن جرير إلى اختيار قول عمر بن الخطاب ، واستدل عليه بقوله تعالى ( وكنتم أزواجا ثلاثة ) وقوله تعالى ( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ) انظر تفسير ابن جرير ( ٦٩ / ٣٠ ) وذكر ابن كثير فى تفسيره ( ٤٧٧ / ٤ ) اختيار ابن جرير ، وقال : " هو الصحيح " . وقال الرازى بعد أن ذكر ستة أقوال فى تفسير الآية : " واعلم أنك إذا تأملت فى الأقوال التى ذكرناها أمكنك أن تزيد عليها ما شئت " انظر تفسيره ( ٦٩ / ٣١ ) ولكن ما ثبت عن عمر بن الخطاب وهو أن المراد ( يقرون بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار ) هو الصواب ، لأن الصحابة هم أكثر للقرآن فهما ، لأنهم أقرب منه عهدا ، واختار هذا القول أبو جعفر النحاس أيضا فى اعراب القرآن ( ٦٣٥ / ٣ ) .

( ولذا المَوْدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ) المَوْدَةُ هِيَ الْوَلَدُ (١) - كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُونَهُ فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا وَلَدَ لَهُ ابْنٌ تَرَكَهَ وَإِذَا وَلَدَ لَهُ بِنْتٌ دَفَنَهَا حَيَّةً (٢) - وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ إِذَا أَخَذَهَا الْمَخَاضَ حَفَرَتْ حَفِيرَةً وَجَلَسَتْ عَلَيْهَا فَإِنْ وَلَدَتْ ابْنًا حَبَسَتْهُ وَإِنْ وَلَدَتْ بِنْتًا الْقَتَلَهَا فِي الْحَفْرَةِ وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَتْرَكَ الْجَارِيَةَ حَتَّى تُصِيرَ شَدِيدَةً ، ثُمَّ يَقُولُ لِأُمِّهَا : طَيِّبِيهَا وَزِينِيهَا وَقَدْ حَفَرَ بَشْرًا فِي الصَّحْرَاءِ وَتَحَطَّهَا مَعَ نَفْسِهِ وَيَأْمُرُهَا أَنْ تَطْلُعَ فِي الْبَيْتِ ثُمَّ يَدْفَعُهَا مِنْ خَلْفِهَا فِي الْبَيْتِ وَيَهِيلُ التُّرَابَ وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِمَّا خَشْيَةَ الْإِمْلَاقِ أَوْ دَفْعًا (٤) لِلْعَارِ وَأَنْفُسَةً (٥) عَنْ أَنْفُسِهِمْ (٦) . وَقَوْلُهُ ( سُلِّتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ) هُوَ سَوْءُ التَّوْبِيخِ

(١) ( المَوْدَةُ ) مِنْ وَأَدَّ ابْنَتَهُ وَأَدَّ ، فَهِيَ مَوْدَةٌ . أَيْ دَفَنَهَا فِي الْقَبْرِ وَهِيَ حَيَّةٌ . انظر الصحاح ٥٤٦/٢ .

قال البغوي في تفسيره (٢١٣/٧) : وهى الجارية المدفونة حية . سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيموت هأى يشطبها حتى تموت . وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٤٠/٩) :-

\* قال اللغويون : المَوْدَةُ : الْبِنْتُ تُدْفَنُ وَهِيَ حَيَّةٌ ، وَكَانَ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، يُقَالُ : وَأَدَّ وَلَدَهُ أَيْ : دَفَنَهُ حَيًّا \* .

انظر أيضا تفسير الماوردي (٤٠٨/٤) والكشاف (٧٠٨/٤) وتفسير القرطبي (٢٣٢/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٧٧/٤) .

(٢) انظر المصادر السابقة .

(٣) هُوَ مَنْ هَالَ عَلَيْهِ التُّرَابُ هَيْلًا وَأَهَالَهُ فَانْهَالَ وَهَيْلًا فَتَهَيَّلَ . انظر لسان العرب (٧١٣/١١) .

(٤) فى الأصل ( دفعا ) والصواب ما أثبتته - كما يدل عليه السياق .

(٥) هُوَ مَنْ أَيْفَ مِنَ الشَّيْءِ يَأْنِفُ أَنْفًا إِذَا كَرِهَهُ وَشَرَّفَتْ عَنْهُ نَفْسَهُ \* لسان العرب (١٥/٩)

(٦) ذكره الثعلبي فى تفسيره (١٣/٤٤/١) والبغوي والخازن فى تفسيرهما

(٢١٣/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٤٠/٩) والقرطبي فى تفسيره

(٢٣٣/١٩) كلهم من قول ابن عباس .

وذكره النزمخشري فى الكشاف (٧٠٨/٤) دون عزو إلى أحد .

للوائد لأن من جواب هذا السؤال أن تقول : قتلت بغير ذنب (١) وقرأ ابن عباس والضحاك وجماعة ( وإذا الموءدة سألت ، بأى ذنب قتلت ) والمعنى معلوم (٢) .

( ١ ) اختلف المفسرون هل هي المسئولة أو السائلة - على قولين .  
أحدهما : أنها هي المسئولة ( بأى ذنب قتلت ) فتقول : لا ذنب لى ، فيكون ذلك أبلغ في توبيخ قاتلها وزجره . الثاني : أنها هي السائلة لقاتلها - لِمَ قُتِلتْ ، فلا يكون له عذر ، وهو قول ابن عباس . أما الأول فهو قول أكثر المفسرين كما صرح به الماوردي في تفسيره ( ٤٠٨ / ٤ - ٤٠٩ ) وذكر ابن الجوزي فسى زاد المسير ( ٤٠٩ / ٩ ) عن الزجاج أنه قال : " ومعنى سوءها : تبيكت قاتليها في القيامة ، لأن جوابها : قُتِلتْ بغير ذنب ، ومثل هذا التبيكت قوله تعالى : ( أَنْتَ قُتِلتَ لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي وَأُمَّيِّتِي الْهَيْبِينَ ) سورة المائدة الآية ١١٦ . انظر أيضا تفسير البنوي ( ٢١٤ / ٧ ) والكشاف ( ٧٠٨ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ٦٩ / ٣ ) وتفسير القرطبي ( ٢٣٣ / ١٩ ) .

( ٢ ) ذكر هذه القراءة ابن خالويه في شوان القرآن ( ١٦٩ ) عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وعن عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرها ابن جرير في تفسيره ( ٧١ / ٣٠ ) عن أبي الضحى وذكرها الماوردي عن ابن عباس انظر تفسيره ( ٤٠٩ / ٤ ) والبنوي في تفسيره ( ٢١٤ / ٧ ) عن جابر بن زيد وأبي الضحى وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٠٩ / ٩ ) قال : قرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وأبو عبد الرحمن وابن يعمر وابن أبي عمير وهارون عن أبي عمرو " سألت " بفتح السين وألف بعدها . ( بأى ذنب قُتِلتْ ) بإسكان اللام ، وضم التاء الأخيرة . وسوءها هذا أيضا تبيكت لقاتليها . انظر تفسير القرطبي ( ٢٣٣ / ١٩ ) وهي قراءة شاذة ، صرح الطبري بأن قراءة من قرأ ( سئلت ) بضم السين ( بأى ذنب قتلت ) على وجه الخير هي الصواب لإجماع القراء عليها - انظر تفسيره ( ٧٢ / ٣٠ ) . وذكر أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٣٥ / ٣ ) عن أبي عبيد أنه قال في القراءة الثانية : هذا أبين معنى ، . ورد عليه النحاس فقال : خولف في هذا لأنها قراءة شاذة مخالفة للمصحف مشكلة لأنه يجوز أن يكون التقدير سألت ربها عز وجل ، وسألت قاتلها ، فهذا معنى مستغلق فكيف يكون بينا " اهـ . وقد ذكر في معنى ( سئلت ) أقوال :

أحدهما : هو ما تقدم ذكره يعني : أنها سئلت فقبل لها : لِمَ قُتِلتْ بغير ذنب ، توبيخاً لقاتلها .

والثاني : أن المعنى طُلب منها من قتلها توبيخاً له ، فقبل لها : من قتلك ؟ قال القرطبي بعد ذكره : كأنه يريد كما يطلب بدم القاتل .

وذكر عن ابن أسلم أنه قال : بأى ذنب ضربت ، وكانوا يضربونها " والصواب هو الأول أى أنها تسئل لِمَ قُتِلتْ .

انظر اعراب القرآن ( ٦٣٥ / ٣ ) وتفسير القرطبي ( ٢٣٣ / ١٩ ) .

وذكر بعضهم في تفسيره : أنها تأتي متلطفة بالدماء وتتعلق بشدى أمهاتها  
وتقول : يارب هذه أمي قد قتلتنى<sup>(١)</sup> ، وأعلم أنه ورد كثير من الأخبار في أن أولاد  
المشركين خدم أهل الجنة<sup>(٢)</sup> . وكان ابن عباس يقول : من قال : الموءودة في النار هـ  
كذب ، وتلا هذه الآية<sup>(٣)</sup> ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : سألت ربي عن  
اللاهيين<sup>(٤)</sup> من ذرية البشو فأعطانهم<sup>(٥)</sup> ، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سُئِلَ

(١) ذكره القوطي في تفسيره (٢٣٤/١٩) قال : وروى عكرمة عن ابن عباس عن  
النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر مثله ثم صرح بأن القول الأول ( يعني أنها  
سئلت فتقبل لها : لِمَ قتلت - توبيخاً لقاتلها ) عليه الجمهور - وقال : وهو  
أبلغ من سوءها عن قتلها ، لأن هذا مما لا يصح إلا بذنوب ، فأبى ذنب كان  
ذلك ، فإذا ظهر أنه لا ذنب لها ، كان أعظم في البلية وظهور الحجة على  
قاتلها . والله أعلم \* هـ .

(٢) هو قول بعض أهل العلم كما ذكره الحافظ ابن القيم في حادي الأرواح (ص ١٤٨) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٤٧٧/٤ ) عن أبي عبد الله  
الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم ابن أبان عن عكرمة قال :  
قال ابن عباس : أطفال المشركين في الجنة ، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب ،  
يقول الله تعالى ( وإذا الموءودة سئلت ، أبى ذنب قتلت ) وهو ضعيف  
لأن في إسناده حفص بن عمر العدني قال فيه الحافظ ابن حجر : ضعيف .  
انظر تقريب التهذيب (٧٨) .

(٤) في النسختين (الذاهبين) وهو خطأ والصواب ما أثبتته ، كما هو في المصادر  
الأخرى .

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٠٤٦/٦) من طريق عبد الرحمن بن المتوكل ثنا  
فضيل بن سليمان ، ثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن أنس قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سألت الله تعالى اللاهيين من ذرية البشو  
فأعطانها " .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٩/٧) وزاد بعد ( من ذرية  
البشو ) قوله ( أن لا يعذبهم ) . وقال : رواه أبو يعلى من طرق ، ورجال  
أحد ها رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل ، وهو ثقة .

وللحديث ألفاظ أخرى : منها : سألت ربي اللاهيين ، فأعطانهم  
قلت : وما اللاهون ؟ قال : ذراري البشر " .

وقد روى الحديث من طرق أخرى عديدة جمعها الألباني في سلسلة  
الأحاديث الصحيحة (٤/٥٠٢ - ٥٠٤ ، رقم ١٨٨١) وقال عقب إرواده لهذه  
الطرق : وجملته القول أن الحديث حسن عندى بمجموع طرقه ، والله أعلم \* .  
انظر أيضا فتح الباري (٣/٢٤٦) .

عن أطفال المشركين ؟ فقال : هم خدم أهل الجنة<sup>(١)</sup> . وقد وردت أخبار أخرى ، أن أولاد المشركين في النار ، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما سبق ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة : " لو شئت أسمعك تضاغيهم في النار " .<sup>(٢)</sup>  
وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : الوائدة والموودة في النار .<sup>(٤)</sup>

- ( ١ ) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ( ٢٩٥ / ٧ ) ، رقم الحديث ( ٦٩٩٣ ) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا عقبه بن مكرم الضبي ثنا عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجا عن سمرة بن جندب قال : سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين ؟ فقال : " هم خدم أهل الجنة " وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢١٩ / ٧ ) وقال : " رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري ، وفيه عباد بن منصور وثقه يحيى القطان وفيه ضعف ، وبقيته رجاله ثقات " .
- ( ٢ ) أي صياحهم وبكاهم : يقال : ضغايضو وضغواً وضغفاً : إذا صاح وضج ، النهاية ( ٩٢ / ٣ ) .
- ( ٣ ) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ٦٠٨ / ٦ ) بسنده عن عائشة أنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أطفال المشركين ، فقال : إن شئت أسمعك تضاغيهم في النار " وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢١٧ / ٧ ) وقال : رواه أحمد وفيه أبو عقيل يحيى بن المتوكل ضعفه جمهور الأئمة أحمد وغيره ويحيى بن معين ، ونقل عنه توثيقه في رواية من ثلاثة . وقال ابن حجر في الفتح ( ٢٤٦ / ٣ ) : وهو حديث ضعيف جداً ، لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية وهو متروك .
- ( ٤ ) رواه أبو داود في سننه كتاب السنة ، باب في ذراري المشركين ( ٨٩ / ٥ - ٩٠ ، رقم الحديث ٤٧١٧ ) عن إبراهيم بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي زائدة ، قال : حدثني أبي ، عن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الوائدة والموودة في النار " . ثم قال أبو داود : قال يحيى بن زكريا ( ابن أبي زائدة ) قال أبي : فحدثني أبو اسحاق أن عامراً حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم .
- وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ٤٧٨ / ٣ ) بسنده عن الشعبي عن سلمة ابن يزيد الجعفي في سياق طويل ، وزاد عليه : " إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيمفو الله عنها " . وأورده السيوطي في الجامع الصغير من رواية ابن مسعود ورمز له بالحسن ، وقال المناوي : وهو كما قال أو أعلى " انظر الجامع الصغير مع شرحه في القدير ( ٢٧٠ / ٦ - ٢٧١ ) وأما الألباني فقال فيها وفي رواية سلمة بن يزيد : صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير ( ١١٥ / ٦ ) .

وقد ثبت برواية أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن أطفال المشركين؟ فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين<sup>(١)</sup> ، فالأولى أن يتوقف ويوكل علم ذلك إلى الله تعالى وهم على مشيئته يفعل بهم ما يشاء<sup>(٢)</sup> ، وأعلم أنه قد كان في العرب من يحيي الأطفال الموءودة ، وذلك أنهم يفسرون من آبائهم ، وقال الفـرزـدق<sup>(٣)</sup> يفخر

(١) حد يثأبي هريرة هذا أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الجنائز باب ما قيل فى أولاد المشركين (٢٤٥/٣ ، رقم ١٣٨٤) وكتاب القدر - باب الله أعلم بما كانوا عاملين (٤٩٣/١١ ، رقم ٦٥٩٨) من طريق الزهري عن عطاء بن يزيد اللبشى أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : "سُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم عن نزارى المشركين ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين " .

وقد ورد نحوه فى حديث ابن عباس عند البخارى فى المصدر السابق ، وفى حديث خديجة وغيرها . انظر مجمع الزوائد (٢١٧/٧ - ٢١٨) .

(٢) قد اختلف العلماء فى مسألة الأطفال الذين يموتون قبل بلوغهم . أما أطفال المسلمين فأجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات منهم فهو فى الجنة ، لأنه ليس مكلفاً ، وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة (توفى صبى من الأنصار ، فقالت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، قال : أو غير ذلك يا عائشة . إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم " وأجاب العلماء بأنه لعلة نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عند هذا دليل قاطع - وأجيب بغير ذلك . انظر شرح النووى بصحيح مسلم (٢٠٧/١٦) .

وأما أطفال المشركين فذكر فيهم الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٢٤٦/٣ - ٢٤٧) عشرة أقوال ، وأشهرها هذه الأقوال الثلاثة التى ذكرها المؤلف ، أحدها : أنهم فى النار ، تبعاً لآبائهم ، قال النووى : قال به الأكثرون ، والثانى : التوقف .

والثالث : أنهم فى الجنة . قال النووى : وهو الصحيح الذى ذهب إليه المحققون ويستدل له بأشياء منها : قوله تعالى ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسلاً ) سورة الاسراء الآية ١٥ ، ولا يتوجه على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول حتى يبلغ ويدل عليه ما رواه البخارى فى صحيحه (٤٣٨/١٢ - ٤٣٩) بسنده عن سمره ابن جندب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى مما يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى منكم من رؤيا ( أى أن قال ) وأما الولدان الذين حولهم فكل مولود يولد على الفطرة قال : فقال بعض المسلمين يارسول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأولاد المشركين ، والذى أميل إليه فى هذه المسألة هو التوقف ، وتوكيل الأمر إلى الله تعالى ، فإن من السنة ما يدل على هذا وعلى ذلك . انظر للتفصيل : السنة لابن أبى عاصم (٩١-٩٦) وفتح البارى (٢٤٦/٣ - ٢٤٧) وشرح النووى لصحيح مسلم (٢٠٧/١٩ - ٢٠٨) والألوسى (٣٠/٥٤-٥٥) .

(٣) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي . تقدم مترجمته فى ص (٤٠) .

وَمِمَّا لَدَى مَنَعَ الْوَائِدَا (١) ت فَأَحْيَا الْوَيْسِدَ ظَمَّ وَيَا (٢)  
 قاله في جده صعصعه بن مجاشع . (٣)

قوله تعالى ( وإذا الصحف نشرت ) يعني على الخلائق فمنهم من يعطى  
 بيمينه ومنهم من يعطى بشماله (٤) ، وقوله ( وإذا السماء كَشِطَّتْ / وقرأ ابن مسعود ٣١٩ ب  
 ( قَشِطَّتْ ) وهما بمعنى واحد كالكاפור والقافور (٦) وقوله ( كَشِطَّتْ )

(١) في نسخة "ب" ( أحيأ ) والصواب ما في الأصل .

(٢) انظر ديوان الفرزدق ١٧٣/١ - وقد أنشده أيضا أبو عبيدة في مجاز  
 القرآن (٢٨٧/٢) والماوردي في تفسيره (٤٠٨/٤) والزمخشري في الكشاف  
 (٧٠٨/٤) والقرطبي في تفسيره (٢٣٣/١٩) .

(٣) هو صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي  
 الدارمي جد الفرزدق الشاعر .  
 قال ابن السككن : له صحبة ، وقال البغوي : سكن البصرة ، روى عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم وروى عنه ابنه . انظر الإصابة ١٨٦/٢ .  
 وقال الماوردي في تفسيره (٤٠٨/٤) والقرطبي في تفسيره (٢٣٣/١٩) : وقد  
 كان ذو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه ، ثم ذكر البيت .

(٤) قال الماوردي في تفسيره (٤٠٩/٤) عند هذه الآية :  
 " يعني : صحف الأعمال إذا كتب الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير  
 وشر ، تطوى بالموت وتنشر في القيامة ، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم  
 ما فيها فيقول : " ما هذا الكتاب لا يفاد ر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " سورة  
 الكهف الآية ٤٩ ، وكذا ذكره القرطبي في تفسيره (٢٣٤/١٩) ، وقال  
 ابن الجوزي في زاد المسير (٤٠/٩) " والمراد بالصحف : صحائف أعمال  
 بني آدم تنشر للحساب " .

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن (٢٤١/٣) وابن جريو في تفسيره (٧٣/٣٠)  
 وابن الجوزي في زاد المسير (٤٠/٩) .

(٦) قال الفراء : وهما لغتان ، والعرب يقول : القافور والكاפור ، والقف والكف -  
 إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات ، معاني القرآن  
 (٢٤١/٣) وكذا ذكره ابن جريو . انظر تفسيره (٧٣/٣٠) .  
 وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٤٠/٩) : أن " قشطت " بالقاف لفظة  
 قيس وتميم وأسد ، وأما قريش فتقوله بالكاف ، والمعنى واحد .  
 انظر أيضا تفسير القرطبي ٢٣٥/١٩ ، ولسان العرب (٣٨٧/٧) .



أى : ظمعت (١) وقيل نزعت (٢).

وقوله ( وإذا الجحيمُ سُعِرَتْ ) أى أوقدت (٣) - وهى توقد مرة بعد مرة (٤) فاستقام على هذا الكلام - قال قتادة : سمره غضب الله وخطايا بني آدم (٥) . وقوله ( وإذا الجنة أزلقت ) أى قربت وأدبت وهى

(١) ذكر هذا المعنى البغوى فى تفسيره (٢١٤/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٤١/٩) عن الزجاج - قال : ظمعت كما يطمع السقف .

(٢) قال القراء فى معانى القرآن (٢٤١/٣) فى معنى ( كشطت ) " نزعت وطويت " .

وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥١٦) : " أى : نزع فطويت كما يقشط الغطاء عن الشئ " .

انظر أيضا تفسير البغوى ( ٢١٤/٧ ) وزاد المسير (٤١/٩) وذكر البغوى عن مقاتل أنه قال : تكشف عن فيها . وأما الماورى فذكر فى معنى (كشطت) ثلاثة أقوال .

أحدها : يعنى ذهب ، قاله الضحاك . الثانى : كسفت قاله السدى . الثالث : طويت ، قاله يحيى بن سلام ، كما قال تعالى ( يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب ) سورة الأنبياء الآية ١٠٤ . انظر تفسيره (٤٠٩/٤) . وقال القرطبي فى تفسيره (٢٣٥/١٩) بعد ذكره لما قيل فى معناه : " فكأن المعنى : ظمعت فطويت ، والله أعلم " .

(٣) قال الراغب الأصفهاني فى المفردات (ص ٢٣٣) : " السَّعْرُ التَّهَابُ النار ، وقد سَعَرْتَهَا وَسَعَّرْتَهَا وَأَسَعَّرْتَهَا " وقال البغوى فى تفسيره (٢١٤/٧) : " أى أوقدت لأعداء الله " . انظر أيضا زاد المسير (٤١/٩) وقال القرطبي فى تفسيره (٢٣٥/١٩) : " أى أوقدت فأضرمت للكفار وزهد فى إيمانها " يقال : سَعَّرْتُ النار وأسعرتها " .

(٤) ذكره ابن جرير فى تفسيره (٧٣/٣٠) وقال : " هو بمعنى أوقد عليها مرة بعد مرة " وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (٤١/٩) فى ( سعرت ) قراءتين أحدهما (سُعِرَتْ) بالتخفيف ، والثانية (سُعِّرَتْ) مشددة ، ثم نقل عن الزجاج أنه قال : المعنى واحد ، إلا أن معنى المشددة " أوقدت مرة بعد مرة " . انظر أيضا تفسير القرطبي (٢٣٥/١٩) . وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٠٩/٤) والرازي فى تفسيره (٧٠٩/٣١) : " أوقدت إيقاد أشد يدأ ، وقرى : (سُعِرَتْ) بالتشديد للمبالغة . انظر أيضا حجة القراءات ص (٧٥١) والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٦٢/٢) (٥) رواه ابن جرير فى تفسيره (٧٣/٣٠) عن بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتاد قبضه . وذكره الماورى فى تفسيره (٤٠٩/٤) والقرطبي فى تفسيره (٢٣٥/١٩) وذكره الزمخشري فى الكشاف (٧٠٩/٤) والرازي فى تفسيره (٧٠/٣١) دون عزو إلى أحد .

للمتقين<sup>(١)</sup> ، وقوله ( علمت نفس ما أحضرت ) قال الربيع بن خثيم : إلى هذا جرى الكلام<sup>(٢)</sup> ، وحكى معنى هذا عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> . والمعنى : أنه إذا كانت هذه الأشياء علمت نفس ما أحضرت يعنى من الخير والشر<sup>(٤)</sup> ، قوله تعالى

( ١ ) قال القراء في معاني القرآن ( ٢٤١ / ٣ ) : " ( أزلفت ) : قرئت " وقال ابن قتبية في تفسير غريب القرآن ( ٥١٧ ) " ( أزلفت ) : أدنيت " .  
وقال ابن جرير في تفسيره ( ٧٣ / ٣٠ ) : " يقول تعالى ذكره : قرئت وأدنيت " انظر أيضا تفسير البغوى ( ٢١٤ / ٧ ) وزاد المسبو ( ٤١ / ٩ ) ، والكشاف ( ٧٠٩ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٣٥ / ١٩ ) .

( ٢ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ٧٤ / ٣٠ ) من وجهين كلاهما عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خثيم ( وإذا الجحيم سَعَّرَتْ وإذا الجنة أزلفت ) قال : إلى هذين ماجرى الحديث ، فريق في الجنة وفريق في السعير " ثم ذكر معنى قوله فقال : يعنى الربيع بقوله : " إلى هذين ماجرى الحديث " أن ابتداء الخبر ( إذا الشمس كورت ) إلى قوله ( وإذا الجحيم سعرت ) إنما عدت الأمور الكائنة التي نهايتها أحد هذين الأمرين ، وذلك المصير إما إلى الجنة ، وإما إلى النار ، وذكر أثر الربيع هذا المأوردى أيضا في تفسيره ( ٤٠٩ / ٤ ) .

( ٣ ) لم أجد من ذكر هذا الأثر أو معناه عن ابن عباس سوى القرطبي ، فإنه قال عند قوله تعالى : ( علمت نفس ما أحضرت ) : قال : عمر رضى الله عنه لهذا أجرى الحديث ، وروى عن ابن عباس وعمر رضى الله عنهما أنهما قرأها ، فلما بلغا " علمت نفس ما أحضرت " قالا : لهذا أجريت القصة .

وأشعر عمر رضى الله عنه رواه ابن جرير في تفسيره ( ٧٤ / ٣٠ ) وذكره ابن الجوزى في زاد المسبو ( ٤١ / ٩ ) والمأوردى في تفسيره ( ٤٠٩ / ٤ ) - ( ٤١٠ ) . وذكر في ذلك قول آخر وهو أن " إذا الشمس كورت " قسم وقع على قوله " علمت نفس ما أحضرت " كما يقال : إذا نفر زيد نفر عمرو " وهو قول الحسن . ذكره المأوردى في تفسيره ( ٤١٠ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٣٦ / ١٩ ) وقال : والقول الأول أصح " .

( ٤ ) قال ابن الجوزى في زاد المسبو ( ٤١ / ٩ ) : " أى إذا كانت هذه الأشياء علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أحضرت من عمل ، فأثيبت على قدر عملها " .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٣٦ / ١٩ ) بعد أن ذكر أثر عمر وابن عباس رضى الله عنهم : فالمعنى على هذا ( إذا الشمس كورت ) وكانت هذه الأشياء علمت نفس ما أحضرت من عملها " .

( فلا أقسم بالخنس ) قال علي رضي الله عنه : هي خمسة كواكب بهرام وعطارد وزحل والزهرة والمشتري<sup>(١)</sup> ، وذكر بعضهم الشمس والقمر في ذلك<sup>(٢)</sup> ، وعن بعضهم :

( ١ ) أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٠ / ٦ ) قال : أخرج ابن أبي حاتم من طريق الأصبغ بن نباته عن علي في قوله ( فلا أقسم بالخنس ) قال : خمسة أنجم : زحل وعطارد والمشتري وبهرايم والزهرة . ليس في الكواكب شئ \* يقطع المجرة غيرها \* ولكن الأصبغ متروك كما في التقريب ( ٣٨ ) وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤١٠ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٢ / ٩ ) هذا القول ونسبناه إلى علي رضي الله عنه وقال ابن الجوزي أيضا : وبه قال مقاتل وابن قتيبة ، وذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٣٦ / ١٩ ) قال : هي الكواكب الخمسة الدراري : زحل والمشتري وعطارد والمريخ ( وهو السدي ذكره المؤلف باسم بهرام ) والزهرة ، فيما ذكر أهل التفسير ، والله أعلم وهو مروى عن علي كرم الله وجهه .

وذكره البغوي في تفسيره ( ٢١٤ / ٧ ) قال : وقال قوم ثم ذكرها وأورده الزمخشري في الكشاف دون عزو إلى أحد وقال الرازي في تفسيره ( ٧١ / ٣١ ) : القول الأظهر أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس .

واختار هذا القول الفراء في معاني القرآن ( ٢٤٢ / ٣ ) وابن قتيبة فسي تفسيره غريب القرآن ( ص ٥١٧ ) . وقد ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ( ٧٤ / ٣١ ) فقال \* قال بعضهم : هي النجوم الدراري الخمسة تخنس في مجراها فترجع وتكنس ، فتستر في بيوتها كما تكنس الطيباء في المفار - ثم ذكر هذه النجوم الخمسة - وروى من طرق عديدة عن علي بن أبي طالب أنه قال : هي النجوم ، ولم يرد عنده ذكر النجوم الخمسة .

( ٢ ) قال السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٠ / ٦ ) \* أخرج ابن مردويه والخطيب فسي كتاب النجوم من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله ( فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس ) قال : هي النجوم السبعة زحل وبهرايم وعطارد والمشتري والزهرة والشمس والقمر ، وكنوسها رجوعها وكنوسها تغييبها بالنهار\* ولكن الكلبى متهم بالكذب ، كما في التقريب ٢٩٨ فهو غير صحيح سنداً ، وذكر الرازي في تفسيره ( ٧١ / ٣١ ) في خنوس النجوم وكنوسها ثلاثة أوجه - قال في الوجه الثالث : أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى ( رب المشارق والمغرب ) سورة المعارج الآية ٤٠ . انظر أيضا روح المعاني ( ٥٨ / ٣٠ ) .

أنها جميع النجوم<sup>(١)</sup> . وقوله ( الخنس ) أى تغيب فى سيرها - وقيل : تغيب فى النهار<sup>(٢)</sup> - وهذه الكواكب هى الكواكب التى يسميها المنجمون المتحيرة وقد تفردت حيث تسبو بخلاف سائر الكواكب لأن سائر الكواكب تسبو من المشروق

( ١ ) ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢/٩ ) وقال : قاله الحسن وقتادة على الإطلاق ، وبه قال أبو عبيدة . . انظر فى حجاز القرآن ( ٢٨٧/٢ ) قول أبو عبيدة : وذكره الرازى فى تفسيره ( ٧١/٣١ ) قال : روى عن على عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة أنها هى جميع الكواكب .

وذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٧١١/٤ ) دون عزو إلى أحد . قال : وقيل : هى جميع الكواكب ، تخنس بالنهار فتغيب عن العيون ، وتكنس بالليل : أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها .

انظر أيضا روح المعانى ( ٥٧/٣٠ - ٥٨ ) وهذا الذى رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٧٤/٣٠ ) من طرق عن خالد بن عرورة عن علي " ولكن المشهور عنه هو ما تقدم يعنى أنها الكواكب الخمسة ، وقد ذكره من قوله غير واحد من المفسرين ، مع أن فى إسناده أصبح بن نباته وهو متسروك ، وما رواه ابن جرير هو أصح منه إسناداً ، وقد ذكره ابن كثير فى تفسيره ( ٤٧٨/٤ ) وقال : هذا إسناد جيد صحيح إلى خالد بن عرورة " وذكره أبو جعفر النحاس وقال : ظاهر هذا القول عام لجميع النجوم وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة وبكر بن عبد الله المزني وعبد الرحمن بن زيد . انظر اعراب القرآن ( ٦٣٧/٣ ) .

وهذا الذى اختاره الجوهري أيضا فى الصحاح ( ٩٢٥/٣ ) قال : الخنس الكواكب كلها لأنها تخنس فى المغيب أو لأنها تخفى بالنهار " انظر أيضا ( ٩٧٢/٣ ) .

( ٢ ) قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥١٧ ) : " ( والخنس الجوارى الكنس ) النجوم الخمسة الكبار ، لأنها تخنس أى ترجع فى مجراها - وتكنس - أى تستتر ، كما تكنس الأطباء فى المفار ، وهو الكناس ، وكذا ذكره الفراء فى معانى القرآن ( ٢٤٢/٣ ) .

وقد ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٢/٩ ) عن ابن قتيبة ، فقال : وإنما سماها خُنساً ، لأنها تسبو فى البروج والمنازل كسبو الشمس والقمر ، ثم تخنس أى : ترجع ، بينما يربى أحدها فى آخر البروج كتر راجعاً إلى أوله ، وسماها كنساً لأنها تكنس ، أى تسبو كما تكنس الأطباء " . وذكر عن الزجاج أنه قال : تختس ، أى تغيب ، وكذلك أى : تغيب فى المواضع التى تغيب فيها " وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٧١١/٤ ) " خنسوسها رجوعها ، وكنسها : اختفاؤها تحت ضوء الشمس " . وحول هذا يرد كلام أكثر المفسرين . انظر تفسير البغوى ( ٢١٤/٧ ) وتفسير القرطبي ( ٢٣٧/١٩ ) والصحاح للجوهري ٩٢٥/٣ ولسان العرب ( ١٩٨٠٧٢/٦ ) .

إلى المغرب وهي تسير من المغرب إلى المشرق ويحيلون عليها الأفعال في العالم<sup>(١)</sup> - ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذه الاعتقاد ونحيل الجميع على الله تعالى<sup>(٢)</sup> - وإنما النجوم آيات ودلائل ومسخرات وطلقت لمعاني ذكرناها من قبل<sup>(٣)</sup> .

(٤) وفي الآية قول آخر : وهو أن الخنس هي بقرة الوحش ، قال عمرو بن شرحبيل : قال لبي عبد الله بن مسعود : أنتم قوم عرب فما معنى الخنس الجوار الكنسس ؟

(١) ذكرها باسم المتحميرة الجوهرى فى الصحاح (٣/٩٢٥) وابن منظور فى لسان العرب (٦/٧٢) والقوطى فى تفسيره (١٩/٢٣٧) وذلك عند ذكرهم لسبب تسمية هذه الكواكب بالخنس . قالوا : ويقال : سميت خنساً لتأخرها لأنها الكواكب المتحميرة التى ترجع وتستقيم .

وقال الألوسى فى روح المعانى (٣٠/٥٨) بعد أن ذكر هذه الكواكب "وتسمى المتحميرة لاختلاف أحوالها فى سيرها فىما يشاهد ظها استقامة ورجعة وإقامة ، فبينما تراها تجرى إلى جهة إذا بها راجعة تجرى إلى خلاف تلك الجهة ، وبينما تراها تجرى إذا بها مقيمة لاتجرب ، وسبب ذلك على ما قال المتقدمون من أهل الهيئة كونها فى تدوير فى حواميل مختلفة الحركات " .

وهذا على ما ذكره أصحاب الهيئة القديمة وأما أصحاب الهيئة الجديدة فهم ينكرون ذلك ، وليس هذا موضع تفصيل له .

(٢) قال شارح العقيدة الطحاوية (ص ٥٦٨) : وصناعة التنجيم التى مضمونها الأحكام والتأثير ، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية - صناعة محرمة بالكتاب والسنة ، بل هى محرمة على لسان جميع المرسلين قال تعالى : ( ولا يظح الساحر حيث أتى ) سورة طه الآية ٦٩ وقال تعالى : ( ألم تر إلى الذى الذى أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ) سورة النساء الآية ٥١ ، وأورد بعض الأحاديث التى تدل على تحريم الكهانة والسحر .

(٣) ذكر المؤلف فى سورة الطلح - عند قوله تعالى ( ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ) قول قتادة : خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء الدنيا ، ورجوماً للشياطين ، وهادياً للناس فى الطرق ، فمن تكلف غير ذلك فقد قال ما لا علم له به أنظره ٢/٢٨٥ ق ١ - وتشتمل هذه الآية من سورة الطلح على اثنين من الثلاث التى خلق الله تعالى النجوم لأجلها وأما الثالث فقد قال تعالى : ( وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ) سورة الأنعام الآية ٩٧ ، وقال تعالى ( وعلامات وبالنجم هم يهتدون ) سورة النحل الآية ١٦ .

(٤) هو عمرو بن شرحبيل الهمداني أبو ميسرة الكوفي . ثقة عابد ، مخضرم ، مات سنة ثلاث وستين ، التقريب ٢٦٠ .

قال عمرو : هي بقر الوحش ، قال ابن مسعود وأنا أرى ذلك . وهو  
أيضا إحدى الروايتين عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> - والقول الأول هو المشهور<sup>(٣)</sup> - والخنسس

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٧٥/٣٠) من طريق هشيم بن بشير عن زكريا بن  
أبي زائدة عن أبي اسحاق السبيعي عن أبي ميسرة عن عبد الله بن مسعود  
بنحوه - وليس عنده قوله ( إنكم قوم عرب ) - ورواه أيضا من أوجه أخرى كلها  
عن سفیان الثوري ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٩ رقم ٩٠٦٣)  
بسند من الثوري عن أبي اسحاق به - ولم يذكر ( إنكم قوم عرب ) . وذكره  
القرطبي في تفسيره (٢٣٧/١٩) قال : وروى هشيم بن زكريا عن أبي اسحاق  
عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال : قال لي عبد الله بن مسعود : ثم ذكر  
بمثل ما ذكر المؤلف بإسناده صحيح ، فهو اسحاق السبيعي كان قد اختلط  
ولكن رواية سفیان الثوري كان قد يما يعني قبل الاختلاط . انظر هدى السارى  
(٤٣١) وأورد هـ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤/٧) من رواية الطبراني  
وقال : رجاله رجال الصحيح .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور (٣٢٠/٦) : " وأخرج ابن أبي حاتم من طريق  
سعيد بن جبير عن ابن عباس (الجواري الكنس) قال : البقر تكنس إلى الظل ،  
وأخرج ابن المنذر من طريق خصيف عن ابن عباس (الجواري الكنس) قال : هي  
الوحش تكنس لأنفسها في أصول الشجر تتواري فيه وقال القرطبي في تفسيره  
(٢٣٧/١٩) " وروى عن ابن عباس : إنما أقسم الله ببقر الوحش ، وروى عنه  
عكرمة قال : الخنسس : البقر ، والكنسس هي الظبا .

انظر هذا القول أيضا في تفسير الماوردي (٤١٠/٤) وتفسير البهقي (٢١٤/٧)  
وزاد المسير (٤٢/٩) وتفسير القرطبي (٢٣٧/١٩) وتفسير الرازي (٧١٣/١)  
وقد عزاه إلى ابن مسعود والنخعي ، وذكر في معناها أنها الظبا ، ذكره  
ابن جرير في تفسيره (٧٦/٣٠) ورواه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد ،  
انظر أيضا تفسير الماوردي (٤١٠/٤) وزاد المسير (٤٢/٩) وتفسير القرطبي  
(٢٣٧/١٩) وقيل : إنها الملائكة ، حكاه الماوردي في تفسيره (٤١٠/٤) ،  
وقال : لأنها تخنسس فلا ترى . انظر أيضا زاد المسير (٤٢/٩) وتفسير القرطبي  
(٢٣٨/١٩) .

(٣) قال النحاس في أعراب القرآن (٦٣٧/٣) بعد ذكره لبعض هذه الأقوال : " إذا  
كان التقدير ( فأقسم برب الخنسس ) فالمعنى واحد ، إلا أن القول الأول  
( يعني أنها النجوم الخمسة ) أجلبها وأعرفها " ووصف الرازي هذا القول بأنه  
القول الأظهر " وقال أيضا : والقول هو الأول ، ثم استدل عليه بأمرين : الأول :  
أنه قال بقدر ذلك ( والليل إذا عسعس ) وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش  
الثاني : أن محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى ولا شك أن  
الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش " انظر تفسيره (٧٢/٣١) وقال القرطبي في  
تفسيره (٢٣٧/١٩) بعد سرده للأقوال فيها : والأصح الحمل على النجوم  
لذكر الليل والصبح بعد هذا ، فذكر النجوم أليق بذلك " وقال ابن الجوزي في  
زاد المسير (٤٢/٩) " والأكثر على أنها النجوم " . وتوقف ابن جرير في تعيين  
المراد فلم يقطع بشئ . من هذه الأقوال ، قال : يحتمل أن يكون الجميع مراداً  
انظر تفسيره (٧٧/٣٠) انظر أيضا تفسير ابن كثير (٤٧٩/٤) والذي يهد إلى أن  
الرجح القول بأنها النجوم مطلقاً - وذلك لأنه ثبت عن علي بن أبي طالب بسند أصح  
بينما القول بأنها النجوم الخمسة لم يثبت عنه بسند صحيح .

على هذا القول هي صفار الأنف - والكس من استتارها في كسها (١) وقوله (والليل إذا عسعس) أي أقبل بظلامه (٢) وقيل : أدبر وهو من الأضداد (٤)

(١) ذكر القرطبي في تفسيره (٢٣٧/١٩) عن القشيري أنه قال " قيل على هذا (القول) الخنس من الخنس في الأنف . وهو تأخر الأرنبة وقصر القصبه ، وأنوف البقر والظباء خنس " .  
وقال القرطبي : والكس الغيب ، مأخوذة من الكناس وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه " .

انظر أيضا لسان العرب (١٩٨٠ ٧٢/٦) .  
(٢) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨٧/٢) قال : " قال بعضهم : إذا أقبلت ظلماءه " وذكره ابن جريو في تفسيره (٧٨/٣٠) ورواه عن الحسن وعطية . وذكره الماوردي في تفسيره (٤١١/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٤٢/٩) كلاهما من قول ابن جيبو وقتادة ، وقال ابن الجوزي : قال الزجاج : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ، وذكره البغوي في تفسيره (٢١٤/٧) عن الحسن . انظر أيضا تفسير غريب القرآن (ص ٥١٧) وتفسير القرطبي (٢٣٨/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٧٩/٤) .

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن (٢٤٢/٣) قال : " اجتمع المفسرون : على أن معنى (عسعس) أدبر ، وذكره ابن جريو في تفسيره (٧٨/٣٠) ورواه عن غير واحد من أئمة التفسير منهم علي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم ، وذكره الماوردي في تفسيره (٤١١/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٤٢/٩) من قول ابن عباس وابن زيد وزاد ابن الجوزي في نسبه الفراء . وحكاه البغوي في تفسيره (٢١٤/٧) فقال بعد أن ذكر القول الأول عن الحسن : وقال الآخرون : أدبر ، انظر أيضا تفسير غريب القرآن (ص ٥١٧) وتفسير السرازي (٧٢/٣٠) وتفسير القرطبي (٢٣٨/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٧٩/٤) .  
وذكر الماوردي قولاً آخر وهو أن معناه : أظلم - وعزاه إلى ابن مسعود ومجاهد . واختار ابن جريو القول بأن معناه (إذا أدبر واستدل على ذلك بقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) قال : فدل بذلك على أن القسم للليل مدبراً ، وبالنهيار مقبلاً ، والعرب تقول : عسعس الليل ، وسعسع الليل : إذا أدبر ، ولم يبق منه إلا اليسير " انظر تفسيره (٧٩/٣٠) وكذا استدلى على هذا القول أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨٧/٢) وهذا هو الصواب .

(٤) صرح بذلك عدد من المفسرين ، وعزاه بعضهم إلى المبرد . انظر تفسير السرازي (٧٢/٣١) وتفسير القرطبي (٢٣٨/١٩) وروح المعاني (٥٨/٣٠) وقال القرطبي : والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره . قال الراغب في المفردات (ص ٣٣٤) : " والليل إذا عسعس " أي أقبل وأدبر وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه فالعسعس والمساس رقة الظلام ، وذلك في طرفي الليل " فهو من المشترك المعنوي عنده ليس من الأضداد " .

والأول هو المعروف<sup>(١)</sup> - وقوله ( والصبح إذا تنفس أي إذا ظهر ولمع - وقيل :

ارتفع<sup>(٢)</sup> وقوله ( إِنَّ لِقَوْلِ رَسُولِ كَرِيمٍ ) أي قول أنزله رسول كريم أي كريم على مرسله

وهو جبريل صلوات الله عليه<sup>(٣)</sup> ، وحمل الآية على ما جاء به جبريل عليه السلام

على الرسول على الله عليه وسلم من غير القرآن فعلى هذا يجوز أن يقال هو قول جبريل<sup>(٤)</sup>

( ١ ) لأنه هو الأوفق بقوله تعالى ( والصبح إذا تنفس ) فإنه أول النهار فيناسب أول الليل . انظر روح المعاني ( ٥٨ / ٣٠ ) .

( ٢ ) ذكر القولين البغوي في تفسيره ( ٢١٤ / ٧ ) قال : \* ( والصبح إذا تنفس ) أقبل وبدأ أوله - وقيل : امتد ضوءه وارتفع \* . وقال الماوردي في تفسيره ( ٤١١ / ٤ ) : \* ( والصبح إذا تنفس ) فيه تأويلان : أحدهما : طلوع الفجر ، قاله على وقتادة . الثاني : طلوع الشمس ، قاله الضحاك . وفسر ( تنفس ) وجهان : أحدهما : بان إقباله ، الثاني : زاد ضوءه ، ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن يكون تنفس بمعنى طال ، مأخوذ من قولهم ( قد تنفس النهار ) وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٣ / ٩ ) القولين وهما طلوع الفجر وطلوع الشمس ثم قال : قال الزجاج : معناه : إذا امتد حتى يصير نهاراً بيئناً \* .

( ٣ ) ذكر غير واحد من المفسرين أن المراد من الرسول هنا جبريل عليه السلام ، ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٧٩ / ٣٠ - ٨٠ ) ورواه عن قتادة . والماوردي في تفسيره ( ٤١١ / ٤ ) وعزاه إلى الحسن وقتادة والضحاك ، وكذا القرطبي في تفسيره ( ٢٤٠ / ١٩ ) عزاه إليهم ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣٥٤ / ٨ ) وعزاه إلى ابن السائب ( الكلبى ) ومقاتل - وصرح أبوحيان في البحر المحيطة ( ٤٣٤ / ٨ ) والاكوسى في روح المعاني ( ٥٩ / ٣٠ ) بأنه قول الجمهور .

( ٤ ) لم أجد من ذكر هذا التوجيه . وجميع المفسرين صرحوا بأن المراد هو القرآن وأما أنه قول رسول كريم فقال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٥١٧ ) لم يرد أنه قول الرسول ، وإنما أراد أنه قول رسول عن الله جل وعز ، وفسى الرسول ما دل على ذلك ، فاكتفى به من أن يقول : عن الله \* وقد ذكر ذلك عن ابن قتيبة ابن الجوزي أيضاً في زاد المسير ( ٣٥٤ / ٨ ) وقال الماوردي في تفسيره ( ٤١١ / ٤ ) .

\* فإن كان المراد به جبريل فمعناه قول رسول الله كريم عن رب العالمين لأن أصل القول الذي هو القرآن ليس من الرسول ، وإنما الرسول فيه مبلغ على الوجه الأول ومبلغ إليه على الوجه الثاني . وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٤٠ / ١٩ ) بعد أن ذكر أن المراد هو جبريل عليه السلام : والمعنى : إنه لقول رسول عن الله كريم على الله وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام ثم عداه عنه بقوله \* تنزيل من رب العالمين \* ليعلم أهل التحقيق في التصديق أن الكلام لله عز وجل \* .



وقيل : إن قوله ( رسول كريم ) وهو محمد صلى الله عليه وسلم - والقول  
الأول هو المشهور <sup>(٢)</sup> وقوله ( ندى قوة عند ندى العرش مكين ) في الخبر : أن  
النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قوته . وأمانته فقال أما قوتي فإن الله  
تعالى أرسلني إلى مدائن لوط وهي أربع مدائن في كل مدينة أربع مائة ألف  
مقاتل سوى الذرية فادخلت جناح تحتها ورفعتها إلى السماء حتى سمع أهل  
السماء الدنيا نياح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبتها . وأما أمانتي فيني لم أعند  
ما أمرت / به إلى غيره <sup>(٣)</sup> وقوله ( مكين ) هو بمعنى المكانة والمنزلة عند الله ٢٠/٣١  
تعالى <sup>(٤)</sup> و ( ندى العرش ) هو الله تعالى <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٤١١ ) وعزاه إلى ابن عيسى .  
وابن الجوزي في زاد المسير ( ٨ / ٣٥٤ ) والقوطبي في تفسيره  
( ١٩ / ٢٤٠ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٨ / ٤٣٤ ) .

( ٢ ) ولذلك اكتفى بذكره بعض المفسرين . مثل ابن جرير والبغوي والزمخشري  
وابن كثير وغيرهم ، فلم يذكرها في تفاسيرهم إلا القول الأول ( يعني أن  
المراد هو جبريل عليه السلام ) وقد عزاه أبوحيان والألوسي إلى الجمهور ،  
ولكن ابن الجوزي ذكر القول الثاني ( يعني أن المراد هو النبي صلى الله  
عليه وسلم ) وقال : قاله الأكثرون .

( ٣ ) أورده بنحوه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٢١ ) وعزاه إلى ابن عساكر  
عن معاوية بن قرة . وذكره البغوي في تفسيره ( ٧ / ٢١٤ ) مختصراً وذكره  
القوطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٤٠ ) مختصراً جداً ، من قول ابن عباس .

( ٤ ) قال القوطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٤٠ ) في معنى ( مكين ) " أي : ندى  
منزلة ومكانة " .

انظر أيضاً زاد المسير ( ٩ / ٤٣ ) وتفسير الخازن ( ٧ / ٢١٥ ) .

( ٥ ) قال القوطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٤٠ ) " أي عند الله جل ثناؤه " .

وقوله ( مطاع ثم أمين ) في التفسير : ان الملائكة يطيعونه فيما يأمرهم به (١)  
وقد قيل : ان معناه أنه قال لرضوان خازن الجنان ليلة المعراج : افتح الباب  
لمحمد ففتحه ، وقال لمالك خازن النار : افتح الباب لمحمد ففتحه (٢) ، وقولسه  
( أمين ) قد ذكرنا (٣) - وقيل في معنى الأمانة : أنه يوقع سبعين سرادقاً  
من غير استئذان (٤) ، وقيل : يلج سبعين حجاباً من نور من غير استئذان (٥)

(١) قال ابن جرير في تفسيره (٨٠/١٩) " يعني جبريل عليه السلام ، مطاع في  
السماء تطيعه الملائكة . وكذا ذكره البغوي في تفسيره (٢١٥/٧) ،  
وابن الجوزي في زاد المسير (٤٣/٩) واثقال ابن كثير في تفسيره (٤٧٩/٤) :  
" ( مطاع ثم ) أي له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملا الأعلى . "

(٢) ذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٢١٥/٧) وابن الجوزي في زاد المسير  
(٤٣/٩) كلهم دون عزو إلى أحد .  
وذكره القرطبي في تفسيره (٢٤٠/١٩) وقال : قال ابن عباس : من طاعة  
الملائكة جبريل أنه لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ثم ذكر  
القصة بنحوها . ويلاحظ أنهم لم يذكروا ذلك على أنه أحد القولين في معنى  
الآية ، بل ذكروه كأنه دليل على ما تفيد الآية الكريمة .

(٣) ذلك في الخبر الذي تقدم قبله والذي سأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن  
قوته وأمانته . وأجابه عن أمانته بقوله : أما أمانتي فإني لم أعسد  
ما أمرت به إلى غيره . "

(٤) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ .  
ورواه ابن جرير في تفسيره (٨٠/٣٠) بسنده عن أبي صالح قال : أمين  
على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن . "  
وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٣/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٤٠/١٩)  
من قول أبي صالح .

(٥) رواه أبو الشيخ في العظمة (ص ١١٦٨ رقم ٤٩٨) بسنده عن أبي صالح في  
قوله ( مطاع ثم أمين ) قال : جبريل ، أمين على سبعين ألف حجاب . "

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٢١/٦) قال : " أخرج ابن المنذر  
وأبو الشيخ في العظمة عن أبي صالح في قوله ( مطاع ثم أمين ) قال : أمين  
على سبعين حجاباً يدخلها بغير إذن . "

وهو بالإسنادين ( أي إسناد الطبري وإسناد أبي الشيخ ) ضعيف لأن  
في إسنادهما عمر بن شبيب المُسَلِّي وهو ضعيف .  
انظر تقريب التهذيب ( ص ٢٥٤ ) .

( ١ ) وقوله تعالى ( وما صاحبكم بمجنون ) يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عطية : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أن يؤيه نفسه على ما يكون في السماء ، فقال : ليس ذلك إليّ حتى أستاذن ربي ، فاذن الله تعالى له في ذلك ، فلما رأى جبريل على ما خلقه الله من العظمة وكثرة الأجنحة على ما ذكرنا غشى عليه فلما رآه قريش مغشياً عليه ، قالوا : مجنون مجنون ، فأنزل الله تعالى ( وما صاحبكم بمجنون ) وقوله ( ولقد رآه بالأفق المبين ) في التفسير : أنه عند مطلع الشمس ، <sup>( ٣ )</sup> والذي رآه جبريل - وقد بينا هذا في سورة ( والنجم ) <sup>( ٤ )</sup> وقوله ( وما هو على الغيب بضمين ) قرئ بالضاد

( ١ ) يوجد اتفاق بين المفسرين على أن المراد هنا محمد صلى الله عليه وسلم . انظر تفسير الطبري ( ٨١ / ٣٠ ) وتفسير الماوردي ( ٤١١ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ٢١٥ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٣ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٤٠ / ١٩ ) .

( ٢ ) لم أجد من روى هذا الأثر ، وقد جاء ذكر غشيه صلى الله عليه وسلم عند ما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام في أثر رواه الزهري . قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أن يترائى له في صورته ، فقال جبريل : إنك لن تطيق ذلك ، قال : إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى في ليلة مقمرة وأتاه جبريل في صورته ، فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه . . . الخ ، وأورده السيوطي في الحبايك ( ق ١ / ١٤٤ ) وعزا تخريجه إلى ابن المبارك في الزهد ، وأما ما جاء في رواية عطية من أن قريشاً رأوه مغشياً عليه وقالوا : مجنون ، فلم أجده في رواية أخرى .

( ٣ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ٨١ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول تعالى ذكره : ولقد رآه أي محمد جبريل صلى الله عليهم وسلم في صورته بالناحية التي تبين الأشياء فترى من قبلها وذلك من ناحية مطلع الشمس من قبل المشرق " . وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٤١ / ١٩ ) : " ( بالأفق المبين ) أي بمطلع الشمس من قبل المشرق ، لأن هذا الأفق إذا كان منه تطلع الشمس فهو مبين ، أي من جهته ترى الأشياء " .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤١٢ / ٤ ) في " الأفق " قولين أحدهما : أنه مطلع الشمس ، الثاني : أقطار السماء ونواحيها . وهذا القول الثاني ذكره القرطبي أيضاً في تفسيره ( ٢٤١ / ١٩ ) .

( ٤ ) وذلك عند قوله تعالى ( ما كذب القواد مارأى ) الآية ١١ . انظر ٢ / ق ١ / ٢٤٠ ، ١ / ٢٤٠ ب . ذكر فيها المؤلف القولين المعروفين أحدهما قول عائشة وابن مسعود وجماعة وهو أنه صلى الله عليه وسلم لم ير ربه وإنما رأى جبريل عليه السلام ، والثاني قول ابن عباس ومن تابعه من الصحابة والتابعين وهو أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ولكن المؤلف أغرب

.. / ..

هنا إن قال : وروى عكرمة عن ابن عباس أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج بعينه " ثم عزا هذا القول إلى أنس وكعب الأحمار وأحمد بن حنبل وإسحاق وغيرهم .

ومن المعلوم أن هذه المسألة اختلف فيها العلماء من قديم الزمان حتى من زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . فكان ابن عباس رضي الله عنهما يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه ليلة الإسراء ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ( ما كذب الفؤاد ما رأى ) سورة النجم الآية ١١ ، ويقول تعالى : ( ولقد رآه نزلة أخرى ) سورة النجم الآية ١٣ .

وأما النافون لذلك من الصحابة فمن أشدهم عائشة الصديقة رضي الله عنها واستشهدت على ذلك بقوله تعالى ( لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ ، وهو اللطيفُ الخبيرُ ) سورة الأنعام الآية ١٠٣ . وقوله تعالى ( وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجابٍ أو يُوسِّلَ رسولاً ) سورة الشورى الآية ٥١ ، والحديث الذي رواه مسروق عنها معروف أخرجه البخاري في صحيحه ( ٦٠٦/٨ ) ومسلم في صحيحه ( ٨/٣ ) .

وأما روايات ابن عباس في إثبات الروؤية فهي متعددة ، بعضها مقيدة بالقلب أو بالفؤاد ، وبعضها الأخرى مطلقة لم يذكر فيها لا بفؤاده ولا بقلبه ، وقد جمع هذه الروايات ابن خزيمة في كتاب التوحيد ( ١٩٧ - ٢٠٢ ) وابن منده في كتاب الإيمان ( ٧٣٨/٣ - ٧٤٠ ) ولم يرد فيما صح عنه أنه قال : ببصره .

قال ابن كثير في تفسيره ( ٢٥٠/٤ ) : " ومن روى عنه ( يعني ابن عباس ) بالبصر ، فقد أغرب ، فإنه لا يصح في ذلك شيء من الصحابة ، وكذا صرح به شيخ الإسلام . انظر مجموع الفتاوى ٥٠٩/٦ . وقد ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٦٠٨/٨ ) أن ابن مردويه أخرج من طريق عطاء عن ابن عباس قال : لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه ، وإنما رآه بقلبه " . وعلى هذا فقد ذهب العلماء إلى التوفيق بين الروايات الواردة عن ابن عباس المطلقة منها والمقيدة - فقالوا : تحمل الروايات المطلقة يعني : رآه النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه ، لا بعينه . ونقل ابن حبان في صحيحه عن أبي حاتم أنه قال : معنى قول ابن عباس : " قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه " أراد به بقلبه في الموضع الذي لم يصعد أحد من البشر ارتفاعاً في الشرف " . انظر الإحسان في تقريب ابن حبان ( ١٤٧/١ ) ، وهكذا جمع الحافظ ابن حجر أيضاً في فتح الباري ( ٦٠٨/٨ ) فقال : جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة ، فيجب حمل مطلقها على مقيدها ، ( انظر أيضاً مجموع الفتاوى ٥٠٩/٦ ) ثم ذهب الحافظ إلى الجمع بين روايات ابن عباس المثبتة وبين روايات عائشة النافية إذ حمل نفيها على الروؤية البصرية وإثباته على الروؤية القلبية . وذكر أنه ليس المقصود من هذه الروؤية مجرد حصول العلم ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالله على الدوام . بل المراد أن الروؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الروؤية بالعين لغيره . والروؤية لا يشترط

.. / ..

٠٠/٠٠

لها شئ \* مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين \* وهذا جمع حسن وبه يمكن الأخذ بجميع الروايات الصحيحة - وأما عزو المؤلف لإثبات الرواية بالعين إلى أنس رضي الله عنه فقد عزاه إليه البغوي أيضاً في تفسيره (٢٤٧/٤) - تحقيق خالد العك ومروان سوار ) ولكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٥٠/٤) : فيه نظر وصرح بأنه لا يصح شئ \* من ذلك عن الصحابة ، كما تقدم ، وعزوه إلى الإمام أحمد فقال ابن حجر في الفتح (٦٠٨/٨) "وممن أثبت الرواية لنبينا صلى الله عليه وسلم الإمام أحمد فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي : قلت لأحمد : إنهم يقولون : إن عائشة قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، فبأى شئ \* يدفع قولها ؟ قال : بقول النبي صلى الله عليه وسلم : رأيت ربي ، قول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها " وقد أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم على من زعم أن أحمد قال : رأى ربه بعيني رأسه " .

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٠٩/٦) : "الإمام أحمد تارة يطلق الرواية ، وتارة يقول : رآه بغيره ، ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه ، لكن طائفة من أصحابه سمعوا كلامه المطلق ، ففهموا منه رؤية العين ، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين " ووهب الحافظ ابن القيم من حكى عنه ذلك فقال : " لم يقل أحمد : إنه رآه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه ، ولكن قال مرة " رآه " ومرة قال " رآه بغيره " فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه " أنه رآه بعيني رأسه " وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك .

انظر زاد المعاد في هدى خير العباد (١٢٦/٢ - ١٢٧) . وراجع للتفصيل في المسألة : تفسير ابن جرير الطبري (٤٧/٢٧ - ٤٩) والإحسان في تقريب ابن حيان (١٤٧/١) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ١٩٧ - ٢٣٠) ، وكتاب الايمان لابن مند (٧٣٨/٣ - ٧٥٧) وشرح النووي بصحيح مسلم (٤٣ - ١٤) وتفسير ابن كثير (٢٥٠/٤ - ٢٥٢) .

والظاء<sup>(١)</sup> . قال ابراهيم النخعي : بظنين بالظاء متهم ، وبضنين بالضاد بخيل . أورده النحاس<sup>(٢)</sup> ، وهو قول جماعة من المفسرين<sup>(٣)</sup> ، والفيسب هو

(١) قرأه بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ، وأما الباقيون فقرأوها بالضاد . انظر التيسير في القراءات السبع (ص ٢٢٠) والكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٦٤/٢) وحجة القراءات (ص ٧٥٢) انظر أيضا معاني القرآن للفراء (٢٤٢/٣) وتفسير غريب القرآن (٥١٧) وتفسير الطبري (٨١/٣٠ - ٨٣) وعراب القرآن للنحاس (٦٤٠/٣) وقد صرح الفراء بأن قراءته بالضاد حسن . واختارها الطبري : فقال : وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب ما طيه خطوط مصاحف المسلمين متفقة ، وإن اختلفت قراءتهم به ، وذلك (بضنين) بالضاد . وقال النحاس : القراءتان صحيحتان قد رواهما الجماعة إلا أنه في السواد بالضاد \* . وذكر ابن كثير اختصار الطبري فقال : واختار ابن جريو قراءة الضاد ، قلت : وكلاهما متواتر ومعناه صحيح . تفسير ابن كثير (٤٨٠/٤) .

(٢) أورده النحاس القراءتين ومعناهما في اعراب القرآن (٦٤٠/٣) ولكنه لم يذكر فيه اثر إبراهيم النخعي ، فلمعه أورده في معاني القرآن .

وروى ابن جريو في تفسيره (٨٢/٣٠ ، ٨٣) هذا التفسير ، عن بشر قال : ثنا خالد بن عبد الله الواسطي ، قال : ثنا المغيرة ، عن إبراهيم به - في سياقين مستقلين - .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٢٢/٦) في سياق واحد وعزا تخريجه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) قال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥١٧) \* ( وما هو على الفيسب بظنين ) أي : بمتهم على ما يخبر به عن الله عز وجل ، ومن قرأ : ( بظنين ) أراد : ببخيل ، أي ليس ببخيل عليكم ، يعلم ما غاب عنكم مما ينفعكم .

وقال أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٦٤٠/٣) بعد أن ذكر القراءتين في (ضنين) : ولا اختلاف بين أهل التفسير واللفظة أن معنى (بظنين) بمتهم ، و (بضنين) ببخيل ، انظر أيضا تفسير البغوي (٢١٦/٧) ، وزاد المسير (٤٤/٩) وتفسير ابن كثير (٤٨٠/٤) . وذكر ابن جريو في تفسيره

٠٠/٠٠

( ٨٣ - ٨١ / ٣٠ ) في ( ظنين ) تفسيريْن أحدَهما أن معناه متهم ، والثاني : أن معناه ضعيف ، لأنه يقال للرجل الضعيف : هو ظنون " والمعنى الثاني ذكره الفراء في معاني القرآن ( ٢٤٣ / ٣ ) وغزاه القرطبي في تفسيره ( ٢٤٢ / ١٩ ) إلى المبرد أيضا ولما اختار الطبري القراءة بالضاد ذهب إلى اختيار القول بأن معناه ( بخيل ) قال : أولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأوله : وما محمد صلى الله عليه وسلم على ما علمه الله من وحيه وتنزله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس ، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلموه .

وذكر القرطبي عن أبي عبيد أنه اختار القراءة بالظاء ، وأن معناه متهم ، وذلك لأنهم لم يُخَلِّوه ولكن كذبوه ، ولأن الأكثر من كلام العرب : ما هو بكذا ، ولا يقولون : ما هو على كذا ، إنما يقولون : ما أنت على هذا بمتهم " انظر تفسيره ( ٢٤٢ / ١٩ ) وذكر النحاس أيضا اختيار أبي عبيد فقال :

" وعدل أبو عبيد إليها ( أي إلى القراءة بالضاد ) لأنه ذكر أنه جواب لأنهم كذبوه ، وهذا الذي احتج به لا نعلم أحداً من أهل العلم يعرفه ، ولا يرى أنه جواب ولا هو عندهم إلا مبتدأ وخبر وقد قلنا : إن القراءتين صحيحتان ، ومجاز " ضنين " أن من العلماء من يظن بعلمه . . . فأخبر الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه ليس بضنين بشيء من أمر الدين وأنه لا يخص به أحداً دون أحد على خلاف ما يقول قوم : إنه خص الإمام بما لم يلقه إلى غيره " اعراب القرآن ( ٦٤٠ / ٣ - ٦٤١ ) والصواب فيما يبدو لي أن القراءتين صحيحتان ومعناهما أيضا صحيح - والله أعلم .

(١) الوحي ، وقوله تعالى ( وما هو بقول شيطان رجيم ) قال هذا لأنهم كانوا يقولون أن محمداً يقول ما يقول عن الشيطان<sup>(٢)</sup> . وقوله ( فأين تذهبون ) أي أين تذهبون عن الحق الذي ظهر بدلائل<sup>(٣)</sup> . وقوله ( إن هو إلا ذكر للعالمين ) أي تذكرة وعظة للعالمين<sup>(٤)</sup> . وقوله ( لمن شاء منكم أن يستقيم ) في التفسير :

(١) قال البغوي في تفسيره (٢١٥/٧) : " ( على الغيب ) أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائباً عنه من الأنبياء والقصص " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤/٩) : " ( على الغيب ) أي على خبر السماء الغائب عن أهل الأرض " وقال الرازي في تفسيره (٧٤/٣١) : " والغيب ههنا القرآن وما فيه من الأنبياء والقصص " وكل هذه المعاني صالحة لأن تكون مرادة هنا ، لأنها تفيد شيئاً واحداً وهو ما يأتيه به جبريل عليه السلام من الله تعالى " .

(٢) ذكر مقاتل في تفسيره (ق ٣٨٨/١) أن كفار مكة قالوا : إنما يجيئ به الشيطان فيلقيه على لسان محمد " واسم هذا الشيطان الرى . انظر زاد المسير (٤٤/٩) وتفسير الرازي (٧٤/٣١) .

(٣) روى ابن جبري في تفسيره (٨٣/٣٠) بسنده عن قتادة : ( فأين تذهبون ) يقول : فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي " وقال البغوي في تفسيره (٢١٦/٧) : " أي أين تعدلون عن هذا القرآن ، وفيه الشفاء والبيان " .

قال الزجاج : أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم " . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤/٩) عن الزجاج . وأما الماوردي فذكر فيه وجهين . أحدهما : فإلى أين تعدلون عن كتاب الله تعالى وطاعته ، قاله قتادة .

الثاني : فأى طريق أهدى لكم وأرشد من كتاب الله حكاه ابن عيسى ، وقال : ويحتمل ثالثاً : فأين تذهبون عن عذابه وعقابه . وقال تعالى ( أين تذهبون ) ولم يقل ( إلى أين تذهبون ) . قال الفراء في معاني القرآن (٢٤٣/٣) " العرب تقول : إلى أين تذهب ؟ وأين تذهب ؟ ويقولون : ذهب الشام ، وانطلقت السوق وخرجت الشام ، سمعناه فسى هذه الأحرف الثلاثة " . انظر أيضاً تفسير القوطي (٢٤٣/١٩) .

(٤) قال ابن جبري في تفسيره (٨٤/٣٠) " يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن ، وقوله ( هو ) من ذكر القرآن ، ( إلا ذكر للعالمين ) يقول : لإلا تذكرة وعظة للعالمين من الجن والإنس " وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٤٤/٩) " ( إن هو ) أي : ما هو ، يعني : القرآن ( إلا ذكر للعالمين ) أي : موعظة للخلق أجمعين " .



أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل : الأمر علينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى قوله ( وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين )  
رداً عليه . ( ١ )

وفي الباب أحاديث كثيرة ( ٢ ) منها ما روى مالك ( ٣ ) عن زيد بن أبي أنيسة ( ٤ )  
أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ( ٥ ) رضى الله عنه أخبره عن مسلم

( ١ ) روى هذا السبب لنزول الآية : ابن جرير في تفسيره ( ٨٤ / ٣٠ ) من طرق ،  
والواحدى فى أسباب النزول ( ص ٣٣٣ ) كلاهما بسندهما عن سعيد بن مسن  
عبد العزيز عن سليمان بن موسى بمثله .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ( ٤٨٠ / ٤ ) والسيوطى فى لباب النقول فى  
أسباب النزول ( ص ٢٢٧ ) عن سليمان بن موسى وعزا السيوطى تخريجه إلى ابن  
أبى حاتم أيضا .  
وقال : وأخرج ابن أبى حاتم من طريق بقيقه عن عمرو بن محمد عن زيد بن  
أسلم عن أبى هريرة مثله .

وأخرج ابن المنذر من طريق سليمان بن القاسم بن مخيمرة مثله وأورده من رواية  
أبى هريرة فى الدر المنثور ( ٣٢٢ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن مردويه  
وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٤ / ٩ ) وليس فيه ذكر أبى جهل عندهما .  
وقال ابن الجوزى عقبه : وقيل : القائل لذلك أبو جهل .  
انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢٤٣ / ١٩ ) .

( ٢ ) تكررت كلمة ( كثيرة ) فى الأصل . ولا أرى حاجة لتكرارها فحذفها - وكذا  
هى فى نسخة " ب " .

( ٣ ) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو الأصبحى أبو عبد الله المدنى  
الفقيه ، إمام دار الهجرة ، رأس المتقين وكبير المشتهين حتى قال البخارى  
أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر . مات سنة تسع وسبعين ومائة  
وكان مولده سنة ثلاث وتسعين ، وبلغ تسعين سنة . تقريب التهذيب ٣٢٦ .

( ٤ ) هو زيد بن أبى أنيسة الجزرى أبو أسامة ، أصله من الكوفة ثم سكن الرها - ثقة  
له أفراد ، مات سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة أربع وعشرين ، وله ست وثلاثون سنة .  
تقريب التهذيب ( ص ١١٢ ) .

( ٥ ) هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى أبو عمر المدنى ،  
ثقة ، توفى بخران فى خلافة هشام . المصدر السابق ص ١٩٧ .

(١) بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سُئِلَ عن هذه الآية : ( وَإِنْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ) إلى أن قال ( أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ) الآية . فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها ؟ فقال : إن الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه نُزْرِيَّةً ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعطون ، ثم مسح ظهره فاستخرج (٣) ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعطون ، فقال رجل : يارسول الله . فَقِيمَ الْعَمَلُ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله به الجنة (٤) (٥) (٦) ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت وهو على عمل أهل النار فيدخله به النار (٧) (٨) (٩) .

(٢) هو مسلم بن يسار الجهني ، ذكره الذهبي وقال : تفرد عنه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وقال فيه ابن حجر : مقبول .  
انظر ميزان الاعتدال ١٠٨ / ٤ وتقريب التهذيب ٣٣٦ .

- (٢) سورة الأعراف الآية ٧٢ ، وفي الموطأ ذكرت الآية بكاملها .  
(٣) في الموطأ زيادة ( منه نُزْرِيَّةٌ ) .  
(٤) في الموطأ ( على عمل من أعمال أهل الجنة ) .  
(٥) كلمة ( فيدخله ) مكررة في الأصل .  
(٦) في الموطأ ( ربه ) بدل ( به ) .  
(٧) في الموطأ ( على عمل من أعمال أهل النار ) ولا يوجد فيه كلمة ( هو ) .  
(٨) في الموطأ ( ربه ) بدل ( به ) .

(٩) الحديث في الموطأ للإمام مالك برواية يحيى الليثي ( ٢٠٧ / ٢ - ٢٠٨ ) وقد أخرجه أيضاً أبو داود في سننه - كتاب السنة ، باب في القدر ( ٧٩ / ٥ ، رقم ٤٧٠٣ ) عن عبد الله القعنبى والترمذى في سننه كتاب التفسير - باب ومن سورة الأعراف ( ٢٦٦ / ٥ ، رقم ٣٠٧٥ ) عن الأنصارى حدثنا معن والإمام أحمد في مسنده ( ٤٤ / ١ ، ٤٥ ) عن روح وإسحاق ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد عن مصعب الزبيرى كلهم عن مالك . قال الترمذى : هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر ، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بَيْنَ مسلم بن يسار وبين عمرو رجلاً مجهولاً " اهـ . قلت : هو نعيم بن ربيعة ، وقد رواه أبو داود في المصدر السابق من طريق آخر عن عمر بن عبد الرحمن القرشى قال : حدثني زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال : كنت عند عمر بن الخطاب - بهذا الحديث ، وقال : حديث مالك أتم . هذا وقد وصف الإسناد الأول بالإقطاع بين مسلم بن يسار وبين عمر بن الخطاب . وأما الإسناد الثانى ففيه مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة وهما غير معروفين بحمل العلم ، قال فيهما الحافظ ابن حجر : مقبول ، ولذلك أورده الألبانى في ضعيف الجامع الصغير ( ٨٧ / ٢ ) ، وقال فيه : ضعيف . وقال ابن عبد البر بعد أن وصفه بقوله ( ليس إسناده بالقائم ) : ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة . انظر تحفة الأحوى ١٠٨ / ٤ .

وقال الله تعالى ( ولو أنبأ نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا / ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ) (١) وقال تعالى ( وما كان لنفس أن تؤمن من ٣٢٠ ب  
 إلا بإذن الله ) (٢) قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد هياج  
 ابن عبيد الحطيني<sup>(٣)</sup> بمكة ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن جميع<sup>(٤)</sup> أخبرنا  
 جدى<sup>(٥)</sup> أخبرنا محمد بن عبدان القزاز<sup>(٦)</sup> أخبرنا أبو مصعب<sup>(٧)</sup> عن مالك . الحديث  
 والله أعلم .

(١) سورة الانعام الآية ١١١ .

(٢) سورة يونس الآية ١٠٠ .

(٣) هو أبو محمد هياج بن عبيد الشامي الحطيني (نسبة إلى حطين قرية بين أرسوف  
 وقيسارية) الشافعي - شيخ الحرم . ولد بعد التسعين وثلاثمائة . قال فيه  
 الذهبي : الإمام الفقيه الزاهد شيخ الإسلام ، وقال أيضا : وكان اعتناؤه  
 جيدا بالحديث ، وله بصر بالمدح ، وقد تم في الثقوى وجلالة عجيبة . وقال  
 السمعاني وكان إماما زاهدا عالما مفتيا وكان يصوم ويفطر بعد ثلاث ، ويدرس  
 عدة من الدروس ولم يكن يدخر شيئا . توفي سنة اثنتين وسبعين وأربع مائة .  
 انظر الأنساب (١٩١ / ٤) وسير أعلام النبلاء\* (٣٩٣ / ١٨ - ٣٩٥) .

(٤) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن  
 يحيى بن جميع الفسائي الصيداوي ( وفي الأنساب : الصيداني والصيداوي  
 نسبة إلى صيدا\* ) وكان يدقب بالسكن . عمّر دهرأ ، وقال : سمعت الموطأ  
 من جدى سنة سبع وخمسين ولى الآن سبع . وثمانون سنة ، توفي سنة سبع  
 وثلاثين وأربع مائة .

انظر الأنساب (٣٥٥ / ٨ - ٣٥٦ ، ٣٥٧) وسير أعلام النبلاء\* (١٥٦ / ١٧) -  
 (١٥٧) .

(٥) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن جميع الفسائي الصيداوي قال الذهبي :  
 كان عبدا صواما ، حدث عن محمد بن عبدان صاحب أبي مصعب الزهري ، توفي  
 سنة بضع وخمسين وثلاث مائة .

انظر الأنساب (٣٥٧ / ٨) وسير أعلام النبلاء\* (١٥٦ / ١٧) .

(٦) هو أحمد بن أبي بكر القاسم بن النخارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن  
 عوف الزهري ، أبو مصعب المدني الفقيه ، روى عن مالك الموطأ وغيره ، وتفقه  
 بأصحابه . قال ابن فرحون : وهو صدوق من أهل الثقة في الحديث . وقال  
 ابن حجر : صدوق ، عابه أبو خيثمة للفتوى بالرأى . مات سنة اثنتين وأربعين  
 وله نيف على التسعين . الديباج المذهب (١٤٠ / ١ - ١٤١) تقريب التهذيب  
 (١٢ - ١١) .

وأما الموطأ للإمام مالك برواية أبي مصعب فتوجد فيه مائة حديث زيادة  
 على رواية يحيى بن بكير . انظر تهذيب التهذيب (٢٠ / ١) يوجد منه قطعة  
 في مكتبة الظاهرية برقم ٦٣ / ١٥٠ م .  
 انظر تاريخ التراث العربي (١٥٤ / ٣) .

٤٤  
كتاب

المملكة العربية السعودية  
الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة  
قسم الدراسات العليا (شعبة التفسير)

---

تفسير أبي المظفر السمعاني من سورة الجن إلى آخر  
القرآن الكريم مع المقارنة بينه وبين البغوي والزمخشري

---

تحقيق ودراسة



سليمان صالح العبد لله الخيزي

مقدم



لنيل الشهادة العالمية العالية (الدكتوراة)

إشراف



فضيلة الشيخ / أبو بكر جابر الجزائري

العام الدراسي ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ

(( الجزء الثاني ))

تفسير سورة انفطرت وهى مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( إذا السماء انفطرت ) معناه : انشقت<sup>(٢)</sup> ومنه قوله انفطرت  
 ناب البعير ، وقوله ( وإذا الكواكب انتشرت ) أى تساقطت<sup>(٤)</sup> ، وقوله ( وإذا البحار  
 فجرت ) قال الحسن : يبست<sup>(٥)</sup> ، وعن غيره : طثت<sup>(٦)</sup> ، والمعروف : فجر

(١) صرح الماوردي فى تفسيره (٤١٤/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٤٦/٩) والقرطبي فى تفسيره (٢٤٤/١٩) بإجماع المفسرين على كون هذه السورة  
 مكية .

انظر أيضا دلائل النبوة للبيهقي (١٤٢/٧) والدر المنثور (٣٢٢/٦) .

(٢) فسر بذلك ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥١٨) وابن جرير فى تفسيره  
 (٨٥/٣٠) وابن الجوزى فى زاد المسير (٤٦/٩) والبغوى فى تفسيره  
 (٢١٦/٧) والزمخشري فى الكشاف (٧١٤/٤) وقال القرطبي فى تفسيره  
 (٢٤٤/١٩) " أى تشققت بأمر الله ، لنزول الملائكة ، كقوله " ويوم تشقُّ  
 السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ، وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا " ( سورة الفرقان الآية ٢٥ ) وقيل :  
 تفتطرت لهيئة الله تعالى . وذكر فيه الماوردي فى تفسيره (٤١٤/٤) وجهين :  
 أحدهما : انشقت ، الثانى : سقطت . والصواب الوجه الأول ، وهو أن معناه  
 ( انشقت ) لأنه موافق فى اللفظ وفى القرآن الكريم - كما ذكره القرطبي  
 وهناك آيات أخرى . مثل قوله تعالى ( إذا السماء انشقت ) سورة الإنشقاق  
 الآية ١ ، وقوله تعالى : ( فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ) سورة  
 الرحمن الآية ٣٧ .

(٣) قال ابن منظور فى لسان العرب (٥٥/٥) : " فَطَرَ الشَّيْءَ يَفْطُرُهُ فَطْرًا  
 فَانْفَطَرَ وَفَطْرُهُ : شَقُّهُ ، وَتَفْطِرُ الشَّيْءَ : تَشَقُّقُهُ ، وَالْفَطْرُ : الشَّقُّ ،  
 وقال أيضا : فَطَرَ نَابُ الْبَعِيرِ يَفْطِرُ فَطْرًا : شَقَّ . وطلح فهو بعير فاطر .  
 انظر أيضا المفردات (ص ٣٨٢) وتفسير القرطبي (٢٤٤/١٩) .

(٤) كذا فسر ابن جرير الطبري فى تفسيره (٨٥/٣٠) والماوردي فى تفسيره (٤١٤/٤)  
 والبغوى فى تفسيره (٢١٦/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٤٦/٩) والقرطبي  
 فى تفسيره (٢٤٤/١٩) .

(٥) ذكره الماوردي فى تفسيره (٤١٤/٤) بهذا اللفظ ، وروى ابن جرير فى تفسيره  
 (٨٥/٣٠) بسنده عن معمر بن الحسن قال : فجر بعضها فى بعض ، فذهب  
 ماؤها " وبهذا ذكره ابن كثير أيضا . انظر تفسيره (٤٨١/٤) ، وذكره ابن الجوزى  
 فى زاد المسير (٤٦/٩) بلفظ : قال الحسن : " ذهب ماؤها " . وقال  
 القرطبي فى تفسيره (٢٤٤/١٩) قال الحسن : فجرت ذهب ماؤها ويبست ، وذلك أنها  
 أولا راكدة مجتمعة فإذا فجرت تفرقت ، فذهب ماؤها .

(٦) ذكره الطبري فى تفسيره (٨٥/٣٠) عن الكلبي وذلك فى سياق الرواية عن الحسن .

بعضها في معنى : العذب في المالح والمالح في العذب (١) وقيل : فجرت أى جعلت  
بحراً واحداً وذلك يتفجر بعضها في بعض . (٢)

وقوله ( وإذا القبور بعثرت ) أى بحشرت وبحشت (٣) والمعنى : قلبت ترابها  
وأخرج ما فيها من الموتى . وفى الخبر " ان الأرض تلقى أفلاذ كبدها يوم القيامة (٤)

(١) هو قول قتادة . رواه ابن جرير فى تفسيره (٨٥/٣٠) بسنده عن قتادة ذكره  
الماوردى فى تفسيره (٤١٤/٤) وابن كثير فى تفسيره (٤٨١/٤) .

(٢) ذكره الماوردى فى تفسيره (٤١٤/٤) قال : خلطت فصارت بحراً واحداً ،  
وهذا معنى قول ابن عباس قال : وهو سبعة أبحر فتصير بحراً واحداً . وقال  
النحاس فى معنى الآية : فجر بعضها إلى بعض لاضطراب الأرض بزوال  
الجبال والزلازل فاختلفت بعض البحار ببعض .

(٣) قال ابن منظور فى لسان العرب (٧٢/٤) نقلاً عن الفراء : " بعثرت وبعثرت  
لغتان " ونقل عن الزجاج : بعثروا ما عندهم وبعثروه إذا قلبوه وفرقوه وبددوه وقلبوا  
بعضه فوق بعض . وقال أيضاً : وبعثروا الخبر بعثته ، ويقال : بعثرت الشمس  
وبعثرت إذا استخرجته وكشفتها .

(٤) قال الفراء فى معانى القرآن (٢٤٣/٣) " خرج ما فى بطنها من الذهب  
والفضة وخرج الموتى ، وهو من أشراط الساعة : أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها من  
ذهبها وفضتها .

وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥١٨) " (بعثرت ) قلبت وأخرج  
ما فيها ، يقال : بعثرت المتاع وبعثرته إذا جعلت أسفله أعلاه " ذكره  
ابن الجوزى أيضاً فى زاد المسير (٤٦/٩) .

وقال ابن جرير فى تفسيره (٨٥/٣٠) عند هذه الآية : " يقول : وإذا القبور  
أثيبت فاستخرج من فيها من الموتى أحياء يقال : بعثرت فلان حوض فلان :  
إذا جعل أسفله أعلاه " .

وقال البخارى فى تفسيره (٢١٦/٧) :  
" بعثرت وقلب ترابها وبعثت من فيها من الموتى أحياء ، يقال : بعثرت الحوض  
وبعثرته : إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه " .

وقال القرطبي فى تفسيره (٢٤٤/١٩) : " أى قلبت وأخرج ما فيها من أهلها  
من أحياء " وكذا قال الراغب فى المفردات (ص ٥٣) " أى قلب ترابها وأثيبت  
ما فيها " .

ونذكر الماوردى فى تفسيره (٤١٤/٤) فى هذه الآية ثلاثة أوجه :  
الأول : بعثت وثورت قاله ابن عباس وعكرمة . الثانى : حركت للبعث قاله  
السدى . الثالث : بعثت من فيها من الأموات . قاله قتادة .  
ولكن المعنى الأول الذى عليه أكثر المفسرين بيد وأنه هو الصواب ، لمطابقته  
لما جاء فى اللغة من معناه .

فتخرج كنوزها وموتاهها وكل ما فيها<sup>(١)</sup> ، ومن المعروف : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يوشك أن يحسروا الفرات على جبل من ذهب فيقتتل الناس عليه ، قال القفال<sup>(٢)</sup> :

(١) لم أجد هذا الأثر عند غيره بهذا اللفظ، ولعله يقصد بذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة ، باب كل نوع من المعروف صدقة ( ٩٧/٧ - ٩٨ ) والترمذي في سننه كتاب الفتن ، باب ما جاء في أشرطة الساعة ( ٤٩٣/٤ ) ، رقم ٢٢٠٨ ) بسند هما عن أبي هريرة مرفوعاً : تلقى الأرض أفلاذ كبد لها أمثال الأبطال من الذهب والفضة . . . الحديث . قال النحاس في أعراب القرآن ( ٦٤٣/٣ ) : تأوله الفراء على أن الأرض يحسرت فألقت ما فيها من الكنوز والموتى ، واحتج بالحديث " تلقى الأرض أفلاذ كبد لها " وهذا غلط ، وليس في القرآن ( ولذا الأرض ) وفيه خصوص القبور ، وتلقى أفلاذ كبدها ، لا اختلاف بين أهل العلم أنه في آخر الزمان ، وليس هو يوم القيامة .

(٢) أى يكشف . النهاية (١/٣٨٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الفتن وأشرطة الساعة ( ١٨/١٨ ) والإمام أحمد

في مسنده ( ٢٦١/٢ ، ٣٠٦ ) بسند هما عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه عند مسلم : لا تقوم الساعة حتى يحسروا الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم : لعلي أكون أنا الذى أنجو .

ورواه البخارى في صحيحه كتاب الفتن - باب خروج النار ( ٧٨/١٣ - ٧٩ ) رقم

١٩ (٧) ومسلم في المصدر السابق بسند هما عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه : يوشك الفرات أن يحسروا عن كنز من ذهب فمن حصره فلا يأخذ منه شيئاً .

ورواه مسلم أيضاً والإمام أحمد في مسنده ( ١٣٩/٥ - ١٤٠ ) من طرق أخرى عن عبد الله بن الحارث بن نوفل في سياق أطول منه .

(٤) هو محمد بن علي بن اسماعيل أبوبكر الشاشي الفقيه الثنا فعي المعروف بالقفال

الكبير ، ولد سنة إحدى وتسعين ومائتين .

قال الحاكم : كان أعلم أهل ماوراء النهر بالأصول ، وأكثرهم رحلة في طلب

الحديث . ووصفه الذهبي بقوله : الإمام العلامة ، الفقيه الأصولي اللغوي ،

عالم خراسان .

وقال الداودي : صنف في القرآن " التفسير الكبير " ودلائل النبوة ومحاسن الشريعة

وأدب القضاء جزء كبير ، وله كتاب حسن في أصول الفقه .

ونذكر الذهبي عن أبي سهل الصعلوكي أنه قال في تفسيره : قدس من وجهه

ودنسه من وجهه أى دنسه من جهة نصره للاعتزال . توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة

بالشاش .

سير أعلام النبلاء ( ٢٨٣/١٦ - ٢٨٥ ) وطبقات الشافعية للسبكي ( ١٢٦/٢ -

١٨٩ ) وطبقات المفسرين للداودي ( ١٩٨/٢ - ٢٠٠ ) .

يجوز أن يكون ما ذكره الله تعالى من هذه الأشياء قبل قيام الساعة - ويجوز أن يكون بعد قيام الساعة<sup>(١)</sup> - . وقوله ( عظمت نفس ما قدمت وأخرت ) أى : ما قدمت فعلت من عمل ، ( وأخرت ) أى ترك من العمل<sup>(٢)</sup> - وقيل : ( ما قدمت وأخرت ) أى ما علمت من قديم وحديث<sup>(٣)</sup> . وقيل : فى قوله ( وما أخرت ) أى من سنة سيئة عمل بها بعده<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) لم أجد من ذكر عنه هذا الكلام .

وقال الرازى فى تفسيره ( ٧٦ / ٣١ ) " اعلم أن المراد أنه إذا وقعت هذه الأشياء التى هى أشرطة الساعة فهناك يحصل الحشر والنشر " .  
وقال القرطبى فى تفسيره ( ٣٤٥ / ١٩ ) " وإذا بدت هذه الأمور من أشرطة الساعة ختمت الأعمال فعملت كل نفس ما كسبت ، فإنها لا ينفعها عمل بعد ذلك ، وقيل : أى إذا كانت هذه الأشياء قامت القيامة ، فحوسبت كل نفس بما عملت " .

( ٢ ) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٨٦ / ٣٠ ) بلفظ : عنى بذلك ما قدمت من الفرائض التى أدرتها ، وما أخرت من الفرائض التى ضيعتها ، ورواه عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وابن زيد بالفاظ مختلفة فى هذا المعنى .  
وذكره الماورى فى تفسيره ( ٤١٤ / ٤ ) بلفظ : ما قدمت من طاعة وأخرت من حق الله ، قاله ابن عباس .  
انظر أيضا اعراب القرآن ( ٦٤٤ / ٣ ) وتفسير الرازى ( ٧٧ / ٣١ ) .

( ٣ ) لم أجد من ذكر هذا القول بهذا اللفظ - ولعل المؤلف يقصد بذلك ما قاله أبو مسلم ، وهو : ما قدمت من الأعمال فى أول عمرها ، وما أخرت فى آخر عمرها ذكره الرازى فى تفسيره ( ٧٧ / ٣١ ) .

( ٤ ) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٨٥ / ٣ ) قال : يقول تعالى ذكره : ( علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل ينفعه ، وأخرت وراءه من شئ سنة فعل به ) ثم روى هذا المعنى بسنده عن القوطى . وذكره أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٤٤ / ٣ ) قال : إن معنى ما أخرت ما سئنت من سنة فعمل بها بعدها " وعزاه إلى ابن عباس .

وذكره البغوى أيضا فى تفسيره ( ٢١٦ / ٧ ) قال : قيل ما قدمت من عمل صالح أو سيئ ، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة " ولم ينسبه إلى أحد . وذكره الرازى أيضا فى تفسيره ( ٧٧ / ٣١ ) دون عزو إلى أحد . قال : ما قدمت من عمل أدخله فى الوجود وما أخرت من سنة يستن بها من بعده من خير أو شر " .



.. / ..

ويلاحظ هنا أن المؤلف اقتصر في هذا القول على سنة سيئة فقط بينما صرح الآخرون بسنة حسنة وسنة سيئة معاً . وذكر في تفسير الآية أقوال أخرى منها ما ذكره الطبري بلفظ : ( ماقدَّمت من خير أو شر ، وأخرت من خير أو شر ) . ومنها ما ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤١٤ / ٤ ) والبغوي في تفسيره ( ٢١٦ / ٧ ) بلفظ : ماقدَّمت من الصدقات وأخرت من الميراث . وقال الماوردي أيضاً : ويحتمل : ماقدَّمت من معصية ، وأخرت من طاعة لأنه خارج مخرج الوعيد " .

وأما الراجح من هذه الأقوال فذهب ابن جرير وأبو جعفر النحاس إلى اختيار القول بأن معناه : ماقدَّمت من عمل صالح ينفعه وأخرت وراءه من شيء سئف فعله به " .

وقال ابن جرير في توجيه هذا الاختيار : لأن كل ما عمل العبد من خير أو شر فهو مما قدَّمه ، وأن ما ضيع من حق الله عليه وفترط فلم يعمل به ، فهو مما قدَّم من شر ، وليس ذلك مما أخر من العمل ، لأن العمل هو ما عطفه ، وأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدَّمها فلذلك قلنا : ما أخر : هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة مما إذا عمل به العامل ، كان مثل أجر العامل بها أو وزره " انظر تفسيره ( ٨٦ / ٣٠ ) .

وقال النحاس بعد أن ذكره : وهو أولى ، وبه يقول أصحاب الحديث ، وينكروه بعض أهل الأهواء ، والدليل على صحته أن الإنسان إذا ضيع ما أمر به وأخره كان ذلك مما قدَّم من الشر لا مما أخره " وهو توجيه حسن .

وقوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ) قيل : نزلت الآية في الوليد بن المغيرة <sup>(١)</sup> ، وقيل : في أبي جهل <sup>(٢)</sup> ، وقيل : في غيرهما <sup>(٣)</sup> وقوله ( ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي ) أي أي شيء غرَّكَ وجوارك وسؤل لك حتى - ارتكبت ما ارتكبت <sup>(٤)</sup> وقوله ( بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ) متجاوز عنك وذلك في الدنيا <sup>(٥)</sup>

( ١ ) ذكره البغوي في تفسيره والخازن في تفسيره ( ٢١٦ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٧ / ٩ ) والرازي في تفسيره ( ٧٩ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٤٥ / ١٩ ) ، بعضهم عزاه إلى عطاء ، وبعضهم إلى ابن عباس ، وقال الرازي : رواه عطاء عن ابن عباس .

( ٢ ) لم أجد من ذكر هذا القول ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنها نزلت في أبي بن خلف ، ونسبوه إلى عكرمة .

انظر تفسير الماوردي ( ٤١٥ / ٤ ) وزاد المسير ( ٤٧ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٤٥ / ١٩ ) .

( ٣ ) قال مقاتل في تفسيره ( ق ٣٨٨ / ١ ) : نزلت في أبي الأشد بن أسيد بن كعدة . وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤١٥ / ٤ ) أنه إشارة إلى كل كافر .  
وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٧ / ٩ ) نقلاً عن الماوردي .

وقال الرازي : إنه يتناول جميع العصاة - وفيه قول آخر وسيأتي قريباً .

( ٤ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٧ / ٩ ) : قال الزجاج : " أن ما أخذك وسؤل لك حتى أضعت ما وجب عليك ؟ "

( ٥ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٧ / ٩ ) بعد أن ذكر قول الزجاج السابق : وقال غيره : المعنى : ما الذي أمنك من عقابه وهو كريم متجاوز إن لم يعاقبك عاجلاً ؟ . انظر تفسير البغوي ( ٢١٦ / ٧ ) .

وفى بعض التفاسير : أن الآية نزلت في ابن الأسد ، وكان قد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى في الدنيا فهو معنى قوله ( بريك الكريم ) الذى تجاوز عنك ولم يعاقبك في الدنيا <sup>(١)</sup> - قال رضى الله عنه : أخبرنا محمد بن عبد العزيز الجنوجردى <sup>(٢)</sup> أخبرنا أبو اسحاق الثعلبى <sup>(٣)</sup> أخبرنا أبو عبد الله

( ١ ) قال البغوى في تفسيره ( ٢١٦ / ٧ ) بعد أن ذكر قول عطاء السابق : وقال الكلبى ومقاتل : نزلت في أبى الشريق ( كذا ) ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله عز وجل ، فأنزل الله هذه الآية ، يقول : ما الذى غرك بريك الكريم المتجاوز عنك إذ لم يعاقبك عاجلاً بكفرك .

وقال الرازى في تفسيره ( ٧٩ / ٣١ ) : وقال الكلبى ومقاتل : نزلت في ابن الأسد بن كعدة بن أسيد ، وذلك أنه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى ، وأنزل هذه الآية .

وذكره الماوردى في تفسيره ( ٤١٥ / ٤ ) قال : إنه أبو الأسد بن كعدة ابن أسد الجمعى ، قاله ابن عباس .  
انظر أيضاً تفسير القرطبى ( ٢٤٥ / ١٩ ) .  
وذكره ابن الجوزى في زاد المسير ( ٤٧ / ٩ ) قال : إنه عنى به أبو الأسد بن وكان كافراً ، قاله ابن عباس ومقاتل .

واختلف المفسرون في تسمية هذا الرجل وقد تقدم ذكره في سورة المدثر ( ١٧٦ ) انظر أيضاً تفسير الخازن ( ٢١٦ / ٧ ) . وأما الراجح من الأقوال في سبب النزول لهذه الآية : فذهب الرازى إلى اختيار القول بأن الآية عامة تتناول جميع العصاة ، لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ .  
انظر تفسير الرازى ( ٧٩ / ٣١ ) .

( ٢ ) ورد ذكره في التحبير في المعجم الكبير ( ٩٢ / ٢ ) وهو أبو بكر محمد بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد الجنوجردى ، وهو نسبة إلى جنوجرد قرية من قسرى مرو . انظر الأنساب ( ٣٥٦ / ٣ ) .

( ٣ ) هو أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى ، يقال له : الثعلبى والثعلبى ، وهو لقب له لا نسب ، قال فيه الذهبى : كان صادقاً موثقاً بصيراً بالعربية ، طويل الباع في الوعظ له كتاب التفسير الكبير ، واسمه الكشاف والبيان في تفسير البيان ، وكتاب العرائس في قصص الأنبياء . وقال شيخ الإسلام في مقدمة التفسير : والثعلبى هو فى نفسه كان فىه خبر ودين ، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع .

توفى الثعلبى سنة سبع وعشرين وأربع مائة . انظر مقدمة التفسير المطبوع ضمن مجموع الفتاوى ( ٣٥٤ / ١٣ ) وسير أعلام النبلاء ( ٤٣٥ / ١٧ - ٤٣٧ ) طبقات المفسرين للدودى ( ٦٦ - ٦٧ ) .

الحسين ( ابن ) محمد بن فضجويه (١) أخبرنا أبوعلی بن حبش المقرئ (٢) أخبرنا  
أبو القاسم ابن الفضل المقرئ (٣) أخبرنا أبوعلی بن الحسين (٤) أخبرنا المقدسي (٥)  
أخبرنا كثير بن هشام (٦) أخبرنا جعفر بن برقان قال حدثني صالح بن سمار (٧) قال :  
بلغني : أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية ( يا أيها الإنسان ما عرك بربك  
الكریم ) قال : جهلته - وعن ابن مسعود أنه قال : ما منكم من أحد إلا سيخلو  
الله به يوم القيامة ، فيقول : يا بن آدم . ما عرك بي ؟ يا بن آدم ماذا علمت فيما علمت ؟

( ١ ) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن صالح بن شعيب بن  
فنجويه الشقي النديزي . قال الذهبي نقلاً عن شيرويه في تاريخه : كان ثقةً  
صدوقاً كثير الرواية للمناكير . حسن الحظ كثير التصانيف . توفي بنيسابور سنة  
أربع عشرة وأربعمائة .  
انظر سبو اعلام النبلاء ( ١٧ / ٣٨٣ - ٣٨٤ ) وشذرات الذهب ( ٣ / ٢٠٠ ) .

( ٢ ) هو الحسين بن محمد بن حبش بن حمدان ، ويقال : ابن حمدان ابن حبش أبوعلی  
الدينوري . ذكره ابن الجزري وقال : حاذق ضابط متقن ، ونقل عن الداني أنه  
قال : متقدم في علم القراءات ، مشهور بالاعتقان ، ثقة مأمون ، توفي سنة ثلاث  
وسبعين وثلاثمائة . غاية النهاية ( ١ / ٢٥٠ ) .

( ٣ ) هو العباس بن الفضل بن شاذان بن عيسى أبو القاسم الرازي قال فيه ابن الجزري :  
أستاذ متقن مشهور صاحب المقاطع والمبادئ ، بقي إلى سنة عشر وثلاثمائة .  
المصدر السابق ( ١ / ٣٥٣ ) .

( ٤ ) لم اتمكن من معرفته .

( ٥ ) هو محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم المقدسي ( بالتشديد ) أبو عبد الله  
الشقي مولا هم البصري . ثقة ، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين .  
تقريب التهذيب ( ص ٢٩١ ) .

( ٦ ) هو كثير بن هشام الكلابي أبو سهل الرقي نزيل بغداد . ثقة ، مات سنة سبع  
ومائتين ، وقيل ثمان . انظر تقريب التهذيب ( ٢٨٥ ) .

( ٧ ) هو صالح بن سمار ، بصرى سكن الجزيرة ، مقبول قد يم من السابعة ، المصدر السابق  
( ١٥٠ ) .

( ٨ ) انظر الكشف والبيان ( ١٣ / ٤٩ / ١ ) وأخرجه أيضا أبو عبيد في فضائل القرآن ( كما  
في تخریج الكشاف ٤ / ٧١٥ ) عن كثير بن هشام به . وذكره السيوطي في الدر المنثور  
( ٦ / ٣٢٢ ) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وأورده القوطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٤٥ ) دون  
عزو إلى أحد . وهو حديث مرسل ، لأن صالح بن سمار لم ير النبي صلى الله عليه وسلم  
ولأحد من الصحابة - وقد روى نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم غالب الحنفى أورده  
السيوطي في الدر المنثور ( ١٩ / ٢٤٥ ) دون عزو إلى أحد .

يابن آدم . ماذا أجبت المرسلين<sup>(١)</sup> وعن السري بن المغلس<sup>(٢)</sup> قال : غره رفته به<sup>(٣)</sup> ،  
وعن ابراهيم بن الأشعث<sup>(٤)</sup> ان الفضيل بن عياض<sup>(٥)</sup> قيل له : لو قال الله تعالى لسك  
ماغرك بي / فماذا تقول له ؟ قال : أقول : ستورك المرخاة<sup>(٦)</sup> .  
أ/٣٢١

- ( ١ ) ذكره الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٤٩ / ب ) قال : روى أبووائل عن ابن مسعود  
ثم ذكره - وأورده من المفسرين البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢١٦ / ٧ - ٢١٧ )  
والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٤٦ ) كلهم دون عزو إلى أحد .
- ( ٢ ) هو السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي . قال فيه البغدادي :  
أحد العباد المجتهدين ، صاحب معروف الكرخي ، وقال فيه الذهبي : الإمام  
القدوة شيخ الإسلام . . . ولد في حدود الستين ومائة ، وتوفي سنة ثلاث  
وخمسين ومائتين .  
انظر تاريخ بغداد ( ٩ / ١٨٧ - ١٩٢ ) وسيو أعلام النبلاء ( ١٢ / ١٨٥ - ١٨٧ ) .
- ( ٣ ) ذكره الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٤٩ / ا ) والبغوي في تفسيره ( ٧ / ٢١٧ ) .
- ( ٤ ) هو ابراهيم بن الأشعث البخاري خادم الفضيل بن عياض . قال ابن أبي حاتم :  
سألت أبي عن ابراهيم بن الأشعث ، وذكرت له حديثاً رواه عن معن عن ابن أخي  
الزهري عن الزهري فقال : هذا حديث باطل موضوع ، كنا نظن بابراهيم بن  
الأشعث الخير ، فقد جاء بمثل هذا .
- وقال ابن حجر : ذكره ابن حبان في الثقات فقال : يروى عن ابن عيينة وكان  
صاحباً لفضيل بن عياض يروى عنه الرقائق يفرغ وينفرد فيخطئ ويخالف .  
انظر الجرح والتعديل ( ٢ / ٨٨ ) وميزان الاعتدال ( ١ / ٢٠ ) ولسان الميزان  
( ١ / ٣٦ ) .
- ( ٥ ) هو فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي أبو علي البوبوعي الزاهد المشهور ،  
أصله من خراسان وسكن مكة . ثقة عابد إمام ، مات سنة سبع وثمانين ومائة وقيل  
قبلها .  
تهذيب التهذيب ( ٨ / ٢٩٤ ) تقريب التهذيب ( ٢٧٧ ) .
- ( ٦ ) رواه الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٤٩ / ا ) بسنده عن ابراهيم بن الأشعث قال : قيل  
للفضيل بن عياض : لو أقامك الله تعالى يوم القيامة بين يدي فقال : ماغسرك  
بي ؟ ماذا كنت تقول ؟ قال : كنت أقول : غرن ستورك المرخاة . . .
- وذكره البغوي في الخازن في تفسيرهما ( ٧ / ٢١٧ ) وابن الجوزي  
في زاد المسير ( ٩ / ٤٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٤٥ ) وابن كثير في  
تفسيره ( ٤ / ٤٨١ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٨ / ٤٣٦ ) .

ونظم ذلك بعضهم . (١)

يا كاتم الذنوب أما تستحي  
عنك من ربك يا مهالُ  
والله في الخلوة ثانيك  
وستره طول مسأويك (٢)

وعن ابن معاذ (٣) : لو يقول الله تعالى : ما غرك بربك ؟ . فأقول : تركك لي سالفاً  
وأنفاً (٤) ، وعن أبي بكر الوراق (٥) قال : أقول (٦) : غرسي كرم الكرم . وعن منصور بن عمار (٧)  
قال : أقول : غرسي ما علمت من سابق فضالك . وقال بعضهم .

(١) هو محمد بن السماك ، كما صرح به الثعلبي في المصدر السابق له ، وهو  
أبو العباس محمد بن صبيح العجلي مولى هدم الكوفي من الزهاد . انظر ترجمته  
في سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٨ .

(٢) قال الثعلبي في تفسيره (١٣/٤٩/١) عقب روايته لأثر الفضيل بن عياض : منظمه  
محمد بن السماك ، ثم أنشده . وأنشده القرطبي في تفسيره (١٩/٢٤٦) ،  
وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٣٦) والأكوسي في روح المعاني (٨/٢٤٦٨)  
وعند أبي حيان والأكوسي (رائيكا) بدل (ثانيكا) .

(٣) هو يحيى بن معاذ أبو زكريا الرازي الواعظ .  
قال فيه الذهبي : من كبار المشايخ ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة . توفي سنة  
ثمان وخمسين ومائتين .  
انظر تاريخ بغداد (١٤/٢٠٨ - ٢١٢) وسير أعلام النبلاء ١٥/١٣ .

(٤) رواه الثعلبي في تفسيره (١٣/٤٩/١) من طريق علي بن محمد الوراق عنه  
وذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢١٧) وابن الجوزي في زاد المسير  
(٩/٤٧) .

(٥) هو أبو بكر محمد بن عمر الوراق البلخي . ذكره أبو نعيم في الحلية . ٢٣٥/١ ،  
وقال : له الكتب في المعاملات .

(٦) رواه الثعلبي في تفسيره (١٣/٤٩/١) بسنده عنه وذكره البغوي والخازن  
في تفسيرهما (٧/٢١٧) وابن كثير في تفسيره (٤/٤٨١) .

(٧) هو منصور بن عمار بن كثير الواعظ ، أبو السري السلمي الخراساني وقيل البصري .  
قال الذهبي في الميزان : ولديه كان المنتهى في بلاغة الواعظ وترقيق الطسب  
وتحريك الهمم ، وعظ ببغداد والشام ومصر وبعد صيته واشتهر اسمه . وقال في  
السير : كان عديم النظر في الموعظة والتذكير ، ولم يكن بالمتضلع من الحديث .  
قال أبو حاتم : صاحب مواظ ليس بالقوى .

انظر ميزان الاعتدال ٤/١٨٧-١٨٨ وسير أعلام النبلاء (٩/٩٣ - ٩٨) .

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٣/٤٩/ب) قال : قال منصور بن عمار : لو قيل لى :  
ما غرك ؟ قلت : يارب ما غرني إلا ما قد علمته من فضلك على عبادك وصفحك عنهم .

(٩) هو أبو بكر ابن طاهر الأبهري .

يامن غلا في الفى والتية - وعزه طولُ تماذيسه  
أَمْلى لك الله فبارزتمه - ولم تخف غبب معاصيه (١)

وقوله ( الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أى صورة ) قال عطاء :  
جعلك قائماً معتدلاً حسن الصورة ، وقيل : سَوَّأكَ أى سوى بين يدك ورجلك

( ١ ) رواه الثعلبى فى تفسيره ( ١٣ / ٤٩ / ب ) بسنده عن أبى بكر بن طاهر الألوسى  
وأشده أيضا القرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ٢٤٧ ) عن الأبهري .

هذا وقد ذكر بعض المفسرين نظراً لهذه الأشار السابقة فى سبب  
الاغترار ثلاثة أوجه . أحدها : عدوه الشيطان وهو قول قتادة . الثانى :  
حمقه وجهله - قاله عمر بن الخطاب والحسن . الثالث : عفو الله عنه حين  
لم يعاقبه فى أول أمره وهو قول مقاتل .

انظر تفسير الماوردى ( ٤ / ٤١٥ ) وتفسير الرازى ( ٣١ / ٨٠ ) وقال الثعلبى  
فى تفسيره ( ١٣ / ٤٩ / ب ) " وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال ( بربك  
الكريم ) دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لفته الإجابة ، ولكن رده ابن كثير  
فقال : وهذا الذى تخيلته هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه  
الكريم لينسبه على أنه لا ينبغى أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال  
الفجور " . انظر تفسيره ( ٤ / ٤٨١ ) .

وقد اشتد انكار الزمخشري أيضا على ذلك ، فأورد أشر الفضيل ابن عياض  
ثم قال : وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر ، وليس باعتذار كما  
يظنه الطماع ، ويظن به قصاص الحشوية وبروون عن أئمتهم : إنما قال : سَ ( بربك  
الكريم ) دون سائر صفاته ليقتن عبده الجواب حتى يقول : غرض كرم الكريم )  
وما ذكره ابن كثير هو الصواب ، وأما قول الزمخشري ففيه تحامل على أهل السنة  
والجماعة بالباطل . انظر أيضا البحر المحيط ( ٨ / ٤٣٦ ) .

( ٢ ) أورده الرازى فى تفسيره ( ٣١ / ٨٠ ) قال : " قال عطاء عن ابن عباس :  
جعلك قائماً معتدلاً حسن الصورة ، لا كالبهيمة المنحنية " .  
انظر أيضا تفسير الخازن ( ٧ / ٢١٧ ) .

وعينيك وأن نيك ووضع كل شيء موضعاً - وهو أيضاً معنى قوله ( فعدّلك ) ذكره الكلبى (٢) وغيره وقيل : عدلك أى عدل خلقك (٢) - وهو على ما بينا - وقرئ بالتخفيف - (٤)

(١) قال الرازى فى تفسيره (٨٠/٣١) فى تفسير ( فسوّك ) : " أى جعلك سويّاً سالم الأعضاء ، تسمع وتبصر ، ونظيره قوله : " أكفرت بالذى خلقك من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثمسوّاك رجلاً " سورة الكهف الآية ٣٧ ، انظر أيضاً تفسير الخازن ٢١٧/٧ ثم نقل الرازى عن زى النون المصرى أنه قال : فسوّك : أى سخر لك المكونات أجمع ، وما جعلك مسخر الشئ منها ، ثم أنطق لسانك بالذكر ، وطلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ، وسرك بالإيمان ، وشرفك بالأمر والنهى ، وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلاً . وهذا الذى ذكره الرازى عن زى النون كلام صحيح ، ولكن فى كونه تفسيراً لقوله تعالى ( فسوّك ) نظر ، وما ذكره المؤلف هو الموافق لسياق الكلام .

وقال القرطبى فى تفسيره (٢٤٦/١٩) :

" ( الذى خلقك ) أى قدر خلقك من نطفة ( فسوّك ) فى بطن أمك ، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك ، فعدّلك ( أى جعلك متعادلاً سوى الخلق " كما يقال : هذا شئ معدل " .

(٢) لم أجد من ذكر قول الكلبى هنا .

(٣) ذكر الرازى هنا عن مقاتل أنه قال : يريد عدل خلقك فى العينين والأذنين واليدين والرجلين فلم يجعل إحدى اليدين أطول ، ولا إحدى العينين أوسع . تفسيره (٨٠/٣١) .

وذكر الماورى فى تفسيره (٤١٥/٤) فى هذه الآية ثلاثة أوجه :  
أحدها : فسوى خلقك وعدل خلقك .  
الثانى : فسوى أعضائك بحسب الحاجة وعدلها فى المماثلة لا تفضل يد على يد ، ولا رجل على رجل .  
الثالث : فسوّك إنساناً كريماً ، وعدل بك عن أن يجعلك حيواناً بهيماً " .

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائى : " ( فعدّلك ) بالتخفيف - وقرأ الباقون : ( فعدّلك ) بالتشديد .

انظر التيسير (ص ٧٥٣) والكشف عن وجوه القراءات ٣٦٤/٢ ، وحجة القراءات (ص ٧٥٢-٧٥٣) .

انظر أيضاً معانى القرآن للقراء (٢٤٤/٣ - ٢٤٥) وتفسير الطبرى (٨٧/٣٠) ، وتفسير الجفوى (٢١٧/٧) وزاد المسير (٤٨/٩) .



أى: صرفك فى أى صورة شاء من حسن وقبح وطويل وقصير . (١)

وفى بعض الفرائب من الأخبار : أن الله تعالى إذا أراد خلق عبداً أحضر خلقه كل عرق كان بينه وبين آدم فيخلقه على ما يريد من الشبه بمن شاء<sup>(٢)</sup> - وقد قيل : ( فى أى صورة ماشاء ركبك ) أى من شبيه

(١) ذكره الفراء فى معانى القرآن (٢٤٤/٣) والبغوى فى تفسيره (٢١٧/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٤٨/٩) والقرطبى فى تفسيره (٢٤٦/١٩) انظر أيضاً الكشف عن وجوه القراءات (٣٦٤/٢) وحجة القراءات (٧٥٢) .

وأما الراجح من القراءتين فذهب الفراء فى معانى القرآن (٢٤٤/٣) إلى اختيار القراءة بالتشديد أى ( فعذلك ) فقال بعد أن ذكر القراءة بالتخفيف ومعناها : ومن قرأ ( فعذلك ) مشددة ، فإنه أراد - والله أعلم - جعلك معتدلاً معدل الخلق وهو أعجب الوجهين إلى وأجودهما فى العربية .

ثم ذكر الدليل على ذلك وهو أنه يقال : عدلته إلى كذا وصرفته إليه ، ولا يكان يقال : عدلته فى كذا ولا صرفته .

وصوب ابن جرير القراءتين وقال : إنهما قراءتان معروفتان فى قراءة الأماصر صحيحتا المعنى ، فأبتهما قرأ القارىء فمصيب ، غير أن أعجبهما إلى أن أقرأ به قراءة من قرأ ذلك بالتشديد ، لأن دخول " فى " للتعديل أو حسن فى العربية من دخولها للمعدل " انظر تفسيره (٨٧/٣٠) .

وقد ذكر القراءتين أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٦٤٤/٣) وقال بعد ذكره لقراءة التخفيف : واستبعدها الفراء ، وإن كانت قراءة أصحابه ، ثم ذكر دليل وقال بعد ذلك : " وهذا غلط لأن الكلام تام عند ( فعذلك ) و ( فى ) متعلقة بهركسبك لا بـ " عدلك " فيكون كما قال .

ومعنى ( عدلك ) فى اللفظة : خلقك معتدلاً لا يزيد رجل على رجل وكذا سائر خلقك ، وقد يكون عدلك ( تكثير ) ( عدلك ) فيكونان بمعنى واحد " . وهذا الذى ذكره النحاس من كون الكلمتين فى معنى واحد ذكره الزمخشري أيضاً فى الكشاف (٧١٦/٤) والرازى فى تفسيره (٨١/٣١) وقال : نقل القفال عن بعضهم أنهما لفتان بمعنى واحد " وهذا هو الصواب ، وليس هناك داع للترجيح بين قراءتين من القراءات السبعية .

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره (٨٧/٣٠) والطبرانى فى المعجم الكبير (٧٢/٥) ، رقم (٤٦٢٤) والثعلبى فى تفسيره (١/٥٠/١٣) كلهم من طريق مطهر بن الهيثم قال : ثنا موسى بن عيسى بن رباح اللخمي ثنا أبى ، عن جدى أن

٠٠/٠٠

النبي صلى الله عليه وسلم قال له : " ما ولد لك ؟ قال : يارسول الله . ما عسى أن يولد لى ، إما غلام وإما جارية ، قال : فمن يشبه ؟ قال : يارسول الله من عسى أن يشبه ؟ إما أباه ، وإما أمه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم عندها : مه ، لاتقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرو الله كل نسب بينها وبين آدم ، أما قرأت هذه الآية فى كتاب الله ( فى أى صورة ماشاء ركبك ) قال : سلكك هذا لفظ الطبرى . ولا توجد كلمة ( سلكك ) عند الطبرانى .

وذكره ابن كثير من رواية ابن جرير فقال ( شكك ) انظر تفسيره ( ٤٨١ / ٤ ) ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٢٣ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن المنذر وابن شاهين وابن قانع وابن مردويه وقال فى آخره ( من نسلك ما بينك وبين آدم ) . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ١٣٤ / ٧ - ١٣٥ ) وقال : رواه الطبرانى ، وفيه مطهر بن الهيثم وهو متروك .

وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٤٨١ / ٤ ) :

" وهذا الحديث لو صح لكان فيصلاً فى هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد ابن يونس كان متروك الحديث . وقال ابن حبان : يروى عن موسى بن عيسى وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات " . ولكن معنى الحديث صحيح قد ورد به ما أخرجه البخارى فى صحيحه ( ٤٤٢ / ٩ ) ومسلم فى صحيحه ( ١٣٣ / ١٠ ) من حديث أبى هريرة مرفوعاً " أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ولد لى غلام أسود ، فقال : هل لك من إبل ؟ قال : نعم قال : ما ألونها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورك ؟ قال : نعم ، قال : فأنى ذلك ؟ قال : لعل نزع عرق ، قال : فعل ابنك هذا نزع " .

أب وأم وعم وخال<sup>(١)</sup> . وقال أبو علي الفارسي<sup>(٢)</sup> : ( عَدَلَكَ ) بالتخفيف أي عدل

( ١ ) فذكره الفراء في معاني القرآن ( ٢٤٤ / ٣ ) ورواه من كلام ابن أبي نجيح قال :  
في صورة عمّ ، في صورة أب ، في صورة بمعنى القربات تشبيهاً " انظر أيضاً حجة  
القراءات ( ص ٢٥٢ ) وقد ذكر المفسرون في قوله تعالى ( في أي صورة ماشاء  
ركبك ) عدة أقوال .

أحدها : في أي صورة من صور القربات ركبك ، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير  
( ٤٨ / ٩ ) وقال : وهو معنى قول مجاهد - انظر أيضاً تفسير مجاهد ( ٧٣٦ / ٢ )  
وتفسير الماوردي ( ٤١٥ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ٢١٧ / ٧ ) وقد عزاه أيضاً إلى  
الكبي ومقاتل ، وانظر أيضاً التفسير الرازي ( ٨١ / ٣١ ) واستدل عليه بالحدِيث  
السابق .

والثاني : في أي صورة من حسن أو قبح أو طول أو قصر أو ذكر أو أنثى - ذكره  
ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٨ / ٩ ) وقال : وهو معنى قول الفراء - وذكره  
الماوردي في تفسيره ( ٤١٥ / ٤ ) وعزاه إلى ابن عيسى . وذكره البغوي في تفسيره  
( ٢١٧ / ٧ ) وعزاه إلى الفراء والزجاج . انظر أيضاً تفسير الرازي ( ٨١ / ٣١ ) .

والثالث : إن شاء أن يركبك في غير صورة الإنسان ركبك ، ذكره ابن الجوزي في  
زاد المسير ( ٤٨ / ٩ ) وعزاه إلى مقاتل . وعكرمة . وقال البغوي في تفسيره ( ٢١٧ / ٧ ) :  
قال عكرمة وأبو صالح : ( في أي صورة ماشاء ركبك ) إن شاء في صورة إنسان ،  
وإن شاء في صورة ذابية أو حيوان آخر ، انظر أيضاً تفسير الطبري ( ٨٧ / ٣٠ ) ،  
وتفسير الرازي ( ٨١ / ٣١ ) .

والقول الرابع : وهو الذي ذكره الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٥٠ ) إن شاء في  
صورة إنسان بأفعال الخير ، وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله ، وإن شاء في  
صورة كلب بالبخل ، أو خنزير بالشرة . انظر أيضاً زاد المسير ( ٤٨ / ٩ ) .

والراجح من هذه الأقوال هو القول الثاني ( أي في أي صورة من حسن أو قبح ،  
أو طول أو قصر ، أو ذكر أو أنثى ) لأنه هو الذي يدل عليه ظاهر الآية - وقال  
البخاري في صحيحه ( ٦٩٥ / ٨ ) : وقراه أهل الحجاز بالتشديد وأراد : معتدل  
الخلق ، ومن خفف يعني في أي صورة شاء : إما حسن ولما قبيح ، أو طويل أو قصير .

( ٢ ) هو إمام النحو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي ، صاحب  
التصانيف . قال فيه الذهبي : ومصنفاته كثيرة نافعة ، وكان فيه اعتزال .  
وقال فيه السيوطي : واحد زمانه في علم العربية . . وقال كثير من تلامذته : إنسه  
أعلم من المبرد .

من تصانيفه : الحجة في علل القراءات ، والايضاح والتكلمة ، وغيرها من المصنفات  
توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

سير أعلام النبلاء ( ٣٧٩ / ١٦ - ٣٨٠ ) وبغية الوعاة ( ٤٩٦ / ١ - ٤٩٧ ) .

بعضك بمعنى فكنت معتدل الخلق مناسبتها (١) فلا تفاوت فيها (٢).

قوله تعالى ( كلاً بل تكذبون بالدين ) (٣) أي بيوم القيامة (٤) ، وقيل : بالحساب (٤)  
 وقوله ( وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين ) في بعض الأحاديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أكرموا الكرام الكاتبين فإنهم معكم إلا عند الجنابة والتبرز للحاجة (٥).

(١) ، (٢) كذا في النسختين ( مناسبتها ، فيها ) والصواب ( مناسبه ، فيه )  
 وقول أبي علي ذكره الرازي في تفسيره ( ٨٠ / ٣١ ) عند توجيهه للقراءة  
 بالتخفيف في ( عدلك ) فقال بعد أن ذكر هذه القراءة : وفيه وجوه :  
 أحدها : قال أبو علي الفارسي : أن يكون المعنى : عدل بعض أعضائك  
 ببعض حتى اعتدلت \* ثم ذكر ما قاله الفراء .

وذكره القيسي أيضاً في الكشف عن وجوه القراءة ( ٣٦٤ / ٢ ) ولكنه لم  
 ينسبه إليه - قال : ( فعدلك ) قرأه الكوفيون بالتخفيف على معنى " عدل بعضك  
 ببعض فصرت معتدل الخلق مناسبه ، فلا تفاوت في خلقك " .

(٣) لم أهدت إلى معرفة من ذكره بهذا اللفظ ، وقد روى ابن جرير في تفسيره ( ٨٨ / ٣٠ )  
 بسنده عن قتادة أنه قال : يوم شدة ، يوم يد بين الله العباد بأعمالهم " .

(٤) هو مروى عن مجاهد . انظر تفسيره ( ٧٣٦ / ٢ ) وتفسير الطبري ( ٨٨ / ٣٠ ) ،  
 وجاء في رواية عنه عند الطبري أنه قال : بيوم الحساب . وهذا فسر البغوي  
 في تفسيره ( ٢١٧ / ٧ ) فقال : بالجزء والحساب . والقرطبي أيضاً في  
 تفسيره ( ٢٤٧ / ١٩ ) فقال : أي بالحساب .

وأما الماوردى فذكر فيه ثلاثة تأويلات . أحدها : بالحساب والجزاء قاله  
 ابن عباس ، الثاني : بالعدل والقضاء ، قاله عكرمة ، الثالث : بالدين الذي  
 جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام حكاه ابن عيسى ، وليس هناك مانع  
 من أن تكون هذه الأقوال كلها مراده .

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٣ / ٦ ) قال : أخرج ابن مردويه عن ابن عباس  
 قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهر فرأى رجلاً يفتسل  
 بغلاة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فاتقوا الله وأكرموا الكرام  
 الكاتبين الذين معكم ليس يفارقونكم إلا عند إحدى منزلتين حيث يكون الرجل  
 على خلائه أو يكون مع أهله لأنهم كرام كما سماهم الله فليستتر أحدكم عنسد  
 ذلك بحرر حائط أو ببعيره ، فإنهم لا ينظرون إليه " .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٤ / ٤٧٢ ) بسنده عن  
 مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أكرموا الكرام الكاتبين . . .  
 الحديث . وهو بهذا الإسناد مرسل وقد وصله البزار في مسنده ( انظر كشف  
 الأستار ١ / ١٦٠ ) بلفظ آخر بسنده عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن  
 مجاهد عن ابن عباس . وقال البزار : لانعله يروى عن ابن عباس إلا من هذا  
 الوجه ، وحفص ليد الحديث " . وهناك أحاديث أخرى جمعها السيوطي في  
 الحباثك في أخبار الملائك ( ق ١٧٠ / ١ - ١٧٠ / ب ) .

وقد ورد عن ابن عباس في قوله تعالى ( كرام بسرة ) أنهم الملائكة تكرموا أن يكونوا مع ابن آدم عند خلوته بأهله وعند حاجته <sup>(١)</sup> . وقوله ( كاتبين ) هم الملائكة يقعدون عن يمين الإنسان ويساره فيكتبون ما عليه وله وقيل : واحد عن يمينه وواحد عن يساره ، فالذى عن يمينه يكتب الحسنات ، والذي عن يساره يكتب السيئات ، وقيل : إن الذى على يمينه أمير على الذى على يساره لا يكتب إلا بآذنه <sup>(٢)</sup> ، وفي الخبر برواية أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن العبد إذا هم بحسنة يكتب له الملك حسنة فإذا عملها كتب له عشر حسنات وإذا هم بسيئة لم يكتب عليه شيئاً فإذا عملها كتب سيئة <sup>(٣)</sup> . وقوله ( يعلمون ماتفعلون ) ظاهر المعنى قوله تعالى ( إن الأبرار لفي نعيم ) وفي الخبر : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : هم الذين يروا آباءهم وأبناءهم <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) لم أجد من روى هذا الأثر .

( ٢ ) أورد السيوطى فى الحبايك ( ق ٦٧ / ١ ) عن ابن جريح أنه قال : طكان أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات ، وملك عن يساره يكتب السيئات ، فالذى عن يمينه يكتب بغير شهادة من صاحبه ، والذي عن يساره لا يكتب إلا عن شهادة من صاحبه . . . . . وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

وأورد أيضا عن الأحنف بن قيس فى قوله تعالى : " عن اليمين وعن الشمال قعيد " .

قال : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمير على صاحب الشمال ، فإن أصاب العبد خطيئة قال : أمسك ، فإن استغفر الله نهأه أن يكتبها ، وإن أبى إلا أن يصبر كتبها " .

( ٣ ) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ( يريدون أن يبدلوا كلام الله ) . . . ( ١٣ / ٦٥ رقم الحدِيث ٧٥٠١ ) ومسلم فى صحيحه كتاب الإيمان ، باب تجاوز الله تعالى عن حدِيث النفس ( ٢ / ١٤٧ ) بسندهما عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : ( إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فكتبوها سيئة ، وإذا هم بحسنة فلم يعطها فكتبوها حسنة فإن عملها فكتبوها عشرًا " هذا لفظ مسلم .

( ٤ ) رواه ابن عساکر فى تاريخه ( ١٧ / ١ / ق ٢٠١ / ١ ) والثعلبى فى تفسيره ( ٣ / ٥٠ / ب ) بسندهما عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبى اسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنما سماهم الله الأبرار لأنهم يروا الآباء والأبناء " . . .

وأورد الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٨ / ١٤٦ ) بنحوه ، إلا أنه زاد بين الآباء والأبناء ( الأمهات ) وقال فى آخره : " كما أن لوالدك عليك حقاً كذلك لولدك " . وقال : رواه الطبرانى ، وفيه عبيد الله بن الوليد الرصافى وهو ضعيف .

وظاهر المعنى : أنهم المطيعون . (١) وقوله ( وإن الفجار لفي جهنم ) هي النار - نعوذ بالله منها ، وفي الحكايات : أن سليمان بن عبد الملك حج ، فلقى أبا حازم سلمة ابن دينار ، فقال : يا أبا حازم . كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المحسنون

(١) قال ابن جرير في تفسيره ( ٨٨ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول جل ثناؤه : إن الذين يروا بأداء فرائض الله ، واجتناب معاصيه لفي نعيم الجنان ينعمون فيها . " وقال البغوي في تفسيره ( ٢١٧ / ٧ ) : " الأبرار : الذين يروا وصد قوافي أيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه . " وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٨٢ / ٤ ) : " يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ، ولم يقابلوه بالمعاصي . " وهذا هو الصواب في معنى الأبرار ، وأما الحديث الذي تقدم فهو ضعيف فلا حجة فيه .

(٢) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٩ / ٩ ) في معنى الفجار قولين أحدهما أنهم المشركون ، والثاني : الظلمة . وقد ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤١٦ / ٤ ) في هاتين الآيتين قولين :

أحدهما : أن ذلك في الآخرة ، فيكون نعيم الأبرار في الجنة بالشواب ، وجهنم الفجار في النار بالعقاب . والقول الثاني : إنه في الدنيا - ثم ذكر على هذا القول في معنى الآية أربعة أوجه عن أصحاب الخواطر يعني المتصوفة ، لا أرى داعياً لذكرها . ويبدولي - والله أعلم - أن الصواب هو القول الأول . وبه قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٤٩ / ١٩ ) : ( هو ) تقسيم مثل قوله ( فريق في الجنة ، وفريق في السعير ) سورة الشورى الآية ٧ .

وهذا يدل على أنه يرى أن ذلك في الآخرة لا في الدنيا - انظر أيضاً تفسير ابن كثير ( ٤٨٢ / ٤ ) .

(٣) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو أيوب القرشي ، الخليفة الأموي بوجه بعد أخيه الوليد سنة ست وتسعين ، وكان ديناً فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للفقراء ، نقش خاتمه : أو من بالله مخلصاً عن ابن سيرين قال : يرحم الله سليمان افتتح خلافته باحياً الصلاة واختتمها باستخلافه عمر ، توفي سنة تسع وتسعين .  
سير أعلام النبلاء ٥ / ١١١ .

(٤) هو سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج الأقرز ( الأحدب الذي في ظهره عجرة عظيمة ) التمار القاص الزاهد ، قال فيه الذهبي : الإمام القدوة الواعظ شيخ المدينة النبوية ، وهو ثقة عابد . توفي في خلافة المنصور .  
انظر سير أعلام النبلاء ( ٩٦ / ٦ ) وتقريب التهذيب ( ١٣٠ ) .

فكالفائب يقده على أهله ، وأما المسيه فكالعبد الآبق يودُّ إلى سيده ، فيكسى سليمان . ثم قال : ليت شعري نعلم ما حاطنا عند الله ؟ فقال أبوالحازم :  
أعرضها على كتاب الله تعالى / فقال : وعلى أي ذلك أعرض ؟ فقال على قولسه ٣٢١/ب  
تعالى ( إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ) . قال سليمان : فأين رحمة  
الله ؟ قال : قريب من المحسنين ، قوله تعالى ( يصلونها يوم الدين أي يدخلونها  
يوم القيامة ) وقوله ( وما هم عنها بغائبين ) أي مبعدين ، وقولسه (٣)

( ١ ) ذكر هذه القصة من المفسرين البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢١٧/٧ ) وابن الجوزي  
في زاد المسير ( ٤٩٧/٩ ) والرازي في تفسيره ( ٨٥/٣١ ) ون عزو إلى أحد .

( ٢ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢١٨/٧ ) : " قوله عز وجل ( يصلونها ) يدخلونها ( يسوم  
الدين ) يوم القيامة " وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٩/٩ ) : " قوله تعالى :  
( يصلونها ) يعني : يدخلون الجحيم مقاسين حرها ، ( يوم الدين ) أي : يسوم  
الجزاء على الأعمال " . وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٤٩/٤ ) : " أي يصيبهم  
لهيبتها وحرها ( يوم الدين ) أي : يوم الجزاء والحساب " اهـ . وأصل الصلبي  
إيقاد النار ، ويقال : صلبي بالنار ، وبكذا أي ملبى بها وأصلطي بها ، وصلبت  
الشاة شويتها ، وهي مصلية ، قاله الراغب في المدرجات ( ص ٢٨٥ ) .

وقال ابن منظور في لسان العرب ( ٤٦٧/١٤ - ٤٦٨ ) : " وصلبي اللحم وغيره  
بصلبه صلبياً : شواه ، وصلبته صلبياً ، وصلبته صلبياً ، وأنا أضليه صلبياً : إذا  
فعلت ذلك وأنت تريد أن تشويهه ، فإذا أزدت أنك تلقيه فيها إلقاءً كأنك تريد  
الإحراق قلت : أصلجه بالألف لإضلا ، وكذلك صلبته أصلبه تصلية .

وقال أيضا : وأضلاه النار أن دخله إيها وأثواه فيها ، وصلاه النار  
وفي النار وعلى النار صلبياً وصلبياً وصلبياً وصلبياً ، وقال أيضا :  
وصلبت النار أي قاسيت حرها ، أضلوها : أي قاسوا حرها .  
ومنه يتبين أن ما ذكره ابن الجوزي في معنى ( يصلونها ) هو أقرب إلى المعنى اللغوي .

( ٣ ) ذكر الماوردى في تفسيره ( ٤١٦/٤ ) في هذه الآية وجهين :  
أحدهما : عن القيامة تحقيقاً للبعث - فعلى هذا يجوز أن يكون هذا الخطاب  
متوجهاً إلى الأبرار والفجار جميعاً .

الثاني : عن النار ، ويكون الخطاب متوجهاً إلى الفجار ، دون الأبرار ، والمراد  
بأنهم لا يفيون عنها أمران ، أحدهما : تحقيق الوعيد ، والثاني :  
تخليد الفجار ، وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٩/٩ ) قال :  
( وما هم عنها ) أي : عن الجحيم ( بغائبين ) وهذا يدل على تخليد الكفار ،  
وأجاز بعض العلماء أن تكون " عنها " كناية عن القيامة فتكون فائدة الكلام تحقيق  
البعث ، ويشتمل هذا على الأبرار والفجار .

( ١ ) وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ) هو على معنى تفخيم الأمر وتعظيمه .

( ١ ) صرح الماوردي في تفسيره ( ٤١٧/٤ ) والبغوي في تفسيره ( ٢١٨/٧ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٩/٩ ) والرازي في تفسيره ( ٨٥/٣١ ) . بيان المراد من يوم الدين يوم القيامة .

وأما تكراره فذكر ابن جريو في تفسيره ( ٨٩/٣٠ ) والبغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢١٨/٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٩/٩ ) والقرطبي في ( ٢٤٩/١٩ ) أنه سبحانه وتعالى كرره تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧١٧/٤ ) : " يعني أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما صورته فهو فوق ذلك وطمس أضعافه ، والتكثير لزيادة التهويل " . وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤١٧/٤ ) والرازي في تفسيره ( ٨٦/٣١ ) وجهين .

أحد هما : هو ما تقدم - يعني : تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره . الثاني : أن الأول خطاب للفجار ، والثاني خطاب للأبرار ترغيباً - والوجه الأول قد عزاه الرازي إلى الجمهور ، أما الوجه الثاني فعزاه إلى الجبائي ، قال : الجمهور على أن التكرير في قوله ( وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين ) لتعظيم ذلك اليوم .

قال الجبائي : بل هو لفائدة مجددة ، إذ المراد بالأول أهل النار ، والمراد بالثاني أهل الجنة ، كأنه قال : وما أدراك ما يعامل به الفجار في يوم الدين ؟ ثم ما أدراك ما يعامل به الأبرار في يوم الدين ؟ وذكره النحاس في اعراب القرآن ( ٦٤٦/٣ ) فقال : قيل : ليس هذا تكثير ، والمعنى : وما أدراك ما في يوم الدين ، من العذاب والنكال للفجار ، ثم ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم للأبرار . وأما الخطاب في قوله ( وما أدراك ) فالأكثر على أنه خطاب للرسول . قال الرازي : وإنما خاطبه بذلك لأنه ما كان عالماً بذلك قبل الوحي ، انظر تفسيره ( ٨٥/٣١ ) وذكر القرطبي في تفسيره ( ٢٤٩/١٩ ) عن ابن عباس أنه قال : " كل شيء من القرآن من قوله : " وما أدراك " ؟ فقد أدراه . وكل شيء من قوله : " وما يدريك " فقد طوى عنه ، وقال الراغب في المفردات ( ص ١٦٨ ) : وكل موضع ذكر في القرآن " وما أدراك " فقد عقب ببيانه ، نحو " ما أدراك ما هيه ، نار حامية " وكل موضع ذكر فيه " وما يدريك " لم يعقبه بذلك نحو " وما يدريك لعله يزكى " وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٨٣/٤ ) : " وقوله تعالى ( وما أدراك ما يوم الدين ) تعظيم لشأن يوم القيامة ، ثم أكد بقوله تعالى ( ثم ما أدراك ما يوم الدين ) وهذا الذي ذكره ابن كثير يبدو لي أنه الصواب والله أعلم .

وقيل في هذا الخطاب : إنه للإنسان الكافر لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الكلبي ، كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٤٩/٩ ) . انظر أيضاً تفسير الرازي ( ٨٥/٣١ ) وروح المعاني ( ٦٦/٣٠ ) وذكر الألويسي قولاً آخر وهو أن الخطاب فيه عام .



وقوله ( يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ) ويوم منصوب على الظرف . وقرئ " يوم بالرفع " (١) وهو ظاهر ، وقوله ( والأمر يومئذ لله ) أى الأمر يوم القيامة لله ليس لأحد معه أمر والله أعلم . (٢)

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ( يستنومُ لا تملك نفس لنفس شيئاً ) برفع الميم فى يوم ، وذكروا فى توجيه هذه القراءة أمرين . أحدهما : أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هو يوم لا تملك . والثانى : أنه بدل من يوم الدين قبله .

وقراءه الباقون من القراء السبعة بالنصب ، وذكروا فى توجيه هذه القراءة ثلاثة أوجه . أحدها : أنه ظرف ( " الدين " وهو الجزاء .  
الثانى : أنه مرفوع فى المعنى كالقراءة الأولى ، لكن لما جرى النصب فيه فسئ  
أكثر الكلام ترك منصوباً فى موضع الرفع ، الثالث : أنه منصوب على البدل من " يوم الدين " فى قوله " يصلونها يوم الدين " .

انظر التيسير فى القراءات (ص ٢٢٠) والكشف عن وجوه القراءات (٢/٢٦٤-٢٦٥) وحجة القراءات (٧٥٤) .

وقال ابن جربو فى تفسيره (٩٠/٣٠) : والرفع فيه أفصح فى كلام العرب ، وذلك أن اليوم مضاف إلى ( يفعل ) والعرب إذا أضافت اليوم إلى تفعل أو يفعل أو أفعل ، رفعوه ، فقالوا : هذا يوم أفعل كذا ، وإنما أضافته إلى فعل ماضى نصبوه وقد ذكر القراء فى معانى القرآن (٣/٢٤٤ - ٢٤٥) إجماع القراء على نصب " يوم لا تملك " . وقال : والرفع جائز لو قرئ " به " وما ذكره القراء خطأ ، وقد خطأه النحاس فى اعراب القرآن (٣/٦٤٦ - ٦٤٧) .

انظر أيضاً تفسير البغوى (٧/٢١٨) وزاد المسير (٩/٤٩ - ٥٠) وتفسير الرازى (٣١/٨٦) وتفسير القرطبي (١٩/٢٤٩) . أما المعنى للآية فقال ابن الجوزى (٩/٥٠) :

"قال المفسرون : ومعنى الآية : أنه لا يملك الأمر أحد إلا الله ولم يملك أحداً من الخلق شيئاً كما ملكهم فى الدنيا " . وقد تمسك بهذه الآية نفاة الشفاعة للمصاة من المسلمين . ولأجل ذلك قال بعضهم ، فى تفسير الآية : لا تملك نفس لنفس كافر شيئاً من المنفعة " . فإنه خاف نفي شفاعة المؤمنين ، ولكن القول على الإطلاق أصح ، وأما الشفاعة فإنها تكون عن أمر الله وتمليكه .  
انظر تفسير البغوى (٧/٢١٨) وزاد المسير (٩/٥٠) . تفسير الرازى (٣١/٨٦) .

(٢) قال البغوى فى تفسيره (٧/٢١٨) " أى يوم لا يملك الله فى ذلك اليوم أحداً شيئاً كما ملكهم فى الدنيا " .

وقال القرطبي فى تفسيره (١٩/٢٤٩) : " لا ينازعه فيه أحد ، كما قال : لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار ، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ) سورة غافر الآية ١٦ ، ١٧ .

(١)  
تفسير سورة المطففين وهي مدنيّة

قال ابن عباس : هي أول سورة نزلت بالمدينة - قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم أخبث الناس كيلاً ووزناً ، فأنزل الله تعالى هذه السورة - فاستقاموا - فهم أوفى الناس كيلاً ووزناً إلى اليوم .<sup>(٢)</sup>

(١) اختلف المفسرون في هذه السورة على ثلاثة أقوال : أحدها : أنها مكية ، وهو قول ابن مسعود والضحاك ويحيى بن سلام ، والدليل على ذلك هو ذكر الاساطير فيها . الثاني : أنها مدنيّة . وهو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومقاتل - إلا أن ابن عباس وقتادة قالا : فيها ثمان آيات مكية ، من قوله تعالى : ( إن الذين أخرجوا ) إلى آخرها ، والدليل على هذا أن أهل المدينة كانوا أشد الناس فساداً في الكيل .

وقال مقاتل : فيها آية مكية ، وهي قوله تعالى : ( إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ) .

الثالث : أنها نزلت بين مكة والمدينة ، قاله جابر بن زيد وابن السائب والكلبى . وذكر هبة الله بن سلامة : أنها نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة نصفها يقارب مكة ، ونصفها يقارب المدينة .

انظر تفسير الماوردي (٤١٨/٤) وزاد المسير (٥١/٩) وتفسير القرطبي (٢٥٠/١٩) والبحر المحيط (٤٣٩/٨) والاتقان (١٤/١) وروح المعاني (٦٧/٣٠) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه - التجارات - باب التوقي في الكيل والوزن (٢٦/٢) ، وابن حبان في صحيحه ( انظر موارد الظمان ص ٤٣٨ ) وابن جرير في تفسيره (٩١/٣٠) والطبراني في المعجم الكبير (٣٧١/١٠) وقم (١٢٠٤١) والبقوى في تفسيره (٢١٨/٧) والواحدى في أسباب النزول (ص ٣٣٣) . كلهم بإسناد هم عن علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً ، فأنزل الله عز وجل (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك . قال البوصيري في زوائد : إسناده حسن ، لأن محمود بن عقيل وعلي بن الحسين مختلف فسيهما ، وياقوت رجال الإسناد ثقات .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٣/٦) وعزاه أيضاً إلى ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وقال : " بسند صحيح " وهو الصواب لأن الحديث رواه الآخرون أيضاً غير محمود بن عقيل وعلي بن الحسين - وقد صححه الحافظ بن حجر في فتح الباري (٦٩٥/٨) وأما اللفظ الذي ذكره المؤلف فلم أجد من أخرجه بهذا اللفظ وقد ذكر نحوه القرطبي في تفسيره (٢٥٠/١٩) عن ابن عباس ولم يعز تخريجه إلى أحد . وهو دليل على القول بأن السورة مدنية - وقد جمع بعضهم بين القولين فقال : السورة مكية إلا قصة التطفيف فإنها نزلت بالمدينة . انظر الاتقان (١٤/١) .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( ويل للمطففين ) الويل : هو الدعاء بالشدة والهلاك (١)  
وعن السدي : هو واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار، (٢)

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤١٨) في هذه الكلمة سبعة أقاويل . وقال في القول السادس : إنه النداء بالخسار والهلاك ، وقد تستعمله العرب في الحرب والسلب .

وذكر ابن منظور في لسان العرب (١١/٧٣٨) عن أبي إسحاق قال " والويل : كلمة تقال لكل من وقع في عذاب أو هلكة ، وقال : وَأَصْلُ الْوَيْلِ فِي اللَّغَةِ : الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ ، وَالْوَيْلُ : الْهَلَاكُ يُدْعَى بِهِ لِمَنْ وَقَعَ فِي هَلَاكَةٍ يَسْتَحِقُّهَا ، تَقُولُ : وَيْلٌ لِّزَيْدٍ وَمِنْهُ : وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ .

(٢) لم أجد من أورده عن السدي . وقد روى مثله عن ابن مسعود .  
أورده السيوطي في الدر المنثور (١/٨٢) وعزا تخريجه الى سعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني والبيهقي في البحث ، وروى مثله عن أبي عيسى أيضا أخرجه هناك في الزهد (١/٧١٣ رقم ٢٧٧) .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/٨٢) وعزا تخريجه أيضا الى عبد بن حميد وابن أبي حاتم . وأورده القرطبي في تفسيره (١٩/٢٥٠) عن قول ابن عباس دون عزو الى أحد .

وقد ذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤١٨) في معنى الكلمة سبعة أقاويل : أحدها : أنه واد في جهنم ، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً . وانظر سنن الترمذي ٣٢٠/٥ ، رقم ٣١٦٤ .

الثاني : صديد أهل النار ، قاله ابن مسعود ، الثالث : إنه النار قاله عمر مولى عفرة . الرابع : أنه الهلاك ، قاله بمعنى أهل اللغة ، الخامس : أنه أشق العذاب ، السادس : أنه النداء بالخسارة والهلاك وقد تستعمله العرب في الحرب والسلب ، السابع : أن أصله وي لفلان ، أي الجور لفلان ، ثم كثر استعمال الحرفين فوصلا بلام الإضافة .

والذي يبدو لي من هذه الأقوال أن الراجح هو ما ذكره المؤلف يعنى أنه دعاء بالشدة والهلاك .

نقل الراغبني المفردات (ص ٥٣) عن الأصمعي أنه قال : " ويل : قُبْحٌ - وقد يُسْتَعْمَلُ عَلَى التَّحَسُّرِ ، وَلَيْسَ اسْتِصْفَارًا ، وَوَيْحٌ تَرْحَمُ ، وَمِنْ قَالَ : وَيْلٌ وَادٌ فِي جَهَنَّمَ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْرُدْ أَنْ وَيْلًا فِي اللَّغَةِ هُوَ مَوْضِعٌ لِهَذَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِيهِ فَقَدْ اسْتَحَقَّ مَقْرَأًا مِنَ النَّارِ وَثَبِتَ ذَلِكَ لَهُ .

وقوله ( للمطففين ) هم الذين لا يوفون الكيل والنوزن ويبخسون ، قال الزجاج : سمي مطففا ، لأنه لا يطف بهذا الفعل بالشئ الطفيف . (٣) أي اليسير وقد بينا أنها نزلت في أهل المدينة ، وقيل : نزلت في أبي جهينة (٤) كان رجلاً

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٢٨٧) : " المطفف : الذي لا يوفي علسي الناس من الناس " وقال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥١٩) : " المطفف : الذي لا يوفي الكيل . يقال : إنا طفان ، إذا لم يك مملوءاً " . وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٤٨٣) : " والمراد بالتطفيف ههنا : البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم .

(٢) كذا في الأصل ( لا يطف ) والصواب ( يطف ) .

(٣) أورده ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٥٢) والقرطبي في تفسيره (١٩/٢٥١) وابن منظور في لسان العرب (٩/٢٢٢) فقالوا : قال الزجاج : إنما قيل للفاعل من هذا مطفّف ، لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشئ الطفيف الخفيف ، وإنما أخذ من طَفَّ الشئ : وهو جانبه " . وذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤١٨) عن الزجاج أنه قال : هو مأخوذ من طَفَّ الشئ وهي جهته " وهذا أحد القولين في اشتقاق الكلمة ، والقول الثاني : إنه مأخوذ من الطفيف وهو القليل ، والمطفّف هو المقلّ حق صاحبه ينقصه عن الحق في كيل أو وزن ، ذكره الماوردي في تفسيره (٤/٤١٨) والقرطبي في تفسيره (١٩/٢٥١) وهو ما اختاره ابن جرير في تفسيره (٣٠/٩٠) إذ لم يذكر غيره .

وسرد الرازي في تفسيره (٣١/٨٧) هذين القولين ولكنه عزاه القول الثاني وهو أن المطفّف مأخوذ من الطفيف وهو القليل إلى الزجاج ، بينما عزاه إليه الأكثرون القول الأول وهو أنه مأخوذ من طَفَّ الشئ وهو جانبه .

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابه (٤/٣٦) قال :

"أوجهه بينه الأنصاري - ذكره الثعلبي في تفسيره قوله تعالى ( ويصل للمطففين ) فأخرج من طريق السدي أنه كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فنزلت ( ويل للمطففين ) وقد ذكره القرطبي أيضا في تفسيره (١٩/٢٥٠) وقال " واسمه عمرو " .

من أهل المدينة له صاعان يكيل بأحدهما ( ويكتال بالأخر ) ، وقوله (الذين إذا اکتالوا) (٢)  
 على الناس ) أى من الناس - ويقال اکتلت على فلان أى استوفيت ما عليه . وقوله (٣)  
 ( يستوفون ) أى يستوفون حقوقهم على الكمال (٤) - وقيل يستوفونه راجحاً - . وقوله (٥)  
 ( وإذا كالوهم ) أى كالوا لهم وكذلك ( أو وزنوهم ) أى وزنوا لهم . قال أبو عبيدة (٦)

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٥٠/١٩) وعزاه إلى ابن هريرة . ونقله الثعلبي في تفسيره (٥١/١٣) عن السدي . انظر أيضاً زاد المسير (٥٢/٩) والكشاف (٧١٨/٤) والبحر المحيط (٤٣٩/٨) وذكر الزمخشري هنا قولاً آخر فقال :  
 وقيل : كان أهل المدينة تجاراً يطففون ، وكانت بياعاتهم المنايذة والملامسة والمخاطرة فنزلت ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم " وقال ابن حجر في تخرجه : لم أجده .

والصواب هو ما تقدم عن ابن عباس بسنده صحيح ثابت .

(٢) العبارة فيما بين المعكوفين زيادة منى ، معتمداً على المصادر السابقة ، وبدونها لا يستقيم الكلام .

(٣) قال الفراء في معاني القرآن (٢٤٦/٣) " يريد : اکتالوا من الناس ، وهم متعتبان : على ومن - في هذا الموضع ، لأنه حق عليه ، فإذا قال : اکتلت عليك ، فكأنه قال : أخذت ما عليك ، وإذا قال : اکتلت منك ، فهو كقولك استوفيت منك " انظر أيضاً تفسير ابن جرير (٩١/٣٠) وتفسير البغوي (٢١٨/٧) وزاد المسير (٥٢/٩) وتفسير الرازي (٨٨/٣١) وتفسير القرطبي (٢٥٢/٩) .  
 وذكر القرطبي عن ابن جرير أنه قال : على بمعنى عند . ولكني لم أجده عند هذا القول . بل وجدته ذكر كلاماً نحو ما تقدم عن الفراء ، فإنه قال في تفسيره هـ هذه الآية : يقول تعالى ذكره : (الذين إذا اکتالوا من الناس ما لهم من قبلهم من حق يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيأ ، و ( على ) و ( من ) في هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل : اکتلت منك يراد : استوفيت منك .

(٤) ذكر البغوي في تفسيره (٢١٨/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٥٢/٩) ، والقرطبي في تفسيره (٢٥٢/١٩) عن الزجاج أنه قال : " إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل " .

(٥) قال الماوردي في تفسيره (٤١٩/٤) : " يريد بالاستيفاء الزيادة على ما استحق " وقال القرطبي في تفسيره (٢٥٢/١٩) بعد أن ذكر قول الزجاج : " والمعنى الذين إذا استوفوا أخذوا الزيادة ، وإذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا ، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم " .  
 وقال ابن كثير : أى يأخذون حقهم بالوافي والرائد ، انظر تفسيره (٤٨٣/٤) .

(٦) كذا في الأصل ( قال ) ويبدولى أن الصواب ( قاله ) وبدون هذا لا يستقيم المعنى .

والأخفش والفرأ<sup>(١)</sup> والأخفش هو سعيد بن مسعدة وهو الأخفش الكبير<sup>(٢)</sup> . وقال الفرأ<sup>(٣)</sup> : هو لغة حجازيه ، سمعت بعضهم بمكة يقول : إذا صدر الناس أتينا التاجر فكان المد والمدين إلى العام المقبل أي كان لنا<sup>(٣)</sup> ( ويخسرون ) أي ينقصون ،

( ١ ) انظر كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٨٧ / ٢ ) وكلام الأخفش في معاني القرآن ( ٥٣٢ / ٢ ) وكلام الفرأ في معاني القرآن ( ٢٤٦ / ٣ ) .

( ٢ ) كذا في النسختين ( وهو الأخفش الكبير ) وهو خطأ ، والصواب أنه الأخفش الأوسط وأما الأخفش الكبير فاسمه عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب . انظر بغية الوعاة ( ٧٤ / ٢ ) وسعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط تقدم مترجمته في ( ص ٩٦ ) .

( ٣ ) نص كلامه في معاني القرآن ( ٢٤٦ / ٣ ) : " وسمعت أعرابية تقول : إذا صدر الناس أتينا التاجر ، فيكيلنا المد والمدين إلى الموسم المقبل ، فهذا شاهد ، وهو من كلام أهل الحجاز ، ومن جاورهم من قيس " . هذا - وفي ( كالوهم أو وزنهم ) قول آخر وهو أن الضمير ( هم ) في موضع رفع توكيد لما في ( كالوا أو وزنوا ) وعلى هذا القول يجوز الوقف على ( كالوا ) ( أو وزنوا ) . وهو قول عيسى بن عمر وحمة . ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٩١ / ٣٠ ) وأبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٤٩ / ٣ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٥٢ / ٩ ) والزمخشري في الكشاف ( ٧١٩ / ٤ - ٧٢٠ ) والرازي في تفسيره ( ٨٨ / ٣١ ) . وذكر الزمخشري والرازي قولاً آخر وهو أنه على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والتقدير : وإذا كالوا مكيلهم أو وزنوا موزونهم " . وذهب أكثر المفسرين إلى اختيار القول الأول وهو أنه على حذف اللام - ولا يجوز الوقف على ( كالوا ) و ( أو وزنوا ) واحتجوا على اختيارهم هذا بأنه لو كان بالمعنى الذي ذكره عيسى بن عمر وحمة لأثبتت الألف قبل هم في المصحف ، ولكنه في جميع المصاحف بغير ألف " ذكر ذلك الرازي عن الفرأ<sup>(١)</sup> والزجاج . انظر تفسيره ( ٨٨ / ٣١ ) وقاله ابن جرير والنحاس والبغوي وقال النحاس أيضا : ونسق الكلام يدل على ذلك لأن قبله ( إذا اکتالوا على الناس ) فيجب أن يكون بعده وإذا كالوا لهم وحذفت اللام ، انظر تفسير الطبري ( ٩١ / ٣٠ ) واعراب القرآن ( ٦٤٩ / ٣ ) وتفسير البغوي ( ٢١٨ / ٧ ) ووصف الزمخشري هذا الاستدلال بأنه ركيك ، لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط " وقال في ابطال القول الثاني : ولا يصح أن يكون ( يعني هم ) ضميراً مرفوعاً للمطففين ، لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد ، وذلك أن المعنى : إذا أخذوا من الناس وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك : إذا أخذوا من الناس استوفوا ، وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا ، وهو كلام متناقض ، لأن الحديث واقع في الفعل ، لا في المياش<sup>(٢)</sup> .

الكشاف ( ٧٢٠ / ٤ ) . وقول الزمخشري : إن خاط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط " فغير صحيح فإن الرازي رد عليه بقوله : " إن إثبات هذه الألف لو لم يكن معتاداً في زمان الصحابة فكان يجب إثباتها في شائر الأعمار ، لما أنا نعلمهم مياشاتهم في ذلك فثبت أن إثبات هذه الألف كان معتاداً في زمان الصحابة فكان يجب إثباته ههنا " تفسير الرازي ( ٨٨ / ٣١ ) وجملة القول أن الصحيح هو الأول يعني أن الضمير في موضع نصب ، حذف منه حرف اللام ، وقد صرح ابن الجوزي والقرطبي باختيار هذا القول . انظر زاد المسير ٥٢ / ٩ ، وتفسير القرطبي ( ٢٥٢ / ١٩ ) .

وقوله ( ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ) أى ألا يستيقن<sup>(١)</sup> أولئك أنهم مبعوثون<sup>(٢)</sup> ، وعن ابن عباس أنه قال : خمس بخمس ، مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم

( ١ ) فى الأصل ( يستيقنوا ) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته . لأنه هو الموافق لسباق الكلام .

( ٢ ) فسر البغوى فى تفسيره ( ٢١٩ / ٧ ) كلمة ( يظن ) بـ " يستيقن " .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٥٣ / ٩ ) :

وقال المفسرون : والظن هنا بمعنى العلم واليقين ، وذكره القرطبى فى تفسيره

( ٢٥٤ / ١٩ ) قال : " والظن هنا بمعنى اليقين ، أى ألا يؤقن أولئك ، ولو

أيقنوا مانقصوا فى الكيل والوزن " .

ثم قال : وقيل : أظن بمعنى التردد ، أى إن كانوا لا يستيقنون بالبعث ، فهلا

ظنوا ، حتى يتدبروا ويبحثوا عنه ، ويأخذوا بالأحوط " .

انظر أيضا الكشاف ( ٧٢٠ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٨٩ / ٣١ - ٩٠ ) . وكلا المعنيين

صحيح فإن الظن يستعمل فى معنى اليقين والشك .

وقال الراغب الأصفهانى فى المفردات ( ص ٣١٧ ) : وقوله : " ألا يظن أولئك "

وهو نهاية فى ذمهم ، ومعناه ألا يكون منهم ظن لذلك تنبيهاً أن أمارات البعث

ظاهرة " .

وذهب الزمخشرى فى الكشاف ( ٧٢٠ / ٤ ) إلى هذا القول ، فقال فى تفسير

الآية ( ألا يظن ) إنكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجترأ على التطفيف كأنهم

لا يخطررون ببالهم ولا يخمنون تخميناً " . ثم قال : وفى هذا الإنكار والتعجيب

وكلمة الظن ، ووصف اليوم بالعظم ، وقيام الناس فيه لله خاضعين ، ووصفه

ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم فى التطفيف وفيما

كان فى مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط ، والعمل على السوية والعدل

فى كل أخذ واعطاء ، بل فى كل قول وعمل .

وقيل : الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر .

الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، وما نقصوا من المكيال والميزان إلا منعوا النبات ،  
وأجدبوا بالسنين وما منع قوم الزكوة إلا جس عنهم القطر .<sup>(١)</sup>

(١) هكذا رواه الإمام مالك في الموطأ (٣٠٥/١) موقوفاً من كلام ابن عباس - عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه قال : ما ظهر الغلول فسي قوم قط إلا ألقى في ظوبهم الرعب ، ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ، ولا خثر قوم بالمعهد إلا سلط الله عليهم العدو .  
" خثر معناه : نذر . انظر النهاية ٩/٢ ."

وقد أخرجه مرفوعاً متصلاً الطبراني في المعجم الكبير (٤٥/١١) ، رقم (١٠٩٩٢) بسنده عن اسحاق بن عبد الله بن كيسان حدثني أبي عن الضحاك بن مزاحم عن مجاهد وطاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس بخمس " قالوا : يا رسول الله : وما خمس بخمس ؟ قال : ما نقص قوم المعهد . . . الحديث بمثل ما ذكره المؤلف إلا أنه قال : ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين " .

وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمزه بالصحة . انظر الجامع الصحيح مع فيض القدير (٤٥٢/٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/٣) بعد أن عزاه إلى الطبراني فسي الكبير : وفيه اسحاق بن عبد الله بن كيسان المروزي لبينه الحاكم وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام " وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً " أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب العقوبات (٤٨٩/٢) بنحوه في سياق أطول منه .

وقال البوصيري في زوائده كما ذكر السندی في حاشيته " هذا حديث صالح للعمل به " .

وبهذا الشاهد يصل الحديث درجة الحسن ولذلك قال فيه الألباني فسي صحيح الجامع الصغير (١١٣/٣) " حسن " .



وعن مالك بن دينار<sup>(١)</sup> قال : دخلت على جار لي أعوده وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه كلمة الشهادة ، وهو يقول : جبلان من نار ، جبلان من نار ، فما زال يقول حتى مات ، فسألت عنه ، قالوا : كان له مكيال وميزان يطفف بهما<sup>(٢)</sup> . وقيل في قوله ( ألا يظن ) يعني أنهم لا يعطون عمل من يظن أنهم معوثون<sup>(٣)</sup> - وقوله ( ليوم عظيم ) هو يوم القيامة / سماه عظيماً لعظم ما فيه وشدته<sup>(٤)</sup> ، وقوله ( يوم ١٣٢٢ ) يقوم الناس لرب العالمين ) روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

( ١ ) هو مالك بن دينار البصرى الزاهد أبو يحيى . قال فيه الذهبى : علم العلماء ، معدود في ثقات التابعين ، ومن أعيان كتبة المصاحف ، كان من ذلك بلغته ، ولد في أيام ابن عباس وسمع من أنس بن مالك وحدث عنه ، وثقه النسائي وغيره ، واستشهد به البخارى وحدثه في درجة الحسن ، وليس هو ممن أساطين الرواية ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة .

انظر سير أعلام النبلاء\* ( ٣٦٢/٥ - ٣٦٤ ) وتقريب التهذيب ( ص ٣٢٦ ) .

( ٢ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٥٣/١٩ ) قال : " قال مالك بن دينار : دخلت على جار لي قد نزل به الموت فجعل يقول : جبلين من نار ، جبلين من نار ، فقلت : مات قول ؟ أتبجر ؟ ( أى تهذى ) . قال : يا أبا يحيى ، كان لي مكيالان ، أكيل بأحدهما ، وأكثال بالآخر ، فماتت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر ، حتى كسرتهما فقال : يا أبا يحيى ، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد عظمًا ، فمات من وجعه " .

( ٣ ) ذكر الثعلبي في تفسيره ( ١/٥٢/١٣ ) أن الظن هنا بمعنى اليقين .

( ٤ ) صوح البغوى والخازن في تفسيرهما ( ٢١٩/٧ ) وابن الجوزى في زاد المسير ( ٥٣/٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٥٤/١٩ ) بأن المراد باليوم العظيم هنا هو يوم القيامة .

وقال ابن جرير في تفسيره ( ٩١/٣٠ ) : " يقول تعالى ذكره : ألا يظن هؤلاء المطففون الناس في مكابيلهم وموازنهم أنهم معوثون من قبورهم - بعد مماتهم ليوم عظيم شأنه . هائل ، أمره ، فطرح هولاه .

يقومون مائة سنة على رؤوس قبورهم - (١) وعن بعض الصحابة : ثلاثمائة سنة (٢) ،  
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : يقومون ألف عام في الظلمة (٣) - وروى حماد  
ابن سلمة عن أيوب عن نافع (٤) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٥٥/١٩) دون قوله ( علي رؤوس قبورهم ) ولم يعز تخريجه إلى أحد ، ولم أجد أنا من رواه من أئمة الحديث هكذا مرفوعاً .

ورواه ابن جرير في تفسيره (٩٢/٣٠) عن ابن حميد ثنا حكام عن عنبسة ابن سعيد عن محارب بن دثار عن ابن عمر أنه قال : " يقومون مائة سنة " .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٥٥/١٩) عن ابن عباس : قال : وروى ناس عن ابن عباس قال : يقومون مقدار ثلاثمائة سنة \* ولم يعز تخريجه إلى أحد .

وورد ذلك في حديث مرفوع أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩٣/٣٠) وابن أبي حاتم (كما في تفسير ابن كثير ٤٨٥/٤) كلاهما من طريق عبد السلام بن عجلان قال : سمعت أبا يزيد المدني ( وفي تفسير الطبري : يزيد المدني وهو خطأ ) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للبشير الغفاري : " كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا لرب العالمين ، لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ . . . الحديث .

وهذا الحديث ضعيف لأن عبد السلام بن عجلان ، قال فيه الذهبي في ميزان الاعتدال (٦١٨/٢) : قال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وتوقف غيره في الاحتجاج به ، وأبو يزيد المدني قال فيه ابن حجر في التقريب (ص ٤٣٣) : مقبول . ( يعنى حيث يتابع ، ولم يتابع فيما عرفت ) .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٥٥/١٩) فقال : " وروي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقومون ألف عام في الظلمة " ولم يعز تخريجه إلى أحد .

(٤) هو أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ،

أبو موسى المكي ، ثقة ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

انظر تهذيب التهذيب ١/٤١٢ ، وتقريب التهذيب ٤١-٤٢ .

(٥) هو نافع الفقيه مولى ابن عمر أبو عبد الله المدني . أصابه ابن عمر في بعض مغازبه .

ثقة ثبت فقيه مشهور - مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك .

تهذيب التهذيب ١/٤١٢ ، تقريب التهذيب ٣٥٥ .

أنه قال في قوله تعالى ( يوم يقوم الناس لرب العالمين ) قال يقومون حتى يبلغ  
الرشح<sup>(١)</sup> أطراف آذانهم . قال رضى الله عنه أخبرنا هذا الحديث أبو الحسين  
ابن النقوم أخبرنا أبو طاهر ابن المخلص<sup>(٢)</sup> أخبرنا ابن بنت منيع هو أبو القاسم  
البغوى أخبرنا أبو نصر بن التمار<sup>(٣)</sup> أخبرنا حماد بن سلمة - الحديث - أخرجه مسلم<sup>(٤)</sup>  
في صحيحه عن أبي نصر التمار<sup>(٥)</sup> - وذكره البخارى<sup>(٦)</sup> هذا الحديث بإسناده

( ١ ) قال ابن الأثير في النهاية ( ٢٢٤ / ٢ ) :

”الرشح : العرق لأنه يخرج من البدن شيئاً فشيئاً كما يوشح الإنسان  
المتخلخل الأجزاء .“

( ٢ ) هو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي  
الذهبي مخلص الذهب من الفس .

وثقة الخطيب ، وقال فيه الذهبي : الشيخ المعمر المحدث الصدوق - مات فى  
رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة .

تاريخ بغداد ( ٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣ ) وسير أعلام النبلاء ( ١٦ / ٤٧٨ - ٤٧٩ ) .

( ٣ ) هو عبد الطيب بن عبد العزيز القشيري النسائي ، أبو نصر التمار ، ثقة عابد -  
مات سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وهو ابن إحدى وتسعين سنة .  
انظر تقريب التهذيب ( ص ٢١٩ ) .

( ٤ ) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشان القشيري أبو الحسين النيسابوري  
صاحب الصحيح .

( ٥ ) انظر صحيح مسلم - كتاب الجنة - باب صفة يوم القيامة ( ١٧٠ / ١٩٦ ) ،  
وأخرجه أيضا من طرق أخرى عديدة .

( ٦ ) هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي  
البخارى صاحب الصحيح .

وذكر: أنهم يقومون حتى يبلغ الرشح أنصاف: آذانهم (١) ، وروى سليم بن عامر (٢)  
 عن المقداد بن الأسود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تدني الشمس من  
 رؤوس الخلائق حتى يكون على قدر ميل من رؤوسهم .

(١) انظر الصحيح للبخاري . كتاب التفسير - باب ( يوم يقوم الناس لرب  
 العالمين ) ( ٦٩٦/٨ ، رقم ٤٩٣٨ ) بسنده عن مالك وأيضاً كتاب  
 الرقاق - باب قول الله تعالى ( ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . . . . . )  
 ( ٣٩٢/١١ ، رقم ٦٥٣١ ) . بسنده عن ابن عون - كلاهما عن نافع به .  
 ولفظه في كتاب الرقاق : " يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه " .

والحد يثأخرجه أيضاً الترمذي في سننه - كتاب التفسير باب " ومن سورة  
 ويل للمطففين " ( ٤٣٤/٥ ، رقم ٣٣٣٥ ، ٣٣٣٦ ) وابن ماجه في سننه  
 كتاب الزهد ، باب ذكر البعث ( ٥٧٠/٢ ) والإمام أحمد في مسنده  
 . ( ١٩٠ ، ١٣/٢ )

(٢) هو سليم بن عامر الكلاعي ويقال الخبائري ( بخاء معجمة وموحدة )  
 أبو يحيى الحمصي .  
 ثقة - مات سنة ثلاثين ومائة .  
 تقريب التهذيب ١٣٢ .

(٣) هو المقداد بن الأسود الكندي - هو ابن عمرو بن شعبة بن مالك - البهراني  
 ثم الكندي ثم الزهري - خالف أبوه كندة ، وبناته . هو الأسود بن عبد يغوث  
 الزهري ، ولما نزلت ( ادعوهم لآبائهم ) قيل له المقداد بن عمرو ، وكنيته  
 أبو الأسود ، وقيل غير ذلك .  
 صاحب مشهور من السابقين ، لم يثبت أنه كان ببندر فارس غيره .  
 توفي سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة .  
 انظر الإصابة ( ٤٥٤/٣ - ٤٥٥ ) وتقريب التهذيب ٣٤٦ .

قال سليم : فلا أدري . أراد ميل المسافة أم الميل <sup>(١)</sup> الذي يكتحل به فتصهرهم <sup>(٢)</sup> الشمس فيكونون في العرق على قدر أعمالهم ، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبته ومنهم إلى ركبتيه ومنهم إلى حقوه <sup>(٣)</sup> ومنهم من يلجمه إجماماً ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على فيه <sup>(٤)</sup> - وفي بعض الأخبار : أن العرق يذهب في الأرض سبعين ذراعاً <sup>(٥)</sup> - والله أعلم .

(١) في الأصل ( ميل ) والصواب ما أثبتته ، وكذا هو في المصادر الأخرى .

(٢) هو من الصهر وهو الإذابة ، يقال : صهرت الشحم إذا أذيتته .  
انظر النهاية ( ٦٣/٣ ) .

(٣) الحَقْوُ : معقد الإزار ، وجمعه أَحْقِي وَأَحْقَاءُ ، وقد يسمى به الإزار للمجاورة المصدر السابق ( ٤١٧/١ ) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجنة - باب صفة يوم القيامة ( ١٩٦/١٧ ) ،  
والترمذي في سننه - كتاب صفة القيامة - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص  
( ٦١٤/٤ ) ، رقم ( ٢٤٢١ ) والإمام أحمد في مسنده ( ٣/٦ - ٤ ) والبغوي  
في تفسيره ( ٢١٩/٧ ) كلهم بإسنادهم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر  
حدثني سليم بن عامر به .

ولفظه عند مسلم : تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ  
كمقدار ميل ، قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل - أمسافة  
الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين - قال : فيكون الناس على قدر  
أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبته ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه  
ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً قال : وأشار  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه .

(٥) جاء ذلك فيما رواه البخاري في صحيحه ( ٣٩٢/١١ ) رقم ( ٦٥٣٢ ) كتاب  
الرقائق ، باب قول الله تعالى : ( أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ..... )  
بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يعرق الناس  
يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ  
آذانهم .

قوله تعالى ( كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ ) كَلَّا رُدِّعَ وَزَجَرَ وَتَنْبِيهٌ ، كَأَنَّهُ  
يقول ليس الأمر كما يزعمون فارتد عوا<sup>(١)</sup> - وقوله ( إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ فِيهِ  
قَوْلَانٌ : أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ كِتَابُ الْأَعْمَالِ<sup>(٢)</sup> ، وَالْآخَرُ : أَنَّهُ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ<sup>(٣)</sup> -  
وَالْأُظْهَرُ هُوَ الْأَوَّلُ<sup>(٤)</sup> ) وقوله ( لَفِي سَجِينٍ ) هو فَعِيلٌ مِنَ السَّجَنِ<sup>(٥)</sup> .

(١) ذكر المفسرون في ( كَلَّا ) وجهين - أحدهما هو ما ذكره المؤلف يعني أنه رُدِّعَ وَتَنْبِيهٌ  
أى ليس الأمر على ما هم عليه من تظفيف الكليل والميزان ، أو تكذيب بالآخرة ، فليترد عوا  
عن ذلك ، ويتم الكلام ها هنا ، وهو قول أكثر العلماء .  
والثاني : أن معناه " حقاً " وهو ابتداءً يتصل بما بعده ، وهو قول الحسن  
وأبي حاتم ، وذكر القرطبي أنه روى ناس عن ابن عباس قال " كَلَّا " الأتصدقون .  
انظر تفسير الماوردي ( ٤١٩ / ٤ ) وتفسير البغوي والخازن ( ٢١٩ / ٧ ) وزاد المسير  
( ٥٤ / ٩ ) وتفسير الرازي ( ٩٢ / ٣١ ) .

(٢) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٥٤ / ٩ ) عن مقاتل أنه قال " إِنَّ كِتَابَ أَعْمَالِهِمْ " .  
وذكر القرطبي في تفسيره ( ٢٥٧ / ١٩ ) فقال : وفي تفسير مقاتل : إِنَّ أَعْمَالَ الْفَجَارِ " .  
وقال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢١٩ / ٧ ) " أَى الَّذِي كَتَبْتَفِيهِ أَعْمَالِهِمْ " .

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره ( ٢٥٧ / ١٩ ) أنه روى ناس عن ابن عباس قال : إِنَّ أَرْوَاحَ  
الْفَجَارِ وَأَعْمَالِهِمْ لَفِي سَجِينٍ وَلَعَلَّهُ يَقْضَى بِذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ  
شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَأَلَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ عَنْ قَوْلِهِ ( كَلَّا إِنَّ  
كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ ) قَالَ : إِنَّ رُوحَ الْفَاجِرِ يَصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ . . . . . إِلَى  
آخِرِ الْأَشْرِ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ قَرِيبًا .

(٤) يدل عليه قوله تعالى فيما بعد ( كِتَابٌ مَرْقُومٌ ) ثم إن كلمة ( كِتَابٌ ) بنفسها تدل على  
أن المراد هو ما يكتب من أعمالهم ، والله أعلم بالصواب .

(٥) ذكر المفسرون في معنى ( سَجِينٍ ) عدة أقوال - وقد أوصلها الماوردي في تفسيره  
( ٤١٩ / ٤ - ٤٢٠ ) إلى ثمانية أقوال - أحدها : أَنَّهُ فَعِيلٌ مِنَ السَّجَنِ ، مَعْنَاهُ :  
لَفِي حَبْسٍ وَضَيْقٍ شَدِيدٍ ، ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ( ٢٨٩ / ٢ ) وَابْنُ قَتَيْبَةَ  
فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ ( ص ٥١٩ ) .

وذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٥٨ / ١٩ ) وعزاه إلى أبي عبيدة والأخفش  
والزجاج ، - وعزاه الماوردي إلى الأخفش وعلي بن عيسى وقال : ولا يمتنع أن يكون  
هو الأصل ، واختلاف التأويلات في محله " هذا ، وذكر عن أبي عبيدة أنه قال  
في معناه : الشديد ، تفسيره ( ٤٢٠ / ٤ ) وهو خلاف ما في كتابه مجاز القرآن .  
انظر أيضا تفسير البغوي ( ٢٢٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ٥٤ / ٩ ) .

قال عطاء الخراساني : هو الأرض السفلى فيها إبليس وذريته (١) .  
 وعن مجاهد : صخرة تحت الأرض السابعة تقلب ويجعل تحتها كتاب الفجار ،  
 وعن الحبر (٣) أنه قال في قوله ( إن كتاب الفجار لفي سجين ) : هو روح الكافر  
 يقبض ويصمد به إلى السماء فتأبى السماء أن تقبله ثم يهبط به إلى الأرض فتأبى الأرض

(١) ذكره الشعلبي في تفسيره (١٣/٥٣/١) .

والبغوي في تفسيره (٧/٢٢٠) والقرطبي في تفسيره (١٩/٢٥٧) وذكر هذا  
 القول ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/٩٤) بلفظ : " وهي الأرض السابعة  
 السفلى ، وهو " فَعْتِيل " من السجن " ثم روى هذا المعنى عن غيـسـر  
 واحد من أئمة التفسير ، منهم مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد .

وذكره البغوي في تفسيره (٧/٢١٩) قال :

" قال عبد الله بن عمرو وقتادة ومجاهد والضحاك : سجين هي الأرض  
 السابعة السفلى فيها أرواح الكفار " .

انظر أيضا تفسير الماوردي (٤/٤١٩) وزاد المسير (٩/٥٤) وتفسير القرطبي  
 (١٩/٢٥٧) .

(٢) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة (ق ١٥٠/١) نسخة طوبقاب سـراي )  
 بسنده عن يحيى بن سليم الطائفي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به .  
 وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٢٥) وعزاه إلى أبي الشيخ في العظمة  
 والمحامل في أماليه .

وأورده الماوردي في تفسيره (٤/٤١٩) وابن الجوزي في زاد المسير  
 (٩/٥٤) ضمن القول السابق وهو أن سجين الأرض السابعة السفلى .  
 وقال ابن الجوزي عقبه : وهذه علامة لخسارتهم ، ودلالة على خسارة  
 منزلتهم " .

(٣) يقصد المؤلف بذلك كعب الأحيار .

أن تقلبه فيهبط به تحت الأرضين فيجعل تحت خد إبليس<sup>(١)</sup> ، وفي بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الفلق جبفي جهنم مغطى والسجين جبفي جهنم مفتوح<sup>(٢)</sup> ، وقوله ( وما أدراك ما سجين ) قال الزجاج : لم يعلمه

(١) أخرجه الحسين المروزي في زوائد الزهد (ص ٤٣٤ رقم ١٢٢٣) وابن جرير في تفسيره (٩٥/٣٠) والشعلبي في تفسيره (١٣/٥٢/ب) كلهم من طريق شمر قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال له ابن عباس : حدثني عن قول الله ( إن كتاب الفجار لفي سجين ) الآية - قال كعب : إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء ، فتأبى السماء أن تقلبها ، ويهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقلبها ، فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين ، وهو خد إبليس ، فيخرج لها من سجين من تحت خد إبليس رقى فيرقم ويختتم ويوضع تحت خد إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة " هذا لفظ الطبري ، ولفظ ابن المبارك أطول منه إذ ذكر فيه تفسير قوله تعالى ( وما أدراك ما عليون ) وللطبري طريق أخرى .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٢٤/٦) مطولاً ، وعزا تخريجه أيضاً إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

وأورده البغوي في تفسيره (٢١٩/٧) والقوطبي في تفسيره (٢٥٧/١٩) وهذا إسناد مقطوع على كعب الأحبار ، وفي سند الطبري محمد بن حميد ضعيف ولكنه تابعه الهيثم بن جميل عند المروزي وهو أحد الأقوال الثمانية التي ذكرها الماوردي في تفسيره (٤٢٠/٤) فإنه قال : الخامس : إنه ( أي سجين ) تحت خد إبليس قاله كعب ، وهو من الاسرائيليات التي اشتهر بها كعب .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٥٠/١) : " والجُبُّ : البئرُ ، مذكور ، وقيل : هي البئر لَهْطَطُوْ ، وقيل : هي الجَيِّدَةُ الموضِع من الكَلَاءِ ، وقيل : هي البئر الكَثيرة الماء البَعيدة القَعْرِ " .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٥/٣٠) : ومن طريقة الثعلبي في الكشف والبيان (١٢/٥٣/١) عن اسحاق بن وهب الواسطي قال : ثنا مسعود بن مسكان الواسطي قال : ثنا نضر بن خزيمه الواسطي عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة مرفوعاً .

ووصف ابن كثير في تفسيره (٤٨٥/٤) هذا الحديث بقوله : " غريب منكسر لا يصح " وهو أيضاً أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون في معنى سجين . انظر تفسير الماوردي (٤٢٠/٤) وتفسير البغوي والخازن (٢٢٠/٧) وتفسير القوطبي (٢٥٨/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٨٥/٤) هذا وقد ذكرت في معناه أقوال أخرى .

أحدها : في سفال ، وهو قول الحسن ، الثاني : في خسار ، وهو قول عكرمة .



٠٠/٠٠

الثالث : أنه حجر أسود تحت الأرض تكتب فيه أرواح الكفار حكاة ابن عيسى .

الرابع : هو ضرب مثل وإشارة إلى أن الله تعالى يود أعمالهم التي ظنوا أنها تنفعهم .

انظر تفسير الماوردي ( ٤١٩٠-٤٢٠ ) وتفسير البغوي والخازن ( ٢٢٠/٧ ) وزاد المسير ( ٥٤/٩ ) وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٨٥/٤ ) بعد أن ذكر بعض هذه الأقوال : والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن . وهو الضيق ، فإذا المخلوقات كل ما تساقط منها ضاق وكن ما تعالى منه اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه ، وكذلك الأرضيون كل واحد أوسع من التي دونها حتى تنتهي السفول المطلق والمحل الأضيئ أن المركز في وسط الأرض السابعة ، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهنئ أسفل السافلين كما قال تعالى " ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) سورة التين الآية ٥ - ٦ ، وقيل ههنا ( كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ، وما أدراك ما سجين ) وهو مجمع الضيئ والسفول كما قال تعالى ( وَإِذَا الْقَوَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) سورة الفرقان الآية ١٣ .

ولكن ذهب ابن جرير وأبو جعفر النحاس إلى اختيار القول بأنه الأرض السفلى وذلك لما جاء في حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ٢٨٨/٤ ) وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم في سياق البيان تقيض روح الكافر : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسماء التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى .... الحديث .

وقد صرح النحاس بأنه أولى ما قيل في معنى سجين . انظر تفسير الطبري ( ٩٦/٣٠ ) وأعراب القرآن ( ٦٥٢/٣ ) وهو يبدو لي أيضا أنه الراجح ، لما يدل عليه حديث البراء بن عازب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعلمه الله<sup>(١)</sup>، وقوله ( كتاب مرقوم ) أى  
كتاب الفجار<sup>(٢)</sup> . وقال بعضهم : كتاب مرقوم يرجع إلى السجين .<sup>(٣)</sup>

(١) ذكر البغوى فى تفسيره (٢٢٠/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٥٤/٩) عن  
الزجاج أنه قال : أى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك . وقال ابن الجوزى :  
هذا تعظيم لأمرها .

انظر أيضا تفسير القرطبي (٢٥٨/١٩) وتفسير الخازن (٢٢٠/٧) .

(٢) قال البغوى فى تفسيره والخازن فى تفسيره (٢٢٠/٧) " ليس هذا تفسير السجين ،  
بل هو بيان للكتاب المذكور فى قوله ( إن كتاب الفجار ) أى هو كتاب مرقوم ، أى  
مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم " . وقد ذكره الرازى فى تفسيره (٩٣/٣١) عن  
القفال فبعد أن ذكر سؤالا مفاده أن الله تعالى أخبر عن كتاب الفجار بأنه  
( فى سجين ) ثم فسّر سجيناً ب ( كتاب مرقوم ) فكانه قيل : إن كتابهم فى كتاب  
مرقوم . فما معناه ؟ قال : أجاب القفال : فقال : قوله ( كتاب مرقوم )  
ليس تفسير السجين ، بل التقدير : كلاً إن كتاب الفجار لى سجين ، وإن كتاب  
الفجار كتاب مرقوم ، فيكون هذا وصفاً لكتاب الفجار بوصفين أحدهما : أنه فى  
سجين ، والثانى : أنه مرقوم ، ووقع قوله ( وما أدراك ما سجين ) فيما بين  
الوصفين معترضاً ، والله أعلم .

ونذكره ابن كثير أيضاً فى تفسيره (٤٨٥/٤) وعزاه إلى محمد بن كعب القرظى ،  
قال : وقوله تعالى ( كتاب مرقوم ) ليس تفسيراً لقوله ( وما أدراك ما سجين ) وإنما هو  
تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين أى مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزد فيه  
أحد ولا ينقص منه أحد - قاله محمد بن كعب القرظى .

(٣) قال بذلك ابن جرير فى تفسيره (٩٦/٣٠) : والقرطبي فى تفسيره (٢٥٨/١٩)  
فقد صرح كل منهما بأن ( كتاب مرقوم ) تفسير أو بيان لقوله ( وما أدراك ما سجين )  
وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٢١/٤) بعد أن ذكر السؤال الذى تقدم ذكره نقلاً  
عن الرازى : قلت : ( سجين ) كتاب جامع هو ديوان الشر ، دون الله فيه  
أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس ، وهو كتاب مرقوم مسطور بين  
الكتابة ، أو معلّم يعلم من رآه أنه لا خير فيه ، فالمعنى : أن ما كتب من أعمال  
الفجار مثبت فى ذلك الديوان .

والأصح ما بيننا<sup>(١)</sup> ، وقوله ( ويل يومئذ للمكذبين ) قد بينا<sup>(٢)</sup> ، وقولسه  
( الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى

(١) ذهب الرازي في تفسيره ( ٩٣/٣١ ) إلى اختيار القول بأنه تفسير للسجين فقال بعد أن ذكر ما تقدم ذكره عن القفال : والأولى أن يقال : وأى استبعاد في كون أحد الكتابين في الآخر ، إما بأن يوضح كتاب الفجار في الكتاب الذي هو الاصل المرجوع إليه في تفصيل أحوال الأشقياء ، أو بأن ينقل ما في كتاب الفجار إلى ذلك الكتاب المسمى بالسجين .

وذكر فيه وجهاً آخر وهو أن يكون المراد من الكتاب الكتابة ، فيكون في المعنى : كتابة الفجار في سجين ، أى كتابة أعمالهم في سجين ، ثم وصف السجين بأنه ( كتاب مرقوم ) فيه جميع أعمال الفجار .

وأما الذين قالوا بأن قوله ( كتاب مرقوم ) ليس تفسيراً للسجين فاضطرهم إلى أن ذلك القول بأن السجين الأرض السفلى ، كما جاء في حديث البراء بن عازب ، ولكن يرد عليه أن قوله تعالى ( وما أدراك ما سجين ) يبقى بدون جواب . ويبدو لسي والله أعلم بالصواب - أن قوله تعالى ( كتاب مرقوم ) تفسير للسجين ، فهـو ديوان أثبتت فيه أعمال الكفار ، وهذا الديوان محله الأرض السفلى كما جاء في الحديث ، وذلك إظهاراً لخساسة منزلة الكفار .

ثم إن المفسرين اختلفوا في معنى المرقوم على أقوال عديدة . ذكر فيه الماوردي في تفسيره ( ٤٢٠/٤ ) ثلاثة أقوال :-  
أخذها : مكتوب ، قاله أبو مالك .  
الثاني : أنه مختوم وهو قول الضحاك .  
الثالث : رقم له بشر لا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد ، قاله محمد بن كعب وقتادة . وقال : ويحتمل قولاً رابعاً ثم إن المرقوم المعلوم .

وذكر البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٢٠/٧ ) والقريطي في تفسيره ( ٢٥٨/١٩ ) ذكروا في القول الثاني ( يعني أنه مختوم ) أنه لفظة حمير . وذكر هذه الأقوال الرازي أيضاً في تفسيره ( ٩٣/٣١ ) وزاد عليها ما نقله عن القفال وهو أنه يحتمل أن يكون المراد أنه جعل ذلك الكتاب مرقوماً ، كما يرقم التاجر ثوبه علامة لقيمته ، فكذلك كتاب الفاجر جعل مرقوماً برقم دال على شقاوته . ونقل في القول الثاني ( يعني أنه مختوم ) عن الواحدى أنه قال : وهو صحيح ، لأن الختم علامة ، فيجوز أن يسمى المرقوم مختوماً .

(٢) ذلك في الورقة ٢٥٢ من الأصل .

عليه آياتنا قال أساطير الأولين ( أى أباطيل الأولين وأكاذيبهم ) (١) ،  
 قوله تعالى ( كلاً بل ران على قلوبهم ) أى غلب على قلوبهم ، قال الفراء :  
 استكروا من المعاصي والذنوب فأحاطت بقلوبهم - (٢) وروى القعقاع بن حكيم  
 عن أبي صالح (٥) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن العبد  
 إذا أخطأ خطيئة نكثت في قلبه نكته فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقلت  
 وإن عاد زيد منها حتى يفلق قلبه فهو الرين الذي قال الله تعالى (٦)

(١) قال القرطبي في تفسيره (٢٥٩/١٩) " وأساطير الأولين : أحاد يشهم  
 وأباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها واحدها أسطورة وإسطارة " .  
 وذكر الرازي في تفسيره (٩٤/٣١) في أساطير الأولين وجهين . أحدهما  
 أكاذيب الأولين ، والثاني : أخبار الأولين وأنه عنهم أخذ ، أى يقدر في  
 كون القرآن من عند الله بهذا الطريق .

(٢) هو قول أبي عبيدة فإنه قال في مجاز القرآن (٢٨٩/٢) " غلب على قلبه ،  
 والخمر ترين على عقل السكران ، والموت يرين على الميت " وهو مروى عن ابن زيد  
 أيضا .

انظر تفسير الطبري (١٠٠/٣٠) وتفسير الماوردي (٤٢٠/٤) .  
 وقال البغوي في تفسيره (٢٢٠/٧) : " وأصل الرين الغلبة ، يقال برانت  
 الخمر على عقله ترين ريناً وريوناً إذا غلبت عليه حتى سكر ، ومعنى الآية :  
 غلبت ، على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها .  
 انظر أيضا تفسير الرازي (٩٤/٣١) ولسان العرب (١٩٢/١٣) .

(٣) قال الفراء في معاني القرآن (٢٤٦/٣) . " يقول : كثرت المعاصي  
 والذنوب منهم ، فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها " .  
 انظر أيضا تفسير القرطبي (٢٥٩/١٩) .

(٤) هو القعقاع بن حكيم الكنانى المدنى .  
 روى عن أبي هريرة ولم يلقه ، وجابر وعائشة وأبي صالح السمان وغيرهم ،  
 وعنه محمد بن عجلان وغيره . ثقة من الرابعة .  
 تهذيب التهذيب (٣٨٣/٨) وتقريب التهذيب ٢٨٢ .

(٥) هو نكوان أبو صالح السمان الزيات المدنى مولى جويرية بنت الأحس الغطفانى ،  
 كان يجلب الزيت إلى الكوفة ، ثقة ثبت ، مات سنة إحدى ومائة .  
 تهذيب التهذيب (٢١٩/٣) ، وتقريب التهذيب (ص ٩٨) .

(٦) فى النسختين ( الدين ) والصواب ( الرين ) كما أثبتته ، وهو كذا فى  
 المصادر الأخرى .

( كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ )<sup>(١)</sup> قال رضى الله عنه اخبرنا به هذا  
الحدِيث الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي<sup>(٢)</sup> أخبرنا أبو طاهر المخلص  
أخبرنا البغوى أخبرنا زغبة<sup>(٣)</sup> عن الليث<sup>(٤)</sup> عن ابن عجلان<sup>(٥)</sup> عن إقعاق بن حكيم  
الحدِيث .

( ١ ) أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب التفسير ، باب ومن " سورة ويل للمطففين " ( ٤٣٤/٥ ،  
٣٣٣٤ ) ، وابن ماجه فى سننه - الزهد - باب ذكر الذنوب ( ٥٦٠ / ٢ - ٥٦١ )  
والإمام أحمد فى مسنده ( ٢٩٧ / ٢ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٩٨ / ٣٠ ) والشلبسى  
فى تفسيره ( ١٢ / ٥٤ / ١ ) والبغوى فى تفسيره ( ٧ / ٢٢٠ ) كلهم من طرق عن محمد  
ابن عجلان عن إقعاق بن حكيم به . بنحوه ، وقال الترمذى : هذا حدِيث  
حسن صحيح .

( ٢ ) هو الشيخ الصالح الزاهد الشريف ، أبو نصر محمد بن محمد بن علي بن حسن بن  
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن  
ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمى العباسى الزينبى  
البغدادى ، ولد فى صفر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة .  
سمع أبا طاهر المخلص وغيرهم . قال السمعانى : أبو نصر شريف زاهد ، صالح  
دين ، متعبد ، هجر الدنيا فى كدائمه ، ومال إلى التصوف وكان منقطعاً فى  
رباط شيخ الشيوخ أبى سعد ، انتهى إليه إسناد البغوى ، ورحل إليه الطلبة ،  
مات سنة تسع وسبعين وأربعمائة .  
انظر الأنساب ( ٣٤٦ / ٦ ) وسير أعلام النبلاء ( ١٨ / ٤٤٣ - ٤٤٥ ) .

( ٣ ) هو عيسى بن حماد بن مسلم بن عبد الله التجيبى أبو موسى المصرى ( فى التقريب :  
الأنصارى ) لقبه زغبة ( بضم الزاى وسكون المعجمة بعد ها موحدة ) وهو لقب  
أبيه أيضا .  
حدثه عن الليث بن سعد فأكثر - وهو آخر من حدث عنه من الثقات . ثقة ، مات  
سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وجاوز التسعين .  
سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٥٠٦ ) وتهذيب التهذيب ( ٨ / ٢٠٩ ) وتقريب التهذيب  
( ص ٢٧٠ ) .

( ٤ ) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث الإمام المصرى - روى عن  
ابن عجلان وغيره ، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور ، مات فى شعبان سنة خمس وسبعين  
ومائة . تهذيب التهذيب ( ٨ / ٤٥٩ ) وتقريب التهذيب ( ٢٨٧ ) .

( ٥ ) هو محمد بن عجلان المدنى القرشى مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة  
أبو عبد الله أحد العلماء العاطلين . صدوق إلا أنه اختلط عليه أحاديث  
أبى هريرة .  
توفى سنة ثمان وأربعين ومائة .  
تهذيب التهذيب ( ٩ / ٣٤١ ) ، تقريب التهذيب ( ٣١١ ) .

ويقال (ران) أى غطى وغشى (١) وهو قريب من الأول . قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يسود قلبه - (٢) وروى نحو هذا عن مجاهد (٣)

(١) ذكره الرازى فى تفسيره (٩٤/٣١) عن الزجاج قال : " ران على قلوبهم - بمعنى غطى على قلوبهم ، يقال : ران على قلبه الذنب يرين ريناً أى غشيه ، والرّين كالصّدأ يغشى القلب ، ومثله الغين ، يقال : غين على قلبه : غطّى ، والغين شجر ملتف " .  
انظر أيضاً تفسير القرطبي (٢٦١/١٩) ولسان العرب (١٩٢/١٣) هذا وقد ذكر الرازى أيضاً عن غيره (أى ابن عبدة والزجاج فى معنى الرّين) . فنقل عن أبى زيد أنه قال : يقال : رين بالرجل يران به ريناً إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ، ونقل عن الليث : ران النعاس والخمر فى الرأس إذا رسخ فيه . وعن أبى معاذ النحوى . قال : الرّين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرّين والإفعال أشد من الطبع ، وهو أن يقفل على القلب راجع أيضاً تفسير القرطبي (٢٥٩/١٩ - ٢٦١) والصحاح (٢١٢٩/٥) ، والمفردات للراغب (ص ٢٠٨) ولسان العرب (١٩٢/١٣) .

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره (٩٨/٣٠) بسنده عن الحسن قال : الذنب على الذنب حتى يموت القلب . وفى لفظ آخر عنه : الذنب على الذنب حتى يعمر القلب فيموت . وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣٢٦/٦) بلفظ : الذنب على الذنب ثم الذنب على الذنب حتى يعمر القلب فيموت . وعزا تخريجه إلى عبد ابن حميد .

(٣) قال مجاهد فى تفسيره (٧٣٨/٢) : " نبئت الخطايا على القلب حتى غمرته وهو الران الذى قال الله عز وجل : " بل ران على قلوبهم " وروى عنه ابن جرير فى تفسيره (٩٩/٣٠ - ١٠٠) هذا المعنى بالفاظ متعددة ، وقال فى إحدى الروايات : انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته . وقال أيضاً : الرجل يذنب الذنب ، فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب عليه " .

وقال أيضاً : القلب مثل الكف ، فإذا أذنب الذنب قبرا أصعباً حتى يقبض أصابعه كلها ، وإن أصحابنا يرون أنه الران " وقد ذكر الماوردى فى تفسيره (٤٢٠/٤) فى معنى (ران) أربعة تأويلات - أحدها : أن " ران " طبع على قلوبهم ، قاله الكلبى - الثانى : غلب على قلوبهم قاله ابن زيد ، وقد تقدم ذكره الثالث : هو ما ذكره المؤلف عن الحسن ، يعنى : ورود الذنب على الذنب حتى يعمر القلب ، الرابع : أنه كالصّدأ يغشى القلب كالغيم الرقيق ، وهذا قول الزجاج .

وذكره القرطبي فى تفسيره (٢٥٩/١٩ - ٢٦١) فى معناه أقوالاً أخرى ، والصحيح هو ما ورد به الحدِيث النبوى الذى تقدم ذكره ، يعنى أنه الذنب على الذنب حتى يسود القلب " .

قوله تعالى ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) في الآية دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى<sup>(١)</sup> ، وقد نقل هذا الدليل عن مالك والشافعي رحمتهما<sup>(٢)</sup> ، قال مالك : لما حجب الله الفجار عن رؤيته دل أنه ليتجلى للمؤمنين حتى يروه .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) نقل أبو شامة في ضوء الساري (ص ١٩٨) وابن الجوزي في زاد المسير (٥٦/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٦١/١٩) عن الزجاج أنه قال : " في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يورى في القيامة ، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة ، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون ، وقال جل ثناؤه : (وجه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ) ( سورة القيامة الآية ٢٢ ، ٢٣ ) فأطم الله جل ثناؤه أن المؤمنين ينظرون إليه ، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه " .

( ٢ ) ذكر الحافظ أبو شامة في ضوء الساري (ص ١٩٣) عن أبي سعد السمعاني أنه قال : استدل مالك بن أنس وابن عيينة والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة من أئمتنا بهذه الآية على أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة ثم قال : " ووجه الاستدلال أن يقال : تخصص الكفار بهذا الحجب دليل على أن المؤمنين لا يكونون محجوبين ولو كان الحجب عاماً مشتركاً بين الفجار والأبرار لما نادى عن الفجار بذلك ، وساق ما حرّمه من الخير وما يلقونه من الشر ، ولما كان كقولك : الكافر لا يبعث قبل يوم القيامة ، وهذا غير مستحسن من القول وإن كان صحيحاً ، إذ لا فائدة في تخصيص الكافر به فكذا القول في حجبهم عن ربهم " .

وقد استدل بهذه الآية على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة من علماء التوحيد الإمام أحمد بن حنبل في الزد على الجهمية (ص ٤٦) والداري في الرد على الجهمية (ص ٥٣) والآجوري في الشريعة (ص ٢٥٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٦٦/٣) . وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٩٩/٦) وتلميذه الحافظ بن القيم في حادي الأرواح (ص ٢٠١) ، وابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٦) .

( ٣ ) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٣/٥٤/١) قال : " قال يحيى بن سليمان ..... سئل مالك بن أنس عن هذه الآية ، قال : لما حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه " ، وذكره بهذا اللفظ البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٦١/٧) وأبو شامة في ضوء الساري (ص ١٩٦) والقرطبي في تفسيره (٢٦١/١٩) . وروى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٦٨/٣) بسنده عن أشهب بن عبد العزيز صاحب مالك قال : قال رجل لمالك : يا أبا عبد الله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة ؟ قال : لو لم يرو المؤمنين ربهم يوم القيامة لم يعيّر الله الكفار بالحجاب فقال : " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " وذكره بهذا اللفظ أيضاً أبو شامة في ضوء الساري (ص ١٩٦) وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٩٩/٦) وعزا تخريجه إلى ابن بطّة .

ومثل هذا رواه الربيع بن سليمان<sup>(١)</sup> عن شافعي ، قال الربيع : قلت للشافعي :  
 أنسرى الله لهذا ؟ فقال : لو لم أوقن إن الله يرى في الجنة لم أعبده فسي  
 الدنيا<sup>(٢)</sup> ، وقد روى هذا الدليل عن أحمد بن يحيى بن ثعلب الشيباني ابن عباس<sup>(٣)</sup>  
 وعن الحسن البصري قال : لو عرف المؤمنون أنهم لا يرون الله في الآخرة لآزَهَقَتْ

( ١ ) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولا هم أبو محمد البصري  
 المؤذن صاحب الشافعي ورواية كتبه عنه . ثقة ، توفي سنة سبعين ومائتين ،  
 وله ست وتسعون سنة .

تهذيب التهذيب ( ٢٤٥ / ٣ ) وتقريب التهذيب ( ص ١٠١ ) .

( ٢ ) روى الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٥٤ / ب ) بسنده عن أبي نعيم عبد الملك بن محمد  
 ابن عدي يقول : سمعت الربيع بن سليمان يقول : كنت ذات يوم عند الشافعي  
 رحمه الله ، وجاءه كتاب من الصيد يسألونه عن قول الله عز وجل ( كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ  
 ربهم يومئذٍ لمحجوبون ) فكتب فيه : لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا  
 يرونه بالرضا ، فقلت له : أو تدبّر وتوقن بهذا يا سيدي ؟ فقال : والله لو لم  
 يوقن محمد بن ادريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا .

وأورده الحافظ ابن القيم في حادي الأرواح ( ص ٢٠١ ) من رواية الحاكم  
 قال : ثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان . . . وذكره بنحوه ، ثم قال : ورواه الطبراني  
 في شرح السنة من طريق الأصم أيضا .

انظر هذا الأثر أيضا في ضوء الساري ( ص ٩٢ ) ( ١ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٢٦١ )  
 وشرح العقيدة الطحاوية ( ص ٢٠٦ ) وروى عنه المزني فقال : سمعت الشافعي يقول  
 في قوله \* كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ ربهم يومئذٍ لمحجوبون \* قال : فيها دلالة على أن أولياء الله  
 يرون ربهم يوم القيامة . . . رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة  
 ( ٣ / ٤٦٨ ) وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ( ٦ / ٤٩٩ ) والحافظ  
 ابن القيم في حادي الأرواح ( ص ٢٠١ ) وابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية  
 ( ص ٢٠٦ ) وعزاه الأخير إلى الطبراني .



أرواحهم في الدنيا<sup>(١)</sup> ، وفي الآية أبين دليل من حيث المعنى على ما قلنا لأنسه ذكر قوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) في حق الكفار عقوبة لهم ، فلو قلنا : إن المؤمنين يحجبون لهم عقوبة الكفار به<sup>(٢)</sup> ، وقد ذكر الكلبي في تفسيره عن

(١) رواه الثعلبي في تفسيره (١٣/٥٤/ب) بسنده عن الربيع بن صبيح وعبد الواحد ابن زياد قالا : قال الحسن : لو علم الزاهدون والمعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت نفوسهم في الدنيا \* وذكره بهذا اللفظ البغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢٢١) وأبو شامة في ضوء الساري (ص ١٩٧) .

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٤/٤٨٥ - ٤٨٦) بعد أن أورد ما رواه المزني عن الشافعي رحمه الله ( وهو أن في هذه الآية دليلاً على أن المؤمنين بيوتهم عز وجل يومئذ ) : وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن ، وهو استدلال بمفهوم الآية ، كما دل عليه منطوق قوله تعالى ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ) سورة القيامة الآية ٢٢ ، ٢٣ ، وكما دل على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة ، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة ، وفي روضات الجنات الفاخرة .

وقال الرازي في تفسيره (٣١/٩٥) عند هذه الآية : " فقد احتج الأصحاب على أن المؤمنين بيوتهم سبحانه وتعالى قالوا : ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ، وفيه تقرب آخر وهو أنه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار ، وما يكون وعيداً وتهديداً للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين ، فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن \* . وقد ذكر بعض أئمة التفسير في تفسير هذه الآية غير ما ذكره أكثر المفسرين ، فقال مجاهد : أي عن كرامته ورحمته ممنوعون ، وقال قتادة : هو أن الله لا ينظر إليهم برحمته ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم \* . ذكرهما البغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢٢١) والقرطبي في تفسيره (١٩/٢٦١) ، وذكر ابن جريو في تفسيره (٣٠/١٠٠) قولين في تفسير الآية فقال : قال بعضهم : معنى ذلك إنهم محجوبون عن كرامته ، ثم روى بسنده ما تقدم ذكره عن قتادة .

وقال : وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنهم محجوبون عن رؤيته . ثم روى بسنده عن الحسن ما يدل على هذا المعنى ، وتوقف في هذين القولين فلم يقطع بواحد منهما لأن الآية عامة ، وليس هناك ما يدل على تخصيصه بشئ \* منهما ، وقد صرح الثعلبي في تفسيره (١٢/٥٤/ب) والبغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢٢١) والقرطبي في تفسيره (١٩/٢٦١) بأن الذين عليه الجمهور هو أنهم محجوبون عن رؤيته فلا يرونه \* .

وقال النجاشي في أعراب القرآن (٣/٦٥٤) عند هذه الآية \* في معناه قولان : أحدهما : أنه دل بهذا على أن المؤمنين لا يحجبون عن النظر إليه جل وعز . . . . .

والقول الآخر : أن التقدير : عن كرامة ربهم ، مثل : وأسأل القرية " . ثم قال النحاس في هذا القول : هذا خطأ على مذهب النحويين منهم الخليل وسيبويه ، ولا يجوز عندهما ولا عند غيرهما من النحويين : جاءني زيد ، بمعنى جاءني غلامه ، وجاءني كرامته " .

وقال الخازن في تفسيره ( ٢٢١ / ٧ ) في هذا القول : " وهذا التفسير فيه ضعف ، أما حمله على منع الكرامة والرحمة عدول عن الظاهر بغير دليل " وكذلك ضعف القول بأن معناه : فإن لا ينظر إليه نظر رحمة ولا يركيه ، فالصحيح أنهم محبوبون عن رؤيته الله " . وقد أجاب المعتزلة الذين ينكرون رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة - أجابوا عن هذه الآية بعدة أجوبة : أحدها : قال الجبائي : المراد أنهم عن رحمة ربهم محبوبون ، أي ممنوعون كما يقال في الفرائض : الإخوة يحجبون الأم على الثلث ، ومن ذلك يقال لمن يمنع من الدخول هو حاجب ، لأنه يمنع من رؤيته ، والثاني : قال أبو مسلم ( لمحبوبون ) أي غير مقربين ، والحجاب الرد وهو ضد القبول ، والمعنى : هو لا المنكرون للبعث غير مقبولين عند الله ، وهو المراد من قوله تعالى ( ولا يكفهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ) .

والثالث : قال القاضى : الحجاب ليس عبارة عن عدم الرؤية . فإنه قد يقال : حجب فلان عن الأمير ، وإن كان قد رآه من البعد ، وإن لم يكن الحجاب عبارة عن عدم الرؤية سقط الاستدلال بل يجب أن يحمل على صيرورته ممنوعاً عن وجدان رحمته تعالى ، والرابع : قال الزمخشري : كونهم محبوبين عنه تشبيل للاستخفاف بهم وإهانتهم ، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا الأذنياء المهانون عندهم ، الكشاف ( ٧٢٢ / ٤ ) وقد ذكر هذه الأجوبة وغيرها أبوشامة في ضوء السارى ( ١٩٨ - ٢٠١ ) والرازي في تفسيره ( ٩٦ / ٣١ ) مع العلم بأن هذه الآية ليست وحدها تدل على رؤية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى ، بل هناك آيات أخرى وأحاديث متواترة تدل على ذلك ، وقد تقدم ذكر البعض منها في ص ( ٢٢٧ - ٢٢٨ ) وذكر أبوشامة في ضوء السارى ( ص ٢٠١ ) بعد أن سرد ما فسر به المعتزلة ومن على شاكلتهم هذه الآية : أن هناك ما يدل على جواز رؤية الله تعالى عقلاً وأن لا استحالة فيها ، وإن كان كذلك فالوجه حمل الكلام على الحقيقة أو ما هو أقرب إلى الحقيقة ، والعدول عن إضمار ما الكلام مستغن عنه من حذف مضاف ونحوه ، فإن رجحان تفسير ذلك بالحجب عن رؤية الله تعالى التي قام الدليل على جوازها عقلاً ووقوعها سمعاً في الآخرة للمؤمنين والله أعلم .

وقال الرازي في تفسيره ( ٩٦/٣١ ) بعد أن ذكر هذه الأجوبة عن الممتزلة :  
 (الجواب ) لاشك أن من منع من رؤية شيء يقال : إنه حجب عنه ، وأيضاً من  
 منع من الدخول على الأمير يقال إنه حجب عنه ، وأيضاً يقال : الأم حجبت عن  
 الثلث بسبب الإخوة ، وإننا وجدنا هذه الاستعمالات وجب جعل اللفظ حقيقة فسي  
 مفهوم مشترك بين هذه المواضع دفعاً للاشتراك في اللفظ وذلك هو المنع ،  
 ففي الصورة الأولى حصل المنع من الرؤية وفي الثانية حصل المنع من الوصول إلى  
 قربة ، وفي الثالثة حصل المنع من استحقاق الثلث ، فيصير تقدير الآية : كلا إنهم  
 عن ربهم يومئذ ممنوعون ، والمنع إنما يتحقق بالنسبة إلى ما ثبت للعبد بالنسبة  
 إلى الله تعالى ، وهو إما العلم وإما الرؤية .

ولا يمكن حمله على العلم ، لأنه ثابت بالاتفاق للكفار فوجب حمله على الرؤية ،  
 أما صرفه إلى الرحمة فهو عدول عن الظاهر من غير دليل ، وكذا ما قاله صاحب  
 الكشاف ترك للظاهر من غير دليل ، ثم الذي يؤكد ما ذكرناه من الدليل أقوال  
 المفسرين ، ثم سرد أقوال بعض أئمة التفسير .

ابن عباس في هذه الآية : إن المؤمنين يرونه في الجنة ، ويحجب الكفار ، وعن الحسين بن الفضل<sup>(٣)</sup> قال : كما حجبهم في الدنيا عن توحيد كذا في الآخرة عن رويته<sup>(٤)</sup> وقوله : ( ثم إنهم لصالوا الجحيم ) أي لدخلوا الجحيم ، وقوله<sup>(٥)</sup> ( ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ) يقال لهم ذلك على

( ١ ) تكرر كلمة ( يحجب ) في الأصل .

( ٢ ) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٥٦ / ٩ ) دون عزو إلى أحد ، قال : قال ابن عباس : إنهم عن النظر إلى ربهم يومئذ لمحجوبون ، والمؤمن لا يحجب عن رويته \* وذكر الرازي في تفسيره ( ٩٦ / ٣١ ) عن الكلبي أنه قال : " يقول : إنهم عن النظر إلى روية ربهم لمحجوبون ، والمؤمن لا يحجب عن روية ربه " .

وذكر الزمخشري في الكشاف ( ٧٢٢ / ٤ ) عن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة أنهم قالوا : محجوبين عن رحمته \* .

وفي صحة نسبه إلى ابن عباس نظر ، ولا يؤمن الزمخشري في النقل ، وعلى فرض صحته عنه فليست هذه الآية وحدها هي التي تدل على صحة الرواية ، وأما عن قتادة فروى عنه الطبري في تفسيره ( ١٠٠ / ٣٠ ) أنه قال : هو لا ينظر إليهم ولا يزكهم ، ولهم عذاب أليم \* .

وأما ابن أبي مليكة فروى عنه أيضا الطبري أنه قال في تفسير الآية : المنان والمختال والذي يقطع أموال الناس بيمينه بالباطل \* وتقدم الجواب عما قاله قتادة .

( ٣ ) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري أبو علي ، ولد قبل الثمانين ومائة ، قال فيه الحاكم : إمام عصره في معاني القرآن ، وقال أيضا : سمعت ابراهيم بن ضارب سمعت أبي يقول : كان علم الحسين بن الفضل بالمعاني إلهاماً من الله ، فإنه كان قد تجاوز حد التعليم ، ووصفه الذهبي بقوله : العلامة المفسر الإمام اللغوي المحدث . . . عالم عصر \* توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

سير أعلام النبلاء ( ٤١٤ / ١٣ - ٤١٦ ) وطبقات المفسرين ( ١٥٩ / ١ ) .

( ٤ ) ذكره الثعلبي في تفسيره ( ٥٤ / ١٢ ب ) والبغوي في تفسيره ( ٢٢١ / ٧ ) والقوطبي في تفسيره ( ٢٦١ / ١٩ ) .

( ٥ ) كذا فسره البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٢١ / ٧ ) وقال ابن جرير في تفسيره ( ١٠١ / ٣٠ ) : " ثم إنهم واردوا الجحيم ، مشويون فيها " وقال القوطبي في تفسيره ( ٣٦٢ / ١٩ ) : " أي ملازموها ، ومحترقون فيها غير خارجين منها \* وكل هذه المعاني قريبة ، وقد تقدم ذكر معناه اللغوي في تفسير سورة الإنفطار عند قوله تعالى ( يصلونها يوم الدين ) الآية ١٥ ( ص ٥٠٩ ) .

سبيل التوبيخ والتعيير (١) . وقوله ( كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليين ) قال الفراء : ارتفاع بعد ارتفاع (٢) ، وقال كعب : يقبى روح المؤمن فيصعد به إلى السماء فيلتقاه الملائكة إلى أن يبلغ السماء السابعة فيوضع تحت العرش (٣) . يقال : إن الكتاب هو كتاب الأعمال (٤) ، وقد بينا أنه أظهر القولين (٥) .

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٤/٤٨٦) عند هذه الآية : "أى يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتصفير والتحقيق" .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن (٣/٢٤٧) مرة في معنى (عليين) "عليون : ارتفاع بعد ارتفاع ، وكأنه لا غاية له" وقال مرة أخرى : وهو شئ فوق شئ" .

(٣) أخرجه الحسين المروزي في زوائد الزهد (ص ٤٣ رقم ١٢٢٣) وابن جريو الطبري في تفسيره (٣٠/١٠٢) بسندهما عن يعقوب بن عبد الله القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر عن كعب الأحمار أن ابن عباس سأله عن قول الله عز وجل "إن كتاب الأبرار لفي عليين ، وما أدراك ما عليون" . قال : إن روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء فيفتح لها وتلقاه الملائكة بالبشرى ، حتى ينتهي بها إلى العرش ، وتخرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيختتم وبرقم ويوضيغ تحت العرش بمعرفة النجاة للحساب يوم القيامة ، فذلك قول الله تعالى "كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليين ، وما أدراك ما عليون ، كتاب مرقوم" .

هذا سياق المروزي ، وقد ذكر بعده معنى (سجين) وتقدم بيانه فسي محله ، وأما الطبري فذكره إلى قوله (ثم يختم بمعرفتها النجاة بحساب يوم القيامة ، وتشهد الملائكة المقربون) وتقدم أن إسناده مقطوع ، ولا يستبعد أن يكون قد أخذه من الاسرائيليات .

(٤) ذكر المؤلف في قوله تعالى (كلاً إن كتاب الأبرار) قولين كما ذكر في قوله (كلاً إن كتاب الفجار) قولين .

أحدهما : أن المراد أرواح المؤمنين ، ذكر القرطبي في تفسيره (١٩/٢٦٢) عن الضحاك ومجاهد وقتادة : يعني أن السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين ، وهذا الذي يدل عليه أثر كعب .

الثاني : أن المراد أعمالهم ، ذكر القرطبي في تفسيره (١٩/٢٦٢) عن ابن عباس أنه قال : أعمالهم في كتاب الله في السماء ، وفي رواية أخرى : قال : أخبر أن أعمالهم وأرواحهم في السماء الرابعة" .

والمعنى : أنه يوضع في أعلى الأمكنة إظهاراً لخسة عمل  
الفجار (١) .

(١) اختلف المفسرون في معنى (عَلِيَّين) على عدة أقوال . وقد أوصلها  
ابن الجوزي في زاد المسير (٥٧/٩) إلى سبعة أقوال . أحدها : أنها  
الجنة - رواه عطاء عن ابن عباس .

وقد ذكر هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠٢/٣٠) ورواه من  
طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس \* انظر أيضا تفسير الثعلبي (١/٥٥/١٣)  
وتفسير الماوردي (٤٢١/٤) وتفسير البغوي والخازن (٢٢١/٧) وتفسير  
ابن كثير (٤٨٦/٤) .

والثاني : أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش فيه أعمالهم  
مكتوبة ، روى عن ابن عباس أيضا .

وذكره الثعلبي في تفسيره (١/٥٥/١٣) والبغوي والخازن في تفسيرهم  
(٢٢١/٧) والقرطبي في تفسيره (٢٦٢/١٩) .

والثالث : أنها السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين ، قاله كعب وهو  
مذهب مجاهد وابن زيد .

وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠١/٣٠) ورواه عن المذكورين وروى في  
هذا المعنى حديث مرفوع أخرجه الثعلبي في تفسيره (١/٥٥/١٣) بسنده  
عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عَلَيَّونَ فِي السَّمَاءِ  
السَّابِعَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ .

وروى ذلك عن ابن عباس أيضا ، وجاء في رواية عنه أنه قال : "إنها  
السماء الرابعة" .

انظر أيضا تفسير عبد الرزاق (ق ١/١٦٩) وتفسير مجاهد (٧٣٩/٢)

وتفسير الماوردي (٤٢١/٤) وتفسير البغوي والخازن (٢٢١/٧) وتفسير الرازي

(٩٧/٣١) وتفسير القرطبي (٢٦٢/١٩ - ٢٦٣) .

والرابع : أنها قائمة العرش اليمنى - قاله قتادة .

وقال مقاتل : ساق العرش ( انظر تفسيره ق ١/٣٨٩ ) وذكره

ابن جرير في تفسيره (١٠٢/٣٠) ورواه بسنده عن قتادة .

انظر أيضا تفسير الثعلبي (١/٥٥/١٣) وتفسير البغوي (٢٢١/٧)

وتفسير الماوردي (٤٢١/٤) وتفسير الرازي (٩٧/٣١) وتفسير القرطبي

(٢٦٢/١٩) وعزا بعضهم هذا القول إلى كعب أيضا .

---

٠٠/٠٠

والخامس : أنه سدرة المنتهى - قاله الضحاك . وذكره ابن جريو في تفسيره ( ١٠٢/٣٠ ) ورواه بسنده عن الضحاك . انظر أيضا تفسير الماوردي ( ٤٢١/٤ ) وتفسير البغوي ( ٢٢١/٧ ) وتفسير الرازي ( ٩٧/٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٢٦٢/١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٨٦/٤ ) .

والسادس : أنه في علو وصعود إلى الله عز وجل ، قاله الحسن . انظر أيضا تفسير الماوردي ( ٤٢١/٤ ) .

والسابع : أنه أعلى الأمكنة ، قاله الزجاج .

انظر أيضا تفسير الرازي ( ٩٧/٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٢٦٢/١٩ ) وهذا الذي اختاره المؤلف - وهناك أقوال أخرى ذكرها القرطبي ووقف ابن جريو في هذه الأقوال ولم يقطع بواحد منها ، قال : " العلويون جمع معناه : شيء فوق شيء ، وعلو فوق علو ، وارتفاع فوق ارتفاع ، وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة ، وإلى سدرة المنتهى ، وإلى قائمة العرش ، ولا خبر يقطع العذر بأنه معني به بعض ذلك دون بعض " وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٨٦/٤ ) : " والظاهر أن عليين مأخوذ من الملو ، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ، ولهذا قال تعالى معظماً أمره ومفخماً شأنه ( وما أدراك ما عليون ) .

وقوله ( وما أدراك ما عليون ) قال الزجاج : لم يدر حتى أعلم الله ، وقوله ( كتاب مرقوم يشهده المقربون ) أي كتاب مكتوب . أو كتاب عليه علامة ،

( ١ ) لم أجد من ذكر عنه هذا الكلام . وقال القرطبي عند تفسيره هذه الآية : " أي ما الذي أعلمك يا محمد : أي شيء عليون ؟ على جهة التعظيم والتفخيم له في المنزلة الرفيعة " .

( ٢ ) تقدم ذكر الخلاف في معنى الرقم في ( ٥٢٩ ) وقال البغوي في تفسيره ( ٢٢١/٧ ) عند هذه الآية :

" أي مكتوب أعمالهم كما ذكرنا في كتاب الفجار ، وقيل : كتب هناك ما أعد الله لهم من الكرامة وهو معنى قول مقاتل ، وقيل : رقم لهم بخير ، وقال الرازي في تفسيره ( ٩٧/٣١ ) .

" أما قوله تعالى ( كتاب مرقوم ) ففيه تأويلان ، أحدهما : أن المراد بالكتاب المرقوم كتاب أعمالهم ، والثاني : أنه كتاب موضوع في عليين كتب فيسه ما أعد الله لهم من الكرامة والشواب " .

واختلف المفسرون في قوله تعالى ( كتاب مرقوم ) فقال بعضهم : إنه تفسير لعليين ، ذكر الرازي في تفسيره ( ٩٧/٣١ ) عن أبي مسلم أنه قال : " المراد من الكتاب الكتابة ، فيكون المعنى أن كتابة أعمال الأبرار في عليين ، ثم وصف عليين بأنه كتاب مرقوم فيه جميع أعمال الأبرار " .  
انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢٦٣/١٩ ) .

وقال البغوي في تفسيره ( ٢٢١/٧ ) " ( كتاب مرقوم ) ليس هذا بتفسير ( عليين ) بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله ( إن كتاب الأبرار لفي عليين ) وتقدير الآية على التقديم والتأخير ، مجازها إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم في عليين .

وذكر هذا القول القرطبي أيضا في تفسيره ( ٢٦٣/١٩ ) وقال الزمخشري : " ( عليين ) علم لديوان الخبر الذي دون فيه كل ما علمته الملائكة وصلاح الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو كسجين من السجن ، سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعلى الدرجات في الجنة وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة ، " الكشاف ( ٧٢٢/٤ ) .

ويبدو لي هنا أيضا أن ديوان أثبتت فيه جميع أعمال الصالحين ، ومحلها السماء السابعة ، كما جاء في حديث البراء بن عازب الذي تقدمت الإشارة إليه فقد ورد فيه عن أرواح المؤمنين " حتى ينتهوا به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبد في عليين " الحديث .



يشهده الملائكة<sup>(١)</sup> ، وقيل : يشهده مقربوا كل سما<sup>(٢)</sup> ، قوله تعالى ( إن الأبرار لفي نعيم ) أى فى نعيم الجنة .<sup>(٣)</sup>

وقوله ( على الأرائك ينظرون ) الأرائك جمع أريكة وهى السرر فى الحال كما بينا<sup>(٤)</sup> ، وقوله ( تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ) أى بهجة النعيم وحسنها . وهو مثل قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة )<sup>(٥)</sup> وقوله ( يسقون من رحيق مختوم ) روى

مسروق عن ابن مسعود وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنهما قالا : الرحيق ————— ق ٣٢٣/أ

( ١ ) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٢١ / ٧ ) : " يعنى الملائكة الذين فى عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب ، وذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين " وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٥٨ / ٩ ) : " أى : يحضر المقربون من الملائكة ذلك المكتوب ، أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين " .

( ٢ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٠٤ / ٣٠ ) : " يقول : يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبر من عباده من النار وفوزه بالجنة المقربون من ملائكته من كل سما من السموات السبع " .

شعوى هذا المعنى عن ابن عباس والضحاك . وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٦٤ / ١٩ ) : " أى يشهد عمل الأبرار مقربوا كل سما من الملائكة " وقال وهب وابن اسحاق : المقربون هنا اسراقيل عليه السلام " .

( ٣ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٠٤ / ٣٠ ) " يقول تعالى ذكره : إن الأبرار الذين برؤا باتقاء الله وأداء فرائضه لفي نعيم دائم ، لا يزول يوم القيامة وذلك نعيمهم فى الجنان " وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٦٤ / ١٩ ) : " ( لفي نعيم ) أى نعمة ، والنعمة بالفتح : النعيم ، يقال نعمه الله وناعمه فتنعم ، وامرأة منعمة ومنعمة بمعنى أى : إن الأبرار فى الجنات يتنعمون " .

( ٤ ) تقدم معناه فى ص ( ٢٧٥ ) .

( ٥ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٠٥ / ٣٠ ) " يقول تعالى ذكره : تعرف فى الأبرار الذين وصف صفتهم نضرة النعيم ؛ يعنى حسنه وبريقه وتألوه " وقال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٢٢ / ٧ ) : " إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى فى وجوههم من النور والحسن والبياض ، قال الحسن : النضرة فى الوجه والسرور فى القلب " وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٢١ / ٤ ) فى هذه الآية ثلاثة أقاويل : أحدها : أنها الطراوة والفضارة قاله ابن شجرة ، الثانى : أنها البياض ، قاله الضحاك . الثالث : أنها عين فى الجنة يتوضأون منها ويفتسلون فتجربى عليهم نضرة النعيم ، قاله علي . وقال : ويحتمل ( رابعاً ) أنها استمرار البشرى بدوام النعمة " . وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى - سوى ما ذكره عن علي . فلم أتمكن من معرفة صحة نسبته إليه ، لعدم المعرفة بسند هذا الأثر ، وقد أورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٢٨ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر " .

( ٦ ) سورة القيامة الآية ٢٢ ، ٢٣ .

هو الخمر ، (١) وقيل : هو الشراب الذي لا غش فيه (٢) ، وقوله ( مختوم ) أى لم

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠٦/٣٠) بسنده عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن سروق عن عبد الله بن مسعود قال : الرحيق : الخمر .  
وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٢٨/٦) وعزا تخريجه إلى سعيد ابن منصور وهناد وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث .

أما سعيد بن جبير عن ابن عباس فلم أجد من رواه من طريقه وقد رواه ابن جرير في تفسيره (١٠٥/٣٠) من طريق علي ابن أبي طلحة وعطية بن سعد العوفى عن ابن عباس قال : الرحيق الخمر .

ورواه أيضا عن مجاهد وقادة وابن زيد والحسن وهو قول الجمهور من المفسرين ، ولكنهم اختلفوا أى الخمر هي . على أربعة أقوال :-  
أحدها : أنها الصافية حكاها ابن عيسى ، الثاني : أنها أصفى الخمر وأجودها ، قاله الخليل ، الثالث : أنها الخالصة من غش قاله الأخفش .

الرابع : أنها العتيقة حكاها ابن قتيبة ( انظر تفسير غريب القرآن (٥١٩) .  
ذكرها الماوردي في تفسيره (٤٢١/٤) وذكرها ابن الجوزي أيضا في زاد المسير (٥٨/٩) ولكنه لم يذكر القول الأول وهو أنها الصافية بل ذكر بدله : أنها الخمر البيضاء ، قاله مقاتل " - وذكر القرطبي في تفسيره (٢٦٤/١٩) بعض هذه الأقوال ، وقال : والمعنى واحد .

(٢) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٨٩/٢) .

" الرحيق : الذي ليس فيه غش ، رحيقٌ مُعَرَّقٌ من سكر أو خمر " .

وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥١٩) " الشراب الذي لا غش فيه " وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥٨/٩) من قول قتادة والزجاج - والقرطبي في

تفسيره (٢٦٤/١٩) من قول الأخفش والزجاج - انظر أيضا لسان العرب (١١٤/١٠)

وذكر الماوردي في تفسيره (٤٢١/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٥٨/٩) :  
أنه عين في الجنة مشوبة بالسك ، قاله الحسن .

والصواب ما عليه الجمهور وهو أنه الخمر ولا يكون في الجنة إلا ما هو أجود

الخمور وأضفاها قال حسان بن ثابت :

يَشْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ طَيِّبِمْ  
بَرْدَى يُضَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

انظر ديوانه (ص ١٨٠) انظر أيضا تفسير القرطبي (٢٦٥/١٩) .

تسمه الأبيدي ، وقوله ( ختاه مسك ) قال ابراهيم النخعي وسعيد بن جبير :  
آخره رائحة المسك وطعمه طعم البن الأشربة ، وعن جماعة من المفسرين أنهم قالوا :  
إذا بلغ آخر الشرب وجد رائحة المسك . والمعنى أن الشراب الذي يكون في الدنيا يكون في

( ١ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٢٢/٧ ) :  
" ( مختوم ) ختم ومنع من أن تسمه يد إلى أن يفك ختمه الأيسرار ،  
قال مجاهد : مختوم مطين - وذكره بنحوه الثعلبي في تفسيره ( ١/٥٥/١٢ )  
وذكر الرازي في تفسيره ( ٩٩/٣١ ) عن مجاهد أنه قال : مختوم مطين ، ثم  
نقل عن الواحدى أنه قال : كان مراده ( أى مجاهد ) من الختم بالطين :  
هو أن لا تسمه يد إلى أن يفك ختمه الأيسرار ، وذكر هذا القول الماوردى  
في تفسيره ( ٤٢١/٤ ) وابن الجوزى في زاد المسير ( ٥٨/٩ ) بلفظ : مختوم  
على إنائه بالختم .  
وقال ابن الجوزى : وإلى نحو هذا ذهب مجاهد .

وذكر في معنى هذه الكلمة أوجه أخرى .  
أحدها : له ختام ، أى عاقبة ربح ، وتلك العاقبة هي قوله تعالى  
( وختاه مسك ) أى عاقبته ، وهو قول أبي عبيدة ، انظر مجاز القرآن  
( ٢٨٩/٢ ) وذكره عنه ابن الجوزى في زاد المسير ( ٥٩/٩ ) وذكره السوازي  
في تفسيره ( ٩٩/٣١ ) وعزاه إلى أبي عبيدة والمبرد والزجاج .

الثانى : معزج ، قاله ابن مسعود .  
ذكره الماوردى في تفسيره ( ٤٢١/٤ ) وابن الجوزى في زاد المسير  
( ٥٨/٩ ) والرازي في تفسيره ( ٩٩/٣١ ) ونقل عن الواحدى أنه قال : " وليس  
بتفسير لأن الختم لا يكون تفسيره المزج ، ولكن لما كانت له عاقبة هي ربح المسك  
فسره بالتمزج ، لأنه لو لم يتمزج بالمسك لما حصل فيه ربح المسك .

الثالث : أنه غدوان الخمر ، حكاه الماوردى في تفسيره ( ٤٢١/٤ ) وذكره  
أبو رواه أبي بن كعب مرفوعاً .

الرابع : قال القفال : يحتمل أن هو " يسقون من شراب مختوم قد ختم عليه  
تكريماً له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان ، وهناك خمر آخر  
تجرى منها أنهار كما قال ( وأنهار من خمر لذة للشاربين ) سورة محمد الآية ١٥  
حكاه الرازي في تفسيره ( ٩٩/٣١ ) وذكر أنه أقرب من جميع الوجوه ، وقال الماوردى  
في قول مجاهد : وهو الظاهر ويبدولي أن ما قاله القفال ومجاهد في معنى واحد ،  
وأبه الأقرب إلى الصواب ، وأما الحديث الذي ذكره الماوردى فلم أجده ، ولم أتمكن  
من معرفة صحته .

( ٢ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ١٥٧/٣٠ ) بسنده عن ابراهيم النخعي والحسن  
البحري أنهما قالا في هذه الآية : عاقبته مسك " أما سعيد بن جبير فذكر عنه  
السيوطى في الدر المنثور ( ٣٢٨/٦ ) " ( ختاه مسك ) قال : آخر طعمه  
مسك " وعزاه تخريجه إلى ابن أبي شيبه وابن حميد . وذكر عنهما القرطبي في  
تفسيره ( ٢٦٥/١٩ ) أنهما قالا : ختاه : آخر طعمه .

. . / . .

وذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير (٥٩/٩) بلفظ "إن آخر طعمه مسك وقال : قاله سعيد بن جبير والفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج في آخرين :

وذكره الرازي في تفسيره (٩٩/٣١) قال : المراد من قوله ( ختامه مسك ) أي عاقبته المسك أي يختم له آخره بريح المسك ، وهذا الوجه مطابق للوجه الذي حكيناه عن أبي عبيدة في تفسير قوله ( مختوم ) كأنه تعالى قال : من رحيق لسه عاقبة ، ثم فسرتلك العاقبة فقال : تلك العاقبة مسك ، أي من شربه كان ختم شربه على ريح المسك ، وهذا قول طقمة والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتل وقادة قالوا : إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك .

وذكر المفسرون في معناه أوجها أخرى .

- أحدها : أن مزاجه وخالطه مسك ، قاله ابن مسعود .
- والثاني : أن ختمه الذي يختم به الإناء مسك ، قاله ابن عباس .
- والثالث : أن طعمه وريحه مسك ، قاله طقمة .
- والرابع : أن طينه مسك ، قاله مجاهد .

ونقل الرازي عن القفال أنه قال : معناه أن الذي يختم به رأس قارورة ذلك الرحيق هو المسك ، كالطين الذي يختم به رؤوس القوارير ، فكان ذلك المسك طبياً ينطبع فيه الخاتم . واختار ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠٢/٣٠) القول بأن معناه آخره وعاقبته مسك ، أي هي طيبة الريح ، إن ريحها في آخر شرابهم يختم لها بريح المسك ، ودليل على اختياره هذا بأن الختم في كللام المسك لا يستعمل إلا في معنى الطبع والختم ، وليس هناك وجه لمعنى الطبع على شراب أهل الجنة لأنه جار جزي الماء في الأنهار وليس معتقاً في الدنان فيطين عليها ويختم ، فيتمين أن الصحيح الوجه الثاني وهو العاقبة والمشروب آخراً ، وهو الذي ختم به الشراب ، وأما الختم بمعنى المزج فلا نعلمه مسوعاً من كلام العرب .

وذكر الثعلبي أيضاً نحو هذا المعنى . انظر تفسيره (١/٥٦/١٣) وقال القرطبي في تفسيره (٢٦٥/١٩) بعد أن ذكر قول النخعي وسعيد بن جبير : وهو حسن ، لأن سبيل الأشرية أن يكون السكر في آخرها ، فوصف شراب أهل الجنة بأن رائحة آخره رائحة المسك .

راجع أيضاً تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٠) وتفسير الماوردي (٤٢٢/٤) وتفسير البغوي (٢٢٢/٧) وزاد المسير (٥٩/٩) وتفسير الرازي (٩٩/٣١) .

آخره الكدر وما تركه النفس ، فذكر الله تعالى أن شراب الآخرة على خلافه ، وقرأ على رضى الله عنه ( خَاتَمَهُ سَكَ )<sup>(١)</sup> وقرأ عيسى بن عمر ( خَاتَمَهُ سَكَ ) بكسر التاء<sup>(٢)</sup> ،

( ١ ) يرواه الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٥٦ / ١ ) بسنده عن عطاء بن السائب عن ابن عبد الرحمن السلمي عن علي رضى الله عنه أنه قرأ ( خاتمه سكا ) - يعنى بخاء مفتوحة ، بعد ها ألف ، بعد ها تاء مفتوحة ، وقد اختار هذه القراءة من القراء السبعة الكسائي ، وعزاها القيسى أيضا إلى ابن عباس وعلقمة والنخعي وقادة والضحاك . وقرأ الباقر من السبعة بكسر الخاء ويفتح التاء وبالف مرفوعة الميم .

وقال القيسى : وحجة من قرأ بالف بعد التاء أن حطه على معنى " آخره سكا " كما قال ( وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ) أى آخرهم ، والمعنى " أنه لذىذ الآخر ، ذكى الرائحة فى آخره " .

ثم قال : وحجة من قرأ بالف قبل التاء أنه جعله اسماً لما يُخْتَمُ بِهِ الكأس بدلالة قوله : ( مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ) فأخبر أنه مختوم ، ثم بين هيئة الخاتم ، فقال " خاتمه سكا " .

انظر الكشف عن وجوه القراءات ( ٢ / ٣٦٦ ) انظر أيضا التيسير ( ص ٢٢١ ) وحجة القراءات ( ص ٧٥٤ ) . واختار ابن جرير من هاتين القراءتين قراءة الجمهور لإجماع الحجة من القراء عليها ، ثم قال : والخاتم والخاتم وإن اختلفا فى اللفظ فإنهما متقاربان فى المعنى غير أن الخاتم اسم ، والختام مصدر . انظر تفسيره ( ٣٠ / ١٠٧ ) انظر أيضا معانى القرآن ( ٣ / ٢٤٨ ) وتفسير البهوى ( ٧ / ٢٢٢ ) وزاد المسدير ( ٩ / ٥٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٢٦٥ ) والبحر المحيط ( ٨ / ٤٤٢ ) .

( ٢ ) هو عيسى بن عمر أبو عمر الهمدانى الكوفى ، عرف بالهدانى ، وإنما هو من موالى بنى أسد ، أخذ القراءة عرضاً عن طلحة بن مصرف ، وعاصم بن بهدلة ، والأعشى ، وكان يقربى أهل الكوفة بعد حمزة .

وثقه يحيى بن معين ، وقال سفيان الثورى : أدركت الكوفة وما بها أحد أقرأ من عيسى الهمدانى ، مات سنة ست وخمسين ومائة ، .  
معرفة القراء الكبار ( ١ / ٩٩ ) ، سيرة أعلام النبلاء ( ٧ / ١٩٩ ) .

( ٣ ) ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٥٩ ) عن الشيرازى أنه قرأ ( خَاتَمَهُ ) بكسر التاء ، وذكر هذه القراءة أبو حيان فى البحر المحيط ( ٨ / ٤٤٢ ) والالوسى فى روح المعانى ( ٣٠ / ٧٥ ) ونسبها إلى الضحاك وعيسى وأحمد بن جبيرة الأنطاكي عن الكسائي .

وقيل في معنى قوله تعالى ( خاتمه سك ) بفتح التاء : أى طيبه  
سك ، وفى قوله ( خاتمه سك ) بكسر التاء : أى آخره وعاقبته ، وقوله ( وفى  
ذلك فليتنافس المتنافسون ) أى فليتبادر المتبادرون ، والمنافسة : إظهار  
شدة الطلب ، وقيل هى المسابقة إلى التحصيل ، وقوله ( ومزاجه من تسنيم ) قال

( ١ ) لم أجد من ذكر هذا الفرق بين القراءتين .

وقد أشار إليهما الزمخشري في الكشاف ( ٧٢٣ / ٤ ) فقال : وقسوى  
: خاتمه بفتح التاء وكسرها أى : ما يختم به ويقطع . وقال أبوحيان في البحر  
المحيط ( ٤٤٢ / ٨ ) بعد أن ذكر قراءة الكسائي ( أى خاتمه بفتح التاء ) :  
وهذه بنية المعنى إنه يراد بها الطبع على الرقيق .

ثم ذكر قراءة عيسى بن عمر ( أى خاتمه بكسر التاء ) وقال : " أى آخره ،  
مثل قوله ( وخاتم النبيين ) وفيه حذف أى خاتم راعته السك ، أو خاتمه الذى  
يختم به ويقطع " .

انظر أيضا روح المعاني ( ٧٥ / ٣٠ ) .  
وذكر فيه ابن الجوزي قراءة أخرى فقال :

" وقرأ أبو بن كعب وعسرة وأبو العالية " ختمه " بفتح الخاء  
والتاء وبضم الميم من غير ألف " .

( ٢ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٠ / ٤٢١ ) في هذه الآية وجهين :-

أحدهما : فليعمل العاملون ، قاله مجاهد .

وذكر هذا الوجه البغوي أيضا في تفسيره ( ٢٢٢ / ٧ ) عن مجاهد .

والثاني : فليتبادر المتبادرون ، قاله أبو بكر بن عياش والكلبي . وقال  
البغوي : فليوغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل ، ثم ذكر قول  
مجاهد ، ونقل عن مقاتل بن سليمان أنه قال : " فليتنازع المتنازعون " وعن  
عطاء " فليستبق المستبقون " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٥٩ / ٩ ) : أى : فليجئوا في طلبه وليحرصوا  
عليه بطاعة الله " .

( ٣ ) ذكر ابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ١٠٨ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٢٢ / ٧ )

أن أصله : من الشئ " النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريد كل أحد  
بنفسه وينفس به على غيره أى يفضن " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٥٩ / ٩ ) : والتنافس : كالتشاح على الشئ  
والتنازع فيه " .

انظر أيضا تفسير الثعلبي ( ١٢ / ٥٦ / ١ ) .

سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعلقمة<sup>(١)</sup> عن ابن مسعود : هو أشرف شراب لأهل الجنة يشربه المقربون صرفاً ويمزج للأبصار<sup>(٢)</sup>،  
ومثله رواه منصور<sup>(٣)</sup> عن مالك

(١) هو طقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبيل النخعي الكوفي، تقدمت ترجمته في ص (٧) .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (ق ١/١٦٩) وابن جرير في تفسيره (١٠٩/٣٠) ، كلاهما من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (من تسنيم) قال : " تسنيم شراب أهل الجنة ، وهو صرف للمقربين مزج لأصحاب اليمين " هذا لفظ عبد الرزاق ، ولفظ الطبري : عين يشرب بها المقربون ، ويمزج فيها لمن دونهم " . وعطاء بن السائب مختلط ولكن رواه عنه ابن عيينة كما يدل عليه سند عبد الرزاق وروايته عنه قبل الاختلاط .

انظر الكواكب النيرات (ص ٣٢٧) . وأورد هذه الرواية السيوطي في الدر المنثور (٣٢٨/٦) بلفظ : " تسنيم أشرف شراب أهل الجنة ، وهو صرف للمقربين ، ويمزج لأصحاب اليمين " . وعزا تخريجها إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي .

أما رواية طقمة عن ابن مسعود فلم أهتمد إلى من رواه من طريق طقمة عن ابن مسعود ، وقد روى الحسين المروزي في زوائد الزهد (ص ٥٣٤ ، رقم ١٥٢٢) وابن جرير في تفسيره (١٠٨/٣٠) كلاهما من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قوله ( ومزاجه من تسنيم ) قال : تسنيم عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين " .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٨/٦) وعزا تخريجه إلى ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم " .

(٤) هو منصور بن زاذان الواسطي أبو المغيرة الثقفي مولاهم ، ثقة ثبت عالم ، مات سنة تسع وعشرين ومائة على الصحيح .

تهذيب التهذيب . ٣٠٦/١ ، تقريب التهذيب ٣٤٧ .

ابن الحارث<sup>(١)</sup> وقيل : في التسنيم هو عين يتسنى على أهل الجنة من العرق<sup>(٢)</sup> ،  
وقيل : هو عين من ماء<sup>(٣)</sup> ، وقوله (عينا يشرب بها المقربون) قد بينا<sup>(٤)</sup> ، ونضب عينا

(١) هو مالك بن الحارث السلمي الرقي ويقال الكوفي ، ثقة ، مات سنة أربع وتسعين .  
تهذيب التهذيب (١٠/١٢) تقريب التهذيب (٣٢٦) .

وأما أثره فقد رواه ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٠٨-١٠٩) من وجهين  
كلاهما عن منصور عن مالك بن الحارث ، وأورد السيوطي في الدر المنثور  
(٦/٣٢٨) وعزاتخرجه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد .

وقد ذكر هذا القول عن ابن سعد وابن عباس : الثعلبي في تفسيره  
(١٣/٥٦/ب) والبغوي والخازن في تفسيرهما (٢/٢٢٢) بلفظ : هو خالص  
للمقربين يشربونها صرفاً ، ويمزج لسائر أهل الجنة .

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٦٠) في معناه قولين ، أحدهما :  
أنه اسم عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين ، ولم  
ينسب هذا القول إلى أحد . وذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤٢٢) والقوطبي في  
تفسيره (١٩/٢٦٦) هذا القول بنحوه ، من قول ابن عباس فقط .

(٢) ذكر النحاس في اعراب القرآن (٣/٦٥٨) عن الضحاك أنه قال : تسنيم عَيْنٌ  
تتسنى من أعلى الجنة ليس في الجنة عين أشرف منها .  
وقال الزجاج في معناه : أي مزاجه من تسنيم عينا تأتيهم من  
علو تتسنى عليهم من الفرف . ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير  
(٩/٦٠) وابن منظور في لسان العرب (١٢/٣٠٧) .

(٣) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٤/٤٢٢) وابن الجوزي في زاد المسير  
(٩/٦٠) ونسباه إلى الضحاك .

وقال ابن الجوزي : وقال مقاتل : وإنما سمي تسنيماً لأنه يتسنى عليه من جنة عدن  
فينصب إنصباً ، فيشربون الخمر من ذلك الماء .

وذكر الماوردي عن حذيفة بن اليمان أنه قال : تسنيم عين في عدن ، وعدن

دار الرحمن ، وأهل عدن جيرانه .  
(٤) ذلك عند قوله تعالى : (عينا يشرب بها عباد الله يُفَجِّرُونَهَا تَفْجيراً) سورة الإنسان  
الآية (٦) انظر (٢٦٠-٢٦١) .  
٠٠/٠٠



. . . / . . .

ووردت في معناه أقوال أخرى من أئمة التفسير .

فروى عن ابن عباس أنه قال : هذا ما قال الله تعالى : ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُوَّةٍ أَعْيُنٍ ) سورة السجدة الآية ١٧ أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٨ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٤٢٢ / ٤ ) بلفظ : " أنها خفايا أخفاها الله لأهل الجنة ، ليس لها شبه في الدنيا ولا يعرف مثلها " .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٢٣ / ٤ ) :

" تسنيم علم لعين بعينها ، سميت بالتسليم الذي هو مصدر سَنَمَ إذا رفعه <sup>سَنَمًا</sup> ، إنما أرفع شراب في الجنة ، ولما لأنها تأتيهم من فوق " .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٦٦ / ١٩ ) : وقيل : التسليم عين تجرى في الهواء بقدرة الله تعالى ، فتصبُّ في أواني أهل الجنة على قدر ما فيها ، فإذا امتلأت أمسك الماء ، فلا تقع منه قطرة على الأرض ولا يحتاجون إلى الأستقاء ، قاله قتادة . ( وقال ) ابن زيد : بلغنا أنها عين تجرى من تحت العرش ، .

وقال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٥٢٠ ) " ( ومزاجه من تسنيم ) :

يقال : أرفع شراب في الجنة ، ويقال : يمزج بـ " ينزل من تسنيم ، أي من طمو ، وأصل هذا من " سنام البعير " ومنه " تسنيم القبور " وهذا أعجب إليّ ، لقول المسيب ابن علس في وصف امرأة : كَأَنَّ بَرِيْقَتَهَا - للمزاج - ج من ثلج تَسْنِيمٍ شَيِّتٍ عَقَارًا أراد : كَأَنَّ بَرِيْقَتَهَا عَقَارًا شَيِّتٍ للمزاج من ثلج تسنيم ، يريد جبالاً ، .

بمعنى أعنى عينا أو أريد عيناً<sup>(١)</sup> - وقوله ( بها ) أى منها<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى ( إن الذين أجرموا ) هم الكفار ، وقيل : هذا فى قوم مخصوصين من قريش منهم أبو جهل - والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يفيث<sup>(٣)</sup> والنضو بن الحارث وغيرهم<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكر فى نصب ( عيناً ) أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٥٧ / ٣ ) خمسة أقوال .

الأول : قول الأخفش وهو أنها منصوبة بـ " يسقون " راجع لمعرفة قوله معانى القرآن للأخفش ( ٥٣١ / ٢ ) . الثانى : أنها منصوبة بكلمة " أعنى " وهو مذهب المبرد . الثالث : قول الفراء وهو أنها منصوبة كما نصبت يتيماً فى قوله تعالى ( أو إطعام فى يوم ندى مسعبة ، يتيماً ) سورة البلد الآية ١٥ ، ١٤ . يعنى كان حقها عنده الإضافة فلما نونت تسنيماً نصب به عيناً . راجع لمعرفة قوله معانى القرآن ( ٢٤٩ / ٣ ) .

الرابع : أنها منصوبة لأنها على تقدير ( من ماء سنم عيناً ) .  
الخامس : أنها منصوبة على الحال " وقد اختار النحاس هذا القول .  
انظر أيضاً شكل اعراب القرآن ( ٤٦٤ / ٢ ، ٤٦٥ ) وتفسير القرطبي ( ٢٦٦ / ٩ ) والبحر المحيط ( ٤٤٢ / ٨ ) .

( ٢ ) انظر تفسير البغوى والخازن ( ٢٢٢ / ٧ ) والبحر المحيط ( ٤٤٢ / ٨ ) وذكر أبو حيان فى ذلك وجهين آخرين ، أولهما : أى يشربها ، والثانى : ضمن يشرب معنسى يروى بها .

( ٣ ) هو الأسود بن عبد يفيث بن وهب ، ذكره ابن إسحاق فى سيرته ( ٢٥٤ ) ، كان من عظماء المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جبريل قسده أشار إلى بطنه ، فمات خبيثاً .

( ٤ ) قال الرازى فى تفسيره ( ١٠١ / ٣١ ) :  
" ذكروا فى سبب النزول وجهين الأول : أن المراد من قوله ( إن الذين أجرموا ) أكابر المشركين كأبى جهل والوليد بن المغيرة والماس بن وائل السهمى كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم .  
الثانى : جاء على طيه السلام فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم ، فقالوا رأينا اليوم الأصلح فضحكوا منه فنزلت هذه الآية قبل أن يصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر أيضاً تفسير الثعلبى ( ١٢ / ٥٧ / ١ ) والكشاف ( ٧٢٤ / ٤ ) والبحر المحيط ( ٤٤٣ / ٨ ) وقد ذكر البغوى والخازن ( ٢٢٢ / ٧ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٦٧ / ٩ ) السبب الأول فقط . والصواب أن الآية عامة فى جميع الكفار الذين اتصفوا بما جاء فى هذه الآية ، وإن كانت نزلت فى سبب خاص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقوله ( كانوا من الذين آمنوا يضحكون ) قيل : إنه في قوم مخصوصين من المؤمنين منهم خبّاب وبلال<sup>(١)</sup> وأبوذر وعمار<sup>(٢)</sup> وغيرهم من فقراء الصحابة<sup>(٤)</sup> ، وقوله ( وإذا مروا بهم يتغامزون ) أي يشيرون بالأعين والحواجب<sup>(٥)</sup> ، وقوله ( وإذا

( ١ ) هو خبّاب ( بموحدين الأولى مشقة ) ابن الأرت ( بتشديد الشنة ) بن جدلة ابن سعد التميمي ويقال : الخزاعي أبو عبد الله . سبي في الجاهلية فبيع بمكة ، وكان من السابقين الأولين وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذاباً شديداً .  
شهد بدرًا ، ثم نزل بالكوفة ، ومات بها سنة سبع وثلاثين .  
الإصابة ٤١٦/١ ، تقريب التهذيب ٩١ .

( ٢ ) هو بلال بن رباح الحبشي المودن ، وهو ابن حمامة وهي أمه أبو عبد الله مولى أبي بكر - اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه فأنزله صلى الله عليه وسلم وأذن له ، وشهد معه جميع المشاهد ، وخرج بعده صلى الله عليه وسلم إلى الشام مجاهداً ، ومات بها سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة .  
الإصابة ١٦٥/١ ، وتقريب التهذيب ٤٨ .

( ٣ ) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي ( بنون ساكنة ) أبو اليقظان ، كان من السابقين الأولين هو وأبوه ، وكانوا ممن يعذب في الله فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليهم فيقول : صبراً آل ياسر . موعدكم الجنة ، شهد المشاهد كلها وهو صاحب جليل مشهور ، قتل بصفين مع علي رضي الله عنه سنة سبع وثلاثين .  
الإصابة ( ٥١٣/٢ ) تقريب التهذيب ٢٥٠ .

( ٤ ) انظر تفسير الثعلبي ( ١/٥٧/١٣ ) وتفسير البغوي والخازن ( ٢٢٣/٧ ) ،  
وتفسير القرطبي ( ٢٦٧/١٩ ) .

( ٥ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٢٣/٧ ) " الفمز الإشارة بالجفن والحاجب : أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاءً بهم " .  
وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٦١/٩ ) " أي يشيرون بالجفن والحاجب استهزاءً بهم " .  
وقال الرازي في تفسيره ( ١٠١/٣١ ) : " أي يتفاعلون من الفمز ، وهو الإشارة بالجفن والحاجب ، ويكون الفمز أيضاً بمعنى العيب وغمز إذا عابه " .  
انظر أيضاً تفسير الثعلبي ( ١/٥٧/١٣ ) وتفسير القرطبي ( ٢٦٧/١٩ ) .

- انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين ( ١ ) أى معجبين بأفعالهم .  
وقيل : طيبين الانفس مستبشرين<sup>(٢)</sup> ، والعرب تقول : رجل فكه وفاكه ، إذا  
كان ضحوكاً طيب النفس .<sup>(٣)</sup>  
وقوله ( وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ) أى أخطاءوا الحق وطريق  
الرشد وأتبعوا الباطل .<sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٧٢٣/٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير  
: ( ٦١/٩ )

" أى : متعجبين بما هم فيه يتفكرون بذكرهم " .  
وقال النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٥٩/٣ ) بعد أن ذكر عن  
ابن عباس أنه قال فى معنى فاكهين معجبين : أى : معجبين بما  
يفعلون سرورين به " .

( ٢ ) ذكر الطوردي فى معنى الكلمة أربعة أقوال .  
أحدها : فرحين قاله السدى .  
الثانى : معجبين - قاله ابن عباس .  
الثالث : لا هيين .  
الرابع : ناعمين : قال : حكى هذين التأويلين على بن عيسى . انظر  
تفسيره ( ٤٢٣/٤ ) .  
وذكر النحاس عن ابن زيد أنه قال : فاكهين ناعمين .

( ٣ ) قال النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٥٩/٣ ) : " وحكى أبو عبيد أن أبا زيد  
الأنصارى حكى عن العرب أن الفكه : الضحوك الطيب النفس " .  
انظر أيضا لسان العرب ( ٥٢٤/١٣ ) .

( ٤ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١١٠/٣٠ - ١١١ ) .  
" يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا لهم : إن  
هؤلاء لضالون عن محجة الحق ، وسبيل القصد " .

وقوله ( وما أرسلوا عليهم حافظين ) أى ما أرسلوا عليهم ليحفظوا أعمالهم ،  
 أى : ما أرسل الكفار على المؤمنين ، والمعنى : أنهم ما وكلوا بالمؤمنين ليحفظوا  
 عليهم ما يفعلون ، وقيل : إن هذه الآية نزلت فى المنافقين ، وقيل : إنها نزلت  
 فى أبي جهل وأصحابه <sup>(١)</sup> ، وقوله ( من الذين آمنوا ) على رضى الله عنه وأصحابه <sup>(٢)</sup>  
 وهو قول بعيد <sup>(٣)</sup> ، وقوله ( فاليوم الذين آمنوا ) هم المؤمنون من أصحاب الرسول  
 صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> ، وقوله ( من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون ) فى بعض  
 التفاسير : أن للجنة كوى <sup>(٥)</sup> إلى أهل النار ، متى شاء أهل الجنة فتحوا الكوى ، ونظروا  
 إلى النار وضحكوا منهم <sup>(٦)</sup> ، وقد بينا معنى الأرائك من قبل <sup>(٧)</sup> ، وقوله <sup>(٨)</sup> —————

( ١ ) قال الثعلبى فى تفسيره ( ١٣ / ٥٧ / ١ ) \* ( وما أرسلوا ) يعنى المشركين ( عليهم )  
 يعنى على المؤمنين ، ( حافظين ) لأعمالهم ، موكلين بأحوالهم ، انظر أيضاً  
 تفسير البغوى والخازن ( ٢٢٣ / ٧ ) وزاد المسير ( ٦١ / ٩ ) وقال الزمخشرى  
 فى الكشاف ( ٧٢٤ / ٧ ) : \* ( وما أرسلوا ) على المسلمين ( حافظين ) موكلين  
 ويشهدون برشد هم وضلالهم ، وهذا تهكم بهم ، أو هو من جملة قول الكفار ،  
 وإنهم إذا رأوا المسلمين قالوا : إن هؤلاء لضالون ، وإنهم لم يوسلوا عليهم  
 حافظين إنكاراً لصد هم إياهم عن الشرك ، ودعائهم إلى الإسلام ، وجد هم  
 فى ذلك \* . ولكن الصحيح الأول ( يعنى إنه إنكار من الله تعالى على الكفار )  
 وعطيه أكثر المفسرين .

( ٢ ) تقد مذكر القولين فى ص . ( ٥٥٢ ) .

( ٣ ) هو قول الكلبي ومقاتل ، كما ذكر عنهما الثعلبى فى تفسيره ( ١٢ / ٥٧ / ١ ) \* .  
 ( ٤ ) ليس هناك ما يدل على أن الآية نزلت على بن أبى طالب وعلى فرض ثبوت ذلك  
 فإن العبرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب .

( ٥ ) قال القرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ٢٦٨ ) : \* ( الذين آمنوا ) بمحمد صلى الله  
 عليه وسلم \* .

( ٦ ) الكَوُّ والكَوَّةُ : الخَرَقُ فى الحائط والثَّقْبُ فى البيت ونحوه ، وجمعه كَوِيٌّ بالقصر  
 نادر ، وكَوَاهٍ بالمد ، لسان العرب ( ١٥ / ٢٣٦ ) \* .

( ٧ ) روى ذلك عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١ / ١٦٩ ) عن معمر وابن جريو فى تفسيره  
 ( ٣٠ / ١١١ ) من طريق سعيد ومعمر كلاهما عن قتادة فى قوله ( من الكفار  
 يضحكون ) قال : قال كعب : \* إن بين أهل الجنة وأهل النار كوى ، لا يشاء  
 الرجل أن ينظر إلى عدوه من أهل الأرض إلا فعل \* .

وقد أورد غير واحد من المفسرين ، انظر تفسير الثعلبى ( ١٣ / ٥٧ / ١ ) وتفسير  
 القرطبى ( ١٩ / ٢٦٨ ) وقد ذكره من رواية ابن المبارك عن محمد عن بشار عن قتادة به .  
 وتفسير البغوى ( ٧ / ٢٢٣ ) وأورده من قول كعب وأبى صالح ، وزاد المسير ( ٩ / ٦١ ) ،  
 وأورده ابن الجوزى من قول مقاتل والدر المنثور ( ٦ / ٣٢٨ ) \* .

( هل ثوب الكفار ، وما كانوا يفعلون ) أى هل يجوزى الكفار / ما كانوا / ٣٢٣ ب /  
 يفعلون . ( ١ )

---

( ١ ) قال مجاهد فى تفسيره ( ٧٤٠ / ٢ ) " يقول : هل جوزى الكفار بما كانوا يفعلون " وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٢٣ / ٧ ) " ( هل ثوب ) هل جوزى ( الكفار ما كانوا يفعلون ) أى جزاء استهزائهم بالمؤمنين ، ومعنى الاستهزام هاهنا التقريير ، ثوب وأثاب بمعنى واحد " وقال القرطبى فى تفسيره ( ٢٦٨ / ١٩ ) " ومعنى " هل ثوب " أى هل جوزى بسخريتهم فى الدنيا بالمؤمنين إذا فعلل بهم ذلك ، وقيل : لأنه متعلق بـ " ينظرون " أى : ينظرون : هل يجوزى الكفار ؟ فيكون معنى ( هل ) : التقريير ، وموضعها نصباً بـ " ينظرون " وقيل : استئناساف لا موضع له من الإعراب ، وقيل : هو ضمير على القول ، والمعنى : يقول بعض المؤمنين لبعض " هل ثوب الكفار " أى أسيب وجوزى " .

تفسير سورة المكدح وهي مكية <sup>(١)</sup> والله أعلم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( وإذا السماء انشقت ) هو في معنى قوله ( إذا السماء انفطرت ) <sup>(٢)</sup> ويقال : انشقت بالغمام مثل قوله تعالى ( وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ) <sup>(٣)</sup> وقد ذكرنا <sup>(٤)</sup> ، وقيل : انشقت لنزول الملائكة <sup>(٥)</sup> .

(١) صرح الماوردي في تفسيره (٤٢٤/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٦٢/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٦٩/١٩) بأن السورة مكية بإجماع المفسرين ، انظر أيضا دلائل النبوة (١٤٢/٧) والدر المنثور (٣٢٨/٦) .

(٢) سورة الانفطار الآية ١ ، وقال المؤلف : معناه : انشقت ، ومنه فطر ناب البعير .

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٥ .

(٤) انظر الأصل (١/٦٩/٢) ذكر عند هذه الآية أن الباء بمعنى " على " وقال : والأكثرون على أن السماء تنشق على غمام أبيض ينزل فيه الملائكة . قال القرطبي في تفسيره (٢٦٩/١٩) " أَيْ إِنصَدَعَتْ وَتَفَطَّرَتْ بِالْغَمَامِ ، وَالْغَمَامُ مِثْلُ السَّحَابِ الْأَبْيَضِ ، وَكَذَا رَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ " .

وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤٤٥/٨) عن ابن عباس ، ثم عزاه

إلى الغراء والزجاج .

انظر أيضا معاني القرآن (٢٤٩/٣) ، وهو اختيار الزمخشري في الكشاف (٧٢٥/٤) والاكوسي في روح المعاني ٧٩/٣ .

(٥) لم أجد من ذكر أنها تنشق لنزول الملائكة . وقال مقاتل في تفسيره (ق ١/٣٩٠) : " يقول : انشقت لنزول رب العزة والملائكة " ولعل صاحب هذا القول استدل على أن السماء تنشق يوم القيامة لنزول الملائكة بقوله تعالى ( وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ) سورة الفرقان الآية ٢٥ ، ولكن ليس فيها تصريح بأنها تنشق لنزول الملائكة .

وفي تفسير النقاش : لنزول الرب عز اسمه وهو بلا كيف<sup>(١)</sup> ، وقيل مزقت<sup>(٢)</sup> ،  
وعن علي رضي الله عنه أنه قال : تنشق السماء من المجرة<sup>(٣)</sup> ، ويقال : هي باب  
السماء<sup>(٤)</sup> ، وقوليه ( وأذنت لربها وحقت ) أي استمعت لأمر ربها وحقق  
لها أن تسمع<sup>(٥)</sup> - قال الشاعر<sup>(٦)</sup> :

( ١ ) تقدم عن مقاتل أنه قال : " يقول : انشقت لنزول رب العزة والملائكة " .

( ٢ ) لم أجد أحداً من المفسرين ذكر هذا القول .

( ٣ ) أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٩/٦ ) وعز تخريجه إلى ابن أبي حاتم ،  
ونكر عنه الماوردي في تفسيره ( ٤٢٤/٤ ) والزمخشري في الكشاف ( ٧٢٥/٤ )  
والرازي في تفسيره ( ١٠٣/٣١ ) وأبو حيان في البحر المحيطة ( ٤٤٥/٨ ) وذكر  
أبو حيان في ذلك قولاً آخر وهو أنها تنشق لشدة الهول وخوف الله تعالى " ،  
ويبدو أن هذا الصواب ، وهو من علامات الساعة " وليس هناك دليل على أن السماء  
تنشق لنزول الرب تعالى ولنزول الملائكة .

( ٤ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ١٢٩/٤ ) " المجرة : شرح السماء ، يقال :  
هي بابها وهي كهيئة القبة ، وفي حديث ابن عباس : المجرة باب السماء ، وهي  
البياض المعترض في السماء والنسران من جانبيها " .

( ٥ ) يوجد إجماع للمفسرين على أن معنى ( أذنت ) : سمعت أو استمعت ، انظر مجاز  
القرآن ( ٢٩١/٢ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٥٢١ ) وزاد المسير ( ٦٢/٩ )  
والكشاف ( ٧٢٥/٤ ) ، ولكن ( حقت ) ذكر في معناها بعض المفسرين قولين :  
أحدها : أطاعت قاله الضحاك ، والثاني : وعناه حق لها أن تفعل ذلك  
قاله قتادة ، .

انظر تفسير الماوردي ( ٤٢٤/٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٦٩/١٩ ) .  
وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٢٥/٤ ) : " ( وحقت ) من قولك هو محقق  
بكذا ، وحقيق به ، يعني : وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمنع ، ومعناه الايذان  
بأن القادر للذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك " . وقوله ( القادر  
بالذات ) فيه ( سياسة الاعتزال ، لأن المعتزلة يقولون ان الله تعالى قادر  
بذاته لا بقدره زائدة على ذاته " .

قال أحمد بن محمد الاسكندري في كتابه الإنصاف ( ٧٢٥/٤ ) : نفص  
تفسير الآية بقوله ( القادر بالذات ) وما به لا يقول : القادر الذي عمت قدرته  
الكائنات ، حتى لا يكون إلا بقدرته : حقيق أن يسمع له ويطاق ، فيثبت لله  
صفة الكمال ويوحده حق توحيد ، وهو خير من سلب صفة الكمال عن الله تعالى  
واشراك مخلوقاته به . انظر أيضاً البحر المحيطة ( ٤٤٥/٨ ) .

( ٦ ) هو عدى بن زيد ، كما في فتح الباري ( ٦٩/٩ ) .

والضحاك ( ٢١٢/٥ ) ولسان العرب ( ١٠/١٣ ) .



أَيْهَا (١) النَّبِّ تَعَلَّلَ بَسَدَدَنْ (٢) إِنْ هَمَّتِي فِي سَمَاعٍ وَأَنْ (٣)

(٤)

وقال بعضهم :

صَمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَّرَتْ بِهِ وَإِنْ ذَكَّرَتْ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ وَأَنْ نَوَّ (٦)  
 اى استمعوا . وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما أذن الله لشيء كانه  
 لنبي تغنى بالقرآن . (٧) وأما استماع السماء فيجوز أن يكون على الحقيقة ،  
 ويجوز أن يكون استماعها إنقيادها لما تومر به - والله أعلم . (٨)

(١) ما بين المعكوفين غير موجود في الأصل ، أثبتته من المصادر الأخرى .

(٢) هو اللهب واللعب ، وفيه لفات - انظر لسان العرب (١٥١/١٣) .

(٣) البيت في الصحاح (٢١١٢/٥) ولسان العرب (١٠/١٣) ، (١٥٢) وفتح  
 الباري (٦٩/٩) .

(٤) هو قعنب بن أم صاحب الفزاري ، اشتهر بنسبته إلى أمه ، وأبوه اسمه ضمرة ،  
 كان في أيام الوليد بن عبد الملك .

(٥) في الأصل (بسوى) وفي بعض المصادر (بسوء) وبعضها (بشر) .

(٦) البيت في الحماسة (١٧٠/٢) ومجاز القرآن (٢٩١/٢) ولكنه عزاه إلى  
 رؤبة الراجز) وعيون الأخبار (٨٤/٣) ، وتفسير الطبري (١١٢/٣٠)  
 وتفسير الماوردي (٤٢٤/٤) وزاد المسير (٦٢/٩) وتفسير الرازي (١٠٣/٣١)  
 والصحاح (٢٠٦٨/٥) ولسان العرب (١٠/١٣) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن ، باب من لم يتغن بالقرآن  
 (٦٨/٩) رقم ٥٠٢٣٣ ، ٥٠٢٤٠) وكتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى  
 ( " ولا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له . . . ) (٤٥٧/٣) رقم ٥٨١٣٧٤٨  
 رقم (٧٥٤٤) ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين - باب استحباب تحسين  
 الصوت بالقرآن (٧٩-٧٨/٦) من طرق عن أبي هريرة به .

(٨) قال القوطي في تفسيره (٢٦٩/١٩) : " وطاعة السماء : بمعنى أنها لا تمتنع  
 مما أراد الله بها ، ولا يبعد خلق الحياة فيها حتى تطيع وتجب " .

وقوله ( وإذا الأرض مدت ) أى مدت مد الأديم<sup>(١)</sup> ، لا يبقى عليها جبل ولا شئ<sup>(٢)</sup> إلا دخل في جوفها<sup>(٢)</sup> وقيل : زيد في سعتها

(١) ذكر في معنى الآية وجهان . أحدهما : أن البيت كان قبل الأرض بألفى سنة ، فمدت الأرض من تحتها . رواه الحاكم في مستدركه (٥١٨/٢) بسنده عن عبد الله بن عمرو ، وصحيح الحاكم إسناداه ووافقه الذهبي . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٢٩/٦) وعزا تخريجه إلى الفريابسي وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل .  
والثاني : أنها أرض القيامة ، رواه ابن جرير في تفسيره (١١٤/٣٠) عن مجاهد .

وقد ذكر القولين الماوردي في تفسيره (٤٢٤/٤) وقال في القول الثاني : " وهو أشبه بسياق الكلام " قلت : بل هو الصواب .  
وأما ( مدت ) فروى ابن جرير في تفسيره (١١٣/٣٠) بسنده عن علي ابن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه . . . . . الحديث .

وهو حديث مرسل ، لأن علي بن الحسين وهو زين العابدين لم يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن رواه موصولاً الحاكم في مستدركه (٥٢٠/٤) من طريق الزهري عن علي بن حسين عن جابر به مرفوعاً .

وصحح الحاكم إسناداه وقال : على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وقد ورد نحوه أيضاً في حديث الصور المعروف وقد تقدم ذكره غير مرة فقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : ثم يبدل الله السماء والأرض غير الأرض فيسطحها ويسطحها ويهدها مد الأديم المكاطي لاترى فيها عوجاً ولا أمثاً " انظر الحديث في كتاب العظمة ص (٩٣٣) ، رقم (٢٨٦) . وقد اختار الزمخشري هذا المعنى وقال :

" ( مدت ) من مد الشئ فامتد : وهو أن تزال جبالها وأكامها وكل أمث فيها ، حتى تمتد وتنسبط ويستوى ظهرها ، كما قال تعالى ( قاعاً صاففاً لاتسرى فيها عوجاً ولا أمثاً ) سورة طه الآية ١٠٧ ، وعن ابن عباس : مدت مد الأديم المكاطي ، لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى " . انظر أيضاً تفسير الرازي (١٠٣/٣١) وتفسير القوطبي (٢٧٠/١٩) .

(٢) ذكر البيهقي في تفسيره (٢٢٣/٧) عن مقاتل أنه قال : " سويت كمد الأديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل " .  
وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/٩) " لا يبقى جبل ولا بناء إلا دخل فيها " .

(١) . وعن بعضهم : غيرت عن هياتها بالتبديل وغير ذلك<sup>(٢)</sup> ، فهو معنى قوله ( مدت ) وقوله ( وألقت ما فيها وتخلت ) أى : ألقت ما فى جوفها من الكنوز والموتى وخلا جوفها<sup>(٣)</sup> ويقال : ألقت بما استودعت وتخلت

(١) ذكر هذا القول الزمخشري فى الكشاف (٧٢٦/٤) والرازي فى تفسيره (١٠٤/٣١) دون عزو إلى أحد ، قال الزمخشري بعد أن ذكر القول الأول : أو من مده بمعنى أمده ، أى : زيدت سعة وبسطة . . . وقال الرازي بعد ذكره للقول الأول : والثانى : أنه مأخوذ من مده بمعنى أمده ، أى : يزداد فى سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب .

وقال القوطي فى تفسيره (٢٧٠/١٩) : قال ابن عباس وابن سعد : "ويزداد ، وسعتها كذا وكذا ، لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها" .

(٢) لم أجد أحد من المفسرين ذكر هذا القول . ويبدو لى أنه قاله صاحبه مستدلاً بما قاله تعالى ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار " سورة إبراهيم آية ٤٨ ) .

وذكر الماوردي فى تفسيره (٤٢٤/٤) فى ( مدت ) وجهين : أحدهما : سويت ، فدكت الجبال ، وبيست البحار ، قاله السدى . الثانى : بسطت ، قاله الضحاک ، وذكر حديث على بن الحسين وهذا المعنى قد اختاره الفراء فى معانى القرآن (٢٥٠/٣) وعليه يدل الحديث .

(٣) قال البغوى فى تفسيره (٢٢٤/٧) :

" ( وألقت ) أخرجت ، ( ما فيها ) من الموتى والكنوز ( وتخلت ) خلست منها ،

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٦٣/٩) : " ( وألقت )

ما فيها ) من الموتى والكنوز ( وتخلت ) أى : خلست من ذلك فلم يبق فى باطنها شىء " .

وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٢٦/٤) : " ( وألقت ما فيها ) ورمت بما فى جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز ( وتخلت ) وخلت غاية الخلو ، حتى لیسم ببق شىء فى باطنها ، كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو كما يقال : تكسرم الكريم ، وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة ، وتكلفا فسوق ما فى طبعهما " .

انظر أيضاً تفسير الرازي (١٠٤/٣١) وتفسير الخازن (٢٢٤/٧) .

عما استحفظت<sup>(١)</sup> ، وكأنها ألقنت ما على ظهرها وتخلت عما في جوفها ،  
 وقوله ( وأذنت لربها وحققت ) قد بينا<sup>(٢)</sup> ، فإن قيل : أين جواب قوله  
 ( وإذا السماء انشقت ) وهو يقتضى جواباً ؟ .

( ١ ) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٢٥٥ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٧٠ / ١٩ )  
 قال الماوردي بعد أن ذكر فيها قولين : " ويحتمل ( ثالثاً ) هو أعم : أنها  
 ألقنت ما استودعت ، وتخلت مما استحفظت ، لأن الله استودعها عباده أحياء  
 وأمواتاً ، واستحفظها بلاده مزارع وأقواتاً " .

وأما القولين اللذين ذكرهما الماوردي في هذه الآية قبل هذا القول  
 فأحدهما : ألقنت ما في بطنها من الموتى ، وتخلت عن على ظهرها مسن  
 الأحياء ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : ألقنت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها ، وتخلت مما على  
 ظهرها من جبالها وبحارها ، وهو معنى قول قتادة " .

وذكرهما القرطبي أيضاً في تفسيره ( ٢٧٠ / ١٩ ) وأضاف في القول  
 الثاني قولاً آخر في معنى ( تخلت ) فقال : وقيل : ألقنت ما في بطنها  
 من كنوزها ومعادنها ، وتخلت منها : أي خلا جوفها ، وليس فسى  
 بطنها شيئاً ، وذلك يؤيدن معظم الأمر كما تلقى الحامل ما في بطنها  
 عند الشدة " ١ هـ .

ومن هنا يتبين أن ما ذكره المؤلف أولاً ( وهو أن معنى ( ألقنت  
 ما فيها ) أخرجت من الموتى والكنوز ) اعتبره الماوردي والقرطبي قوليين  
 مستقلين .

والصواب من هذه الأقوال أن الآية تعم جميع ما في باطنها من الموتى  
 والكنوز والمعادن وجميع ما على ظهرها من الأحياء والجمادات مسن  
 الجبال والبحار ، وقد قال تعالى ( وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ) سورة  
 الزلزلة الآية ٢ . ( وإذا القبور بعثرت ) سورة الانفطار الآية ٤ .

( ٢ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٢٧٠ / ١٩ ) :  
 " أي في القاء موتها ، ( وحققت ) أي وحق لها أن تسمع أمره "

وتقدم ذكر معناها في ص ( ٥٥٨ ) .

والجواب من وجوه ، قال الفراء : جوابه محذوف ، والمعنى : وإذا السماء  
انشقت وكان كذا ، رأى كل إنسان ما وجد من الثواب والعقاب<sup>(١)</sup> . وقيل : علم كسل  
منكر للبعث أنه كان في ضلالة وخطاب<sup>(٢)</sup> .

والوجه الثاني : أن الجواب قوله ( وأذنت ) والواو زائدة فالجواب (أذنت)<sup>(٣)</sup> -

(١) انظر معاني القرآن (٣/٢٥٠) ، وما ذكره المؤلف ليس نصاً للكلام الفراء ، بل  
هو معنى كلامه ، وأما نصه فهو " والجواب في "إذا السماء انشقت" وفي  
" وإذا الأرض مدت " كالمتروك ، لأن المعنى معروف قد تردّد في القرآن ، معناه  
فمرف " . وإن شئت كان جوابه : يا أيها الإنسان ، كقول القائل : إذا  
كان كذا وكذا فيا أيها الناس ترون ما عظم من خمواؤ شر ، تجعل يا أيها  
الإنسان هو الجواب ، وتضم فيه الفاء .

وذكره عنه بنصه ابن جرير في تفسيره (٣٠/١١٤) دون تصريح باسمه  
وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٦٣) في الجواب أربعة أقوال . أحدها :  
أنه متروك ، لأن المعنى معروف قد تردّد في القرآن ، والثاني : أنه ( يا أيها  
الإنسان ) كقول القائل : إذا كان كذا وكذا فيا أيها الناس ترون ما عظمتم ،  
... ثم قال : وذكر القولين الفراء " .

انظر أيضاً تفسير الماوردي (٤/٤٢٤) وتفسير الثعلبي (١٢/٥٧/ب) وتفسير  
البغوي والخازن (٧/٢٢٤) وتفسير القرطبي (١٩/٢٧٠) .

(٢) لم أجد أحداً من المفسرين ذكر هذا القول بهذا اللفظ . وقد ذكر القرطبي  
في تفسيره (١٩/٢٧١) قولاً يقرب منه فقال : قيل : الجواب محذوف لعلمهم  
المخاطبين به ، أي إذا كانت هذه الأشياء علم المكذوبون بالبعث ضلالتهم  
وخسرانهم " .

(٣) ذكر هذا الوجه الفراء في معاني القرآن (٣/٢٤٩) عن بعض المفسرين قال  
قال بعض المفسرين : جواب "إذا السماء انشقت" قوله : " وأذنت " ونرى أنه  
رأى ارتيائه المفسر ، وشبهه بقول الله تبارك وتعالى " حتى إذا جاءوها  
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا " لأننا لم نسمع جواباً بالواو في إن مبتدأة ولا قبلها كلام ،  
ولا في " إذا " إذا ابتدئت .

انظر أيضاً تفسير الطبري (٣٠/١١٤) ، تفسير الثعلبي (١٣/٥٨/١) ،  
وتفسير البغوي والخازن (٧/٢٢٤) ، تفسير القرطبي (١٩/٢٧٠) ونقل  
القرطبي عن ابن الأنباري أنه غلط هذا التوجيه ، لأن العرب لا تقم الواو إلا  
مع " حتى " إذا " كقوله تعالى : " حتى إذا جاءوها وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا " ومع  
" لما " كقوله تعالى : ( فلما أسلما وتلّاه للجبين ، ونادى بناه ) سورة  
الصافات الآية ١٠٣ ) .

والوجه الثالث : أن الجواب قوله ( فلاقية ) أى يلحق عمله من خير وشر ،  
والوجه الرابع : أن فى الآية تقدماً وتأخيراً والمعنى : يا أيها الإنسان إنك  
كادح إلى ربك كذاً فلاقية إذا السماء انشقت<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٦٣ / ٩ ) عن الزجاج أنه قال : " إن الجواب  
مدلول عليه بقوله تعالى : " فلاقية " فالمعنى : إذا كان يوم القيامة لقسى  
الإنسان عله " وذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٢٢٥ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره  
( ٢٧٠ / ١٩ ) وأبو حيان فى البحر المحيطة ( ٤٤٦ / ٨ ) وعزاه إلى الاخفش  
والمبرد .

( ٢ ) ذكره الثعلبي فى تفسيره ( ١ / ٥٨ / ١٣ ) عن المبرد ، وقال ابن الجوزى بعد  
أن ذكر فيه القولين : " الثالث : أن فى الكلام تقدماً وتأخيراً ، تقدّم يسهو :  
يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كذاً فلاقية إذا السماء انشقت " . قاله  
المبرد . زاد المسير ( ٦٣ / ٩ )  
وذكره أيضا الرازى فى تفسيره ( ١٠٤ / ١٩ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٩ - ٢٧٠ ) .

وذكر فى ذلك أقوال أخرى غير هذه الأقوال : فقال الزمخشري فى تفسيره  
( ٢٢٥ / ٤ ) :

" حذف جواب ( إذا ) ليذهب المقدر كل مذهب " . وذكره عنه السوازي  
فى تفسيره ( ١٠٤ / ٣ ) .

وذكر القرطبي عن المبرد قولاً آخر وهو أن الجواب قوله تعالى " فَأَمَّا مَنْ  
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ " وقال : وهو قول الكسائي . أى : إذا السماء انشقت  
فمن أُوتِيَ كتابه بيمينه فحكمه كذا " .

وقال أيضا : وقيل : تقدم ضم سؤال عن وقت القيامة ، فقيل لهم : إذا  
ظهرت أشراتها كانت القيامة ، فأريتم عاقبة تكذيبكم بها ، والقول كالأية  
الواحدة فى دلالة البعض على البعض " .

وقيل : هو بمعنى اذكر " إذا السماء انشقت " فهى إذن لا تحتاج  
إلى جواب " .

انظر تفسير القرطبي ( ٢٧٠ / ١٩ ، ٢٧١ ) وانظر أيضا البحر المحيطة ( ٤٤٦ / ٨ ) .  
وأما الراجح : فذهب ابن جرير إلى اختيار القول بأن جوابه محذوف ، وترك  
استغناء بمعرفة المخاطبين به ، ومعنى الكلام عنده : إذا السماء انشقت  
رأى الإنسان ما قدم من خير أو شر " . وحكى القرطبي عن النحاس أنه اختار  
قول الكسائي وهو أن الجواب قوله ( فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ ) فإنه قال : وهذا أصح  
ما قيل فيه وأحسنه " ، ويبدو لى والله أعلم أن القول بأنه لا يحتاج إلى  
جواب لأن تقدّمه اذكر ( إذا السماء انشقت ) وفيه تقييد وتهديد أكثر .

قوله تعالى : ( يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فصلاً قيه ) .

قال قتادة : عامل لربك عملاً<sup>(١)</sup> - والكدح : هو السعي بتعب<sup>(٢)</sup> ونصب .

قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

وَمَضَتْ بِشَاشَةٍ كُلَّ عَيْشٍ صَالِحٍ      وَبَقِيَتْ أَكْدَحُ لِلْحَيَاةِ وَأَنْصَبُ<sup>(٤)</sup> ،

ويجوز أن يكون ذكر الواحد هاهنا للجمع ، فيكون بمعنى يا أيها الناس<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) روى عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٦٩ / ١ ) وابن جرير في تفسيره ( ١١٥ / ٣٠ ) ، بسندهما عن قتادة في قوله ( إنك كادح إلى ربك كدحاً ) قال : عامل له عملاً ، وروى ابن جرير نحوه عن ابن عباس وابن زيد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٩ / ٦ ) من قول الضحاك أيضاً وعزا تخريجه إلى ابن أبي شيبة .

وقد ذكر هذا القول البغوي في تفسيره ( ٢٢٤ / ٧ ) من قول قتادة والضحاك والكبيسي .

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٦٣ / ٩ ) من قول ابن عباس .

( ٢ ) قال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٥٢١ ) " ( إنك كادح ) أي : عامل ناصب في معيشتك " وقال الراغب في المفردات ( ص ٤٢٦ ) : " الكدحُ : السَّعْيُ وَالْعَنَاءُ " .

وقال ابن منظور في لسان العرب ( ٥٦٩ / ٢ ) : الكدحُ : العمل والسعي والكسب والخدش . والكدحُ : عمل الإنسان لنفسه من خير أو شر .

وذكر في معنى الكدح قول آخر وهو " إنك ساع إلى ربك سعياً حتى تلاقى ربك ، ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٢٥ / ٤ ) من قول يحيى بن سلام .

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٦٣ / ٩ ) من قول مقاتل . نقل عن الزجاج أنه قال : قال الزجاج : الكدحُ في اللفظة : السعي ، والدأب في العمل في باب الدنيا والآخرة .

انظر أيضاً تفسير البغوي والخازن ( ٢٢٤ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ٢٧١ / ٩ ) .

( ٣ ) لم أعرف من هو .

( ٤ ) البيت في تفسير الماوردي ( ٤٢٥ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٧١ / ٩ ) والبحر المحيط ( ٤٤٤ / ٨ ) غير منسوب .

( ٥ ) ذكر بعض المفسرين في المراد بالإنسان قولين : أحدهما أن المراد الجنس ، ويدل عليه التقسيم بعد ذلك . والثاني : هو معين ، وقال مقاتل : هو الأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزومي جادل أخاه أبا سلمة في أمر البعث . فقَالَ أَبُو سَلْمَةَ : والذي خلقك لتركيب الطبقة ولتوافين العقبة فقال الأسود : فأيسن الأرض والسماء وما حال الناس ، وقيل : المراد أبي بن خلف كان يكذب في طلب الدنيا وإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والإصرار على الكفر ، وقيل : المراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنى : أنك تكذب في إبلاغ رسالات الله تعالى وإرشاد عباده وإحتمال الضرر من الكفار فابشر ، فإنك تلقى الله بهذا العمل وهو غير ضائع عنده " وهو غير صحيح ، ذكره أبو حيان واستبعده . وقيل : إن المراد جميع الكفار والأقرب من هذه الأقوال هو أن الآية محمولة على الجنس لأنه يدل عليه السياق انظر تفسير مقاتل ( ق ٣٩٠ / ١ ) انظر تفسير الرازي ( ١٠٥ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٢٧١ / ٩ ) والبحر المحيط ( ٤٤٦ / ٨ ) .

وكان الحسن البصرى يقول : يا أيها الرجل . وكلكم ذلك الرجل<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى  
( فملاقية ) قال قتادة : أى فملاق عطفك من خير وشر<sup>(٢)</sup> ويقال : ملاقى ربك<sup>(٣)</sup> ،  
وقوله ( فأتا من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ) أى هيناً<sup>(٤)</sup> ، وقيل فى  
اليسير : هو أن يقبل الحسنات ويتجاوز عن السيئات<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) لم أجد من ذكره عن الحسن البصرى ، قال الرازى بعد أن ذكر القول الأول ( يعنى  
أن المراد جنس الناس ) : كما يقال : أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل ، فكذا  
ههنا ، وكأنه خطاب خص به كل واحد من الناس . ثم نقل عن القفال أنه قال :  
وهو أبلغ من العموم لأنه قائم مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم على  
التعيين بخلاف اللفظ العام فإنه لا يكون كذلك .

( ٢ ) لم أجد من ذكر هذا القول عن قتادة . وقد روى ابن جرير فى تفسيره ( ١١٥ / ٣٠ )  
بسند عن ابن عباس أنه قال فى تفسير هذه الآية : تعمل عملاً تلقى الله به خيراً  
كان أو شراً .

( ٣ ) ذكر القولين ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٦٤ / ٩ ) وعزاها إلى الزجاج . وذكرها  
أيضاً الرازى فى تفسيره ( ١٠٥ / ٣١ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٧١ / ١٩ ) وذكر  
أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٤٦ / ٨ ) القول الثانى ( يعنى أن الضمير راجع إلى  
ربك ) وعزاها إلى الجمهور .

( ٤ ) قال الألوسى فى روح المعانى ( ٨٠ / ٣٠ ) : " والحساب اليسير السهل الذى  
لا مناقشة فيه ، وفسره عليه الصلاة والسلام بالعرض والنظر فى الكتاب مع التجاوز"  
وسأيت الحديث الذى أشار إليه الألوسى .

( ٥ ) روى ابن جرير فى تفسيره ( ١١٦ / ٣٠ ) بسند عن ابن زيد أنه قال : الحساب  
اليسير : الذى يغفر ذنوبه ، ويتقبل حسناته ، ويسير الحساب الذى يعنى  
عنه ، وقرأ ( وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ) سورة الرعد الآية ٢١ ، وقرأ ( أُولَئِكَ  
الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَطَوْا ) وتتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة )  
سورة الأحقاف الآية ١٦ .

وذكر الماوردى فى الآية ثلاثة أقاويل :-

أحدها : يجازى على الحسنات ويتجاوز له عن السيئات . قاله الحسن .  
الثانى : مارواه صفوان بن سليم عن عائشة قالت : سئلت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عن الذى يحاسب حساباً يسيراً فقال : يعرف عه  
ثم يتجاوز عنه ولكن من نوقش الحساب فذلك هوها لك .

الثالث : أنه العرض ، روى ابن أبى طيبة عن عائشة أنها سألت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن قوله " فسوف يحاسب حساباً يسيراً " فقال : ذلك  
العرض يا عائشة ، من نوقش فى الحساب يهلك .  
انظر تفسيره ( ٤٢٥ / ٤ - ٤٢٦ ) والصواب من هذه الأقاويل هو ما دل عليه  
الحديث المتفق على صحته ، أى أن المعنى العرض .



وقد ثبت برواية ابن أبي مليكة<sup>(١)</sup> عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من نوقس في / الحساب هلك . قلت يارسول الله : فإن الله عز وجل يقول : ٢٤ / ٣ ( فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ) ؟ قال : ذلك العرض<sup>(٢)</sup> . قال - رضي الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النعمان ، أخبرنا أبو طاهر ابن المخلص : أخبرنا أبو محمد يحيى بن صاعد<sup>(٣)</sup> ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي<sup>(٤)</sup> عن عبد الله بن المبارك<sup>(٥)</sup> ، عن عثمان بن الأسود<sup>(٦)</sup> عن ابن أبي مليكة<sup>(٧)</sup> .

( ١ ) في الأصل ( أبو مليكة ) والصواب ما أثبتته . هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله ابن أبي مليكة ( بالتصغير ) ابن عبد الله بن جدعان يقال : اسم أبي مليكة زهير التيمي المدني ، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثقة فقيه ، مات سنه سبع عشرة ومائة .  
تقريب التهذيب ( ص ١٨١ ) .

( ٢ ) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم ، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ( ١٩٦ / ١ ، رقم ١٠٣ ) وكتاب التفسير ، باب ( فسوف يحاسب حساباً يسيراً ) ( ٦٩٧ / ٨ ، رقم ٤٩٣٩ ) . وكتاب الرقاق ، باب ( من نوقس الحساب عذب ) ( ٤٠٠ / ١١ ، رقم ٦٥٣٦ ) وسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفه نعيمها - بسبب إثبات الحساب ( ٢٠٨ / ١٧ ) من طرق عن ابن أبي مليكة به .

( ٣ ) في الأصل ( أبو محمد يحيى بن يحيى بن صاعد ) والصواب ما أثبتته ، وهو يحيى ابن محمد بن صاعد بن كاتب ، أبو محمد موسى بن جعفر المنصور ، الحافظ الإمام الثقة الهاشمي البغدادي ، ولد سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وكتب الحد يث سنة تسع وثلاثين .  
قال الدارقطني : ثقة ثبت حافظ .  
وقال الخطيب : كان أحد حفاظ الحديث وممن عني به ورحل في طلبه ، وقال الذهبي : لابن صاعد كلام متين في الرجال والعلل يدل على تجهره ، مات في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وثلاثمائة .  
تاريخ بغداد ( ٢٣١ / ١٤ - ٢٣٤ ) وتذكرة الحفاظ ( ٧٧٦ / ٢ ) .

( ٤ ) في الأصل ( الحسن بن الحسين ) والصواب ما أثبتته . وهو الحسين بن الحسن بن حرب السلمي أبو عبد الله المروزي نزيل مكة ، روى عن ابن المبارك كتاب الزهد . قال فيه أبو حاتم : صدوق .  
توفي سنة ست وأربعين ومائتين .  
الجرح والتعديل ( ٤٩ / ٣ ) ، تقريب التهذيب ( ص ٧٢ ) .

( ٥ ) هو عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد ، جمعت فيه خصال الخيرات سنة واحدة ثمانين ومائة - وله ثلاث وستون . تقريب السبب التهذيب ( ص ١٨٧ ) .

( ٦ ) هو عثمان بن الأسود بن موسى المكي ، مولى بني جمح ، ثقة ثبت ، مات سنة خمس مائة أو قبلها . تقريب التهذيب ( ص ٢٣٢ ) .

( ٧ ) أنظر هذا الحديث في كتاب الزهد ( ص ٤٦٤ ، رقم ١٣١٨ ) .

وأورد أبو عيسى (١) برواية ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من حوسب  
عذب (٢) ، وهو بإسناد غريب . (٣)

وفي رواية ثالثة عن عائشة رضى الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم  
راها وقد رفعت يديها ، وهى تقول : اللهم حاسبنى حساباً يسيراً فقال : يساً (٤)  
عائشة أتدريين ما ذلك الحساب ؟ قالت عائشة : فقلت : ذكر الله فى كتابه  
( فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ) فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : من حوسب خصم ، وذلك المصربين يدى الله تعالى . (٥)

(١) هو الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمى الترمذى الضريس  
مصنف الجامع وكتاب المعطل ، تقدمت ترجمته .

(٢) رواه الترمذى فى سننه - كتاب التفسير ، باب ومن سورة إذا السماء انشقت  
( ٤٣٥ / ٥ ، رقم ٣٣٣٨ ) عن محمد بن عبيد الهمدانى حدثنا على بن أبى بكسر  
عن همام بن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من حوسب  
عذب " .

فقول المؤلف ( برواية ابن عمر ) غير صحيح ، وإنما هو من رواية أنس ، وقد  
أورده السيوطى فى الجامع الصغير ( ١٢٢ / ٦ مع شرحه فى فى القديرو ) وعز  
تخرجه إلى الضياء المقدسى فى الأحاديث المختارة .

(٣) الغريب : هو ما تفرد بروايته شخص واحد فى أى موضع وقع التفرد به من السند ،  
وله أقسام غريب المتن والإسناد وغريب الإسناد وغريب بعض المتن ، وهو قد  
يكون صحيحاً وقد يكون ضعيفاً ، انظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر  
( ٦ - ٨ ) والباعث الحثيث لأحمد شاكر ( ص ١٦٦ - ١٦٧ ) .

قال الترمذى فى هذا الحديث : وهذا حديث غريب لانعرفه من حديث  
قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه .

وقد رمز السيوطى لهذا الحديث بالحسن . انظر الجامع الصغير مع الفيض  
( ١٢٢ / ٦ ) وقال فى الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ( ٢٨٥ / ٥ ) صحيح -  
يشهد له ما بعده - ( يعنى به حديث عائشة الذى تقدم ذكره ) .

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل .

(٥) لم أهدت إلى من أخرج هذه الرواية . وقد روى ابن جرير فى تفسيره ( ١١٥ / ٣٠ )  
بسنده عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول فى بعض صلواته : " اللهم حاسبنى حساباً يسيراً " فلما انصرف قلت :  
يا رسول الله " ما الحساب اليسير ؟ " قال : ينظر فى كتابه ، ويتجاوز عنه ، إنسه  
من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك " .

وذكر الحاكم أبو عبد الله الحافظ<sup>(١)</sup> في المستدرک علی الصحیحین بإسناده عن  
أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً  
يسيراً ، وأدخله الجنة برحمته .

قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله لمن ذلك ؟ قال : أن تصل من قطعك ، وتعفو  
من ظلمك ، وتعطي من حرمك<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ( وينتظب إلى أهله مسوراً ) أي فرحاً مستبشراً<sup>(٣)</sup> ، ويجوز أن ينتظب إلى  
أهله من الحور العين<sup>(٤)</sup> ، ويجوز أن يكون المعنى<sup>(٥)</sup> ينتظب إلى أهل الذين كانوا له في الدنيا<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني  
النيسابوري المعروف بابن البيع صاحب التصانيف ، ولد سنة إحدى وعشرين  
وثلاث مائة .

طلب الحديث من الصفر باعتناء أبيه وخاله فسمع سنة ثلاثين ورحل إلى العراق  
وهو ابن عشرين .

وقال فيه الخطيب : كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ وله في علوم  
الحديث مصنفات عدة .

تاريخ بغداد ( ٤٧٣ / ٥ ) وتذكرة الحفاظ ( ١٠٣٩ / ٣ - ١٠٤٦ )

( ٢ ) أخرجه الحاكم في مستدرکه ( ٥١٨ / ٢ ) بسنده عن سليمان بن داود اليمان عن  
يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً . . .  
الحديث . بجملة - إلا أنه قال " قالوا : لمن يا رسول الله . وزاد في  
آخره : قال : فإذا فعلت ذلك فما لي يا رسول الله ؟ قال : أن تحاسب  
حساباً يسيراً ويدخلك الله الجنة برحمته " .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٩ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضاً إلى  
البيزار والطبراني . وصح الحاكم إسناده وقال الذهبي في تلخيصه : سليمان  
ضعيف .

( ٣ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٢٧٢ / ١٩ ) \* ( مسروراً ) أي مفتبطاً قوبر العين \* انظر  
أيضاً تفسير ابن كثير ٤ / ٤٨٩ .

( ٤ ) قال قتادة : إلى أهله الذين قد أعد لهم الله له في الجنة \* انظر تفسير الطبري  
( ١١٧ / ٣٠ ) وتفسير الماوردي ( ٤٢٦ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٧٧ / ١٩ ) وقال البخاري  
والخازن في تفسيرهما ( ٢٢٤ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٦٤ / ٩ ) \* يعني : في  
الجنة من الحور العين والآدميات \* انظر أيضاً الكشاف ( ٧٢٦ / ٤ ) والبحر المحييط  
( ٤٤٦ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٨٩ / ٤ ) وقد عزا إلى قتادة والضحاك .

( ٥ ) في نسخة \* ( انظب ) .

( ٦ ) ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٤٢٦ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٧٢ / ١٩ ) ،  
وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٢٦ / ٤ ) وأبو حيان في البحر المحييط ( ٤٤٦ / ٨ ) \* إلى  
عشيرته المؤمنين فيخبرهم بخلاصه وسلامته ، أو إلى المؤمنين إن هم كلهم أهل إيمان \* .

وقيل : نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد<sup>(١)</sup> ، وكان زوج أم سلمة<sup>(٢)</sup> ، وهو أول من هاجر إلى المدينة<sup>(٣)</sup> . وقوله ( وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ) نزل في الأسود ابن عبد الأسد<sup>(٤)</sup> .

قوله تعالى : ( وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ) قال مجاهد : يخلع يده اليمنى ويجعل يده اليسرى وراء ظهره فيوضع كتابه فيها<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) هو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي - من السابقين الأولين إلى الإسلام أسلم بعد عشرة أنفس وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاة وكان أول من هاجر إلى المدينة ، شهد بدرًا وأحدًا فجرح بها ثم بعته النبي صلى الله عليه وسلم على سرية إلى بني أسد في سنة أربع ثم رجع فانتقض جرحه فمات في جمادى الآخرة \* وهو مشهور بكنيته أكثر من اسمه . الإصابة ٢ / ٣٣٥ .

( ٢ ) هي أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشيسية ، المخزومية أم المؤمنين ، اسمها هند ، وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة ، فمات عنها ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة أربع ، وكانت ممن أسلمت قديماً هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة وكانت موصوفة بالجطل البارع والعقل البالغ والرأى الصائب وإشارتها على النبي صلى الله عليه وسلم تدل على وفور عظمها وصواب رأيها \* . ماتت في شوال سنة تسع وخمسين . الإصابة ٤ / ٤٦٠ .

( ٣ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٦٨ / ١٩ ) .

( ٤ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٢٧٢ / ١٩ ) : " نزلت في الأسود بن عبد الأسد أخى أبي سلمة ، قال ابن عباس ثم هي عامة في كل مؤمن وكافر . انظر أيضا تفسير مقاتل ( ق ٣٩٠ / ١ ) .

( ٥ ) قال مجاهد في تفسيره ( ٧٤٢ / ٢ ) " يجعل شماله وراء ظهره فيأخذ كتابه " وروى ابن جرير في تفسيره ( ١١٧ / ٣٠ ) بسنده عنه أنه قال : " يجعل يده من وراء ظهره " وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٩ / ٦ ) بلفظ : " تخلع يده فتجعل من وراء ظهره " وعزا تخريجه إلى ابن المنذر ، انظر أيضا تفسير الثعلبي ( ٥٨١ / ٣ ب ) ، وتفسير البغوي والخازن ( ٢٢٤ / ٧ ) وتفسير الرازي ( ١٠٦ / ٣١ ) والكشاف ( ٧٢٦ / ٤ ) .

وقال الكلبى : تغل يده اليمنى ويوضع كتابه فى شماله من وراء ظهره (١) .

وروى أبو موسى الأشعري : وهو عبد الله بن قيس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تكون فى يوم القيامة ثلاث عرضات : فعرضتان جدال ومعادير ، والعرضة الثالثة : عند تطاير الصحف فأخذ بيمينه وأخذ بشماله (٢) .

وذكره النقاش فى تفسيره (بإسناده) : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من حاسب نفسه فى الدنيا ، هونَ الله عليه الحساب فى الآخرة (٣) .

(١) ذكره عن الكلبى ، الرازى فى تفسيره (١٠٦/٣١) وقال البغوى والخسازن فى تفسيرهما (٢٢٤/٧) " يعنى أنه تغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره " .  
وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٢٦/٤) : " قيل : تغل يمينه إلى عنقه ، وتجعل شماله وراء ظهره ، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره " .

وذكر الرازى فى تفسيره (١٠٦/٣١) وجهين آخرين .  
أحدهما : قال قوم : يتحول وجهه فى قفاه ، فيقرأ كتابه كذلك .  
الثانى : أن يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره لأنه إذا حاول أخذه بيمينه كالمؤمنين يمنع من ذلك وأوتى من وراء ظهره بشماله .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد - باب ذكر البعث (٩٧٢/٢) والإمام أحمد فى مسنده (٤١٤/٤) بسندهما عن الحسن عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يمرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات . . . الحديث بعثله .

وقال البوصيرى فى زوائده كما نقل عنه السندى فى حاشيته : " رجال الإسناد ثقات إلا أنه منقطع والحسن لم يسمع من أبى موسى " وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب صفة القيامة ، باب ماجاء فى العرض (٦١٧/٤ ، رقم ٢٤٢٥) بسنده عن الحسن عن أبى هريرة مرفوعاً .

وقال الترمذى : ولا يصحُّ هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة ، وقد رواه بعضهم عن طي الرقاعى عن الحسن عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى موسى .

(٣) لم أجد من روى هذا الحديث .  
والنقاش معروف برواية الموضوعات والمناكير .

( فسوف يدعون ثبورا ) معناه يقول : واشبوراه ، ومعنى قوله واشبوراه : واهلاكاه .  
يقال : رجل شبور : أى هالك .<sup>(٢)</sup>

وقوله ( ويصلى سعيوا ) أى يقاسى الناس ، ويقال : يدخل . ومنه  
قوله تعالى : ( اضلّوها )<sup>(٥)</sup> أى ادخلوها .

وقرى : ( ويصلى سعيوا )<sup>(٦)</sup> : أى يكثر عذابه بنار جهنم . ذكره الأزهرى .<sup>(٧)</sup>

(١) قال الزمخشري فى الكشاف (٤/٧٢٦) : " يقول : يا ثبوراه ، والثبور الهلاك " انظر أيضا تفسير غريب القرآن (٥٢١) وقال البغوى فى تفسيره (٧/٢٢٤) : " ينادى بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول : يا ويلاه يا ثبوراه ، لقوله تعالى : ( دعوا هنالك ثبورا ) سورة الفرقان الآية ١٣ ، وذكر الرازى فى تفسيره (١٠٦/٣١) فى معنى الثبور قولين : قال : فاعلم أن الثبور هو الهلاك ، والمعنى : أنه لما أوتى كتابه من غيسو يمينه علم أنه من أهل النار فيقول : واشبوراه ثم قال : وفيه وجه آخر ذكره القفال : فقال : الثبور مشتق من المثابرة على شىء ، وهى المواظبة عليه ، فسمى هلاك الآخرة ثبوراً لأنه لازم لا يزول ، كما قال " إن عذابها كان غراماً " سورة الفرقان الآية ٦٥ .

(٢) انظر المفردات (ص ٧٨) ولسان العرب (٤/٩٩) .

(٣) قال صاحب حجة القراءات (ص ٧٥٦) : أى أنه يقاسى حرها . وذكر الراغب الأصفهاني فى المفردات (ص ٢٨٥) عن الخليل أنه قال : " صَلَّى الكافر النارَ قاسى حرّها " .

(٤) قال القرطبي فى تفسيره (١٩/٢٧٢) : " أى : ويدخل النار حتى يصلى بحرّها " وقال الراغب الأصفهاني فى المفردات (ص ٢٨٥) عند ذكره لمعانى الكلمة : وقيل : صَلَّى النارَ دخلَ فيها ، وأصلها غيرُ " وتقدم ذكر معناها فى سورة الانطسار (٥٠٩) وسورة المطففين (٥٢٨) .

(٥) هو جزء من الآية ٦٤ فى سورة يس ، ومن الآية ١٦ فى سورة الطور .

(٦) قرأ أبو عمرو وحمة وعاصم (يُصَلَّى) بالفتح فى الياء واسكان الصاد مخففاً ، وأضافوا الفعل إلى الداخل فى النار ، فهو الفاعل ، وقرأه الباكون (يُصَلَّى) بضم اليماء وفتح الصاد شديداً ، وأضافوا الفعل إلى المفعول ، فهو فعل لم يسم فاعله . وحجة القراءة الأولى : إجماع الجميع على قوله " صَلَّى النارَ الكبرى " ( سورة الأعراف الآية ٦٢ ) وقوله ( سَيَصَلَّى ناراً ) سورة المسد الآية ٣ . وقوله [إلا مَنْ هُوَ صَال الْجَحِيمِ] سورة الصافات الآية ٦٣ فود ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى . أما حجة القراءة الثانية فقوله تعالى " ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ " سورة الناقة الآية ٣١ ، وقوله " وَتَصَلَّى جَحِيمٍ " سورة الواقعة الآية ٩٤ .

انظر التيسير (ص ٢٢١) والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٣٦٧) وحجة القراءات (ص ٧٥٥-٧٥٦) انظر أيضا تفسير الطبرى (٣٠/١١٧) وتفسير الثعلبى (١٢/٥٨ ب) وتفسير البغوى (٧/٢٢٤) وزاد السمر (٩/٦٤) وتفسير القرطبى

(١٩/٢٧٢-٢٧٣) .

(٧) لم أجد هذا الكلام فى تهذيب اللغة لا فى كلمة (يصلى) ولا فى كلمة (سعيوا) .

قوله تعالى : ( إنه كان في أهله سرورا ) أى لم يحزن للتقصير في أوامر الله تعالى ، ولم يتعب ، ولم ينصب في العمل بطاعة الله . ذكره القفال<sup>(١)</sup> . ويقال : ( كان في أهله سرورا ) أى راكباً هواه ، متبعاً شهوته<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ( إنه ظن أن لن ينحو<sup>(٣)</sup> ) أى أن لن يرجع إلى الله / تعالى ، وهو ٣٢٤ / ب وهو اخبار عن انكاره بالبعث ،

( ١ ) ذكر الرازي في تفسيره ( ٣١ / ٧٠ ) عن القفال وجهين . أحدهما : أنه كان في أهله سروراً : أى منعماً مستريحاً من التعب بأداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة والصوم والجهاد مُقَدِّماً على المعاصي ، آمناً من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله ولا يوجوه فأبدله الله بذلك السرور الغاني غمّاً باقياً لا ينقطع . وكان المؤمن الذي أوتى كتابه بيمينه متقياً من المعاصي غير آمن من العذاب ولم يكن في دنياه سروراً في أهله فجعله الله في الآخرة سروراً فأبدله الله تعالى بالغم الغاني سروراً دائماً لا ينفد .

الثاني : أن قوله ( إنه كان في أهله سروراً ) كقوله ( وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ) سورة المطففين الآية ٣١ ، أى متنعمين في الدنيا معجبين بما هو عليه من الكفر ، كذلك ههنا يحتمل أن يكون المعنى أنه كان في أهله سروراً بما هم عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك من آمن بسنة وصدق بالحساب .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٧٢٦ ) :

" ( في أهله ) فيما بين ظهرانهم أو معهم على أنهم كانوا جميعاً سرورين ، يعنى أنه كان في الدنيا مترقياً بطراً مستبشراً كعادة الفجار الذين لا يهتمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ، ولم يكن كثيراً حزينا متفكراً كعادة الصالحين والمتقين .

وقال أبوحيان في البحر المحيط ( ٨ / ٤٤٧ ) : " ( إنه كان في أهله سرورا ) أى فحراً بطراً مترقياً لا يعرف الله ولا يفكر في عاقبته لقوله تعالى ( لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ) ( سورة القصص الآية ٧٦ ) بخلاف المؤمن فإنه حزين مكتئب يتفكر في الآخرة " هـ .

( ٢ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٧ / ٢٢٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٦٥ ) " يعنى في الدنيا باتباع هواه ، وركوب شهواته " .

( ٣ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٧ / ٢٢٤ ) " أى : لن يرجع إلينا ولن يبعث " وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٦٥ ) : " أى لن يرجع إلى الآخرة ولن يبعث ، وهذه صفة الكافر " وقال الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٧٢٧ ) : " لن يرجع إلى الله تعالى تكذيباً بالمعاد " وكذا قال أبوحيان في البحر المحيط ( ٨ / ٤٤٧ ) انظر أيضاً تفسير الماوردي ( ٤ / ٢٦٦ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٢٧٣ ) وتفسير ابن كثير ( ٤ / ٤٨٩ ) .

وقوله : ( يحور ) يرجع .<sup>(١)</sup> ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " أعوذ بالله من الحور بعد الكور " ، أي النقصان بعد الزيادة .<sup>(٢)</sup>

وفي رواية : " من الحور بعد الكون " : أي من انتشار أمره بعد أن كان مجتمعاً ومن فساد أمره بعد أن كان صالحاً .<sup>(٣)</sup>

(١) انظر مجاز القرآن (٢/٢٩١) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٢١) وزاد المسير (٦٥/٩) ونقل ابن الجوزي عن اللغويين : أن الحور في اللغة : الرجوع " وانظر أيضا لسان العرب (٤/٢١٧) وقال الرازي في تفسيره (١٠٧٣١) : " اعلم أن الحور هو الرجوع ، والمعارج المرجع والمصير " ثم قال : " ونقل القفال عن بعضهم : أن الحور هو الرجوع إلى خلاف ما كان عليه المرء .

وقال بعد ذلك : فعلى الوجه الأول معنى الآية أنه ظن أن لن يرجع إلى الآخرة ، أي لن يبعث . وقال مقاتل وابن عباس : حسب أن لا يرجع إلى الله تعالى ، وعلى الوجه الثاني : أنه ظن أن لن يرجع إلى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتنعم . ولكن المعنى الأول ( يعني أنه ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى ) هو الأحسن ، وهو الذي عليه أكثر المفسرين ، والسياق يؤيده .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الدعاء ، باب ما يدعو به الرجل إذا سافر (٢/٤٤٦) والنسائي في سننه كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من الحور بعد الكور (٨/٢٧٢) والإمام أحمد في مسنده (٥/٨٠٢-٨٣) والدارمي في سننه كتاب الاستئذان ، باب في الدعاء إذا سافر ، (٢/٢٨٧) كلهم بإسناد هم عن عبد الله بن سرجس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول : وقال عبد الرحيم (أحد الرواة) يتعمد إذا سافر اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ، ودعوة المظلوم وسوء المنظر فسي الأهل والمال .

(٣) انظر النهاية (١/٤٥٨) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الحج - باب استحباب الذكر إذا ركب دابته ، (٩/١١١) والترمذي في سننه وكتاب الدعوات باب ما يقول إذا خرج مسافراً (٥/٤٩٧ ، رقم ٣٤٣٩) .

(٥) ذكر ابن الأثير في النهاية (١/٤٥٨) الرواية الأولى (أي من الحور بعد الكور) وبين معناه وهو ( من النقصان بعد الزيادة ) ثم قال : وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وقيل : من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم ، وأصله من نقص العمامة بعد لفها " ثم عاد فذكر الرواية الثانية (أي من الحور بعد الكون) وقال : الكون : مصدر " كان " التامة ، يقال : كان يكون كوناً : أي وجد واستقر : أي أعوذ بك من النقص بعد الوجود والشبات " النهاية (٤/٢١١) .



قال الشاعر (١) :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ  
يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ (٢)  
وقوله : (بلى إن ربه كان به بصيراً) (٣) أى عالماً .

قوله تعالى ( فلا أقسم بالشفق ) (٤) أى أقسم بالشفق .

قال مجاهد : هو النهار كله . (٦)

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري .

(٢) البيت في ديوانه (ص ٨٨) وقد أنشده أيضا الثعلبي في تفسيره (١٢/٥٨ ب) والماوردي في تفسيره (٤/٤٢٦) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٦٥) والقرطبي في تفسيره (١٩/٢٧٣) .

(٣) ذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤٢٦) في هذه الآية وجهين .  
أحدهما : شاهداً لما كان عليه ، الثاني : خبيراً بما يصير إليه .  
وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٦٥) : " قال المفسرون : بصيراً به عسى جميع أحواله " .

وقال القرطبي في تفسيره (١٩/٢٧٤) : قوله تعالى ( بلى ) أى ليس الأمر كما ظن ، بل يحور إلينا ويرجع ( إن ربه كان به بصيراً ) قبل أن يخلقه ، عالماً بأن مرجعه إليه ، وقيل : بلى ليحسرن وليرجعن ، ثم استأنف فقال : " إن ربه كان به بصيراً " من يوم خلقه إلى أن بعثه ، وقيل : عالماً بما سبق له من الشقاء والسعادة " .

(٤) سقطت ( فلا ) من نسخة ب .

(٥) قال القرطبي في تفسيره (١٩/٢٧٤) . " قوله تعالى ( فلا أقسم ) أى فأقسم ، ولا صلة "أهـ" وقد تقدم التفصيل في مثل هذا .

(٦) انظر تفسير مجاهد (٢/٧٤٢) وتفسير الطبري (٣٠/١١٧) وتفسير الثعلبي (١٣/٥٩) وتفسير البغوي والخازن (٧/٢٢٤ - ٢٢٥) وزاد المسير (٩/٦٦) . وحجته في ذلك أنه عطف عليه الليل ، فيجب أن يكون المذكور أولاً هو النهار ، فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه .

انظر تفسير الرازي (٣١/١٠٨) وتفسير القرطبي (١٩/٢٧٦) وتفسير ابن كثير (٤/٤٨٩) وروى عن مجاهد قول آخر وهو أنه الشمس .

وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٤٢٧) ( وقد زاد المحقق فيما بين المعكوفين (بقية ضوء) وهو خطأ منه . وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٦٦) وابن كثير في تفسيره (٤/٤٨٩) وأبو حيان في البحر المحيطة (٨/٤٤٧) .  
وقال ابن كثير : رواهما ( أى القول الأول وهو أن الشفق النهار كله ، والقول الثاني وهو أنه الشمس ) ابن أبي حاتم ، وإنما حطه علي هذا قرنه بقوله تعالى ( والليل وما وسق ) أى جمع ، كأنه أقسم بالضياء والظلام " .

والمعروف : أن الشفق : هو الحمرة من عند غروب الشمس إلى العشاء الأخيرة .<sup>(٢)</sup>  
قال الفراء : سمعت العرب تقول : على فلان ثوب كأنه الشفق ، وكان عليه ثوب مضبوط  
بالحمرة .<sup>(٣)</sup>

وفي بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الشفق هو الحمرة .<sup>(٤)</sup>  
وهو قول جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين منهم : ابن عمر<sup>(٥)</sup>

(١) سقطت ( أن ) من نسخة ( ب ) .

لأنه قول الجمهور من الأئمة . قال الثعلبي في تفسيره ( ١٢ / ١٥٦ / ١ ) :  
" والاختيار القول الأول ( يعني أن الشفق هو الحمرة ) لإجماع العبادة عليه  
، ولأن الشواهد في كلام العرب وأشعارهم تشهد له " ثم ذكر قول الفراء الذي  
سيأتي ذكره بعد ذلك مباشرة . وصرح الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٧٢٢ ) بأنه  
قول عامة العلماء . وقال القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٧٥ ) .

" والاختيار الأول ( يعني أن الشفق هو الحمرة ) لأن أكثر الصحابة  
والتابعين والفقهاء عليه ، ولأن شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له " .  
انظر أيضا زاد المسير ( ٩ / ٦٦ ) وتفسير الرازي ( ٣١ / ١٠٨ ) وتفسير ابن كثير  
( ٤ / ٤٨٩ ) والبحر المحيط ( ٨ / ٤٤٧ ) وروح المعاني ( ٣٠ / ٨١ ) .

(٢) انظر معاني القرآن ( ٣ / ٢٥١ ) .

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه ( ١ / ٢٦٩ ) من طريق عتيق بن يعقوب حدثني مالك  
عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشفق الحمرة ،  
فإذا غاب الشفق وجبت العشاء " . وقد رمز له السيوطي في الجامع الصغير  
( ٤ / ١٧٧ مع الفيض ) بالصحة . وتعقبه المناوي فقال : وهو غير صواب ،  
فقد قال الذهبي في التقيح : فيه نكارة ، وقال ابن عبد الهادي : رواه  
الدارقطني موقوفاً من قول ابن عمر وهو الأشبه " .

وأورد الحديث الزيلعي في نصب الراية ( ١ / ٢٣٢ - ٢٣٣ ) ونقل عن البيهقي  
في المعرفة أنه قال : روى هذا الحديث عن عمرو بن علي وابن عباس وعيادة بن الضامت  
وشداد بن أوس وأبي هريرة ، ولا يضح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء " .  
وذكر عنه أيضا أنه قال : الصحيح موقوف . انظر أيضا السنن الكبرى ( ١ / ٧٣ ) .  
وتلخيص الحبوي ( ١ / ١٧٦ ) وقد صرح الألباني في ضعيف الجامع الصغير  
( ٣ / ٢٥٧ ) بضعفه .

(٥) روى عبد الرزاق في مصنفه ( ١ / ٥٥٩ ) والدارقطني في سننه ( ١ / ٢٦٩ ) بسندهما  
عن ابن عمر أنه كان يقول : الشفق الحمرة " وقال السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ٣٣٠ )  
" وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر وعبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عمر  
قال : الشفق الحمرة " وذكره ضمن القائلين بذلك ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٦٦ ) ،  
والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٨٥ ) وابن قدامة في المغني ( ١ / ٣٨٢ ) .

وسعيد بن المسيب وغيرهما (٢)

وعن أبي هريرة : أن الشفق هو البياض ، وهو قول عمر بن عبد العزيز . (٤)

(١) ذكره ضمن القائلين به الثعلبي في تفسيره (١٣/٥٩/١) وابن الجوزي في زاد المسير (٦٦/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٧٥/١٩) .

(٢) هو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وأئمة الفقهاء ، راجع لمعرفة أسمائهم تفسير الثعلبي (١٣/٥٩/١) وزاد المسير (٦٦/٩) وتفسير القرطبي (٢٧٤/١٩ - ٢٧٥) والمغنى لابن قدامة (٣٨٢/١) .

(٣) روى ابن أبي شيبة في المصنف (١/٣٣٠) بسنده عن أبي لبينة عن أبي هريرة قال : صلوا المشاء إذا ذهب الشفق والآن الليل ما بينك وبين ثلث الليل ، وما عجلت بعد ذهاب بياض الأفق فهو أفضل ، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٨٩) :- قال عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن أبي لبينة عن أبي هريرة قال : الشفق البياض \* .

وقد ذكره ضمن القائلين بذلك ( يعني أن الشفق البياض ) ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩١٠) والقرطبي في تفسيره (٢٧٥/١٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٤٧) وابن قدامة في المغنى (٣٨٢/١) .

(٤) روى عبد الرزاق في تفسيره (ق/١٦٩ ب) عن معمر عن جعفر بن برقان عن عمر بن عبد العزيز قال : الشفق البياض \* .

وذكره ضمن القائلين به الثعلبي في تفسيره (١٣/٥٩/١) وابن الجوزي في زاد المسير (٦٦/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٧٥/١٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٤٧) وابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩١٠) وابن قدامة في المغنى (٣٨٢/١) .

وقد روى ذلك عن ابن عباس وأنس أيضا ، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة وابن المنذر . انظر الهداية (١/٣٩) وأحكام القرآن لابن العربي (٤/٩١٠) وتفسير القرطبي (٢٧٥/١٩) والبحر المحيط (٨/٤٤٧) وقد ذكر بعضهم أن أسد بن عمرو روى عن أبي حنيفة أنه رجع عن هذا القول إلى قول الجمهور ولكن مذهب الأحناف لا يزال على القول السابق كما صرح به ابن الهمام في فتح القدير (١/١٩٦) وقال أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن (٣/٤٧٢) " الشفق في الأصل الرقة ومنه ثوب شفق إذا

.. / ..

كان رقيقاً ومنه الشفقة، وهو رقة الطب، وإذا كان هذا أصله فهو بالبياض أولى \* .  
 واستدل ابن الهمام في فتح القدير ( ١٩٦/١ ) على أن الشفق هو البياض بحد يث  
 محمد بن فضيل عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم : " إن للصلاة أولاً وآخرًا . . . ( إلى أن قال ) : وإن أول وقت  
 المغرب حين تغرب الشمس، وإن آخر وقتها حين يغيب الأفق " . . . والحد يث فسي  
 سنن الترمذي ( ٢٨٣/١ - ٢٨٤ ) وقال ابن الهمام بعد أن أشار إلى هذا الحديث :  
 وغيبوته ( أي الأفق ) بسقوط البياض الذي يعقب الحمرة وإلا كان بادياً، وإذا  
 تعارضت الأخبار لم ينقض الوقت بالشك \* وذكر أن الشفق يطلق على الحمرة والبياض  
 ولكن النظر عند الترجيح أفاد ترجيح أنه البياض هنا، وأقرب الأمر أنه إذا تردد فسي  
 أنه الحمرة أو البياض لأنه لا وقت مهمل بينهما فيخرج وقت المغرب يدخل وقت العشاء  
 اتفاقاً ولا صحة لصلاة قبل الوقت، فلا احتياط في التأخير \* .

واستدلوا أيضاً بقول ابن مسعود رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يصلي هذه الصلاة حين يسود الأفق \* . ذكره ابن قدامة في المغني ( ٣٨٣/١ ) :  
 ويذكر المفسرون في معنى الشفق قولين آخرين .  
 أحدهما : أنه ما بقى من النهار ، قاله عكرمة .  
 والثاني : أنه السواد الذي يكون بعد زهاب البياض ، قاله أبو جعفر محمد بن علي -  
 انظر زاد المسير ( ٦٦/٩ ) .

والراجح من هذه الأقوال هو ما ذهب إليه الجمهور من العلماء ، وأما استدلال  
 الجصاص باشتقاق اللغوي فاستدل به أيضا القائلون بأن الشفق هو الحمرة ، فقال القرطبي  
 في تفسيره ( ٢٧٥/١٩ ) : أصل الكلمة من رقة الشيء ، يقال : شيء شفق : أي  
 لا تماسك له لرقته واشفق عليه : أعرق قلبه عليه ، والشفقة الاسم من الاشفاق ، وهو  
 رقة القلب ، . . . ( إلى أن قال ) : فالشفق : بقية ضوء الشمس وحمرتها فكان تلك الرقة  
 عن ضوء الشمس \* .

وقيل أيضا في الرد على استدلالهم : إن البياض لا يغيب أصلاً ، فقال بعضهم :  
 رأيت يتعادى إلى طلوع الفجر ، ثم إن الحكم يتعلق بأول الاسم ، إلا إذا كان هناك نص  
 يقطع عن ذلك .

وأجيب عن حديث ابن مسعود بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤخر الصلاة عن  
 أول الوقت قليلاً ، وهذا هو الأفضل والأولى .

انظر المغني لابن قدامة ( ٣٨٢/١ - ٣٨٣ ) وأحكام القرآن لابن العربي ( ١٩١/٤ )  
 وتفسير القرطبي ( ٢٧٥/١٩ ) .

قوله ( والليل وما وسق ) أى وما جمع ، ولف ، وضم الأَشْيَاء بعد انتشارها .  
 وإنما قال ذلك لأنه إذا كان الليل آوى كل شىء إلى مأواه ورجع كل إنسان إلى  
 منزله ، وإذا كان النهار انتشروا فى التصرف .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٢٥ / ٧ ) " ( والليل وما وسق ) أى وما جمع وضم ،  
 يقال : وسقته أسقه وسقاً : أى جمعته بواسطه وسقت الإبل : إذا اجتمعت  
 وضمت " . انظر أيضاً تفسير الثعلبى ( ١٢ / ٥٩ / ١ ) وقد ذكر هذا المعنى  
 ابن جرير فى تفسيره ( ١١٧ / ٣٠ ) ورواه عن ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم -  
 وذكره الطوردي فى تفسيره ( ٤٢٧ / ٤ ) من قول مجاهد ، وقال مجاهد فى تفسيره  
 ( ٧٤٣ - ٧٤٢ / ٢ ) " ( والليل وما وسق ) يقول : والليل وما لَف عليه " وفى  
 لفظ آخر " يقول : وما جمع ، يعنى وما آوى إليه من دوابه " وذكر عنه أبوحيان فى  
 البحر المحيط ( ٤٤٧ / ٨ ) فقال : قال مجاهد : وماضم من خير وشر " .

( ٢ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٢٥ / ٧ ) بعد أن ذكر المعنى اللغوى لكلمة ( وسق ) :  
 والمعنى : والليل وما جمع وضم ما كان بالنهار منتشراً من الدواب ، وذلك أن الليل  
 إذا أقبل آوى كل شىء إلى مأواه ، انظر أيضاً زاد المسير ( ٦٦ - ٦٧ / ٩ ) وتفسير  
 الخازن ( ٢٢٥ / ٧ ) وقال القرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ٢٧٦ ) : " ( والليل وما وسق )  
 أى جمع وضم ولف ، وأصله من سَوْرَة السلطان وغضبه ، فلولاً أنه خرج إلى العباد  
 من باب الرحمة ما تمالك العباد لمجيئه ، ولكن خرج من باب الرحمة فمزج بهما ،  
 فسكن الخلق إليه ثم ابدعوا والتفوا وانقبضوا ، ورجع كل إلى مأواه فسكن فيه من  
 هَوْلِهِ وحشاً ، وهو قوله تعالى : " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه " .  
 أى بالليل " ولتبتغوا من فضله " أى بالنهار على ما تقدم . فالليل يجمع ويضم ما كان  
 منتشراً بالنهار من تصرفه - هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم " اهـ .  
 هذا وقد ذكر فى معنى ( وما وسق ) أقوال أخرى ، فقليل : معناه وما ساق ، ذكره  
 ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ١٢١ ) ورواه عن عكرمة والضحاك . وذكره الثعلبى فى  
 تفسيره ( ١٣ / ٥٩ / ب ) من قول الضحاك ومقاتل ، ونقل عن الاستاذ أبي القاسم  
 ابن حبيب أنه قال : يشبه أن يكون على هذا القول من المقلوب ، لأن أصله ( ساق  
 يسوق ) انظر أيضاً تفسير الطوردي ( ٤ / ٢٧٧ ) وتفسير القرطبى ( ١٩ / ٢٧٧ ) ،  
 وتفسير ابن كثير ( ٤ / ٤٨٩ ) وقيل : وما عمل فيه ، قاله سعيد بن جبير ، ذكره الثعلبى  
 فى تفسيره ( ١٣ / ٥٩ / ب ) والطوردي فى تفسيره ( ٤ / ٢٧٧ ) والبيهقى فى تفسيره  
 ( ٧ / ٢٢٥ ) والرازى فى تفسيره ( ٣١ / ١٠٩ ) ونقل عن القفال أنه قال : يحتمل أن  
 يكون ذلك هو تهجد العباد ، فقد مدح الله تعالى بها المستغفرين بالأشجار  
 فيجوز أن يحلف بهم " وذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٩ / ٢٧٧ ) وصرح بأنه يعنى  
 التهجد والاستغفار بالأشجار ، وقيل : ( وما وسق ) أى جن وستر ، قاله ابن عباس ،  
 ذكره الطوردي فى تفسيره ( ٤ / ٢٧٧ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٧ / ٢٢٥ ) وقال أبو عبيدة  
 فى مجاز القرآن ( ٢ / ٢٩١ ) : ( ما وسق ) ما علا فلم يمتنع من شىء ، فإذا جليل  
 الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجمعت له فقد وسقها " ويبدو لى أن  
 الصواب هو ما ذكره المؤلف ، وهو أن معناه ( جمع وضم ) فإنه هو الذى يدل عليه  
 معناه اللغوى .

وقوله ( والقمر إذا اتسق ) أى إذا اجتمع ضوءه<sup>(١)</sup> ، ويقال : امتلا نوراً ، وهو ليلة الثالث عشر من الشهر ، والرابع عشر والخامس عشر<sup>(٢)</sup> قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :  
 إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقًا مُسْتَوْسِقَاتٍ لِيُوَجِدَنَّ سَائِقًا<sup>(٤)</sup> .  
 وقوله ( لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ) وقمرى ( لَتَرْكَبَنَّ ) على الواحد<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) قال الرازى فى تفسيره ( ١٠٩ / ٣١ ) \* أما قوله ( والقمر إذا اتسق ) فاعلم أن أصل الكلمة من الاجتماع يقال : وسقته فاتسق كما يقال : وصلته فاتصل ، أى جمعته فاجتمع ، ويقال أمور فلان متسقة أى مجتمعة على الصلاح ، كما يقال : منتظمة ، وأما أهل المعانى فقال ابن عباس : إذا اتسق أى استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار ، وذلك ليلة ثلاثة عشر إلى ستة عشر \* .

( ٢ ) سقطت كلمة ( عشر ) من الأصل .  
 وقال الفراء فى معان القرآن ( ٢٥١ / ٣ ) \* اتساق : امتلاؤه ثلاث عشرة إلى ست عشرة فبهن اتساقه \* وهذا المعنى مروى عن الحسن ، رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٢٢ / ٣٠ ) بسنده عنه قال : إذا اجتمع ، إذا امتلا .

وقد ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٢٧ / ٤ ) فى هذه الآية ثلاثة تأويلات ، أحدها : إذا استوى ، قاله ابن عباس ، وقولهم : اتسق الأمر إذا انتظم واستوى . الثانى : والقمر إذا استدار ، قاله عكرمة . الثالث : إذا اجتمع ، قاله مجاهد .

وقد ذكر هذه المعانى ابن جرير فى تفسيره ( ١٢١ / ٣٠ - ١٢٢ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٧٨ / ١٩ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤٨٩ / ٤ ) وكل هذه الأقسام متقاربة ، كما صرح بذلك الماوردى وقال ابن كثير : ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره ، وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق .

( ٣ ) هو العجاج .  
 ( ٤ ) الرجز فى طهق ديوان العجاج ( ص ٨٤ ) وهو فى لسان العرب ( ٣٨٠ / ١٠ ) وقد أنشده من المفسرين الطبرى فى تفسيره ( ١٢٠ / ٣٠ ) والماوردى فى تفسيره ( ٤٢٧ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٦٦ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٧٧ / ١٩ ) ولكنهم أنشده عند قوله تعالى ( والليل وما وسق ) .

( ٥ ) قرأه ابن كثير وحمزة والكسائى بفتح الباء ( أى لَتَرْكَبَنَّ ) وذلك لأنه على خطاب الإنسان فى ( يا أيها الإنسان ) وقرأه الباقون برفع الباء ( لَتَرْكَبَنَّ ) لأنه خطاب الجنس . انظر التيسير ( ص ٢٢١ ) والكشف عن وجوه القراءات ( ٢ / ٣٦٧ - ٣٦٨ ) وحجة القراءات ( ص ٧٥٦ - ٧٥٧ ) انظر أيضا تفسير الطبرى ( ١٢٢ / ٣٠ - ١٢٥ ) وقد اختار القراءة بالفتح ( أى لَتَرْكَبَنَّ ) وتفسير البغوى ( ٢٢٥ / ٧ ) وزاد المسير

فمن قرأ على الجمع فمعناه <sup>(١)</sup> : لَتَرَكِبَنَّ أَيُّهَا النَّاسُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ <sup>(٢)</sup> ، والحال هو بمعنى الطبق <sup>(٣)</sup> ، قال الشاعر <sup>(٤)</sup> :

فبينما المرء في عيش      لذيد ناعم خفيض  
أثناء طبق يوماً      على منقلب دحس <sup>(٥)</sup>

ومعنى حال بعد حال : هو أنه يكون نطفة ثم عذقة ثم مضافة ثم ينفخ فيه الروح وبعد ذلك تعدل أحواله ، وتختلف على المعهود المعلوم من طفولته وشباب وهرم وغير ذلك <sup>(٦)</sup> .

(١) اختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم ، لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر قبل هذه الآية <sup>(٧)</sup> فمن أوتى كتابه بيمينه ومن أوتى كتابه بشماله .

انظر تفسير الثعلبي (١٣/٥٩/ب) وتفسير القرطبي (١٩/٢٧٨) .

(٢) ذكر الثعلبي في تفسيره (١٣/٦١/١) عن عكرمة أنه قال : " حالاً بعد حال ، رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ " وذكر عنه نحوه الماوردي في تفسيره (٤٢٨٧) والبغوي في تفسيره (٧/٢٢٥) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٦٨) وابن كثير في تفسيره (٤/٤٩٠) .

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب (١٠/٢١١) " والطبقة : الحال ، يقال : كان فلان من الدنيا على طبقات شتى أي حالات " وذكر عن ابن الأعرابي أنه قال : الطبقُ الحال على اختلافها ، والطبقُ والطبقة : الحال " انظر أيضاً تفسير الثعلبي (١/٦١/١٣) .

(٤) هو ذو الأصبغ المدواني .

(٥) البيت في شعراء النصرانية لشيخو اليسوعي (٢/٦٢٦) وفيه ( له من عيشة ) بدل ( لذيد ناعم ) و ( على مزدلفة ) بدل ( على منقلب ) .

(٦) قال الثعلبي في تفسيره (١/٦١/١٣) بعد أن ذكر قول عكرمة السابق : قالت الحكماء : يشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى أن يهرم ويموت على سبعة وثلاثين حالاً . نطفة ثم عذقة ثم مضافة ، وذكر هذه الأحوال السبعة والثلاثين ثم قال : " فهذا معنى قوله سبحانه ( لتركين طبقاً عن طبق ) والطبق في اللغة : الحال " . وقال الرازي في تفسيره (٣١/١٠٩) : " أما القراءة برفع الياء وهو خطاب الجمع فتحتمل وجوهاً : أحدها : أن يكون المعنى ( لتركين ) أيها الإنسان أموراً وأحوالاً أمر بعد أمر ، وحالاً بعد حال ، ومنزلاً بعد منزل إلى أن يستقر الأمر على ما يقضى به على الإنسان أول من جنة أو نار " إلى أن قال : ويدخل في هذه الجطة أحوال الإنسان من أن يكون نطفة إلى أن يصير شخصاً ثم يموت فيكون في البرزخ ثم يحشر ثم ينقل إما إلى الجنة وإما إلى نار " وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٤٧) مختصراً ، وقال : " قال نحوه عكرمة " . وقد ذكر هذا المعنى القرطبي في تفسيره (١٩/٢٧٨) ومكسب ابن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات (٢/٣٦٧) على القراءة بالفتح ( لتركين ) أيضاً . فقال القرطبي : وقيل : أي لتركين أيها الإنسان حالاً بعد حال من كونك نطفة ثم عذقة ثم مضافة ثم حياً وميتاً وغنياً وفقيراً ، فالخطاب للإنسان المذكور في قوله : " يا أيها الإنسان إنك كادح " وهو اسم للجنس ومعناه الناس " وقال مكسب بن أبي طالب : وقيل : هو خطاب للإنسان على معنى : لتركين أيها الإنسان حالاً بعد حال من مرض وصحة وشباب وهرم " .

ويقال : (لتركيب طبقاً عن طبق) أي شدة على شدة : والمعنى أنه حياة ثم موت ، ثم يموت ثم جزاء<sup>(١)</sup> .

فأما القراءة على الوجدان<sup>(٢)</sup> ففيه قولان :

أحدهما أن المراد منه السماء ، والمعنى : أنه ينشق ويكون مرة كالدهان ، ومرة كالمهل ، ومرة مشقوقة ، ومرة صحيحة . وهو مروى عن ابن مسعود وغيره .<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>

(١) ذكره الشعلبي في تفسيره (١/٦١/١٣) والبغوي في تفسيره (٢٢٥/٧) عن عمرو ابن دينار عن ابن عباس . انظر أيضاً زاد المسير (٦٨/٩) وتفسير القرطبي (٢٢٩/١٩) وذكره الماوردي في تفسيره (٤٢٨/٤) بلفظ : " شدة بعد شدة وحياة ثم موت ثم يموت ثم جزاء " ، وفي كل حال من هذه شدة " وقال : وقد روى معناه جابر مرفوعاً " قلت : وهو حديث طويل يشتمل على أحوال تعترى الإنسان من حين يخلق إلى حين يموت وقد أورده بطوله القرطبي في تفسيره (٢٢٨/١٩) - (٢٢٩) من رواية أبي نعيم ، وابن كثير في تفسيره (٤٩٠/٤) من رواية ابن أبي حاتم وقال فيه ابن كثير : هذا منكر وإسناده فيه ضعف ، ولكن معناه صحيح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

في إسناده عمرو بن شمر قال فيه البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث جداً ضعيف الحديث لا يشتغل به تركوه " انظر التاريخ الكبير ٣٤٤/٦ والجرح والتعديل (٢٣٩/٦) وذكر المفسرون في معنى الآية على هذه القراءة بضم الباء على الجمع (أقوالاً أخرى ، أحدها : أنه الرخاء بعد الشدة والشدة بعد الرخاء ، والفنى بعد الفقر ، والفقر بعد الفنى ، والصحة بعد السقم ، والسقم بعد الصحة ، قاله الحسن . والثاني : أنه تغير حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا ، فيرتفع من كان وضيعاً ويتضع من كان مرتفعاً ، وهو مذهب سعيد بن جبير ، والثالث : أنه ركوب سنن من كان قبلهم من الأولين ، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٩٢/٢) انظر لمعرفة هذه الأقوال تفسير الماوردي (٤٢٧/٤ - ٤٢٨) وتفسير البغوي (٢٢٥/٧) وزاد الخسيري (٦٨/٩) وتفسير القرطبي (٢٢٩/١٩) وتفسير ابن كثير (٤٩٠/٤) والدر المنثور (٣٣٠/٦) .

(٢) اختار ابن جرير هذه القراءة ، فقال : وأولى القراءات في ذلك عند الصواب : قراءة من قرأ بالتاء ويفتح الباء لأن تأويل أهل التأويل جميعهم بذلك ورد " انظر تفسير الطبري (١٢٥/٣٠) .

(٣) روى عبد الرزاق في تفسيره (ق ١/١٦٩) وابن جرير في تفسيره (٢٤/٣٠ - ١٢٥) ، والحاكم في مستدركه (٥١٨/٢) كلهم بإسنادهم عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى (لتركيب طبقاً عن طبق) قال : السماء ، ثم روى عنه ابن جرير بأسانيد عديدة وبألفاظ مختلفة ، قال في إحدى الروايات : السماء مرة كالدهان ، ومرة تشقق ، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٣٠/٦) بلفظ : السماء تكون ألواناً كالمهل وتكون وردة كالدهان وتكون واهية وتشقق فتكون حالاً بعد حال " وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي ، وذكر هذا القول عن عبد الله بن مسعود ، والماوردي في تفسيره (٤٢٧/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٩٧/٩) والرازي في تفسيره (١١٠/٣) والقرطبي في تفسيره (٢٢٨/١٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٤٧/٨) وابن كثير في تفسيره (٤٩٠/٤) وذكره البغوي في تفسيره (٢٢٥/٧) دون عزو إلى أحد .

(٤) هو قول الشعبي أيضاً ، كما ذكره الماوردي في تفسيره (٤٢٧/٤) .



والقول الثاني : أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى : لتركين أطلاق السماء طبقا على طبق وذلك دليل على الاسراء<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

ويقال : لتركين طبقا عن طبق ، يعنى أصلاب الآباء ، وذلك للرسول صلى الله عليه وسلم .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) فى الأصل ( الليلة ) .

( ٢ ) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ١٢٤ / ٣٠ ) ثم رواه عن ابن مسعود ( بيد وأن له قولين فى ذلك ) والشعبى وسروق وغيرهم .  
وذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٢٥ / ٧ ) وعزاه إلى الشعبى ومجاهد والكلبى ، وقال الرازى فى تفسيره ( ١١٠ / ٣١ ) " إن ذلك بشاراة لمحمد صلى الله عليه وسلم بصعوده إلى السماء لشاهدة ملكوتها ، وإجلال الملائكة إياه فيها ، والمعنى : لتركين يا محمد السموات طبقا عن طبق " .  
انظر أيضا زاد المسير ( ٦٧ / ٩ ) والبحر المحيط ( ٤٤٧ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٩٠ / ٤ ) .

( ٣ ) لم أجد من ذكر هذا القول ، وقد ذكر أبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٤٧ / ٨ ) أنه قيل : المعنى : لتركين هذه الأحوال أمة بعد أمة " وأنشد قول العباس بن عبد المطلب .

وقال الأکوسى فى روح المعانى ( ٨٢ / ٣٠ ) :

وقيل : الطبق هنا القرن من الناس ، مثله فى قول العباس بن عبد المطلب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم " ثم ذكر قوله - فعمل مقصود المؤلف من هذا الكلام هو هذا القول ولكن الأکوسى ضعفه .

وفى الآية على هذه القراءة ( أى يفتح الباء على الأفراد ) أقوال أخرى . أحدهما : لتركين يا محمد الأخيرة بعد الأولى ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٢٤ / ٣٠ ) ورواه عن ابن زيد . والثانى : لتركين يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله تعالى " ذكره البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٢٥ / ٧ ) والرازى فى تفسيره ( ١١٠ / ٣١ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٧٨ / ١٩ ) وعزاه القرطبى إلى الشعبى .

والثالث : لتركين حالاً بعد حال . قاله ابن عباس ، وقال : هو نبيكم ، رواه عنه البخارى فى صحيحه - كتاب التفسير باب ( لتركين طبقا عن طبق ) ( ٦٩٨ / ٨ ) ، رقم ( ٤٩٤٠ ) وابن جرير فى تفسيره ( ١٢٢ / ٣٠ ) ولفظه عند البخارى : " ( لتركين طبقا عن طبق ) حالاً بعد حال ، قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم " . وصرح ابن حجر فى الفتح بأن معناه : الخطاب له ، وذكر الرازى فى تفسيره ( ١١٠ / ٣١ ) على هذا القول ثلاثة احتمالات :

٠٠/٠٠

أحدها : أن يكون ذلك بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر والغلبة على  
المشركين المكذبين بالبعث ، كأنه يقول : أقسم يا محمد لتركين حالاً بعد حال حتى  
يختم لك بجميل العافية .

والثاني : - أنه يركب حال ظفرو وغلبة بعد حال خوف وشدة ، والثالث : أن الله  
تعالى يبدله بالمشركين أنصاراً من المسلمين ويكون مجاز ذلك من قولهم طبقات  
الناس \* .

وذكر ابن كثير في تفسيره ( ٤٨٩ / ٤ ) هذا الأثر من رواية البخارى ثم قال :  
هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير  
عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم ،  
فيكون قوله ( نبيكم ) مرفوعاً على الفاعلية من ( قال ) وهنو الأظهر ، ثم قال :  
ويحتمل أن يكون المراد ( لتركين طبقاً عن طبق ) حالاً بعد حال ، قال ، يعنى  
المراد بهذا نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون مرفوعاً على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ  
وخبراً ، والله أعلم ، ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة \* .

وأما الراجح من هذه الأقوال الكثيرة فقال ابن جرير بعدما حكى أقوال الناس فى  
هذه الآية من القراء والمفسرين :

\* والصواب من التأويل قول من قال : لتركين أنت يا محمد حالاً بعد حال وأمرأً  
بعد أمر من الشدائد ، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم موجهاً جميع الناس أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً \*  
وذكره ابن كثير فى تفسيره ( ٤٩٠ / ٤ ) وسكت عليه ، ويظهر لى والله أعلم بالصواب  
أن المراد من الآية هو هذا الذى ذكره ابن جرير ، أى أنه تهديد ووعيد  
للناس بما سيلقون يوم القيامة من شدائد وأهوال .

قال العباس<sup>(١)</sup> في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

مِنْ قَبْلِهَا طَبِيتَ فِي الصَّسْلَابِ وَفِي مُسْتَوْدِعِ حَيْسِنٍ يَخْصِفُ السَّوْرُقَ  
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِيْمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبِيقَ<sup>(٤)</sup>

وقوله ( فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ) في التفسير :

أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد وأصحابه والكفار على رؤسهم يصفقون ويصفرون  
فأنزل الله تعالى : ( فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ) .<sup>(٥)</sup>

وقد ثبت برواية أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في هذا الموضع .<sup>(٦)</sup>

( ١ ) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تقدمت ترجمته في ص

( ٢ ) من خَصَفَ النعلَ يَخْصِفُهَا خَصْفًا : ظَاهَرَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَخَرَزَهَا ، وَيَشِيرُ هُنَا إِلَى الْجَنَّةِ حَيْثُ خَصَفَ آدَمُ وَحَوًّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، لسان العرب ( ٧١/٩ — ٧٢ ) .

( ٣ ) في الأصل ( طالب ) والصواب ما أثبتته ، وكذا هو في المصادر الأخرى ، قال ابن منظور في لسان العرب ( ١/٢٧٥ ) " أراد بالصلب الصلب ، وهو طيل الاستعمال " .

( ٤ ) البيت الأول في اللسان ( ٧٢/٩ ) والبيت الثاني في نفس المصدر ( ١/٥٢٧ ) ، وأنشد هما أبوحيان في البحر المحيط ( ٨/٤٤٨ ) والأكوسي في روح المعاني ( ٣٠/٨٢ ) وقال في البيت الأول :

وَأَنْتَلَمَا وَلِدَاتِ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ ضُوضَاءَاتِ بِنُورِكَ الْأَفْسَقِ  
وَأَنْشَدَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ١٩/٢٨٠ ) . البيت الثاني فقط :

( ٥ ) قال الزمخشري في الكشاف ( ٤/٧٢٨ ) " قيل : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ( واسجد واقرب ) فسجد هو ومن معه من المؤمنين ، وقرئ تصفق فوق رؤسهم وتصفر ، فنزلت ، وذكره مقاتل في تفسيره ( ق ٣٩١/ب ) والرازي في تفسيره ( ٣١٠/٧٢٨ ) والأكوسي في روح المعاني ( ٣٠/٨٣ ) وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف : لم أجده ، واختلف المفسرون في معنى السجود هنا على ثلاثة أقوال ، أحدها : لا يصلون ، قاله ابن عباس والحسن وعطاء ، والثاني : لا يخضعون له ولا يستكينون ، قاله ابن جرير ، وذكره الرازي عن أبي مسلم ، واختاره القاضي أبو يعلى ، الثالث : المراد نفس السجود عند آيات مخصوصة " . انظر تفسير ابن جرير ( ٣٠/١٢٥ ) وزاد المسير ( ٩/٦٨ - ٦٩ ) وتفسير السرازي ( ٣١/١١١ - ١١٢ ) .

( ٦ ) أخرج البخاري في صحيحه - كتاب سجود القرآن ، باب سجدة ( إذا السماء انشقت ) ( ٢/٥٥٦ رقم ١٠٧٤ ) ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب سجود التلاوة ( ٥/٧٦ - ٧٨ ) وأبو داود في سننه كتاب الصلاة ، باب السجود في ( إذا السماء انشقت ) ( وقرأ ) ( ٢/٢٣ رقم ١٤٠٨ ) من طرق بألفاظ متعددة ، لفظه عند البخاري : عن أبي سلمة قال : " رأيت أبا هريرة رضي الله عنه قرأ ( إذا السماء انشقت ) : فسجد بها فقط : يا أبا هريرة ، ألم أرك تسجد ؟ قال : لو لم أر النبي صلى الله عليه وسلم سجد لم أسجد " .

وقوله ( بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون ) أى يكتمون / ويجمعون ٥٨٣/أ  
فى صدرهم .<sup>(١)</sup>

قوله : ( فبشرهم بعذاب اليم ) أى اجعل لهم النار موضع البشارة للمؤمنين  
بالجنة .<sup>(٢)</sup>

وقوله ( إلا<sup>(٣)</sup> الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ) أى غير منقوص  
ولا مقطوع .<sup>(٤)</sup>

ويقال : لا يمن عليهم أحد غير الله تعالى ، فيكدر عليهم المنة - والله أعلم .<sup>(٥)</sup>

(١) قال الفراء فى معانى القرآن (٢٥٢/٣) " الإيعاء " : ما يجمعون فى صدرهم  
من التكذيب والإشتم .

وقال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن (ص ٥٢١) " أى يجمعون فى صدرهم  
وقلوبهم يقال : أوعيتالمتاع إذا جعلته فى الوعاء " .

وقد ذكر الماوردى فى تفسيره (٤٢٨/٤) والقرطبى فى تفسيره (٨٢/١٩)  
فى معنى الكلمة ثلاثة تاويلات :

أحدها : بما يسرون فى قلوبهم - قاله ابن عباس . الثانى : بما يكتمون مسن  
أفعالهم قاله مجاهد . الثالث : بما يجمعون من سيئاتهم ، وهو معنى قول  
ابن زيد ، وليس هناك مانع من أن يواد جميع هذه الأقوال .

(٢) قال ابن الجوزى فى زاد المسير (٦٩/٩) " أى أخبرهم بذلك ، وقال الزجاج :  
اجعل للكفار بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة ، العذاب الاليم ) .  
انظرا أيضا تفسير القرطبى (٢٨٢/١٩) .

(٣) فى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال : أولها : أنها استثناء منقطع ، كأنه قال :  
لكن الذين صدقوا بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،  
وعطوا الصالحات ، أى : أدوا الفرائض المفروضة عليهم " . والثانى : معناه :  
إلا من تاب منهم فإنهم وإن كانوا فى الحال كفاراً إلا أنهم متى تابوا وآمنوا  
وعطوا الصالحات ظهروا لهم أجر وهو الثواب العظيم " . والثالث : إنما هو بمعنى  
الواو ، كأنه قال : والذين آمنوا .

انظر الكشاف (٧٢٨/٤) وتفسير الرازى (١١٢/٣١) وتفسير القرطبى (٢٨٢/١٩)  
وتفسير ابن كثير (٤٩١/٤) ويبدو لى أن الصواب هو القول الثانى ( أى إلا من  
تاب منهم ) فىكون الاستثناء متصلاً .

(٤) كذا فسره البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٢٦/٧) والقرطبى فى تفسيره (٨٢/١٩)  
وقال القرطبى : ( يقال : مننت الحبل ، إذا قطعتة . انظر أيضا تفسير غريب القرآن  
(ص ٥٢١) وزاد المسير (٦٩/٩) وتفسير الماوردى (٤٢٨/٤) وقد عزاه إلى  
ابن عباس ، وتفسير الرازى (١١٢/٣١) وتفسير ابن كثير (٤٩١/٤) .

(٥) لم أجد من ذكر هذا القول بهذا اللفظ . وقد ذكره الماوردى فى تفسيره (٤٧٤/٤)  
فقال : " غير مكدر باليمن والأذى ، وهو معنى قول الحسن " .

.. / ..

وقال الرازي في تفسيره ( ١١٢ / ٣١ ) " إِنَّ ذَلِكَ الثَّوَابَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ بِلاَ مِنْ وَأَنْزَى " وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٨٢ / ١٩ ) : " وقيل : " غير ممنون " لا يمن عليهم به " وذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤٩١ / ٤ ) فقال : " وقال بعضهم : غير ممنون عليهم " ثم قال فيه : قد أنكره غير واحد ، فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وأوان ولحظة ، وإنما دخلوها بفضلها ورحمتها لا بأعمالهم ، ظنه عليهم المنة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً " .

ولعل المصنف لأجل ذلك استثنى الله تعالى فقال : ( لا يمن عليهم أحد غير الله فيكدر عليهم المنة ) .

وقد ذكر في معنى ( ممنون ) أنه غير محسوب ، ذكره الماوردي من قول مجاهد ه وابن كثير من قول مجاهد والضحاك ، وقال بعد ذكره : وحاصل قولهما : أنه غير مقطوع ، كما قال تعالى " عطاء غير مجذون " سورة هود الآية ١٠٨ .

وقال الرازي في تفسيره ( ١١٢ / ٣١ ) :

" وفي معنى " غير ممنون " وجوه :

- أحدها : أن ذلك الثواب يصل إليهم بلا من ولا أنزى .
- وثانيها : من غير انقطاع .
- وثالثها : من غير تنقيص .
- ورابعها : من غير نقصان .

والأولى أن يحمل اللفظ على الكل ، لأن من شرط الثواب حصول الكل .

تفسير سورة البروج وهي مكية (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( والسما ذات البروج ) أى النجوم العظام (٢)

قال عكرمة : ذات القصور (٣) ، ويقال : ذات الخلق الحسن (٤)

ويقال : ذات المنازل ، وهي منازل القمر ، وهي ثمانية وعشرون منزلاً (٥)

(١) قال الماوردي في تفسيره (٤٢٩/٤) والقرطبي في تفسيره (٢٨٣/١٩) " مكية بالاتفاق " وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٧٠/٩) : وهي مكية كلها باجماعهم " وكذلك صرح الألبوسي بأنه لا خلاف في مكيتها ، انظر روح المعاني (٨٤/٣٠) .

وقال السيوطي في الدر المنثور (٣٢١/٦) : " أخرج ابن الضريس والنعمان والبيهقي وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت والسما ذات البروج بمكة .

(٢) ذكر الزمخشري في الكشاف (٧٢٩/٤) والرازي في تفسيره (١١٣/٣١) هذا القول ، فقالا : هي عظام الكواكب ، سميت بروجاً لظهورها " . وقال ابن كثير في تفسيره (٤٩١/٤) : هي النجوم العظام " وذكر ابن جرير في تفسيره (١٢٧/٣٠) هذا المعنى فقال : " وقال آخرون : عنى بذلك : والسما ذات النجوم ، وقالوا : نجومها : بروجها ، ثم روى عن مجاهد وقتادة هذا القول . وذكره الماوردي في تفسيره (٤٢٩/٤) والقرطبي في تفسيره (٢٨٣/١٩) من قول الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٩١/٤) وعزاه أيضاً إلى ابن عباس والسدي ، وقال السيوطي في الدر المنثور (٣٢١/٦) " وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبي صالح في قوله " ذات البروج " قال : النجوم العظام " وقد روى ذلك مرفوعاً كما قال السيوطي " وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن (السما ذات البروج) فقال : الكواكب " .

(٣) ذكره عن عكرمة القرطبي في تفسيره (٢٨٣/١٩) وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن أيضاً .

انظر أيضاً تفسير الطبري (١٢٧/٣٠) وتفسير الماوردي (٤٢٩/٤) والبحر المحيط (٤٤٩/٨) .

(٤) هو قول المنهال بن عمرو ، كما صرح به الماوردي في تفسيره (٤٢٩/٤) والقرطبي (٢٨٣/١٩) وابن كثير في تفسيره (٤٩١/٤) .

(٥) هو قول أبي عبيدة ويحيى بن سلام .

انظر مجاز القرآن (٢٩٣/٢) وتفسير الماوردي (٤٢٩/٤) والكشاف (٧٢٩/٤) وتفسير الرازي (١١٣/٣١) وتفسير القرطبي (٢٨٣/١٩) ، وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٤٩/٨) : " قال ابن عباس والجمهور : هي المنازل التي عرفتها العرب وهي اثنا عشر على ما قسمته ، وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوماً " .

ذكرناها من قبل (١) .

وقوله ( واليوم الموعود ) وهو يوم القيامة بالاتفاق (٢) .

(١) عند قوله تعالى ( ولقد جعلنا في السماء بروجاً ) الآية ١٦ ، من سورة الحجر انظر الأصل (١/٢٥٤ ق) وقد ذكرها القرطبي هنا هذه المنازل .

وذكر ابن جرير في تفسيره (١٢٧/٣٠) قولاً آخر في معنى البروج فقال :  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : والسماء ذات الرمل والماء ثم روى هذا المعنى بسنده عن سفیان بن حسين ، وذكر الزمخشري في الكشاف (٧٢٩/٤) قوليسن آخرين أحدهما : البروج هي البروج الاثنا عشر المعروفة ، وقال " وهي قصور السماء على التشبيه " .

وذكر هذا المعنى الرازي أيضاً في تفسيره (١١٣/٣١) وقال : " وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيبة الحكمة ، وذلك لأن سير الشمس فيها ، ولا شك أن مصالح العالم مرتبطة بسير الشمس ، فيدل ذلك على أن لها صناعاً حكيماً " .

والقول الثاني : هي أبواب السماء ، وذكر هذا المعنى أبوحيان أيضاً في البحر المحيط (٤٤٩/٨) .

أما الراجح من هذه الأقوال : فقد توقف الفراء فيها فإنه قال بعد أن ذكر بعض هذه الأقوال : " والله أعلم بصواب ذلك ، معاني القرآن (٢٥٢/٣) وذهب الطبري في تفسيره (١٢٧/٣٠) إلى اختيار القول بأن معناه : ( والسماء ذات منازل الشمس والقمر ) . ويبدو لي أيضاً أن هذا هو الراجح ، ولا سيما قد عزاه أبوحيان إلى الجمهور كما تقدم ، وقال ابن كثير في تفسيره (٤٩١/٤) : " اختار ابن خزيمة أنها منازل الشمس والقمر ، وهي اثنا عشر برجاً تسير الشمس في كل واحد منها شهراً ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلاثاً ، فذلك ثمانية وعشرين منزلة ويستتر ليلتين " .

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧٠/٩) " ( واليوم الموعود ) هو يوم القيامة بإجماعهم " وقال القرطبي في تفسيره (٢٨٣/١٩) : " وهو يوم القيامة ، من غير اختلاف بين أهل التأويل " .

انظر أيضاً البحر المحيط (٤٤٩/٨) .

.. / ..

وقد روى في ذلك حديث مرفوع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اليوم الموعود يوم القيامة ، واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه ، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ، ولا يستعبد من شراً إلا أعانه الله منه .

أخرجه الترمذى في سننه كتاب التفسير - باب ومن سورة البروج ( ٤٣٦ / ٥ رقم ٣٣٣٩ ) وابن جرير في تفسيره ( ١٢٨ / ٣٠ ) من طرق والشعبي في تفسيره ( ٦٢ / ١٢ ب ) والبغوي في تفسيره ( ٢٢٦ / ٧ ) كلهم بإسناد هم عن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله ابن رافع عن أبي هريرة ، واللفظ للترمذى .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث ، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره .

وأورد ابن كثير في تفسيره ( ٤٩١ / ٤ ) من رواية ابن أبي حاتم وذكر أن موسى بن عبيدة ضعيف الحديث ، وقد روى موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه .

وله شاهد من حديث أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اليوم الموعود ) يوم القيامة . أخرجه ابن جرير في تفسيره ( ١٢٨ / ٣٠ ) بسنده عن محمد بن اسماعيل بن عياش قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ضمام بن زرعة ، عن شريح بن عبيد عن أبي مالك به - ومحمد بن اسماعيل عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع .

انظر تقريب التهذيب ص ( ٢٩٠ ) .



وقوله ( وشاهد ومشهود ) فيه أقوال :  
 روى أبو اسحاق عن الحارث <sup>(١)</sup> عن علي رضي الله عنه " أن الشاهد هو يوم  
 الجمعة والمشهود يوم عرفة <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) هو عمرو بن عبد الله بن عبيد أبو اسحاق الهمداني السبيعي ( بفتح المهبطية  
 وكسر الموحدة ) الكوفي ، ذكر ابن حجر في مشايخه الذين روى عنهم : الحارث  
 الأعور وحارثة بن مضرب ، مكث ثقة عابد ، اختلط بآخره ، مات سنة تسع وعشرين  
 ومائة ، وقيل قبل ذلك ، تهذيب التهذيب ٦٣ / ٨ ، تقريب التهذيب ٢٦٠ .

( ٢ ) هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الحوتى ( بضم المهبطية وبالمثناة فوق )  
 الكوفي أبو زهير صاحب علي . كذبه الشعبي في رأيه ، ورمى بالرفض ، وفي حديثه  
 ضعف وليس له عند النسائي سوى حديثين ، مات في خلافة الزبير . تقريب  
 التهذيب ( ص ٦٠ ) .

( ٣ ) رواه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٦٩ / ب ) وابن جرير في تفسيره ( ١٢٩ / ٣٠ ) كلاهما  
 بسندهما عن سفيان ، عن أبي إسحاق به ، ولكن عبد الرزاق قال : الشاهد يوم  
 القيامة ، والمشهود يوم عرفة .

ويبدو لي أن ذلك خطأ من النسخ ، وقد أورد السيوطي في الدر المنثور  
 ( ٣٣٢ / ٦ ) بلفظ : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة " وعزا تخريجه  
 إلى عبد الرزاق والغريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وأورد القوطبي  
 في تفسيره ( ٢٨٤ / ١٩ ) قال :

" وروى اسراييل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم  
 عرفة ، والمشهود يوم النحر ، وقاله النخعي ، وعن علي أيضا : المشهود يوم عرفة "   
 وهو أيضا خلاف ما ذكره ابن جرير والمؤلف والسيوطي ، ثم إن الاثر ضعيف لأن  
 في إسناده الحارث الأعور في حديثه ضعف ، ولكن رواه ابن جرير في المصدر  
 السابق من طريق آخر عن شعبه عن أبي إسحاق قال : سمعت حارثة بن مضرب  
 يحدث عن علي رضي الله عنه - ثم ذكر مثله .

وحارثة بن مضرب ثقة كما في التقريب ( ص ٦١ ) . وأما هذا القول فقد ذكره  
 ابن جرير ، ورواه عن أبي هريرة وابن عباس وقتادة وغيرهم . وذكره أيضا من  
 المفسرين البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٢٧ / ٧ ) وقال : إنه قول ابن عباس  
 والأكثرين ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٧١ / ٩ ) وقال : " رواه أبو هريرة  
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه قال علي وابن عباس في رواية ، وابن زيد - فعلى  
 هذا سمي يوم الجمعة شاهداً لأنه يشهد كل عامل بما فيه ، وسمى يوم عرفة  
 مشهوداً ، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج ، وتشهد الملائكة " انظر أيضا  
 هذا القول في تفسير الماوردي ٤ / ٢٩٤ ، في تفسير الرازي ( ١١٥ / ٣١ ) والكشاف  
 ( ٧٢٩ / ٤ ) وتفسير القوطبي ( ٢٨٣ / ١٩ ) وتفسير ابن كثير ( ٤٩٢ / ٤ ) وقال  
 الرازي : وهذا قول كثير من أهل العلم كعلي بن أبي طالب وأبي هريرة  
 وابن المسيب والحسن البصري والربيع .

قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذا الأثر أبو محمد عبد الله بن محمد الصريغيني  
أخبرنا أبو القاسم بن جبابه ، أخبرنا أبو القاسم البغوى عن علي بن الجعد عن شريك عن  
ابن إسحاق الأثر .

القول الثاني : الشاهد يوم النحر ، والمشهود يوم عرفة . قاله  
ابراهيم النخعي ( ١ ) :

والقول الثالث : أن الشاهد هو الملائكة والمشهود هو الإنسان قاله  
السدى ( ٢ ) .

( ١ ) انظر تفسير الماوردى ( ٤٢٩ / ٤ ) وزاد المسير ( ٧٢ / ٩ ) والبحر المحيط  
( ٤٥٠ / ٨ ) وذكر هذا القول الرازى فى تفسيره ( ١١٥ / ٣١ ) فقال : إن  
الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم النحر . وذلك لأنهما يومان عظيمهما اللسب  
وجعلهما الله من أيام أركان الحج ، فهذان اليومان يشهدان لمن يحضر فيهما  
بالإيمان واستحقاق الرحمة .

وكذا ذكره القرطبي فى تفسيره ( ٢٨٤ / ١٩ ) فقال : وروى اسرائيل عن  
أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضى الله عنه : الشاهد يوم عرفة ، والمشهود  
يوم النحر ، وقاله النخعي " . أما عزوه لهذا القول إلى علي فقد تقدم عنه أنه قال :  
الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة " ولعله روى عنه قولان فى ذلك .

وقد ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ١٣١ / ٣٠ ) فقال : " وقال  
آخرون : الشاهد : يوم الأضحى ، والمشهود يوم عرفة " ولكنه أتبعه بأثر  
مخالف عنه لأنه روى بسنده عن ابن عباس قال : الشاهد يوم عرفة ، والمشهود  
يوم القيامة .

( ٢ ) لم أجد أحداً من المفسرين ذكر عن السدى هذا القول .

وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤٢٩ / ٤ ) من قول سهل بن عبد الله ،  
وذكره الرازى فى تفسيره ( ١١٥ / ٣١ ) قال : الشاهد هو الطك والمشهود عليه  
هو الإنسان الذى تشهد عليه جوارحه يوم القيامة وهذا قول عطية  
الخراسانى .

انظر أيضاً تفسير الخازن ( ٢٢٧ / ٧ ) ويقرب منه ما ذكره ابن الجوزى فى زاد  
المسير ( ٧٢ / ٩ ) وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٥٠ / ٨ ) عن محمد بن عيسى  
الترمذى وهو أن الشاهد الحفظة ، والمشهود بنو آدم .  
وذكر هذا القول البغوى فى تفسيره ( ٢٢٧ / ٧ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٨٥ / ٩ )  
دون عزو إلى أحد .

والقول الرابع : ان الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والمشهود يوم القيامة وهو مروى عن الحسن بن علي<sup>(١)</sup> وابن عمرو وابن الزبير<sup>(٢)</sup> رضى الله عنهم .

والقول الخامس : الشاهد هو الله والمشهود هو يوم القيامة<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) هو الحسن بن علي بن أبي طالب .

( ٢ ) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني ، تقدمت ترجمته في ص ( ٩٣ ) .

أما هذا القول فذكره الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٢٩٩ ) وعزاه إلى المذكورين عند المؤلف " وفي عزوه إلى ابن عمر وابن الزبير نظر ، فإن ابن جرير الطبري روى في تفسيره ( ٣٠ / ١٣٠ ) بسنده عن شباك قال : سألت رجل الحسن بن علي عن " شاهد ومشهود " قال : سألت أحداً قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة ، قال : لا ، ولكن الشاهد محمد ، ثم قرأ ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ) ( سورة النساء الآية ٤ ) والمشهود : يوم القيامة ، ثم قرأ ( ذلك يوم مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود ) ( سورة هود الآية ١٠٣ ) وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٣٢ ) بعثله ، وعزاه تخريجه إلى ابن مردويه أيضاً ، ومن هنا يتبين أن عزوه هذا القول إلى ابن عمر وابن الزبير ليس بصحيح ، ولذلك أورده ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٧١ ) وقال : وبه قال الحسن بن علي ، وقد روى هذا المعنى ابن جرير من طريق آخر عن أبي الضحى عن الحسن بن علي قال : الشاهد محمد ، والمشهود يوم القيامة ، كما أنه رواه من طريق يوسف بن مهزيان عن ابن عباس .

وذكره البغوي في تفسيره ( ٧ / ٢٢٦ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٧١ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٨٥ ) من قول ابن عباس ، وعزاه القرطبي إلى الحسين بن علي أيضاً والصواب الحسن بن علي .

( ٣ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ١٣١ ) ورواه بسنده عن علي بن أبي طلحة وذكره الثعلبي في تفسير ( ١٢ / ٦٣ / ب ) والبغوي في تفسيره ( ٧ / ٢٢٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٧١ ) .

وكلهم قالوا : رواه الوالبي ( يعني علي بن أبي طلحة ) عن ابن عباس وذكره الرازي في تفسيره ( ٣١ / ١١٦ ) دون عزوه إلى أحد ، وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٨٥ ) وعزاه إلى ابن عباس والحسن وسعيد بن جبيرة ، وقال : بيانه : " وكفى بالله شهيداً " سورة النساء الآية ١٦٦ ، ( قل أي شسى أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بيني وبينكم ) سورة الأنعام الآية ١٩ .

انظر أيضاً البحر المحيط ( ٨ / ٤٥٠ ) وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٢٩٧ ) وقال : حكاه ابن عيسى .

- ( ١ ) والقول السادس : أن الشاهد هو عيسى بن مريم والمشهود يوم القيامة .  
 ( ٢ ) والقول السابع : أن الشاهد هو الجوارح ، والمشهود هو نفس الإنسان  
 ( ٣ ) والقول الثامن : أن الشاهد يوم الاثنين ، والمشهود يوم الجمعة .  
 وشهادة الأيام شهادتها على الأعمال ، ومعنى المشهود في الأيام : هو أنه يشهدها الناس ، وهو في يوم القيامة على معنى : أنه يشهده الملائكة وجميع الخلائق .  
 ( ٤ )

( ١ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٢٩/٤ ) وقال : رواه ابن أبي نجيب ، وقد ذكر الثعلبي في تفسيره ( ١٢/٦٣/ب ) وابن الجوزي في تفسيره ( ٧٢/٩ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٠/٨ ) عن ابن مالك أن الشاهد عيسى عليه السلام والمشهود : أمته ، وقال : ودليله قوله تعالى : ( وكنت عليهم شهيدا ) سورة المائدة الآية ١١٢ .

وذكره الرازي في تفسيره ( ١١٦/٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٨٥/١٩ ) دون عزو إلى أحد .

( ٢ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٢٩/٤ ) وقال : هو محتمل ، وقال الثعلبي في تفسيره ( ١٢/٦٤/١ ) : " وقيل : الشاهد أعضاء ابن آدم ، والمشهود ابن آدم ، بيانه " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم " سورة النور الآية ٢٤ .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٨٥/١٩ ) : قال مقاتل : أعضاء بيانه : ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ، بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) سورة النور الآية ٢٤ ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٠/٨ ) عن ابن جبير ومقاتل .

( ٣ ) ذكره الثعلبي في تفسيره ( ١٣/٦٤/ب ) دون عزو إلى أحد .

( ٤ ) لم أجد من صرح بهذا المعنى في شهادة الأيام ، وقال الألويسي في روح المعاني ( ٨٧/٣٠ ) : " وأما شهادة اليوم فيمكن أن تكون بعد ظهوره في صورة كظهور القرآن على صورة الرجل الشاحب إن يتلقى صاحبه عند قيامه من قبره ، وظهور الموتى في صورة كبش يوم القيامة حتى يذبح بين الجنة والنار إلى غير ذلك ، وقال الشهاب : الله تعالى قادر على أن يحضر اليوم ليشهد ولم يبين كيفية ذلك فإن كانت كما ذكرنا فذاك ، وإن كانت شيئاً آخر بأن يحضر نفس الميسوم في ذلك اليوم فالظاهر أنه يلزم أن يكون للزمان زمان وهو وإن جوزه من جوزه من المتكلمين ، لكن في الشهادة بلسان القال عليه خفاء " - ثم اختار أن ذلك بلسان الحال .

.. / ..

هذا وقد ذكر بعض المفسرين في معنى "شاهد" ومشهود "أقوالاً أخرى أوصلها ابن الجوزي في زاد المسير (٧١/٩ - ٧٣) إلى أربعة وعشرين قولاً، وصرح الألويسي في روح المعاني (٨٧/٣٠) بأنه وقف على نحو من ثلاثين قولاً .

وقد ذكر ابن جرير بعض هذه الأقوال، ثم توقف فيها ولم يقطع بواحد منها، فقال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهيد، ومشهود شهيد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنى مما يستحق أن يقال له (شاهد ومشهود) انظر تفسير الطبري (١٣١/٣٠) .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤٩٢/٤) "وقال الاكثرون على أن الشاهد يسوم الجمعة والمشهود يوم عرفة" وأما الرازي فقد اختار تبعاً للفقهاء طريقاً آخر فسي بيان ما قيل في معنى الشاهد والمشهود، فذكر فيه ثلاثة أوجه - فقال: "إن الشاهد يقع على شيئين أحدهما: الشاهد الذي تثبت به الدعاوى والحقوق" والثاني: الشاهد الذي هو بمعنى الحاضر، كقوله (عالم الغيب والشهادة) ويقال: فلان شاهد، وفلان غائب، وحمل الآية على هذا الاحتمال الثاني أولى .

وأما الوجه الثالث فهو أقوال صنية على الروايات لا على الاشتقاق، ثم ذكر على كل وجه عدة أقوال، وجنح إلى أن الشهود هنا بمعنى الحضور، والمراد بالشهود هو يوم القيامة، والشاهد هو الجمع الذي يحضرون فيه، واستدل على ذلك بعدة أوجه منها: أن الله تعالى وصف يوم القيامة بكونه مشهوداً في آيات أخرى، وقد تقدم ذكر البعض منها .

انظر تفسير الرازي (١١٤/٣١ - ١١٦) .

واختار أبوحيان من الأقوال على تقدير أن يراد بالشهادة الشهادة على الخصم القول بأن الشاهد من يشهد في ذلك اليوم أي اليوم الموعود وأن المشهود من يشهد عليه فيه، وطلبى تقدير أن يراد بها الشهادة الحضور ضد الغيب القول بأن الشاهد الخلائق الحاضرون للحساب، وأن المشهود اليوم . انظر البحر المحيط (٤٤٩/٨ - ٤٥٠) .

ويبدو لي أن الصواب - والله أعلم - هو ما ورد به الحديث: أن الشاهد يسوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة "لأن الحديث كما يظهر لي صحيح إذا ضم إليه الطريق الآخر الذي أخرجه به ابن جرير .

قوله تعالى ( قتل أصحاب الأخدود ) والأخدود جمع خد وهو شق في

الارض (١)

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية :

قال علي : في قوم من الحبشة (٢)

وعن مجاهد : في قوم من نجران (٣)

(١) قال الراغب الأصفهاني في المفردات (ص ١٤٣) : " الخدُّ والأخدودُ شقٌّ في الأرض سُتْطِيلُ عَائِضٌ وَجَمْعُ الأخدودِ أَخَادِيدٌ وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ خَدَّيِ الْإِنْسَانِ ، وَهَمَّا مَا اكْتَنَفَا الأَنْفَ عَنِ اليمينِ والشمالِ . والخد يستعمل للأرض ولغيرها كاستمارة الوجه " . انظر أيضا تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٢) وتفسير البغوي (٢٢٧/٧) وتفسير القرطبي (٢٨٦/١٤) ولسان العرب (١٦١/٣) ولم أجد أحداً غير المؤلف ذكر أن الأخدود جمع خد ، وقال الرازي في تفسيره (١١٨/٣١) : الأخدود : الشق في الأرض يخفر مستطيلاً ، وجمعه الأخاديد ، ومصدره : الخد وهو الشق .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور (٣٣٢/٦) : " أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق الحسن بن علي ابن أبي طالب في قوله ( أصحاب الأخدود ) قال لهم الحبشة . وقال أيضا : أخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن نجى عن علي بن أبي طالب قال : كان نبي أصحاب الأخدود حبشياً ، وقد ذكر ذلك عن علي رضي الله عنه المـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ في تفسيره (٤٣٢/٤) والبغوي في تفسيره (٢٣٠/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٧٩/٩) وابن كثير في تفسيره (٤٩٣/٤) . وعن علي رضي الله عنه أيضا أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه عماؤهم فعمد إلى حفر أخدود فدف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحل يل المحلرم إلى اليوم ، ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٩٣/٤) ودون عزو تخريجه إلى أحد ، وقد أورد نحوه السيوطي في الدر المنثور (٣٣٢/٦) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد ، كما أورد نحوه ابن الجوزي في زاد المسير (٧٤/٩ - ٧٥) والزمخشري في الكشاف (٧٣٠/٤) ، والرازي في تفسيره (١١٧/٣١) عن علي رضي الله عنه . وقد أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٣٠) بسنده عن عبد الرحمن بن أبزي ، وقد روى عنه أيضا أنه قال : هم ناس بمذارع اليمين ، اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها " . رواه ابن جرير في تفسيره (١٣٢/٣٠) وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٩٣/٤) .

(٣) نَجْرَانُ : قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٢٦٦/٥) : بالفتح ثم السكون وآخره نون . . . ونجران في عدة مواضع ، منها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة \* وذكر أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأصنام ، ثم أورد قصة الساحر والغلام ، وأما هذا القول فرواه ابن أبي نجيب عن مجاهد ، بلفظ : الأخدود شق في الأرض بنجران ، كانوا يعذبون الناس فيها " .

انظر تفسير مجاهد (٧٤٧/٢) وتفسير الطبري (١٣٣/٣٠) وزاد المسير (٧٩/٩) وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٣٢/٦) وعزا تخريجه إلى الغريابسي وعبد بن حميد وابن المنذر ، وذكره القرطبي في تفسيره (٢٩٠/١٩) عن الكلبى .

وعن ابن عباس : في قوم من اليمس (١) .  
وعن بعض : هم قوم بالسوم ، وقيل غير ذلك (٣) .

(١) اليمس : ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤٤٧/٥) أنه بالتحريك ، وإنما سميت اليمس لِيَتَيَّمُنُهُمْ إِلَيْهَا (أى عن الكعبة) وقيل : إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمس إلى اليمس ، وهى أَيْمَنُ الْأَرْضِ فسميت بذلك ، وأما تحد يد ها فنقل عن الأصمعي أنه قال : اليمس وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوى على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عمان فينقطع مسن بَيْنُونَةَ ، وبَيْنُونَةُ : بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمس .

وأما هذا القول ظم أجد من ذكره عن ابن عباس ، وتقدم عن علي رضي الله عنه أنه قال : هم ناس يمدارع اليمس . وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٤٣٠/٤) عن الضحاك . قال : قال الضحاك : هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبيع الحميرى ، فكانوا نيفا وثمانين رجلاً ، وحفر لهم أخدوداً أحرقهم فيه " وذكر عن الحسن أنه قال : هم قوم أهل اليمس " . وكذا ذكرها ابن الجوزى في زاد المسير (٧٦/٩) من قول الضحاك والحسن ، والقرطبي في تفسيره (٢٨٩/٩) من قول الضحاك .

(٢) قال الحموي في معجم البلدان (٩٧-٩٩/٣) : الروم : جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم " وذكر الخلاف في أصل نسبهم ونقل عن ابن الكلبي أنه قال : إنما سميت الروم لأنهم كانوا سبعة راموا فتح دمشق ففتحوها وقتلوا أهلها ثم جملوا يتقدمون حتى انتهوا إلى انطاكية ثم جاءت بنو العيص فأجلوهم عما افتتحوا وسكنوه حتى انتهوا إلى القسطنطينية فسكنوها فسموا الروم بما راموا من فتح هذه الكور " .

وأما هذا القول فذكر الماوردي في تفسيره (٤٣٠/٤) عن عبد الرحمن بن الزبير هم قوم من النصارى ، كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين ، وذكره القرطبي أيضاً في تفسيره (٢٩٠/١٩) ولم ينسبه إلى أحد .

(٣) وما قيل في ذلك هو ما رواه ابن جرير في تفسيره (١٣٢/٣٠ - ١٣٣) من طريق العوفي عن ابن عباس قال : هم ناس من بنى اسرائيل خدوا أخذوداً في الأرض ، ثم أوقدوا فيه ناراً ، ثم أقادوا على ذلك الأخدود رجلاً ونساءً فعرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه " .

وذكره الثعلبي في تفسيره (٩٦/١٢ ب) والماوردي في تفسيره (٤٣٠/٤) ، وابن الجوزى في زاد المسير (٧٩/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٨٩/١٩) وهو مسروى عن الضحاك أيضاً ، وقال عكرمة : كانوا نبطاً - ذكره الماوردي في تفسيره (٤٣٠/٤) وابن الجوزى في زاد المسير (٧٦/٩) ، وذكر الماوردي في تفسيره (٤٣٠/٤) وابن كثير في تفسيره (٤٩٥/٤) عن السدي وذكر القرطبي في تفسيره (٢٩٠/١٩) عن مقاتل أن الأخدود ثلاثة . واحد بنجران ، والآخر بالشام ، والآخر بفارس .

وفي التفسير : أنه كان بنجران قوم على شريعة عيسى بن مريم صلوات الله عليه يدنون بالتوحيد ، فجاءهم ذو نواس<sup>(١)</sup> ، وأحضرهم ، وهو ملك من ملوك اليمن ، وخيرهم بين اليهودية ، والاحراق بالنار ، فاختراروا الإحراق بالنار ، فخذلهم اخذوداً وأضرم فيها النار ، وأمرهم بالشهود أو يلقوا أنفسهم فيها ، فألقوا أنفسهم فيها حتى احترقوا .<sup>(٢)</sup>

وفي بعض التفاسير : أنه كان في آخرهم امرأة ومعها صبي رضيح فلما بلغت النار فوقت فتكلم الصبي وقال : يا أماء سيرى ولا تنافق فينا هي غميضة .<sup>(٣)</sup>

وقد ذكر مسلم في الصحيح<sup>(٤)</sup> في هذا قصة طويلة ، وكذلك أبو عيسى على غير هذا الوجه الذي ذكرنا ، وذكرنا فيه حديث الملك والراهب في الساحر ، وهو ماروي عن ثابت البناني / عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر همس - والهمس في بعض قولهم : تحرك شفقيه كأنه يتكلم<sup>(٥)</sup> ، ف قيل له : إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست قال : **إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَعْجَبَ بِأُمَّتِهِ<sup>(٦)</sup> مِنْ يَقُومُ لَهَا لَا ؟ فَأُوحِيَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَبَّرَهُمْ بَيْنَ أَنْ أُنْتَقَمَ مِنْهُمْ ، وَبَيْنَ أَنْ أُسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ ، فَاخْتَارُوا النِّقْمَةَ فَسَلَطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا .**

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٤/٤٩٥) : " إن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس واسمه زرة ويسمى فزمان ملكته بيوسف وهو ابن اسعد أبي كرييب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان يهود من يهود من أهل اليمن على يديهما " ثم ذكر أن مصيره كان الفرق في البحر " .

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في تفسيره (١٣/٦٨/ب) والقرطبي في تفسيره (١٩/٢٩١-٢٩٢) وابن كثير في تفسيره (٤/٤٩٤) عن محمد بن اسحاق .

(٣) في الأصل (غمضة) ذكر ابن منظور في لسان العرب (٧/٢٠١) عن اللحياني : وما في هذا الأمر غميضة وغموضة : أي عيب " .

وقد ذكر نحو هذه القصة القرطبي في تفسيره (١٩/٢٨٩) في سياق ما ذكره من رواية الضحاك عن ابن عباس ، فإنه قال في آخر هذا السياق : " وجي " بامرأة مرضع فقيل لها : ارجعي عن دينك وإلا قد فناك وولدك - قال - فأشرفت وهممت بالرجوع ، فقال لها الصبي المرضع : يا أمي ، اثبتني على ما أنت عليه ، فإنما هسي غميضة ، فألقوها وابنها " وقد ورد نحو هذه القصة فيما أخرجه مسلم في صحيحه (١٨/١٣٠-١٣٣) انظر أيضا الكشاف (٤/٧٣٠) .

(٤) انظر الصحيح (١٨/١٣٠-١٣٣) .

(٥) قال ابن الأثير في النهاية (٥/٢٧٣) : " الهمس : الكلام الخفي لا يكاد يفهم ، ومنه الحديث " كان إذا صلى العصر همس " .

(٦) في سنن الترمذي زيادة (قال) قبل (من) .

(٧) في المصدر السابق (فاختار) .



قال<sup>(١)</sup> : وكان إذا حدّث بهذا الحديث حدّث بهذا الحديث الآخر ، قال :  
كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له ، فقال الكاهن : انظروا لسي  
غلاماً فهماً أو قال : فظناً لفتناً<sup>(٢)</sup> فأعلمته على هذا ، فإني أخاف أن أموت فينقطع  
منكم هذا المعلم ، ولا يكون فيكم من يعلمه .

قال : فنظروا له على ما وصف ، وأمروه<sup>(٣)</sup> أن يحضر ذلك الكاهن ، وأن يختلسف  
إليه ، قال : فجعل يختلسف إليه ، فكان على طريق الغلام راهب في صومعة<sup>(٤)</sup> .

قال معمر : أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين قال : فجعل  
الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مرّ به ، فلم يزل به حتى أخبره ، فقال : إنما عبد الله  
قال فجعل الغلام يمكث عند الراهب ، وييطس<sup>(٥)</sup> عن الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل  
الغلام إنه لا يكاد يحضرني ، فأخبر الغلام الراهب بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال  
لك الكاهن : أين كنت ؟ فقل : عند أهلي ، فإذا قال لك أهلك : أين كنت ؟  
فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن ، قال فبينما الغلام على ذلك إذ مرّ بجماعة من  
الناس كثير ، قد حبسهم دابة .

وقال بعضهم : إن الدابة كانت أسداً ، قال : فأخذ الغلام صخوراً ، وقال<sup>(٥)</sup> :  
اللهم إن كان ما يقول الراهب حقاً ، فاسألك أن تقتله<sup>(٦)</sup> ثم رمى فقتل الدابة ، فقال  
الناس : من قتلها ؟ فقالوا : الغلام ، ففرغ الناس ، وقالوا : قد علم هذا الغلام عملاً  
لم يعلمه أحد ، قال : فسمع به أعمى ، وقال له : إن أنت رددت بصرى فلك كذا وكذا .  
فقال له : لا أريد منك هذا ولكن إن أنت شرطت<sup>(٧)</sup> أن أرجع إليك بصرى أن توءم من بالذي  
رده عليك ، فعلت .

( ١ ) قال ابن كثير في تفسيره ( ٤٩٤ / ٤ ) : " وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق  
هذه القصة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى :  
فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى واللثة  
أعلم " ولكن سياق مسلم وأحمد يدل على أن من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد  
جاء عندهما : عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ملك فيمن  
كان قبلكم . . . " .

( ٢ ) لقن : أي فهم حسن التلقّن لما يسمعه " النهاية ( ٢٦٦ / ٤ )

( ٣ ) في سنن الترمذى ( فأمره ) .

( ٤ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٢٠٨ / ٨ ) ٣ الصومعة : منار الراهب " .

( ٥ ) في سنن الترمذى ( حجراً ) .

( ٦ ) في المصدر السابق ( اقلها ) .

( ٧ ) في المصدر السابق ( ولكن أرايت إن رجعت ) .

قال فدعا الله فرد عليه بصره فأمن الأعمى ، فبلغ الملك أمرهم فبعث إليهم فأتى بهم ، فقال : لأقتلن كل واحد منكم قبل أن أقتل به صاحبه ، فأمر بالراهب والزجل الذي كان أعمى ، فوضع المنشار على مفرق أخدهما ، فقتله وقتل الآخر بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا<sup>(٢)</sup> ، فألقوه من رأسه<sup>(٣)</sup> ، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافون من ذلك الجبل ، ويتردون<sup>(٤)</sup> حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، قال : ثم رجع فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البصر فيلقوه فيه فانطلقوا إلى البحر ففرق الله الذين كانوا معه وأنجاه ، فقال الغلام : إِنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي حَتَّى تَصْلُبَنِي وَتَرْمِيَنِي وَتَقُولَ إِذَا رَمَيْتَنِي : " بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغَلَامِ " .

قال : فأمر به فصُلب ثم رماه وقال : باسم الله رب هذا الغلام قال فوضع الغلام يده على صدغه حين رمي به ثم مات ، فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد ، فإننا نومن بربّ الغلام<sup>(٦)</sup> ، قال : فقيل للملك أفزعمت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك / قال : فخذ أخذوداً ثم ألقى فيها ١/٣٢٦ الحطب والنار ثم جمع الناس ، فقال : من رجع عن دينه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار ، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود ، قال يقول الله تعالى : ( قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود - حتى بلغ - العرش المجيد )<sup>(٨)</sup> قال : فأما الغلام فإنه دفن ، قال : فذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب ، وأضبعه على صدغه كما وضعا حين قتل<sup>(٩)</sup> .

- ( ١ ) في المصدر السابق ( قتل ) لا أقتل بها صاحبه ( ) .  
 ( ٢ ) في المصدر السابق ( ذلك الجبل ) .  
 ( ٣ ) في المصدر السابق لا توجد هذه الجملة .  
 ( ٤ ) في الأصل ( يتردون ) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته وكذا في سنن الترمذ وهو من التردى : وهو السقوط ، والهلاك ، انظر النهاية ( ٢ / ٦٦ ) .  
 ( ٥ ) في سنن الترمذ ( فيلقونه ) .  
 ( ٦ ) في سنن الترمذ ( هذا الغلام ) .  
 ( ٧ ) في سنن الترمذ ( أجزعت ) وهو الأنسب .  
 ( ٨ ) في سنن الترمذ ( العزيز الحميد ) .  
 ( ٩ ) أخرجه الترمذ في سننه - كتاب التفسير ، باب ومن سورة البروج ( ٤٣٧ / ٥ ) ، رقم ٣٣٤٠ والطبراني في المعجم الكبير ( ٤٨ / ٨ ) - ٥٠ ، رقم ٩ ( ٧٣ ) بسندهما عن عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني به .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح . ( ١ )

قال - رضي الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث أبو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد . ( ٢ ) أخبرنا أبو العباس بن سراج ( ٣ ) أخبرنا أبو العباس المحبوبي ( ٤ ) أخبرنا عبد الرزاق عن معمر الخبير . ( ٥ )

( ١ ) جاء في النسخ التي بين أيدينا من سنن الترمذي " قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب " وليس فيها ( صحيح ) وهكذا نقله عنه القوطي في تفسيره ( ٢٨٩ / ١٩ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤٩٤ / ٤ ) .

( ٢ ) هكذا في النسختين ( أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ) وقد جاء ذكر هذا السند في ص ( ٤٥٥ ) وفيه : أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القتال . وهذا الراوي لم أجد ترجمته .

( ٣ ) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج السنجي الطحان . تقدمت ترجمته في ص ( ٤٥٥ ) .

( ٤ ) في النسختين ( أبو العباس محبوب ) والصواب ما أثبتته . وهو الإمام المحدث مفيد مرو أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل المحبوبي المروزي راوي جامع أبي عيسى الترمذي عنه . قال الحاكم : سماعه صحيح ، توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة .

انظر سير أعلام النبلاء ( ٥٣٧ / ١٥ ) وهنا في الإسناد سقط ، لأن العباس ليس من تلاميذ عبد الرزاق وإنما هو من تلاميذ الترمذي ، والترمز يروى هذا الحديث عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد قالا : حدثنا عبد الرزاق .

( ٥ ) انظر تفسير عبد الرزاق ( ق ١٧٠ / ١ ) وقد أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزهد - باب قصة أصحاب الأخدود ( ١٨ / ١٣٠ - ١٣٣ ) والإمام أحمد في مسنده ( ١٢ / ٦ ) والطبراني في المعجم الكبير ( ٨ / ٥١ رقم ٧٣٢٠ ) وابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ١٣٣ ) والشعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٦٥ ) والبغوي في تفسيره ( ٧ / ٢٢٧ ) ، كلهم بإسناد هم عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني به بنحوه ، وليس عندهم ما جاء في رواية عبد الرزاق من ذكر همس النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر النبي الذي أعجب بأتمته .

وذكر مسلم هذا الخبر في كتابه ، وخالف في مواضع أخر منه <sup>(١)</sup> ، وفي بعض الروايات ؛ أن اسم ذلك الغلام كان ؛ عبد الله بن التامر . <sup>(٢)</sup>

قال محمد بن إسحاق ؛ حفر في زمن عمر رضى الله عنه حفيرة ، فوجدوا عبد الله ابن التامر ، ويده على صُدْغِهِ ، فكان كلما أخسروا يده عن ذلك الموضع انشعب دماً ، وإذا

(١) من المواضع التي خالف فيها أنه اختصر أوله ، فلم يذكر قوله " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر همس " ( إلى قوله ) وكان إذا حدث بهذا الحديث حدث بهذا الحديث الآخر " .

واختصر في آخره فلم يذكر قوله " قال ؛ يقول الله تعالى ( قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ) حتى يبلغ ( العزيز الحميد ) إلى آخره .

وقال في آخره ( حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتسقا عسست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام ؛ يا أمه اصبرى فإنك على الحق " ولم يذكر عن البداية أنها كانت أسداً ، وعن الغلام أنه دفن " كما جاء عند الترمذى .

(٢) وردت تسمية هذا الغلام بـ " عبد الله بن تامر " في رواية عطاء عن ابن عباس وقد أوردها الثعلبي في تفسيره (١٣/٦٩/١) والبغوى في تفسيره (٢٢٩/٧) وكذلك وردت فيما رواه الضحاك عن ابن عباس ، وأورد هذه الرواية القرطبي في تفسيره (٢٨٩/١٩) .

كما وردت هذه التسمية فيما ذكره ابن إسحاق عن وهب بن منبه وغيره . كما ذكر عنه البغوى في تفسيره (٢٢٩/٧) والقرطبي في تفسيره (٢٩١/١٩) وابن كثير في تفسيره (٤٩٤/٤ - ٤٩٥) ، وذكر الثعلبي في تفسيره (١/٦٧/٣) عن الكلبى أنه قال ؛ وذو نواس هو الذى قتل عبد الله بن التامر " .

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٣٦/١) ؛ " شَعَبَ الماءَ والدَّمَ ونحوهما يَشَعِبُ شَعْبًا ؛ فَجَرَهُ ، فَأَنْشَعَبَ " .

تركوا اليد ارتدت إلى مكانها ، وكان في أصبعه خاتم حديد مكتوب عليه " ربى الله " .  
فأمر عمر أن يرد إلى ذلك الموضع كما وجد . (١)

(١) ذكره البيهقي في تفسيره (٢٢٩/٧) وابن كثير في تفسيره (٤٩٥/٤) عن محمد ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن التامر . . . وذكرنا نحوه ، وتقدم في رواية الترمذي أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صُدْغِهِ كما وضعها حين قتل " انظر أيضاً تفسير الثعلبي (١٣/٦٦/ب) .

هذا وقد ذهب ابن كثير في تفسيره (٤٩٥/٤) بعد أن ذكر الروايات المختلفة في هذه القصة إلى أنها كانت في زمان الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام ، ثم قال : وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً ، ثم استدل على قوله بما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن صفوان بن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت الأخدود في اليمن زمان تبع ، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صوّف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذوا أتوناً ، وألقى فيسه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباة عزيزا وميشائيل ، فأوقد لهم أتوناً وألقى فيها الحطب والنار شم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً وأنقذهما منها ، وألقى فيها الذين بقوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار .

وقال الرازي في تفسيره (١١٧/٣١) :  
" فإن قيل : تعارض هذه الروايات يدل على كذبها ، قلنا : لا تعارض فقيل : إن هذا كان في ثلاث طوائف ثلاث مرات مرة باليمن ، ومرة بالعراق ومرة بالشام - ولفظ الأخدود وإن كان واحداً إلا أن المراد هو الجمع وهو كثير من القرآن ، ثم نقل عن القفال أنه قال : ذكروا في قصة أصحاب الأخدود روايات مختلفة وليس في شيء منها ما يصح إلا أنها متفقة في أنهم قوم من المؤمنين خالفوا قومهم أو طكاً كافراً كان حاكماً عليهم فألقاهم في أخدودٍ وحفر لهم " .  
وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في شأن هؤلاء كما رواه الترمذي هو الصواب فينبغي الوقوف عند حده ، وأما ما روى عن بعض أئمة التفسير أنهم من الحبشة أو الروم أو اليمن وغيرها وكذلك ما يروى من القصص المختلفة فهي كلها آثار موقوفة أو مقطوعة ، وبعضها بيد وعلينا أثر الاسرائيليات " .

وعن الحسن البصرى : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ذكر هذه القصة

قال : اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر بعض أهل المعانى أن قوله ( قتل أصحاب الأعدود ) هو جواب القسم .<sup>(٢)</sup>

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٣٣٣/٦) قال : قال الحسن : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما ذكرت أصحاب الأعدود إلا تعوذت بالله من جهد البلاء " وعزا تخريجه الى عبد بن حميد وذكره عن عوف أيضا وعزا تخريجه إلى ابن أبى شيبة .  
وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج الكشاف (٧٣١/٤) : " أخرجه ابن أبى شيبة عن أبى أسامة عن عوف عن الحسن بهذا " وهو مرسل ، لأن الحسن البصرى رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة .

(٢) اختلف المفسرون فى موضع جواب القسم على عدة أقوال : وما ذكره المؤلف هو قول الفراء والأخفش ، واللام فيه مضمرة ، انظر معانى القرآن للفراء (٢٥٣/٣) ومعانى القرآن للأخفش (٥٣٥/٢) وذكر فى ذلك أقوال أخرى .

أحدها : فيه تقديم وتأخير ، أى " قتل أصحاب الأعدود والسما ذات البروج " قاله أبو حاتم السجستاني ، ورده ابن الأنبارى ، فقال : هذا غلط لأنه لا يجوز لتقابل أن يقول والله قام زيد على معنى : قام زيد والله .  
الثانى : أن جواب القسم " إن بطش ربك لشديد " وهو قول ابن سعد وقتادة ، واختاره الزجاج ، كما قال الرازى .

وذكره القرطبي وقال : وهذا قبيح لأن الكلام قد طال بينهما ، الثالث : جوابه " إن الذين فتنوا " الرابع : جوابه محذوف ، وهو اختيار ابن جرير فإنه قال : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : جواب القسم فى ذلك متروك ، والخبر مستأنف لأن علامة جواب القسم لاتحدفها العرب من الكلام إذا أجابته .

وهو اختيار الزمخشري أيضا ، قال : فإن قلت : أين جواب القسم ؟ قلت : محذوف يدل عليه قوله ( قتل أصحاب الأعدود كأنه قيل : أقسم بهذه الأشياء أنهم طمعونون ، يعنى كفار قريش كما لمن أصحاب الأعدود ، وذلك أن السورة وردت فى تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة ، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان . . . إلى آخر ما قال .

وذكره الرازى أيضا وقال : إنه مذهب المتقدمين إلا أن تقدمه عندهم هو أن الأمر حق فى الجزاء على الأعمال . وذكره القرطبي وقال : جواب القسم محذوف ، أى والسما ذات البروج لتبعثن ، وهذا اختيار ابن الأنبارى .

انظر تفسير الطبرى (١٣٥/٣٠) وزاد السير (٧٤/٩) والكشاف (٢٩٤/٧-٧٣٠) وتفسير الرازى (١١٦/٣١) وتفسير القرطبي (٢٨٦/١٩) ، وشكل اعراب القرآن (٤٦٧/٢) .

قوله (النار ذات الوقود ) على قول البدل من الأخذود كأنه قال ( قتل أصحاب الأخذود النار ذات الوقود )<sup>(١)</sup> .

والوقود : ما يوقد به النار ، وقيل ذات الوقود أى ذات التوقد وهو الأصح .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) قال أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٦٧ / ٣ ) :

" خفض على بدل الاشتغال ، وفيه تقديران أحدهما : نارها والألسف واللام عوض من المضم ، والآخر : النار التى فيها ، وهذا بدل الاشتغال " .  
ثم ذكر أن النحويين أجازوا فيه الرفع ، وقد قرأه بذلك أبو عبد الرحمن السلمى ، وذكر مكي بن أبى طالب فى مشكل اعراب القرآن ( ٤٦٧ / ٢ ) عن الكوفيين أنه مخفوض على الجوار .

والصواب والله أعلم أنه بدل الاشتغال من الأخذود وهو الذى ذكره كثير

من المفسرين .

انظر معانى القرآن للأخفش ( ٥٣٥ / ٢ ) وتفسير الطبرى ( ١٣٥ / ٣٠ ) وزاد السير

( ٧٧ / ٩ ) والكشاف ( ٧٣١ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٨٧ / ١٩ ) .

( ٢ ) ذكر القولين ابن جرير فى تفسيره ( ١٣٥ / ٣٠ ) قال : " ويعنى بقوله ( ذات

الوقود ) ذات الحطب الجزل ، وذلك إذا فتح السواو ، فأما الوقود بضم السواو : فهو الاتقاد " .

وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٨٧ / ١٩ ) : " والوقود بفتح الواو قراءة العامة ، وهو

الحطب ، وقرأ قتادة وأبو رجاء ونصر بن عاصم ( بضم الواو ) على المصدر ، أى ذات الاتقاد والالتهاب ، وقيل : ذات الوقود بأبدان الناس " . انظر أيضا البحر

المعيط ( ٤٥٠ / ٨ ) .

هذا وقد ذكر فى قوله تعالى ( قتل أصحاب الأخذود ) عدة أوجه فقال الماوردي

فى تفسيره ( ٤٣٠ / ٤ ) :-

وفى قوله ( قتل أصحاب الأخذود ) وجهان ، أحدهما : أهلك المؤمنون

الثانى : لعن الكافرون الفاطون - قيل : إن النار صعدت إليهم وهم شهيدون عليها

فأحرقتهم ، فلذلك قوله تعالى : ( فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق )

يعنى فى الدنيا .

٠٠/٠٠

وقال الرازي في تفسيره ( ١١٨ / ٣١ ) : " ويمكن أن يكون المراد بأصحاب الأخدود القتالين ، ويمكن أن يكون المراد بهم المقتولين ، والرواية المشهورة أن المقتولين هم المؤمنون ، وروى أيضا أن المقتولين هم الجبابرة ، لأنهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فأحرقتهم ، ونجى الله المؤمن منها سالمين وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواقدي . "

ثم ذكر على الوجه الأول في الآية تفسيرين ، أحدهما : أن يكون هذا دعاء عليهم ، أي لعن أصحاب الأخدود ، والثاني : أن يكون المراد أن أولئك قتلوا بالنار على ما تقدم ذكره .

وأما على الوجه الثاني وهو أن أصحاب الأخدود هم المقتولون فالمعنى : أن أولئك المؤمنين قتلوا بالاحراق بالنار ، فيكون ذلك خبراً لا دعاء .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٠ / ٨ ) " وأصحاب الأخدود هم المحرقون للمؤمنين ، وقال الربيع وأبو العالمة وابن إسحاق : بعث الله على المؤمنين ريحاً فقبضت أرواحهم أو نحو هذا وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الأخدود فعلى هذا يكون القتل حقيقة لا بمعنى اللعن ، ويكون خبراً عن ما فعله الله بالكفار " ثم قال : وقول هو " لا " مخالف لقول الجمهور ولما دل عليه القصص الذي ذكره .

ويبدو لي أن المراد بأصحاب الأخدود هم القتالون الجبابرة ، لأنه هو الذي يؤيده السياق ثم إنه قد ذهب إليه الجمهور كما ذكره أبو حيان وقد ذهب إليه أيضا ابن جرير في تفسيره ( ١٣٥ / ٣٠ ) فقال : وأولى التأويلين بقوله ( أصحاب الأخدود ) لعن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود . "



وقوله ( إِنْ هُمْ عَلَيْهَا قَعُودٌ ) أى جلوس .

وفى القصة : أن الطك وأصحابه كانوا قد قعدوا على كرسى عند الأخاديد<sup>(١)</sup> .

وقوله : ( وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ) فعل ما فعل بالمؤمنين

( ٢ )  
بحضورهم .

( ١ ) ذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٣٠ / ٧ ) عن مجاهد ، وابن الجوزى فى زاد المسير  
٠ ( ٨٠ / ٩ )

أما الرازى فذكر فى الآية أربعة أوجه :-

أحدها : أن الضمير فى ( هم ) عائد إلى أصحاب الأخدود ، والمراد من أصحاب الأخدود المقتولون لا القاتلون ، فيكون المعنى : إِنْ الْمُؤْمِنُونَ قَعُودٌ عَلَى النَّارِ يَحْتَرِقُونَ مَطْرَحُونَ عَلَى النَّارِ .

والثانى : أن يجعل الضمير فى ( عليها ) عائد إلى طرف النار وشفيرها والمواضع التى يمكن الجلوس فيها ، ولفظ ( على ) مشعر بذلك ، فالقاتلون كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار ، فمن كان يترك دينه تركوه ، ومن كان يصير على دينه ألقوه فى النار .

والثالث : أن الضمير فى ( هم ) عائد إلى أصحاب الأخدود بمعنى القاتلين والضمير فى ( عليها ) عائد إلى النار ، فالمعنى : أن أولئك القاتلين كانوا قاعدين على النار ، ولما ألقوا المؤمنين فى النار ارتفعت النار إليهم فهلكوا بنفس ما فعلوه بأيد يهيم لأجل إهلاك غيرهم ، فكانت الآية دالة على أنهم فى تلك الحالة كانوا طمعونين أيضا ، ويكون المعنى : أنهم خسروا الدنيا والآخرة .

والرابع : أن تكون على بمعنى عند كما قيل فى قوله ( ولهم على ذنب ) أى عندى ، تفسير الرازى ( ١١٨ / ٣١ - ١١٩ ) ويبدولى والله أعلم أن ما ذكره المؤلف هو الراجح لأنه هو قول الجمهور ، كما أشار إليه أبو حيان فى البحر المحيى ( ٤٥٠ / ٨ ) وقد اختاره ابن جرير فى تفسيره ( ١٣٦ / ٣٠ ) فإنه قال : " يقول تعالى ذكره : النار ذات الوقود ، إِنْ هُمْ إِلَّا الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ عَلَيْهِمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَقَالَ : عَلَيْهَا ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُمْ قَعُودٌ عَلَى حَافَةِ الْأَخْدُودِ " .

( ٢ ) ذكر الطاورى فى تفسيره ( ٤٣٠ / ٤ ) فى هذه الآية وجهين : أحدهما : أن أصحاب الأخدود هم على عذاب المؤمنين فيها شهود ، وهو ظاهر من قول قتادة .

الثاني : أنهم شهدوا على المؤمنين بالضلال ، قاله مقاتل ، وهذا القول ذكره البغوي في تفسيره ( ٢٣٠ / ٧ ) : وقال الرازي في تفسيره ( ١١٩ / ٣١ ) " اعلم أن قوله تعالى ( شهدوا ) يحتتمل أن يكون المراد منه ( حضور ) يحتتمل أن يكون المراد منه الشهداء الذين تثبت الدعوى بشهادتهم أما على الوجه الأول فالمعنى : أن أولئك الجبابرة القاتلين كانوا حاضرين عند ذلك العمل يشاهدون ذلك .

ثم ذكر على الوجه الثاني وهو أن المراد من الشهداء الشهادة التي تثبت بها الدعوى ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم جعلوا شهداء يشهد بعضهم لبعض عند الطك أن أحداً منهم لم يفرط فيما أمر به ، وفوض إليه من التعذيب . والثاني : أنهم شهدوا على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة ، ( يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ) سورة النور الآية ٢٤ .

والثالث : أن هؤلاء الكفار مشاهدون لما يفعلون بالمؤمنين من الإحراق بالنار حتى لو كان ذلك من غيرهم لكانوا شهداء عليه ، ثم مع هذا لم تأخذهم بهم رأفة ، ولا حصل في قلوبهم ميل ولا شفقة .

وقد ذكر القول الأول ( وهو أنهم جعلوا شهداء يشهد بعضهم لبعض عند الطك ) والقول الثاني ( وهو أنهم يؤدون شهادتهم يوم القيامة ) الزمخشري في الكشاف ( ٧٣١ / ٤ ) واختار الأول . وأما ابن جرير وابن الجوزي والقرطبي فقد اختاروا أن ( شهدوا ) بمعنى حضور .

وقال القرطبي : يعنى الكفار ، كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين فمن أبى القوه في النار ، وفي ذلك وصفها بالقسوة ثم بالجد في ذلك .

انظر تفسير الطبري ( ١٣٦ / ٣٠ ) وزاد المسير ( ٧٧ / ٩ ) وتفسير القرطبي

وقوله ( وما نَقَمُوا مِنْهُمْ ) قال ابن عباس : وما كَرِهُوا<sup>(١)</sup> ، وعن غيره : وما عَابُوا<sup>(٢)</sup> .  
ذكر الزجاج : ما أَنْكَرُوا<sup>(٣)</sup> .

قال عبد الله بن قيس بن الرقيات<sup>(٤)</sup>  
مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا  
وَأَنْتَهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ فَلَا  
أَنْتَهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا  
يَصْلِحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرْبُ<sup>(٥)</sup>

(١) ذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٣٠/٧) .

(٢) ذكر هذا المعنى البغوي في تفسيره (٢٣٠/٧) عن مقاتل ، وذكره الخازن  
أيضاً ولكنه لم ينسبه إلى أحد ، وهو اختيار الزمخشري والرازي وأبو حيان  
فإنهم قالوا " وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الأيمان " .

انظر الكشاف (٧٣١/٤) وتفسير الرازي (١٢٠/٣١) والبحر المحييط  
٠ (٤٥١/٨)

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٢٣١/٧) قال : " قال الزجاج : ما أنكروا  
عليهم ذنباً إلا إيمانهم بالله " .

(٤) كذا في النسختين ( ابن الرقيات ) وفي المصادر الأخرى ( ابن قيس  
الرقيات ) وهو عبد الله بن قيس الرقيات بن سريح بن قالك .

من بني عامر بن لوئى . أقام بالمدينة ونزل الرقة ، وخرج مع مصعب  
ابن الزبير على عبد الملك بن مروان ، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير  
وعبد الله ، فأقام سنة وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ،  
فسأل عبد الملك في أمره فأمنه ، توفي في نحو سنة ٨٥ هـ .

قال فيه الجمعي : كان عبد الله بن قيس الرقيات أشد قريش أسرو شعري في  
الإسلام بعد ابن الزبير .

طبقات الشعراء لابن سلام الجمعي (٢/٦٤٨-٦٥٥) ومعجم المؤلفين (٢٤٣/١) .

(٥) البيتان في ديوانه ( ص ٤ ) . وفي طبقات الشعراء لابن سلاء (٢/٦٥٤) ،  
وفيه ( معدن الطوك ) وأنشد الزمخشري في الكشاف (٧٣١/٤) وأبو حيان  
في البحر المحييط (٤٥١/٨) البيت الأول فقط .

وقوله : ( إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ) والمعنى : أنهم ما أنكروا عليهم إلا إيمانهم بالله .<sup>(١)</sup> وقوله : ( العزيز الحميد ) أى الغالب بقدرته ، الحميد فى أفعاله<sup>(٢)</sup> قوله تعالى ( الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد ) ظاهر المعنى .<sup>(٣)</sup>

قال الزجاج : والمراد من الآية ان الله تعالى ذكر قوماً بلغت بصيرتهم فى الدين أن خيروا بين الكفر وبين الإحراق بالنار فصبروا حتى احرقوا بالنار .<sup>(٤)</sup>

وقد ورد<sup>(٥)</sup> فى بعض الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تشرك بالله وإن قتلت وأحرقت .<sup>(٦)</sup>

(١) انظر الكشاف (٤/٧٣١) وتفسير الرازى (٣١/١٢٠) والبحر المحييط (٨/٤٥١) .  
 (٢) قال ابن جرير فى تفسيره (٣٠/١٣٦) : " (العزيز) يقول : الشد يد فى انتقامه ممن انتقم منه ، (الحميد) يقول : المحمود باحسانه إلى خلقه " .  
 وقال الزمخشري فى الكشاف (٤/٧٣٢) عند هذه الآية : " وذكر الأوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به ويعبد ، وهو كونه عزيزاً غالباً قادراً يخشى عقابه حميداً منعدماً ، يجب له الحمد على نعمته ويوجب ثوابه " .  
 انظر أيضاً تفسير الرازى (٣١/١٠٢) والبحر المحييط (٨/٤٥١) .

(٣) هو الوصف الثالث من الأوصاف التى يستحق بها الرب سبحانه وتعالى أن يؤمن به ويعبد . قال الزمخشري : فكل من فىهما تحقق عليه عبادته والخشوع لسه تقديراً ، لأن ( مانعوا منهم ) هو الحق الذى لا ينقمه إلا مبطل منهمك فى الغنى ، وإن الناقلين أهل لانتقام الله منهم عذاب لا يعدله عذاب ، الكشاف (٤/٧٣٢) ، انظر أيضاً البحر المحييط (٨/٤٥١) .

(٤) لم أجد من ذكره عن الزجاج .  
 وقال ابن الجوزى فى زاد السير (٩/٧٧) : " فأخبر الله عز وجل فى هذه الآيات بقصة قوم بلغ من إيمانهم ويقينهم أن صبروا على التحريق بالنار ، ولم يرجعوا عن دينهم " .

(٥) سقطت كلمة ( ورد ) من النسخة الثانية .

(٦) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (٢/٤٩٣) بسنده عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : أوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم : أن لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة . . . الحديث . وقال البوصيرى فى زوائده كما نقل عنه السندى : إسناد حسن وشهر مختلف فيه . ولكن لسه شاهد من حديث معاذ أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/٢٣٨) بسنده عن إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عنه قال : " أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال : لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت ولا تمقن والدك . . . الحديث . ولذلك قد صحح الألبانى رواية ابن ماجه فأوردها فى صحيح الجامع الصغير (٦/١٥٧) وقال : صحيح .

قوله تعالى ( إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ) أى أحرقوا<sup>(١)</sup> . يقال :  
فتنت الذهب بالنار إذا أدخلته فيها .

ويقال : جَرَّةٌ فتنٌ ، إذا كانت سوداء كالمحترقة<sup>(٢)</sup> . بكفرهم ، ونوعاً من

( ١ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٣٦/٣٠ - ١٣٧ ) عند هذه الآية : " يقول :  
إن الذين ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بالله بتعدى بهم وإحراقهم بالنار " .  
ثم روى بسنده عن ابن عباس وقادة والضحاك وابن أبى وغيرهم أن معنى  
( فتنا ) : حر قوا .

وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٩٥/١٩ ) : " أى حر قوهم بالنار " .  
وروى عن مجاهد أنه قال : ( إن الذين فتنا ) أى عذبوا .  
انظر تفسير مجاهد ( ٧٤٨/٢ ) وتفسير الطبرى ( ١٣٧/٣٠ ) .

وبه قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٢ ) وكلا المعنيين واحد  
ولذلك قال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٣١/٧ ) وابن الجوزى  
فى زاد المسير ( ٧٧/٩ ) فى تفسير ( إن الذين فتنا ) أى عذبوا  
وأحرقوا .

وقال الزمخشورى فى الكشاف ( ٧٣٢/٤ ) : " ومعنى فتنوهم : عذبوهم  
بالنار وأحرقوهم " . وقال الرازى فى تفسيره ( ١٢١/٣١ ) : " أصل الفتنة  
الابتلاء والامتحان ، وذلك لأن أولئك الكفار امتحنوا أولئك المؤمنين وعرضوهم  
على النار وأحرقوهم " .

وقال الرازى فى تفسيره ( ١٢١/٣١ ) : " أصل الفتنة الابتلاء والامتحان ،  
وذلك لأن أولئك الكفار امتحنوا أولئك المؤمنين وعرضوهم على النار وأحرقوهم ،  
وقال بعض المفسرين : الفتنة هى الإحراق بالنار ، وقال ابن عباس ومقاتل ( فتنا  
المؤمنين ) حر قوهم بالنار .

( ٢ ) قال الراغب الأصفهانى فى المفردات ( ص ٣٧١ ) : " أصل الفتن إدخال الذهب  
النار لتظهر جودته من ردايته واستعمل فى إدخال الإنسان النار . وقال  
ابن منظور فى لسان العرب ( ٣١٧/١٣ ) نقلاً عن الأزهري وغيره : جمع معنى  
الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة  
والذهب إذا أذبتها بالنار لتمييز الردى من الجيد " . وقال الجوهري فى  
الصاح ( ٢١٧٥/٦ ) : " الفتنة : الاختبار والامتحان - تقول : فتنت الذهب ،  
إذا أدخلته النار لتتظن ما جودته ، ود ينار مفتون ، قال الله تعالى : ( إن الذين  
فتنا المؤمنين ) ويسمى الصائغ الفتان وكذلك الشيطان ثم قال : ويقال للحررة فتين  
كأن حجارتها محرقة .

انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٢٩٥/١٩ ) وتفسير الرازى ( ١٢١/٣١ ) .

(١) العذاب بإحراقهم المؤمنين .

وعن الربيع بن أنس : ان النار التي أحرقوا المؤمنين فيها ارتفعت من الأخدود  
فأحرقت الطك وأصحابه / فهو معنى قوله ( ولهم عذاب الحريق ) (٢)  
ب/٣٢٧

(١) العبارة كذا في الأصل ، ويبدو لي أنه وقع فيها سقط ، ولعلها هكذا\* (ظهم  
عذاب جهنم ) بكفرهم ( ولهم عذاب الحريق ) ذكر فيه نوعاً من العذاب  
بإحراقهم المؤمنين \* والله أعلم بالصواب ، ( قارن بما في زاد المسير (٧٧/٩)  
وهو يقتضى أن كلا العذابين في جهنم ، وهو قول الأكثرين ، كما صرح به  
ابن الجوزي في زاد المسير (٧٧/٩) وذكر هذا القول الزمخشري في الكشاف  
(٧٣٢/٤) قال : ( ظهم ) في الآخرة ( عذاب جهنم ) بكفرهم ( ولهم  
عذاب الحريق ) وهى نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين )  
انظر أيضاً تفسير الرازي (١٢١/٣١) وتفسير القرطبي (٢٩٥/١٩) والبحر  
المحيط (٤٥١/٨) .

(٢) روى ابن جرير في تفسيره (١٣٤/٣٠) بسنده عن الربيع بن أنس أثراً طويلاً  
جاء فيه : فنجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق ، بأن قبض  
أرواحهم قبل أن تصبهم النار ، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود ، من  
الكفار فأحرقتهم ، فذلك قول الله ( فلهم عذاب جهنم ) في الآخرة ، ولهم  
عذاب الحريق ) في الدنيا .

وقد ذكر هذا القول عن الربيع بن أنس البغوى في تفسيره (٢٣١/٧)  
وابن الجوزي في زاد المسير (٧٧/٩ - ٧٨) وهو قول الفراء أيضاً . انظر  
معاني القرآن (٢٥٣/٣) وعزاء البغوى إلى الكلبى أيضاً .

وذكر هذا القول الزمخشري في الكشاف (٧٣٢/٤) فقال بعد أن ذكر  
القول السابق : \* أولهم عذاب جهنم في الآخرة ، ولهم عذاب الحريق  
في الدنيا ، لما روى أن النار انطبست عليهم فأحرقتهم \* .  
انظر أيضاً تفسير الرازي (١٢١/٣١) وتفسير القرطبي (٢٩٥/١٩) ،  
والبحر المحيط (٤٥١/٨) .

والراجع في نظري هو القول الأول الذى عليه أكثر المفسرين وهو أن عذاب  
جهنم وعذاب الحريق كلا العذابين في الآخرة ، وقد ذكر الزمخشري في الكشاف  
(٧٣٢/٤) والرازي في تفسيره (١٢١/٣١) احتمالين في المراد من قوله  
تعالى ( إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ) .

الأول أن المراد من (الذين فتنوا) : أصحاب الأخدود خاصة ، وبالذين  
آمنوا : المطروحين في الأخدود ، والثانى أن المراد كل من فعل ذلك .

وقال الرازي في هذا الاحتمال : وهذا أولى لأن اللفظ عام والحكم عام ،  
فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل \* .  
انظر أيضاً البحر المحيط (٤٥١/٨) .

قوله تعالى ( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ) أى العظيم <sup>(١)</sup> . وهذا على جرى أمر القرآن فإنه إذا ذكر الوعيد للكفار ، يذكر الوعد للمؤمنين ، وهو ظاهر فى أكثر القرآن <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( إن بطش ربك لشديد ) البطش : هو الأخذ بعنف وشدة <sup>(٣)</sup> .  
وقوله ( إنه هو بيدى ويعيد ) أى : بيدى الخلق فى الدنيا ثم يعيدهم فى

الآخرة <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ٢٩٥ / ١٩ ) : " ( ذلك الفوز الكبير ) أى العظيم الذى لا فوز يشبهه . وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٧٨ / ٩ ) : " ( ذلك الفوز الكبير ) لأنهم فازوا بالجنة ، وقال بعض المفسرين : فازوا من عذاب الكفار وعذاب الآخرة . والأول وهو أنهم فازوا بالجنات التى تجرى من تحتها الأنهار هو الأحسن .

( ٢ ) قال الرازى فى تفسيره ( ١٢١ / ٣١ ) عند هذه الآية : " اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ذكر وعد المؤمنين وهو ظاهر " .

( ٣ ) قال الزمخشري فى الكشاف ( ٧٣٢ / ٤ ) : " البطش : الأخذ بالعنف ، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ، وهو بطشه بالجبايرة والظلمة ، وأخذهم بالعذاب والانتقام " .

وذكر البغوى فى تفسيره ( ٢٣١ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٧٨ / ٩ ) عن ابن عباس أنه قال : إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة والجبايرة لشديد " .

( ٤ ) فى الآية قولان ، كما ذكره بعض المفسرين ، أحدهما هو هذا الذى ذكره المؤلف يعنى أن المراد الخلق - فالمعنى أنه يخلقهم ابتداءً ، ثم يعيدهم عند البعث ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٣٨ / ٣٠ ) ورواه عن الضحاك وابن زيد ، وذكره أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٦٩ / ٣ ) عن ابن زيد ، وذكره البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٣١ / ٧ ) واقتصرا عليه كالمؤلف ، وهو قول الجمهور كما صرح به ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٧٨ / ٩ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٩٦ / ١٩ ) انظر أيضا الكشاف ( ٧٣٢ / ٤ ) . وأما القول الثانى فهو أن المراد هنا العذاب ، والمعنى أنه بيدى العذاب ويعيده ، ذكره ابن جرير ثم رواه من طريق الموفى عن ابن عباس ، وذكره ابن الجوزى بلفظ : بيدى العذاب فى الدنيا على الكفار ثم يعيده عليهم فى الآخرة . وقال : رواه الموفى عن ابن عباس وذكره النحاس أيضا فى اعراب القرآن ( ٦٦٩ / ٣ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٩٦ / ١٩ ) وهو الذى اختاره الطبرى وذكر أنه أولى التأويلين واستدل على أوليته بما تقدم من قوله سبحانه وتعالى ( إن بطش ربك لشديد ) قال : كان البيان عن معنى شدة بطشه الذى قد ذكره قبله أشبه من البيان عما لم يجمله ذكر " وقال النحاس : وهذا أشبه بالمعنى ، لأن سياق القصة أنهم أُخِر قوا فى الدنيا ولهم عذاب جهنم " انظر أيضا الكشاف ( ٧٣٢ / ٤ ) . والراجح - كما بيدولى - هو القول الأول يعنى أن المراد الخلق ، أخبر باقتداره على الإيداء والإعادة على شدة بطشه .

قوله تعالى ( وهو الغفور الودود ) الغفور هو الستور بذنوب عباده .<sup>(١)</sup> والودود :  
هو المحب للمؤمنين ، وقيل : المتودد إلى المؤمنين ، بجميل أفعاله وكثير إحسانه .<sup>(٢)</sup>  
وذكر الأزهري : أنه يجوز أن يكون الودود بمعنى المودود كالحلوب والركوب بمعنى  
المحلوب والمركوب .<sup>(٣)</sup> فعلى هذا في قوله ( الودود ) معنيان أحدهما أنه المحسب  
لعباده المؤمنين - والآخر الذي يحبه المؤمنون .<sup>(٤)</sup>

(١) قال القرطبي في تفسيره (٢٩٦/١٩) : " ( وهو الغفور ) أي الستور لذنوب عباده المؤمنين ، لا يفضحهم بها " وقال الماوردي في تفسيره (٤٣١/٤) : " في الغفور وجهان : أحدهما : الساتر للعيوب ، والثاني : العافي عن العيوب " وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٥١/٨) : " ولما ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفوراً ساتراً لذنوب عباده ، وودواً لطيفاً بهم محسناً إليهم " .

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٤٣١/٤) والبغوي في تفسيره (٢٣١/٧) والرازي في تفسيره (١٢٢/٣١) وقال : هذا قول أكثر المفسرين . وهو مطابق للدلائل العقلية . وذكره القرطبي في تفسيره (٢٩٦/١٩) .

(٣) ذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٣١/٧) والرازي في تفسيره (١٢٢/٣١) ، والقرطبي في تفسيره (٢٩٦/١٩) كلهم بلفظ : " المتودد إلى أوليائه بالمغفرة " وعزاه الرازي إلى الكلبي ، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس .

(٤) لم أجد هذا الكلام في تهذيب اللغة وقد ذكره عنه الرازي في تفسيره (١٢٢/٣١) وذكره البغوي في تفسيره (٢٣١/٧) والقرطبي في تفسيره (٢٩٦/١٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٥٢/٨) دون عزو إلى أحد وذكر الرازي معنى هذا القول فقال : معناه : أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وأفعاله .

(٥) في معناه ثلاثة أقوال أخرى ، ذكرها بعض المفسرين أحدها : أنه الرحيم ، رواه ابن جرير في تفسيره (١٣٩/٣١) بسنده عن ابن زيد ، وذكره عنه القرطبي في تفسيره (٢٩٦/١٩) وذكره الماوردي في تفسيره (٤٣١/٤) دون عزو إلى أحد والثاني : ما حكاه المبرد عن اسماعيل بن إسحاق القاضي وهو أن الودود هو الذي لا ولد له ، ويكون معنى الآية على هذا القول : أنه يغفر لعباده ، وليس له ولد يغفر لهم من أجله ليكون بالمغفرة متفضلاً من غير جزاء " ذكره الماوردي والقرطبي وأبو حيان في البحر المحيط (٤٥١/٨) والثالث : نقل الرازي في تفسيره (١٢٣/٣١) عن القفال أنه قال : قيل : الودود قد يكون بمعنى الحليم من قولهم : دابة ودود وهي المطيعة القيادة التي كيف عطفها انعطفت ، والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول يعني أنه المحب لأوليائه ، وهو الذي عطفه أكثر المفسرين كما تقدم ، ولذلك قال الرازي : والقول هو الأول .



وقوله ( ذو العرش المجيد ) قرأ أكثر القراء بالرفع . وقرأ حمزة والكسائي (١) <sup>(٢)</sup> بالخفض .

والعرش : هو السرير في اللغة .<sup>(٤)</sup>

وأما في القرآن : هو العرش المعروف فوق السموات .<sup>(٥)</sup> وفي التفسير : أنه لا يقدر قدره .<sup>(٦)</sup>

( ١ ) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسما عيل ، الإمام القيدوة شيخ القراءة ، أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربيع التيمي الكوفي الزيات - أحد القراء السبعة ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن طعمه رأى بعضهم ، قال الذهبي : وكان إماماً حجة قيماً بكتاب الله تعالى ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والمربية ، عابداً خاشعاً قانتاً لله ، شخين الورع ، عديم النظر ، توفي سنة ثمان وخمسين ومائة .

معرفة القراء الكبار ( ١ / ٩٤ ) وسير أعلام النبلاء ( ٧ / ٩٠ ) .

( ٢ ) هو علي بن حمزة أبو الحسن الأسدي .

( ٣ ) انظر التيسير ( ص ٢٢١ ) والكشف عن وجوه القراءات ( ٢ / ٣٦٩ ) وحجة القراءات ( ص ٧٥٧ ) .

انظر أيضاً تفسير الطبري ( ٣٠ / ١٣٩ ) وتفسير البغوي ( ٧ / ٢٣١ ) وزاد المسير ( ٩ / ٧٨ ) وتفسير القرطبي ( ١٩ / ٢٩٦ - ٢٩٧ ) .

( ٤ ) قال الجوهري في الصحاح ( ٣ / ١٠٠٩ ) . العرش : سرير الملك ، وعرش البيت سقفه .

انظر أيضاً لسان العرب ( ٦ / ٣١٣ ) .

( ٥ ) أشار بذلك المؤلف إلى ما يعتقد نحو عرش الرب سبحانه وتعالى - وهو الإيمان بمرشه تعالى على ما جاء في القرآن والاحاديث الصحيحة - وهو عند هم سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات - وأن الله سبحانه وتعالى مستو عليه استواء كما يليق بذاة وجلاله ، وهو أكبر المخلوقات على الإطلاق .

راجع للتفصيل في ذلك : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية ( ص ٢٤٢ ) ، والأسماء والصفات للبيهقي ( ص ٤٩٧ ) ومجموع الفتاوى ( ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ) والعلو للذهبي ( ٥٨ ) وشرح العقيدة الطحاوية ( ٣١١ ) .

( ٦ ) هو جزء من حديث موقوف . عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره .

أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي ( ص ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ) وعبد الله بن أحمد في السنة ( ص ٧٠ ) وابن جرير في تفسيره ( ٣ / ١٠ ) والطبراني في المعجم الكبير ( ٣٩ / ١٢ رقم ١٢٤٠٤ ) كلهم من طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني عن سلم البطيين عن سميد بن جبير عنه .

وعن بعضهم : ذو العرش : ذو الطك . يقال : نُثِلَ عرش فلان : أى ملك فلان . ويقال : تبوأ فلان على سرير ملكه أى استقر ملكه وإن لم يكن شمس سرير فى ذلك الوقت - حكاه القفال <sup>(٢)</sup> - والقول الصحيح الأول <sup>(٣)</sup> .

(١) فى النسختين ( كل ) وهو خطأ والصواب ( نُثِلَ ) ومعناه زال .  
انظر لسان العرب ( ٩٠ / ١١ - ٩١ ) .

(٢) ذكره الرازى فى تفسيره ( ٢٣ / ٣١ ) قال :  
" قال القفال : ذو العرش : أى ذو الطك والسلطان ، كما يقال :  
فلان على سرير ملكه ، وإن لم يكن على السرير ، وكما يقال : نُثِلَ عرش فلان  
إذا ذهب سلطانه " .

وذكره عنه أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٥٢ / ٨ ) مختصراً - وذكره  
القرطبى أيضاً فى تفسيره ( ٢٩٧ / ١٩ ) ولكنه لم ينسبه إلى أحد " . وهذا  
هو قول المعتزلة فى عرش الرب تعالى ، فإنهم ينكرون أن يكون لله تعالى  
عرش يستوى عليه ، ويؤمنون الآيات التى ورد فيها ذكر العرش لله تعالى  
ويفسرون العرش بالطك والسلطان ، وإليه ذهب قوم من الخوارج وجماعة من  
الأشاعرة .

راجع لمعرفة مذهبهم : التوحيد للنيسابورى ( ص ٥٩٩ ) وشرح الأصول  
الخمس ( ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ) وأصول الدين للبغدادى ( ص ١١٢ - ١١٤ )  
وأيضاً العلو للذهبي ( ص ٥٨ ) وشرح العقيدة الطحاوية ٣١٢ .

وهناك قول آخر للفلاسفة والمتكلمين وهو أن العرش فلك مستدير من جميع  
جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ، وهو الذى قد يسمونه بالفلك الأطلس  
أو الفلك التاسع .

انظر رسائل إخوان الصفا ( ٢٦ / ٢ ) والرسالة العرشية ( ٢٦٥ - ٢٦٠ )  
وشرح العقيدة الطحاوية ( ص ٣١ ) .

(٣) لأنه هو الذى دلت عليه الأدلة من القرآن والسنة . وورد فيهما ما يقطع  
ببطلان ما ذهبوا إليه من تأويله بالملك وغيره ، فقد قال تعالى : " وكان  
عرشه على الماء " سورة هود الآية ٧ . فلا يمكن أن يقال فى هذه الآية كان  
ملكه على الماء . وكذلك ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
" فإن الناس يصعدون فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة  
من قوائم العرش " أخرجه البخارى فى صحيحه ( ٤٣٠ / ٦ ) . فهل يجوز بعد هذا  
أن يؤول العرش بما ذهب إليه هؤلاء الناس بعد هذا التصريح ؟ .

وأما قراءة الرفع - فهو صفة الله تعالى (١) . وذلك بمعنى العلو والعظمة (٢) .  
وأما قراءة الخفض ففيه أقوال .

أحدها أنه صفة العرش (٤) . ومعنى المجيد فيه العالى الرفيع (٥) .  
والقول الثانى : أنه صفة الله تعالى إلا أنه خفض بالجسوار (٦) .

( ١ ) ليس صفة لله وإنما هو صفة لـ ( ذو ) وهو الله سبحانه وتعالى وقيل : إنسه  
خبر بعد خبر .

انظر الكشف عن وجوه القراءات ( ٣٦٩ / ٢ ) ومشكل اعراب القرآن ( ٤٦٨ / ٢ )  
وتفسير القرطبي ( ٢٩٧ / ١٩ ) .

( ٢ ) فى نسخة " ب " يمينى .

( ٣ ) ذكر العاوردى فى تفسيره ( ٤٣١ / ٤ ) فى معنى ( المجيد ) قولين أحدهما :  
الكريم - قاله ابن عباس ، والثانى : العالى ، ومنه المجد لعلوه وشرفه .

( ٤ ) ذكره مكي بن أبى طالب فى الكشف ( ٣٦٩ / ٢ ) ومشكل اعراب القرآن ( ٤٦٨ / ٢ )  
وابن زنجلة فى حجة القراءات ( ٧٥٧ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٩٦ / ١٩ ) .

( ٥ ) قال أبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٥٢ / ٨ ) : بعد أن ذكره هـ  
القراءة :-

" ومجادته ( أى العرش ) عظه وعطوه ومقداره وحسن صورته ، وتركيبه فى  
قيل : العرش أحسن الأجسام صورة وتركيباً " .

وقال البيهقى فى تفسيره ( ٢٣١ / ٧ ) أثناء ذكره لمعنى ( العرش ) المجيد ( أى  
السرى العظيم ، وقيل : أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم ، فقال : " رَبُّ  
العرش الكريم " سورة المؤمنون الآية ١١٦ ، ومعناه : الكمال ، والعرش أحسن  
الاشياء وأكملها .

( ٦ ) لم أجد من ذكر هذا التوجيه . وقد أشار إليه أبو جعفر النحاس فى اعراب  
القرآن ( ٦٧٠ / ٣ ) ثم ذكر أنه لا يجوز ذلك فى كتاب الله تعالى ، بل هو غلط  
فى كلام الناس وأشعارهم .

والقول الثالث : أنه راجع إلى قوله ( إن بطش ربك ) كأنه قال : إن بطش ربك  
المجيد لشديد، وأورده النحاس <sup>(١)</sup> وعن بعضهم : إن جواب القسم قوله ( إن بطش  
ربك لشديد ) وهو قول الأكثرين <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( فعال لما يريد ) أي ما يشاء ويختار <sup>(٣)</sup> .

(١) انظر اعراب القرآن (٦٧٠/٣) قال النحاس بعد أن ذكر التوجيه السابق ثم رد  
عليه : ولكن القراءة بالخفض جائزة على غير الجوار على أن يكون التقدير " إن  
بطش ربك المجيد لشديد " وذكره أيضا مكي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه  
القراءات (٣٦٩/٢) ومشكل اعراب القرآن (٤٦٨/٢) والقوطبي في تفسيره  
(٢٩٧/١٩) وقال : ولم يمتنع الفصل لأنه جار مجرى الصفة في التشديد .  
وقد اختار أبو عبيد وأبو جاتم من القراءتين الرفع ، كما ذكر عنهما القوطبي ،  
وقالا : لأن المجد هو النهاية في الكرم والفضل ، والله سبحانه المنعموت  
بذلك .

ذكر الرازي في تفسيره (١٢٣/٣) القراءتين ، وقال في قراءة الرفع : وهو  
اختيار أكثر القراء والمفسرين لأن المجد من صفات تعالى والجلال ، وذلك  
لا يليق إلا بالله تعالى . أما ابن جرير فصوب القراءتين وقال : انهما قراءتان  
معروفتان . انظر تفسيره (١٣٩/٣٠) . وقال ابن كثير في تفسيره (٤٩٦/٤) :  
والمجيد فيه قراءتان . والرفع على أنه صفة للرب عز وجل ، والجر على أنه  
صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح . وهو الصواب فيما يبدو لي ، لأنه تعالى  
قد وصف القرآن بالمجيد فقال ( بل هو قرآن مجيد ) فدل ذلك أنه يجوز  
وصف العرش بالمجيد .

(٢) هو قول ابن مسعود وقادة ، واختاره الزجاج ، وتقدم التفصيل في ذلك فسي  
ص (٦٠٤) وفي قول الأكثرين أن جواب القسم محذوف .

(٣) قال البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٣١/٧) : لا يعجزه شيء يريد ولا يمتنع  
منه شيء طلبه . وذكر الخازن قولاً آخر فقال : وقيل : فعال لما يريد لا يعترض  
عليه معترض ، ولا يفليه غالب ، فهو يدخل أولياً الجنة برحمته ولا يمنعه من ذلك  
مانع ، ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر . وذكر الرازي هذا القول عن القفال  
انظر تفسيره (١٢٣/٣) وقال القوطبي في تفسيره (٢٩٧/١٩) : أي : لا يمتنع  
عليه شيء يريد . وقال ابن كثير في تفسيره (٤٩٦/٤) : " أي مهما أراد  
فعله لا معقب لحكمه ، ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله " .

وفي بعض الآثار : ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه مرض فدخل القوم يعمود ونسه فقالوا له ألا ندعوا لك طبيياً فقال : قد دعوته ، فقالوا فماذا قال : قال أبو بكر قال : إنسى فقال لما أريد .<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : ( هل أتاك حديث الجنود ) أى قد أتاك حديث الجنود .<sup>(٢)</sup>  
وقوله ( فرعون وشمود ) أى جنود فرعون وشمود .<sup>(٣)</sup>

وذكر النقاش أن فرعون لما أتبع بنى إسرائيل كانوا خمسة آلاف وخمسمائة ألف .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) ذكر هذا الأثر القرطبي في تفسيره ( ٢٩٢ / ١٩ ) قال : " وعن أبي السفر قال : دخل ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه يعمودونه ، ثم ذكر مثله . وذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤٩٦ / ٤ ) ولم ينسب أحدهما تخريجه إلى أحد .

( ٢ ) أكثر المفسرين ذكروا أن ( هل ) هنا بمعنى ( قد ) إذ فسروا ( هل أتاك ) بقولهم ( قد أتاك ) .

انظر تفسير البغوى والخازن ( ٢٣١ / ٧ ) وزاد المسير ( ٧٨ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٩٢ / ١٩ ) .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤٩٦ / ٤ ) : " أى هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النعمة التى لم يودها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى ( إن بطش ربك لشديد ) .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٢ / ٤ ) : " هل أتاك حديث الجنود تقرير لحال الكفرة ، أى قد أتاك حدِيثهم وما جرى لهم مع أنبيائهم وما حل بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم " .

( ٣ ) ذكر الزمخشري في الكشاف ( ٧٣٣ / ٤ ) والرازى في تفسيره ( ١٢٤ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٩٢ / ١٩ ) أن فرعون وشمود فى موضع جر على البدل من الجنود ، وقال الزمخشري والرازى : وأراد بفرعون إياه وآله ، كما فى قوله ( من فرعون وملائمهم ) سورة يونس الآية ٨٢ .

وقال أبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٥٢ / ٨ ) " فرعون وشمود بدل من الجنود وكأنه على حذف مضاف أى جنود فرعون واختصر ما جرى لهم إذ هم مذكورون فى غير ما سورة من القرآن " . وأما تخصيص فرعون وشمود بالذكر فلأن شمود فى بلاد العرب وقصتهم عند هم مشهورة وإن كانوا من القفقاسيين ، وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم ، وكان من المتأخرين فى الهلاك ، فدل بهما على أمثالهما فى الهلاك والله أعلم . انظر تفسير القرطبي ( ٢٩٨ / ١٩ ) والبحر المحيط ( ٤٥٢ / ٨ ) .

( ٤ ) فى نسخة ( ب ) ( بنو ) وهو خطأ .

( ٥ ) لم أجد من ذكره .

وقوله تعالى ( بل الذين كفروا في تكذيب ) أي في تكذيب الرسل<sup>(١)</sup> . وقوله  
( والله من وراءهم محيط ) أي محيط بأفعالهم وأقوالهم<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٣١ / ٧ ) " ( بل الذين كفروا ) من قومك  
يا محمد ( في تكذيب ) لك وللقرآن كدأب من قبلهم ولم يعتبروا بمن كان قبلهم  
من الكفار .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٧٨ / ٩ ) " ( بل الذين كفروا ) يعني : شركي  
مكي ، ( في تكذيب ) لك والقرآن ، أي : لم يعتبروا بمن كان قبلهم ، وقيل  
القرطبي في تفسيره ( ٢٩٧ / ١٩ ) : " ( بل الذين كفروا ) أي : من هؤلاء  
الذين لا يؤمنون بك ، ( في تكذيب ) لك ، كدأب من قبلهم .

وما ذكره هؤلاء المفسرون يدل على أن المراد من قوله ( بل الذين كفروا )  
كفار مكة ، وأما ما ذكره المؤلف فهو عام في جميع الكفار ، وذكر الرازي في تفسيره  
( ١٢٤ / ٣١ ) أن المراد من قوله ( بل الذين كفروا في تكذيب ) هو البيان  
بأن حال المؤمنين مع الكفار في جميع الأزمنة مستمرة على هذا النهج .

( ٢ ) قال ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٤٠ / ٣٠ ) : " ( والله من وراءهم  
محيط ) بأفعالهم محص لها ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيهم على  
جميعها . " .  
وقال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٣١ / ٧ ) : " عالم بهم لا يخفى عليه شيء  
من أفعالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم . "

وذكر فيه القرطبي في تفسيره ( ٢٩٨ / ١٩ ) قولين : -  
ألفهما : أي يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون والمحاط به  
كالمحصور .

والثاني : أي والله عالم بهم فهو يجازيهم .

وأما الرازي فذكر فيه في تفسيره ( ١٢٤ / ٣١ ) ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : أن المراد وصف اقتداره عليهم وأنهم في قبضته ، وحوزته ،  
كالمحاط إذا أحيط به من وراءه فسند عليه مسلكه .

والثاني : أن يكون المراد من هذه الاحاطة قرب هلاكهم ، كقوله تعالى  
( وأخرى لم تقدر واعطيها قد أحاط الله بها ) سورة الفتح الآية ٢١ .

والثالث : أن يكون المراد والله محيط بأفعالهم ، أي عالم بها ، فهو

مرصد بعقابهم .

وكل هذه المعاني سالحة لأن تكون مرادة .

وقوله ( بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ) في بعض التفاسير : أن الرسول لما قرأ عليهم ما ذكرنا من الآيات قالوا له : لعلك غلظت أو سهوت ولعل الذي ينزل عليك ليس من قبل الله فأنزل الله تعالى ( بل هو قرآن مجيد )<sup>(١)</sup> . والمجيد : هو المجتمع لخصال الخير -<sup>(٢)</sup> وقرأ محمد اليماني<sup>(٣)</sup> ( بل هو قرآن مجيد ) على الإضافة معنى قرآن رب مجيد<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكر مقاتل في تفسيره ( ق ٣٩٢ / ب ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ عليهم ذلك سأله رجل من جلسائه عن علم الله عز وجل في عباده ، أسأله من بعد ما خلقهم أو كان من قبل أن يخلقوا فأنزل الله تعالى هذه الآية .

( ٢ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢٣٢ / ٧ ) والخازن في تفسيره ( ٢٣١ / ٧ ) " ( بل هو قرآن مجيد ) كريم شريف كثير الخير ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٧٩ / ٩ ) " أي : كريم ، لأنه كلام الله ، وليس كما يقولون بشعر ولا كهانة ، ولا سحر " .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٢ / ٨ ) : " ومجادته ( أي القرآن ) شرفه على سائر الكتب بإعجازه في نظمه وصحة معانيه وإخباره بالمفنيات وغير ذلك في محاسنه " .

وذكر القرطبي في تفسيره ( ٢٩٨ / ١٩ ) في معنى ( مجيد ) قولين فقال : " أي متناه في الشرف والكرم والبركة ، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا لا كما زعم المشركون ، وقيل : " مجيد " أي غير مخلوق " .

( ٣ ) في النسختين ( محمد التمامي ) والصواب ما أثبتته لأنه هو الذي ذكرت عنه هذه القراءة ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن السميع أبو عبد الله اليماني ، له اختيار في القراءة ينسب إليه شد فيهِ .  
انظر غاية النهاية ( ١٦١ / ٢ - ١٦٢ ) .

( ٤ ) ذكرها ابن خالويه في شوان القرآن ( ص ١٧١ ) عن اليماني وقال : سمعت ابن الأنباري يقول : معناه بل هو قرآن رب مجيد ، وذكر هذه القراءة أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ( ٧٩ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٩٩ / ١٩ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٢ / ٨ ) . وعزاها ابن الجوزي إلى أبي العالمة وأبي الجوزاء وأبي عمران وابن السميع - وعزاها القرطبي إلى السميع وأبي حنيفة .

وذكرها أبو حيان عن ابن الأنباري وقال : قال ابن عطية : وقرأ اليماني ( وقرآن مجيد ) على الإضافة ، وأن يكون الله تعالى هو المجيد " ثم قال : ويجوز أن يكون من باب إضافات الموصوف لصفته فيكون مدلوله ومدلول التنوين ورفع ( مجيد ) واحداً ، وهذا أولى لتوافق القراءتين " .  
انظر أيضاً روح المعاني ( ٩٣ / ٣٠ ) .

وقوله ( في لوح محفوظ ) قوى بالرفع والخفض مع التنوين فيها<sup>(١)</sup> . ففي الرفع

أ/٣٢٧

ينصرف إلى القرآن . وفي خفض / ينصرف إلى اللوح<sup>(٢)</sup> .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن اللوح المحفوظ من ورة بيضاء

دفتاه ياقوت أحمر ، وكتابته نور وظمه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة

بميتويحي ، ويمز ويذل ، ويفقر ويفنى ويفعل ما يشاء<sup>(٣)</sup> .

(١) قرأه نافع بالرفع ، والباقون بالخفض .

انظر التيسير ( ص ٢٢١ ) والكشف عن وجوه القراءات ( ٣٦٩/٢ ) ،  
وحجة القراءات ( ص ٧٥٧ ) وذكر ابن جرير في تفسيره ( ١٤٠/٣٠ ) القراءتين  
وقال : " إنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى " .

(٢) قال البغوي في تفسيره ( ٢٣٢/٧ ) :

" قرأنا نفع ( محفوظ ) بالرفع على أنه نعت القرآن ، فإن القرآن محفوظ  
من التبديل والتغيير والتحريف ، قال الله تعالى : ( إنا نحن نزلنا الذكر  
وإنا له لحافظون ) سورة الحجر الآية ٩ .

وقرأ الآخرون بالجر على أنه نعت للوح ، وهو الذي يعرف باللسوح  
المحفوظ ، وهو أم الكتاب ، ومنه تنسخ الكتب ، محفوظ من الشياطين ، ومن  
الزيادة فيه والنقصان " .

انظر أيضا اعراب القرآن ( ٦٧١/٣ ) وزاد المسير ( ٧٩/٩ ) والكشاف  
( ٧٣٢/٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٩٩/١٩ ) .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ( ١٣٥/٢٧ ) والحاكم في مستدرکه ( ٥١٩٠٤٧٤/٢ )

والبيهقي في الاسماء والصفات ( ص ٤٩٢ ، ٦٠٦ - ٦٠٧ ) كلهم بإسنادهم عن

أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير به - وقال الحاكم : هذا حديث صحيح

الإسناد ، فإن أبا حمزة الثمالي لم ينقم عليه إلا الفلو في مذهبه فقط ( ٥١٩/٢ ) ،

وخالفه الذهبي فقال : اسم أبي حمزة ثابت ، وهو واه بمره ، ( ٤٧٤/٢ ) .

وقد تابعه بكير بن شهاب - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن

سعيد بن جبير به - ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة ( ٢١/١ ) والألباني في

تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية ( ٢٩٣ ) وقال : إسناده يحتمل التحسين ، فإن

رجالهم ثقات غير بكير بن شهاب وهو الكوفي ، قال فيه أبو حاتم : شيخ ، وذكره

ابن حبان في الثقات ، ( ٣٢/٢ ) فالحديث موقوف وإسناده حسن .



وفي بعض الأخبار : أنه مكتوب في صدره : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،  
لا إله إلا الله محمد رسول الله<sup>(١)</sup> .

وذكر الحفظ ههنا ليبين أن ما يوحى إليه من القرآن هو محفوظ من السهو والفلط  
وأن ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن الله سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup> .

وعن فرقد السبخي<sup>(٣)</sup> : أن قوله ( في لوح محفوظ ) هو قلب المؤمن<sup>(٤)</sup> . وهو قول  
ضعيف<sup>(٤)</sup> . والله أعلم .

( ١ ) هو جزء من حديث رواه البغوي في تفسيره ( ٢٣٢/٧ ) بسنده عن إسحاق بن  
بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال : " إن في صدر اللوح  
لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله عز وجل  
وصدق بوعده ، وأتبع رسله أدخله الجنة . . . . الحديث .

وأورده ابن كثير في تفسيره ( ٤٩٧/٤ ) من رواية البغوي ، وهو حديث موقوف  
وإسناده ضعيف جداً لأن إسحاق بن بشر قال فيه الذهبي في ميزان الاعتدال  
( ١٨٤/١ ) : تركوه ، كذبه علي بن المديني ، وقال ابن حبان : لا يحل حديثه  
إلا على جهة التعجب ، وقال الدارقطني : كذاب متروك .

( ٢ ) تقدم ذكر معنى الحفظ على القراءتين الرفع والخفض .  
وذكر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٧١/٣ ) معناه على قراءة الخفض أنه  
المحفوظ من أن يزداد فيه أو ينقص منه مما رسمه الله فيه ، وأما قراءة  
الرفع على أنه نعمت للقرآن فقال : محفوظ من أن يغير ويزاد فيه أو ينقص  
منه ، قد حفظه الله جل وعز من هذه الأشياء .

( ٣ ) هو فرقد بن يعقوب السبخي ( بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة ) أبو يعقوب  
البصري .

قال فيه ابن حجر : صدوق عابد لكنه لين الحديث كثير الخطأ . توفي سنة  
إحدى وثلاثين ومائة .  
تقريب التهذيب ( ص ٢٧٤ ) .

( ٤ ) لم أجد من ذكر هذا القول عن فرقد السبخي غير المؤلف ، وقد أورده السيوطي  
في الدر المنثور ( ٢٢٥/٦ ) عن قتادة وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

( ٥ ) لأنه خلاف ما استفاضت به الأدلة من القرآن والسنة واللغة ، فاللوح لفظة :  
يطلق على كل صفحة عريضة من صفائح الخشب وغيره ، وأيضاً يطلق على الكتاب  
إذا كتب عليها ، وأيضاً يطلق على الذي يكتب فيه .  
( انظر الصحاح ٤٠٢/١ ، ولسان العرب ٩٨٤/٢ ) .

وأما شرعاً : فهو الذي كتب الله تعالى فيه مقادير كل شيء ، كما جاء في حديث  
عبادة بن الصامت عن فرقد : إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : رب

٠٠/٠٠

وماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة \* . إذن فهو مستودع مشيئات الله تعالى ، وقدر فيه مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق العالم بخمسين ألف سنة ، وقد جاء ذكر هذا اللوح في الكتاب والسنة بعدة من الأسماء ، منها الكتاب . قال تعالى \* ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير \* سورة الحديد الآية ٢٢ .

وسمى أيضا بالإمام ، قال تعالى : \* إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين \* سورة يس الآية ١٢ .

ونظراً لهذه الأدلة وغيرها وهى كثيرة يجب الإيمان باللوح المحفوظ وبما فيه - فقد قال الطحاوى فى عقيدته (ص ٢٤) : \* ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن - لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً - لم يقدروا عليه ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة \* اهـ .

فنحن نؤمن بهذا اللوح وأن الله تعالى كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة ، كما وردت به الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة الثابتة ، ولا نعرف طبيعته وصفته وكيفيته ، . وأما ما ورد فى بعض الأخبار من أنه من درة بيضاء ، دفتاه من ياقوتة حمراء وغير ذلك من الصفات فلم يثبت منها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند صحيح ثابت .

وقال الفلاسفة : إن اللوح المحفوظ هو النفس الظكبية التى منها ومن فى العقل الفعال يحصل للنفس البشرية ما يحصل من العلم والإنذارات والمنامات ومن ذلك ينزل عند هم الوحي على الأنبياء ، ذكره شيخ الإسلام فى درة تعارض العقل والنقل ( ٣٩٨/٩ - ٤٠١ ) . وقال بعض المتكلمين : إن اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرءونه ، ذكره الرازى فى تفسيره ( ١٢٥/٣١ ) وكلا القولين خلاف ما عليه الإسلام ، ومن علم دين الإسلام الذى بعث الله به رسوله ، علم أن هذا من أبعد الأمور من دين الإسلام \* .

تفسير سورة الطارق وهي مكية (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( والسما والطارق ) الطارق ههنا هو النجم (٢) : وأما في لفظة العرب : فالطارق هو كل ما يطرق ليلاً (٣) ، وقد قيل : هو الذي يطرق ليلاً كان أو نهاراً (٤) .  
وأما قول القائل : " نحن بنات طارق " أي بنات النجوم شرفاً وعلواً (٥) ،

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٨٠/٩) : " وهي مكية كلها بإجماعهم " وأكثر المفسرين صرحوا بأن هذه السورة مكية .

انظر تفسير البغوي والخازن (٢٣٢/٧) وتفسير الماوردي (٤٣٢/٤) وتفسير القرطبي (١/٢٠) والدر المنثور (٣٣٥/٦) .

(٢) ذكر الفراء في معاني القرآن (٢٥٤/٣) وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٣) وعنه ابن الجوزي في زاد المسير (٨٠/٩) والقرطبي في تفسيره (١/٢٠) وابن منظور في لسان العرب (٢١٨/١٠) أن الطارق هو النجم . أما سبب تسميته بالنجم فقال الفراء : لأنه يطلع بالليل ، وما أتاك ليلاً فهو طارق .

وقال ابن قتيبة : سمي بذلك ؛ لأنه يطرق . أي يطلع ليلاً ، وكل من أتاك ليلاً : فقد طرقتك . وقال الراغب الأصفهاني في المفردات (ص ٣٠٣) : وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل .

(٣) قال الجوهري في الصحاح (١٥١٥/٤) : " وأتانا فلان طروقاً : إذا جاء بليل ، وقد طرق يطرق طروقاً فهو طارق ، ورجل طرقة مثال همة إذا كان يسرى حتى يطرق أهله ليلاً " .

وقال ابن منظور في لسان العرب (٢١٧/١٠) : " وكل أت بالليل طارق ، وقيل : أصل الطروق من الطرُق وهو الدق ، وسمى الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى دق الباب وطرُق القوم يطرقهم طروقاً وطرُقوا : جاءهم ليلاً ، فهو طارق " .

(٤) هذا القول ذكره القرطبي في تفسيره (٢/٢٠) فقال : " وقال قوم : إنه قد يكون نهاراً ، والعرب تقول : آتيتك اليوم طرقتين " وقال الرازي في تفسيره (١٢٦٣١) :  
وأما الطارق فهو كل ما أتاك ليلاً سواء كان كوكباً أو غيره فلا يكون الطارق نهاراً " .

(٥) هو شطرو من رجز هند بنت بياضة بن زباح بن طارق الإيادي قالت يوم أحد تحض على الحرب ، ذكره ابن منظور في لسان العرب (٢/١٠) وأنشد :  
نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقِ  
نَمَشِي عَلَى النَّمَارِقِ  
لَا نَنْتَنِي لِيَوْمِ  
الْمِثْكِ فَيُفَارِقِ  
إلى آخر ما أنشد .

انظر أيضاً الصحاح (١٥١٥/٤) والأغانى لأبي الفرج (٣٤٣/١٢) وتفسير الماوردي (٤٣٢/٤) وزاد المسير (٨٠/٩) وتفسير القرطبي (٢/٢٠) .

(٦) قال الجوهري : أي إن أبانا في الشرف كالنجم البضي . ذكره ابن منظور أيضاً وقال : وقيل : أرادت نحن بنات ذي الشرف في الناس كأنه النجم في علو قدره " وقال ابن الجوزي : تريد : إن أبانا نجم في شرفه وعلوه " .

( ١ )

وقال جرير :

طَرَقَكَ صَائِدَةٌ الظُّبُوبِ وَلَيْسَ ذَا      وقت المقامة فارجعني بسلام (٢)

وقوله : ( وما أدراك ما الطارق ) \* إنما قال ذلك لأن الطارق يتساول

النجم وغيره فذكرها هنا قوله ( وما أدراك ما الطارق ) ، لأن الرسول صلى  
الله عليه وسلم يدرأى طارق أراد (٤)

وقوله : ( النجم الثاقب ) قال ابن عباس : المضي (٥)

( ١ ) هو أبو حَزْرَةَ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَطَّافِ التَّمِيمِيُّ الْبَصْرِيُّ ، مدح يزيد بن معاوية

وخلفاء بني أمية . وقد فضله جماعة على الفوزدق ، قال الذهبي : قيل : كان

جرير عفيفاً منياً ، وذكر ابن سلام عن بشار العقيلي قال : كان جرير يحسن

ضروباً من الشعر لا يحسنها الفوزدق . توفي جرير سنة عشر ومائة .

طبقات الشعراء ٣٧٤/١ ، سير أعلام النبلاء (٤/٥٩٠) .

( ٢ ) البيت في ديوانه (ص ٤٥٢) وأنشده القرطبي في تفسيره (٣/٢٠) وفيه ما

( وقت الزيارة ) بدل ( وقت المقامة ) .

( ٣ ) ما بين القوسين ساقط من نسخة \* ب \* .

( ٤ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٨٠/٩) : " قال المفسرون : ذلك أن هذا

الاسم يقع على كل ما طرق ليلاً ، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدري ما المراد

به حتى تبينه بقوله تعالى : ( النجم الثاقب ) .

( ٥ ) روى ابن جرير في تفسيره (١٤١/٣٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في قوله ( النجم الثاقب ) يعني المضي ، وروى أيضاً في نفس المصدر السابق

(١٤٢/٣٠) من طريق العوفي عن ( النجم الثاقب ) قال : هي الكواكب

المضيئة ، وثقوبه : إذا أضاء .

وكلا الطريقتين لا يخلوا من كلام ، فإن علي بن أبي طلحة لم يروا ابن عباس

وروايته عنه مرسله ( انظر تقريب التهذيب ٢٤٦ ) وأما الإسناد الثاني ففيه

عطية بن سعيد العوفي قال فيه الحافظ ابن حجر في التقريب ( ص ٢٤٠ ) : صدوق

يخطئ كثيراً كان شيعياً مدلساً \* ولكن اجتماع الطريقتين يرفع عنه الضعف ،

لا سيما له طريق آخر أخرجه أبو الشيخ في كتاب المعظمة (ق ٢٤/١ ب) بسنده

عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ( والسما

والطارق ) قال : النجم المضي . وقد ذكر هذا القول عن ابن عباس الماوردي

في تفسيره (٤٣٢/٤) وابن كثير في تفسيره (٤٩٧/٤) - واختاره الفراء في معاني

القرآن (٢٥٤/٣) فقال : \* والثاقب : المضي ، والعرب تقول : أثقّب نارك

للموقد .

وعن مجاهد : هو المتوهج (١) .

وعن بعضهم : هو المستدير (٢) .

وعن بعضهم : الثاقب : النجم الذى يشقب الشياطين بالنار (٣) .

وذكر الفراء : أنه زحل وهو أكبر النجوم (٤) ، وقد حكى هذا القول عن علي (٥) .

(١) انظر تفسير مجاهد (٧٤٩/٢) ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٤٢/٣٠) بسنده عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله (الثاقب) قال : الذى يتوهج ، وذكر هذا القول عن مجاهد الماورى فى تفسيره (٤٣٢/٤) ، والبغوى فى تفسيره (٢٣٢/٧) والقرطبى فى تفسيره (٢/٢٠) وأورد السيوطى فى السدر المنثور (٣٣٦/٦) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد .

(٢) لم أجد من ذكر هذا القول من المفسرين .

(٣) ذكره الماورى فى تفسيره (٤٣٢/٤) وابن كثير فى تفسيره (٤٩٧/٤) عن السدى وذكره الرازى فى تفسيره (١٢٦/٣١) والخازن فى تفسيره (٤٣٢/٧) دون عزو إلى أحد - وقال القرطبى فى تفسيره (٢/٢٠) : عن ابن عباس وعطاء : الثاقب : الذى ترمى به الشيا . وذكر ابن كثير عن عكرمة أنه قال : هو مضي ومحسوق للشيطان ، وهذه هى أربعة أوجه ذكرها المؤلف فى وصف النجم هنا بكونه ثاقباً - وذكر بعض المفسرين أوجهاً أخرى .

أحدها : هو ما ذكره الفراء فى معانى القرآن (٢٥٤/٣) : " والثاقب : الذى قد ارتفع على النجوم ، والعرب تقول للطائر إن لحق ببطن السماء ارتفاعاً ، قد ثقب " . ذكره عنه الماورى والرازى فى المصدرين السابق لهما .  
والثانى : أنه يطلع من المشرق نافذاً فى الهواء كالشئ الذى يشقب الشئ ، ذكره الرازى .

والثالث : أنه معناه المنقضى ، ذكره الماورى عن عكرمة .

والرابع : أنه يشقب الظلام بضوءه فينفذ فيه ، ذكره الرازى . وسياتى ذكره عند المؤلف أيضاً - والصواب فى هذه الأقوال هو ما رواه علي بن أبى طلحة عن ابن عباس (الثاقب : المضي) قال النحاس فى اعراب القرآن (٦٧٢/٣) إنه أصح ما قيل فى ذلك .

(٤) انظر معانى القرآن (٢٥٤/٣) وذكره عنه أيضاً الرازى فى تفسيره (١٢٧/٣١) والقرطبى فى تفسيره (١/٢٠) .

(٥) ذكره عن علي - الماورى فى تفسيره (٤٣٢/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٨١/٩) . وذكره القرطبى فى تفسيره (١/٢٠) قال : " قيل : هو زحل : الكوكب الذى فى السماء السابعة ، ذكره محمد بن الحسن فى تفسيره ، وذكر له أخباراً ، الله أعلم بصحتها ، وذكره البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٣٢/٧) قال : " وقيل : هو زحل ، سمي بذلك لارتفاعه " .

وعن بعضهم : أنه نجم خلقه الله في السماء السابعة ، لم يخلق فيها  
غيره يطرق السموات ، ثم يرجع إلى مكانه .<sup>(١)</sup>

وعلى القول الذي قلنا : إنه زحل<sup>(٢)</sup> : معنى الثاقب أنه يثقب السموات  
بضياته .<sup>(٣)</sup>

وعن ابن زيد : أنه الثريا ، والعرب إذا أطلقت النجم عنت بسسه  
الثريا<sup>(٤)</sup> .

(١) يبدو أن في العبارة هنا سقطاً ، وقد ذكر نحو هذا الكلام القرطبي في تفسيره  
(١/٢٠) فقال : " وعنه ( أي ابن عباس ) وعن علي بن أبي طالب - رضي الله  
عنهما - والفراء : " النجم الثاقب : نجم في السماء السابعة ، لا يسكنها غيره  
من النجوم فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ، ثم يرجع إلى  
مكانه من السماء السابعة وهو زحل ، فهو طارق حين ينزل ، وطارق حين  
يصعد " .

انظر أيضا زاد المسير (٨١/٩) والبحر المحيط (٤٥٤/٨) .

(٢) في النسختين ( الذي ) ولم يبد لي معناه .

(٣) تقدم ذكره أثناء ذكر الأقوال في معنى الثاقب .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٤٢/٣٠) عن يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال :

قال ابن زيد في قوله ( النجم الثاقب ) كانت العرب تسمى الثريا النجم .

وذكر هذا القول عن ابن زيد - الماوردي في تفسيره (٤٣٢/٤) والبغوي

في تفسيره (٢٣٢/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٨١/٩) والقرطبي في تفسيره

(١/٢٠) والرازي في تفسيره (١٦٧/٣١) وأبو حيان في البحر المحيط

(٤٥٤/٨) قال :

" وقال هو أيضا وغيره الثريا ، وهو الذي تطلق عليه العرب اسم النجم " ، وقد

ذكره أيضا أنه قال : إنه زحل ، ذكره القرطبي وأبو حيان .

هذا وقد ذكر عن ابن عباس أنه قال : هو الجدي ، ذكره عنه القرطبي

وأبو حيان . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٨١/٩) عن علي بن أحمد النيسابوري :

أنه اسم جنس .

٠٠/٠٠

وحكاه أبو حيان في البحر المحيط (٤٥٤/٨) عن الحسن فقال : وقال الحسن :  
هو اسم جنس لأنها كلها ثواقب ، أى ظاهرة الضوء ، وذكر القرطبي في تفسيره  
(٢/٢٠) عن قتادة أنه قال : " هو عام في سائر النجوم ، لأن طلوعها بليل ، وكسل  
من أتاك ليلاً فهو طارق " ثم قال : فالطارق : النجم ، اسم جنس سمي بذلك لأنه  
يطلق ليلاً .

وقال أبو حيان أيضاً : وقيل : المراد جنس النجوم التي يرمى بها ويرجم " ونقل  
عن ابن عطية أنه قال :

" معنى الآية : والسما" وجميع ما يطرق فيه من الأمور والمخلوقات - ثم ذكر  
بعد ذلك على جهة التنبيه أجل الطارقات قدراً ، وهو النجم الثاقب .

ثم قال أبو حيان : فعلى هذا يكون النجم الثاقب بعضاً مما دل عليه (الطارق)  
إذ هو اسم جنس يراد به جميع الطوارق وعلى قول غيره يراد به واحد مفسر  
بالنجم الثاقب - وذكر بعد ذلك الأقوال التي تقدم ذكرها .

والراجح من هذه الأقوال فيما يبدو لي أنه اسم جنس يراد به جميع النجوم -  
لأنه لم يورد فيما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على تعيينه بواحد  
منها .

وقوله ( إن كل نفس لما عليها حافظ ) هو جواب القسم (١) وقد قرئ بالتشديد والتخفيف (٢) . فمعنى التشديد : إلا عليها حافظ ، ومعنى التخفيف لعلها حافظ ، وما زائدة (٤) .

(١) ذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٦٧٢/٣) والبغوي والخازن في تفسيرهما (٢٣٢/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٨١/٩) وعزاه إلى الزجاج ، والزمخشري في الكشاف (٧٣٤/٤) والرازي في تفسيره (١٦٧/٣١) والقرطبي في تفسيره (٣/٢٠) وذكر فيه قولاً آخر وهو أن الجواب " إنه على رجمه لقادر " وعزاه إلى محمد بن علي الترمذي ، وذكر هذا القول أبوحيان أيضاً في البحر المحيط (٤٥٤/٨) قال : قيل : جواب القسم ( إنه على رجمه لقادر ) وما بينهما اعتراض " والصواب ما عليه الجمهور وهو أن جواب القسم ( إن كل نفس لما عليها حافظ ) .

(٢) قرأ (لَمَّا) بالتشديد ابن عامر وعاصم وحمة . وقرأه الباقر بالتخفيف . انظر التيسير (ص ٢٢١) والكشاف عن وجوه القراءات (٣٦٩/٢) وحجة القراءات (ص ٧٥٨) انظر أيضاً تفسير الطبري (١٤٢/٣٠) وتفسير البغوي (٢٣٢/٧) وزاد المسير (٨١/٩) وتفسير القرطبي (٣/٢٠) .

(٣) ذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٦٧٣/٣) وقال : " حكى سيوييه : أقسم عليك لما فعلت بمعنى إلا فعلت . وذكره البغوي في تفسيره (٢٣٣/٧) وقال : " يعنون : ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وهي لغة هذلي ، يجعلون لما بمنزلة ( إلا ) يقولون : نشدتك الله لما قمت أي إلا قمت " . ونقل الرازي في تفسيره (١٢٧/٣١) عن أبي علي الفارسي أنه قال : وأما من ثقل فتكون ( إن ) النافية ، و ( لَمَّا ) في معنى إلا ، قال : وتستعمل ( لَمَّا ) بمعنى إلا في موضعين أحدهما : هذا ، والآخر في باب القسم ، تقول : سألتك بالله لما فعلت : بمعنى إلا فعلت " انظر أيضاً معاني القرآن ٢٥٤/٣ وزاد المسير (٨٠/٩) والكشاف (٧٣٤/٤) وحجة القراءات (ص ٧٥٨) ومشكل اعراب القرآن (٤٦٩/٢) .

(٤) ذكر النحاس في المصدر السابق له أن ( إن ) على هذه القراءة مخففة من الثقيلة - و ( ما ) تكون زائدة ، وهذا مذهب سيوييه ، ونقل ابن الجوزي في المصدر السابق له عن الزجاج أنه قال : " ومن خفف فالمعنى : لعلها حافظ ، و ( ما ) لغو . راجع أيضاً المصادر المذكورة في الهامش السابق . وقد ذهب ابن جرير إلى اختيار القراءة بالتخفيف ( كما ) قال : " والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك التخفيف لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، وقد أنكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب أن يكون مصروفاً من كلام العرب ، غير أن الفراء كان يقول : لا يعرف جهة التشديد في ذلك ، ونرى أنها لغة هذلي يجعلون إلا مع إن المخففة (لما) ولا يجاوزون ذلك ، كأنه قال : " ما كل نفس إلا عليها حافظ " فإن كان صحيحاً ما ذكره الفراء من أنها لغة هذلي فالقراءة بها جائزة صحيحة ، وإن كان الاختيار أيضاً إذا صح ذلك عندنا القراءة الأخرى وهي التخفيف ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، ولا ينبغي أن يترك الأعراف إلى الأنكر ، تفسير الطبري (١٤٢/٣٠) انظر أيضاً معاني القرآن (٢٥٤/٣) ، وأما ما أشار إليه الطبري من إنكار جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب لقراءة التشديد فهو من الطبري بسنده عن ابن عون قال : قرأت عند ابن سيرين ( إن كل نفس لما عليها حافظ ) فانكره ، وقال : سبحان الله ، سبحان الله . وذكر الرازي عن الأخفش والكسائي وأبي عبيدة أنهم قالوا : لم توجد ( لَمَّا ) بمعنى إلا في كلام العرب . انظر تفسيره (١٢٧/٣١) . والصواب فيما يبدو ولي أن القراءتين صحيحتان والتخفيف أحسن .



والحافظ : هو الملك<sup>(١)</sup> - وعن بعضهم : قرينه الذي يحفظ عليه عطسه<sup>(٢)</sup> ، وقيل :  
الحافظ هو الله تعالى ، يحفظ عليهم أعمالهم<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى ( فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ ) أي من أي شيء خلق<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ١٤٣ / ٣٠ ) بسنده عن ابن عباس : قوله ( إن كل نفس لما عليها حافظ ) قال : كل نفس عليها حفظة من الملائكة . وروى أيضاً بسنده عن قتادة قوله ( إن كل نفس لما عليها حافظ ) حفظة يحفظون عتك ووزقك وأجلك ، إذا توفيته يا ابن آدم قبضت إلى ريك \* . وذكر الرازي في تفسيره ( ١٢٧ / ٣١ ) قولين أحدهما : إن ذلك الحافظ هم الملائكة كما قال ( وبوسل عليكم حفظة ) . انظر أيضاً الكشاف ( ٧٣٤ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ٢٣٣ / ٧ ) وتفسير الماوردي ( ٤٣٣ / ٤ ) وزاد المسير ( ٨٢ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٥٥ / ٨ ) .

( ٢ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ٣ / ٢٠ ) قال : وعنه ( قتادة ) أيضاً قال : قرينه يحفظ عليه عطسه من خير أو شر \* .

( ٣ ) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٧٣٤ / ٤ ) فقال : حافظ : مهيم عليها رقيب ، وهو الله عز وجل \* ، وذكره الرازي في تفسيره ( ١٢٧ / ٣١ ) فقال : " قول بعض المفسرين : أن ذلك الحافظ هو الله تعالى " وذكره القرطبي في تفسيره ( ٣ / ٢٠ ) فقال : " وقيل : الحافظ هو الله سبحانه ، فلولاً حفظه لها لم تبق " . انظر أيضاً البحر المحيط ( ٤٥٥ / ٨ ) .

وقال الفراء في معاني القرآن ( ٢٥٥ / ٣ ) : " الحافظ من الله عز وجل يحفظها ، حتى يسلمها إلى المقادير . وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ( ٨٢ / ٩ ) وذكر نحوه الماوردي في تفسيره ( ٤٣٣ / ٤ ) وعزاه إلى سعيد بن جبير ونسب أيضاً القول إلى الكلبي .

انظر تفسير البغوي ( ٢٣٣ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ٣ / ٢٠ ) وذكر بعض المفسرين في معنى الحافظ قولاً آخر وهو أنه العقل الذي يورثه إلى مصالحه ، ويكفه عن مضاره ، ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٣٣ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٤ / ٢٠ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٥٥ / ٨ ) وقال القرطبي بعد ذكره لهذا القول : العقل وغيره وسائط ، والحافظ في الحقيقة هو الله جل وعز ، قال الله عز وجل : ( فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ) سورة يوسف الآية ٦٤ ، وقال : " قُلْ مَنْ يَكْفُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ) سورة الأنبياء الآية ٤٢ .

( ٤ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢٣٣ / ٧ ) : " أي فليتفكر من أي شيء خلقه ربه - أي فلينظر نظر المتفكر " وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٨٢ / ٩ ) : " أي : من أي شيء خلقه الله ؟ والمعنى : فلينظر نظر التفكر والاستدلال ليعرف أن الذي ابتدأه من نطفه قادر على إعادته " انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٤ / ٢٠ ) وهذا استفهام وجوابه ما يأتي بعده ، ( خلق من ما دافق ) وقال الزمخشري : فإن قلت : ما وجه اتصال قوله ( فلينظر ) بما قبله ؟ قلت : وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظاً ، أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى ، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه \* .

الكشاف ( ٧٣٥ / ٤ ) ، وانظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٤ / ٢٠ ) .

وقوله ( خلق من ماء دافق ) أى مد فوق<sup>(١)</sup> مثل قوله تعالى فى ( عيشة راضية )<sup>(٢)</sup> أى مرضية .  
وقيل : ماء دافق أى منصب جار<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) هو من الدفق ، والدفق فى كلام العرب صبّ الماء ، وهو متعد ، يقال : دفقت الماء ، أى صببته وهو مد فوق أى منصوب .  
انظر الصحاح ( ١٤٧٥ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ١٢٨ / ٣١ ) . ولما كان هذا الماء مدفوقاً اختلفوا فى أنه لِمَ وصف بأنه دافق وذكروا فى ذلك عدة أوجه :-  
أحدها : هو ما ذكر المؤلف ، وهو أنه فاعل بمعنى مفعول ، قال الفراء فى معانى القرآن ( ٢٥٥ / ٣ ) : " أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلاً إذا كان فى مذهب نعت ، كقول العرب : هذا سنو كاتم ، وهم ناصب ، وليل نائم ، وعيشة راضية " ، وأعان على ذلك أنها توافق رؤس الآيات .  
انظر أيضاً تفسير البغوى ( ٢٣٤ / ٧ ) وزاد المسير ( ٨٢ / ٩ ) وتفسير الرازى ( ١٢٨ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٤ / ٢٠ ) - وذكره النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٧٢ / ٣ ) من قول الكسائى والفراء ، وقال : فاعل بمعنى مفعول فيه بطلان البيان ، ولا يصح ولا ينقاس " .

( ٢ ) جزء من الآية ٢١ فى سورة الحاقة ، ومن الآية ٧ فى سورة القارة .

( ٣ ) قال الرازى فى تفسيره ( ١٢٨ / ٣١ ) : " ذكر الخليل فى الكتاب المنسوب إليه : دفق الماء دفقاً ودفوقاً : إذا انصب بمرة ، واندفق الكوز : إذا انصب بمرة .

وذكر هذا المعنى ابن منظور فى لسان العرب ( ٩٩ / ١٠ ) واكتفى المؤلف بهذين الوجهين فقط فى وصف الماء بأنه دافق ، وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٢ / ٩ ) والرازى فى تفسيره ( ١٢٨ / ٣١ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٤ / ٢٠ ) وجهاً آخر وهو أن معناه النسب إلى الاندفاق ، أى من ماء دى اندفاق " قاله الزجاج ، وهذا مذهب سيويه .

واختاره الزمخشري فى الكشاف ( ٧٣٥ / ٤ ) وذكر فيه الرازى وجهاً رابعاً فقال : صاحب الماء لما كان دافقاً ، أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز ، وأشار إليه الزمخشري أيضاً ، والصواب فيما أرى أن يقال إنه بمعنى ( منصب ) لأن دفق قد جاء استعماله لازماً ، كما فى لسان العرب ( ٩٩ / ١٠ ) .

وقوله ( يخرج من بين الصلب والترائب ) أى من صلب الرجل وترائب المرأة<sup>(١)</sup> .  
وفى الخبر : أنه يخرج من كل خُرزة من صلبه<sup>(٢)</sup> ، والترائب ثمانية أضلاع :  
أربعة يمين وأربعة يسرة<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) انظر تفسير البغوى والخازن ( ٢٣٣ / ٧ ) وزاد المسير ( ٨٢ / ٩ ) والكشاف ( ٧٣٥ / ٤ )  
وتفسير القرطبي ( ٧ / ٢٠ ) وقد عزاه القرطبي إلى قتادة . وهو مروى عن ابن عباس  
وعكرمة أيضا .  
انظر الطبرى ( ١٤٣ / ٣٠ ) والدر المنثور ( ٣٣٦ / ٦ ) وذكر الماورى فى  
تفسيره ( ٤٣٣ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ١٢٩ / ٣١ ) وأبوحيان فى البحر المحيط  
( ٤٥٥ / ٨ ) فى الآية قولين :  
أحدهما هو هذا - أى أن المراد صلب الرجل وترائب المرأة .  
وقد عزاه أبوحيان إلى سفيان و قتادة .  
والقول الثانى : هو أن المراد : من بين صلب الرجل وترائب ، عزاه الماورى  
إلى الحسن و قتادة أيضا ، فكان له قولين .

وقال أبوحيان : قال قتادة والحسن : معناه من بين صلب كل واحد من  
الرجل والمرأة وترائب " وكذا ذكره القرطبي فى تفسيره ( ٧ / ٢٠ ) عن الحسن ،  
والصواب هو القول الأول ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث  
طويل قال فيه : وأما الشبه فى الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة ، فسبقها ماؤه  
كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها " أخرجه البخارى فى صحيحه  
( ٣٦٢ / ٦ ) . فذلك مما يدل على صحة القول الأول ، كما قال الرازى فى  
تفسيره ( ١٢٩ / ٣ )

( ٢ ) لم أهتد إلى من أخرج هذا الخبر .

( ٣ ) روى الحاكم فى مستدركه ( ٥٢٠ / ٢ ) بسنده عن جعفر بن أبى المفيرة عن سعيد  
ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل ( يخرج من بين الصلب  
والترائب ) قال : الصلب هو الصلب ، والترائب أربعة أضلاع من كل جانب  
من أسفل الأضلاع .

وصحح الحاكم إسناده ووافقته الذهبى ، وذكر هذا القول القرطبي فى تفسيره  
( ٥ / ٢٠ ) وذكره الماورى فى تفسيره ( ٤٣٣ / ٤ ) بلفظ : أنها أربعة أضلاع  
من الجانب الأسفل ، قاله ابن جبير - ثم قال : وحكى الزجاج أن الترائب أربعة  
أضلاع من يمين الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر " وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير  
( ٨٣ / ٩ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٥ / ٢٠ ) ما حكاه الزجاج .

وقيل هو الصدر . (١) وقيل : بين الثديين . (٢) وقيل : مادون الترقوة . (٣)

(١) روى هذا القول ابن جرير في تفسيره (١٤٣/٣٠) بسنده عن سعيد بن جبير وأبي عياش - وذكره البغوي في تفسيره (٢٣٣/٧) من قول ابن زيد ، وذكره الماوردي في تفسيره (٤٣٣/٤) من قول أبي عياش . وقد روى ابن جرير أيضا عن ابن عباس من طريق عطية العوفي أنه قال : الترائب موضع القلادة .

وقال القرطبي في تفسيره (٥/٢٠) : " ( والترائب ) : أي الصدر ، الواحدة : تربية وهي موضع القلادة من الصدر " ثم ذكر ما قاله ابن عباس . وذلك يدل على أن القولين (أي أن الترائب : الصدر وموضع القلادة) قول واحد ، ولكن الماوردي ذكر كل واحد منهما كأنهما قولان مستقلان - والصواب أنهما قولان فسي معنى واحد وقد ذكرهم البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٣٣/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٨٣/٩) والقرطبي في تفسيره (٥/٢٠) كلهم من قول ابن عباس : " أنه موضع القلادة " وزاد ابن الجوزي فنقل عن الزجاج أنه قال : قال أهل اللغة أجمعون : الترائب : موضع القلادة من الصدر .

(٢) روى ابن جرير في تفسيره (١٤٣/٣٠) بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : قوله ( من بين الصلب والترائب ) يقول : من بين الثدي المرأة ، وذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٣٣/٧) والقرطبي في تفسيره (٥/٢٠) .

(٣) روى ابن جرير في تفسيره (١٤٤/٣٠) بسنده عن مجاهد أنه قال : " الترائب : أسفل من التراقي " انظر أيضا تفسير مجاهد (٧٤٩/٢) ونقل القرطبي في تفسيره (٥/٢٠) في رواية عن مجاهد أنه قال : التراقي - وذكر ابن منظور في لسان العرب (٢٣٠/١) ضمن ما قيل في معناه فقال : وقيل : ما ولي الترقوتين منه " هذا وقد ذكر في معناه أقوال أخرى ، أحدها : أن الترائب : ما بين المنكبين والصدر ، ذكره ابن جرير في تفسيره (١٤٣/٣٠) ورواه عن مجاهد .

وذكر عنه الماوردي في تفسيره (٤٣٣/٤) والقرطبي في تفسيره (٥/٢٠) ، والثاني : أنها اليدان والرجلان والعينان ، ذكره ابن جرير ، ورواه بسنده من طريق عطية العوفي عن ابن عباس وعن الضحاك وذكره الماوردي من قول الضحاك ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨٣/٩) وقال : رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك . والثالث : أنها النحر ، ذكره ابن جرير ورواه عن قتادة ، وذكره من قوله البغوي في تفسيره (٢٣٣/٧) . والرابع : أنها عصارة الطيب ذكره ابن جرير والماوردي والقرطبي عن معمر بن أبي حبيبة .

واختار ابن جرير من هذه الأقوال قول القائل بأنها موضع القلادة من صدر المرأة ، لأنه هو المعروف من كلام العرب وبه جاءت أشعارهم . وقال القرطبي : المشهور من كلام العرب : أنها عظام الصدر والنحر ، وثم أورد ذلك من كلام العرب .

انظر تفسير الطبري (١٤٥/٣٠) وتفسير القرطبي (٥/٢٠) انظر أيضا المفردات للراغب (ص ٧٤) ولسان العرب (١/٢٣٠) .

وقوله ( إنه على رجمه لقادر ) فيه أقوال . أحدها / على رد النطفة ٣٢٧/ب  
 في الإحليل لقادر . قاله مجاهد وإبراهيم وعكرمة . (١) (٢) (٣) (٤) (٥)

( ١ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ١٧٠ / ١١ ) " الإحليل والتَّحليل : مَخْرَجُ  
 البول من الإنسان ، وقال أيضا : والإحليل يقع على ذَكَرِ الرجل وَقَرْجِ المرأة ."

( ٢ ) الضمير في ( رجمه ) على هذا القول راجع إلى الماء .

( ٣ ) انظر قول مجاهد في تفسيره ( ٧٤٩ / ٢ ) وقد رواه الفراء في معاني القرآن  
 ( ٢٥٥ / ٣ ) وابن جرير في تفسيره ( ١٤٥ / ٣٠ ) من طرق عنه ، وأورده  
 السيوطي في الدر المنثور ( ٣٣٦ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد  
 وابن المنذر - وذكره النحاس في اعراب القرآن ( ٦٧٥ / ٣ ) والماوردي في تفسيره  
 ( ٤٣٤ / ٤ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٣٣ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير  
 ( ٨٤ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧ / ٢٠ ) والرازي في تفسيره ( ١٣٠ / ٣١ )  
 من قول مجاهد .

( ٤ ) لم أجد من ذكر عنه هذا القول .

( ٥ ) لم أجد من المفسرين من صرح بهذا القول عن عكرمة . وقال ابن كثير  
 في تفسيره ( ٤٩٨ / ٤ ) عند هذه الآية : " فيه قولان ، أحدهما : على  
 رجم هذا المال الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك ، قاله  
 مجاهد وعكرمة وغيرهما " وقد روى ابن جرير في تفسيره ( ١٤٥ / ٣٠ ) بسنده  
 عنه أنه قال " إنه على رده في صلبه لقادر " .

وذكره عنه الماوردي في تفسيره ( ٤٣٤ / ٤ ) والبغوي في تفسيره  
 ( ٢٣٣ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٨٤ / ٩ ) والرازي في تفسيره  
 ( ٣١٠ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧ / ٢٠ ) وعزا كلهم سوى الماوردي  
 إلى الضحاك أيضا .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٣٦ / ٦ ) عن عكرمة وعزا تخريجه إلى  
 عبد بن حميد وابن المنذر .

وعلى هذا القول أيضا الضمير في ( رجمه ) يعود إلى الماء . وهناك  
 قول ثالث على هذا التقدير وهو أنه على حبل الماء ذكره الماوردي في تفسيره  
 ( ٤٣٤ / ٤ ) وابن الجوزي في تفسيره ( ٨٤ / ٩ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٣٣ / ٧ )  
 والقرطبي في تفسيره ( ٧ / ٢٠ ) .

والقول الثاني : هو قادر أن يردّه إلى حالة الطفوليّة (١) . وقيل : يسردّ من الشيخوخة إلى الكهولة ومن الكهولة إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصغر ، ومن الصغر إلى الطفوليّة ومن الطفوليّة إلى رحم المرأة ومن الرحم إلى الصلب فهو معنى قوله ( إنه على رجعه لقادر ) (٢) .

والقول الثالث : وهو أولى الأقاويل أن المراد منه إنه على إحيائه بعد الاماتة لقادر (٣) .

( ١ ) على هذا القول والذي بعده الضمير في ( رجعه ) عائد إلى الإنسان وذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ( ٤٦ / ٣٠ ) فقال : " وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه قادر على رجوع الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر " ثم روى تحت هذا القول أثر الضحاك الآتي بعده .

( ٢ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ١٤٦ / ٣٠ ) بسنده عن مقاتل بن حيان عن الضحاك قال : سمعته يقول في قوله ( إنه على رجعه لقادر ) يقول : إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصبا ، ومن الصبا إلى النطفة " وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٣٤ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٨٤ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧ / ٢٠ ) كلهم من قول الضحاك ، وذكره البغوي في تفسيره ( ٢٣٣ / ٧ ) والرازي في تفسيره ( ١٣٠ / ٣١ - ١٣١ ) من قول مقاتل بن حيان . وروى عن الضحاك قولاً آخران .

أحدهما : إنه على رد الإنسان ما كما كان لقادر . ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٣١٠ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧ / ٢٠ ) .

والثاني : إنه على رد الإنسان من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الكبر لقادر ، ذكره القرطبي في تفسيره ( وقال : كذا في المهدويّ ) وقد أشار النحاس في أعراب القرآن ( ٦٧٦ / ٣ ) إلى هذه الأقوال الثلاثة عنه .

( ٣ ) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ( ١٤٦ / ٣٠ ) فقال : " وقال آخرون : ممن زعم أن الهاء للإنسان : معنى ذلك أنه على إحيائه بعد مماته لقادر " . ثم روى هذا المعنى عن قتادة .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٣٤ / ٤ ) عن الحسن وعكرمة وقاتدة والبغوي في تفسيره ( ٢٣٣ / ٧ ) عن قتادة وابن الجوزي في زاد المسير ( ٨٣ / ٩ ) عن الحسن والحسن وقاتدة ، والقرطبي في تفسيره ( ٧ / ٢٠ ) عن ابن عباس وقاتدة والحسن وعكرمة .

ذكره الغراء<sup>(١)</sup> والزجاج<sup>(٢)</sup> وغيرهما<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى : ( يوم تبلى السرائر ) أى يختبر ويمتحن ، وقيل : تظهر<sup>(٥)</sup>

(١) انظر معانى القرآن (٢٥٥/٣) .  
وقد صرح الغراء فقال : إنه على رد الإنسان بعد الموت لقادر \* .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزى فى زاد المسير (٨٣/٩) .

(٣) ذهب إلى اختيار هذا القول غير واحد من المفسرين فقال أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٦٧٥/٣) : " اختلف العلماء فى هذا الضمير ، فمن أصح ما قيل فيه قول قتادة ، قال : على بعثه وإعادته . فالضمير على هذا للإنسان ، وو صف هذا القول بأنه أبين الأقوال .

وقال البغوى فى تفسيره (٢٣٣/٧) بعد أن ذكر قول قتادة : وهذا أولى الأقاويل لقوله " يوم تبلى السرائر " ، وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (٨٣/٩) نحوه عن الزجاج ، وقال الرازى فى تفسيره (١٣١/٣١) : " وأعلم أن القول الأول أصح ، ويشهد له قوله ( يوم تبلى السرائر ) أى أنه قادر على بعثه يوم القيامة " .

انظر أيضا تفسير الطبرى (١٤٦/٣٠) وتفسير القرطبي (٧/٢٠) وتفسير ابن كثير (٤٩٨/٤) .

(٤) قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٣) " أى تختبر سرائر القلوب " .  
وقال ابن جرير فى تفسيره (١٤٦/٣٠) :  
" يوم تختبر سرائر العباد ، فيظهر منها ما كان فى الدنيا مستخفياً عن أعين العباد من الفرائض التى كان الله ألزمه إياها ، وكلفه العمل بها " .

وذكر البغوى فى تفسيره (٢٣٣/٧) عن قتادة ومقاتل أنهما قال : ( تبلى السرائر ) أى تختبر . وقال القرطبي فى تفسيره (٧/٢٠) " ( تبلى ) أى تمتحن وتختبر " .

انظر أيضا تفسير الرازى (١٣١/٣١) وتفسير الخازن (٢٣٣/٧) وأحكام القرآن لابن العربى (١٩١٨/٤) .

(٥) ذكره الماوردى فى تفسيره (٤٣٤/٤) فقال : " ( تبلى ) أى تظهر " وذكره البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٣٣/٧) فقال : " ( تبلى السرائر ) تظهر الخفايا ) وذكره القرطبي فى تفسيره (٨/٢٠) فقال : وقيل : " ( تبلى السرائر ) أى تخرج مخبأتها وتظهر " .

وهو الأولى (١) .

وفى التفسير : انه يظهر سر كل إنسان ويبدو أثره على وجهه ، فبيض (٢) بعض الوجوه ، وتسود بعض الوجوه . (٣)

(١) لم أجد من ذكر هذا الترجيح ، ولعله ذهب إلى ذلك لأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية ، حتى يحتاج إلى اختبار السرائر ، وقال ابن كثير فى تفسيره (٤٩٨/٤) عند هذه الآية : " أى يوم القيامة تبلى فيه السرائر أى تظهر وتبدو ويقتضى السر علانية والمكنون مشهوراً " .

وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٣٦/٤) : " وبلاؤها : تعرفها وتصفحها والتميز بين ما طاب منها وما خبثت " . ويبدو لى - والله أعلم بالضواب - أن كلا المعنيين يؤدى مفهوماً واحداً وهو البيان بما أسره العبد فى قلبه من العقائد والنيات ، وما أخفى من الأعمال ، ولذلك فسر أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٦٧٦/٣) بقوله ( تختبر وتظهر ) . ونقل الرازى فى تفسيره (١٣١/٣١) عن أبى مسلم أنه قال : يلبت : يقع على إظهار الشيء ويقع على امتحانه ( وَتَبْلُوْا أَخْبَارَكُمْ ) سورة محمد الآية ٣١ وقوله ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ) سورة البقرة الآية ١٥٥ ثم قال المفسرون : ( السرائر ) التى تكون بين الله وبين العبد تختبر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من سرها وموئد بها من مضيعها " . وأما السرائر فذكر الماوردى فى تفسيره (٤٣٤/٤) قولين - أحدهما : كل ما استسره الإنسان من خير وشر وأضره من إيمان أو كفر - وهذا القول ذكره القرطبي أيضاً فى تفسيره (٨/٢٠) . والثانى : هو ما رواه خالد عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأمانة ثلاث الصلاة والصوم والجنابة ، استأمن الله ابن آدم على الصلاة ، فإن شاء قال : قد صليت ولم يصل ، استأمن الله ابن آدم على الصوم ، فإن شاء قال : قد صمت ولم يصم ، استأمن الله ابن آدم على الجنابة ، فإن شاء قال : قد اغتسلت ولم يغتسل ، اقرأوا إن شئتم " يوم تلبس السرائر " . وهو حديث مرسل ، وقد روى من كلام بعض الأنبياء . انظر أحكام القرآن (١٩١٨/٤) وتفسير القرطبي (٩/٢٠) وقد أورد السيوطى نحوه فى الدر المنثور (٣٣٦/٦) عن أبى الدرداء مرفوعاً ، وعزا تخريجه إلى البيهقى فى شعب الإيمان والصواب أن السرائر تختلف بحسب اختلاف أحوال التكليف والأفعال . انظر أحكام القرآن (١٩١٨/٤) .

(٢) فى نسخة ب زيادة ( من ) قبل ( تبيض ) .

(٣) ذكر البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٣٣/٧) عن ابن عمر أنه قال : بيدى الله عز وجل يوم القيامة كل سر ، فيكون زيناً فى وجوهه ، وشيئاً فى وجوهه ، يعنى : من أداها كان وجهه مشرقاً ، ومن ضيعها كان وجهه أعير .

انظر أيضاً تفسير الرازى (١٣١/٣١) وتفسير القرطبي (٩/٢٠) .



وقوله ( فما له من قوة ولا ناصر ) أى قوة يتقوى بها وناصر ينصره فيدفع به العذاب عن نفسه .<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى ( والسما ذات الرجع ) أى المطر ، وهو القول المعروف وسمى المطر رجماً لأنه يرجع مرة بعد أخرى .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) قال البغوى والخازن في تفسيرهما ( ٢٣٣/٧ ) في تفسير الآية : " أى ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ، ولا ناصر ينصره من الله " . وقال الرازى في تفسيره ( ١٣١/٣١ ) " دلت الآية على أنه لا قوة للعبد ذلك اليوم ، لأن قوة الإنسان إما أن تكون له لذاته أو استفادة من غيره ، فالأول منغى بقوله تعالى تعالى ( فما له من قوة ) والثاني منغى بقوله ( ولا ناصر ) والمعنى : ماله من قوة يدفع بها عن نفسه ما حل من العذاب ، ( ولا ناصر ) ينصره فمضى دفعه - ولا شك أنه زجر وتحذير ، ومعنى دخول من فى قوله ( من قسوة ) على وجه النفي لتبيل ذلك وكثيره ، كأنه قيل ماله من شىء من القوة ولا أحد من الأنصار " .

وذكر الماورى في تفسيره ( ٤٣٦/٤ ) فى الآية قولين : أحدهما : أن القوة المشيرة - والناصر : الحليف ، قاله سفيان . الثانى : فما له من قوة فى بدنه ، ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله ، أو ينتصر به على الله ، وهو معنى قول قتادة ، وذكر القرطبى فى تفسيره ( ١٠/٢٠ ) هذين القولين كما ذكر قولاً آخر عن عكرمة ، أنه قال : هو "الطوك" ، ماله من يوم القيامة من قوة ولا ناصر .

( ٢ ) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ١٤٧/٣٠ ) فقال : " والسما ذات الرجع ) ترجع بالفيوم وأرزاق العباد كل عام " ثم روى هذا المعنى عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقاتة والضحاك .

وذكره الماورى فى تفسيره ( ٤٣٥/٤ ) فقال : " ذات المطر ، لأنه يرجع فى كل عام ، قاله ابن عباس . انظر أيضاً تفسير البغوى والخازن ( ٢٣٣/٧ ) ، وتفسير غريب القرآن ( ٥٢٣ ) وزان المسير ( ٨٤/٩ ) والكشاف ( ٧٣٦/٤ ) وتفسير الرازى ( ١٣٢/٣١ ) وتفسير القرطبى ( ١٠/٢٠ ) وقد عزاه القرطبى إلى عامة المفسرين وإلى أهل اللغة ، وذكر الرازى أن سائر أئمة اللغة متفقون على أن الرجع ليس اسماً موضوعاً للمطر بل سمي رجماً على سبيل المجاز ولكن الصواب ما ذكره القرطبى ، فإن الجوهرى قال فى الصحاح ( ١٢١٧/٣ ) : الرجع : المطر - وكذا ذكر ابن منظور فى لسان العرب ( ١٢٠/٨ ) .

والقول الثاني : إنه الشمس والقمر والنجوم ، سميت رجماً لأنها تطلع وتغيب

وترجع من المغرب إلى المشرق . (١)

وقوله ( والأرض ذات الصدع ) أي النبات وهو قول الجميع وسمى صدعاً لأن الأرض

تصدع به . (٢)

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (١٤٨/٣٠) بلفظ : " وقال آخرون : يعني بذلك :

أن شمسها وقمرها يغيب ويطلع " ثم روى بسنده عن ابن زيد أنه قال :  
شمسها وقمرها ونجومها يأتين من هاهنا .

وذكر الماوردي في تفسيره (٤٣٥/٤) بلفظ : ذات النجوم الراجعة ، قاله

ابن زيد . وذكره القرطبي في تفسيره (١١/٢٠) فقال : " قال عبد الرحمن

ابن زيد : الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب  
في أخرى " .

انظر أيضاً البحر المحيط (٤٥٦/٨) وتفسير ابن كثير (٤٩٨/٤) وذكر في

معناها أقوال أخرى . أحدها : ذات السحاب لأنه يرجع بالمطر . ذكره

الماوردي في تفسيره (٤٣٥/٤) دون عزو إلى أحد ، وهو مروى عن ابن عباس  
في رواية عنه .

انظر تفسير الطبري (١٤٨/٣٠) وتفسير البغوي (٢٣٣/٧) والبحر المحيط

(٤٥٦/٨)

والثاني : ذات الرجوع إلى ما كانت ، ذكره الماوردي : وعزاه إلى عكرمة .

أما الذي رواه عنه ابن جرير فلفظه : قال أبو رجاء : سئل عنها (أي : ذات الرجوع)

عكرمة ، فقال : رجعت بالمطر . انظر تفسير الطبري (١٤٨/٣٠) .

والثالث : ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد ، ذكره الماوردي بصيغة

الاحتمال .

وذكره القرطبي وأبو حيان . انظر تفسير القرطبي (١١/٢٠) والبحر المحيط

(٤٥٦/٨) والراجح من هذه الأقوال هو الأول يعني أن الرجوع بمعنى المطر -

وطيه الجمهور من المفسرين ، قال فيه الرازي في تفسيره (١٣٢/٣١) : " والقول

هو الأول ) . وقال أبو حيان بعد أن ذكر هذه الأقوال : والمشهور عند أهل

اللغة وقول الجمهور أن الرجوع هو المطر " وقال أبو جعفر في أعراب القرآن

(٦٧٦/٣) : أهل التفسير على أنه المطر لأنه يرجع كل عام .

(٢) قال ابن جرير في تفسيره (١٤٨/٣٠) عند هذه الآية : " يقول تعالى

ذكره : والأرض ذات الصدع بالنبات " ثم روى بسنده عن ابن عباس أنه قال :

ذات النبات . وفي رواية أخرى : صدعها إخراج النبات في كل عام " وقال البغوي

والخازن في تفسيرهما (٢٣٣/٧) :

"أى تتصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنهار" .  
 وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٨٤/٩) : أى ذات الشق ، وقيل لها هذا  
 لأنها تتصدع وتنشق بالنبات ، وهذا قول المفسرين وأهل اللغة فى الحرفين"  
 وقال ابن كثير فى تفسيره (٤٩٨/٤) : " ( والأرض ذات الصدع ) قال ابن عباس :  
 هو انصداعها عن النبات ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك  
 والحسن وقتادة والسدى وغير واحد " وهو قول أبى عبيدة والفرأء وابن قتبية وغيرهم .

انظر مجاز القرآن (٢٩٤/٢) ومعانى القرآن (٢٥٥/٣) وتفسير غريب القرآن  
 (ص ٥٢٣) : وذكر فى معنى الآية أقوال أخرى . أحدها : ذات الأودية لأن  
 الأرض قد انصدعت بها ، ذكره الماوردى فى تفسيره (٤٣٥/٤) وعزاه إلى ابن جريح .

والثانى : ذات الطرق التى تصدعها المشاة .  
 ذكره الماوردى والقرطبى فى تفسيره (١١/٢٥) وأبو حيان فى البحر المحيط  
 (٤٥٦/٨) . وأما فى تفسير مجاهد (٧٥٠/٢) قال : الصدع مثل المأزم  
 ( وهو كل طريق ضيق بين جبلين ) غير الأودية وغير الجرف .

وكذا رواه ابن جريو فى تفسيره (١٤٩/٣٠) .  
 وذكر عنه أبو حيان أيضا فقال : قال مجاهد : الصدع ما فى الأرض من شقاق  
 ولصاب وخندق وتشقق بحرث وغيره ، وهى أمور فيها معتبر .  
 والثالث : ذات الحرث ، لأنه يصدعها .

ذكره الماوردى والقرطبى ، وروى ابن جرير بسنده عن ابن زيد أنه قال :  
 صدعها للحرث ، .

والرابع : ذات الأموات ، لانصداعها عنهم للنشور ، ذكره الماوردى بصيغة الاحتمال  
 والقرطبى وأبو حيان .

والراجع من هذه الأقوال هو القول الأول الذى عليه عامة المفسرين ، يعنى أن  
 ( ذات الصدع ) معناها ذات النبات .

- وقوله ( إنه لقول فصل ) أى ذو فصل وهو الفصل بين الحق والباطل (١).  
 وقوله ( وما هو بالهزل ) أى باللعب والمعبث والمعنى أنه قول جسد (٢).

(١) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٣٤/٧ ) :

" ( لقول فصل ) أى إنه لاحق وجد يفصل بين الحق والباطل " .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٥/٩ ) : " والفصل : الذى يفصل بين

الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما " .

وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٧٣٦/٤ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٥٦/٨ )

" ( فصل ) أى فاصل بين الحق والباطل ، كما قيل له فرقان " .

وأما الضمير ( إنه ) ففى مرجعه خلاف ، قال بعضهم : إنه يعود على القرآن

ذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره ( ٤٣٥/٤ ) والرازى فى تفسيره ( ١٣٣/٣١ )

والقرطبي فى تفسيره ( ١١/٢٠ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٥٦/٨ ) ، وقد

اختاره البغوى والخازن والزمخشري حيث لم يذكروا غيره .

وقال آخرون : إنه يعود على الكلام الذى أخبر فيه ببعث الإنسان وابتلاء

سرائره ، أى ما تقدم من الوعيد .

ذكره الماوردى وابن الجوزى والقرطبي وأبوحيان والرازى وعزاه إلى القفال ، وقال

الرازى فى هذا القول : إنه أولى لأن عود الضمير إلى المذكور السالف أولى .

ويبدو لي أن كلا القولين صواب . ثم إن الماوردى ذكر على كل قول وجهين

فى معنى قوله ( فصل ) فذكر على القول الأول وهو أن المراد القرآن ، وجهين

أحدهما : حق قاله ابن عباس .

والثانى : مارواه الحارث بن عتيق قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : كتاب الله فيه خير ما قبلكم وحكم ما بعدكم ، وهو الفصل ليس

بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره

أضله الله " .

وكذلك ذكر على القول الثانى وهو أن المراد ما قدمه من وعيد وجهين .

أحدهما : جد قاله ابن جبير ، الثانى : عدل ، قاله الضحاك .

(٢) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٥/٩ ) : " ( وما هو بالهزل ) أى : باللعب

والمعنى : إنه جد ، ولم ينزل باللعب " .

وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٧٣٧/٤ ) : " يعنى أنه جد كله لا هوادة فيه ،

ومن حقه - وقد وصفه الله بذلك - أن يكون مهيباً فى الصدور ، معظماً فى

القلوب يترفع به قارك وسامعه . . الخ .

قوله تعالى (إنهم يكيدون كيداً) (١) أى يمكرون مكراً (٢) . والكيد : فى اللغة :  
هو صنع يصل به إلى الشئ على الخفية والاستتار (٢) .  
( وأكيد كيداً ) الكيد من الله : هو الاستدراج من حيث لا يعلمون الكفار (٣) .  
والاستدراج : هو الأخذ قليلاً قليلاً .  
وقيل : هو الأخذ من حيث يخفى عليهم (٤) .

( ١ ) قال الماوردى فى تفسيره ( ٤٣٦ / ٤ ) " (إنهم يكيدون كيداً) أى : يمكرون  
مكراً " . وقال القرطبى فى تفسيره ( ١١ / ٢٠ ) : " (إنهم ) أى إن أعداء  
الله ( يكيدون كيداً ) أى يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكراً " .  
والمراد بهذه الآية : أهل مكة حين اجتمعوا فى دار الندوة على المكر  
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما صرح به الماوردى ، وابن الجوزى فى  
زاد المسير ( ٨٥ / ٩ ) .

( ٢ ) قال الجوهرى فى الصحاح ( ٥٣٣ / ٢ ) : " الكيد : المكر ، كاده يكيد كيداً  
ومكيدةً وكذلك المكيدة ، وقال الراغب فى المفردات ( ص ٤٤٧ ) : -  
الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون مذموماً ومدحاً وإن كان يستعمل فى  
المذموم أكثر " . انظر أيضاً لسان العرب ( ٣٨٢ / ٣ ) .

( ٣ ) كذا فى النسختين ( يعلمون الكفار ) وهو خطأ ، إلا اذا على معنى الكونى  
البراغيث " والأحسن أن يكون " حيث لا يعلم الكفار " .

وأما هذا المعنى فقد ذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٣٤ / ٧ ) والقرطبى  
فى تفسيره ( ١١ / ٢٠ ) قالا : وكيد الله : استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون " .  
وقال ابن جرير فى تفسيره ( ١٥٠ / ٣٠ ) : وقوله ( وأكيد كيداً ) يقول :  
وأمر مكراً ، ومكره جل ثناؤه بهم : إملأوه إياهم على معصيتهم وكفرهم به " .

( ٤ ) ذكر القولين فى معنى الاستدراج - ابن منظور فى لسان العرب ( ٢٦٨ / ٢ ) فقال  
بعد أن ذكر قوله تعالى ( سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ) سورة الأعراف الآية  
١٨٢ " قال بعضهم : معناه : سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم ، وقيل :  
معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون " .

وقيل ( أكيد كيداً ) أى أعاقبهم عقوبة كيد هم . (١)

وقوله ( فمهل الكافرين ) أى أمهل الكافرين . وهذا قبل آية السيف . (٢)

(١) قال القرطبي فى تفسيره ( ١١ / ٢٠ ) " أى أجازيهم جزاء كيد هم " .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٥ / ٩ ) والخازن فى تفسيره ( ٢٣٤ / ٧ ) :  
" أى : أجازيهم على كيد هم بأن استدرجهم - م من حيث لا يعلمون " فانتقم منهم  
فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار " .

وقال الماوردى فى تفسيره ( ٤٣٦ / ٤ ) " يعنى بالانتقام فى الآخرة بالنار ، وفى  
الدنيا بالسيف " .

وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٧٣٧ / ٤ ) : " وأنا أقابلهم بكيدى - من استدرجنى  
لهم وانتظارى بهم الميقات الذى وقته للانتصار منهم " .

وقال الرازى فى تفسيره ( ١٣٣ / ٣١ ) : " واعلم أن الكيد فى حق الله تعالى  
محمول على وجوه " .

أحد ها : دفعه تعالى كيد الكفرة عن محمد عليه الصلاة والسلام ويقابل ذلك الكيد  
بنصرته وإعلاء دينه تسمية لأحد المتقابلين باسم كقوله تعالى ( وجزاء سيئة سيئة  
مثلها ) سورة الشورى الآية ٤٠ . ثم قال : وثانيها : أن كيد الله تعالى  
بهم هو إمهاله إياهم على كفرهم حتى يأخذهم على غرة " .

وذكر القرطبي فى تفسيره ( ١١ / ٢٠ ) قولاً آخر فى معنى الكيد فقال : وقيل :  
هو ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل والأسر " .

وقال أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٥٦ / ٨ ) " أجازيهم على كيد هم فسمى الجزاء  
كيداً على سبيل المقابلة نحو قوله تعالى ( ومكروا ومكر الله ) سورة آل عمران الآية ٥٤  
( إنما نحن مستهزؤن ، الله يستهزئ بهم ) سورة البقرة الآية ١٤ ، ١٥ .

(٢) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٥ / ٩ ) : " هذا وعيد من الله لهم ، ومهمل  
وأمهل لفتان جمعنا هاهنا ، ومعنى الآية : مهملهم قليلاً حتى أهلكهم ،  
ففعل الله ذلك ببدر ، ونسخ الإمهال بآية السيف " .

وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٣٤ / ٧ ) : " ومعنى مهمل وأمهل : أنظر  
ولا تعجل ، فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الإمهال بآية السيف . وقال القرطبي  
فى تفسيره ( ١٢ / ٢٠ ) " ( فمهل الكافرين ) أى : أخرهم ولا تسأل الله تعجيل  
إهلاكهم ، وأرض بما يدره فى أمورهم ، ثم نسخت بآية السيف ، ( فاقتلوا المشركين  
حيث وجدتموهم ) سورة التوبة الآية ٥ . أما نسخ هذه الآية بآية السيف فقد  
ذكره جمال الدين البذورى فى قبضة البيان فى ناسخ ومنسوخ القرآن ( ص ٢٢ )  
وابن البارزى فى ناسخ القرآن ومنسوخه ( ص ٥٧ ) .

وقوله : ( أمهلهم رويداً ) أى أمهلهم قليلاً<sup>(١)</sup> .  
 والعرب تقول : رويدك يا فلان أى كن على أودة ورفق<sup>(٢)</sup> . وأما ههنا  
 فهو بمعنى القليل على ما بيننا<sup>(٣)</sup> .  
 وقد أخذهم يوم بدر بالسيف ، وسياً أخذهم بعذاب الآخرة عن  
 قريب<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) انظر تفسير البغوى والخازن ( ٢٣٤/٧ ) وزاد المسير ( ١٢/٩ ) وتفسير القرطبى ( ١٢/٢٥ ) وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٣٦/٤ ) فى معنى ( رويداً ) ثلاثة أوجه :-  
 أحدها :- قريباً - قاله ابن عباس .  
 الثانى :- انتصاراً .  
 الثالث :- قليلاً قاله قتادة - وذكر الوجه الأول والأخير النحاس فى اعراب القرآن ( ٦٧٧/٣ ) وعزا الأخير إلى الحسن .  
 ( ٢ ) ذكر الرازى فى تفسيره ( ١٣٣/٣١ ) عن أبى عبيدة أن تكبير ( رويد ) رَوْدٌ ، والرود بمعنى المهلة والرفق ، والتوردة " انظر أيضاً لسان العرب ( ١٨٩/٣ ) والمفردات ( ص ٢٠٦ ) .

( ٣ ) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٥/٩ ) : " ( أمهلهم رويداً ) أى : أمهلهم قليلاً ، فإذا لم يتقدمها ( أمهلهم ) كانت بمعنى ( مهلاً ) ولا يتكلم بها الا مصفرة ومأمورا بها " .

وذكر الجوهري فى الصحاح ( ٤٧٩/٢ ) لاستعماله أربعة أوجه : اسم للفعل ، وصفة ، وحال ومصدر ، فالاسم نحو قولك : رويدَ عمراً - أى : أروِدُ عمراً ، بمعنىسى أمهله ، والصفة نحو قولك : ساروا سيراً رويداً ، والحال نحو قولك : سار القوم رويداً ، لما اتصل بالمعروف نصارحاً لا لها ، والمصدر نحو قولك : رويدَ عمرو بالاضافة كقوله تعالى " ضرب الرقاب " سورة محمد الآية ٤ .

والذى فى الآية من هذه الوجوه أن يكون نعتاً للمصدر ، أى إمهالاً رويداً ، ويجوز أن يكون للحال أى أمهلهم غير مستعجل لهم العذاب " .  
 انظر أيضاً تفسير الرازى ( ١٣٣-١٣٤ ) وتفسير القرطبى ( ١٢/٢٥ ) .

( ٤ ) قال الرازى فى تفسيره ( ١٣٤/٣١ ) : " منهم من قال ( أمهلهم رويداً ) إلى يوم القيامة ، وإنما صغر ذلك من حيثظم أن كل ما هو آت قريب ، ومنهم من قال : أمهلهم رويداً إلى يوم بدر ، والأول أولى ، لأن الذى جرى يوم بدر وفى سائر الغزوات لا يعم الكل ، وإذا حمل على أمر الآخرة عم الكل ، ولا يمتنع من ذلك أن يدخل فى جملة أمر الدنيا ، مما نالهم يوم بدر وغيره " .

تفسير سورة الأعلیٰ ، وهی مكية <sup>(١)</sup> .

وفی رواية الضحاک : أنها مدنية <sup>(٢)</sup> . والأصح الأول <sup>(٣)</sup> . والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ( سبح اسم ربك الأعلى ) أى عظم ربك الأعلى <sup>(٤)</sup> . وقيل : نزه .

( ١ ) ذكر السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٣٧ / ٦ ) عن ابن عباس أن هذه السورة نزلت بمكة ، وعزا تخريجه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى ، كما ذكر عن عبد الله بن الزبير وعائشة مشه ، وعزا تخريجها إلى ابن مردويه وقد ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٣٧ / ٤ ) أن هذه السورة مكية باتفاق ، وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٦ / ٩ ) : وهى مكية كلها بإجماعهم \* وذكر الآخرون أيضا أنها مكية .

انظر تفسير البغوى والخازن ( ٢٣٤ / ٧ ) والكشاف ( ٧٣٧ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ١٣٥ / ٣١ ) والبحر المحيط ( ٥٧ / ٨ ) وقد عزا هذا القول السيوطى فى الإتيان ( ١٤ / ١ ) إلى الجمهور .

( ٢ ) ذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٣ / ٢٠ ) وذكر السيوطى فى الإتيان ( ١٤ / ١ ) عن ابن الفرس أنه قال : \* وقيل : إنها مدنية لذكر صلاة العيد وركعة الفطر فيها \* .

( ٣ ) يدل على صحة ما ذهب إليه الجمهور من كون هذه السورة مكية ما أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب التفسير - سورة ( سبح اسم ربك الأعلى ) ( ٦٩٩ / ٨ ) رقم ٤٩٤١ . بسنده عن البراء رضى الله عنه قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلنا يقرآننا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء ، فما جاء حتى قرأت ( سبح اسم ربك الأعلى ) فى سور مثلها \* .

( ٤ ) ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٥١ / ٣٠ ) ، والماوردى فى تفسيره ( ٤٣٧ / ٤ ) ،

والقرطبى فى تفسيره ( ١٣ / ٢٠ ) من قول ابن عباس والسدى .

وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٧ / ٩ ) من قول ابن عباس .



وتنزيه الله عزاسمه أن لا يوصف بوصف لا يليق به (١) .

(١) قال ابن جرير في تفسيره (٣٠ / ١٥١) بعد أن ذكر القول السابق : وقال آخرون : بل معنى ذلك : نزهه يا محمد اسم ربك الأعلى ، أن تسمى به شيئاً سواه ، ينهاه بذلك أن يفعل ما فعل من ذلك المشركون من تسميتهم آلهمتهم بعضها اللات ، وبعضها العزى .

وقال غيرهم : بل معنى ذلك : نزهه الله عما يقول فيه المشركون كنا قال : ( ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) سورة الأنعام الآية ١٠٨ . وقالوا : معنى ذلك : سبح ربك الأعلى ، قالوا : وليس الاسم معنىً .

وقال آخرون : نزهه تسميتك يا محمد ربك الأعلى وذكرك إياه أن تذكره إلا وأنت له خاشع متذل ، قالوا : وإنما عنى بالاسم التسمية ، ولكن وضع الاسم مكان المصدر هكذا ذكر ابن جرير ثلاثة أوجه على القول بأن معنى التسبيح هنا التنزيه ، ولكنه لم يرو هذه الأوجه عن أحد من المفسرين وذكر الماوردي في تفسيره (٤ / ٤٣٧) الوجه الأول ( يعنى نزهه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه ) وقال : " ذكره الطبري " وذكر القرطبي في تفسيره (٢٠ / ١٤) الأوجه الثلاثة كلها دون عزو ، وقال البغوي في تفسيره (٧ / ٢٣٤) : " وقال قوم : معناه : نزهه ربك الأعلى عما يصفه به الطحدون " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٩ / ٨٧) : " نزهه ربك عن السوء " ، قاله الزجاج : وذكر أيضا الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة التي ذكرها ابن جرير وهو أن المعنى نزهه اسم ربك وذكرك إياه أن تذكره وأنت معظم له ، خاشع له . من قول الثعلبي . وقال أبو حيان في البحر المحيط (٨ / ٤٥٨) : " ( سبح ) نزهه عن النقائص اسم ربك ، الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم : أى نزهه عن أن يسمى به صنم أو وثن فيقال له رب أو إله وإذا كان قد أمر بتنزيهه اللفظ أن يطلق على غيره فهو أبلغ ، وتنزيه السموات أخرى " .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٣٧/٤ ) : " وتسبيح اسمه عز وجل : تنزيهه عما لا يصلح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه ، كالجبر والتشبيه ونحو ذلك ، مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار ، لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة ، وأن يضان عن الابتدال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم " .

وذكر الرازي في تفسيره ( ١٣٥/٣٠ ) في قوله ( اسم ربك ) قولين : أحدهما : أن المراد تنزيه اسم الله وتقديسه ، والثاني : أن الاسم صلة ، والمراد الأمر بتنزيه الله تعالى ، ثم ذكر على الوجه الأول خمسة احتمالات ، تقدم ذكر البعض منها عن غيره ، وأحد هذه الاحتمالات : أن المراد نزه اسم ربك عن أن يسمى به غيره .

والثاني : أن لا يفسر أسماؤه بما لا يصح ثبوته في حقه سبحانه ، نحو أن يفسر الأعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار ، والاستواء بالاستيلاء " .

والثالث : أن يضان عن الابتدال ، والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم . والرابع : أن يكون المراد بسبح اسم ربك : أي مجده بأسمائه التي أنزلتها عليك وعرفتك أنها أسماؤه .

والخامس : نقل عن أبي مسلم أنه قال : المراد من الاسم ههنا الصفة . وأغلب ما ذكره المفسرون هنا من الأوجه المختلفة في معنى الآية لا مانع من إرادته جميعاً ، وهذه الأوجه محمولة على التعميل لا على التخصيص .

وأما ما ذكره المؤلف بقوله : وتنزيه الله أن لا يوصف بوصف لا يليق به " فهو أحد الأصلين اللذين بنى عليهما السلف الصالح من هذه الأمة مذهبهم في باب توحيد الأسماء والصفات والأصل الثاني هو الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، دون تكيف أو تأويل أو تعطيل ، فهما أصلان عظيمان يبنى عليهما مباحث الأسماء والصفات ، ومن أخل بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال ، وتكلم على الله بغير هدى وسلطان مبين ، وقد جمع هذين الأصلين قوله تعالى : ( ليس كمثل شيء ) وهو السميع البصير " سورة الشورى الآية ١١ .

.. / ..

ففي هذه الآية اثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى مع نفي المماثلة والمشابهة بأى شىء من مخلوقاته ، ولذلك بنى السلف مذاهبهم على إثبات ليس فيه تأويل أو تكييف وعلى تنزيه ليس فيه تعطيل أو تشبيه .

انظر للتفصيل منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص ٩ - ١٢) .  
وأما الجهمية ومن على شاكلتهم فينوا مذاهبهم في بحث الأسماء والصفات على التنزيه والبحث الذي هو التعطيل ، وهذا هو الذى اضطر الزمخشري والرازي إلى ما تقدم نطقه عنهما من أنه لا يفسر الأعماس بمعنى العلو فى المكان ، والاستواء بالاستقرار ، بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار ، والاستواء بالاستيلاء ، وذلك لأنهما ممن لا يثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه فى كتابه وأثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم بنسب يورون فى إثباته له على ما يليق بذاته وجلاله نقصاً وتشبيهاً بمخلوقاته فيذهبون إلى تأويله بما يتسنى لهم من معانى . وأما السلف من الأمة فعلى العكس من ذلك يشتهون لله تعالى كل ما أثبتته لنفسه فى كتابه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بذاته وجلاله دون تأويل أو تشبيه أو تكييف .

والقول الثانى الذى ذكره الرازي فى قوله ( اسمريك ) وهو أن الاسم صلة ، والمراد الأمر بتنزيه الله تعالى . ذكره البفوت فى تفسيره ( ٢٣٤ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٨٧ / ٩ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٣ / ٢٠ ) ، وحكى الرازي أيضاً عن هذا القول إنه اختيار جمع من المحققين ، وقالوا : لأن الاسم فى الحقيقة لفظة مؤلفة من حروف ، ولا يجب تنزيهها كما يجب فى الله تعالى ولكن المذكور إذا كان فى غاية العظمة لا يذكر هو بل يذكر اسمه فيقال : سبح اسمه ومجده ذكره . انظر تفسيره ( ١٣٦ / ٣١ ) وذكر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ( ٩٨ / ٦ - ٢٠٠ ) بشىء أكثر من التفصيل ، وأنكره إنكاراً شديداً ، وقال : " والتحقيق أنه ليس بصلة ، بل أمر الله بتسبيح اسمه ، كما أمر بذكر اسمه ، والمقصود بتسبيحه وذكره هو تسبيح المسمى وذكره فإن المسبح والذاكر إنما يسبح اسمه ويذكر اسمه ، فيقول : ( سبحان ربي الأعلى ) فهو نطق بلفظ ( ربي الأعلى ) والمراد هو المسمى بهذا اللفظ ، فتسبيح الاسم هو تسبيح المسمى ، ومن جعله تسبيحاً للاسم يقول : المعنى أنك لا تسبىه غير الله ، ولا تلحد فى أسمائه فهذا مما يستحقه اسم الله ، لكن هذا تابع للمراد بالآية ليس هو المقصود بها القصد الأول .

وروى أبو صالح عن ابن عباس أن معناه : صل بأمر ربك<sup>(١)</sup> ، وقيل : صل  
لربك المتعال<sup>(٢)</sup> .

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٤/٢٠) قال : "وروى أبو صالح عن ابن عباس :  
صَلِّ بِأَمْرِ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ : وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى . وَذَكَرَهُ  
الْبَغَوِيُّ وَالْخَازِنُ فِي تَفْسِيرِهِمَا (٢٣٤/٧) وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ (٨٧/٩)  
كُلَّهُمْ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/٢٠) عن الحسن ، قال : "وقال الحسن :  
(سبح اسم ربك الأعلى) أي : صَلِّ لِرَبِّكَ الْأَعْلَى . وَذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ أَيْضًا فِي  
تَفْسِيرِهِ (٤٣٧/٤) وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَذَكَرَ عَلِيُّ هَذَا التَّأْوِيلَ ثَلَاثَةَ  
أَوْجُهٍ فِي (اسم ربك) أَحَدُهَا : بِأَمْرِ رَبِّكَ ، الثَّانِي : بِذِكْرِ رَبِّكَ أَنْ تَفْتَحَ بِهِ  
الصَّلَاةَ ، الثَّلَاثُ : أَنْ تَكُونَ ذَاكِرًا لِرَبِّكَ بِقَلْبِكَ فِي نَيْتِكَ لِلصَّلَاةِ " وَفِي الْآيَةِ أَقْوَالٌ  
أُخْرَى : مِنْهَا : "أَنْ مَعْنَاهَا : ارْفَعْ صَوْتَكَ بِذِكْرِ رَبِّكَ .

ذكره الماوردي في تفسيره (٤٣٧/٤) والقرطبي في تفسيره (١٥/٢٠)

وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِ جَرِيرٍ :  
سَبَّحَ الْإِلَهَ وَجْوهُ تَغْلِبَ كَمَا سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا تَكْبِيرًا

وقيل : أي صل باسم ربك الأعلى ، لا كما يصلي المشركون بالمكاهم والتصديفة ،  
ذكره الرازي في تفسيره (١٣٥/٣٠) والقرطبي في تفسيره (١٥/٢٠) وقال  
ابن جرير في تفسيره (١٥٢/٣) : وقال آخرون : معنى قوله : (سبح  
اسم ربك الأعلى) صَلِّ بِذِكْرِ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدٌ ، يَعْنِي بِذَلِكَ : صَلِّ وَأَنْتَ لَهُ ذَاكِرٌ  
وَمَنْهَ وَجَلَّ خَائِقٌ .

وقال أبو حيان في البحر المحيظ (٤٥٨/٨) : "وقال ابن عباس : المعنى :  
صل باسم ربك الأعلى ، كما تقول : ابدأ باسم ربك ، وحذف حرف الجر " .  
وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٨٧/٩) قولاً آخر وهو أن معناه : قل : سبحان  
ربي الأعلى ، وعزاه إلى الجمهور . وأما الراجح من هذه الأقوال ، فقد اختار  
ابن جرير في تفسيره (١٥٢/٣٠) قول القائلين بأن معناه : نزه اسم ربك  
أن تدعو به الأكلة والأوثان ، وذلك لما ورد من الأخبار عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرأوا ذلك قالوا : سبحان ربي الأعلى  
فبين بذلك أن معناه كان عندهم معلوماً : عظم اسم ربك ونزهه " . والأخبار  
التي أشار إليها ابن جرير سيأتى ذكرها قريباً . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في  
مجموع الفتاوى (١٢٥/١٦) "والأمر بتسبيحه يقتضى تنزيهه عن كل عيب وسوء ،  
وإثبات صفات الكمال له ، فإن التسبيح يقتضى التنزيه والتعظيم والتعظيم يستلزم  
إثبات المحامد التي يحمد عليها ، فيقتضى ذلك تنزيهه ، وتحميده وتكبيره وتوحيده " .  
وأما الأخبار التي ورد فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله  
عليهم أجمعين كانوا إذا قرأوا (سبح اسم ربك الأعلى) قالوا : (سبحان ربي  
الأعلى) فهو صيغة من الصيغ التي يعظم بها الله سبحانه وتعالى .

وفي الآية دليل على<sup>(١)</sup> أن الاسم والمسمى واحد ، لأن المعنى سبحانه اسم<sup>(٢)</sup>  
ربك الأعلى<sup>(٣)</sup> .

(١) حرف ( على ) ساقط من الأصل .

(٢) كذا في النسختين بزيادة ( اسم ) وهو خطأ والصواب عدم ذكرها ، كما فسى  
المصادر الأخرى .

(٣) قال البغوي في تفسيره (٢٣٤/٧) : " ويحتج بهذا من يجعل الاسم  
والمسمى واحداً لأن أحداً لا يقول : سبحان اسم الله ، وسبحان اسم ربنا ، وإنما  
يقولون : سبحان الله وسبحان ربنا " .

وذكر الرازي أيضاً في تفسيره (١٣٦/٣١) نحوه بشئ من التفصيل وقال :  
واعلم أن هذا الاستدلال ضعيف ، لما بينا في المسألة الأولى أنه يمكن أن يكون  
المراد تسبيح المسمى ، وذكر الاسم صلة فيه ، ويمكن أن يكون المراد تسبيح  
باسم ربك كما يقال : ( فسبح باسم ربك العظيم ) ويكون المعنى : سبح ربك  
بذكر أسمائه " .

وقد تعرض شيخ الإسلام ابن تيمية لهذه المسألة في مجموع الفتاوى ( ١٨٥/٧ -  
٢١٢ ) وقال في أول الكلام : " فإن الناس قد تنازعوا في ذلك ، والنزاع اشتهر  
في ذلك بعد الأئمة ، بعد أحمد وغيره ، والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد  
 وغيره الإنكار على الجهمية الذين يقولون : أسماء الله مخلوقة . فيقولون : الاسم  
غير المسمى ، وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق ، وهو لا هم الذين ذمهم  
السلف وغلظوا فيهم القول لأن أسماء الله من كلامه وكلام اللغزير مخلوق بل هو  
المتكلم به ، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء " وذكر عن الطبري من كتابه  
" صريح السنة " أن القول في الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة التي لا يعرف  
فيها قول لأحد من الأئمة . انظر أيضاً صريح السنة (ص ٢٦) .

ثم ذكر أقوال الناس فيها ، وهي تتلخص في أربعة أقوال : أولها : أن  
الاسم هو المسمى - وهو قول كثير من المنتسبين إلى السنة : مثل أبي بكر  
عبد المزي ، وأبي القاسم الطبري ( كذا ، ولعله الطبراني ) واللالكائسي  
وأبي محمد البغوي صاحب شرح السنة وغيرهم ، وهو أحد قولي أصحاب أبي الحسن  
الأشعري واختاره أبو بكر ابن فورك وغيره .

٠٠/٠٠

وأما القول الثاني لهم وهو المشهور عن أبي الحسن أن الأسماء ثلاثة أقسام ، تارة يكون الاسم هو المسمى كاسم الموجود ، وتارة يكون غير المسمى كاسم الخالق ، وتارة لا يكون هو ولا غيره ، كاسم العليم والقدير ، والثاني : أن الاسم غير المسمى ، وهو قول الجهمية والمعتزلة ومقصودهم من ذلك أن أسماء اللغيره ، وما كان غيره فهو مخلوق .

والثالث : لا يقال إن الاسم هو المسمى ولا غير المسمى ، والرابع : أن الاسم للمسمى ، عزاه إلى أكثر أهل السنة . وذكر أن هذا القول موافق للكتاب والسنة والمعقول ، أما الكتاب فقوله تعالى : ( ولله الأسماء الحسنى ) سورة الأعراف الآية ١٨ . وقوله تعالى ( أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) سورة الاسراء الآية ١١ .  
وأما السنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن لله تسعة وتسعين اسما " وقال أيضا : إن لي خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد والمأهين والهاشر والعاقب " كلاهما في الصحيحين .

انظر الأول في صحيح البخارى ( ٢١٤ / ١١ ) ، وصحيح مسلم ( ٥ / ١٧ ) والثاني في صحيح البخارى ( ٥٥٤ / ٦ ) ، وصحيح مسلم ( ١٠٤ / ١٠٥ - ١٠٥ ) . وأما المعقول فالاسم مشتق من السمو أو من السمة وهى العلامة على اختلاف فيما بين البصريين والكوفيين . فالاسم يظهر به المسمى ويعلمو ، ولذلك يقال للمسمى : سَمَّه : أى اظهره وأعلِّه أى : أعلِّ ذكره بالاسم الذى يذكر به ، ويقال : الاسم دليل على المسمى ، وعلم المسمى ونحو ذلك .

وقال الطبرى فى صريح السنة ( ص ٢٧ ) : " وحسب امرء من العلم به والقول فيه أن ينتهى إلى قول الله عز وجل ثناؤه وهو قوله ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) سورة الاسراء الآية ١١ .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ( ١٨٧ / ٦ ) عن الطبرى هذا الكلام ثم قال : وهذا هو القول بأن الاسم للمسمى ، وهذا الإطلاق اختيار أكثر المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره .

وفي قراءة أبي ( سبحان ربك الأعلى ) (١) .

وقال الشاعر (٢) :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا      وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ (٣)  
أى ثم السلام عليكما . (٤)

وروى اسرائيل (٥) عن ثوبان بن أبي فاختة عن أبيه (٦) عن علي رضي الله عنه أن

النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب سورة / سبح اسم ربك الأعلى (٨) .

أ/٣٢٨

(١) لم أجد من ذكر هذه القراءة . وذكر ابن خالوية في شواذ القرآن (ص ١٧٢) عن علي بن أبي طالب أنه قرأ : سبحان ربى الأعلى .

(٢) هولبيد بن ربيعة العامري .

(٣) البيهقي ديوانه (ص ٧٩) وأنشده أيضا الماوردي في تفسيره (٤/٤٣٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٨٧) .

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/٢٠٢) : " وما ذكره من قول لبيد : إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا . .

فمراده ثم النطق بهذا الاسم وذكره وهو التسليم المقصود ، كأنه قال : ثم سلام عليكم ، ليس مراده أن السلام يحصل عليهما بدون أن ينطق به ويذكر اسمه ، فإن نفس السلام قول ، فإن لم ينطق به ناطق ويذكره لم يحصل . "

(٥) هو اسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبعمي الهمداني أبو يوسف الكوفي .

تقدمت ترجمته في ص ( ٢٣٠ ) .

(٦) تقدمت ترجمته في صفحة ( ٢٣٠ ) .

(٧) هو سعيد بن علاقة الهاشمي أبو فاختة الكوفي مولى أم هانئ ، مشهور بكنيته . ثقة ، مات في حدود السبعين ، وقيل بعد ذلك بكثير ،

انظر تهذيب التهذيب (٤/٧٠ - ٧١) وتقريب التهذيب (ص ١٢٥) .

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/٩٦) عن وكيع حدثنا إسرائيل به .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٣٧) وعزا تخريجه أيضا إلى البزار وابن مردويه .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٣٦) وقال : رواه أحمد ، وفيه ثوبان بن أبي فاختة ، وهو متروك ، وأورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٤/٢١٩) وقال فيه : ضعيف .

قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذا الحديث أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي (١)  
 أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه (٢) ، أخبرنا إبراهيم بن خزيمة الشاشي (٣) ، أخبرنا  
 عبد بن حميد (٤) ، أخبرنا وكيع عن إسرائيل الخبر .

(١) هو محمد بن أبي الهيثم عبد الصمد بن أبي عبد الله المروزي أبو بكر الترابي  
 روى عن عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي وغيره ، وروى عنه المؤلف  
 وغيره .  
 ذكره الذهبي وقال : الشيخ الجليل المعمر مسند خراسان ، مات غوفى شهر  
 رمضان سنة ثلاث وستين وأربعمائة .  
 انظر سير أعلام النبلاء (٢٥٢/١٨) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه بن يوسف بن أعين خطيب سرخس  
 سمع في سنة ست عشرة وثلاث مائة ، الصحيح من أبي عبد الله الفريسي ، وسمع  
 "المسند الكبير" و "التفسير" لعبد بن حميد بن إبراهيم بن خزيمة  
 الشاشي .

وذكر الذهبي فيمن حدث عنه محمد بن عبد الصمد الترابي المروزي ونقل عن  
 أبو ذر أنه قال : قرأت عليه ، وهو ثقة ، صاحب أصول حسان .  
 ووصفه الذهبي بقوله : الإمام المحدث الصدوق المسند ، توفي سنة إحدى  
 وثمانين وثلاث مائة .  
 انظر سير أعلام النبلاء (٤٩٢/١٤) وشذرات الذهب (١٠٠/٣) .

(٣) هو إبراهيم بن خزيمة بن قمير بن خاقان . أبو إسحاق الشاشي المروزي  
 الأصل .  
 سمع من عبد بن حميد "تفسيره" و "مسنده" في سنة تسع وأربعين ومائتين ،  
 وحدث بهما ، وطال عمره .

ذكره الذهبي فيمن حدث عنه : عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي ، وقال :  
 وسمع ابن حمويه منه بالشاش - مدنية - من مدائن الترك - وكان ذلك في سنة  
 ثمانين عشرة وثلاث مائة في شعبان ، ولم تبلغنا وفاة ابن خزيمة ولا شيء من سيرته  
 وهو في عدا الثقات ، ومن أبناء التسعين .  
 انظر سير أعلام النبلاء ٤٨٦/١٤ - ٤٨٧ .

(٤) هو عبد بن حميد بن نصر الإمام الحافظ أبو محمد الكشي بالكسر وتشدد يد المهبطية ،  
 وينطق بها الناس بالفتح والمعجمة ، وهو خطأ - وقيل : اسمه عبد الحميد ،  
 وبذلك جزم ابن حبان وغير واحد ، وهو صاحب المسند والتفسير .  
 قال فيه الحافظ ابن حجر : ثقة حافظ ، وقال الداودي : وكان من الأئمة  
 الثقات ، توفي سنة تسع وأربعين ومائتين .  
 انظر تقريب التهذيب (٢٢٣) وطبقات المفسرين ٢٧٤/١ .



وفى حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى  
الركعة الأولى من الوتر ( سبح اسم ربك الأعلى ) وفى الثانية ( قل يا أيها الكافرون )  
وفى الثالثة سورة الاخلاص والمعوذتين .<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقرأ فى الوتر ( ١٣٣ / ٢ ) ، رقم  
١٤٢٤ ( الترمذى فى سننه ، أبواب الصلاة ، باب ماجاء فىها يقرأ به فى  
الوتر ( ٣٢٦ / ٢ ، رقم ٤٦٣ ) .

وابن ماجه فى سننه - كتاب الصلاة ، باب ماجاء فى الوتر ( ٣٥٧ / ١ ) والحاكم  
فى مستدرکه ( ٥٢٠ / ٢ - ٥٢١ ) . كلهم بإسنادهم عن محمد بن سلمة عن  
خصيف عن عبد العزيز بن جريج قال : سألت عائشة : بأى شىء كان يوتر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان يقرأ فى الأولى بـ ( سبح اسم ربك الأعلى )  
وفى الثانية بـ ( قل يا أيها الكافرون ) وفى الثالثة بـ ( قل هو الله أحد )  
والمعوذتين . هذا لفظ الترمذى . وقال : وهذا حديث حسن غريب  
وقال ابن حجر فى التلخيص الحبير ( ١٨ / ٢ ) : وفى خصيف وفيه لين .

وأُنكر المباركفورى فى تحفة الأحوذى ( ٣٤١ / ١ ) تحسين الترمذى هذا  
الحديث فقال : فى كونه حسناً نظراً ، فإن عبد العزيز بن جريج لم يسمع من عائشة  
وأيضاً فيه خصيف وهو قد خولط بآخره ولا يدري أن محمد بن سلمة رواه عنه قبل  
الاختلاط أو بعده \* ولكن يعتضد هذا الحديث برواية عمرة عن عائشة التى  
أخرجها ابن حبان فى صحيحه . كما فى موارد الظمان ( ١٧٥ ) والحاكم  
فى مستدرکه ( ٥٠٣ / ١ ، ٥٢١ / ٢ ) بإسنادهما عن يحيى بن أيوب عن يحيى بن  
سعيد عن عمرة به بمثله .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى . وقد  
أشار المباركفورى إلى هذا الحديث وذكر أن حديث خصيف يعتضد برواية عمرة  
وذكره ابن حجر فى التلخيص الحبير ( ١٨ - ١٩ ) وقال : تفرد به يحيى بن أيوب  
عنه ( أى يحيى بن سعيد ) وفيه مقال ، ولكنه صدوق ، . وقال العقيلي : إسناده  
صالح \* .

ولكن روى ابن عباس وأبى بن كعب وغيرهما بإسقاط المعوذتين - وهو الأصح  
واختاره أكثر أهل العلم ، كما صرح به الترمذى فى سننه ( ٣٢٦ / ٢ ) وابن حجر فى  
التلخيص الحبير ( ١٩ / ٢ ) والمباركفورى فى تحفة الأحوذى ( ٣٤١ / ١ ) .

وعن علي ، وابن عباس وابن عمر أنهم كانوا إذا قرأوا ( سبح اسم ربك الأعلى )  
قالوا : سبحان ربى الأعلى <sup>(١)</sup> ، امتثالاً للأمر

(١) أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد روى عنه ابن جريو في تفسيره (١٥١/٣٠) عن ابن بشار قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عبد خير قال : سمعت علياً رضي الله عنه قرأ ( سبح اسم ربك الأعلى ) فقال : سبحان ربى الأعلى . وأورد عنه السيوطي في الدر المنثور (٣٣٨/٦) أنه قرأ ( سبح اسم ربك الأعلى ) فقال : سبحان ربى الأعلى ، وهو في الصلاة قليل له : أتزيد في القرآن ؟ قال : لا ، إنما أمرنا بشئ فقلته " وعزا تخريجه إلى الغريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف " .

وأما ابن عباس رضي الله عنهما فروى عنه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٧١) عن معمر عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير " كان ابن عباس إذا قرأ ( سبح اسم ربك الأعلى ) قال : ( سبحان ربى الأعلى ) ، ورواه ابن جريو في تفسيره (١٥١/٣٠) عن ابن حميد ، قال : ثنا حكيم ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الهذلي ، " أن ابن عباس كان إذا قرأ ( سبح اسم ربك الأعلى ) يقول : سبحان ربى الأعلى ، وإذا قرأ ( لا أقسم بيوم القيامة ) فأتى على آخرها ( أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ) ؟ يقول : سبحانك اللهم ولى .

وروى أيضا من طريق آخر عن زياد بن عبد الله قال : سمعت ابن عباس يقرأ في صلاة المغرب ( سبح اسم ربك الأعلى ) سبحان ربى الأعلى . وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٣٨/٦) بلفظ : أنه كان إذا قرأ ( سبح اسم ربك الأعلى ) قال : سبحان ربى الأعلى . وعزا تخريجه إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد ابن حميد وابن جريو .

وأما ابن عمر فروى عنه ابن جريو في تفسيره (١٥١/٣٠) والحاكم في مستدركه (٥٢١/٢) بإسنادهما عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قرأ ( سبح اسم ربك الأعلى ) قال : سبحان ربى الأعلى ( الذى خلق فسوى ) قال : وهى في قراءة أبي بن كعب كذلك . وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٣٨/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وعبد بن حميد . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وقد روى ذلك مرفوعاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس وأخرجه أبوداود في سننه كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الصلاة (٥٤٩/١ رقم ٨٨٣) عن زهير بن حرب ، حدثنا وكيع عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عنه . وقال أبوداود : خولفوكيع في هذا الحديث ، رواه أبو وكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً ( انظر أيضا تفسير ابن كثير (٤٩٩/٤) وأورد الألبانى في صحيح الجامع الصغير (٢٢٨/٤) وقال فيه : " صحيح " .

والأول) أن يقول كذلك (٢).

من المعروف عن عقبة بن عامر (٣) أنه قال : لما نزل قوله تعالى ( سبح اسم ربك الأعلى ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : اجعلوه في سجودكم ولما نزل قوله ( سبح اسم ربك العظيم ) قال : اجعلوه في ركوعكم (٤).

(١) كذا في النسختين ، ولعل الصواب ( والأولى ) .

(٢) قال العاوردى في تفسيره (٤٣٧/٤) : " وروى أن علياً وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا : " سبحان ربى الأعلى " امتثالاً لأمره تعالى في ابتدائها . فصار الاقتداء بهم في قراءتها ، وقيل : إنها في قراءة أبي : ( سبحان ربى الأعلى ) وكان ابن عمر يقرأها كذلك . وذكر القرطبي في تفسيره (١٤/٢٠) نحو هذا الكلام ، وزاد فيمن روى عنهم أنهم إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا : " سبحان ربى الأعلى " ابن الزبير وأباموسى وعبد الله بن مسعود .

وقال القرطبي أيضاً في تفسيره (١٣/٢٠) : " يستحب للقارىء إذا قرأ " سبح اسم ربك الأعلى " أن يقول عقبه : " سبحان ربى الأعلى " قاله النبي صلى الله عليه وسلم وقاله جماعة من الصحابة والتابعين . "

(٣) هو عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى الجهني - الصحابي المشهور - اختلف في كنيته على سبعة أقوال أشهرها أبو حماد ، ولى إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين وكان فقيهاً فاضلاً ، مات في قرب الستين .  
انظر الإصابة (٤٨٩/٢) وتقريب التهذيب ٢٤١ .

(٤) أخرجه أبوداود في سننه كتاب الصلاة . باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (٥٤٢/١) وابن ماجه في سننه - كتاب الصلاة ، باب التسبيح فى الركوع والسجود (٢٨٨/١) والإمام أحمد في مسنده (١٥٥/٤) والطحاوى فى معانى الآثار (١٣٨/١) والحاكم فى المستدرک (٢٢٥/١ ، ٤٧٧/٢) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٨٦/٢) بإسناد هم عن موسى بن أيوب عن عمه إياس ابن عامر عن عقبة بن عامر . ثم رواه أبوداود وعنه البيهقى من طريق الليث ابن سعد عن أيوب بن موسى ، أو موسى بن أيوب ، عن رجل من قومه عن عقبة بن عامر ، بمعناه ، زاد قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ركع قال : " سبحان ربى الأعلى ويحمده " ثلاثاً ، وإذا سجد قال : " سبحان ربى الأعلى ويحمده " ثلاثاً . وقال أبوداود : وهذه الزيادة نخاف أن لا تكون محفوظة . وقال الحاكم فى هذا الحديث : هذا حديث حجازى صحيح الإسناد وقد اتفقا على الاحتجاج برواته غير إياس بن عامر ، وهو عم موسى بن أيوب القاضى ومستقيم الإسناد ورد الذهبى فقال : إياس ليس بالمعروف ، وصرح الألبانى فى إرواه الغليل (٤١/٢) بأن الحديث ضعيف . ولكن ورد عن حذيفة أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه : " سبحان ربى العظيم ) وفى سجوده : " سبحان ربى الأعلى " الحديث . أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب صلاة المسافرين - باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل (٦١/٦) فى سياق طويل وأبوداود فى سننه - كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل فى ركوعه وسجوده (٥٤٣/٢ ، رقم ٨٧١) والترمذى فى سننه كتاب الصلاة - باب ماجاء فى التسبيح فى الركوع والسجود (٤٨/٢ ، رقم ٢٦٢) .

وقوله ( الذى خلق فسوى ) أى خلقك وجعلك رجلاً سويًا . (١)

وهى فى معنى قوله ( الذى خلقك فسواك ) (٢)

(١) قال ابن جرير فى تفسيره (١٥٢/٣٠) : " وقوله ( الذى خلق فسوى ) يقول : الذى خلق الأشياء فسوى خلقها ، وعدّلها ، والتسوية التعدى " ونقل البغوى فى تفسيره (٢٣٤/٧) عن الكلبى أنه قال : ( خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين ) . وذكر الماوردى فى تفسيره (٤٣٧/٤) ثلاثة أوجه . أحدها : يعنى أنشأ خلقهم ثم سواهم فأكّتهم ، الثانى : خلقهم خلقاً كاملاً وسوى لكل جارحة . والثالث : خلقهم بإنعامه وسوى بينهم فى أحكامه . وقال : قال الضحاك : خلق آدم فسوى خلقه " . وأورد بعد ذكر هذه الأوجه وجهين آخرين فقال : " ويحتمل ( رابعاً ) خلق فى أصلاب الرجال ، وسوى فى أرحام الأمهات .

ويحتمل ( خامساً ) خلق الأجساد فسوى الأفهام " وذكر القرطبي فى تفسيره (١٥/٢٠) بعض هذه الأوجه كما ذكر أوجهها أخرى فقال : أى سوى ما خلق ، فلم يكن فى خلقه تنبيج ( أى تخليط ) . وقال الزجاج : أى عدل قامته ، وعن ابن عباس : حسن ما خلقى ، وقيل أيضاً : وقيل : أى خلق الإنسان وهياًه للتكليف " . وأما الرازى فقد ذكر فى تفسيره (١٣٨/٣١) فى المراد بهذه الآية ثلاثة احتمالات فقال : " قوله ( خلق فسوى ) يحتمل أن يريد به الناس خاصة ويحتمل أن يريد الحيوان ، ويحتمل أن يريد كل شئ خلقه ، فمن حمله على الإنسان ذكسر للتسوية وجوها .

أحدها : أنه جعل قامته مستوية معتدلة وخلقته حسنة .  
وثانيها : أن كل حيوان فإنه مستعد لنوع واحد من الأعمال فقط ، وغير مستعد لسائر الأعمال ، أما الإنسان فإنه خلق بحيث يمكنه أن ياتى بجميع أفعال الحيوانات بواسطة آلات مختلفة ، فالتسوية إشارة إلى هذا وثالثها : أنه هياً للتكليف والقيام بأداء العبادات .

وأما من حمله على جميع الحيوانات ، قال : المراد أنه أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه من أعضاء وآلات وحواس ، ثم قال : وأما من حمله على جميع المخلوقات قال : المراد من التسوية : هو أنه تعالى قادر على كل الممكنات ، عالم بجميع المعلومات ، خلق ما أراد على وفق ما أراد موصوفاً بوصف الأحكام والإتقان ، مبرأً عن الفسخ والاضطراب " .

ويبدولى والله أعلم بالصواب أن ما ذكره ابن جرير ( يعنى أن التسوية بمعنى التعدى ) هو الأصح ، وأن المراد بهذه الآية جميع المخلوقات ، وعليه فالمعنى : الذى خلق الخلق فعدل خلقه فصاركه حسناً .

انظر آراء القرآن (٦٧٩/٣) .

(٢) سورة الانفطار الآية ٧ .

على ما بيننا<sup>(١)</sup> .

وقوله ( والذي قدر فهدى ) قال السدى : قدر خلق الذكر والأنثى ، وهدى  
أى هدى الذكر إلى الأنثى<sup>(٢)</sup> .

وقيل : قدر : خلق كل شىء وهداه إلى ما يصلحه . وهذا فى الحيوانات<sup>(٣)</sup> .  
وقيل : هداه إلى رزقه كالطفل يهتدى إلى الثدي ويفتح فاه حين يولد طلباً  
للثدى ، والفرخ يطلب الرزق من أمه وأبيه وكذلك كل شىء<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر ص (٥٠١-٥٠٢) .

(٢) ذكره الماوردى فى تفسيره (٤٣٨/٤) من قول السدى . قال : قدرهم ذكورا  
وإناثا ، وهدى الذكر كيف يأتى الأنثى ، قاله السدى ، وذكره ابن الجوزى فى  
زاد المسير (٨٨/٩) من قول مقاتل . وقال القرطبي فى تفسيره (١٥/٢٠) ،  
وروى عن ابن عباس والسدى ومقاتل والكلبى فى قوله " فهدى " قالوا : عرف خلقه  
كيف يأتى الذكر الأنثى ، كما قال فى طه ( الآية ٥٠ ) : " أعطى كل شىء  
خلقه ثم هدى ) أى الذكر للأنثى .

وذكر البغوى فى تفسيره (٢٣٤/٧) عن مقاتل والكلبى أنهما قالا : قدر  
لكل شىء مسلكه ، فهدى عرفها كيف يأتى الذكر الأنثى .

وذكر عن السدى قولاً آخر غير هذا ، وهو أنه قال : " قدر مدة الجنين  
فى الرحم ثم هداه للخروج من الرحم " . وذكر أبو حيان فى البحر المحييط  
(٤٥٨/٨) عن الكلبى ومقاتل أنهما قالا : هدى الحيوان إلى وطء الذكور  
للإناث " ذكر هذا القول الفراء فى معانى القرآن (٢٥٦/٣) وابن جرير فى  
تفسيره (١٥٢/٣٠) والرازى فى تفسيره (١٣٩/٣) .

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزى فى زاد المسير (٨٨/٩) من قول عطاء ، قال : جعل  
لكل دابة ما يصلحها وهداها إليه ، وذكره القرطبي فى تفسيره (١٥/٢٠)  
قال :

قال عطاء : جعل لكل دابة ما يصلحها ، وهداها له ، وهو اختصار  
الزمخشري فى الكشاف (٧٣٨/٤) فإنه قال : " قدر لكل حيوان ما يصلحه ،  
فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به " . انظر أيضا تفسير القرطبي (١٦/٢٠) .

(٤) ذكر نحو هذا القول أبو حيان فى البحر المحييط (٤٥٨/٨) قال : وقيل : هدى  
المولود عند وضعه إلى مص الثدي .

وقال مجاهد : هدى الإنسان لسبيل الخير والشر ، والسعادة والشقاوة .<sup>(١)</sup>  
ويقال : فى الآية حذف . والمعنى : هدى وأضل .<sup>(٢)</sup>

(١) قال مجاهد فى تفسيره (٢/٧٥١) : " أما قوله ( قدر ) فيقول : قدر للإنسان الشقاء والسعادة ، وأما قوله ( هدى ) فيقول : هدى الأنعام لمراتعها " وروى ابن جرير فى تفسيره (٣٠/١٥٢) بسنده عن مجاهد أنه قال : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة ، وهدى الأنعام لمراتعها " ذكره القرطبي فى تفسيره (٢٠/١٥) فى رواية عنه ، وذكر عنه الماوردي فى تفسيره (٤/٤٣٨) ابن الجوزي فى زاد المسير (٩/٨٨) والقرطبي فى تفسيره (٢٠/١٥) بلفظ : قدر الشقاوة والسعادة ، وهدى للمرشد والضلالة " وذكره البغوى فى تفسيره (٧/٢٣٤) فقال : قال مجاهد : هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة ، وهدى الأنعام لمراتعها " .

(٢) ذكره الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٥٦) قال : " ويقال : قدر فهدى وأضل " فاتفق من ذكر الضلال بذكر الهدى لكثرة ما يكون معه " .  
وذكره ابن الجوزي فى زاد المسير (٩/٨٩) قال : " أن المعنى : قدر فهدى وأضل ، فحذف " وأضل " لأن فى الكلام دليلاً على ذلك ، حكاه الزجاج " . وذكره الرازي فى تفسيره (٣١/١٣٩) والقرطبي فى تفسيره (٢٠/١٦) من قول الفراء ومثلاً له بقوله تعالى : ( سراييل تقيم الحر ) سورة النحل الآية ٨١ .

هذا - وقد ذكر المفسرون فى معنى الآية أقوالاً أخرى . فقيل : قدر أرزاقهم وأقواتهم ، وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنساناً ، ولمراعيتهم إن كانوا وحشاً . وقيل : قدر مدة الجنين فى الرحم ثم هداه للخروج من الرحم ، ذكره عن السدى . وقيل : خلق المنافع فى الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها . وقيل : قدر الذنوب ، وهدى إلى التوبة . وقيل : إن الهدا يفهمنى الدعاء إلى الإيمان كقوله تعالى " إنك لتهدى إلى صراط مستقيم " سورة الشورى الآية ٥٢ .

انظر هذه الأقوال فى تفسير الماوردي (٤/٤٣٨) وتفسير البغوى والخازن (٧/٢٣٤) وزاد المسير (٩/٨٨-٨٩) . وتفسير البغوى (٢٠/١٥-١٦) ، والبحر المحيط (٨/٤٥٨) .

وأما الراجح من هذه الأقوال فقد ذهب ابن جرير فى تفسيره (٣٠/١٥٢) بعد أن ذكر القولين منها إلى أن ذلك عام فإن الله سبحانه وتعالى لم يخصص من ذلك معنى دون معنى ، فالخبر على عمومه حتى يأتى خبر تقوم به الحجة . وأما أبوحيان فقال فى البحر المحيط (٨/٤٥٨) : " وهذه الأقوال محمولة على التمثيل لا على التخصيص " وهو يبدو لى أيضاً أنه الراجح " .

وقوله ( والذي أخرج المرعى ) أى مرعى الأنعام<sup>(١)</sup> .

قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

وقد يَنْبُتُ المرعى على رَمِّ الشَّرى<sup>(٣)</sup> ، وتَبْقَى حَرَازَاتُ النفوسِ كما هيئاً<sup>(٤)</sup> (٥)

وقوله ( فجعله غشاءً أحوى ) فى الآية تقديم وتأخير ، والمعنى : أخرج المرعى

أحوى فجعله غشاءً أى يابساً<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٥٢ / ٣٠ ) : " وقوله ( والذي أخرج المرعى ) يقول :  
والذى أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات وأنواع الحشيش " .

وقال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٣٥ / ٧ ) " أى أنبت العشب وما ترعاه الأنعام  
من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك " وقال القرطبى فى تفسيره ( ١٦ / ٢٠ ) :  
" أى النبات والكلا الأخضر " .

( ٢ ) هو زفر بن الحارث كما صرح به ثعلب .

( ٣ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ١٥٨ / ١٣ ) : " ما تَلَبَّدَ من السَّرْقِينِ وصار  
كِرْساً على وجه الأرض ، والدَّمْنَةُ : الموضوع الذى يَلْتَبَدُ فيه السَّرْقِينِ " . وقال أيضاً :  
والدَّمْنَةُ : الحقد المدْمَن للصدر ، والجمع دِمْنٌ " .

( ٤ ) قال الأزهري فى تهذيب اللغة ( ٤١٣ / ٣ ) " الحزازة : وجع فى القلب مسن  
غيط ونحوه " .

( ٥ ) البيت فى مجالس ثعلب ( ٣٦٧ / ٢ ) وتهذيب اللغة ( ٤١٣ / ٣ ) وهو أيضاً فى  
تفسير الماورى ( ٤٣٨ / ٤ ) وتفسير القرطبى ( ١٦ / ٢٠ ) ولسان العرب ( ٣٣٥ / ٥ )  
مادة حرز ) و ( ١٥٨ / ١٣ ، مادة د من ) . ونقل ابن منظور عن أبى عبيد  
أنه قال : ضربه مثلاً لرجل يُظهر مودةً وقلبه نَغْلٌ بالعداوة " .

( ٦ ) ذكره الفراء فى معانى القرآن ( ٢٥٦ / ٣ ) قال : " ويكون أيضاً : أخرج المرعى أحوى  
، فجعله غشاءً ، فيكون مؤخراً معناه التقديم ، وذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٥٣ / ٣٠ )  
فقال : " وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يروى أن ذلك من الموءخر الذى معناه  
التقديم ، وأن معنى الكلام : والذي أخرج المرعى أحوى : أى أخضر إلى السواد  
فجعله غشاءً بعد ذلك " . وذكره الماورى فى تفسيره ( ٤٣٨ / ٤ ) فقال : " إن  
فى الكلام تقدماً وتأخيراً ، ومعناه : أحوى فصار غشاءً ، والأحوى : ألوان النبات  
الحي من أحضر وأصفر وأبيض . ويعبر عن جميعه بالسواد كما سمي بسنه  
سواد العراق " وطلبى هذا القول يكون ( أحوى ) حال من ( المرعى ) ويكون التقديم  
كما ذكره المؤلف ( أخرج المرعى أحوى فجعله غشاءً ) وقيل : إنه صفة لـ " غشاءً " .

وقد ذكر القولين ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١٥٣ / ٣٠ ) وأبو جعفر النحاس فى  
أعراب القرآن ( ٦٧٩ - ٦٨٠ ) ومكى بن أبى طالب فى مشكل أعراب القرآن ( ٤٧٥ / ٢ )  
والزمخشري فى الكشاف ( ٧٣٨ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ١٤٠ / ٣١ ) والقرطبى فى  
تفسيره ( ١٨ - ١٧ / ٢٠ ) وأبو حيان فى البحر المحيطة ( ٤٥٨ / ٨ ) وقال النحاس فى  
القول الثانى : وهذا أولى بالصواب وإنما يقع التقديم والتأخير إذا لم يصح المعنى  
على غيره ، ولا سيما وقد روى ابن أبى طلحة عن ابن عباس : فجعله غشاءً أحوى يقول :  
هشيماً متغيراً . وكذا ذهب إلى اختياره ابن جرير وقال فى الأول : إنه ولن كان  
غير مد فوع لكنه غير صواب عندى ، ثم علل بنحو ما تقدم عن النحاس .

والغشاء : هو ما حمله السيل من النبات اليابس ، والحشيش (١) . والطفاح (٢) :  
ما ألقاه القدر من الزبد ، والأحوى : الأسود ، والحوة : السواد ، وإنما سماه (٤)  
أحوى لأن كل أخضر يضرب إلى السواد إذا اشتدت خضرته . (٥)

(١) قال الراغب الأصفهاني في المفردات (ص ٣٥٨) : " الغشاء : غشاء السيل والقدر ،  
وهو ما يطفح ويتفرق من النبات اليابس وزبد القدر ، ويضرب به المثل فيما  
يضيق ويذهب غير معتد به .

وقال الجوهري في الصحاح (٦/٢٤٤٣) : " والغشاء بالضم والمد : ما يحمله  
السيل من القماش ، وكذلك الغشاء بالتشديد ، والجمع الأغشاء . وذكر نحوه  
ابن منظور أيضا في لسان العرب (١١٦/١٥) وقال أيضا : الغشاء بالمد والضم  
: ما يجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره .

(٢) في النسختين (الطفاط) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته .  
(٣) هو من طفح الإيناء والنهر يطفح طفحا وطفوحا : امتلا وارتفع حتى يفيض ، والطفاحة :  
زبد القدر وكل ما علا . انظر لسان العرب (٢/٥٣٠) .

(٤) قال الغراء في معاني القرآن (٣/٢٥٦) : " والأحوى : الذي قد اسود عن  
العتق " وقال ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (ص ٥٢٤) " (أحوى) : أسود  
من قدمه واحتراقه . " وقال الجوهري في الصحاح (٦/٢٣٢٢) : " والحوة :  
لون يخالط الكتنة ، مثل صدأ الحديد ، وقال الأضمرى : الحوة : حمرة  
تنضرب إلى السواد " . وقال ابن منظور في لسان العرب (١٤/٢٠٦) : " الحوة :  
سواد إلى الخضرة ، وقيل : حمرة تضرب إلى السواد " .

(٥) قال القرطبي في تفسيره (٢٠/١٧) : " والأحوى : الأسود أي أن النباتات  
يضرب إلى الحوة من شدة الخضرة كالأسود " .  
وقال ابن منظور في لسان العرب (١٤/٢٠٧) : " وجميم أحوى : يضرب إلى  
السواد من شدة خضرته ، وهو أنعم ما يكون من النبات ، قال ابن الأعرابي : هو  
ما يباليقون به . وأما معنى الآية على القول بأن (أحوى) حال من  
(المرعى) فقال أبو حيان في البحر المحيطة (٨/٤٥٨) : " أي أخرج المرعى  
أحوى أي للسواد من شدة خضرته ونضارته لكثرة ريشه " .

وأما معناها على القول بأنه صفة ( غشاء ) فقال أبو حيان : قال ابن عباس :  
المعنى : جعله غشاء أحوى : أي أسود لأن الغشاء إذا قدم وأصابته الأمطار  
أسود وتعتفن فصار أحوى " .

وذكر القرطبي في تفسيره (٢٠/١٨) عن عبد الرحمن بن زيد أنه قال :  
" أخرج المرعى أخضر ، ثم لما يبس اسود من احتراقه ، فصار غشاء تذهب به  
الرياح والسيول ، وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار ، لذهاب الدنيا بعد نضارتها " .  
وروى عن عبد الرحمن بن زيد هذا الكلام دون الجملة الأخيرة ابن جرير في تفسيره  
(٣/١٥٣) . وأما الجملة الأخيرة ( وهو مثل ضربه الله . . . الخ ) فقد ذكرها  
الماوردي في تفسيره (٤/٤٣٩) عن قتادة .



قال ذو الرمة (١) :  
 لَمِيًّا (٢) فِي شَفِيئِهَا حَوْهٌ لَمَسٌ (٣) وَفِي اللَّثَاتِ (٤) وَفِي أَثْيَابِهَا شَنْبٌ (٥) ،  
 ويقال : أَخْرَجَ المَرعى . أَخْضَرُو شَمَ جَعَلَهُ أَحْوَى شَمَ جَعَلَهُ غَشًّا (٦) .

(١) هو ذو الرمة غيلان بن عقبة بن بهيس ، مضى النسب من فحول الشعراء .  
 قال ابن سلام : كان علما ونا يقولون : أَحْسَنُ الجَاهِلِيَّةِ تَشْبِيهاً امْرُؤُ القَيْسِ  
 وَأَحْسَنُ أَهْلِ الإِسْلامِ تَشْبِيهاً ذُو الرِّمَّةِ ، وقال أيضا كان ذُو الرِّمَّةِ من جَرِيْر  
 والفَرَزْدَقِ بمنزلة قَتادة مِنَ الحَمَسِ وابْنِ سِيرين ، وكان يروى عنهما وعن الصحابة  
 ، وكذلك ذُو الرمة ، هو ذُونَهُما وَيَسَّوِيَهُما فِي بَعْضِ شِعْرِهِ " وقال :  
 ولم يكن له حظٌ فِي الهِجاءِ وكان مُغْلِباً ، ومات بأصْبهانَ كَهَلًا سَنَةَ سَبْعِ  
 عَشْرَةَ وَمِائَةَ .

انظر طبقات فحول الشعراء (٢/٥٤٩ - ٥٧٠) وسير أعلام النبلاء (٢٦٧/٥)

(٢) هو من اللَّسَى : مقصور : سُمْرَةُ الشَّفِيئِ وَاللَّثَاتِ يُسْتَحْسَنُ ، وقيل : شَرْبَةُ  
 سَوادٍ ، وقد لَمِيَ لَمِيًّا ، وقيل : يَلْمِي لَمِيًّا : إِذا اسْوَدَّتْ شَفْتَهُ ، وقيل :  
 اللَّمِياءُ مِنَ الشَّفاهِ : اللَّطِيْفَةُ القَلِيلَةُ الدَّمِ .

لسان العرب (١٥/٢٥٨) .

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب (٦/٢٠٧) " اللَّسَسُ : سَوادُ اللَّثَّةِ  
 وَالشَّفَّةِ ، وقيل : اللَّسَسُ وَاللُّسَّةُ سَوادٌ يعلو شَفَةَ المِراةِ البِياضِ " .

(٤) هو جمع لثة : واللثة : مَخارجُ الأَسنانِ ، وقيل : مَواكِرُ الأَسنانِ ، وقيل :  
 مَفْرِزِ الأَسنانِ .

انظر لسان العرب ١٥/٢٤١ .

(٥) قال ابن منظور في لسان العرب (١/٥٠٦) " الشَّنْبُ : ماءٌ وَرِقَّةٌ يَجْرِي عَلى  
 الشَّفْرِ ، وقيل : رِقَّةٌ وَرَدٌّ وَعَدْوِيَّةٌ فِي الأَسنانِ ، وقيل : الشَّنْبُ : نَقَطٌ  
 بَياضٌ فِي الأَسنانِ ، وقيل : هو حَدَّةُ الأَثيابِ كَالفَرَبِ ، والبِيتُ فِي دِيبانِ  
 ذِي الرمة (ص ٩) . وَأَنشده القُرطبي فِي تَفْسيرِهِ (٢٠/١٧) وَعزاهُ إِلى الأَعْشى  
 وهو خطأ . وَأَنشده ابنُ مَظْوَورِ فِي مواضع عديدة من لسان العرب (١/٢٠٧) ،  
 (٦/٢٠٧، ١٤/٢٠٧) وَفِي الجَمِيعِ نَسبُهُ إِلى ذِي الرُّمَّةِ .

(٦) لم أجد من ذكر هذا القول ، سوى ما تقدم نقله عن بعض المفسرين وهو أن (أحوى)  
 نعت لـ " غشا " ، أى صار بعد الخضرة يابسا فتغير الى السواد ،  
 وتقدم أن ابن جرير والنحاس اختارا هذا القول .

قوله ( سَنُقَرِّكَ فَلَا تَنْسَى ) ذكر أبي (١) يحتج برواية عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ عليه جبريل سورة من القرآن فيحرك شفثيه بقراءتها ، مخافة أن ينفلت منه فانزل الله تعالى قوله ( سَنُقَرِّكَ فَلَا تَنْسَى ) . والمعنى : إنك كفيت النسيان فلم ينس بعد ذلك . (٢) (٣) (٤)

( ١ ) هو القاضي أبو منصور محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر السمعاني التميمي ، قال فيه أبو سعد السمعاني : كان إماماً فاضلاً ورعاً متقناً ، أحكم العربية واللفظة ، ووصف فيها التصانيف المفيدة ، توفي سنة خمسين وأربعمائة . انظر الأنساب ( ٢٢٢/٧ ) ومعجم المؤلفين ( ١٠/١٢٥ ) .

( ٢ ) روى الطبراني في المعجم الكبير ( ١٢٠/١٢ ) ، رقم ( ١٢٦٤٩ ) بسنده عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل عليه السلام بالوحي لم يفرغ حتى يزمل من الوحي يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بأوله مخافة أن يفشى عليه ، فقال له جبريل : لِمَ تفعل ذلك ؟ قال : مخافة أن أنسى ، فانزل الله عز وجل ( سنقرئك فلا تنسى ) .

وفي الإسناد جوير ، وهو ضعيف . انظر مجمع الزوائد ( ١٣٦/٧ ) وقد روى البخاري في صحيحه - كتاب بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي ( ٢٩/١ رقم ٥ ) بسند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ( لا تحرك به لسانك لتعجل به ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفثيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركهم ما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهم ، وقال سعيد : أنا أحركهم كما رأيت ابن عباس يحركهم - فحرك شفثيه - فانزل الله تعالى ( لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ) قال : جمعه لك في صدرك ، وتقرأه ( فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ) قال : فاستمع له وأنصت ( ثم إن علينا بيانه ) ثم إن علينا أن نتناه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه . وذكر البغوي في تفسيره ( ٢٣٥/٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٨/٢٠ ) عن مجاهد والكبي أنهما قالا : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالوحي ، لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها ، فانزل الله ( سنقرئك فلا تنسى ، فلم ينس بعد ذلك شيئاً ، وقد روى ابن جرير في تفسيره ( ١٥٤/٣٠ ) نحوه عن مجاهد ، انظر أيضا تفسير مجاهد ( ٧٥٢/٢ ) .

( ٣ ) في نسخة " ب " ( فلا تنس ) ، والصواب ما في الأصل .

( ٤ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٣٥/٧ ) ( سنقرئك ) سنعلمك بقراءة جبريل عليك . وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٨٩/٩ ) " قال مقاتل :

٠٠/٠٠

سنعلمك القرآن ونجمعه في قلبك فلا تنساه أبداً " . وذكر ابن جرير في تفسيره ( ١٥٤/٣٠ ) والماورد في تفسيره ( ٤٣٩/٤ ) في معنى الآية قولين : أحدهما : أنه اخبار من الله تعالى أنه لا ينسى ما يقرئه من القرآن ، فهو في معنى قوله ( لا تنسى ) به لسانك لتعجل به ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ) سورة القيامة الآية ١٧ ، والثاني : أن معنى قوله : ( فلا تنسى ) أي : فلا تترك العمل إلا ماشاء الله أن يترخص لك فيه ، فعلى هذا التأويل يكون هذا نهياً عن الترك ، ذكره المؤلف أيضاً كما سيأتى قريباً ، وقد ذكر القولين أبوحيان أيضاً في البحر المحیط ( ٤٥٨/٨ ) وعزا القول الأول إلى الحسن وقتادة ومالك ، وقال : وهذه آية للرسول صلى الله عليه وسلم في أنه أمى وحفظ الله عليه الوحي وأمنه من نسيانه " .

ثم ذكر القول الثاني فقال : وقيل : هذا وعد بإقراء السور وأمر أن لا ينسى على معنى التثبيت والتأكيد ، وقد علم أن النسيان ليس في قدرته ، فهو نهى عن إغفال التعاهد وشبهت الألف في ( فلا تنسى ) وإن كان مجزوماً بلا التي للنهي لتعديل روهوس الآي " .

واختار ابن جرير من القولين اللذين ذكرهما القول الأول وهو أنه اخبار من الله تعالى أنه لا ينسى ما يقرئه من القرآن وذلك لأنه أظهر . انظر تفسيره ( ١٥٤/٣٠ ) . وضعف أبوحيان القول الثاني فقال : وهذا قول ضعيف ومفهوم الآية في غاية الظهور وقد تعسفوا في فهمها ، والمعنى أنه تعالى أخبره أنه سيقرئه وأنه لا ينسى إلا ماشاء الله فإنه ينساه إما للنسخ وإما أن يسن وإما على أن يتذكر وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من النسيان فيما أمر بتبليغه فإن وقع نسيان فيكون على وجه من الوجوه الثلاثة " انظر البحر المحیط ( ٤٥٩/٨ ) .

فالصواب أنه خبر ليس بنهي ولا يجوز أن ينهى إنسان عن أن ينسى ، لأن النسيان ليس إليه . وأيضا الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى القول بالنهي لا يبقى فيها هذا الإعجاز .

انظر اعراب القرآن ( ٦٨٠/٣ ) وتفسير الرازي ( ١٤١/٣١ ) وتفسير القرطبي ( ١٩/٣٠ ) .

وقوله (إلا ماشاء الله) يعنى إلا ماشاء الله أن ينساه . والمراد منه نسخ التلاوة<sup>(١)</sup> ، وقيل : النسيان ههنا بمعنى الترك . أى لا يترك إلا ماشاء الله أن يترك بالنسخ<sup>(٢)</sup> .

(١) اختلف المفسرون فى الإستثناء فى هذه الآية على قولين . أحدهما :

أن هذا الإستثناء على الحقيقة وأنه مقصود .

والثانى : أنه ليس على الحقيقة ، بل هو صلة فى الكلام . ذكر القولين الرازى فى تفسيره (١٤٢-١٤١/٣١) والخازن فى تفسيره (٢٣٥/٧) وأبوحيان فى البحر المحيط (٤٥٨/٨-٤٥٩) ثم ذكر على كل قول من هذين القولين عدة أوجه .

منها هذا الذى ذكره المؤلف ، وقد ذكر هذا الوجه أيضا ابن جريسر فى تفسيره (١٥٤/٣٠) فقال : معنى الإستثناء فى هذا الموضع على النسيان ، ومعنى الكلام : فلا تنسى إلا ماشاء الله أن تنساه ولا تذكره ، قالوا : ذلك هو مانسخه الله من القرآن فرفع حكمه وتلاوته \* وذكره الماوردى فى تفسيره (٤٣٩/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩٠/٩) وأبوحيان فى البحر المحيط (٤٥٨/٨) ، من قول الحسن وقتادة .

وذكره الرازى فى تفسيره (١٤٢/٣١) عن مقاتل . قال : " قال مقاتل :  
إلا ماشاء الله أن ينسبه ، ويكون المراد من الإنسائه ههنا نسخه ، كما قال ( ما ننسخ  
من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ) سورة البقرة الآية ١٠٦ - انظر  
أيضا اعراب القرآن للنحاس (٦٨٠/٣) وتفسير البغوى والخازن (٢٣٥/٧) ،  
وتفسير القرطبى (١٩/٢٠) .

(٢) ذكر هذا الوجه أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٦٨٠/٣) قال : لست  
تترك شيئا مما أمرك الله به إلا ماشاء الله جل وعز أن ينسخه فيأمرك بتركه فتتركه\*  
وذكره أيضا مكى بن أبى طالب فى مشكل اعراب القرآن ٤٧١/٢ والقرطبى فى  
تفسيره (١٩/٢٠) وأبوحيان فى البحر المحيط (٤٥٩/٨) . وقال القرطبى :  
قيل : النسيان بمعنى الترك ، أى يمضك من أن تترك العمل به إلا ماشاء الله  
أن تتركه لنسخه إياه فهذا فى نسخ العمل ، والأول فى نسخ القراءة\* .

.. / ..

وذكر الرازي في تفسيره ( ١٤٢/٣١ ) وجهين آخرين :  
 أحدهما عن الزجاج أنه قال : إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْسِيَ فَإِنَّهُ يَنْسِي ثُمَّ يَتَذَكَّرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِذَا قَدْ يَنْسَى وَلَكِنَّهُ يَتَذَكَّرُ فَلَا يَنْسَى نَسْيَانًا كَلِيًّا دَائِمًا ، روى أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة ، فحسب أبي أنها نسخت فساله فقال : نسيها . وذكر هذا الوجه القرطبي في تفسيره ( ١٩/٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٩/٨ ) والخازن في تفسيره ( ٢٣٥/٧ ) .

والثاني : أن يكون معنى قوله ( إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ) القلة والندرة ويشترط أن لا يكون ذلك القليل من واجبات الشرع ، بل من الآداب والسنن ، فإنه لو نسي شيئاً من الواجبات ولم يتذكره أدى ذلك إلى الخلل في الشرع وإنه غير جائز هذا وقد ذكر أبو جعفر النحاس في أعراب القرآن ( ٦٨٠/٣ ) وجهاً آخر وهو أن المعنى : نسي إلا ما شاء الله مما يلحق آدميين .

كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٨/٨ ) عن ابن عباس وجهاً آخر فقال : قال ابن عباس : إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْسِيَكَ لِتَسْنَ بِهِ عَلِيٌّ نحو قوله عليه الصلاة والسلام : "إِنِّي لَأَنْسِي لَأَنْسَى ، وَأَنْسَى لَأَسْنَ" .

وعن بعضهم : أن قوله (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) ذكر مشيخته علي التعلیم حتى يقرب لفظ المشيئة بجميع أقواله - مثل قوله ( لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ) (١) وقد قال (٢) (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) يعني أن تنسى (٣) ولم يشاء ، مثل قوله تعالى (خالد بن فيها مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) (٤) ولم / يشاء ذكره ابن فارس . (٥)

ب/٣٢٨

## (١) سورة الفتح الآية ٢٧ .

وقد ذكر الرازي على القول الثاني (يعني أن الإستثناء ليس على الحقيقة) ثلاثة أوجه .

أحد ها : أن الفروض من قوله (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) التبرك بذكر هذه الكلمة على ما قال تعالى ( وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ شَيْءٌ : إِنْى فَاعِلٌ ذَلِكْ عَدَا ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) سورة الكهف الآية ٢٣ . وكأنه تعالى يقول : أنا مع أنى عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقبها أمور على التفصيل ، لا أخبر عن وقوع شىء في المستقبل إلا مع هذه الكلمة ، فأنت وأمتك يا محمد أولى بها " فهذا الذى ذكره الرازي يقرب مما حكاه المؤلف .

انظر تفسير الرازي ١٤٢/٣١ .

(٢) كذا في النسختين ، ولعل العبارة وقع فيها سقط ، فلو كانت العبارة هكذا ، ( وقد قال بعضهم ) لاستقام المعنى .

(٣) في النسختين ( أن تنسى ) والصواب ما أثبتته ، وكذا هو في زاد المسير .

## (٤) سورة هود الآية ١٠٧ .

(٥) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الغزويني ، المعروف بالرازي المالكي اللغوي ، نزيل همدان ، قال فيه الذهبي : وكان رأساً في الأدب بصيراً بفقهاء مالك ، مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق ، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر ، وله مصنعات ورسائل وتخرج به أئمة .

وقال أيضا : وكان من رؤوس أهل السنة المجرّد بين على مذهب أهل الحديث . وله من التصانيف : جامع التأويل في تفسير القرآن { مجلدات وكتاب المنجمل في اللفظة ومعجم مقاييس اللفظة " توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وهو أصح ما قيل في وفاته ، انظر سير أعلام النبلاء (١٧/١٠٣-١٠٦) وطبقات المفسرين (١/٦٠-٦١) وأما هذا الوجه فلم أجد من ذكره عنه . وهو قول الفراء أيضا في معاني القرآن (٣/٢٥٦) وذكره ابن جرير في تفسيره (٣٠/٥٤) وقال : وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك " ثم ذكره ، وذكره النحاس في اعراب القرآن (٣/٦٨٠) ، ومكي بن أبي طالب في مشكل اعراب القرآن (٢/٤٧١) والرازي في تفسيره (٣١/١٤٢) والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٨) وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٥٩) بألفاظ مختلفة ، وكلهم ذكروه من قول الفراء . قال أبو حيان : وقال الفراء وجماعة : هذا استثناء صلة في الكلام على سنة الله في الإستثناء وليس ثم شىء أبيض استثناء .

.../...

وأخذ الزمخشري هذا القول ، فقال : وقال : ( إلا ماشاء الله ) والفرض نفى النسيان رأساً كما يقول الرجل لصاحبه : أنت سهيبي فيما أملك إلا ماشاء الله ، ولا يقصد استثناء شئ ، وهو من استعمال القلة في معنى النفي . ثم أنكسر هذا القول فقال : وقول الفرما والزمخشري يجعل الاستثناء كلاً استثناء ، وهذا لا ينبغي أن يكون في كلام الله تعالى ولا في كلام فصيح .

وقول أبي حيان بأن الزمخشري أخذ هذا القول فيه نظر ، لأنه لم يذكر شيئاً يدل على تسنكه بهذا القول ، وإنما ذكره كغيره من المفسرين ضمن أقوال أربعة ، ولم ينصر أحد هذه الأقول ، سوى أنه قدم القول بأن المراد رفع حكمه وتلاوته ، وهو كقوله تعالى ( أو ننسها ) على غيره من الأقوال مما يدل على أنه هو الراجح عنده دون غيره .

وذكر الرازي في تفسيره ( ١٤٢ / ٣١ ) على القول بأن الاستثناء في الآية غير مقصود وجهاً ثالثاً وهو أنه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي قليلاً كان أو كثيراً أن يكون ذلك هو المستثنى ، فلا جرم كان يبالغ في التثبيت والتحفظ والتيقظ في جميع المواضع ، فكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاءه عليه السلام على التيقظ في جميع الأحوال ، وهناك قولان آخران موداهما أن الاستثناء غير واقع على النسيان ، أحد هذين القولين هو أن المعنى : فجعله غشاً أحوى إلا ماشاء الله ، أن يناله بنو آدم والبهائم فإنه لا يصير كذلك ذكره النحاس في اعراب القرآن ( ٦٨٠ / ٣ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٠ ) .

والقول الثاني : معناه إلا ماشاء الله أن يؤخر إنزاله ، ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٣٩ / ٤ ) وقال : حكاه ابن عيسى ، وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٠ ) ، هذه هي الأقوال والأوجه التي ذكرها المفسرون في تفسير الآية ، وأما الراجح منها فقد توقف النحاس فيها وقال بعد أن سرد أربعة منها : والله أعلم بمسارده . انظر اعراب القرآن ( ٦٨٠ / ٣ ) .

وذهب ابن جريو في تفسيره ( ١٥٤ / ٣٠ ) إلى اختيار القول بأن المعنى : فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيك بنسخه ورفع ، وعمله بأنه أظهر المعاني . وكذا ذهب إلى اختياره أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٥٩ / ٨ ) ووصفه بأنه في غاية الظهور ، كما وصف غيره من الأقوال بأنه تعسف ، إلا أنه صرح بأن النسيان يكون على وجه من هذه الوجوه الثلاثة ، إما النسخ ، وإما أن يسن ، وإما على أن يتذكر .

وقوله ( إنه يعلم الجهر وما يخفى ) أي السر والمعلن<sup>(١)</sup> . ويقال :  
ما في القلب ، وما على اللسان<sup>(٢)</sup> .

وقوله ( ونيسرك لليسرى ) اليسرى فعلى من اليسر ، ومعناه : الأيسر

( ١ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ١٥٤ / ٣٠ ) عند هذه الآية : ( إن الله يعلم  
الجهر يا محمد من علمك ما أظهرته وأعلنته وما يخفى منه فلم تظهره مع كتمته -  
يقول : هو يعلم جميع أعمالك سرها وعلايتها .  
وقال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٣٥ / ٧ ) : " ( إنه يعلم الجهر )  
يعنى من القول والفعل ( وما يخفى ) منهما والمعنى أنه يعلم السروالعلائية ."  
وقال القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٠ ) : " ( إنه يعلم الجهر ) أي الإعلان من  
القول والعمل ( وما يخفى ) من السر ."

( ٢ ) لم أجد من ذكر هذا القول ، سوى أن القرطبي ذكر في تفسيره ( ١٩ / ٢٠ ) عن  
ابن عباس أنه قال في تفسير قوله ( وما يخفى ) : " ما في قلبك ونفسك . " وذكر  
الماوردي في تفسيره ( ٤٣٩ / ٤ ) أربعة تأويلات في الآية . أحدها : أن الجهر  
ما حفظته من القرآن في صدرك ، وما يخفى هو ما نسخ من حفظك . هذا التأويل  
ذكره القرطبي أيضا في تفسيره ( ٤٣٩ / ٤ ) .

الثاني : أن الجهر ما علمه ، وما يخفى ما يستعمله من بعد ، قاله ابن عباس .  
الثالث : أن الجهر ما قد أظهره ، وما يخفى ما تركه من الطاعات . وذكر الزمخشري  
في الكشاف ( ٧٣٩ / ٤ ) في معنى الآية وجهين أحدهما : يعنى أنك تجهرو  
بالقراءة مع قراءة جبريك عليه السلام مخافة التلذذ ، والله يعلم جهرك معه وما فسى  
نفسك مما يدعوك إلى الجهر ، فلا تفعل ، فأنا الكفيل ما تخافه . " وذكر هذا  
الوجه أبوحيان أيضا في البحر المحيط ( ٣٤٥٩ / ٨ ) وقال : إن ذلك يتضمن  
إحاطة علمه بالأشياء . "

الوجه الثاني : يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن  
من أحوالكم ، وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه ، فينسى من الوحي ما يشاء  
ويترك محفوظاً ما يشاء . وذكر القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٢٠ ) وجهاً آخر عن محمد  
ابن حاتم ، وهو أنه يعلم إعلان الصدقة وإخفائها . " وكل هذه الأوجه يمكن أن تكون  
مرادة ، ولكن السياق يؤيد أن المراد بالجهر جهر النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن  
وما يخفى أي في نفسه من خوف التلذذ ، وذهب النحاس إلى أن الآية عامسة إن  
فسرها بقوله ( إنه يعلم الجهر ) أي : ما ظهر ووطن ( وما يخفى ) ما كتم وسترأى : فلا  
تعطوا بمعاصيه فإنه يعلم ما ظهر وما بطن . "



من الأ<sup>(١)</sup> مور . وقوله ( فذكر إن نفعت الذكرى ) فإن قال قائل : كيف قال (إن نفعت الذكرى) . وهو مأثور بالتذكير على العموم نفعت أولم تنفع ؟ .

والجواب من وجين : أحدهما : أن معنى قوله ( إن نفعت الذكرى ) إن نفعت الذكرى مثل قوله تعالى ( وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ )<sup>(٢)</sup> ومعناه إن كنتم مؤمنين .<sup>(٣)</sup>

(١) قال ابن جريو في تفسيره (١٥٥/٣٠) عند هذه الآية : ( يقول تعالى ذكره : ونسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليسرى ، واليسرى : هو الفعلى من اليسر " وقد ذكر غيره من المفسرين في معنى الآية عدة أوجه : أحدها : أن قوله ( ونيسرك ) معطوف على ( سنقرئك ) وأما بينهما فهو اعتراض ، ومعناه : " ونوفئك للطريقة التى هى أسهل وأيسر يعنى فى حفظ القرآن . والثانى : قال ابن مسعود : اليسرى الجنة ، والمعنى : نيسرك للمملى المؤدى إليها ، وذكره البغوى عن مقاتل . والثالث : نوفئك للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع وأسهلها مأخذاً ، وهو معنى قول الضحاك . والرابع : قال ابن عباس : نيسرك لأن تعمل خيراً " والأقرب إلى الصواب هو الوجه الأول كما صرح به الرازى .

انظر تفسير الماوردى (٤٣٩/٤) وتفسير البغوى والخازن (٢٣٥/٧) ، والكشاف (٧٣٩/٤) وتفسير القرطبي (١٩/٢٠) والبحر المحييط (٤٥٩/٨) .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٥ .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٠) قال : " وذكر بعض أهل العربية : أن (إن) بمعنى (إن) أى إن نفعت ، كقوله تعالى ( وأنتم الأطلون إن كنتم مؤمنين ) ( سورة آل عمران الآية ١٣٩ ) .

وذكره أبوحيان أيضاً في البحر المحييط (٤٥٩/٨) قال : " وقيل : ( إن ) بمعنى إن ، كقوله تعالى ( وأنتم الأطلون إن كنتم مؤمنين ) أى إن كنتم ، لأنه لم يخير بكونهم الأطلون إلا بعد إيمانهم " .

وذكره الألبانى في روح المعانى (١٠٨/٣٠) واستدل أيضاً بقوله صلى الله عليه وسلم فى زيارة أهل القبور : " ولنا إن شاء الله بكل حقون " . وقال : وأثبت هذا المعنى لها الكوفيون بإحتجاجاً بما ذكر ونظائره " .

والوجه الثاني : ذكر لكل حال فقد نفعت الذكرى فهو تعليق بمتحقق ،  
والمعنى : ان نفعت ، وقد نفعت .<sup>(١)</sup>

قوله تعالى ( سيدكر من يخشى ) يقال : نزل هذا في عبد الله بن أم مكتوم .<sup>(٢)</sup>

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩٠/٩) عن مقاتل . قال : إنها بمعنى " قد " فتقد يوه : قد نفعت الذكرى ، قاله مقاتل ، وأشار إليه القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٠) وذكره الألويسي في روح المعاني (١٠٨/٣٠) وقال : " وقد قال بهذا المعنى قطرب " . هذا وقد ذكرت في الآية تأويلات أخرى .  
أحدها : أن ( إن ) شرطية ، وفي معنى الكلام قولان . أحدهما : إن قبلت الذكرى . ذكره الماوردي في تفسيره (٤٣٩/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٩٠/٩) وقال الماوردي : وهو معنى قول يحيى بن سلام ، وقال ابن الجوزي : قاله يحيى بن سلام .

والقول الثاني : إن نفعت وإن لم تنفع ، فاقصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني ، وهو كقوله تعالى " سراويل تقيمكم الحر " سورة النحل الآية (٨١) ، ذكره النحاس في اعراب القرآن (٦٨١/٣) والبغوي والخازن في تفسيرهما (٢٣٥//٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٩٠/٩) وعزاه إلى علي بن أحمد النيسابوري .

وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٠) من قول الجرجاني وأبوحيان في البحر المحيط (٤٥٩/٨) وعزاه إلى الفراء والنحاس والزهراوي والجرجاني ، والثاني : أن ( إن ) بمعنى ( ما ) أي : فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ( إن ) بمعنى ما ، لا بمعنى الشرط ، لأن الذكرى نافعة بكل حال . ذكره النحاس في اعراب القرآن (٦٨١/٣) والماوردي في تفسيره (٤٣٩ - ٤٤٠) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢٠) وعزاه الأخير إلى ابن شجرة .

والثالث : إنه مخصوص بأقوام بأعيانهم ، ذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٠) دون عزو إلى أحد ، والرابع : قال أبوحيان في البحر المحيط (٤٥٩/٨) ، " والظاهر أن الأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى ، وهذا الشرط إنما جيء به توبيخاً لقريش أي : إن نفعت الذكرى في هؤلاء الطفلة المتاة ، ومعناه : استبعاد انتفاعهم بالذكرى " ويبدو لي أن هذا الصواب .

(٢) ذكره الرازي في تفسيره (١٤٥/٣١) كما ذكر أنه قيل إنها نزلت في عثمان بن عفان وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٠) قال : روى أبو صالح عن ابن عباس قال : نزلت في ابن أم مكتوم .  
وذكر النحاس في اعراب القرآن (٦٨١/٣) عن الحسين بن واقد أنها نزلت في أبي بكر الصديق .

وقيل : هو على العموم ، والمعنى : من يخشى الله . ( ١ )

وقوله ( ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ) يقال هو الوليد بن المغيرة ،  
وعتبه بن ربيعة<sup>(٢)</sup> ،

وقوله : ( يصلى النار الكبرى ) أى يدخل النار الكبرى . ( ٤ )

( ١ ) هو الأصح ، فإن أكثر المفسرين لم يذكروا أنها نزلت فى ابن أم مكتوم أو أبى بكر الصديق  
مما يدل على أنها عامة تشمل ابن أم مكتوم وأبا بكر وغيرهما ممن تنطبق عليه الآية الكريمة .

( ٢ ) قال الماوردى فى تفسيره ( ٤٤٠ / ٤ ) : يعنى : يخشى الله ، وقد يتذكر من يوجه  
إلا أن تذكرة الخاشى أبلغ من تذكرة الراجى ، فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء ،  
ولأن تعلقت بالخشية والرجاء .

( ٣ ) ذكره أبو جعفر النحاس فى اغراب القرآن ( ٦٨١ / ٣ ) وزاد أميئبن خلف أيضا .  
وذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٧٤٠ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ٤٦٠ / ٣١ ) والقوطبى  
فى تفسيره ( ٢٠ / ٢١ ) ولم يذكروا أمية بن خلف ، إلا أن الرازى ذكر أبى ، وقال :  
وأنت تعلم أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وأما الأشقى فقال الماوردى فى تفسيره ( ٤٤٠ / ٤ ) " الكافر الذى قد صار  
بكفره شقياً " .

وكذا فسر الزمخشري فى الكشاف ( ٤٧٠ / ٤ ) بالكافر ، قال : " ( الأشقى )  
الكافر : لأنه أشقى من الفاسق ، أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

وقال أبو حيان فى البحر المحيطة ( ٤٥٩ / ٨ ) :  
" ( الأشقى ) أى المبالغ فى الشقاوة لأن الكافر برسول الله صلى الله عليه  
وسلم هو أشقى الكفار كما أن المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممن آمن برسول  
قبله .

وذكر الأکوسى فى روح المعانى ( ١٠٨ / ٣٠ ) هذه الأقوال وقال : والأوجه  
عندى هو أنه الكافر المصر على إنكار المعاد ونحوه ، الجازم بنفى ذلك مما يقتضى  
الخشية بوجه وهو أشقى أنواع الكفرة " وهو يبدو لي أيضا أنه أرجح .

( ٤ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٥٥ / ٣٠ ) وقوله ( الذى يصلى النار الكبرى ) يقول الذى

يورد نار جهنم وهى الكبرى ويعنى بالكبرى لشدة الحر والألم " .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : هو الطبقة الأسفل من جهنم . (١)

وقوله : ( ثم لا يموت فيها ولا يحيى ) أى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة فيها  
راحة ، ويقال : لا يموت ولا يجد روح الحياة . (٢) (٣) (٤)

(١) لم أجد هذه الرواية عند غير المؤلف ، وهو قول الفراء أيضا ، فإنه قال فى معانى القرآن (٢٥٦/٣) : " هى السفلى من أطباق النار " . وذكره أبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٦٨١/٣) والقرطبي فى تفسيره (٢١/٢٠) وأبو حيان فى البحر المحيطة (٤٥٩/٨) وقال الماوردي فى تفسيره (٤٤٠/٤) : " الكبرى نار الكفار فى الطبقة السفلى من جهنم ، والصفرى نار المذنبين فى الطبقة العليا من جهنم وهو معنى قول الفراء " وذكره الزمخشري فى الكشاف (٧٤٠/٤) والرازي فى تفسيره (١٤٦/٣١) دون عزو إلى أحد . وذكر عن بعض أئمة التفسير أن الكبرى : نار جهنم والصفرى نار الدنيا ، وهو مروى عن الحسن ويحيى بن سلام انظر تفسير الماوردي (٤٤٠/٤) وتفسير القرطبي (٢١/٢٠) وانظر أيضا الكشاف (٧٤٠/٤) وتفسير الرازي (١٤٥/٣١) والبحر المحيطة (٤٥٩/٨) .  
وذكر الرازي وأبو حيان قولاً آخر وهو أن فى الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة كما أن فى الدنيا دنوباً ومعاصي متفاضلة ، وكما أن الكافر اشقى العصاة كذلك يصلى أعظم النيران وهذا هو الأنسب كما يبدو لى .

(٢) ذكره ابن جرير فى تفسيره (١٥٥/٣٠) . والنحاس فى اعراب القرآن (٦٨١/٣) والبغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٣٥/٧) والزمخشري فى الكشاف (٧٤٠/٤) ، وابن الجوزي فى زاد المسير (٩١/٩) والقرطبي فى تفسيره (٢١/٢٠) وقالوا : " وقيل : لا يموت فيها فيستريح ، ولا يحيى حياة تنفخه " وقال الماوردي فى تفسيره (٤٤٠/٤) : " لأنه يعذب لا يستريح ولا ينتفع بالحياة " .

(٣) فى نسخة " ب " فقال : ( فيموت ولا يموت ولا يجد راحة بالصواب ما فى الأصل .

(٤) ذكره الماوردي فى تفسيره (٤٤٠/٤) قال : " لا يموت ولا يجد روح الحياة ، ذكره ابن عيسى وقال ابن جرير فى تفسيره (١٥٥/٣٠) : ( ثم لا يموت فى النار الكبرى ولا يحيى ، وذلك أن نفس أحد هم تصير فيها فى حلقه ، فلا تخرج فتفارقه فيموت ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحى " .

ذكره ابن الجوزي فى زاد المسير (٩١/٩) عن ابن جرير ، وأبو جعفر النحاس فى اعراب القرآن (٦٨١/٣) والرازي فى تفسيره (١٤٦/٣١) وقال ابن جرير أيضا : وقال آخرون : قيل ذلك لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع فسى شدة شديدة ، قالوا : لاهو حي ، ولا هو ميت ، فحاطبهم الله بالذى جرى به ذلك من كلامهم " وذكره النحاس أيضا .

قوله تعالى ( قد أفلح من تزكى ) أى تطهر بالعمل الصالح<sup>(١)</sup> . ويقال :  
 فلان تزكى بقول : لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup> .  
 وقال سعيد بن جبيرة : آمن ووحد ربه<sup>(٣)</sup> .  
 وعن عطاء : أى أعطى زكاة ماله<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) روى عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١ / ١٧١ ) عن معمر عن قتادة فى قوله ( قد أفلح من تزكى ) قال : بعمل صالح " وذكره القرطبي فى تفسيره ( ٢٠ / ٢١ ) والسيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٣٣٩ ) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وقال ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ١٥٥ ) فى تفسير الآية : " يقوله تعالى ذكره : قد نجح وأدرك طلبته من تطهر من الكفر ومعاصى الله ، وعمل بما أمره الله به ، وأدى فرائضه ، ثم روى بعد ذلك عن ابن عباس أنه قال : من تزكى من الشرك " وقال البغوى فى تفسيره ( ٧ / ٢٣٥ ) : " ( قد أفلح من تزكى ) تطهر من الشرك ، وقال : لا إله إلا الله . هذا قول عطاء وعكرمة ورواية الوالبي وسعيد ابن جبيرة عن ابن عباس " وذكره أبو حيان فى البحر المحيط ( ٨ / ٤٦٠ ) وعزاه إلى ابن عباس ، وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٤٤٠ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٩١ ) بلفظ : " من تطهر من الشرك بالإيمان " من قول ابن عباس وذكره القرطبي أيضا فى تفسيره ( ٢٠ / ٢١ ) بهذا اللفظ وعزاه إلى ابن عباس وعطاء وعكرمة . وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٧٤٠ ) " تزكى : تطهر من الشرك والمعاصى ، أو تطهر للصلاة " .

( ٢ ) روى البيهقى فى الأسماء والصفات ( ٣٣ - ١٣٤ ) بسنده عن عبد الله بن مهران عن حفص بن عمر العدنى ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( قد أفلح من تزكى ) قال : من قال : لا إله إلا الله " وروى ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ١٥٦ ) عن سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر العدنى عن الحكم بن عكرمة فى قوله ( قد أفلح من تزكى ) قال : لا إله إلا الله " وحفص بن عمر العدنى ضعيف ، كما فى تقريب التهذيب ( ٧٨ ) .

( ٣ ) لم أجد من ذكر عنه هذه الرواية .

( ٤ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ٢٠ / ٢١ - ٢٢ ) : " وقيل : المراد بالآية زكاة الأموال كلها ، قاله أبو الأحوص وعطاء " وروى ابن جرير قال : قلت لعطاء : " قد أفلح من تزكى " للفرط ؟ قال : هى للصدقات كلها " . وقد ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ٣ / ١٥٦ ) ورواه بسنده عن أبي الأحوص وقاتة .

وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٤٤٠ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٩١ ) وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٨ / ٤٦٠ ) كلهم من قول أبي الأحوص ، إلا أن أبا حيان عزاه أيضا إلى قتادة وجماعة " .

وذكر السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٣٤٠ ) عن عطاء أنه قال : قلت لابن عباس رضى الله عنهما : رأيت قوله ( قد أفلح من تزكى ) للفرط ؟ قال : لم أسمع بذلك ولكن للزكاة كلها ، ثم عاودته ، فقال لى : والصدقات كلها .

قال ابن مسعود : من لم يترك لم تقبل الصلاة منه . (١)

وعن ابن عمر : أنها صدقة الفطر - وهو قول عمر بن عبد العزيز . وكسان  
ابن عمر يقول لنافع حين يصبح يوم العيد : أخرجت زكاة الفطر ؟ فإن قال : نعم

(١) قال القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٣) : " وروى عن عبد الله قال : من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له " . وقال السيوطي في الدر المنثور (١/٣٤) : " وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " إذا خرج أحدكم يريد الصلاة فلا طيبه أن يتصدق بشيء ، لأن الله يقول : " قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه " ولكن روى ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٥٦) نحوه من قول أبي الأحوص ، ولم أجد عنده رواية ابن مسعود .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٤٠) : " وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقدم صدقة الفطر حين يفعدو ثم يفعدو وهو يتلو ( قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه صلى ) وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إنما أنزلت هذه الآية في إخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد ( قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه صلى " وذكر القرطبي في تفسيره (٢٠/٢١) عبد الله ابن عمر فيمن روى عنه هذا القول .

(٣) قال ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٢٠) :

" وروى سفيان عن جعفر بن برقان ، قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : إن هذا الرجف شيء يعاقب الله به العباد ، وقد كتبنا إلى أهل الأمصار أن يخرجوا في يوم كذا من شهر كذا ، فمن استطاع منكم أن يتصدق طيفع ، فإن الله تعالى يقول : " قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه صلى " .

وكان عمر بن عبد العزيز يخطب الناس على المنبر يقول : " قد موا صدقة الفطر قبل الصلاة فإن لله يقول : ( قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه صلى ) وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بها ويخرجها " .

وذكر الجصاص في أحكام القرآن (٣/٤٧٢) عمر بن عبد العزيز فيمن ذكر عنه

هذا القول .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٠١) : " وقد روينا عن أمير المؤمنين

عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلوا هذه الآية ( قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه صلى ) .

توجه إلى الصلاة ، وإن قال : لا . يأمره بالخراج ثم يتوجه . (١)

(١) ذكره البيهقي والخازن في تفسيرهما ( ٢٣٦/٧ ) قالا : " قال نافع : " كان إذا صلى الفداة يعني من يوم العيد ، قال : يا نافع أخرجت الصدقة ؟ فإن قلت : نعم ، مضى إلى المصلي ، وإن قلت : لا ، قال : فالآن فأخرج ، فإنما نزلت هذه الآية في هذا ، ( قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ) .

وهذا ( يعني أن الآية نزلت في صدقة الفطر ) قول أبي سعيد الخدري وأبي العالية وقتادة وعطاء وغيرهم .

انظر تفسير الطبري ( ١٥٦/٣٠ ) وتفسير البيهقي ( ٢٣٥/٧ ) وزاد المسير ٩١/٩ ، وتفسير القرطبي ( ٢١/٢٠ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٠١/٤ ) والدر المنثور ( ٢٣٩/٦ - ٢٤٠ ) وروى في ذلك حديث مرفوع أخرجه البزار في مسنده ( انظر كشف الأستار ٤٢٩/١ ) وابن خزيمة في صحيحه ( ٩١/٤ ) كلاهما من طريق كثير ابن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد ويتلو هذه الآية ( قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ) هذا لفظ البزار ولفظ ابن خزيمة : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ( قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ) فقال : أنزلت في زكاة الفطر . إسناده ضعيف لأن كثير بن عبد الله ضعيف ، وبعضهم نسبه إلى الكذب ، انظر تقريب التهذيب ( ص ٢٨٥ ) .

هذا وقد ذكرت في الآية أقوال أخرى : أحدها : أن معنى الآية : من كان عطفه زاكياً ، قاله الحسن والربيع ، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩١/٩ والقرطبي في تفسيره ( ٢١/٢٠ ) والثاني : تكثر بتقوى الله ، ومعنى الزاكي : النامي الكثير ، ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٧٤٠/٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٤٦/٣١ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩١/٩ ) من قول الزجاج .

والثالث : من أكثر الاستغفار ، وهو مروى عن عطاء . ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٢٣٩/٦ ) وعزا تخريجه إلى ابن أبي حاتم . وبهذا يتبين أن عطاء له أكثر من قول .

والرابع : قيل : هي زكاة الأعمال لا زكاة الأموال ، أي تطهر في أعماله من الرياء والتقصير ، لأن الأكثر أن يقال في المال : زكى ، لا : تزكى " ذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٢/٢٠ ) والرازي في تفسيره ( ١٤٧/٣١ ) دون عزو إلى أبي أحمد ، واستدل القرطبي عليه بما رواه جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : قد أفلح من تزكى : أي من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله ، ( وذكر اسم ربه فصلى ) قال : هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها . أخرجه البزار في مسنده ( انظر كشف الأستار ٨٠/٣ ) وفي إسناده عباد بن أحمد المرزبي وهو متروك . انظر مجمع التوائد ( ١٣٧/٧ ) .

والخامس : ما ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٤٠/٤ ) " وهو أنه من ازداد خيراً وصلحاً " .

وهذا على القول الذى قلنا : إن السورة مدنية . فأما إذا قلنا مكية : وهو الأصح (١) . فلا يبرر هذا القول ، لأن صدقة الفطر لم تكن واجبة بمكة ، وإنما وجبت بالمدينة وكذلك صلاة العيد إنما صليت بالمدينة (٢) .  
وقوله ( وذكر اسم ربه فصلى ) أى ذكر ربه فصلى (٣) .

(١) تقدم ذكر الخلاف فى ذلك وبيان الراجح فى ص (٦٤٦) . والصواب أن السورة مكية .

وأما الراجح من الأقوال التى تقدم ذكرها فى تفسير الآية فذكر ششيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (١٦٩/١٦) : أن التزكى فى الآية أعم من الإنفاق ، لأن التزكى هو التطهر والتركتبتك السيئات الموجب زكاة النفس .

وأول التزكى التزكى من الشرك كما قال : ( وويل للمشركين ، الذين لا يؤمنون الزكاة ) سورة فصلت الآية ٦ ، ٧ . وقال : ( يتلو عليهم آياته ويزكيهم ) سورة آل عمران الآية ١٦٤ والتزكى من الكبائر الذى هو تمام التقوى ، كما قال ( فلا تزكوا أنفسكم ، وهو أطم بمن اتقى ) سورة النجم الآية ٣٢ .  
ومنه التزكى بالطهارة وبالصدقة والإحسان . كما قال : ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

وقال ابن كثير فى تفسيره (٥٠١/٤) :  
" يقول تعالى : ( قد أفلح من تزكى ) أى طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه " . فالراجح أن المراد من التزكى هو التطهر بجميع أنواع الفضائل والإحسان من جميع أنواع الرذائل والأدران .

(٢) ذكر القسطلانى فى إرشاد السارى (٨٤/٣) أن فرض صدقة الفطر كان فى السنة الثانية من الهجرة فى شهر رمضان قبل العيد بيومين .

(٣) ذكره البغوى (٢٣٦/٧) والقرطبى فى تفسيره (٢٢/٢٠) وفى كل من الذكر والصلاة فى هذه الآية أقوال كما سيأتى ذكرها إن شاء الله .



ويقال : الذكر هو التكبير والصلاة هي الصلاة المعروفة<sup>(١)</sup> . وقيل : صلاة العيد<sup>(٢)</sup> .

(١) ذكر الزمخشري في الكشاف (٤/٤٧٠) وابن العربي في أحكام القرآن والبرازي في تفسيره (٣١/١٤٨) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢٢) أن المراد بقوله ( وذكر اسم ربه ) التكبير في أول الصلاة واحتج به الفقهاء على وجوب تكبيرة الافتتاح .

وأما قوله ( فصلى ) فذكر ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٥٧) أن المراد صلى الصلوات الخمس ، ثم روى هذا المعنى عن ابن عباس . وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٤٤١) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٩١) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢٣) وأبو جعفر النحاس في أعراب القرآن (٣/٦٨٢) من قول ابن عباس ، وزاد ابن الجوزي فعزاه إلى مقاتل أيضا . وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٧٠) والخازن في تفسيره (٧/٢٣٦) دون عزو إلى أحد .

(٢) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٥٧) دون عزو إلى أحد .

وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٤٤١) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٩٢) من قول أبي سعيد الخدري ، وذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢٣٦) قالوا : " وقيل : الذكر : تكبيرات العيد والصلاة صلاة العيد " .

وذكره البرازي أيضا في تفسيره (٣١/١٤٧) قال : " قال ابن عباس : ( وذكر اسم ربه ) أي كبر في خروجه إلى العيد وصلى صلاة العيد " . وقال القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٣) : " وقيل : هي تكبيرات العيد ، قال الضحاك : " وذكر اسم ربه في طريق المصلى " فصلى " أي صلاة العيد . ثم عزا القول بأن المراد صلاة العيد إلى أبي سعيد الخدري وابن عمر .

هذا وفي المراد بقوله ( وذكر اسم ربه ) أقواى أخرى أحدها : أن المراد وحده الله تعالى . ذكره ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٥٧) ورواه عن ابن عباس وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٤٤٠) من قوله . وقال أبو حيان في البحر المحيطة (٨/٤٦٠) : " ( وذكر اسم ربه ) أي وحده لم يقترنه بشئ من الأنداد ، ( فصلى ) أي أتى الصلاة المفروضة وما أمكنه من النوافل . والثاني : أن المعنى : وذكر الله ودعاه ورغب إليه ذكره ابن جرير والماوردي .

.. / ..

والثالث : أن يستغفره ويتوب إليه ، ذكره الماوردي ، والرابع : أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ، ليكون استيفاؤه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه ، ذكره الماوردي والقرطبي ، واختاره ابن العربي في أحكام القرآن (٤ / ١٩٢٠) قال : " إن الذكر حقيقته إنما هو في القلب ، لأنه محل النسيان الذي هو ضده ، والضدان إنما يتضادان في المحل الواحد ، فأوجب الله بهذه الآية النية في الصلاة خصوصاً وإن كان قد اقتضاها عموماً قوله تعالى : ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين . وقوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات .

والخامس : أن يفتح أول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم " ذكره الماوردي والقرطبي .

وأما قوله ( فصلى ) ففيه قولان آخران غير القولين اللذين تقدم ذكرهما ، أحدهما أن الصلاة هنا بمعنى الدعاء ، ذكره ابن جرير والنحاس في أعراب القرآن ( ٣ / ٦٨٢ ) والبغوي والقرطبي ، والثاني : هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاته . ذكر الماوردي وابن الجوزي والقرطبي من قول أبي الأحوص ، وقال القرطبي : وهو مقتضى قول عطاء ثم ذكر أثر عبد الله بن مسعود الذي تقدم عند المؤلف " من أقام الصلاة ولم يمسك الزكاة فلا صلاته " .

واختار ابن جرير من بين الأقوال التي ذكرت في تفسير قوله ( فذكر اسم ربه ) أن يقال : وذكر الله فوحده ، ودعاه ورجب إليه ، لأن كل ذلك من ذكر الله ، ولم يخص الله تعالى من ذكره نوعاً دون نوع . وأما من بين الأقوال التي ذكرت في تفسير قوله ( فصلى ) فاختار أن المراد الصلوات ، وذكر الله فيها بالتمجيد والتمجيد والدعاء ، انظر تفسيره ( ٣ / ١٥٧ ) وذكره عنه أبو جعفر النحاس في أعراب القرآن ( ٣ / ٦٨٢ ) فقال : والصواب عند محمد بن جرير أن يكون المعنى صلى فذكر اسم ربه في صلاته بالتمجيد والتمجيد " . وذكره ابن كثير أيضاً في تفسيره ( ٤ / ٤٩٩ ) ، وأنكره النحاس فقال : وهذا غلط على قول أهل العربية لأنه جعل ما قبل الفاء بعدها ، وهذا عكس ما قاله النحويون . ( يعني قولهم بأن الفاء للتعقيب ) والصواب قول ابن عباس ( يعني قوله : وحده الله سبحانه وتعالى وصلّى الصلوات الخمس ) .

.. / ..

.. / ..

وأجيب عنه بأنه مثل قول القائل : أكرممتني فزرتني ، أو زرتني فأكرممتني ، فإنه لا فرق بين القولين ذكره الرازي في تفسيره ( ١٤٨ / ٣ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٣ / ٢٠ ) وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩٢ / ٩ ) : " والقول قول ابن عباس في الآيتين ( يعني في قوله تعالى : ( قد أظح من تزكيتي ) أي تطهر من الشرك بالإيمان ، وفي قوله تعالى ( وذكر اسم ربه صلى ) أي الصلوات الخمس .

وأما القول بأن المراد من الآيتين صدقة الفطر وصلاة العيد فاستشكله أكثر المفسرين بأن السورة مكية في قول الجمهور بل ذكر بعضهم الإجماع على كونها مكية ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر وذلك يدل على ضعف هذا القول .

انظر تفسير البغوي والخازن ( ٢٣٦ / ٧ ) وزاد المسير ( ٩٢ / ٩ ) وتفسير الرازي ( ١٤٧ / ٣ ) ، وتفسير القرطبي ( ٢٢ / ٢٠ ) وقد حاول بعضهم الإجابة عن الاستشكال المذكور ، فذكر القرطبي عن أحد الأئمة . أنه قال : يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال : " وأنت حل بهذا البلد " سورة البلد الآية . فالسورة مكية ، وظهر أثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة والسلام : " أحلت لي ساعة من نهار " .

وكذلك نزلت بمكة " سيهزم الجمع ويولون الدبر ) سورة القمر الآية ٤٥ ، قال عمر بن الخطاب : كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يشب في الدرع ويقول : " سيهزم الجمع ويولون الدبر " سورة القمر الآية ٤٥ ، وذكر الرازي عن الواحدى أنه قال : لا يمتنع أن يقال لما كان في معلوم الله تعالى أن ذلك سيكون ، أثنى على من فعل ذلك " .

وذكر القرطبي عن القشيري نحو ذلك ، فإنه قال : " ولا يبعد أن يكون أثنى على من يمثل أمره في صدقة الفطر وصلاة العيد فيما يأمر به في المستقبل " .

ولكن هذا الجواب فيه ضعف ، لأنه ليس هناك ما يدل على أن الله تعالى أراد بقوله هذا صدقة الفطر وصلاة العيد ، ولا سبيل إلى معرفته من خلال اللفظ المذكور بدون النص .

فالصواب هو ما يفهم من ظاهر الآيتين ، وهو أن المراد التطهر من جميع الأدران ، وذكر الله تعالى بكل أنواعه والصلاة المعروفة ، لأنه ليس هناك ما يدل على التخصيص .

قوله تعالى ( بل تؤثرون الحياة الدنيا ) أى تختارون .  
قال ابن مسعود : عجلت لهم الدنيا وغيبت عنهم الآخرة فاختاروا الدنيا على  
الآخرة ، ولو عابوا الآخرة ما اختاروا عليها شيئاً .<sup>(٢)</sup>

وروى أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : من أحب دنياه  
أضر بآخريته ، ومن أحب آخريته أضر بدنيته . فأثروا ما يبقى على ما يغنى .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) فى نسخة " ب " ( غابت ) والصواب ما فى الأصل .

( ٢ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٥٧ / ٣٠ ) والطبرانى فى المعجم الكبير ( ٢٦٧ / ٩ ) ، رقم  
٩١٤٧ ) بسندهما عن عطاء بن السائب عن عرفة الشقى قال : " استقرت ابن مسعود  
( سبى اسم ربك الأعلى ) فلما بلغ ( بل تؤثرون الحياة الدنيا ) ترك القراءة وأقبل  
على أصحابه وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة ، فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا  
لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة ، فاخترنا هذا  
العاجل ، وتركنا الأجل . هذا لفظ الطبرى ، وذكره بنحوه السيوطى فى الدر المنثور  
( ٣٤٠ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن المنذر والبيهقى فى شعب الإيمان . وذكر  
البيهقى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٣٦ / ٧ ) عن عرفة الأشجى قال : كنت عند  
ابن مسعود فقرأ هذه الآية . . . ثم ذكره بنحو ما ذكره الطبرى بشىء يسير من  
الاختلاف فى اللفظ ، انظر هذا الأثر فى تفسير الرازى ( ١٤٨ / ٣١ ) وتفسير  
القرطبى ( ٢٣ / ٢٠ ) . وفى إسناد الطبرى والطبرانى عطاء بن السائب . وهو ثقة  
لكنه اختلط . انظر مجمع الزوائد ( ٢٣٦ / ١٠ ) . وورد نحوه عن أنس أيضا ،  
ذكره القرطبى فى تفسيره ( ٢٣ / ٢٠ - ٢٤ ) .

( ٣ ) رواه الإمام أحمد فى مسنده ( ٤١٢ / ٤ ) والحاكم فى مستدركه ( ٣٠٨ / ٤ ) كلاهما من  
طريق عمرو بن أبى عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبو موسى الأشعري . قال الحاكم :  
هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورواه الذهبى فقال : فيه انقطاع ،  
وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٢٤٩ / ١٠ ) وقال : " رواه أحمد والبزار والطبرانى ،  
ورجالهم ثقات ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ( ٢١ / ٦ ) مع الفيض ) ورمز لـه  
بالصحة ، ولكن ضعفه الألبانى إن أوردته فى ضعيف الجامع الصغير ( ١٤٩ / ٥ ) وقال  
فيه ضعف . وقد ذكر الماورى فى تفسيره ( ٤٤١ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير  
( ٩٢ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٣ / ٢٠ ) فى معنى الآية وجهين ، أحدهما : أن  
المراد بها الكفار فيكون تأويلها : أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة ، لأنهم لا يؤمنون  
بها ، والثانى : أن المراد بها المسلمون ، ويكون المعنى : يؤثرون الاستكثار من الدنيا  
للاستكثار من الثواب ، وذكره ابن الجوزى فقال : وإن أريد به المسلمون فالمعنى : يؤثرون  
الاستكثار من الدنيا على الاستحسان من الثواب " والصواب هو الوجه الأول لأنه هو  
الظاهر من سياق الآية .

قوله : ( والآخره خير وأبقى ) أى أدوم .<sup>(١)</sup>

وقوله ( إن هذا لفي الصحف الأولى ) أى : ما ذكره الله في هذه السورة .<sup>(٢)</sup>

وقيل : من قوله تعالى ( قد أطلع من تزكى ) إلى قوله ( وأبقى ) .<sup>(٣)</sup>

قال قتادة : في جميع كتب الأوليين : أن الآخره خير وأبقى .<sup>(٤)</sup>

<sup>(٥)</sup>

(١) قال ابن الجوزى في زاد المسير (٩/٩٢) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢٤) :  
قوله تعالى ( والآخره خير ) يعنى الجنة أفضل ، ( وأبقى ) أى أدوم من  
الدنيا .

وذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤٤١) في الآية ثلاثة أوجه .

أحدهما : خير للمؤمن من الدنيا ، وأبقى للجزء .

والثانى : ما قاله قتادة خير في الخير وأبقى في البقاء .

والثالث : ذكره بصيغة الاحتمال وقال : يتحرر به الوجهان . والآخره خير لأهل  
الطاعة وأبقى على أهل الجنة .

وقال ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٥٧) : " وقوله ( بل توهثون الحياة الدنيا )  
يقول للناس : بل توهثون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة ، ( وللآخره  
خير ) لكم ( وأبقى ) : وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى ، لأن الحياة  
الدنيا فانية ، والآخره باقية لاتنفد ولا تنفى . "

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٥٨) قال بعد أن ذكر قولين فيها :  
" وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن هذا الذى قص الله تعالى في هذه  
السورة ( لفي الصحف الأولى ) شهواه من طريق معمر عن قتادة . ورواه  
عبد الرزاق في تفسيره (ق ١/١٧١) وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٤٤١) دون  
عزو إلى أحد .

(٣) ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٤) فقال : لم يرد أن معنى السورة  
في الصحف الأولى ، ولا الألفاظ بعينها ، وإنما أراد : أن الفلاح لمن تزكى ، وذكر اسم  
ربه فصلى " في الصحف الأولى ، كما هو في القرآن . انظر أيضا زاد المسير (٩/٩٣)  
وذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن (٣/٦٨٣) فقال : وقيل : الفلاح لمن تزكى  
وذكر اسم ربه فصلى في الصحف الأولى ، وذكره البغوى والخازن في تفسيره (٢٣٦٧)  
والزمخشري في الكشاف (٤/٧٤١) والرازى في تفسيره (٣١/١٤٨) والقرطبي في  
تفسيره (٢٠/٢٤) وعزاه القرطبي إلى الكلبى ، وقال الزمخشري بعد أن ذكر هذا  
القول : يعنى أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف . وقال أبو حيان في البحر  
المحيط (٨/٤٦٠) : " ( إن هذا ) أى الإخبار بالفلاح من تزكى وإيثار الناس للدنيا  
قاله ابن زيد وابن جرير " وقال الغزالي في معاني القرآن (٣/٢٥٧) " يقول : من ذكر  
اسم ربه فصلى وعطى بالخير ، فهو في الصحف الأولى كما هو في القرآن . "

(٤) في نسخة "ب" ( في ) بدل ( إن ) وهو خطأ .

(٥) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٥٨) قال : " وقال آخرون : بل عنى بذلك أن  
قوله ( والآخره خير وأبقى ) في الصحف الأولى . "

وروى من طريق سعيد بن قتادة أنه قال : تتابعث كتب الله كما تسمعون أن الآخرة خير وأبقى " وهو قول ابن زيد أيضا ، فقد روى ابن جرير بسنده عن ابن زيد أنه قال : في الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى أن الآخرة خير من الأولى " وذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٨٣/٣ ) وقال : وهذا كأنه مذهب قتادة . وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٤١/٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩٣/٩ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٦٠/٨ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٤/٢٠ ) من قول قتادة ، وزاد القرطبي فعزاه إلى ابن زيد أيضا . وذكر في الآية قولان آخران أحدهما : أن هذه السورة في الصحف الأولى ، ذكره ابن جرير في تفسيره ( ١٥٨/٣٠ ) ورواه عن عكرمة وذكره البغوي في تفسيره ( ٢٣٦/٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩٣/٩ ) من قول عكرمة والسدي والقرطبي في تفسيره ( ٢٤/٢٠ ) وقال : روى عكرمة عن ابن عباس " ( إن هذا لفي الصحف الأولى ) قال : هذه السورة ، وذكره أبو جعفر النحاس في اعراب القرآن ( ٦٨٣/٣ ) قال بعد أن ذكر القولين : والقول الثالث : إنه يعني به السورة ، كما قرئ على محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسى عن وكيع عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ( سبح اسم ربك الأعلى ) من صحف إبراهيم وموسى ، والثاني : إن هذا القرآن لفي الصحف الأولى أي الكتب الأولى ، ذكره القرطبي في تفسيره ( ٢٤/٢٠ ) . وأما الراجح من هذه الأقوال فقد ذهب ابن جرير في تفسيره ( ١٥٨/٣٠ ) إلى اختيار القول بأن الإشارة إلى قوله ( قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فضلى ، بل توأثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ) وذلك لأنه إشارة إلى القريب المذكور .

وأما النحاس فقد توقف في اعراب القرآن ( ٦٨٣/٣ ) في القطع بأحد هذه الأقوال إلا أنه حسن قول قتادة فقال : والله أعلم بما أراد إلا أن قول قتادة حسن ، لأنه لما يليه ، وسبيل الشيء أن يكون لما يليه إلا أن تأتي حجة قاطعة تغير ذلك " . وقد رجحه أبو حيان أيضا في البحر المحيط ( ٤٦٠/٩ ) لقب المشار إليه وذكر ابن كثير في تفسيره ( ٥٠٢/٤ ) اختيار ابن جرير وقال : وهذا الذي اختاره حسن قوي .

قوله ( صحف إبراهيم وموسى ) أى الكتب الذى أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى<sup>(١)</sup> . وقد أنزل على إبراهيم صحفاً ، وأنزل / على موسى التوراة ، ١/٣٢٩ فهى المراد بالآية<sup>(٢)</sup> ، والله أعلم .

( ١ ) قال القرطبى فى تفسيره ( ٢٤ / ٢٠ ) : " يعنى الكتب المنزلة عليهمما ، ولم يرد أن هذه الألفاظ بمعينها فى تلك الصحف ، وإنما هو على المعنى ، أى إن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف " . وذكر الرازى فى تفسيره ( ١٤٩ / ٣١ ) قولين فى هذه الآية : أحدهما : أنه بيان لقوله ( فى الصحف الأولى ) ، والثانى : أن المراد مذكور فى صحف جميع الأنبياء التى منها صحف إبراهيم وموسى .

( ٢ ) ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٤١ / ٤ ) عن وهب بن منبه فى المبتدأ : أن جميع الكتب التى أنزلها الله على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب ، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم ، وأنزل التوراة على موسى والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى ، والغفران على محمد عليهم السلام .

وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع طويل ذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٤١ / ٧ ) قال : أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبى نذر رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله . كم أنزل الله من كتاب ، قال : مائة كتاب وأربعة كتب . ثم ذكر عدد الكتب التى أنزلت على كل نبي ، فقال : على إبراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة . . وجاء فيه أيضا : قلت : يارسول الله هل أنزل عليك شئ مما كان فى صحف إبراهيم وموسى ، قال : يا أبا نذر نعم . ( قد أفصح من تزكى ، وذكر أسعده فصلى ، بل توثقون الحياة الدنيا . . . إلى آخر السورة . وقد ذكره القرطبى أيضا فى تفسيره ( ٢٤ / ٢٠ - ٢٥ ) وعزاه إلى الأجرى ، وأروده ابن الأثير فى جامع الأصول ( ٤٢٩ / ٢ ) ولم يميز تخريجه إلى أحد ، وأروده الخازن فى تفسيره ( ٢٣٦ - ٢٣٧ / ٧ ) وقال : أخرج هذا الحديث رزين فى كتابه ، وقد توقف لالكوسى فى روح الممانى ( ١١ / ٣٠ ) فى صحة هذا الحديث ، وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه ( انظر موارد الظمآن ص ٥٢ - ٥٤ ) وفى سننه إبراهيم بن هشام ، قال فيه الهيثمى : قال أبو حاتم وغيره : كذاب .

## - تفسير سورة الفاشية -

(١)  
وهي مكية بالاجتماع

بسم الله الرحمن الرحيم

( هل أتاك حديث الفاشية ) أي القيامة ، وسميت غاشية لأنها

تغشى كل شيء بالأهوال<sup>(٢)</sup> . ويقال : تغشى كل كافر وفاجر بالعذاب ، والفاشية هي  
المجلة .<sup>(٣)</sup>(١) قال السيوطي في الدر المنثور (٣٤٢/٦) : " وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه  
والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الفاشية بمكة " وذكر الماوردي  
في تفسيره (٤٤٢/٤) والقرطبي في تفسيره (٢٥/٢١) أن هذه السورة مكية في قول  
الجميع ، وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٩٤/٩) : وهي مكية كلها بإجماعهم " .  
انظر أيضا دلائل النبوة (١٤٢/٧) .(٢) هو قول ابن عباس والضحاك وقتادة وابن زيد وابن قتبية ، انظر تفسير غريب القرآن  
(ص ٥٢٥) واعراب القرآن (٦٨٤/٣) وتفسير ابن جرير (١٥٩/٣٠) وتفسير  
الماوردي (٤٢٢/٤) وتفسير البغوي والخازن (٢٣٧/٧) وزاد المسير (٩٤/٩) ،  
والكشفاف (٧٤١/٤) وتفسير القرطبي (٢٥/٢٠) والبحر المحيط (٤٦٢/٨) وتفسير  
ابن كثير (٥٠٢/٤) .(٣) قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن (ص ١٢٦١) " غَشِيَهُ غَشَاوَةٌ وَغَشَاءٌ أَتَاهُ إِتْيَانٌ  
مَا قَدِ غَشِيَهُ : أَي سَتَرَهُ . وَالْفِشَاوَةُ مَا يَغْطِي بِه الشَّيْءُ " ثم ذكر قوله تعالتي :  
( أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ ) وقال : أي نائمة تغشاهم وتجلكهم " وقال الرازي في  
تفسيره (١٥٠/٣١) : " وإنما سميت القيامة بهذا الاسم ، لأن ما أحاط بالشئ  
من جميع جهاته فهو غاش له ، والقيامة كذلك من وجوهه .  
الأول : أنها ترد على الخلق بفتة وهو كقوله تعالتي ( أفأمسوا أن تأتيهم غاشية  
من عذاب الله ) سورة يوسف الآية ١٠٧ والثاني : أنها تغشى الناس جميعاً من  
الأولين والآخرين والثالث : أنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد " وهذا  
الوجه ذكره أكثر المفسرين . هذا وفي المراد بالفاشية أقوال أخرى .  
أحدها : أن الفاشية هي النار ، أي تغشى وجوه الكفرة وأهل النار ، وهو  
قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي ومقاتل ، ورواه أبو صالح عن ابن عباس  
ويدل عليه قوله تعالتي ( وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ ) سورة إبراهيم الآية ٥٠ انظر المصادر  
المذكورة في الهامش رقم (٢) سوى ابن قتبية والبغوي وابن كثير .  
والثاني : أن المراد النفخة الثانية للبعث ، لأنها تغشى جميع الخلق ، ذكره الماوردي  
في تفسيره (٤٤٢/٤) بلفظ الاحتمال . وذكره القرطبي في تفسيره (٢٦/٢٠)  
والثالث : الفاشية هي أهل النار يغشونها ويقتحمون فيها ، ذكره الرازي والقرطبي ،  
دون عزو إلى أحد . وقال الرازي : والأول ( يعني أنها القيامة ) أقرب لأن طس  
هذا التقدير بصير المعنى : أن يوم القيامة يكون بعض الناس في الشقاوة وبعضهم في  
السعادة " والأمر كما قال الرازي ولذلك اختاره جمهور المفسرين كما صرح به أبو حيان  
في البحر المحيط (٤٦٢/٨) وأيضا ما ذكر من حديثها ليس مختصاً بالنار وأهلها بل  
ناطق بأحوال أهل الجنة أيضا . انظر روح المعاني (١١٢/٣٠) قول ابن عباس  
أنها القيامة ، وقول سعيد بن جبير أنها النار : والقولان متقاربان لأن القيامة  
تغشى الناس بأهوالها " ، والنار في القيامة تغشى الناس بما فيها " .



ومعنى ( هل أتاك ) : قد أتاك (١) .

(١) هو قول قطرب ، كما صرح به الماورى فى تفسيره (٤٤٢/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩٤/٩) والاكوسى فى روح المعانى (١١٢/٣٠) وذكره أبوحيان فى البحر المحيط (٤٦٢/٨) دون عزو إلى أحد .

وفيه قولان آخران :

أحدهما : أن المعنى : هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك . ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٩٤/٩) من قول الزجاج . وذكره القرطبى فى تفسيره (٢٦/٢٠) وذكر عن ابن عباس أنه قال : لم يكن أتاه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور ها هنا " .

والثانى : أنها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله ، ومعناه : ألم يكن قد أتاك حديث الفاشية ، فقد أتاك ، وهو معنى قول الكلبي . ذكره الماورى فى تفسيره (٤٤٢/٤) والقرطبى فى تفسيره (٢٦/٢٠) .

وقال أبوحيان فى البحر المحيط (٤٦٢/٨) :

" هذا الاستفهام توقيف ، وفائدته تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر ، وقيل : المعنى : هل كان هذا من عملك لولا ما علمناك ، وفى هذا تعديد النعمة " .

واختار الاكوسى فى روح المعانى (١١٢/٣٠) القول بأنه للاستفهام . فإنه قال بعد أن ذكر قول قطرب (يعنى أن هل بمعنى قد ) : " والمختار أنه للاستفهام وهو استفهام أريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق إلى استماعه ، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التى حقها أن تتناقضها الرواة ، ويتنافس فى تلقيها الوعاة " ثم استدل على قوله بحديث رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (كما فى تفسير ابن كثير ٥٠٢/٤) بسنده عن عمرو بن ميمون قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ ( هل أتاك حديث الفاشية ) فقام يستمع ويقول : نعم قد جئتني " وهو حديث مرسل ، لأن عمرو بن ميمون مخضرم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم . انظر تقريب التهذيب (ص ٢٦٣) ولكن أنا أيضا . أميل إلى أن ( هل ) هنا للاستفهام .

وقوله ( وجوه يومئذٍ خاشعة ) اى ذليلة - (١) لما ترى من سوء العاقبة . والمعنى :  
ركبها الذل .

وقوله ( عاطة ناصبة ) اى عطيت فى الدنيا لغير الله فنصبت وتمعبت فى  
الآخرة بعذاب الله . (٣)

(١) فسر غير واحد من المفسرين قوله (خاشعة) بأن معناه ذليلة ، وهو مروى عن قتادة .  
انظر تفسير الطبرى (١٦٠/٣٠) واعراب القرآن للنحاس (٦٨٤/٣) وتفسير  
الماوردى (٤٤٢/٤) وتفسير البغوى والخازن (٢٣٧/٧) وزاد المسير (٩٤/٩)  
وتفسير القرطبى (٢٦/٢٠) والكشاف (٧٤٢/٤) وتفسير الرازى (١٥٠/٣) ،  
والبحر المحيط (٤٦٢/٨) .

(٢) قال القرطبى فى تفسيره (٢٦/٢٠) :  
" قال سفيان : ( خاشعة ) اى ذليلة بالعذاب ، وكل متضاغلي ساكن  
خاشع ، يقال : خشع فى صلاته ، إذا تذلل وتكس رأسه ، وقال الطوردي فى  
تفسيره (٤٤٢/٤) :  
" ( خاشعة ) فيه وجهان :-  
أحدهما : يعنى ذليلة بمعاصيها ، قاله قتادة ، الثانى : أنها تخشع بعد  
نزل من عذاب الله فلا تتنعم ، قاله سعيد بن جبير .  
ويحتمل وجهاً ثالثاً : أن تكون خاشعة لتظاهرها بطاعته بعد اعترافها بمعصيته " .  
ثم إن فى المراد بالوجوه قولين : أحدهما : عنى وجوه الكفار كلهم قاله يحيى  
ابن سلام ، والثانى : أنها وجوه اليهود والنصارى . قاله ابن عباس .  
انظر تفسير الماوردى (٤٤٢/٤) وزاد المسير (٩٥/٩) وتفسير القرطبى (٢٦/٢٠) .  
ويبدولى - والله أعلم بمراده - أن المراد وجوه جميع من كان على طريقة غير سليمة  
فإنها تكون يوم القيامة خاشعة ذليلة لما ترى من عذاب وشقاء " .

(٣) هو قول عكرمة والسدى :  
قال السيوطى فى الدر المنثور (٣٤٢/٦) : " وأخرج ابن أبى حاتم  
عن عكرمة رضى الله عنه فى قوله ( عاطة ناصبة ) قال : عاطة فى الدنيا بالمعاصى  
تنصب فى النار يوم القيامة " .

وذكره بطله أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن (٦٨٥/٣) من قول عكرمة - وذكره  
البغوى فى تفسيره (٢٣٧/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩٥/٩) والقرطبى  
فى تفسيره (٢٧/٢٠) وابن كثير فى تفسيره (٥٠٢/٤) كلهم من قول عكرمة  
والسدى .

(١) وعن السدى وجماعة : أنهم الرهبان وأصحاب الصوامع من النصارى واليهود .  
وقد روى عن عمر أنه قدم الشام فمر بصومعة راهب فناده

(١) هو قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم ، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً ،  
قال البخارى فى صحيحه ( ٧٠٠/٨ ) : " وقال ابن عباس : ( عاطلة  
ناصية ) النصارى .

وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ( ٧٠٠/٨ ) : " وصل ابن أبى حاتم  
من طريق على بن أبى طلحة ومن طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ، وزاد :  
اليهود .

انظر روايته أيضاً فى الدر المنثور ( ٣٤٢/٦ ) .

وذكر هذا القول ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩٥/٩ ) بلفظ : " إنهم  
الرهبان ، وأصحاب الصوامع ، وقال : رواه أبو الضحى عن ابن عباس ، وبه قال  
سعيد بن جبير وزيد بن أسلم .

وذكره القرطبى فى تفسيره ( ٢٧/٢٠ ) من قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم  
وقال البيهقى فى تفسيره ( ٢٣٧/٧ ) : " قال عطاء عن ابن عباس يعنى :  
الذين عطوا ونصبوا فى الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل  
الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهاداً فى ضلالة يدخلون  
النار يوم القيامة ، وهو قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم ، وقد ذكره  
الرواية ( أى رواية عطاء عن ابن عباس ) ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩٥/٩ )  
ولكنه اعتبره قولاً مستقلاً عن قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم ، بينما اعتبر البيهقى  
مارواه عطاء عن ابن عباس وما ذكر عن سعيد بن جبير وزيد بن أسلم قولاً واحداً ،  
وكذلك اعتبرهما القرطبى فى تفسيره ( ٢٧/٢٠ ) قولاً واحداً ، إلا أنه ذكر مارواه  
عطاء عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه .

وقد ذكر الله تعالى هنا ثلاث صفات لوجوه الكفار وهى الذل والعطى والنصب  
وذكر الرازى فى تفسيره ( ١٥١/٣١ ) أن الوجوه الممكنة فى هذه الصفات الثلاث  
لاتزيد على ثلاثة .

الوجه الأول هو أنه تحصل هذه الصفات بأسرها فى الآخرة . فالكفار يكونون يوم  
القيامة خاشعين أى ذليلين ، وذلك لأنها فى الدنيا تكبرت عن عبادة الله ، وعاطلين

لأنها تعمل في النار عملاً تتعب فيه وهو جرهما السلاسل والأغلال الثقيلة .

والوجه الثاني : هو أنه تحصل هذه الصفات بأسرها في الدنيا . فقيل : هم أصحاب الصوامع من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان والمجوس ، والمعنى أنها خشعت لله وعطت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتجهد الواصب ، وذلك لأنهم لما اعتقدوا في الله ما لا يليق به فكأنهم أطاعوا ذاتاً موصوفة بالصفات التي تخيلوها فهم في الحقيقة ما عبدوا الله ، فلا جرم لا تنفعهم تلك العبادة أصلاً .

وأما الوجه الثالث : هو أن بعض تلك الصفات حاصل في الآخرة ، وبعضها في الدنيا ففيه وجهان ، أحدهما : أنها خاشعة في الآخرة ، مع أنها كانت في الدنيا عاطلة ناصية ، والمعنى : أنها لم تنتفع بعطتها ونصبتها في الدنيا .  
والثاني : أنها خاشعة عاطلة في الدنيا ، ولكنها ناصية في الآخرة ، فخشوعها في الدنيا خوفاً الداعي لها إلى الاعراض عن لذات الدنيا وطيباتها ، وعطتها هو صلاتها وصومها ، ونصبتها في الآخرة هو مقاساة العذاب .

انظر أيضاً للتفصيل تفسير الماوردى ( ٤٤٢/٤ - ٤٤٣ ) وتفسير البغوى ( ٢٣٧/٧ ) ، وزاد السير ( ٩٥/٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٧/٢٠ ) ، ويبدو لي أن هذه الأوجه كلها سالحة لأن تكون مرادة هنا ، وذكر أبو جعفر النحاس في أعراب القرآن ( ٦٨٥/٣ ) عن الحسن وقتادة أنهما قالا : أن هذه الوجوه في القيامة خاشعة عاطلة ناصية وأنها لما لم تعمل في الدنيا أعطتها الله في النار وأنصبتها ثم قال : فعلى هذا يكون عاطلة ناصية من نعت خاشعة أو يكون خيراً ، وهو جواب حسن ، لأنه لا يحتاج فيه إلى إضمار ولا تقديم ولا تأخير .

وأما عزو المؤلف القول بأن المراد الرهبان وأصحاب الصوامع إلى السدى ففيه نظر ، وإنى لم أجد من ذكر عنه هذا القول بل وجدت البغوى وابن الجوزى وغيرهما ذكروا عنه أنه قال : إن المراد : عاطلة في الدنيا بالمعاصي ناصية في النار يوم القيامة .

فاطلع عليه وقد نقحك<sup>(١)</sup> من الجوع والضر والعبادة و عليه برنس<sup>(٢)</sup> فبكي عمرضى الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين وما يبكيك ؟ فقال : مسكين طلب أمراً ولم يصل إليه ، وسلك طريقاً واخطأ ثم قرأ قوله ( عاظة ناصبة )<sup>(٣)</sup> الآية .  
وقوله ( تصلى ناراً حامية ) أى تقاسى حرها<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) كذا فى النسختين والسياق يقتضى أن يكون ( وقد نغحه ) .  
( ٢ ) قال الجوهري فى الصحاح ( ٩٠٨ / ٣ ) : " البرنس : قنسوة طويلة ، وكان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام " وقال ابن منظور فى لسان العرب ( ٢٦ / ٦ ) :  
" البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به دُرَاعُهُ كان أو مِطْرًا أَوْجَبَةً - ثم ذكر قول الجوهري .

( ٣ ) رواه عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١٧١ / ب ) والحاكم فى مستدرکه ( ٥٢١ - ٥٢٢ / ٢ ) ، وأبو بكر البرقاني ( كما فى تفسير ابن كثير ( ٥٠٢ / ٤ ) ) كلهم من طريق جعفر بن سليمان عن أبى عمران الجوني يقول : مر عمر بن الخطاب بدار زاهب . . . وذكر القصة بنحوه . وقال الحاكم : هذه الحكاية فى وقتها فإن أبى عمران الجوني لم يدرك زمان عمر ، ووافقه الذهبى . وذكر القصة القرطبي أيضا فى تفسيره ( ٢٧ / ٢٠ ) فقال : " وروى عن الحسن قال : لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام أتاه راهب شيخ كبير مَقَهَّل ( شعث وسخ ) عليه سواد إلى آخر القصة ، ولم يعز تخريجسه إلى أحد ، وفيه أيضا العلة نفسها ، فإن الحسن البصرى لم يدرك زمان عمر بسن الخطاب ، وباجتماع الطريقتين يكتسب الإسناد قوة " .

( ٤ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٦٠ / ٣٠ ) " يقول تعالى ذكره : ترد هذه الوجوه ناراً حامية قد حميت واشتد حرها " وذكر البغوى وأبو حيان فى تفسيرهما ( ٢٣٧ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩٦ / ٩ ) عن ابن عباس أنه قال : قد حميت فهى تتلظى على أعداء الله " وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٨ / ٢٠ ) : " أى يصيبها صلاؤها وحرها ، ( حامية ) شديدة الحر ، أى قد أحميت وأوقدت العدة الطويلة ، ومنه حمى النهار ( بالكسر ) ، وحمى التنور حمياً فهما ، أى اشتد حره " انظر أيضاً لسان العرب ( ٢٠١ / ١٤ ) وذكر الماورى فى تفسيره ( ٤٤٣ / ٤ ) فى المنكرات بالحامية أربعة أوجه ، أحدها : أن المراد بذلك أنها دائرة الحمى ، وليسست كئار الدنيا التى ينقطع حمىها بانطفائها . الثانى : أن المراد بالحامية أنها حمى يمنع من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم . الثالث : معناه أنها تحمى نفسها عن أن تطاق ملاستها أو ترام معاستها كما يحمى الأسد عرنيه ، الرابع : أنها حامية حمى غيظ و غضب ، مبالغة فى شدة الانتقام ، وقد بين الله ذلك بقوله " تَكَارُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ " سورة الملك الآية ٨ ، وهكذا ذكر الماورى ، ونقل عنه القرطبي فى تفسيره ( ٢٨ / ٢٠ ) هذه الأوجه الأربعة دون عزو واحد منها إلى أحد من المفسرين . وكان إيراد هذه الأوجه فى جواب على سؤال وهو : ما معنى وصفها بالحمى ، وهى لا تكون إلا حامية وهو أقل أحوالها ، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة ؟ فأجاب بأنه قد اختلف فى المراد بالحامية على أربعة أوجه ، وفسره أبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٦٢ / ٨ ) فقال : حامية مسعرة ، هذا وما ذكره القرطبي وابن منظور يدل على أن الحمى يستعمل فى شدة الحرارة أيضا ، وقد نقل ابن كثير فى تفسيره ( ٥٠٢ / ٤ ) عن ابن عباس والحسن وقتادة أنهم قالوا : أى حارة شديدة الحر " .

وقوله ( تسقى من عين آنية ) أى انتهت فى الحر .  
قال الحسن البصرى : أوقدت عليها منذ خلقت قد فعوا اليها وردا أى عطاشا .  
(٣٤)

(١) كلمة (تسقى) سقطت من الأصل .

(٢) قال ابن جرير فى تفسيره (١٦٠/٣٠-١٦١) عند هذه الآية : " يقول : تسقى أصحاب هذه الوجوه من شراب عين قد أنى حرها ، فبلغ غايته فى شدة الحر " ثم روى بسنده عن ابن عباس أنه قال : هى التى قد أطال آنيها ، وذكره الماوردى فى تفسيره (٤٤٣/٤) بلفظ : يعنى قد أنى حرها فانتهى واشتد قاله ابن عباس .

وقال النحاس فى إعراب القرآن (٦٨٥/٣) قال عطاء : " قد انتهى حرها " .

وقال البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٣٧/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير

(٩٦/٩) والزمخشري فى الكشاف (٧٤٢/٤) : أى متناهية فى الحرارة .

وقال أبوحيان فى البحر المحيط (٤٦٠/٨) : " (آنية) قد انتهى حرها ، كقوله (يَطْوِفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آنٍ) سورة الرحمن الآية ٤٤ .

وقال ابن كثير فى تفسيره (٥٠٢/٤) : أى قد انتهى حرها وغليناها قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدى . وقال القرطبى فى تفسيره (٢٩/٢٠) : " الآنى : الذى

قد انتهى حره ، من الإيناء بمعنى التأخير ، ومنه " آنىت وآنىت " . وقوله (من

الإيناء بمعنى التأخير) فيه نظر ، لأن الكلمة من (أنى) ولها عدة معان منها :

أنى الماء : سخن وبلغ فى الحرارة ومنها : أنى الشئ : يأنى : حان وأدرك

ويقال : يأنى الشئ : يبلوغه وإدراكه ، وغايته . ومنها : أنى آنى فهو أنسى :

تأخر وأبطأ ، وأنى كأنى . انظر لسان العرب (٤٨/١٤) والمفردات ص ٢٩ .

فما دامت الكلمة يوجد من معانيها ما يوافق المقام ، فلا حاجة إلى القول بأنها من

الإيناء بمعنى التأخير ، بل هى من أنى الماء : سخن واشتد فى الحرارة .

(٣) ذكر هذا الأثر عن الحسن . ابن الجوزى فى زاد المسير (٩٦/٩) والقرطبى فى

تفسيره (٢٩/٢٠) وذكره البغوى والخلفن فى تفسيرهما (٢٣٧/٧) ولكن دون عزو

إلى أحد ، وقد روى عنه ابن جرير بسنده أنه قال : أنى طبخها منذ يوم خلق الله

الدينيا ، وفى لفظ آخر قال : من عين أنى حرها يقول : قد بلغ حرها . تفسير الطبرى

(١٦١/٣٠) هذا وقد ذكر فى معنى قوله (آنية) قولان آخران . أحدهما : هو

مارواه ابن جرير بسنده عن ابن زيد قال : آنية : حاضرة . انظر تفسير الطبرى

(١٦١/٣٠) وذكره أيضا أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن (٦٨٥/٣) والماوردى

فى تفسيره (٤٤٣/٤) والألوسى فى روح المعانى ١١٣/٣٠ .

والثانى هو ما روى عن مجاهد أنه قال : قد بلغ أناها وحان شربها . انظر

تفسير مجاهد (٧٥٣/٢) وضحى البخارى (٧٠٠/٨) وتفسير الطبرى (١١٣/٣٠)

وتفسير الماوردى (٤٤٣/٤) .

واختار النحاس فى إعراب القرآن (٦٨٥/٣) والألوسى فى روح المعانى

(١١٣/٣٠) القول الأول ( يعنى أنها متناهية فى الحرارة والغليان )

لأنه هو الموافق لما ذكره أصحاب اللغة .

قال النابغة (١) :

وتُخَضَّبُ لَحْيَةُ غُدْرَتٍ وَخَانَتْ بِأَحْمَرٍ مِنْ نَجِيحِ الْجَوْفِ آتِي (٢) .

وفي بعض التفاسير : إنهم إذا دنوا ذلك من وجوههم سلخت وجوههم ، فإذا شربوا منها قطعت أمماتهم (٤) .

وقوله ( ليس لهم طعام إلا من ضريح ) هو شجر يسمى بالحجاز : الشبرق

له شوك كثير ، فإذا ييس يسمى الضريح (٥) .

(١) هو زياد بن معاوية بن صباب بن جاقر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض ، النابغة الذبياني أحد الشعراء الجاهليين البارزين المشهورين .

قال فيه ابن سلام : وقال من احتج للنابغة : كان أحسنهم ديباجة شعرا ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا ، كان شعره كلام ليس فيه تكلف \* .  
انظر طبقات فحول الشعراء (١/٥٦ - ٦٢) والأغاني (٣/١١ - ٤١) وسمط اللالكى (١/٥٨) .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٨/٣٤٨) " النَّجِيحُ : الدَّمُ ، وقيل : هو دم الجوف خاصة ، وقيل : هو الطري منه \* .

(٣) البيت في ديوان النابغة الذبياني (ص ١١٨) وكانت أكر كلماته في النسختين غير واضحة ، صححتها من الديوان .

(٤) ذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢٣٨) ضمن أثر طويل عن أبي الدرداء وسيأتي ذكر هذا الأثر في (٦٩٢) .

(٥) قال الفراء في معاني القرآن (٣/٢٥٧) " وهو نبت يقال له : الشبرق ، وأهل الحجاز يسمونه الضريح إذا ييس ، وهو سم \* .

وقال ابن جريو في تفسيره (٣٠/١٦١) : " والضريح عند العرب : نبت يقال له الشبرق ، وتسميه أهل الحجاز الضريح إذا ييس ، ويسميه غيرهم الشبرق وهو سم \* . ثم روى عن غير واحد من أئمة التفسير ما يدل على صحة ما ذكره ، منهم ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم .

وقد ذكر هذا القول أكثر المفسرين . انظر اعراب القرآن (٣/٦٨٦) وتفسير الماوردي (٤/٤٤٤) وتفسير البغوي والخازن (٧/٢٣٧) وزاد المسير (٩/٩٦) والكشاف (٤/٧٤٢) وتفسير القرطبي (٢٠/٢٩) والبحر المحييط (٨/٤٦٢) وتفسير الرازي (٣١/١٥٢) .  
انظر أيضا لسان العرب (٨/٢٢٣) والمفردات للراغب (ص ٢٩٥) .

قال ابن قتيبة : الضريع : شىء إذا وقعت عليها الإبل فأكلته هلكت

هزلاً (١)

ويقال : الضريع : هو الحجارة . وهو مروى عن سعيد بن جبير وغيره ، وهو

قول غريب . (٣)

ويقال : نبت فيه سم . (٤)

(١) قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (٦٨) " والضريع : من أقوات الأنعام لأن أقوات الناس ، وإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هزلاً " . وقال في تفسير غريب النقرآن ص (٥٢٥) " والضريع : نبت يكون بالحجاز ، يقال لرطبه : الشبرق " . وقد ذكر القرطبي (٣٩/٢٠ - ٣٠) من رواية الضحاک عن ابن عباس أنه قال : هو شىء يرمى به البحر ، يسمى الضريع ، من أقوات الأنعام لا الناس ، فإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع ، وهلكت هزلاً .

(٢) ذكر هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦٢/٣٠) ورواه بسنده عن سعيد ابن جبير فقط ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٢/٦) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم أيضا .

وذكره الماوردي في تفسيره (٤٤٤/٤) وابن الجوزي في زاد المسير ٩٦/٩ ، والقرطبي في تفسيره (٣٠/٢٠) وابن كثير في تفسيره (٥٠٢/٤) كلهم من قول سعيد بن جبير سوى القرطبي فإنه عزا أيضا إلى عكرمة ، وقد ذكره من قول عكرمة أبو جعفر النحاس أيضا في اعراب القرآن (٦٨٦/٣) وقد روى عن سعيد بن جبير أيضا أنه قال : هو الزقوم .

ذكره السيوطي في المصدر السابق له وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وذكره الرازي في تفسيره (١٥٢/٣١) وابن كثير في تفسيره (٥٠٢/٤) .

(٣) لم أجد من استغربه غير المؤلف ، وقال القرطبي في تفسيره (٣٠/٢٠) بعد أن ذكره : والأظهر أنه شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا " . ولعل استغراب المؤلف جاء مما تقرر أن الحجارة ليست مما يؤكل .

(٤) هو القول الأول نفسه ، ولم أجد من ذكره مستقلا عنه .

قال القرطبي في تفسيره (٢٩/٢٠) : قال عكرمة ومجاهد : الضريع : نبت ذو شوك لاصق بالأرض تسميه قريش الشبرق إذا كان رطبا ، فإذا يبس فهو الضريع ، لا تقربه ذابسة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل ، وهو أخيب الطعام وأشنع على هذا عامة المفسرين ، هذا وفي معنى الضريع أقوال أخرى غير ما ذكره المؤلف .



٠٠/٠٠

أحدها : الضريح شجر من نار ، ذكره ابن جرير في تفسيره ( ١٦٢/٣٠ ) ورواه عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، كما روى عن ابن زيد أنه قال : الضريح : الشوك من النار ، قال : وأما في الدنيا فإن الضريح الشوك اليابس الذي ليس له ورق ، تدعوه العرب الضريح ، وهو في الآخرة شوك من نار .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٢٣٨/٧ ) مثل ما رواه عنه الطبري .  
انظر أيضا إعراب القرآن ( ٦٨٦/٣ ) وزاد المسير ( ٩٦/٩ ) وتفسير القرطبي ( ٣٠/٢٠ ) وقد ذكر ابن الجوزي قول ابن عباس وسعيد بن جبیر كأنهما قسولان مستقلان .

والثاني : هو بعض ما أخفاه الله من العذاب ، قاله الحسن .

ذكره القرطبي في تفسيره ( ٣٠/٢٠ ) وذكره الرازي في تفسيره ( ١٥٢/٣١ ) بلفظ : قال الحسن : لا أدري ما الضريح ، ولم أسمع فيه من الصحابة شيئا .

والثالث : الضريح الزقوم - ذكره النحاس في إعراب القرآن ( ٦٨٦/٣ ) والقرطبي في تفسيره ( ٣٠/٢٠ ) من قول الحسن ، وهو مروى عن ابن جبیر أيضا ، وحكاها أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٦٢/٨ ) عن الحسين وجماعة " ( ولعل الصواب " عن الحسن وجماعة " ) .

والرابع : الضريح بمعنى المشروع ، أي يضرعون عنده ويدلون ، طلباً للخلاص منه ، ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٤٤/٤ ) من قول ابن بحر ، والرازي في تفسيره ( ١٥٢/٣١ ) من قول الحسن ، ومعناه : إلا من طعام يحطهم على أن يضرعوا ويدلوا عند تناوله لما فيه من الخشونة والموارة والحرارة .

وذكر بنحوه أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ( ٦٨٦/٣ ) ، من قول الحسن في إحدى الروايتين عنه : قال : إن الضريح الذي يضرع ويدل من أكله لمارتته وخشونته " .

ثم قال النحاس : وهذا القول جامع للأقوال كلها ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٩٧/٩ ، والقرطبي في تفسيره ( ٣٠/٢٠ ) هذا القول عن ابن كيسان ( يعني طاووس ) ثم نقل القرطبي عن أبي جعفر النحاس أنه قال : " قد يكون مشتقا من الضارع ، وهو الدليل ، أي ذو ضراعة ، أي من شربه دليل تلحقه ضراعة " .

والخامس : أنه السلم ( شجر من العشاء وورقها القَرظ الذي يدبغ به الأديم ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٤٤/٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩٦/٩ ) والرازي في تفسيره ( ١٥٢/٣١ ) من قول أبي الجوزاء .

والسادس : أنه النوى المحرق - ذكره الماوردي وقال : حكاها يوسف بن يعقوب عن بعض الأعراب ، والسابع : قيل هو واد في جهنم ، ذكره القرطبي في تفسيره ( ٣٠/٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٦٢/٨ ) .

٠٠/٠٠

٠٠/٠٠

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول ( يعني أنه شجرة تسميها قريش الشبرق ، وهي كثيرة الشوك . وإذا يبست تسمى بالضريح ) لأنه هو قول أكثر المفسرين وأكثر أهل اللغة كما صرح به النحاس في إعراب القرآن ( ٦٨٦/٣ ) والرازي في تفسيره ( ١٥٢/٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٩/٢٠ ) .

وقد قال الله تعالى في موضع آخر : " فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ " سورة الحاقة الآية ٣٥ ، ٣٦ ، وقال هنا : " إِلَّا مَنْ ضَرِيحٌ " وهو غير الغسلين ، وسيأتي وجه الجمع بينهما في آخر السورة ، فإن المؤلف تعرض له هناك .

وقد استشكل هنا بعض الناس فقال : كيف يوجد النبات في النار؟ أشار ابن قتيبة إلى هذا الاستشكال في تأويل مشكل القرآن ( ص ٦٩ ، ٧٠ ) وأجاب عنه بجوابين . أحدهما : أنه لم يرد أن الضريح بعينه ينبت في النار ، ولا أنهم يأكلونه ، والضريح من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس وإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هـزلًا ، ثم قال : فأراد أن هو " لا " قوم يقتاتون ما لا يشبعهم ، وضرب الضريح لهم ضلاً ، أو يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريح ، .

والثاني : أن الضريح وشجرة الزقوم : نبتين من النار ، أو من جوهر لا تأكله النار ، وكذلك سلاسل النار وأغلاها ، وأنكالها وعقاربها وحياتها ، لو كانت على ما نعلم لم تبقى في النار ، وإنما دلنا الله سبحانه وتعالى على الغائب عنده بالحاضر عندنا ، فالاسما " متفقة للدلالة ، والمعاني مختلفة " .

وقد ذكر الجوابين الرازي في تفسيره ( ١٥٣/٣١ ) دون عزو إلى أحد ، وأما القرطبي فذكر الجواب الثاني من قول ابن قتيبة . وأما الأول فذكره بقوله : وزعم بعضهم ثم نقل عن الحكيم الترمذي أنه قال : هذا نظر سقيم من أهله وتأويل رني ، كأنه يدل على أنهم تحيروا في قدرة الله تعالى ، وأن الذي أثبت في هذا التراب هذا الضريح قادر على أن ينبت في حريق النار .

ونقل عن القشيري أنه قال في الجواب الثاني : وأمثلة من قول القتيبي أن نقول : إن الذي يبقى الكافرين في النار ليدوم عليهم العذاب ، يبقى النبات وشجرة الزقوم في النار ، ليعذب بها الكفار .

وفي التفسير : أهل النار سلط الله عليهم الجوع حتى يعدل بما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بالضريح ، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذائبة ثم يذكرون أنهم كانوا في الدنيا يدعون الغصة بالماء فيستغيثون فيتركون السيف سنة يستسقون ثم يسقون الحميم .  
( ١ )

قوله ( لا يسمن ولا يغنى من جوع ) روى أن المشركين قالوا : إن إبلنا تسمن على الضريح ، وقد كذبوا في ذلك فأنزل الله تعالى ( لا يسمن ولا يغنى من جوع ) .  
( ٢ )

قوله تعالى : ( وجوه يومئذ ناعمه ) أي ذات نعمة .  
( ٣ )

( ١ ) ذكره البغوي في تفسيره ( ٢٣٨/٧ ) بنحوه أطول منه . فإنه قال في آخره : ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة ، كلما أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها ، فذلك قول الله ( وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ) سورة محمد الآية ١٥ .

وعزاه إلى أبي الدرداء والحسن . وذكره الخازن في تفسيره ( ٢٣٨/٧ ) من قول أبي الدرداء فقط ، وذكره السيوطي في البدر المنثور ( ٣٤٢/٦ ) مختصراً قال : " وأخرج ابن مردويه عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريح لا يسمن ولا يغنى من جوع " والله أعلم بصحة هذا الحديث .

( ٢ ) ذكره البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٣٨/٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٧/٩ ) والرازي في تفسيره ( ١٥٣/٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٠/٣٠ ) ، والالكوسي في روح المعاني ( ١١٤/٣٠ ) دون عزو إلى أحد .

( ٣ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٣٢/٢٠ ) : أي ذات نعمة ، وهي وجوه المؤمنين ، نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها وعطيا الصالح ، وقال ابن جرير في تفسيره ( ١٦٣/٣٠ ) " يقول تعالى ذكره : ( وجوه يومئذ ) يعني يوم القيامة ، ( ناعمة ) يقول : هي ناعمة بتنعيم الله أهلها من جنانه ، وهم أهل الإيمان بالله . وقال البغوي في تفسيره ( ٢٣٨/٧ ) : " قال مقاتل : في نعمة وكرامة ثم وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩٨/٩ ) ولكن دون عزو إلى مقاتل . وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٤٣/٤ ) والرازي في تفسيره ( ٥٣/٣١ ) " ( ناعمة ) أي ذات بهجة وحسن ، كقوله ( تعرف في وجوههم نضرة النعيم ) ( سورة المطففين ، الآية ٢٤ ) ، أو متنعمة .

وقال الخازن في تفسيره ( ٢٣٨/٧ ) : " أي متنعمة ، ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة " وكل هذه الأقوال تؤدي معننى واحداً وهو أن أهل الجنة يكونون فسيحة وكرامة وسرور وبهجة وكرامة لما أعد الله لهم من نعيم .

وقوله ( بسعيها راضية ) أى موضيعة . (١)

وقوله : ( فى الجنة عالية لاتسمع فيها لاغية ) أى لفوا ، فاطمة بمعنى المصدر . (٢)  
وهو فى معنى قوله ( لا يسمعون فيها لفواً ولا تأثيماً ) (٣) ، وقوله ( فيها عين جارية )  
وقد بيّنا من قبل . (٤)

(١) قال ابن جرير فى تفسيره (١٦٣/٣٠) : " وقوله " لسعيها راضية " يقول :  
لعلها الذى عطلت فى الدنيا من طاعة ربها راضية ، وقيل : ( لسعيها راضية )  
والمعنى : لثواب سعيها فى الآخرة راضية . "

وقال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٣٨/٧ ) " ( لسعيها ) فى الدنيا  
( راضية ) فى الآخرة حين أعطيت الجنة بملها . "

(٢) اختلف المفسرون فى معنى قوله ( لاغية ) على عدة أقوال : أحدها : أن المراد  
باللاغية كلمة لفو ، واللغو الباطل ، فهو على معنى النسبة كما يقال لصاحب  
الدرع ولصاحب الفرس : دارغ ، وفارس ، هو قول الأخفش .  
انظر معانى القرآن للأخفش ( ٥٣٦/٢ ) وتفسير الطبرى ( ١٦٣/٣٠ ) وتفسير  
الماوردى ( ٤٤٤/٤ ) والكشاف ( ٧٤٣/٤ ) وتفسير الرازى ( ١٥٤/٣١ ) وزاد  
المسير ( ٩٨/٩ ) وتفسير القرطبي ( ٣٣/٢٠ ) وقد عزاه بعضهم إلى الفراء  
أيضا ، وهو خلاف ما فى معانى القرآن له ( ٢٥٧/٣ ) والثانى : أنه صدر -  
يقال : لفا يلفو لفاً ولاغية . فاللاغية واللغو شئ واحد ، ويدل عليه قوله تعالى  
( لا يسمعون فيها لفواً ولا تأثيماً ) سورة الواقعة الآية ٢٥ ، ذكره البغوى  
والخازن فى تفسيرهما ( ٢٣٨/٧ ) والزمخشري فى الكشاف ( ٧٤٣/٤ ) والرازى  
فى تفسيره ( ١٥٤/٣١ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٣٣/٢٠ ) وهو الذى اختصاره  
المؤلف هنا ، والثالث : أنه صفة ، والمعنى : نفسا تلفو ، ذكره الزمخشري أو  
كلمة لاغية ذكره الرازى ، هذا من الناحية اللغوية ، وأما من ناحية المعنى فاختلفوا  
أيضا على عدة أقوال .

أحدها : يعنى كذباً وبهتاناً وكفراً بالله عز وجل ، قاله ابن عباس ، والثانى : لا باطل  
ولا إثم قاله قتادة ، والثالث : أنه الشتم قاله مجاهد ، والرابع : المعصية ، قاله  
الحسن ، والخامس : لا يسمع فيها حالف يحلف بكذب ، وهو قول الفراء والكلبى .  
والسادس : لا يسمع فى كلامهم كلمة تلفى لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة  
وحمد الله على ما رزقهم ، قاله الفراء أيضا . وهو أيضا غير موجود فى معانى القرآن  
( ٢٥٧/٣ ) . انظر اعراب القرآن للنحاس ( ٦٨٦/٣ ) وتفسير الماوردى  
( ٤٤٤/٤ ) وتفسير الرازى ( ١٥٤/٣١ - ١٥٥ ) وتفسير القرطبي ( ٣٣/٢٠ ) ووصف  
القرطبي القول الأخير بأن أحسن الأقوال لأنه نعم ما ذكر . وأما ما ذكره الفراء  
بقوله : ( حالفة على كذب ) فذكره ابن جرير فى تفسيره ( ١٦٣/٣٠ ) وذكر أن هذا  
القول له وجه ، ولكن أهل التأويل من الصحابة والتابعين على خلافه ، ولا يجوز  
لأحد مخالفتهم فيما هم مجمعون عليه ، وكذا ذكره النحاس أيضا - وأحسن الأقوال  
المذكورة هو القول الأخير ، كما صرح القرطبي .

(٣) سورة الواقعة الآية ٢٥ .

(٤) انظر ص ( ٢٦٠ ) سورة الإنسان الآية ٦ ، وقال القرطبي فى تفسيره ( ٣٣/٢٠ ) عند هذه الآية  
" قوله تعالى ( فيها عين جارية ) أى بما مندق ، وأنواع الأشربة اللذيذة على وجه  
الأرض من غير أخذ ود ، وقد تقدم فى سورة الإنسان أن فيها عيوناً ، فعين بمعنى عيون .

وقوله ( فيها سرور مرفوعه ) أى مرتفعة عن أرض الجنة . (١)

ويقال فى التفسير : السرور مرتفعة عليها فرش محشوة كل فرش / كجنبذ ، ٣٢٩ / ب

وفيه أيضا : انها تتطامن للمؤمن فإذا صعد عليها ارتفعت . (٣)

وقوله ( وأكواب موضوعة ) قد بينا معنى الأكواب وهى الأباريق التى لا خراطيم

لها ، وقوله ( ونمارق مصفوفة ) أى وسائد صف بعضها إلى بعض . (٤)

(١) قال الفراء فى معانى القرآن (٢٥٨/٣) " يقال : مرفوعة مرتفعة ، رفعت لهم أشرفت . يقال : مخبوءة رفعت لهم ، وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٤٤/٤) " ( مرفوعة ) من رفعة المقدار أو السمك ، لبرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من النعيم ، وقيل : مخبوءة لهم من رفع الشئ إذا خباه . " وذكر الماوردي فى تفسيره (٤٤٥/٤) فى وصف السرور بأنها مرفوعة ثلاثة أوجه أحدها : لأن بعضها مرفوع فوق بعض - الثانى : مرفوعة فى أنفسهم لجلالتها وجهم لها ، قاله الفراء . الثالث : مرفوعة المكان لارتفاعها وطوها . " وقال بعد أن ذكر هذه الأوجه : فعلى هذا فى وصفها بالعلو والارتفاع وجهان : أحدهما : ليلتذ أهلها بارتفاعها قاله ابن شجرة ، الثانى : ليشاهدوا بارتفاعهم عليها ما أعطوه من ملك وأوتوه من نعيم ، قاله ابن عباس .

(٢) الجنبذة : قال ابن منظور فى لسان العرب (٤٨٢/٣) : ما ارتفع من الشئ واستدار كالقبة ، وذكر أيضا أن الجنبذة القبة .

وجاء فى صفة الجنة : وسطها جنابذ من ذهب وفضة . . . . قال ابن الأثير فى النهاية (٣٠٥/١) : الجنابذ : جمع جنبذة وهى القبة . ويبدولى أن فى العبارة سقطا ، لأن قولنسه ( محشوة كل فرش . . . كجنبذ غير مستقيم ، ولم أجد هذا القول عند غيره من المفسرين .

(٣) ذكر البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٣٨/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩٨/٩) عن ابن عباس أنه قال : السواحبا من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة مالم يجىء أهلها ، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها " والله أعلم بصحة الإسناد لهذا الأثر إلى ابن عباس .

(٤) انظر ما تقدم فى ص (٢٧٨) .

(٥) قد فسرا أكثر المفسرين واللفويين (النمارق) بالوسائد ، وقالوا : وهى جمع مفردة نُفْرَقَةٌ ونُفْرَقَةٌ ، ونُفْرَقٌ " انظر مجاز القرآن (٢٩٦/٢) ومعانى القرآن للفراء (٢٥٨/٣) ومعانى القرآن للأخفش (٥٣٦/٢) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٢٥) ، والصاح (١٥٦١/٤) ولسان العرب (٣٦١/١٠) وذكر الماوردي فى تفسيره (٤٤٥/٤) فى الكلمة وجهين . أحدهما : الوسائد ، قاله قتادة . الثانى : المرافق قاله ابن أبى طلحة . وقال البغوى والخازن (٢٣٨/٧) : " ( ونمارق ) وسائد ومرافق " . وقال الرازى فى تفسيره (١٥٥/٣١) : " النمارق : هى الوسائد فى قول الجميع " . أما قوله ( مصفوفة ) فقال الفراء فى معانى القرآن (٢٥٨/٣) ، والبغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٣٨/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩٨/٩) : " بعضها إلى جنب بعض " وذكر الرازى فى تفسيره (١٥٥/٣١) عن الكلبي أنه قال : " وسائد مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ، أيما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند إلى أخرى " .

قال الشاعر (١) :

وإنا لنجسرى الكأس بين شروبننا (٢) وبين أبي قابوس فوق النمصارق (٣)

وقوله (وزرابى ميثوشه) أى بسط واحدها زُرْبِيَّة (٤)

وقوله (ميثوشه) متفرقة ، ومعنى المتفرقة أنها قد فرقت في المجالس ، وفرشت المجالس

بها (٥) . وقوله تعالى ( أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ) فإن قيل : كيف يليق هذا

بالأول .

والجواب : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم ما أوعده الله للكفار ووعد

للمؤمنين استبعدوا ذلك غاية الاستبعاد وقالوا : لانفهم حياة بعد الموت ولا ندري  
وعداً ولا وعيداً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر لهم من الدلائل ما هو بمرعى أبصارهم (٦)

(١) لم أعرف من هو .

(٢) هو النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى اللخمي ملك العرب .

انظر تاج المروس (٢١٢/٤) .

(٣) أنشده . القرطبي في تفسيره (٢٠/٣٤) .

(٤) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٩٦/٢) " الزرابى البسط ، واحدتها زربية وزربى "

وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/٣٤) من قول أبي عبيدة ، وقال : قال ابن عباس :

الزرابى : الطنافس التي لها حَمَل رقيق ، واحدتها زُرْبِيَّة " وهو قول الفراء في

معاني القرآن (٢٥٨/٣) وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٥) وقال :

ويقال : هى البسط " وقد ذكر الماوردي القولين في تفسيره (٤٤٥/٤) وعزا الأول

(يعنى : أنها البسط) إلى ابن عيسى ، والثاني (يعنى أنها الطنافس) إلى

الكلبي والفراء . ويبدو أنه لا فرق بين القولين ولذلك قال الرازي في تفسيره

(١٥٥/٣) ، " (وزرابى ميثوشه) يعنى البسط والطنافس ، واحدتها زُرْبِيَّة

وزربى بكسر الزاى فى قول جميع أهل اللغة " .

(٥) هو قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٥) وذكروا فيه أقوالاً أخرى .

أحدها : مبسوطة ، وهو قول قتادة ، رواه ابن جرير في تفسيره (٣٠/٣٤) عنه ،

والثاني : بعضها فوق بعض ، هو قول عكرمة . والثالث : الكثيرة ، قاله الفراء

في معاني القرآن (٢٥٨/٣) . انظر اعراب القرآن (٦٨٩/٣) وتفسير الماوردي

(٤٤٥/٤) والكشاف (٧٤٤/٤) وتفسير البغوى والخازن (٢٣٨/٧) وتفسير

الرازي (١٥٥/٣) وتفسير القرطبي (٢٠/٣٤) . وقال القرطبي في قول قتادة :

هذا أصوب ، فهى كثيرة متفرقة ، ومنه " وث فيها من كل دابة " سورة البقرة الآية

١٦٤

(٦) روى ابن جرير في تفسيره (١٦٥/٣٠) عن قتادة أنه قال : " لما نعت الله ما فى

الجنة ، عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله ( أفلا ينظرون إلى الإبل كيف

خلقت ) وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٣/٦) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد

وابن أبي حاتم . وقد ذكر نحوه الماوردي في تفسيره (٤٤٦/٤) من قول قتادة

والبغوى والخازن في تفسيرهما (٢٣٩/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٩٨/٩) ،

والقرطبي في تفسيره (٢٠/٣٤) وقالوا : قال المفسرون وأهل التفسير . ثم ذكروه .

قال أبو سليمان الخطابي (١) - رضى الله عنه (٢) - ذكر الله تعالى هذه الأربع: وهى الإبل والسما والارض والجبال ، وخصها بالذكر من بين سائر الأشياء لأن الأعرابي إذا ركب بعيره وخرج إلى البرية فلا يرى إلا بعيره الذى هو راكبه ، والسما التى فوقه ، والارض التى تحته ، والجبال التى هى نصب عينه . (٣)

وقوله ( إلى الإبل كيف خلقت ) فى الإبل من أعجوبة الخلق ما ليس فى غيرها، لأنها مع كبرها وعظمتها تنقاد لكل واحد يقوده ، وأيضاً فإنها تبرك ويحمل عليه الحمل الثقيل ويقوم من بروكها ، ولا يوجد هذا فى غيره ، والطفل الصغير يقوده فينقاد وينبسطه فيستريح . (٤) وفى بعض الحكايات : أن فارة جرت بزمام بميرود دخلت جحرها فبرك البعير وجرت الفارة الزمام فاهما على الجحر . (٥)

(١) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستى الخطابي ، صاحب التصانيف . قال فيه الذهبى : وكان شقة مثبته من أوعية العلم . من تصانيفه : كتاب معالم السنن ، وغريب الحديث . توفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .  
تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠١٨ - ١٠٢٠ .

(٢) فى الأصل ( عنهم ) والصواب ما أثبتته .

(٣) لم أجد من ذكر عنه هذا القول . كما أنى لم أهد إلى الصدر الذى قال فيه أبو سليمان هذا الكلام . وقد ذكر نحوه الرازى فى تفسيره ( ١٥٨٣ / ١ ) ون عزو إلى أحد .

(٤) قال البيهقى فى تفسيره ( ٢٣٩ / ٨ ) : " وتكلمت الحكماء فى وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل : لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الغيل إلا الشان منهم ، ( انظر قوله فى تفسيره ق ٣٩٤ ) .  
وقال الكلبى : لأنها تنهى بحطبها وهى باركة ، وقال قتادة : ذكر الله تعالى ارتفاع سر الجنة وفرشها ، فقالوا : كيف تصعد لها ؟ فأنزل الله هذه الآية ، وقال البيهقى : والإبل من أعز مال للعرب وأنفسها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن ، وقيل : إنها مع عظمتها تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف حتى إن الصبى الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء " .

وقد ذكر نحو هذا الكلام ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩٩ / ٩ ) والزمخشورى فى الكشاف ( ٧٤٤ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ١٥٧ / ٣١ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٠ / ٣٤ - ٣٥ ) والخازن فى تفسيره ( ٢٣٩ / ٧ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٥٠٣ / ٤ ) .  
وقال الماوردى فى تفسيره ( ٤٤٦ / ٤ ) عند كلامه على تخصيص الإبل بالذكر من بين سائر الحيوانات ، " فإن الإبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات ، لأن ضروبه أربعة ، حلوبية ، وركوبية ، وأكولة وحملية - والإبل تجمع هذه الخلال الأربع ، فكانت النعمة بها أعم ، وظهور القدرة فيها أتم .

(٥) فى نسخة " ب " ( نزل ) والصواب ما فى الأصل ، وبرك البعير ببروك أى استناخ ، وأبركته أنا فبرك ، وهو ظليل ، والأكثر أنخته فاستناخ . انظر لسان العرب ( ٣٩٦ / ١٠ ) .

(٦) لم أجد من ذكر هذه الحكاية ، وهى إن صحت تدل على تدليله وانقياده مع قوته وشده .

قوله تعالى ( وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ) أي بسطت<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عمرو بن العلاء<sup>(٢)</sup> : أن قوله ( وإلى الإبل كيف خلقت ) أنها السحاب<sup>(٣)</sup> وهو قول شاذ<sup>(٤)</sup> . ويجوز أن يحمل هذا على هذا إذا شدد ، وقد قرئ في الشاذ بالتشديد<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ١٦٥ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول : وإلى الأرض كيف بسطت ، يقال : جبل مسطح إذا كان في أعلاه استواء . انظر أيضاً مجاز القرآن ( ٢٩٦ / ٢ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٥ ) وتفسير البغوي والخازن ( ٢٣٩ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٠٠ / ٩ ) والمفردات ( ص ٢٣١ ) .

( ٢ ) تقدمت ترجمته في ص ( ٣٩٦ ) .

( ٣ ) ذكره ابن خالويه في شواذ القرآن ( ص ١٧٢ ) فقال : " أفلا ينظرون إلى الإبل ( عن أبي عمرو ، وقال : من قرأ بالتشديد أراد السحاب " وقال القرطبي في تفسيره ( ٣٥ / ٢٠ ) : " قد ذكر الأضمر أبو سعيد عبد الملك بن قُريب ، قال أبو عمرو : ومن قرأ " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت " بالتخفيف : عنى به البعير ، لأنه من ذوات الأربع ، يترك فتحمل عليه الحمولة ، وغيره من ذوات الأربع لا يحمل طيته إلا وهو قائم . ومن قرأها بالتثقيب فقال : ( الإبل ) عنى بها السحاب التي تحمل الماء والمطر " . انظر لسان العرب ٦ / ١١ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لابن السمين الحلبي تحقيق طلال عرقسوس ص ٢٧ . وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٤٦ / ٤ ) في الإبل وجهين : أحدهما : وهو أظهرهما وأشهرهما أنها الإبل من النعم ، والثاني : أنها السحاب ، ثم قال : فإن كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات الدالة على قدرة الله والمنافع العامة لجميع خلقه " . وقد ذكر هذا القول عن المبرد والكسائي وغيرهما .

قال الألويسي في روح المعاني ( ١١٦ / ٣٠ ) : " قال أبو العباس المبرد : الإبل هنا السحاب لأن العرب قد تسميها بذلك إذ تأتي أرسالا كالإبل ، وتزجى كما تزجى وهي في هيئاتها أحيانا تشبه الإبل يعني أن إرادته منها هنا على طريق التشبيه والمجاز " انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٣٥ / ٢٠ ) وعمدة الحفاظ لابن السمين الحلبي ص ٢٦ والبحر المحييط ( ٤٦٤ / ٨ ) .

( ٤ ) قال الثعلبي في الكشف والبيان ( ١٣ / ١٠٠ ق ١ ) " ولم أجد لذلك أصلاً في كتب الأئمة " . والذي دفعهم إلى القول بذلك هو طلب المناسبة بين الآيات . قال الزمخشري في الكشاف ( ٧٤٥ / ٤ ) : " ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة ، ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب ، كالغمام والمزن والرياب والقميم ، وإنما رأى السحاب مشبهاً بالإبل كثيراً في أشعارهم ، فجوز أن يواد بها السحاب على التشبيه والمجاز " انظر أيضاً تفسير الرازي ( ١٥٨٣ ) والبحر المحييط ( ٤٦٤ / ٨ ) .

( ٥ ) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ( ص ١٧٢ ) قال : ( أفلا ينظرون إلى الإبل ) بتشديد اللام عن أبي عمرو وقال : من قرأ بالتشديد أراد السحاب " .



وقال المبرد : وقد قيل الإبيل : القطع العظام من السحاب . يقال : فلان يوءبل على فلان أى يكبر عليه ويعظم .<sup>(١)</sup>

قوله تعالى ( فذكر إنما أنت مذكر ) فى التفسير : أنه عظة للمؤمن وحجة على الكافر .

ويقال : ذكر : أى اذكر دلائل توحيد الله تعالى وما أنعم عليه من النعمة .<sup>(٢)</sup>

قوله ( لست عليهم بمسيطر ) أى بمسلط .<sup>(٣)</sup> وقيل : إن هذا قبل آية السيف ، فأما بعد نزولها فقد سلط عليهم .<sup>(٤)</sup>

(١) لم أجد من ذكره عنه - كما أنى لم أجد من قال : فلان يوءبل على فلان أى يكبر عليه ويعظم . والذي وجدته هو أن تأبل بمعنى بعد قال ابن السمين الحلبي : " وقال بن الهروي : . . . وتأبل الرجل عن امرأته : بعد عنها من ذلك لأنه يجتزى بصره عنها " . انظر عمدة الحفاظ ص ٢٨ .

(٢) ذكر الماوردي فى تفسيره (٤٤٦/٤) فى الآية وجهين : أحدهما : إنما أنت واعظ . الثانى : ذكرهم النعم ليخافوا النقم . وقال غيره من المفسرين : أى : عظمهم يا محمد وخوفهم إنما أنت واعظ . انظر زاد المسير (١٠٠/٩) وتفسير القرطبي (٣٧/٢٠) والبحر المحييط (٤٦٤/٨) .

(٣) قال ابن جرير فى تفسيره (١٦٦/٣٠) : " وقوله ( لست عليهم بمسيطر ) : يقول : لست عليهم بمسلط ، ولا أنت بجبار تحطهم على ما تريد - يقول : كلهم إليّ ، ودعهم لي وحكى فيهم ، يقال : تسيطر فلان على قومه : إذا تسلط عليهم .

وقد ذكر الماوردي فى تفسيره (٤٤٦/٤) فى معنى " مسيطر " ثلاثاً قوال : أحدها : مسلط . قاله الضحاك . الثانى : جبار قاله ابن عباس ، الثالث : رب قاله الحسن ، ثم قال : ومعنى الكلام : لست عليهم بمسيطر أن تكرههم على الإيمان . وقد اختار القول الأول ( يعنى أنه بمعنى ( متسلط ) أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢٩٦/٢) والفراء فى معانى القرآن (٢٥٨/٣) وابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (٥٢٥) والبنفوى فى تفسيره (٢٣٩/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٠٠/٩) ، والقرطبي فى تفسيره (٣٧/٢٠) انظر أيضاً الصحاح (٦٨٤/٢) .

(٤) روى ابن الجوزى فى نواسخ القرآن (ص ٥٠٧) بسنده عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ( لست عليهم بمسيطر ) قال : نسخ ذلك ، فقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ) سورة التوبة الآية ٥ . ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٣٤٣/٦) وعزا تخريجه إلى أبى داود فى ناسخه . وقد ذكر نسخ هذه الآية آية السيف ، جمال الدين البذورى فى قبضة البيان فى ناسخ القرآن ومنسوخه (ص ٢٢) وابن البارزى فى ناسخ القرآن ومنسوخه (ص ٥٨) انظر أيضاً تفسير البنفوى (٢٣٩/٧) وزاد المسير (١٠٠/٩) وتفسير القرطبي (٣٧/٢٠) وقال ابن الجوزى بعد أن روى الحديث السابق : وقد قال بعض المفسرين فى معناها : لست عليهم بمسلط فتكرههم على الإيمان فعلى هذا لا نسخ .

قوله (إلا من تولى وكفر) استثناء منقطع كأنه قال : لكن من تولى وكفر فيعذب به  
الله العذاب الأكبر (١)

( ٢ )

وقوله (إن إلينا إيابهم) أي رجوعهم .

يقال : أب يَؤُوبٌ إذا رجع . قال الشاعر (٤) :

وكل ذي غِيْبَةٍ يَؤُوبٌ وغائب الموت لا يَؤُوبٌ (٥)

( ٦ )

وقوله (ثم إن طينا حسابهم) أي في القيامة .

فإن قيل : قال ( ليس لهم طعام إلا من ضريح ) وقال في موضع آخر ( فليس

لهم اليوم ها هنا حميم / ولا طعام إلا من غسلين ) فكيف وجه الجمع بينهما ؟ (٧)  
والجواب من وجوه : أحدها : أن الضريح والغسلين واحد (٨)

(١) قد ذكر هذا الوجه أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٣/٦٩٠) ومكي بسين  
أبي طالب في مشكل إعراب القرآن (٢/٤٧٢) والعكبري في كتابه : إطلاء ما من  
به الرحمن (ص ٢٨٦) . وذكره أيضا أكثر المفسرين ، وفي الآية أوجه أخرى . فقيل :  
هو استثناء متصل ، أي : فأنت مسيطر عليه . وقيل : متصل من ( فذكر ) أي :  
فذكر إلا من انقطع ظمرك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما  
اعتراض ، وقيل : إنه متصل من ( مذكر ) أي إنما أنت مذكر الناس إلا من تولى .  
وقد قرئ ( ألا ) على أنه حرف استفتاح وتنبيه .  
انظر إعراب القرآن للنحاس (٣/٦٩٠) ومشكل إعراب القرآن (٢/٤٧٣) وتفسير  
الطبري (٣٠/١٦٧) والكشاف (٧/٧٤٥) وتفسير الرازي (٣١/١٥٩) ، وتفسير  
القرطبي (٢٠/٣٧) والبحر المحيط (٨/٤٦٥) .

(٢) قال الماوردي في تفسيره (٤/٤٤٧) : " (إيابهم) أي : مرجعهم " .

وقال البغوي في تفسيره (٧/٢٤٠) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٣٨) : أي رجوعهم  
بعد الموت .

(٣) انظر الصحاح للجوهري (١/٨٩) ولسان العرب (١/٢١٧) والمفردات للأصمعي  
(ص ٣٠) .

(٤) هو عبيد بن الأبرص .

(٥) البيت في ديوان عبيد بن الأبرص (ص ١٣) وجمهرة أشعار العرب (٤٧٥)  
وأنشده أيضا القرطبي في تفسيره (٢٠/٣٨) .

(٦) قال البغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢٤٠) : " يعني : جزاءهم بعد الرجوع إلى الله  
عز وجل " .

(٧) سورة الحاقة الآية ٣٥ ، ٣٦ .

(٨) لم أجد من صرح بأن الضريح والغسلين واحد ، سوى ما ذكره أبو حيان في البحر المحيط  
(٨/٤٦٢) فإنه قال : " والضريح إن كان الغسلين والزقوم فظاهر ولا يتناهى الحصر  
في إلا من غسلين وإلا من ضريح " . وذكر الرازي في تفسيره (٣١/١٥٣) في الجمع  
بين الآيتين وجهين . أحدهما : يحتمل أن يكون الغسلين من الضريح ، ويكون ذلك  
كقوله : مالي طعام إلا من الشاه ، ثم يقول : مالي طعام إلا من اللبن ، ولا تناقض ، لأن  
اللبن من الشاة " .

والوجه الثانى : أن هذا لقوم وذاك لقوم آخرين<sup>(١)</sup> .

والوجه الثالث : أن الفسليين طعام لا ينفع ولا يغيثهم من شىء فوضع الضريع موضع ذلك ، لأن الكل بمعنى واحد<sup>(٢)</sup> . ذكره النحاس<sup>(٣)</sup> . والله أعلم .

( ١ ) قال ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن (ص ٦٨) : " فإن النار دركات ، والجنة دركات ، وطفى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والثوبات ، فمن أهل النار من طعامه الزقوم ، ومنهم من طعامه غسلين ، ومنهم من شرابه الحميم ، ومنهم من شرابه الصديد " وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩٧ / ٩ ) عن ابن قتيبة ، وذكره الرازى فى تفسيره ( ١٥٣ / ٣١ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٣١ / ٢٠ ) بنحوه دون عزو إلى أحد . وهو قول الكلبى أيضاً كما ذكره عنه القرطبى قال : قال الكلبى : الضريع فى درجة ليس فيها غيره ، والزقوم فى درجة أخرى . وقال أبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٦٢ / ٨ ) :

ولن كانت ( أى الضريع والفسليين والزقوم ) أغياراً مختلفة ولجمع بأن الزقوم لطائفة والفسليين لطائفة والضريع لطائفة " انظر أيضاً روح المعانى ( ١١٣ / ٣٠ ) .

( ٢ ) لم أجد من ذكر هذا القول .

( ٣ ) لم يذكر هذه الأوجه فى إعراب القرآن ولعله ذكرها فى معانى القرآن . وقد قام الأكوسى فى روح المعانى ( ١١٣ / ٣٠ ) بالتوفيق بين الآيات من وجوه أخرى ، فقال بعد أن ذكر القول بأن الضريع واد فى جهنم : " أى ليس لهم طعام إلا من ذلك الموضع ، ولعله هو الموضع الذى يسيل إليه صديد أهل النار ، وهو الفسليين وعليه يكون التوفيق بين هذا الحصر والحصر فى قوله تعالى : ( ولا طعام إلا من غسلين ) سورة الحاقة الآية ٣٦ . ظاهراً بأن يكون طعامهم من ذلك السوادى هو الفسليين يسيل إليه وكذا إذا أريد به ما قاله ابن كيسان ( يعنى القول بأن الضريع طعام يضرعون عنده ويدلون ويتضرعون إلى الله طلباً للخلاص منه ) . واتحد به ، وقد يتحد بهما عليه أيضاً الزقوم ، واتحاده بالضريع على القول بأنه شجرة قريب ، وقيل فى التوفيق : إن الضريع مجاز أو كناية أريد به طعام مكروه حتى للإبل وغيرها من الحيوانات التى تلتذ رعى الشوك ، فلا ينافى كونه زقوماً أو غسليناً .

---

.../...

وقيل : إنه أريد أن لا طعام لهم أصلاً ، لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الناس ، كما يقال : ليس لفلان ظل إلا الشمس أي لا ظل له ، وعليه يحمل قوله تعالى : ( ولا طعام إلا من غسلين ) وقوله تعالى : ( إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ) سورة الدخان الآية ٤٣ ، فلا مخالفة أصلاً .

وقيل : إن الفسليين وهو الصديد في القدرة الإلهية أن تجعله على هيئة الضريع والزقوم ، فطعامهم الفسليين والزقوم اللذان هما الضريع ، ثم عقب عليه بقوله " ولا يخفى تعسفه على الرضيع " .

ويبدو أن الراجح هو ما ذكره ابن قتيبة : يعني أن النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ، ومنهم من طعامه الفسليين ، ومنهم من طعامه الضريع ، ويجوز أيضاً أن تحمل الآيات على حالات مختلفة \* والله أعلم بالصواب .

(١) تفسير سورة الفجر وهي مكية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( والفجر ) روى أبو صالح عن ابن عباس : أنه فجر المحرم وذلك أول يوم منه . (٢)

(١) أورد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٤/٦) عن ابن عباس أن هذه السورة نزلت بمكة ، وعزا تخريجه إلى النحاس وابن الضريس وابن مردويه والبيهقي ، وأورد عن عبد الله بن الزبير وعائشة أيضا أنها نزلت بمكة ، وعزا تخريجه إلى ابن مردويه . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١٠٢/٩) إجماع المفسرين على أن هذه السورة كلها مكية ، وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٦٧/٨) : " هذه السورة مكية فسي قول الجمهور ، وقال علي بن أبي طلحة : مدنية " .

(٢) أورد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٤/٦) بلفظ : " هو المحرم أول فجر السنة " وعزا تخريجه إلى سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب وابن عساكر . وقد ذكره من قول ابن عباس : أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٦٩٢/٣) ولفظه : " أنه فجر السنة المحرم " .

وذكره الرازي في تفسيره (١٦٢/٣١) بلفظ : وعن ابن عباس أنه قال : فجر السنة هو المحرم " فجعل جطة المحرم فجراً . وذكره القوطي في تفسيره (٣٨/٢٠) قال : " وقال ابن محيصن عن عطية عن ابن عباس : يعني فجر يوم المحرم " . ولا بن عباس قولان آخران سيأتي ذكرهما بعده .

وهذا قول قتادة أيضا ، ذكره من قوله البيهقي في تفسيره (٢٤٠/٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٣/٩) والقوطي في تفسيره (٣٨/٢٠) كلهم قالوا : قال قتادة : هو فجر أول يوم من المحرم ، منه تنفجر السنة " . وذكر أبو حيان في البحر المحيط (٤٦٨/٨) قال : وقال ابن عباس و قتادة : ( هو ) من أول يوم من المحرم .

وقال الرازي في تعليل هذا القول : أقسم به لأنه أول يوم من كل سنة وعند ذلك يحدث أموراً كثيرة مما يتكرر بالسنين كالحج والصوم والزكاة واستئناف الحساب والأهلية ، وفي الخبر : " إن أعظم الشهور عند الله المحرم " . انظر تفسيره (١٦٢/٣١) .

وفي رواية أخرى عنه : أنه فجر يوم النحر . ويقال : هو الفجر في كل الأيام .<sup>(٢)</sup>

(١) ذكره القوطي في تفسيره (٣٩/٢٠) قال : " روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : " والفجر " يريد صبيحة يوم النحر ، لأن الله تعالى جعل ثنائه جعل لكل يوم ليلة قبله ، إلا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لأن يوم عرفة له ليلتان : ليلة قبله وليلة بعده . فمن أدرك الموقف ليلة بعد عرفة فقد أدرك الحج إلى طلوع الفجر فجر يوم النحر . انظر أيضا البحر المحيط (٤٦٨/٨) . وهو قول محمد بن كعب القرظي ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٤٤/٦) وعزا تخريجه إلى ابن أبي حاتم .

وذكره القوطي أيضا ، قال : وعن محمد بن كعب القرظي : " ( والفجر ) آخر أيام العشر ، إذا دَفَعَتْ من جَمْع ( أي ليلة المزدلفة ) وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٠٥/٤) من قول مسروق ومحمد بن كعب فقال : عن مسروق ومحمد بن كعب : المراد به فجر يوم النحر خاصة ، وهو خاتمة الليالي العشر .

وقد روى ذلك من قول عكرمة أيضا . قال السيوطي في الدر المنثور (٣٤٤/٦) " وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة في قوله ( والفجر ) قال : طلوع الفجر غداة جمع " . وذكره القوطي فقال : وقال عكرمة : " والفجر " قال : انشقاق الفجر من يوم جمع " . وذكر عنه قول آخر كما سيأتي بعده .

وقد ذكر هذا القول أيضا من قول مجاهد . ذكره السيوطي في المصدر السابق له : فقال : وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ( والفجر ) قال : فجر يوم النحر وليس كل فجر " .

وذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٤٤٨/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٣/٩) والقوطي في تفسيره (٣٩/٢٠) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٦٨/٨) ولكنه خلاف ما في تفسير مجاهد (٧٥٥/٢) فإنه قال : هو فجر النهار .

(٢) هو القول الثالث من أقوال ابن عباس ، رواه من قوله عبد الرحمن في زوائده على تفسير مجاهد (٧٥٥/٢) والحاكم في مستدركه (٥٢٢/٢) بسندهما عن الأغسر عن خليفة بن حصين عن أبي نصر عن ابن عباس رضي الله عنهما ( والفجر ) قال : هو الفجر الذي ترون من المشرق ، يقول : فجر النهار ، هذا لفظ عبد الرحمن وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي .

وقد أورد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٤/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى القريابي وابن جريج وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان ، وهو قول علي بن أبي طالب وابن الزبير وعكرمة ومجاهد والسدي . انظر تفسير مجاهد (٧٥٥/٢) وتفسير الطبري (١٦٨/٣٠) وتفسير الماوردي (٤٤٨/٤) وتفسير البغوي (٢٤٠/٧) ، وزاد المسير (١٠٣/٩) وقال البغوي وابن الجوزي : روى أبو صالح عن ابن عباس : قال : " هو انفجار الصبح كل يوم " وتفسير الرازي (١٦١/٣١) وتفسير القوطي (٣٨/٢٠) وتفسير ابن كثير (٥٠٥/٤) .

هذا وقد تقدم عن لسيوطي أنه ذكر ابن جرير ضمن من روى عن ابن عباس هذا القول ، فوجدت ابن جرير روى في تفسيره ( ١٦٨ / ٣٠ ) عن ابن عباس بالسند المذكور لدى عبد الرحمن والحاكم أنه قال : النهار - وقال قبل إيراد لهذه الرواية : " اختلف أهل التأويل في الذي عنى بذلك ( أى " والفجر " ) . فقال بعضهم : عنى به النهار " وقد أورد هذا القول غير واحد من المفسرين فذكر الماوردي فى تفسيره ( ٤٤٨ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٠٣ / ٩ ) أن المراد بالفجر هنا النهار كله ، وعبر عنه بالفجر لأنه أوله - ثم قال الماوردي : قاله ابن عباس ، وقال ابن الجوزى : وروى هذا المعنى أبو نصر عن ابن عباس .

انظر أيضا هذا القول فى إعراب القرآن للنحاس ( ٦٩٢ / ٣ ) وتفسير السرايزى ( ١٦١ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٣٨ / ٢٠ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٠٥ / ٤ ) والبحر المحيط ( ٤٦٨ / ٨ ) .

وهذا هو القول الرابع من الأقوال المروية عن ابن عباس وذكر عنه قول خاص وهو أن المراد صلاة الفجر ، رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٦٨ / ٣٠ ) من طريق عطية عنه وذكره أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن ( ٦٩٢ / ٣ ) والماوردي فى تفسيره ( ٤٤٨ / ٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٤٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٠٣ / ٩ ) والرازي فى تفسيره ( ١٦١ / ٣١ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٣٩ / ٢٠ ) وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٦٨ / ٨ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٥٠٥ / ٤ ) كلهم من قول ابن عباس ، سوى الرازي فإنه لم ينسبه إلى أحد ، وأبو حيان فإنه ذكره من قول ابن عباس وزيد بن أسلم وابن كثير فإنه ذكره من قول عكرمة .

وذكر فى معنى ( الفجر ) قولان آخران :  
أحدهما : أنه فجر أول يوم من ذى الحجة ، لأنه قرن به الليالى العشر . ذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٤٠ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٠٣ / ٩ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٣٩ / ٢٠ ) وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٦٨ / ٨ ) من قول الضحاك . وذكره الرازي فى تفسيره ( ١٦٢ / ٣١ ) والخازن فى تفسيره ( ٢٤٠ / ٧ ) دون عزو إلى أحد .  
والثانى : أنه عنى بالفجر الميون التى تنفجر منها المياه . ذكره الرازي وأبو حيان فى المصدرين السابقين لهما .

والمختار من هذه الأقوال هو أن الفجر المعروف الذى هو بدء النهار ، لأنه هو المعروف من كلمة الفجر كما قال ابن كثير فى تفسيره ( ٥٠٥ / ٤ ) .

وقوله ( وليال عشر ) أكثر الأقاويل : أنها عشرون الحجة - (١) وعن ابن عباس  
في رواية : أنها العشر الأخير من رمضان . (٢)

(١) هو مروى من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه الإمام أحمد في مسنده  
(٣٢٢/٣) والبزار في مسنده ( انظر كشف الاستار ٣/٨٥ - ٨١ ) والنسائي  
في السنن الكبرى - كتاب التفسير ( انظر تحفة الأشراف (٢/٢٩٦) والحاكم  
في مستدركه (٤/٢٢٠) وابن جرير في تفسيره (٣٠/١٦٩) كلهم من طريق  
عياش بن عقبة عن خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه  
وسلم في قوله تعالى : " وَلَيَالٍ عَشْرٍ " قال : عشر الأضحى ، ( وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ )  
قال : الشَّفْعِ يوم النحر ( وَالْوَتْرِ يوم عرفة ) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٢٧) : رواه البزار وأحمد ورجالهما  
رجال الصحيح غير عياش بن عقبة ، وهو ثقة . وأورده ابن كثير في تفسيره  
(٤/٥٠٥) وقال : " وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندى أن المتن فسي  
رفعه نكارة والله أعلم .

وقد ذكر هذا القول ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٢٥) وأشار إلى  
حديث جابر ، وقال : " ولم يصح " ، وهكذا حكم عليه الألباني بضعفه في ضعيف  
الجامع الصغير (١/٦١) .

وقد روى ذلك أيضا من قول ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة والضحاك  
والسدي والكلبي - واختاره ابن قتيبة وغيره .

انظر تفسير مجاهد (٢/٧٥٥) ومعاني القرآن (٣/٢٥٩) وتفسير عبد السرزاق  
(ق ١٧١/ب) وتفسير غريب القرآن (٥٢٧) وتفسير الطبري (٣٠/١٦٨-١٦٩)  
وتفسير البغوي (٧/٢٤٠) وزاد المسير (٩/١٠٣) وتفسير ابن كثير (٤/٥٠٥) ،  
والدر المنثور (٦/٣٤٥) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٤٦) قال : " وأخرج ابن المنذر وابن  
أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ( وليال عشر ) قال : هي العشر الأواخر  
من رمضان " وقد ذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٤/٤٤٨) والبغوي فسي  
تفسيره (٧/٢٤٠) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/١٠٤) وقال : رواه أبو ظبيان  
عن ابن عباس ، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٢٦) دون عزو إلى  
أحد وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/٣٩) وأبو حيان في البحر المحيظ (٨/٤٦٨)  
من قول ابن عباس والضحاك ، وزاد أبو حيان فقال : " وقال ابن جريج : الأول منه  
" أي العشر الأول من رمضان ) ولكن قال البغوي : قال أبو روق عن الضحاك :  
" هي العشر الأول من شهر رمضان " ، وذكره بهذا اللفظ ابن كثير في تفسيره (٤/٥٠٥)  
فقال : روى أبو كدبنة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس ( وليال عشر ) قال :  
هو العشر الأول من رمضان " والصواب أن هذا اللفظ مروى عن الضحاك . انظر  
زاد المسير (٩/١٠٤) وذكره الرازي في تفسيره (٣١/١٦٢) بلفظ : أنها العشر  
الأواخر من شهر رمضان " ولم يعزه إلى أحد ، وقال : أقسم الله بها لشرفها  
وفيها ليلة القدر .



وعن مسروق : أنها العشر التي قال الله تعالى في قصة موسى (وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ) (١)  
وعن بعضهم : أنها العشر الأول من المحرم . (٢)

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٢ والأشهر أوردته السيوطي في الدر المنثور (٣٤٥/٦) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد ، وذكره من قوله القرطبي في تفسيره (٣٩/٢٠) وذكره الماوردي في تفسيره (٤٤٨/٤) من قول مجاهد ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤٦٨/٨) من قول مسروق ومجاهد ، وتقدم عنه أنه قال : هي العشر الأول من شهر ذي الحجة " وروى القولين عن مجاهد الطبري في تفسيره (١٦٩/٣٠) وذكر هذا القول ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٢٦/٤) دون عزو إلى أحد .

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره (١٦٩/٣٠) دون عزو إلى أحد ، وذكره الماوردي في تفسيره (٤٤٨/٤) وابن كثير في تفسيره (٥٠٥/٤) وقال : حكاه ابن جرير الطبري وذكره البغوي في تفسيره (٢٤٠/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٤/٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٦٨/٨) من قول يمان بن رثاب " وذكره القرطبي في تفسيره (٣٩/٢٠) من قول ابن عباس ويمان والطبري " وذكره الرازي في تفسيره (١٦٢/٣١) وقال : " وهو تنبيه على شرف تلك الأيام ، وفيها يوم عاشوراء " . انظر أيضا أحكام القرآن (١٩٢٦/٤) وتفسير الخازن (٢٤٠/٧) . أما الراجح من هذه الأقوال فقد ذهب بعضهم إلى ترجيح القول بأنها العشر الآخرة من رمضان ، وذلك لما ورد في الحدِيث المتفق على صحته من رواية عائشة الصديقرضي الله عنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله " انظر الحدِيث في صحيح البخاري (٣٦٩/٤) رقم ٢٠٢٤ (٢٠٢٤) وصحيح مسلم (٧٠/٨) ، وذكر أبو حيان في البحر المحيط (٤٦٨/٨) عن التبريزي أنه قال : " اتفقوا على أنه العشر الآخرة يعني من رمضان لم يخالف فيه أحد فتعظيمه مناسب لتعظيم القسم " ولكن ذهب ابن جرير في تفسيره (١٦٩/٣٠) وابن كثير في تفسيره (٥٠٥/٤) إلى اختيار القول الأول ( يعني : أنها عشر الأضحي ، فقال ابن جرير : والصواب من القول من ذلك عندنا : أنها عشر الأضحي لإجماع الصحابة من أهل التأويل عليه " وقال ابن كثير : والصحيح القول الأول " وأورد كل منهما حديث جابر بن عبد الله السابق واختاره الزمخشري أيضا في الكشاف (٧٤٦/٤) إذ لم يورد غيره وذكره السويدي قد ينشأ على اختيار هذا القول ، ثم أجاب عن كل منهما أحد هذين السؤالين : ما بال هذه الليالي منكراً من بين ما أقسم به الرب سبحانه وتعالى ؟ . والثاني : هلا عرفت بلام العهد ، لأنها ليال معبودة ؟ .

وأجاب عن السؤال الأول بقوله : لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي : العشر بعض منها ، أو مخصوصة بفضيلة لغيرها ، وأجاب عن الثاني بقوله : لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ، ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الالتفاز ، والتعمية " وأورد هذا الكلام بتمامه أبو حيان في البحر المحيط (٤٦٨/٨) وقال : " أما السؤالان فظاهران ، وأما الجواب عنهما فلفظ طفق لا يعطيه معنى ، فيقبل أو يرد " . وقيل : إن التنكير للتفخيم " ذكره الألويسي في روح المعاني (١٢٠/٣٠) وهو محتمل .

وقوله ( وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ) روى عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم :  
أنه الصلاة ، منها شفع ومنها وتر ، رواه أبو عيسى <sup>(٢)</sup> في جامعه <sup>(٢)</sup> .

(١) هو محمد بن عيسى الترمذى صاحب السنن .

(٢) انظر سنن الترمذى (٥/٤٤٠ ، رقم الحديث ٣٣٤٢) كتاب التفسير - باب  
( ومن سورة الفجر ) والحديث أخرجه أيضا الإمام أحمد في مسنده (٤/٤٣٧ ،  
٤٤٢ ، ٤٣٨ ) وابن جرير في تفسيره (٣٠/١٧٢) . كلهم من طريق قتادة عن عمران  
ابن حصين أن شيخاً حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى  
عليه وسلم سئل عن الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ؟ فقال : هي الصلاة بَعْضُهَا شَفْعٌ وَبَعْضُهَا وَتْرٌ .  
وقال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة " والحديث قد  
رواه أيضا ابن جرير في تفسيره (٣٠/١٧٢) وابن أبي حاتم في تفسيره ( كما فسئ  
تفسير ابن كثير ٤/٥٠٦ ) والحاكم في مستدركه (٢/٥٢٢) كلهم من طريق  
قتادة عن عمران بن عصام الضمى شيخ أهل البصرة عن عمران بن حصين به - فجعلوا  
الشيخ البصرى هو عمران بن عصام .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٠٦) : " وعندى أن وقفه على عمران بن حصين  
أشبهه والله أعلم " .

قلت : وقد روى موقوفاً عليه ، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (ق/١٧١ ب) ،  
وابن جرير في تفسيره (٣٠/١٧١) كلاهما من طريق معمر عن قتادة عن عمران بن  
الحصين قال : هي الصلاة المكتوبة فيها الشفع والوتر " .

وقال ابن جرير في رواية أخرى عن سعيد عن قتادة عنه قال : الصلاة ، وهو  
إسناد منقطع ، لم يثبت لقا " قتادة بعمران بن حصين . وأما هذا القول فقد ذكره  
الماوردى في تفسيره (٤/٤٤٩) وابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٢٦) والبهقوى  
في تفسيره (٧/٢٤١) وابن الجوزى في زاد المسير (٩/١٠٥) والرازى في تفسيره  
(٣١/١٦٣) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٣٩) وابن كثير في تفسيره (٤/٥٠٦)  
كلهم من حديث عمران بن حصين مرفوعاً ، وقال ابن الجوزى : وبه قال قتادة .  
وقال ابن كثير : قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما : هي الصلاة منها شفع  
كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فإنها ثلاث وهى وتر النهار وكذلك صلاة  
الوتر فى آخر التهجد من الليل .

والقول الثانى : أن الشفع هو يوم نحر والوتر يوم عرفة . وروى بعضهم هذا مرفوعاً إلى النبی صلى الله عليه وسلم .<sup>(١)</sup>

وهو مروى عن ابن عباس أيضاً .<sup>(٢)</sup> وهو قول معروف .<sup>(٤)</sup>  
وعن ابن الزبير : أن الشفع هو قوله تعالى ( فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ )<sup>(٥)</sup>  
<sup>(٦)</sup>

( ١ ) رواه أبو الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم فى سياق الحديث السابق : ( والشفع والوتر ) . قال : الشفع يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة .

انظر تخريج الحديث والحكم عليه فى ص ٧١٠ وصححه بعضهم وضعفه الآخرون .

( ٢ ) فى الأصل ( عن عباس ) وفى نسخة ( ب ) ( ابن عباس ) وهو الصواب .

( ٣ ) رواه ابن جريو فى تفسيره ( ١٧٠ / ٣٠ ) من طرق عنه .

وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٤٦ / ٦ ) قال : وأخرج عبد بن حميد وابن جريو وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان من طرق عن ابن عباس قال : الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة .

( ٤ ) قد ذكر هذا القول ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٦ ) والماوردى فى تفسيره ( ٤٤٩ / ٤ ) وابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٩٢٦ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٠٤ / ٩ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٥٠٥ / ٤ ) وقال : وبه قال ابن عباس وعكرمة والضحاك .

انظر أيضاً الكشاف ( ٧٤٦ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ١٦٢ / ٣١ ) .

( ٥ ) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشى الأسدى ، أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، ولد عام الهجرة ، وهو أول مولود فى الإسلام بالمدينة ، وأحد العبادة وأحد الشجعان من الصحابة وأحد من تولى الخلافة منهم يكنى أبابكر ، ثم قيل له أبو خبيب .  
قتل فى ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين .

انظر الإصابة ( ٣٠٩ / ٢ ) وتقريب التهذيب ١٧٣ .

( ٦ ) سورة البقرة الآية ٢٠٣ .

فاليومان الأولان من أيام الرمي شفع ، واليوم الثالث وتر . ( ١ )

وروى هشيم عن مفسره<sup>(٣)</sup> عن إبراهيم : أن الشفع هو الزوج والوتر هو  
الغرد .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٤ / ٥٠٥ ) بسنده عن أبي سعيد  
ابن عوف قال : سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير  
المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر ؟ فقال : الشفع قول الله تعالى ( فمن تعجل  
في يومين فلا إثم عليه ) والوتر قوله تعالى ( ومن تأخر فلا إثم عليه ) .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٤٦ ) قال :

" وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير

وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن الزبير أنه سئل عن الشفع والوتر ؟

فقال : الشفع قول الله ( فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ) والوتر اليوم  
الثالث وفي لفظ : الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق "

وأما عزو السيوطي لتخريج هذا الأثر إلى عبد الرزاق وابن جرير فأنا لم أجده  
لديهما عند هذه الآية . إلا أن ابن كثير ذكر هذا الأثر نقلاً عن ابن جرير  
فقال : " وقال ابن جرير : أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول :  
الشفع أول أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق " وهذا الإسناد يبدو عليه أثر  
الإنقطاع أو السقوط واضحاً ، ومن الغريب أن ابن جرير ذكر هذا القول ورواه عن  
ابن زيد . انظر تفسيره ( ٣٠ / ١٧٠ ) ، وذكر هذا القول من قول ابن الزبير  
والماوردي في تفسيره ( ٤ / ٤٤٩ ) والبغوي في تفسيره ( ٧ / ٢٤١ ) وابن الجوزي في  
زاد المسير ( ٩ / ١٠٦ ) والقوطبي في تفسيره ( ٢٠ / ٤٠ ) .

( ٢ ) هو هشيم ( بالتصغير ) ابن بشير بن القاسم بن دينار السلمى أبو معاوية ابن أبي خازم  
الواسطي ، قبلي : إنه بخاري الأصل . ثقة ثبت ، كثير التدليس والإرسال الخفي .  
مات سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقد قارب الثمانين .  
تهذيب التهذيب ( ١١ / ٥٩ ) وتقريب التهذيب ٣٦٥ .

( ٣ ) هو مفسره بن مقسم الضبي .

( ٤ ) أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٤٦ ) قال : " وأخرج سعيد بن منصور  
وعبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم النخعي قال : الشفع الزوج والوتر الغرد " .

قال مجاهد : هو العدد كله منه الشفع ومنه الوتر<sup>(١)</sup> ، وهو قريب من قول

إبراهيم .

وعن عطاء قال : الشفع هو عشر ذى الحجة والوتر أيام التشريق<sup>(٢)</sup> .

وعن جماعة أنهم قالوا : الشفع هو الخلق ، والوتر هو الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

(١) لم أجد من ذكر هذا القول عن مجاهد ، وهو خلاف ما في تفسير مجاهد ، بل هو مروى عن الحسن - ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٣٤٦/٦) قال : وأخرج عبد بن حميد عن الحسن ( والشفع والوتر ) قال : أقسم ربنا بالعدد كله الشفع منه والوتر .

وقد روى ابن جرير فى تفسيره (١٧٢/٣٠) بسنده عن قتادة أنه سئل عن الشفع والوتر ، فقال : هو العدد .

وقد ذكر هذا القول من قول الحسن - الماوردى فى تفسيره (٤٤٩/٤) ، والبغوى فى تفسيره (٢٤٠/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٠٦/٩) والقوطى فى تفسيره (٤١/٢٠) وابن كثير فى تفسيره (٥٠٦/٤) .

وقد روى عنه قول آخر وهو أن الخلق كله منه شفع ومنه وتر ، روى عنه ابن جرير فى تفسيره (١٧١/٣٠) وذكره عنه البغوى فى تفسيره (٢٤٠/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٠٦/٩) وابن كثير فى تفسيره (٥٠٦/٤) . وهو مروى أيضا عن مجاهد وسروق وابن زيد . انظر المصادر السابق ، ولمجاهد قول آخر كما سيأتى .

(٢) ذكره القوطى فى تفسيره (٤٠/٢٠) وهو قول الضحاك أيضا - ذكره من قوله ابن الجوزى فى زاد المسير (١٠٦/٩) والقوطى (٤٠/٢٠) .

(٣) هو قول مجاهد ، فإنه قال فى تفسيره (٧٥٥/٢-٧٥٦) " كل شىء خلقه الله فهو شفع ، السماء شفع ، والأرض شفع ، والبر والبحر والشمس والقمر والإنسان هذا كله شفع ، ( والوتر ) هو الله الواحد . ورواه بهذا اللفظ ابن جرير فى تفسيره (١٧١/٣٠) من طريق ورقاء عن ابن أبى نجيع عنه .

وأورد السيوطى فى الدر المنثور (٣٤٦/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

وروى عنه أيضا بلفظ : ( والشفع والوتر ) قال : الله الوتر وخلق الشفع الذكر والأنثى ، ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٣٤٦/٦) وعزا تخريجه إلى عبد بسن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم .

انظر هذه الرواية وغيرها عن مجاهد فى تفسير الطبرى (١٧١/٣٠) وتفسير ابن كثير (٥٠٦/٤) وهو مروى عن ابن عباس أيضا ، رواه عنه عطية الموفى

.../...

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٧١ / ٣٠ ) بسنده عنه قال : الله وتسر وأنتم شفيع ، ويقال : الشفع ؛ صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب ، ويستدل على هذا القول بقوله تعالى ( ومن كل شيء خلقنا زوجين ) سورة الذاريات الآية ٤٩ وقولسه ( وخلقناكم أزواجا ) سورة النبا الآية ٨ .

وقد ذكر هذا القول البغوي في تفسيره ( ٢٤٠ / ٧ ) وقال : ( روى ذلك عند أبي سعيد الخدري وهو قول عطية العوفى . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠٦ / ٩ ) وقول : " رواه العوفى عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد في رواية مسروق ، وأبو صالح " . وذكره القرطبي في تفسيره ( ٤٠ / ٢٠ ) من قول مجاهد وابن عباس . وقال بعد ذكره : " قيل لمجاهد : أترويه عن أحد ؟ قال : نعم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وأبو صالح وقتادة .

وذكره أيضا الرازي في تفسيره ( ١٦٣ / ٣١ ) وقال : " وقال بعض المتكلمين : لا يصح أن يقال الوتر هو الله ، لوجوه .  
الأول : أنا بينما أن قوله ( والشفيع والوتر ) تقديره : ( ورب الشفع والوتر ) فيجب أن يراد بالوتر المربوب فبطل ما قالوه .  
الثاني : أن الله تعالى لا يذكر مع غيره على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز من غيره وروى أن النبي عليه الصلاة والسلام سمع من يقول : الله ورسوله فنهاه ، وقال : " قل الله ثم رسوله " قالوا : وما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : " إن الله وتر يحب الوتر " ليس بمقطوع به " .

قلت : وكيف لا يكون مقطوعاً به وقد اتفق على إخراجه أصحاب الكتب الستة ، وهو أعلى درجة للحديث صحة .

انظر الصحيح للبخاري ( ١١ / ٢١٤ رقم ٦٤١٠ ) والصحيح لمسلم ( ١٧ / ٤ - ٥ )  
وسنن أبي داود ( ٢ / ١٢٧ - ١٢٨ رقم ١٤١٦ ) وسنن الترمذي ( ٢ / ٣١٦ رقم ٤٥٣ )  
وسنن النسائي ( ٣ / ٢٢٨ - ٢٢٩ ) وسنن ابن ماجه ( ١ / ٣٥٦ ) .

ويقال : الشفع هو آدم وحواء ، والوتر : هو الله (١) .

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٤٦/٦ ) عن مجاهد ، وعزا تخريجه إلى عبد ابن حميد ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠٧/٩ ) من قول مقاتل بن سليمان ( انظر أيضا تفسير مقاتل ق ٣٩٥ / ب ) وذكره القرطبي في تفسيره ( ٤٠/٢٠ ) وعزاه إلى ابن عباس في رواية عنه . وقد ذكر ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٦ ) عن ابن عباس أنه قال : الوتر آدم ، والشفع : شفع بزوجه حواء عليهما السلام . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠٦/٩ ) وقال : " رواه مجاهد عن ابن عباس " وقال القرطبي في تفسيره ( ٤٠/٢٠ ) " وقيل : إن الشفع والوتر : آدم وحواء ، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجه حواء ، فصار شفعا بعد وتر ، رواه ابن أبي نجیح ، وحكاه القشيري عن ابن عباس .

هكذا ذكر المؤلف في تفسير ( والشفع والوتر ) ثمانية أقوال وفيه أقوال أخرى كثيرة لأن المفسرين اضطربوا فيه اضطراباً كثيراً حتى روى عن بعض أئمة التفسير عدة أقوال وقد أورد الزمخشري في الكشاف ( ٧٤٦/٤ ) أربعة أقوال . ثم قال : " وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه ، وذلك قليل الطائل ، جد ير بالتلهي عنه " .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٦٨/٨ ) : " ذكر في كتاب التحريرو والتحبير فيها ( أي والشفع والوتر ) ستة وثلاثين قولاً ضجرنا من قراءتها فضلاً عن كتابتها فسي كتابنا هذا " . وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠٤/٩ - ١٠٧ ) عشرين قولاً .

وأما الراجح من هذه الأقوال فاختلف المفسرون أيضاً في الترجيح فذهب ابن جرير في تفسيره ( ١٧٢/٣٠ ) إلى التوقف وعدم القطع بأحد هذه الأقوال فقال : " والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره : أقسم بالشفع والوتر ، ولم يخصص نوعاً من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل ، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل أنه داخل في قسمه هذا لمموم قسمه بذلك " .

وأما النحاس فاختر ( كما ذكر عنه القرطبي في تفسيره ٤٠/٢٠ ) القول بأن الشفع يوم النحر ، والوتر يوم عرفة ، واستدل على ذلك بحديث أبي الزبير عن جابر الذي تقدم ذكره في ( ص ٧١٠ ) ووصف بأنه هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أصح إسناداً من حديث عمران بن حصين ، فيوم عرفة وتر ، لأنه تاسعها ، ويوم النحر شفع لأنه عاشرها ، انظر أيضاً البحر المحيط ( ٤٦٨/٨ ) واختار هذا القول السرازي أيضاً في تفسيره ( ٤٠/٢٠ ) ووصفه بأنه أقرب الأقوال ، وقال : وإنما أقسم بهما لشرفهما أما عرفة فهو الذي عليه يدور أمر الحج كما في الحديث ( الحج عرفة ) . وأما يوم النحر فيقع فيه القران وأكثر أمور الحج من الطواف المفروض والحلق والرمي ، ويوم : يوم النحر هو يوم الحج الأكبر ، فلما اختص هذان اليومان بهذه الفضائل لاجرم أقسم الله بهما " .

وقرى : وَالْوَتْرُ - بِالْفَتْحِ - (١) وقال أهل اللغة : بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ (٢).  
قوله ( واللَّيْلُ إِذَا يَسُرُّ ) قال أبو العالِيَةِ : إِذَا أَقْبَلَ (٣). وقال إبراهيم :  
إِذَا اسْتَوَى (٤).

(١) قرأ حمزة والكسائي " الوتر " بكسر الواو، وقرأ الباقون بالفتح، انظر التيسير (ص ٢٢٢)  
والكشف عن وجوه القراءات (٣٧٢/٢) وحجة القراءات (ص ٧٦).

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٧٣/٥) : " الْوَتْرُ وَالْوَتْرُ : الْفَرْدُ أَوْ الْمَلِيحُ  
يَتَشَفَعُ مِنَ الْعَدِيِّ ، وَأَوْتَرَهُ أَي أَفْذَهُ ، قال اللحياني : أهل الحجاز يسمون الْفَرْدَ الْوَتْرَ ،  
وأهل نجد يكسرون الواو ، وهي صلاة الوتر ، وَالْوَتْرُ لأهل الحجاز ، ويقرون : ( وَالشَّفْعُ  
وَالْوَتْرُ ) وَالْكَسْرُ لَتَمِيمٍ ، وَأهل نجد يَقْرؤون : ( وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ ) .  
انظر أيضا الكشف عن وجوه القراءات (٣٧٢/٢) .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٤٢/٢٠) فقال : " وقال قتادة وأبو العالِيَةِ : جاء  
وأقبل " .

وذكره البغوي في تفسيره (٢٤١/٧) عن قتادة ، فقال : " قال قتادة : إذا جاء  
وأقبل " .

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٠٨/٩) بلفظ : " إذا يسرى مقبلاً ، قاله  
قتادة " . ولكن روى ابن جريو في تفسيره (١٧٣/٣٠) بسنده عن أبي العالِيَةِ  
وقتادة وغيرهما أنهم قالوا : ( واللَّيْلُ إِذَا يَسُرُّ ) أَي إِذَا سَارَ . وأما ابن كثير  
فذكر في تفسيره (٥٠٦/٤) عن ابن عباس أنه قال : في تفسير الآية : أَي إِذَا ذَهَبَ  
ثم قال :

وقال مجاهد وأبو العالِيَةِ وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ( واللَّيْلُ إِذَا  
يسر ) إِذَا سَارَ ، وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس : أَي ذَهَبَ " ثم قال  
أيضاً : " ويحتمل أن يكون المراد إِذَا سَارَ أَي أَقْبَلَ " .

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٤٢/٢٠) قال : " وروى عن إبراهيم ( النخعي ) : " وَاللَّيْلُ  
إِذَا يَسُرُّ " قال : إِذَا اسْتَوَى .



وعن بعضهم : ( إِذَا يَسْرٍ ) بمعنى إذا يسرى فيه <sup>(١)</sup> فيذهب بعضه في إثـر  
بعض <sup>(٢)</sup> .  
وقيل : يسرى فيه <sup>(٣)</sup> .

(١) كذا في النسختين ، والسياق يقتضى أن يكون : ( إِذَا يَسْرٍ ) لأنه هو المروى  
عن بعض أئمة التفسير ، وأما إِذَا قِيلَ : ( إِذَا يَسْرٍ فِيهِ ) فلا يكون فرق  
بين هذا القول والقول الآتى بعده .

(٢) قال ابن جريو في تفسيره ( ١٧٢/٣٠ - ١٧٣ ) : " وقوله ( والليل إذا يسر )  
يقول : والليل إذا سار فذهب ، يقال منه : سرى فلان ليلاً يسرى : إذا سار"  
ثم روى بسنده عن غير واحد من أئمة التفسير ما يدل على هذا المعنى فروى  
من طريق محمد بن المرتفع عن عبد الله بن الزبير أنه قال : ( والليل إذا يسر )  
حتى يُذْهِبَ بعضه بعضاً " .

وأيضاً من طريق عطية العوفى عن ابن عباس أنه قال : " إِذَا ذَهَبَ "  
وكذلك رواه عن آخرين أيضاً ، وهو قول أكثر المفسرين كما صرح به القرطبي في  
تفسيره ( ٤٢/٢٠ ) .  
انظر أيضاً تفسير البغوى ( ٢٤١/٧ ) وزاد المسير ( ١٠٨/٩ ) وتفسير ابن كثير  
( ٥٠٦/٤ ) .

(٣) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٦) " ( والليل إذا يسر ) أى يسرى  
فيه ، كما يقال : ليل نائم أى ينام فيه " .

ونذكره ابن الجوزى في زاد المسير ( ١٠٨/٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٤٢/٢٠ )  
وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٦٨/٨ ) من قول الأخفش وابن قتيبة ، وقال القرطبي :  
" وهذا قول أكثر أهل المعانى " واختاره الزمخشري في الكشاف ( ٧٤٧/٤ ) إن  
لم يذكره غيره . وأما الراجح فقال أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ( ٦٩٤/٣ ) ،  
" ومن حسن ما قيل في معنى يسرى أنه إذا أقبل عند إبداء النهار " وقال ابن كثير في  
تفسيره ( ٥٠٦/٤ ) بعد أن ذكر هذا القول : " وقد يقال : إن هذا أنسب لأنه  
في مقابلة قوله ( والفجر ) فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل ، فإذا حصل  
قوله ( والليل إذا يسر ) على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار ،  
وبالعكس كقوله ( والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس ) سورة التكويسر  
الآية ١٧ ، ١٨ .

- وقد أول بليدة جمع ، وهي ليلة يوم النحر . (١)  
 وقوله ( هل في ذلك قسم لذي حجر ) أي لذي عقل . (٢)  
 قال الفراء ( لذي حجر ) أي لمن كان ضابطاً لنفسه قاهراً لهواه . (٣) ويقال :  
 لذي حجر أي لذي حليم . (٤)

(١) في المراد بهذا الليل ثلاثة أقوال .

أحدها : هو ما ذكره المؤلف : يعني : أنه ليلة المزدلفة ، وهي ليلة جمع ، وذلك لا اختصاص هذا الليل باجتماع الناس فيها لطاعة الله ، وهو قول عكرمة ومجاهد والكلبي ، وقد روى ابن أبي حاتم ( كما ذكر ابن كثير في تفسيره ( ٥٠٧/٤ ) بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال : ( والليل إذا يسر ) أسر ياسر ولا تبمسقن إلا بجمع .

والثاني : ليلة القدر ، لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها .  
 والثالث : أنه عام في كل ليلة ، وهو الأظهر .

انظر تفسير الماوردي ( ٤٤٩/٤ ) وزاد المسير ( ١٠٨/٩ ) وتفسير الرازي

( ١٦٤/٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٤٢/٢٠ ) .

(٢) قال أبو عبيدة في معاني القرآن ( ٢٩٧/٢ ) وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٢٦٦ ) ومكي بن أبي طالب القيسي في العمدة في غريب القرآن ( ص ٣٤٦ ) وذكره الفراء في معاني القرآن ( ٢٦٠/٣ ) وذكره ابن جرير في تفسيره ( ١٧٤/٣٠ ) ورواه من طرق عديدة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وذكره القرطبي في تفسيره ( ٤٣/٢٠ ) وقال : كذا قال عامة المفسرين .

وقد ذكرت في معناه أقوال أخرى منها ما ذكره المؤلف بعده : وهو أن معناه لذي حلم ، قاله الحسن ، رواه عنه ابن جرير في تفسيره ( ١٧٤/٣٠ ) وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٤٧/٦ ) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وقال أبو مالك : " لذي حجر " لذي ستر من النار - كذا أورده السيوطي في المصدر السابق ، وقال القرطبي في تفسيره ( ٤٣/٢٠ ) " لذي ستر من الناس " وقال الماوردي في تفسيره ( ٤٥٠/٤ ) " لذي ستر " .

وقال محمد بن كعب : لذي دين ، وقال أبو رجاء : لذي علم ، ذكرهما الماوردي .

(٣) انظر كلام الفراء في معاني القرآن ( ٢٦٠/٣ ) قال بعد أن ذكر قولين في معنى

الحجر : الذي عقل : لذي ستر ، " وكله يوجع إلى أمر واحد من العقل ، والعرب تقول : إنه لذي حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها ، كأنه أخذ من قولك : " حجرت على الرجل " .

(٤) في النسختين ( حكم ) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وهذا القول مروى عن الحسن كما تقدم في الهامش الأسبق .

والحجر في اللفظة : هو المنع ، والحجر مأخوذ منه ، وسمى العقل حجرا لأنه يمنع الإنسان من القبائح <sup>(١)</sup> .

وهذا لتأكيد القسم ، وليس يعقسم عليه <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ) هو أبوعاد لأنهم قالوا :

هو عاد بن ارم بن عوض بن سام بن نوح <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) قال أبو بشر البند نيجس في التفتية في اللفظة (ص ٣٤٨) " والحجر : العقل ، قال جبل وعز : " هل في ذلك قسطلدى حجر " وإنما سُمي العقل حجرا لأنه يحجر صاحبه القبيح " .

وقال الجوهري في الصحاح ( ٦٢٣ / ٢ ) : " والحجر : ساكن : مصدر قولك : حَجَر عليه القاضي يَحْجُر حَجْرًا : إذا منع من التصرف في ماله " .

وقال أيضا : والحجر : العقل ، قال الله تعالى : ( هل في ذلك قسم لذي حجر ) . انظر أيضا لسان العرب ( ١٧٠ / ٤ ) والمفردات (ص ١٠٩) وقد ذكر نحو ما ذكره المؤلف : الماوردي في تفسيره ( ٤٥٠ / ٤ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٤١ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠٩ / ٩ ) والرازي في تفسيره ( ١٦٥ / ٣١ )

( ٢ ) قال أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ( ٦٩٤ / ٣ ) " قيل : أى مَنع ، ومن حسن ما قيل فيه أن المعنى : " هل في ذلك مما يقسم به أهل العقل تعظيماً لما أقسم به ، وتوكيداً لما أقسم عليه " .

وذكر نحو هذا الكلام وهو أن المراد بذلك التأكيد لما أقسم به وأقسم عليه ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠٩ / ٩ ) والزمخشري في الكشاف ( ٧٤٧ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٦٥ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٤٣ / ٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٦٩ / ٨ ) .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٥٠ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٤٣ / ٢٠ ) عن مقاتل أنه قال : " هل " هاهنا في موضع " إن " وتقدير الكلام : إن في ذلك قسماً لذي حجر " و " هل " على هذا في موضع جواب القسم " .

انظر أيضاً تفسير مقاتل ق ٣٩٥ / ب و ذكر القرطبي قولاً آخر فقال : وقيل : هي ( أى هل ) على بابها من الاستفهام الذي معناه التقدير ، كقولك : ألم أنعم عليك إذا كنت قد أنعمت " .

( ٣ ) هو قول ابن إسحاق .

رواه عنه ابن جرير في تفسيره ( ١٧٦ / ٣٠ ) ، والماوردي في تفسيره ( ٤٥١ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٤٣ / ٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٦٩ / ٨ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٠٧ / ٤ ) وحكى عنه أيضاً أنه قال : إن إرم اسم جد عاد . ذكره الماوردي ، والبغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٤٢ / ٧ ) وابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٣٠ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١١١ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٤٢ / ٢٠ ) وذكر بعضهم نسبه فقال : عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح .

ومنهم من قال : هو اسم بلدة ولهذا لم يصرف<sup>(١)</sup> ، فإن قلنا هو اسم رجل فلم نصرفه لأنه اسم أعجمي<sup>(٢)</sup> .

وعن مالك بن أنس : أن إرم كنورة دمشق<sup>(٣)</sup> .

ب/٣٣٠

(١) قال الفراء في معاني القرآن (٢٦٠/٣) : " لم يجر القراء (إرم) لأنها

فيما ذكروا اسم بلدة ، وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١٠٩/٩) .

(٢) قال الفراء في المصدر السابق له : " وذكر الكلبي بإسناده أن (إرم) سام

ابن نوح . فإن كان هكذا اسما فإنما ترك إجراؤه لأنه كالمعجمي ، ذكره أيضا

ابن الجوزي في المصدر السابق له (١١١/٩) وذكر عن الزجاج أنه قال : وإنما

لم تنصرف (إرم) لأنها جعلت اسما للقبيلة ، ففتحت ، وهي في موضع خفسي ،

وقال الرازي في تفسيره (١٦٦/٣١) : " إرم لا تنصرف قبيلة كانت أو أرضاً

للتعريف والتأنيث " . وقال أيضا : في قوله (إرم) وجهان ، لأننا إن

جعلناه اسم القبيلة كان قوله (إرم) عطف بيان لعاد ، ولإذانا بأنهم عباد

الأولى القديمة ، وإن جعلناه اسم البلدة كان التقدير بعماد أهل إرم ثم حذف

المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه " .

(٣) أورده النحاس في إعراب القرآن (٦٩٦/٣) وابن العربي في أحكام القرآن

(١٩٣١/٤) وذكر أن أشهب رواه عن مالك . وذكره القرطبي في تفسيره

(٤٦/٢٠) وقال : رواه ابن وهب وأشهب عن مالك " وهو قول عكرمة وسعيد

ابن المسيب والمقبري وخالد السريعي " .

انظر تفسير الطبري (١٧٥/٣٠) وإعراب القرآن للنحاس (٦٩٦/٣)

وتفسير الطبري (٤٥٠/٤) وتفسير البغوي (٢٤١-٢٤٢/٧) وزاد المسير

(١٠٩/٩) وتفسير القرطبي (٤٦/٢٠) وقال ياقوت الحموي في معجم

البلدان (١٥٥/١) : وأكثرهم يقولون : هي دمشق " والبحر المحيط

(٤٦٩/٨) وتفسير ابن كثير (٥٠٧/٤) .

وعن محمد بن كعب القرظي (١) : أنه الاسكندرانية . (٢)

(١) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ، ولد سنة أربعين على الصحيح ووهبهم من قال : ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال البخاري : إن أباه كان ممن لهم يثبت من سبى قريظة . مات محمد سنة عشرين ومائة . ، وقيل قبل ذلك . انظر التقريب (٣١٦) .

(٢) هي الاسكندرية العظمى التي بمصر ، وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان (١٨٣/١) أن الناس اختلفوا في أول من أنشأها وذكر أن قوما ذهبوا إليها إرم ذات العمام التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وذهب آخرون إلى أن الذي بناها هو الإسكندر الأول ، وذكر أقوالاً أخرى ، وهي مدينة جميلة ، وأما هذا القول فرواه الطبري في تفسيره (١٧٥/٣٠) بسنده عن أبي صخر عن القرظي .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٧/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن المنذر ، وذكره من قوله أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٦٩٦/٣) ، والماوردي في تفسيره (٤٥٠/٤) والبيهقي في تفسيره (٢٤٢/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١١٠/٩) وأبو حيان في البحر المحیط (٤٦٩/٨) وابن كثير في تفسيره (٥٠٧/٤) .

وذكر في (إرم) أقوال أخرى .

أحدها : أنها مدينة صنعتها شداد بن عاد ، وهذا قول كعب .  
والثاني : أن معناها القديمة ، قاله مجاهد .  
والثالث : أنها قبيلة من قوم عاد ، وهو قول قتادة .  
والرابع : أن معناها : القوة ، وهو مروى عن مجاهد أيضا .  
والخامس : أن إرم الهالك ، هو مروى عن ابن عباس والضحاك . يقال : إرم بنو فلان ، أي هلكوا قاله الماوردي .

وفي لسان العرب (١٤/٢) : إرم المال : فنى ، ،  
والسادس : أن الله تعالى رمهم رمًا فجعلهم مرميمًا ، فلذلك سماهم قاله السدي ، ذكره الماوردي .

انظر لمعرفة هذه الأقوال : تفسير مجاهد (٧٥٦/٢) وتفسير الطبري (١٧٥/٣٠ - ١٧٦) وأحكام القرآن لابن العربي (١٩٣٠/٤) وتفسير السرازي (١٦٦/٣١) وتفسير القرطبي (٤٥/٢٠) والمصادر السابقة ، .

وأما الراجح من هذه الأقوال : فقال أبو جعفر النحاس : \* والكلا فنى هذا من جهة العربية أن أتينا ما في قول قتادة ، أن إرم قبيلة من عاد \* وأنكر القول بأنها اسم موضع ، لاسيما القول بأنها الاسكندرية أو دمشق ، فقال : وهذه الآية مشكدة على كثير من أهل العربية ، يقول كثير من الناس : إن إرم اسم موضع فكيف يكون نعتا لماد أو بدلا منه ؟ \* .

٠٠/٠٠

ثم قال : فأما أن يكون إرم الاسكندرية أو دمشق فبعيد ، لقول الله تعالى :  
( وانكر آخا عاد إن أنذر قومه بالأحقاف ) ( سورة الأحقاف الآية ( ٢١ ) . والحقاف  
ماالتوى من الرمل ، وليس كذا دمشق ولا الإسكندرية \* .

واختار ابن جرير أيضا القول بأنها اسم قبيلة من عاد \* وقال عن قول مجاهد :  
فأما ما ذكر عن مجاهد أنه قال : عنى بذلك : القديمة ، فقول لا معنى له ، لأن ذلك  
لو كان معناه لكان مخفوضاً بالتنوين ، وفى ترك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعت ولا  
صفة \* انظر تفسيره ( ١٧٦ / ٣٠ ) ، وكذلك ذهب ابن كثير إلى اختيار قول قتادة وهو  
أن إرم بيتملكة عاد ، فقال : وهذا قول حسن جيد قوى \* . وقال أيضا : ومن زعم أن  
المراد بقوله ( إرم ذات العماد ) مدينة إما دمشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة ،  
أو اسكندرية كما روى عن القرظي أو غيرهما ففيه نظر ، فإنه كيف يلتزم الكلام على هذا  
( ألتهر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ) إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ؟  
فإنه لا يتسق الكلام حنثي ، ثم المراد إنما هو الاخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد  
وما أحل الله بهم من بأسه الذى لا يرد ، لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم \*  
انظر تفسيره ( ٥٠٨ / ٤ ) وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ( ٧٠٢ / ٨ ) بعد أن ذكر  
بعض الأقوال السابقة : وأصح هذه الأقوال الأول إن إرم اسم القبيلة ، وهم ارمن سام  
ابن نوح .

وأنا أيضا أميل الى ترجيح القول بأن إرم اسم قبيلة . من عاد ، وكذلك القول  
بأن إرم أبوعاد أو جده له وجه . وأما الأقوال الأخرى فلا تناسب سياق الكلام هنا .  
وأما ابن العربى فذهب إلى اختيار القول بأنها دمشق ، فقال : وتحققها أنها دمشق  
لأنها ليس فى البلاد مثلها \* ثم ذكر فى صفتها كلاماً طويلاً ليس فيه أى دليل يتعسبن  
منه ما ذكر .

انظر أحكام القرآن ( ١٩٣١ / ٤ ) .

وقوله ( ذات العماد ) أى ذات البناء الرفيع . إذا قلنا : إن إرم اسم بلدة<sup>(١)</sup> .  
والقول الثانى : إن قوله ( ذات العماد ) أى ذات الأجسام الطوال<sup>(٢)</sup> .  
يقال : رجل معمد ، إذا كان طويلًا<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ١٧٧ / ٣٠ ) فقال بعد أن ذكر عدة أقوال فى معناها : وقال آخرون : بل قيل ذلك لهبطنا بناه بعضهم فشيد عمدة ، ورفع بناءه \* ثم روى عن ابن زيد أنه قال : \* ( إرم ذات العماد ) عاد قوم هود بنوها وعطوها حين كانوا فى الأخفاف .

وذكره الماورى فى تفسيره ( ٤٥١ / ٤ ) بلفظ : ذات العماد المحكم بالعماد وعزاه إلى ابن زيد ، وكذا ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٥١ / ٩ ) وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٤٢ / ٧ ) :

" وقيل : سماوا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بنسائه "

وذكره القرطبى فى تفسيره ( ٤٥ / ٢٠ ) فقال : " وقيل : ذات العماد "

أى ذات الأبنية المرفوعة على العمد ، وكانوا ينصبون الأعمدة فينبون عليها

القصور ، قال ابن زيد : " ذات العماد " يعنى إحكام البنيان بالعمد .

انظر أيضا أحكام القرآن لابن العربى ( ١٩٣٠ / ٤ ) والكشاف ( ٧٤٧ / ٤ ) وتفسير

الرازى ( ١٦٧ / ٣١ ) والبحر المحيط ( ٤٦٩ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٠٧ / ٤ ) .

( ٢ ) هو مروى عن ابن عباس ومجاهد ، وبه قال مقاتل وأبو عبيدة . انظر تفسير مجاهد

( ٧٥٦ / ٢ ) ومجاز القرآن ( ٢٩٧ / ٢ ) وتفسير مقاتل ق ٣٩٤ ب وتفسير ابن جرير

( ١٧٧-١٧٦ / ٣٠ ) وتفسير الماورى ( ٤٥١ / ٤ ) وأحكام القرآن ( ١٩٣٠ / ٤ )

وزاد المسير ( ١١١ / ٩ ) وتفسير القرطبى ( ٤٥ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٦٩ / ٨ )

وتفسير ابن كثير ( ٥٠٧ / ٤ ) .

( ٣ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٧٦ / ٣٠ ) بعد أن ذكر القول بأن معناه : ذات

الطول : " ونهبوا فى ذلك إلى قول العرب للرجل الطويل : رجل معمد ، وقالوا :

كانوا طوال الأجسام " .

ونقل ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١١١ / ٩ ) عن الزجاج أنه قال : " رجل

معمد إذا كان طويلًا " وذكر الماورى فى تفسيره ( ٤٥١ / ٤ ) عن ابن عباس

أنه قال : " مأخوذ من قولهم ( رجل معمد ) إذا كان طويلًا ، انظر أيضا مجاز

القرآن ( ٢٩٧ / ٢ ) ولسان العرب ( ٣٠٣ / ٣ ) .

فعلى هذا عاد اسم قبيلة ، فقله ( ذات العماد ) منصرف إلى القبلية<sup>(١)</sup> .  
وفي القصة : أن طول الطويل منهم كان خمسمائة ذراع والقصير ثلاثمائة<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة : قال : كان الواحد منهم يتخذ المصراع من الحجر ، فلا  
ينظه خمسمائة نفر منكم<sup>(٣)</sup> .

وقال مجاهد : ذات العماد أى ذات عمود ، والمعنى : أنهم أهل خيام  
لا يقيمون في موضع واحد بل ينتجعون لطلب الكلأ ، أى ينتظون من موضع إلى موضع<sup>(٤)</sup> .

(١) قال الزمخشري في الكشاف (٤/٧٤٧) : " وذات العماد إذا كانت صفة  
للقبيلة ، فالمعنى : أنهم كانوا بدويين أهل عمد ، أو طوال الأجسام على  
تشبيه قدودهم ، ومنه قولهم : رجل معمد وعمدان ، إذا كان طويلاً ، وقيل :  
ذات البناء الرفيع ، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى : أنها ذات أساطين :  
انظر أيضاً تفسير الرازي (٣١/١٦٧) .

وقال أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٣/٦٩٦) : " ( ذات العماد )  
نعت لعماد على معنى القبيلة ، أو لإرم ،

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/٤٥) قال : " قال ابن عباس في رواية عطاء :  
كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع ، والقصير منهم طوله ثلاثمائة ذراع — ذراع  
نفسه ، وذكر ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٣٠) عن ابن عباس قولاً آخر  
فقال : وروى عن ابن عباس سبعون ذراعاً ، ثم قال : هو باطل ، لأن في  
الصحيح : أن الله خلق آدم ، طوله ستون ذراعاً في الهواء ، فلم يزل الخلق  
ينقص إلى الآن . "

وذكر عن قتادة : أن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعاً ، وقال مقاتل في  
تفسيره (ق ٣٩٤/ب) : وكان طول أحدهم ثمانية عشر ذراعاً ، ويقال : إثناعشر  
ذراعاً . "

(٣) لم أهد إلى من ذكر هذا الأثر وأخرجه .

(٤) قال مجاهد في تفسيره (٢/٧٥٦) :  
" ( ذات العماد ) قال : كانوا أهل عمود لا يقيمون . " وروى عنه ابن جرير  
في تفسيره (٣٠/١٧٧) قال : " أهل عمود لا يقيمون " وروى هذا المعنى  
عن قتادة أيضاً ، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٤٥١) قال : " ذات العماد  
لأنهم كانوا أهل خيام وأعمدة ، ينتجعون الغيوت قاله مجاهد . "

وقال البغوي في تفسيره (٧/٢٤٢) : " وسوا ذات العماد لأنهم كانوا أهل عمد  
سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عطاء عن ابن عباس وهذا قول الفسراء  
أيضاً فإنه قال في معاني القرآن (٣/٢٦٠) " (العماد) : أنهم كانوا أهل عمد  
ينتظون إلى الكلأ حيث كان ، ثم يرجعون إلى منازلهم . " انظر أيضاً زاد المسير  
(٩/١١١) وتفسير القرطبي (٢٠/٤٥) .



وقال الضحاك (ذات العمدان) أي ذات القوة . مأخوذ من قوة الأعمدة (١)

وفي القصة : أن عاج بن عوج كان منهم . (٢)

وذكر النقاش : أن طول موسى كان سبعة أذرع ، وعصاه سبعة أذرع ووثب سبعة

أذرع فأصاب كعب عاج بن عوج فقتله (٣)

وفيما نقل فيه أيضا في القصص : أن ضلعاً من أضلاعه جسر أهل مصر كذا وكذا

سنة أي كان جسر ألهم وهو على النيل . (٤)

(١) قال ابن جرير في تفسيره (٢٧٧/٣٠) : " وقال آخرون : قيل ذلك لشدة أبدانهم وقواهم . ثم روى من طريق أبي معاذ عن الضحاك أنه قال : " يعني الشدة والقوة " وذكر العاوردى في تفسيره (٤٥١/٤) وابن الجوزى في زاد المسير (١١٢/٩) فقالا : " ذات القوة والشدة ، مأخوذ من قوة الأعمدة ، قاله الضحاك ، وذكر مثله القرطبي في تفسيره (٤٦/٢٠) وقال : " ودليله قوله تعالى : " وقالوا : من أشد منا قوة " سورة فصلت الآية ١٥ .

وأما الراجح من هذه الأقوال : فاختر ابن جرير قول القائلين بأنهم كانوا أهل عمود ، سيارة ، وقال : لأن المعروف في كلام العرب من العمدان : ما عمل به الخيام من الخشب السوارى التى يحمل عليها البناء . انظر تفسيره (١٧٧/٣٠) .

وقال ابن كثير : فعلى كل قول سوا كانت العمدان أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحاً يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم ، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع ، المقرونون بشمود كما ههنا " والله أعلم . انظر تفسيره (٥٠٧/٤) .

وقول ابن كثير هو الذى بيد و أنه الموافق للصواب ، فإن الكلمة (ذات العمدان) تستعمل في أكثر المعانى التى ذكروها ، وليس هناك نص يدل على أنهم كانوا من البدو الرحل ، مما يوجب حملها على السوارى التى تحمل عليها الخيام فقط .

(٢) لم أجد من صرح بذلك .

(٣) رواه أبو الشيخ في العظمة (ق ١/٥ نسخة الظاهرية) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : كان أقصر قوم عاد سبعون ذراعاً ، وأطولهم مائة ذراع ، وكان طول موسى سبعة أذرع ، وطول عصاه سبعة أذرع ووثب في السماء سبعة أذرع ، فأصاب كعب عوج فقتله ، وهو كذب على ابن عباس ، في سنده الكلبي وهو محمد بن السائب وهو متهم بالكذب ورمى بالرفض ، انظر تقريب التهذيب ٢٩٨ .

(٤) رواه أبو الشيخ في المصدر السابق له بسندين عن نوف البكالى : وفيه : فأصاب عقبه فخر على نيل مصر فجسسه للناس عامة يعمرون على صلبه وأضلاعه " ونوف البكالى هو ابن امرأة كعب الأخبار ، وهو مستور ، وكذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب . انظر تقريب التهذيب ٣٦٠ .

وفي التفسير : أن عاداً إثنان : عاد الأولى ، وعاد الآخرة فعاد الأولى  
عاد إرم ، وعاد الثانية هو عاد المعروفة ، وهو الذي أرسل إليهم هود النبي عليه  
السلام .<sup>(١)</sup>

قال ابن قيس الرقيات<sup>(٢)</sup> :  
مَجْدًا تَلِيدًا<sup>(٣)</sup> بِنِجَاهِ أَوْلَاهِ      أدرك عاداً و قبله إرمًا<sup>(٤)</sup>  
وقوله ( التي لم يخلق مثلها في البلاد ) : أي لم يخلق مثل أجسامهم فسي  
البلاد<sup>(٥)</sup> .

وفي رواية أبي بن كعب وابن مسعود : الذين لم يخلق مثلهم في البلاد<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) انظر مجاز القرآن ( ٢٩٧ / ٢ ) وزاد المسير ( ٧٤ / ٨ ) وتفسير الرازي ( ١٦٦٣١ )  
وتفسير القرطبي ( ٤٥ / ٢٠ ) وفتح الباري ( ٧٠٢ / ٨ ) .  
( ٢ ) هو عبد الله بن قيس الرقيات .

( ٣ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ١٠٠ / ٣ ) " قيل : التَّالِدُ : كل مال قد يم من  
حيوان وغيره يورث عن الآباء ، وهو التالذ والتلذد والمثلد " .

( ٤ ) البيهقي د يوانه ( ص ١٥ ) وفيه ( قبلها ) بدل ( قبله ) . وأنشده أيضا القرطبي  
في تفسيره ( ٤٥ / ٢٠ ) وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٦٦ / ٨ ) .

( ٥ ) ذكر المفسرون في هذه الآية وجهين : أحدهما : هو ما ذكره المؤلف ، يعنى  
أن الضمير في ( مثلها ) يعود على عاد - ويجوز أيضا أن يكون عاداً على إرم  
على أنها بمعنى القبيلة - أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في البلاد في العظم  
والبطش، والأيد .

والثاني : أن الضمير عائد على العماد ، والمعنى : لم يخلق مثل الأعمدة  
في البلاد ، وقالوا : ( التي لم يخلق مثلها من صفة ذات العماد .

ذكر الوجهين ابن جرير في تفسيره ( ١٧٧ / ٣٠ - ١٧٨ ) وابن كثير فسي  
تفسيره ( ٥٠٧ / ٤ ) الأول من قول قتادة ، والثاني من قول ابن زيد وذكرهما  
الماوردي في تفسيره ( ٤٥١ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١١٢ / ٩ ) الأول  
من قول الحسن ، والثاني من قول عكرمة .

وذكرهما أيضا الزمخشري في الكشاف ( ٧٤٨ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٦٧ / ٣ )  
والقرطبي في تفسيره ( ٤٦ / ٢٠ ) .

والراجح هو القول الأول ، اختاره ابن جرير ، وقال في الوجه الثاني :  
لا وجه له لأن العماد مذكر ، والتي للأنثى ، ولا يوصف المذكر بالتي ، ولو  
كان ذلك من صفة العماد للقبيل : الذي لم يعمل مثله في البلاد ، واختاره  
القرطبي وابن كثير أيضا .

( ٦ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٤٦ / ٢٠ ) وفي حرف عبد الله ( التي لم يخلق مثلهم  
في البلاد " .

وقوله ( وشعور الذين جابوا الصخر بالواد ) أى قطعوا ونقبوا (١) . وهو فى معنى قوله تعالى ( وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ) (٢) .

وقوله ( وفرعون ذى الأوتاد ) يقال : كان له أربعة أوتاد : فإذا غضب على إنسان وعذبه وتدَّ يديه ورجليه على الأرض بتلك الأوتاد (٣) .

وفى القصة : أنه عذب امرأته ( آسية ) بمثل هذا العذاب ، ووضع على صدرها صخرة حتى ماتت (٤) .

(١) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢/٢٩٧) : " جابوا الصخر نقبوا ، ويجوب الفلاة أيضا يدخل فيها ويقطعها " وقال الفراء فى معانى القرآن (٢/٢٦١) : " خرقوا الصخر ، فاتخذوه بيوتاً " . وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٦) : " نقبوه واتخذوا منه بيوتاً " وذكر الماوردى فى تفسيره (٤/٤٥٢) وجهين فى معنى الآية : أحدهما : يعنى قطعوا الصخرة ونقبوه ونحتوه حتى جعلوه بيوتاً ، كما قال تعالى : " وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ " سورة الشعراء الآية ١٤٩ ، والثانى : معناه طافوا لاخذ الصخر بالوادى . والوجه الأول هو الذى ذكره أكثر المفسرين .

انظر تفسير الطبرى (٣٠/١٧٨) وتفسير البغوى والخازن (٧/٢٤٣) والكشاف (٤/٧٤٨) وزاد المسير (٩/١١٧) وتفسير الرازى (٣١/١٦٧) وتفسير القرطبى (٢٠/٤٧) وتفسير ابن كثير (٤/٥٠٨) .

## (٢) سورة الحجر الآية ٨٢

(٣) قال ابن جرير فى تفسيره (٣٠/١٧٩) : " واختلف أهل التأويل فى معنى قوله ( ذى الأوتاد ) ولم يقل له ذلك ) ثم ذكر عدة أقوال مع إسناد كل قول عن صاحبه . ومما ذكره قول القائلين بأنه قيل له ذلك لأنه كان يوتد الناس بالأوتاد . وروى بسنده عن مجاهد أنه قال : كان يوتد الناس بالأوتاد " . وذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره (٤/٤٥٢) فقال : " لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد يشدها فى أيديهم " قاله الحسن ومجاهد . وذكره البغوى فى تفسيره (٧/٢٤٣) والرازى فى تفسيره (٣١/١٦٨) والقرطبى فى تفسيره (٢٠/٤٨) .

(٤) ذكر الماوردى بعد أن ساق القول السابق أن الكلبى قال : يشمل ذلك عذب فرعون زوجته آسية بنت مزاحم عند ما آمنت حتى ماتت ، وروى الحاكم فى مستدركه (٢/٥٢٢ - ٥٢٣) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البنانى عن أبى رافع عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى قوله عز وجل ( ذى الأوتاد الذين طففوا فى البلاد ) قال : وتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيماً حتى ماتت ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وروى هذه القصة أيضاً عبد الرزاق فى تفسيره (١/١٧٢) وابن جرير فى تفسيره (٣٠/١٧٩) من طريق معمر عن ثابت البنانى عن أبى رافع من قوله . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٦١) : " وقوله عز وجل ( وفرعون ذى الأوتاد ) : كان إذا غضب على الرجل مده بين أربعة أوتاد حتى يموت معذباً ، وكذلك فعل بامرأته آسية ابنة مزاحم ، فسمى بهذا لذلك " ، وروى البغوى فى تفسيره (٧/٢٤٣) من طريق عطاء عن ابن عباس قصة طويلة فى قتل ماشطسة بنت فرعون وفى زوجته آسية وكانتا توهمان بالله تعالى .

وعن بعضهم : أنه كان له أربع أساطين يشد الرجل بيديه ورجليه بها (١) وقيل :  
 ذى الأوتاد ذى الملك الشديد (٢) . قال الشاعر :  
فى ظل ملك ثابت الأوتاد (٣) .

( ١ ) مما ذكره ابن جرير فى المصدر السابق : قول القائلين بأنه قيل ذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد . وروى بسنده عن سعيد بن جبير أنه قال : كان يجعل رجلاً هاهنا ورجلاً هاهنا ، ويداها هاهنا ويداها هاهنا بالأوتاد ، وروى ابن جرير أيضاً من طريق العوفى عن ابن عباس أنه قال : يقال : كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم فى أوتاد من حديد يعلقهم بها ، ذكره ابن جرير فى تفسيره ( ٥٠٨ / ٤ ) من قول ابن عباس ثم قال : وكذا قال مجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدى . وهذا يدل على أنه لافرق بين ما رواه ابن جرير عن مجاهد وبين ما رواه عن سعيد بن جبير ، ولكنه روى قولهما ضمن قولين مستقلين ، ولم يتبين لى وجه لذلك .

( ٢ ) ذكره الرازى فى تفسيره ( ١٦٨ / ٣١ ) قال : ( ذى الأوتاد ) : أى ذى الملك والرجال . وفى الآية أوجه أخرى .

أحدها : أن الأوتاد الجنود ، الذين يقوون له أمره ، رواه عطية العوفى عن ابن عباس ، وهذا الوجه يمكن أن يتفق مع الوجه السابق .

والثانى : أن الأوتاد البنيان ، فسمى بذى الأوتاد لكثرة بناءه ، قاله الضحاك ، كذا ذكره الماوردى .

وقال ابن جرير : وقال آخرون : إنما قيل ذلك لأنه كان له بنيان يعذب الناس عليه ، ثم روى بسنده عن سعيد بن جبير أنه قال : كان له منارات يعذبهم عليها .

والثالث : سمي بذى الأوتاد لأنه كانت له مظال وملاعب على أوتاد وحبال يلعب له تحتها ، وهو قول قتادة .

والرابع : أنه ذى الأوتاد لكثرة نخله وشجره ، لأنها كالأوتاد فى الأرض ذكره الماوردى بلفظ الاحتمال .

واختار الطبرى من بين هذه الأقوال قول القائلين : إن المراد : الأوتاسد التى توتد من خشب كانت أو حديد ، وقال : لأن ذلك هو المعروف من معانى الأوتاد ، ووصف بذلك لأنه إما أن يكون كان يعذب الناس بها ، وإما أن يكون كان يلعب له بها .

انظر تفسير الطبرى ( ١٨٠ / ٣٠ ) وتفسير الماوردى ( ٤٥٢ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ١٦٨ / ٣١ ) .

( ٣ ) أنشده الرازى فى تفسيره ( ١٦٨ / ٣١ ) فقال : فى ظل ملك راسخ الأوتاد .

وقوله ( الذين طفوا في البلاد ) أى جاوزوا الحد بالمعاصى ، ويقال :  
تمادوا فيها .<sup>(١)</sup>

وقوله ( فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ) أى عذبهم .<sup>(٢)</sup>  
وقيل : إنه جعل عذابهم موضع السوط فى العقوبات .<sup>(٣)</sup>

وعن بعضهم : أنهم كانوا يعدون الضرب بالسباط إلى أن يموت أشد العذاب  
فذكر العذاب بذكر السوط هاهنا على معنى أنه بلغ النهاية فى عذابهم .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٠ / ٣٠ ) : " يعنى بقوله جل ثناؤه : ( الذين )  
عاداً وثمود وفرعون وجنده ، ويعنى بقوله ( طفوا ) تجاوزوا ما أباح لهم ربهم ،  
وعتوا على ربهم إلى ما حظه عليهم من الكفر به . ، .

وقال الرازى فى تفسيره ( ١٦٨ / ٣١ ) : " ( طفوا فى البلاد ) أى عملوا  
المعاصى وتجبروا على أنبياء الله والمؤمنين ، ثم فسّر طفيانهم بقوله تعالى  
( فأكثروا فيها الفساد ) ضد الصلاح ، فكما أن الصلاح يتناول جميع أقسام  
البر ، فالفساد يتناول جميع أقسام الإثم . "

وقال القرطبي فى تفسيره ( ٤٩ / ٢٠ ) : " قوله تعالى : ( الذين طفوا فى  
البلاد ) يعنى عاداً وثمود وفرعون ( طفوا ) أى تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر فى الظلم  
والعدوان . "

( ٢ ) قال النسفى فى تفسيره ( ٣٦١ / ٥ ) فى تفسير هذه الآية : " مجاز عن إيقاع  
العذاب بهم على أبلغ الوجوه ، إذا لصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الإيلام  
أى عذبوا عذاباً مولماً دائماً . ، .  
وقال ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٠ / ٣٠ ) : يقول تعالى ذكره : فأنزّل بهم  
يامحمد ربك سوط عذابه ، وأحلّ بهم نقمته .

( ٣ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٠ / ٣٠ ) :  
" وقيل : " فصب عليهم ربك سوط عذاب " وإنما كانت نعمة تنزل بهم ، إما  
ريحاً تدبرهم ، وإما رجفاً يدمم عليهم ، وإما غرقاً يهلكهم من غير ضرب  
بسوط ولا عصي . . وروى بسنده عن مجاهد أنه قال فى معنى ( سوط عذاب )  
" ما عذبوا به " ، كما روى عن ابن زيد أنه قال : العذاب الذى عذبهم به سماه :  
سوط عذاب . "

انظر أيضاً قول مجاهد فى تفسيره ( ٧٥٧ / ٢ ) وصحيح البخارى ( ٧٠١ / ٨ ) ،  
وذكر الماورى فى تفسيره ( ٤٥٣ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٥٠ / ٢٠ ) عن قتادة  
أنه قال : كل شىء عذب الله به فهو سوط عذاب . "

( ٤ ) قال الفراء فى معانى القرآن ( ٢٦١ / ٣ ) : " هذه كلمة تقولها العرب لكسل  
نوع من العذاب ، تدخل فيه السوط . جرى به الكلام والمثل ، ونرى ذلك : أن السوط

.. / ..

من عذابهم الذى يعذبون به ، فجرى لكل عذاب إن كان فيه عندهم غاية العذاب " .  
 وذكره البخارى فى صحيحه ( ٧٠١ / ٨ ) وابن جرير فى تفسيره ( ١٨٠ / ٣٠ )  
 والقرطبى فى تفسيره ( ٤٩ / ٢٠ ) وقال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٤٥ / ٧ ) : " قال  
 أهل المعانى : هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب فجرى ذلك لكل  
 نوع من العذاب " .

وقال الزجاج : جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب . ذكره عنه البغوى فى تفسيره  
 ( ٢٤٥ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١١٨ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٥٠ / ٢٠ ) ،  
 وقال ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ( ص ١٥٢ ) : " وإنما قال : سوط عذاب : لأن  
 التعذيب قد يكون بالسوط " .

وذكره عنه ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١١٨ / ٩ ) وقد ذكر الماورى فى تفسيره  
 ( ٤٥٣ / ٤ ) فى هذه الآية أربعة أوجه . أحدها : هو ما تقدم عن قتادة : أنه كل  
 شئ " عذب الله به فهو سوط عذاب ، والثانى : قسط عذاب ، كالعذاب بالسوط  
 ، قاله ابن عيسى .

الثالث : خلط عذاب ، لأنه أنواع ، وهذا القول ذكره القرطبى أيضا فى تفسيره  
 ( ٤٩ / ٢٠ ) ، قال : قيل : معناه عذاب يخالط اللحم والدم ، من قولهم : ساطه  
 يسوطه سوطا أى خلط .

الرابع : أنه وجع من العذاب ، قاله السدى .  
 وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٧٤٨ / ٤ ) : " وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله  
 بهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم فى الآخرة ، كالسوط  
 إذا قيس إلى سائر ما يعذب به " .

ذكره الرازى فى تفسيره ( ١٦٨ / ٣١ ) دون تصريح بعزوه إلى الزمخشري وذكره  
 أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٧٠ / ٨ ) وصرح بأنه قاله الزمخشري وقال هو : وخص  
 السوط فاستعير للعذاب لأنه يقتضى من التكرار والجراد ما لا يقتضيه السيف  
 ولا غيره " .

انظر أيضا تفسير الخازن ( ٢٤٤ / ٧ - ٢٤٥ ) والراجح هو ما ذكره الفراء  
 يعنى أن ذلك مثل يضرب به فى شدة العذاب وغايته .

وقوله ( إن ربك لبالمرصاد ) أى إليه مرجع الخلق ومصيرهم ، والمعنى أنه لا يفوت منه أحد<sup>(١)</sup> .

وعن الحسن : أنه بمرصاد أعمال العباد<sup>(٢)</sup> .

وعن ابن عباس : أن قوله ( إن ربك لبالمرصاد ) أى يسمع ويبصر<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) قال الفراء فى معانى القرآن ( ٢٦١ / ٣ ) : " وقوله تبارك وتعالى : " إن ربك لبالمرصاد " يقول : إليه المصير - وذكر البغوى فى تفسيره ( ٢٤٥ / ٧ ) عن الكلبى أنه قال : " طيه طريق العباد لا يفوته أحد " . وعن مقاتل : مزال الناس طيه ، والمرصاد والمرصد : الطريق وقال أيضا : وقيل : مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم " . انظر أيضا زاد المسير ( ١١٨ / ٩ ) وتفسير القرطبى ( ٥٠ / ٢٠ ) ، وتفسير الخازن ( ٢٤٥ / ٧ ) ولسان العرب ( ١٧٨ / ٣ ) .

( ٢ ) رواه عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١٧٢ / ١ ) وابن جرير فى تفسيره ( ١٨١ / ٣٠ ) ، كلاهما من طريق معمر عن الحسن به . وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٤٨ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم . وذكره من قول الحسن وعكرمة البغوى فى زاد المسير ( ٢٤٥ / ٧ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٥٠ / ٢٠ ) ، وذكره الرازى فى تفسيره ( ١٦٩ / ٣١ ) من قول الحسن . وقال بعد أن ذكر هذا القول وقبول الفراء السابق ذكره فى الهامش الذى قبله : " وهذان الوجهان عامان للمؤمنين والكافرين ، ومن المفسرين من يخصص هذه الآية إما بوعيد الكفار أو بوعيد العصاة ، أما الأول فقال الزجاج : يورصد من كفر به وعدل عن طاعته بالعذاب ، وأما الثانى فقال الضحاك : يورصد لأهل الظلم والمعصية - وهذه الوجوه متقاربة .

( ٣ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٨١ / ٣٠ ) والبيهقى فى الأسماء والصفات ( ص ٥٤٥ ) كلاهما من طريق معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس . وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٤٨ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم والأثر مرسل ، لأن على بن أبى طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يره ، انظر تقريب التهذيب ( ص ٢٤٦ ) وذكر هذا القول البغوى فى تفسيره ( ٢٤٥ / ٧ ) من قول ابن عباس ، فقال : قال ابن عباس : يعنى بحيث يرى ويسمع ويصير ما تقول وتفعل وتهجس به العباد ، وقال البيهقى فى المصدر السابق بعد إخراج له هذا الأثر وروايته لقول الفراء السابق : .

" قلت : قول ابن عباس رضى الله عنهما ثم قول الفراء فى معنى هذه الآية يدل على أن المراد بها تخويف العباد ليحذروا عقوبته إذا علموا : أنه يسمع ويبصر ما يقولون ويفعلون ، وأن مصيرهم إليه " وذكر القرطبى فى تفسيره ( ٥٠ / ٢٠ ) أثر ابن عباس ، واستحسنه . وقال أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن ( ٦٩٨ / ٣ ) : " ومن أحسن ما قيل فيه : إنه مجاز ، أى يورصد أعمال العباد أى لا يفوته شئ " واستحسن أبو جعفر هذا القول لأنه يوافق ما جاء فى معناه فى كتب اللغة - وهو أن الرصد : الاستعداد للترقب ، -

انظر الصحاح ( ٤٧٤ / ٢ ) ولسان العرب ( ١٧٦ / ٣ ) والمفردات للراغب ( ص ١٩٦ ) .

وعنه أيضا : إن على جهنم سبع قناطر ، فيسأل على القنطرة الأولى عن الإيمان ، وعلى الثانية : عن الصلاة ، وعلى الثالثة : عن الزكاة ، وعلى الرابعة : عن صيام رمضان ، / وعلى الخامسة : عن الحج والعمرة ، وعلى السادسة : ( ٣٣١/أ ) عن صلة الرحم ، وعلى السابعة : عن المظالم<sup>(١)</sup> .  
وقوله ( إن ربك لبالمرصاد ) وقع القسم<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) أورده القرطبي في تفسيره ( ٢٠ / ٥٠ ) بأطول منه ، فقال : " روى الضحاك عن ابن عباس قال : إن على جهنم سبع قناطر ، يسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان ، فإن جاء به تاماً جازت إلى القنطرة الثانية . . . إلى آخر الأثر .

وزان في آخره : وينادي مناد : ألا من كانت له مظلمة فليأت ، فيقتص للناس منه ، ويقتص له من الناس ، فذلك قوله عز وجل " إن ربك لبالمرصاد " . والضحاك هو الضحاك بن مزاحم الهالسي ، لم يثبت له سماع أحد من الصحابة ، وذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ( ٤٥٣ / ٤ ) عن أبي داود عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : " الضحاك لم يلق ابن عباس إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير " .

ووردت آثار أخرى فيها ذكر هذه القناطر والجسور على جهنم ، ففي بعضها ذكر ثلاث قناطر وفي البعض الآخر ذكر سبع قناطر ، وكل هذه الآثار موقوفة أو مقطوعة وبعضها أضعف من البعض الآخر سنداً .

راجع لمعرفة هذه الآثار : المستدرک للحاكم ( ٢ / ٥٢٢ ) والأسماء والصفات للبيهقي ( ص ٥٤٦ ) وتفسير ابن كثير ( ٤ / ٥٠٩ ) والدر المنثور ( ٦ / ٣٤٨ ) .

( ٢ ) كذا في النسختين والصواب أن تكون العبارة هكذا " ووقع عليه القسم " . وقد اختلف المفسرون في الذي وقع عليه القسم في قوله تعالى ( والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر ) على أقوال .  
أحدها : هو ما ذكره المؤلف ، يعني أن القسم وقع على قوله ( إن ربك لبالمرصاد ) وما بينهما من قوله ( ألم تر كيف فعل ربك ) اعتراض .



.../...

والثاني : إن الجواب محذوف ، قدره الزمخشري بقوله " ليعذبن " وقال : يدل عليه قوله ( ألم تر ) إلى قوله ( فصب عليهم ربك سوط عذاب ) - واختاره الألويسي - وقدره أبوحيان فقال : والذي يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الفاشية ، وهو قوله ( إن إلينا إياهم ثم إن علينا حسابهم ) وتقديره : ( لا يابهم إلينا وحسابهم علينا ) .

والثالث : قال مقاتل : " هل " هنا في موضع ( إن ) ، تقديره : إن في ذلك قسمًا لذي حجر ، ( فهل ) على هذا في موضع جواب القسم ، انظر تفسير البغوي والخازن ( ٢٤١/٧ ) وزاد المسير ( ١٠٩/٩ ) والكشاف ( ٧٤٧/٤ ) وتفسير القرطبي ( ٤٣/٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٦٨/٨ - ٤٦٩ ) وروح المعاني ( ١٢٢/٣٠ ) .

وأحسن هذه الأقوال فيما يبدو لى والله أعلم بالصواب هو قول القائلين بأن الجواب منضم تقديره ( ليعذبن ) كما يدل عليه قوله تعالى ( ألم تر كيف فعل ربك بعسان . . ) وأما القول بأن الجواب هو قوله تعالى ( إن ربك لبالمرصاد ) فوقع بين القسم وجوابه ما هو غير معهود ، .

وأما قول مقاتل فقد أنكر عليه أبوحيان إنكاراً شديداً ، ووصفه بأنه قول لم يصدر عن تأمل ، لأن المقسم عليه على تقديره أن يكون التركيب ( إن في ذلك قسمًا لذي حجر ) لم يذكر ، فيبقى قسم بلا مقسم عليه لأن الذي قدره من ( أن في ذلك قسمًا لذي حجر ) لا يصح أن يكون مقسمًا عليه ، وكذلك اشتد إنكار الألويسي على هذا القول ، فقال : وهو باطل رواية ودراية إن يبقى عليه قسم بلا مقسم عليه " .

قوله تعالى ( فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ )  
نزلت الآية في أمية بن خلف الجمحي : ويقال هذا على العموم . (١)  
وقوله ( فيقول ربِّي أَكْرَمَنِ ) أي أنا كريم عليه حيث أعطاني هذه النعم . (٢)  
وقوله ( وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ) أي ضيق عليه (٣) فيقول ربِّي  
أَهَانَنِ ) أي فعل ما فعل بي لهواني عليه (٤) ، والمعنى : أنهم زعموا أن  
الله يكرم بالنعى ويهين بالفقر . (٥)

(١) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١١٨/٩) والقوطبي في تفسيره (٥١/٢٠) ،  
أربعة أقوال فيمن عني به في هذه الآية ، أحدها : عتبة بن ربيعة ، وأبو حذيفة  
ابن المغيرة ، رواه عطاء عن ابن عباس . والثاني : أبي بن خلف ، قاله  
ابن السائب (الكلبي) والثالث : أمية بن خلف ، قاله مقاتل . وقد ذكر البغوي  
في تفسيره (٢٤٥/٧) هذا القول وعزاه إلى الكلبي ومقاتل ، انظر أيضا تفسير  
مقاتل (ق ٣٩٥/١) والرابع : أنه الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، وهذا هو  
الصواب في معنى الآية .

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير (١١٩/٩) في تفسير الآية : " قال الزجاج :  
وابتلاه بمعنى اختبره بالنعى واليسر ، ( فأكرمه ) بالمال ( ونعمه ) بما وسع عليه  
من الإفضال ، ( فيقول ربِّي أَكْرَمَنِ ) أي : فضلني بما أعطاني ، ويظن أن ما أعطاه  
من الدنيا لكرامته عليه " .

(٣) قال البغوي في تفسيره (٢٤٥/٧) في قوله ( فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ) : أي : ضيق عليه  
رزقه ، وقيل : قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه - وذكر المعنيين الخازن في  
تفسيره (٢٤٥/٧) وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١١٩/٩) والقوطبي في  
تفسيره (٥١/٢٠) : أي ضيق عليه بأن جعله على مقدار البلغة " .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير (١١٩/٩) : " أي : هذا الهوان منه لسي  
حين أنزلني بالفقر ، وقال القوطبي في تفسيره (٥١/٢٠) : " أي أولانسي  
هواناً " .

(٥) قال ابن الجوزي في المصدر السابق له : " واعلم أن من لا يؤمن بالبعث ، فالكرامة  
عنده زيادة الدنيا ، والهوان قلتها ، وقال القوطبي في تفسيره (٥١/٢٠) :  
" وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، وإنما الكرامة عنده ، والهوان بكثرة الحظ  
وقلته ، فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيقه ، المؤدى إلى حظ  
الآخرة ، وإن وسع عليه في الدنيا حمده وشكره .

وقوله ( كلا ) رد لما قالوا : يعنى إن الله لا يكرم بالغنى ولا يهين بالفقر  
وإنما يكرم بالطاعة ويهين بالمعصية .<sup>(١)</sup>

وعن كعب الأخبار قال : إني لأجد في بعض الكتب : إن الله تعالى يقول :  
لولا أن يحزن عدى المؤمن لكلت رأس الكافر بالأكليل فلا يصدع ولا ييسى  
منه عرق بوجع .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ذكر بعض المفسرين وجهين في معنى قوله ( كلا ) في هذا الموضع ، وما الذى  
أنكر بذلك ؟ .

فقال ابن جرير في تفسيره ( ١٨٢/٣٠ ) : " قال بعضهم : أنكر جل  
شناؤه أن يكون سبب كرامته من أكرم كثرة ماله ، وسبب إهانته من أهان قلة ماله  
وروى بسنده عن قتادة أنه قال : ما أسرع ما كفر ابن آدم . يقول جل ثناؤه  
كلا انى لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ، ولا أهين من أهنت بقلتها  
ولكن انما أكرم من أكرمت بطاعتي ، وأهين من أهنت بمعصيتي .

وذكر هذا الوجه ابن الجوزى في زاد المسير ( ١٢٠/٩ ) والقرطبي فى  
تفسيره ( ٥٢/٢٠ ) فقال ابن الجوزى : ( كلا ) أى ليس الأمر كما يظن ،  
ثم ذكر الأثر المذكور عند ابن جرير ولكن من قول مقاتل دون قتادة هذا الوجه  
الأول ، .

وأما الوجه الثانى فقال ابن جرير فى المصدر السابق : وقال آخرون :  
بل أنكر جل ثناؤه حمد الانسان ربه على نعمه دون فقره ، وشكواه الخاقة ، وقالوا :  
معنى الكلام كلاً ، أى لم يكن ينبغى ، أن يكون هكذا ، ولكن كان ينبغى  
أن يحمده على الأمرين جميعاً ، على الغنى والفقر . وهذا قول الفراء فى معانى  
القرآن ( ٢٦١/٣ ) .

وقد ذكره من قوله ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٢٠/٩ ) والقرطبي فى تفسيره  
( ٥٢/٢٠ ) .

ورجح ابن جرير القول الأول ، وقال : إنه أولى القولين بالصواب ، لدلالة  
الآيات التى بعده .

( ٢ ) لم أهتد إلى من خرج أو ذكر هذا الأثر . وهو من الاسرائيليات التى اشتهر  
بروايتها كعب الأخبار .

وقوله ( بل لا تكرمون اليتيم ) ذكر ما يفعله الكفار واستحقوا به العذاب (١) .  
في قوله ( لا تكرمون اليتيم ) فيه قولان : أحدهما هو أكل مالهم أي اليتامى  
والقول الثاني : أنه ترك الإحسان إليهم . (٢)

(١) قال ابن جرير في تفسيره ( ١٨٣/٣٠ ) " وقوله ( بل لا تكرمون اليتيم ) يقول  
تعالى ذكره : بل إنما أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم ، فأخرج الكلام  
على الخطاب فقال : بل لستم تكرمون اليتيم ، فذلك أهنتكم " . وكذا ذكره  
ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٠/٩ ) .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٢٥٠/٤ ) : ( كلا ) ردع للإنسان عن  
قوله ، ثم قال : بل هناك شر من القول وهو : أن الله يكرمهم بكثرة المال ،  
فلا يودون ما يلزمهم فيه من أكرام اليتيم بالتفقد والمهرة ، وحتى أهله على طعام  
المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ، ويحبونه فيشحون به " .

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٠/٩ ) :  
" والآية تحتل معنيين - أحدهما : أنهم كانوا لا يتبرؤنه .  
والثاني : لا يعطونه حقه من الميراث ، وكذلك كانت عادة الجاهلية لا يورثون  
النساء ولا الصبيان . ويدل على المعنى الأول قوله تعالى : ( ولا تحاضون على  
طعام المسكين ) . وقال : ويدل على المعنى الثاني قوله تعالى :  
( وتأكلون التراث أكلاً لما ) .

وأما الرازي فذكر في تفسيره ( ١٧٢/٣١ ) ثلاثة أوجه في معنى الآية .  
اثنان منها هما اللذان تقدم ذكرهما عن ابن الجوزي .

والوجه الثالث : أخذ ماله منه ، وإليه الإشارة بقوله ( وتحبون المال  
حباً جما ) أي : تأخذون أموال اليتامى ، وتضمونها إلى أموالكم " .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٥٠٩/٤ ) :  
" وقوله تعالى ( بل لا تكرمون اليتيم ) فيه أمر بالأكرام له ، ثم استدل  
على قوله بحد يثين مرفوعين :

أحدهما هو ما رواه ابن المبارك في الزهد ( ص ٢٣٠ ، رقم ٦٥٤ ) بسنده عن  
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم  
يحسن إليه ، وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ، ثم قال صلى الله عليه  
وسلم بأصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة كهكذا وهو يشير بأصبعيه " .

والثاني : هو ما رواه أبو داود في سننه ( ٣٥٦/٥ ، رقم ٥١٥٠ ) بسنده عن  
سهل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة ،  
وقرن بين أصبعيه الوسطى والى تلى الإبهام " .

وقوله ( ولا تحضون على طعام المسكين ) أى لا تحضون ، وقرئ ( ولا تحاضون<sup>س</sup> على طعام المسكين ) أى لا يحضى بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup> .

وقوله ( وتاكلون التراب أكلاً لما ) التراب والوراث : بمعنى واحد وهو الميراث<sup>(٢)</sup> ،  
وقوله ( أكلاً لما ) أى يخط الحلال بالحرام<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) فى الكلمات الأربع - ( تكرمون - وتاكلون - وتحاضون - ويحبون ) عدة قراءات .  
فقرأ أبو عمرو هذه الكلمات الأربع بالياء - على لفظ الغيبة ، ووجته : تقدم  
الإنسان الذى هو اسم للجنس ، يدل على الجمع بلفظه .

وقرأ الباقون بالتاء فيهن ، على المخاطبة أى قل لهم . قرأ الكسائى  
وحمزة وعاصم : " ولا تحاضون " بالالف ، أى لا يحضى بعضهم على ذلك بعضاً ، ووجتهم  
قوله تعالى : وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة " سورة البلد الآية ١٧ .  
وأصله : ( تتحاضون ) فحذفت التاء الثانية للتاء الأولى ، وقرأ الباقون :  
" تحضون " أى : لا تأمرون باطعام المسكين . كذا قال صاحب حجة القراءات .  
وقال مكى بن أبى طالب : " وهو فى المعنى كـ " تحاضون " . انظر التيسير  
فى القراءات السبع ( ص ٢٢٢ ) والكشف عن وجوه القراءات ( ٢ / ٣٧٢ - ٣٧٣ ) وحجة  
القراءات ( ص ٧٦٢ ) وانظر تفسير الطبرى ( ٣٠ / ١٨٣ ) وزاد المسير ( ٩ / ١٢٠ ) ،  
وتفسير القرطبى ( ٢٠ / ٥٢ ) .

( ٢ ) قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٧ ) : " والترات : الميراث ، والتاء فيه  
منقلبة عن واو " . ذكر ابن منظور فى لسان العرب ( ٢ / ٢٠٠ ) عن ابن الأعرابى  
أنه قال : الـورثُ والـورثُ والإرثُ والـورثُ والإرثُ والتراتُ واحد ، ونقل عن غدير  
واحد أن الترات : أصل التاء فيه واو .

انظر أيضاً المفردات للأصفهانى ( ص ٧٣ ) ، وتفسير البغوى ( ٧ / ٢٤٥ ) وزاد  
المسير ( ٩ / ١٢٠ ) وتفسير القرطبى ( ٢٠ / ٥٣ ) .

( ٣ ) قال الزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٧٥١ ) : " ( أكلاً لما ) أى لم وهو الجمع  
بين الحلال والحرام " ثم قال : " يعنى : أنهم يجمعون فى أكلهم بين نصيبهم  
من الميراث ونصيب غيرهم " وذكر القرطبى فى تفسيره ( ٢٠ / ٥٣ ) : أن " لما " -  
معناه جمعاً - من قولهم : لمتنا الطعام إذا أكلته جمعاً - وهو قول الحسن  
وأبى عبيدة ، وأصل اللس فى كلام العرب : الجمع ، يقال : لمت الشىء  
ألمه لما إذا جمعته - وعليه يكون المعنى : يأكلون الميراث من أى جهة  
حصل لهم من حلال أو حرام .

وقد روى ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ١٨٣ ) بسنده عن الحسن أنه قال :  
نصيبه ونصيب صاحبه " .

انظر أيضاً مجاز القرآن ( ٢ / ٢٩٨ ) وتفسير الماوردى ( ٤ / ٤٥٣ ) وتفسير ابن كثير  
( ٤ / ٥٠٩ ) ولسان العرب ( ١٢ / ٥٤٧ - ٥٤٨ ) .

وقال مجاهد : ( لَمَّا ) أى سفًا فتجمع البعض إلى البعض ويسف سفًا . ( ١ )

( ١ ) رواه عنه ابن جريو في تفسيره ( ١٨٤ / ٣٠ ) قال : اللِّم السف ، لَمَّ كل شىء ، وذكره من قوله الماوردي في تفسيره ( ٤٥٣ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٥٣ / ٢٠ ) فقالا : قال مجاهد : يسف سفًا . وروى نحوه الطبري في المصدر السابق له من طريق علي عن ابن عباس هذا وذكر أكثر المفسرين : أن معنى ( لَمَّا ) شد يدًا قال الفراء في معاني القرآن ( ٢٦٢ / ٣ ) وابن قتبية في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٧ ) وقال : وهو من قولك : لَمَمْتُ الشىء ، إذا جمعته ، وقاله مكى بن أبى طالب فسئى المممة في تفسير غريب القرآن ( ص ٣٤٦ ) وقال ابن جريو في تفسيره ( ١٨٣ / ٣٠ ) عند هذه الآية : \* يقول تعالى ذكره : وتأكلون أيها الناس الميراث أكلاً لَمَّا ، يعنى : أكلاً شديداً لا تتركون منه شيئاً ، وهو من قولهم : لَممت ما على الخوان أجمع ، فأنا ألمه لَمَّا ، إذا أكلت ما عليه فأنت تظلى جميعه \* وروى من طريق عطية العوفى عن ابن عباس وعن الضحاك أنهما قالا : أى تأكلون أكلاً شديداً ، وذكر هذا المعنى الماوردي في تفسيره ( ٤٥٣ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٥٣ / ٢٠ ) من قول السدي ، انظر أيضا تفسير البقوى والخازن ( ٢٤٥ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٢١ / ٩ ) وذكره الرازي في تفسيره ( ١٧٢ / ٣١ ) وقال : وتفسيره أن اللِّم مصدر جعل نعمتاً للأكل ، والمراد به الفاعل أى : أكلاً لَمَّا : أى جائعاً ، كأنهم يستوعبونه بالأكل ، قال الزجاج : كانوا يأكلون أموال اليتامى إسرافاً وبداراً ، فقال الله ( وتأكلون التراث أكلاً لَمَّا ) أى تراث اليتامى لَمَّا : أى تلمون جميعه .

وروى ابن جريو في تفسيره ( ١٨٤ / ٣٠ ) بسنده عن ابن زيد أنه قال : الأكل اللِّم : الذى يأكل كل شىء يجده ، ولا يسأل ، فأكل الذى له ، والذى لصاحبه ، كانوا لا يورثون النساء ، ولا يورثون الصغار ، وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٥٣ / ٤ ) والبغوى في تفسيره ( ٢٤٥ / ٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ٥٣ / ٢٠ ) من قول ابن زيد . ومما قيل فى معنى الآية هو ما ذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٧٥١ / ٤ ) بقوله : وقيل : يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك ، فليس فى الأكل بين حلاله وحرامه .

وذكر هذا المعنى أيضا الرازي فى تفسيره ( ١٧٢ / ٣١ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٥٣ / ٢٠ ) وأبو حيان فى البحر المحيطة ( ٤٧١ / ٨ ) . وقال الزمخشري أيضا : ويجوز أن يذم الوارث الذى ظفر بالمال سهلاً سهلاً من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف فى إنفاقه ، ويأكله أكلاً واسعاً جامعاً بين ألوان المشتبهات من الأطعمة والأشربة والفواكه ، كما يفعل الوراث البطالون \* وذكره الرازي والقرطبي وأبو حيان فى مصادرهم السابقة ، فهذه هى الأقوال المذكورة فى معنى قوله ( أكلاً لَمَّا ) وهى كلها ترجع إلى معنى واحد وهو أكل الأموال من الموارث بالباطل والاعتداء . ويبدولى أن أقرب هذه الأقوال إلى الصواب هو ما روى عن ابن زيد . يعنى الذى يأكل كل شىء يجده ولا يسأل ، فأكل الذى له ، والذى لصاحبه .

وقوله ( وتحبون المال حبا جما ) أى كثيراً (١) وقريء بالتاء والياء فمن قرأ بالياء فعلى الخبر ، ومن قرأ بالتاء فهو على الخطأ (٢)

قوله تعالى ( كلا إذا دكت الأرض دكتا دكتا ) أى فتت ودقت (٣)

(١) يوجد اتفاق بين المفسرين على هذا التفسير ، وهو أن معنى ( جما ) كثيراً ، قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢/٢٩٨) . انظر أيضاً معانى القرآن للفرأ (٣/٢٦٢) وتفسير غريب القرآن (ص٥٢٧) والعمدة فى غريب القرآن (ص٣٤٦) وتفسير ابن جرير (٣٠/١٨٤) وإعراب القرآن للنحاس (٣/٦٩٩) وزاد المسير (٩/١٢١) وتفسير القرطبي (٢٠/٥٤) ولسان العرب (١٢/١٠٤) ، وذكر الماوردي فى تفسيره (٤/٤٥٣) فى معنى كلمة الجم ثلاثة تأويلات - أحدها هو ماتقدم ، وعزاه إلى ابن عباس والثانى : فاحشاً تجمعون حلاله إلى حرامه وعزاه إلى الحسن .

وقد أشار إليه ابن كثير فى تفسيره (٤/٥٠٩) فقال : " ( تحبون المال حبا جما ) أى كثيراً - زاد بعضهم : فاحشاً - والثالث : أنه يجب المال حسب إجمام له واستيفاء فلا ينتفع به فى دين ولا دنيا ، وهو أسوأ أحوال ذى المال " . ذكره الماوردي بلفظ الاحتمال .

وقال الزمخشري فى الكشاف (٤/٧٥١) : " ( جما جما ) كثيراً شديداً مع الحرص والشره ومنع الحقوق " .

(٢) تقدم ذكر القراءات فى الكلمات ( تكرمون ، ويحضون ، ويأكلون ، ويحبون ) فى ص (٧٣٩)

(٣) قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص٥٢٧) " دكت الأرض ) : دكتت جبالها وأنشازها ، حتى استوت " وقال ابن جرير فى تفسيره (٣٠/١٨٥) : " يعنى إذا رجحت وزلزلت زلزلة وحركت تحريكاً بعد تحريك " وروى من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : تحريكها ، وقال القرطبي فى تفسيره (٢٠/٥٤) : " والدك : الكسر والدق ، أى زلزلت الأرض وحركت تحريكاً بعد تحريك ، وقال الزجاج : أى زلزلت فدك بعضها بعضاً ، وقال المبرد : أى ألصقت وذهبت ارتفاعها ، وذكر أقوالاً أخرى فقال : " وقيل : دكت جبالها وأنشازها حتى استوت ، ( وهو نفس ماتقدم عن ابن قتيبة ) ، وقيل : دكت : أى استوت فى الانفراش فذهب دورها وقصورها وجبالها وسائر أبنيتها " وقال ابن كثير فى تفسيره (٤/٥١٠) " أى وطئت ومهدت وسويت الجبال وقام الخلائق من قبورهم " وأكثر هذه المعانى واردة فى القرآن والدك فى اللغة هو الدق والكسر .

انظر الصحاح (٤/١٥٨٣) ولسان العرب (١٠/٤٢٤) وقد ورد فى معنى الآثار عن ابن مسعود وابن عباس : " أن الله تعالى ييسط الأرض ويدها مد الأديم العكاظي لاترى فيها عوجاً ولا أمثاً " وذلك عندما يمسك الخلائق كلها .

وقوله ( وجاء ريبك ) وهو من المتشابه الذى نوه من  
به ولا يفسر . (١) وقد أول بعضهم : وجاء أمر ريبك ، (٢)

(١) هو قول المفوضة الذين يثبتون لله تعالى الصفات الواردة له فى القرآن  
والسنة النبوية الصحيحة ، ولكن يكون علمه إلى الله تعالى ، ويجعلون ذلك  
من الأمور المتشابهة التى ذكرها الله تعالى فى قوله ( هو الذى أنزل  
عليك الكتاب منه آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ) ( سورة  
آل عمران الآية ٧ ) .

ومن قال بالتفويض فى هذه المسألة (أى فى مجىء الرب سبحانه  
وتعالى وإتيانه ) أبو سليمان الخطابي فى معالم السنن (٤ / ٣٣١) ،  
حيث قال : وهذا من العلم الذى أمرنا أن نوه من بظاهره ، وأن لا نكشف  
عن باطنه ، وهو من جملة المتشابه الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه  
( فذكر الآية السابقة ، ثم قال : ) " فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقى  
والعمل ، والمتشابه يقع به الإيمان والعلم بالظاهر ، ونوكل باطنه إلى الله  
سبحانه " ثم قال : وكذلك كل ما جاء من هذا الباب فى القرآن كقوله  
( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ  
الْأَمْرُ ) سورة البقرة الآية ٢١٠ . وقوله ( وجاء ريبك والملك صفا صفا ) سورة  
الفجر الآية ٢٢ ، وقد ذهب إلى ذلك البيهقى أيضا فى الأسماء والصفات  
( ص ٥٧٠ - ٥٧٢ ) وفى كتابه الاعتقاد ( ص ٥٦ ) حيث قال فى الأول بعد  
أن سرد كلام الخطابي : " قلت فيما قاله أبو سليمان كفاية " وقال فى الثانى  
بعد أن قرر التفويض فى مسألة الاستواء " وعلى مثل هذا درج أكثر  
علمائنا فى مسألة الاستواء ، وفى مسألة المجىء والإتيان والنزول .

(٢) هو مذهب الموليين من المعتزلة والأشاعرة ، وجماعة من أصحاب الإمام أحمد  
ابن حنبل كابن الجوزى وابن الزاغونى وغيرهما ، وزعموا أن ذلك مروى عن الإمام  
أحمد لأن حنبلا ذكر فى كتاب المخنة ( كما فى مجموع الفتاوى (١٦ / ٤٠٤) عن  
الإمام أنه قال : المراد به : قدرته وأمره ، واختاره القاضى أبو يعلى - انظر  
زاد المسير ( ١ / ٢٢٥ ، ط ١ ) ومجموع الفتاوى ( ١٦ / ٤٠٤ - ٤٠٦ ) ، وقال  
الزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٧٥١ ) فى معنى الآية : ( هو تمثيل لظهور  
آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه ، مثلت حاله فى ذلك بحال الطك  
إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره  
كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم " وأما الرازى والقرطبى فقد ذكر كل  
منهما بعد أن قورا أن الآية لا يمكن حطها على الظاهر عدة أقوال فى معناها  
أحد هذه الأقوال هو ما ذكره المؤلف يعنى أن معناه ( جاء أمر ريبك )  
والثانى : وجاء قهر ريبك ، كما يقال جاءتنا بنو أمية أى قهرهم .  
والثالث : وجاء جلائل آيات ريبك لأن هذا يكون يوم القيامة ، وفى ذلك



٠٠/٠٠

اليوم تظهر العظام وجلائل الآيات ، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات \* .

والرابع : وجاء ظهور ربك ، وذلك لأن معرفة الله تصير في ذلك اليوم ضرورية ، فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل ( وجاء ربك ) أى : زالت الشبهة وارتفعت الشكوك .

والخامس : هو ما تقدم ذكره نقلاً عن الزمخشري .

والسادس : أن الرب هو المربي ، ولعل ملكاً هو أعظم الملائكة هو مربي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ، فكان هو المراد من قوله ( وجاء ربك ) .

انظر تفسير الرازي ( ١٧٣/٣١ - ١٧٤ ) وتفسير القرطبي ( ٥٥/٢٠ ) وهذه الأقوال كلها تأويل للآية وصرف عن معناها الصحيح ، وهى كلها ظاهرة البطلان لاسيما الأخير ، إذ هو تعريف صريح للآية ، ومعناها ، ثم إن هناك من فسر الآية بمعنى القصد والإرادة ، ذكره ابن تيمية فى شرح حديث النزول (ص ٦٣) ، والشبهة التى دفتهم إلى تأويل الآية وصرفها عن معناها المعروف هى ما ذكره الرازي فى تفسيره ( ١٧٣/٣١ ) بقوله : " إنه ثبت بالدليل العقلى أن الحركة على الله تعالى محال ، لأن كل ما كان كذلك كان جسماً ، والجسم يستحيل أن يكون أزلياً فلا بد فيه من التأويل \* . انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٥٥/٢٠ ) وهناك طائفة أخرى على العكس من ذلك تجرى مثل هذه الآيات على ظاهرها ، وتجعل إتيانه من إتيان المخلوق ونزوله من جنس نزولهم \* ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ( ٣٩٨/١٦ ) وهو أيضاً باطل ، فإنه عين التشييل الذى ورد بمنعه الكتاب والسنة .

( ١ ) بل الصحيح هو ما ذهب إليه العلما من السلف ، وهو أن الإتيان والمجيء صفة من صفات الله تعالى الثابتة له على الحقيقة ، فهو سبحانه وتعالى ينزل ويحيى ، ويأتى على ما يليق بذاته وجلاله . ولا يكون شئ من صفاته من جنس صفات المخلوقين ، فكما أن ذاته لا تشبه ذات الآخرين فصفاته أيضاً لا تشبه صفات الآخرين من مخلوقاته ، لأنه سبحانه وتعالى منزّه عن التشبيه والتمثيل ، فهو ( ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ) وهذا الذى استفاضت به السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحدِيث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول ، انظر شرح حديث النزول ( ص ٥ ) ومجموع الفتاوى ( ٣٩٨ / ١٦ ) والكواشف الجليلة ( ص ١٣٣ - ١٣٩ ) .

وأما القول بالتفويض أو أن هذه الآية من التشابهات فليس مما قال به السلف لا فى هذه المسألة ولا غيرها من المسائل ، ولم يقل أحد منهم بأن آيات الصفات من التشابه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى الحوية الكبرى ( ٤٧٠ / ١ - ٤٧١ ) ضمن مجموعة الرسائل الكبرى " وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف ، أما فى كثير من الصفات فقطعا ، مثل : إن الله فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم . . . علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة ، وأنهم ما قصدوا خلاف هذا قط . "

وقال أيضا فى الإكليل ( ٢٢ / ٢ - ٢٣ ) ضمن مجموعة الرسائل الكبرى " وقد فسر الإمام أحمد النصوص التى تسميها الجهمية بتشابهات فبين معانيها آية آية وحديثا حديثا ، ولم يتوقف فى شئ منها هو والأئمة قبله مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصفات وصرف الألفاظ عن ظواهرها لم يكن مذموبا لأئمة السنة ، وهم أعرف بمذهب السلف ، وإنما مذموب السلف إجراء معاني آيات الصفات على ظواهرها بإثبات الصفات له ، وأما تأويل الآية فقد قال شيخ الإسلام فى شرح حديث النزول ( ص ٦٢ ) بعد أن ذكر بعض تأويلاتهم : والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة ، لم يقل أحد من الصحابة شيئا منها ، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان ، وهى خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة . " وقد رد ابن القيم فى الصواعق المرسله على الذين ادعوا المجاز فى قوله تعالى ( وجاء ربك ) ( و هل ينظرون إلا أن يأتهم الله فى ظلل من الغمام ) سورة البقرة الآية . ( ٣ ) ، وقالوا بأنه من مجاز الحذف ، تقديره ( وجاء أمر ربك ) فأبطل هذا من عشرة أوجه ، نذكر البعض منها : فقال فى الوجه الأول : لأنه إضمار ما لا يدل عليه اللفظ بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم ، وادعاء حذف ما لا دليل عليه لوثوقه من الخطاب ، ويطرق كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصح باطله ، وقال فى الوجه الثانى : إن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف ، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار ، وإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز ، وقال فى الثالث : إنه إذا لم يكن فى اللفظ دليل على تعيين المحذوف كان تعيينه قولا على المتكلم بلا علم ، وإخبارا عنه بإرادة ما لم يقم به دليل على إرادته ، وذلك كذب عليه ، وذكر فى الوجه الرابع : أن فى السياق ما يدل على بطلان هذا التقدير ، وفى قوله ( وجاء ربك والملك ) عطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه وتعالى مما يدل على تغاير المجيئين وأن مجيئه سبحانه حقيقة كما أن مجيء الملك حقيقة ، وكذلك فى قوله ( هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك ) .

.. / ..

ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ريبك ، فقسم ونوع ، ومسع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً \* انظر مختصره ( ٢٩٤ / ٢ - ٢٩٦ ) . هذا ، واختلافهم في تعيين المضاف المحذوف على أكثر من قول يدل أيضاً على بطلان القول بمجاز الحذف .

وأما مانقه حنبل عن الإمام أحمد في كتاب المحنة فذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ( ٤٠٤ / ١٦ ) وقال : إنه قال ذلك في المناظرة لهم يوم المحنة التي وقعت في عهد المأمون في مسألة خلق القرآن - لما احتجوا عليه بقوله ( تجسى البقرة وآل عمران ) قالوا : والمجى لا يكون إلا لمخلوق ، فعارضهم أحمد بقوله ( وجاء ريبك ) ( أو يأتي ريبك ) وقال : المراد بقوله ( تجسى البقرة وآل عمران ) شوابهما ، كما في قوله ( وجاء ريبك ) : أمره وقدرته . ثم ذكر شيخ الإسلام بعد أن قرر أن مانقه حنبل خلاف النصوص المتواترة عن الإمام أحمد في منعه من تأويل هذا وتأويل النزول والاستواء ونحو ذلك من الأفعال . ذكر أن أصحاب أحمد اختلفوا في هذه الرواية على ثلاثة أقوال .

أحدها : إن هذا غلط من حنبل ، انفرد به دون الذين ذكروا عنه المناظرة ، وحنبل ينفرد بروايات يغلطه فيها طائفة ، الثاني : قال الإمام أحمد الزاماً للخصم على مذهبه ، الثالث : جعلوه رواية عن الإمام أحمد ، لكن الصحيح المشهور عنه رد التأويل . انظر أيضاً شرح حديث النزول ( ص ٥٥ - ٥٨ ) .

والصواب من هذه الأقوال هو القول الأول وهو أن حنبلاً غلط في ذلك إن خالف جماعة من الذين ذكروا هذه المناظرة فلم يذكروه ، وأما القول بأنه قاله الزاماً للخصم بعيد ، فإنه لا يمكن أن يستدل الإمام أحمد في هذه المسألة الخطيرة التي عانى فيها ما عاناه بما لا يعتد به ويواه باطلاً ، وكذلك جعلها رواية عنه غير صحيح ، فإن المسائل العقديّة لا تحتمل روايات .

وأما ما ذكره ابن الجوزي وشيخ الإسلام ابن تيمية من اختيار القاضي أبي يعلى لمذهب التأويل فقال أبو يعلى في كتابه الروايتين والوجهين ( ق ٢٤٩ / ب ) : " ولعل هذا القائل ذهب إلى ظاهر كلام أحمد في رواية حنبل أنه قال : احتجوا علي يومئذ بقولسه " تجسى البقرة يوم القيامة " و " تجسى تبارك " وقلت لهم الشواب ، قال اللسه تعالي : " وجاء ريبك والملك صفاً صفاً " إنما تأتي قدرته ، وإنما القرآن أمثال ومواظ وزجر " وليس في هذا الكلام إشارة إلى أنه اختاره : بل يدل ظاهره أنه لم يرضه ، والله أعلم .

وقوله ( والملك صفا صفا ) أى صفوفاً . ( ١ )

وقوله ( وجن يومئذ بجهنم ) فى بعض الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه يجاء بجهنم مزمومة بسبعين ألف زمام ويقودها الملائكة ، فتقام على يسار العرش فحينئذ يخبر الأنبياء على ركبهم ، ويقول كل واحد نفسى نفسى ، والخبر ( ٢ )

( ١ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٥ / ٣٠ ) فى تفسير الآية : \* وقوله ( وجاء ربك والملك صفاً صفاً ) : يقول تعالى ذكره : وإذا جاء ربك يامحمداً وأملاكه صفوفاً - صفاً بعد صف ، وقال القرطبي فى تفسيره ( ٥٥ / ٢٠ ) : ( صفاً صفاً ) أى صفوفاً .

وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٤٦ / ٧ ) : \* قال عطاء : يريد صفوف الملائكة ، وأهل كل سماء صف على حدة .  
قال الضحاك : أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفاً مختلطين بالأرضى ومن فيها فيكون سبع صفوف \* .

( ٢ ) فى نسخة \* ب \* ( سائر العرش ) .

( ٣ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٤٦ / ٧ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٥٥ / ٢٠ ) \* قال عبد الله بن مسعود ومقاتل فى هذه الآية : تقام جهنم بسبعين زماماً ، بيعد كل زمام سبعون ألف ملك ، لها تغليظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش .

والحديث أخرجه بنحوه مسلم فى صحيحه كتاب صفة القيامة والجنسية والنار باب جهنم أعادنا الله منها ( ١٧٨ / ١٧ - ١٧٩ ) والترمذى فى سننه - كتاب صفة جهنم ، باب ماجاء فى صفة النار ( ٢٥٧٣ / ٤ ) .

كلاهما من طريق عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن العلاء بن خالد الكاهلي عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يومئذ بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف يجرونها \* .

وقد أورده بهذا اللفظ الألوسى فى روح المعانى ( ١٢٨ / ٣٠ ) وعسرا تخريجه إلى مسلم والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وقال بعد أن ساق الحديث : وفى رواية بزيادة : حتى تنصب عن يسار العرش لها تغليظ وزفير \* . وقد روى الحديث باللفظ السابق ( أى بدون هذه الزيادة ) موقوفاً من قول ابن مسعود ، رواه الترمذى فى المصدر السابق له ، وابن جرير فى تفسيره ( ١٨٨ / ٣٠ ) والأول من طريق سفيان الثورى والثانى من طريق مروان الفزاري - كلاهما عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة قال : قال عبد الله بن مسعود ثم ذكره .

غريب - وهو معروف عن غير الرسول<sup>(١)</sup> .

قوله ( يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ) أى يتعظ وأنى له الاعتاظ أى  
نفع الاعتاظ<sup>(٢)</sup> .

وقوله ( يقول ياليتنى قدمت لحياتى ) أى لاخرتى - وهو فى معنى قوله  
( وان الدار الآخرة لهي الحيوان<sup>(٣)</sup> ) أى الحياة الدائمة ، والمعنى ههنا لحياتى  
فى الآخرة<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) استغرب المولى لهذا الحديث ، لأنه قد روى موقوفاً من قول عبد الله بسنن  
سمعود ، وقد استدركه الدارقطنى على مسلم وقال : رفعه وهم ، رواه الشورى  
ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً ، ذكره النووى وقال : وحفص ( الذى  
روى الحديث مرفوعاً ) ثقة حافظ إمام ، فزيادته الرفع مقبولة ، كما سبق نقله  
عن الأكثرين والمحققين \* . انظر شرح النووى ( ١٧٨ / ١٧ - ١٧٩ ) .

( ٢ ) ذكر الرازى فى تفسيره ( ١٧٤ / ٣١ ) ثلاثة أوجه فى معنى الآية أحدها : أنه  
يتذكر ما فرط فيه لأنه حين كان فى الدنيا كانت همته تحصيل الدنيا ، ثم إنه  
فى الآخرة يتذكر أن ذلك كان ضاللاً ، وكان الواجب عليه أن تكون همته  
تحصيل الآخرة ، والثانى : يتذكر - أى يتعظ ، والمعنى : أنه ما كان يتعظ  
فى الدنيا فيصير فى الآخرة متعظاً ، فيقول : ( يالليتنا نرد ، ولا نكذب  
بآيات ربنا ) .  
والثالث : يتذكر يتوب ، وهو مروى عن الحسن .

وقد ذكر من هذه الأوجه الوجه الأول ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٨ / ٣٠ )  
فقال : يقول تعالى ذكره : يومئذ يتذكر الإنسان تفريطه فى الدنيا فى  
طاعة الله ، وفيما يقرب إليه من صالح الأعمال ، ( وأنى له الذكرى ) من أى وجه  
له التذكير ، وذكر الزمخشرى فى الكشاف ( ٧٥٢ / ٤ ) وجهين من هذه الأوجه  
الثلاثة ، وهما الوجه الأول والوجه الثانى ، وقال فى معنى قوله ( وأنى له الذكرى )  
: ومن أين له منفعة الذكرى ، لا بد من تقدير حذف المضاف ، وإلا فبين  
يوم يتذكر وبين ( وأنى له الذكرى ) تناف وتناقض \* .

وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٥٤ / ٤ ) وجهين أحدهما : هو ما ذكر  
الرازى عن الحسن ، ولكنه عزاه إلى الضحاک ، والثانى : يتذكر ما عمل فى دنياه ،  
وما قدم لاخرته ، وأنى له الذكرى فى الآخرة ، وإنما ينتفع فى الدنيا ، قاله ابن شجرة ،  
ويبدولى أن هذه الأوجه كلها صحيحة ، وقد قال البغوى فى تفسيره ( ٢٤٦ / ٧ ) ،  
وابن الجوزى فى زاد التفسير ( ١٢٢ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٥٦ / ٢٠ ) : أى  
يتعظ ويتوب .

( ٣ ) سورة العنكبوت الآية ٦٤ .

( ٤ ) قال البغوى فى تفسيره ( ٢٤٦ / ٧ ) : \* أى قد متالخير والعمل الصالح لحياتى  
فى الآخرة ، أى لاخرتى التى لا موت فيها \* . وقال ابن جرير فى تفسيره ( ١٨٨ / ٣٠ )  
" يقول تعالى مخبراً عن تلهف ابن آدم وتندمه على تفريطه فى الصالحات من الأعمال  
... / ...

٠٠/٠٠

في الدنيا التي تورثه بقاء الأبد في نعيم لا انقطاع له ، ياليتنى قدمت لحياتي في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه التي لا موت بعد ها ، ما ينجيني من غضب الله ، ويوجب لي رضوانه .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٥٤/٤ ) وجهين في هذه الآية ، أحدهما : قدمت من دنياي لحياتي في الآخرة ، قاله الضحاك ، والثاني : قدمت من حياتي لمعادى في الآخرة ، ذكره ابن عباس وذكر الزمخشري أيضا في الكشاف ( ٧٥٢/٤ )

وجهين :

أحدهما : ( قدمت حياتي ) هذه ، وهي حياة الآخرة . والثاني : أن المعنى : وقت حياتي في الدنيا ، وهو كقولك جئت بعشر ليال خلون من رجب ، وذكر الرازي في تفسيره ( ١٧٥/٣١ ) هذين الوجهين ، وزاد وجهاً آخر فقال : إنه تعالى قال فسي حق الكافر ( ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ) وقال : ( فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ) وقال : ( ويتجنبها الأشقي الذي يصلي النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى ) فهذه الآية دللت على أن أهل النار نأه لا حياتهم ، والمعنى : فياليتنى قدمت عملاً يوجب نجاتي من النار ، حتى أكون من الأحياء . وقال القرطبي في تفسيره ( ٥٦/٢٠ ) : " أى في حياتي ، فاللام بمعنى في ، وقيل : أى قدمت عملاً صالحاً لحياتي ، أى لحياة لا موت فيها ، وقيل : حياة أهل النار ليست هنيئة ، فكأنهم لا حياة لهم ، فالمعنى : ياليتنى قدمت من الخير لنجاتي من النار ، فأكون فيمن له حياة هنيئة " وذكر أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٧١/٨ ) وجهين : أحدهما : هو ما ذكره الزمخشري : يعني أن المعنى : وقت حياتي في الدنيا ، والثاني : أن المعنى : لحياتي في قبري - يعني الذي كنت أكذب به .

والراجح من هذه الأقوال هو القول بأن المراد لحياتي في الآخرة ، لأنها فسي الحقيقية هذه هي الحياة الدائمة ليس فيها موت . وقد استدل الزمخشري بهذه الآية على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقاً بقصد هم وإرادتهم ، وأنهم ما كانوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي ، كمنه أهل الأهواء والبدع ، وإلا فما معنى التحسر؟ كذا قال في الكشاف ( ٧٥٢/٤ ) .

وهذا الاستدلال نابع من نزعة الاعتزالية ، وقد أجاب عنه الرازي في تفسيره ( ٧٥٢/٣١ ) فقال : إن فعلهم كان معلقاً بقصد هم ، فقصد هم إن كان معلقاً بقصد آخر لزم التسلسل . وإن كان معلقاً بقصد الله فقد بطل الاعتزال .

والخلاصة أن أهل السنة والجماعة إلى جانب عقيدتهم بأن الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد - يشبثون للعباد الكسب والاختيار . انظر شرح العقيدة الطحاوية ( ٤٩٣ - ٥٠٢ ) .

وقوله ( فيومئذٍ لا يعذب عذابه أحدٌ ولا يوثق وثاقه أحدٌ ) بالكسر وهو الأشهر من القراءتين (١) ، ومعناه : لا يعذب أحد في الدنيا بمثل ما يعذبه الله في الآخرة ، ولا يوثق أحد في الدنيا مثل ما يوثقه الله في الآخرة . (٢)

وقرى : ( فيومئذٍ لا يعذب عذابه أحد ) بفتح الذال (٣) ، ومعناه : لا يعذب أحد مثل عذاب هذا الكافر - أو لا يعذب أحد مثل عذاب هذا الصنف / من الكفار (٤) ، ٣٣١/ب وكذلك قوله ( يوثق ) بفتح الثاء .

(١) قرأ القراء السبعة خلا الكسائي بكسر الذال والثاء ، في قوله ( لا يعذب ) و ( لا يوثق ) .

انظر التيسير (ص ٢٢٢) والكشف عن وجوه القراءات (٢/٣٧٣) وحجوة القراءات (ص ٧٦٣) انظر أيضا النشر في القراءات العشر (٢/٤٠٠) .

(٢) ذكر هذا المعنى البغوي في تفسيره (٧/٢٤٦) قال : " أى لا يعذب أحد فسي الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذٍ ، ولا يوثق كوثاقه أحد ، يعنى : لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال " وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير (٩/١٢٢) والقرطبي في تفسيره (٤٠/٥٦) وعزاه إلى ابن عباس والحسن ، والرازي في تفسيره (٣١/١٧٥) وعزاه إلى مقاتل انظر أيضا الكشف عن وجوه القراءات (٢/٢٧٣) وحجوة القراءات (ص ٧٦٣) . وذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤٥٤) القراءة المشار إليها وقال في معنى الآية على هذه القراءة : " وتأويلها : أنه لا يعذب عذاب الله أحد غفر الله له " وعزاه إلى ابن عباس والحسن .

(٣) قرأ الكسائي من القراء السبعة بفتح الذال والثاء في قوله ( لا يعذب )

و ( لا يوثق ) . انظر التيسير (ص ٢٢٢) والكشف عن وجوه القراءات (٢/٢٧٣) وحجوة القراءات (ص ٧٦٣) والنشر في القراءات العشر (٢/٤٠٠) .

(٤) ذكر هذا المعنى على القراءة المذكورة : الماوردي في تفسيره (٤/٤٥٤) ، والبغوي في تفسيره (٧/٢٤٦) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/١٢٢) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٥٦) - انظر أيضا الكشف عن وجوه القراءات (٢/٢٧٣) وحجوة القراءات (ص ٧٦٣) وصرح الماوردي أن تأويل الآية على هذه القراءة محمول على الدنيا ، وقد رجح ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/١٨٩) القراءة الأولى فقال : والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأماص ، وذلك كسر الذال والثاء لإجماع الحجة من القراء عليه . وقال أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٠٠) " وهى القراءة التى قامت بها الحجة من جهة الإجماع " .

.. / ..

وأما أبو عبيد وأبو حاتم فقد ذهبوا إلى اختيار القراءة الثانية ( يعني : بفتح الدال والثاء ) كما ذكر أبو جعفر النحاس والقزطبي - وذكر النحاس لأبي عبيد حجتين وصفهما بأنهما واهيتين - إحداهما : الحديث ، الذي أخرجه ابن جريو في تفسيره ( ١٨٧٣٠ ) بسنده عن خالد الحذاء عن أبي قلابة قال : سئني من أقرأه النبي صلى الله عليه وسلم ( فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ) - وقد ضعف هذا الحديث ابن جريو وأبو جعفر النحاس والحجة الثانية : أنه قد علم المسلمون أنه ليس أحد يوم القيامة يعذب إلا الله ، فكيف يكون لا يعذب أحد عذابه .

ثم قال : وأغفل ما قاله العلماء في تأويل الآية ، لأنهم قالوا منهم الحسن : لا يعذب أحد في الدنيا يمثل عذاب الله يوم القيامة وتأول أبو عبيد معنى الآية : ( لا يعذب عذابه أحد ) : لا يعذب عذاب الكافر أحد ، وخولف أيضا في هذا التأويل ، وممن خالفه الفراء ، ذهب إلى أن المعنى : لا يعذب أحد في الدنيا مثل عذاب الله في الآخرة انظر قول الفراء في معاني القرآن ٢٦٢/٣ وذكر الرازي أيضا في تفسيره ( ١٧٥/٣ ) عن أبي عبيد تضعيف القراءة الأولى وأورد حجته في ذلك ، وهي أنه ليس يوم القيامة معذب سوى الله ، فكيف يقال : لا يعذب أحد في مثل عذابه .

ثم أجاب الرازي عن هذا الاعتراض من ثلاثة أوجه .

أحدها : هو ما ذكره النحاس ، يعني أن التقدير : لا يعذب أحد في الدنيا عذاب الله الكافر يومئذ ، ولا يوثق أحد في الدنيا وثاق الله الكافر ، والثاني : أن المعنى : لا يتولى يوم القيامة عذاب الله أحد ، أي الأمر يومئذ أمره ولا أمر لغيره .

الثالث : وهو قول أبي علي الفارسي : أن التقدير : لا يعذب أحد من الزمانية مثل ما يعذبونه ، فالمضير في عذابه عائد إلى الإنسان ، انظر أيضا الكشاف ( ٧٥٢/٤ ) ، وتفسير القزطبي ( ٥٦-٥٧ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٧١/٨ ) . وقد ذكر أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٧١/٨ - ٤٧٢ ) هذه الأوجه الثلاثة التي أجاب بها الرازي .

ورجح الوجه الثاني ( يعني أن الضمير في عذابه وثاقه ) عائد على الله تعالى : أي لا يكل عذابه ولا وثاقه إلى أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك ) وذكر أن هذا هو الأوضح لقوله ( لا يعذب ولا يوثق ) ولا يطلق على الماضي إلا بجاز بعيد ، بل موضوع ( لا ) إذا دخلت على المضارع أن يكون مستقبلاً .

.. / ..



٠٠/٠٠

وأما الألوسى فقد اختار في روح المعاني ( ٢٩/٣٠ - ١٣٠ ) الوجه الثالث ، فقال بعد ذكره له : وهو وجه حسن بل هو أرجح من الأول ( أى لا يتولى عذاب الله تعالى وثاقه سبحانه أحد سواه ) .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٥٠/٤ ) : " قال الله تعالى ( فيومئذ لا يُعذَّب عذابه أحد ) أى : ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه ، ( ولا يُوثق وثاقه أحد ) أى : وليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربه عز وجل ، وذكر المفسرون على القراءة الثانية : فى المراد بالآية عدة أقوال : أولها : أن المراد أمية ابن خلف ، والثانى : أن المراد أبى بن خلف ، والثالث : أن المراد إبليس ، والرابع : أن الآية عامة فى كل من اتصف بالمذكور فى قوله ( فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه . . ) انظر معانى القرآن للفراء ( ٢٦٢/٣ ) وتفسير الرازى ( ١٧٥/٣١ ) وتفسير القوطى ( ٥٦/٢٠ - ٥٧ ) وروح المعاني ( ١٣٠/٣٠ ) ووصف الألوسى القول الآخر ( يعنى أن الآية عامة ) بأنه هو الظاهر ، أما الأقوال الأخرى فقال فيها إنها خلاف الظاهر ، وقال فى القول الثالث ( يعنى أن المراد إبليس ) إنه مما لا ينبغى أن يلتفت إليه . "

هذا والراجع فى القراءتين السابقتين أن كلاً منهما صواب لأنهما قراءتان متواترتان إلا أن الأشهر القراءة الأولى ( كسر الذال والثاء ) .

وأما الصواب من الأقوال التى ذكرت فى معنى الآية فهو ما ذكره المؤلف يعنى : أن المعنى : لا يعذب أحد فى الدنيا مثل ما يعذبه الله فى الآخرة ، ولا يُوثق أحد فى الدنيا مثل ما يوثقه الله فى الآخرة " هذا على القراءة الأولى ، وأما على القراءة الثانية فالصواب : ما ذكره الفراء فى معانى القرآن ( ٢٦٢/٣ ) فقال : " لا يُعذَّب أحد فى الدنيا كعذاب الله يومئذ " وبهذا تتفق القراءتان فى المعنى ، وقد صرح به مكسى ابن أبى طالب فى الكشف عن وجوه القراءات ( ٢٧٣/٢ ) .

قوله تعالى ( يا أيها النفس المطمئنة ) أي المؤمنة الساكنة .<sup>(١)</sup> ويقال :  
 ( المطمئنة ) إلى وعد ربها .<sup>(٢)</sup>  
 وقيل : إن المراد بالنفس هو الروح ههنا .

( ١ ) هو قول ابن عباس ، قال السيوطي في الدر المنثور ( ٣٥٠ / ٦ ) " أخرج ابن  
 أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس  
 في قوله ( يا أيها النفس المطمئنة ) قال : المؤمنة . وذكر هذا القول  
 الماوردي في تفسيره ( ٤٥٤ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٣ / ٩ ) ،  
 والقوطبي في تفسيره ( ٥٧ / ٢٠ ) من قول ابن عباس ، وقال ابن الجوزي :  
 قال الزجاج : " المطمئنة بالإيمان " .

وذكره البغوي في تفسيره ( ٢٤٦ / ٧ ) من قول الحسن وذكره القوطبي فقال :  
 وقال الحسن : المؤمنة الموقنة ذكره نقلاً عن مجاهد وغيره أيضاً فقال : والنفس  
 المطمئنة : الساكنة الموقنة ، أيقنت أن الله ربها ، فأخبت لذلك ، قاله مجاهد  
 وغيره . وقال مجاهد في تفسيره ( ٧٥٧ / ٢ ) : " يا أيها النفس المطمئنة يعني :  
 المخيبة المطمئنة إلى ربها " . انظر أيضاً تفسير الطبري ( ١٩٠ / ٣٠ ) والكشاف  
 ( ٧٥٢ / ٤ ) .

( ٢ ) قال ابن جريو في تفسيره ( ١٩٠ / ٣٠ ) :  
 " يعني : بالطمئنة : التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان  
 به في الدنيا من الكرامة في الآخرة فصدقت بذلك ، ثم روى بسنده عن قتادة أنه  
 قال : هو المؤمن من اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله " .  
 وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٥٤ / ٤ ) فقال : " المؤمنة بما وعد الله ، قاله  
 قتادة " . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٣ / ٩ ) فقال : " الموقنة  
 بما وعد الله ، قاله قتادة " .

وفي المراد ( بالنفس المطمئنة ) أقوال أخرى .  
 فقال ابن عباس في إحدى رواياته : المطمئنة بثواب الله .  
 وقال مجاهد في رواية أخرى : الراضية بقضاء الله ، التي علمت أن ما أخطأها  
 لم يكن ليصيبها ، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها .  
 وقال مقاتل : الأمنة من عذاب الله ، دليله : قراءة أبي بن كعب ( يا أيها  
 النفس الآمنة المطمئنة ) ، وهو مروى عن الكلبي أيضاً .

.. / ..

وقال ابن كيسان : المطمئنة هنا : المخلصة ، وقيل : المطمئنة بذكر الله تعالى بيانه " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله " سورة الرعد الآية ٢٨ .

وقال ابن زيد : المطمئنة لأنها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع \* ( انظر تفسير الطبري ( ١٩٠ / ٣٠ ) - ( ١٩١ ) وتفسير الماوردي ( ٤٥٤ / ٤ ) وتفسير البغوي والخازن ( ٢٤٦ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٢٣ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٥٨ - ٥٧ / ٢٠ ) .

واختلف المفسرون في أى حين يقال لها ذلك على أقوال :

أحدها : عند خروجها من الدنيا - يعنى عند الموت .

والثانى : عند البعث .

والثالث : عند دخول الجنة .

ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزمخشري في الكشاف ( ٧٥٢ / ٤ ) دون عزو إلى أحد ، وذكرها أبوحيان في البحر المحيط ( ٤٧٢ / ٨٧ ) وعزا القول الأول إلى ابن زيد . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٣ / ٩ ) قولين منها فقط ، الأول ( أى يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا ) وقال : قاله الأكثرون .

والثانى ( أى عند البعث ) وقال : رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال عطاء وعكرمة والضحاك . انظر أيضا تفسير البغوي ( ٢٤٧ / ٧ ) ويبدو لي أن الراجح هو القول الأول ( يعنى يقال لها ذلك عند الموت ) كما يدل عليه حديث البراء بن عازب وحديث أبي هريرة وسيأتى ذكرهما قريباً .

ويقال : هو حملة الإنسان إذا كان مؤمناً (١) .  
وقوله ( ارجعني إلى ربك راضية ) أى رضيت عن الله وأرضاها الله تعالى عن  
نفسه . (٢)

وفى بعض الآثار : ان ملكين يأتیان المؤمن عند قبض روحه فيقولان : اخرج  
أيها الروح إلى روح وريحان ورب غير غضبان . (٣)

(١) ذكر القولين - ابن جرير في تفسيره (٣٠ / ١٩١ - ١٩٢) والماوردى في تفسيره  
(٤ / ٤٥٥) وابن الجوزى في زاد المسير (٩ / ١٢٤ - ١٢٥) والزمخشري في الكشاف  
(٤ / ٧٥٢) والقرطبي في تفسيره (٢٠ / ٥٨ - ٥٩) وأبو حيان في البحر المحيطة  
(٨ / ٤٧٢) .

(٢) ذكر الماوردى فى معنى هذه الآية وجهين .  
أحدهما : رضيت عن الله ورضى عنها ، قاله الحسن .  
الثانى : رضيت بثواب الله ورضى بعطها ، قاله ابن عباس .  
وقال البغوى : ( راضية ) عن الله بما أعد لها ، ( مرضية ) رضى عنها ربها ،  
وذكر عن الحسن أنه قال : إذا أراد الله قبضها أطمأنت إلى الله ورضيت عن الله  
ورضى الله عنها \* وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦ / ٣٥١) وعزا تخريجه إلى  
ابن أبي حاتم .

(٣) ذكر نحوه البغوى والخازن فى تفسيرهما (٧ / ٢٤٧) عن عبد الله بن عمرو من قوله  
فى سياق أطول منه .  
وأورد القرطبي فى تفسيره (٢٠ / ٥٨) ولكنه قال : قال عمرو بن العاص... ثم ذكره .  
ولم يعز أحد منهم تخريجه إلى أحد ، وقد ورد فى حديث رواه النسائى فى سننه  
كتاب الجنائز - باب ما يلحق به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (٤ / ٨) بسنده  
عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : \* إذا حضر المؤمن أتته ملائكة  
الرحمة بجريرة بيضاء ، فيقولون : اخرجى راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان ،  
ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح المسك ... الحديث .

وروى الإمام أحمد فى مسنده (٤ / ٢٨٧) بسنده عن البراء بن عازب مرفوعاً  
حديثاً طويلاً جاء فيه : إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا ولقبال  
من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بينس الوجوه ، كأن وجوههم الشمس معهم  
... / ...

٠٠/٠٠

كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجسى\*  
ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة : اخرجى  
إلى مغفرة من الله . . . . ورضوان .

واختلف المفسرون في معنى قوله ( ارجعى إلى ربك ) على أربعة أقوال .

أحدها : ارجعى إلى صاحبك الذى كنت فى جسده ، رواه عطية العوفى عن ابن عباس  
وبه قال عكرمة والضحاك ، وهذا المعنى على أن المراد من النفس الروح ،  
والمراد من الرب الإنسان دون النفس .

الثانى : ارجعى إلى ربك بعد الموت فى الدنيا ، قاله أبو صالح .

الثالث : ارجعى إلى ثواب ربك ، قاله الحسن .

والرابع : أيتها النفس المظمئة إلى الدنيا ارجعى إلى الله تعالى بتركها .

راجع لمعرفة هذه الأقوال - تفسير ابن جرير ( ٣٠ / ١٩١-١٩٢ ) وتفسير الماوردي

( ٤٥٤ / ٤ ) وتفسير البغوى والخازن ( ٢٤٧ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٢٤ / ٩ ) وتفسير القرطبي

( ٥٨ / ٢٠ ) والكشاف ( ٧٥٢ / ٤ ) والبحر المحييط ( ٤٧٢ / ٨ ) ، وقد اختار ابن جرير

القول الأول ، ولكن استغربه ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٠ / ٤ ) ، وقال : والظاهر الأول

( يعنى به ما ذكره أولاً بقوله : أى إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده فى جنته ) لقول

تعالى ( ثم رددنا إلى الله مولاهم الحق - وأن مردنا إلى الله ) أى إلى حكمه والوقوف

بين يديه .

انظر أيضا معانى القرآن ( ٢٦٣ / ٣ ) .

وقوله ( فاد خلى فى عبادى ) أى مع عبادى ، واد خلى جنتى ، وهذا القول  
يوم القيامة . ( ٢ )

وقرى فى الشاذ ( فاد خلى فى عبدى ) أى يقال للنفس أى الروح اد خلى فى عبدى  
أى فى جسده ، واد خلى فى جنتى ، وذلك عند البعث . ( ٣ )

( ١ ) ذكر هذا المعنى الماوردى فى تفسيره ( ٤٥٥ / ٤ ) من قول السدى ، وذكره ابن الجوزى  
فى زاد المسير ( ١٢٤ / ٩ ) من قول الفراء ، وذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٤٧ / ٧ ) دون  
عزو إلى أحد .

وقال ابن جرير فى تفسيره ( ١٩٢ / ٣٠ ) : " اختلف أهل التأويل فى معنى  
ذلك : فقال بعضهم : معنى ذلك : فاد خلى فى عبادى الصالحين واد خلى  
جنتى . " وروى هذا المعنى بسنده عن قتادة - وذكره البغوى والخازن ،  
وابن الجوزى والزمخشري فى الكشاف ( ٧٥٢ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٥٩ / ٢٠ )  
وأبو حيان فى البحر المحيطة ( ٤٧٢ / ٨ ) . وذكر ابن جرير قولاً آخر فقال : وقال  
آخرون : معنى ذلك : ( فاد خلى فى طاعتى واد خلى جنتى ) وروى هذا  
المعنى عن محمد بن مزاحم أخى الضحاك بن مزاحم .

وذكره الماوردى فى قول الضحاك . وأشار ابن جرير إلى معنى آخر فقال :  
وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة بوجه معنى قوله ( فاد خلى فى عبادى )  
أى : فاد خلى فى حزبي .

وذكره القرطبي من قول الأخفش ، وقال : والمعنى واحد .

( ٢ ) ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٥٥ / ٤ ) قولين فى قوله ( واد خلى جنتى ) أحدهما :  
فى رحمتى - قاله الضحاك ورواه ابن جرير عن محمد بن مزاحم فى سياق قوله  
السابق فى معنى ( فاد خلى فى عبادى ) . والثانى : الجنة التى هى دار الخلود  
ومسكن الأبرار ، وهو قول الجمهور ، وذكره القرطبي أيضاً وعزاه إلى الجمهور وهو  
الصواب .

وروى ابن جرير فى تفسيره ( ١٩٢ / ٣٠ ) بسنده عن أبى صالح أنه قال : ( ارجعنى  
إلى ربك راضية مرضية ) : هذا عند الموت ، ( فاد خلى فى عبادى ) قال : هذا  
يوم القيامة .

( ٣ ) ذكر هذه القراءة ابن خالويه فى شوان القرآن ( ١٧٣ ) وعزاها إلى أبى بن كعب  
وابن عباس . ذكر هذه القراءة ابن جرير فى تفسيره ( ١٩٢ / ٣٠ ) فقال : " وقد روى  
عن بعض السلف أنه كان يقرأ ذلك ( فاد خلى فى عبدى واد خلى جنتى ) وروى هذه  
القراءة بسنده عن ابن عباس وأبى الشيخ الهنائى والكلبى ، وقد ذكر هذه القراءة  
ومعنى الآية عليها ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٢٤ / ٩ - ١٢٥ ) والزمخشري فى  
الكشاف ( ٧٥٢ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٥٨ / ٢٠ ) وهذه قراءة شاذة ، وعليها  
فيكون المعنى أيضاً شاذاً .

وعن عكرمة : أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر : إن هذا الخير كبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إن الملك سيقولها لك <sup>(١)</sup> . وعن أبي بريدة <sup>(٢)</sup> : إن

(١) هكذا ذكره المؤلف عن عكرمة ، وقد أورد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٠/٦) هذا الأثر بثلاث روايات ، أحداها : من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٤/٥١٠ ) بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

وقد عزا السيوطي تخريجها أيضا إلى ابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة .

والرواية الثانية - عن سعيد بن جبير مرسلًا - أخرجها ابن جبر في تفسيره (١٩١/٣٠) وابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٤/٥١٠ - ٥١١ ) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٣/٤) كلهم من طريق يحيى بن يعان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير قال : قرئت عند النبي صلى الله عليه وسلم ( يا أيها النفس المطمئنة ) فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن هذا لحسن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إن الملك سيقولها لك عند الموت \* قال فيه ابن كثير : وهذا مرسل حسن .

والرواية الثالثة : من طريق ثابت بن عجلان عن سليم بن أبي عامر قال : سمعت أبا بكر الصديق يقول : قرئت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ( يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ) فقلت : ما أحسن هذا يا رسول الله ، فقال : يا أبا بكر أما إن الملك سيقولها لك عند الموت \* .

هذا ولم أجد من روى أو ذكر هذا الأثر عن عكرمة ، بل ذكر بعض المفسرين عنه أن الآية عامة لجميع المؤمنين ، وهو - أي أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون فيمن نزلت هذه الآية .  
انظر تفسير الماوردي (٤/٤٥٥) وزاد المسير (٩/٢٣١) .

(٢) كذا في النسختين ( عن أبي بريدة ) ، والصواب ( بريدة ) كما ورد في المصادر الأخرى ، وهو بريدة بن الحَصْب بن عبد الله بن الحارث أبوسهل الأسلمي . أسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا بالفميم ، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأحد ، ثم قدم بعد ذلك ، توفي سنة ثلاث وستين . انظر الإصابة (١/١٤٦) ، وتقريب التهذيب (ص٤٣) .

الآية نزلت في حمزة بن عبد المطلب (١).

وعن بعضهم : أنها نزلت في خبيب بن عدي (٢) ، وهو الذي أسر وصلب بمكة ،  
وهو أول من سن الصلاة ركعتين عند الصلْب. (٣) وهو القائل :  
فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في اللهب مصرعي  
وذلك في ذات ليله وإن يشاء يبارك في شلو الأريم الممزرع (٥)

(١) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أبو عمارة عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ، ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بستين وقيل بأربع ، وأسلم في السنة الثانية ولازم نصر الرسول صلى الله عليه وسلم وهاجر معه ، واستشهد بأحد . انظر الإصابة (١/٣٥٤) .

وأما الأثر فأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٥٠) : " وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن بريدة رضي الله عنه في قوله ( يا أيُّها النفس المظمئة ) قال : يعني نفس حمزة . وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٤/٤٥٥) ، والزمخشري الكشاف (٤/٧٥٣) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/١٢٣) ، والقرطبي في تفسيره (٢٠/٥٨) وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٧٢) وابن كثير في تفسيره (٤/٥١٠) .

(٢) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأنصاري الأوسي شهد بدرًا واستشهد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصة استشهاده معروفة في كتب السير والتاريخ وقد رواها البخاري في صحيحه (٧/٣٠٨ ، رقم ٢٩٨٩) عن أبي هريرة . وانظر سيرة ابن هشام (٣/٩٣) والإصابة (١/٤١٨ - ٤١٩) .

(٣) ورد ذلك في الحديث رواه البخاري ، وتقدمت الإشارة إليه " وكان خبيب هو سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة " . انظر أيضا سيرة ابن هشام (٣/٩٦) .

(٤) قال ابن الأثير في النهاية (٢/٤٩٨) : " والشلو : العضو " . وقال ابن منظور في لسان العرب (١٤/٤٤٢) : " الشلو والشلاء : الجلد والجسد من كل شئ ، وكل سلوخة أكل منها شئ فبقيتها شلو وشلاء " . وقال أيضا : الشلو والشلاء : العضو من أعضاء اللحم .

(٥) قال ابن منظور في لسان العرب (٨/٣٣٦) : " مزع القطن يمزعه مزعا : نقشه ، ومزعت المرأة القطن بيدها إذا زبدته وقطعته ثم ألقته فجودته بذلك ، والمزعة : القطعة من القطن والریش واللحم ونحوها " .



.../...

ورد البيتان في الحديث الذي تقدمت الإشارة إليه عند البخارى وفيه " . . . يسارك على أوصال شلو ممع " وانظر أيضا سجرة ابن هشام ( ٩٨ / ٣ ) والإصابة ( ٤١٨ / ١ ) ، وقد ذكر هذا القول - يعنى أن الآية نزلت في خبيب بن عدى - ابن الجوزى فى تفسيره ( ١٢٣ / ٩ ) وعزاه إلى مقاتل ، انظر أيضا تفسير مقاتل ق ١ / ٣٩٥ ) والزمخشري فى الكشاف ( ٧٥٣ / ٤ ) والقوطبى فى تفسيره ( ٥٨ / ٢٠ ) وأبوحيان فى البحر المحيـط ( ٤٧٢ / ٨ ) .

وهناك قول آخر وهو أن الآية نزلت فى عثمان بن عفان حين اشترى بئر رومة وأوقفها - ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤٥٥ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٢٣ / ٩ ) من قول الضحاك - وذكره ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٠ / ٤ ) فقال : " فروى الضحاك عن ابن عباس : نزلت فى عثمان بن عفان وذكر السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٥٠ / ٦ ) روايتين فى ذلك كتاهما عن ابن عباس - قال : وأخرج ابن أبى حاتم من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يشتري بئر رومة نستعذب بها غفر الله له ، فاشتراها عثمان ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل لك أن تجعلها سقاية للناس ، قال : نعم ، فأنزل الله فى عثمان ( يا أيها النفس المطمئنة ) الآية .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما ( يا أيها النفس المطمئنة )

قال : نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله عنه " .

والرواية الأولى التى هى من طريق جوير عن الضحاك ضعيفة لأن جويراً ضعيف،

كما تقدم غير مرة .

وقد ذكر الماوردى وابن الجوزى عن عكرمة أنه قال : " أنها عامة فى كل المؤمنين "

وهذا هو الصواب ، كما صرح به القوطبى فى تفسيره ( ٥٨ / ٢٠ ) فقال : والصحيح أنها

عامة فى كل نفس مؤمن مخلص طائع " .

وعن عامر بن قيس (١) : أنه وفد على عثمان رضي الله عنه فجلس على يابه فخرج عليه عثمان فرأى أعرابياً في بيت سلم يعرفه فقال : أين ربك يا أعرابي ؟ قال : بالمرصاد فأفحم عثمان (٢) ، وهذا على قوله ( ان ربك لبالمرصاد ) والله أعلم .

(١) كذا في النسختين ، والصواب : عامر بن عبد قيس ، وهو القدوة الولي الزاهد أبو عبد الله عامر بن عبد قيس ( وفي بعض المصادر : عامر بن عبد الله ابن قيس ) التميمي العنبري البصري . ويقال له : أبو عمرو .

قال المعجلي : كان ثقة من عباد التابعين ، رآه كعب الأحبار فقال : هذا راهب هذه الأمية ، قيل : توفي في زمن معاوية . انظر الجرح والتعديل ٢٢٥/٦ . وترتيب الثقات للمعجلي (ص ٢٤٥) وسير أعلام النبلاء (١٥/٤) .

(٢) لم أجد من روى هذه القصة .

وقد ذكرها الزمخشري في الكشاف (٢٤٨/٤) والقرطبي في تفسيره (٥٠/٢٠) مختصراً ، فقالا : " وعن بعض العرب أنه قيل له : أين ربك ؟ فقال : بالمرصاد " .

تفسير سورة البلد وهي مكية<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( لا أقسم بهذا البلد ) معناه أقسم - ولا صلة .

قال الفراء : وهو على مذهب كلام العرب ، يقولون : لا والله لا أفعل كذا :

أى والله . وكذلك : لا والله لأفعلن كذا أى والله ، فيجوز أن يكون ( لا ) صلة . ويجوز أن يكون رداً لقول سابق .

( ١ ) قال الماوردي فى تفسيره ( ٤ / ٤٥٦ ) : " سورة البلد : مكية عند جميعهم "

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٢٦ ) : " وهى مكية كلها بإجماعهم "

وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٧٥٤ ) : " إن السورة بالاتفاق مكية " .

وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٠ / ٥٩ ) : " سورة البلد مكية باتفاق " .

وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٣٥١ ) روايتين بأن هذه السورة مكية ،

إحداهما عن ابن عباس والثانية عن ابن الزبير ، وعزا تخريج الرواية الأولى إلى

ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى ، وعزا تخريج الثانية إلى ابن مردويه .

وقال أبوحيان فى البحر المحيط ( ٨ / ٤٧٤ ) " هذه السورة مكية فى قول الجمهور ،

وقيل : مدنية " وأما الألوسى فذكر فى روح المعانى ( ٣٠ / ١٣٣ ) ثلاثة أقوال

أحدها : أنها مكية فى قول الجمهور بتمامها ، والثانى : أنها مدنية بتمامها ،

والثالث : مدنية إلا أربع آيات من أولها .

ثم ذكر أن كلا القولين ( يعنى الثانى والثالث ) اعترض بأنهما يأتياهما قوليه

تعالى ( بهذا البلد ) وقال : " ولقوة الاعتراض ادعى الزمخشري الإجماع

على مكيتها " .

( ٢ ) تقدم الكلام على مثل هذا القسم وذكر الخلاف فيه فى أول سورة القيامة ( ٢٠١ - ٢٠٧ )

وقد حكى بعض المفسرين الإجماع على أن معنى " لا أقسم " أقسم . ولكن وقع خلاف

بين المفسرين فى تفسير " لا " وقد ذكر المؤلف فى الموضوع المشار إليه أربعة أقوال فى

المسألة منها هذا الذى ذكره هنا - يعنى أن ( لا صلة وقد ذكر القرطبي فى تفسيره

( ٢٠ / ٥٩ ) هنا هذا القول فقال : يجوز أن تكون " لا " زائدة ، كما تقدم فى

" لا أقسم بيوم القيامة " قاله الأخفش ، أى أقسم ، لأنه قال : " بهذا البلد " وقد

أقسم به فى قوله : " وهذا البلد الأمين " فكيف يجحد القسم به وقد أقسم به ، ولكن

الرازي قد ضعف هذا القول من وجوه عديدة ، منها : أن تجويز هذا يفضى إلى

الطعن فى القرآن ، لأنه على هذا التقدير يجوز جعل النفي إثباتاً ، والإثباتات

نفيًا . انظر تفسيره ( ٣٠ / ٢١٤ ) .

وابتداء القسم من قوله (والله) ، فكذلك قوله ( لا أقسم ) يجوز أن يكون ( لا ) صلة ويجوز أن يكون رداً لزمعهم من انكار البعث وإنكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والقسم من قوله : أقسم ، وقال الفراء : هذا الثاني أولى (١) .

وقوله ( بهذا البلد ) هو مكة في قول الجميع - ذكره مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم . (٢)

(١) تقدم ذكر ما قاله الفراء في معاني القرآن (٢٠٧/٣) بنصه ، في أول سورة القيامة ، وقد ذكر الفراء القولين اللذين ذكرهما المؤلف ، ولكن أنكر القول الأول (يعنى أن ( لا ) صلة ) في الكلام . واختار القول الثاني ( يعنى أن ( لا ) للرد على المنكرين للبعث والجنة والنار ) وقد اختاره غير واحد من المفسرين ، كما تقدم ذكره . وكلام المؤلف هنا يدل على أن الفراء جئوز القولين ورجح القول الثاني بينما كلامه في معاني القرآن يدل على خلاف ذلك ، فإنه أنكر القول الأول ، فذكر أن الصلة لا تكون إلا في أثناء الكلام ، وقال أيضا : لو جاز هذا ( يعنى : جعل ( لا ) صلة في الكلام يراد به الطرح ) لم يعرف خير فيه جحد من خير لا جحد فيه .

والغريب أن المؤلف بنفسه ذكر في أول سورة القيامة أن الفراء أنكر القول بأن ( لا ) هنا صلة ، ولا أدري كيف توهم المؤلف في ذلك فعزا القولين إلى الفراء . هذا وقد ذكر القرطبي في تفسيره (٥٩/٢٠ - ٦٠) أقوالاً أخرى لم يذكرها المؤلف : منها أن ( لا ) هنا بمعنى ( إلا ) أجاز ذلك الآخفش ، وقد ذكره النحاس في إعراب القرآن (٧٠٣/٣) ومكي بن أبي طالب في مشكل القرآن (٤٧٥/٢) وقيل : إنها نفي صحيح ، والمعنى : لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك " حكاة مكي ، واختار ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٣٤/٤) قول القائلين بأئمتها للرد فقال : وأما من قال : إنها رداً فهو قول ليس له رد ، لأنه يصح به المعنى ، ويتمكن اللفظ والمراد " وذكره القرطبي في تفسيره (٦٠/٢٠) وقال : فهو رد للكلام من أنكر البعث ثم ابتداء القسم . وقد تقدم الكلام في المسألة بتفصيل أكثر في أول سورة القيامة .

(٢) ذكر هذا القول ابن جريو في تفسيره (١٩٣/٣٠) ورواه بسنده عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء وابن زيد ، انظر أيضا قول مجاهد في تفسيره (٧٥٨/٢) وصحيح البخارى (٧٠٣/٨) وأورده السيوطى في الدر المنثور (٣٥٢/٦) ، هذا القول عن سعيد بن جبير وعزا تخريجه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

.. / ..

وقد ذكر الرازي في تفسيره ( ١٧٩ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٦٠ / ٢٠ ) إجماع المفسرين على أن المراد بالبلد مكة ، وقال ابن حجر في فتح الباري ( ٧٠٣ / ٨ ) : واتفقوا على أن المراد بالبلد مكة شرفها الله تعالى .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٥٦ / ٤ ) قولين في المراد بالبلد ، أحدهما : مكة ، عزاه إلى ابن عباس ، والثاني : الحرم كله ، عزاه إلى مجاهد . ولكن صرح مجاهد في تفسيره ( ٧٥٨ / ٢ ) بأن البلد هو مكة ، وروى عنه ابن جرير في تفسيره ( ١٩٣ / ٣٠ ) من ثلاث طرق في جميعها تصريح بأن البلد هو مكة ، ولعل الماوردي اعتمد في قوله على رواية عبد بن حميد التي أوردها السيوطي في الدر المنثور ( ٣٥٢ / ٦ ) فقال : أخرج عبد بن حميد عن منصور قال : سألت رجلاً مجاهداً عن هذه الآية ( لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ) قال : لا أدري ثم فسرها لي ، فقال : ( لا أقسم بهذا البلد ) الحرام ( وأنت حل بهذا البلد ) الحرام . . . إلى آخره .

وحكى القرطبي عن الواسطي أنه قال : أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حياً ، وبركتك ميتاً - يعني المدينة ، ثم قال القرطبي : والأول ( يعني أنه مكة ) أصح ، لأن السورة نزلت بمكة باتفاق .

وقوله ( وأنت حل بهذا البلد ) فيه ثلاثة أقوال :-  
أحدها : أى حلال لك أن تتقاتل في هذا البلد ولم يحل لأحد قبلك . (١) وقد  
ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن مكة حرام حرّمها الله يوم خلق السموات  
والأرض ، ولم يحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ، وإنما أحللت لي ساعة  
من نهار . (٢)

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن (٢٦٣/٣) قال : يقول : هو حلال لك أحله  
يوم فتح مكة لم يحل قبله ، ولن يحل بعده ، وذكره ابن جرير في تفسيره (١٩٤/٣٠) -  
١٩٥) فقال : يقول : أنتبه حلال تصنع فيه من قتل من أردت قتله ، وأسر من  
أردت أسره ، مطلق ذلك لك ، يقال منه : هو حل ، وهو حلال ، وهو حرام ، وهو  
حرام ، وهو محل ، وهو محرم ، شروى بسنده عن عد يد من أئمة التفسير ما يدل على  
هذا المعنى .

ونذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٢٧/٩) فقال : حل لك ما صنعت فسي  
هذا البلد من قتل أو غيره ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، قال الزجاج : يقال :  
رجل حل ، وحلال ومحل ، قال المفسرون : والمعنى : أن الله تعالى وعد نبيه  
أن يفتح مكة على يديه بأن يجلبها له ، فيكون فيها حلالاً ، وقال الزمخشري فسي  
الكشاف (٢٥٤-٢٥٣/٤) بعد أن ذكر قولاً : أو سلت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلوا من مقاساة الشدائد واعترض بأن  
فتح مكة تميماً للتسوية والتنفيذ عنه ، فقال : وأنت حل بهذا البلد ، يعني : وأنت  
حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ، وذلك أن الله فتح عليه مكة  
وأحلها له ، ثم ذكر بعد ذلك أنه في معنى الاستقبال في مثل قوله تعالى :  
" إنك ميت وإنهم ميتون " (سورة الزمر الآية ٣٠) ومثله واسع في كلام العرب  
تقول لمن تعدد الإكرام والحباء : أنت مكرم محبوب ، وهو في كلام الله واسع ، لأن  
الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة ، وكفالك دليلاً قاطعاً على أنه  
للاستقبال ، وأن تفسيره بالحال محال ، أن السورة باتفاق مكية قبل الفتح ، وأورد  
هذا القول غير واحد من المفسرين ، . انظر تفسير الطاوري (٤٥٦/٤) ، وتفسير  
البغوي والخازن (٢٤٨/٧) والكشاف (٧٥٤/٤) وتفسير الرازي (١٧٩/٣١) ،  
والبحر المحيط (٤٧٤/٨) وتفسير ابن كثير (٥١١/٤) .

(٢) له طرق عديدة منها ما أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب ليبيئ  
العالم الشاهد الفائب (١٩٧/١ - ١٩٨ رقم ١٠٤) ومسلم في صحيحه -  
كتاب الحج - باب تحريم مكة (١٢٧/٩) . كلاهما من طريق الليث عن سعيد  
بن أبي سعيد عن أبي شريح أنه قال لعمر بن سعيد - وهو يبعث البعوث  
إلى مكة ، إذ ن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبي صلى الله عليه وسلم  
القد من يوم الفتح ، سمعته أن ناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلم  
به : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس ،  
فلا يحل لا مسوى يوم من بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها  
شجرة ، فإن أحد تزخى لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا :  
إن الله قد أنزل رسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أنزل لي فيها ساعة من نهار ،  
ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس . . .

والقول الثاني : ان قوله ( وأنت حل بهذا البلد ) أى استحلوا منك ما حرمه الله من الأذى وايصال المكروه إليك مع اعتقادهم / حرمة الحرم ذكره القفال (١) . (١/٣٣١)

والقول الثالث : ( وأنت حل بهذا البلد ) أى نازل بهذا البلد ،

وهو إشارة إلى زيادة حرمة وشرف للبلد لمكان النبى صلى الله عليه وسلم فيه . (٢)

(١) ذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره (٤٥٦/٤) فقال : " أن يستحل المشركون فيه حرمته وحرمة من اتبعك توبيخاً للمشركين " ولم يعزه إلى أحد ، وذكره البغوى فى تفسيره (٢٤٨/٧) والرازى فى تفسيره (١٧٩/٣١) والقرطبى فى تفسيره (٦١/٢٠) عن شرحبيل بن سعد ، فإنه قال : ومعنى قوله ( وأنت حل بهذا البلد ) : يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ، ويستحلون إخراجك وقتلك . وبدأ الزمخشرى فى الكشاف (٧٥٣/٤) بهذا القول فقال : " يعنى : ومن المكيدة أن مثلك على عظم حرمته يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد من غير الحرم ، ثم ذكر قول شرحبيل . فقال : عن شرحبيل : يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويمضوا بها شجرة ، ويستحلون إخراجك وقتلك ، وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعت على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة ، وتعجيب من حالهم فى عداوته " انظر أيضاً البحر المحيط (٤٧٤/٨) وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٢٧/٩) وعزاه إلى الثعلبى .

(٢) ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٢٧/٩) وقال : حكاه الثعلبى ، وذكره الرازى فى تفسيره (١٧٩/٣١) فقال بعد أن ذكر أن فى المراد من الآية أموراً : أحدها : وأنت مقيم بهذا البلد نازل فيه حال به ، كأنه تعالى عظم مكة من جهة أنه عليه الصلاة والسلام مقيم بها " .

وذكره القرطبى فى تفسيره (٦١/٢٠) فقال : وقيل : وأنت مقيم فيه وهو محلك " .

وقال أبو حيان فى البحر المحيط (٤٧٤/٨) : " وأنت حل : جملة حالية ، تفيد تعظيم المقسم به ، أى فأنت مقيم به وهذا هو الظاهر " . وذكره الماوردى فى تفسيره (٤٥٦/٤) بلفظ الاحتمال ، فقال بعد أن ذكر فيه ثلاثه أقوال : " ويحتمل ( رابعاً ) : وأنت حل أى نازل فى هذا البلد ، لأنها نزلت عليه وهو بمكة لم يفرض عليه الإحرام ولم يؤذن له فى القتال ، وكانت حرمة مكة فيها أعظم ، والقسم بها أفخم " .

وذكر الماوردى فى تفسيره (٤٥٦/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٢٧/٩) قولاً آخر وهو أن معناه : فأنت محل بهذا البلد غير محرم فى دخوله ، يعنى : عام الفتح ، وذكر القرطبى فى تفسيره (٦١/٢٠) أقوالاً أخرى ، أحدها : قال ابن زيد : لم يكن بها أحد حلالاً غير النبى صلى الله عليه وسلم ، والثانى : أنت فيه محسن ، وأنا عنك فيه راضٍ . والثالث : قال قتادة : أنت حل به : لست بأشم . والرابع : هوئنا على النبى صلى الله عليه وسلم ، أى إنك غير مرتكب فى هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه ، معرفة

.../...

منك بحق هذا البيت ، لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه .

وقد ذهب أبو حيان إلى اختيار القول الثالث مما ذكره المؤلف ، وهو أن معناه ( أنت مقيم به ) ووصفه بأنه هو الظاهر ، وقال : إنه تعالى أقسم بها لما جمعت من الشرفين بإضافتها إلى الله تعالى وشرفها بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقامته فيها فصارت أهلاً لأن يقسم بها .

ورد على الزمخشري فيما ذكره من أن الآية في معنى الاستقبال مثل قوله تعالى ( إنك ميت وإنهم ميتون ) فذكر أنها ليست من الإخبار بالمستقبل لأن اسم الفاعل وما يجرى مجراه حالة إسناده أو الوصف به لا يتمين حمله على الحال ، بل يكون للماضى تارة وللحال أخرى وللمستقبل أخرى .

ثم قال : وأما قوله ( وكفأك دليلاً قاطعاً الخ ) فليس بشيء ، لأننا لم نحمل ( وأنت حل ) على أنه يحل لك ما تصنع في مكة من الأسر والقتل في وقت نزولها بمكة فتناً ، بل حملناه على أنه مقيمها خاصة ، وهو وقت النزول كان مقيماً بها ضرورة ، وأيضاً فما حكاه من الاتفاق على أنها نزلت بمكة فليس بصحيح ، وقد حكى الخلاف فيها عن قول ابن عطية \* انظر البحر المحيط ( ٤٧٤ / ٨ - ٤٧٥ ) .

والصواب فيما أرى - والله أعلم بالصواب - هو ما ذكره المؤلف أولاً ، يعنى : حلال لك أن تقاتل في هذا البلد ، وهو الذي ذكره أكثر المفسرين ، واقتصر عليه الفراء وابن جرير وابن كثير في تفسيره ( ٥١١ / ٤ ) ويدل على صحته الحديث الذي ذكره المؤلف .



وقوله ( ووالد وما ولد ) قال مجاهد ، وقتاده وسعيد بن جبير وأبو صالح :  
معناه : آدم وولده .<sup>(١)</sup>

وعن أبي عمران الجوني<sup>(٢)</sup> : هو إبراهيم وولده .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ١٩٥ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن مجاهد وقتاده وأبي صالح والضحاك . وأما سعيد بن جبير فذكر عنه السيوطي في الدر المنثور ( ٣٥٢ / ٦ ) أنه قال : ( ووالد وما ولد ) قال : آدم وما ولد - وعزا تخريجه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد ، انظر قول مجاهد في تفسيره ( ٧٥٨ / ٢ ) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن ( ٢٦٣ / ٣ ) وابن قتبية في تفسير غريب القرآن ( ٥٢٨ ) ، وقد ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٤٥٦ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٧ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٦١ / ٢٠ ) كلهم من قول مجاهد والحسن وقتادة والضحاك ، وزاد القرطبي فذكر من بينهم أبا صالح ، وقال القرطبي : أقسم بهم لأنهم أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الأرض ، لما فيهم من التبيان والنطق والتدبير ، وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى . وذكره ابن كثير في تفسيره ( ٥١١ / ٤ ) وزاد فيمن نسب إليه هذا القول سفيان الثوري والسدي وخصيف وشرحبيل بن سعد . انظر أيضا تفسير الرازي ( ١٨٠ / ٣١ ) والبحر المحيظ ( ٤٧٥ / ٨ ) وقد ذكر أبو حيان أنه قيل : والصالحين من ذريته ، وقيل : نسوح وذريته .

( ٢ ) هو عبد الملك بن حبيب الأزدي . تقدمت ترجمته في ص ( ١٠٨ ) .

( ٣ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ١٩٦ / ٣٠ ) عن محمد بن موسى الحرشي قال : ثنا جعفر بن سليمان ، قال : سمعت أبا عمران الجوني يقرأ ( ووالد وما ولد ) قال : إبراهيم وما ولد ، وأورد السيوطي في الدر المنثور ( ٣٥٢ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن أبي حاتم .

وذكره من قوله - الماوردي في تفسيره ( ٤٥٦ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٨ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٦١ / ٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيظ ( ٤٧٥ / ٨ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥١١ / ٤ ) وذكره الرازي في تفسيره ( ١٨٠ / ٣١ ) دون عزو إلى أحد . فقال : الوالد إبراهيم ، وما ولد : جميع ولد إبراهيم بحيث يحتمل العرب والعجم ، فإن جملة ولد إبراهيم هم سكان البقاع الفاضلة من أرض الشام ومصر ، وبيت المقدس وأرض العرب ، ومنهم الروم لأنهم ولد عيصو ابن إسحاق ، ومنهم من خص ذلك بولد إبراهيم من العرب ، ومنهم من خص ذلك بالعرب المسلمين ثم قال مستشهدا على هذا القول : " وإنما قلنا : إن هذا القسم واقع بولد إبراهيم المؤمنين ، لأنه قد شرع في التشهد أن يقال : كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وهم المؤمنون . وهذا الاستدلال يبدو في نظري أنه بعيد .

وروى عكرمة عن ابن عباس ان قوله ( ووالد وما ولد ) هو الوالد والعاقرة ، بمعنى :  
الذي يلد والذي لا يلد ، - فيكون ما للنفي . (١)

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (١٩٥/٣٠) ورواه بسنده عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس . وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٢/٦) وعزا تخريجه إلى الغريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس ( ووالد وما ولد ) قال : الوالد الذي يلد ( وما ولد ) العاقرة الذي لا يلد من الرجال والنساء ، وروى ابن جرير من طريق آخر عن سفیان عن عكرمة عن ابن عباس ( ووالد وما ولد ) قال : العاقرة ، والتي تلد ، ورواه أيضا من طريق آخر عن الضمر بن عيسى عن عكرمة من قوله ، وقد ذكر هذا القول باللفظ الأول ( يعني أن معناه : الذي يلد والذي لا يلد ) الماوردي في تفسيره (٤٥٦/٤) والرازي في تفسيره (١٨١/٣١) من قول ابن عباس ، وذكره القرطبي في تفسيره (٦١/٢٠-٦٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤٧٥/٨) وابن كثير في تفسيره (٥١١/٤) كلهم ممن قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبیر ، إلا ابن كثير فإنه ذكر رواية ابن عباس فقط وذكروا أن ما هنا للنفي ، وعلى هذا لا بد من إضمار الموصول ، وأما اللفظ الثاني فذكره الماوردي في تفسيره (٤٥٦/٤) وابن كثير في تفسيره (٥١١/٤) من قول عكرمة قال : ان الوالد العاقرة ، وما ولد الذي يلد \* وقال ابن كثير : رواه ابن أبي حاتم ، وكلاهما لا يخلوان من كلام ، وقد استبعد الأول القرطبي ، فقال : وهو بعيد ولا يصح إلا بإضمار الموصول ، أي : ووالد والذي ما ولد ، وذلك لا يجوز عند البصريين ، وأما الثاني فهو ظاهر الخطأ إذ فسّر الوالد بالعاقرة ، وهو عكسه ، وذكر فيه أقوال أخرى ، أحدها : أن المراد بالوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره ، ( وما ولد ) أمته ، لقوله صلى الله عليه وسلم : إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم . فأقسم به صلى الله عليه وسلم وأمته ، بعد أن أقسم ببلده مباغدة في تشريفه ، ذكره الماوردي في تفسيره (٤٥٦/٤) ، ونقله عنه القرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٧٥/٨) واختاره الزمخشري في الكشاف (٧٥٤/٤) إذ لسم يذكر غيره ، قال : \* فإن قلت : ما المراد بوالد وما ولد ؟ قلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده ، أقسم ببلده الذي هو منقط رأسه وحرّم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل ، وبمن ولده وبه \* - وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٥/٨) ، والثاني : أن الوالد إبراهيم وإسماعيل ( وما ولد ) محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنه أقسم بمكة وإبراهيم بانيها وإسماعيل ومحمد عليهما السلام سكانها ، وفائد التذكير الإبهام المستقل بالمدح والتعجب \* والثالث : أنه عام في كل والد وما ولد ، ذكره ابن جرير في تفسيره (١٩٦/٣٠) وابن الجوزي في زاد المسير (١٢٨/٩) وقال : حكاه الزجاج ، وذكره الرازي في تفسيره (١٨١/٣١) والقرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) وقال : قاله عطية العوفي وروى معناه عن ابن عباس أيضا \* وقد اختار ابن جرير هذا القول ، لأنه ليس هناك نص قاطع يدل على تعيين المراد منه فيبقى والحالة هذه على عمومه . وقال الرازي : وهذا ( يشير إلى القول ) مناسب ، لأن حرمة الخلق كلهم داخل في هذا الكلام \* وقال أبو حيان : والظاهر : أن قوله ( ووالد وما ولد ) لا يواد به معين ، بل ينطبق على كل والد ، وقال ابن عباس ذلك ، قال : هو على العموم يدخل فيه جميع الحيوان \* وأما ابن كثير فقال : وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه ( يعني أن المراد آدم وذريته ) حسن قوي ، لأنه تعالى أقسم بأم القرى وهي أم المساكن أقسم بعمده بالسكن : هو آدم أبو البشر ، وولده ، ثم ذكر اختيار الطبري وقال : وهو محتمل أيضا - ويبدو لي أن بقائه على العموم أحسن .

وقوله ( لقد خلقنا الإنسان في كبد ) على هذا وقع القسم ، ومعنى القسم ، ( ١ )

ومعنى الكبد : الشدة . ( ٢ )

وروى شريك عن عاصم عن زر عن علي في قوله ( ووالد وما ولد ) آدم وذريته ( ٣ )

قال رضى الله عنه أخبرنا بذلك أبو محمد الصريفي ، أخبرنا أبو القاسم

ابن حبابة أخبرنا أبو القاسم البغوي ، أخبرنا علي بن الجعد عن شريك الأثر .

( ١ ) ذكر ذلك ابن جبر في تفسيره ( ١٩٦ / ٣٠ ) والماوردي في تفسيره ( ٤٥٧ / ٤ ) ،

وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٨ / ٩ ) وقال القرطبي في تفسيره ( ٦٢ / ٢٠ ) ،

\* إلى هنا انتهى القسم ، وهذا جوابه ، ولله أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته لتعظيمها ، . وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٧٥ / ٨ ) : \* هذه الجملة المقسم عليها \* .

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٨ / ٩ ) فيمن عني بالإنسان خمسة

أقوال :

أحد : أنه اسم جنس ، وهو معنى قول ابن عباس .

والثاني : أنه أبو الأشدين الجمحي ، قاله الحسن .

والثالث : أنه الحارث بن عامر بن نوفل ، وذلك أنه أذن ذنباً ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالكفارة ، فقال : لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلتني دين محمد ، قاله مقاتل ، انظر تفسيره ( ق ٣٩٥ / ب ) .

والرابع : آدم عليه السلام قاله ابن زيد .

والخامس : الوليد بن المنيرة ، حكاه الثعلبي في تفسيره ( ١١٥ / ١٣ ) .

وأما الماوردي فذكر في تفسيره ( ٤٥٨ / ٤ ) قولين ، أحدهما : جميع الناس ، الثاني : الكافر يكابد شبهات .

والراجح هو القول الأول ( يعنى أن الإنسان اسم جنس ) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ( ٣٤٧٥ / ٨ ) وعزاه إلى الجمهور ، .

( ٢ ) كذا ذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٩٩ / ٢ ) وقال ابن قتبية في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٨ ) ( في كبد ) : أى في شدة غلبة ، ومكابدة لأمر الدنيا والآخرة ، وقال الراغب في المفردات ( ص ٤٢٠ ) \* الكبد : المشقة \* انظر أيضاً لسان العرب ( ٣٧٦ / ٣ ) وقد اختلف المفسرون في المعنى المراد منه هنا - كما سيأتى ذكره .

( ٣ ) لم أجد من روى هذا الأثر عن علي رضى الله عنه .

وأما الكيد ، فبيناً أنه الشدة .

وروى علي بن الجعد عن علي بن علي الرفاعي<sup>(٢)</sup> عن الحسن البصري ، قال : ليس أحد يكابد من الشدة ما يكابده الانسان<sup>(٣)</sup> .

(١) في الأصل ( بينا ) والصواب ما أثبتته .

(٢) هو علي بن علي بن نجاد ( بنون وجيم ) بن رفاعة الرفاعي اليشكري أبو إسماعيل البصري .

قال الحافظ في التقریب (٢٤٨) : لا بأس به ، رمى بالقدر وكان عبداً ويقال : كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم .  
انظر أيضاً تهذيب التهذيب (٣٦٦/٧) .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩٧/٣٠) من طريق وكيع عن علي بن رفاعة قال : سمعت الحسن يقول : لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم ، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٥٣/٦) بنحوه وعزا تخريجه إلى ابن المبارك .

وأورده أيضاً بلفظ : ( لقد خلقنا الإنسان في كبد ) قال : يكابد مضائق الدنيا وشدائد الآخرة \* وعزا تخريجه إلى ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وقد ذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٤٥٧/٤) والبغوي في تفسيره (٢٤٨/٧) والقرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) . وقال ابن كثير في تفسيره (٥١٢/٤) : \* وروى ( أي ابن أبي حاتم ) من طريق أبي مودود قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية ( لقد خلقنا الإنسان في كبد ) قال :

( يكابد أمراً من أمر الدنيا وأمراً من أمر الآخرة ، وفي رواية : يكابد مضائق الدنيا وشدائد الآخرة \* .

وقد روى عنه أيضاً أنه قال : يكابد الشكر على السراء ، ويكابد الصبر على الضراء ، لأنه لا يخلوا من أحدهما .

ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٢٩/٩) والقرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) وهذا الأثر مروى من قول ابن عمر أيضاً ، كما ذكر الماوردي في تفسيره (٤٥٧/٤) ، والقرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) وأبو حيان في البحر المحیط (٤٧٥/٨) ، وقد قال الفراء في معاني القرآن (٢٦٤/٣) : \* ويقال : خلق في كبد ، إنه خلق يعالج ويكابد أمر الدنيا وأمراً الآخرة \* .

وقال سعيد : ( خلقنا الإنسان في كبد ) أى : في مضائق الدنيا  
وشدائد الآخرة (١).

قال رضى الله عنه : أخبرنا بما ذكرنا عن الحسن : الصريفي عن أبي حنيفة  
عن البغوى عن علي بن الجعد .

( ١ ) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ ، وقد ذكر البغوى في تفسيره ( ٢٤٨ / ٧ ) عن  
سعيد بن جبير أنه قال : فى شدة ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٢ / ٤ )  
فقال : " قال سعيد بن جبير : ( لقد خلقنا الإنسان فى كبد ) فى شدة وطلب .  
وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٥٢ / ٦ ) عنه أنه قال : ( ولقد خلقنا الإنسان  
فى كبد ) فى نصب ، وعزا تخريجهم إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد .

وهذا المعنى الذى تقدم قبله كله يرجع إلى ما ذكره أصحاب اللغة فى معنى  
الكبد : أى الشدة ، ولذلك ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٢٩ / ٩ ) هذا  
القول : فقال بعد أن ذكر أن فى معنى ( كبد ) ثلاثة أقوال : أحدها : فى  
نصب ، رواه الوالى عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد ، وسعيد بن جبير  
وأبو عبيدة ، فإنهم قالوا : فى شدة ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٢ / ٤ ) فقال :  
" وقال ابن أبى نجیح وابن جريج وعطاء عن ابن عباس : " ( فى كبد ) قال فى  
شدة خلق الهتر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه " .

انظر أيضا تفسير مجاهد ( ٧٥٩ / ٢ ) وتفسير البغوى ( ٢٤٨ / ٧ ) .

وقد ذكر ابن جرير فى تفسيره ( ١٩٦ / ٣٠ - ١٩٧ ) القولين ( أى قول  
ابن عباس وقول الحسن البصرى ) كأنهما قولان مستقلان ، فقال : واختلف أهل  
التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : لقد خلقنا ابن آدم فى شدة وعناد ونصب " .  
ثم روى هذا المعنى عن ابن عباس والحسن البصرى وقتادة ، وقال بعد ذلك :  
" وقال بعضهم : خلق خلقا لم نخلق خلقه شيئا ( كذا ، ولعل فى العبارة  
سقطا أو تحريفاً ) - .

وروى أثر الحسن البصرى السابق كما روى عن الآخرين أيضا - ويظهر  
بالنظر فى الآثار التى أوردها تحت كل من القولين أنه لافرق بينهما من حيث  
المعنى .

وقيل في تفسير الكبد : هو أنه يكابد ضيق الرحم وعسر الخروج من بطن الأم ، ثم يكون في الرباط والقماط ثم نبات الأسنان ثم الختان ثم إذا بلغ التكليفات والآوامر والنواهي ثم يكابد أمر معيشته والأحوال المنقبة عليه إلى أن يموت ، ثم بعد ذلك ما يعود إلى أحوال القهر وأحوال القيامة إلى أن يستقر في إحدى المنزلتين .<sup>(١)</sup>

وقال لبيد<sup>(٢)</sup> في الكبد :  
 ياعينُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرَبَدًا إِنْ  
 قُمْنَا وَقَامَ الْخِصُومُ فِي كَبَدٍ<sup>(٣)</sup>  
 أي في شدة .

(١) ذكر نحوه القرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) بتفصيل أكثر وبدأ بقوله : قال علماءنا : أول ما يكابد قطع سرتة ، ثم ذكر طلي آخره .

وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٥/٨) : " ( في كبد ) يكابد مشاق الدنيا والآخرة ، ومشاق لا تنحصر من أول قطع سرتة إلى أن يستقر قراره ، إما في جنة فتزول عنه المشقات ، وإما في نار ، فتضاعف مشقاته وشدائده " .

(٢) هولبيد بن ربيعة بن عامر بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري - كنيته أبو عقيل - وشاعر مشهور من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، قال ابن سلام : وكان لبيد بن ربيعة أبو عقيل فارساً شاعراً شجاعاً ، وكان عذب المنطق ، رقيق حواشي الكلام ، وكان مسلماً رجلاً صدوقاً ، يقال إن اسمه ما قال في الإسلام إلا بيتاً واحداً .  
 الحمد لله إن لم يأتني أجلى حتى اكتسبت من الإسلام سريالاً  
 انظر طبقات فحول الشعراء ( ١٣٥/١ - ١٣٦ ) والأغاني ( ٣٦١ - ٣٧٩ )  
 والموهتلف والمختلف ( ٢٦٤ ) .

(٣) البيت في ديوانه (ص ٥٠) .  
 أنشده أيضاً أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٢٩٩) ، وابن جرير في تفسيره (١٩٨/٣٠) والماوردي في تفسيره (٤/٤٥٧) والزمخشري في الكشاف (٤/٧٥٤) والقرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) .

وقال إبراهيم ومجاهد وعبد الله بن شداد<sup>(١)</sup> ( في كبد ) أى فى انتصاب والمعنى :  
أنه خلق منتصباً فى بطن أمه غير منكب على وجهه : خلاف سائر الحيوانات<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) هو عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى أبو الوليد المدني .  
ولد فى عهد النهى صلى الله عليه وسلم ، وذكره العجلي فى كبار التابعين الثقات ،  
وكان معدوداً فى الفقهاء - مات بالكوفة مقتولاً ، سنة إحدى وثمانين ، وقيسـل  
بعدها .  
انظر ترتيب الثقات للعجلي (ص ٢١٦) وتقريب التهذيب (ص ١٧٧) .

( ٢ ) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره (١٩٧/٣٠) فقال : " وقال آخـرون :  
معنى ذلك أنه خلق منتصباً معتدل القائمة " ثم روى ذلك عن ابن عباس وعكرمة  
وإبراهيم النخعى وعبد الله بن شداد وأبى صالح والضحاك ، .

أما مجاهد فروى عنه أنه قال ( لقد خلقنا الإنسان فى كبد ) أى فى صعد "   
وذكر هذا القول الفراء فى معانى القرآن (٢٦٤/٣) واختاره ، وذكره الماورى  
فى تفسيره (٤٥٧/٤) فقال : فى انتصاب فى بطن أمه ، وبعد ولادته ، خص  
الإنسان بذلك تشريفاً ، ولم يخلق غيره من الحيوان منتصباً ، قاله ابن عباس  
وعكرمة ، وذكره البغوى فى تفسيره (٢٤٨/٧) من قول مجاهد وعكرمة وعطية  
والضحاك وقال : وهى رواية مقسم عن ابن عباس .

وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٢٩/٩ - ١٣٠) فقال : " إن المعنى :  
خلق منتصباً يمشى على رجلين ، وسائر الحيوان غير منتصب ، رواه مقسم عن  
ابن عباس ، وبه قال عكرمة ، والضحاك وعطية والفراء ، فعلى هذا يكون  
معنى الكبد : الاستواء والاستقامة .

انظر أيضاً تفسير القرطبي (٦٢/٢٠) والبحر المحيط (٤٧٥/٨) وتفسـر  
ابن كثير (٥١٢/٤) وقد عزاه إلى ابن سمعود وخيشمة بالإضافة إلى من تقدم  
ذكرهم ، وانظر أيضاً لسان العرب (٤٧٦/٤) .

أما عزو هذا القول إلى مجاهد فهو خلاف ما جاء فى تفسيره (٧٥٩/٢) فإنه  
قال كما تقدم نقله : يعنى فى شدة ، وقال ابن كثير بعد أن أورد هذا القول :  
ومعنى هذا القول لقد خلقناه سوياً كقوله تعالى ( يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم  
الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورته ماشاً ركبك ) ( سورة الانغطار الآية ٦ - ٨ )  
وكقوله تعالى ( لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ) سورة التين الآية ٤ .

وصرح القرطبي بأن هذا امتنان عليه فى الخلقة ، ولم يخلق الله جل ثناؤه  
دابة فى بطن أمها إلا منكبة على وجهها إلا ابن آدم فإنه منتصب انتصاباً " .

وفي تفسير النقاش : ان الله تعالى وكلي ملكاً بالولد في بطن الأم ،  
فإذا نامت المرأة أو اضطجعت رفع رأس الولد لئلا يغرق في الدم .<sup>(١)</sup>

(١) لم أجد من ذكر هذا القول غيره .

وذكر البغوي في تفسيره (٢٤٨/٧) والقرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) ،  
وأبوحيان في البحر المحيط (٤٧٥/٨) ، عن ابن كيسان أنه قال : منتصباً رأسه  
في بطن أمه ، فإذا أذن الله أن يخرج من بطن أمه قلب رأسه إلى رجلي أمه .  
وهناك قول آخر وهو أن معناه : أنه خلق في السما ، ذكره ابن جرير في تفسيره  
(١٩٨/٣٠) ورواه بسنده عن ابن زيد . وهذا فيما يبدو لي قول ضعيف  
لأن معنى الكبد الشده وهذا هو المعروف من كلام العرب وقد ذكر هذا القول  
الماوردي في تفسيره (٤٥٧/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٠/٩) والقرطبي  
في تفسيره (٦٣/٢٠) وأبوحيان في البحر المحيط (٤٧٥/٨) وابن كثير في  
تفسيره (٥١٢/٤) كلهم من قول ابن زيد . وذكر القرطبي أقوالاً أخرى غير  
ما تقدم ، فقال : وروى عن ابن عباس " في كبد " أي شديداً ، يعني شديد الخلق ،  
وذكر أن المراد أبو الأشدين وكان من أشد رجال قريش ، وذكر هذا المعنى  
البغوي في تفسيره (٢٤٨/٧) من قول مقاتل ثم قال القرطبي : وقيل " في كبد "  
أي جرى القلب ، غليظ الكبد ، مع ضعف خلقته ومهانة مادته ، (وقال )  
ابن عطاء : في ظلمة وجهل ، (وقال ) الترمذي ( الحكيم ) : مضيعاً ما يعنيه ،  
مشتغلاً بما لا يعنيه .

هذا وذكر الماوردي في تفسيره (٤٥٧/٤) قولين آخرين أحدهما : في  
اعتدال ، لما بينه بعد من قوله ( ألم نجعل له عينين ) الآيات ، حكاه  
ابن شجرة .

الثاني : يعني من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، يتكبد في الخلق ، مأخوذ  
من تكبد الدم ، وهو غلظه ، ومنه أخذ اسم الكبد لأنه دم قد غلظ ، وهو معني  
قول مجاهد ، وذكره من قول مجاهد ، ابن كثير أيضاً في تفسيره (٥١٢/٤) .

واختار ابن جرير من بين هذه الأقوال قول القائلين بأن معناه : في شدة  
وأن الإنسان خلق يكابد الأمور ويعالجها " لأن هذا هو المعروف في كلام العرب  
من معاني الكبد ، ثم استدل بقوله لبيد . انظر تفسيره (١٩٨/٣٠) . وذكر  
اختياره ابن كثير في تفسيره (٥١٢/٤) وسكت عليه واختاره أيضاً الرازي في تفسيره  
(١٨١/٣١) وذكر أن المراد منه شداك الدنيا وشداك التكليف وشداك  
الآخرة ، ووصف هذا القول بأنه هو الحق ، ثم ذكر أنه ليس في هذه الدنيا  
لذة البتة ، بل ذلك الذي يظن أنه لذة فهو خلاص عن الألم ، وقال أيضاً :  
واعلم أن اللائق بالآية هو الوجه الأول . ( يعني به هذا القول ) ، ووصفه  
أبوحيان في البحر المحيط (٤٧٥/٨) بأنه هو الظاهر ، أما الأقوال الأخرى  
فوصفها بأنها ضعيفة .

انظر أيضاً إعراب القرآن (٧٠٤/٣) وروح المعاني (١٣٥/٣٠) .



(١) قوله تعالى ( أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ) نزلت الآية في ابن الأشد ين  
فكان رجلاً من بني جمح من أقوى قريش وأشد هم وكان ييسط له الأديم العكاظي<sup>(٢)</sup>  
فيقوم عليه ، ويجتمع القوم على الأديم فيجذبونه من تحت قدمه فينقطع ولا يزول قدمه ،  
وكان شديداً في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فيه .<sup>(٣)</sup>

(١) كذا في النسختين ، والصواب أبو الأشد بن ، وتقدم ذكره غير مرة ، واختلفت  
المصادر في ذكر اسمه ، والأكثر على أنه أبو الأشد بن .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (١٠/١٢) : "أَدِيمٌ كُلُّ شَيْءٍ ، ظَاهِرٌ جَلْبُوهُ  
وَأَدَمَةُ الْأَرْضِ . وَجِهَهَا ، إِهْد . وَالْعَاظِي نَسْبَةٌ إِلَى عِكَازٍ ، وَهُوَ اسْمُ  
سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْعَرَبِ ، وَأَدِيمٌ عِكَازِيٌّ : هُوَ مِمَّا حُمِلَ إِلَى عِكَازٍ فَبِيعَ  
بِهَا " انظر المصدر السابق (٤٤٨/٧) .

(٣) ذكر البفوى والغازن في تفسيرهما (٢٤٨/٧) عن مقاتل ، أنه قال : نزلت :  
في أبي الأشد واسمه أسيد بن كعدة الجمحي ، وكان شديداً قوياً يضع الأديم  
العكاظي تحت قدميه ، فيقول من رآه لني عنه ظه كذا وكذا ، فلا يطاق أن ينزع  
من تحت قدميه إلا قطعاً ويبقى موضع قدميه " وهو غير موجود في تفسير مقاتل  
عند هذه الآية (ق ٣٩٥/ب) وقد ذكر عند قوله تعالى ( ولقد خلقنا  
الإنسان في كبد ) أن الآية نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل .

وذكره الرازي في تفسيره (١٨٢/٣١) عن الكلبي ، وسماه أبو الأشد ،  
وذكره الفراء في معاني القرآن (٢٦٤/٣) وابن الجوزي في زاد المسير  
(١٢٨/٩) عن الحسن وسمياه أبو الأشد بن الجمحي ، كلهم ذكروا ذلك عند  
قوله تعالى ( لقد خلقنا الإنسان في كبد ) وفيه أقوال أخرى تقدم ذكرها عند  
الآية المذكورة . وأما ابن جرير فذكر في تفسيره (١٩٨/٣٠) عند هذه الآية  
أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جمح ، كان يدعى أبا الأشد ، وكان  
شديداً ، وذكر القرطبي في تفسيره (٦٤/٢٠) عن ابن عباس أنه قال : كان  
أبو الأشد بن نوفل : أنفقت في عداوة محمد مالا كثيراً ، وهو في ذلك كاذب .

وذكر عن مقاتل أنه قال : نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل " وتقدمت قصته  
في ص (٧٦٩) . وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٥/٨) : " قيل : الضمير  
في ( أَيْحَسِبُ ) لبعض صناديد قريش ، وقيل : هو أبو الأشد أسيد بن كعدة " .  
ثم ذكر قصته ، وقيل : الوليد بن المغيرة ، وقيل : الحارث بن عامر بن نوفل ،  
وذكر قصته . والأصح أن الآية عامة ، وإن صح نزولها في شخص معين فالعبرة  
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ومعناه : أيظن أن لن يقدر عليه الله ، وقال ذلك لأنه كان مفترأً بقوته وشدته . ( ١ )

وقوله ( يقول : أهلك ما لا لبداً ) أي أنفقت ما لا كثيراً في عداوة محمد . ( ٣ )  
ولبداً : أي بعضه على بعض . ( ٣ )

( ١ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ١٩٨ / ٣٠ ) : " قال جل ثناؤه : أيحسب هذا القوى بجلده وقوته ، أن لن يقهره أحد ويفلبه فالله غالبه وقاهره " . وقال البغوي في تفسيره ( ٢٤٩ / ٧ ) : " أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى " . وأما ماوردى فذكر في تفسيره ( ٤٥٨ / ٤ ) ثلاثاً ويلاً تأخذها : أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه الله أن يبعثه بعد الموت ، قاله السدي . الثاني : أيحسب الإنسان أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه ، وأين أنفقه ، قاله قتادة . الثالث : أن لن يقدر عليه أحد يأخذ ماله قاله الحسن .  
وقال : ويحتمل رأياً بعبارة : أيحسب أن لن يذله أحد ، لأن القدر قطيعه نزل له .  
والصواب هو الأول ( يعني : أيحسب أن لن يقدر عليه الله أن يبعثه بعد الموت ) .

( ٢ ) ذكر القرطبي في تفسيره ( ٦٤ / ٢٠ ) عن ابن عباس أنه قال : " كان أبو الأشد بين يقول : أنفقت في عداوة محمد - وقال ابن جرير في تفسيره ( ١٩٨ / ٣٠ ) : " يقول هذا الجليل الشديد : أهلك ما لا كثيراً في عداوة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فأنفقت ذلك فيه ، وهو كاذب في قوله ذلك " .  
انظر أيضاً معاني القرآن ( ٢٦٤ / ٣ ) وتفسير الماوردي ( ٤٥٨ / ٤ ) وتفسير البغوي والخازن ( ٢٤٩ / ٧ ) .

( ٣ ) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٩٦ / ٢ ) " فعمل من التلبد ، وهو المال الكثير بعضه على بعض " وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٨ ) " ما لا لبداً أي كثيراً وهو من التلبد ، كأن بعضه على بعض " وقال مكي بن أبي طالب في العمدة ( ص ٣٤٧ ) " ( لبداً ) : كثيراً " . وقال الزجاج كما نقل عنه ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٣١ / ٩ ) : " وهو فعمل لكثرة ، كما يقال : رجل حطم : إذا كان كثير الحطم " وقال الراغب الأصفهاني في المفردات ( ص ٤٤٧ ) : " وقوله : ( ما لا لبداً ) : أي كثيراً متلبداً ، وقال ابن كثير في تفسيره ( ٥١٢ / ٤ ) : ( لبداً ) أي كثيراً ، قاله مجاهد والحسن وقاتدة والسدي وغيرهم .  
وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٥٨ / ٤ ) في معنى ( لبداً ) وجهين أحدهما : يعني كثيراً ، الثاني : مجتمعاً بعضه على بعض ، منه سمي البلد لاجتماعه وتلبيد بعضه على بعض ، وقال : ويحتمل ثالثاً يعني ما لا قد يما ، لاشتقاقه ، من الأبد ( كذا ، ولعله اللببد ) أو للمبالغة في قدمه من عهد لبدي ، لأن العرب تضرب المثل في القدم بلبدي ، وذكر قد ملطول بقاءه وشدته غنثه به " والأصح هو الأول يعني أن معنائه كثيراً ، قال أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ( ٧٠٥ / ٣ ) : " ولا نعلم اختلافاً في معناه أنه الكثير " وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٣١ / ٩ ) فيما قال لأجله ذلك قولين - أحدهما : أنه أراد أهلك ما لا كثيراً في عداوة محمد قاله ابن السائب ( الكلبى ) فكانه استطال بما أنفق ، والثاني : أنفقت في سبيل الله وفي الكفارات ، ما لا كثيراً ، قاله مقاتل ، فكانه ندام على ما أنفق . انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٦٤ / ٢٠ ) .

قال الكلبي : وكان يكذب في ذلك <sup>(١)</sup> ، فقال الله تعالى ( أيحسب أن لم يوه أحد ) أيحسب أن الله لم يوه ما أنفقه <sup>(٢)</sup> ، ويقال أيحسب أن لم يطلع الله على فعله فيكذب / ولا يعلم الله كذبه <sup>(٣)</sup> .

ب/٣٣١

قال معمر <sup>(٤)</sup> : قرئت هذه الآية عند قتادة فقال : أيحسب أن لن يسأله الله تعالى من أين جمعه وأين أنفقه <sup>(٥)</sup> .

(١) ذكره الرازي في تفسيره (١٨٣/٣١) عن الكلبي وقد تقدم نحوه عن ابن عباس .  
(٢) قال ابن جرير في تفسيره (١٩٩/٣٠) في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى ذكره : أيظن هذا القائل ( أهلكت مالا لبداء ) أن لم يوه أحد في حال إنفاقه ، ما يزعم أنه أنفقه " انظر أيضا زاد المسير (١٣٦/٩) .

(٣) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ - وقد ذكر البغوي في تفسيره (٢٤٩/٧) أنه قال : إنه كان كاذبا في قوله : أنفقت كذا وكذا ولم يكن أنفق جميع ما قال ، يقول : أيظن أن الله عز وجل لم يوه ذلك منه فيعلم مقدار أنفقته " وذكره الرازي أيضا في تفسيره (١٨٣/٣١) عن الكلبي .

(٤) هو معمر بن راشد الأزدي تقدمت ترجمته في (٢١) .

(٥) روى عبد الرزاق في تفسيره (ق ١/١٧٢) وابن جرير في تفسيره (١٩٩/٣٠) ، كلاهما عن طريق معمر قال : تلا قتادة ( أيحسب أن لم يوه أحد ) قال : يا ابن آدم إنك مسئول عن مالك ، من أين كسبته ؟ وأين أنفقته ؟ . هذا لفظ عبد الرزاق ورواه ابن جرير من طريق آخر عن سعيد عن قتادة . وأورد البغوي في تفسيره (٢٤٩/٧) عن سعيد بن جبير وقتادة أنهما قالا : أيظن أن الله لم يوه ، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقته ؟ . وذكره الرازي في تفسيره (١٨٣/٣١) عن قتادة ، وذكر الماوردي في تفسيره (٤٥٩/٤) في هذه الآية وجهين ، أحدهما : أن لم يوه الله ، قاله مجاهد ، الثاني : أن لم يوه أحد من الناس فيما أنفقته ، قاله ابن شجرة ، ثم ذكروها ثالثا فقال : ويحتمل ثالثا : أيحسب أن لم يظهر ما فعله أن لا يواخذ به ، علي وجه التهديد ، كما يقول الإنسان لمن ينكر عليه فعله ، قد رأيت ما صنعت ، تهديدا له ، فيكون الكلام على هذا وعيدا ، وعلي ما تقدم تكديبا .

والصواب هو الوجه الأول يعني : أيحسب أن لم يوه الله عز وجل - ذكره ابن كثير في تفسيره (٥١٢/٤) عن مجاهد وقال : وكذا قال غيره من السلف .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يؤتى بالعبد يوم  
القيامة فيقال له : ماذا عطت بما لك فيقول : أنفقت وزكيت طلباً  
لرضاك . فيقول : كذبت إنما أنفقت وأعطيت ليقال : فلان سخى ، وقد  
قيل ذلك فجره إلى النار ، والخبر طويل صحيح أخرجه مسلم (١)

ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يزول قدم ابن آدم يوم  
القيامة حتى يسأل عن أربعة ، عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن  
ماله من أين كسبه وأين وضعه . (٢)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة - باب من قاتل للرياء والسمعة استحق  
النار (٥٠/١٣) بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً ، في سياق طويل عن يقاتل  
ويتعلم العلم ويعلمه للرياء والسمعة ولفظ الشاهد منه : إن أول الناس  
يُقضى يوم القيامة عليه رجل . . . . . ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من  
أصناف المال كله فأتى به فعترفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟  
قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال :  
كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على  
وجه ثم ألقى في النار .

والحديث قد رواه أيضاً الترمذى في سننه كتاب الزهد - باب ما جاء في  
الرياء والسمعة (٥٩١/٤ رقم ٢٣٨٢) .

في سياق أطول منه ، وقال فيه : هذا حديث حسن غريب وهذا  
يدل على أن المؤلف لم يلتزم في إيوان الحديث بسوق ألفاظه ، وإنما  
ذكره بمعناه ، وقد ذكر القرطبي في تفسيره (٦٤/٢٠) هذا الحديث بلفظ  
المؤلف ، من قول أبي هريرة ، ولم يعزه إلى أحد .

(٢) أخرج الترمذى في سننه - كتاب القيامة ، باب في القيامة (٦١٢/٤ ، رقم ٢٤١٦)  
والطبراني في المعجم الكبير (٨/١٠ رقم ٩٧٧٢) وابن عدى في الكامل  
(٧٦٤ - ٧٦٣/٢) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤٤٠/٢)

.../...

كلهم من طريق حسين بن قيس الرحبي حدثنا عطاء بن أبي رباح عن  
ابن عمر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَزُولُ قَدَمُ  
ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهِ ، حَتَّى يُسْئَلَ عَنْ خَمْسٍ ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ  
شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْمَنِ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ ؟

وهو حديث ضعيف ، لأن في إسناده حسين بن قيس قال فيه الحافظ في التقریب

(ع ٧٤) : متروك .

وقال الترمذی : وهو يَضَعُفٌ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ ، وَلَكِنْ لِلْحَدِيثِ شَوَاهِدٌ  
تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ صَحِيحٌ ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ( رَقْمٌ ٢٤١٧ ) ،  
وَالدَّارِمِيُّ فِي سَنَنِهِ ( ١٣٥ / ١ ) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ  
عِدَالَةَ بْنِ جَرِيحٍ عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَشْلَمِيِّ ، بِنَحْوِهِ ، وَدَلِيلٌ فِيهِ ذِكْرُ ( عَنْ خَمْسٍ )  
وَقَالَ التَّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

ومنها ما رواه الدارمي في المصدر السابق له ، من طريقين والخطيب البغدادي  
في تاريخه ( ٤٤١ / ١١ - ٤٤٢ ) من طريق آخر عن معاذ بن جبل مرفوعاً - وفيه  
( عن أربع ) .

وقد وصف الألباني بعض الطرق لهذا الحديث بأنه سند لا بأس به في الشواهد ،  
وراجع لتفصيل الكلام على الحديث ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ٢ / ٦٦٦ - ٦٦٧ ) ،  
رقم ( ٩٤٦ ) .

قوله تعالى ( ألم نجعل له عينين ) قال أهل التفسير : ثم إن الله تعالى ذكر نعمه عليه وعظيم قدرته ليعرف أن الله تعالى قادر على إعادته يوم القيامة خلقاً جديداً ، وأنه مسئول عما يفعل .<sup>(١)</sup>

وقوله ( ولساناً وشفقتين ) ظاهر المعنى .

وقوله ( وهدينا للنجدين ) قال ابن مسعود : سبيل الخير وسبيل الشر . وروى<sup>(٢)</sup>

عكرمة عن ابن عباس : ان قوله ( وهدينا للنجدين ) أى الشديين .<sup>(٣)</sup>

(١) قال ابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٢/١) : " ألم نفعل به ما يدل على أن الله قادر على بعثه ؟ .

(٢) رواه عبد الرزاق فى تفسيره (ق/١٧٢/ب) وابن جرير فى تفسيره (١٩٩/٣٠) ، والطبرانى فى المعجم الكبير (٩/٢٥٧ رقم ٩٠٩٧) والحاكم فى مستدركه (٥٢٣/٢) كلهم من طريق سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود . إلا الحاكم فإنه رواه من طريق أبى بكر بن عياش عن عاصم ، به ، وسقط ذكر (عاصم) فى سند عبد الرزاق . وقد أورد السيوطى فى الدر المنثور (٦/٣٥٣) وعزا تخريجه أيضاً إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم وابن المنذر ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقته الذهبى ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/١٣٨) : " وفيه عاصم بن أبى النجود وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقيت رجاله ثقات " .

وله طرق أخرى عند ابن جرير ، انظر تفسيره (٢٠٠/٣٠) وهو أحد الأقوال التى ذكرها المفسرون فى معنى (النجدين) وذكره ابن كثير فى تفسيره (٥١٢/٤) من طريق سفيان الثورى عن عاصم ، ثم قال : وكذا زوى عن عطية وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبى واثل وأبى صالح ومحمد بن كعب والنخعاك وعطاء الخراسانى فى آخرين . انظر أيضاً تفسير مجاهد (٢/٧٥٩-٧٦٠) وقد أورد هذا القول الماوردى فى تفسيره (٤/٤٥٩) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩/١٣٢) من قول على رضى الله عنه والحسين ، وقد اختاره الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٦٤) وأبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢/٢٩٩) ورواه الفراء بسنده عن على رضى الله عنه وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٨) : " والنجد : الطريق فى ارتفاع ، يريد طريق الخير والشر ، وقال القرطبى فى تفسيره (٢٠/٦٥) : يعنى : طريق الخير والشر ، أى بينهما له بما أرسلناه من الرسل ، والنجد : الطريق فى ارتفاع ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما .

(٣) فى النسختين (اليدين) والصواب ما أثبتته ، كذا هو فى المصادر الأخرى والأشهر لم أجد من رواه من طريق عكرمة عن ابن عباس . ورواه عبد الرزاق فى تفسيره (ق/١٧٢/ب) عن عمر بن أبى بكر القرشى عن محمد القرظى عن ابن عباس فى قوله ( وهدينا للنجدين ) قال : الشديين . ورواه ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٢٠١) وابن أبى حاتم فى تفسيره (٤/٥١٢) .

٠٠/٠٠

من طريق عيسى بن عفان عن أبيه عن ابن عباس به ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٥٤ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد ، وهو قول ثان من الأقوال الستة ذكرها المفسرون في معنى النجدين ، ذكره ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ( ص ٥٢٨ ) من قول ابن عباس ، والماوردي في تفسيره ( ٤٥٩ / ٤ ) وقال : قاله قتادة والربيع بن خثيم .

وذكره البغوي في تفسيره ( ٢٤٩ / ٧ ) وقال : " وقال محمد بن كعب عن ابن عباس ( وهدينا النجدين ) قال : الشديين ، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك ، وقال القرطبي في تفسيره ( ٦٥ / ٢٠ ) : " وروى عن عكرمة قال : النجدان : الشديان ، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك ، وروى عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه .

انظر أيضا الكشاف ( ٧٥٥ / ٤ ) وزاد المسير ( ١٣٢ / ٩ ) وتفسير الرازي ( ١٨٣ / ٣١ ) وتفسير ابن كثير ( ٩٢ / ٤ ) .

وقد ذكر الماوردي قولين آخرين غيرهما في معنى النجدين ، أحدهما : سبيل الهدى والضلالة ، قاله ابن عباس .

والثاني : سبيل الشقا والسعادة قاله مجاهد .

وذكر ابن الجوزي القولين في قول واحد ، فقال بعد أن ذكر القول الأول ( يعني أن معناه : سبيل الخير والشر ) : والثاني : سبيل الهدى والضلال ، قاله ابن عباس ، وقال مجاهد : هو سبيل الشقاوة والسعادة . ثم ذكر القول بأن معناه الشديان .

وفي الحقيقة أن هذين المعنيين اللذين ذكرهما الماوردي يرجعان إلى المعنى الأول ، ولذلك أكثر المفسرين لم يذكرهما إلا القولين فقط ، كما ذكرهما المؤلف ، وقال البغوي : قال أكثر المفسرين : طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة ، كقوله " إنا هدينا السبيل إما شاكرا وإما كفورا ) سورة الانسبان الآية ٣ .

( ١ )  
والقول الأول أشهر وهو قول أكثر المفسرين .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنما هما نجدان : نجد

( ٢ )

خير ونجد شر فلا يجعل نجد الشر أحب السبيل من نجد الخير .

( ١ ) قد اختار القول الأول يعني أن معناه سبيل الخير والشر ابن جرير في تفسيره ( ٢٠١ / ٣٠ ) فقال : " وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا قول من قال : عنى بذلك طريق الخير والشر ، وذلك أنه لا نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا ، والشديان وإن كانا سبيلي اللبن ، فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله ( إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ، إنا هديناه السبيل ) إنما عدد عليه هدايته إياه إلى السبيل الخير من نعمه ، فكذلك قوله ( وهديناه النجدين ) وقد ذكر ابن كثير في تفسيره ( ٥١٢ / ٤ - ٥١٣ ) اختيار ابن جرير ، وقد صرح البغوي في تفسيره ( ٢٤٧٧ ) والرازي في تفسيره ( ١٨٣ / ٣١ ) بأنه قول أكثر المفسرين ، وذكر أبوحيان في البحر المحييط ( ٤٧٦ / ٨ ) أنه قول الجمهور .

( ٢ ) رواه الطبراني في المعجم الكبير ( ٣١٤ / ٨ ) رقم ٢٠ : ٨ بسنده عن فضال بن الزبير عن أبي أمامة مرفوعاً في سياق طويل - قال : " يا أيها الناس إنما هما نجدان - نجد خير ونجد شر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير " وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٥٢ / ٦ ) والهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢٥٦ / ١٠ ) ، من رواية الطبراني ، وقال الهيثمي : " فضال ضعيف " . وروى ذلك من حديث أنس بن مالك أيضاً - أورده السيوطي في المصدر السابق له ، وذكر أن ابن أبي حاتم أخرجه من طريق سنان بن سعيد عن أنس رضي الله عنه ، وأورده ابن كثير في تفسيره ( ٥١٢ / ٤ ) قال : قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما نجدان ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير " . ثم قال : تفرد به سنان بن سعيد ويقال : سعد بن سنان ، وقد وثقه بن معين وقال الإمام أحمد والنسائي والبخاري : منكر الحديث ، وقال أحمد تركت حديثه لا يخطأه " انظر أقوال الأئمة فيه أيضاً في ميزان الاعتدال ( ١٢١ / ٢ ) ، وقد روى الحديث مراسلاً عن قتادة والحسن البصري . أما حديث قتادة فأخرجه ابن جرير في تفسيره ( ٢٠١ / ٣٠ ) بسنده عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ( وهديناه النجدين ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : أيها الناس إنما هما نجدان . . . الحديث . وأما حديث الحسن البصري فأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٧٢ / ب ) عن معمر عنه ، وابن جرير في تفسيره ( ٢٠٠ / ٢٠ - ٢٠١ ) من طرق عديدة .

وقال ابن كثير في المصدر السابق له بعد أن تكلم على حديث أنس بن مالك يشبه حديثه ( أي سنان بن سعيد ) حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبهه حديث أنس ، ثم أورده من حديث الحسن مراسلاً ، ثم قال : وهكذا أرسله قتادة " وقصد الحافظ ابن كثير من ذلك أن الحديث لا يصح رفعه ، ولكني أرى أن الحديث باجتماع الطرق يصل درجة التحسن لاسيما قد روى من طريق آخر مرفوعاً ، والله أعلم بالصواب .



وقوله ( فلا اقتحم العقبة ) أى فهلا أنفق ماله الذى أنفقه فى عداوة محمد فى اقتحام العقبة .<sup>(١)</sup>

ويقال : ( فلا اقتحم العقبة ) أى لم يقتحم العقبة ، ومعناه لم يجاوزها .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٤٩/٧ ) : " أى فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السفبان ( أى المساكين ) يكون ذلك خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم " ، وزاد البغوى فقال : " هذا قول ابن زيد وجماعة .

وذكر ذلك ابن جرير فى تفسيره ( ٢٠٢/٣٠ ) فقال : " وتأول ذلك ابن زيد بمعنى : أفلا ومن تأوله كذلك لم يكن به حاجة إلى أن يزعم أن فسى الكلام متروكاً " ثم روى بسنده عنه أنه قال : أفلا سلك الطريق التى منها النجاة والخير " .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٣٣/٩ ) : " وذهب ابن زيد فسى آخرين إلى أن المعنى : أفلا اقتحم العقبة ؟ على وجه الاستفهام ، والمعنى : فهلا أنفق ماله فى فك الرقاب والإطعام ليجاوز بذلك العقبة ؟ .

وذكر الرازى فى تفسيره ( ١١٨٤/٣١ ) عن الثقال أنه قال : " أى هلا أنفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة ؟ " .

وقد ذكر هذا القول أيضاً القرطبى فى تفسيره ( ٦٦/٢٠ ) وأبوحيان فسى البحر المحيط ( ٤٧٦/٨ ) وعزا الأول إلى ابن زيد وجماعة من المفسرين ، وقال فى الثانى : ولا نعرف أن ( لا ) وحدها للتحضيض وليس معها الهمزة " .

( ٢ ) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٤٩/٧ ) " وقيل : فلا اقتحم العقبة : أى لم يقتحمها ولا جاوزها ، والاقتحام الدخول فى الأمر الشديد " وذكره القرطبى فسى تفسيره ( ٦٦/٢٠ ) عن سفیان بن عيينة ، قال : معنى " فلا اقتحم العقبة " أى فلم يقتحم العقبة ، ثم قال القرطبى : وكذا قال المبرد وأبوعلی " لا " بمعنى لم وذكره البخارى عن مجاهد : أى فلم يقتحم العقبة فى الدنيا ، فلا يحتاج إلى التكرير " . انظر صحيح البخارى ( ٧٠٣/٨ ) وهو قول أبى عبيدة أيضاً . انظر مجاز القرآن ( ٢٩٩/٢ ) وأيضاً تفسير الرازى ( ١٨٢/٣١ ) وهذا هو الصواب فى نظرى لأنه لا يحتاج إلى تقدير فى الكلام " .

هذا وقد ذهب الفراء والزجاج إلى أن معناه : فلا اقتحم العقبة ولا آمن " وذكرنا أن ( لا ) زكزومة واحدة ، والمرب لا تكاد تفرد " لا " مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع ، حتى يعيدوها في كلام آخر ، كقوله تعالى " ( فلا صدق ولا صلى ) سورة القيامة الآية ٣١ ، وإنما أفردها لدلالة آخر الكلام على معناه ، فيجوز أن يكون قوله " ثم كان من الذين آمنوا ) قائماً مقام التكرير " انظر معاني القرآن ( ٢٦٤ / ٣ ) وتفسير ابن جرير ( ٢٠٢ / ٣٠ ) وزاد المسير ( ١٣٣ / ٩ ) وتفسير الرازي ( ١٨٤ / ٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٦٦ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٧٦ / ٨ ) وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٥٥ / ٤ ) : " يعني : فلم يشكر تلك الأيدي والنعمة بالأعمال الصالحة ، من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير ، بل غمط النعم - أي استحققتها - وكفر بالمتعمم " ثم ذكره كلام الفراء والزجاج ، وذكره عنه أبوحيان وقال : قال الزمخشري بعد أن تنحل مقالة الفراء والزجاج : هي بمعنى " لا " متكررة في المعنى ، لأن معنى ( فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً ) ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك انتهى ، ولا يتم له هذا إلا على قراءة من قسراً ( فك ) فعلاً ماضياً " وفي الآية قول آخر وهو أن ذلك جار مجرى الدعاء كقوله : لا نجأ ولا نسلم ، دعاء عليه أن لا يفعل خيراً ، .

انظر تفسير القرطبي ( ٦٦ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٧٦ / ٨ ) .

وقيل إن العقبة جبل في النار<sup>(١)</sup> ،

ويقال : هبوط وصعود ، مصعد سبعة آلاف سنة ومهبط ألف سنة<sup>(٢)</sup> ،

وقيل : مصعد ألف عام ، وفيها حيائن ممثلة من الأفاعى والحيات والعقارب<sup>(٣)</sup> .

قال الحسن البصرى في العقبة : أنها مجاهدة النفس والهوى والشيطان<sup>(٤)</sup> .

فعلى هذا ذكر العقبة تمثيل ، لأن العقبة يشق صعودها ، كذلك الإنسان يشق عليه مجاهدة النفس والشيطان<sup>(٥)</sup> .

(١) ذكره هذا القول ابن جرير في تفسيره (٢٠١/٣٠) ورواه بسنده عن ابن عمر ، وروى عن الحسن أنه قال : عقبة في جهنم ، وقال في رواية أخرى : جهنم ، وأورده السيوطى في الدر المنثور (٣٥٤/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن أبى شيبة وابن أبى حاتم .

وقد ذكره من قول ابن عمر الماورى في تفسيره (٤٥٩/٤) والبغوى والخازن في تفسيرهما (٢٤٩/٧) وابن الجوزى في زاد المسير (١٣٣/٩) ، والقوطى في تفسيره (٦٧/٢٠) وابن كثير في تفسيره (٥١٣/٤) .

(٢) أورد السيوطى في الدر المنثور (٣٥٤/٦) عن أبى رجاء أنه قال : " بلغنى أن العقبة التى ذكر الله فى كتابه : مئلتها سبعة آلاف سنة ومهبطها سبعة آلاف سنة " وعزا تخريجه إلى ابن جرير وابن أبى حاتم ، وأنا لم أجده فى تفسير ابن جرير عند هذه الآية . وقد ذكره من رواية أبى رجاء القوطى فى تفسيره (٦٧/٢٠) .

(٣) لم أجد هذا القول عند غيره من المفسرين .

(٤) ذكره من قوله - الماورى فى تفسيره (٤٥٩/٤) بلفظ " أن يحاسب نفسه وهواه وعدوه الشيطان " والرازى فى تفسيره (١٨٤/٣١) ، وقد روى عن الحسن قولان آخران - أحدهما : ماتقدم من رواية ابن جرير يعنى : أنها عقبة فى جهنم ، والثانى : ما ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٤/٩) : أنها عقبة ون الجسر ، وقد ذكره البغوى فى تفسيره (٢٤٩/٧) والقوطى فى تفسيره (٦٧/٢٠) من قول الحسن وقناة .

(٥) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٤٩/٧) : " وذكر العقبة ها هنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى أعمال البر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول : لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والإطعام ، وهذا معنى قول قتادة ، وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٤/٩) وقال : ذكره على بن أحمد النيسابورى " .

انظر أيضا تفسير الرازى (١٨٤/٣١) .

.../...

وذكر في معنى العقبة أقوال أخرى .

أحدها : مارواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٠٢/٣٠ ) عن كعب أنه قال : هو سيمون دركة في جهنم \* وذكره من قوله ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٣٤/٩ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥١٣/٤ ) .

والثاني : أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف ، ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٥٩/٤ ) من قول الضحاك والبغوي في تفسيره ( ٢٤٩/٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ٦٧/٢٠ ) من قول مجاهد والضحاك والكبي وذكروا من صفة هذا الصراط أنه مسير ثلاثة آلاف سنة سهلاً وصعوداً وهبوطاً ، وأن بجنبه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فجاج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس . . . الخ .

انظر أيضاً زاد المسير ( ١٣٤/٩ ) وتفسير الرازي ( ١٨٣/٣١ ) وتفسير الخازن ( ٢٤٩/٧ ) . والثالث

والثالث : أنها طريق النجاة ، قاله ابن زيد ، ذكره من قوله الماوردي والبغوي وابن الجوزي .

والرابع : أنها نار دون الحشر ، قاله قتادة . ذكره الماوردي وابن الجوزي . وذكر الرازي في تفسيره ( ١٨٣/٣١ - ١٨٤ ) قبل سرد هذه الأقوال أن المفسرين ذكروا في العقبة ههنا وجهين .

أحدهما : أنها في الآخرة ثم ذكرت تحت الأقوال التي تدل على ذلك ، ونقل عن الواحد في تضعيفه فقال : قال الواحدى : وهذا تفسير فيه نظر ، لأن من المعلوم أن بني هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها ، فحمل الآية عليه يكون أيضاً حساً للواضحات ، ويدل عليه أنه لما قال : ( وما أدراك ما العقبة ) فسر به بك الرقبة وبالإطعام ، - ونقل القرطبي في تفسيره ( ٦٧/٢٠ ) عن القشيري أنه قال : وحصل العقبة على عقبة جهنم بعيد ، إذ أحد في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم ، إلا أن يحمل على أن المراد فهلاً صير نفسه بحيث يمكنه اقتحام عقبة جهنم غداً \* .

وأما الوجه الثاني فقال فيه : إن ذكر العقبة ههنا مثل ضربه إليه لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر \* وقال : هو قول الحسن ومقاتل ، ثم ذكر أثر الحسن الذي تقدم ذكره ، ثم اختار هذا القول ، فقال : هذا التفسير هو الحق لأن الإنسان يريد أن يترقى من عالم الحسن والخيال إلى بقاع عالم الأنوار الإلهية ولا شك أن بينه وبينها عقبات سامية ، دونها صواعق حامية ومجاوزتها صعبة ، والترقى إليها شديد .

.../...

وقال الالكوسى فى روح المعانى ( ١٣٧ / ٣٠ ) بعد أن أورد أكثر الأقوال السابقة :  
وهذه الأقوال إن صحت يتعين عليها أن يراد بالاحتحام المرور والجواز بسرعته ، وأن يقدر  
المضافاى : وما أدراك ما احتحام العقبة فك الخ ، ومآل المعنى : فلا فَعَلَ ما ينجو بسبه  
ويجوز بسببه العقبة الكوفة يوم القيامة ، وبهذا يندفع مانظله الإمام الواحدى - وذكر قوله  
الذى تقدم نغلاً عن الرازى ، ثم قال الالكوسى : أنا لا أقول بشئ من ذلك حتى تصح فيه  
تفسيراً لذاتية رواية مرفوعة \* ولم يتبين لى وجه فى سرد هذه الأقوال فى معنى العقبة  
وهى مفسرة فى نفس السياق .

فالصواب فيما أرى أن العقبة هى نفس ما ذكره سبحانه وتعالى بعده بقوله :  
فك رقبة أو إطعام فى يوم نى مسغبة \* وأكثر المفسرين صرحوا بأن قوله تعالى  
( وما أدراك ما العقبة ) مفسر بذلك - كما سيأتى ، فبعد هذا التصريح لا داعى  
لذكر ما تقدم من الأقوال . وأن هذه العقبة تكون فى الآخرة ، ولذلك اختار البخارى  
فى صحيحه ( ٧٠٣ / ٨ ) قول مجاهد وهو أنه لم يقتحم العقبة ، وذكره ابن العربى فى أحكام  
القرآن ( ١٩٣٨ / ٤ ) وعلق عليه بقوله : وإنما اختار ذلك ، لأنه قال بعد ذلك فى  
الآية الثالثة ( وما أدراك ما العقبة ) ثم قال فى الآية الرابعة ( فك رقبة )  
وفى الآية الخامسة ( أو إطعام فى يوم نى مسغبة ) ثم قال فى الآية السادسة  
( يتيماً ذا مربة ) ثم قال فى الآية السابعة ( أو مسكيناً ذا مربة ) فهذه الأعمال  
إنما تكون فى الدنيا المعنى : فلم يأت فى الدنيا بما يسهل له سلوك العقبة فى  
الآخرة \* .

وقوله ( وما أدراك ما العقبة ) أى وما أدراك ما تجاوز بها العقبة<sup>(١)</sup> ثم فسر فقال : ( فك رقبة ) وفك الرقبة : إعاقها<sup>(٢)</sup> . وروى عقبة بن عامر<sup>(٣)</sup> أن

( ١ ) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٥٠ / ٧ ) " أى وما أدراك ما اقتحام العقبة " وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٣٤ / ٩ ) : " قال المفسرون : المعنى وما أدراك ما اقتحام العقبة ؟ ثم بينه فقال تعالى ( فك رقبة ) وقال السرازى فى تفسيره ( ١٨٤ / ٣١ ) : " فلا يد من تقدىو محذوف ، لأن العقبة لا تكون فك رقبة ، فالمراد : وما أدراك ما اقتحام العقبة ، وهذا تعظيم لأمر التزام الدين " ثم قال تعالى : ( فك رقبة ) : والمعنى أن اقتحام العقبة هو الفك أو الإطعام " وقال أبوحيان فى البحر المحيطة ( ٤٧٦ / ٨ ) بعد أن ذكر القراءات المختلفة فى ( فك ) و ( إطعام ) وهى سنتان عند المؤلف أيضاً : قال : ومن قرأ ( فك ) بالرفع فهو تفسير لاقتحام العقبة والتقدىو : " وما أدراك ما اقتحام العقبة " ومن قرأ فعلاً ماضياً فلا يحتاج إلى تقدىو مضاف ، بل يكون التعظيم للعقبة نفسها ويجى ( فك ) بدلاً من ( اقتحم ) قاله ابن عطية .

( ٢ ) قال الراغب فى المفردات ( ص ٣٨٤ ) : " فك الرهن تخليصه ، وفك الرقبة عتقها ، وقوله ( فك رقبة ) قيل : هو عتق المملوك ، وقيل : هو عتق الإنسان نفسه من عذاب الله بالكلم الطيب والعمل الصالح وفك غيره بما يفيد من ذلك ، والثانى يحصل للإنسان بعد حصول الأول . " والأول ( أى أنه عتق المملوك ) هو المجمع عليه لدى المفسرين وغيرهم ، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ( ١٤٦ / ٥ ) " والمراد بفك الرقبة : تخليص الشخص من الرق من تسمية الشئ باسمه ، وإنما خصت بالذكر لإشارته إلى أن حكم اليد عليه كالغفل فى رقبته فإذا أعتق فك الغفل من عنقه " .

انظر أيضاً تفسير غريب القرآن ( ٥٢٨ ) وتفسير الطبرى ( ٢٠٢ / ٣٠ - ٢٠٣ ) وتفسير البغوى ( ٢٥٠ / ٧ ) والكشاف ( ٧٥٦ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ١٨٤ / ٩ - ١٨٥ ) وتفسير القرطبى ( ٦٧ / ٢٠ ) . وأما الماوردى فذكر فى تفسيره ( ٤٦٠ / ٤ ) ثلاثة أوجه فى ذلك

أحدها : إخراجها من الأسر ، والثانى : عتقها من الرق ، والثالث : ذكره بلفظ الاحتمال ، وهو أنه أراد فك رقبته وخلص نفسه باجتناى المعاصى وفعل الطاعات وقال : وهو أشبه بالصواب والصواب عندنا هو ما تقدم عن الجمهور .

( ٣ ) هو عقبة بن عامر بن عمرو بن عبدى الجهنى ، صحابى مشهور ، اختلف

فى كنيته على سبعة أقوال ، أشهرها أبو حماد ، كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعراً كاتباً وهو أحد من جمع القرآن ولى إمارة مصر

لمعاوية ثلاث سنين ، مات فى قرب ستين .

انظر الإصابة ( ٤٨٩ / ٢ ) والتقريب ( ٢٤١ ) .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : (١) من أعتق رقبة كانت فكاكه من النار (٢) .

ومن المعروف أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! علمني عملاً يدخلني الجنة ، فقال : لكن اقصر الخيطية فقد أعرضت في المسألة : أعتق النسمة (٣) وفك الرقبة . فقال : أوليسوا واحداً يا رسول الله . فقال : لا عتق النسمة أن تنفرد بمتعتها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها ، وعليك بالفى \* على ذى الرحم الظالم فإن لم يكن ذلك فاطعم الجائع واسق الضمآن ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك ، إلا من خير (٤) .

( ١ ) ( من ) ساقط من نسخة ( ب ) .

( ٢ ) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ١٤٧ / ٤ ) والحاكم في مستدركه ( ٢١١ / ٢ ) بسندهما عن قتادة عن الحسن عن قيس الجذامي عن عقب بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : \* من أعتق رقبة فك الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار \* هذا لفظ الحاكم ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولفظ الإمام أحمد : من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار \* ولا يوجد عنده في السند ذكر الحسن \* وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢٤٢ / ٤ ) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح . قيس الجذامي ولم يضعفه أحد \* وكيف يضعفه أحد وهو من الصحابة .  
انظر الإصابة ( ٢٦٣ / ٣ ) .

( ٣ ) قال ابن الأثير في النهاية ( ٤٩ / ٥ ) .

\* النسمة : النفس والروح ، أى من أعتق ذاك روح ، وكل دابة فيها روح فهي نسمة ، وإنما يريد الناس \* .

( ٣ ) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ٤٩٩ / ٤ ) وابن حبان في صحيحه ( انظر موارد الظمان ( ٢٩٤ ) والحاكم في مستدركه ( ٢١٧ / ٢ ) والبيهقي في تفسيره ( ٢٥٠ / ٧ ) كلهم من طريق طلحة بن مصرف الأيما عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، علمني عملاً يدخلني الجنة . . . الحديث بنحوه ، وعندهم بعد قوله ( وفك الرقبة أن تعين في ثمنها ) : والمنحة الوكوف ، والفى \* على ذى الرحم الظالم ، فإن لم تطق ذلك فاطعم الجائع . . . الحديث . ( والمنحة الوكوف : الناقة غزيرة اللبن انظر النهاية ( ٢٢٠ / ٥ ) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه \* ووافقه الذهبي وأشار إليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ١٤٦ / ٥ ) وصححه ، وأورده في المصدر نفسه ( ٧٠٤ / ٨ ) وقال : صححه ابن حبان \* .

وورد أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أعتق رقبة مسلمة  
أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار .<sup>(١)</sup> والخبر صحيح .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب كفارات الأيمان ، باب قول الله تعالى ( أو  
تحرير رقبة ) ( ٥٩٩ / ١١ ) رقم ( ٦٧١٥ ) ومسلم فى صحيحه - كتاب العتق -  
باب فضل العتق ( ١٠ / ١٥١ ) بسند هما عن علي بن حسين عن سعيد بن مرجانة  
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أعتق رقبة أعتق الله بكل  
عضو منها عضواً من أعضائه من النار حتى فوجهه بفوجه .

( ٢ ) بل هو متفق على صحته .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل العتق ، أورد بعضها ابن كثير فى تفسيره  
( ٤ / ٥١٣ - ٥١٤ ) وأكثر هذه الأحاديث وردت بتقييد الرقبة بالمؤمننة  
، ونقل ابن العربى فى أحكام القرآن ( ٤ / ١٩٣٩ ) عن أصبغ أنه قال : الرقبة  
الكافرة ذات الثمن أفضل فى العتق فى الرقبة المؤمنة الظليلة الثمن ، واستدل  
عليه بما رواه البخارى فى صحيحه ( ٥ / ١٤٨ رقم ٢٥١٨ ) من حديث أبى ذر  
مرفوعاً قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم - وقد سئل أى الرقاب أفضل ؟ قال :  
" أغلاها ثمناً ، وأنفسها عند أهلها " .

وقال ابن العربى : والمراد فى هذا الحديث ( من المسلمين ) بدليل  
قوله عليه السلام : من أعتق امرأ مسلماً ، ومن أعتق رقبة مؤمنة . وما ذكره  
أصبغ وهلة . وإنما نظر إلى تنقيص المال والنظر إلى تجريد المعتق للعبادة ،  
وتفريغ نفسه للتوحيد أولى .

وذكر ذلك ابن حجر فى الفتح ( ٥ / ١٤٩ ) ولكن على العكس من ذلك . فقال :  
واحتج به ( أى حديث أبى ذر ) لمالك فى أن عتق الرقبة الكافرة إذا كانت  
أغلى ثمناً من المسلمة أفضل ، وخالفه أصبغ وغيره ، وقالوا : المراد بقوله أغلى  
ثمناً من المسلمين ، وقد تقدم تقييده بذلك فى الحديث الأول ( يعنى  
حديث أبى هريرة : أيما رجل أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه  
من النار " .

وما ذكره ابن العربى هو المعتمد لأنه من أهل المذهب .



وقرىء (فَكَ رَقَبَةً) فمن قرأ بالرفع / فمعناه هي فك رَقَبَةً ، ومن قرأ ١/٣٣٢  
بالنصب ، فمعناه لا يقتحم العقبة الا من فك رَقَبَةً . (٢)

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الكاف من "فَكَ" جعلوه فعلاً ماضياً ،  
وينصب "رَقَبَةً" على أنها مفعولة لـ "فَكَ" . وكذلك قرأوا "أَوْ أَطْعَمَ"  
بفتح الهمزة والميم من غير ألف بعد العين ، جعلوه فعلاً ماضياً ، وقرأوا  
الباقون "فَكَ" بالرفع ، جعلوه مصدرًا مرفوعًا ، على إضمار مبتدأ ، أي هو  
"فَكَ" ، وأضافوا "فَكَ" إلى "رَقَبَةً" على إضافة المصدر إلى المفعول به  
فخفضوا "رَقَبَةً" . وكذلك قرأوا "أَوْ أَطْعَمَ" بهمزة مكسورة وبالألف  
بعد العين وبالرفع جعلوه مصدرًا "أَطْعَمَ" .

وأما حجة كل من القراءتين فقال أهل القراءة الثانية ( أي الذين قرأوا  
بالرفع ) : لما تقدم السوءال في قوله ( وما أدراك ما العقبة ) احتاج هذا  
السؤال إلى جواب وتفسير ، ففسره بالإبتداء والخبر كما جاء في كثير من  
الآيات منها قوله تعالى ؟ وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة ( سورة  
الحطمة الآية ٥ ، ٦ فرفع (فَكَ) على خبر ابتداء محذوف ، وعطف عليه (أَوْ أَطْعَمَ) .  
وأما الذين قرأوا بالفتح (فَكَ) ، وأطعمم ( فقالوا : لما وقع لفظ الماضي في قوله  
( فلا اقتحمم ) واحتاج إلى تفسير الاقتحام ما هو ؟ فسره بفعل ماضٍ مثله ،  
انتهى ملخصاً من الكشف عن وجوه القراءات ( ٣٧٥ / ٢ - ٣٧٦ ) انظر أيضاً  
التيسير ( ص ٢٢٣ ) وحجة القراءات ( ص ٧٦٤ ) والنشر في القراءات العشر  
( ٤٠١ / ٢ ) وتفسير ابن جرير ( ٢٠٣ / ٣٠ ) وزاد المسير ( ١٣٥ / ٩ ) .

وذكر القراء في معاني القرآن ( ٢٦٥ / ٣ ) القراءتين ، واختار القراءة بالفتح ،  
وقال : وهو أشبه الوجهين بصحيح العربية ، واحتج على اختياره بأن بعده  
( ثم كان ) أي فلما عطف بكان وهي فعل ماضٍ وجب أن يكون "فَكَ" ليعطف  
فعلاً ماضياً على فعل ماضٍ .

وقد ذكر ذلك عن القراء أبو جعفر النحاس أيضاً في إعراب القرآن ( ٧٠٨ / ٣ )  
وذكر أن الأخفش وأبا حاتم وأبا عبيد اختاروا القراءة الأخرى ، ثم قال : الديانسة  
تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون إلا مأخوذة  
إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال عليه السلام : أنزل القرآن على سبعة  
أحرف " فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى " وهذا  
هو الصواب .

( ٢ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٦٠ / ٤ ) هذين المعنيين ، ولكن دون الإشارة إلى  
القراءتين ، قال : " وفي معنى الكلام وجهان : أحدهما : اقتحام العقبة  
فك رَقَبَةً ، قاله الزجاج ، والثاني : فلم يقتحم العقبة إلا من فك رَقَبَةً أو أطعمم  
قاله الأَخفش . "

وقوله ( أو إطعام في يوم ذي مسغبة ) أى إطعام مسكين فى يوم ذى جوع

والسغب : الجوع والمسغبة : المجاعة (١) - قال الشاعر (٢) :

فلو كنتُ جاراً يا بن قيس بن عاصمٍ      لما يتَّ شبعاناً وجراراً ساعياً (٣)

أى جائع .

(١) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢/٢٩٩) : " أو إطعام فى يوم ذى مسغبة "

أى مجاعة . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٦٥) : " ذى مسغبة "

ذى مجاعة .

وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٨) : " ذى مسغبة " أى ذى مجاعة

والسغب : الجوع ، والساغب : الجائع ، يقال : سَغِبَ الرجل يَسْغَبُ سَغْباً وَسُغُوباً

إذا جاع ، وقال الراغب فى المفردات ( ص ٢٣٣ ) : " ( ذى مَسْغَبَةٍ ) من

السَّغْبِ وهو الجُوعُ مع التَّعَبِ ، وقد قيل : فى العَطَشِ مَعَ التَّعَبِ ، يُقَالُ :

سَغِبَ سَغْباً وَسُغُوباً : وهو ساعِبٌ وَسَغْبَانٌ نحو عَطَشَانٌ " .

انظر أيضاً لسان العرب (١/٤٦٨) . والأكثر على أن السغب هو الجوع العام

وأما القول بأنه العطش مع التعب فقد قال فيه ابن منظور : ليس بمستعمل " وذكر

ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٢٠٣) أن معناه : مجاعة ، ثم روى ذلك عن عد يد

من أئمة التفسير ، وقال الرازى فى تفسيره (٣١/١٨٥) : حاصل القول فى تفسير

( يوم ذى مسغبة ) ما قاله الحسن وهو يوم محروص فيه على الطعام .

قال أبو على : ومعناه ما يقول النحويون فى قولهم : " ليل نائم ونهار

صائم أى ذو نوم وصوم " .

وأورد السويطى فى الدر المنثور (٦/٣٥٥) عن إبراهيم النخعى فى قوله

( فى يوم ذى مسغبة ) قال : يوم فيه الطعام عزيز ، وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد

وابن أبى حاتم ، وأورده الألوسى فى روح المعانى (٣٠/١٣٨) وقال : " وليس

بتفسير بالمعنى الموضوع له " .

(٢) لم أعرف من هو .

(٣) أورده القرطبى فى تفسيره (٢٠/٦٩) وذكر أن أبا عبيده أنشده .

وقوله تعالى ( يتيماً ذا مقربة ) أى ذا قرابة<sup>(١)</sup> ، واليتيم : الذى لا والد له ، ويقال : هو الذى ليس له أبوان<sup>(٢)</sup> .

قال قيس بن الملوح<sup>(٣)</sup>

إِلَى اللَّهِ أَشْكَو فَقَدْ لَيْلَى كَمَا شَكَى      إِلَى اللَّهِ فَقَدَ الْوَالِدَيْنِ يَتِيمٌ<sup>(٤)</sup> وَ

( ١ ) قال ابن قتيبة فى تفسيره غريب القرآن (ص ٥٢٩) : \* ( يتيماً ذا مقربة ) أى ذا قرابة \* وقال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٠٤ / ٣٠ ) : \* وقوله ( يتيماً ذا مقربة ) يقول : أو أطمع فى يوم مجاعة صغيراً لا أب له من قرابته وهو اليتيم ذو المقربة ، وعنى بذى المقربة ذا القرابة ، وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٥٠ / ٧ ) : أى ذا قرابة ، يريد يتيماً بينك وبينه قرابة ، وذكر هذا المعنى ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٤ / ٤ ) وقال : قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدى ، ثم استدل له بحدِيث رواه الإمام أحمد فى مسنده ( ١٨ ، ١٧ / ٤ ) بسنده عن سلمان بن عامر مرفوعاً : الصدقة على المسكين صدقة ، وهى على ذى القرابة اثنتان صلة وصدقة \* .

قال فيه ابن كثير : وهذا إسناد صحيح \* وقيل : إنه يدخل فيه القرب بالجوار ، كما يدخل فيه القرب بالنسب \* .

( ٢ ) قال القرطبى فى تفسيره ( ٦٩ / ٢٠ ) : \* وأهل اللغة يقولون : سُمِّيَ يَتِيمًا لضعفه ، يقال : يَتِيمَ الرَّجُلُ يَتِيمًا ؛ إِذَا ضَعُفَ ، وَذَكَرُوا أَنَّ الْيَتِيمَ فَسَى النَّاسِ مِنْ قَبْلِ الْأَبِّ ، وَفِي الْبَهَائِمِ مِنْ قَبْلِ الْأُمّهَاتِ .

ثم ذكر القول الثانى يعنى أن اليتيم الذى يموت أبواه ، واستدل بقول قيس بن الملوح - وذكر ابن منظور فى لسان العرب ( ٦٤٥ / ١٢ ) أن معنى اليتيم الانفراد ، واليتيم : الفرد ، واليتيم واليتيم : فقدان الأب ، ثم حكى عن بعض أهل اللغة أن اليتيم فى الناس من قبل الأب ، وأن اسم اليتيم يزول عند البلوغ .

( ٣ ) هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس العامري من أهل نجد ، المشهور بمجنون ليلى ، وقد لقب بالمجنون لهيامه فى حب ليلى بنت سعد ، وقد نشأ معها إلى أن كبرت فحجبها أبوها ، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش ، ووُجِدَ طَقَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَهُوَ مَيِّتٌ فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٦٨ هـ . وأخباره مع ليلى كثيرة ومستفيضة .

انظر معجم الشعراء (ص ٤٩٢ ، ٤٤٨) والأغانى ( ١٠ / ٢ - ١٥ ) ومعجم المؤلفين ( ١٣٥ / ٨ ) .

( ٤ ) انظر ديوان مجنون ليلى (ص ٢٤٤) ، أنشده أيضا القرطبى ( ٧٠ / ٢٠ ) .

وقوله ( أو مسكيناً ذا مترية ) أى لصق بالتراب من الفقر .<sup>(١)</sup>

قال مجاهد : لا تحول بينه وبين التراب شي<sup>(٢)</sup> .

وقيل : ( ذا مترية ) أى ذا زمانة<sup>(٣)</sup> ، وقيل ( ذا مترية ) أى ليس

له أحد من الناس .<sup>(٤)</sup>

(١) قال ابن جبرو فى تفسيره ( ٢٠٤ / ٣٠ ) : " وقوله ( أو مسكيناً ذا مترية ) اختلف

أهل التأويل فى تأويل قوله ( ذا مترية ) فقال بعضهم : عنى بذلك : ذو

الاصق بالتراب وروى هذا المعنى عن عديد من أئمة التفسير ، واختاره أبو عبيدة

فى مجاز القرآن ( ٢٩٩ / ٢ ) قال : " ( مسكيناً ذا مترية ) قد لثق بالتراب ،

واختاره ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٩ ) قال : " أى ذا فقر ، كأنسه

لصق بالتراب من الفقر ، .

وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٥٠ / ٧ ) " ( مسكيناً ذا مترية ) : قد لصق

بالتراب من فقره وضرره ، وقال أيضاً : والمترية مصدر ترَبَّ ترَباً ومترية ،

إذا افتقر " وكذا ذكر الزمخشري فى الكشاف ( ٧٥٦ / ٤ ) يعنى : أن المترية

مصدر ترَبَّ : إذا افتقر ، ومعناه : التصق بالتراب .

(٢) قال مجاهد فى تفسيره ( ٧٦١ / ٢ ) : " هو التَّربُّ الذى لا يقيه من التراب

شي<sup>١</sup> " وهى رواية حصين عنه ، فقد رواه ابن جبرو فى تفسيره ( ٢٠٥ / ٣٠ ) من

طريقه قال : المطروح فى الأرض ، الذى لا يقيه شي<sup>٢</sup> دون التراب " .

وراه عنه ابن أبى نجيب فقال : قال مجاهد : " يقول : هو المسكين الساقط فى

التراب " . انظر تفسيره ( ٧٦٠ / ٢ ) وتفسير الطبرى ( ٢٠٥ / ٣٠ ) وذكر

الماوردى فى تفسيره ( ٤٦٠ / ٤ ) سبعة أوجه فى معنى قوله ( ذا مترية )

الأول : أن ذا المترية هو المطروح على الطريق لا بيت له ، قاله

ابن عباس .

والثانى : هو الذى لا يقيه من التراب لباس ولا غيره ، قاله مجاهد " ، وليس

هناك كبير فرق بين قول ابن عباس وقول مجاهد ، ولذلك ذكرهما الطبرى تحت

القول السابق معتبراً إياهما قولاً واحداً .

انظر أيضاً تفسير ابن كثير ( ٥١٤ / ٤ ) .

(٣) الزمانه : العاهة ومنه رجل زمن . انظر لسان العرب ( ١٩٩ / ١٣ ) وهذا قول

أبى سنان ، ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤٦٠ / ٤ ) والقوطى فى تفسيره ( ٧٠ / ٢٠ ) .

(٤) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤٦٠ / ٤ ) والقوطى فى تفسيره ( ٧٠ / ٢٠ ) وابن كثير

فى تفسيره ( ٩٤ / ٤ ) كلهم من قول سعيد بن جبير ، أما ابن جرير فروى عنه

أنه قال : ( ذا مترية ) ذا عيال ، فعمل له روايتين فى ذلك . وفيه أقوال

أخرى غير ماتقدم ، منها أن معناه ذو العيال ، ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤٦٠ / ٤ )

والقوطى فى تفسيره ( ٧٠ / ٢٠ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٥١٤ / ٤ ) من قول قتادة ،

وزاد ابن كثير فى نسبه ، فنسبه أيضاً إلى ابن عباس وسعيد ومقاتل بن حيان

وهذا القول ذكره ابن جبرو أيضاً فى تفسيره ( ٢٠٦ / ٣٠ ) ولكنه قال : وقال آخرون :

بل هو ذو العيال الكثير الذين قد لصقوا بالتراب من الضروشة . الحاجسة

ثم روى بسنده عن عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال : مسكين ذو بنين وعيال ، ليس بينك وبينه قرابة " وروى عن سعيد بن جبير قال : ذا عيال . وعن قتادة قال : هو ذو العيال الذي لا شيء له ، وعن النخعي قال : ذا عيال لاصقين بالأرض من المسكنة والجهد " .

ومنها : أنه المديون - ذكره الماوردي والقرطبي من قول عكرمة ، وذكره ابن كثير فقال عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج ، وقد قال ابن جرير في تفسيره ( ٢٠٥ / ٣٠ ) : " وقال آخرون : بل هو المحتاج ، كان لاصقاً بالتراب أو غير لاصق ، وقالوا : إنما هو من قولهم : تَرَبَّ الرجل إذا افتقر " ثم روى بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : شديد الحاجة ، وعن عكرمة قال : هو المحارف ( هو الذي لا يصيب خيراً من وَجَّهٍ توجه له ) الذي لا مال له .

ومنها : أن معناه : البعيد التربة ، يعني الغريب البعيد عن وطنه رواه عكرمة عن ابن عباس ، ذكره الماوردي والقرطبي وابن كثير ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٥٥ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، واستبعده الألويسي في روح المعاني ( ١٣٨ / ٣٠ ) فقال بعد ذكره : هو بعيد " .

وأما الراجح من هذه الأقوال فذهب ابن جرير إلى اختيار القول الأول ( وهو أن معناه : أو مسكيناً قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة ، وقال : لأن ذلك هو الظاهر من معانيه ، وأن قوله ( متربة ) إنما هي مفعلة من تَرَبَّ الرجل : إذا أصابه التراب . انظر تفسيره ( ٢٠٦ / ٣٠ ) .

وقال ابن كثير بعد سرد الأقوال : وكل هذه قريبة المعنى ، انظر تفسيره ( ٥١٤ / ٤ ) ويبدولى - والله أعلم بالصواب - أن الذي اختاره ابن جرير هو أصح الأقوال ، لأنه قد اختاره غير واحد من المفسرين ، إذ لم يعدلوا إلى غيره في الذكر .

وقوله ( ثم كان من الذين آمنوا ) يعني : يقتحم العقبة من فعل هذه الأشياء فكان من الذين آمنوا<sup>(١)</sup> ، فإن قيل كلمة " ثم " للتراخي باتفاق أهل اللغة فكيف وجه المعنى في الآية ، وقد ذكر الإيمان متراخياً عن هذه الأشياء .

( ١ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢٥٠ / ٧ ) : " ( ثم كان من الذين آمنوا ) ثم بيّن أن هذا القرب إنما تنفع مع الإيمان " وقال الرازي في تفسيره ( ١٨٦ / ٣ ) " أى كان مقتحم العقبة من الذين آمنوا ، فإنه إن لم يكن منهم لم ينتفع بشئ من هذه الطاعات ، ولا مقتحمًا للعقبة " .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٧١ / ٢٠ ) : " يعني : أنه لا يقتحم العقبة من فك رقبة ، أو أطعم في يوم ذي مسغبة ، حتى يكون من الذين آمنوا ، أى صدّقوا فإن شرط قبول الطاعات الإيمان بالله . فالإيمان بالله بعد الإنفاق لا ينفع ، بل يجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالإيمان " ثم استدل على قوله بما قاله تعالى في المنافقين " وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ " ( سورة التوبة الآية ٥٤ ) .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٥١٤ / ٤ ) " أى ثم هو من هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى " ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ، وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكورا " سورة الاسراء الآية ١٩ ، وقال تعالى ( من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ) الآية ( سورة غافر الآية ٤٠ ) .

والجواب : قال النحاس : هو مشكل ، وأحسن ما قيل فيه ( إن معناه ثم أخبركم  
إنه كان من الذين آمنوا حين فعل هذه الأشياء<sup>(١)</sup> وقد قيل :<sup>(٢)</sup> ) إن ثم  
بمعنى الواو ، وليس يصح .<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

( ١ ) لم أجد هذا الكلام في إعراب القرآن عند هذه الآية لعلمه قاله في معاني القرآن .  
وقد ذكر الرازي في تفسيره ( ١٨٦ / ٣١ ) هذا الاعتراض فقال : فإن قيل : لما  
كان الإيمان شرطاً للانتفاع بهذه الطاعات وجب كونه مقدماً عليها ، فما  
السبب في أن الله تعالى أخره عنها بقوله ( ثم كان من الذين آمنوا ) ؟  
وأجاب عنه بأربعة أوجه فقال : والجواب من وجوه أحدها : أن هذا  
التراخي في الذكر لا في الوجود ، واستدل بقول القائل :  
إن من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جسده  
وقال : لم يرد بقوله : ( ثم ساد أبوه ) التأخر في الوجود ، وإنما المعنى :  
ثم إن ذكر أنه ساد أبوه ، كذلك في الآية .

والثاني : أن يكون المراد : ثم كان في عاقبة أمره من الذين آمنوا وهو أن يموت  
على الإيمان ، فإن الموافقة شرط الانتفاع بالطاعات .

والثالث : أن من أتى بهذه القرب تقريباً إلى الله تعالى قبل إيمانه بمحمد ثم  
آمن بعد ذلك بمحمد عليه الصلاة والسلام . .

والرابع : أن المراد من قوله ( ثم كان من الذين آمنوا ) تراخي الإيمان  
وتباعده في الرتبة والفضيلة عن المعتق والصدقة \* وهذا الوجه ذكره الزمخشري  
في الكشاف ( ٧٥٧ / ٤ ) فقال : " جاء بـثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة  
والفضيلة عن المعتق والصدقة ، لا في الوقت " .

وقد ذكر الراغب في المفردات ( ٨١ ) أن ( ثم ) حرف عطف يقتضى تأخراً  
ما بعده عما قبله إما تأخيراً بالذات أو بالمرتبة أو بالوضع حسب السياق . وقد  
أورد معظم هذه الأوجه القرطبي في تفسيره ( ٧١ / ٢٠ ) وأبو حيان في البحر  
المحيط ( ٤٧٦ / ٨ ) .

( ٢ ) ما بين القوسين غير موجود في نسخة ( ب ) .

( ٣ ) ذكر هذا القول البغوي في تفسيره ( ٢٥٠ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٣٥ / ٩ )  
والقرطبي في تفسيره ( ٧١ / ٢٠ ) واستشهد ابن الجوزي بقوله تعالى ( ثم الله شهيد )  
سورة يونس الآية ٤٦ .

( ٤ ) يبدو لي - والله أعلم بالصواب - أن ( ثم ) هنا ليست للتراخي  
الزمني ، وإنما هي للتراخي المعنوي ، وهو ما قصد به الراغب في المفردات  
( ٨١ ) بقوله . . . . . أو بالمرتبة . . . . .

وقوله ( وتواصوا بالصبر ) أى بالصبر عن معاصي الله ، وقيل : بالصبر

على طاعة الله .

وقيل : بالصبر عن لذات الدنيا وشهواتها . ( ١ )

وقوله ( وتواصوا بالمرحمة ) أى رحمة بعضهم على بعض ، وتواصوا بالمرحمة هو وصية البعض البعض . ( ٢ )

( ١ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٤٦١ ) في الآية ثلاثة أوجه .

- أحدها : بالصبر على طاعة الله ، قاله الحسن .
- الثاني : بالصبر على ما افترض الله عليه ، قاله هشام بن حسان .
- الثالث : بالصبر على ما أصابهم ، قاله سفيان .
- وقال : ويحتمل رابعاً : بالصبر على الدنيا وعن شهواتها .

والصواب أن كل هذه الأوجه يمكن أن تكون مرادة من الآية ، قال الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٧٥٧ ) والرازي في تفسيره ( ٣١ / ١٨٦ ) " أى أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه ، أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يتلى بها المؤمن " .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٠ / ٧١ ) " أى أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله ، وعن معاصيه وعلى ما أصابهم من البلاء والمصائب " .

وقال البغوي في تفسيره ( ٧ / ٢٥٠ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ١٣٦ ) " أى بالصبر على فرائض الله وأوامره " .

( ٢ ) المرحمة : هو مصدر ميمي من رَحِمَ رَحِمًا وَرَحِمًا وَرَحِمَةً وَرَحِمَةً ، قال ابن منظور :

الرَّحْمَةُ : الرَّقَّةُ وَالتَّعَطُّفُ .

وقال الراغب : والرَّحْمَةُ : رِقَّةٌ تَقْتَضِي الإِحْسَانَ إِلَى المَرْحُومِ . وأورد ابن منظور

هذه الآية وقال : أى أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه .

انظر لسان العرب ( ٢٢ / ٢٣٠ ) والمفردات ( ص ١٩١ ) . وقال الزمخشري في

الكشاف ( ٤ / ٧٥٧ ) : " والمرحمة : الرحمة ، أى : أوصى بعضهم

بعضاً بالصبر " . . . . . وبأن يكونوا متراحمين شعاطفين ، أو بما يسوّد

إلى رحمة الله " .

وقال الرازي في تفسيره ( ٣١ / ١٨٦ ) : " التواصي بالمرحمة : هو أن يحث

بعضهم بعضاً على أن يرحم المظلوم أو الفقير ، أو يرحم المقدم على منكر فيمنعه

لأن كل ذلك داخل في الرحمة ، وهذا يدل على أنه يجب على المرء أن يدل غيره

على طريق الحق ، ويمنعه من سلوك طريق الشر والباطل ما أمكنه .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٠ / ٧١ ) : " أى بالرحمة على الخلق ، فإنهم

إذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين " .



وقوله ( أولئك أصحاب الميمنة ) أى أصحاب اليمين وهم الذين استخرجوا من شق آدم الأيمن .<sup>(١)</sup>

ويقال : الذين يعطى الكتاب بإيمانهم . وقيل : الميامين على أنفسهم .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٦١ / ٤ ) عند هذه الآية أربعة أوجه فى سبب تسميتهم أصحاب الميمنة وذكر ( ١٦٥ / ٤ ) عند قوله تعالى ( فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ) ( سورة الواقعة الآية ٨ ) خمسة تأويلات .

وأما ابن الجوزى فذكر فى زاد المسير ( ١٣٣ / ٨ ) عند الآية المشار إليهما ثمانية أقوال ، وهذا الذى ذكره المؤلف هو قول زيد بن أسلم - كما عزاه كل من الماوردى وابن الجوزى ، وذكره القرطبي فى تفسيره ( ٧١ / ٢٠ ) وعزاه إلى ابن زيد .

( ٢ ) ذكره الماوردى فى المومنين المشار إليهما والقرطبي فى تفسيره ( ٧١ / ٢٠ ) من قول محمد بن كعب القرظى ، وذكره ابن الجوزى من قول السحاك والقرظى وانظر زاد المسير ( ١٣٢ / ٨ ) .

( ٣ ) ذكره الماوردى فى المومنين الأول من تفسيره ( ١٦٥ / ٤ ) من قول الحسن وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٣٢ / ٨ ) من قول الحسن والربيع ، وذكره الماوردى فى المومنين الثانى من تفسيره ( ٤٦١ / ٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٧١ / ٢٠ ) من قول يحيى بن سلام .

وذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٧٥٧ / ٤ ) أما بقية الأقوال فمنها : قيل لهم أصحاب الميمنة لأن منزلهم عن اليمين ، قاله ميمون بن مهران ، ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤٦١ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٣٢ / ٨ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٧١ / ٢٠ ) .

ومنها : أن أصحاب الميمنة هم أصحاب الحسنات . ذكره الماوردى فى تفسيره ( ١٦٥ / ٤ ) من قول ابن جريج ، ومنها : أنهم أصحاب الجنة ، قاله السدى ، ذكره الماوردى وابن الجوزى .

ومنها : أنهم أصحاب المنزلة الرفيعة ، قاله الزجاج ، انفرد بذكره ابن الجوزى ومنها : أنهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة انفرد به ابن الجوزى وقال : ذكره أبو على النيسابورى .

وقوله ( والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ) أى المشأمة على أنفسهم  
ويقال : هم الذين يعطون الكتاب بشمالهم ، وكذلك القول الأول (١) .

وقوله ( عليهم نار موصدة ) أى مطبقة .  
يقال : وصدت الباب وأصدته : إذا أطيقته (٢) .

(١) تفسير أصحاب المشأمة على العكس من تفسير أصحاب الميمنة سواء ، ولما ذكر  
الماوردي فى الموضوع الأول من تفسيره (٤/١٦٥) خمسة تأويلات فى أصحاب  
الميمنة ذكر معه خمسة تأويلات فى أصحاب المشأمة .

ولما ذكر فى الموضوع الثانى (٤/٤٦١) أربعة أوجه فى أصحاب الميمنة ذكر  
أربعة أوجه فى أصحاب المشأمة . وكذلك القرطبي فى تفسيره (٢٠/٧١-٨٢) .  
وأما ابن الجوزى فاكتفى بعد أن ذكر ثمانية أقوال فى أصحاب الميمنة : وتفسير  
أصحاب المشأمة على ضد تفسير أصحاب الميمنة سواء .

وقال القرطبي بعد أن انتهى من ذكر الأقوال : " ويجمع هذه الأقوال  
أن يقال : إن أصحاب الميمنة أصحاب النجاة ، وأصحاب المشأمة أصحاب  
النار ، واستدل عليه بقوله تعالى ( وأصحاب اليمين ) ، ما أصحاب اليمين  
فى صدر مخصوف ) سورة الواقعة ٢٧ ، ٢٨ .

وقوله تعالى ( وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، فى سموم وحميم )  
سورة الواقعة الآية ٤١ ، ٤٢ . وهو جمع حسن وبه يمكن الأخذ بجميع  
الأقوال .

(٢) قال الفراء فى معانى القرآن (٢/٢٦٦) : " ( والموصدة ) تهمز ولا تهمز ،  
وهى المطبقة " .

وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٢/٢٩٩) : ( نار موصدة ) : مطبقة ،  
أصدت وأصدت وهو أطيقت ، . وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (٥٢٩)  
" أى مطبقة مغلقة ، يقال : أصدت الباب إذا أطيقته وأغلقته " ذكره  
الماوردي فى تفسيره (٦/٤٦١) من قول ابن عباس وأبى هريرة وقتادة ، راجع  
لمعرفة رواية ابن عباس وقتادة فى تفسير الطبرى (٣٠/٢٠٧) ولقول أبى هريرة فى تفسير  
مجاهد (٢/٧٦١) والدر المنثور (٦/٣٥٥) وقال البغوى فى تفسيره (٧/٢٥١) :  
" مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم " . وقال الزمخشري  
فى الكشاف (٤/٧٥٧) : ( موصدة : بالواو والهمزة ، من وصدت الباب  
وأصدته : إذا أطيقته وأغلقته ، انظر أيضا فى تفسير الطبرى (٣٠/٢٠٦ ، ٢٠٧) )  
وتفسير القرطبي (٢٠/٧٢٢) والعمدة فى غريب القرآن (ص ٣٤٧) والمفردات للراغب  
(ص ٥٢٥) والصحاح (٢/٥٥٠) .

ويقال : مؤصدة أى مبهمة لا باب لها<sup>(١)</sup> - قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :  
قوم يصلح شدة أنبأهم      وسلا سلا حلقا وبابا مؤصدا<sup>(٣)</sup> .  
أى مطبقا .

---

(١) ذكره القوطى فى تفسيره (٧٢/٢٠) فقال بعد أن ذكر القول السابق :  
وقيل : مبهمة لا يدري ما داخلها \* .

وقد ذكر الماوردى فى تفسيره (٤٦١/٤) قولين آخرين فى معنى  
(مؤصدة) - أحدهما : مسدودة - قاله مجاهد .  
وهذا خلاف ما فى تفسيره ، فإنه قال فيه بالقول السابق .  
انظر تفسيره (٧٦١/٢) وانظر أيضا الدر المنثور (٣٥٥/٦) .  
والثانى : لها حائط لا باب له ، قاله الضحاك . وقد روى ابن جرير وغيره  
عن الضحاك أنه قال : مغلقة عليهم \* .

انظر تفسير الطبرى (٢٠٧/٣٠) والدر المنثور (٣٥٥/٦) وقد ذكر ابن كثير  
فى تفسيره (٥١٥/٤) : "وقال الضحاك (مؤصدة) حيط لا باب له ( ونقل  
ابن الجوزى فى زاد المسير (١٢٦/٩) عن مقاتل أنه قال : يعنى أبوابها عليهم  
مطبقة ، فلا يفتح لها باب ، ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح آخر  
الأبد \* .

وعن الزجاج أنه قال : المعنى : أن العذاب مطبق عليهم \* وهذه  
المعانى كلها متقاربة ليس فيما بينها فرق كبير \* .

(٢) لم أعرف من هو .

(٤) أنشده أبوحيان فى البحر المحيط (٤٧٧/٨) .

(١) تفسير سورة والشمس وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( والشمس وضحاها ) أى وضوءها (٢) وقيل : هو النهار  
كله (٣)

(١) قال السيوطى فى الدر المنثور (٣٥٥/٦) :

"أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس  
أنه قال : نزلت سورة ( والشمس وضحاها ) بمكة ، وأخرج ابن مردويه عن  
ابن الزبير مثله ."

وذكر الماوردى فى تفسيره (٤٦٢/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير  
(١٣٧/٩) والقرطبى فى تفسيره (٧٢/٢٠) اتفاق المفسرين على كون السورة  
مكية .

(٢) رواه مجاهد عن ابن عباس . أخرجه الحاكم فى مستدركه (١٣١/٢) وقال  
الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

وذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره (٢٠٧/٣٠) ورواه بسنده عن مجاهد  
، انظر أيضا تفسير مجاهد (٧٦٢/٢) .

وقد ذكره البغوى فى تفسيره (٢٥١/٧) ، والرازى فى تفسيره (١٨٨٣١)  
كلاهما من قول مجاهد والكلبى ، وأورده ابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٧/٩)  
والقرطبى فى تفسيره (٧٢/٢٠) وأبوحيان فى البحر المحيط (٤٧٨/٨) وابن كثير  
فى تفسيره (٥١٥/٤) من قول مجاهد ، وزاد ابن الجوزى فعزاه إلى الزجاج  
أيضا . وذكره الماوردى فى تفسيره (٤٦٢/٤) فقال : " هو اشراقها قاله  
مجاهد " وقول الزمخشري فى الكشاف (٧٥٨/٤) : " ضحاها : ضوءها  
إذا أشرقت وقام سلطانها ، ولذلك قيل : وقت الضحى ، وكان وجهه شمس الضحى " .

(٣) ذكره ابن جرير فى تفسيره (٢٠٧/٣٠) قال : " قال بعضهم : معنى ذلك :  
والشمس والنهار ، وكان يقول : الضحى : هو النهار كله ) رواه بسنده عن قتادة ،  
وقد ذكره من قوله الماوردى فى تفسيره (٤٦٢/٤) والبغوى فى تفسيره (٢٥١/٧)  
وابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٧/٩) والرازى فى تفسيره (١٨٩/٣١) وأبوحيان

٠٠/٠٠

في البحر المحيط ( ٤٧٨/٨ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥١٥/٤ ) . وقال القرطبي في تفسيره ( ٧٢/٢٠ ) : قال قتادة : بهاؤها \* ولا يستبعد أن يكون ذلك مصحفاً من كلمة (نهارها) .

وفي معنى الكلمة قولان آخران - أحدهما : حرها - وهو قول السدي ومقاتل ذكره الماوردي والقرطبي من قول السدي ، وذكره ابن الجوزي والرازي من قول السدي ومقاتل ، وذكره أبو حيان من قول مقاتل ( انظر أيضاً تفسيره (ق ٣٩٦ / ١ ) والثاني : انبساطها ، ذكره الماوردي والقرطبي من قول اليزيدي . وقد ذكر الماوردي قولاً آخر بلفظ الاحتمال ، فقال : \* ويحتمل ( خامساً ) أنه ما ظهر بها من كل مخلوق ، فيكون القسم بها . وبالمخلوقات كلها ، وذكره عنه القرطبي .

وأما الراجح من هذه الأقوال فقد ذهب إلى اختيار القول الثاني - أي أنها النهار كله - الفراء في معاني القرآن ( ٢٦٦/٢ ) وابن قتبية في تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٩) وابن جرير في تفسيره ( ٢٠٨/٣٠ ) .

وقال ابن جرير : والصواب من القول في ذلك أن يقال : أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار \* ولكن أبا حيان لم يرض هذا القول وقال بعد أن ذكره : وهذا ليس بجيد لأنه قد أقسم بالنهار ، والمعروف في اللغة : أن الضحى هو بعيد طلوع الشمس قليلاً فإذا زاد فهو الضحاه بالماء وفتح الضاد إلى الزوال ، وأما مقاله مقاتل والسدي يعني أن معناها : حرها ، فقال فيه إنه تفسير باللازم ، انظر البحر المحيط ( ٤٧٨/٨ ) ، ويبدو لي أن أصح الأقوال هو القول الأول ، يعني أن معناها ضوءها ، وقد وصفه الرازي بعد أن أورد ما قيل في معناها بأنه على الأصل الذي وضع له .

وأما قول مقاتل فوصفه بأنه أضعف الأقوال ، وذكر أن الله تعالى أقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما يتعلق بها من المصالح .

وقوله ( والقمر إذا تلاها ) أى تبعها ، وهو قول مجاهد وقادة وعامة  
المفسرين (١) ، وهو مروى أيضا عن ابن عباس (٢) ومعنى تبعها: يعنى أن الشمس إذا  
غربت يليها القمر فى الضوء (٣) ويقال : هو فى الأيام البيضا

(١) ذكر هذا المعنى ابن جرير فى تفسيره (٢٠٨/٣٠) ورواه بسنده عن مجاهد  
وقادة ، وغيرهما ، انظر أيضا قول مجاهد فى تفسيره (٢٦٢/٢) وقد ذكر هذا  
القول - الماوردى فى تفسيره (٤٦٢/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٨/٩)  
من قول ابن عباس وذكره ابن كثير فى تفسيره (١٨٩/٣١) عن الليث أنه قال :  
"تلا يتلو إذا تبع ."

انظر أيضا تفسير غريب القرآن (ص ٥٢٩) وتفسير البغوى (٢٥١/٧) وتفسير  
القرطبى (٧٣/٢٠) والمفردات للراغب (ص ٧٥) .

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه (٥٢٤/٢) بسنده عن أبى نجيب عن مجاهد عنه  
فى سياق طويل ، ورد فيه " والقمر إذا تلاها " تبعها . وصحح الحاكم إسناده  
ووافقه الذهبى . وقد رواه ابن أبى حاتم أيضا ( كما فى الدر المنثور ٣٥٦/٦ )  
من طريق عكرمة عنه .

وذكر الماوردى فى تفسيره (٤٦٢/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٨/٩)  
قولاً آخر فى معنى الكلمة ، وهو أن معناها : ساواها ، ونسبها إلى مجاهد ، وهو  
خلاف ما فى تفسيره ، وكذلك خلاف ما رواه عنه ابن جرير ، وقد تقدم ذكره . والصواب  
هو الأول يعنى أن معناها : تبعها - لأنه هو المعروف فى اللغة ، كما صرح به  
أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن (٧١٠/٣) ثم إن هناك عدة أوجه فى كون القمر  
تالياً ، كما سيأتى ذكرها بعده مباشرة .

(٣) لم أجد من ذكر هذا القول بهذا العموم ، وإنما ذكره بعضهم مقيداً بالنصف الأول  
من الشهر ، فقال ابن جرير فى تفسيره (٢٠٨/٣٠) : " يقول تعالى ذكره : والقمر  
إذا تبع الشمس ، وذلك فى النصف الأول من الشهر ، إذا غربت الشمس تلاها  
القمر " وذكره البغوى أيضا فى تفسيره (٢٥١/٧) قال : ( والقمر إذا تلاها )  
تبعها ، وذلك فى النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر فى الإضاءة  
وخلغها فى النور .

وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٥٨/٤) : " إذا تلاها ) طالماً عند غروبها  
أخذاً من نورها ، وذلك فى النصف الأول من الشهر ، وذكره ابن الجوزى فى  
زاد المسير (١٣٨/٩) وقال : حكاه على بن أحمد النيسابورى ، وذكره السرازى  
فى تفسيره (١٨٩/٣١) وقال : هو قول عطاء عن ابن عباس .

---

 ٠٠/٠٠

ونقل القوطى فى تفسيره ( ٢٠/٢٣ ) عن ابن زيد أنه قال : " إذا غربت الشمس فى النصف الأول من الشهر ، تلاها القمر بالطلوع ، وفى آخر الشهر يتلوها بالغروب " وهذا القول رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠/٢٠٨ ) عن ابن زيد . قال : " والقمر يتلو الشمس نصف الشهر الأول ، وتتلوه النصف الآخر ، فأما النصف الأول فهو يتلوها ، وتكون أمامه وهو وراءها ، وإذا كان النصف الآخر كان هو أمامها يقدمها ، وتليه هى " .

وقد ذكره بهذا اللفظ الماورى فى تفسيره ( ٤/١٣٨ ) من قول ابن زيد ، وأورده عنه أبوحيان فى البحر المحيط ( ٨/٤٧٨ ) ولكن باللفظ الذى ذكره القوطى ، ثم ذكر أنه قيل : من أول الشهر إلى نصفه فى الغروب تغرب هى ثم يغرب هو ، وفى النصف الآخر يتحاوران ، وهو أن تغرب هى فيطلع هو " .

وذكر عن ابن سلام أنه قال فى النصف الأول من الشهر ، وذلك لأنه يأخذ موضعها ويسير خلفها إذا غابت يتبعها القمر طالماً " . وهذه الألفاظ كلها متقاربة فى المعنى .

إذا غربت الشمس طلعت القمر<sup>(١)</sup> . وقيل ، هو في أول ليلة من الشهر إذا غربت الشمس روى الهلال<sup>(٢)</sup> . وعلى الجملة القمر أحد النيرين ، وهو يتلو الشمس إذا استدار ، واستتم في إضاءة الدنيا<sup>(٣)</sup> .<sup>(٤)</sup>

(١) ذكر البغوي في تفسيره (٢٥١/٧) عن الزجاج أنه قال : " وذلك حين استدار يعني كمل ضوءه فصار تابعاً للشمس في الإضاءة ، وذلك في الليالي البيض " . وذكره أيضاً الرازي في تفسيره (١٨٩/٣١) والقرطبي في تفسيره (٧٣/٢٠) كلاهما عن الزجاج ، وذكره الزمخشري في الكشاف (٧٥٨/٤) دون عزو إلى أحد .

(٢) هو قول قتادة ، رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٠٨/٣٠) وذكره من قوله الماوردى في تفسيره (٤٦٢/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٨/٩) والرازي في تفسيره (١٨٩/٣١) والقرطبي في تفسيره (٧٣/٢٠) وأبوحيان في البحر المحيط (٤٧٨/٨) . وزاد الرازي فعزاه إلى الكلبى أيضاً .

وهناك أقوال أخرى ، منها ما قاله الفراء في معاني القرآن (٢٦٧/٣) وهو أن المراد من هذا التلو هو أن القمر يأخذ الضوء من الشمس يقال : فلان يتبع فلاناً في كذا : أى يأخذ منه " . ذكره الرازي والقرطبي وأبوحيان وزاد فعزاه إلى الحسن أيضاً ، ومنها ما ذكره الماوردى وابن الجوزي بقولهما : أنه فى الخامس عشر من الشهر يطلع القمر مع غروب الشمس ، عزاه الماوردى إلى الطبرى ، وقال ابن الجوزي : حكاه الماوردى ، ومنها ما ذكره الرازي بقوله : " إنّه يتلوها في كسر الحجم ، بحسب الحس ، وفق ارتباط مصالح هذا العالم بحركته ، وقوله ( بحسب الحس ) فأثبتت التجارب الحديثة بأن الشمس أكبر من القمر بأضعاف مضاعفة .

ومما قيل في معنى ( تلاها ) هو ما ذكره الماوردى بقوله " ويحتمل . . . أنه خلفها في الليل ، فكان له مثل مالها في النهار ، لأن تأثير كل واحد منهما فى زمانه ، فلشمس النهار ، وللقمر الليل .

(٣) فى النسختين ، ( استتمه ) والصواب ما أثبتته .

(٤) لعل المؤلف ذهب إلى اختيار قول الزجاج ، وذلك لأنه هو المشاهد المعروف - فاننا نرى أنه إذا استدار وكمل أو كان قريباً من الاستدارة والكمال أضاء العالم بنوره وفى هذا الوقت يطلع مع غروب الشمس ، ويبدو لى أيضاً أن هذا القول أرجح .



وقوله ( والنهار إذا جلاها ) فيه قولان أحدهما : جلى الظلمة فكنى  
عن الظلمة من غير ذكرها وهو كثير في كلام العرب . ( ١ )

والقول الآخر : / جلاها أى جلى الشمس لأن النهار إذا ارتفع اضمات ٣٣٢/ب  
الشمس وانبسطن . ( ٢ )

( ١ ) ذكره الفراء في معاني القرآن ( ٢٦٦/٣ ) قال : " جلى الظلمة ، فجاز الكناية  
عن الظلمة ، ولم تذكر لأن معناها معروف ، ألا ترى أنك تقول : أصبحت باردة  
وأمتباردة وهبت شملاً ، فكنى عن موهنات لم يجزلهن ذكر ، لأن معناها  
معروف " وذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٩ ) وقال : " يعنى : جلى  
الظلمة أو الدنيا ، وذكره ابن جرير في تفسيره ( ٢٠٨/٣٠ ) قال : " وكان  
بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى : والنهار إذا جلى الظلمة " ثم ذكر  
كلاماً نحو ما قاله الفراء ، واختاره البغوى والخازن في تفسيرهما ( ٢٥١/٧ ) إن  
لم يذكر غير . وذكره ابن الجوزى في زاد المسير ( ١٣٨/٩ ) والقرطبي فى  
تفسيره ( ٧٤/٢٠ ) وقال ابن الجوزى : وهذا قول الفراء واللفويين وقال  
القرطبي : وهذا قول الفراء والكلبي . وذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٧٥٨/٤ )  
والرازي فى تفسيره ( ١٩٠/٣١ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٧٨/٨ ) وذكر  
فى نفس السياق : أو أن الضمير عائد إلى الدنيا أو إلى الأرض " وقال الرازي :  
وهو قول الجمهور .

( ٢ ) ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٣٨/٩ ) من قول مجاهد ، والرازي فى تفسيره  
( ١٩٠/٣١ ) من قول الزجاج ، والزمخشري فى الكشاف ( ٧٥٨/٤ ) والقرطبي  
فى تفسيره ( ٧٤/٢٠ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٧٨/٨ ) . وأما الراجح من  
القولين فذهب ابن جرير فى تفسيره ( ٢٠٩/٣٠ ) إلى اختيار هذا القول : أى أن  
الضمير عائد إلى الشمس ، ولكنه لم يوفى القول الأول إن حكى أن لهذا القول  
وجهاً ، بينما استبعده أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن ( ٧١٠/٣ ) ووصفه  
بأنه قول بعيد لأن الظلمة لم يتقدم لها ذكر ، ووصف القول الثانى بأنه هو  
الظاهر البين من معناه ، وكذلك وصفه أبوحيان فى البحر المحيط  
( ٤٧٨/٨ ) فقال : " الظاهر : أن مفعول ( جلاها ) هو الضمير عائد  
على الشمس ، لأنه عند انبساط النهار تنجلي الشمس فى ذلك الوقت تمام  
الانجلاء " .

وذكر ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٥/٤ ) اختيار ابن جرير فقال : " وأما  
ابن جرير فاختر عود الضمير فى ذلك كله على الشمس لجرىان ذكرها " وذكر  
القول الأول نقلاً عن ابن جرير ، ثم قال : " ولو أن هذا القائل تأول ذلك  
بمعنى ( والنهار إذا جلاها ) أى البسيطة لكان أولى ولصح تأويله فى  
قوله تعالى ( والليل إذا يفسها ) فكان أجود وأقوى والله أعلم ،  
ولهذا قال مجاهد : ( والنهار إذا جلاها ) أنه كقوله تعالى ( والنهار  
إذا تجلى ) سورة الليل الآية ٢ . ويبدو لي أيضاً أن القول الثانى - أى  
أن الضمير فى ( جلاها ) يعود إلى الشمس - وذلك لأنهم فسروا الآية التى  
بمدها فقالوا : إن الضمير فى ( يفسها ) يعود إلى الشمس ، وبهذا تتفق  
الضمائر . انظر مجموع الفتاوى ( ٢٢٦/١٦ ) .

وقوله ( والليل إذا يغشاها ) يعنى إذا يفضى الشمس أى يستر ضوءها . (١)

وقوله ( والسما وما بناها ) معناه : ومن بناها . (٢)

(١) قال ابن جرير فى تفسيره (٢٠٩/٣٠) : " وقوله ( والليل إذا يغشاها ) يقول تعالى ذكره : والليل إذا يفضى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق " . ثم روى بسنده عن قتادة أنه قال : إذا غشاها الليل " .

وقد ذكر هذا القول - البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٥١/٧ ) ، وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٣٨/٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٧٤/٢٠ ) ، وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٧٨/٨ ) وقال : ونسبة ذلك إلى الليل مجاز " . وذكره الرازى أيضا فى تفسيره ( ١٩٠/٣١ ) وقال : " وهذه الآية تقوى القول الأول فى الآية التى قبلها من وجهين .

الأول : أنه لما جعل الليل يفضى الشمس ويزيل ضوءها حسن أن يقال : النهار يجلبها ، على ضد ما ذكر فى الليل .

والثانى : أن الضمير فى ( يغشاها ) للشمس بلا خلاف ، فكذا فى ( جلاها ) يجب أن يكون للشمس حتى يكون الضمير فى الفواصل من أول السورة إلى ههنا للشمس " وقول الرازى بأن الضمير فى ( يغشاها ) للشمس بلا خلاف يتمارض مع ما ذكره القرطبى فى تفسيره ( ٧٤/٢٠ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٧٨/٨ ) فذكر القرطبى أنه قيل : يفضى الدنيا بالظلم ، فتظلم الآفاق ، فالكناية ترجع إلى غير مذكور ، وذكر أبوحيان أنه قيل : الضمير عائد على الأرض ، ثم قال : والذى تقتضيه الفصاحة أن الضمائر كلها إلى قوله ( يغشاها ) عائدة على الشمس " ثم ذكر قضية أخرى فقال : " وكما أن النهار ( جلاها ) كان النهار هو الذى يغشاها ، ولما كانت الفواصل ترتب على ألفوها الموزنات ( والليل إذا يغشاها ) بالمضارع لأنه الذى ترتب فيه ، ولو أتى بالماضى كالذى قبله وبمده كان يكون التركيب ( إذا غشيتها ) فتفوت الفاعلة وهى مقصودة .

(٢) اختاره أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ٢٠٠/٢ ) : وذكره ابن جرير فى تفسيره

( ٢٠٩/٣٠ ) وقال : وضع " ما " موضع " من " كما قال : " ووالد وما ولد " سورة البلد الآية ٣ فوضع " ما " فى موضع " من " ومعناه : ومن ولد .

وذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٥١/٧ ) من قول الكلبي ، قال : قال الكلبي : ومن بناها وخلقها كقوله ( فأنكحوا ما طاب لكم من النساء " (سورة النساء الآية ٣) أى من طاب ، وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤٦٣/٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٣٩/٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٧٤/٢٠ ) كلهم من قول الحسن ومجاهد ، وزاد ابن الجوزى فذكر أبا عبيدة أيضا ، وقال القرطبى : وهو اختيار الطبرى وذكره ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٥/٤ ) من قول مجاهد .

وقيل : والذي بناها (١) .

وعن ابن الزبير (٢) : أنه سمع صوت الرعد فقال : سبحان ما سبحت له أى

الذى سبحت له (٣) . ويقال : وما بناها ، أى وبناها (٤) .

(١) ذكره البغوى فى تفسيره (٢٥١/٧) من قول عطاء ، وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٩/٩) فقال بعد أن ذكر القول السابق : وبعضهم يجعلها بمعنى (الذى) . وذكره أبو حيان فى البحر المحیط (٤٧٨/٨) من قول الحسن ومجاهد وأبى عبيدة ، وقال : واختاره الطبرى ، قالوا : لأن ( ما ) تقع على أولى العلم وغيرهم ، وما ذكره أبو حيان من أنه قول الحسن ومجاهد ، فهو خلاف ما ذكره أكثر المفسرين فإنهم نظوا عنهم القول بأن ( ما ) هنا بمعنى ( من ) وقد تقدم ذكره فى السابق ، وأشار إلى هذا القول النحاس فى إعراب القرآن (٧١١/٣) فقال : ومن قال : المعنى : الذى سواها أراد الله جل وعز ولو كان كما قال : لكان ( ومن ) .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام .

(٣) لم يجد من رواه عنه أو ذكره عنه ،

وقد ذكره الثعلبى فى تفسيره (٢٠/١٣) من قول أهل مكة ، قال : قال هارون قال أبو عمرو : أهل مكة يقولون للرعد : سبحان ما سبحت له الرعد \* وذكره القرطبى فى تفسيره (٧٤/٢٠) قال : " حكى عن أهل الحجاز . ثم ذكره .

(٤) ذكره ابن جريو فى تفسيره (٢٠٩/٣٠) قال بعد أن ذكر القول السابق : " وجاءت توجيه ذلك إلى معنى المصدر ، كأنه قال : والسما وبناها ، وذكره الماورى فى تفسيره (٤٦٣/٤) من قول قتادة ، . وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٣٩/٩) وقال : وهذا مذهب قتادة والزجاج . وذكره البغوى فى تفسيره (٢٥١/٧) وعزاه إلى الفراء والزجاج والقرطبى فى تفسيره (٧٤/٢٠) وعزاه إلى قتادة وقال : واختاره المبرد ، انظر أيضا البحر المحیط (٤٧٨/٨) . ولم يرض الزمخشري فى الكشاف (٧٥٩/٤) فقال : " جعلت " ما " مصدرية فى قوله ( وما بناها " وما طحاها " ( وما سواها ) وليس بالوجه لقوله ( فألهمها ) وما يؤدى إليه من فساد النظم ، والوجه أن تكون موصولة ، وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية ، كأنه قيل : والسما والقادر العظيم الذى بناها ، ونفس ، والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها " ووافق الرأى فى هذا الكلام ، انظر تفسيره (١٩٠/٣١) بينما رد عليه أبو حيان فى البحر المحیط (٤٧٩/٨) . والصواب أن كلا الوجهين صحيح ، وقال ابن كثير فى تفسيره (٥١٥/٤) بعد أن ذكر الوجهين " وكلاهما متلازم " وذلك لأن الفعل لا بد له من فاعل ، وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى اختيار القول بأن " ما " موصولة وأن التقدير : الذى بناها ، و " ما " فيها عموم وإجمال ، يصلح لما لا يعلم ، ولصفات من يعلم ، كقوله تعالى " لا أعبدون ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد " (سورة الكافرون الآية ٢ ، ٣) ثم قال : وهذا المعنى كما أنه ظاهر الكلام وأصله هو أكمل فى المعنى أيضا ، فإن القسم بالفاعل يتضمن الإقسام بفعله بخلاف الإقسام بمجرد الفعل \* .

انظر مجموع الفتاوى (١٦/٢٢٧ - ٢٢٨) .

وقيل ( والأرض وما طحاها ) أى ومن بسطها ، وقيل : والأرض وطحوها  
أى وبسطها<sup>(١)</sup> .

وقوله ( ونفس وما سواها ) أى ومن سواها<sup>(٢)</sup> ، وقد بينا معنى التسوية<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) تقدم ذكر الخلاف فى " ما " وبيان الراجح فيها فى الذى قبله . وأما معنى  
( طحاها ) فقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ٢ / ٢٠٠ ) " بسطها يمينا وشمالاً  
ومن كل جانب " .

وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٩ ) : " طحاها : أى بسطها ،  
قال : حىّ طاح ، أى كثير متسع " وذكره القوطى فى تفسيره ( ٢٠ / ٧٤ ) وقال :  
" كذا قال عامة المفسرين ، مثل دحاها " وقد ذكر ابن جرير فى تفسيره ( ٢٠٧٣٠ )  
والماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٢٦٣ ) ثلاثة أقوال فى معنى " طحاها " أحدها هو  
ما ذكره المؤلف ، يعنى : بسطها ، ورواه ابن جرير بسنده عن مجاهد أنه  
قال : دحاها ، وعن ابن زيد أنه قال : بسطها ، وعزاه الماوردى إلى سفيان  
وأبى صالح .

والثانى : معناه : قسمها ، رواه ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس  
وذكره الماوردى عن قول ابن عباس .  
والثالث : يعنى : وما خلق فيها .

رواه ابن جرير من طريق عطية العوفى عن ابن عباس ، وقال الماوردى : قاله  
عطية العوفى ، وذكر قولاً رابعاً بلفظ الاحتمال فقال : ويحتمل رابعاً أنه ما خرج  
منها من نبات وعميون وكنوز ، لأنه حياة لما خلق عليها " . وذكر ابن كثير فى  
تفسيره ( ٤ / ٥١٥ ) الأقوال الثلاثة الأولى وعزاه القول الأول يعنى أن معناه :  
بسطها إلى مجاهد وقتادة والضحاك والثورى والسدى وأبى صالح وابن زيد ، ثم  
قال : وهذا أشهر الأقوال ، وطلبه الأكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل  
اللغة ، ثم ذكر ما قاله الجوهرى فى الصحاح ( ٦ / ٢٤١١ ) و" طحوته مثل دحوته ،  
أى بسطته " .

( ٢ ) تقدم ذكر الخلاف فى " ما " قيل : ما بمعنى المصدر ، أى : تسويتها ، وقيل  
بمعنى ( من ) أى : ومن سواها ، وهو الله عز وجل .

( ٣ ) ذلك عند قوله تعالى ( الذى خلقك فسواك فعدلك ) سورة الانفطار الآية ٧ ، انظر

وقيل : هو اعتدال القامة .<sup>(١)</sup>

وقوله ( فآلهمها فجورها وتقواها ) أى عرفها وأعلمها .<sup>(٢)</sup>

وقال مجاهد والضحاك وغيرهما : جعل فى قلبه فجورها وتقواها .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ذكر الماورى فى تفسيره ( ٤٦٣/٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٤٦٣/٩ ) ،  
والزمخشري فى الكشاف ( ٧٥٩/٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٧٥/٢٠ ) قولين  
فى المراد بالنفس .

أحدهما : آدم ، وهو قول الحسن ، ولكن فى هذا القول بعد ، لما ذكر بعد هذا  
من أوصاف ، وهى تقتضى أن تكون للجنس ، فقوله ( قد أفلح من زكاهها ،  
وقد خاب من دساها ) يقتضى التفاير فى المزكى وفى المدسى . انظر  
البحر المحيط ( ٤٨١/٨ ) .

والقول الثانى : جميع النفوس ، وهو قول عطاء والتنكير للتكثير ، وهو اختيار  
البغوى فى تفسيره ( ٢٥١/٧ ) فإنه قال : ( ونفس وما سواها ) عدل خلقها  
وسوى أعضائها : قال عطاء : يريد جميع ما خلق من الجن والإنس " ونكسر  
الماورى على هذا القول ثلاثة أقوال فى معنى ( سواها ) أحدها : سوى بينهم  
فى الصحة ، وسوى بينهم فى العذاب جميعاً قاله ابن جريج ، والثانى : سوى  
خلقها وعدل خلقها ، قاله مجاهد .

وأما الثالث فذكره بلفظ الاحتمال قال : ويحتمل ثالثاً : سواها بالعقل  
الذى فضلها به على جميع الحيوانات .

وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٥/٤ ) عند تفسير هذه الآية : " أى خلقها  
سوية مستقيمة على الفطرة القويمية كما قال تعالى : ( فأقم وجهك للدين  
حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها " سورة الروم الآية ٣٠ ، ثم ذكر حديث  
كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .. الحديث  
متفق عليه من حديث أبى هريرة .

( ٢ ) قال ابن قتبية فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٢٩ ) : " ( فآلهمها فجورها وتقواها ) :  
أى عرفها فى الفطرة " . وقال ابن جريو فى تفسيره ( ٢١٠/٣٠ ) : " يقول  
تعالى ذكره : فبين لها ما ينهى لها أن تأتى أو تذر من خير أو شر ، أو طاعة  
أو معصية " ثم روى بسنده عن عديد من أئمة التفسير منهم ابن عباس ومجاهد  
وقتادة والضحاك ، كلهم صرحوا بأن معنى ( ألهمها ) بين لها وعرفها وأعلمها -  
انظر أيضاً لمعرفة هذا القول : تفسير مجاهد ( ٧٦٣/٢ ) وتفسير البغوى  
والخازن ( ٢٥١/٧ ) . وتفسير القرطبي ( ٧٥/٢٠ ) وقد ذكر الماورى فى تفسيره  
( ٤٦٣/٤ ) فى معنى ( ألهمها ) قولين : أحدهما : أعلمها ، قاله مجاهد  
وأما القول الثانى فسيأتى ذكره بعده .

( ٣ ) ذكر هذا القول ابن جريو فى تفسيره ( ٢١٠/٣٠ ) فقال بعد أن ذكر القول السابق :  
" وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله جعل فيها ذلك ، ثم روى بسنده عن  
ابن زيد أنه قال : جعل فيها فجورها وتقواها " . وذكره من قوله البغوى فى تفسيره

٠٠/٠٠

( ٢٥١/٧ ) قال : قال ابن زيد : جعل فيها ذلك يعنى بتوفيقه إياها للتقوى  
وخذلانه إياها للفجور \* .

وذكره أيضا من قوله ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤٠/٩ ) والرازى فى تفسيره  
( ١٩٢/٣١ ) .

هذا ولم أجد أحداً من المفسرين ذكر هذا القول عن مجاهد والضحاك فلعل  
المؤلف رحمه الله تعالى وهم فى عزوه إليهما . وقد ذكر البغوى فى تفسيره ( ٢٥١/٧ )  
وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤٠/٩ ) والرازى فى تفسيره ( ١٩٢/٣١ ) عن سعيد بن  
جبير أنه قال : ألزمها فجورها وتقواها . وهذا هو القول الثانى من القولين  
الذين ذكرهما الماورى وسبقت الإشارة إليه .

وذكر الرازى فى تفسيره ( ١٩٢/٣١ ) فى الآية وجهين .  
الأول : أن إلهام الفجور والتقوى : إلهامهما وإعقابهما ، وأن أحدهما حسن ،  
والآخر قبيح ، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما ، وهو كقوله ( وهديناهم النجدين )  
وهذا تأويل مطابق لمذاهب المعتزلة ، قالوا : ويدل عليه قوله بعد ذلك ( قد أفلح  
من زكاهنا ، وقد خاب من دساها ) .

والوجه الثانى : أنه تعالى ألهم المؤمن المثقى تقواه وألهم الكافر فجوره ، ثم  
ذكر قول سعيد بن جبير وابن زيد السابق ذكرهما . والوجه الأول الذى قال فيه  
الرازى إنه تأويل مطابق لمذاهب المعتزلة فقد صرح به الزمخشري فى الكشاف ( ٧٥٩/٤ )  
وذكره عنه أبو حيان فى البحر المحييط ( ٤٨١/٨ ) وقال : " وفيه دسيسة الاعتزال " .  
وفى حقيقة الأمر ليس فى الآية أدنى إشارة إلى ما يذهب إليه المعتزلة من إنكار خلق  
الله تعالى لأفعال العباد ، وأنهم هم الخالقون لأفعالهم ، بل بالعكس من ذلك  
فالآية فيها رد عليهم وعلى الجبرية أيضا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ( ٢٣٠/١٦ ) : " وهو سبحانه  
وتعالى مع ما ذكر من عموم خلقه لجميع الموجودات على مراتبها حتى أفعال العباد  
المنقسمة إلى التقوى والفجور بين انقسام الأفعال إلى الخير والشر ، وانقسام الفاعلين  
إلى مطيع وخائب ، سعيد وشقى ، وهذا يتضمن الأمر والنهى والوعد والوعيد ،  
فكان فى ذلك رد على القدرة المجوسية الذين يخرجون أفعال العباد عن خلقه وإلهامه  
وعلى القدرة المشركية الذين يبطلون أمره ونهيه ووعده ووعيد احتجاجاً بقضائه وقدره " .  
انظر أيضا شرح العقيدة الطحاوية ( ص ٤٩٦ - ٤٩٧ ) .

وهو أولى من القول الأول ، لأن الإلهام في اللغة فوق التعريف والاعلام . وقال الزجاج : خذ لها للفجور ووقفها للتقوى <sup>(١)</sup> -  
( قد أفلح من زكاها ) على هذا وقع القسم ، والمعنى قد أفلحت نفس زكاها الله .

( ١ ) قال البغوى في تفسيره ( ٢٥١/٧ ) بعد أن ذكر قول ابن زيد ( جعل فيهنما ذلك يعنى بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور ) : واختار الزجاج هذا ، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان ، وهذا يبين أن الله عز وجل خلق في المؤمن التقوى ، وفي الكافر الفجور ، .

وذكر الرازى أيضا في تفسيره ( ١٩٢/٣ ) أن الزجاج والواحدى اختاروا ذلك ، ثم نقل عن الواحدى أنه قال : " التعليم والتعريف والتبيين غير ، والإلهام غير ، فإن الإلهام هو أن يوقع الله في قلب العبد شيئا ، وإذا أوقع في قلبه شيئا فقد ألزمه إياه ، وأصل معنى الإلهام من قولهم : لهم الشئ ، والتهمة إذا ابتلعه ، والهتمة ذلك الشئ أى أبلعته ، وهذا هو الأصل ، ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد ، لأنه كالإبلاع ، فالتفسير الموافق لهذا الأصل قول ابن زيد ، وهو صريح في أن الله تعالى خلق فى المؤمن تقواه وفى الكافر فجوره " .

( ٢ ) صرح به ابن جرير في تفسيره ( ٢١٢/٣٠ ) : والماوردى فى تفسيره ( ٤٦٤/٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٥٢/٧ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٧٦/٢٠ ) ونقل ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤١/٩ ) عن الزجاج أنه قال : " هذا جواب القسم ، والمعنى : لقد أفلح ، ولكن اللام حذف ، لأن الكلام طال ، فصار طوله عوضاً منها " .

كذا نقل عنه القرطبى وأبوحيان أيضا . انظر البحر المحيط ( ٤٨١/٨ ) ، وذكرنا قولاً آخر وهو أن الجواب محذوف ، تقديره : لتبعثن .  
وقال الزمخشرى فى الكشاف ( ٧٦٠/٤ ) : " فإن قلت أين جواب القسم ؟ قلت : هو محذوف ، تقديره : ليهد مد من الله عليهم ، أى على أهل مكسة لتكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما دمد على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً " وأما " قد أفلح من زكاها " فكلام تابع لأوله ، لقوله : " فآلهمها فجروها وتقواها " على سبيل الاستطراد ، وليس من جواب القسم فى شئ " وذكر القرطبى فى تفسيره ( ٧٧/٢ ) قولاً ثالثاً وهو أنه على التقدير والتأخير بغير حذف ، والمعنى : قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها " والشمس وضحاها " .

وقوله ( وقد خاب من دساها ) أى وخاب نفس دساها الله ، وقيل :  
أفْلَح من زكى نفسه وأصلحها وخاب من أحمَد نفسه ودساها<sup>(٣)</sup> ، فعلى هذا

(١) كذا فى الأصل ، والصواب ( خابت ) كما يقتضيه السياق .

(٢) قال الفراء فى معانى القرآن (٢٦٧/٣) :

" يقول : قد أظلمت نفس زكّأها الله ، وقد خابت نفس دساها " .  
وقال البغوى فى تفسيره (٢٥٢/٧) : " ( قد أفْلَح من زكّأها ) : أى فازت  
وسعدت نفس زكّأها الله ، أى أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (   
( وقد خاب من دساها ) أى خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها .

وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٤١/٩) من قول ابن عباس ومقاتل والفراء  
والزجاج - انظر أيضا تفسير القوطى (٧٧/٢٠) والبحر المحيط (٤٨١/٨)  
وتفسير ابن كثير (٥١٦/٤) وقد أشار إليه الزمخشرى فى الكشاف (٧٦٠/٤)  
فقال : " وأما قول من زعم أن الضمير فى زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث  
الراجع إلى ( من ) لأنه فى معنى النفس ، فمن تعكيس القدرية الذين يوركون  
( وَرَكَ فلان ذنبه على غيره إذا قَرَفَه به ) على الله قادراً هو بربى منه  
ومتعال عنه ، ويحيون لياليمهم فى تمحل فاحشة ينسبون لها إليه " .

وهو تشنيع على أهل السنة القاظين بأن كل ما يقع فى الكون هو بقضائه تعالى  
وقدره خيراً كان أو شراً ، وبخلقه تعالى وإرادته قبيحاً كان أو حسناً ، من أفعال  
العباد أو من غيرها .

وقد أورد أبو حيان فى البحر المحيط (٤٨١/٨) كلام الزمخشرى ثم قال :  
" فجرى على عادته فى سب أهل السنة ، هذا وقائل ذلك هو بحر العلم  
عبد الله بن عباس . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : وزكّأ أنت خير من زكّأها "  
وسياتى ذكر هذا الحديث عند المؤلف ، وأما قول ابن عباس فرواه الطبرى فى  
تفسيره (٢١١/٣٠) من طريق عيسى بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال :  
" قد أفْلَح من زكى الله نفسه " .

(٣) ذكر هذا القول أيضا الفراء فى معانى القرآن (٢٦٧/٣) فقال بعد ذكره للقول

السابق : ويقال : قد أفْلَح من زكى نفسه بالطاعة والصدقة ، وقد خاب من دسى  
نفسه فأخطأها بترك الصدقة والطاعة " واختاره ابن قتبية فى تفسير غريب القرآن (٥٣٠)  
وذكره البغوى فى تفسيره (٢٥٢/٧) من قول الحسن ، وابن الجوزى فى زاد المسير



٠٠/٠٠

( ١٤١/٩ ) من قول قتادة وابن قتيبة ، وقال ابن كثير في تفسيره ( ٤١٦/٤ ) : يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه أى بطاعة الله كما قال قتادة ، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل ، يورى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، وكقوله تعالى ( قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ) ( سورة الأعلى الآية ١٤ ، ١٥ ) .  
 وقطع بذلك الزمخشري في الكشاف ( ٧٥٩/٤ ) إن وجد فيه تأييداً لمذهبه الاعتزالي فقال : جعله فاعل التركيبة والتدسية وتولييهما \* . واستدل به على أن العبد هو الفاعل الحقيقى لأفعاله الاختيارية ، والصواب كما تقدم .

وأما الراجح من القولين فقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٨١/٨ ) \* والظاهر أن فاعل زكى ودسى ضمير يعود على ( من ) . وهذا الذى يبب وأن شيخ الإسلام ابن تيمية اختاره فى مجموع الفتاوى ( ٢٣١/١٦ ) إن ضعف القول بأن الضمير عائد إلى الله وقال : وهذا مخالف للظاهر ، بعيد عن نهج البيان الذى ألف عليه القرآن ، إن كان الأحسن \* قد أظلمت من زكاها الله ، وقد خابت من دساها \* .

وأما القول الأول ( أى أن الضمير يعود إلى الله تعالى ) فيشهد له قول النسبى صلى الله عليه وسلم عند قراءة هذه الآية \* رب أعط نفسى ثقواها ، وزكها أرت خير من زكاها \* الحديث ، وهو مروى من طرق عديدة ، وسيأتى تخريجه قريباً .

قوله ( دساها ) أى دسها (١) - مثل قول الشاعر (٥) :  
تقضى البازى إذا البازى انكسر (٣)  
أى تقضى البازى .

قال الفراء : العامل بالفجور خامل عند الناس غامض الشخص منكسر  
الرأس والمتقى عال مرتفع . (٤)

(١) قال الفراء فى معانى القرآن (٢٦٧/٣) :

" ونرى - والله أعلم - أن دساها من (دسنت ، بدلت بعض سيناتها  
يا ، كما قالوا : تظنيت من الظن ، وتقميت من تقضى البازى " .

وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٣٠٠/٢) : " هى من دسنت والعرب  
تقلب حروف المضاعف إلى اليا " .

وقال القرطبي فى تفسيره (٧٧/٢٠) " قال أهل اللغة : والأصل : دسها  
، من التدسيس ، وهو إخفاء الشئ فى الشئ " ، فأبدلت سینه يا ، كما يقال :  
قصيت أظفارى ، وأصله قصصت أظفارى " .  
انظرا أيضا تفسير الطبرى (٢١٢/٣٠) وتفسير البغوى (٢٥٢/٧) وزاد السير  
(١٤١/٩ - ١٤٢) والمفردات للراغب (ص ١٦٩) .

(٢) هو العجاج .

(٣) انظر ديوانه (ص ٤٢) وفيه ( كسر ) بدل ( انكسر ) وأشدّه أبو عبيدة فى مجاز  
القرآن (٣٠٠/٢) وابن جرير فى تفسيره (٢١٢/٣٠) .

(٤) لم أجد هذا الكلام فى معانى القرآن (٢٦٧/٣) سوى أنه قال فى معنى الآية :  
وقد خاب من دسسى نفسه ، فأخلمها بترك الصدقة والطاعة " .

وذكر القرطبي فى تفسيره (٧٧/٢٠) نحو هذا المعنى ، فقال بعد أن ذكر  
ما كانت تفعله أجواد العرب ، ولثامهم : " وكذا الفاجر أهدأ خفى المكان زمير  
( ظليل ) المروءة ، غامض الشخص ، ناكس الرأس بركوب المعاصى " .

وقال ثعلب : (١) من دسّها أي أغواها (٢) ، وعنه أنه قال : دساها أي دس  
نفسه في أهل الخير وليس منهم (٣) . قال الشاعر :  
وَأَنْتَ الَّذِي دَسَّيْتَ عَمْرًا فَأَصْبَحَتْ حِلَاظُهُ مِنْهُ أَرْمِلٌ ضَيْعًا (٤)

(١) هو إمام النحو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١٤/١٣) عن المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي  
أنه قال : دسّيت : أغويت وأفسدت .

وذكره الماوردي في تفسيره (٤٦٤/٤) فقال بعد أن ذكر أن في (دساها)  
سبعة تأويلات : أحدها : أغواها وأغلبها ، قاله مجاهد وسعيد بن جبير ، لأنه  
دسّى نفسه في المعاصي ، وبه قال مجاهد في تفسيره (٧٦٤/٢) وذكر القرطبي  
في تفسيره (٧٧/٢٠) عن ابن عباس أنه قال : " خابت نفس أغلبها وأغواها " .

وقال الرازي في تفسيره (١٩٤/٣١) بعد أن ذكر خمسة أوجه في معني  
(دساها) وهي كلها موافقة لمذهب المعتزلة أما أصحابنا فقالوا :

المعنى خابت وخسرت نفس

أغلبها الله تعالى وأغواها وأفجرها وأبطلها وأهلكها ، هذه ألفاظهم في تفسير  
دساها " انظر أيضا لسان العرب (٢٥٦/١٤) .

(٣) قال الأزهري في تهذيب اللغة (٢٨١/١٢) : " قال أبو عبد الله (ثعلب)  
سألت ابن الأعرابي عن قول الله جل وعز ، قد أفلح من زكاه ، وقد خاب من  
دساها " فقال : معناه : من دس نفسه مع الصالحين وهو ليس منهم .

وذكره القرطبي في تفسيره (٧٧/٢) من قول ابن الأعرابي " وذكره الرازي في تفسيره  
(١٩٤/٣١) ضمن الأوجه التي توافق مذهب المعتزلة . وذكره أبو حيان أيضا في  
البحر المحيط (٤٨١/٨) قال : " دساها في أهل الخير بالريا " وليس منهم " .

(٤) أورده الأزهري في تهذيب اللغة (١٤/١٣) عن المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي

أنه أنشد لرجل من طي " إلا أنه قال في الشطر الثاني :

.....  
تساوهم منهم أرميل ضيعة

وأورده ابن منظور في لسان العرب (٢٥٦/١٤) وقال :

.....  
تساوهم منهم أرميل ضيعة

وأشده الماوردي في تفسيره (٤٦٤/٤) وقال :

.....  
حلاظهم فيهم أرميل ضيعة

وأشده القرطبي في تفسيره (٧٧/٢٠) وقال :

.....  
حلاظته منه أرميل ضيعة

وقال ابن منظور : دسّيت أغويت وأفسدت ، وعمرو قبيلة .

وقوله : دساها ههنا أهلكت<sup>(١)</sup> ، فعلى هذا معنى قوله ( وقد خاب من دساها ) أى أهلكها بالمعاصي<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) كذا فى الأصل ، ولعمل الصواب ( دسيت ها هنا أهلكت ) .

( ٢ ) ذكره الرازى فى تفسيره ( ١٩٤ / ٣١ ) وذكر الماورى فى تفسيره ( ٤٦٤ / ٤ - ٤٦٥ )

سبعة أقوال فى معنى ( دساها ) أحدها : هو ما تقدم : أى أغواها وأضلها والثانى : إثمها وفجورها ، قاله قتادة ، ( كذا فى تفسير الماورى ) .  
والثالث : خسرها ، قاله عكرمة ، والرابع : كذبها ، قاله ابن عباس .  
والخامس : أشقاها ، قاله ابن سلام ، والسادس : جنبها فى الخير وهذا قول الضحاك ، السابع : أخفاها وأخطبها بالبخل ، حكاه ابن عيسى ، وأما الرازى فذكر أولاً أن دساها أصله دسها من التدسيس ، وهو إخفاء الشئ فى الشئ ، فأبدلت إحدى السينات ياء ، ثم ذكر فى تفسيرها خمسة أوجه وعرف كلها بأنها توافق قول المعتزلة .

أحدها : أن أهل الصلاح يظهرون أنفسهم وأهل الفسق يخفون أنفسهم ويدسونها فى المواضع الخفية ، والثانى : هو الذى تقدم نقلًا عن الأعرابى ، والثالث : من دساها فى المعاصى حتى انغمس فيها ، والرابع : من دس فى نفسه الفجور ، وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع أهلها ، والخامس : أن من أعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصى صارها ملاً متروكاً منسياً ، فسار كالشئ المدسوس فى الاختفاء والخمول . وهذه الأوجه كلها مبنية على أن الضمير فى ( دساها ) يعود على ( من ) وأن الفعل للإنسان ثم قال : وأما أصحابنا فقالوا : المعنى خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأغواها

وأفجرها وأبطلها وأهلكها ، وهذه ألفاظهم فى تفسير ( دساها ) وهذه الأوجه مبنية على أن الضمير يعود على الله تعالى وأن الفعل لله تعالى ، وقد تقدم ذكر الخلاف فى ذلك - أى عود الضمير فى ( دسى ) . وأما الأوجه التى ذكرها

الرازى عن المعتزلة فى تفسير الآية فإن كان المراد منها هو ما يعتقدونه من أن العبد خالق لأفعاله ، لا تأثير فيها لله سبحانه وتعالى فهو باطل ، وكذلك ما ذكره الرازى عن أصحابه فإن كان المراد هو ما يعتقدونه الجبرية من أن العبد مجبور ، لا اختيار له فى أفعاله فهو باطل أيضاً . والصواب ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة فأنهم يثبتون للعبد الخيار فى سلوكه طريق الخير والشو ،

كما يقولون بأن الله سبحانه وتعالى خالق لأفعال العباد .  
انظر للتفصيل شرح العقيدة الطحاوية ( ص ٤٩٣ - ٤٩٨ ) .

وروى نافع بن عمر الجمحي<sup>(١)</sup> عن ابن أبي مليكة<sup>(٢)</sup> قال قالت عائشة رضي الله عنها انتبهت ليلة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : اعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها<sup>(٣)</sup> .

قال رضي الله عنه أخبرنا بذلك أبو الغنائم عبد الصمد بن علي العباس<sup>(٤)</sup> أخبرنا

( ١ ) هو نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحي الحافظ المكي ، روى عن ابن أبي مليكة وغيره وعنه داود بن عمر والضبي وغيره . ثقة ثبت ، مات سنة تسع وستين ومائة . انظر تهذيب التهذيب ( ٤٠٩ / ١٠ ) وتقريب التهذيب ( ٣٥٥ ) .

( ٢ ) هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة . تقدمت ترجمته .

( ٣ ) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ٢٠٩ / ٦ ) بسنده عن نافع بن عمر عن صالح بن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من منجعه فلمسته بيدها ف وقعت عليه وهو ساجد وهو يقول : رب اعط نفسي تقواها . . . . الحديث بمثله .

وأورد ابن كثير في تفسيره ( ٥١٦ / ٤ ) وقال : تفرد به أحمد ، وقد رواه عديد من الصحابة ، منهم زيد بن أرقم ، فروى مسلم في صحيحه ( ١٤ / ١٧ ) بسنده عنه أنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كان يقول : " اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . . . . الحديث .

وقد جمع ابن كثير في المصدر السابق له عدة روايات في هذا الحديث .

( ٤ ) هو أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد بن الحسن بن الفضل بن المؤمن بن

الرشيد الهاشمي العباسي البغدادي شيخ المحدثين ببغداد ، ذكر الذهبي عن أبي سعد السمعاني أنه قال : كان ثقة صدوقاً ، نبيلاً ، مهيباً ، كثير الصمت ، تعلوه سكينه ووقار ، وكان رئيس آل المؤمن وزعيمهم ، طعن في السن ، ورحل إليه الناس ، وانتشرت روايته في الآفاق ، وقال الخطيب : كتبت عنه كان صدوقاً .

توفى سنة خمس وستين وأربعمائة .

انظر تاريخ بغداد ( ٤٦ / ١١ ) ، وسير أعلام النبلاء\* ( ٢٢١ / ١٨ ) .

أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى أخبرنا البغوي أخبرنا داود بن عمرو الضبي<sup>(٢)</sup> عن نافع ابن عمر الحدِيث .

وقوله ( كذبت ثمود بطفواها ) أي بطفيانها<sup>(٣)</sup> ، ويقال : بأجمعها<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) هو عيسى بن الوزير علي بن عيسى بن داود بن السخراح أبو القاسم ، سمع أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي وغيره .  
قال الخطيب البغدادي : وكان ثبت السماع ، صحيح الكتاب ، وذكر عن محمد بن أبي الفوارس : وكان يرمى بشي من مذهب الفلاسفة ، توفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة .  
انظر تاريخ بغداد ( ١١ / ١٧٩ - ١٨٠ ) .

( ٢ ) هو داود بن عمرو بن زهير بن عمرو بن جميل الضبي أبو سليمان البغدادي ، ثقة ، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وهو من كبار شيوخ مسلم .  
انظر تقريب التهذيب ( ٩٦ ) .

( ٣ ) قال الفراء في معاني القرآن ( ٣ / ٢٦٧ ) : " أراد ( بطفيانها ) إلا أن الطغوى أشكل برؤس الآيات ، فاختر لذلك ، ألا ترى أنه قال ( وآخر داعواهم أن الحمد لله ) ومعناه آخر دعائهم ، واختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣ ) فقال : " أي كذبت الرسول إليهما بطفيانها " .

وذكر ابن جريو في تفسيره ( ٣٠ / ٤٢١ ) والبطغوى في تفسيره ( ٧ / ٢٥٣ ) ، والماوردي في تفسيره ( ٤ / ٤٦٥ ) إلا أنه قال : " بطفيانها ومعصيتها " وعزاه إلى مجاهد وقتادة .

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ١٤٢ ) : والقرطبي في تفسيره ( ٢٠ / ٧٨ ) قال : " كذبت ثمود بطفواها " أي بطفيانها ، وهو خروجها عن الحد فسي المعصيان ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما ، انظر أيضا تفسير ابن كثير ( ٤ / ٩٧ ) .  
وقال الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٧٦٠ ) : " والبطغوى : من الطغيان ، فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات اليا ، بأن قلبوا اليا واوا في الاسم ، وتركوا السقف في الصفة " وذكره القرطبي أيضا في تفسيره ( ٢٠ / ٧٨ ) وذكره الراغب أيضا في المفردات ( ص ٣٠٤ ) أن الطغوى اسم من الطغيان .

( ٤ ) هو قول محمد بن كعب القرظي ، ذكره ابن جريو في تفسيره ( ٣٠ / ٢١٣ ) ورواه بسنده عن القرظي ، وذكره من قوله - الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٤٦٥ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢ / ٧٨ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٥١٧ ) وهناك قول آخر رواه ابن جريو بسنده عن ابن عباس أنه قال : اسم العذاب الذي جاءها الطغوى ، فقال : كذبت ثمود بعذابها ، ذكره الماوردي فقال بعد أن ذكر القولين السابقين : والثالث : بعذابها قاله ابن عباس ، قالوا : كان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى ، انظر أيضا الكشاف ( ٤ / ٧٦٠ ) وتفسير الرازي ( ٣١ / ١٩٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠ / ٧٨ ) ورجح ابن كثير بعد أن ذكر قول القرظي القول بأن الطغوى فسي معنى الطغيان ، يخبر الله تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبقى . انظر تفسيره ( ٤ / ٥١٧ ) وقال النحاس في إعراب القرآن ( ٣ / ٧١٢ ) : " الطغوى والطغيان واحد ، إلا أن عطاء الخراساني روى عن ابن عباس قال : بطفواها بعذابها ، والبطغوى : اسم العذاب ، ثم قال : وهذا يصح على حذف أي بعذاب طفواها مثل وأسأل القرية .

وقوله ( إذ انبعث أشقاها ) هو قُدَّار بن سَلِيف (١) ، وقد بينا من قبل (٢) .  
وروى رشدي بن (٣) عن يزيد بن عبد الله بن أسامة (٤) عن عثمان بن صهيب عن أبيه (٥) (٦)

(١) ذكره البهوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٥٣/٧ ) قال : " هو قُدَّار بن سَلِيف ، وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً ، قام لعقر الناقة " وذكره ابن جرير في تفسيره ( ٢١٤/٣٠ ) والزمخشري في الكشاف ( ٧٦٠/٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٤/٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٧٨/٢٠ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥١٧/٤ ) ، وهذا أحد القولين اللذين ذكرهما بمعنى المفسرين ، والقول الثاني : يجوز أن يكونوا جماعة ، وإنما جاء على لفظ الواحدان لتسويتك في أفعال التفضيل إذا أضفته بسين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، ويتأكد ذلك بقوله ( فكذبوه فعقروها ) - ذكره الزمخشري والرازي والقرطبي . ويبدو لي أن القول الأول هو أن العاقر للناقة رجل واحد ولما كان القوم راغمين بعطه نسب إلى الجميع ، والدليل على أن الذي عقرو الناقة رجل واحد هو ما أخرجه البخاري في صحيحه ( ٧٠٥/٨ ) بسنده عن عبد الله بن زمعة أنه سمى النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، وذكر الناقة والذي عقرو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا انبعث أشقاها ) انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة . . . الحديث .

(٢) انظر الأصل ( ٢٤٦/٢ ، ١ ، ب ) .

(٣) هو رشدي بن بكسر الراء وسكون الهمجمة) بن سعد بن مفلح المَهْرِي أَبُو الْحِجَابِ المصْرِي ، ضعيف ، رجع أبوحاتم عليه ابن لهيعة . وقال ابن يونس : كان صالحاً في دينه ، فأدركته غلظة الصالحين فخلط في الحديث ، مات سنة ثمان وثمانين ومائة وله ٧٨ سنة ، تقريب التهذيب ١٠٣ .

(٤) في النسختين ( يزيد بن عبد الله بن سلامة ) والصواب ما أثبتته كما في ترجمته ، وهو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي أبو عبد الله المدني . ، ثقة مكثر ، مات سنة تسع وثلاثين ومائة .

انظر تهذيب التهذيب ( ٣٣٩/١١ ) وتقريب التهذيب ( ٣٨٣ ) .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ( ١٥٤/٦ ) وقال : روى عن أبيه ، روى عنه يزيد بن عبد الله بن الهاد ، وجعفر بن أبي كثير \* ولم يذكر فيه شيئاً من الجرح والتعديل .

(٦) هو صهيب بن سنان بن مالك ، أبو يحيى الرومي تقدمت ترجمته في ص ( ٢٢٩ ) .

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : من أشقى الأولين ؟ قال : عاقر الناقة . قال : صدقت ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال : قلت : لا أعلم يا رسول الله . قال : الذي يضربك على هذه وأشار بيده إلى يافوخه (١) . قال - رضي الله عنه : أخبرنا بهذا كريمة بنت أحمد (٢) قالت : أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٢٩١/٥) : " يافوخ الصبي : هو الموضع الذي يتحرك من وسط رأس الطفل ، ويجمع على يافوخ ، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥/٨ رقم ٧٣١١) بسنده عن رشدين بن سعد عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن عثمان بن صهيب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوماً لعلي رضي الله عنه : . . . ثم ذكر الحديث بنحوه ، وزاد في آخره : فكان علي رضي الله عنه يقول لأهل العراق : " أما والله لو ددت أنه قد ابتعث أشقاكم فحضب هذه - يعني لحيته - من هذه ، ووضع يده على مقدم رأسه ، وأشار إليه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٦) وعزا تخريجه إلى الطبراني وابن مردويه وأبي نعيم ، وأوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦/٩) وقال : " ورواه الطبراني وأبو يعلى ، وفيه رشدين بن سعد ، وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات " ، . ولكن صح ابن حجر كما تقدم عنه بضعف رشدين ، وللحديث شواهد أخرى من حديث عمار بن ياسر وجابر بن سمرة وغيرهما ، ولكن في جميعها مقال . انظر الدر المنثور (٣٥٧/٦) ومجمع الزوائد (١٣٦/٩) .

(٢) هي كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المرزوية أم الكرام المجاورة بحرم الله ، سمعت من زاهر بن أحمد السرخسي وغيره ، وروى عنها المؤلف وغيره ، قال فيها الذهبي : الشيخة العالمة الفاضلة المسندة ، وكانت إذا روت قابلت بأصلها ، ولها فهم ومعرفة مع الخير والتمبذ . روت الصحيح مرات كثيرة " ماتت في سنة ثلاث وستين وأربع مائة .

سير أعلام النبلاء\* (٢٣٣/١٨ - ٢٣٤) .

(٣) في النسختين ( أبو علي زاهد بن أحمد ) والصواب ما أثبتته ، كما في ترجمته ، وهو زاهر بن محمد بن عيسى أبو علي السرخسي ، ولد سنة أربع ومائتين ، وسمع أبا لبيد محمد بن إدريس السامي وأبا القاسم البغوي وغيرهما ، وعنه كريمة المرزوية المجاورة ، وخلق سواها وصفه الذهبي بقوله : الإمام العلامة ، فقيه خراسان ، شيخ القراء والمحدثين ، توفي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وله ست وتسعون سنة . انظر سير أعلام النبلاء\* (٤٧٧/١٦) .



أخبرنا محمد بن إدريس السامى<sup>(١)</sup> أخبرنا سويد بن سعيد<sup>(٢)</sup> عن رشدين الخير - وهو غريب .

وقوله ( فقال لهم رسول الله )<sup>(٣)</sup> / وهو صالح<sup>(٤)</sup> .  
وقوله ( ناقة الله وسقياها ) أى نروا ناقة الله وسقياها<sup>(٥)</sup> .  
أ/٣٣٤

(١) فى النسختين ( الشافعى ) وهو خطأ والصواب ( السامى ) كما فى سير أعلام النبلاء - وهو أبو لبيد محمد بن إدريس بن إياس السامى السرخسى ، سمع سويد بن سعيد وغيره ، وعنه زاهر بن أحمد السرخسى وغيره ، قال فى الذهبى : الإمام المحدث الرحال الصادق ، وعمّر دهره ، ورحل الناس إليه ، مات سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة ، وله نيف وتسعون سنة .  
انظر المصدر السابق ٤٦٤/١٤ .

(٢) هو سويد بن سعيد بن سهل الهروى الأصل ، ثم الحدثنى ويقال له الأنبارى ، أبو محمد . صدوق فى نفسه ، إلا أنه عمى فصار يتلقن ما ليس من حديثه وأفحش فيه ابن معين القول ، مات سنة أربعين ومائتين ، وله مائة سنة .  
انظر تهذيب التهذيب ( ٢٧٢/٤ ) وتقريب التهذيب ( ١٤٠ ) .

(٣) زاد فى الأصل : ( صلى الله عليه وسلم ) .

(٤) يوجد اتفاق بين المفسرين فى أن المراد برسول الله هو صالح .

(٥) ذكر البغوى فى تفسيره ( ٢٥٣/٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤٣/٩ ) عن الزجاج أنه قال : منصوب على معنى " نروا ناقة الله " وذكره القرطبى فى تفسيره ( ٧٨/٢٠ ) قال : " وقيل : نروا ناقة الله ، كما قال : " ههنا ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ، ولا تمسوها يسؤا فياخذكم عذاب أليم " ( سورة الأعراف الآية ٧٣ ) .

وذكر بعضهم أنه منصوب على التحذير - كقولهم : الأسد الأسد ، والتقدير : احذروا ناقة الله .

قال أبو حيان فى البحر المحيطة ( ٤٨١/٨ - ٤٨٢ ) : " وهو منصوب على التحذير مما يجب إغمار عامله لأنه قد عطف عليه فصار حكمه بالعطف حكم المكرر ، كقولك الأسد الأسد ، أى احذروا ناقة الله وسقياها فلا تفعلوا ذلك " .

وممن صرح بأنه منصوب على التحذير وأن التقدير : احذروا ناقة الله وسقياها - الفراء فى معانى القرآن ( ٢٦٨/٣ ) وابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ٥٣٠ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٢١٤/٣٠ ) والنحاس فى إعراب القرآن ( ٧١٤/٣ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٥٣/٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤٢/٩ ) والرازى فى تفسيره ( ١٩٥/٣١ ) وليس هناك اختلاف كبير بين القولين ولذلك قال الزمخشرى فى الكشاف ( ٢٦٠/٤ ) : ( ناقة الله ) نصب على التحذير ، كقولك : الأسد الأسد والصبي الصبي ، بإضمار نروا أو احذروا عقروها ، وقال مكى بن أبى طالب فى مشكل إعراب القرآن ( ٤٧٧/٢ ) : " نصب على الإغراء ، أى احذروا ناقة الله " والأنسب أن يقول : على التحذير ، لأن التقدير يختلف وإن كان الحكم واحداً .

ومعنى سقيها : شربها (١) - على ما قال في موضع آخر ( لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ  
يَوْمَ مَعْلُومٍ ) (٢) .

وقوله ( فكذبوه فعقروها ) أى فكذبوا صالحاً وعقروا الناقة . (٣)

وقوله ( فدمد عليهم ربهم بذنبيهم ) عن ابن الزبير أنه قرأ فدهدم (٤)

عليهم ربهم ، وهو معنى القراءة المعروفة . (٥) ويقال : دمد - أى غضب عليهم

ربهم ، ( يقال : فلان يدمد إذا كان يتكلم بغضب ) (٦)

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٣/٩) " قال المفسرون : سقيها : شربها من  
الماء ، والمعنى : لا تتعرضوا ليوم شربها ، انظر أيضاً تفسير البيهقي (٢٥٣/٧) ،  
وتفسير القرطبي (٧٨/٢٠) - وقال الراغب في المفردات (ص ٢٣٥) : " السقي  
والسقي أن يعطيه ما يشرب " .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٥٥ .

(٣) قال البيهقي في تفسيره (٢٥٣/٧) : " ( فكذبوه ) يعنى صالحاً ، ( فعقروها )

يعنى الناقة . وقال القرطبي في تفسيره (٧٩/٢٠) : " ( فكذبوا ) أى كذبوا  
صالحاً عليه السلام فى قوله لهم : " إنكم تعدسون إن عقرتوها " ( فعقروها )  
أى عقروا الأشقي ، وأضيف إلى الكل لأنهم رضوا بفعله ، وقال قتادة : ذكر لنا  
أنه لم يعقروها حتى تابعة صغيرهم وكبيرهم ، وذكروهم وأنشاهم " وذكره الرازي  
فى تفسيره (١٩٥/٣١) وقال : وهو قول أكثر المفسرين " .

وقال أبوحيان فى البحر المحيط (٤٨٢/٨) : " وأسند العقول للجماعة لكونهم  
راضين به ومتمثلين عليه " .

وقال الفراء فى معانى القرآن (٢٦٨/٣) " يقال : إنهما كانا اثنين فلان  
ابن دهر ، والآخر قدار ، والصواب هو ما عليه أكثر المفسرين وهو أن السدي  
عقروا واحد ، يدل عليه قول تعالى " فتعاطى فعقر " سورة القمر الآية ٢٩ .

(٤) فى النسختين ( أنه فدمد ) والتصويب من تفسير القرطبي وغيره .

(٥) ذكر القرطبي فى تفسيره (٧٩/٢٠) وأبوحيان فى البحر المحيط (٤٨٢/٨) ،  
والشوكاني فى فتح القدير (٤٥٠/٥) - وهى قراءة شاذة . وقال القرطبي : وهما  
( أى دمد ودهدم ) لغتان ، اهـ . انظر أيضاً القراءات فى فتح القدير  
(ص ١١٩١) . وذكر ابن خالويه فى شواذ القرآن (ص ١٧٤) عن ابن الزبير  
( فدهدم ) ولعله خطأ مطبعى .

(٦) هو قول ابن الأنباري ، ذكره من قوله الرازي فى تفسيره (١٩٥/٣١) والقرطبي فى  
تفسيره (٧٩/٢٠) وابن منظور فى لسان العرب (٢٠٨/١٢) وذكره الماوردي فى  
تفسيره (٤٦٥/٤) دون عزو إلى أحد .

(٧) ما بين القوسين ساقط من نسخة " ب " . وقال ابن منظور فى المصدر السابق له :

" الدَّمَمَةُ : الغَضْب ، وَدَمَدَمَ عَلَيْهِ : كَلَّمَهُ مَغْضَبًا ، قَالَ ( أَيْ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ )  
: وَتَكُونُ الدَّمَمَةُ الْكَلَامَ الَّذِي يُزْعَجُ الرَّجُلَ " .

والقول المعروف : أن معنى قوله : دم مطيهم ، أى أطبق عليهم بالعذاب  
يعنى عمهم ولم يبيح منهم أحداً<sup>(١)</sup> ، ويقال : الدممة هو الهلاك باستئصال<sup>(٢)</sup> .

(١) ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٤٣/٩) والرازى فى تفسيره (١٩٥/٣١)  
وابن منظور فى لسان العرب (٢٠٨/١٢) كدهم من قول الزجاج ، وذكره  
الماوردى فى تفسيره (٤٦٥/٤) دون عزو إلى أحد .

وقال ابن منظور أيضا : يقال : دَمَمْتُ عَلَى الشئِ : أى أَطَبَقْتُ  
عليه ، وكذلك دَمَمْتُ عَلَيْهِ القبر وما أشبهه ، ويقال للشئِ يُدْفَنُ :  
قد دَمَمْتُ عَلَيْهِ أى سَوَّيْتُ عَلَيْهِ ، وكذلك ناقة مدومة أى قد ألبسها الشحم  
فإن كسرت الإطباق قلت : دَمَمْتُ عَلَيْهِ ، وذكر الرازى نحو هذا  
الكلام ، ثم قال : فعلى هذا معنى (دمدم عليهم) أطبق عليهم العذاب  
وعمهم كالشئ الذى يُلطخ به من جميع الجوانب .

وقال الرازى فى المصدر السابق له بعد أن ذكر القول السابق عن الزجاج :  
" والوجه الثانى : تقول للشئِ يدفن دمدمت عليه أى سويت عليه ، فيجوز  
أن يكون معنى (دمدم عليهم) فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم  
تحت التراب .

ويبدو لى أنه لافرق بين القولين ، كما يظهر من كلام الزجاج الذى نقله  
ابن منظور .

(٢) هو قول الموهوب<sup>١</sup> ، ذكره من قوله البغوى (١٥٣/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير  
(١٤٣/٩) والقزطبى فى تفسيره (٧٩/٢٠) . وهناك قولان آخران - أحدهما :  
هو ما قاله الفراء<sup>٢</sup> فى معانى القرآن (٢٦٩/٣) أى أرجف بهم ، وذكره الرازى  
فى تفسيره (١٩٥/٣١) والقزطبى فى تفسيره (٧٩/٢٠) وقال الرازى : رواه  
ثعلب عن ابن الأعرابى ، وهو قول الفراء<sup>٣</sup> ، وقال القزطبى : وحقيقة الدممة  
تضعيف العذاب وترديده . وذكره ابن منظور أيضا فى لسان العرب (٢٠٩/١٢)  
وعزاه إلى أكثر المفسرين .

والثانى هو ما ذكره القزطبى فقال : وروى الضحاك عن ابن عباس قال : دَمَمَ  
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ، أى يجرمهم ، وذكره الماوردى أيضا - وقال : وهو مثل  
دمدم ، كلمة بالحشوية نطقتها العرب . وفيما أرى - والله أعلم بالصواب - كسل  
هذه المعانى متقاربة تدل على معنى واحد وهو أن الله تعالى أهلكهم وأطبق عليهم  
العذاب بذنوبهم الذى هو الكفر والتكذيب والمعوق .

وقوله : " بذنبهم فسواها " أى سواهم بالأرض فلم يبق منهم أحداً صغيراً ولا كبيراً . ويقال : سوى بينهم بالعذاب<sup>(١)</sup> . وقوله ( ولا يخاف عقابها ) وقسوى<sup>(٢)</sup> فلا يخاف عقابها<sup>(٣)</sup> ، وفيه قولان أحدهما : إن الله تعالى لا يخاف أن يتبعه

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤٦٥) في معنى (فسواها) وجهين أحدهما : فسوى بينهم في الهلاك ، وعزاه إلى السدي ويحيى بن سلام ، والثاني : فسوى بهم الأرض وقال : ذكره ابن شجرة ، ثم قال : ويحتمل ثالثاً فسوى بهم من بعد هم من الأسم وذكر ابن الجوزي أيضاً في زاد المسير (٩/١٤٣) نفس الوجهين إلا أنه قال بعد أن عز الوجه الأول : وقيل : سوى الدمدمة عليهم والمعنى : أنه أهلك صغيرهم وكبيرهم وقال بعد أن ذكر الوجه الثاني : قال مقاتل : سوى بيوتهم على قبورهم ، وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها ، فلما صيح بهم فهلكوا زلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم .

وقال البغوي في تفسيره (٧/٢٥٣) : ( فسواها ) : فسوى الدمدمة عليهم جميعاً وعمهم بها فلم يفلت منهم أحداً ، وقال الفراء : سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها يعني : سوى بينهم .

انظر أيضاً معاني القرآن (٣/٢٦٩) ، وقد ذكر الوجهين ( أى أن الضمير في ( فسواها ) إما يعود على الدمدمة أو على القبيلة ) . القرطبي فسوى تفسيره (٢٠/٧٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٨٢) واختار الزمخشري في الكشاف (٤/٧٦١) القول بأن الضمير يعود على الدمدمة ، حيث قال : الضمير للدمدمة ، أى فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٥١٧) :

" أى فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء " . فكأنه أيضاً يذهب إلى أن الضمير راجع إلى الدمدمة .

وقال الرازي في تفسيره (٣١/١٩٥) " أما قوله ( فسواها ) يحتمل وجهين ، وذلك لأننا إن فسرنا الدمدمة بالاطباق والعموم ، كان معنى ( فسوى ) الدمدمة عليهم وعمهم بها ، وذلك أن هلاكهم كان بصيحة جبريل عليه السلام ، وتلك الصيحة أهلكتهم جميعاً ، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم ، وإن فسرناها بالتسوية كان المراد فسوى عليهم الأرض " .

(٢) قرأ نافع وابن عامر " فلا يخاف " بالفاء ، وقال مكي بن أبي طالب : وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام . وقرأ الباقون " ولا يخاف " بالواو ، وقال مكي ابن أبي طالب : " وكذلك هي في مصاحف أهل الكوفة ومكة والبصرة " . انظر التيسير (ص ٢٢٣) والكشاف عن وجوه القراءات (٢/٣٨٢) وحجة القراءات (ص ٧٦٦) والنشر في القراءات العشر (٢/٤٠١) .

(٣) كلمة ( لا يخاف ) ساقطة من نسخة " ب " .

أحد بما فعل . قاله الحسن وغيره . (١)

والقول الثاني : لم يخف عاقر الناقة عاقبة فعله ، والله أعلم .

(١) ذكره ابن جريو في تفسيره (٢١٥/٣٠) فقال : "قال بعضهم : معناه : لا يخاف تبعه دمه عليه" ثم روى من طرق عديدة عن الحسن هذا المعنى . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٦) عن الحسن ، وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . وذكره من قوله البغوي في تفسيره (٢٥٣/٧) وقال : وهي رواية على بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٤/٩) وعزاه إلى ابن عباس والحسن ، وذكره القرطبي في تفسيره (٧٩/٢٠) وعزاه إلى ابن عباس والحسن وقناة ومجاهد . انظر أيضا معاني القرآن (٢٧٠/٣) والبحر المحيط (٤٨٢/٨) وتفسير ابن كثير (٥١٧/٤) واختاره الزمخشري في الكشاف (٧٦١/٤) فقال : " ( ولا يخاف عباها ) : أى عاقبتها وتبعتها ، كما يخاف كل معاقب من الملوك فيتقى بعض الاتقاء ، وذكر الرازي في تفسيره (١٩٦/٣١) أن الضمير عائد إلى الرب تعالى إذ هو أقرب المذكورات ، ثم ذكر اختلاف المفسرين في معناه ، فقال : قال بعضهم : لا يخاف تبعه في العاقبة ، إذ العقبى والعاقبة سواها ، كأنه بين أنه تعالى يفعل ذلك بحق ، وكل من فعل ما يكون حكمة وحقاً فإنه لا يخاف عاقبة فعله ، وقال بعضهم : ذكر ذلك لا على وجه التحقيق لكن على وجه التحقير لهذا الفعل ، أى هو أهون من أن تخشى فيه عاقبة ، والله تعالى يجلب أن يوصف بذلك ، ومنهم من قال : المراد منه التنبيه على أنه بالغ في التعذيب .

(٢) ذكره ابن جريو في تفسيره (٢١٥/٣٠) قال : وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخف الذى عقرها عباها ، أى عقبى فعلته التى فعل ، ثم روى هذا المعنى عن الضحاك والسدى ، وذكر هذا القول البغوي في تفسيره (٢٥٣/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١٤٤/٩) والقرطبي في تفسيره (٨٠/٢٠) كلهم من قول الضحاك والسدى والكلبي ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤٨٢/٨) من قول الضحاك والسدى ومقاتل والزجاج وأبى على " وذكر بعضهم أن فى الكلام تقد يما وتأخهرا ، تقد يره : إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عباها " واستبعده أبو حيان فقال : وهذا فيه بعد لطول الفصل بين الحال وصاحبها " انظر أيضا هذا القول فى معانى القرآن (٢٧٠/٣) وتفسير الرازي (١٩٦/٣١) وتفسير ابن كثير (٥١٧/٤) .

وهناك قول آخر وهو أن الضمير يعود على صالح ، أى : لا يخاف رسول الله صالح عاقبة اهلاك قومه ، ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم ، لأنه قد أنذرهم ذكر هذا القول ابن الجوزي وقال : حكاه الزجاج وذكره الرازي والقرطبي وأبو حيان دون عزو إلى أحد .

وأما الراجح فقد ذهب ابن كثير فى تفسيره (٥١٧/٤) إلى القول الأول أى أن الضمير يعود على الله تعالى قال : والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه .

- تفسير سورة والليل وهى مكة - (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( والليل إذا يغشى ) قال قتادة : يغشى الأفق بظلمته

وفي رواية عنه : يغشى ما بين السماء والأرض بظلمته . (٢)

(١) أورد السيوطى فى الدر المنثور (٣٥٧/٦) عن ابن عباس وابن الزبير أن هذه

السورة نزلت بمكة ، وعزا تخريج رواية ابن عباس إلى ابن الضريس والنحاس

وابن مردويه والبيهقى ورواية ابن الزبير إلى ابن مردويه .

وذكر الماوردى فى تفسيره (٤٦٦/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٤٥/٩)

إجماع المفسرين على أن هذه السورة مكة ، ولكن يبطل دعوى الإجماع بما جاء فى

تفسير عبد الرزاق (ق ١/١٧٣) وبما ذكره القرطبى فى تفسيره (٨٠/٢٠) وأبو حيان

فى تفسيره (٤٨٢/٨) والسيوطى فى الإتيان (١٤/١) والاكوسى فى روح المعانى

(١٤٧/٣٠) إن ذكر القرطبى قولين فقال : سورة " والليل " مكة ، وقيل : مدنية

وذكر أبو حيان والسيوطى والاكوسى ثلاثة أقوال ، أحدهما : إنها مكة . والثانى :

مدنية ، والثالث : بعضها مكى وبعضها مدنى .

واستدل القائلون بأنها مدنية بما روى فى سبب نزولها من قصة النخلة التى

سأى ذكرها عند المؤلف . ولكن الأشهر أن السورة مكة ، وعليه الجمهور ،

كما صرح به السيوطى والاكوسى .

(٢) لم أجد من روى أو ذكر عن قتادة أيًّا من هاتين الروايتين .

وقد ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (١٤٥/٩) عن الزجاج أنه قال : يغشى الأفق ،

ويغشى جميع ما بين السماء والأرض .

وقال القرطبى فى تفسيره (٨٠/٢٠) : " روى سعيد عن قتادة قال : أول

ما خلق الله النور والظلمة ، ثم ميّزَ بينهما ، فجعل الظلمة ليلاً أسود مظليماً ، والنور

نهاراً مضيئاً مبصراً " . وهو يخالف ما ورد فى الحديث المرفوع عن عبادة بن

الصامت " إن أول ما خلق الله القلم . . . . . الحديث " أخرجه أبو داود فى سننه

وقيل : والليل إذا يغشى أي أظلم (١) ، ويقال : يغشى النهار (٢) وقوله  
( والنهار إذا تجلى ) معناه إذا أضاء وانكشف (٣) . ويقال : جبل الظلمة فكأنه  
قال تجلت الظلمة بها .

وقوله ( وما خلق الذكر والأنثى ) قرأ ابن مسعود وأبو الدرداء (٤) : ( والذكر والأنثى ) (٥)

( ١ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٦٦ / ٤ ) من قول مجاهد .

( ٢ ) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٤٥ / ٩ ) عن ابن عباس قال : يغشى بظلمته  
النهار ، وكذا ذكره القرطبي في تفسيره ( ٨٠ / ٢٠ ) وقال البغوي والخازن  
في تفسيرهما ( ٢٥٣ / ٧ ، ٢٥٤ ) " أي يغشى النهار بظلمته فيذهب  
بضوئه " . ولم يذكر الله سبحانه وتعالى مفعول ( يغشى ) ، وذلك للمعلم به  
كما صرح به القرطبي ، وذكر الزمخشري في الكشاف ( ٧٦١ / ٤ ) والرازي في  
تفسيره ( ١٩٧ / ٣١ ) وأبوحيان في البحر المحييط ( ٤٨٢ / ٨ ) ثلاثة أوجه في  
المفعول ، أحدها : الشمس ، ويدل عليه قوله تعالى ( والليل إذا يغشاها )  
سورة الشمس الآية ٤ .

والثاني : النهار ويدل عليه قوله تعالى ( يغشى الليل النهار يطلبه  
حثيثاً ) سورة الأعراف الآية ٥٤ .

والثالث : كل شيء يواريه بظلامه ، يدل عليه قوله تعالى ( ومن شر  
غاسق إذا وقب ) سورة الطلق الآية ٣ . وذكر القرطبي أربعة أوجه  
فقال : قيل يغشى النهار ، وقيل : الأرض ، وقيل : الخلائق ، وقيل :  
يغشى كل شيء بظلمته " .

والراجح هو أنه يغشى كل شيء بظلمته ، واختاره ، ابن كثير في تفسيره  
( ٥٨ / ٤ ) فقال : أقسم تعالى بالليل إذا يغشى أي إذا غشى الخليقة  
بظلامه " .

( ٣ ) قال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٥٤ / ٧ ) " أي بان وظهر بعد الظلمة " .  
وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٤٥ / ٩ ) " أي بان وظهر من بين الظلمة " .  
وقال القرطبي في تفسيره ( ٨٠ / ٢٠ ) " أي إذا انكشف ووضح وظهر وبان بضوئه  
عن ظلمة الليل " . وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٦١ / ٤ ) : " ( تجلى )  
ظهر بزوال ظلمة الليل ، أو تبين وتكشف بطلوع الشمس " انظر أيضا تفسير  
الرازي ( ١٩٨ / ٣١ ) والبحر المحييط ( ٤٨٣ / ٨ ) .

( ٤ ) هو عويمر أبو الدرداء ، مشهور بكنيته وباسمه جميعا ، تقدمت ترجمته في ص ( ٢٥٧ ) .

( ٥ ) ذكر ابن جرير في تفسيره ( ٢١٧ / ٣٠ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٥٤ / ٧ ) وابن العربي  
في أحكام القرآن ( ١٩٤٢ / ٤ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥١٨ / ٤ ) عن عبد الله بن  
مسعود وأبي الدرداء أنهما كانا يقرآن ( والذكر والأنثى ) وقال ابن جرير : ويأثره  
أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد صح هذا بروايتهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ كذلك (١)

(١) أخرج البخارى فى صحيحه - كتاب التفسير ، باب ( وما خلق الذكر والأنثى ) ( ٧٠٦/٨ - ٧٠٧ رقم ٤٩٤٣ ، ٤٩٤٤ ) ومسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين ، باب ما يتعلق بالقراءات ( ١٠٨/٦ - ١٠٩ ) كلاهما من طريق الأعمش عن علقمة قال : قدمنا الشام ، فأثانا أبو الدرداء ، فقال : أفياكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله ؟ فقلت : نعم ، أنا ، قال : كيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية " والليلة إذا يغشى " قال : سمعته يقرأ " والليلة إذا يغشى ، والذكر والأنثى " قال : وأنا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ، ولكن هو لا يريدون أن يقرأ ( وما خلق ) فلا أتابعهم ، هذا لفظ مسلم ، ورواه أيضا الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير وغيرهم ، انظر الدر المنثور ( ٢٥٨/٦ ) ، وذكر القرطبى فى تفسيره ( ٢٠/٨١ ) عن ابن مسعود أنه كان يقرأ " والنهار إذا تجلى ، والذكر والأنثى " ويسقط " وما خلق " ثم أورد حديث علقمة من رواية مسلم ، وصرح بعد ذلك بأنه مردود لأنه خلاف الإجماع ، وقال : وإن حمزة وعاصمًا برويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين ، والبناء على سندين يوافقان الإجماع أولى من الأخذ بواحد يخالفه الإجماع والأمة ، وما يبين على رواية واحد إذا حاذاه رواية جماعة تخالفه ، أخذ برواية الجماعة ، وأبطل نقل الواحد لما يجوز عليه من النسيان والإغفال ، ولو صح الحديث عن أبي الدرداء وكان إسناده مقبولاً معروفاً ، ثم كان أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم يخالفونه ، لكان الحكم العمل بما روته الجماعة ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد الذى يسرع إليه من النسيان ما لا يسرع إلى الجماعة وجميع أهل الملة " وقوله " ولو صح الحديث عن أبي الدرداء " ... الخ " فوصف الحافظ بن حجر هذا الإسناد بأنه من أصح الأسانيد " ثم إن ما اتفق عليه الشيخان لا يجوز أن يقال فيه هذا الكلام وقال الحافظ بعد أن ذكر هذه القراءة عن الحسن البصرى : " ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عن ذكر هنا ، ومن عداهم قرأوا " وما خلق الذكر والأنثى " وعليها استقر الأمر ، مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ، ومن ذكر معه ، ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ، ومن ذكر معه ، والعجب من نقل الحافظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وابن مسعود وإليهما تنتهى القراءة بالكوفة ثم يقرأ بها أحد منهم ، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا ، فهذا يقوى أن التلاوة بها نسخت .

وذكر ابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٩٤٢/٤ ) عن القاضى أن هذه القراءة لا يلتفت إليها ، والمعول عليه ما فى المصحف ، فإن القرآن لا يثبت بنقل الواحد وإن كان عدلاً ، وإنما يثبت بالتواتر الذى يقع به العلم ، وينقطع معه العذر ، وتقوم به الحجة على الخلق .

وقال الألبانى فى روح المعانى ( ١٤٧/٣٠ ) : " إن هذه قراءة شاذة منقولة أحاداً لا تجوز القراءة بها لكنها بالنسبة إلى من سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم فى حكم المتواترة تجوز قراءته بها " .



٠٠/٠٠

هكذا اختلفت أقوال المفسرين في هذه القراءة ، والصواب فيها أنها قراءة شاذة ولن كان إسنادها ثابتاً إلى عبد الله بن مسعود أو أبي الدرداء ، وذلك لأنها فقدت أهم ركن من الأركان الثلاثة التي يجب توفرها في كل قراءة من القراءات الصحيحة وهذه الأركان هي :-

- ١ - موافقة للغة العربية .
- ٢ - موافقة أحد المصاحف .
- ٣ - ثبوتها بطريق التواتر ، فكل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة هي القراءة التي يجب قبولها ولا يحل جردها وإنكارها وهي من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم . ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة فهي قراءة شاذة مردودة ، ثم إن أهم هذه الأركان هو الركن الثالث أي التواتر ، وأما الركنان الأولان لزمان له ، فالعمدة التواتر والتواتر : هو نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى بتصرف من كتاب القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضى ( ص ٧-٨ ) .

وهذا هو مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أي أن التواتر شرط في صحة القراءة كما صرح به الصفاقنسى في كتابه غيث النفع فى القراءات السبع ( ص ٦ ) . ولم يختلف فى ذلك إلا أبو محمد مكى بن أبى طالب وابن الجزرى ، فقد جناحا إلى الاكتفاء بصحة السند وجعله مكان التواتر ، قال ابن الجزرى فى كتابه النشر فى القراءات العشر ( ٩/١ ) : " كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن " ثم ذكر عن مكى بن أبى طالب أنه نص عليه فى غير موضع . و عليه فهذه القراءات على مذهبها قراءة صحيحة من الأحرف السبعة ، وعلى مذهب الجماعة قراءة شاذة لأنها فقدت التواتر ، وهذا هو الصواب ، لأن مذهبها - أى مكى وابن الجزرى - غير صحيح ، فقد قال النويرى كما نقل عنه القاضى عبد الفتاح : " وهذا قول جاد مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم " .

انظر القراءات الشاذة ( ص ٨ ) .

وأما القراءة المعروفة ( وما خلق الذكر والأنثى ) ففيه قولان : أحدهما :  
 ( وما خلق الذكر والأنثى ) مثل قوله ( والسما<sup>(١)</sup> وما بناها ) أي فمن بناها<sup>(٢)</sup>  
 والقول الثاني : وما خلق من الذكر والأنثى<sup>(٣)</sup> .

## ( ١ ) سورة الشمس الآية ٥ .

( ٢ ) كذا في الأصل ( فمن بناها ) والصواب فيما بيد ولي " ومن بناها " وتقدم ذكر الخلاف في " ما " في ص ( ٨٠٨ ) . وأما هذه الآية فذكر فيها هذا القول أي أن " ما " بمعنى " من " ابن جرير في تفسيره ( ٢١٧/٣٠ ) ، والبغوي في تفسيره ( ٢٥٤/٧ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٧/٣١ ) ومكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ( ٤٧٨/٢ ) وعلى هذا يكون ذلك قسماً من الله تعالى بخلق الذكر والأنثى ، وهو نفسه ذلك الخالق ، وهو اختيار أبي عبيدة وغيره انظر مجاز القرآن ( ٣٠١/٢ ) وتفسير القرطبي ( ٨١/٢٠ ) .

( ٣ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٦٦/٤ ) بلفظ الاحتمال ، قال : " ويحتمل أن يكون معناه : وما خلق من الذكر والأنثى " فتكون " من " مضمرة المعنى محدوفة اللفظ ، وميزهم بخلقهم من ذكر وأنثى عن الملائكة الذين لم يخلقوا من ذكر وأنثى ، ويكون القسم بأهل طاعته من أوليائه وأنبيائه ويكون قسمه بهم تكريمة لهم وتشريفاً . انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٨١/٢٠ ) .

وفي الآية قول آخر وهو أن " ما " مع ما بعدها بمعنى المصدر ، والتقدير : " وخلق الذكر والأنثى " . ذكره الفراء في معاني القرآن ( ٢٧٠/٣ ) وابن جرير في تفسيره ( ٢١٧/٣٠ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٥٤/٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ٨١/٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحیط ( ٤٨٣/٨ ) ومكي بن أبي طالب في مشكل القرآن ( ٧٨/٢ ) . كما أن فيها قولاً آخر وهو أن " ما " بمعنى " الذي " أجازته الفراء في معاني القرآن ( ٢٧٠/٣ ) ولكنه قدره بقوله " والذي خلق من الذكر والأنثى " ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٦٦/٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٨١/٢٠ ) عن الحسن وأبو حيان في البحر المحیط ( ٤٨٣/٨ ) ومكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ( ٤٧٨/٢ ) .

وأما الراجح فاختار النحاس في إعراب القرآن ( ٧١٦/٣ ) القول بأن " ما " مصدرية ، واستبعد أن تكون " ما " بمعنى " من " فقال : وجه بعيد أن تكون " ما " بمعنى " من " وأيضاً لا نعرف أحداً قرأ به ، ولكن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم والنهار إذا تجلى ، والذكر والأنثى " وهو عطف . وفي نظري لا وجه لاستبعاد القول بأن " ما " تكون بمعنى " من " لأنه قد ورد ذلك في كلام العرب وكلام الله سبحانه وتعالى ، فمن كلام العرب قول أهل مكة : سبحان ما سبحت له وقد تقدم ذكره غير مرة ، ومن كلام الله تعالى قوله " فانكحوا ما طاب لكم من النساء " سورة النساء الآية ٣ ، ونذهب الماوردي إلى اختيار القول بأن معناه ( وما خلق من الذكر والأنثى ) ووصفه بأنه أشبه من قول الحسن ( أن أن معنى ( ما ) الذي . ويبدولي أن الصواب هو أن ( ما ) بمعنى ( من ) .

وذكر الفراء والزجاج : أن الذكر والأنثى هو آدم وحواء<sup>(١)</sup> .  
 وقيل : انه على العموم<sup>(٢)</sup> ، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه ، وقد ذكرنا أن القسم  
 على تقدير ذكر الرب فكأنه قال : ورب الليل ورب النهار إلى آخره<sup>(٣)</sup> .  
 وقوله ( إن سعيكم شتى على هذا وقع القسم ، والمعنى أن عملك مختلف<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) لم أجد هذا القول عن الفراء في معاني القرآن ( ٢٧٠ / ٣ ) عند هذه الآية ،  
 وكذلك لم أجد من ذكره عنه أو عن الزجاج . وقد ذكر هذا القول البغوي في تفسيره  
 ( ٢٥٤ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٤٥ / ٩ ) من قول الكلبي ومقاتل ، وذكره  
 الماوردي في تفسيره ( ٤٦٦ / ٤ ) وقال : حكاه ابن عيسى وذكره القرطبي في تفسيره  
 ( ٨٢ / ٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٨٣ / ٨ ) من قول ابن عباس والحسن  
 والكلبي ، وذكره أيضا الزمخشري في الكشاف ( ٧٦١ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٩٧ / ٣ ) .

( ٢ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٦٦ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٤٦ / ٩ ) ،  
 والقرطبي في تفسيره ( ٨٢ / ٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٨٣ / ٨ ) ، ويعني  
 هذا القول عموم الذكور والإناث من بني آدم والبهائم لأن الله تعالى خلق جميعهم  
 من ذكر وأنثى من نوعهم \* وهناك قول آخر وهو أن المراد من بني آدم فقط دون  
 البهائم لا اختصاصهم بولاية الله وطاعته ، ذكره الماوردي والقرطبي وأبو حيان في  
 مصادرهم السابقة ، والصواب هو أنه عام ، وقد وصفه أبو حيان بأنه هو الظاهر .

( ٣ ) تقدم التفصيل في ذلك في سورة القيامة ص ( ٢٠١ ) .

( ٤ ) كذا ذكر أكثر المفسرين . انظر معاني القرآن للفراء ( ٢٧٠ / ٣ ) وتفسير  
 ابن جرير ( ٢١٨ / ٣٠ ) وتفسير البغوي والخازن ( ٢٥٤ / ٧ ) وزاد المسير  
 ( ١٤٦ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٨٢ / ٢٠ ) .

( ٥ ) قال ابن قتبية في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣١ ) \* أي إن عملكم لمختلف \* .  
 وقال البتوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٥٤ / ٧ ) : \* أي إن أعمالكم لمختلفة ،  
 فساع في فكك نفسه وساع في عطيتها \* .  
 وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٤٦ / ٩ ) : قال ابن عباس : إن أعمالكم لمختلفة ،  
 عمل للجنة ، وعمل للنار \* .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٨٢ / ٢٠ ) : \* والمعنى : إن عملكم لمختلف ،  
 وقال عكرمة وسائر المفسرين : السعى : العمل ، فساع في فكك نفسه ،  
 وساع في عطيتها ، يدل عليه قوله عليه السلام : الناس غاديان ، فمبتاع نفسه ،  
 فمبتاعها ، وبائع نفسه فموبقها \* ، وشتى واحدة شتيت ، فقل مريض  
 ومرضى ، وإنما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه ، أي : إن عملكم  
 لتباعد بعضه من بعض ، لأن بعضه ضلالة ، وبعضه هدى ، أي فمفككم  
 مؤمن وبسر ، وكافر وفاجر ومطيع وعاصي ، . وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٦٢ / ٤ ) :  
 \* ( شتى ) جمع شتيت ، أي إن مساعيكم أشتاب مختلفة ، وبيان اختلافها فيما فصل  
 على أثره \* يقصد الآيات التي بعدها .

وقيل : ( إن سعيكم لشتى ) أي منكم المؤمن والكافر والصالح والطالح والشكور والكفور وأمثال هذا (١)  
قال الشاعر (٢) :

يسمى الفتى لأمر ليس يدركها (٣)  
فالنفس واحدة والهيم منتشر  
والمرء ما عاش ممدوداً له أشـر (٤)  
لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر (٥)

قوله تعالى ( فأما من أعطى واتقى ) ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه . (٦)

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٤٦٧/٤) في هذه الآية ثلاثة أوجه الأول : لمختلف الجزاء : فمنكم مثاب بالجنة ، ومنكم معاقب بالنار ، والثاني : لمختلف الأفعال ، منكم مؤمن وكافر وبر وفاجر ، ومطيع وعاص .  
والثالث : لمختلف الأخلاق ، فمنكم راحم وقاس ، وحليم وطائش ، وجواد وبخيل " وذكر هذا الوجه بلفظ الاحتمال وذكر هذه الأوجه القرطبي أيضاً في تفسيره (٨٢/٢٠) .

وبهذا يتبين أن ما ذكره المؤلف من قولين الأول أن معناه : عطلكم لمختلف ، والثاني : أن معناه : منكم مؤمن وكافر . الخ . ففي حقيقة الأمر هما قول واحد ، قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٨/٣٠) : " يقول : إن عطلكم لمختلف أيها الناس ، لأن منكم الكافر بربه والعاصي له في أمره ونهيه ، والمؤمن به والمطيع له في أمره ونهيه " .

(٢) هو كعب بن زهير .

(٣) في النسختين ( سعى ) والصواب ما أثبتته .

(٤) في النسختين ( عدود ) والصواب ما أثبتته .

(٥) أنشد هما ابن السمين الحلبي في كتابه عمدة الحفاظ ( ص ٥٠ - ٥١ ) وأنشد ابن منظور في لسان العرب ( ٦/٤ ) البيت الثاني - ونسبه إلى زهير .

(٦) روى البزار في مسنده ( كما في كشف الأستار ٣/٨١ ) بسنده عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت هذه الآية ( ما لأحد عنده من نعمة تجزي ، إلا ابتغاء وجهه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى ) في أبي بكر الصديق " .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٣٨/٧ ) من رواية البزار وفيه مصعب ابن ثابت ، وشقه ابن حبان وشعبه جماعة ، وشيخ البزار لم يسمه . وأخرج ابن جرير في تفسيره ( ٢٢١/٣٠ ) والحاكم في مستدرکه ( ٥٢٥/٢ ) من طريق أخرى عن عبد الله بن الزبير قال : قال أبو حنيفة لأبي بكر : أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أنك إن فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك ، فقال أبو بكر : يا أبت إنى إنما أريد ما أريد لما نزلت هذه الآيات فيه

٠٠/٠٠

فأما من أعطى واتقى صدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ( إلى قوله عز وجل ) وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى ( واللفظ للحاكم وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، وسكت عليه الذهبي .

أما قوله ( إني إنما أريد ما أريد لما نزلت ) فييد ولي أن العبارة وقع فيهما تحريف ، وقد أورده السيوطى في باب النقول (ص. ٢٣٠) من رواية الحاكم ( إني إنما أريد ما عند الله فنزلت ) وهى مناسبة للسياق .

وقال الماورى فى تفسيره ( ٤٦٧/٤ ) عند الآية السابقة : " روى ابن مسعود أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أمية وأبى ابى خلف حين عذبا بلالا على إسلامه ، فاشتره أبو بكر ووفى ثمنه برده عشرة أواقٍ وأعتقه لله تعالى فنزل ذلك فيه " . وكذلك ذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٥٤/٧ ) فأورد القصة بمثل ما ذكره الماورى وقال بعد إيرادها : فأنزل الله تعالى " والدليل إذا يغشى " إلى قوله " إن سعيكم لشتى " يعنى سعى أبى بكر وأمىة " .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤٦/٩ ) عند الآية السابقة : " وفى سبب نزول هذه السورة قولان : ثم ذكر القولين .

أحدهما : هو ما تقدم نقلًا عن الماورى والبغوى .  
والثانى : أنها نزلت فى أبى الدحداح الأنصارى ، وسنأتى قصته مفصلة ، وقال عند هذه الآية ( فأما من أعطى واتقى ) قال ابن مسعود : يعنى أبابكر الصديق ، وهذا قول الجمهور ، وقال عطاء : هو أبو الدحداح ، انظر المصدر السابق ( ١٤٨/٩ ) ، وانظر أيضا تفسير القرطبى ( ٨٢/٢٠ ) والبحر المحييط ( ٤٨٣/٨ ) وأما القول بأنها نزلت فى أبى الدحداح فضعيف لأن القصة كانت بالمدينة والسورة مكية وفى سندها ضعف ، انظر أيضا أسباب النزول للواحدى ( ٣٣٤-٣٣٧ ) ولباب النقول (ص ٢٢٩-٢٣٠) ومعانى القرآن للفراء ( ٢٧٠/٣ ) .

وقوله تعالى ( أعطى واتقى ) أى بذل المال بالصدقة وحاذر من الله تعالى (١) .

وقوله تعالى ( وصدق بالحسنى ) أى بالخلف من الله تعالى (٢) .  
قال عكرمة عن ابن عباس (٤) ، وهو أشهر الأقاويل (٥) .

(١) ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (١٤٨/٩) وأبوحيان فى البحر المحيط (٤٨٣/٨) فى كل من ( أعطى ) و ( اتقى ) ثلاثة أقوال .

فأحد الأقوال التى ذكرها فى معنى ( أعطى ) : أعطى من فضل ماله ، عزاه ابن الجوزى إلى ابن عباس .

والثانى : أعطى حق الله عليه ، ذكره من قول قتادة ، والثالث : أعطى الله الصدق من قلبه ، ذكره ابن الجوزى من قول الحسن ، وقال أبوحيان : قال ابن زيد : أنفق ماله فى سبيل الله .

وأما أحد الأقوال الثلاثة فى قوله ( اتقى ) فهو : اتقى البخل . ذكره من قول مجاهد . والثانى : اتقى الله ، ذكره من قول ابن عباس . والثالث : اتقى محارم الله التى نهى عنها ، ذكره من قول قتادة .

وقال ابن كثير فى تفسيره (٥١٨/٤) : " أى أعطى ما أمر بإخراجه ، وأتقى الله فى أموره " .

(٢) ذكره ابن جرير فى تفسيره (٢١٩/٣٠) قال بعد أن ذكر أن أهل التأويل اختلفوا فى معناه : فقال بعضهم : معنى ذلك : وصدق بالخلف من الله تعالى على إعطائه ما أعطى من ماله فيما أعطى فيه مما أمره الله بإعطائه فيه " .

(٣) كذا فى النسختين ( قال ) والأنسب ( قاله ) .

(٤) رواه ابن جرير فى تفسيره (٢١٩/٣٠-٢٢٠) من طرق عن عكرمة عن ابن عباس ، ولفظه فى إحدى الروايات : قال : وصدق بالخلف من الله " ورواه أيضا عن أبى صالح وشهر بن حوشب عن ابن عباس كما رواه من قول عكرمة ومجاهد ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣٥٨/٦) عن عكرمة عن ابن عباس ، وعزا تخريجه أيضا إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى شعب الإيمان .

(٥) أورد هذا القول الماورى فى تفسيره (٤٦٧/٤) والقرطبى فى تفسيره (٨٣/٢٠) من قول الحسن .

وأورده البغوى فى تفسيره (٦٥٤/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٤٩/٩) ، من رواية عكرمة عن ابن عباس ، وقال ابن الجوزى : وبه قال الحسن " وأورده أبوحيان فى البحر المحيط (٤٨٣/٨) وذكر أنه قول ابن عباس وعكرمة وجماعة ، وقد اختاره ابن جرير كما سيأتى ذلك مفصلاً . انظر أيضا تفسير الرازى (١٩٩٣١) وتفسير ابن كثير (٥١٨/٤) .

والقول الثاني : ( وصدق بالحسنى ) أى بالجنة ، قاله مجاهد .  
وقيل : بالشواب .<sup>(٢)</sup>

وقال أبو عبد الرحمن السلمى<sup>(٣)</sup> وعطاء : ( صدق بالحسنى ) أى بلا إله إلا الله .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) ذكره ابن جريو فى تفسيره ( ٢٢٠ / ٣٠ ) ورواه من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد .  
وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٥٨ / ٦ ) من قول مجاهد وعزا تخريجه  
أيضاً إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وأورده الثعلبى  
فى الكنىة والبيان ( ١ / ٧١ / ١٢ ) والماوردى فى تفسيره ( ٤٦٧ / ٤ ) والبغوى فى  
تفسيره ( ٢٥٤ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤٩ / ٩ ) والقزطبى فى تفسيره  
( ٨٣ / ٢٠ ) وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٨٣ / ٨ ) كلهم من قول مجاهد ،  
وعزا أبو حيان إلى الحسين أيضاً والدليل على هذا القول قوله تعالى : ( للذين  
أحسنوا الحسنى وزيادة ) سورة يونس الآية ٢٦ .

وروى ابن أبى حاتم فى تفسيره ( كما فى تفسير ابن كثير ) ( ٥١٨ / ٤ ) حديثاً  
مرفوعاً بسنده عن أبى بن كعب قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
الحسنى قال : الحسنى الجنة " ولكن فى سنده راو مبهم " .

( ٢ ) هو قول خفيف ، ذكره من قوله الماوردى فى تفسيره ( ٤٦٧ / ٤ ) والقزطبى فى تفسيره  
( ٨٣ / ٢٠ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٥١٨ / ٤ ) وذكره أبو حيان فى البحر المحيط  
( ٤٨٣ / ٨ ) وقال : وقال جماعة : الشواب " .

( ٣ ) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة ( بفتح الموحدة وتشد يد اليا ) أبو عبد الرحمن  
السلمى الكوفى المقرئ ، مشهور بكنيته ، ولأبيه صحبة ، وولد هو فى حياة النسبى  
صلى الله عليه وسلم وقرا القرآن وجوده وبرع فى حفظه .  
وقال الحافظ ابن حجر : ثقة ثبت ، مات بعد السبعين .  
انظر معرفة القراء الكبار ( ١ / ٤٥ - ٤٩ ) وتقريب التهذيب ( ١٧٠ - ١٧١ ) .

( ٤ ) ذكره ابن جريو فى تفسيره ( ٢٢٠ / ٣٠ ) فقال : وقال آخرون : بل معنى ذلك :  
وصدق بأن الله واحد لا شريك له ، ثم روى من طرق عن أبى عبد الرحمن السلمى  
أنه قال : " بلا إله إلا الله " ، وكذلك رواه من طريق عطية العوفى عن ابن عباس  
والضحاك .

وقد ذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٥٨ / ٦ ) من قول أبى عبد الرحمن السلمى ،  
وعزا تخريجه إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم أيضاً . وقد  
ذكره الثعلبى فى تفسيره ( ١ / ٧١ / ١٣ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٥٤ / ٧ ) من قول  
أبى عبد الرحمن السلمى والضحاك ، وقال : " وهى رواية عطية عن ابن عباس " .  
وذكره القزطبى فى تفسيره ( ٨٣ / ٢٠ ) من قول الثلاثة الضحاك والسلمى  
وابن عباس .

وأورده ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤٩ / ٩ ) وقال : ( رواه عطية العوفى عن  
ابن عباس ، وبه قال الضحاك " انظر أيضاً تفسير الماوردى ( ٤٦٧ / ٤ ) والبحر المحيط  
( ٤٨٣ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٥١٨ / ٤ ) وأما عزو المؤلف لهذا القول إلى عطاء  
فلم أجد من ذكره عنه ، وذكر عنه الماوردى وابن الجوزى أنه قال :

٠٠/٠٠

( بما أنعم الله عليه ) وهناك قولان آخران .

أحدهما : أن معناه : صدق بموعود الله ، ذكره ابن جرير ورواه بسنده عن قتادة .  
 وذكره الماوردي والقرطبي من قول قتادة . وذكره الثعلبي والبيهقي من قول قتادة والكلبي  
 ومقاتل ، وذكره ابن الجوزي من قول قتادة ومقاتل .

والثاني : أن معناه : بالصلاة والزكاة والصوم ، قاله زيد بن أسلم ، ذكره الماوردي  
 وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير .

وأما الراجح فقد ذهب ابن جرير إلى اختيار القول الأول " وهو أنه التصديق بالخلف من الله على نفاقه " واستدل بأن الله تعالى ذكره من قبله منقفاً أنفق طالباً بنفاقه الخلف منها ، فكان أولى المعاني به أن يكون الذي عقبه الخبر عن تصديقه بوعده الله بالخلف ، كما استدل أيضاً بحدِيث رواه بسنده عن أبي الدرداء في سياق طويل وورد فيه : اللهم أعط منقفاً خلفاً ، وممسكاً تلفاً ، وأنزل الله في ذلك القرآن ( فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ) . . . . إلى قوله ( للعسرى ) .

واختاره النحاس أيضاً في إعراب القرآن ( ٧١٧/٣ ) ووصفه بأنه أحسن ما قيل في معناه ، وأورد رواية عكرمة عن ابن عباس ، وقال : هذا إسناد مستقيم ، ومعنى ملائم لسياق الكلام " .

وقال الماوردي في تفسيره ( ٤٦٧/٤ ) بعد إيراد ما قيل في معناه : ومعانسي أكثرها متقاربة " .

وقال القرطبي في تفسيره ( ٨٣/٢٠ ) " وكله متقارب المعنى ، إذ كله يرجع إلى الثواب الذي هو الجنة " .



وقوله ( فسنيسره لليسرى ) أى للحالة<sup>(١)</sup> اليسرى ، والمعنى يسهل عليه طريق الطاعات والأعمال الصالحة<sup>(٢)</sup> .

قال الأزهري : يُيسر عليه ما لا يتيسر / إلا على المسلمين .<sup>(٣)</sup>  
ب/٣٤٤

( ١ ) كذا في النسختين ( للحالة ) وفي تفسير البغوى وغيره ( للخلقة ) وهذا الأ نسب للمعنى .

( ٢ ) قال ابن جريو في تفسيره ( ٣٠ / ٢٦١ ) : " وقوله ( فسنيسره لليسرى ) : يقول : فسنهيئه للخلقة اليسرى وهى العمل بما يرضاه الله منه فى الدنيا ، ليجب له به فى الآخرة الجنة ، وقال ابن قتيبه فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣١ ) : أى للعود إلى العمل الصالح .

وقال البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٧ / ٢٥٤ ) : " أى فسنهيئه فى الدنيا للخلقة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله عز وجل " .

وذكر الماورى فى تفسيره ( ٤ / ٤٦٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٤٩ / ١٤٩ ) قولين - أحدهما : للخير ، قاله ابن عباس ، والثانى : للجنة ، قاله زيد بن أسلم وذكر الماورى قولاً آخر بلفظ الاحتمال : فقال : ويحتمل ( ثالثاً ) فسنيسر له أسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها " .

وذكر الرازى فى تفسيره ( ٣١ / ١٩٩ ) فى تفسير هذه اللفظة أربعة أوجه : اثنان منها هما اللذان تقدمنا نقلهما عن الماورى وابن الجوزى . وأما الثالث : فهو أن المراد أن يسهل عليه كل ما كلف به من الأفعال والتروك ، والرابع : اليسر هو العود إلى الطاعة التى أتى بها أولاً ، فكأنه قال : فسنيسره لأن يعود إلى الإعطاء فى سبيل الله " وهو ما تقدمنا نقله عن ابن قتيبة .

ثم نقل الرازى عن القفال أنه قال : ولكل هذه الوجوه مجاز وذلك لأن الأعمال بالعواقب ، فكل ما أدت عاقبته إلى يسر وراحة وأمور محمودة ، فإن ذلك من اليسرى وذلك ويصنف كل الطاعات .

وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٧٦٢ ) : " فسنيسره لليسرى " فسنهيئوه لها ، من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وأجمها ، ومنه قوله عليه السلام : " كل من يسر لما خلق له " والمعنى : فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها ، من قوله : ( فَمَنْ يُؤِدِّ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) سورة الأنعام الآية ١٢٥ ، ثم ذكر قولين آخرين : أحدهما أن المراد باليسرى : طريقة الخير ، لأن عاقبتها اليسر ، والثانى : أن المراد طريق الجنة ، أى فسنهديه إلى طريق الجنة " وهذا الكلام أثر الاعتزال عليه باد ، فقد حمل الآية على معنى لا تحتمله ، إن فسر التيسير لليسرى بخلق الألفاظ ، مع أن الآية من أكبر الأدلة على أن العبد لا يسلك سبيل الطاعة إلا بتوفيق من الله تعالى وتيسير منه .

( ٣ ) لم أجد هذا الكلام فى تهذيب اللغة ( ١٣ / ٥٨ ) فإنه ذكر الآية وذكر معناها عن الفراء ، أنه قال : سنهيئه للعودة إلى العمل الصالح ، والعرب تقول : قد يسرت الفم ، إذا ولدت وتهيأت للولادة .

قوله تعالى ( وأما من بخل واستغنى ) يقال : نزلت الآية في أمية بن خلف (١)

وقيل في أبي سفيان بن حرب . (٢)

(١) ذكر الماوردي في تفسيره (٤٦٧/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٠/٩) عند هذه الآية عن عبد الله بن مسعود قال : يعني بذلك أمية وأبيها ابن خلف .

وقال البغوي في تفسيره (٢٥٤/٧) عند قوله تعالى : " إن سعيكم لشتى " يعني سعى أبي بكر وأميه ، وذكر القرطبي في تفسيره (٨٤/٢٠) عن الضحاك أنه روى عن ابن عباس قال : نزلت في أمية بن خلف . انظر أيضا روح المعاني (١٤٩/٣٠) .

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو سفيان القرشي الأموي مشهور باسمه وكنيته ، وكان يكنى أيضا أبا حنظلة ، وهو والد معاوية ، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف ، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب ، مات سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل بعدها . انظر الإصابة (١٧٨/٢ - ١٨٠) وتقريب التهذيب (١٥١) .

وأما القول بأن الآية نزلت في أبي سفيان فذكر السيوطي في الدر المنثور (٣٥٨/٦ - ٣٥٩) أن عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر أخرجوا من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله ( فأما من أعطى واتقى ..... ) قال : أبو بكر الصديق ، " وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى " ، قال : أبو سفيان ابن حرب .

وذكر ذلك الثعلبي في تفسيره (١٣/٧٢/١) من قول الكلبى ، وأبو حيان فسي البحر المحيط (٤٨٣/٨) من قول عبد الله بن أبي أوفى ، وهو قول مقاتل أيضا انظر تفسيره (ق ٣٩٧/١) وذكره الألبوسى أيضا في روح المعاني (١٤٩/٣٠) وقال : " وفي هذا نظر لأن أبا سفيان أسلم وقوى إسلامه في آخر أمره عند أهل السنة " .

وذكر ابن الجوزي قولاً آخر وهو أنها نزلت في صاحب النخلة ، وهو قول عطاء ، وتقدم أن القصة وقعت في المدينة ، والسورة مكية . وهناك قول آخر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٦) من رواية الطستى عن ابن عباس ، قال : إنها نزلت في أبي جهل " والذين عليه الجمهور من المفسرين أنها نزلت في أمية ابن خلف الذي اشترى منه أبو بكر الصديق بلالاً وأعتقه ، وهو القول الصحيح الذي يدل عليه سياق الآيات ، كما صرح به الخازن في تفسيره (٢٥٥/٧) ثم إن المراد بقوله ( فأما من أعطى واتقى ..... ) ويقوله ( وأما من بخل واستغنى ..... ) كل من اتصف بهذه الأوصاف لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقال الألبوسى بعد ذكره لبعض الأقوال فيمن نزلت الآية : ولعل كل ما قيل من التخصيص فهو من باب التنصيص على بعض أفراد العام لتحقق دخوله فيه عند من خصص " .

وقوله ( بخل ) أى بخل بماله<sup>(١)</sup> ( واستغنى ) أى عن ثواب ربه<sup>(٢)</sup> .  
 وقوله ( وكذب بالحسنى ) هو ما بينا<sup>(٣)</sup> .

(١) ذكر الماوردي فى تفسيره (٤/٤٦٨) وجهين فى ( بخل ) .  
 أحدهما : بخل بماله الذى لا يبقى ، قاله ابن عباس والحسن .  
 والثانى : بخل بحق الله ، قاله قتادة .  
 وذكر ابن الجوزى أيضا فى زاد المسير (٩/١٥٠) وجهين .  
 الأول : قال المفسرون : وأما من بخل بالنفقة فى الخير والصدقة . وذكر  
 هذا المعنى ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٢٢١) وروى بسنده عن  
 ابن عباس ما يدل على هذا المعنى . وذكره البغوى والخازن فى  
 تفسيرهما (٧/٢٥٤) .

والثانى : هو ما قاله قتادة : بحق الله عز وجل " .  
 وقد رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٢٢٢) بسنده عن قتادة .  
 وقال أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن (٣/٧١٨) " بخل بزكاته " .  
 وقال ابن كثير فى تفسيره (٤/٥١٨) : " قال عكرمة عن ابن عباس : أى  
 بخل بماله ، رواه ابن أبى حاتم " وذكره القرطبى أيضا فى تفسيره (٢٠/٨٤)  
 ولكنه لم يعز تخريجه إلى أحد .

(٢) ذكره أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن (٣/٧١٨) والبغوى والخازن فى تفسيرهما  
 (٧/٢٥٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩/١٥٠) وذكر الماوردي فى تفسيره  
 فى معنى الكلمة وجهين .

أحدهما : بماله ، قاله الحسن ، والثانى : عن ربه قاله ابن عباس .  
 وذكره القرطبى أيضا فى تفسيره (٢٠/٨٤) ، وابن كثير فى تفسيره (٤/٥١٨) .

(٣) تقدم ذكر الأقوال فى معناه ص (٨٣٦) . واختار الفراء فى معانى القرآن  
 (٣/٢٧٠) فى هذه الآية : أن المعنى : كذب بثواب الجنة ، أنه لا ثواب  
 قال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (س٥٣١) " أى بالجنة والثواب " .

وقوله ( فسنيسه للعسرى ) أى يسهل عليه طريق الشر . ( ١ )  
 وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : يحول بينه وبين الإيمان بالله ورسوله . ( ٢ )

( ١ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٦٨ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٥٠ / ٩ ) قولين في معنى " العسرى " أحدهما : النار ، قاله ابن مسعود ، والثاني : الشر ، قاله ابن عباس ، والمعنى : سنهيوه للشر فيؤد به إلى الأمر العسير ، وهو عذاب النار ، وذكر الماوردي قولاً آخر بلفظ الاحتمال فقال : ويحتمل ثالثاً فسنعسر عليه أسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها . وذكر القرطبي في تفسيره ( ٨٤ / ٢٠ ) هذه الأقوال الثلاثة كلها وقال البغوي في تفسيره ( ٢٥٤ / ٧ ) : ( سنهيوه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله فيستوجب به النار ، وقال مقاتل : نعسر عليه أن يأتي خيراً ) .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٦٢ / ٤ ) عند هذه الآية : ( فسنيسه للعسرى ) فسندله ونمنعه الألفاظ ، حتى تكون الطاعة أعسر شئ عليه وأشدّه ، من قوله " يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ " سورة الأنعام الآية ١٢٥ ثم ذكر قولين آخرين أحدهما أن المراد بالعسرى طريقة الشر لأن عاقبتها العسر ، والثاني : أن المراد طريق الجنة ، أى فسنديه في الآخرة بطريق النار وهذا أيضاً فيه . ( دسيسة الاعتزال ، كما صرح به أبوحيان في البحر المحيط ( ٤٨٣ / ٨ ) وقد ذكر الرازي في تفسيره ( ١٩٩ / ٣١ ) في معنى العسرى ثلاثة أوجه :

الأول : أنها الشرك ، والثاني : تعسير كل ما كلف به من الأفعال والتروك عليه .  
 والثالث : العود إلى البخل والامتناع من أداء الحقوق المالية .

واختاره النحاس في إعراب القرآن ( ٧١٨ / ٣ ) أن المراد هو النار ، وقال ابن كثير في تفسيره ( ٥١٨ / ٤ ) : " فسنيسه للعسرى " أى لطريق الشر ، كما قال تعالى : ( وَنُظِبَ أَفْنَدْتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ ، وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ) سورة الأنعام الآية ١١ ، والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان ، وكل ذلك بقدر مقدور والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة .

( ٢ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ٨٤ / ٢٠ ) ولكن من رواية الضحاك عن ابن عباس .

قال الفراء : فإن سأل سائل قال : كيف يستقم قوله ( فسنيسه للعسرى )

وكيف ييسر العسير ؟ .

أجاب عن هذا : أن هذا مثل قوله تعالى ( وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ) (١)

فوضع الإشارة موضع الوعيد بالنار ، وإن لم يكن بشارة على الحقيقة ، كذلك وضع التيسير في هذا الموضع وإن كان تعسيراً في الحقيقة . (٢)

(١) سورة التوبة الآية ٣ .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن (٣/٢٧٠) : " وقوله : " فسنيسه للعسرى " يقول : قد خلق على أنه شقى ممنوع من الخير ، ويقول القائل : فكيف قال : ( فسنيسه للعسرى ) فهل في العسرى تيسير ؟ فيقال في هذا : في إجازته بمنزلة قول الله تبارك وتعالى ( وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ) والبشارة في الأصل على المفرح واليسر ، فإذا جمعت في كلامين هذا خير ، وهذا شر جاز التبشير فيهما جميعاً ، وقوله عز وجل : ( فسنيسه ) سنيته ، والعرب تقول : قد يسرت الغنم إذا ولدت وتهايت للولادة " .

وقد أورده القرطبي في تفسيره (٢٠/٨٥) بنصه ، وقال أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٣/١٨٨) " قيل : التيسير إنما يكون للخير فكيف جاء للعسر ؟ فالجواب أنه مثل " فبشرهم بعذاب أليم " سورة آل عمران الآية ٢١ ، إن اجعل ما يقوم لهم مقام البشارة ، - ثم قال - : هذا قول البصريين وقول الفراء أنه إذا اجتمع خير وشر فوقع للخير تبشير جاز أن يقع للشر مثله " .

وقال ابن جرير في تفسيره (٣٠/٢٢٢) :

" وإذا جمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير ، والآخر ذكر الشر ، جاز ذلك بالتبشير فيهما جميعاً " .

وقال أبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٨٣) : " وجاء ( فسنيسه للعسرى ) على سبيل المقابلة لقوله " فسنيسه لليسرى " والعسرى لا تيسير فيها ، وقد يراد بالتيسير التهيئة ، وذلك يكون في اليسرى والعسرى " وإلى هذا ذهب ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٤٤) فقال : " ( فسنيسه ) يعني نهيته بخلق أسبابه وإيجاد مقدماته ، ثم يخلقه بعد ذلك ، فإن كان حسناً سمي يسرى ، وإن مذموماً سمي عسرى " .

وقد ذكر عطاء الخراساني (١) : أن الآية نزلت في رجل من الأنصار وكان له حائط وله نخلة تتدلى في دار جاره ، ويأكل جازه مما يسقط من ثمارها ، فمنعه الأنصاري فشكى ذلك الفقير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي للأنصاري : بعني هذه النخلة بنخلة لك في الجنة فأبى أن يبيع فاشتراها منه أبو الدحداح (٢) بحائط له وأعطاه ذلك الفقير فأنزل الله فيهما هذه الآيات (٣) . والأصح أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأن السورة مكية على قول الجميع فلا يستقيم أن

(١) هو عطاء بن أبي مسلم أبو عثمان الخراساني ، وأسم أبيه ميسرة ، له كتاب تنزيل القرآن وتفسيره ، وناسخه ومنسوخه ، وهو صدوق بهم كثيراً ويوسل ويدلس ، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة .  
انظر تقريب التهذيب ٢٣٩ وطبقات المفسرين ١/٢٨٥ .

(٢) هو أبو الدحداح الأنصاري ، حليف لهم ، قال أبو عمر ابن عبد البر : ويقال أبو الدحداح مذکور في الصحابة لا أقفله على اسم ولا نسب أكثر من أنه من الأنصار ، حليف لهم ، ذكره ابن حجر ، وقال : عاش إلى زمن معاوية .  
انظر الإصباح (٤/٦١) ، المطبوع على هامش الإصابة (٤/٥٩) .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٢٥٤-٢٥٥/٧) بنحوه مطولاً ، قال : وروى علي بن حجر عن إسحاق بن أبي نجيع عن عطاء قال : كان لرجل من الأنصار نخلة ... وذكره إلى آخره ، وقوله " عن إسحاق بن أبي نجيع " كذا في المطبوع ، ولعل الصواب " عن إسحاق بن نجيع " وهو المطلق ، قال فيه الحافظ ابن حجر في التقریب (ص ٣٠) : كذبوه . وأيضاً هذه الرواية مرسله ، لأن عطاء تابعي وقد قال فيه ابن حجر : صدوق بهم كثيراً ويوسل ويدلس . انظر تقريب التهذيب (ص ٢٣٩) . وقد رويت هذه القصة من طريق أخرى عن حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان العدني عن عكرمة عن ابن عباس أخرجهما ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٤/٥١٩ ) والواحد في أسباب النزول (ص ٣٣٥ - ٣٣٥) مطولاً ، وهو أيضاً إسناد ضعيف ، لأن حفص بن عمر ضعيف كما قال ابن حجر في التقریب (ص ٧٨) وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٢٠) : " وهو حديث غريب جداً " .

(٤) تقدم ذكر الخلاف في كون هذه السورة مكية أو مدنية . فقول المؤلف ( إن السورة مكية على قول الجميع ) فيه نظر والأحسن أن يقال : إن القول بأن الآية نزلت في أبي الدحداح غير ثابت بسند صحيح ، وقد تقدم ذكر الخلاف فيمن نزلت هذه الآيات وأن الصواب أنها نزلت في أبي بكر ، وهو قول أكثر المفسرين في ص (٨٤٠) . وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٢١) في آخر هذه السورة : " وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها " ثم ذكر ما يدل على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

تكون الآية منزلة في أحد من الأنصار .

وقد ورد في الآيتين خبر صحيح . وهو ماروى منصور بن المعتمر عن سعد  
ابن عبيدة<sup>(٢)</sup> عن أبي عبد الرحمن السلمى<sup>(٣)</sup> عن علي بن أبي طالب قال : كنا فسى  
جنازة بالبقيع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا معه ومعه عـود  
ينكت به الأرض فرفع رأسه إلى السماء وقال : ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب  
مدخلها ، فقال القوم : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ، فمن كان من أهل  
السعادة فإنما يعمل للسعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء .

قال : بل اعملوا فكل ميسر ، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل لعمل  
السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء ( فانه يسير لعمل الشقاء ثم قرأ : ) فأما  
من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره<sup>(٥)</sup> لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب  
بالحسنى فسنيسره لليسرى<sup>(٦)</sup> .

قال رضى الله عنه أخبرنا بذلك أبو على الشافعى بمكة ، أخبرنا أبو الحسن بن فراس<sup>(٨)</sup>  
، أخبرنا أبو يعلى<sup>(٩)</sup> ، أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى ، أخبرنا سفيان بن عيينة  
عن منصور - الحديث - .

( ١ ) هو منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمى أبو عثاب ، الكوفى تقدمت ترجمته فى ص ( ٦٥ ) .  
( ٢ ) هو سعد بن عبيدة السلمى أبو حمزة الكوفى ، ثقة ، مات فى ولاية عمر بن هبيرة على  
العراق ، المصدر السابق ١١٨ .

( ٣ ) هو عبد الله بن حبيب المقرئ الكوفى .

( ٤ ) قال ابن الأثير فى النهاية ( ١١٣ / ٥٠ ) : " ( فجعل ينكت بقضيب ) أى يضرب  
الأرض بطرفه " .

( ٥ ) ما بين القوسين ساقط من نسخه " ب " .

( ٦ ) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب التفسير - باب ( وكذب بالحسنى ) ( ٧٠٩ / ٨ ) رقم  
( ٤٩٤٨ ) وسلم فى صحيحه - كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه  
( ١٦٦ / ١٩٥ - ١٩٦ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٢٢٣ / ٣٠ ) كلهم من طريق منصور عن  
سعد بن عبيدة به بنحوه ، وله طرق أخرى - أخرجه من هذه الطرق البخارى فى المصدر  
السابق ( ٧٠٩ - ٧٠٨ / ٨ ) أرقام ٤٩٤٥ - ٤٩٤٦ ) وأخرجه أيضا غيرهما من أصحاب  
السنن والمسانيد ، انظر الدر المنثور ( ٣٥٩ / ٦ ) كما أن هناك أحاديث أخرى  
عديدة فقير هذا الحديث جمعها ابن كثير فى تفسيره ( ٥١٨ - ٥٢٠ ) وهى كلها  
تدل دلالة ظاهرة على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات القدر وأن جميع  
الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها وقال النووى فى شرحه على مسلم  
( ١٦٦ / ١٩٦ ) : " وفى هذه الأحاديث النهى عن ترك العمل والاتكال على ما سبق  
به القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التى ورد بها الشرع ، وكل ميسر لما خلق الله  
لا يقدر على غيره ، ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة ، ومن كان  
من أهل الشقاوة يسره لعملهم ، كما قال " فسنيسره لليسرى " فسنيسره للعسرى " .

( ٧ ) هو أبو على الحسن بن عبد الرحمن الحنظلى تقدمت ترجمته فى ص ( ٢٢٤ ) .

( ٨ ) هو أحمد بن إبراهيم بن على بن فراس العبقرى تقدمت ترجمته فى ص ( ٢٢٤ ) .

( ٩ ) هو محمد بن إبراهيم أبو جعفر الديلى تقدمت ترجمته فى ص ( ٢٢٤ ) .

قوله تعالى ( وما يعني عنه ماله إذا تردى ) معناه إذا هلك<sup>(١)</sup> . ويقال : تردى  
أى سقط في النار<sup>(٢)</sup> ، وهو الأصح .

لأن التردى في اللغة هو السقوط ، يقال : تردى من مكان كذا أى : سقط<sup>(٣)</sup> .

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ١٢٥/٣ ) فقال بعد أن حكى قولاً : " وقال آخرون :  
بل معنى ذلك : إذا مات ( ثم روى هذا المعنى بسنده عن مجاهد ، وكذا  
هو في تفسير مجاهد أيضاً ( ٧٦٥/٢ ) وقد ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٦٨/٤ )  
وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٥١/٩ ) بلفظ : إذا مات فتردى في قبره ، وعزاه  
كل واحد منهما إلى مجاهد وقتادة ، وقال البغوي في تفسيره ( ٢٥٥/٧ ) : يقال  
مجاهد : إذا مات " وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٨٣/٨ ) : " تردى  
تفعل من الردى أى هلك قاله مجاهد " .  
انظر أيضاً الكشاف ( ٧٦٢/٤ ) وتفسير الرازي ( ٢٠١/٣١ ) وتفسير القرطبي  
٠ ( ٨٥/٢٠ )

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ١٢٥/٣٠ ) قال : " قال بعضهم : تأويله : إذا  
تردى في جهنم : أى سقط فيها وروى هذا المعنى عن أبي صالح وقتادة  
وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٦٨/٤ ) قال : " إذا تردى في النار ، قاله  
أبو صالح وقتادة " .

وقال البغوي في تفسيره ( ٢٥٥/٧ ) " قال قتادة وأبو صالح هوى في جهنم " .  
وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٥٠/٩ ) " إذا تردى في جهنم ، قاله ابن عباس  
وقتادة ، والمعنى : إذا سقط فيها " وذكره القرطبي في تفسيره ( ٨٥/٢٠ ) من قول  
أبي صالح وزيد بن أسلم ، وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٨٤/٨ ) من قول قتادة  
وأبي صالح .  
انظر أيضاً الكشاف ( ٧٦٢/٤ ) وتفسير الرازي ( ٢٠١/٣١ ) .

(٣) وبه قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣١ ) " ( تردى ) في النار ، أى سقط ،  
وذهب ابن جرير في تفسيره ( ٢٢٥/٣٠ ) إلى اختياره ، فقال : " وأولى القولين في  
ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إذا تردى في جهنم ، لأن ذلك هو المعروف  
من التردى ، فأما إذا أريد معنى الموت فإنه يقال : ردى فلان ، وقلما يقال :  
تردى " انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٨٥/٢٠ ) وإعراب القرآن ( ٧١٨/٣ ) والعمدة  
( ٣٤٨ ) ولسان العرب ( ٣١٦/١٤ ) .

وذكر بعض المفسرين في " ما " وجهين :-  
أحدهما : أن تكون نافية .

والثاني : أن تكون استفهامية ، ومعناه التوبيخ ، أى : أى شئ يفتنى  
عنه إذا هلك ووقع في جهنم . وهذا هو اختيار النحاس في إعراب القرآن ٧١٨٣  
والزمخشري في الكشاف ( ٧٦٢/٤ ) حيث قدمه .

انظر أيضاً تفسير الرازي ( ٢٠١/٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٨٥-٨٦/٢٠ ) ،  
والبحر المحيط ( ٤٨٣/٨ ) ومشكل إعراب القرآن ( ٤٧٩/٢ ) .



وقوله ( إن علينا للهدى ) قال الزجاج : علينا بيان الحلال والحرام والطاعة والمعصية . ويقال : من سلك سبيل الهدى فعلينا هداه ، مثل قوله تعالى ( وعلى الله قصد السبيل ) ( ٢ ) أى بيان السبيل لمن قصد . ( ٣ )

( ١ ) ليس هذا من مقاله الزجاج .

فقد ذكر البغوى فى تفسيره ( ١٥١ / ٩ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٥١ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٨٦ / ٢٠ ) وشيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ( ٢١٠ / ١٥ ) عن الزجاج أنه قال : إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة ، وهو قول يحيى بن سلام كما فى تفسير الماورى ( ٤٦٨ / ٤ ) وقال البغوى بعد ذكره لهذا القول عن الزجاج : وهو قول قتادة . قال : على الله بيان حاله وحرامه .

وروى ابن جريو فى تفسيره ( ٢٢٦ / ٣٠ ) بسنده عن قتادة أنه قال : على الله البيان ، بيان حاله وحرامه وطاعته ومعصيته " وبهذا اللفظ ذكره القرطبى فى تفسيره ( ٨٦ / ٢٠ ) وشيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ( ٢١٠ / ١٥ ) من رواية عبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وعليه فالمدى ذكره المؤلف من قول الزجاج ليس من قوله وإنما هو من قول قتادة .

( ٢ ) سورة النحل الآية ٩ .

( ٣ ) هو قول الفراء فى معانى القرآن ( ٢٧١ / ٣ ) فإنه قال : " يقول : من سلك الهدى فعلى الله سبيله ، ومثله قوله : ( وعلى الله قصد السبيل ) سورة النحل الآية ٩ ، يقول : من أراد الله فهو على السبيل القاصد . وقد ذكره من قول الفراء - البغوى فى تفسيره ( ٢٥٥ / ٧ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٨٦ / ٢٠ ) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ( ٢١١ / ١٥ ) وذكره ابن جريو فى تفسيره ( ٢٢٦ / ٣٠ ) ولكن دون عزو إلى الفراء قال : وكان بعض أهل العربية يتأوله بمعنى : أنه من سلك الهدى . . . ثم ذكره بنصه " . وهناك أقوال أخرى فى تفسير هذه الآية منها ما ذكره الفراء فى معانى القرآن ( ٢٧١ / ٣ ) فقال بعد أن ذكر القول السابق : ويقال : إن علينا للهدى والإضلال ، فترك الإضلال ، كما قال : " سراويل تقيكم الحر " ( سورة النحل الآية ٨١ ) . وذكره ابن جريو فى تفسيره ( ٢٢٦ / ٣٠ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٥٥ / ٧ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٨٦ / ٢٠ ) وشيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ( ٢١١ / ١٥ ) وذكروا أيضا أنه كقوله " بيدك الخير " . وقد رده شيخ الإسلام فقال : هذا القول هو من الأقوال المحدثه التى لم تعرف عن السلف ، وكذلك ما أشبهه ، فإنهم قالوا : معناه : بيدك الخير والشر ، والنبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح يقول " والخير بيدك والشر ليس إليك " والله تعالى خالق كل شىء - لا يكون فى ملكه إلا ما يشاء - والقدر حق ، لكن فهم القرآن ووضع كل شىء موضعه ، وبيان حكمته الرب وعدله مع الإيمان بالقدر هو طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان " وقول آخر ذكره الماورى فى تفسيره ( ٤٦٨ / ٤ ) بلفظ الاحتمال والقرطبى فى تفسيره ( ٨٦ / ٢٠ ) وهو أن معناه : إن علينا ثواب هداه الذى هدينا . وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٧٦٣ / ٤ ) : " أى إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل .

هذا على مذهب المعتزلة الذين يوجبون على الله بعض الأشياء ، ويحرمون عليه  
 البعض الآخر ، أما أهل السنة والجماعة فعلى العكس من ذلك لا يوجبون على الله شيئاً  
 ولا يحرمون عليه شيئاً آخر ، والمخلوقات كلها ملك له ، ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء ،  
 وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ( ١٩٨ / ١٥ ) ثلاث آيات وصفها  
 بأنها مناسبة ومتشابهة في اللفظ والمعنى ، وهذه الآيات هي قوله تعالى " قال :  
 هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ  
 سورة الحجر الآية ٤١ ، ٤٢ .

وقوله تعالى : ( وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ) سورة النحل الآية ٩  
 وقوله تعالى : ( إن علينا للهدى ، وإن لنا للآخرة والأولى ) وسرد أقوال المفسرين  
 في هذه الآيات الثلاث وتكلم عليها بالتفصيل ثم ذكر أن الصواب هو قول أئمة  
 السلف . - قول مجاهد ونحوه - أن معناه : الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه  
 لا يعرج على شيء " المصدر السابق ( ٢٠١ / ١٥ ) وذكر أيضاً أنه المعنى المتفق  
 عليه بين المسلمين وهو مراد من الآيات الثلاث قطعاً ، فإنه أرشد بها إلى  
 الطريق المستقيم وهي الطريق القصد ، وهي الهدى ، وإنما تدل عليه وهو الحق  
 طريقه على الله لا يعرج عنه " .

ثم تعرض لذكر حرف الاستعلاء الذي ورد في الآية واستدل به المعتزلة على أنه  
 يجب على الله تعالى إرشاد خلقه إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع " فذكر شيخ  
 الإسلام أن ذكر هذا المعنى بحرف الاستعلاء من محاسن القرآن التي لا تنقص  
 عجائبه ، فإن الخلق كدهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أي طريق سلكوا كما قال  
 تعالى : ( يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ) سورة الانشقاق الآية  
 ٦ ، وقال : ( وإلى الله المصير ) . ( إن علينا إياهم ) ( سورة الفاشية ٢٥ )  
 أي إلينا مرجعهم ، ثم ذكر من لغة العرب أنهم يقولون : هذه الطريق على فلان " .  
 إذا كانت تدل عليه ، وكان هو الغاية المقصود بها " انتهى بتصرف من مجموع  
 الفتاوى ( ٢١٢ / ١٥ - ٢١٥ ) .

وقوله ( ولنا للآخرة والأولى ) أى ملك الآخرة والأولى<sup>(١)</sup> ، وقيل :

أ/٣٣٥

ثواب / الآخرة والأولى<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٦٨ / ٤ ) من قول مقاتل ، وذكره الرازي في تفسيره ( ٢٠٢ / ٣١ ) دون عزو إلى أحد ، وقال ابن جرير في تفسيره ( ٢٢٦ / ٣٠ ) : " يقول : ولنا ملك ما في الدنيا والآخرة ، نعطي منها من أردنا من خلقنا ، ونحرمة من شئنا ، ولنا ما في ذلك جل ثناؤه أنه يوفق لطاعته من أحب من خلقه فيكرمه بها في الدنيا ، ويبغى له الكرامة والثواب في الآخرة ، ويخذل من يشاء خذلانه من خلقه عن طاعته ، فيبينه بمعصيته في الدنيا ويخزيه بعاقبته في الآخرة " .  
وقال ابن كثير في تفسيره ( ٥٢٠ / ٤ ) " أن الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيها " .

( ٢ ) ذكره الفراء في معاني القرآن ( ١٧١ / ٣ ) قال : " وقوله جل وعز " ولنا للآخرة والأولى " لثواب هذه وثواب هذه " .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٦٨ / ٤ ) من قول الكلبي والفراء . واختاره الزمخشري في الكشاف ( ٧٦٣ / ٤ ) قال : ( أى ثواب الدارين للمهتدي ، كقوله ) وآتيناه أجره في الدنيا وله في الآخرة لمن الصالحين ( سورة العنكبوت الآية ٢٧ . انظر أيضا البحر المحيط ( ٤٨٤ / ٨ ) .

وذكره الترمذي في تفسيره ( ٨٦ / ٢٠ ) قال : " روى أبو صالح عن ابن عباس قال : ثواب الدنيا والآخرة ، وهو كقوله ( من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ) . سورة النساء الآية ١٣٤

فمن طلبهما من غير ما لكهما فقد أخطأ الطريق ) . وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٦٩ / ٤ ) قولاً آخر بلفظ الاحتمال فقال بعد ذكره القولين السابقين : ويحتمل ثالثاً الله المجازي في الدنيا والآخرة .

وذكر الرازي في تفسيره ( ٢٠٢ / ٣١ ) قولاً آخر غير ما تقدم وهو : أن لنا كل ما في الدنيا والآخرة فليس يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا ، ولا يزيد في ملكنا اهتدائكم ، بل نفع ذلك وضره عائدان عليكم ولو شئنا لمنعناكم من المعاصي قهراً إن لنا الدنيا والآخرة ، ولكننا لانمنعكم من هذا الوجه لأن هذا الوجه يخل بالتكليف ، بل نمنعكم بالبيان والتعريف والوعد والوعيد " . وقال في هذا القول إنه أوفق لقول المعتزلة . وقال في القول السابق ( وهو أن لنا ملك الدارين ) أوفق لقولنا ( والصواب هو القول الأول أى أن لنا ملك الدنيا والآخرة واختاره ابن جرير وابن كثير إن لم يذكر غيرهم .

وقوله ( فأذرتكم نارا تلتظي ) أي تلتظي (١) ومعناه : تتوهج (٢) .  
 وقوله ( لا يصلها إلا الأشقى الذي كذب وتولى ) أي كذب بالله وأعرض  
 عن طاعته (٣) .

(١) تلتظي : أصله تلتظي ، وجاء في بعض القراءات الشاذة هكذا ، انظر  
 إعراب القرآن (٧١٩/٣) وتفسير القرطبي (٨٦/٢٠) .

(٢) هو قول مجاهد ، واختاره ابن جرير والبغوي وابن الجوزي والرازي ، انظر  
 تفسير مجاهد (٧٦٥/٢) وتفسير ابن جرير (٢٢٦/٣٠) وتفسير البغوي  
 (٢٥٥/٧) وزاد المسير (٤٦٩/٩) وتفسير الماوردي (٤٦٩/٤) وهو  
 الصواب ، وذكر الماوردي قولين آخرين ، أحدهما : أن معناه تتغيظ قاله  
 الكلبي ، والثاني : تشتعل ، قاله مقاتل .  
 انظر تفسيره (ق ٣٩٧/ب) .

(٣) ذكر الماوردي في تفسيره (٤٦٩/٤) في معنى ( كذب وتولى ) وجهين  
 كدهما متلازم ، أحدهما : هو هذا الذي ذكره المؤلف ، وعزاه الماوردي إلى  
 قتادة ، وإلى نحوه ذهب ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/٣٠) فقال : يقول :  
 الذي كذب بآيات ربه ، وأعرض عنها ، ولم يصدق بها .

والثاني : أي كذب الرسول وتولى عن طاعته ، ولم ينسبه إلى أحد ،  
 وهو مروى عن أبي أمامة ، واختاره كثير من المفسرين ، انظر تفسير مجاهد  
 (٧٦٥/٢) وتفسير البغوي (٢٥٥/٧) وزاد المسير (١٥١/٩) وتفسير  
 القرطبي (٨٦/٢٠) وقال الفراء في معاني القرآن (٢٧٢/٣) \* لم يكن  
 كذب برز ظاهر ، ولكنه قصر عما أمر به من الطاعة فجعل تكديباً وذكره  
 ابن جرير في تفسيره (٢٢٧/٣٠) وفي الأشقي قولان .

أحدهما : أن المراد بالأشقي : الشقي ، قال أبو عبيدة في معاني القرآن  
 (٣٠١/٣) : والعرب تضع " أفعل " في موضع " فاعل " وقال الفراء  
 في معاني القرآن (٢٧١/٣) \* إلا من كان شقياً في علم الله " .  
 ذكره من قولهما النحاس في إعراب القرآن (٧١٩/٣) واختاره  
 الماوردي في تفسيره (٤٦٩/٤) والبغوي في تفسيره (٢٥٥/٧) ،  
 وابن الجوزي في زاد المسير (١٥١/٩) والرازي في تفسيره (٢٠٧٣١)  
 والقرطبي في تفسيره (٨٦/٢٠) .

والقول الثاني : أن معناه : لا يصلها إلا أشقى أهل النار ، وأشقى أهل  
 النار الكفار ، ودل بهذا على أن غير الكفار يدخلون النار بذنوبهم \* ذكره  
 النحاس في إعراب القرآن (٧١٩/٣) دون عزو إلى أحد ، والصواب ما عليه  
 أكثر المفسرين .

وفي الآية سؤال للمرجئة والخوانج ، فإن الله تعالى قال : ( لا يصلاها إلا الأشتقى ) أي لا يقاسى حرها ولا يدخلها إلا الأشتقى الذي كذب وتولى ، فدل أن المومن وإن ارتكب الكبائر لا يدخل النار ، هذا للمرجئة .<sup>(١)</sup>

وأما الخوانج قالوا : قد وافقتمونا أن صاحب الكبائر يدخل النار ، فدل أنه كفر بارتكاب الكبيرة ، والتحق بمن كذب وتولى حيث قال الله تعالى ( لا يصلاها إلا الأشتقى الذي كذب وتولى ) .<sup>(٢)</sup>

والجواب من وجوه : أحدها : أن معناه لا يصلاها إلا الأشتقى الذي كذب وتولى<sup>(٣)</sup> ، فالأشتقى هم أصحاب الكبائر ، والذي كذب وتولى هم الكفار . والعرب تقول : أكلت خبزاً لحمًا تمرًا ، أو ولحمًا وتمرًا وحذفوا الواو<sup>(٤)</sup> ، وكذلك هاهنا وأنشد أبو زيد الأنصاري<sup>(٥)</sup> :

(١) ذكر هذا الاستدلال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥١ - ١٥٢) عن الزجاج قال : وهذه الآية التي من أجلها زعم أهل الأرجاء أنه لا يدخل النار إلا كافر . وذكره الرازي في تفسيره (٣١/ ٢٠٢) قال : " اعلم أن المرجئة يتمسكون بهذه الآية في أنه لا وعيد إلا على الكفار " وقال القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٨٢) : " وسمعت سلم بن الحسن يقول سمعت أبا إسحاق الزجاج يقول : هذه الآية التي من أجلها قال أهل الأرجاء بالأرجاء فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر " .

(٢) لم أجد من ذكر هذا الاستدلال عن الخوانج .

(٣) هكذا في النسختين وسياق الكلام يقتضى أن يكون " والذي كذب وتولى " .

(٤) لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الجواب عند هذه الآية . وأما مسألة حذف حرف العطف فقال السيوطي في همع الهوامع (٢/ ١٤٠) : يجوز حذف المعطوف بالواو معها كقوله تعالى : ( سراويل تقيكم الحر ) سورة النحل الآية ٨١ . أي والبر ، ( وكذا الواو ) يجوز حذفها ( وونه ) أي دون المعطوف بها ( في الأصح ) كذلك ، كحديث : تمدق رجل من دينار من درهمه ، من عاى بره ، من عاى تمره ) وحكى : " أكلت سمكاً لحمياً تمرًا " ثم قال : ومن ذلك ابن جنى والسهيلي وابن الضائع لأن الحروف دالة على معانى في نفس المتكلم ولينماها لا يفيد معناها " وقد وصف ذلك أي حذف الواو بأنه شان ، وقال : ولنما حكى منه أبو عثمان عن أبي زيد : " أكلت لحمًا سمكًا تمرًا " انظر الخصائص (١/ ٢٩٠) .

(٥) هو الإمام العلامة حجة العرب أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو زيد الأنصاري البصري ، صاحب التصانيف ، وولد سنة نيف وعشرين ومائة ، نزل الذهبى عن السيرافى أنه قال : " ويقال : إن الأصمى كان يحفظ ثلث اللمة ، وكان أبو زيد يحفظ ثلثى اللمة ، وكان الخليل يحفظ نصف اللمة . . . توفي أبو زيد الأنصاري سنة خمس عشرة ومائتين .

انظر سير أعلام النبلاء\* (٩/ ٩٩٤ - ٩٩٦) .

كيف أسبحت كيفاً مسيتاً  
يثبت الود في فؤاد الكريم (١)  
أن وكيف أسبحت .

والوجه الثاني : أن النار ذرقات والمراد من الآية دركة بعينها لا يدخلها  
إلا الكفار، قال الله تعالى : ( إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار )<sup>(٢)</sup> ذلك الآية  
أنه مخصوص للمنافقين : وهذا جواب معروف .<sup>(٣)</sup>

(١) البيت في الخصائص لابن جنى (٢١٠/١) وقال : وأتشد أبو الحسن ، ثم ذكره  
إلا أنه قال " يزرع " بدل " يثبت " وهو أيضاً في ديوان المعاني (٢٢٥/٢) وسمع  
المهامل (١٤٠/٢) وغيرها من كتب النحو .

(٢) سورة النساء الآية ١٤٥ .

(٣) ذكر هذا الجواب من المفسرين ابن الجوزي في زاد المسير (١٥٢-١٥١/٩) فقال  
نقل عن الزجاج : هذه نار موصوفة بعينها ، ولا هبل النار منازل ، فلو كان  
كل من لا يشرك لا يعدب لم يكن في قوله تعالى : " ويغفر ما دون ذلك لمن  
يشاء " ( سورة النساء الآية ١٨ ) فائدة وكان " يغفر ما دون ذلك ،  
كذلك لا معنى له " .

وذكره القرطبي أيضاً في تفسيره (٨٧/٢٠) عن الزجاج بشي من التفصيل ،  
وذكره الرازي في تفسيره (٢٠٣/٣١) في وجوه أخرى نقلها عن القاضي فقال :  
المراد بقوله ( ناراً تلظى ) ناراً مخصوصة من النيران ، لأنها ذرقات لقوله  
تعالى ( إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ) فالآية تدل على أن  
تلك النار مخصوصة لا يصلها سوى هذا الأتقى ، ولا تدل على أن الفاسق  
وغير من هذا صفته من الكفار لا يدخل سائر النيران " .

ثم ضعف الرازي هذا الوجه كما ضعف الوجوه الأخرى .

أما هذا الوجه فقال فيه : وأما قوله : المراد منه نار مخصوصة وهي  
النار التي تتلظى فضعيف أيضاً ، لأن قوله ( ناراً تلظى ) يحتمل أن يكون ذلك  
صفة لكل النيران ، وأن يكون صفة لنار مخصوصة ، لكنه تعالى وصف كل نار جهنم  
بهذا الوصف في آية أخرى ، فقال : " إنها لظى نزاعة للشوى " سورة المعارج  
الآية ١٥ ، ١٦ ، وقد أشار إلى هذا الوجه الزمخشري في الكشاف (٧٦٤/٤)

وتعقبه بما قاله تعالى بعده : ( وسيجنبها الأتقى ) فقال : فما تصنع بقوله ( وسيجنبها  
الأتقى ) فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار مخصوصة ، لا الأتقى منهم  
خاصة " وقد ذكر الأكوسي في روح المعاني (١٥١/٣٠) تعقب الزمخشري ثم  
قال : وأجيب بأنه لعل هذا القائل لا يقول بمفهوم الصفة ونحوها فلا تفيد  
الآية المذكورة عنده الحصر .

والوجه الثالث : أن المعنى لا يصلها : لا يدخلها خالداً فيها إلا الأتقى  
الذى كذب وتولى ، وصاحب الكبيرة إن دخلها لا يدخل فيها . ( )

( ١ ) قال الرازي في تفسيره ( ٢٠٣ / ٣١ ) نقلاً عن الواحدى : " إن معنى ( لا يصلها )  
لا يلزمها في حقيقة اللغة ، يقال : صلى الكافر النار : إذا لزمها مقاسياً شدتها  
وحرها ، وعندنا أن هذه الملازمة لا تثبت إلا للكافر ، أما الفاسق فإما أن لا  
يدخلها أو إن دخلها تخلس منها " .

وقد ذكر الألوسى في روح المعاني ( ١٥٠ / ٣٠ ) هذا المعنى فقال " إن الصلى  
ليس مطلقاً دخول النار ، ولا مطلق مقاساة حرها بل هو مقاساته على وجه الأشد به ،  
فقد نقل ابن المنير عن أئمة اللغة : أن الصلى أن يحفروا حفرة فيجمعوا فيها  
جمراً كثيراً ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه بين أطباقه ، فالمعنى :  
لا يعذب بين أطباقها ولا يقاسى حرها على وجه الأشد إلا الأتقى وسيعمد  
عنها الأتقى فلا يدخلها فتملاً عن مقاساة ذلك ، فيلزم من الأول أن غير الأتقى وهو  
المؤمن العاصى لا يعذب بين أطباقها ، ولا يقاسى حرها على وجه الأشد ،  
ولا يلزم منه أن لا يدخلها ولا يعذب بها أصلاً فيجوز أن يدخلها ويعذب بها  
على وجهها عذاباً دون ذلك العذاب ، ويلزم من الثانى أن غير الأتقى لا يجنبها  
ولا يلزم منه أن غيره أعنى الأتقى في الجملة وهو المؤمن العاصى يصلها ويعذب  
بين أطباقها أشد العذاب بل غايته أنه لا يجنبها فيجوز أن يدخلها ويعذب  
بها على وجهها عذاباً ليس بالأشد ، فلا مخالفة بين الحصرين " .

وأجاب الرازي في تفسيره ( ٢٠٣ / ٣١ ) بجواب آخر فقال : " الثانى - أى  
الجواب الثانى - أن يخص عموم هذا الظاهر بالآيات الدالة على وعيد  
الفساق ، والله أعلم .

وقرر الزمخشري في تفسير هذه الآية أن التخصيص هنا ليس لنفى ما عدا المخصص ،  
بل لفائدة أخرى وهى المقابلة ، فقال : " الآية واردة في الموازنة بين حالتي  
عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما  
المتناقضتين فقيل : الأتقى ، وجعل مختصاً بالصلى ، كأن النار لم تخلق  
إلا له ، وقيل : الأتقى ، وجعل مختصاً بالجنة ، كأن الجنة لم تخلق إلا له " .  
انظر الكشاف ( ٧٦٣ / ٤ - ٧٦٤ ) .

وهذا القول مبنى على المذهب القائل بتخليد العصاة في النار ، وهو مذهب  
الخوارج والمعتزلة ، والصواب أن يقال كما نقل الرازي عن الواحدى أن معنى  
" لا يصلها " لا يلزمها فلا يلزم هذا العذاب إلا للكافر ، وأما الفاسق فإما أن لا  
يدخلها أو إن دخلها تخلس منها ، كما هو مقرر في مذهب أهل السنة والجماعة  
في حق المؤمن العاصى ، لأن هناك نصوص أخرى كثيرة تفيد أن المؤمن  
العاصى يدخل الجنة .

وقوله ( وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى ) أى يعطى ماله ليصير

زاكياً طاهراً<sup>(١)</sup> وهو وارد فى أبى بكر الصديق على قول أكثر المفسرين .

ويقال : إن الآية الأولى نزلت فى أمية بن خلف<sup>(٢)</sup> وأما إيتاؤه ، المال فهو

أعتق سبعة نفر كانوا يعذبون فى الله ، منهم بلال الخير وعامر بن فهيرة<sup>(٣)</sup> والنهدية<sup>(٤)</sup>

(١) قال البغوى فى تفسيره (٢٥٥/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٥٢/٩) والقزطبي فى تفسيره (٨٨/٢٠) "يتزكى" أى يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا رياء ولا سمعة .

(٢) ذكر البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٥٥/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٥٢/٩) "يعنى أبى بكر الصديق فى قول الجميع" وقال ابن كثير فى تفسيره (٥٢١/٤) : "وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك" .

وقال الرازى فى تفسيره (٢٠٤/٣١) : "أجمع المفسرون منا على أن المراد منه أبو بكر ، رضى الله عنه وأعلم أن الشيعة بأسرهم ينكرون هذه الرواية ، ويقولون : إنها نزلت فى حنق على بن أبى طالب عليه السلام" ثم أطال الكلام فى الاستدلال على ذلك والرد على الشيعة ، وأتى فيه بما لا يخلو من قيل وقال . والصواب أن يقال فى هذه الآية وغيرها من الآيات التى نزلت فى سبب معين أو شخص معين : إن حكمها عام . يشمل جميع من اتصف بما ورد فى هذه الآية من الصفات لأن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وذلك لا يمنع من دخول أبى بكر رضى الله عنه فى حكمها بل هو أولى الأمل به ، وكذلك على بن أبى طالب سبب رضى الله عنه وسائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فإنهم دخلوا تحت هذه الآية الكريمة إن شاء الله .

راجع تفسير ابن كثير (٥٢١/٤) .

(٣) تقد ذكره فى ص (٨٤٠) .

(٤) هو بلال بن رباح الحبشى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدمت ترجمته فى ص (٥٥٣)

(٥) هو عامر بن فهيرة التميمي مولى أبى بكر الصديق ، أحد السابقين وكان ممن يعذب

فى الله ، ذكره ابن إسحاق وغيره فىمن استشهد بيتر معونة .  
انظر سيرة ابن هشام (١٠٤/٣) والإصابة (٢٥٦/٢) .

(٦) لم أجد ترجمتها . وقد ورد ذكرها وذكر ابنتها فى السبعة الذين كانوا

يعذبون فى الله وأعتقهم جميعاً أبو بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين

انظر سيرة ابن إسحاق (ص ١٧) والمعرفة والتاريخ للبسوى (٢٥٤/٣) وسيرة

ابن هشام (٢٧٨/١) .



وزنيره (١) وغيرهم (٢) .

وروى أنهم لما اشترى الزنيرة وأعتقها ، وكانت قد أسلمت ، عميت عن قريب فقال المشركون ، أعماها اللات والعزى فقالت : أنا أكفر باللات والعزى ، فرد الله عليها بصرها (٣) .

(١) هي زنيرة ( بكسر أولها ، وتشديد النون المكسورة بعدها يا ساكنة ) الرومية ، كانت من السابقات إلى الإسلام ومن يعذب في الله ، وكان أبو جهل يعذبها الإصابة ( ٣١١ / ٤ ) .

(٢) روى ابن إسحاق في سيرته ، ( ع ١٧١ ) عن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة ، أعتق بلالاً ، وعامر بن فهيرة والزنيرة وجارية بنى عمرو بن مؤمل ، والنهدية ، وابنتها ، ولم عيسى .

انظر تفصيل قصتهم في سيرة ابن هشام ( ٢٧٨ / ١ ) وقال مقاتل في تفسيره ( ق ٣٩٧ / ب ) " إن أبا بكر رضي الله عنه اشترى تسعة نفر يعذبون على الإسلام ، منهم بلال المؤمن وعامر بن فهيرة وأخته ووئيدة وابنتها وجارية ابن عمرو وأم كناس والنهدية وابنتها " والمشهور الأول . انظر أيضاً الروي الأئف ( ١٩٩ / ٣ - ٢٠٠ ) والإصابة ( ٤٧٥ / ٤ ) .

(٣) روى ابن إسحاق في سيرته ( ع ١٧١ ) والبيهقي في دلائل النبوة ( ٢٨٢ / ١ - ٢٨٣ ) من طريق يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذهب بصر الزنيرة ، وكانت ممن تعذب في الله عز وجل على الإسلام ، فتأبى إلا الإسلام فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت : كذباً والله ما هو كذلك ، فرد الله عليها بصرها " . وأورد القصة ابن حجر أيضاً في الإصابة ( ٣١٢ / ٤ ) في ترجمتها من رواية الفاكهي وابن مندة ومحمد بن عثمان ابن أبي شيبة في تاريخه ، أخرج محمد بن عثمان بن أبي شيبة من رواية زياد البكائي عن حميد عن أنس قال : قالت لى أم هانئ بنت أبي طالب : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت : كذبوا وبيت الله ما يغنى اللات والعزى ، ولا ينفعان فرد الله إليهما بصرها " .

انظر القصة أيضاً في سيرة ابن هشام ( ٢٧٨ / ١ ) وتفسير البغوى والخازن

ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على بلال وهو يعذب في رمضان<sup>(١)</sup> مكة وهو يقول : أحد أحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم سينجيك أحد ، ثم إنه أتى أبا بكر وقال : رأيت بلالاً يعذب في اللّته : فذهب أبو بكر إلى بيته وأخذ رطلاً من ذهب وجاء به إلى أمية بن خلف واشتراه منه وأعتقه ، فقالت قرين إنما أعتقه ليدله عنده ، فأنزل الله تعالى ( وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ) أي إلا طلب رضا ربه المتعالى .<sup>(٢)</sup>

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١٦٠/٧) : " الرَّمَضُ والرَّمَضُ : شِدَّةُ الْحَرِّ ، والرَّمَضُ : حَرُّ الْحِجَارَةِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ ، وقال أيضاً : الرَّمَضُ : شِدَّةُ وَقَعِ الشَّمْسِ عَلَى الزَّمْلِ وَغَيْرِهِ ، وَالْأَرْضُ رَمَضًا " .

(٢) ذكر قصة تعذيب بلال على إسلامه ، وإعتاق أبي بكر له رضى الله عنهم أجمعين غير واحد من أصحاب السير والتراجم ، بشي من الاختلاف في السياق . انظر سيرة ابن هشام (٢٧٧/١ - ٢٧٨) وسيرة أعلام النبلاء (٣٥٢/١ - ٣٥٣) والإصابة (١٦٥/١) .

وأما ما ذكره المؤلف في سبب النزول لهذه الآية فلم أجد من ذكره ، وقد روى ابن جرير في تفسيره (٢٢١/٣٠) بسنده عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أي نبي أراك تعتق أناساً ضعفاء ، ظنوا أنك أعتقت رجالاً جلدًا يقومون معك ، ويمنعونك ويدفعون عنك ، فقال : أي أبت إنما أريد ما عند الله ، قال (أي عامر) : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه : ( فأما من أعطى واتقى . . . ) الآية .

وقد ذكر نحوه ابن هشام في السيرة (٢٧٨/١) والواحدى في أسباب النزول (ص ٣٣٦) والسيوطى في لباب النقول (ص ٢٣٠) .

وقوله ( ولسوف يرضى ) ثوابه في الآخرة ، والمعنى : يعطيه الله حتى يرضى .  
 وذكر النقاش في تفسيره : أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقال : قل لأبي بكر يقول الله تعالى : أنا عنك راضٍ فهل أنت عنى " راضٍ " ؟  
 فذكر ذلك لأبى بكر وبكى وخر ساجداً وقال : أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ .<sup>(٢)</sup>

وروى على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رحم الله أبا بكر زوجنى / ابنته . ٣٣٥/ب  
 وحملنى إلى دار الهجرة ، واشترى بلالاً وأعتقه .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) قال أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ( ٣ / ٧٢١ ) : " ولسوف يرضى " أى بالشواب .  
 وقال البغوى والخازن في تفسيرهما ( ٧ / ٢٥٧ ) : " ( ولسوف يرضى ) بما يعطيه  
 الله عز وجل في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاءً على ما فعل " .

وقال الزمخشرى في الكشاف ( ٤ / ٧٦٥ ) : " موعده بالشواب الذى يرضيه  
 ويقر عينه " . وذكر الرازى في تفسيره ( ٣ / ٢٠٦ ) هذا المعنى ، قال :  
 " وأما قوله ( ولسوف يرضى ) فالمعنى : أنه وعد أبا بكر أن يرضيه فى  
 الآخرة بثوابه ، وهو كقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم ( ولسوف يعطيك  
 ربك فترضى ) سورة الضحى الآية هـ . ثم ذكر معنى آخر فقال : وفيه عندى  
 وجه آخر ، وهو أن المراد أنه ما أنفق إلا لطلب رضوان الله ، ولسوف  
 يرضى الله عنه وهذا عند أعظم من الأول ، لأن رضا الله عن عبده أكمل من  
 رضاه عن ربه ، وبالجملة فلا بد من حصول الأمرين على ما قال " راضية مرضية " .  
 سورة الفجر الآية ٢٨ .

( ٢ ) لم أجد من المفسرين من ذكره ، وهو لا يخلوا من أن يكون حديثاً ضعيفاً  
 أو موضوعاً .

( ٣ ) رواه الترمذى فى سننه - كتاب المناقب - باب مناقب على بن أبى طالب رضى الله  
 عنه ( ٥ / ٦٣٣ ) رقم ١٣٧١ بسنده عن المختار بن نافع حدثنا أبو حيان التميمى عن  
 أبيه عن علي مرفوعاً . وفى آخره زيادة " رحم الله عمر ، يقول الحق وإن كان  
 مراً وتركة الحنظل ماله صديق ، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة رحم الله  
 علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار " .

وقال الترمذى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والمختار  
 ابن نافع شيخ بصرى كثير الفرائب " . قال فى الحافظ فى التوقيف ( ص ٣٣٠ )  
 ضعيف .

وقال الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ( ٣ / ١٨١ ) " ضعيف جداً " .

(١)  
تفسير سورة الضحى وهى مكية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( والضحى ) أقسم بالنهار كنه (٢) ، وقيل : بوقت الضحوة وهو وقت ارتفاع الشمس . (٣)

(١) أورد السيوطى فى الدر المنثور (٦/٣٦٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت سورة ( والضحى ) بمكة ، وذكر الماوردى فى تفسيره (٤/٤٧٠) وابن الجوزى فى زاد المسير (٩/١٥٤) والقرطبى فى تفسيره (٢٠/٩١) إجماع المفسرين على أن هذه السورة مكية ، وقال ابن الجوزى " أتفق المفسرون على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحى مدة " ثم ذكر فى سبب انقطاع ثلاثة أقوال ، سيأتى ذكرها قريباً ان شاء الله .

(٢) ذكر المفسرون فى معنى الضحى هنا قولين ، أحدهما هو هذا الذى ذكره المؤلف أى أن المراد النهار كنه ، بدليل قوله تعالى فيما بعد : " والليل إذا سجدى " فقابله بالليل ونظيره قوله تعالى : " أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يذمبون " سورة الأعراف الآية ٩٨ ، وهو قول الفراء فى معانى القرآن ٢٧٢٣ انظر أيضاً تفسير الماوردى (٤/٤٧٠) وقد ذكره بلفظ : هو ضوء النهار فى اليوم كله ، مأخوذ من قولهم ضحى فلان الشمس إذا ظهر لها ، قاله مجاهد ، والاشتقاق لعلى بن عيسى ، وانظر أيضاً الكشف والبيان (٢/١٢٥/١) وتفسير البغوى (٧/٢٥٧) وزاد المسير (٩/١٥٦) والكشاف (٤/٧٦٥) وتفسير الرازى (٣١/٢٠٧) وتفسير القرطبى (٢٠/٩١)

(٣) هذا هو القول الثانى ، ذكره الماوردى فى تفسيره (٤/٤٧٠) قال : إنه صدر النهار ، وعزاه إلى قتادة وهو قول مقاتل أيضاً فإنه قال فى تفسيره (ق ٣٩٨/١) : يعنى حر الشمس وهى أول ساعة من النهار حين تطلع الشمس .

وذكره البغوى فى تفسيره (٧/٢٥٧) عن قتادة ومقاتل أنهما قالوا يعنى وقت الضحى ، وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد والصيف والشتاء انظر أيضاً الكشف والبيان (٢/١٢٥/١) وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/١٥٦) من قول السدى ومقاتل أنه أول ساعة من النهار ، إذا ترحلت الشمس ، .

وقال الزمخشري فى الكشاف (٤/٧٦٥) : " المراد بالضحى : وقت الضحى ، وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقى شعاعها ، وقيل : إنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التى كدم فيها موسى عليه السلام ، وألقى فيها السحرة سجداً ، لقوله : " وأن يحشر الناس ضحى " سورة طه الآية ٥٩ ، وقد ذكره القرطبى أيضاً فى تفسيره (٢٠/٩١) وعزاه إلى قتادة ومقاتل وجعفر الصادق " انظر أيضاً تفسير الرازى (٣١/٢٠٧) وقد أوصل القولين إلى أربعة أقوال - الماوردى ، وابن الجوزى وهى فى الحقيقة قولان فقط ، وكلا القولين له وجه - وأما ما ذكره الزمخشري من سبب التخصيص فلا أعتقد أن هناك دليلاً يدل على صحته ، وقد ذكره الشعلبى أيضاً فى الكشف والبيان (٣/١٢٥/١) إلا أنه ذكره كقول فى معنى الضحى ، لأنه سبب للتخصيص .

قال مجاهد : ( سجي ) استوى <sup>(١)</sup> ، وقال عكرمة : سكن الخلق فيه . <sup>(٢)</sup>

(١) اختلف المفسرون في معنى ( سجي ) على عدة أقوال ، أحدها هو ما ذكر المؤلف عن مجاهد ، وهكذا جاء في تفسيره (٧٦٦/٧) وقد رواه ابن جبري في تفسيره (٢٢٩/٣٠) من طريق عنه ، وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٠/٦) وعبرا تخريجه أيضا إلى القرطبي وعبد بن حمد وابن المنذر وابن أبي حاتم \* وذكره من قوله (الماوردي في تفسيره (٤٧٠/٤) والبغوي في تفسيره (٢٥٨/٧) والقرطبي في تفسيره (٩٢/٢٠) .

(٢) هو القول الثاني ، ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٤٧٠/٤) وعزاه إلى عكرمة وعطاء وابن زيد ، وذكر أنه مأخوذ من قولهم سجي البحر إذا سكن ، وقد رواه ابن جبري في تفسيره (٢٣٠/٣٠) بسنده عن قتادة والضحاك وابن زييد ، وذكره البغوي في تفسيره (٢٥٨/٧) فقال : قال قتادة وابن زيد : سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك يقال ليل ساج وبحر ساج إذا سكن \* .

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١٥٦/٩) والرازي في تفسيره (٢٠٧/٣١) والقرطبي في تفسيره (٩١/٢٠) أن معنى ( سجي ) سكن ، وعزاه ابن الجوزي إلى عطاء وعكرمة وابن زيد وعزاه الرازي إلى مجاهد وقاتة والسدي وابن زيد ، وكذلك عزاه القرطبي إليهم إلا أنه لم يذكر السدي ، وإنما ذكر بدله عكرمة ، ولعمري الرازي والقرطبي اعتبرا قول مجاهد وقول عكرمة ومن معه قولاً واحداً كما اعتبره ابن جبري فقال بعد أن ذكر فيه قولين آخرين : وقال آخرون : معناه : إذا استوى وسكن ، ثم روى بسنده ما تقدم عن مجاهد ، أي أن معناه : استوى ، وروى عن آخرين أن معناه سكن واستقر .

هذا وقد ذكر هو "الاشارة" - أي ابن الجوزي والرازي والقرطبي وجهين في سكن ، فقال ابن الجوزي : فعلى هذا في معنى سكن قولان : أحدهما : استقر ظلامه ، ثم ذكر ما قاله الفراء في معاني القرآن (٢٧٣/٣) : "والليل إذا سجي : إذا أظلم وركد في طوله كما تقول : بحر ساج وليلى ساج : إذا ركد وسكن وأظلم" وما قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٠٢/٢) : ( والليل إذا سجي ) إذا سكن ، يقال : ليلة ساجية وليلة ساكنة ، وكذلك ما قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٢) : " ( والليل إذا سجي ) إذا سكن وذلك عند تنهاى ظلامه وركوده " .

والثاني : سكن الخلق فيه ، ذكره الماوردي ، وقد تقدم ذكره نقلاً عنه ، وأما الرازي فقال : "ولسكونه معنيان ، أحدهما : سكن الناس ، فنسب إليه كما يقال : ليل نائم ونهار صائم ، والثاني : هو أن سكونه عبارة عن استقرار ظلامه واستوائه فلا يزداد بعد ذلك ، وكذا ذكر القرطبي أيضا في تفسيره (٩٢/٢٠) وقال الزمخشري في الكشاف (٧٦٥/٤) " ( سجي ) سكن وركد ظلامه ، قيل : ليلة ساجية ساكنة الريح ، وقيل : معناه : سكن الناس والأصوات فيه ، وسجيا البحر : سكنت أمواجه " وقد ذهب إلى القول بأن معنى ( سجي ) سكن الزجاج كما نقل عنه ابن منظور في لسان العرب (٣٧١/١٤) .

(١)

وقيل : استقرت ظلمته .

قال الأصمعي : سجو الليل : تغطية النهار ، يقال : ليل داج ، وحر

ساج وسماء ذات أبراج<sup>(٢)</sup> ، قال الراجز :  
يَا حَبْدَا الْقَمَرَاُ وَاللَّيْلُ السَّاجُ<sup>(٣)</sup> وَطَرْنٌ مِثْلُ مَلَأِ النَّسَاجِ<sup>(٤)</sup>وقال آخر :<sup>(٦)</sup>فَمَا ذَنَبْنَا أَنْ جَاشَ بَحْرَابِنِ عَمَكُمِ<sup>(٧)</sup> وَبَحْرَكِ سَبَاجِ مَا يُوَارِي الدَّعَاصِلَا<sup>(٨)</sup>

(١) تقدم ذكر هذا المعنى في أحد الوجهين اللذين ذكرهما كل من ابن الجوزي والرازي على القول بأن معنى ( سجي ) سكن وذكر ابن منظور في لسان العرب (٣٧١/١٤) عن ابن الأعرابي أنه قال : سجا : امتد بظلامه .

(٢) ذكر الأزهري في تهذيب اللفظة (١٤٠/١١-١٤١) عن ابن بزج أنه قال : قال الأصمعي : سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجي الرجل بالثوب " وكذا ذكره ابن منظور في لسان العرب (٣٧١/١٤) عن الأصمعي والقرطبي في تفسيره (٦٢/٢٠) وذكره الرازي في تفسيره (٢٠٧/٣١) عن الأصمعي وابن الأعرابي واختاره مقاتل في تفسيره (١/٣٩٨) فقال : " يعني إذا غطي بهيمه ضوء النهار " وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٣/٧٥) عن الضحاك أنه قال : غطي كل شيء " وأما قوله : ( يقال : ليل داج ، وبحر ساج وسماء ذات أبراج ) فقد ورد في كلام علي رضي الله عنه كما في لسان العرب ٣٧١/١٤ .

(٣) في النسختين ( الداج ) والصواب ما أثبتته : كما في المصادر الأخرى ، وبدونه يختل الاستشهاد بهذا الراجز .

(٤) الملاءة بالضم والمد : الرِيطة ، وهي المِطْحَفَةُ ، وجمعه مِلاءٌ ، لسان العرب (١٦٠/١) .

(٥) أورده ابن منظور في لسان العرب (٣٧١/١٤) وذكر أن الزجاج أنشده للحارثي ، وهو في تهذيب اللفظة (١٤٠/١١) والكامل للمبرد (٢٨٣/١) ومجاز القرآن (٣٠٢/٢) وتفسير الطبري (٢٢٠/٣٠) وزاد المسير (١٥٧/٩) وتفسير القرطبي (٩١/٢٠) .

(٦) هو الأعشى .

(٧) هو من جاشت القِدْرُ تَجِيشَ جَيْشًا وَجَيْشَانًا : غَلَّتْ ، وكذلك الصَّدْرُ إِذَا لَمَّ يَقْدِرُ عَاجِبُهُ عَلَى حَبْسِ مَا فِيهِ ، انظر لسان العرب (٢٧٧/٦) .

(٨) هو جمع ، مفرده الدُّعْمُوسُ : وهو دَوْيِيَّةٌ صغيرة تكون في مُسْتَنْقِ الماءِ وقيل : هي دَوْيِيَّةٌ تَغْفُوسُ فِي الْمَاءِ .

انظر لسان العرب (٢٦/٧) . والبيت في ديوان الأعشى (ع. ١٠٠) وفيه  
(أتعدني) بدل (فما ذنبنا) وهو أيضا في تفسير الطبري (٢٢٠/٣٠) وتفسير  
القرطبي (٩١/٢٠) والصحاح (٢٣٧٢/٦) ولسان العرب (٣٧١/١٤) (٣٦/٧) وفي الجميع : "فما ذنبنا" .

وقوله ( ماودعك ربك وما ظلى ) قال أهل التفسير : أبطأ جبريل عن الرسول صلى الله عليه وسلم مرة : فقالت قریش : ودعه ربه وقلاه<sup>(١)</sup> ، وروى أن امرأة قالت له : يا محمد أرى أن شيطانك قد تركك فأنزل الله تعالى هذه السورة وأقسم بما ذكرنا أنه ماودعه وما قلاه<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) روى مسلم في صحيحه كتاب الجهاد ( ١٥٦ / ١٢ ) وعبد الرزاق في تفسيره ( ١ / ٢٣ ) وابن جرير في تفسيره ( ٢٣١ / ٣٠ ) والطبراني في المعجم الكبير ( ١٨٧ / ٢ ) رقم ١٧١٢ بسندهما عن جندب البجلي قال : أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال المشركون : ودع محمداً ربّه ، فأنزل الله ( والضحى والليل إذا سجي ، ماودعك ربك وما ظلى ) وأورده السيوطى في الدر المنثور ( ٦ / ٣٦٠ ) وعزاه تخريجه أيضاً إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وورد نحوه في روايات أخرى عن ابن عباس وغيره . انظر المصدرين السابقين ، وانظر أيضاً تفسير الماورى ( ٤٧٠-٤٧١ / ٤ ) والكشاف ( ٤٧٩ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٢٠٩٣١ ) وتفسير القرطبي ( ٩٢ / ٢٠ ) ولباب النقول ( ع ٢٣٠ ) .

( ٢ ) رواه البخارى في صحيحه كتاب التهجد ، باب ترك القيام ، ( ٨ / ٣ ) رقم ١١٢٤ ، ( ١١٢٥ ) وكتاب التفسير - باب " ما ودعك ربك وما ظلى " ( ٨ / ٧١٠-٧١١ ) رقم ٤٩٥٠ ، ( ٤٩٥١ ) ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد ، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ( ١٥٦ / ١٢ - ١٥٧ ) وأحمد في مسنده ( ٤ / ٣١٢ ) ، وابن جرير في تفسيره ( ٢٣١ / ٣٠ ) والبغوى في تفسيره ( ٢٥٧ / ٧ ) والواحدى فى أسباب النزول ( ص ٣٣٧ ) . من طرق عديدة عن الأسود بن قيس عن جندب البجلي ، بالفاظ متقاربة ، ولفظه عند البخارى في كتاب التفسير ( ٨ / ٧١٠ ) : " اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقد ليلىتين أو ثلاثاً ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إنسى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قريك منذ ليلىتين أو ثلاثاً ، فأنزل الله عز وجل : " والضحى والليل إذا سجي ، ما ودعك ربك وما ظلى " رواه عن أحمد بن يونس حد ثنا زهير حد ثنا الأسود بن قيس به ، ويوجد فى الظاهر تعارض بين الروايتين فإن هذه الرواية تقول بأن التى قالت هذا الكلام امرأة ، بينما الرواية السابقة تقول بأن الذين قالوه هم المشركون ، وقد أشار إليه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ( ٨ / ٧١٠ ) ودفع هذا التعارض بقوله : " ولا مخالفة لأنهم قد يطلقون لفظ الجمع ويكون القائل أو الفاعل واحداً بمعنى أن الباقيين راغون بما وقع من ذلك الواحد " ثم إن هذه المرأة التى جاء ذكرها فى الرواية الأكثر على أنها أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان بن حرب وامرأة أبى لهب وقد جاء ذلك فيما أخرجه الحاكم فى مستدركه ( ٢ / ٥٢٦ - ٥٢٧ ) بسنده عن زيد بن أرقم فى سياق طويل ، ووصف هذه الرواية ابن حجر فى الفتح ( ٣ / ٩ ) بأن رجاله شقات ، وجاء فى بعض الروايات الأخرى عند ابن جرير وغيره أن خديجة رضى الله عنها هى التى قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : قد قلاك ربك " قال ابن كثير فى تفسيره ( ٤ / ٥٢٢ ) بعد أن ذكر بعض روايات ورد فيها ذكر خديجة : ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً ، أو قالت على وجه التأسف والتحزن والله أعلم " انظر أيضاً للتفصيل فى ذلك فتح البارى ( ٣ / ٩ ) وقد قرر الحافظ ابن حجر أن كلاً من أم جميل وخديجة قالت ذلك ، لكن أم جميل قالته شماته ، وخديجة قالته توجعاً " .

وروى زهير عن الأسود بن قيس عن جندب البجلي قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدُميت أصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هَلْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبَعٌ دَمِيَّتْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالِقِيَّتْ .

قال : فأبطأ جبرئيل عليه السلام فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قوله ( مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ) ( ٥ ) .

( ١ ) هو زهير بن معاوية بن خديج ، أبو خيثمة الجعفي الكوفي نزيل الجزيرة ، ثقة ثبت إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بآخره ، مات سنة اثنتين وثلاثين أو ثلاث أو أربع وسبعين ومائة وكان مولده سنة مائة .  
انظر تقريب التهذيب ( ص ١٠٩ ) .

( ٢ ) هو الأسود بن قيس العبدي ويقال : العجلي الكوفي ، يكنى أبا قيس ، روى عن جندب بن عبد الله البجلي وغيره وعنه زهير بن معاوية وغيره ، ثقة .  
انظر تهذيب التهذيب ( ٣٤١ / ١ ) وتقريب التهذيب ( ٢٦ ) .

( ٣ ) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقمي أبو عبد الله ، وقد ينسب إلى جدّه فيقال : جندب بن سفيان له صحبة ، مات بعد الستين .  
انظر الإصابة ( ٢٤٨ / ١ - ٢٤٩ ) وتقريب التهذيب ( ص ٥٧ ) .

( ٤ ) في النسختين ( غازية ) وفي المصادر الأخرى ( غار ) وهو الصواب ولذا أثبتته .

( ٥ ) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب التفسير ، باب \* ومن سورة والنضح ( ٤٤٢ / ٥ ) ، رقمه ( ٣٣٤ ) من طريق سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس عن جندب البجلي بمثله ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه أيضا ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٥٢٣ / ٤ ) ، والشعبي في الكشف والبيان ( ١٣ / ٢٤ / ب ) كلاهما من الطريق السابق أي من طريق سفيان بن عيينة به ، قال : روى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فسي أصبعيه فقال :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبَعٌ دَمِيَّتْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالِقِيَّتْ  
قال : فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم ، فقالت امرأة : ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت : ( والنضح ) ، والليلة إذا سجي ، ما ودعك ربك وما قلى ) .

وقد رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد ، باب من يُنكب في سبيل الله ( ١٩ / ٦ رقم ٢٨٠٢ ) وكتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز الخ ( ١٠ / ٥٢٧ رقم ٦١٤٦ ) ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد ، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ( ١٥٥ / ١٢ - ١٥٦ ) من طريق أبي عوانة وسفيان بن عيينة كلاهما عن الأسود بن قيس به بنحوه مختصراً إلى قوله " وفي سبيل الله مَالِقِيَّتْ " وليس فيه ذكر لسبب النزول لهذه السورة . وذلك قال الحافظ بن كثير في تفسيره ( ٥٢٢ / ٤ ) عقب إيراد من رواية ابن أبي حاتم : وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ، ولكن الغريب ههنا جعله سبباً لتركه القيام ونزول هذه السورة .



قال - رضى الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد المكي بن عبد السرزاق الكشميهني<sup>(١)</sup> أخبرنا جدي أبو الهيثم الفريزي<sup>(٢)</sup> أخبرنا البخاري<sup>(٣)</sup> أخبرنا أحمد بن يونس<sup>(٤)</sup> عن زهير بن معاوية بن خديج<sup>(٥)</sup> - الحديث .

( ١ ) ذكره أبو سعد السمعاني في التحبير ( ٢ / ٢١١ ) ضمن مشايخ أبي عبد الله الحفصوى ولم أجد ترجمته .

( ٢ ) كذا في النسختين ( أبو الهيثم الفريزي ) وهنو خطأ ، والصواب أن تكون العبارة هكذا ( أبو الهيثم عن الفريزي ) وأبو الهيثم هو محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع بن هارون المروزي الكشميهني ، حدث بـ " صحيح البخاري " مرآت عن أبي عبد الله الفريزي ، قال فيه الذهبي : " كان صدوقاً " توفي سنة تسع وثمانين وثلاث مائة " انظر سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٩١ .

وأما الفريزي : فهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن منظر بن صالح بن بشر الفريزي ، راوى " الجامع الصحيح " عن أبي عبد الله البخاري سمعه منه يفريزي مرتين ، روى عنه أبو الهيثم الكشميهني وغيره ، وقال الكشميهني : سمعت منه يفريزي الصحيح في ربيع الأول سنة عشرين ، أي بعد ثلاث مائة . وقال فيه أبو بكر السمعاني : وكان ثقة ورعاً . ومات الفريزي لمشر بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة وقد أشرف على التسعين . انظر سير أعلام النبلاء ( ١٥ / ١٠ - ١٣ ) .

( ٣ ) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح .

( ٤ ) هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس الكوفي التميمي اليربوعي ، ثقة حافظ ، مات سنة سبع وعشرين ومائتين ، وهو ابن أربع وتسعين سنة . تقريب التهذيب ( ص ١٤ ) .

( ٥ ) بيدولي - والله أعلم بالصواب - أن المؤلف وقع له وهم في أمرين هنا ، الأمر الأول روايته للحديث عن البخاري والأمر الثاني : سوق هذا الإسناد ، فإن البخاري لم يرو هذا الحديث بتمامه وإنما رواه بدون الشاهد منه ، وهو لفظ الترمذي وقد استغربه ابن كثير ، كما تقدم ، ثم إن الإسناد الذي ساقه المؤلف لرواية الحديث لم أجده عند البخاري فإنه رواه في موضعين من صحيحه ، كما تقدم الإشارة إليهما ، فرواه في أحد الموضعين من طريق أبي عوانة وفي الموضع الثاني من طريق سفيان بن عيينة ، وأما هذا الإسناد فروى تحته الحديث الذي تقدم ذكره في ص ( ٨٦١ ) .

انظر تحفة الأشراف ( ١ / ٤٣٩ - ٤٤٠ ) لمعرفة الطرق للحديثين .

وذكر بعضهم : أن الآية نزلت حين سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خبر أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فقال : سأخبركم غداً ، ولم يقل : إن شاء الله فتأخر جبريل عليه السلام سبعة عشر يوماً وقيل أقل أو أكثر فقال المشركون : قد ودعه ربه وظبه فأنزل الله تعالى هذه السورة .<sup>(١)</sup>

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٣/٧٤/١ ب) والبيهقي والخازن في تفسيرهما (٢٥٧/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٤/٩) والرازي في تفسيره (٢١٠/٣١) والقرطبي في تفسيره (٩٣/٢٠) وأورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧١٠/٨) نقلاً من سيرة ابن إسحاق ، وقال : وذكر سورة الضحى هنا بعيد ، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً ، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى ، وكل منهما لم يكن في ابتداء البحث ، وإنما كان بعد ذلك بمدة والله أعلم .

هذا وقد ذكر بعض المفسرين في سبب انقطاع الوحي ثلاثة أقوال . أحدها : هذا الذي تقدم من سؤال اليهود عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ، ذكره الرازي عن أكثر المفسرين ، والثاني : لظنة النظافة في بعض أصحابه . ذكر مقاتل في تفسيره (ق ١/٣٩٨) أن المسلمين قالوا : يا رسول الله ، انزل عليك الوحي ، فقال : كيف ينزل علي الوحي وأنتم لا تنفون براجمكم ولا تطمئون أظفاركم ، والثالث : لأجل جرو كان في بيته ، قاله زيد بن أسلم ، وقد روى الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٢٤ رقم ٦٣٦) والواحد في أسباب النزول (٣٣٧ - ٣٣٨) بسندهما عن خولة وكانت خادماً رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أن جرواً دخل البيت ودخل تحت السرير ومات ، فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم أياماً لا ينزل عليه الوحي . . . إلى آخر القصة ، وأشار إليه الحافظ في الفتح (٧١٠/٨) ووصف إسناده بأن فيه من لا يعرف ، وقال : وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة ، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب ، بل شاذ ، مردود بما في الصحيح والله أعلم .

انظر تفسير البيهقي والخازن (٢٥٧/٧) وزاد المسير (١٥٤/٩) وتفسير الرازي (٢١٠/٣١) وتفسير القرطبي (٩٣/٢٠) وهناك اختلاف أيضاً بين المفسرين في مدة انقطاع الوحي .

فقال ابن جريج : اثنا عشر يوماً ، وقال ابن عباس والكلبي : خمسة عشر يوماً وذكر عن ابن عباس : خمسة وعشرون يوماً ، وقال مقاتل : أربعون يوماً . انظر تفسير مقاتل (١/٣٩٨/٢) والمصادر السابقة سوى زاد المسير .

وقال الحافظ في الفتح (٧١٠/٨) : والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول " والضحى " غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي ، فإن تلك دامت أياماً وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً ، فاختلفتا على بعض الرواة .

وقد قرئ الشاذ بالتخفيف <sup>(١)</sup> والمعروف بالتشديد <sup>(٢)</sup> ، أى ما قطع عنك  
الوحي <sup>(٣)</sup> ، وقيل : ما أعرض عنك <sup>(٤)</sup> .

وبالتخفيف معناه : تركك <sup>(٥)</sup> ، تقول العرب : دع هذا ، وذر هذا  
واترك هذا بمعنى واحد <sup>(٦)</sup> .

وقوله ( وما ظلى ) أى ما فلاك بمعنى ما أبغضك <sup>(٧)</sup> .

(١) ذكرها ابن خالويه فى شوان لقرآن (ع ١٧٥) وقد عزاها ابن الجوزى فى زاد  
المسیر ( ١٥٧/٩ ) إلى عمرو بن الخطاب وأنس وعروة وأبى العالىة وابن يعمر  
وابن أبى عبلة وأبى حاتم عن يعقوب .  
وعزاها القرطبى فى تفسيره ( ٩٤/٢٠ ) إلى ابن عباس وابن الزبير ، انظر أيضا  
القراءات فى تفسير الشوكانى (ص ١١٩٤) وروح المعانى (١٥٦/٣٠) .

(٢) هى قراءة الجمهور ، وهى متواترة بالإجماع .  
انظر تفسير الماوردى ( ٤٧١/٤ ) وتفسير القرطبى ( ٩٤/٢ ) والقراءات فى  
تفسير الشوكانى (ص ١١٩٤) .

(٣) قال الماوردى فى تفسيره ( ٤٧١/٤ ) بعد أن ذكر قراءة الجمهور : " معناها  
ما انقطع الوحي عنك توديعاً لك " .  
وقال الزمخشرى فى الكشاف ( ٧٦٦/٤ ) " والتوديع : مبالغة فى الودع ، لأن من  
ودّعك مفارقاً فقد بالّع فى تركك " انظر أيضا تفسير الرازى ( ٢٠٩/٣١ ) وتفسير  
القرطبى ( ٩٤/٢٠ ) .

(٤) لم أجد من ذكر هذا المعنى بحيث أنه أحد القولين فى معنى ودّعك ، وما تقدم  
نقلًا عن الزمخشرى وغيره يتضمن هذا المعنى .

(٥) ذكر هذا المعنى الماوردى فى تفسيره ( ٤٧١/٤ ) والزمخشرى فى الكشاف ٧٦٥/٤  
والرازى فى تفسيره ٢٠٩/٣١ والقرطبى فى تفسيره ( ٩٤/٢٠ ) .

(٦) قال القرطبى فى تفسيره ( ٩٤/٢٠ ) : " واستعماله (أى ودّع) ظليل ، يقال : هو  
يدع كذا أى يتركه قال المبرد محمد بن يزيد : لا يكادون يقولون ودّع ولا وذر لضعف  
الواو إذا قدمت ، واستغنوا عنها بترك " .

(٧) قال الجوهرى فى الصحاح ( ٢٤٦٧/٦ ) : " والظلى : البغض ، فإن فتمت  
القاف مددّت تقول : قلاه يظليه ظليّ وقلاه " وقال الراغب فى المفردات (ص ٤١٢)  
الظلى : شدة البغض ، يقال : قلاه يظليه ويظوه " . انظر أيضا مجاز القرآن ٣٠٧/٢  
وتفسير غريب القرآن ( ٥٣١م ) وتفسير الماوردى ( ٤٧١/٤ ) وزاد المسير ( ١٥٧/٩ )  
والعمدة فى غريب القرآن (ص ٣٤٨) كلهم فسروا الكلمة بقولهم : أبغض " .

وقيل : ما تركك منذ فلاك وما أبغضك منذ أحبك (١).

قال الأخطل (٢) :

المُهْدِيَّاتُ لِمَنْ هَوِيَ مَيْسَهُ (٣) - هَوِيَ مَيْسَهُ (٤)  
والمَحْسِنَاتُ لِمَنْ قَلَّيْنِ مَقَالًا (٥)

وقوله ( والآخرة خير لك من الأولى ) يعني ثواب الله خير لك من الأولى ، يعني

ثواب الله خير لك من نعيم الدنيا (٦) .

(١) قال الثعلبي في الكشف ( والبيان (١٢/٧٥/١) والبغوى والخازن في تفسيرهما

(٢٥٨/٧) والنسفي في تفسيره (٣٧٤/٥) "أى ما تركك منذ اختارك ، ولا أبغضك منذ أحبك" وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذا جواب القسم .

(٢) هو غياث بن غوث بن الضلت بن طارقة بن عمرو التغلبي ، الملقب بالأخطل ، أبو مالك نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق ، وكان قائمته طوراً في دمشق مقر الخلفاء من بني أمية ، وأكثر من مدح ملوكهم وأمرائهم ، وتهاجن مع جرير والفردق ، مات سنة تسعين .

انظر طبقات فحول الشعراء ١/٤٥١ وما بعدها ومعجم المؤلفين (٤٢/٨) .

(٣) ما بين المعكوفين غير موجود في النسختين ، وهو موجود في ديوان الأخطل .

(٤) هذه الكلمة غير واضحة في النسختين .

(٥) البيت في ديوان الأخطل (ص ٣٨٦) وأنشده الماوردي في تفسيره (٤/٤٧١) من

قول الأخطل :  
المُهْدِيَّاتُ لِمَنْ هَوِيَ نَسِيئَةً  
والمَحْسِنَاتُ لِمَنْ قَلَّيْنِ مَقِيئَةً .

(٦) قال ابن جرير في تفسيره (٣٠/٢٣٢) عند هذه الآية :

"يقول تعالى ذكره : وللدار الآخرة ، وما أعد الله لك فيها خير لك

من الدار الدنيا وما فيها ، يقول : فلا تحزن على ما فاتك منها ، فإن الذي

لك عند الله خير لك منها" وذكر الماوردي في تفسيره (٤/٤٧١) في الآية وجهين

أحدهما : وللآخرة خير لك مما أعجبك في الدنيا ، قاله يحيى بن سلام .

والثاني : أن مالك في مرجعك إلى الله تعالى أعظم مما أعطاك من كرامة

الدنيا ، قاله ابن شجرة . وقال النسفي في تفسيره (٥/٣٧٤) :

"أى ما أعد الله لك في الآخرة من المقام المحمود والحونى المصورود

والخير الموعود خير مما أعجبك في الدنيا" .

وذكر الزمخشري في الكشف (٤/٧٦٩) وجه اتصال هذه الآية بما قبلها

فقال : لما كان في ضمن نفي التوديع والظنى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنت حبيب

الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه ، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم

من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته

على سائر الأمم ، ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من

الكرامات السننية .

وقد روى أن عمر رضى الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فراه مضطجعاً على حصير ، قد أشْرَ الحَصِيرُ في جنبه فبكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر ؟ فقال : ذكرت كسرى وقيصر وماهما فيه من النعيم وذكرت حالك وأنت رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون لهم الدنيا (١) .

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد - باب ضجَاع آل محمد صلى الله عليه وسلم (٥٣٨/٢) بسنده عن عكرمة بن عمار ، حدثني سِمَاكُ الحَنْفِيُّ أَبُو زُمَيْلٍ حدثني عبد الله بن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير ، قال : فجلست فإذا عليه يَزَارٌ وليس عليه غيره ، وإذا الحَصِيرُ قد أَثْرَ في جنبه ، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو السَّمَاعِ وَقَرَطٍ في ناحية في الغرقة ، وإذا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ ، فَاثْبَدَرْتُ عَيْنَايَ فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : يا نبي الله ومالي لا أبكي ؟ وهذا الحَصِيرُ قد أَثْرَ في جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذلك كسرى وقيصر في الثَّمَارِ والأنهارِ ، وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك ؟ قال : يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت : بلى .

وقد جاء نحوه في حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير - باب "تبتغي مرضاة زوجاتك . . ." (٦٥٢/٨ رقم ٤٩١٣) .

ومسلم في صحيحه - كتاب الطلاق ، باب بيان أن تخيير المرأة لا يكون طلاقاً إلا بالنية (٨٢/١٠ - ٨٥) في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه ، .

وبهذا الحديث يعرف ضعف ما قاله بعض المفسرين من أن الآخرة خير لك مما أعجبك من الدنيا ، وقد قال ابن كثير في تفسير الآية : أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته .

انظر تفسيره (٥٢٢/٤) .

/ وقوله ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) ان من الثواب والكرامة والمنزلة ٢٣٦/١  
(١)  
حتى ترى .

(٢)  
وفي بعض التفاسير : هو ألف قصر من اللؤلؤ وترابها المسك .

(١) كذا في الأصل ( ترى ) والسياق يقتضى أن يكون ( ترضى ) وقال ابن جرير  
في تفسيره (٢٣٢/٣٠) عند هذه الآية : " يقول تعالى ذكره : ولسوف  
يعطيك يا محمد ربك في الآخرة من فواضل نعمه حتى ترضى " .  
ثم قال : وقد اختلف أهل العلم في الذى وعده من العطاء " وذكر  
بعده القولين الآتى ذكرهما عند المؤلف .

وذكر الماورى في تفسيره (٤٧١/٤) في هذه الآية وجهين : أحدهما :  
يعطيك من النصر فى الدنيا ، وما يرضيك من اظهار الدين ، الثانى : يعطيك  
المنزلة فى الآخرة وما يرضيك من الكرامة " .

وقال الثعلبى فى الكشف والبيان (١٢/٧٥/١) : والبغوى فى تفسيره (٢٥٨٧) :  
قيل : ولسوف يعطيك ربك من الثواب ، وقيل : من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين  
فترضى . وذكر القرطبى فى تفسيره (٩٥/٢٠) عن ابن إسحاق أنه قال : " الفلج  
( أى الظهور والفوز ) فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة " .

(٢) هو قول ابن عباس . رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٣٢/٣٠) من طريق الأوزاعي  
عن إسماعيل بن عبيد الله عن علي بن عبد الله بن عباس قال : ألف قصر من لؤلؤ ،  
ترابها المسك وفيه ما يصلحهم " . ولعل ذكر ابن عباس سقط من السند ، وقد  
ذكره الزمخشري فى الكشاف (٧٦٧/٤) والرازي فى تفسيره (٢١٢/٣١) والقرطبى  
فى تفسيره (٩٥/٢٠) كلهم من قول ابن عباس .

وقال القرطبى أيضا : رفعه الأوزاعي قال : حدثني إسماعيل بن عبيد الله  
عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : أرى النبي صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح  
على أمته فسر بذلك ، فأنزل الله عز وجل " والضحى - إلى قوله تعالى -  
ولسوف يعطيك ربك فترضى " فأعطاه الله جل ثناؤه : ألف قصر فى الجنة  
ترابها المسك ، وفى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج والخدم " اهـ . وقد  
رواه بنحوه ابن جرير فى تفسيره (٢٣٢/٣٠) والطبرانى فى المعجم الكبير  
(٣٣٧/١٠ رقم ١٠٦٥٠) والحاكم فى مستدركه (٥٢٦/٢) كلهم من طريق  
الأوزاعي وقد أورده ابن كثير فى تفسيره (٥٢٢/٤-٥٢٣) من رواية ابن جرير وابن  
أبي حاتم ، وقال : هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف  
وقد جاء ذلك فى رواية عند الطبرانى فى الأوسط من قول النبي صلى الله عليه وسلم .

انظر مجمع الزوائد (١٣٨/٧-١٣٩) ، انظر أيضا الكشف والبيان (٢/٧٥/ب)  
وأسباب النزول (٣٣٨) والدر المنثور (٦/٣٦١) .

والقول الثالث : أنه الشفاعة لأمته (١) .

وعن محمد بن علي الباقر (٢) قال : إنكم تقولون إن أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) الآية ونحن نقول : أرجى آية في كتاب الله تعالى هو قوله ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) يعني أنه يشفعه في أمته حتى يرضى (٤) .

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٢/٧٥/ب) والبغوي في تفسيره (٢٥٨/٧)

فقال : قال عطاء عن ابن عباس هو الشفاعة في أمته ، وهو قول علي والحسن ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/١٥٧) من قول علي والحسن .

انظر أيضا تفسير الطبري (٣٠/٢٣٢) وتفسير الرازي (٣١/٢١٢) ،

وتفسير القرطبي (٢٠/٩٥) : وتفسير ابن كثير (٤/٥٢٣) .

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر .

(٣) سورة الزمر الآية ٥٣ .

(٤) ذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٥٨/٧) فقالا :

" قال حرب بن شريح سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول : إنكم معشر أهل العراق تقولون : أرجى آية في القرآن ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) وإنما أهل البيت نقول : أرجى آية في كتاب الله ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) .

وذكره الرازي في تفسيره (٣١/٢١٢) وأشار إليه ابن كثير في تفسيره

(٤/٥٢٣) حيث قال بعد أن ذكر عن الحسن قوله : يعني بذلك الشفاعة :

وهكذا قال أبو جعفر الباقر " .

وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٣/٧٥/ب) من طريق عمرو بن عاصم

نا حرب بن شريح البزاز نا أبو جعفر محمد بن علي حدثني محمد بن علي الحنفية

عن أبيه علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشفع لأمتي

حتى ينادي ربي تعالى : رضيت يا محمد ، فأقول : رب : رضيت ، ثم قال : ( أي

أبو جعفر الباقر ) لي : إنكم معشر أهل العراق تقولون : إن أرجى آية . . . ثم ذكره

إلى آخره .

وكذا أورده السيوطي في الدر المنثور (٣٦١/٦) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية ، وأورده القرطبي في تفسيره (٩٦/٢٠) من قول علي بن أبي طالب وهو خطأ ، وإنما هو قول أبي جعفر الباقر \* .

بيد والنظر في الأقوال التي ذكرتها في معنى الآية أن الاختلاف بين المفسرين في معنى هذه الآية ينحصر في قولين :

الأول : أن هذا الوعد في الآخرة ، وهو قول الجمهور ، ثم اختلف القائلون بذلك ، فقال بعضهم : إن المراد الشفاعة لأئمة ، وقيل : إن المراد ما وعده ربه بألف قصر في الجنة . . . .

والثاني : أن هذا الوعد في الدنيا ، وهو إشارة إلى ما أعطاه الله من الظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا ، وإلى ما أحرزه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الغلبة والاستيلاء .

والصواب أن الآية موعده شامل لما أعطاه في الدنيا ، ولما ادخر له في الآخرة من الثواب والأجر العظيم بما فيه الشفاعة لأئمة ، وقد صرح الخازن في تفسيره (٢٥٨٧) فقال : " وحمل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معاً أولسى ، وذلك أن الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على الأعداء وكثرة الأتباع والفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة ، وأعلى دينه ، وطن أمته خير الأمم وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة " .

انظر أيضاً الكشاف (٧٦٦-٧٦٧/٤) وتفسير الرازي (٢١١-٢١٢/٣١) ،

والبحر المحيط (٤٨٦/٨) .



قوله تعالى ( ألم يجدك يتيماً فآوى ) سماه يتيماً لأن أباه توفي وهو حمل (١)  
 وقيل : بعد ولادته بشهرين (٢) ، وتوفيت أمه وهو

(١) يوجد خلاف بين المؤرخين في وفاة والد الرسول صلى الله عليه وسلم  
 عبد الله بن المطلب ، على أقوال .

أحدها هو هذا الذي ذكره المؤلف : يعنى أن عبد الله بن  
 عبد المطلب توفي والنبي صلى الله عليه وسلم حمل ، وبه جزم ابن إسحاق  
 انظر سيرة ابن هشام (١٤٦/١) .

وروى الحاكم في مستدركه (٦٠٥/٢) من طريق ابن إسحاق عن مطلب  
 ابن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده : أنه ذكر ولادة رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فقال : توفي أبوه وأمه حبلى به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه  
 الذهبي . واختاره الواقدي ، فقال : هذا هو أثبت الأقوال في وفاة  
 عبد الله وسنه عندنا ( وكذلك اختاره ابن سعد في الطبقات الكبرى  
 (٩٩/١) ) .

انظر أيضا سيرة ابن كثير (٢٠٤/١ - ٢٠٥) .

(٢) القول الثانى في وفاة عبد الله بن عبد المطلب هو أنه توفي والنبي صلى الله  
 عليه وسلم فى المهد ، .

قال السهيلي فى الروى الأنف (١٦٠/٢) : أكثر العلماء على أنه  
 عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو فى المهد ، كما ذكره الدولابى وغيره .  
 ولكنهم أيضا اختلفوا فى تحديد عمره عليه الصلاة والسلام عند وفاة والده ،  
 على أقوال .

أحدها هذا الذى ذكره المؤلف ، وهو أنه عليه الصلاة والسلام توفي  
 أبوه وهو ابن شهرين ، وهو قول الزبير بن بكار ، كما ذكره ابن كثير فى سيرته  
 (٢٠٥/١ - ٢٠٦) والقول الثانى : أنه كان ابن ثمانية وعشرين شهراً ،  
 رواه محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى (١٠٠/١) عن الكلبي وعوانسة  
 ابن الحكم ، والثالث : أنه كان ابن سبعة أشهر .

ذكره ابن سعد فى المصدر السابق ، وابن القيم فى زاد المعاد

(٣٢/١)

والراجح هو الأول يعنى أن النبي عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو  
 حمل ، وقد ذهب إلى اختياره الواقدي وابن سعد كما تقدم ، وقال الحافظ ابن كثير  
 فى سيرته (٢٠٦/١) بعد أن ذكر ترجيح الواقدي وابن سعد : وهذا من أبلغ  
 اليتيم وأعلى مراتبه هـ . وهذا هو قول جمهور المؤرخين ومؤلفى السيرة ، وكذا  
 ذهب الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد (٣٢/١) إلى اختياره ووصفه بأنه أصح  
 القولين .

ابن ست سنين<sup>(١)</sup> ، وكفله جده عبد المطلب ثم مات وهو ابن ثمان سنين<sup>(٢)</sup> ، وكفله  
 عمه أبوطالب ومعنى قوله ( فأوى ) أى جعل لك مأوى وهو أبوطالب ، والمعنى يأوى إليه<sup>(٣)</sup> ،

( ١ ) يوجد شبه إجماع بين المؤرخين ومؤلفي السيرة النبوية على أن النبي صلى  
 الله عليه وسلم ماتت أمه وهو ابن ست سنين ، وبه جزم ابن إسحاق في سيرته  
 ( ص ٤٢ ) انظر أيضا سيرة ابن هشام ( ١٥٥ / ١ ) وسيرة ابن كثير ( ٢٣٥ / ١ )  
 وقال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد ( ٣٢ / ١ ) : " ولا خلاف أن أمه  
 ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء بعد منصرفها من المدينة من زيارة أخواله ،  
 ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين " قال ذلك لأن ابن منعد ذكر في الطبقات  
 ( ١١٦ / ١ ) أن النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغ ست سنين خرجت به  
 أمه إلى أخواله ، فأقامت به عندهم شهراً ، ثم رجعت به إلى مكة فلما كانت بالآبواء  
 توفيت .

وذكر الزمخشري في الكشاف ( ٧٦٧ / ٤ ) وأبو حيان في البحر المحيطة  
 ( ٤٨٦ / ٨ ) أنه كان ابن ثمان سنين عند وفاة أمه ، ولم يذكر كفاية جسده  
 عبد المطلب ، والصواب هو ماتت م يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم ماتت أمه وهو  
 ابن ست سنين .

( ٢ ) روى ابن إسحاق في سيرته ( ص ٤٢٥ - ٤٣ ) عن العباس بن عبد الله بن معبد  
 عن بعض أهله أن عبد المطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين  
 وقد صرح بذلك ابن هشام في سيرته ( ١٥٦ / ١ ) وانظر أيضا سيرة ابن كثير  
 ( ٢٤١ / ١ ) وفيه أقوال أخرى ، فقليل لأنه كان ابن عشر سنين وقيل : إنه كان  
 ابن تسع سنين وأحد عشر شهراً .  
 انظر عيون الأثر ( ٤٨ / ١ ) وزاد المعاد ( ٣٢ / ١ ) والصواب هو الأول وعليه  
 أكثر المؤرخين .

( ٣ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢٥٩ / ٧ ) :  
 " ومعنى الآية : ألم يجدك يتيماً صغيراً فقيراً حين مات أبواك ولم يخلفا  
 لك مالاً ولا مأوى ، فجعل لك مأوى تأوى إليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى  
 أحسن تربيتك وكفالك المونة " . وهذا المعنى قاله مقاتل في تفسيره ( ق ١ / ٣٩٨ )  
 وذكره عنه الماوردي في تفسيره ( ٤٧٢ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٥٨ / ٩ ) ،  
 وذكر في قول آخر عن الكلبى وهو أنه قال : جعل لك مأوى لنفسك أغناك

.. / ..

عن كفالة أبي طالب ، والصواب هو القول الأول ، قال ابن كثير في تفسيره ( ٥٢٣/٤ ) بعد أن ذكر وفاة كل من والده وأمه وجدته : \* فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يسزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان ، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج ، كما أجزى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل ، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين ، وكل هذا من حفظ الله له وكلامه وعنايته به \* .

وهذا كله على أحد الوجهين اللذين ذكرهما بمعنى المفسرين فى معنى اليتيم ، وهو أن المراد باليتيم هذا يتم الأبوة بموت من فقده من أبويه .

والوجه الثانى أن المراد باليتيم الذى لا مثيل له ولا نظير ، من قولهم : درة يتيمة ، إذا لم يكن لها مثل ، وذكر على هذا الوجه أيضا قولان : أحدهما : فأواك إلى نفسه واختصك برسالته . والثانى : أن جعلك مأوى الأيتام بعد أن كنت يتيماً ، وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولاً ، تذكيراً بنعمه عليه .

وهذا الوجه أيضا محتمل ، ولكن الأحسن هو ما تقدم نقلاً عن ابن كثير ، وعليه أكثر المفسرين .

انظر تفسير الماوردى ( ٤٧٢/٤ ) والكشاف ( ٧٦٧/٤ ) والبحر المحييط ( ٤٨٦/٨ ) .

وتوفى أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين . (١)

وقوله ( ووجدك ضالاً فهدى ) أي عن الشرائع والإسلام ، فهذا  
إليها<sup>(٢)</sup> ويقال : عن النبوة<sup>(٣)</sup> . وقيل ( ووجدك ضالاً ) أي غافلاً  
عما يراد بك فهذا إليه<sup>(٤)</sup> ، وهو أحسن الأقاويل<sup>(٥)</sup> ، وقيل : ضالاً عن طريق الحق  
فهذا إليه<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤٦/٢) وسيرة ابن كثير (١٢٢/٢) .  
(٢) اختلفت أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية وقد بلغت هذه الأقوال عند  
الرازي عشرين قولاً ، انظر تفسيره (٣١٥/٣١-٣٠٧) وأحد هذه الأقوال : هو  
ما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٣/٧٧/١) عن الحسن والضحاك وشهر بن  
حوشب وابن كيسان فإنهم قالوا : ووجدك ضالاً عن معالم النبوة وأحكام  
الشريعة غافلاً عنها فهذا إليها\* وذكره أيضاً النجوى في تفسيره (٢٥٩/٧) وعزاه  
عن الحسن والضحاك وابن كيسان ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٨/٩) وعزاه  
إلى الجمهور ، والرازي في تفسيره (٣١٥/٣١) وزاد في نسبه ابن عباس والقرطبي  
في تفسيره (٩٦/٢٠) وعزاه إلى الضحاك وشهر بن حوشب .

(٣) لم أجد من ذكر هذه القول مستقلاً عن القول السابق غير الماوردي فإنه قال في  
تفسيره (٤٧٢/٤) : ووجدك ضالاً عن النبوة فهذا إليها ، قاله الطبري ،  
وقال الرازي في تفسيره (٣١٦/٣١) : \* كنت ضالاً عن النبوة ما كنت تطمع فيها  
ألبتة ، وأما عزو الماوردي لهذا القول إلى الطبري فقال الطبري في تفسيره  
(٢٣٢/٣٠) : أي ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم ، ثم روى بسنده  
عن السدي أنه قال : كان على أمر قومه أربعين عاماً\* فما ذكره الماوردي من  
قول الطبري هو خلاف ما في تفسيره ، ثم إن هذا القول الذي رواه ابن جرير  
عن السدي ذكره عنه الثعلبي في تفسيره (١٣/٧٧/١) والرازي في تفسيره  
(٣١/٢١٥) والقرطبي في تفسيره (٩٧/٢٠) وزاد في نسبه الكلبى أيضاً ،  
وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٦٨) دون عزو إلى أحد ، وهذا قول باطل ،  
وقد أنكره الزمخشري والرازي والقرطبي ، وقال الرازي : أما الجمهور من العلماء  
فقد اتفقوا على أنه عليه السلام ما كفر بالله لحظة واحدة\* ثم استدل عليه بقوله  
تعالى ( وما ضل صاحبكم وما غوى ) سورة النجم الآية ٢ .

(٤) قال القرطبي في تفسيره (٩٦/٢٠) : \* أي غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة ،  
فهذا : أي أرشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة ، كقوله جل ثناؤه : \* لا يضل  
ربي ولا ينسى\* ( سورة طه الآية ٥٢ ) أي لا يغل ، وقال في حق نبيه : ( وإن كنت  
من قبله لمن الغافلين ) سورة يوسف الآية ٣ .

(٥) استحسنته المؤلف لأنه يليق بمقام النبوة ولا ينال منه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم  
لم يكن يدري ما يراد منه عند ما ترأى له جبريل وأوحى إليه في أول أمره ففرق منه فرقاً  
شد يداً ورجع إلى بيته وتزمل بشيابه حتى نزل قوله تعالى ( يا أيها المدثر قم فأنذر )  
وقد تقدم التفصيل في ذلك في أول كل من سورتي المزمل والمدثر .

(٦) ذكر الماوردي في تفسيره (٤٧٢/٤) عن ابن عيسى أنه قال \* ووجدك لا تعرف  
الحق فهذا إليه .

وعن بعضهم : وجدك في قوم ضال<sup>(١)</sup> .

وأولى الأقاويل أن يكون محمولاً على الشرائع وما أنزل الله مثل قوله سبحانه وتعالى  
( مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ )<sup>(١)</sup> . أو يكون بمعنى وجدك ضالاً أي غافلاً عَنِ  
النبوة والوحي الذي أنزل الله مثل قوله في قصة موسى صلوات الله عليه ( قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا  
وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ )<sup>(٣)</sup> أي من الضالين .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) هو قول الفراء في معاني القرآن ( ٢٧٤ / ٣ ) : قال : يريد : في قوم ضلال فهذا  
وهو قول الكلبي أيضاً كما ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ( ١٣ / ٧٧ / ١ ) وقد  
ذكره القرطبي في تفسيره ( ٩٧ / ٢٠ ) عن الكلبي والفراء قال : وقال قوم : " ووجدك  
ضالاً " أن في قوم ضلال فهذا قول الكلبي والفراء ، وعن السدي  
نحوه : أي ووجد قومك في ضلال ، فهذا إلى إرشادهم . وذكره الماوردي  
في تفسيره ( ٤٧٢ / ٤ ) قال : ووجد قومك في ضلال فهذا إلى إرشادهم ، وهذا  
معنى قول السدي وقد تقدم عن السدي قول آخر ، مع بيان خطئه ، وقال الرازي  
في تفسيره ( ٢١٦ / ٣١ ) : لأنه قد يخاطب السيد ويكون المراد قومه ، فقوله  
" ووجدك ضالاً " أي وجد قومك ضالاً ، فهذا بك وبشرعك " . انظر أيضاً  
زاد المسير ( ١٥٩ / ٩ ) . هذا وتوجد أقوال أخرى كثيرة للمفسرين في تفسير هذه  
الآية من أهمها أنه يضل وهو صبي صغير في شعاب مكة ، فرده الله إلى  
جده عبد المطلب ، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٥٨ / ٩ ) وقال : رواه أبو الضحى  
عن ابن عباس " وذكره أيضاً البغوي في تفسيره ( ٢٥٩ / ٧ ) والزمخشري في الكشف  
( ٧٦٨ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ٢١٦ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٩٧ / ٢٠ ) ،  
وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٨٦ / ٨ ) وذكر أكثرهم قصتين آخرين أيضاً ضل فيهما  
النبي صلى الله عليه وسلم عن الطريق ، مرة عند ما خرج مع ميسرة غلام خديجة وقال :  
بعضهم : عند ما خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام فأخذ إبليس بزمام ناقته فعدل  
به عن الطريق ، فجاء جبريل فنغخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبيشة ، ورده إلى  
العاقل " ومرة ضل عن مرضعته حليلة حين أرادت أن ترده إلى جده . انظر  
المصادر السابقة .

( ٢ ) سورة الشورى الآية ٥٢ - وهذا القول قد اختاره البغوي ( ٢٥٩ / ٧ ) وابن كثير في  
تفسيره ( ٥٢٣ / ٤ ) .

( ٣ ) سورة الشعراء الآية ٢٠ .

( ٤ ) تقدم عن المؤلف أنه استحسنته ، وسبق التعليق عليه ، وقال القرطبي في تفسيره  
( ٩٩ / ٢٠ ) بعد أن سرد كثيراً من الأقوال : هذه الأقوال كلها حسان ، ثم منها  
ما هو معنوي ومنها ما هو حسي ، والقول الأخير أعجب إليّ ، لأنه يجمع الأقسام  
المعنوية ويقصد بالقول الأخير هو ما ذكره عن بعض المتكلمين أن العرب إذا وجدت  
شجرة منفردة في فلاة من الأرض ، لا شجر معها ، سموها ضالة ، فيبتدى بها إلى  
الطريق فقال الله تعالى لتبنيه صلى الله عليه وسلم : ( وجدك ضالاً ) أي لا أحد  
على دينك ، وأنت وحيد ليس معك أحد ، فهذا يتبني الخلق إليّ ) وقد ذكره أيضاً  
غير واحد من المفسرين منهم الثعلبي في الكشف والبيان ( ١٣ / ٧٩ / ١ ) والرازي في  
تفسيره ( ٢١٦ / ٣١ ) ويبدولي أيضاً أن هذا هو الصواب والموافق لقول العرب  
والمناسب لمقام النبوة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بادئ الأمر وحيداً في قومه  
ليس معه أحد .

وقوله ( ووجدك عائلاً فأغنى ) أى فقيراً فأغناك بمال خديجة الكبرى<sup>(١)</sup>  
قال<sup>(٢)</sup> ومقاتل: ويقال : أغناك بالرضا والقناعة بما أعطاك<sup>(٣)</sup> وهو

(١) هى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية ، زوج  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وأول من صدقت ببعثته مطلقاً ، وكان تزويج النبي  
صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بخمس عشرة سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وولدت  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت تقوى قلب  
النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من الرد عليه فيرجع إليها  
إلا تثبته وتهون عليه أمر الناس ، ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح ،  
وقيل غير ذلك . انظر الإصابة ( ٢٨٣ / ٤ ) .

وقد ذكر هذا المعنى للآية البغوى والخازن في تفسيرهما ( ٢٦٠ / ٧ )  
قالا : أى فقير ، فأغناك بمال خديجة ، ثم بالفنائم .

وذكره ابن الجوزى في زاد المسير ( ١٦٠ / ٩ ) فقال : فأغناك بمال خديجة  
عن أبى طالب ، قاله جماعة من المفسرين . وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٦٧ / ٤ ) :  
" ( فأغنى ) فأغناك بمال خديجة ، أو بما أفا عليك من الفنائم .  
وقال القرطبي في تفسيره ( ٩٩ / ٢٠ ) : أى فقيراً لا مال لك فأغناك بخديجة  
رضى الله عنها . "

وقال الرازى في تفسيره ( ٢١٨ / ٣١ ) بعد أن صرح بأن في كفية الإغناء وجوها :  
الأول : أن الله تعالى أغناه بتربية أبى طالب ولما اختلت أحوال أبى طالب  
أغناه الله بمال خديجة ، ولما اختل ذلك أغناه الله بمال أبى بكر ، ولما اختل ذلك  
أمره بالهجرة وأغناه بإعانة الأنصار ، ثم أمره بالجهاد ، وأغناه بالفنائم .

( ٢ ) ما بين المعكوفين غير موجود في الأصل .

( ٣ ) ذكر نحوه البغوى في تفسيره ( ٢٦٠ / ٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ٩٩ / ٢٠ ) وأبو حيان  
في البحر المحيط ( ٤٨٦ / ٨ ) : من قول مقاتل ، وأما نص ما قاله مقاتل في تفسيره  
( ق ١ / ٣٩٨ ) فهو : ( ووجدك عائلاً ) يعنى فقيراً ، فأغنى ، فقال النبي  
صلى الله عليه وسلم : من علي ربي وهو أهل المن ، ثم رضاء الله عز وجل فقال :  
فأما اليتيم فلا تقهر . "

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٥٩ / ٩ ) عن ابن السائب الكلبى واختاره  
 الفراء في معانى القرآن ( ٢٧٤ / ٣ ) قال لم يكن غنى عن كثرة مال ، ولكن الله رضا  
 بما آتاه . وذكر القرطبي في تفسيره ( ٩٩ / ٢٠ ) عن كل من مقاتل والكلبي فقال  
 نقلًا عن مقاتل : فرضاك بما أعطاك من الرزق ، وقال نقلًا عن الكلبي : قنّك بالرزق .  
 وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٧٣ / ٤ ) فقال : \* أى فقيراً فيسّر لك ، قاله الفراء \*  
 ثم ذكر للآية معنى آخر فقال : أى وجدك فقيراً من الحجج والبراهين ، فأغناك  
 بها \* وذكره الرازي في تفسيره ( ٢١٨ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٠٠ / ٢٠ ) وذكر  
 الرازي قولين آخرين : أحدهما : أغناه بأصحابه كانوا يعبدون الله سرّاً حتى  
 قال عمر حين أسلم : أبرز ، أتعبد اللات جهراً ، ونعبد الله سرّاً ، فقال عليه  
 السلام : حتى تكثر الأصحاب ، فقال : حسبك الله وأنا ، فقال تعالى ( حسبك الله  
 ومن اتبعك من المؤمنين ) سورة الأنفال الآية ٦٤ ، فأغناه الله بما لى بكسر  
 وبهية عمر ، .

والثاني : أغناك بالقناعة فصرت بحال يستوى عندك الحجر والذهب ، وذكر  
 القرطبي في تفسيره ( ١٠٠ / ٢٠ ) قولاً آخر فقال : قيل : أغناك بما فتح لك من  
 الفتح ، وأفاه عليك من أموال الكفار ، - وهذا القول قد أشار إليه الزمخشري  
 والسرازي ضمن القول الأول كما تقدم ذكره نقلًا عنهما ، ثم قال القرطبي نقلًا عن  
 القشيري : وفى هذا نظر ، لأن السورة مكية ، وإنما فرض الجهاد بالمدنية \* وقد  
 أجاب الرازي عن هذا السؤال الناشئ \* فقال : ولن كان إنما حصل ( أى غناه  
 بالتعائم ) بعد نزول هذه السورة ، لكن لما كان معلوم الوقوع كان كالواقع \* .

هذا وكل ما تقدم من أقوال فى معنى الآية فهو على القول بأن معنى ( عائلاً )  
 فقيراً ، من عال الرجل يعيل عيلة : إذا افتقر كما فى المفردات ( ص ٣٥٤ )  
 وفيه قول آخر كما سيأتى عند المؤلف .

أولى القولين<sup>(١)</sup> وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس الغنى عن كثرة  
 العسر وإنما الغنى غنى القلب<sup>(٢)</sup> .  
 وأنشد بعضهم :<sup>(٣)</sup>  
 فَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْجَلُ<sup>(٤)</sup> ،  
 أى يفتقر .

ويقال : ( ووجدك عائلاً ) أى ذا عيال فأغنى أى كفاك مؤنتهم<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) هذا الذى يؤيده ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من زهد فى الدنيا وإقبال  
 إلى الآخرة . قال ابن كثير فى تفسيره ( ٥٢٣/٤ ) : " أى كنت فقيراً فأغناك  
 الله عن سواه ، فجمع له بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر ، صلوات الله  
 وسلامه عليه " .

( ٢ ) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الرقاق ، باب الغنى غنى النفس ( ٢٧١/١١ ) ،  
 رقم ٦٤٤٦٦ وسلم فى صحيحه - كتاب الزكاة ، باب فضل القناعة والحث  
 عليها ( ١٤٠/٧ ) بسندهما عن أبى هريرة . وقد رواه أيضا غيرهما من أصحاب  
 السنن والسننيد . وهذا الحديث وماورد فى معناه يدل على أن ما ذهب  
 المؤلف إلى اختياره هو الصواب ، وهكذا فعل البغوى فى تفسيره ( ٢٦٠/٧ )  
 إذ روى الحديث بعد أن ذكر هذا القول عن مقاتل والفراء فكانه استدل به على  
 صحة ما ذهب إليه .

( ٣ ) هو أحيحة بن الجلاح الأوسى .

( ٤ ) البيهقى جمهرة أشعار العرب ( ص ٢١ ) ومعانى القرآن للفراء\* ( ٢٥٥/١ ) ومجاز  
 القرآن ( ٢٥٥/١ ، ٣٠٢/٢ ) وتفسير الطبرى ( ٢٣٣/٣٠ ) وتفسير الماورى  
 ( ٤٧٣/٤ ) وزاد المسير ( ١٥٩/٩ ) وتفسير القرطبى ( ٩٩/٢٠ ) والصحاح  
 ( ١٧٧٩/٥ ) ولسان العرب ( ٤٨٨/١١ ) وهو عند بعضهم منسوب إلى المذكور  
 وعند بعضهم غير منسوب .

( ٥ ) هو القول الثانى فى معنى ( عائلاً ) .

وهو قول الأخفش كما ذكره عنه الماورى فى تفسيره ( ٤٧٣/٤ ) والقرطبى  
 فى تفسيره ( ٩٩/٢٠ ) وذكره الرازى فى تفسيره ( ٢١٨/٣١ ) فقال : والقول الثانى  
 فى تفسير العائل : أنت كنت كثير العيال وهم الأمة ، فكفاك ، وقيل : فأغناهم  
 بك لأنهم فقراء بسبب جهلهم ، وأنت صاحب العلم ، فهداهم على يدك . وذكر  
 ابن منظور فى لسان العرب ( ٤٨٨/١١ ) عن ابن سيده : " عَالَ الرجلُ وأَعَالَ وأَعْيَلُ  
 وَعَيْلٌ كله كَثْرُ عِيَالِهِ ، فهو مَعْيِلٌ ، والمرأة مَعْيِلَةٌ ، وقال الأخفش : صار ذا عِيَالٍ  
 والصواب هو ما تقدم يعنى أن معناه : فقيراً ، وعليه أكثر المفسرين " .



ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يارب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً ،  
وموسى كديماً ، وسخرت مع داود الجبال ، وفعلت كذا وكذا فما فعلت في فأَنْزل الله  
تعالى ( ألم يجدك يتيماً فأوى ) ، والسورة الأخرى وهو قوله تعالى ( ألم نشرك لك  
صدرك )<sup>(١)</sup> وفي هذا الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : وددت أنى لم أقبل  
ما ظلت .<sup>(٢)</sup>

قوله سبحانه وتعالى ( فأما اليتيم فلا تقهر ) أى لا تحتقره<sup>(٣)</sup> ، والمعروف :

( ١ )

( ٢ ) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٤٥٥/٩ رقم ١٢٢٨٩ ) والحاكم فى مستدرکه  
( ٥٢٦/٢ ) والبيهقى فى دلائل النبوة ( ٦٢/٧ - ٦٣ ) والشعلبى فى الكشف  
والبيان ( ١٣/٧٦ ب ) ومن طريقه البغوى فى تفسيره ( ٢٥٩/٧ ) والواحدى  
فى أسباب النزول ( ٣٣٨ ) كلهم بإسنادهم عن حماد بن زيد عن عطاء بن  
السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
سألت ربي مسألة وددت أنى لم أسأله . قلت : يارب كانت قبلى رسل ، منهم  
من سخرت لهم الرياح ، ومنهم من كان يحيى الموتى ؟ قال : ألم أجدك يتيماً  
فأوتيتك ؟ ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ؟ ألم أشرح  
لك صدرك ؟ ووضعت عنك وزرك ؟ قال : قلت : بلى يارب \* هذا لفظ  
الطبرانى ، وزاد بعض الرواة عند غيره فى آخره : قال : فوددت أنى لم أكن  
سأله \* .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٢٥٤/٨ ) : وفيه عطاء بن السائب  
وقد اختلط \* .

ولكن لا يضر ذلك ، فإن حماد بن زيد روى عنه قبل اختلاطه كما صرح  
به ابن الكيال فى الكواكب النيرات ( ص ٣٢٥ ) ونقل عن الطحاوى أنه قال :  
ولما حدث عطاء الذى كان منه قبل تغييره يوم أخذ من أربعة لا من سواهم : وهم  
شعبة ، وسفيان الثورى ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد .

( ٣ ) هو قول مجاهد ، روى ابن جرير فى تفسيره ( ٢٣٣/٣٠ ) بسنده عنه أنه قال : تغمصه  
وتحقره \* .

وأورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٦٢/٦ ) عن مجاهد أنه قال : ( فأما  
اليتيم فلا تقهر ) : قال : لا تحقره ، وعزا تخريجه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن  
أبى حاتم . وذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٦٠/٧ ) فقال : \* قال مجاهد : لا تحتقر  
اليتيم فقد كنت يتيماً \* . انظر أيضاً تفسير الماوردى ( ٤٧٣/٤ ) وزاد المسير ( ١٦٠/٩ )  
وتفسير القرطبى ( ١٠٠/٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٨٦/٨ ) .

لا تظلمه أى تأخذ حقه وتتقوى به ، وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك فى أموال  
اليتامى (١) .

وقراءة ابن مسعود : فلا تكبر (٢) : أى لاتزجره (٣) .

(١) قال البغوى فى تفسيره (٢٦٠/٧) قال الفراء والزجاج : " لاتقهره على ماله  
فتذهب بحقه لضعفه ، وكذا كانت العرب تفعل فى أمر اليتامى ، تأخذ أموالهم  
وتظلمهم حقوقهم " وذكر هذا المعنى الماورى فى تفسيره (٤٧٣/٤) فقال :  
" فلا تظلم ، رواه سفيان وهو مروى عن قتادة أيضا . انظر تفسير الطبرى (٢٣٢٨٠)  
ثم ذكر عن الفراء أنه قال : فلا تمنعه حقه الذى فى يدك ، وأما نص ما قاله  
الفراء فى معانى القرآن (٢٧٤/٣) : " فتذهب بحقه لضعفه " . وذكر  
ابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٠/٩) عن الزجاج أنه قال : " لاتقهره على ماله " .  
وذكر القرطبى فى تفسيره (١٠٠/٢٠) عن الأخفش أنه قال : " أى لا تسلط  
عليه بالظلم ، ادفع إليه حقه وانكر يترك " وهذا الذى اختاره الزمخشرى  
فى الكشاف (٧٦٨/٤) فإنه قال : فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه " .

وذكر الماورى قولاً آخر عن يحيى بن سلام أنه قال : فلا تستذل ، كما ذكر  
عن قتادة أنه قال : كن لليتيم كالأب الرحيم " وهذا قد يكون مفهوماً للآية  
الكريمة ولكن لا يمكن أن يكون تفسيراً لها " .

(٢) ذكره ابن خالويه فى شوان القرآن (ص ١٧٥) وذكره ابن جرير فى سياق  
الرواية عن مجاهد ، قال : " وذكر أن ذلك فى مصحف عبد الله ( فلا تكبر )  
وذكر القرطبى فى تفسيره (١٠٠/٢٠) عن النخعى والأشهب العقيلى أنهما  
قرا " تكبر " بالكاف ، وكذلك هو فى مصحف ابن مسعود " .  
انظر أيضا تفسير الماورى (٤٧٤/٤) وتفسير الرازى (٢١٩/٣١) والبحر  
المحيط (٤٨٦/٨) .

(٣) ذكر الماورى فى تفسيره (٤٧٤/٤) عن أبى الحجاج أنه قال : " الكبر  
الزجر " وقال ابن منظور فى لسان العرب (١٥٤/٥) : " كبره يكبره  
كبرا : زبره واستقبله بوجهه عابس وانتبهه تهاونا به " .

وفسر الزمخشرى فى الكشاف (٧٦٨/٤) هذه الكلمة فقال : وهو  
أن يعبس فى وجهه " وكذا فسر الرازى فى تفسيره (٢١٩/٣١) وذكر  
بعضهم أنه بالكاف بدل القاف والعرب تعاقب بين الكاف والقاف ، وعليه  
فهى بمعنى قراءة الجمهور ، وأنكر ذلك بعض العلماء فقال : هذا غلط  
ولنما يقال : كبره اشتد عليه وغلظ " والصواب ما عليه الجمهور قراءة ومعنى ،  
وقد دلت الآية على اللطف باليتيم وبره والإحسان إليه ، وقد وردت بذلك  
أحاديث كثيرة .

انظر تفسير القرطبى (١٠٠/٢٠) والبحر المحيط (٤٨٦/٨) وتفسير

ابن كثير (٥٢٣/٤) .

وقوله ( وأما السائل فلا تنهر ) أى رد برفق ولين ، فإما أن تعطيه ،  
ولما أن ترده بالرفق وتدعوله <sup>(١)</sup> .

وحكى عن الحسن البصرى أنه قال : محمول / على سائل العلم دون ٢٣٦/ب  
سائل الطعام <sup>(٢)</sup> .

(١) يقال : نَهَرَهُ وَانْتَهَرَهُ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ بِكَلَامٍ يَزْجِرُهُ ، كَذَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الْبَيْهَقِيِّ  
(٢٦٠/٧ - ٢٦١) ولسان العرب (٢٣٩/٥) وقال الجوهري فى الصحاح  
(٨٤٠/٢) : نَهَرَهُ وَانْتَهَرَهُ أَي : زَجَرَهُ ، وَقَالَ الرَّائِغِبُ فِي الْمِفْرَدَاتِ (ص ٥٠٧) :  
"النهر والانتهار : الزجر بمقابلة ، يقال : نهره وانتهره" .

وأما السائل فى المراد منه قولان : أحدهما : أنه سائل السر  
وهو قول الجمهور من المفسرين ، كما صرح به ابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٠/٩)  
وقال الفراء فى معانى القرآن (٢٧٥/٣) : "السائل على الباب ، يقول :  
إِذَا أُعْطِيَتْهُ وَإِلَّا رُدَّتْهُ رَدًّا لَيْنًا" . وقال البيهقي فى تفسيره (٢٦٠/٧ -  
٢٦١) : قال المفسرون : "يريد السائل على الباب ، يقول : لا تنهره :  
لا تزجره إذا سألك فقد كنت فقيراً ، فإما أن تطعمه وإما أن ترده رَدًّا لَيْنًا"  
ثم ذكر نحو هذا المعنى عن قتادة وغيره .

انظر أيضا تفسير الماورى (٤٧٤/٤) والكشاف (٧٦٨/٤) وأحكام  
القرآن لابن العربى (١٩٤٧/٤) وتفسير القرطبي (١٠١/٢٠) والبحر  
المحيط (٤٨٦/٨) وذكر الرازى فى تفسيره (٢٢٠/٣١) هذا القول فقال :  
"إن المراد مطلق السائل" .

(٢) هو القول الثانى فى المراد من السائل : وقد رواه من قول الحسن البصرى  
الثعلبى فى الكشاف والبيان (٨٠/١٣ ب) قال : إما أنه ليس بالسائل الذى  
يأتىك لكن طالب العلم" . وقد ذكره من قوله البيهقي فى تفسيره (٢٦١/٧)  
والرازى فى تفسيره (٢١٩/٣١) وأبو حيان فى البحر المحيط (٤٨٧-٤٨٦/٨) ،  
وهو قول سفيان الثورى أيضا - ذكره عنه السيوطى فى الدر المنثور (٣٦٢/٦) وعزا  
تخرجه إلى ابن أبى حاتم ، وذكره من قوله الماورى فى تفسيره (٤٧٤/٤) ،  
والقرطبي فى تفسيره (١٠١/٢٠) وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٠/٩)  
وقال : "قاله يحيى بن آدم فى آخرين" .  
انظر أيضا الكشاف (٧٦٩/٤) وأحكام القرآن لابن العربى (١٩٤٧/٤) .

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه كان إذا جاءه طالب علم قال : مرحباً بأحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .<sup>(١)</sup>

وعن إبراهيم بن أدهم - قدس الله روحه - قال : إنني أظن أن الله تعالى يصرف العقوبة عن أهل الدنيا برحلة أصحاب الحديث في طلب العلم .<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى ( وأما بنعم مترك فحدث ) أي بالنبوة .<sup>(٣)</sup>

وقوله ( فحدث ) أي ادع الناس إليها ، وقد كان يكرم زماناً ثم أظهرها .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٤٧ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٠١ / ٢٠ ) قال : " وقد كان أبو الدرداء ينظر إلى أصحاب الحديث وييسر رداً لهم ، ويقول : مرحباً بأحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

( ٢ ) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي ، وقيل التميمي أبو إسحاق البلخي الزاهد نزيل الشام .

نقل الذهبي عن النسائي أنه قال : هو ثقة ما من أحد الزهاد ، ووصفه الذهبي بقوله : القدوة الإمام الصارف سيد الزهاد ، وقال فيه ابن حجر : صدوق . توفي سنة اثنتين وستين ومائة .

انظر سير أعلام النبلاء ( ٣٨٧ / ٧ - ٣٩٦ ) وتقريب التهذيب ( ١٨ ) .

( ٣ ) لم أعرط من خرج هذا الأثر .

( ٤ ) هو قول مجاهد ، رواه عنه ابن جرير في تفسيره ( ٢٣٣ / ٣٠ ) من طريق هشيم عن أبي بشره ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٢ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر أيضاً .

وذكره من قوله البغوي في تفسيره ( ٢٦١ / ٧ ) وقال : واختاره الزجاج ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٦٠ / ٩ ) والرازي في تفسيره ( ٢٢٠ / ٣١ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٠٢ / ٢٠ ) وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٧٤ / ٤ ) من قول ابن شجرة وأبوحيان في البحر المحيط ( ٤٨٧ / ٨ ) من قول محمد بن إسحاق ، انظر أيضاً أحكام القرآن لابن العربي ( ١٩٤٨ / ٤ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٢٤ / ٤ ) .

( ٥ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٧٤ / ٤ ) معنى الآية على هذا القول فقال : ويكون تأويل قوله ( فحدث ) أي : ادع قومك . وقال البغوي في تفسيره ( ٢٦١ / ٧ ) : أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك .

وقال القرطبي في تفسيره ( ١٠٢ / ٢٠ ) : أي بلغ ما أرسلت به ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والحكم عام له ولغيره .

وقيل : هو القرآن<sup>(١)</sup> ، فعلى هذا قوله ( فحدث ) أى أتله على  
الناس<sup>(٢)</sup> ، ويقال : جميع النعم ، وقوله ( فحدث ) أى أظهر بالشكر<sup>(٣)</sup> .

وعن الحسن بن على - رضى الله عنهما - أنه قال : إذا أصبت خيراً أو نعمة فحدث  
به الشقات من إخوانك<sup>(٤)</sup> .

(١) هو أيضاً مروى عن مجاهد ، ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٣٦٢/٦) وعسرا  
تخريجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

وقد أورده الثعلبى فى الكشف والبيان (١/٨١/١٣) والماوردى فى تفسيره  
(٤٧٤/٤) والبغوى فى تفسيره (٢٦١/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير  
(١٦٠/٩) والرازى فى تفسيره (٢٢٠/٣١) والقرطبى فى تفسيره (١٠٢/٢)  
وأبوحيان فى البحر المحيط (٤٨٧/٨) وابن كثير فى تفسيره (٥٢٤/٤) . كلهم  
من قول مجاهد ، وذكر الثعلبى والبغوى أنه رواه الليث عن مجاهد ، واختاره  
الكلبى ، وذكر القرطبى أنه رواه ابن أبى نجيب عن مجاهد .

(٢) قال البغوى : أمره أن يقرأه ، وقال الرازى : والتحديث به أن يقرأه ويقرى  
غيره ويبين حقائقهم ، وقال الماوردى : ويكون قوله : فحدث : أى بلغ  
أهلك .

(٣) قال مقاتل فى تفسيره (ق ٣٩٨/١) \* يعنى أشكر الله ما ذكره فى هذه السورة  
وما صنع الله عز وجل بك من الخير ، إن قال : ألم تكن كذا ففعلت بك كذا ،  
وذكر البغوى فى تفسيره (٢٦١/٧) عن مقاتل أنه قال : \* أشكر لما ذكر من  
النعمة عليك من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والإغناء بعد العيلة  
والتحدث بنعمة الله شكراً \* .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٠/٩) بعد أن ذكر القولين السابقين  
\* والثالث أنها عامة فى جميع الخيرات \* ، وهذا قول مقاتل . وقد ذكر  
هذا القول واختاره غير واحد من المفسرين .

انظر الكشف والبيان (١/٨١/١٢) وتفسير الماوردى (٤٧٤/٤) والكشاف  
(٧٦٩/٤) وتفسير الرازى (٢٢٠/٣١) وتفسير القرطبى (١٠٢/٢٠) والبحر  
المحيط (٤٨٧/٨) وتفسير ابن كثير (٥٢٣/٤) .

(٤) روى عبد الرحمن فى زوائد على تفسير مجاهد (٧٦٦/٢) بسنده عن مقسم أبى  
عبد الرحمن قال : أتيت حسن بن على فصاح فحدثنى ثم قال : هذا تقبيل المؤمن ، فقلت :  
أرأيت قوله \* وأما بنعمة ربك فحدث \* قال : هو العمل الصالح ، يعطسه الرجل  
فيحدث به إخوانه من أهل ثقافته ليستن به ويعمل مثله \* وأورد نحوه السيوطى فى  
الدر المنثور (٣٦٢/٦) وعزا تخريجه إلى ابن أبى حاتم وابن مردويه ، ثم قال : وأخرج  
ابن أبى حاتم من وجه آخر عن الحسن بن على قال : إذا أصبت خيراً فحدث إخوانك \* .  
وأورد الرازى فى تفسيره (٢٢٠/٣١) والقرطبى فى تفسيره (١٠٢/٢٠) .

وعن عمرو بن ميمون (١) أنه قال : من قام لورده في الليل فلا بأس أن يحدث به الثقة من إخوانه ويقول : رزقني الله كذا (٢).

وفي بعض الأخبار : ان إظهار النعمة شكر، والسكوت عنها كفر (٣) والله أعلم .

(١) هو عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله ، ويقال : أبو يحيى مخضرم مشهور ثقة عابد ، نزل الكوفة ، مات سنة أربع وسبعين وقيل : بعد ها . تقريب التهذيب ٢٦٣ .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٢/٢٧٥) بسنده عن زياد بن أيوب ثنا هشيم أنبأ أبو بلج عن عمرو بن ميمون قال : كان يلقي الرجل من إخوانه فيقول : لقد رزقني الله البارحة من الصلواة كذا ، ورزق من الخير كذا\* وأورد القزطبي في تفسيره ١٠٧٢٠ . وقد وردت في ذلك آثار أخرى تدل على هذا المعنى ، انظر الكشف والبيان (١٣/٨١/ب) وتفسير القزطبي (٢٠/١٠٢) وهذا لا يحسن إلا إذا لم يتضمن رياء ، وظن الرجل أن غيره يقتدى به .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/٢٧٨ ، ٢٧٥) والثعلبي في تفسيره (٣/٨١/ب) والبيهقي في تفسيره (٧/٢٦١) من طرق عن أبي وكيع الجراح بن طريح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر : من لم يشكر الظليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، التحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب .

وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/٥٢٣) : والسيوطي في الدر المنثور (٦/٣٦٢) وعزا كل منهما تخريجه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ، وإنني قد وجدت الحديث مخرج من المسند في ثلاثة مواضع .

وقال عبد الله بن أحمد في الموضوع الثالث منه (٤/٢٧٥) عقب الحديث : حدثني يحيى بن عبد ربه مولى بني هاشم ثنا أبو وكيع عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير . . . ثم ذكر الحديث ، وفي آخره زيادة أخرى . وقد ضعف ابن كثير والسيوطي إسناده ، ولعل السبب في تضعيفهما هو جهالة أبي عبد الرحمن الراوي عن الشعبي ، وقد صرح به الهيثمي ( كما ذكر عنه الساعاتي في الفتح الرباني ١٩/٩٥ ) قال : وأبو عبد الرحمن راويه عن الشعبي لم أعرفه ، رجاله ثقات ، ولكن ورد التصريح باسم هذا الراوي عند الثعلبي والبيهقي فصرحا بأنه القاسم ابن الوليد ، وهو يوجد في مشايخه الشعبي كما يوجد في تلاميذه الذين رووا عنه أبو وكيع بن الجراح كما في تهذيب الكمال (٢/١١٧) ، والقاسم بن الوليد هذا قال فيه الحافظ بن حجر في تقريب التهذيب (ص ٢٨) " صدوق يفرغ " .

وقرأ ابن كثير<sup>(١)</sup> رحمة الله عليه من هذا الموضع بالتكبير في خواتم السور إلى آخر القرآن وذكر أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، وقرأه مجاهد على ابن عباس رضي الله عنهما ، فأمره بذلك ، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب رضي الله عنهما فأمره بذلك ، وقرأ ابن مسعود<sup>(٢)</sup> على النبي صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك<sup>(٣)</sup> ،

- ( ١ ) هو عبد الله بن كثير بن المطلب ، أحد القراء السبعة ، تقدمت ترجمته في ص ( ٢٠٥ ) .  
 ( ٢ ) كذا في النسختين وهو خطأ ، والصواب (أبي بن كعب) كما هو واضح من السياق ، وكذا ورد في المصادر الأخرى .

( ٣ ) روى الحاكم في مستدركه ( كما في تفسير القرطبي ٣٠ / ١٠٣ ) ، وأنا لم أهد إلى محله في المستدرك ( والبيهقي في شعب الإيمان ) كما في الدر المنثور ١ / ٣٦٠ ) والبلغوي في تفسيره ( ٢٦١ / ٧ ) وأبو عمرو الداني في التيسير ( ٢٢٧ ) كلهم ممن طريق أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، فلما بلغت الضحى قال لي : كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختتم ، فإني قرأت على عبد الله ابن كثير ، فلما بلغت ( والضحى ) قال : كبر حتى تختتم ، وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه .

وقال البغوي : والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة والضحى على رأس كل سورة حتى يختتم القرآن .

وذكر ذلك أبو عمرو الداني في التيسير ( ص ٢٢٦ ) ومكي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات ( ٢ / ٣٩١ ) وابن الجزري في النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٤٠٥ - ٤٢٤ ) وفصل فيه تفصيلاً .

واختلف في موضع هذا التكبير فقال جمهورهم : إن التكبير من أول سورة ( المشرح ) أو من آخر سورة والضحى ، على خلاف فيما بينهم في العبارة ، وقد نص صاحب التيسير ( ص ٢٢٦ ) على التكبير من آخر والضحى ولم يذكر غيره . وقال بعضهم : إن التكبير من أول سورة الضحى ، ذكرهما ابن الجزري في النشر ( ٢ / ٤١٧ - ٤٢١ ) وقال : " والمذهبان صحيحان ظاهران لا يخرجان عن النصوص المتقدمة " وقد ذكر فيه نصواً كثيرة عن القراء .

انظر أيضاً تفسير ابن كثير ٤ / ٢١٥ ولا يخفى أن هذا التكبير ليس من القسرين باتفاق المسلمين ومن ظن أنه من القرآن فإنه يستتاب فإن تاب ولا يقتل .  
 انظر مجموع الفتاوى ١٣ / ٤١٨ .

والتكبير هو قوله : الله أكبر (١)

قالوا : وسبب هذا أن المشركين لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن ربه ودعه وقلاه ، وفي رواية أنهم قالوا : قد هجره شيطانه فلما أنزل الله تعالى هذه السورة وفيها قوله تعالى ( ما ودعك ربك وما قلى ) كبر النبي صلى الله عليه وسلم فرحاً بنزول هذه السورة فصار سنة إلى آخر القرآن (٢) والله أعلم .

(١) اختلفوا في كيفية التكبير ، فروى الجمهور عن لبيد أنه يقول : (الله أكبر) ويقتصر ، وروى عنه ابن الحباب أنه يقول : ( لا إله إلا الله والله أكبر ) هكذا روى الجمهور عن ابن الحباب وروى عنه بعضهم فزاد ( والله الحمد ) فقال : لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد .

انظر للتفصيل التيسير ( ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ) والنشر ( ٢/٤٢٩-٤٣١ ) وتفسير ابن كثير ( ٤/٥٢١ ) .

(٢) ذكر هذا السبب البفوى والخازن في تفسيرهما ( ٧/٢٦١ - ٢٦٢ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٩/١٦١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٠/١٠٣ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤/٥٢١ ) ولفظ البفوى : وكان سبب التكبيرات أن الوحي لما احتبس ، قال المشركون : هجره شيطانه وودعه ، فأغمى النبي صلى الله عليه وسلم لذلك ، فلما نزل : والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً بنزول الوحي فاتخذوه سنة .

وقال ابن كثير بعد إيرادِه : ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، فالله أعلم .

وقال القرطبي بعد ذكره لهذه القراءة : ولا يكبر في قراءة الباقيين ، لأنها ذريعة إلى الزيادة في القرآن ، القرآن ثبت نقلاً متواتراً سورة وآياته وحروفه ، لا زيادة فيه ولا نقصان ، فالتكبير على هذا ليس بقرآن ، فإذا كان بسم الله الرحمن الرحيم المكتوب في المصحف بخط المصحف ليس بقرآن ، فكيف بالتكبير الذي هو ليس بمكتوب ، أما أنه ثبت سنة بنقل الآحاد ، فاستحببه ابن كثير ، لا أنه أوجب فخطاً من تركه . فكانه يروى أن التكبير لم يثبت



---

٠٠/٠٠

بالنقل المتواتر وإنما نقل من طريق الآحاد \* .

وقال ابن كثير في رواية البيهقي بعد أن ساقها :

\* فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البيهقي وليس  
القاسم بن أبي بزة ، وكان إماماً في القراءات فأما في الحديث فقد ضعفه  
أبو حاتم الرازي ، وقال : لا أحدث عنه ، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال : وهو  
منكر الحديث .

( انظر قول أبي حاتم في الجرح والتعديل ( ٧١ / ٢ ) وقول العقيلي في  
الضعفاء ( ١٢٧ / ١ ) . لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية  
عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال : أحسننت  
وأصبت السنة \* .

وقال ابن الجزري في النشر ( ٤١٠ / ٢ - ٤٢٨ ) \* فاعلم أن التكبير صح عند  
أهل مكة قرائتهم وعلماهم وأعضائهم ومن روى عنهم صحة استفاضت واشتهرت  
وذاعت حتى بلغت حد التواتر \* ثم أشار إلى كلام أئمة الجرح والتعديل في البيهقي ،  
وذكر له الشواهد ورواية الثقات عنه ، وتمجبه ممن ينكر هذا التكبير ، والصواب فيما  
يبدو لي أن ذلك كأحد الاختلافات بين القراء السبعة .

(١)  
تفسير سورة ألم نشوح وهى مكية  
بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( ألم نشوح لك صدرك ) معناه : ألم نفتح لك صدرك (٢)  
وقيل : ألم نوسّع لك صدرك (٣) ، والقول الأول قاله مجاهد والحسن .

(١) روى البيهقي فى دلائل النبوة ( ١٤٢/٧ ) بسنده عن عكرمة والحسن أن هذه السورة نزلت بمكة ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٦٢/٦ ) عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعائشة أن هذه السورة نزلت بمكة ، وعزا تخريج قول ابن عباس إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه ، وقول ابن الزبير وعائشة إلى ابن مردويه وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤٧٥/٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٦٢/٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٠٤/٢٠ ) إجماع المفسرين على كونها مكية .

وذكر الألوسى فى روح المعانى ( ١٦٥/٣٠ ) عن البقاعى أنه زعم أنها مدنية ، واستدل بحديث طويل أخرجه ابن مردويه ( كما فى الدر المنثور ٣٦٤/٦ ) وظاهره أن قوله تعالى ( فإن مع العسر يسرا ) نزل بالمدينة ) ، ولكن الحديث فى صحته توقف .

(٢) قال القوطبى فى تفسيره ( ١٠٤/٢٠ ) : " شرح الصدر : فتحه ، أى ألم نفتح صدرك للإسلام " .

(٣) ذكر هذا المعنى أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن ( ٧٢٧/٣ ) من قول الحسين بن واقد ، وقال : وهذا قول بئس ، ومنه يقال : فلان ضيق الصدر ، وصدرة واسع ، وقد شرح الله صدور الأنبياء صلوات الله عليهم ، والمؤمنين ثواباً على أعمالهم الحسنة فصاروا يقبلون الحق ولا تضيق له صدورهم " ثم ذكر كدليل عليه قصة غسل جبريل لصدوره ، من رواية الزهرى عن أنس عن أبي نذر .

وقال السدى : ألم نلين لك قلبك<sup>(١)</sup> .

وقال الحسن فى رواية أخرى : ( ألم نشرح لك صدرك ) معناه أنه طمى<sup>(٢)</sup> حكمة وإيماناً .

( ١ ) لم أجد من ذكر هذا القول عن السدى ، وقد اختار الفراء فى معانى القرآن ( ٢٧٤ / ٣ ) وذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٠٤ / ٢٠ ) من رواية أبى صالح عن ابن عباس .

وقال الثعلبى فى الكشف والبيان ( ١٣ / ٢ / ٨ / ١ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٦٢ / ٧ ) : " ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة " .

( ٢ ) أورد السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٣٦٣ ) عن الحسن أنه قال : " ألم نشرح لك صدرك ) قال : طمى<sup>(١)</sup> إيماناً وحكمة ) وعزا تخريجه إلى عبد ابن حميد وابن المنذر ، وذكره من قوله الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٤٧٥ ) ، والزمخشرى فى الكشاف ( ٤ / ٧٧٠ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٠ / ١٠٤ ) هذا وقد ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٤٧٥ ) فى ( شرح ) وجهين : أولاً ، أحدهما : أى أزال همك منه حتى تخلو لما أمرت به ، الثانى : أى نفتح لك صدرك ليتسع لما حملته عنه فلا يضيق ، ومنه تشريح اللحمانه فتحه لتقد يده " . ثم ذكر فيما شرح صدره ثلاثة أقاويل ، أحدها : الإسلام قاله ابن عباس ، الثانى : هو ماتقدم عن الحسن أى طمى<sup>(٢)</sup> حكمة وعلماً ، الثالث : بما من عليه من الصبر والاحتمال ، قاله عطاء ، ثم ذكر قولاً رابعاً بلفظ الاحتمال فقال : ويحتمل رابعاً بحفظ القرآن وحقوق النبوة " .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ١٦٢ ) : ( الشرح : الفتح بإذهاب ما يصد عن الإدراك ، والله تعالى فتح صدر نبيه للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التى تصدر عن إدراك الحق " .

وقال الزمخشرى فى الكشاف ( ٤ / ٧٧٠ ) : " ومعنى : شرحنا صدرك : فسحناه حتى وسع عموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً ، أو حتى احتمل المكابرة التى يتمرر لك بها كفار قومك وغيرهم ، أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم " .

٠٠/٠٠

وقال أبوحيان في البحر المحيط (٤٨٧/٨) : " شرح الصدر تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلق ما يوحى إليه ، قاله الجمهور ، والأولى : العموم لهذا ولغيره من مقاساة الدعاء إلى الله وحده واحتمال المكاره من إيذاء الكفار ، وقال ابن عباس وجماعة : إشارة إلى شق جبريل صدره في وقت صفه " .

وبالنظر في هذه الأقوال يبدو أنها ترجع إلى قولين : أحدهما : هو الشرح حقيقة ، وهو أن جبريل أتاه وشق صدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه من المعاصي ثم ملأه علماً وإيماناً ووضع في صدره " .

والثاني : هو الشرح معنى ، ثم ذكروا على هذا القول أوجهاً مما تقدم كذا فعل الرازي في تفسيره (٢/٣٢) إن قال عنده هذه الآية وفي شرح الصدر قولان ، ثم ذكرهما .

وذهب ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٤٩/٤) إلى أن المراد شرحه حقيقة ومعنى ، فقال عند هذه الآية : شرحه حقيقة حسية ، وذلك حين كان عند ظئره ، وحين أسرى به ، وشرحه معنى حين جمع له التوحيد في صدره والقرآن وطمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيماً ، وشرحه حين خلق له القبول لكل ما ألقى إليه والعمل به ، وذلك هو تمام الشرح وزوال الشرح " .

وقال ابن كثير في تفسيره (٥٢٤/٤) : " يقول تعالى ( ألم نشرح لك صدرك ) يعني : أما شرحنا لك صدرك : أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقولك : ( فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) سورة الأنعام الآية ١٢٥ ، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق ، ثم أشار إلى القول بأن المراد شق صدره ليلة الإسراء وقال : وهذا إن كان واقعاً ليلة الإسراء كما رواه مالك بن صعصعة ، ولكن لا منافاة ، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدرة ليلسة الإسراء ، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً والله أعلم " وهذا هو الصواب في تفسير الآية .

وقد ورد في الأخبار برواية قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة (١) .  
 أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان  
 إذ سمعت قائلاً يقول : هو بين الثلاثة ، قَاتَيْتُ بِطَسْتٍ (٢) من ذهب فيه  
 ماء زمزم فشح الله صدرى إلى كذا وكذا .

قال قتادة : قلت : ما يعنى ؟ قال : إلى أسفل بطني فاستخرج قلبي  
 وغسله بماء زمزم ثم أعاده إلى مكانه ثم حساه (٣) إيماناً وحكمة .

وفي الحديث قصة طويلة (٤) .

قال - رضى الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث القاضى الإمام أبو الدرداء (٥) أخبرنا

( ١ ) في النسختين ( عن أنس بن مالك بن صعصعة ) وهو خطأ ، والتصويب من سنن  
 الترمذى . ومالك بن صعصعة هو مالك بن صعصعة بن وهب بن عدى الأ نصارى ،  
 ذكره ابن حجر فى الإصابة ( ٣ / ٣٤٦ ) وقال فى التقریب ( ٣٢٧ ) : صحابى روى عنه  
 أنس حديث المعراج ، كأنه مات قد يماً .

( ٢ ) قال ابن منظور فى لسان العرب ( ٢ / ٥٨ ) : " الطَّسْتُ : من آنية الصُّفْرِ ،  
 أنثى ، وقد تُذَكَّرُ .

( ٣ ) فى سنن الترمذى ( ثم حشى ) أى طلى \* انظر تحفة الأحوزى ( ٤ / ٢١٥ ) .

( ٤ ) يقصد بذلك قصة الإسراء ، وقد أخرجه بهذه القصة البخارى فى صحيحه -  
 كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ( ٦ / ٣٠٢ رقم ٢٢٠٧ ) وسلم فى صحيحه  
 كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ( ٢ / ٢٢٣ ) . كلاهما  
 من طريق سعيد بن أبى عروب عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة .  
 وقال مسلم : عن أنس بن مالك لعله قال : عن مالك بن صعصعة .

( ٥ ) لعله عبد العزيز بن منيب بن سلام بن خريش أبو الدرداء المروزي ، ذكره

الخطيب فى تاريخه ( ١١ / ٤٥٠ ) .

أبو العباس بن سراج<sup>(١)</sup> أخبرنا أبو العباس بن محبوب<sup>(٢)</sup> أخبرنا أبو عيسى الحافظ<sup>(٣)</sup>  
 أخبرنا محمد بن بشار<sup>(٤)</sup> أخبرنا محمد بن جعفر وابن<sup>(٥)</sup> أبي عدي عن<sup>(٦)</sup> سعيد ٢٣٧/أ  
 ابن أبي عروبة<sup>(٧)</sup> عن قتادة عن أنس بن مالك الحديث . وهو حديث صحيح .<sup>(٨)</sup>

(١) هو أحمد بن محمد بن سراج السنجى الطحان تقدمت ترجمته في ص (٤٥٥) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي تقدمت ترجمته في ص (٦٠١) .

(٣) هو محمد بن عيسى الترمذى ، صاحب السنن .

(٤) هو محمد بن بشار بن عثمان العبدى البصرى أبو بكر بندان ، ثقة ، مات سنة  
 اثنتين وخمسين ومائتين .

انظر تقريب التهذيب ٢٩١ .

(٥) هو محمد بن جعفر المدنى البصرى المعروف بفنْدَر ثقة صحيح الكتاب إلا أن  
 فيمغلة ، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائتين . المصدر السابق (ص ٢٩٣) .

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي ، وقد ينسب لجده ، وقيل : هو إبراهيم أبو عمرو  
 البصرى ثقة ، مات سنة أربع وتسعين ومائة على الصحيح ، المصدر السابق  
 (ص ٢٨٨) .

(٧) فى الأصل (سعيد بن أبى عروة) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته وهو سعيد  
 ابن أبى عروبة مهران الديسكى مولا هم أبو النضر البصرى - ثقة حافظ لسه  
 تصانيف لكنه كثير التذليل ، واختلط وكان من أثبت الناس فى قتادة .  
 مات سنة ست وقيل سبع وخمسين ومائة ، المصدر السابق (١٢٤) .

(٨) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير ، باب " ومن سورة ألم نشرح " (٤٤٢/٥)  
 رقم (٣٣٤٦) عن محمد بن بشار به .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح \* وقد وردت هذه القصة  
 (أى شق الصدر) من رواية آخرين من الصحابة كأبى ذر وأنس بن مالك  
 انظر صحيح مسلم (٢/٥١٥ - ٢٢٥) . ثم أن هناك روايات أخرى تدل  
 على أن شق الصدر حصل فى أكثر من مناسبة .

واختلف العلماء فى ذلك فذهب بعضهم إلى القول بأن القصة وقعت  
 مرة واحدة ، فى طفولته عند مرضعته حليلة ، ورجح بعض الروايات على بعض ،  
 وذهب بعضهم إلى أن القصة وقعت مرتين ، مرة وهو صغير ، ومرة ليلية  
 الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى \* وهو الصواب .

انظر الروض الأنف (١/١٩٠) وفتح البارى (٢/٥ ط الحلبي وسيرة ابن كثير

(١/٢٢٧ - ٢٣١) .

وورد أيضا في الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخل  
النور في قلب المؤمن انشج وانفسح فقليل يارسول الله هل لذلك من  
علامة ؟ قال : التجافى عن دار الفرق والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد  
للموت قبل حلول الموت .<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩٨/١٢ - ١٠٣) تحقيق محمود شاكر ( من  
طرق عديدة وأكثرها عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود بألفاظ عديدة  
متقاربة .

والحاكم في مستدرکه (٣١١/٤) من طريق عدی بن الفضل عن عبد الرحمن  
ابن عبد الله السعدي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله  
عنه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم " فمن يرد الله أن يهديه  
يشرح صدره للإسلام " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن النور  
إذا دخل الصدر انفسح ، فقليل : يارسول الله : هل لذلك من علم  
يعرف ؟ .

قال : نعم ، التجافى عن دار الضرر والإنابة إلى دار الخلود  
والاستعداد للموت قبل نزوله .

سكت عليه الحاكم وقال الذهبي : عدی ساقط ، وأور السيوطي في  
الدر المنثور (٤٤/٣) هذا الحديث من روايات عديدة غير هذه الرواية ،  
وأكثر هذه الروايات يبدو أنها مرسله أو منقطعة ، أورد بعض هذه  
الروايات ابن كثير في تفسيره (٢٧٤/٢ - ١٧٥) وقال : " فهذه طرق  
لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم .

وقد خطأه محمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٩٩/١٢ ، ١٠١)  
وضمّن جميع الطرق للحديث ، وذكر أن في بعض طرقها كذاب ووضّاع  
راجع للتفصيل ما ذكره الأستاذ محمود شاكر .

وقوله ( ووضعتنا عنك وزرك ) قال مجاهد : ( أى غفرنا لك ) ، وهو في معنى قوله ( ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ) .

وقوله ( وزرك ) قال مجاهد : ( أى ثقلك ) ، وعن بعضهم :

( ١ ) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٧٥ / ٤ ) قال : " وغفرنا لك ذنبك ، قاله مجاهد " . وقد أورد السيوطي في الدر المنثور ( ٢٦٣ / ٦ ) عن شريح بن عبيد الحضرمي : " ووضعتنا عنك وزرك ) قال : وغفرنا لك ذنبك " وعزاتخريجه إلى ابن أبي حاتم ، واختاره الزجاج فقد نقل عنه ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٦٢ / ٩ ) أنه قال : المعنى : أنه غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر " .

( ٢ ) سورة الفتح الآية ٢ ، وذكر البغوي في تفسيره ( ٢٦٢ / ٧ ) والرازي في تفسيره ( ٤٣٢ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٠٥ / ٢٠ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٢٤ / ٤ ) أن الآية بمعنى قوله تعالى ( ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ) وقد أنكر بعض العلماء تفسير " وضعتنا " بـ " غفرنا " وذكر أنه ليس هناك ما يدل على هذا المعنى ، وسيأتي تفصيل الكلام في ذلك في ( ص ٨٩٦ ) .

( ٣ ) كذا في الأصل ، وجاء في تفسير مجاهد ( ٧٦٧ / ٢ ) أنه قال " ذنبك في الجاهلية " . وروى ابن جرير في تفسيره ( ٢٣٤ / ٣٠ ) بسنده عنه أنه قال " ووضعتنا عنك وزرك " ذنبك وأورد عنه السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٣ / ٦ ) مثله وعزاه تخريجه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم " وهذا هو الموافق للسياق لأن المؤلف ذكر بعده قولاً آخر فقال : وعن بعضهم : ( ووضعتنا عنك وزرك ) أى حططنا عنك ثقلك ) وهذا يدل على أن الصواب هنا : ذنبك " وهو قول جماعة من المفسرين فروى ابن جرير في تفسيره ( ٢٣٤ / ٣٠ ) بسنده عن قتادة أنه قال : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلتته ، فغفرها الله له " .

وذكر الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٨٢ / ١ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٦٢ / ٧ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٦٢ / ٩ ) عن جماعة من المفسرين فيهم ابن عباس والحسن وقتادة ، أنهم قالوا : حططنا عنك إثمك الذي سلف في الجاهلية ، وقال ابن جرير في تفسيره ( ٢٣٤ / ٣٠ ) في تفسير هذه الآية : " يقول : وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك ، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها " هذا وقد اتفق الغراء في معاني القرآن ( ٢٧٥ / ٣ ) وأبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٣٠٣ / ٢ ) وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ( ص ١٤٠ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٢ ) على أن معنى الوزر : الإثم ، وصرح بعضهم فقال : " الإثم الذي كان في الجاهلية " بمعنى بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن : " وأصل الوزر ما حملته الإنسان على ظهره ، قال الله عز وجل : ( ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم ) سورة طه الآية ٨٧ ، أى أحمالاً من حليتهم ، فشبهه الإثم بالحمل ، فجعل مكانه " . انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٠٥ / ٢٠ ) .



( ووضعتنا عنك وزرك الذي ) أى حططنا عنك ثقلك <sup>(١)</sup> .  
وفى رواية ابن مسعود : وحللنا عنك وقرك <sup>(٢)</sup> .

وقوله ( الذى أنقض ظهرك ) قال الزجاج : أى أثقلت ثقلًا يسمع منه نقيض ظهرك <sup>(٣)</sup> .

فإن قال قائل : وإيش كان وزره وهل كان على دين قومه قبل النبوة . أولاً .  
والجواب قد ورد فى التفسير : أنه كان على دين قومه قبل ذلك .

( ١ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٤٧٥ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٠ / ١٠٦ ) كلاهما عن السدى . ويؤيد هذا التفسير قراءة ابن مسعود " وحللنا عنك وقرك " وقد اختار ابن منظور فى لسان العرب ( ٧ / ٢٤٤ ) هذا التفسير - أى تفسير الوزر بالحمل الثقيل - وذكر أن تفسير الوزر بالحمل الثقيل أولى من تفسيره بما يخسبر عنه بالمغفرة ولا ذكر لها فى السورة لأن ذلك هو الأصل فى اللفظة .  
انظر أيضا المصدر السابق ( ٥ / ٢٨٢ ) وفى الآية أقوال أخرى ، سيأتى ذكرها فى ص ( ٨٩٦ ) .

( ٢ ) ذكر ابن خالويه فى شواذ القرآن ( ١٧٥ ) عنه أنه قرأ ( حللنا وحططنا ) وقال : وهذا بمعنى واحد " . انظر القراءة الأولى ( أى : حللنا عنك وقرك ) أيضا فى تفسير الطبرى ( ٣٠ / ٢٣٤ ) وتفسير القرطبى ( ٢٠ / ١٠٥ ) والدر المنثور ( ٦ / ٣٦٣ ) .

( ٣ ) لم أجد من ذكر عن الزجاج هذا القول . وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٦٣ ) " ومعنى ( أنقض ظهرك ) أثقلته حتى سمع نقيضه ، أى : صوته ، وهذا مثل معنى : أنه لو كان حملاً يحمل لسمع نقيض الظهر منه " .

وقال الرازى فى تفسيره ( ٤ / ٣٢ ) :  
" وأما قوله ( أنقض ظهرك ) : فقال عطاء اللغة : الأصل فيه أن الظهر إذا أثقل الحمل سمع له نقيض أى صوت خفى ، وهو صوت المحاميل والرحال والأضلاع أو البعير إذا أثقله الحمل ، فهو مثل لما كان يشغل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوزارة . وكذا ذكر ابن منظور فى لسان العرب ( ٧ / ٢٤٤ ) فقال : " الأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سمع له نقيض أى صوت خفى كما ينقض الرجل لحماره إذا ساقه " . وقال الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٤٧٦ ) بعد أن ذكر معناه اللغوى ، " وفيه ثلاثة أوجه : أحدها أثقل ظهره بالذنوب حتى غفرها ، الثانى : أثقل ظهره بالرسالة حتى بلغها ، الثالث : أثقل ظهره بالنعم حتى شكرها " وقال الذين حطوا الوزر على الذنوب ، وإنما وصفت ذنوب الانبياء بهذا الثقل ، مع كونها مغفورة ، لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها " .

ومعنى ذلك أنه كان يشهد مشاهدتهم ويوافقهم فى بعض أمورهم من غير أن يعبد  
صنماً أو يعظم شيئاً ، وقد كان الله عصمه عن ذلك فما ذكرنا هو الوزر الذى  
انقض ظهره . (١)

(١) ذكر نحوه القرطبي فى تفسيره (١٠٥/٢٠) فقال : الوزر : الذنب ، أى وضعنا  
عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية ، لأنه كان صلى الله عليه وسلم فى كثير من مذاهب  
قومه وإن لم يكن عبد صنماً ولا شيئاً " ثم ذكر قول قتادة السابق ، وعزاه أيضاً  
إلى الحسن والضحاك .

وذكره ابن منظور فى لسان العرب (٢٤٤/٧) نقلاً عن أبى زيد : فقال بعد  
أن ذكر معنى ( أنقض ظهره ) : فأخبر الله عز وجل أنه غفر لنبىه صلى الله  
عليه وسلم أوزاره التى كانت تراكمت على ظهره حتى أثقلتته ، وأنها لو كانت  
أثقالاً حملت على ظهره لسمع لها نقيض ، أى صوت ، ثم نقل عن محمد بن  
المكرم إنكاره على هذا القول فقال : هذا القول فيه تسميح فى اللفظ وإغلاظ  
فى النطق ، ومن أين لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوزار تراكم على  
ظهره الشريف حتى تثقله أو يسمع لها نقيض وهو السيد المعصوم المنزه عن  
ذلك . صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ، وحاش لله ، يأتى بذنوب لم يكن يجدها  
ثِقَلًا فإن الله تعالى قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وإذا كان غفر له  
ما تأخر قبل وقوعه فأين ثقله ، كالشر إذا كفاه الله قبل وقوعه فلا صورة له  
ولا إحساس به .

ثم أنكروا على الذين فسروا ( وضمننا ) بـ " غفرنا " فقال : ومن أين للمفسر  
لفظ المغفرة ؟ وإنما نص التلاوة ( ووضمننا ) - وبما أن تفسير الوزر بالذنب يسرى  
فيه البعض نوعاً من سوء الأدب إلى مقام النبى صلى الله عليه وسلم ذكروا فى  
الآية أوجه أخرى لاتنال من مقام النبوة .

أحدها : أن المراد الخطأ والسهو ، قاله الحسين بن الفضل .  
والثانى : أن المراد : تخفيف أعباء النبوة التى تثقل الظهر من القيام بها فسهل  
الله تعالى ذلك عليه ، قاله عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة .

والثالث : أن المراد : ذنوب أمك ، أضافها إليه لاشتغال قلبه بها .  
والرابع : أن الوزر ما كان يكرهه من تغيرهم لسنة الخليل وكان لا يقدر على  
منعهم إلى أن قواه الله وقال له " أن أتبع طمة إبراهيم " .

والخامس : معناه عصمناك عن الوزر الذى ينقض ظهره .  
والسادس : كان فى الابتداء يثقل عليه الوحي ، حتى كاد يرمى نفسه من شاهق  
الجبل ، إلى أن جاءه جبريل وأراه نفسه وأزيل عنه ما كان يخاف من تغير العقل .

ذكر أكثر هذه الأوجه الرازى فى تفسيره (٥-٤/٣٢) والقرطبي فى تفسيره  
(١٠٦/٢٠) وانظر أيضاً تفسير الثعلبي (١/٨٢/١٣) وتفسير البغوى (٢٦٧/٧)  
وزاد المسير (١٦٣/٩) .

٠٠/٠٠

وأما الزمخشري فذهب إلى الكشاف (٧٧٠/٤) إلى أن ذلك مثل لما كان يشغل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغممه من فرطاته قبل النبوة ، أو من جهله بالأحكام والشرائع ، أو من تهالكه على إسلام أولاد العناد من قومه ؛ وتلفه ؛ ووضع عنه : أن غفر له أو علم الشرائع ، أو مهد عذره بعد ما بلغ وبلغ .

وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٨٨/٨) : " ( ووضعنا عنك وزرك ) كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس عبر ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما يقول القائل رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر منه زيارة على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة .

وتقدم نقلاً عن ابن منظور أن تفسير الوزر هنا بالحمل الثقيل أولى من تفسيره بما يخبر عنه بالمغفرة ولا ذكر لها في السورة وذلك لأن تفسير الوزر بالحمل الثقيل هو الأصل في اللغة وذكره ابن منظور عن محمد بن المكرم ، وقال بعد ذلك : " ويحمل هذا على أنه عز وجل وضع عنه وزره الذي أنقض ظهره من حمله هم قريش إذ لم يسلموا ، أو هم المنافقين إذ لم يخلصوا أو هم الإيمان إذ لم يعم عشيرته الأقربين أو هم العالم إذ لم يكونوا كلهم مؤمنين ، أو هم الفتح إذ لم يعجل للمسلمين أو هموم أمته المذنبين ، فهذه أوزاره التي أثقلت ظهره ، صلى الله عليه وسلم ، رغبة في انتشار دعوته وخشية على أمته ومحافظة على ظهور ملته وحرصاً على صفاة شرعته ، ولعل بين قوله عز وجل : ( ووضعنا عنك وزرك ) وبين قوله : ( فلعنك باخع نفسك على آثارك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ) سورة الكهف الآية ٦ ، مناسبة من هذا المعنى الذي نحن فيه ، وإلا فمن أين لمن غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ذنوبه . وهذا - والله أعلم - أحسن ما يقال في معنى الآية .

وقوله ( ورفعنا لك ذكرك ) فيه أقوال : أحدها : ورفعنا لك ذكرك بالنبوة والرسالة (١) .

والآخر : رفعنا لك ذكرك : أى جعلت طاعتك طاعتي ومعصيتك معصيتي والقول المعروف فى هذا : انى لا أنكر إلا ذكرت معنى (٢) ، قال ابن عباس : فى الأذان والإقامة والتشهد وعلى المنابر فى الجمع والخطب فى العيدين ويوم عرفة وغير ذلك (٣) .

(١) ذكره الماوردى فى تفسيره (٤٧٦/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٣/٩) عن يحيى بن سلام .

(٢) هو قول الجمهور من المفسرين ، ذكره الفراء فى معانى القرآن (٢٧٥/٣) ، وابن جرير فى تفسيره (٢٣٥/٣٠) وأبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن (٧٢٩٣) والماوردى فى تفسيره (٢٦٢/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٣/٩) وغيرهم من المفسرين وصرح ابن الجوزى بأنه قول الجمهور .

وأما قول المؤلف ( أى جعلت طاعتك طاعتي ومعصيتك معصيتي ) فلم أجده من ذكره بهذا اللفظ ، ولكنه يدل عليه قوله تعالى ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) سورة النساء الآية ٨٠ ، وفى الآية أقوال أخرى منها : رفعنا ذكرك فى الآخرة كما رفعناه فى الدنيا ( ذكره الماوردى وابن الجوزى وذكر القرطبى فى تفسيره (١٠٧/٢٠) قولاً آخر فقال : أى أعلننا ذكرك ، فذكرناك فى الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك ، وأمرناهم بالبشارة بك ، ولا دين إلا ودينك يظهر عليه . وقال أيضاً : رفعنا ذكرك عند الملائكة فى السماء ، وفى الأرض عند المؤمنين ، وترفع فى الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات والصواب فى تفسير الآية هو ما عليه الجمهور من المفسرين .

(٣) أورده البغوى فى تفسيره (٢٦٢/٧) قال : " وقال عطاء عن ابن عباس : يروى الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر ، ولو أن عبداً عبد الله وصدقته فى كل شىء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشىء ، وكان كافراً " وأورده القرطبى فى تفسيره (١٠٦-١٠٧/٢٠) وقال : " وروى عن الضحاك عن ابن عباس " ثم ذكر نحوه .

وقال قتادة : ما من مشهد ولا خطيب ولا صاحب صلاة إلا وهو ينادى أشهد  
أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله<sup>(١)</sup> .

وقد ورد في بعض الأخبار هذا مرفوعاً إلى جبرئيل عليه السلام برواية أبي سعيد  
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال<sup>(٢)</sup> : \* أن جبريل قال : قال الله  
عز وجل : إذا ذكرت ذكرت معي<sup>(٣)</sup> .

وقال حسان بن ثابت<sup>(٤)</sup> يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :  
أَغْرَ عَلَيْهِ بِالنَّبِوَةِ خَـلَـاتِمُ      من الله مشهود يلوح ويشهد  
وَضَمَّ إِلَهَ اسْمِ النَّبِيِّ مَعَ اسْمِهِ      إذا قال في الخمس المودن أشهد  
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ كَيْ يَجْلِسَ      فذو المرش محمود وهذا محمد<sup>(٥)</sup>  
<sup>(٦)</sup>

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/٣٠) والبيهقي في دلائل النبوة (٦٣/٧) ،  
كلاهما من طريق سعيد - وهو ابن أبي عروة - عن قتادة في قوله عز وجل :  
( ورفعنا لك ذكرك ) قال : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب  
ولا مشهد . . . وذكره إلى آخره وذكره من قوله الطائري في تفسيره (٤٧٦/٤)  
والبغوي في تفسيره (٢٦٢-٢٦٣/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١٦٣/٩) ،  
وابن كثير في تفسيره (٥٢٤/٤) .

(٢) كذا تكررت كلمة ( قال ) في النسختين ، وهو محتمل ، لأن ( قال ) الأول فاعله  
ضمير يرجع إلى أبي سعيد ، و ( قال ) الثاني فاعله ضمير يرجع إلى النبي صلى  
الله عليه وسلم .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/٣٠) وابن حبان في صحيحه ( كما في موارد  
الظمان ٤٣٩ ) والثعلبي في تفسيره ( ١ / ٨٢ / ١٣ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٦٢ / ٧ )  
كلهم من طريق دارج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : \* أتاني جبريل فقال : \* ان ربي وربك يقول : \* كيف رفعت لك ذكرك ؟ \* قال :  
الله أعلم ، قال : إذا ذكرت ذكرت معي \* وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٧٤ / ٦ )  
وعزا تخريجه أيضاً إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم  
في الدلائل وهو إسناد ضعيف ، لأن دراجاً وطن كان صدوقاً في حديثه ولكنه في  
روايته عن أبي الهيثم ضعيف ، وقد صح بذلك الحافظ بن حجر في التقريب ( ص ٩٧ )  
وقد ضعف الألباني هذا الحديث في ضعيف الجامع الصغير ( ٧٢ / ١ ) .

(٤) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي ثم البخاري شاعر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الحافظ ابن حجر عن أبي عبيدة أنه فضل حسان بن  
ثابت على الشعراء بثلاث ، كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه  
وسلم في أيام النبوة وشاعر اليمع كلها في الإسلام ، مات سنة أربع وخمسين ، وله مائة  
وعشرون سنة . انظر الإصابة ( ٣٢٦ / ١ ) ، وتقريب التهذيب ٦٨ .

(٥) في ديوانه ( إلى ) بدل ( مع ) .

(٦) في ديوانه ( ليجله ) .

(٧) انظر ديوانه ص ٤٧ ، وأنشدها أيضاً البغوي والخازن ( ٢٦٣ / ٧ ) والقرطبي في تفسيره

( ١٠٦ / ٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٨٨ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٢٥ / ٤ ) .

قوله تعالى ( فَإِن مَعَ الْعَسْرِ يَسِرَا ) أى مع العسر يسير<sup>(١)</sup> ، فى التفسير : أن المشركين عبروا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا : لو شئت جمعنا لك شيئاً من المال لترجع عن هذا القول فأُكر به ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٢)</sup> .

والمعنى : ان مع الفقر غنى ومع الضيق سعة ، وأن مع الحزنونة سهولة ومع الشدة رخاء<sup>(٣)</sup> ، وقد حقق الله ذلك فى الدنيا بما فتح على النبى عليه الصلاة والسلام وعلى أصحابه ، فإن الله تعالى فتح<sup>(٤)</sup> على النبى صلى الله عليه وسلم الحجاز<sup>(٥)</sup>

(١) كذا فى النسختين ولعل الصواب ( أى مع العسر سعة ) قال القرطبى فى تفسيره ( ١٠٧/٢٠ ) عند تفسير هذه الآية : " أى ان مع الضيقة والشدة يسيرا ، أى سعة وغنى " .

(٢) ذكره الثعلبى فى الكشف والبيان ( ١٣/٨٣/١ ) والبغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٦٣/٧ ) والزمخشرى فى الكشاف ( ٤/٧٧١ ) والرازى فى تفسيره ( ٦/٣٢ ) ، والقرطبى فى تفسيره ( ١٠٨/٢٠ ) قال القرطبى بعد أن ذكر بعض الأقوال فى معناها : والصحيح أن يقال : " إن الله بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم مؤملاً مخفياً ، فعيره المشركون بفقره ، حتى قالوا له : نجمع لسك مالاً ، فاعنتم وظنن أنهم كذبوه لفقره فعزاه الله ، وعدد نعمه عليه ، ووعدده الفنى بقوله : " فَإِن مَعَ الْعَسْرِ يَسِرَا " .

(٣) ذكر الماورى فى تفسيره ( ٤/٤٧٦ ) وجهين فى تفسير هذه الآية . أحدهما : ان مع الشدة رخاء ومع الصبر سعة ، ومع الشقاوة سعادة ، ومع الحزنونة سهولة .  
الثانى : ان مع اجتهاد الدنيا خير الآخرة .

ثم ذكر ثلاثة أوجه أخرى ، فقال : ويحتمل ثلاثة أوجه أحدها : أن مع العسر يسيرا عند الله ليفعل منهما ما شاء ، الثانى : ان مع العسر فى الدنيا يسيرا فى الآخرة .

الثالث : ان مع العسر لمن بلى يسيراً لمن صبر واحتسب بما يوفق له من القناعة أو بما يعطى من السعة " والصواب هو الوجه الأول قال ابن كثير فى تفسيره ( ٤/٥٢٥ ) ، وقوله تعالى ( فَإِن مَعَ الْعَسْرِ يَسِرَا ) أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر " . وأما معنى ( مع ) الذى يدل على الصحبة فقال الزمخشرى فى الكشاف ( ٤/٧٧١ ) : أراد أن الله يصيهم يسير بعد العسر الذى كانوا فيه بزمان قريب ، فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة فى التسليية وتقوية القلوب " . وذكر ذلك الرازى أيضاً فى تفسيره ( ٢٢/٦-٧ ) قال : لما كان وقوع اليسر بعد العسر بزمان قليل ، كان مقطوعاً به فجعل كالمقارن له " .

(٤) حرف ( على ) ساقط من الأصل ، والصواب إثباته .

(٥) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان ( ٢/٢١٨ ) : " والذى أجمع عليه العلماء أنه من قولهم : حجزه يحجزه حجماً أى منعه ، والحجاز جبل معتد حال بين الفجر غورتهما ونجد ، فكانه منع كل منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجر بينهما " .

(١) وتهمامة وما والاها / وعامة بلاد اليمن وكثيرا من البوادي إلى قريب من العراق (٢) ٢٣٧ ب / والشام ، وفتح على أصحابه ما فتح وأغنمهم كسرى وقيصر وقد صار حال النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أمره أنه كان يهب المائتين من الإبل والألوف من الغنم ويدخر لعياله قوت سنة ، فهذا الذي ذكرناه هو معنى الآية (٣) .

وقد روى معمر عن أيوب عن الحسن (٤) (٥) (٦) : أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً مسروراً إلى أصحابه وقال : أبشروا لن يغلب عسر يسرين ثم قرأ قوله تعالى ( فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ) (٧) .

(١) تهامة : ذكر الحموي في المصدر السابق (٦٣/٢) أنها بالكسر ، وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها ، وهومن التهم ، وهو شدة ، يقال : تهم الحر إذا اشتد ، ويقال : سميت بذلك لتغيير هوائها ونقل في تحد يدها أقوالاً عنها : أنها تسيار البحر ، منها مكة ، نقله عن أبي المنذر ، ونقل عن الأصمعي : إذا خلفت عمان مصعداً فقد أنجحت فلا تزال منجداً حتى تنزل في ثنايا ذات عرق ، فإذا فعلت ذلك فقد اتهمت إلى البحر ، انظراً أيضاً لسان العرب (٢/٧٣-٧٢) .

(٢) في الأصل (قريباً) والصواب ما أثبتته ، لأنه مجرور .

(٣) ذكر هذا المعنى الثعلبي في الكشف والبيان (١٣/٨٣ ب) والبغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢٦٤) والقوطبي في تفسيره (٢٠/١٠٨) كهم عن الجرجاني ، وأشار إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٩/١٦٤) ولفظ القوطبي : أي : لا يحزنك ما عيروك به من الفقر ، فإن مع ذلك المسر يسراً عاجلاً ، أي فسي الدنيا ، فأنجزله ما وعده ، فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن ، ووسع ذات يده ، حتى كان يعطي الرجل المائتين من الإبل ، ويهب الهبات السنينة ويعد لأهله قوت سنة ، فهذا الفضل كله من أمر الدنيا ، وإن كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد يدخل فيه بمعنى أمته إن شاء الله تعالى ، ثم ابتداءً فضلاً آخر من الآخرة . وفي تأسية وتعزية له صلى الله عليه وسلم فقال مبتدئاً : " إن مع العسر يسراً " فهو شئ آخر ، والدليل على ابتدائه : تعريبه من فاء أو واو أو غيرها من حروف النسق التي تدل على العطف فهذا وعد عام لجميع المؤمنين ، لا يخرج أحد منه ، أي إن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسراً في الآخرة لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الآخرة .

(٤) هو معمر بن راشد الحداني ، تقدمت ترجمته في ص (٣١) .

(٥) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السخثياني ، أبو بكر البصري ، ثقة ثبت حجة ، من كبار الفقهاء العباد ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون . انظر تقريب التهذيب ٤١ .

(٦) هو الحسن البصري .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (ق ١٧٣ ب) ومن طريقه الحاكم في مستدرکه (٢/٥٢٨) وسقط أيوب من سند عبد الرزاق في تفسيره . وهو موجود في سند الحاكم ،

والحديث أورده الحافظ في تخريج الكشاف (٧٧١/٤) من رواية عبد الرزاق وذكر  
أيوب في السند .

ورواه أيضا ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/٣٠ - ٢٣٦) من طرق عن يونس وعوف  
ومعمر كلهم عن الحسن بنحوه . كما رواه الثعلبي في تفسيره (١٢/٨٣/١) من طريق  
يونس عنه وهو مرسل ، ومراسيل الحسن مختلف فيها ، والصواب أن ما أسند من  
حديثه وروى عن سمع منه فهو حجة ، وما أرسل فليس بحجة . انظر تهذيب  
التهذيب (٢٦٦/٢) .

ولهذا الحديث طرق أخرى أخرجها ابن مردويه في سياق طويل من رواية  
عطية عن جابر موصولاً ، أورده السيوطي في الدر المنثور (٣٦٤/٦) وأشار إليه  
الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف (٧٧١/٤) وقال : " وإسناده ضعيف " .

وفي الباب عن عمر رضي الله عنه - ذكره مالك في الموطأ ( ٢٩٦/١ ) عن زيد  
ابن أسلم قال : كذب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعاً من  
الروم ، وما يتخوف منهم فكتب إليه عمر بن الخطاب : أما بعد : فإنه مهما ينزل  
بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجاً ولأنه لن يغلب عسر يسرين . .  
إلى آخره .

قال في الحافظ في تخريج الكشاف : وهذا أصح طرقه وعليه فالحديث ثابت  
موقوفاً لا مرفوعاً .



قال رضى الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبد الله بن محمد  
ابن أحمد أخبرنا سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البراء<sup>(٢)</sup> ، أخبرنا  
العذافر<sup>(٣)</sup> أخبرنا الدبسى<sup>(٤)</sup> عن عبد الرزاق عن معمر الحديث .

فإن قال قائل : ما معنى قوله " لن يغلّب عسر يسرين " وقد كرر  
كلاهما ؟ .

والجواب عنه : أن الفراء ذكر أن النكرة إذا كررت نكرة فالثاني غير  
الأول ، والنكوة إذا أعيدت معرفة فالثاني هو الأول وتقول العرب : كسبت  
اليوم درهماً وانفقت الدرهم ، فالثاني هو الأول . ونقول وعلى هذا  
ورد قوله تعالى ( كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ففصى فرعون الرسولا )<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) لم أجد ترجمته .

( ٢ ) كذا في النسختين ( سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار ) .

وقد تقدم ذكر هذا السند في ( ص ١٢٧ ) وفيه ( أبو سهل عبد الصمد بن  
عبد الرحمن البزار ) فيبدو أنه وقع هنا تحريف والصواب ( أبو سهل عبد الصمد  
ابن عبد الرحمن البزار ) وتقدمت ترجمته في الصفحة المذكورة .

( ٣ ) هو محمد بن زكريا العذافر .

( ٤ ) هو إسحاق بن إبراهيم الدبسى .

( ٥ ) سورة المزمل الآية ١٥ ، ١٦ .

وهذا الكلام لم أجده في معاني القرآن للفراء<sup>(٣/٢٧٥)</sup> عند هذه الآية  
وقد ذكره ابن الجوزى في زاد المسير<sup>(٩/١٦٤)</sup> والرازى في تفسيره<sup>(٦/٣٢)</sup>  
من قول الفراء والزجاج .

وذكره الثعلبى في تفسيره<sup>(١٢/٨٣/١)</sup> والبغوى والخازن في تفسيرهما  
<sup>(٧/٢٦٣ - ٢٦٤)</sup> والقرطبى في تفسيره<sup>(٢٠/١٠٧)</sup> دون عزو إلى شخص  
معين . وقد اعترض عليه الجرجانى أبو على الحسن بن يميم فقال : تكلم  
الناس في قوله صلى الله عليه وسلم " لن يغلّب عسر يسرين " فلم يحصل غير قولهم إن  
العسر معرفة ، واليسر نكرة مكررة ، فوجب أن يكون عسراً واحداً ويسراً ، وهذا  
قول مدخول ، لأنه يجب على هذا التدرّج إذا قال الرجل : إن مع الفارس  
سيفاً ، أن مع الفارس سيفاً " أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنين ، ولا يصح هذا

٠٠/٠٠

في نظم العربية " .

وقد ذكر هذا الكلام عن الجرجاني - الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٨٣ / ١ ) والبيهقي والخازن في تفسيرهما ( ٢٦٣ / ٧ - ٢٦٤ ) والرازي في تفسيره ( ٦ / ٣٢ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٠٨ / ٢٠ ) .

وتكلم الزمخشري في الكشاف ( ٧٧١ / ٤ ) على معنى الآية ، فقال : هذا عمل على الظاهر ، وبناءً على قوة الرجاء ، وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه ، والقول في أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى كما كرر قوله ( ويل يومئذ للمكذبين ) لتقريب معناها في النفوس وتمكينها في القلوب ، وكما يكرر المفرد في قولك : جاءني زيد زيد ، وأن تكون الأولى عدة بأن المسر مردوف بيسر لا محالة ، والثانية عدة مستأنفة بأن المسر متبوع بيسر ، فهما يسران على تقدير الاستئناف ، وإنما كان المسر واحداً لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للمعهد وهو المسر الذي كانوا فيه ، فهو هو ، لأن حكمه حكم زيد في قولك : إن مع زيد مالا ، إن مع زيد مالا ، وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضاً ، وأما اليسر فمكرر متناول لبعض الجنس ، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرر فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بغير اشكال " .

وقد ذكر هذا المعنى الرازي أيضاً في تفسيره ( ٦ / ٣٢ ) فذكر أن الجملة الثانية تكرير للأولى ، والفروض تقريبات معناها في النفوس وتمكينها في القلوب " .

وقال الماوردي في تفسيره ( ٤٧٧ / ٤ ) بعد أن ذكر أن المسر في الموضعين واحد ، واليسران : " وفي تكرار " مع المسر يسرا " وجهان : أحدهما : ما ذكرنا من أفراد المسر وتثنية اليسر ليكون أقوى للأمل وأبعث على الصبر ، قاله ثعلب .

الثاني : للاطناب والمبالغة " .

( ١ )  
وعن ابن مسعود قال : لو دخل العسر في جحر لتبعه اليسر حتى يستخرجه .  
وفي معنى اليسرين قولان : أحدهما : يسر الدنيا والآخرة يسر الآخرة ( ٢ ) . فعلى  
هذا معنى الخبر : ان غلب العسر يسر الدنيا فلا يغلب يسر الآخرة ( ٣ ) .

( ١ ) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٧٣ / ب ) عن جعفر بن سليمان عن ميمون أبي حمزة  
قال : سمعت إبراهيم النخعي يقول : قال ابن مسعود : لو كان العسر في جحر  
تبعه اليسر حتى يخرجته ، لن يغلب عسر يسرين ، لن يغلب عسر يسرين .

وأخرجه ابن جريو في تفسيره ( ٢٣٦ / ٣٠ ) بسنده عن معاوية بن قرة  
أبي إياس عن رجل عن عبد الله بن مسعود بنحوه . وأخرجه الثعلبي في تفسيره  
( ١ / ٨٣ / ١٢ ) بسنده عن جعفر بن سليمان عن رجل عن إبراهيم النخعي  
به بنحوه .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٤ / ٦ ) من قول ابن مسعود ، وعزا  
تخرجه إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حمد وابن أبي الدنيا فسي  
الصهر وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان .

وقد روى ذلك مرفوعاً أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ( ٨٥ / ١٠ ) رقم  
( ٩٩٧٧ ) بسنده عن أبي مالك النخعي عن أبي حمزة عن عذمة عن عبد الله  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ثم ذكره وهو من جميع الطرق  
ضعيف ، ففي سنده عبد الرزاق ميمون أبو حمزة قال فيه الحافظ في التقریب  
( ص ٣٥٤ ) : ضعيف . وأما سند ابن جريو والثعلبي ففيه رجل مبهم .

( ٢ ) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٧٧٢ / ٤ ) : " ( يجوز ) أن يراد يسر الدنيا  
ويسر الآخرة ، كقوله تعالى : ( قل هل ترضون بنا إلا إحدى الحسنيتين )  
سورة التوبة الآية ٥٢ ، وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب ) وكذا ذكره  
الرازي في تفسيره ( ٦ / ٣٢ ) . انظر أيضاً زاد المسير ( ١٦٤ / ٩ ) وتفسير  
القرطبي ( ١٠٨ / ٢٠ ) .

( ٣ ) ذكر البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٦٤ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير  
( ١٦٤ / ٩ ) معنى الأشو : أن معناه : لن يغلب عسر يسرين :  
لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذي  
وعدهم في الآخرة ، إنما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا ، فأما يسر الآخرة  
فدائم لا ينقطع ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " شهرا عيد لا ينقصان " أي  
لا يجتمعان في النقص .

وقال القرطبي في تفسيره ( ١٠٨ / ٢٠ ) : " والذي في الخبر : " لن يغلب  
عسر يسرين " يعني العسر الواحد لن يغلبهما ، وإنما يغلب أحدهما إن غلب وهو  
يسر الدنيا ، فأما يسر الآخرة فكائن لا محالة ولن يغلبه شيء " . وأما الرازي فذكر أن  
عسراً لن يغلب يسرين لأن عسر الدنيا بالنسبة إلى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالمغمور  
القليل " انظر تفسيره ( ٦ / ٣٢ ) .

والقول الثاني : ان اليسر الأول هو للرسول صلى الله عليه وسلم واليسر

الثاني لأصحابه .<sup>(١)</sup>

قال - رضى الله عنه - : أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد العزيز الجنوجردى ، قال أخبرنا<sup>(٢)</sup> أبو إسحاق الثعلبي<sup>(٣)</sup> قال : سمعت<sup>(٤)</sup> الحسن بن محمد النيسابورى قال : سمعت محمد بن عامر البغدادي قال : سمعت عبد العزيز بن يحيى<sup>(٥)</sup> قال : سمعت عمر<sup>(٦)</sup> قال : العتبي<sup>(٧)</sup> يقول : كنت ذات ليلة

في البادية فالتقى في روعي بيت من شعر فقلت :

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَصْبَحَ مَفْمُومًا لَكَهُ أَرْوَحُ  
فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ سَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتَفُ مِنَ الْهَوَا :<sup>(٨)</sup>

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَلَمْ  
يَزَلْ فِي فِكْرِهِ يَسْتَنْحِ

( ١ ) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٧١) قال : يجوز أن يواد بهما ما تيسر لهم من الفتح في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما تيسر لهم في أيام الخلفاء . وجاء في كلام الجرجاني فيما نقله عنه القرطبي ما يدل على هذا المعنى ، فذكر أن الأول خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والثاني عام لجميع المؤمنين ، وأكثر المفسرين على المعنى الأول وهو أن المراد يسر الدنيا ويسر الآخرة .

( ٢ ) في الأصل ( سمعتنا أخبرنا ) وفي نسخة "ب" ( أخبرنا وهو الصواب .

( ٣ ) في الأصل ( إسحاق الثعلبي ) وفي نسخة (ب) ( أبو إسحاق الثعلبي ) . وهو

الصواب ، وهو صاحب التفسير المعروف ، تقدمت ترجمته في ص ( ٤٩٧ ) .

( ٤ ) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل ونسخة "ب" والصواب إثباته ، وكذا هو في تفسير الثعلبي ( ١٣ / ٨٤ / ١ ) .

( ٥ ) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب بن أيوب أبو القاسم النيسابورى الواظ

المفسر ، نقل الداودى عن عبد الغافر أنه قال : إمام عصره في معاني القرآن

وعلمه ، صنف التفسير المشهور . وكان أدبياً نحويًا ، عارفاً بالمغازى والقصاص

والسير . كان أولاً كرامياً المذهب ( أى من أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام ،

الذين يشبهون صفات الله تعالى بصفات المخلوقين ) ثم تحول شافعيًا .

توفى سنة أربع مائة وست . انظر طبقات المفسرين للداودى ( ١ / ١٤٤ ) وتاريخ

التراث العربى ( ١ / ١٠٩ ) .

( ٦ ) لم أجد ترجمته . ( ٧ ) لم أجد ترجمته .

( ٨ ) في الأصل ونسخة (ب) ( عمر ) وفي تفسير الثعلبي ( عمى ) ولم يتبين لى الصواب منهما .

( ٩ ) هو العلامة الأخبارى الشافعي المجتهد أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموى ثم العتبي البصرى ، ذكره

الذهبي وقال : وله تصانيف أدبيات وشعره . مات سنة ثمان وعشرين ومائتين . انظر

سير أعلام النبلاء ( ١١ / ٩٦ ) .

( ١٠ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٣ / ٩٦ ) : " جَنَّ الشئُ جِنًّا : سَتَرَهُ ، وَجَنَّهُ اللَّيْلُ جَنًّا وَجَنُونًا وَجَنَّ عَلَيْهِ جَنَّ بِالضَّمِّ جُنُونًا . وَاجْتَنَّهُ : اسْتَرَهُ .

إِذَا اشْتَدَّ بِكَ الْعُسْرُ      فَفَكَّرْ فِي " أَلَمْ نَشْرَحْ " (١)  
فَعُسْرَيْنِ يَسْرَيْنِ      إِذَا أَبْصَرْتَهُ فَأَفْرَحْ (٢)  
قال فحفظت الأبيات وفرح الله غمي .

قال - رضي الله عنه - وأنشدنا أبو بكر (٣) قال : أنشدنا أبو إسحاق (٤) ،  
قال أنشدنا الحسن بن محمد بن الحسن ، قال : أنشدنا أحمد بن محمد بن  
إسحاق الجعفي (٥) ، قال : أنشدنا إسحاق بن بهلول القاضي (٦) .  
فلا تياأس وإن أعسرت يوماً      فقد أيسرت في دهر طويـل  
ولا تظن بربك ظن سوء      فإن الله أولى بالجميـل  
وإن العسر متبعه يسار (٧)      وقول الله أصدق كل قيـل (٩)

(١) هذا البيت في تفسير الثعلبي هكذا :  
فإن العسر مقرون بيسرين فلا تترح .

(٢) رواه الثعلبي في تفسيره (١٣ / ٨٤ / ١ ب) عن أبي القاسم الحسن بن محمد  
ابن الحسن النيسابوري به . وقد أورده عن المتبى ابن الجوزي فسي  
زاد المسير (٩ / ١٦٥ - ١٦٦) وعنده البيت الأخير كما عند المؤلف .  
وأورده الخازن في تفسيره (٧ / ٢٦٤) عن القشيري وعنده أيضا البيت الأخير  
كما عند المؤلف .

(٣) محمد بن محمد بن عبد العزيز الجيوجردى .

(٤) أبو إسحاق الثعلبي .

(٥) لم أجد ترجمته .

(٦) هو إسحاق بن بهلول بن حسان ، أبو يعقوب التنوخي الأنباري مولده بالأنبار  
سنة أربع وستين ومائة .

قال ابن أبي حاتم : سئل أبي عنه فقال : صدوق ، وقال الخطيب : ولسه  
مذاهب اختارها ينفرد بها ، ويقال : كان حسن العلم باللغة والنحو والشعر ،  
وصنف كتاباً في الفقه سماه المتضاد ، وكتاباً في القراءات . توفي سنة اثنتين  
وخمسين ومائتين .

انظر كتاب الجرح والتعديل (٢ / ٢١٤ - ٢١٥) وتاريخ بغداد (٦ / ٣٦٦ -  
٣٦٨) وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٨٩) .

(٧) في تفسير الثعلبي ( فإن ) .

(٨) في تفسير الثعلبي ( تتبعه ) .

(٩) رواه الثعلبي في تفسيره (١٣ / ٨٤ ب) وأورده الخازن في تفسيره (٧ / ٢٦٤) ،  
عن إسحاق بن بهلول .

/ قال رضى الله عنه وأنشدنا أبوبكر ، قال : أنشدنا أبو إسحاق ، قال : ٢٣٨/أ  
 أنشدنا الحسن بن محمد<sup>(١)</sup> ، قال : أنشدنى محمد بن سليمان بن معاذ الكوفى<sup>(٢)</sup> ،  
 قال : أنشدنا أبوبكر بن الأنبارى<sup>(٣)</sup> .

إذا بلغ العسر مجهـــــــوه فشق عند ذاك بيسر سريع  
 ألم تر نحس الشتاء الفظيــــع مع يتلوه سعد الربيع البديع<sup>(٤)</sup>

قال رضى الله عنه : وأنشدنا أبوبكر أنشدنا أبو إسحاق أنشدنى عيسى  
 ابن زيد الطفيلى<sup>(٥)</sup> أنشدنى سليمان بن أحمد الرقى<sup>(٦)</sup> .

(١) فى الأصل ( قال : أنشدنا الحسن ، قال : أنشدنا الحسن بن محمد )  
 وفى العبارة تكرار ، فإن الحسن هو الحسن بن محمد نفسه فحذفت ( قال :  
 أنشدنا الحسن ) .

(٢) لم أجد ترجمته .

(٣) هو محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن بن بيان أبوبكر بن الأنبارى  
 المقرئ النحوى اللغوى .

ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين .

قال الخطيب : كان صدوقاً ديناً خيراً من أهل السنه ، وصنف كتباً كثيرة  
 فى علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والوقف والابتداء<sup>١</sup> ونقل الذهبى عن  
 أبى على القالى قوله : كان شيخنا يحفظ فيما قيل ثلاث مائة ألف بيت شاهد فى  
 القرآن ، ونقل عن محمد بن جعفر بن التميمى قوله : ما رأينا أحداً أحفظ من  
 ابن الأنبارى ولا أغزر من علمه ، وحدثونى عنه أنه قال : أحفظ ثلاثة عشر صدوقاً<sup>٢</sup>  
 وقال الذهبى : وقيل : إن من جملة محفوظة عشرين ومائة تفسير بأسانيدها<sup>٣</sup>  
 توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة عن سبع وخمسين سنة .

انظر تاريخ بغداد (٣/ ١٨١-١٨٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤) -  
 ٢٧٨) وبغية الوعاة (١/ ٢١٢-٢١٤) وطبقات المفسرين للسيد اودى  
 (٢/ ٢٢٧ - ٢٣١) .

(٤) رواه الثعلبى فى تفسيره (٣/ ١٣/ ٨٤ ب) .

(٥) لم أجد ترجمته .

(٦)

توقع إذا ما عرتك الخطوب (١) سروراً يشودها عنك قسراً (٢)  
 ترى الله يخلف ميعاده وقد قال : إن مع العسر يسراً (٤)

قوله تعالى ( فإذا فرغت فانصب ) قال مجاهد وقتادة ، والضحاك والكلبى ومقاتل : إذا فرغت من الصلاة فانصب للدعاء وارغب إلى الله فى المسألة . (٥)

- ( ١ ) فى الأصل ( عذبك ) وفى تفسير الثعلبى وهامش الأصل ( عرتك ) وهو الصواب .  
 ( ٢ ) فى هامش الأصل ( الهموم ) .  
 ( ٣ ) فى الأصل ( عندك ) وفى تفسير الثعلبى ( عنك ) وهو الصواب .  
 ( ٤ ) رواه الثعلبى فى تفسيره ( ١٣ / ٨٥ / ١ ) .

( ٥ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ٢٣٦ ) عند هذه الآية : " اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم : معناه : فإذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك فى الدعاء وسله حاجاتك " ثم روى بسنده عن مجاهد والضحاك وقتادة هذا المعنى كما رواه من طريق عطية العوفى عن ابن عباس أيضاً - وانظر قول مجاهد أيضاً فى تفسيره ( ٢ / ٧٦٨ ) وينحوه أورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٣٦٥ ) وعزا تخريجه إلى الفريابى وعبد بن حمد وابن جرير وابن أبى حاتم ولمجاهد قول آخر رواه ابن جرير فى المصدر السابق من طريق سفيان عن منصور عنه أنه قال : إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب قال : فصل " . وقال فى رواية أخرى : إذا فرغت من أمر الدنيا وقيمت إلى الصلاة فاجعل رغبتهك ونيتك له " وبهذا اللفظ ورد فى تفسير مجاهد ( ٢ / ٧٦٨ ) انظر أيضاً الكشاف ( ٤ / ٧٧٢ ) وزاد المسير ( ٩ / ١٦٧ ) وتفسير الرازى ( ٣٢ / ٧ ) .

وأما قتادة فروى عنه هذا القول عبد الرزاق أيضاً فى تفسيره ( ق ٧٣ / ١ ) وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٦ / ٣٦٥ ) وعزا تخريجه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وقول الضحاك أورده السيوطى فى المصدر السابق وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن نصر . وأما مقاتل فانظر قوله فى تفسيره ( ق ٣٩٨ / ب ) وأما الكلبى فذكره البغوى فى تفسيره ( ٧ / ٢٦٥ ) ضمن القائلين بهذا القول ، وقد ذكر عنه الثعلبى فى تفسيره ( ١٣ / ٨٥ / ب ) والبغوى فى تفسيره ( ٧ / ٢٦٥ ) بواسطة حيان والقرطبى فى تفسيره ( ٢٠ / ١٠٩ ) بدون واسطة أنه قال : " إذا فرغت من تبليغ الرسالة ( فانصب ) أى : استغفر لذنبك وللمؤمنين " .

والقول السابق - أى أن المراد : إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك فى الدعاء وارغب إليه فى المسألة - واختاره الفراء فى معانى القرآن ( ٣ / ٢٧٥ ) . وقد ذكره الثعلبى فى تفسيره ( ١٢ / ٨٥ / ب ) من قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة ، وذكره البغوى فى تفسيره ( ٧ / ٢٦٥ ) من قولهم وزاد فذكر الكلبى ، وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ١٦٦ ) من قول ابن عباس والضحاك ومقاتل . انظر أيضاً تفسير الماورى ( ٤ / ٤٧٧ ) والكشاف ( ٤ / ٧٧٢ ) وتفسير الرازى ( ٣٢ / ٧ ) وتفسير القرطبى ( ٢٠ / ١٠٨ - ١٠٩ ) .

وقال الشعبي : إذا فرغت من التشهد فادع لدينك وآخرتك ، وروى  
نحو ذلك عن الزهري . ( ١ )

وعن ابن مسعود ( إذا فرغت فانصب ) من الفرائض فانصب لقيام الليل ( ٢ )  
وعن بعضهم : إذا فرغت من تبليغ الرسالة ، فانصب لجهاد الكفار . ( ٣ )

( ١ ) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٦٧/٩ ) من قول الشعبي والزهري وأورده  
البغوي في تفسيره ( ٢٦٥/٧ ) والرازي في تفسيره ( ٧/٣٢ ) من قول الشعبي  
فقط ، وهو مروى عن ابن عباس أيضا ، قال السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٥/٦ ) :  
أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : " فإذا فرغت فانصب " الآية قال :  
قال الله لرسوله : إذا فرغت من صلاتك وتشهدت فانصب إلى ربك واسأل الله  
حاجتك .

( ٢ ) أورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٥/٦ ) عن ابن مسعود ، وعزا تخريجه  
إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأورده من قوله الماوردي في تفسيره ( ٤٧٧/٤ )  
والبغوي في تفسيره ( ٢٦٥/٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٦٦/٩ ) والرازي  
في تفسيره ( ٧/٣٢ ) والقزطبي في تفسيره ( ١٠٨-١٠٩/٢٠ ) وابن كثير في  
تفسيره ( ٥٢٦/٤ ) .

( ٣ ) لم أجد من ذكر هذا القول سوى الماوردي فإنه ذكره بلفظ الاحتمال فقال : ويحتمل  
تأويلاً خامساً : فإذا فرغت من إبلاغ الرسالة فانصب لجهاد عدوك وهناك قول آخر  
على العكس منه ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٢٣٧/٣٠ ) عن بعض المفسرين  
فقال بعد أن ذكر القول الأول : وقال آخرون : بل معنى ذلك : فإذا فرغت من  
جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك " ثم روى هذا المعنى عن الحسن وزيد بن أسلم ،  
وأورده الماوردي في تفسيره ( ٤٧٧/٤ ) والقزطبي في تفسيره ( ١٠٩/٢٠ ) عن  
الحسن وقادة .

وأورده البغوي في تفسيره ( ٢٦٥/٧ ) عن الحسن وزيد بن أسلم وأورده  
الزمخشري في الكشاف ( ٧٧٢/٤ ) والرازي في تفسيره ( ٧/٣٢ ) وأبو حيان في  
البحر المحيط ( ٤٨٨/٨ ) من قول الحسن فقط ، وأورده ابن كثير في تفسيره  
( ٥٢٦/٤ ) عن زيد بن أسلم والضحاك وهناك قول آخر وهو أنه " إذا صح  
بدنك فاجعل صحتك نصيباً في العبادة " قاله علي بن أبي طلحة .



٠٠/٠٠

ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٦٧/٩) والرازي في تفسيره (٧/٣٢) ،  
وذكر الثعلبي في تفسيره (١٣/٨٥/ب) والقزطبي في تفسيره (١٠٩/٢٠) عن الجنيد  
أنه قال : إذا فرغت من أمر الخلق فاجتهد في عبادة الحق .

وذكر الثعلبي عن أبي العباس بن عطاء قال : فإذا فرغت من تبليغ الوحي  
فانصب في طلب الشفاعة \* وهناك أقوال أخرى منها ما لا يساوى ذكره لبطلانه .  
انظر أحكام القرآن (٤/١٩٤٩) ، والكشاف (٤/٧٧٢) وتفسير القزطبي (٢٠/١٠٩) .  
وأما الراجح فقد ذهب ابن جرير في تفسيره (٣٠/٢٣٧) إلى اختيار القول بأن المراد  
أن يجعل كل أحوال فراغه من أمور دينة أو من أمور دنياه مشغولاً بعبادة ربه .

وذهب أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٢٩) إلى اختيار القول بأنه  
ينبغي إذا فرغ الإنسان من شغله أن ينتصب لله عز وجل ، وأن يرغب إليه وأن  
لا يشتغل بما يليه عن ذكر الله سبحانه \* وقد وصف النحاس هذا القول بأنه من أحسن  
ما قيل في معنى الآية ، كما أنه جامع لجميع الأقوال .

وقال الرازي في تفسيره (٧/٣٢) بعد أن ذكر أكثر الأقوال السابقة : وبالجملة  
فالمعنى أن يواصل بين بعض العبادات وبعض ، وأن لا يخلو وقتاً من أوقاته منها ،  
فإذا فرغ من عباد فأتبعها بأخرى \* . فكأنه يرى أن المراد بالفراغ الفراغ من العبادات  
بينما يرى النحاس أن المراد الفراغ من أمر دنيوى ، وإليه ذهب ابن كثير في تفسيره  
(٤/٥٢٦) فإنه قال في تفسير الآية : أى إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها  
وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية  
والرغبة ، ويبدو لى أن الصواب هو ما ذكره ابن جرير إذ ليس هناك دليل يدل على  
تخصيص حال دون حال \* .

(١) وقوله ( والى ربك فارغب ) هو الحث على الدعاء

والمسألة .

وقال الزجاج : والى ربك فارغب وحده ولا تكن رغبتك إلى

أحد سواه (٢) - والله أعلم . -

---

(١) سقطت الواو من الأصل .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ( ٢٦٥ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٦٧ / ٩ ) ،

عن الزجاج : أي اجعل رغبتك إلى الله وحده .

وذكره البغوي عن عطاء أنه قال : تضرع إليه راهباً من النار رغباً في الجنة .

وقيل : فارغب إليه في جميع أحوالك .

وهو الصواب .

## تفسير سورة التين وهي مكية (١)

وقد ثبت برواية البراء بن عازب : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه  
السورة في صلاة المغرب - خرج مسلم في كتابه (٣)

(١) روى البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) بسنده عن عكرمة والحسن بن  
أبي الحسن البصرى أن هذه السورة نزلت بمكة ، وأورد السيوطى فى الصدر  
المنثور (٣٦٥/٦) عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير أن هذه السورة نزلت بمكة  
وعزا تخريج قول ابن عباس إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى .  
وأما قول ابن الزبير فعزا تخريجه إلى ابن مردويه .

وذكر الماورى فى تفسيره (٤٧٨/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير  
(١٦٨/٩) والقزطبي فى تفسيره (١١٠/٢٠) وأبوحيان فى البحر المحيطة  
(٤٨٩/٨) قولين أحدهما : أنها مكية وهو قول الجمهور ، وهو الصواب .  
والثانى : أنها مدنية ، وهو قول ابن عباس وقتادة .

(٢) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدى الأنصارى الأوسى يكنى أبا عمارة ، ويقال :  
أبا عمرو ، له ولأبيه صحبة ، نزل الكوفة ، استصغر يوم بدر ، وكان هو وابن عمر  
لدة ، مات سنة اثنتين وسبعين .  
انظر الإصابة (١٤٢/١) وتقريب التهذيب ٤٣ .

(٣) هذا الحديث لم يخرج مسلم ولا أحد من أصحاب الكتب الستة . وإنما رواه  
الخطيب فى تاريخ بغداد (٣٣٤/١١) بسنده عن الليث بن سعد عن يحيى  
ابن سعيد عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : صليت مع رسول الله صلى  
عليه وسلم لمغرباً فقرأ بالتين والزيتون . وقد ورد ذلك فى حديث آخر وهو  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ فى المغرب ( والتين والزيتون ) ، وأورد  
الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٧١/٢) وقال : رواه الطبرانى فى الكبير وفيه  
جابر الجعفى وثقة شعبة وسفيان وضعفه بقية الأئمة .

وأما ماجاء فى صحيح مسلم وغيره من الكتب الستة فهو أن البراء بن عازب  
قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء فقرأ بالتين والزيتون ،  
وفى بعض الروايات : العشاء الآخرة ، كما أن فيها تصريح بأن النبي صلى الله  
عليه وسلم كان فى سفر " ووردت أيضاً فى بعض الروايات زيادة : " فما  
سمعت أحداً أحسن صوتاً منه " .

انظر صحيح البخارى (٢/٢٥٠ - ٢٥١ ، رقم ٧٦٧ ، ٧٦٩) وصحيح  
مسلم (٤/١٨٠ - ١٨١) وسنن أبى داود (٢/١٩ رقم ١٢٢١) وسنن الترمذى  
(٢/١١٥ رقم ٣١) وسنن النسائى (٢/١٧٣) وسنن ابن ماجه (١/٢٧٦) .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( والتين والزيتون ) قال مجاهد والحسن : هو التين الذي يؤكل ، والزيتون الذي يعصر ، <sup>(١)</sup> والمعنى : ورب التين والزيتون . <sup>(٢)</sup>

(١) قال مجاهد في تفسيره (٧٦٩/٢) : " هما التين والزيتون الذي يأكل الناس " . وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣٨/٣٠) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : التين الذي يؤكل ، والزيتون الذي يعصر " وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٦٦/٦) بلفظ : والتين والزيتون الفاكهة التي يأكل الناس " وعز تخريجه إلى الثرياسي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم " .

وأما الحسن فروى عنه ابن جرير في تفسيره (٢٣٨/٣٠) أنه قال : تينكم هذا الذي يؤكل ، وزيتونكم هذا الذي يعصره " وهو قول ابن عباس وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكشي أيضا .

انظر تفسير مقاتل (ق ٣٩٩ / ) وتفسير عبد الرزاق (ق ١٧٣ / ب) وتفسير الطبري (٢٣٨/٣٠ - ٢٣٩) وتفسير الثعلبي (١/٨٦/١٣) وتفسير الماوردي (٤٧٨/٤) وتفسير البغوي (٢٦٥/٧) وزاد المسير (١٦٨/٩) والكشاف (٧٧٣/٤) وتفسير الرازي (٨/٣٢) وتفسير القرطبي (١١٠/٢٠) والبحر المحيط (٤٨٩/٩) وتفسير ابن كثير (٥٢٦/٤) .

(٢) كذا ذكر النحاس في إعراب القرآن (٧٣٠/٣) قال بعد أن ذكر ما قيل في معنى التين والزيتون : وهذه الأقوال إذا حصلت آلت إلى معنى واحد لأن القسم إنما هو برب المالين جل وعز ، فالتقدير : " ورب التين والزيتون " وهذا ليس قولاً متفقاً عليه بين المفسرين وإنما هو أحد الأقوال التي ذكرت في مثل هذه الأقسام ، وتقدم التفصيل في المسألة ص (٣١٨-٨٢٣) . وقال البغوي في تفسيره (٢٦٥/٧) : " قيل : خص التين بالقسم لأنها فاكهة مختصة لا عجم فيها شبيهة بفواكه الجنة ، والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو ثمرة من يصلح للاصطباغ والاصطباح " وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٦٩/٩) .

وأورد الثعلبي في تفسيره (١/٨٦/١٣) والقرطبي في تفسيره (١١٠/٢٠) بعض الأحاديث التي تدل على فضل التين والزيتون ولكنها لا تصح سنداً ، وتكلم الرازي في تفسيره (٨/٣٢ - ٩) عن خواص كل من التين والزيتون وما أودعه الله سبحانه وتعالى تحت كل منهما من منافع ثم قال : قال المفسرون : التين والزيتون اسم لهدين المأكولين وفيهما هذه المنافع الجليلة ، فوجب إجماعاً اللفظ على الظاهر ، والجزم بأن الله تعالى أقسم بهما لما فيهما هذه المصالح والمنافع " .

وقال قتادة : التين هو الجبل الذي عليه دمشق <sup>(١)</sup> ، والزيتون هو الجبل الذي عليه بيت المقدس <sup>(٢)</sup> .

وقال كعب : هو دمشق وبيت المقدس <sup>(٣)</sup> .

(١) هو يَمَشَقُ الشام ، بسكر أوله وفتح ثانيه - هكذا رواه الجمهور ، والكسرو : لغة فيه - وشين معجمة وآخره قاف ، البلدة المشهورة قصبه الشام ، وهى جنة الأرض بلا خلاف لحسن عماره ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وكثرة مياه ووجود مآرب .

انظر معجم البلدان ( ٤٦٣/٢ ) ، وهى الآن عاصمة الجمهورية السورية ..

(٢) هو أحد المساجد الثلاثة التى أنزل النبي صلى الله عليه وسلم لشدة الرحال إليها ، ومنه أسرى به صلى الله عليه وسلم إلى ربه ، وله فضائل كثيرة ، منها أن الصلاة تفضل بخمسائة صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام والمسجد النبوى ، انظر صحيح البخارى مع الفتح ( ٦٣/٣ - ٦٧ ) . انظر أيضا معجم البلدان ( ١٦٦/٥ ) .

وأما هذا القول فرواه عبد الرزاق فى تفسيره (ق ١٧٣/ب) وابن جرير فى تفسيره (٢٣٩/٣٠) من طرق عن قتادة ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣٦٦/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم وابن عساكر ، وذكره من قوله البغوى فى تفسيره (٢٦٥/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١١٦٩/٩) والقرطبى فى تفسيره (١١١/٢٠) وأبو حيان فى البحر المحيظ (٤٨٩/٨) .

(٣) رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٣٩/٣٠) بسنده عن يزيد أبى عبد الله عن كعب الأحمير ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣٦٦/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن الضريس وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن عساكر ، وهو مروى عن قتادة وابن زيد وعكرمة وعبد الرحمن بن غنم .

انظر تفسير الطبرى (٢٣٩/٣٠) وتفسير الثعلبى (٨٦/١٣) وتفسير العاوردى (٤٧٨/٤) وتفسير البغوى (٢٦٥/٧) وزاد المسير (١٦٩/٩) ، وتفسير الرازى (١٠/٣٢) وتفسير القرطبى (١١١/٢٠) وقال القرطبى : وهذا اختيار الطبرى ، ولكنه خلاف ما فى تفسير الطبرى ، فإنه رجح القول الأول ، أى أنها من الفواكه التى يأكلها الناس .

وحكى الفراء : أنهما جبلان مابين حُلوان (١) إلى همدان (٢) ، ويقال :

أراد منابت التين والزيتون . (٣)

قال النحاس : وهذا قول يخالف ظاهر الآية ، ولم ينقل عن يكون قوله حجة . (٤)

(١) حُلوان : بالضم ثم السكون ، وهى فى عدة مواضع ، منها حُلوان العراق ، وهى المرادة هنا ، وهى فى آخر حدود السواد ما يلي الجبال من بغداد ، وذكر ياقوت الحموى عن بعض العلماء أن أكثر شمارها التين ، انظر معجم البلدان (٢٩٠/٢ - ٢٩١) .

(٢) همدان : بالتحريك ، والذال المعجمة وآخوه نون ، وهى أكبر مدينة فى الجبال ( والجبال : اسم للبلاد المعروفة بالعراق ، وهى ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين والرى وغيرها ) . انظر معجم البلدان (٤١٠/٥ ، ٩٩/٢) .

وأما هذا القول فذكره الفراء فى معانى القرآن (٢٧٦/٣) قال : سمعت رجلاً من أهل الشام وكان صاحب تفسير قال : التين جبال ما بين حُلوان إلى همدان ، والزيتون : جبال الشام ، وكذا أورد الثعلبى فى تفسيره (١٢/٨٦ ب ، ١/٨٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٩/٩) ، والقزطبى فى تفسيره (١١١/٢٠) .

وذكره الزمخشري فى الكشاف (٧٧٣/٤) دون عزو إلى أحد ، وأما القول بأنهما جبلان بين حلوان وهمدان فذكره الماورى فى تفسيره (٤٧٨/٤) عن ابن الأنبارى . وذكره الرازى فى تفسيره (١٠/٣٢) من قول الربيع ، واستبعد الماورى هذا القول .

(٣) قال الزمخشري بعد أن ذكر القول السابق عن الفراء : لأنها منابتها ، كأنسه قيل : ومنابت التين والزيتون ، وأورد الثعلبى فى تفسيره (١٢/٨٦ ب) القول بأن التين مسجد دمشق ، والزيتون بيت المقدس ، وهو قول كعب الأخبار وغيره ثم أورد قولين آخرين مفادهما أن التين والزيتون مسجان ، وقال بعد ذلك : ومجازه على هذا التأويل : ومنابت التين والزيتون " . هكذا ذكر الزمخشري والثعلبى - ويبدو من قول المؤلف أنه قول مستقل ، ولم أجد من ذكر هذا القول كأنه قول مستقل .

(٤) لعله قاله فى معانى القرآن ، وإنى لم أجد فى إعراب القرآن ، وأشار ابن جرير إلى هذا القول ، ورد عليه بأنه ليس هناك دليل من ظاهر التنزيل يدل على صحة هذا القول ، انظر تفسيره (٢٤٠/٣٠) .

هذا وقد ذكر فى معناهما أقوال أخرى ، منها أنهما جبلان بالشام ، يقال لهما : " طور تينا " و " طور زيتا " بالسريانية ، سمي بالتين والزيتون لأنهما ينبتانها . قاله ابن قتبية فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٢) وذكره الماورى فى تفسيره (٤٧٨/٤) فقال : الجبل الذى عليه التين ، والجبل

٠٠/٠٠

الذى عليه الزيتون . قاله ابن قتيبة ، وهما جبلان بالشام يقال لأحدهما : طور زيتا وللآخر طور تينا ، وهو تأويل الربيع .

وقيل : إنهما مسجدان بالشام ، ذكر ذلك عن الضحاك وذكر عنه أيضا أن التين : المسجد الحرام ، والزيتون المسجد الأقصى ، وروى عطية العوفى عن ابن عباس أنه قال : " إن التين : مسجد نوح عليه السلام الذى بنى على الجودى ، والزيتون : بيت المقدس .

وقال محمد بن كعب القرظى : إن التين : مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون مسجد إيليا .

انظر هذه الأقوال وغيرها ، فى تفسير الطبرى ( ٢٣٩/٣٠ ) وتفسير الثعلبى ( ١٢/٨٦ ب ، ١/٨٢ ) واعراب القرآن للنحاس ( ٣/٧٣٠ ) وتفسير الماوردى ( ٤/٤٧٨ ) وتفسير البغوى والخازن ( ٧/٢٦٥ ) وزاد المسير ( ٩/١٦٩ ) والكشاف ( ٤/٧٧٣ ) وتفسير الرازى ( ٩/٣٢ - ١٠ ) وتفسير القرطبى ( ٢٠/١١٠ - ١١١ ) .

وأما الراجح من هذه الأقوال فقد ذهب ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠/٢٤٠ ) إلى اختيار القول بأن التين : هو التين الذى يؤكل ، والزيتون : هو الزيتون الذى يعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف عند العرب .

ثم رد على الذين قالوا : إن المراد بالتين طور تينا ، وباليون طور زيتا ، فقال : ولا يعرف جبل يسمى تينا ولا جبل يقال له زيتون " ثم أشار إلى القول بأن المراد منابت التين ومنابت الزيتون ، وذكر أنه ليس هناك دليل من ظاهر التنزيل يدل على صحة هذا القول .

وقد اختار هذا القول الزمخشرى فى الكشاف ( ٤/٧٧٣ ) والرازى فى تفسيره ( ٩/٣٢ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢٠/١١١ ) وقال القرطبى : أصح هذه الأقوال الأولى ، لأنه الحقيقة ، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل ، وإنما أقسم الله بالتين ، لأنه كان يتر آدم فى الجنة ، لقوله تعالى : ( ويخصفان عليهما من ورق الجنة ) سورة الأعراف الآية ٢٢ . وكان ورق التين ، وقيل : أقسم به ليبين وجه المنة العظمى فيه ، فإنه جميل المنظر ، طيب المخبّر ، نشير الرائحة ، سهل الجنى ، على قدر المضافة .

وقال أيضا : وأقسم بالزيتون لأنه مثل به إبراهيم فى قوله تعالى : " يوقد من شجرة مباركة زيتونة " سورة النور الآية ٣٥ وهو أكرم آدم أهل الشام والمغرب ، يصطبغون به ، ويستعملونه فى طبخهم ، ويستصحبون به ، ويدأى به أدوا الجوف والقروح والجراحات وفيه منافع كثيرة .

(١) وقوله ( وطور سينين ) أكثر المفسرين : أنه الجبل الذي كلم الله عليه موسى،  
وقد ثبت عن عمر أنه قرأ : ( طور سينا )<sup>(٢)</sup> وفي حرف ابن مسعود  
- وطور سيناء - بكسر السين .<sup>(٣)</sup>

(١) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ( ٢٤٠ / ٣٠ ) ورواه عن كعب الأحبار  
والحسن وغيرهما . وذكره العاودي في تفسيره ( ٤٧٩ / ٤ ) وابن الجوزي في  
زاد المسير ( ١٧٠ / ٩ ) من قول كعب الأحبار، وعزاه ابن الجوزي إلى الأكثرين، وفيه  
قول آخر، وهو أنه جبل بالشام ذكره من قول قتادة . انظر المصادر السابقة  
وذكر ابن جرير قولاً ثالثاً فقال : وقال آخرون : هو كل جبل ينبت، ثم ذهب إلى  
اختيار القول الأول .

(٢) روى الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ٨٧ / ١ ) بسنده عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون  
قال : سمعت عمر رضي الله عنه يقرأ بمكة في المغرب " والتين والزيتون ، وطور  
سيناء " قال : فظننت أنه إنما يقرأها ليعلم حرمة البلد .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٦ / ٦ ) عن عمرو بن ميمون قال : صليت  
خلف عمر بن الخطاب المغرب فقرأ في الركعة الأولى ( والتين والزيتون وطور  
سيناء ) قال : هكذا هي قراءة عبد الله ، وقرأ في الركعة الثانية " ألم تر  
كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، و " لإيلاف قريش " جمع بينهما ، ورفع  
صوته فقدرت أنه رفع صوته تعظيماً للبيت .

وينحوه أورده القرطبي في تفسيره ( ١١٢ / ٢٠ - ١١٣ ) وقال : ذكره  
ابن الأنباري .

(٣) ذكر ابن خالويه في شواذ القرآن ( ص ١٧٦ ) : عن عمر بن الخطاب وابن مسعود  
رضي الله عنهما أنهما قرأ " طور سينا " .

وشرح القرطبي نقلاً عن النحاس بأنه في قراءة عبد الله بن مسعود " سيناء " بكسر السين ، وفي حديث عمرو بن ميمون عن عمر بفتح السين ، بينما الذي  
ذكره عن ابن الأنباري يدل على أن قراءتهما متفقة لأن عمر بن ميمون قال  
في حديثه : هكذا هي في قراءة ابن مسعود . انظر تفسير القرطبي  
( ١١٣ / ٢٠ ) وعليه فقد ذكر أبوحيان في البحر المحيط ( ٤٩٠ / ٨ ) عن عمر  
ابن الخطاب قراءتين في ذلك ، فقال : وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله  
وظلحة والحسن " سيناء " بكسر السين والمد ، وعمر أيضاً وزيد بن علي  
بفتحها والمد .

انظر أيضاً زاد المسير ( ١٧٠ / ٩ ) .



وقال الحسن : الطور هو الجبل ، وسنين : المبارك<sup>(١)</sup> .

وعن الأخفش : طور : اسم الجبل وسنين : اسم الشجر<sup>(٢)</sup> .

(١) لم أجد من ذكر عن الحسن هذا القول ، وقد ورد هذا القول عن مجاهد كما

جاء في تفسيره (٧٦٩/٢) وقد ذكره من قوله القوطي في تفسيره (١١٢/٢٠)

قال : روى ابن أبي نجیح عن مجاهد " وطور " قال : جبل ، " سنين "

قال : مبارك (بالسريانية) .

انظر أيضا تفسير الثعلبي (١٣/٨٧/١) وتفسير الرازي (١٠/٣٢) ،

والدر المنثور (٣٦٦/٦) .

وهو مروى عن ابن عباس أيضا ، رواه الحاكم في مستدرکه (٥٢٨/٢) من

طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد عنه ، ووصفه الحاكم بأنه صحيح على شرط

الشيخين ، ووافقه الذهبي ، أما الحسن فذكر عنه الماوردي في تفسيره

(٤٧٩/٤) أن معنى " سنين " الحسن ، بلفظة الحبشة ، وهو قول عكرمة

أيضا . كما ذكره الماوردي نفسه ، وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٢٤٠/٣٠)

بسند عن عكرمة ، وأورده الرازي في تفسيره (١٠/٣٢) والقوطي في تفسيره

(١١٢/٢٠) وذكر أنه رواية عكرمة عن ابن عباس ، وروى ابن جرير في تفسيره

(٢٤٠/٣٠) بسند عن قتادة أنه قال : " وطور سنين " جبسل

بالشام ، مبارك حسن .

(٢) لم أجد قوله هذا في معاني القرآن (٥٤٠/٢) سوى أنه قال : سنين

واحدتها : السينية " وقد ذكره عنه الجوهرى في الصحاح (٢١٤١/٥)

قال : قال الأخفش : السنين : شجر ، واحدتها سينية ، وذكره

ابن منظور في لسان العرب (٢٣٠/١٣) قال : " والسينية : شجرة ،

حكاه أبوحنيفة عن الأخفش ، وجمعها سنين " . قال : وزعم الأخفش أن طور

سينين مضاف إليه ، قال : " ولم يبلغنى هذا عن أحد غيره " .

وأما الأقوال السابقة فتعني : أن سنين نعت للطور ، وقد ذكر قول

الأخفش أبوحيان في البحر المحيط (٤٩٠/٨) وذهب إليه الكلبى ومقاتل

انظر تفسير عبد الرزاق (ق١٧٣/ب) وتفسير الطبري (٢٤١/٣٠) وتفسير مقاتل

(ق١/٣٩٩) وتفسير الثعلبي (١٣/٨٧/١) وتفسير الرازي (١٠/٣٢)

وتفسير القوطي (١١٢/٢٠) . وذهب ابن جرير إلى اختيار القول بأن " طور

سينين " هو الجبل المعروف الذى كلم الله موسى عليه ، واختار أيضا أن الطور

مضاف إلى سنين ، لأنه لو كان نعتاً للطور لكان الطور منوناً ، وذلك أن الشئ

لا يضاف إلى نعتة لتغير علة تدعو إلى ذلك " . ونقل الرازي عن الواحدى أنه

قال : والأولى أن يكون سنين اسماً للمكان الذى به الجبل ، ثم ذلك سمي سنين

أو سينا لحسنه أو لكونه مباركاً ، ولا يجوز أن يكون سنين للطور لإضافته إليه " .

انظر أيضا تفسير الخازن (٢٦٥/٧) .

وقوله ( وهذا البلد الأمين ) هو مكة بالإجماع ، ومعنى الأمين :  
 أى آمن من فيه ، وقوله ( لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ) هو جواب  
 القسم .<sup>(٣)</sup>

قال مجاهد وإبراهيم وجماعة ( فى أحسن تقويم ) أى فى أحسن صورة .<sup>(٥)</sup> وقيل:  
 فى أحسن تقويم : هو اعتداله واستواؤه .<sup>(٦)</sup>

(١) جمع المفسرين صرحوا بأن المراد مكة ، وذكره ابن كثير فى تفسيره (٤/٥٢٦) .  
 وعزاه إلى جماعة من أئمة التفسير ، ثم قال : ولا خلاف فى ذلك ، وذكر  
 ابن العربي فى أحكام القرآن (٤/١٩٥٣) والقرطبي فى تفسيره (٢٠/١١٣)  
 أنه بذلك احتج من قال : إنه أراد بالتين دمشق ، وبالزيتون بيت  
 المقدس ، فأقسم الله بجبل دمشق ، لأنه مأوى عيسى عليه السلام ، وجبل  
 بيت المقدس لأنه مقام الأنبياء عليهم السلام وبمكة لأنها أثر إبراهيم ودار  
 محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) ذكر الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٧٦) أن معنى الأمين الآمن ، والعرب  
 تقول للآمن : الأمين .

وذكره أبو حيان فى البحر المحیط (٤/٤٩٠) قال : " وأمين للمبالغة :  
 أى آمن من فيه ، ومن دخله ، وما فيه من طير وحيوان " وذكر فيه الزمخشري فى  
 الكشاف (٤/٧٧٣) قولين آخرين قال : الأمين : من أمن الرجل أمانة فهو  
 أمين ، . . . . . وأمانته : أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ،  
 ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول ، من أمنه لأنه مأمن الفوائل كما وصف  
 بالآمن فى قوله تعالى ( حرماً آمناً ) سورة العنكبوت الآية ٦٧ ، انظر أيضاً  
 تفسير الرازى (٣٢/١٠) والبحر المحیط (٨/٤٩٠) .

(٣) صرح بذلك البغوى فى تفسيره (٧/٢٦٦) وابن الجوزى فى زاد المسير  
 (٩/١٧١) والقرطبي فى تفسيره (٢٠/١١٣) .

(٤) هو النخعى .

(٥) قال ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٢٤٢ - ٢٤٣) عند هذه الآية : " اختلف  
 أهل التأويل فى تأويل قوله ( لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ) فقال بعضهم :  
 معناه : فى عدل خلق وأحسن صورة " ثم روى هذا المعنى بسنده عن  
 إبراهيم ومجاهد وأبى العالية وقتادة والكلبى ، كلهم قالوا : " أحسن صورة " .  
 وأورد السيوطى قولهما فى الدر المنثور (٦/٣٦٦ - ٣٦٧) وعزا تخريج قول  
 مجاهد إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وعزا تخريج قول  
 إبراهيم إلى الفريابي وعبد بن حميد ، وذكر هذا القول أبو حيان فى البحر المحیط  
 (٨/٤٩٠) عن مجاهد والنخعى وقتادة وذكره الماوردى فى تفسيره (٤/٤٧٩) ،  
 وابن الجوزى فى زاد المسير (٩/١٧٢) من قول أبى العالية .

(٦) روى ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٢٤٣) تحت القول السابق عن ابن عباس أنه  
 قال : " فى عدل خلق " ذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره (٤/٤٧٩) ،  
 وابن الجوزى فى زاد المسير (٩/١٧٢) .

٠٠/٠٠

وذكر ابن جرير في تفسيره ( ٢٤٤/٣٠ ) قولاً قد يكون هو المراد من قول المؤلف ، وهو أنه ليس شيء من الحيوان إلا وهو منكب على وجهه غير الإنسان ، وروى هذا القول عن ابن عباس ، وقد ذكره من قوله الماوردي في تفسيره ( ٤٨٠/٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٧٢/٩ ) وهناك قول آخر وهو أن المراد : في شباب وقسوة ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٢٤٠/٣٠ ) ورواه بسنده عن عكرمة وذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٧٩/٤ - ٤٨٠ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٧٢/٩ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤٩٠/٨ ) وذكر عن أبي بكر ابن طاهر أن المراد عقله وإدراكه زينباه بالتمييز .

وأما الراجح فاختار ابن جرير القول بأن معناه : في أحسن صورة وأعدلها ، لأن قوله ( في أحسن تقويم ) إنما هو نعمت لمحدوف ، وهو في تقويم أحسن تقويم ، فكأنه قيل : لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم \* وكذلك استحسن هذا القول أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ( ٧٣٢/٣ ) فإنه قال بعد إيراد له عن مجاهد والنخعي وهذا أحسن ما قيل فيه ، ثم ذكر ما تقدم عن ابن جرير في تقديرة \* .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٤٩٠/٨ ) بعد أن ذكر بعض هذه الأقوال والأولى في كل ما هو أحسن \* .

قلت : وهو الذي يبدولي أيضاً أنه أولى ، ولعل البغوى ذهب إليه حين قال في تفسير الآية : أعدل قامة ، وأحسن صورة ، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزيناً بالمقسل والتمييز \* .

وقوله ( ثم ردناه أسفل سافلين ) قال مجاهد والحسن : / إلى النار <sup>(١)</sup> ب/٣٣٨  
إلا من آمن <sup>(٢)</sup> ، فعلى هذا تكون الآية في الكفار ، وقيل <sup>(٣)</sup> : إنه  
ورد في كافر بعينه <sup>(٤)</sup> .

(١) في الأصل زيادة واو قبل (إلا) وهي غير موجودة في نسخة (ب) وهو الصواب .

(٢) ذكر المفسرون في هذه الآية قولين ، أحدهما هو هذا الذي ذكره المؤلف .

وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٢٤٥/٣٠) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٦٦/٦) وعزا تخريجه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وأما الحسن فقد رواه عنه عبد الرزاق في تفسيره (ق١٧٣/ب) وابن جرير في تفسيره (٢٤٥/٣٠) وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٦) وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد ، وهو قول قتادة وأبي العالية أيضا .

وقد ذكره من قولهم : الثعلبي في تفسيره (١/٨٨/٣) والماوردي في تفسيره (٤٨٠/٤) والبغوي في تفسيره (٢٦٦/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١٧٣/٩) والرازي في تفسيره (١١/٣٢) وابن كثير في تفسيره (٥٢٧/٤) وهذا القول اختاره الفراء في معاني القرآن (٢٧٤/٣) والقول الثاني سيأتي ذكره قريبا .

(٣) في الأصل ( وقد قيل ) وكتب ( قد ) فوق السطر ، وأما نسخة "ب" ففيها "وقيل" ، وكلا الوجهين محتمل .

(٤) ذكر الماوردي في تفسيره (٤٧٩/٤) في المراد بالإنسان في قوله تعالى ( ولقد خلقنا الإنسان ) قولين أحدهما : أنه أراد عموم الناس ، وذكر الإنسان على وجه التكثير لأنه وصفه بما يعم لجميع الناس ، والثاني : أنه أراد إنساناً بعينه عناء بهذه الصفة ، وإن كان صفة الناس .

ثم ذكر أنهم اختلفوا فيمن أراد الله تعالى على خمسة أوجه ، وكذلك صح ابن الجوزي في زاد المسير (١٧١/٩) بأن في المراد بالإنسان خمسة أقوال .

فيقال : إنه أبو جهل<sup>(١)</sup> .

وقيل : إنه وليد بن المغيرة ، وقيل : غيرهما<sup>(٢)</sup> .

وقال إبراهيم والضحاك وجماعة ، ( ثم رددناه أسفل سافلين ) هو أرذل العمر ،

والسافلون : هم الضعفاء والمرضى والشيوخ المعجزة<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) هو أحد الأقوال الخمسة التي تقدمت للإشارة إليها ، ذكره الماوردي من قول مقاتل وذكره ابن الجوزي وعزاه إلى الماوردي .

( ٢ ) هو القول الثاني ذكره ابن الجوزي والقرطبي ، وعزاه ابن الجوزي إلى عطاء .

( ٣ ) أما القول الثالث فهو أن المراد كدقن أسيد ، ذكره الثلاثة ( أى الماوردي وابن الجوزي والقرطبي ) وعزاه الأولان إلى ابن عباس ، والقول الرابع : أن المراد عتبة وشيبة ، ذكره ابن الجوزي وقال : حكاه الماوردي ، وقد سقط من تفسير الماوردي قولان - أحدهما أن المراد الوليد بن المغيرة ، والثاني أن المراد عتبة وشيبة ، والقول الخامس : أنه اسم جنس ، ذكره ابن الجوزي ، وقال : " وهذا مذهب كثير من المفسرين ، وهو معنى قول مقاتل " وهذا الذي يبدو لي أنه الصواب ، وأما الماوردي فذكر في القول الخامس : أنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " وهو قول باطل ، لا يمكن أن يكون هو المعنى في هذه الآية على كلا التفسيرين المنقولين ، أما على تفسير مجاهد والحسن فواضح ، وأما على تفسير إبراهيم والضحاك القائل بأن المراد أرذل العمر فهو أيضا غير صحيح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم انتقل إلى رفيقه الأعلى وعمه ثلاث وستون سنة .

( ٤ ) هو القول الثاني - في تفسير قوله تعالى ( ثم رددناه أسفل سافلين ) وقول إبراهيم النخعي رواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٤٤ / ٣٠ ) وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٧ / ٦ ) وعزاه تخريجه إلى الفريابي وعبد بن حميد ، وأما قول الضحاك فأورده السيوطي في المصدر السابق ، وعزاه تخريجه إلى عبد بن حميد ، وهو قول ابن عباس وعكرمة والكلبى ، وهو مروى عن قتادة أيضا .

انظر تفسير عبد الرزاق ( ق ١٧٣ / ب ) وتفسير ابن جرير ( ٢٤٤ / ٣٠ ) وتفسير الثعلبي ( ٨٧ / ١٣ ) وتفسير الماوردي ( ٤٨٠ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ٢٦٦ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٧٢ / ٩ ) وتفسير الرازي ( ١١ / ٣٢ ) واختاره ابن تقيية في تفسير غريب القرآن ( ٥٣٢ ) وتأويل مشكل القرآن ( ص ٣٤٢ ) وأما ابن جرير فقد رجحه على القول السابق واستدل على ذلك بأن الله تعالى عدد عليهم ما شاهدوه من قدرته من خروج الإنسان من الشباب إلى الهرم ، ولا يمكن أن يعدد عليهم ما لا يقرون به من دخول النار ، انظر تفسيره ( ٢٤٥ / ٣٠ ) ، وذكر النحاس في إعراب القرآن ( ٧٣٣ / ٣ ) اختيار الطبري ، ثم قال : وقال غيره : هذا لا يلزم ، لأن حجج الله ظاهرة ، وقد ظهرت آيات نبيه صلى الله عليه وسلم فوجب أن يكون كل ما أخبر به بمنزلة المعادين " . وكذا عارضه ابن كثير في تفسيره ( ٥٢٧ / ٤ ) ، فقال بعد أن ذكر ترجيحه : ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك ، لأن الهرم قد يصيب بعضهم ، وإنما المراد ما ذكرناه كقوله " والعصر " ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال في معنى الآية أولا : إنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوى الأعضاء حسنها ، . . . ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل " . وهذا التفسير يسدو لي - والله أعلم بالصواب - أنه أحسن التفسير .

وقوله ( إلا الذين آمنوا ) الاستثناء مشكل في هذه السورة ، فعلى قول الحسن ومجاهد : يكون الاستثناء ظاهراً ، والمعنى : رد الناس إلى النار ، إلا من آمن وعمل صالحاً ، فإنه لا يرد إلى النار ومعنى الإنسان : الناس<sup>(١)</sup> .

وأما على قول إبراهيم والضحاك : فالاستثناء مشكل على هذا القول ، قاله النحاس<sup>(٢)</sup> ، والمعنى على هذا : إلا الذين آمنوا فلا يردون إلى أرنل العمر ، ومعناه : أنه يكتب لهم أعمالهم الصالحة بعد الهرم على ما كانوا يعملونها فسي حالة الشباب ، وإن عجزوا عنها فكأنهم لم يردوا إلى أرنل العمر<sup>(٣)</sup> .

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/١٧٣) : " وللمفسرين في معنى الاستثناء قولان " ثم ذكر هذين القولين ، أحدهما هو هذا الذي ذكره المؤلف ، قال ابن الجوزي : " إلا الذين آمنوا : فإنهم لا يردون إلى النار ، وهذا على القول الثاني " ( يقصد قول مجاهد والحسن في معنى أسفل سافلين ) ، وذكر الرازي في تفسيره (١١/٣٢) أن الاستثناء على هذا القول متصل ظاهر الاتصال .

وقال النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٣٣) " من قال : المعنى : إلى أسفل سافلين : إلى النار ، جعل " الذين آمنوا " في موضع نصب استثناء من الـها " التي في ردها لأنها بمعنى جمع " .

(٢) قال النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٣٣) : " ومن قال : إلى أسفل سافلين : إلى أرنل العمر جعل " الذين آمنوا " استثناء ليس من الأول ، وقيل في الكلام حذف الاستثناء منه ، والتقدير : ثم ردها إلى الهرم والخرف حتى صار لا يقدر على عبادة الله عز وجل وأداء فرائضه ، ولا يكتب له شيء من العمل الصالح إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في شبابهم ، فإنه يكتب لهم مثل ما كانوا يعملون " فهذا هو النص لما قاله النحاس ، ولم يصرح فيه بالنحاس بأن الاستثناء مشكل ، ولعل المؤلف بنفسه استشكله لما رأى في الكلام من تقديرات ، أو أن النحاس قال هذا الكلام في معاني القرآن .

(٣) هو القول الثاني في معنى الاستثناء في هذه الآية ، قال ابن الجوزي فسي زاد المسير (٩/١٧٣) : " إلا الذين آمنوا : فإنهم لا يردون إلى الخرف وأرنل العمر وإن عمروا طويلاً ، وهذا على القول الأول " يقصد قول إبراهيم والضحاك (

وقال الرازي في تفسيره (١١/٣٢) : " إن هذا الاستثناء على القول الأول منقطع ، والمعنى : ولكن الذين كانوا صالحين من الهرم فلهم ثواب دائم على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله إياهم بالشيخوخة والهرم ، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة وعلى تخاذل نهوضهم " . وقال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص ٢٤٣) " ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) في وقت القوة والقدرة فإنهم في حال الكبر غير منقوصين لأننا نعلم أننا لو لم نسلهم القدرة والقوة لم يكونوا ينقطعون عن عمل الصالحات ، فنحن نجري لهم أجر ذلك ولا ننقصه : أي لا نقطعه ولا ننقصه ، وهو معنى قول المفسرين " .

وقد حكى معنى هذا عن إبراهيم<sup>(١)</sup>، وروى ذلك مرفوعاً فى بعض الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

(١) أورد السيوطى فى الدر المنثور (٣٦٧/٦) عن إبراهيم أنه قال فى تفسير قوله (ثم رددناه أسفل سافلين) إلى أرذل العمر، فإذا بلغوا ذلك كتب لهم من العمل مثل ما كانوا يعملون فى الصحة\* وعزا تخريجه إلى الفريابى وعبد بن حميد، وأورد ابن الجوزى فى زاد المسير (١٧٣/٩) : عنه أنه قال : إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل\* .

(٢) أخرج البخارى فى صحيحه - كتاب الجهاد ، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل فى الإقامة (١٣٦/٦ رقم ٢٩٩٦) . وأبو داود فى سننه - كتاب الجنائز ، باب إذا كان الرجل يعمل عملاً صالحاً... (٤٧٠/٣) رقم ٣٠٩١ بسندهما عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً\* .

وفى هذا الباب روايات أخرى، أورد بعضها القوطى فى تفسيره (١١٩/٢٠) والسيوطى فى الدر المنثور (٣٦٧/٦) والألبانى فى إرواء الغليل (٢/٣٤٥ - ٣٤٧) .

والراجع من القولين فى هذا الاستثناء هو ما ذكره المؤلف أولاً ، يعنى أنه استثناء من الإنسان وهو بمعنى الناس . وعليه فيكون هذا الاستثناء على بابه ، غير محتاج إلى تقدير فى الكلام ، وذكر ابن جريو فى تفسيره (٣٠/٢٤٥ - ٢٤٨) عدة معان لهذا الاستثناء ، وكل هذه المعانى فيما يظهر لي تدور حول القولين السابقين ، ثم رجح منها القول بأن معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى حال صحتهم وشبابهم ، فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم فى حال ما كانوا يعملون ، وهم أقوياء على العمل\* .

ونذهب إلى هذا الترجيح لأنه اختار القول بأن معنى قوله ( ثم رددناه إلى أسفل سافلين ) إلى أرذل العمر .

وقوله ( فلهم أجر غير ممنون ) فيه قولان : أحد هما : لا يضمن بسنة عليهم أحد سوى الله منه بتكرار النعمة عليهم ، والقول المعروف : غير مقطوع ، وهو مويد لما ذكرناه من التأويل .

قوله تعالى ( فما يكذبك بعد بالدين ) المعنى : فما يكذبك أيها الشناك بيوم الحساب بعد ما شاهدت من قدرة الله تعالى ما شاهدت هذا هو القول المعروف . ( ٣ )

( ١ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٤٨٠ ) عن الحسن أنه قال : " غير مكدر بالمن والأذى " وذكره الرازي في تفسيره ( ٣٢ / ١١ ) دون عزو إلى أحد قال : أجر غير ممنون : أي لا يمن به عليهم .  
( ٢ ) ذكر هذا المعنى غير واحد من المفسرين .

انظر تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٣ ) وتفسير الطبري ( ٣٠ / ٢٤٨ ) وتفسير الماوردي ( ٤ / ٤٨٠ ) وقد عزاه الماوردي إلى ابن عيسى وتفسير البغوي ( ٧ / ٢٦٦ ) وتفسير الرازي ( ٣٢ / ١١ ) وقال الرازي بعد أن ذكر القولين : وأعلم أن كل ذلك من صفات الثواب لأنه يجب أن يكون غير منقطع وأن لا يكون منفصاً بالمنة ، وذكر الماوردي أربعة أقوال أخرى غير هذين القولين أحدها : غير منقوص ، قاله ابن عباس ، وذكره ابن جرير أيضاً ورواه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .  
والثاني : غير محسوب ، قاله مجاهد ، وهذا أيضاً ذكره ابن جرير ورواه عن مجاهد . والثالث : أجر بغير عمل ، قاله الضحاك .  
والرابع : أن لا يضر كل أحد منهم ما عمله في كبره ، قاله ابن مسعود .

ورجح ابن جرير القول بأن معناه : غير منقوص ، كما كان له أيام صحته وشبابه ، وقال : وهو عندي من قولهم جبل منين - إذا كان ضعيفاً .

وليس هناك مانع من أن يجمع الأجر جميع هذه الصفات ، وقد فسره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٨ / ٤٢٨ ) عند قوله تعالى ( وإن لك لأجرًا غير ممنون ) سورة القلم الآية ٣ . " أي غير مقطوع ولا منقوص . "

( ٢ ) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ٢٤٩ ) والماوردي في تفسيره ( ٤ / ٤٨٠ ) من قول مجاهد ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ١٧٤ ) قال : " فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجة ، " بالدين " أي ما الذي يجعلك مكذباً بالجزاء ؟ ، وهذا توبيخ للكافر ، وهو معنى قول مقاتل ، وزعم أنها نزلت في عدي ابن ربيعة .

انظر تفسير مقاتل ( ٢ / ٣٩٩ / ١ ) وتفسير الرازي ( ٣٢ / ١٢ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠ / ١١٩ ) والبحر المحيط ( ٨ / ٤٩٠ ) وقد عزاه أبوحيان إلى الجمهور .



وفي الآية قول آخر : معناه : فمن يكذبك بالدين على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم : أى من الذى يكذبك بيوم الحساب بعد أن ظهر ( من البراهمين والآيات ما ظهر ) ذكره أو معاد النحوى .<sup>(٢)</sup>

والقول الأول أولى ، لأن " ما " بمعنى " من " يبعد فى اللفظة<sup>(٣)</sup> وقوله ( أليس الله بأحكم الحاكمين ) هو استفهام بمعنى التحقيق<sup>(٤)</sup> ، وهو مثل قول جرير :

( ١ ) ما بين القوسين ساقط من نسخة " ب " وهو موجود فى هامش الأصل ، والسياق يقتضيه ، وهذا قول الفراء والأخفش .

انظر معانى القرآن للفراء<sup>(٣/٢٧٧)</sup> ومعانى القرآن ( للأخفش ) ( ٢/٥٤٠ ) وذكره الماورى فى تفسيره ( ٤/٤٨٠ ) من قول قتادة والقرطبي فى تفسيره ( ٢٠/١١٦ ) من قول قتادة والفراء وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٨/٤٩٠ ) وزاد المسير ( ٩/١٧٤ ) وتفسير الرازى ( ٣٢/١٢ ) .

وذكر الظهيرى والقرطبي عن قتادة قولاً آخر وهو أن المعنى " بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له : استيقن مع ما جاءك من الله من البيان . أن الله أحكم الحاكمين " .

وهو قول غير صحيح ، وقد روى ابن جرير نفسه بسنده عن منصور أنه قال : قلت لمجاهد ( فما يكذبك بعد بالدين ) عنى به النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : معاد الله ، عنى به الإنسان " .

( ٢ ) هو الفضل بن خالد أبو معاد النحوى المروزى مولى باهلة . أكثر عنه الأزهرى فى تهذيب اللفظة ، وذكره ابن حبان فى الثقات ووصف كتاباً فى القراءات مات سنة إحدى عشرة ومائتين .

انظر بغية الوعاة ( ٢/٢٤٥ ) ومعجم المؤلفين ( ٨/٦٧ ) ولم أجد من ذكر عنه هذا القول .

( ٣ ) ذهب ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠/٢٤٩ ) إلى اختيار القول بأن " ما " بمعنى " من " وقال : وجه تاويل الكلام إلى : فمن يكذبك يا محمد بعد الذى جاءك من هذا البيان من الله بالدين ، يعنى : بطاعة الله ومجازاته العباد على أعمالهم " . وذكر النحاس فى إعراب القرآن ( ٣/٧٣٦ ) هذا القول عن الفراء والأخفش ، ثم قال : وهذا لا يعرج عليه ، ولا تقع " ما " بمعنى " من " إلا فى شذوذ ، والمعنى هنا صحيح ، أى : فما يحطك أيها المكذب : أى فى شىء يحملك على التكذيب بعد ظهور البراهين والدلائل بالدين الذى جاء بخبره من أظهر البراهين .

( ٤ ) قال الماورى فى تفسيره ( ٤/٤٨١ ) : " وهذا تقوي لمن اعترف من الكفار بصانع قد يم " وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٠/١١٧ ) " وألف الاستفهام إذا دخلت على النفي ، وفي الكلام معنى التوقيف صار إيجاباً " ثم ذكر قول جرير الآتى . وذكروا فى معنى الآية قولين أحدهما : أى أحكم الحاكمين صنفاً وتدبيراً ، والثانى : أحكم الحاكمين قضاءً بالحق وعدلاً بين الخلق . انظر تفسير الماورى ( ٤/٤٨١ ) وتفسير الرازى ( ٢٣٢/١ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠/١١٧ ) .

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا (١) وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطُونِ رَاحٍ (٢) .  
أى أنتم كذلك .

وقد ورد عن جماعة من الصحابة : أنهم كانوا إذا ختموا السورة قالوا :  
اللهم بلى (٤) .

وفي رواية : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين (٥) ، منهم أبو هريرة وابن عباس  
رضي الله عنهما .

(١) جمع ، مفردة مَطِيَّةٌ ، وهي الناقة التي يُرَكَبُ مَطَاها ( أى ظهرها ) .  
انظر لسان العرب ( ٢٨٦ / ١٥ ) .

(٢) هو من النَّدى : وهو السَّخَاةُ والكرَمُ ، وَأَنْدَى الرَّجُلُ : كثر نداءه أى  
عطاؤه . المصدر السابق ٣١٥ / ١٥ .

(٣) الرَّاحُ : جمع راحة وهي الكَفُّ ، المصدر السابق ( ٤٦١ / ٢ ) والبيت  
فردوان جربو ( ص ٧٧ ) .

(٤) كذا في النسختين ( اللهم بلى ) ولعل الصواب ( سبحانك اللهم ولبلى )  
كذا ورد فيما أخرجه ابن جرير في تفسيره ( ٢٥٠ / ٣٠ ) بسنده أبي إسحاق  
عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عباس إذا قرأ \* أليس الله بأحكم  
الحاكمين ( قال : سبحانك اللهم ولبلى \* .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٧ / ٦ ) وفيه \* سبحانك اللهم فلبى \*  
وعزا تخريجه الى ابن جرير وابن المنذر . وأورده السيوطي أيضا عن صالح  
أبي الخليل قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى على هذه الآية  
( أليس الله بأحكم الحاكمين ) يقول : سبحانك فلبى .

(٥) رواه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة ، باب مقدار الركوع والسجود ( ١ / ٥٥٠ رقم  
٨٨٧ ) . والترمذي في سننه - كتاب التفسير - باب \* ومن سورة التيسين  
( ٤٤٣ / ٥ رقم ٣٣٤٧ ) . كلاهما من طريق إسماعيل بن أمية قال : سمعت رجلاً  
بدويًا أعرابياً يقول : سمعت أبا هريرة يرويه يقول : من قرأ \* والتين والزيتون \*  
فقرأ \* أليس الله بأحكم الحاكمين \* .

---

 ٠٠/٠٠

فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين \*

هذا لفظ الترمذى ، ولفظ أبي داود قال فيه أبو هريرة : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ منكم . . . الحديث بأطول منه .

وقد ضعف إسناده المباركفورى فى تحفة الأحنوزى ( ٢١٥ / ٤ ) لجهالة الأعرابى فى السند ، وقد جاء التصريح باسم الراوى عن أبى هريرة عند الحاكم ، فإنه رواه فى المستدرک ( ٥١٠ / ٢ ) بسنده عن يزيد ابن عياض عن إسماعيل بن أمية عن أبى اليسع عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ( أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ) قال : بلى ، وإذا قرأ ( أليس الله بأحكم الحاكمين ) قال : بلى .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وسكت عليه الذهبى ولكن رواية عن إسماعيل : يزيد بن عياض متروك ، كما صرح به الحافظ بن حجر فى تخريج الكشاف ( ٦٦٥ / ٤ ) وروى ابن جرير فى تفسيره ( ٢٥٠ / ٣٠ ) بسنده عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين " وهو مرسل وأورده الماوردى فى تفسيره ( ٤٨١ / ٤ ) من قول علي رضى الله عنه وقال : ونختار ذلك " وكذا أورده القرطبى فى تفسيره ( ١١٧ / ٢٠ ) من قول على وابن عباس رضى الله عنهم وقال : " فيختار ذلك " ولعلمهما اعتبارا فى ذلك الطرق الجديدة للحديث فإنه لم يصح مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أورده فى بعض الروايات ابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٩٥٣ / ٤ ) وقال : " وهذه أخبار ضعيفة ، أما إن ذلك يتعمين فى الاعتقاد لأجل ما يلزم فى فهم القرآن من الانتقاد " .

تفسير سورة العلق وهي مكية (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) أكثر أهل العلم : هذه  
السورة أول سورة أنزلت من القرآن ، وهو مروى عن علي (٣) وابن عباس (٤)  
وعائشة (٥) وابن الزبير (٦) .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة : أن أول سورة أنزلت من  
القرآن سورة اقرأ باسم ربك الذي . (٧)

(١) روى البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) بسنده عن عكرمة والحسن أن هذه  
السورة نزلت بمكة ، وذكر الماوردي في تفسيره (٤٨٢/٤) وابن الجوزي في زاد  
المسير (١٧٥/٩) والقرطبي في تفسيره (١١٧/٢٠) إجماع المفسرين على أنها  
مكية .

(٢) كذا في النسختين ، ويبدولي أن في العبارة سقطاً ، فلو كانت هكذا ( أكثر  
أهل العلم على أن هذه ) لكانت مستقيمة .

(٣) لم أحصل على رواية عن علي تقول بأن هذه السورة أول سورة أنزلت من القرآن .  
وقد ذكر عنه ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٥٤/٤) والقرطبي في تفسيره  
(١١٨-١١٧/٢٠) أنه قال : أول ما نزل من القرآن ( قل تعالوا أتك ما حرم  
ربكم عليكم \* سورة الأنعام الآية ١٥١ ) .

(٤) أورد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٨/٦) ثلاث روايات عن ابن عباس ، صرح فيها  
بأن أول سورة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم " اقرأ باسم ربك الذي خلق " وقال  
في إحداهما : أول شيء أنزل من القرآن خمس آيات " اقرأ باسم ربك الذي خلق "  
إلى قوله " ما لم يعلم " وعزا تخريج هذه الروايات إلى ابن مردويه وابن المنذر .

(٥) ستأتي روايتها قريباً .

(٦) ذكر ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٥٤/٤) هذا القول وعزاه إلى عائشة  
وابن عباس وابن الزبير ولم أهد إلى رواية ابن الزبير .

(٧) أخرجه ابن جريو في تفسيره (٢٥٢/٣٠) والحاكم في مستدركه (٥٢٩/٢) والبيهقي  
في تفسيره (٢٦٩/٧) والبيهقي في دلائل النبوة (١٥٥/٢) كلهم من طريق  
سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة عن عائشة قالت : " إن أول ما نزل من القرآن  
" اقرأ باسم ربك الذي خلق " .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي وصرح البيهقي  
أيضاً بأن إسناده صحيح . وقد ثبت ذلك في الصحيحين ، وسيأتي ذكره  
قريباً .

قال -رضى الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث الحاكم أبو عمر ومحمد بن  
 عبد العزيز القنطوي<sup>(١)</sup> ، أخبرنا أبو الحارث علي بن القاسم الخطابي<sup>(٢)</sup> ، أخبرنا  
 أبو لبابة محمد بن المهدي<sup>(٣)</sup> أخبرنا عمار بن الحسن بن بشير<sup>(٤)</sup> عن سلمة بن  
 الفضل<sup>(٥)</sup> عن محمد بن اسحاق الخبر .

( ١ ) ذكره أبو سعد السمعاني في التخبير ( ٥٨٧/١ ) وأبو محمد ابن أبي الوفاء  
 في الجواهر الحضية ( ٨٣/٢١ ) وهو فقيه مروزي ، روى الحديث ، وخرج إلى  
 ما وراء النهر وحدث ببخارى .

( ٢ ) هو أبو الحارث علي بن القاسم بن أحمد بن محمد بن الخطاب الخطابي ،  
 قال ابن الأثير : كان ثقة ، مات سنة خمسين وثلاثمائة .  
 انظر الأنساب ( ١٥٩/٥ ) واللباب ( ٤٥٢/١ ) .

( ٣ ) هو أبو لبابة محمد بن المهدي بن عبد الرحيم الميهني ، ذكره  
 ابن حجر في تلاميذ عمار بن الحسن بن بشير ، وقال : روى عنه المغازي .  
 انظر تهذيب التهذيب ( ٣٩٩/٧٨ ) .

( ٤ ) في نسخة " ب " ( أبو عمار بن الحسن بن بشير ) وفي الأصل كلمة " أبو "  
 مشطوبة ، والصواب هو ما أثبتته ، وهو عمار بن الحسن بن بشير الهمداني  
 أبو الحسن الرازي نزيل نساء ، ثقة ، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وله  
 ثلاث وثمانون سنة .  
 انظر تهذيب التهذيب ( ٣٩٩/٧ ) وتقريب التهذيب ( ٢٥٠ ) .

( ٥ ) في نسخة " ب " ( ابن مسلمة بن الفضل ) وفي الأصل ( عن مسلمة بن الفضل )  
 والصواب ما أثبتته ، وهو سلمة بن الفضل الأبرش مولى الأنصار ، قاضي  
 الري ، صدوق كثير الخطأ ، مات بعد التسعين ومائة ، وقد جاوز المائة .  
 انظر تقريب التهذيب ( ١٣١ ) .

وعن جابر : أن أول سورة أنزلت سورة المدثر - قد بينا (١) - والأصح هو القول / الأول (٢) .

(١) تقدمت هذه الرواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في أول سورة المدثر صفحة (١٣٢-١٣٣) وهي مخرجة في الصحيحين .

وهناك قولان بل ثلاثة أقوال أخرى في أول ما نزل من القرآن ، أولها : أن سورة الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن ذكره الزمخشري في الكشاف (٧٧٥/٤) فقال بعد أن ذكر القول الأول ( أي أن سورة العلق هي أول سورة نزلت ) : " وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ، ثم سورة الطم " وذكره ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٥٤/٤) وأبو حيان في البحر المحيط (٤٩٢/٨) من قول أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل " .

وحجة هذا القول ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٥٨/٢) ، من طريق يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : إنني إذا خلوت وحدي سمعت نداً . . . . ( ثم ذكر الحديث إلى أن قال ) فلما خلانا داه يا محمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، - حتى بلغ - ولا الضالين ، قل : لا إله إلا الله . وأورده السيوطي في الإتقان (٢٥/١) وعزا تخريجه إلى البيهقي في الدلائل والواحدى .

والقول الثاني : إن " بسم الله الرحمن الرحيم " أول ما نزل من القرآن ، ذكره السيوطي في المصدر السابق له ، وقال : حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره ، واستدل أصحاب هذا القول بما أخرجه الواحدى بسنده عن عكرمة والحسن قالا : أول ما نزل من القرآن " بسم الله الرحمن الرحيم " وأول سورة " اقرأ " ذكره السيوطي " .

والقول الثالث : إن قوله تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم " سورة الأنعام الآية ١٥١ ، وتقدم ذكره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) صرح بذلك ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٥٤/٤) والقرطبي في تفسيره (١١٨/٢٠) والسيوطي في الإتقان (٢٤/١) وإليه ذهب أكثر المفسرين ، انظر معاني القرآن للفرا (٢٧٨/٣) وتفسير الطبري (٢٥١/٣٠) وتفسير الصاوري (٤٨٢/٤) وتفسير البغوي والخازن (٢٦٧-٢٦٨/٧) وزاد المسير (١٧٥/٩) والبحر المحيط (٤٩٢/٨) .

. . / . .

وأما ما رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنه فقد تقدم التوفيق بينه وبين هذا القول من عدة أوجه في ص ١٣٤ ، أحدها وهو الذى اختاره المؤلف ان سورة " اقرأ " أول ما نزل من القرآن ، حين بدى بالوحى ، وسورة المدثر أول ما نزل بعد فتور الوحى .

وأما ما رواه أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل فهو منقطع سنداً ، كما صرح بذلك البيهقي عقب إخراجها للحدِيث ، وقال : فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت عليه ، " اقرأ باسم ربك " و " يا أيها المدثر " والله أعلم .

وأورد هذه الرواية ابن كثير فى البداية والنهاية ( ٩ / ٣ ) وقال : " وهو مرسل ، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل " .

ورد الحافظ ابن حجر على الزمخشري نسبة هذا القول إلى أكثر المفسرين ، فقال بعد أن ذكر كلامه : والذى ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول ( يعنى أن سورة العلق هى أول ما نزل من القرآن ) وأما الذى نسبته إلى الأكثر فلم يقبل به إلا عدد أقل من الظليل بالنسبة إلى من قال بالأول " فتح البارى ( ٧١٤ / ٨ ) .

وأما القول بأن " بسم الله الرحمن الرحيم " أول ما نزل من القرآن ، فقَالَ السيوطى فى الإتيقان ( ٢٥ / ١ ) : " وعندى أن هذا لا يعد قولاً برأسه ، فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسطة معها فهى أول آية نزلت على الإطلاق " .

وقال صاحب مناهل العرفان ( ٩٦ / ١ ) بعد أن ذكر هذا القول واستدل أصحابه بما روى عن عكرمة والحسن : " وهذا الاستدلال مردود من ناحيتين : أحدهما أن الحدِيث مرسل فلا يناهض المرفوع ، والثانية : أن البسطة كانت بطبيعة الحال تنزل صدرًا لكل سورة إلا ما استثنى ، إذن فهى نازلة مع ما نزل من صدر سورة اقرأ ، فلا يستقيم اعتبار الأولية فى نزولها قولاً مستقلاً برأسه " .

وأما ما ذكر عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه فلم أجد من رواه عنه لكى يعرف مدى صحته سنداً ، وقد أورده القرطبى مع القول الأول وقال : والصحيح الأول . انظر تفسير القرطبى ( ٢٥ / ٢٠ ) .

وقد ثبت برواية عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حيب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد - وهو التعبد - ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود به بمثلها حتى جاءه الحق وهو كان في غار حراء فجاءه الطلح فقال : اقرأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قلت : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذنى فغطنى (١) حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال ( اقرأ باسم ربك الذى خلق - حتى بلغ - ما لم يعلم ) . والخبر طويل مذكور فى الصحيحين . (٣) وقوله : ( باسم ربك ) أى : اقرأ مفتتحاً باسم ربك . (٤)

(١) يتحنث : قال ابن الأثير فى النهاية (٤٤٩/١) : " أى يتعبد ، يقال : فلان يتحنث : أى يفعل فعلاً يخرج به من الإثم والحرج " .

(٢) قال ابن الأثير فى النهاية (٣٧٣/٣) : " الغط : العصر الشديد والكبس ، ومنه الغط فى الماء : الغوص " .

(٣) انظر صحيح البخارى - كتاب بدء الوحي - (٢٣/١ ، رقم ٣) وأيضاً كتاب التفسير ، باب سورة " اقرأ باسم ربك " (٧١٥/٨) رقم (٤٩٥٣) وصحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٩٧/٢) أخرجه كلاهما من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، وفيه ذكر رجوعه صلى الله عليه وسلم إلى خديجة رضي الله عنها وتثبيتها لفؤاده ، وذهابها به إلى ورقة بن نوفل ، وهو بطوله مخرج عند عبد الرزاق والإمام أحمد والبيهقى وغيرهم أيضاً . انظر الدر المنثور (٢٦٨/٦) .

(٤) قال الزمخشري فى الكشاف (٧٧٥/٤) : " محل : ( باسم ربك ) النصيب على الحال ، أى : اقرأ مفتتحاً باسم ربك - قل : باسم الله ، ثم اقبراً " وقال ابن الجوزى فى زان المسير (١٧٥/٩) : " قال المفسرون : المعنى : اذكر اسمه مفتتحاً بقراءتك " وذكر هذا القول الرازى فى تفسيره (١٣/٣٢) ، والقرطبي فى تفسيره (١١٩/٢٠) وقال مكى بن أبى طالب : " دخلت الباء فى " باسم " لتدل على الملازمة والتكرير " .

وذكر أبو حيان فى البحر المحييط (٤٩٢/٨) قول الزمخشري ، ثم قال : " وهذا قاله قتادة ، المعنى : اقرأ ما أنزل عليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك " .



وقيل : اقرأ اسم ربك ، والباء زائدة قاله أبو عبيده <sup>(١)</sup> ومثله قول الشاعر <sup>(٢)</sup> :  
 هَسَّ الحِرَائِرُ لَا رَبَّاتُ أَخْمِرَةٍ      سُوْدُ المَحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ <sup>(٣)</sup>

أى السور والباء زائدة .

وقيل : اقرأ على اسم ربك ، كما يقال سر باسم الله : أى على اسم الله <sup>(٤)</sup> .

والقولان الأولان هما المعروفان <sup>(٥)</sup> .

(١) انظر مجاز القرآن (٣٠٤/٢) ونص كلامه : " اقرأ باسم ربك " مجازه : اقرأ اسم ربك . وقد ذكر هذا القول البغوى فى تفسيره (٢٦٩/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٧٥/٩) والرازى فى تفسيره (١٣/٣٢) والقرطبى فى تفسيره (١١٩/٢٠) كلهم من قول أبى عبيدة إلا القرطبى فإنه لم ينسبه إلى أحمد . وذكر أبو حيان فى البحر المحيط (٤٩٢/٨) عن أبى عبيدة أنه قال : الباء صلة ، والمعنى : اذكر ربك ، وقال أيضا : الاسم صلة ، والمعنى : اقرأ بعمون ربك وتوفيقه .

(٢) هو الراعى النميرى .

(٣) البيت فى ديوان الراعى النميرى (ص ٨٧) وفيه ( تلك ) بدل ( هن ) وهو أيضا فى لسان العرب (٣٨٦/٤) وتفسير الرازى (١٣/٣٢) وعزاه إلى الأخطل وهو خطأ .

(٤) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط (٤٩٢/٨) من قول الأخفش . قال : قال الأخفش : الباء بمعنى ( على ) أى : اقرأ على اسم الله كما قالوا فى قوليه : ( وقال : اركبوا فيها باسم الله ) أى : على اسم الله . وذكره القرطبى أيضا ولكن دون عزو إلى أحد ، قال : " وقيل : الباء بمعنى ( على ) أى : اقرأ على اسم ربك ، يقال : فعل كذا باسم الله ، وعلى اسم الله ، انظر تفسيره (١١٩/٢٠) وذكر فى ذلك أقوال أخرى . منها : أن المعنى : اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك ، كأنه يجعل الاسم آلة فيما يحاوله من أمر الدين والدنيا ، ذكره الرازى وأبو حيان وقيل : إن معناه : اجعل هذا الفعل لله وافعله لأجله . ذكره الرازى ، وقيل : إن " باسم ربك " هو المفعول به وهو المأمور بقراءته كما تقول : اقرأ : الحمد لله ، ذكره أبو حيان . وقيل : معناه : اذكر اسمه ، أمره أن يبتدىء القراءة باسم الله ذكره القرطبى وأبو حيان .

(٥) الراجح هو القول الأول ، وهو قول أكثر المفسرين ، وأما قول أبى عبيدة فقد ضعفه الرازى فى تفسيره (١٣/٣٢) من عدة أوجه ، أحدها : أنه لو كان معناه اذكر اسم ربك ما حسن منه ( صلى الله عليه وسلم ) أن يقول : ما أنسا بقارى ، أى لا أذكر اسم ربى ، والثانى : أن هذا الأمر لا يليق بالرسول ، لأنه ما كان له شغل سوى ذكر الله ، فكيف يأمره بأن يشتغل بما كان مشغولا به أبداً والثالث : أن فيه تضييع الباء من غير فائدة " اهـ . ويؤيد هذا القول - أى أن الباء زائدة - إلى القول بأن فى القرآن زوائد ليس لها معنى ، فالصواب هو القول الأول وأما الأقوال الأخرى غير قول أبى عبيدة فإنها ترجع فى المعنى إلى القول الأول .

وقوله : ( الذى خلق ) بمعنى خلق الناس . (١) وقوله ( خلق الإنسان من علق )

أى العلقه وهى الدم ، وذكر ههنا العلقه لأنها من الأشجاء (٣)

(١) ذكر البغوى فى تفسيره (٢٦٩/٧) عن الكلبى أنه قال : " يعنى الخلائق ، ثم فسره فقال : ( خلق الإنسان ) يعنى ابن آدم " وقال الزمخشرى فى الكشاف (٧٧٥/٤) : " هو على وجهين : إما أن لا يقدر له مفعول ، وأن يواد أنه الذى حصل منه الخلق ، واستأثر به ، لا خالق سواه ، ولما أن يقدر ويواد خلق كل شىء فيتناول كل مخلوق ، لأنه مطلق ، فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض " ( ذكره الرازى ومثل له بقوله : كقولنا : الله أكبر أى من كل شىء ) ثم قال الزمخشرى : وقوله ( خلق الإنسان ) تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق ، لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض ، ويجوز أن يواد : الذى خلق الإنسان ، كما قال : ( الرحمن ، علم القرآن خلق الإنسان ) فليل : ( الذى خلق ) مبهما ، ثم فسره بقوله ( خلق الإنسان ) تفخيماً لخلق الإنسان ، ودلالة على عجيبة فطرته ، انظر أيضاً تفسير الرازى (١٥/٣٢) والبحر المحيط (٤٩٢/٨) .

(٢) قال ابن قتبية فى تفسير غريب القرآن (ص ٢٩٦) : علقه : واحدة العلق : وهو الدم " وقال الراغب فى المفردات (ص ٣٤٣) : " والعلق : الدم الجامد ، ومنه العلقه التى يكون منها الولد " . وقال الماوردى فى تفسيره (٤٨٢/٤) : " والعلق : جمع علقه ، والعلقه قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه ، فإذا جفت لم تكن علقه " وقال القرطبى فى تفسيره (١١٩/٢٠) : ( من علق ) أى من دم ، جمع علقه : والعلقه الدم الجامد ، وإذا جرى فهو المسفوح ، وذكر ابن منظور فى لسان العرب (٢٦٧/١٠) فى معنى العلق أربعة أقوال : أحدها : الدم ما كان ، والثانى : هو الدم الجامد الغليظ ، والثالث : الجامد قبل أن ييبس ، وقيل : هو ما اشتدت حمته " . ولكن أكثر المفسرين فسروه بالدم الجامد هذا وقد تكلم بعض المفسرين على أن العلق جمع ، والإنسان مفرد ، فقال : لما كان الإنسان فى معنى الجمع جمع العلق مع مشاكلة رؤوس الآيات . قاله الفراء فى معانى القرآن (٢٧٨/٣) . انظر أيضاً تفسير الماوردى (٤٨٢/٤) وزاد المسير (١٧٥/٩) والكشاف (٧٧٦/٤) .

(٣) قال الراغب فى المفردات (ص ٤٦٩) : " قال تعالى ( أشجاء تبثيه )

أى : أخلاط من الدم ، وذلك عبارة عما جعله الله تعالى بالنطفة من القوى المختلفة المشار إليها بقوله ( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة ) إلى قوله

( خلقنا آخر ) سورة المؤمنون الآية ١٢ - ١٤ .

فدل بها على غيرها (١) .

وقوله ( اقرأ وربك الأكرم ) أى كريم (٢) ، ومن كرمه : أن يحلم عن ذنوب  
العباد ويؤخر عقوبتهم . وعن بعضهم : من كرمه : أن يعبد الآدمى غيره  
ولا يقطع عنه رزقه (٤) .

(١) لعل المؤلف يويد بذلك أن العلق أحد الأطوار التى يربها خلق الإنسان  
ونشأته - كما جاء فى قوله تعالى ( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم  
جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة مخلقتنا العلقة مضفة فخلقنا  
المضفة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر ) سورة المؤمنون  
(١٢-١٤) ولما كان العلق أحد الأطوار التى يربها خلق الإنسان اكتفى بذكره  
واستدل بذلك على غيره من الأطوار ، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رأى آخر فى هذه  
المسألة وهو أن ما قبل العلق يكون نطفة ، والنطفة قد تسقط فى غير الرحم كما يحتلم  
الإنسان ، وقد تسقط فى الرحم ثم يرميها الرحم قبل أن تصير علقة فقد صار مبدأ  
لخلق الإنسان وعلم أنها صارت علقة ليخلق منها الإنسان " انظر مجموع الفتاوى ٣٦١/١٦ .

(٢) ذكر الماوردي فى تفسيره (٤/٤٨٢) والقرطبي فى تفسيره (٢٠/١١٩) أن الأكرم  
بمعنى الكريم ، وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/١٧٦) عن الخطابي أنه قال :  
" الأكرم : الذى لا يوازيه كرم ، ولا يعادله نظير ، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم  
كما جاء الأعرز والأطول بمعنى العزيز والطويل " وقد ذكره البيهقي أيضاً عن الخطابي  
انظر الأسماء والصفات (ص ٧٥) وقال الزمخشري فى الكشاف (٤/٧٧٦) فى معنى  
الأكرم : " الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كرم ، ينعم على عباده النعم التى  
لا تحصى ، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجهودهم لنعمة وركوبهم  
المناهى وإطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد إقرار المظالم ،  
فما لكرمه غاية ولا أمد ، وذكر البغوى فى تفسيره (٧/٢٦٩) والقرطبي فى تفسيره  
(٢٠/١١٩) عن الكلبي أنه قال : الحلیم عن جهل العباد لا يجعل عليهم  
بالعقوبة " وقال القرطبي : والأول ( يعنى أن الأكرم بمعنى الكريم ) أشبه  
بالمعنى ، لأنه لما ذكر ما تقدم من نعمه ، دل بها على كرمه .

(٣) لم أجد من ذكر عنه هذا القول ، وهو قريب مما تقدم ذكره عن الكلبي .

(٤) رواه أبو الشيخ فى المعظمة (ص ٤٦٧-٤٦٨ رقم ١٧٩) بسنده عن إبراهيم بن عيسى  
اليشكري قال : من كرمه أن يوزق عبده ويعبد غيره " وأورد الماوردي فى تفسيره  
(٤/٤٨٣) وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (١٦/٢٩٣-٢٩٥) فى  
هذه الآية : أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكرم وبأنه الأكرم ، بعد إخباره أنه  
خلق ليعتق أنه ينعم على المخلوقين ويوصلهم إلى الفياض المحمودة ، ثم قال :  
ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد ، لا يواد به مجرد الاعطاء ، بل الاعطاء  
من تمام معناه ، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن ، والكرم كثرة الخير  
ويسرته " وقال أيضاً : هو سبحانه وتعالى أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل  
والتعريف لها ، فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال : وربك أكرم ، فإنه  
لا يدل على الحصر ، وقوله ( الأكرم ) يدل على الحصر ، وكذا ذكر أنه لم يقل  
" الأكرم من كذا " بل أطلق الاسم ليعين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد ، فدل على أنه  
متصف بغاية الكرم الذى لا شئ فوقه ولا نقص فيه .

- وقوله ( الذى علمه القلم ) أى الكتابة بالقلم (١) وهى نعمة عظيمة .  
 قال قتادة : القلم نعمة من الله عظيمة لولا ذلك لم يقيم دين ولم يصلح عيش . (٢)  
 واختلف القول فى المراد بالتعظيم (٣) ، فأحد القولين هو آدم صلوات الله عليه (٤)  
 والقول الآخر : كل آدم يخط بالقلم . (٥)

- ( ١ ) قال البيهقى فى تفسيره ( ٢٦٩ / ٧ ) : " يعنى الخط والكتابة " وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٧٦ / ٩ ) : " أى : علم الإنسان الكتابة بالقلم " .  
 وقال القرطبى فى تفسيره ( ١٢٠ / ٢٠ ) : " يعنى الخط والكتابة ، أى علم الإنسان الخط بالقلم " .  
 ( ٢ ) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٢٥١ / ٣٠ ) بسنده عن سعيد عن قتادة قال : القلم نعمة من الله عظيمة ، لولا ذلك لم يقيم ولم يصلح عيش . وأورد القرطبى فى تفسيره ( ١٢٠ / ٢٠ ) والسيوطى فى الدر المنثور ( ٣٦٩ / ٦ ) بمثل ما أورده المؤلف ، وعزا تخريجه السيوطى إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم .  
 ( ٣ ) كذا فى النسختين ( التعظيم ) ، ولعل الصواب بالمعلم .  
 ( ٤ ) ذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره ( ٤٨٣ / ٤ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٢٧ / ٢٠ ) كلاهما من قول كعب الأحمبار وأبوحيان فى البحر المحيطة ( ٤٩٣ / ٨ ) دون عزو إلى أحد ، وذكروا أن آدم أول من كتب .  
 ( ٥ ) ذكره أصحاب المصادر السابقة .  
 وهناك قول ثالث ذكره عن الضحاك وهو أن المراد بإدريس عليه السلام لأنه أول من كتب ، والصواب هو القول الثانى أى أن المراد كل من كتب بالقلم لأنه ما علم إلا بتعليم الله تعالى له ، وقد وصفه أبوحيان بأنه هو الظاهر ، وقال الماوردى والقرطبى : وجمع بذلك بين نعمته تعالى فى خلقه ، وبين نعمته عليه فى تعليمه استكمالاً للنعمة عليه . وأما القول بأن أول من خط آدم ، أو إدريس أو غيرهما فلم يثبت فى ذلك ما يعتمد عليه ، وقد ذكر ابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٩٥٨ / ٤ ) بعض الروايات التى جاء فيها ذكر من وضع الخط أولاً ، ثم قال : وهذه كلها روايات ضعيفة ليس لها أصل يعتمد عليها فيها ، وأعجب من هذا أن القول فى ذلك خوض فيما لا يعتمد ، ولا يتعلق عليه حكم ، ولا يتعلق به فائدة شرعية ، وقرر بأن وضع الخط ليس لأحد من خلق الله ولا ينبغى له .

وقوله ( علم الإنسان ما لم يعلم ) قد بينا<sup>(١)</sup> وهو ظاهر المعنى<sup>(٢)</sup> .  
 قوله ( كلا إن الإنسان ليطغى ) نزل في أبي جهل<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) انظر ما قاله المؤلف عند قوله تعالى ( وطم آدم الأسماء كلها ) سورة البقرة الآية ٣١ ص ٧٨ . بتحقيق د / أبي د جانة .

( ٢ ) اختلف القول في المراد بالإنسان هنا ، فقيل : الإنسان هنا آدم عليه السلام ، علمه أسماء كل شيء حسب ما جاء به القرآن في قوله تعالى : ( وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ) سورة البقرة الآية ٣١ . وقيل : هنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ودليله قوله تعالى : ( وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ) سورة النساء الآية ١١٣ ، وعلى هذا فالمراد بـ " علمك " المستقبل ، فإن هذا من أوائل ما نزل ، وقيل : هو عام ، لقوله تعالى : ( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئًا ) سورة النحل الآية ٧٨ . وهذا هو الصواب قال أبو حيان : الظاهر أنه اسم الجنس عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها . انظر أيضا تفسير البغوى ( ٢٦٩ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٧٦ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٢٢ / ٢٠ ) وذكر بعض المفسرين في معنى الآية عدة أقوال :  
 أحدها : أن المراد من هذه الآية هو نفس المراد من الآية السابقة ، يعنى الخط بالقلم ، وهو قول قتادة وابن زيد .

والثانى : علمه كل صنعة علمها فتعلم - قاله ابن شجرة .

والثالث : علمه من حاله في ابتداء خلقه ما يستدل به على خلقه وأن ينقله من بعد على إرادته - ذكره الماورى بلفظ الاحتمال .

والرابع : علمه من أنواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم .

والصواب فيما يبدو لي أن المراد علمه كل صنعة يحتاج إليها الإنسان فى حياته ، فإن الإنسان لم يعلمها إلا بتعليم الله تعالى .

انظر تفسير الماورى ( ٤٨٣ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ١٧ / ٣٢ ) وتفسير

الخازن ( ٢٦٩ / ٧ ) .

( ٣ ) ذكر الرازى فى تفسيره ( ١٧ / ٣٢ ) أن أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن المراد من الإنسان ها هنا إنسان واحد ، وهو أبو جهل ، ثم ذكر خلافهم فى تحديد الآيات التى نزلت فى أبي جهل ، فقال بعضهم : ( إن السورة من ها هنا إلى آخرها نزلت فى أبي جهل ، وقيل : نزلت من قوله ( أرأيت الذى ينهى عبداً ) إلى آخر السورة فى أبي جهل ، وقيل : إن السورة كلها نزلت فى أبي جهل وعلى هذا فليست السورة من أوائل ما نزل .

ومنهم من قال : يحتمل أن يكون خمس آيات من أول السورة نزلت أولاً ، ثم نزلت البقية بعد ذلك في شأن أبي جهل ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك إلى أول السورة ، انظر أيضاً تفسير مقاتل (ق ٤٩٩/ب) وتفسير الطبري (٢٥٣/٣٠) وتفسير القرطبي (٢٠/٢٢٢-٢٣٣) وذكر الرازي في ذلك قولاً آخر وهو أن المراد من الإنسان المذكور في هذه الآية جملة الإنسان ، وقال الرازي بعد إيراده لهذا القول : والقول الأول وإن كان أظهر بحسب الروايات إلا أن هذا القول أقرب بحسب الظاهر ، لأنه تعالى بين أن الله سبحانه مع أنه خلقه من علقه ، وأنعم عليه بالنعمة التي قدمنا ذكرها ، إذ أغناه ، وزاد في النعمة عليه فإنه يطفى ويتجاوز الحد في المعاصي وأتباع هوى النفس ، وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة .

ويبدو لي - والله أعلم بالصواب - أن القولين ليس بينهما خلاف - إذ القول بأن الآية نزلت في أبي جهل لا يعني أن حكمها خاص به دون غيره ، لأن العبرة بعدموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وعليه فنقول : إن الآية نزلت في أبي جهل ولكن حكمها يشمل جميع من كان على هذا الوصف من السطفيان وأتباع هوى النفس ومن النهى عن المعروف .

هذا وقد ذكر في ( كلاً ) هنا عدة أوجه .  
أحدها : أنه رد وتكذيب ، قاله الفيراني .

والثاني : أنه بمعنى إلا ، وكذلك " كلاً سوف يعلمون " قاله أبو حاتم السجستاني - ذكرهما الماوردي في تفسيره (٤/٤٨٣) وذكر الرازي في تفسيره (١٨/٣٢) عن الجرجاني صاحب النظم أنه بمعنى " حقاً " لأنه ليس قبله ولا بعده شيء يكون ( كلاً ) رداً له ، وهذا كما قالوه في ( كلاً والقمر ) وذكر قولاً آخر فقال : إنه زجر وردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ، وهذا اختيار الزمخشري في الكشاف (٤/٧٧٧) وأبي حيان في البحر المحيط (٨/٤٩٣) .

وقد ورد في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة أبوجهل <sup>(١)</sup> - وهو خبر غريب <sup>(٢)</sup> .

وقوله ( ليطفى ) أى يجاوز الحد فى العصيان <sup>(٣)</sup> . قال الكلبى : من الطفيان أن ينتقل من منزلة إلى منزلة فى اللباس والطعام <sup>(٤)</sup> .

وفى بعض التفاسير : هو أنه إذا كثر ماله زاد فى طعامه وشرابه وشبابه <sup>(٥)</sup> ومركبه .

( ١ ) رواه يونس بن بكير فى زوائده على سيرة ابن إسحاق ( ١٩٢ ) عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ثم ذكره بمثله . وأوردہ الماوردي فى تفسيره ( ٤٨٤ / ٤ ) عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . . . ثم ذكره .

ورواه ابن جرير فى تفسيره ( ٢٥٤ / ٣٠ ) بسنده عن قتادة فى سياق أثر له قال فيه : وكان يقال : لكل أمة فرعون ، وفرعون هذه الأمة أبوجهل " . وذكره النووى فى تهذيب الأسماء واللغات ( ٢٠٦ / ٢ ) أنه ورد فى كتب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه مقتولاً قال : قتل فرعون هذه الأمة " .

( ٢ ) اسناده منقطع لأن الحسن لم يروى النبي صلى الله عليه وسلم .

( ٣ ) قال الراغب فى المفردات ( ص ٣٠٤ ) : " طَفُوْتُ وَطَفَيْتُ طُفْوَانًا وَطُفْيَانًا وَأُطْفَأَ كَذَا حَمَلُهُ عَلَى الطُّفْيَانِ وَذَلِكَ تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي الْعِصْيَانِ ، قَالَ : إِنَّهُ طَفَى - ، إِنْ الْإِنْسَانَ لِيَطْفَى " . انظر أيضا تفسير القرطبي ( ١٢٣ / ٢٠ ) ولسان العرب ( ٨ / ١٥ ) وقال البغوى فى تفسيره ( ٢٦٩ / ٧ ) : ليتجاوز حده ويستكبر حده " .

( ٤ ) ذكره البغوى فى المصدر السابق ، قال : قال الكلبى : يرتفع عن منزلة إلى منزلة فى اللباس والطعام وغيرهما " وذكر هذا الكلام الماوردي فى تفسيره ( ٤٨٣ / ٤ ) وعزاه إلى السدى .

( ٥ ) قال مقاتل فى تفسيره ( ق ٣٩٩ / ب ) عند هذه الآية : " ( كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ) فى نعم الله عز وجل ، يعنى أبوجهل بن هشام ، وكان إذا أصاب مالا أشرب بطنه فى ثيابه ، وفى مراكبه وفى طعامه وشرابه ، فذلك طفيانه ذكره من قوله البغوى فى تفسيره ( ٢٧٠ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٧٦ / ٩ ) .

هذا وصرح الماوردي فى تفسيره ( ٤٨٣ / ٤ ) بأن فى قوله ( ليطفى ) أربعة أوجه - أحدها : أن معناه : ليعصى ، قاله مجاهد ، والثانى : ليطمر ، قاله الكلبى ، والثالث : ليرتفع من منزلة إلى منزلة ، قاله السدى ، والرابع : ليتجاوز قدره قاله ابن شجرة .

وقىما بيد ولي أن هذه المعانى كلها موجودة فى الطفيان .

وعن ابن مسعود : أنه قال : منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال ،  
لا يستويان ، أما طالب العلم فيبتغي رضا الرحمن ، وأما طالب المال فيطلب  
رضا الشيطان .<sup>(٢)</sup>

وقوله ( أن رأى استغنى ) أى رأى نفسه غنياً .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٥٩٣ / ١٢ ) : " قيل : المنهومُ الرَّغِيبُ  
الذي يَمْتَلِي بطنه ولا تنتهي نفسه " .

( ٢ ) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ( ٥٢٨ / ٤ ) عن زيد  
ابن إسماعيل الصائغ ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو عميس عن عون قال :  
قال عبد الله : منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ، ولا  
يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضي الرحمن ، وأما صاحب الدنيا  
فيتمادى في الطفيلان ، قال : ثم قرأ عبد الله : " إن الإنسان ليطغى ،  
أن رآه استغنى ) وقال للآخر : ( إنما يخشى الله من عباده العلماء )  
سورة فاطر الآية ٢٨ .

وأورد السيوطي في الدر المنثور ( ٣٦٩ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى عبد بن  
حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر .

وهذا الحديث موقوف وقد روى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
بلفظ : منهومان لا يشبعان طالبهما - طالب علم وطالب الدنيا . أخرجه  
ابن عدي في الكامل ( ١٤٥٧ / ٤ ) والطبراني في المعجم الكبير ( ٢٢٣ / ١٠ ) ،  
رقم ١٠٣٨٨ بسندهما عن أبي بكر الداهري عن إسماعيل بن أبي خالد  
عن زيد بن وهب عن عبد الله .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٣٥ / ١ ) : " فيه أبو بكر الداهري وهو  
ضعيف " ولكن للحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه البزار في مسنده ( انظر  
زوائد ٩٥ / ١ ) والطبراني في المعجم الكبير ( ٧٧ / ١١ ) رقم ١١٠٩٥ كلاهما  
من طريق جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً .

وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف كما صرح به الهيثمي في المصدر السابق ،  
ولكن إذا ضم هذا الطريق إلى الطريق السابق يصح الحديث . انظر صحيح  
الجامع الصغير ( ٣٧٤ / ٥ ) .

( ٣ ) كذا قال البيهقي والخازن في تفسيرهما ( ٢٦٩ / ٧ ) وقال القرطبي في تفسيره  
( ١٢٣ / ٢٠ ) : ( أن رأى ) : أى لأن رأى نفسه واستغنى : أى صار ذا مال  
وثروة ) وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٣ ) " ( إن الإنسان ليطغى ،  
أن رآه استغنى ) : أى يطفئ أن رأى نفسه استغنى ) ، وقال النسفي في تفسيره  
( ٢٨٢ / ٥ ) : " أن رأى نفسه ، ويقال في أفعال الطوب : رأيتني وعلمتني ، ومعنى  
الروية العلم ، ولو كانت بمعنى الإبصار لا تمنع في فعلها الجمع بين الضميرين " .  
انظر أيضاً الكشاف ( ٧٧٧ / ٧ / ٤ ) وزاد المسير ( ١٦٩ / ٩ ) .



وقوله ( إن إلى ريك الرجعى ) أى الرجوع والمرجع (١) . وقوله تعالى ( أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ) هو أبو جهل أيضاً والعبد الذى صلى هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، / وقد ثبت برواية ابن عباس (٣) أن أبا جهل قال : إن رأيت محمداً ب/ يصلى لأطأن على رقبته ، فذكر له أنه يصلى فجاهاً ليطأ على رقبته فلما قرب منه نكص (٤) على عقبه ، فقيل له : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : رأيتبني وبينه خندقاً من نار ، وهو لاء ذوأجنحة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو دنا منى لاخطفته الملائكة عضواً عضواً . خرجته مسلم فى كتابه (٥) . (٦)

(١) قال الرازى فى تفسيره (١٩/٣٢) " ( الرجعى ) المرجع والرجوع ، وهسى بأجمعها مصادر ، يقال : رجع إليه رجوعاً ومرجعاً ورجعى ، عطسى وزن فُعلى .

انظر أيضاً مجاز القرآن (٢/٣٠٤) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٣٣) ، وتفسير القرطبى (٢٠/١٢٤) وقال الزمخشورى فى الكشاف (٤/٧٧٧) " ( إن إلى ريك الرجعى ) واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطفيلان " .

(٢) نقل أبو حيان فى البحر المحيط (٨/٤٩٣) عن ابن عطية أنه قال : " لم يختلف أحد من المفسرين أن الناهى أبو جهل ، وأن العبد المصلى هو محمد صلى الله عليه وسلم " .

وذكر الزمخشورى فى الكشاف (٤/٧٧٨) عن الحسن أنه قال : إن أمية ابن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة " . ذكره الألوسى فى روح المعانى (٣٠/١٨٣) وقال : " لا يكاد يصح ، لأنه لا خلاف فى إسلام سلمان رضى الله عنه كان بالمدينة بعد الهجرة ، كما أنه لا خلاف فى أن السورة مكية ، نعم حكم الآية عام فإن كان ما حكى عن أمية واقعاً فعلمها شامل له " .

(٣) برواية أبى هريرة ، لا برواية ابن عباس ، انظر التفصيل فى تخريج الحديث .

(٤) هو من النكوص ، ومعناه الرجوع إلى وراء ، وهو القهقوى يقال : نكص ينكص فهو ناكص .

انظر النهاية (٥/١١٦) .

(٥) فى الأصل ( المسلم ) وفى نسخه " ب " ( مسلم ) وهو الصواب .

(٦) انظر صحيح مسلم كتاب صفة القيامة - باب قوله تعالى : ( إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ) ( ١٧/١٣٩ ) بسنده عن أبى هريرة ( لا عن ابن عباس كما ذكر المؤلف ) . قال : قال أبو جهل : هل يعفتر

محمد وجهه بين أظهركم ، قال : فقيل نعم ، فقال : واللوات والعزى : لئن رأيتنه يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعقرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، . . . وذكر الحديث بنحوه ، قال : فأنزل الله عز وجل - لا ندرى في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - ( كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى . . . ) الآيات .

وقد أخرجه أيضا من حديث أبي هريرة الإمام أحمد في مسنده ( ٢٧٠ / ٢ ) ، وابن جرير في تفسيره ( ٢٥٦ / ٣٠ ) والبغوي في تفسيره ( ٢٧٠ / ٧ ) كما رواه آخرون .

انظر الدر المنثور ( ٢٧٠ / ٦ ) .

وأما حديث ابن عباس فأخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب " كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . . . " ( ٨ / ٧٢٤ رقم ٤٩٥٨ ) والترمذي في سننه - كتاب التفسير باب " ومن سورة اقرأ باسم ربك " ( ٥ / ٤٤٣ - ٤٤٤ رقم ٣٣٤٨ ) وابن جرير في تفسيره ( ٢٥٦ / ٣٠ ) بسند هم عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمد يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو فعله لأخذته الملائكة \* هذا لفظ البخاري ، وليس عند هم ذكر سبب النزول كما أن لفظه مختصر - وهم المؤلف في قوله : وقد ثبت برواية ابن عباس . . . \* ثم عزا تخريجه إلى مسلم ، والصواب برواية أبي هريرة .

وقوله ( أرأيت ) هو تعجيب للسامع ، (١) وقيل معناه : أرأيت الذى بينهما —  
 عبداً إذا صلى كيفيأمن عذابى . (٢) وقيل : معناه : أمصيب هو ؟ يعنى ليس بمصيب . (٣)  
 وقول سيويوه معناه : أرأيت من كان هذا عمله أخبرنى عن أمره فى الآخرة ، وهو  
 إشارة إلى أنه يصير إلى عقوبة الله فى الآخرة . (٤)

( ١ ) ذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٧٠ / ٧ ) قال : " ومعنى ( أرأيت ) ها هنا تعجيب  
 للمخاطب ، وكرر هذه اللفظة للتأكيد " - وكذا ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير  
 ( ١٧٦ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٢٤ / ٢٠ ) - واختار الفراء فى معانى القرآن  
 ( ٢٧٨ / ٣ ) هذا القول - أى أن ذلك للتعجيب .

( ٢ ) قال القرطبى فى المصدر السابق بعد أن ذكر القول الأول ( أى أن ذلك تعجيب  
 للسامع ) : وقيل : فى الكلام حذف والمعنى : أمِنَ هذا الناهى عن الصلاة من العقوبة .  
 ( ٣ ) ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٧٨ / ٩ ) عند قوله تعالى ( " أرأيت إن كذب وتولى )  
 عن ابن الأنبارى أنه قال : ( أرأيت مصيياً ) .

( ٤ ) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبوبشر ويقال : أبو الحسن الفارسى ، ثم البصرى المعروف  
 بسيويوه ، إمام البصريين ، كان أصله من البياض من أرض فارس ، ونشأ بالبصرة  
 وذكروا فى سبب تلقيه بسيويوه عدة أوجه منها أن وجنتيه كانتا كالتفاحتين  
 بديع الحسن ، وقيل : لقب بذلك للطافته ، نقل السبوطى عن الأزهري أنه  
 قال : كان سيويوه علامة ، حسن التصنيف جالس الخليل وأخذ عنه ، وقال فيه  
 الذهبى : إمام النحو ، حجة العرب . . . وقد طلب الفقه والحديث مدة ،  
 ثم أقبل على العربية ، فبرع وساد أهل المصر وألف فيها كتابه الكبير الذى لا يدرك  
 شأوه فيه ، توفى سنة ثمانين ومائة .  
 سير أعلام النبلاء ( ٣٥١ / ٨ - ٢٥٢ ) وبغية الوعاة ( ٢٢٩ / ٢ - ٢٣٠ ) .

( ٥ ) لم أجد هذا الكلام .  
 وذكر الفراء فى معانى القرآن ( ٣٣٣ / ١ ) عند قوله : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ " (سورة  
 الأ نعام الآية ٤٠ ) أن العرب لها فى ( أرأيت ) لغتان ومعنيان أحدهما  
 أن يسأل الرجل الرجل : أرأيت زيداً بعينك ؟ فهذه مهموزة ، والثانى :  
 أن تقول : أرأيتك وأنت تريد ( أخبرنى ) وتهمزها وتنصب التاء منها  
 وتترك الهمز إن شئت ، وهو أكثر كلام العرب . واختار الزمخشري فى الكشاف  
 ( ٧٧٧ / ٤ ) والألوسى فى روح المعانى ( ١٨٣ / ٣٠ - ١٨٤ ) أن المراد من  
 ( أرأيت ) فى الآية : أخبرنى .

ويبدو لى أن الصواب من هذه الأقوال هو هذا القول يعنى أن المراد من  
 ( أرأيت ) فى هذه الآيات ( أخبرنى ) وإذا قلنا : إن المراد منه تعجيب السامع  
 فذلك لا يتناسب مع قوله ( أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ) فإن السدى  
 هذا وصفه لا يتعجب منه .

هذا وذكر الألوسى أن الخطاب فى ( أرأيت ) لكل من يصلح أن يكون مخاطباً  
 ممن له مسكة ، وهذا اختيار جمع من المفسرين .

قوله تعالى ( أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقوله ( أرأيت إن كذب وتولى ) يعنى أباً جهل<sup>(١)</sup> ، والمعنى : إن من كذب وتولى ونهى عبداً إذا صلى ، كيف يكون كمن آمن بربه واتقى<sup>(٢)</sup> وصلى .

( ١ ) ذكر ذلك البغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٧٠ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٧٨ / ٩ ) وهو قول الفراء وابن عطية كما ذكره عنهما أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٩٤ / ٨ ) ثم إن هناك قولاً آخر وهو أن الضمير فى ( إن كان ) وفى ( إن كذب ) عائد على الناهى ، وهو أبوجهل ، اختاره الزمخشري فى الكشف ( ٧٧٧ / ٤ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٩٤ / ٨ ) والاكوسى فى روح المعانى ( ١٨٤ / ٣٠ ) .

( ٢ ) لم أجد من ذكر هذا المعنى للآية .

وذكر الفراء فى معانى القرآن ( ٢٧٨ / ٣ ) أن المعنى : أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى وهو كاذب متول عن الذكر ؟ أى : فما أعجم من ذا ، وقد ذكره عنه ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٧٨ / ٩ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٩٤ / ٨ ) ، وقال القوطى فى تفسيره ( ١٢٤ / ٢٠ ) عند تفسير هذه الآية : " أرأيت يا أبوجهل إن كان محمد على هذه الصفة ، أليس ناهيه عن التقوى والصلاة هالكاً " . وقد تقدم عن ابن الأنبارى أنه قال : أرأيت مصيباً .

وقال الزمخشري وهو القائل بأن المراد فى الآيتين أبوجهل : " معناه : أخبرنى عن ينهى بعض عباد الله... أو كان آمراً بالمعروف والتقى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد ، وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح ، كما نقول نحن ( ألم يعلم بأن الله يرى ) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله ، فيجازه على حسب ذلك وهذا وعيد ، الكشف ( ٧٧٨ / ٤ ) .

وقال الاكوسى وهو أيضاً مع الزمخشري فى القول بأن المراد أبوجهل : ( وفصل بين الجمل للاعتناء بأمر التشنيع والوعيد حيث أشعر أن كل جملة مقصودة على حيالها ، فشنع سبحانه على الناهى أولاً نهييه عن الصلاة وأوعده عليه مطلقاً بقوله تعالى ( أرأيت الذى... ) الخ أى أخبرنى يا من له أدنى تمييز أو أيها الإنسان عن ينهى عن الصلاة بعض عباد الله تعالى ألم يعلم بأن الله تعالى يرى ويطلع فيجازه على ذلك النهى ، وشنع سبحانه عليه ثانياً بنهييه عن ذلك وأوعده عليه أيضاً على تقدير أنه على زعمه على هدى ورشد فى نفس النهى أو أنه أمر.../...

بواسطته بالتقوى لأن النهى عن الشيء أمر بضده أو مستلزم له ، فقال تعالى شأنه :  
 ( رأيت إن كان ) الخ أى أخبرنى عن ذلك الناهى : ألم يعلم بأن الله  
 تعالى يطلع فيجازيه إن كان على هدى ورشد فى نفس النهى أو كان أمراً بواسطته  
 بالتقوى كما يزعم ، وشنع جل شأنه عليه ثالثاً بذلك وأوعده عليه أيضاً على  
 تقير أنه فى نفس الأمر وفيما يقوله تعالى : مكذباً بحقبة الصلاة متولياً  
 عنها معرضاً عن فعلها بقوله تعالى : ( رأيت إن كذب . . . ) الخ  
 أى أخبرنى عن ذلك الناهى أولم يعلم بأن الله تعالى يطلع على أحواله إن  
 كذب بحقبة مانهى عنه وأعرض عن فعله على ما نقول نحن ، والحاصل أنه تعالى شنع  
 وأوعد على النهى عن الصلاة بدون تعرض لحاله الزعمى أو الحقيقى ، ثم  
 شنع وأوعد جل وعلا عليه مع التعرض لحاله الزعمى ثم شنع عز وجل وأوعد عليه  
 مع التعرض لحاله الحقيقى ، وهذا كالترقى فى التشنيع <sup>روح المعانى (١٨٤/٣٠)</sup>  
 وهذا تفسير جيد على القول بأن الضمير فى ( إن كان ) وفى ( إن كذب )  
 يعود على الناهى .

والصواب فيما أرى - والله أعلم بالصواب - أن الضمير فى الأول يعود إلى  
 المصلى وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الثانى إلى الناهى وهو أبو جهل ، وعلى  
 هذا فسر ابن كثير الآيات فقال : قال تعالى : \* ( رأيت الذى ينهى عبداً  
 إذا صلى ) نزلت فى أبى جهل لعنه الله ، وتوعد النبى صلى الله عليه وسلم على  
 الصلاة عند البيت فوعظه الله تعالى بالتي هى أحسن أولاً ، فقال : ( رأيت إن  
 كان على الهدى ) أى فما ظنك إن كان هذا الذى تنهاه على الطريق المستقيمة فى  
 فعله ( أو أمر بالتقوى ) بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ، ولهذا قال ( ألم  
 يعلم بأن الله يرى ) أى أما علم هذا الناهى لهذا المهتدى أن الله يراه ويسمع  
 كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء \* .

وقوله ( ألم يعلم بأن الله يرى ) هو تهديد ووعيد .  
 قوله تعالى ( كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ) أي لنجرن بناصيته إلى  
 النار . (٢) وقيل : لنسودن وجهه ، وذكر الناصية ليدل على الوجه .  
 (٣)

(١) قد صرح الرازي في تفسيره (٢٢/٣٢) والقرطبي في تفسيره (١٢٤/٢٠) بأن  
 هذه الآية تهديد وتوبيخ ، ونقل أبوحيان في البحر المحيط (٤٩٤/٨) عن الفراء  
 قوله : هذا تقرير وتوبيخ \* كما نقل عن ابن عطية أنه قال : ( ألم يعلم أن الله يرى )  
 اكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاثة يصلح مع كل واحد منها جاء بها  
 في نسق ثم جاء بالوعيد الكافي بجميعها اختصاراً واقتضاباً ، ومع كل تقرير تكلمة  
 مقدره تتسع العبارات فيها \* .

ووضح الرازي هذا التهديد والوعيد بقوله : والمعنى : أنه تعالى عالم بجميع  
 المعلومات ، حكيم لا يهمل ، عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء  
 فلا بد وأن يوصل جزاء كل أحد إليه بتمامه ، فيكون هذا تخويفاً شديداً للعصاة  
 وترغيباً عظيماً لأهل الطاعة \* .

(٢) ذكر هذا المعنى ابن الجوزي في زاد المسير (١٧٩/٩) عن الزجاج قال : قال  
 الزجاج : يقال : سفعت الشيء : إذا قبضت عليه وجذبتة جذباً شديداً ، والمعنى  
 : لَنَجْرِنَنَّ ناصيته إلى النار \* وكذا ذكره القرطبي في تفسيره (١٢٥/٢٠) عن  
 المبرد ، وقال البغوي والخازن في تفسيرهما (٢٧٠/٧) : \* أي لناخذن بناصيته  
 فلنجرننه إلى النار ، كما قال \* فَيَوْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ \* ( سورة الرحمن الآية  
 ٤١ ) ، يقال : سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبتة جذباً شديداً \* . وهذا  
 المعنى ( أي أن السفع هو الأخذ ) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٠٤/٢)  
 والفراء في معاني القرآن (٢٧٩/٣) وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٣)  
 وابن منظور في لسان العرب (١٥٨/٨) - وذكره الماوردي في تفسيره (٤٨٥/٤)  
 عن ابن عباس ، وقال : وهو عند العرب يبلغ في الاستدلال والهوان ، وقد اختار  
 هذا المعنى كثير من المفسرين - حيث اكتفوا بذكره دون غيره .

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن (٢٧٩/٣) قال : \* ويقال : لنسودن وجهه ،  
 فكفت الناصية من الوجه ، لأنها في مقدم الوجه \* .

وكذا ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٥٥/٣٠) والماوردي في تفسيره (٤٨٥/٤) ،  
 والرازي في تفسيره (٢٣/٣٢) ونقل عن الخليل أنه قال : تقول للشيء إذا لفحتة  
 النار لفتحاً يسيراً يغير لون البشرة قد سفعت النار ، - ثم قال : بالجملة فتسويد  
 الوجه علامة الإذلال والإهانة \* .  
 انظر لسان العرب (١٥٨/٨) .

وقيل : لَنَسِمَنَّ موضع الناصية بالسواد فاكتفى به من سائر الوجوه .<sup>(١)</sup>  
 وفي اللفظة : الأسفع : الثور الوحشى الذى فى خدّيه سواد .<sup>(٢)</sup>  
 وأنشدوا على القول :<sup>(٣)</sup>  
 قومٌ إذا فزعوا الصرِيخَ رأيتهم<sup>(٤)</sup>  
 من بين طُجَمٍ مُهرِهٍ أو سفِجِ<sup>(٥)</sup> .  
 أراد وأخذ بناصيئة .<sup>(٦)</sup>

(١) ذكره الرازى فى تفسيره (٢٣/٣٢) ونقل عن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى  
 : " سنسمه على الخرطوم " (سورة النجم الآية ١٦) إنه أوجهل ، وقد أشار  
 إليه الأزهري فى تهذيب اللفظة (١٠٨/٢) وذكر أنه مثل قوله تعالى :  
 ( سنسمه على الخرطوم " .

وقال ابن كثير فى تفسيره (٥٢٨/٤) : أى لَنَسِمَنَّها سواداً يوم القيامة "   
 وفى معناه قولان آخران - أحدهما : لَنَدَلَّيْنَهُ - ذكره الرازى فى تفسيره (٢٣/٣٢)   
 وهو اختيار الفراء فى معانى القرآن (٢٧٩/٣) . والثانى : لنلطنن وجهه ،   
 والسفع هو الضرب ، ذكره الرازى والقرطبي فى تفسيره (١٢٥/٢٠) . وقال القرطبي   
 بعد أن ذكر ببعض هذه المعانى : أى يجمع عليه الضرب عند الأخذ ، ثم يجتر   
 إلى جهنم " .

(٢) ذكره ابن منظور فى لسان العرب (١٥٧/٨) قال : والأسفع : الثور الوحشى   
 الذى فى خدّيه سواد يضرب إلى الحمرة قليلاً " .

(٣) كذا فى النسختين (القول) والصواب (القول الأول) ويدل على ذلك قوله فيما بعد   
 ( وأنشدوا على القول الثانى ) .

(٤) كذا فى النسختين والصحاح (فزعوا) وفى ديوان حميد بن ثور (سمعوا) وكذا   
 فى لسان العرب ، وفى الكشاف (نقع) .

(٥) البيت لحميد بن ثور الهلالي . انظر ديوانه (ص ١١١) . وأنشده الأزهري فى   
 تهذيب اللفظة (١٠٨/٢) والجوهري فى الصحاح (١٢٣٠/٣) وابن منظور فى   
 لسان العرب (١٥٨/٨) والزمخشري فى الكشاف (٧٧٨/٤) والقرطبي فى تفسيره   
 (١٢٥/٢٠) وأبوحيان فى البحر المحيطة (٤٩١/٨) كله دون عزو إلى قائله   
 إلا أباحيان فإنه عزاه إلى عمرو بن معد يكرب والصواب أنه لحميد بن ثور الهلالي .

(٦) قال الأزهري فى الصادر السابق : " فأما من قال : (لنسفن بناصيئة)   
 أى لناخذن بها إلى النار فحجته قول الشاعر ، ثم أنشد البيت ، وقال :   
 " وأراد : وأخذ بناصيته " .

وأُشِدُّ عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي :  
 وَكَتَبْتُ إِذَا نَفَسَ الْغَوِيُّ نَزَتْ بِهِ (٢) سَفَعْتُ عَلَى الصِّرِينِ (٣) مِنْهُ بِمِيسِرٍ (٤)  
 أَرَادَ : وَسَمَّتهُ عَلَى عَرِينِيهِ . (٥)

وقوله ( ناصية كاذبة خاطية ) أى ناصية صاحبها كاذب خاطئ (٦) .

وقوله تعالى ( فليدع ناديه ) : روى أن أبا جهل لما أنكر على النسبي صلى الله عليه وسلم صلاته انتهره النبي عليه الصلاة والسلام فقال له أبوجهل : انتهرني يا محمد وما بها أكبر نادياً منى أعمر مجلساً وأكثر قوماً ، فأنزل الله تعالى ( فليدع ناديه ) (٧) أى قومه الذى يتميز بهم ، وهم أهل مجلسه . (٨) (٩)

(١) فى الأصل (إلى) وفى نسخة "ب" (على) وفى المصادر الأخرى (إذا) وهو الصواب .  
 (٢) هو من النزو ، يقال : نزوت على الشئ أنزوت نزواً إذا وثبت عليه . انظر لسان العرب (٣١٩/١٥) .

(٣) فى نسخة "ب" (القرآن) وهو خطأ والعرينين ، هو الأنف ، تقدم التعريف به .  
 (٤) البيت للأعشى . انظر ديوانه (ص ١٨٢) ، وفيه (نوت) بدل (نزت) و(صفت) بدل (سفعت) وأنشده أيضاً الأزهري فى تهذيب اللغة (١٠٨/٢) وابن منظور فى لسان العرب (١٥٨/٨) وعندهما (نزت) و(سفعت) .  
 (٥) قال بمثله الأزهري وابن منظور .

(٦) ذكره ابن الجوزي فى زاد المسير (١٧٩/٩) وهو كما يقال : نهاره صائم وليله قائم ، أى : هو صائم فى نهاره ، قائم فى ليله . وذكره البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٧٠/٧) والقرطبي فى تفسيره (١٢٦/٢٠) وفيه قول آخر وهو أن المعنى : ناصية أبى جهل كاذبة فى قولها ، خاطئة فى فعلها - ذكره الماوردى فى تفسيره (٤٨٦/٤) والقرطبي فى تفسيره (١٢٦/٢٠) وقال : ووصف الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر فى قوله تعالى : (إلى ربها ناظرة) سورة القيامة الآية ٢٣ .

وقال أبو حيان فى البحر المحيطة (٤٩٥/٨) : وصفها بالكذب والخطأ مجازاً والحقيقة صاحبها ، وذلك أحرى من أن يضاف ، فيقال : ناصية كاذب خاطئ ، لأنها هى المحدث عنها فى قوله (لنسفعا بالناصية) .

(٧) أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب التفسير - باب "ومن سورة اقرأ باسم ربك" (٤٤٤/٥) ، رقم (٣٣٤٩) والإمام أحمد فى مسنده (٢٥٦/١) وابن جرير فى تفسيره (٢٥٥/٣٠ - ٢٥٦) والواحدى فى أسباب النزول (ص ٣٣٩) كلهم من طريق داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب صحيح .

(٨) فى الأصل (وهو) وفى نسخة (ب) (وهم) وهو الصواب .  
 (٩) قال البغوى فى تفسيره (٢٧١/٧) : "أى قومه وعشيرته ، أى فليستنصر بهم" . وقال ابن الجوزي فى زاد المسير (١٧٩/٩) : "أى أهل ناديه ، وهم أهل مجلسه فليستنصر بهم" وقال الفراء فى معانى القرآن (٢٧٩/٣) : "والعرب تقول : النادى يشهدون عليك ، يجعلون : النادى والمجلس والمشهد ، والشاهد القوم قسوم الرجل" .



وقوله ( سندع الزبانية ) هم الملائكة الذين قال الله تعالى في وصفهم ( عليها ملائكة غلاظ شداد <sup>(١)</sup> ) ، وقيل : هم أعوان ملك الموت ، وواحد الزبانية : زبانية <sup>(٢)</sup> ،

( ١ ) سورة التحريم الآية ٦ .  
وهذا القول ذكره البغوي في تفسيره ( ٢٧١ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٧٩ / ٩ ) وابن منظور في لسان العرب ( ١٩٤ / ١٣ ) وعزاه البغوي وابن منظور إلى الزجاج ، وعزاه ابن الجوزي إلى عطاء\* وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٢٦ / ٢٠ ) عن ابن عباس وغيره .

( ٢ ) لم أجد من ذكر هذا القول .  
وروى عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٧٤ / ١ ) عن معمر عن قتادة أنه قال : الزبانية في كلام العرب الشرط\* وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٧٠ / ٦ ) وعزاه تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأنا لم أجد في تفسير الطبري ، وقد أورده الرازي في تفسيره ( ٢٥ / ٣٢ ) ولكنه قال : قال قتادة : الزبانية هم الشرط في كلام العرب ، وهم الملائكة الغلاظ الشداد\* .

انظر قول قتادة أيضا في تفسير غريب القرآن ( ٥٣٣ ) والكشاف ( ٧٧٩ / ٧ ) وزاد المسير ( ١٧٩ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٢٦ / ٢٠ ) .

وذكر مقاتل في تفسيره ( ٢ / ٤٠٠ / ١ ) أنهم خزنة جهنم ، أرجلهم في الأرضين السفلى ، وروء وسبهم في السماء\* وذكر البغوي في تفسيره ( ٢٧١ / ٧ ) عن ابن عباس أنه قال : يريد زبانية جهنم ، لأنهم يدفعون أهل النار إليها\* .

قال ذلك لأن هذه الكلمة مأخوذة في قول أهل اللغة من الزين وهو الدفع ، ومنه المزينة في البيع ، .

انظر تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٣ ) وتفسير البغوي ( ٢٧١ / ٧ ) والكشاف ( ٧٧٩ / ٤ ) وزاد المسير ( ١٧٩ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٢٦ / ٢٠ ) والصاح ( ٢١٣٠ / ٥ ) ولسان العرب ( ١٩٤ / ١٣ ) .

وذكر في سبب تسميتهم قول آخر وهو أنهم سموا الزبانية ، لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم ، ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٢٦ / ٢٠ ) عن أبي الليث السمرقندي .

وقد ذكر هذا الكلام الفراء\* أيضا في معاني القرآن ( ٢٨٠ / ٣ ) ويبدو لي أن الأرجح هو أن المراد من الزبانية خزنة جهنم من الزين وهو الدفع والله أعلم بالصواب .

( ٣ ) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٣٠٤ / ٢ ) وقال أيضا : " وكل متمرد من إنسس أوجان يقال : فلان زبانية عفرية وكذا ذكر ابن قتيبة أيضا في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٣ ) والأخفش في معاني القرآن ( ٥٤١ / ٢ ) وغيرهم من أصحاب اللغة والتفسير .

وفي قول الكسائي زَبَانِي (١) ، وعن بعضهم زَبَان (٢) .

وقوله ( كَلَّا لَا تَطَعَهُ ) واسجد واقترب ( أى واسجد لله ، واقترب فيه بالطاعة ) (٣) .

(١) كذا ذكره المؤلف عن الكسائي . وهو خلاف ما ذكره عنه الفراه في معاني القرآن ( ٢٨٠ / ٣ ) فإنه قال : قال الكسائي بأخبرة : واحد الزبانية زَبَانِي وكان قبل ذلك يقول : لم أسمع لها بواحد ، ولست أدري أقياساً منه أو سماعاً . وكذا ذكره ابن منظور في لسان العرب ( ١٩٤ / ٣ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٢٦ / ٢٠ ) .

وأما الزبَانِي فذكره الأخفش في معاني القرآن ( ٥٤١ / ٢ ) دون تصريح بعزوه إلى شخص معين . وكذا ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٢٦ / ٢٠ ) دون عزو إلى أحد .

(٢) كذا في النسختين ، ولعل الصواب ( زابن ) لأنه هو الذي جاء ذكره عنده أصحاب اللغة في مفرد الزبانية ، ذكره الأخفش في معاني القرآن ( ٥٤١ / ٢ ) ، وقال : " سمعت ( الزابن ) من عيسى بن عمر . انظر أيضاً الصحاح ( ٢١٣٠ / ٥ ) ولسان العرب ( ١٩٤ / ٣ ) . وقال الأخفش بعد أن ذكر هذه الأقوال في مفرد الزبانية : والعرب لا تكسار تعرف هذا ، وتجعله من الجميع الذي لا واحد له مثل أبابيل " .

(٣) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٢٩ / ٩ ) وقال : " وهذا قول الجمهور أن قوله تعالى ( واقترب ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم " وقال الماوردي في تفسيره ( ٤٨٦ / ٤ ) : " اسجد أنت يا محمد في صلاتك لتقرب من ربك ، فإن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد له " .

وقيل " واسجد يا محمد . واقرب يا أجهل . لترى عقوبة الله (١) وهو قول غريب . (١)

(١) ذكره ابن الجوزي في المصدر السابق له ، قال بعد أن ذكر القول الأول : وقد قيل : إنه خطاب لأبي جهل ، ثم فيه قولان - أحدهما : أن المعنى : اسجد أنت يا محمد ، واقرب أنت يا أبا جهل من النار ، قاله زيد بن أسلم " وهذا ذكره أيضا الماوردي في تفسيره (٤٨٦/٤) والقوطبي في تفسيره (٢٠ / ١٢٨) من قول زيد بن أسلم .

ثم ذكر القول الثاني فقال : واقرب يا أبا جهل تهديداً له ، رواه أبو سليمان الدمشقي عن بعض القدماء " . انظر تفسيره (١٨٠/٩) .

وذكر هذا القول الرازي في تفسيره (٢٦ / ٣٢) فقال : قال بعضهم : المراد اسجد يا محمد ، واقرب يا أبا جهل منه حتى تبصر ما ينالك من أخس الزبانية إياك " ثم ذكر أن هذا تهكم واستحقار لشأنه ، وذكر أيضا قول الجمهور في معنى ( اقرب ) فقال : المراد : " وابتغ بسجودك قرب المنزل من ربك ، ثم ذكر الحديث : " اقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد " .

وأما ( اسجد ) فذكر فيه ثلاثة أقوال :-  
أحدهما : أن معناه " صلّ وتوفّر على عبادة الله تعالى فعلاً وإبلاغاً .  
وعزاه إلى أكثر أهل التأويل .

والثاني : أن المراد الخضوع ، والثالث : أن المراد نفس السجود في الصلاة .  
وذكر ابن العربي في أحكام القرآن (٤ / ٩٦٠) وتبعه القوطبي في تفسيره (٢٠ / ١٢٨) احتمالين في قوله تعالى ( اسجد ) .  
الأول : يحتمل أن يكون سجود الصلاة ، والثاني : يحتمل أن يكون سجود التلاوة .

ثم قال ابن العربي : الظاهر أنه سجود الصلاة ، لقوله " رأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى " إلى قوله : " كلاً لا تطعه واسجد واقرب " لولا ما ثبت في الصحيح من رواية مسلم وغيره من الأئمة عن أبي هريرة أنه قال : سجدت مع للنبي صلى الله عليه وسلم في " إذا السماء انشقت " وفي : " اقرأ باسم ربك الذي خلق " سجدتين ، لكان هذا نصاً على أن المراد به سجود التلاوة " والحديث الذي ذكره أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب المساجد باب سجود التلاوة (٥ / ٧٧ - ٧٨) من طرق عن أبي هريرة .

(٢) لأنه يترتب عليه اختلال في تناسق الضمائر الذي يقتضيه النظم ، فالصواب هو القول الأول يعني أن الخطاب في كلا الأمرين للنبي صلى الله عليه وسلم .

(١) تفسير سورة القدر وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ( إنا أنزلناه في ليلة القدر ) أي القرآن وقد ذكرنا : أن الله تعالى أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، ثم أنزله تفريقاً على الرسول صلى الله عليه وسلم بعينه في إثر بعض .  
(٢)

(١) اختلف المفسرون في هذه السورة هل هي مدنية أم مكية على قولين : أحدهما : أنها مكية - ذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٤/٤٨٩) وعزاه إلى الأكثرين . وذكره الثعلبي في تفسيره (١٣/١٢٣/١) من قول قتادة ، وقال : وهي رواية نوفل بن أبي عقرب عن ابن عباس .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٧٠) عن ابن عباس وعائشة أنهما قالا : نزلت سورة ( إنا أنزلناه في ليلة القدر ) بمكة ، وعزاتخرجه إلى ابن مردويه .

والقول الثاني : أنها مدنية ، وهو قول الضحاك ومقاتل ، وأحد قولي ابن عباس ، وقال الواقدي : أنها أول سورة نزلت بالمدينة ، ذكره الثعلبي في تفسيره (١٣/١٢٢/ب) وعزاه على العكس من الماوردي إلى الأكثرين .

ويستدل على كونها مدنية بما أخرجه الترمذي في سننه عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية ، فقال : سؤد توجهوه المؤمنيين . . . الحديث . وسيأتي ذكره بتمامه عند المؤلف ، ولكنه حديث منكر جداً ، انظر تخريجه والكلام عليه مفصلاً ( في ص ٩٦٦ ) . والصواب أن السورة مكية ، عزاه السيوطي في الإتيقان (١/١٤) : إلى أكثر المفسرين . انظر أيضاً تفسير مقاتل (١/٢٤٦) نسخة أمانة وزاد المسير (٩/١٨١) وتفسير القرطبي (٢٠/١٢٩) .

(٢) تقدم ذلك عند قوله تعالى ( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ) سورة البقرة الآية ١٨٥ انظر القسم المحقق من الكتاب ص ٣٣٦ ) .

وروى ابن جرير في تفسيره (٣٠/٢٥٩) بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، فكان بموقع النجوم ، فكان الله ينزله على رسوله بعينه في إثر بعض . وفي ذلك روايات أخرى كثيرة . انظر المصدر السابق ، والدر المنثور (٦/٣٧٠) وانظر أيضاً تفسير البغوي (٧/٢٧١) وزاد المسير (٩/١٨١) وتفسير القرطبي (٢٠/١٢٩) ، وتفسير ابن كثير (٤/٥٢٩) .

.. / ..

هذا وقد ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٨٩ / ٤ ) قولين في معنى الآية أحدهما هو ما تقدم من أثر ابن عباس ، ولكنه ذكر هذا الأثر بلفظ يخالف ما ذكره عنه الجمهور ، إن جاء فيه أن القرآن نزل في هذه الليلة المباركة من عند الله تعالى إلى السفارة الكسرام الكاتبين ، ونجمته السفارة إلى جبريل ، في عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد اشتهر إنكار ابن العربي على هذا القول ، فإنه قال : " ومن جهالة المفسرين أنهم قالوا : إن السفارة أُلقت إلى جبريل في عشرين ليلة وألقاه جبريل إلى محمد عليهما السلام في عشرين سنة ، وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة ، ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة " . أحكام القرآن ( ١٩٦٢ / ٤ ) .

والقول الثاني : أن معنى الآية : أن الله تعالى ابتداءً بإنزاله في ليلة القدر قاله الشعبي ، وقد روى هذا القول عن الشعبي ابن جبرير في تفسيره ( ٢٥٨ / ٣٠ ) كما روى عنه قولاً آخر موافقاً لقول الجمهور ، والصواب هو ما عليه الجمهور ، وهو أن الله تعالى أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبي عليهما السلام بفضه على إثر بعثه ، قال النحاس فسي إعراب القرآن ( ٧٤٢ / ٣ ) :

" وأما الحديث في تنزيل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فصحيح غير مدفوع عند أهل السنة ، وإنما يدفعه قول من أهل الأهواء " .

والهاء كناية عن القرآن وإن لم يكن القرآن مذكوراً وصح ذلك لأنه معلوم . (١) وليلية  
القدر : هو ليلية الحكم . (٢)

قال الحاكم في التفسير : إن الله تعالى يقسم فيها الأرزاق والأعمال . (٣)

(١) قال أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٤١) : " والهاء كناية عن القرآن ، وإن كان لم يتقد له ذكر في هذه السورة ، وأكثر النحويين يقولون : لأنه قد عرفت المعنى " هكذا ذكره غير واحد من المفسرين . انظر على سبيل المثال ، مشكل إعراب القرآن (٢/٤٨٧) وتفسير البغوي (٧/٢٧١) وأحكام القرآن (٤/١٩٦١) وزاد المسير (٩/١٨١) وتفسير القرطبي (٢٠/١٢٩) وذكر النحاس قولين آخرين ، فقال : ومن العلماء من يقول : جازت الكناية في أول السورة ، لأن القرآن كله بمنزلة سورة واحدة لأنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا " ثم ذكر القول الثالث فقال : وقول ثالث بنين حسن وهو ( إنا أنزلناه ) يدل على الإنزال والمنزل .

(٢) هو قول مجاهد ، رواه عبد الرزاق في تفسيره (ق ١٧٤/ب) وابن جرير في تفسيره (٣/٢٥٩) كلاهما من طريق الثوري عن ابن أبي نجيح عنه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٧٠) وعزا تخريجه أيضاً إلى الفريابي وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) لم أجد هذا الكلام في تفسير مجاهد عند هذه الآية ، وقد جاء فيه في أول سورة الدخان : أنه قال : في ليلية القدر يفوق كل أمر يكون في السنة ، إلى مثلها من السنة الأخرى من المعاش والمصائب كلها إلا الحياة والموت " تفسيره (٢/٥٨٧ - ٥٨٨) وكذا أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٥) في أول سورة الدخان وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر " وأورد هذا المعنى عين آخرين من أئمة التفسير أيضاً " . وهذا أحد الأقوال في سبب تسميتها بذلك ، وقد اختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٤) وفي سبب تسميتها أقوال أخرى أوصلها ابن الجوزي في زاد المسير (٩/١٨٢) إلى أربعة أقوال وأوصلها القرطبي في تفسيره (٢٠/١٣٠-١٣١) إلى سبعة أقوال ، وأما أبو جعفر النحاس فاكتمى في إعراب القرآن (٣/٧٤٣) بذكر القولين منها ، فقال : فأما تسميتها بلييلة القدر ففيه قولان ، أحدهما أنها ليلية الجلالة والتعظيم ، من قولهم لفلان قدير " - ( أي شرف ومنزلة ) وقد ذكره ابن الجوزي والقرطبي من قول الزهري - ثم ذكر القول الثاني فقال : والقول الآخر وهو الذي عليه العلماء المتقدمون ، أنها سميت ليلية القدر ، لأنها تقدر فيها آجال العباد وأرزاقهم . كما قال قتادة : يقدر في ليلية القدر ما يكون إلى السنة الأخرى من الآجال والأرزاق " .

وكذلك ذكر ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٦١) القولين . وقال في القول بأنها ليلية التدبير والتقدير : وهو أقرب لقوله " فيها يفوق كل أمر حكيم (سورة الدخان الآية ٤) ويدخل فيه الشرف والرفعة ) .

قلت : وكذلك توجد في معاني الأقوال الأخرى التي ذكرها ابن الجوزي والقرطبي عن أئمة التفسير . انظر أيضاً لمعرفة ما قيل في سبب تسميتها بتفسير الماوردي (٤/٤٩٠) وتفسير البغوي (٧/٢٧٤) وشرح النووي على صحيح مسلم (٨/٥٧) وفتح الباري (٤/٢٥٥) وطرح التثريب (٤/١٥٠) .

واختلفوا في ليلة القدر ، فحكى عن بعضهم أنها رفعت حين توفي النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> ، وليس بصحيح ، بل هي باقية إلى قيام الساعة ، <sup>(٢)</sup> .

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال : في الحول : ومن يقم حولاً <sup>(٣)</sup> .  
يصبها .

( ١ ) ذكر هذا القول البغوى في تفسيره ( ٢٧٤ / ٧ ) وابن الجوزى في زاد المسير ( ١٨٢ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٣٥ / ٢٠ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٣٢ / ٤ ) وابن حجر في فتح البارى ( ٢٦٣ / ٤ ) .  
وقال ابن حجر : حكاه المتولى في التتمة عن السروافى ، والفاكهانى فى شرح العمدة عن الحنفية وكأنه خطأ منه ، والذي حكاه السروجى أنه قول الشيعة .

وصرح ابن كثير بأنه قول بعض طوائف الشيعة ، وذكر أنهم استدلوا على ذلك بالحدِيث الذى رواه البخارى فى صحيحه كتاب فضل ليلة القدر - باب معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس ( ٢٦٧ / ٤ رقم ٢٠٢٣ ) عن عبادة ابن الصامت قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحي رجلان من المسلمين ، فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحي فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خير لكم ، فالتسوها فى التسامعة والسابعة والخامسة فاستدلوا بقوله ( رفعت ) أنها رفعت بالكلية .

( ٢ ) أنكره جميع من تقدم ذكره فى الهامس السابق . فقال البغوى : وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة .  
وقال ابن الجوزى : والصحيح بقاؤها ، وقال القرطبي " والصحيح أنها باقية " وأورد ابن حجر بعد ذكره لهذا القول ما رواه عبد الرزاق فى مصنفه ( ٢٥٥ / ٤ رقم ٧٧٠٧ ) من طريق عبد الله بن يحيى قال : قلت لأبى هريرة : زعموا أن ليلة القدر رفعت ، قال : كذب من قال ذلك " وأما الاستدلال بما جاء فى الحدِيث من قوله ( رفعت ) فقال ابن كثير : إن المراد رفع علم وقتها عيناً " وقال أيضا فى المصدر نفسه ( ٥٣٤ / ٤ ) : قوله ( رفعت ) " أى رفع علم تعيينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة لأنه قد قال بعد هذا : فالتسوها فى التسامعة والسابعة والخامسة " - فلو كان الأمر كما قالوا لما قال صلى الله عليه وسلم ( فالتسوها ) وذكر نحوه النووى فى المجموع ( ٤٠٢ / ٦ ) .

( ٣ ) لم أجد من روى عنه هذا القول فى سياق مستقل ، وإنما جاء ذلك فى سياق الرواية لزي بن حبيش عن أبى بن كعب - سياى ذكرها قريباً - وقد ذكره من قوله الجصاص فى أحكام القرآن ( ٤٧٤ / ٣ ) واختاره ابن العربى فى أحكام القرآن ( ١٩٦٥ / ٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٧٤ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٨٣ / ٩ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٣٥ / ٢٠ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٥٣٢ ) وابن حجر فى فتح البارى ( ٢٦٣ / ٤ ) وقال وهو قول مشهور عن الحنفية - حكاه قاضى خان وأبو بكر الرازى ( أى الجصاص ) ، وروى مثله عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما " . انظر أيضا المجموع للنووى ٤٠٢/٦ .  
.../...

قال الجصاص : ولم يقل ابن مسعود : " من يقم الحول يصبها " إلا من طريق التوقيف ، إذ لا يعلم ذلك إلا بوحي من الله تعالى إلى نبيه ، فثبت بذلك أن ليلة القدر غير مخصوصة بشهر من السنة وأنها قد تكون في سائر السنة .

وقد رده ابن كثير فقال مستدلاً بحديث أبي ذر الذي جاء فيه التصريح بأنها في رمضان : وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور كما روى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء .

وذكر ابن حجر عن المهلب أنه رد ، هذا القول ، وقال : ولعل صاحبه بناء على دوران الزمان لنقصان الأهلة ، وهو فاسد لأن ذلك لم يعتبر في صيام رمضان فلا يعتبر في غيره حتى تنقل ليلة القدر عن رمضان . وقد وجه ابن العربي قول ابن مسعود فقال : " أما قول ابن مسعود إنها في العام كله ، فنزع إلى أنها موجودة شرعاً ، مخبر عنها قطعاً ، ولم يتعمّن لتوقيتها دليل ، فبقيت مترتبة في الزمان كله ، وقد رآه ابن مسعود مع فقيه في كتاب الله وعلمه به " . ولكن هذا التوجيه لا يتمشى مع روايته الأخرى التي قال فيها : " تحروا ليلة القدر ، ليلة سبع عشرة صبيحة بدر ، أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين " رواه الطبراني في المعجم الكبير ( ٣٦٦/٩ رقم ٩٥٧٩ ) . والصواب أن يقال كما قاله أبي بن كعب : يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد علم أنها في رمضان ، ولكنه عمى على الناس حتى لا يتكلموا " وقد ذكر ذلك ابن حجر في الفتح ( ٢٦٣/٤ ) .



والصحيح أنها في العشر / الأخير من رمضان <sup>(١)</sup> .  
 وقد ثبت برواية زر بن حبیش أنه قال لأبي بن كعب : إن أخاك عبد الله بن مسعود يقول : إنها في الحول ، فقال أبي بن كعب : رحم الله أبا عبد الرحمن لقد علم أنها في العشر الأخير من رمضان وعلم أنها ليلة السابع والعشرين ، قال زر : فلما رأيته يحلف ، قلت : يا أبا المنذر . وبم تعرف ذلك ؟ قال : بالعلامة التي ذكرها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهي أن تطلع الشمس في صبيحتها ولا شعاع لها . <sup>(٢)</sup>

(١) ذكره المفوق في تفسيره (٢٧٤/٧) فقال : "والصحيح الذي عليه الأكثرون أنها في العشر الأخير من رمضان" وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٣/٩) فقال : قاله الجمهور ، وأكثر الأحاد يثبتون عليه "وروى الترمذي في سنننه (١٥٠/٣) عن أبي قلابة أنه قال : ليلة القدر تنتقل في العشر الأخير كلها" وأورده ابن كثير في تفسيره (٥٣٤/٤) وابن حجر في فتح الباري (٢٦٥/٤) عن أبي قلابة . وذكر أنه قد نص عليه مالك والثوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو ثور وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم ، وذكر ابن كثير أيضا أنه محكى عن الشافعي نقله القاضي عنه وقال : وهو الأشبه "والقول الثاني للشافعي أنها ليلة معينة لا تنتقل . انظر أيضا تفسير القرطبي (١٣٥/٢٠) والمدونة الكبرى (٢٣٩/١) والمجموع (٣٩٨/٦ - ٣٩٩ - ٤٠٢) والمغني (١٧٩/٣) وأما الأحاديث التي تؤيد كونها في العشر الأخير فهي كثيرة منها حديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان ، بسبب السجود على الأنف والسجود على الطين (٢٩٨/٢ رقم ٨١٣) بسنده عن أبي سعيد الخدري ، وفيه : فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذي تطلب أمامك" ومنها حديث عائشة الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٩/٤ رقم ٢٠٢٤) "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله" .

وكذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من اعتكافه في العشر الأخير في طلب ليلة القدر " يدل على أنها في العشر الأخير ، ثم اختلف القائلون بذلك فمنهم من قال : هي فيه محتطمة على حد سواء ، نظه الرافعي عن مالك في فتح العزيز (المطبوع مع المجموع للنووي ٤٧٨/٦) . وضعفه البعض منهم ، ومنهم من قال : بعض لياليه أرجى من بعض " وسيأتي التفصيل في ذلك إن شا الله .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصيام ، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها (٦٤ - ٦٥ / ٨) وأبو داود في سننه - كتاب الصلاة باب في ليلة القدر (١٠٦ / ٢) رقم ١٣٧٨) والترمذي في سننه ( كتاب الصوم ، باب ما جاء في ليلة القدر (١٦٠٣ رقم ٧٩٣) كلهم بإسناد هم عن عاصم عن زر بن حبيش ، كلهم بالألفاظ متقاربة ولفظي صحيح مسلم : إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال : رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس ، أما أنه قد علم . . . ) .

وقد ثبت أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تحروها في العشر الأواخر من رمضان<sup>(١)</sup> ، أي اطلبوها<sup>(٢)</sup> .

وفي بعض الروايات : اطلبوها في الأفراد<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب فضل ليلة القدر ، باب تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ( ٢٥٩/٤ رقم ٢٠٢٠ ) ومسلم في صحيحه - كتاب الصيام ، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها ( ٦٤/٨ ) والترمذى في سننه ( ١٥٨/٣ رقم ٧٩٢ ) كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في العشر الأواخر من رمضان ، ويقول : تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان " .

هذا لفظ البخارى ، وليس عند مسلم قولها " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . . من رمضان ) .

وفي رواية أخرى عندهما : ( التمسوا ) بدل ( تحروا ) . ولهذا الحديث روايات أخرى عديدة ، راجع لمعرفة الدر المنثور ( ٣٧٢/٦ ) .

(٢) قال النووي في شرح مسلم ( ٥٨/٨ ) : " تحروا ليلة القدر : أي أحرصوا على طلبها واجتهدوا فيه " .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ .

وقد روى البخارى في المصدر السابق له ( ٢٥٩/٤ رقم ٢٠١٧ ) بسنده عن أبي سهيل عن أبيه عن عائشة قرضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان " وجاء هذا المعنى في أحاديث صحيحة متعددة ، منها حديث أبي سعيد الخدرى الأتى قريباً ، فقد ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " فابتغوها في العشر الأواخر ، وابتغوها في كل وتر " .

وقال الترمذى في سننه ( ١٥٩/٣ ) : " وأكثر الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " التمسوها في العشر الأواخر في كل وتر " . وذكره ابن الجوزى في زاد المسير ( ١٨٤/٩ ) هذا القول أي أنها تختص بالأفراد - وعزاه إلى الجمهور ، ثم قال : " والأحاديث الصحاح كلها تدل عليه " . وذكره ابن حجر في فتح البارى ( ٢٦٥/٤ ) وقال : " وهو أرجح الأقوال " ، وهذا هو الصواب ، أي أن هذه الليلة غير معينة في ليلة من الليالي ، وإنما هي منتظمة في السنوات من ليلة إلى أخرى وأنها لا تخرج من ليالي الوتر من العشر الأواخر ، وأما الروايات التى ورد فيها التعمين فسيأتى الجمع بينها في آخر المبحث .

( ١ ) وفي رواية أبي سعيد الخدري : أنها ليلة الحادى والعشرين .

( ١ ) أخرجه البخارى فى صحيحه فى المصدر السابق ( ٢٥٩ / ٤ رقم ٢٠١٨ ) ،  
ومسلم فى صحيحه كتاب الصيام ، باب فضل ليلة القدر والحث عليها ( ٦٠ / ٨ -  
٦١ ) ومالك فى الموطأ ( ٢٣٣ / ١ - ٢٣٤ ) كلهم من طريق يزيد بن عبد الله  
ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري رضى الله  
عنه : فى سياق طويل ، قال فيه صلى الله عليه وسلم : " كنت أجاور هذه  
العشر ، ثم قد بدا لى أن أجاور هذه العشر الأواخر ، فمن كان اعتكف  
معى فليثبت فى معتكفه ، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها ، فابتفوها  
فى العشر الأواخر ، وابتفوها فى كل وتر ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطمين  
فاستهلت السماء فى تلك الليلة فأمطرت ، فوكف المسجد فى صلى النبى صلى  
الله عليه وسلم ليلة إحدى وعشرين ، فبصرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلى طيناً وماءً " .

ونقل الترمذى فى سننه ( ١٥٩ / ٣ ) عن الشافعى أنه قال : " وأقوى  
الروايات عندى فيها ليلة إحدى وعشرين " ولذلك ذهب إلى اختيار القول  
بأن أرجى ليلة فى العشر الأواخر هى ليلة إحدى وعشرين " كما ذكره  
النووى فى المجموع ( ٣٩٨ / ٦ ) عن البندنيجى ، انظر أيضا ابن كثير ( ٥٣٣ / ٤ )  
وفتح البارى ( ٢٦٥ / ٤ ) .

هذا وقد قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٨٤ / ٩ ) بعد أن ذكر  
مذهب الجمهور وأن ليلة القدر تختص بالأفراد من العشر الأواخر : " واختلف  
القاتلون بأنها فى الأفراد فى أخص الليالى بها على خمسة أقوال " ثم ذكر  
هذه الأقوال مع أدلتها .

أحدها : هذا الذى تقدم عن الشافعى ، أى أن الأخص بها ليلة  
إحدى وعشرين ، ودليله حديث أبي سعيد الخدري السابق .

والثانى : أن الأخص بها ليلة ثلاث وعشرين ، ومما يدل عليه حديث  
عبد الله بن أنيس الذى أخرجه مسلم فى صحيحه ( ٦٤ / ٨ ) بسنده عنه أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال : أريت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، وأرأيتنى  
صَبَّحَهَا أسجد فى ماء وطمين ، قال : فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين ، فصلى  
بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانصرف ، وإن أثر الماء والطين على  
جبهته وأنفه " . وقال : وكان عبد الله بن أنيس يقول : ثلاث وعشرين " .

والثالث : ليلة خمس وعشرين ، وقال : " روى هذا المعنى أبو بكر عن  
النبى صلى الله عليه وسلم " .

قلت : روى الترمذى فى سننه ( ١٦٠ / ٣ ) رقم ٧٩٤ ) بسنده عن عيينة  
ابن عبد الرحمن قال : حدثنى أبى قال : ذكرت ليلة القدر عند أبى بكر  
فقال : ما أنا طتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فى  
العشر الأواخر ، فإنى سمعته يقول : " التمسوها فى تسع بيّتين ، أو فى سبع

٠٠/٠٠

بيقين ، أو في خمس بيقين ، أو في ثلاث أو آخر ليلة . ولم يتبين لى وجه الدلالة من هذا الحديث ، وذكر هذا القول ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٦٥/٤ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٣٣/٤ ) دون عزو إلى أحد . وذكره ابن حجر في الفتح ( ٢٦٤/٤ ) وقال : وعزاه ابن الجوزى في المشكل لأبى بكر .

واستدل ابن كثير لهذا القول بما رواه البخارى في صحيحه ( ٢٦٠/٤ رقم ٢٠٢١ ) بسنده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى ، في سابعة تبقى ، في خامسة تبقى . . وليس فيه أيضا ما يدل على أن ليلة خمس وعشرين أخص بها .

والرابع : ليلة سبع وعشرين ، وهذا قول مشهور ومروى عن عديد من الصحابة والتابعين والأئمة وسيأتى الكلام عليه بالتفصيل قريباً .

والخامس : أن الأولى طلبها في أول ليلة من رمضان قاله أبو رزين العقيلي ، كذا ذكره ابن الجوزى وهو غير موافق لما قرره في الأول حينما قال : اختلف القائلون بأنها في الأفراد - أى أفراد العشر الأواخر من رمضان - في أخص الليالى بها على خمسة أقوال .

لو قال : والقول الخامس : ليلة تسع وعشرين - لكان مناسباً - ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٦٦/٤ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٣٣/٤ ) وانظر أيضا لمعرفة هذه الأقوال تفسير القرطبي ( ١٣٥-١٣٦ ) وفتح البارى ( ٢٦٣-٢٦٦ ) والمفسنى ( ١٨٠/٣ - ١٨٢ ) والمجموع ( ٤٠٢/٦ ) .

وقيل غير ذلك (١) .

وأصح الأقاويل وأشهرها : أنها ليلة السابع والعشرين (٢) ، ومن قام العشر أدركها قطعاً وحقيقة .

(١) هناك أقوال أخرى كثيرة ، وقد صرح الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٦٢/٤) بذلك فقال : وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافاً كثيراً وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولاً ثم ذكر ستة وأربعين قولاً مع كل قول مستنده .

وذكر ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٦٥/٤) ثلاثة عشر قولاً وأرجعها في الاصل إلى تسعة أقوال ، ومن أهم هذه الأقوال ما تقدم ذكره ، ومن أهمها أيضاً أن ليلة القدر في جميع رمضان ، وليست منحصرة في العشر الأواخر فقط .

ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٤/٩) وعزاه إلى الحسن وقد روى هذا القول أبو داود في سننه (١١١/٢ - ١١٢ رقم ٣٨٧) بسنده عن عبد الله بن عمر مرفوعاً ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسمع عن ليلة القدر ، فقال : هي في كل رمضان . ثم ذكر أبو داود أنه روى موقوفاً من قول ابن عمر ، وحكى ذلك عن أبي حنيفة أيضاً .

قال السرخسي في المبسوط (١٢٨/٣) : ذكر الفقيه أبو جعفر — أن المذهب عند أبي حنيفة أنها تكون في شهر رمضان ، ولكنها تتقدم وتتأخر ، وعلى قول أبي يوسف ومحمد تكون في شهر رمضان لا تتقدم ولا تتأخر .

انظر أيضاً تفسير ابن كثير (٥٣٢/٤) وفتح الباري (٢٦٣/٤) . ومن أهمها أيضاً أنها في ليلة سبع عشرة من رمضان . ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٦٥/٤) وعزاه إلى عبد الله بن الزبير ، ثم استدلل له على ذلك بقوله تعالى : ( وما أنزلنا على عبدنا يوماً لفرقان ، يسوم التقى الجمعان ) ( سورة الأنفال الآية ٤١ ) وكان ذلك ليلة سبع عشرة .

انظر أيضاً تفسير ابن كثير (٥٣٢/٤) وفتح الباري (٢٦٣/٤) .

(٢) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٧/٩) وعزاه إلى علي وأبي ابن كعب ، وقال : وكان أبي يحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين ، وبه قال ابن عباس وعائشة ومعاوية ، واختاره أحمد .

ودليل هذا القول هو ما رواه مسلم في صحيحه (٦٤-٦٥/٨) بسنده عن أبي ابن كعب وتقدم ذكره عند المؤلف ، وفيه " ثم حلف (أبي) لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين ) . واستدل بعضهم على هذا القول بوجهين آخرين أحدهما : أن ( هي ) في قوله تعالى ( سلام هي حتى مطلع الفجر ) توافق في هذه السورة الكلمة السابعة والعشرين ، مما يدل على أنها في ليلة سبع وعشرين . والثاني : أن ليلة القدر كبرت في هذه السورة ثلاث مرات وهي تسعة أحرف ، والتسعة إذا كررت ثلاثاً فهي سبع وعشرون .

وأُنكره ابن عطية كما نقل عنه ابن حجر أنه قال : إنه من طبع التفاسير وليس من متين العلم " وقال أبو حيان في البحر المحيط (٤٩٧/٨) : وإنما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله تعالى ، وأورد هذا القول (أى أنها ليلة سبع وعشرين) ابن كثير في تفسيره (٥٣٣/٤) وقال : " وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا ) وينحوه ذكره ابن حجر في فتح الباري (٢٦٤/٤ - ٢٦٥) وانظر أيضا تفسير القرطبي (١٣٦/٢٠) والمفصلي (١٨٠/٣) والمجموع (٤٠٢/٦) .

هذا والصواب كما تقدم أن ليلة القدر منحصره في ليالي الوتر من العشر الأواخر في رمضان - ثم إنها منتقلة ، تكون في سنة في ليلة وفي سنة في ليلة أخرى ، وبهذا جمع القاضي عياض بين الأحاديث المختلفة ، كما نقل عنه النووي في شرح صحيح مسلم (٥٧/٨) والمجموع (٤٠٢/٦) فقال : قال القاضي عياض : وعلى مذهب الجماعة اختلفوا في محلها : فقال جماعة : هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى وهكذا ، وبهذا يجمع بين الأحاديث ويقال : كل حد يث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها " وذكر النووي في موضع آخر من المجموع (٢٩٩/٦) أن هذا هو الظاهر المختار ، ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها " وقد ذكر هذا الجمع العراقي في طرح التثريب (١٥٧/٤) وعزاه إلى جماعة من العلماء ، ثم قال : واستحسنه الشيخ تقي الدين للجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك فإنها اختلفت اختلافاً لا يمكن معه الجمع بينهما إلا بذلك " .

وأما ما جاء من أقوال تدل على أن ليلة القدر في غير العشر الأخير من رمضان فهو غير صحيح لم يسانده دليل صريح من الكتاب والسنة وإنما استنباط واستدلال من بعض النصوص المحتملة . هذا وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن العلة في إخفاء ليلة القدر هي أن يحصل الاجتهاد في التماسها ، بخلاف ما لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها والله أعلم بالصواب .

انظر على سبيل المثال المفصلي (١٨٢/٣) وفتح الباري (٢٦٦/٤) .

وقوله ( وما أدراك ما ليلة القدر ) قد بينا : أن ماورد في القرآن على هذا اللفظ فقد أعلمه الله تعالى .<sup>(١)</sup>

وقوله ( ليلة القدر خير من ألف شهر ) أي ثواب العمل فيها أكثر من ثواب العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) قال الفراء في معاني القرآن ( ٢٨٠ / ٣ ) : " كل ما كان في القرآن من قوله : ( وما أدراك ) فقد أدراه ، وما كان من قوله : ( وما يدريك ) فلم يدره " وهو مروى عن ابن عيينة أيضا - ذكره عنه البخاري في صحيحه ( ٢٥٥ / ٤ ) معلقا ، ورواه ابن عمر العدني في كتاب الإيمان كما صرح بذلك الحافظ في الفتح ٢٥٥ / ٤ ، وقد بحث عنه في كتاب الإيمان " تحقيق حمد بن حفص الحرابي " فلم أجده " وانظرا أيضا قول ابن عيينة في تفسيره ( ص . ٣١ ) . من رواية أبي حاتم الرازي عنه قال : حدثنا سفیان بن عيينة ، فذكره بلفظ : كل شيء في القرآن ( وما أدراك ) فقد أخبره به ، وكل شيء فيه ( وما يدريك " فلم يخبره به " وأما لفظ البخاري فقال : قال ابن عيينة : ما كان في القرآن " وما أدراك " فقد أعلمه ، وما قال : " وما يدريك " فإنه لم يعلم . وقال ابن حجر في الفتح : ومقصود ابن عيينة أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف تعيين ليلة القدر ، وقد تعقب هذا الحصر بقوله " لعله يزكى " ( سورة عبس الآية ٣ ) فإنها نزلت في ابن أم مكتوم وقد علم صلى الله عليه وسلم بحاله وأنه ممن تزكى ونفعته الذكر .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٩١ / ٩ ) في تفسير الآية : " هذا علم سبيل التعظيم والتشوق إلى خيرها " . وهو قول مقاتل في تفسيره ( ٤٠٠ / ب ) .

( ٢ ) ذكر هذا المعنى أو نحوه منه مقاتل في تفسيره ( ٤٠٠ / ب ) الفراء في معاني القرآن ( ٢٨٠ / ٣ ) وابن قتبية في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٤ ) .

والبخوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٧٦ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ١٩١ / ٩ ) قال : قال مجاهد : " قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر " وصيامها ليس فيها ليلة القدر " وهذا قول قتادة واختيار الفراء وابن قتبية والزجاج " وقال القرطبي في تفسيره ( ١٣١ / ٢٠ ) : " وقال كثير من المفسرين : أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر " انظر أيضا تفسير الثعلبي ( ١٣ / ١٣٠ ب ) وقال الرازي في تفسيره ( ٣٠ / ٣٢ ) : " في تفسير الآية وجوه . أحدها : أن العبادة فيها خير من ألف شهر ليس فيها هذه الليلة لأنه كالمستحيل أن يقال : إنها خير من ألف شهر فيها هذه الليلة " وقال الطبري في تفسيره ( ٢٥٩ / ٣٠ ) : " اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك العمل في ليلة القدر بما يرضى الله خير من العمل في غيرها ألف شهر ، ثم روى عن مجاهد أنه قال : عطها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر ، وعن عمرو بن قيس الملائي أنه قال : عمل فيها خير من عمل ألف شهر " وقال بعد ذلك : وقال آخرون : معنى ذلك : أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ثم روى هذا المعنى عن قتادة وكذلك ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٩١ / ٤ ) ان ذكر عن كل منهما قولاً مستقلاً مثل ما ذكره الطبري ، والفرق بين القولين هو أن قتادة يريد تفضيل ليلة القدر على ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، بينما يريد مجاهد تفضيل العمل والعبادة في هذه الليلة على العمل والعبادة في ألف شهر ، فتسوية ابن الجوزي للقوليين فيها نظر وقد روى عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٧٤ / ب ) وابن نصر المروزي في قيام الليل ( انظر مختصره ص ٢٣٢ ) عن كل منهما قوله بنحو ما رواه الطبري .

وذكر أبو عيسى الترمذى فى جامعه برواية يوسف بن سعد <sup>(١)</sup> أن الحسن بن عيسى -رضى الله عنهما - لما بايع معاوية وسلم إليه الخلافة قال له رجل يامسود وجسوه المؤمنين أو يامذل المؤمنين . فقال : لا تغل بها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فانزل الله تعالى عليه ( إنا أعطيناك الكوثر ) وأنزل أيضا : ( إنا أنزلناه فى ليلة القدر ) وقال ( ليلة القدر خير من ألف شهر ) أى خير من ألف شهر يطك فيها بنو أمية <sup>(٢)</sup> . قال أبو عيسى : وهو غريب <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) هو يوسف بن سعد الجمحى مولا همد البصرى ، ويقال : هو يوسف بن مازن - ثقة ، من الثالثة ، انظر تقريب التهذيب ٢٨٨ .

( ٢ ) أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب التفسير ، باب ومن " سورة القدر " ( ٥ / ٤٤٤ ) رقم ٣٣٥٠ ، بسنده عن القاسم بن الفضل الحدائى عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن عيسى بعد ما بايع معاوية ، فقال : سَوَدَّتْ وَجْوهَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ يَامَسُودَ وَجْوهَ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال : لا تُؤْتِ بَنِي رَحْمِكَ اللَّهُ ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك ، فنزلت : " إنا أعطيناك الكوثر " يامحمد ، يعنى نَهْرًا فى الجنة ، ونزلت : " إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر خير من ألف شهر " يملكها بنو أمية يامحمد . قال القاسم : فعددتها فاذا هى أرب يوم لا يزيد يوم ولا ينقص . وأخرجه أيضا ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ٢٦٠ ) بسنده عن القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن ، به - بنحوه . وأخرجه الحاكم أيضا فى مستدركه ( كما فى تفسير ابن كثير وأنا لم أهتمد الى محله ) من طريق القاسم عن يوسف بن مازن به ، وهذا أحد الوجوه التى ذكرها المفسرون فى معنى الآية ، فقله ( ألف شهر ) معناه : ملك بنى أمية . قال ابن جرير بعد أن ذكر فى تفسير الآية بعض الأقوال : " وقال آخرون فى ذلك ما حفتنى أبو الخطاب الجارودى قال : ثنا سلهم قتيبة قال ثنا القاسم بن الفضل - وروى الحديث . وذكره الرازى أيضا فى تفسيره ( ٣٢ / ٣١ ) .

( ٣ ) نص كلامه : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، من حديث القاسم بن الفضل ، وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن ، والقاسم بن الفضل الحدائى هو ثقة وثقة يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، ويوسف بن سعد رجل مجهول ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه " وقد تكلم الحافظ ابن كثير على سند هذا الحديث ومثله ، فوصف سنده بأنه مضطرب ، ووصف مثله بأنه منكر جداً إلا أنه لم يوافق الترمذى فى تجهيل يوسف بن سعد ، فقال : وقول الترمذى " إن يوسف هذا مجهول " فيه نظر ، فإنه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد ، وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور ، وفى رواية عن ابن معين هو ثقة " ثم قال متكلماً على الحديث : ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن هكذا قال ( وليس كذا فى تفسير الطبرى ، وإنما فيه عيسى بن مازن ) وهذا يقتضى اضطراباً فى هذا الحديث والله أعلم ، ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً قال شيخنا ، الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج الهمزى : هو حديث منكر " وقال أيضا : ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سبق ليد بنى أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم ، فإن ليلة القدر شريفة جداً والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التى هى مذمومة بمقتضى هذا الحديث " وقال : ثم الذى يفهم من الآية أن الألف شهر المذكور فى الآية هى أيام بنى أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها والمنبر إنما صنع بالمدنية بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارة والله أعلم ، تفسير ابن كثير ( ٤ / ٥٣٠ ) .



وفي بعض التفاسير : أن النبي صلى الله عليه وسلم (١) قال (١) إن رجلاً من بني إسرائيل جاهد أعداء الله ألف شهر وكان مع ذلك يقوم بالليل ويصوم النهار ، فآغتم من ذلك لتقصير أعمار (١) أمته وقلة أعمالهم فأنزل الله تعالى : هذه السورة ، وأخبر أنه أعطاه ليلة يكون العمل فيها خيراً من عمل ذلك الرجل ألف شهر . (٣)

(١) ما بين القوسين من نسخة "ب" وهو ساقط من الأصل ، وفي بعض المصادر الأخرى " ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم " وهو الأنسب .

(٢) في نسخة "ب" ( أعمال ) وهو خطأ .

(٣) هذا أيضاً من الوجوه التي ذكرت في تفسير الآية ، ووردت في ذلك عدة روايات - منها هذه الرواية التي ذكرها المؤلف .

وأوردها البغوي في تفسيره (٢٧٦/٧) قال : قال عطاء عن ابن عباس : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر ، فمجب ، رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته ، فقال : يارب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً فأعطاه الله ليلة القدر ، فقال : ( ليلة القدر خير من ألف شهر ) التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله وكذا أورد ابن الجوزي في زاد المسير (١٩٢/٩) وروى نحوه عن مجاهد أيضاً فروى عنه ابن أبي نجیح أنه قال : ( بلغني أنه كان في بني إسرائيل رجل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فلم يضعه عنه فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه فمجبوا من قوله ، فأنزل الله عز وجل " ليلة القدر خير من ألف شهر " انظر تفسير مجاهد (٧٧٣/٢) .

ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٥٩/٣٠) وابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٥٣٢/٤ ) من طريق المشني بن الصباح عنه . وليس فيه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، .

وهكذا ذكرت روايات عديدة أخرى في أعمار الأمم السابقة وأعمالهم وعبادتهم ، ولكنها من طرق إما إسرائيلية مثل كعب الأخبار أو وهب بن منبه ، ولما غير صحيحة ثابتة مسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم . انظر الموطأ للإمام مالك (٢٣٦/١) وتفسير الثعلبي (١٢٩/١٣-١٢٠/ب) وتفسير الرازي (٣١-٣٠/٣٢) وتفسير القرطبي (١٣٢-١٣١/٢٠) والدر المنثور (٣٧١/٦) .

وقد ثبت في فضلها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .<sup>(١)</sup>

وقوله : ( تنزل الملائكة والروح فيها ) أي جبرئيل فيها .<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضل ليلة القدر باب فضل ليلة القدر (٢٥٥/٤ رقم ٢٠١٤) ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في صلاة التراويح (٤٠/٩) كلاهما من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به . وفي أوله زيادة : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " .

وهذا الحديث يدل على أن ما ذكره المؤلف أولاً في تفسير الآية هو الصواب ، وكذا فعله البغوي في تفسيره (٢٧٦/٧) إذ قال : " قال المفسرون : " ليلة القدر خير من ألف شهر " معناه : عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر " ثم روى بسنده هذا الحديث ، بما يدل على أنه يذهب إلى اختيار هذا القول ، وإن لم يصرح به .

هذا وقد صرح ابن جرير في تفسيره (٢٦٠/٣٠) باختيار هذا القول فقال : " وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل : قول من قال : عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وأما الأقوال الأخرى فدعاوى معان باطلية ، لا دلالة عليها من خبر ولا عقل ، ولا هي موجودة في التنزيل " .

وذكر ابن كثير في تفسيره (٥٣١/٤) هذا القول واختيار ابن جرير له ، ووافقه فقال : وهو الصواب لا ما عداه وهو كقوله : رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل " . وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٥/١) وفيه (رباط يوم) بدل (رباط ليلة) .

(٢) هذا في قول أكثر المفسرين جاء في حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان ليلة القدر نزل جبرئيل في كعبة من الملائكة يصلون على كل عيد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى . . . الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (٣٧٧/٦) وعزاه إلى البيهقي وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه انظر زاد المسير (١٩٣/٩) وفي معنى الروح أقوال أخرى - وقد تقدم ذكرها في سورة النبأ عند قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة) الآية ٣٨ . انظر (ص ٣٧٤) وبيننا أن الراجح في قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين) (سورة الشعراء الآية ١٩٣، ١٩٤) وكذلك هنا الراجح أنه جبرئيل عليه السلام ، انظر تفسير الرازي (٣٤/٣٢) .

وقوله ( ياذن ربهم من كل أمر ) أى بكل أمر<sup>(١)</sup> ، وهو ما ذكرناه من مقادير الأشياء<sup>(٢)</sup> .  
 وقوله ( سلام هى ) فيه قولان : أحدهما أن المراد منه تسليم الملائكة على من  
 يذكر الله تعالى فى تلك الليلة<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ذكر ابن قتيبة فى تأويل مشكك القرآن (ص ٥٧٤ ) والبغوى والخازن فى تفسيرهما  
 ( ٢٧٦ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٩٣ / ٩ ) أن " من " هنا بمعنى  
 الباء ، أى بكل أمر واستدل البغوى والقرطبى عليه بقوله تعالى ( يحفظونه من أمر  
 الله ) سورة الرعد الآية ١١ ، وذكر الزمخشري فى الكشاف ( ٧٨١ / ٤ ) والرازي فى  
 تفسيره ( ٢٥ / ٣٢ ) أبو حيان فى البحر المحيط ( ٤٩٧ / ٨ ) ما يدل على أن " من "   
 هنا بمعنى اللام ، فإنهم قالوا : " أى من أجل كل أمر " وذكر أبو حيان القول  
 الأول ( أى أن " من " بمعنى الباء ) أيضا وعزاه إلى أبي حاتم .

( ٢ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٦٠ / ٣٠ ) فى معنى الآية : " يعنى : ياذن ربهم  
 من كل أمر قضاء الله فى تلك السنة ، من رزق واجل وغير ذلك " ثم روى هذا  
 المعنى عن قتادة .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ١٩٣ / ٩ ) : " قال المفسرون : يتنزلون بكل  
 أمر قضاء الله فى تلك السنة إلى قابل " . وذكر نحوه الرازي فى تفسيره  
 ( ٣٥ / ٣٢ ) وقال : وهو قول أكثر المفسرين .

( ٣ ) ذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره ( ٤٩٢ / ٤ ) وعزاه إلى الكلبى وذكر البغوى  
 فى تفسيره ( ٢٧٦ / ٧ ) هذا المعنى عن كل من عطاء والشعبى والكلبى ، قال :  
 قال عطاء : يريد : سلام على أولياء الله وأهل طاعته ، وقال الشعبى : هو تسليم  
 الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد ، من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر ،  
 وقال الكلبى : الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة سلموا عليه من ربه  
 حتى يطلع الفجر " وذكره الفراء فى معانى القرآن ( ٢٨٠ / ٣ ) وانظر أيضا هذا  
 القول فى إعراب القرآن للنحاس ( ٧٤٤ / ٣ ) والكشاف ( ٧٨١ / ٤ ) وتفسير السرايزى  
 ( ٣٦ / ٣٢ ) وتفسير القرطبى ( ١٣٤ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٩٧ / ٨ ) وتفسير  
 ابن كثير ( ٥٣١ / ٤ ) .

وعلى هذا القول الوقفى " سلام " كما ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير  
 ( ١٩٤ / ٩ ) ، وذكروا فى تأييد هذا القول أن ابن عباس قرأها ( من كل امرئ )  
 ولكنها باطلة ، لأنه رواها الكلبي عن أبي صالح عنه ، وهو سند باطل لا يعرج  
 عليه ، كما صرح به النحاس .

والقول الثاني : سلام أى سلامة ، والمعنى : أنه لا يعمل فيها ، دا ، ولا سحر  
ولا شىء من عمل الشياطين والكهنة .<sup>(١)</sup>

وقوله ( هى حتى مطلع الفجر ) وقوى "مطلع الفجر - بكسر اللام" - فبالفتح  
على المصدر وبالكسر على وقت الطلوع .<sup>(٢)</sup>

(١) هذا قول مجاهد ، رواه محمد بن نصر فى قيام الليل ( انظر مختصره ٢٣٢ ) ،  
بلفظ : ( سلام هى ) من أن يحدث فيها دا ، أو يستطيع شيطان أن يعمل فيها  
سواها " وأرداه السبوطى فى الدر المنثور ( ٣٧١ / ٦ ) بلفظ : " سالمة لا يستطيع  
الشیطان أن يعمل فيها سواها " أو يعمل فيها أذى " وعزا تخريجه إلى سعيد  
ابن منصور وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى  
شعب الإيمان .

انظر أيضا هذا القول فى تفسير الماورى ( ٤٩٢ / ٤ ) وتفسير البغوى ( ٢٧٧ / ٧ )  
وزاد المسير ( ١٩٤ / ٩ ) وتفسير الرازى ( ٣٦ / ٣٢ ) وتفسير القرطبى ( ١٣٤ / ٢٠ )  
والبحر المحیط ( ٤٩٧ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٣١ / ٤ ) وذكر فى ذلك قول آخر  
وهو أن معنى السلام هنا الخير والبركة ، يعنى هى خير وبركة كلها ليس فيها  
شر ، ذكر هذا القول الماورى وابن الجوزى والقرطبى من قول قتادة وذكره ابن كثير  
من قول قتادة وابن زيد .

واختاره ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٤ ) والزمخشري فى الكشاف  
( ٧٨١ / ٤ ) وعلى هذين القولين الوقف على قوله " من كذا أمر " والصواب أن هذه  
الأوجه الثلاثة كلها تشتمل عليها ليلدة القدر ،

(٢) قال أبو عمرو الدانى فى التيسير ( ص ٢٢٤ ) : " قرأ الكسائى " حتى مطلع الفجر "   
بكسر اللام ، والباقون بفتحها " . انظر أيضا الكشاف ( ٣٨٥ / ٢ ) وحجج  
القراءات ( ٧٦٨ ) والنشر فى القراءات العشر ( ٤٠٣ / ٢ ) .

(٣) يظهر من كلام المؤلف أنه عطل القراءتين ، فقال الأولى ( أى بفتح اللام ) : إنه  
مصدر ميمي ، وقال فى الثانى ( أى بكسر اللام ) : إنه ظرف زمان ، وهذا التعليل  
- فيما يبدو لى - غير صحيح ، لأن القاعدة تقول : إن المصدر الميمي واسم  
المكان والزمان من " فعل يفعل " على وزن مفعل ، إلا ما سمع من العرب  
على غير هذا القياس ، كالمسجد وغيره . فذكر مكى بن أبى طالب فى تعليل هذه  
القراءة أن الكسائى جمعه من النادر ، وأما الجماعة فقراؤه على الأصل ، وذكر  
صاحب حجة القراءات عن الكسائى أنه قال : من كسر اللام فإنه من " طلع يطلع " .

وقال أبو جعفر النحاس فى إعراب القرآن ( ١٧٤٥ / ٣ ) : " وأحسن ما قيل فى  
هذا قول سيبويه ، قال : وقد كسروا المصدر قالوا : أتيتك عند مطلع الشمس  
( أى عند طلوع الشمس ) فهذه لفظة بنى تميم ، وأما أهل الحجاز فيقولون : مطلع ،  
والمطلع المكان " .

انظر أيضا الكتاب لسبويه ( ٩٠ / ٤ ) .

تفسير سورة " لم يكن " وهي مكية  
في قول بعضهم ، مدنية في قول بعضهم <sup>(١)</sup> ، والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ) / قرأ أبي بن كعب ٣٤٠ ب /  
" ما كان الذين كفروا " وهو شان <sup>(٢)</sup> والمعروف هو الأول .

( ١ ) كذا في الأصل ، وسقط قوله ( مدنية في قول بعضهم ) من نسخة " ب " وأما كون هذه السورة مكية أو مدنية فهو مختلف فيه .  
فذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٣٧٧ / ٦ ) عن ابن عباس أنها نزلت بالمدينة ، وعن عائشة أنها نزلت بمكة ، وعزا تخريجها إلى ابن مردويه ، وذهب إلى اختيار القول بأنها مكية يحيى بن سلام وابن الفرس وقال : إنه قول الأكثر " وأبوحيان وذكر أنه رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وهو قول الجمهور ، وأما القول بأنها مدنية فهو قول ابن الزبير وعطاء بن يسار ، وغيرهم ، وقد ذهب إليه الماوردي وذكر أنه قول الجمهور وهو الصواب .

وصرح ابن الجوزي والقرطبي أيضا بأنه قول الجمهور ، وهو الذي يبدو أنه قول الجمهور ، لأن عدداً من المفسرين ذكروا أنها مدنية ، وهذا هو الصواب فقد ذكرها البيهقي في دلائل النبوة ( ١٤٣ / ٧ ) ضمن السور التي نزلت بالمدينة ، وذلك فيما رواه بسنده عن الحسن البصري وعكرمة ، ثم إن هناك دليلاً آخر من حديث مرفوع رواه البخاري في صحيحه ( ٧٢٥ / ٨ ) رقم ( ٤٩٥٩ ) بسنده عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي : إن الله أمرني أن أقرأ عليك " لم يكن الذين كفروا " قال : وسماني ؟ قال : نعم فيكي .

وأبي بن كعب أنصاري خزرجي - ذكره السيوطي في الإتيقان ( ١٤ / ١ ) ونقل عن ابن كثير أنه جزم بأنها مدنية .

وانظر تفسير الماوردي ( ٤٩٣ / ٤ ) وزاد المسير ( ١٩٥ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٣٨ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٤٩٧ / ٨ ) وروح المعاني ( ٢٠٠ / ٣٠ ) .

( ٢ ) ذكر هذه القراءة الثعلبي في تفسيره ( ١٣٣ / ١٣ ) والماوردي في تفسيره ( ٤٩٣ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٤٢ / ٢٠ ) والشوكاني في فتح القدير ( ٤٧٥ / ٥ ) كلهم نسبوا هذه القراءة إلى أبي ، فذكروا أن أبياً قرأ : ( ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون ) وصرح الشوكاني بأنها شاذة .

وقوله تعالى ( من أهل الكتاب والمشركين منفكين ) أي منتهين ، ومعناه  
 أن الكفار من أهل الكتاب والمشركين ما كانوا منتهين عن كفرهم (١) حتى تأتيهم  
 (البيئنة) أي حتى أتاهم الرسول (٢) ، مستقبل بمعنى الماضي (٣) .

(١) ذكر هذا المعنى - أي أن منفيين معناه منتهين عن كفرهم وشركهم -  
 الفراء في معاني القرآن (٢٨١/٣) وابن جرير في تفسيره (٢٦٢/٣٠) ،  
 والشعلبي في تفسيره (١٣٢/١٣/ب) والماوردي في تفسيره (٤٩٣/٤) والقرطبي  
 في تفسيره (١٤٠/٢٠) وروى ابن جرير هذا المعنى عن مجاهد وقتادة ، وانظر  
 قول مجاهد أيضا في تفسيره (٧٧٤/٢) وانظر قول قتادة في تفسير عبد السرزاق  
 (ق ١٧٤/ب) وانظر أيضا البحر المحيط (٤٩٨/٨) وذكر البغوي في تفسيره  
 (٢٧٧/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١٩٦/٩) أن معنى (منفيين) زائلين  
 منفصلين ، يقال : فككت الشيء ، فانفك : أي انفصل ، والمعنى : لم يكونوا  
 زائلين عن كفرهم وشركهم ، وهذا المعنى اختاره ابن قتيبة في تفسيره غريب  
 القرآن (ص ٥٣٤) وكلا المعنيين - فيما يبدو لي - واحد ليس بينهما فرق إلا في  
 اللفظ .

(٢) ذكر هذا القول - أي أن المراد رسول الله صلى الله عليه وسلم - الفراء في  
 معاني القرآن (٢٨١/٣) والماوردي في تفسيره (٤٩٣/٤) والبغوي في تفسيره  
 (٢٧٧/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١٩٦/٩) والقرطبي في تفسيره (١٤٠/٢٠)  
 (١٤٢) وقال الشعلبي : البيئنة : الحجة الواضحة وهي محمد صلى الله عليه وسلم  
 أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان وفيه قول آخر  
 سيأتى ذكره .

(٣) ضح به البغوي في تفسيره (٢٧٧/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (١٦٩/٩) ،  
 فذكر أن لفظه لفظ المستقبل ، ومعناه الماضي ، أي حتى أتتهم الحجة - وذكر  
 هذا المعنى الرازي في تفسيره (٣٩/٣٢) عن ابن عرفة ، وأما المقصود من أهل  
 الكتاب والمشركين في هذه الآية : فقال ابن عباس : أهل الكتاب : اليهود الذين  
 كانوا يشربون وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع ، والمشركون : الذين كانوا بمكة وحولها ،  
 والمدينة والذين حولها وهم مشركو قريش " ذكره عنه القرطبي في تفسيره (١٤٠/٢٠)  
 وأبو حيان في البحر المحيط (٤٩٧/٨) ، وفيه أقوال أخرى - انظرها في تفسير  
 القرطبي (١٤١/٢٠) .

وقيل : البينة هي القرآن <sup>(١)</sup> ، وهذا قول معروف معتمد <sup>(٢)</sup> .

والقول الثاني : أن أهل الكتاب والمشركين الذين سمعوا منهم لم يزالوا على قرار بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره فلما ظهر اختلفوا فأقر بعضهم وأنكر البعض <sup>(٣)</sup> .

(١) هذا هو القول الثاني في المراد من البينة ، وهو قول قتادة رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٦٢/٣٠) وأورد السيوطن في الدر المنثور (٣٧٨/٦) في سياق طويل ، وعزا تخريجه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضا ، وهذا الجزء غير موجود في تفسير عبد الرزاق ، وذكره من قولـــــــــــــــــه الماوردي في تفسيره (٣٩٢/٤) وابن كثير في تفسيره (٥٣٧/٤) ، وهناك قول ثالث وهو أن المراد بالبينة بيان الحق وظهور الحجج وهو قول مجاهد كما في تفسيره (٧٧٤/٢) وتفسير الطبري (٢٦٢/٣٠) وذكره الماوردي في تفسيره (٤٩٣/٤) دون عزو إلى أحد .

(٢) الذي ذهب إليه أكثر المفسرين هو القول الأول - أى أن المراد بالبينة هو النبى صلى الله عليه وسلم - وقد صرح ابن الجوزي بأن هذا الصواب ، انظر زاد المسير (١٩٦/٩) ثم إن هناك ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى ( رسول من الله ) فقد ذكر غير واحد أنه يدل من البينة " . انظر الكشاف (٧٨٢/٤) وتفسير النسفي (٢٨٦/٥) وتفسير القرطبي (١٤٧/٢٠) .

(٣) ذكر هذا القول غير واحد من المفسرين إلا أنه اختلفت ألفاظهم فنقل الثعلبي في تفسيره (١٣٢/١٣ ب) والقرطبي في تفسيره (١٤١/٢٠) عن ابن كيسان أنه قال : أى لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بعث ، فلما بعث حسدوه وجحدوه " وهو كقواه " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " سورة البقرة الآية ٨٢ .

وذكره ابن جرير في تفسيره (٢٦٢/٣٠) ولكنه ما صرح بعزوه إلى أحد فقال بعد أن ذكر القول السابق : بل معنى ذلك أن أهل الكتاب وهم المشركون لم يكونوا تاركين صفة محمد في كتابهم حتى بعث ، فلما بعث تفرقوا فيه " - وذكره الفراء أيضا في معاني القرآن (٢٨١/٣) . وقال الماوردي في تفسيره (٤٩٣/٤) : " لم يفرقوا ولم يختلفوا أن الله سيبعث إليهم رسولا حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاختلجوا وتفرقوا ، فمنهم من آمن بربه ، ومنهم من كفر " قاله ابن عيسى ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير (١٩٦/٩) بنحوه ، وذكره الرازي في تفسيره (٣٩/٣٢) فقال بعد أن ذكر فيه قولين : إنا لانحمله قوله ( منفكين ) على الكفر ، بل على كونهم منفكين عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل ثم ذكر معنى الآية على هذا القول فقال : والمعنى : أنهم ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه ثم لما جاءهم محمد تفرقوا فيه وقال : كل واحد فيه قولاً آخر ردياً " ثم ذكر الآية السابقة من سورة البقرة .

وذكر أبو حيان في البحر المحيط (٤٩٧/٨) عن الفراء وغيره أنهم قالوا : لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف ( - أى الإنتظار ) لأمره حتى جاءتهم البينة تفرقوا عند ذلك " . وكل هذه

.../...

الأقوال ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم كانوا في انتظار النبي صلى الله عليه وسلم الذي وعد  
مبعثه في التوراة والإنجيل ، وفي معنى الآية أقوال أخرى : منها أن " منفكسين "  
بارحين ، أى لم يكونوا يسيرحوا ويفارقوا الدنيا حتى تأتيتهم البينة ، اختاره ابن جزى  
الكلبي .

ومنها أن معناه : هالكين ، من قولهم : انفك صلا المرأة عند الولادة وهو أن يفصل  
فلا يلتئم فتهلك ، والمعنى : لم يكونوا معذبين ولا هالكين إلا بعد قيام الحجة عليهم ،  
بإرسال الرسل وإنزال الكتب " وهو قول بعض اللغويين .

وقال ابن عطية كما نقل عنه الكلبي وأبوحيان : إن المراد لم يكن هو إلا القوم منفكسين  
من أمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتى يبعث الله تعالى إليهم رسولا منذرا تقوم  
عليهم به الحجة ويتم على من آمن النعمة ، فكأنه قال : ما كانوا ليتركوا سدى . ولهذا  
نظائر في كتاب الله " .

وقال أبوحيان : والظاهر أن المعنى : لم يكونوا منفكسين أى منفصلا بعضهم من  
بعض ، بل كان كل منهم مقرا الآخر على ما هو عليه فما اختاره لنفسه ، هذا من اعتقاده  
في شريعته ، وهذا في اعتقاده في أصنامه ، والمعنى : اتضلت مودتهم واجتمعت كلمتهم  
إلى أن أتتهم البينة " .

راجع لمعرفة هذه الأقوال وغيرها : تفسير الثعلبي ( ١٣ / ١٢٢ ب ) - ( ١ / ١٣٣ ) ،  
وتفسير الرازي ( ١٣٢ / ٣٨ - ٣٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠ / ١٤٠ - ١٤١ ) والتسهيل لابن جزى  
( ٤ / ٢١١ ) والبحر المحيط ( ٨ / ٤٩٨ ) .

وأما الراجح فقد ذهب الطبري إلى اختيار القول الثاني وهو أن معناه : " لم يكن  
الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد حتى تأتيتهم البينة ، وهى  
إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه " .

وصرح ابن الجوزي بأن الوجه هو الأول ، أى أن المعنى : " لم يكونوا زائلين عمن  
كفرهم وشركهم ( حتى تأتيتهم ) أى : حتى أتتهم " . انظر تفسير الطبري ( ٣٠ / ٢٦٢ ) ،  
وزاد المسير ( ٩ / ١٩٦ ) . وعلى القولين يأتى الاشكال ، وهو أن هذه الآية تتناقض مع قوله  
تعالى ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة " وذلك لأن التقدير :  
لم يكن الذين كفروا منفكسين عن كفرهم أو مفترقين في أمر محمد حتى تأتيتهم البينة ، التى هى  
الرسول .

.../...



.../...

ثم إن كلمة حتى لانتها ، الغاية فهذه الآية تقتضى أنهم صاروا منفكين عن كفرهم ، أو مجتمعين في أمر محمد عند إتيان الرسول " ثم قال بعد ذلك " وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة " وهذا يقتضى أن كفرهم قد ازداد عند مجيئ الرسول عليه السلام ، فحينئذٍ يحصل بين الآية الأولى والآية الثانية تناقض .

أشار إلى هذا الاشكال الرازى في تفسيره ( ٣٨ / ٣٢ ) وأجاب عنه بما قاله الزمخشري في الكشاف ( ١٨٢ / ٤ ) وهو أن الكفار من الفريقين أهل الكتاب ، وعبيد الأوثان كانوا يقولون قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم : لا تتفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والإنجيل ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ) يعنى أنهم كانوا يعدون إجتماع الكلمة والإتفاق على الحق ، إذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهـم عن الحق ولا أقرهـم على الكفر إلا مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفى الحقيقة أنه ليس بين القولين كبير فرق سوى أن الزمخشري جعل الآية الأولى حكاية عن قول الكفار ، والآية الثانية اخباراً عن الواقع ، والمعنى : أن الذى وقع خلاف ما ادعوا .

وأما القول السابق فعليه كذا الآيتين وهو اخبار عن الواقع واختار الرازى ما قاله الزمخشري وقال : هو القول المختار فى هذه الآية " ويبدو لي أيضاً أنه أحسن الوجوه ، لأنه يسلم به من التناقض بين الآيتين ، وأما الأقوال الأخرى فليس هناك مانع من إيرادتها .

وقوله ( رسول من الله ) أى هو رسول من الله وقيل : حتى أتاهم رسول من الله<sup>(١)</sup>  
 وقوله ( يتلو صحفاً مطهرة ) أى ما فى الصحف<sup>(٢)</sup> ، وقوله ( مطهرة ) أى من  
 التغير والتبديل والأدناس والأنجاس<sup>(٣)</sup> .  
 وقوله ( فيها كتب قيمة ) أى أحكام مستقيمة عادلة<sup>(٤)</sup> .

(١) ذكروا فى ( رسول الله ) وجهين - الوجه الأول أنه مرفوع لأنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى - أو هو ، لأن البينة قد تذكر . ذكره القرطبي وعزاه إلى الفراء .  
 والثانى : أنه بدل من البيئنة ، عزاه القرطبي إلى الزجاج . انظر أعراب القرآن (٧٤٨/٣) ومشكل أعراب القرآن (٤٨٦/٢) وتفسير القرطبي (١٤٢/٢٠) والتسهيل (٢١١/٤) .

(٢) ذكر البغوى فى تفسيره (٢٧٨/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (١٩٦٩/٩) أنه يريد ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها ، وهو القرآن ، ويدل على ذلك أنه كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه لا من كتاب .  
 انظر أيضاً تفسير القرطبي (١٤٢/٢٠) .

(٣) نقل القرطبي فى تفسيره (١٤٢/٢٠) عن ابن عباس أنه قال : من الزور والشك والنفاق والضلالة ، وعن قتادة أنه قال : من الباطل ، وقيل : من الكذب والشبهات والكفر ، ثم قال : والمعنى واحد " أى أنها مطهرة من جميع النقائص .  
 وقال قتادة : إن معناه : يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويشنى عليه بأحسن الثناء .  
 انظر تفسير الطبري (٢٦٣/٣٠) وتفسير الماوردي (٤٩٤/٤) وتفسير ابن كثير (٥٣٧/٤) .

وقيل : معناه : ينبغى أن لا يمس إلا المطهرون ، ذكره القرطبي والصواب أن القرآن يتصف بأكمل الطهارة وأتمها عن كل النقائص والردائل .

(٤) ذكر غير واحد من المفسرين أن " قيمة " معناه : مستقيمة عادلة محكمة ، وقال القرطبي : هو من قول العوب : قام يقوم : إذا استوى وصح .  
 انظر تفسير الطبري (٢٦٣/٣٠) وتفسير البغوى (٢٧٨/٧) وزاد المسير (١٩٦/٩) وتفسير الرازي (٤٢/٣٢) وتفسير القرطبي (١٤٣/٢٠) وتفسير ابن كثير (٥٣٧/٤) .

وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٨٢/٤) : " ( قيمة ) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل " .

وذكر الرازي فى معناه قولاً آخر وهو أن القيمة بمعنى القائمة أى هى قائمة مستقلة بالحجة والدلالة ، من قولهم : قام فلان بالآمر يقوم به إذا أجراه على وجهه " .

والكتاب يأتي بمعنى الحكم ، والكتب بمعنى الأحكام (١) ، وفي قصة العسيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لأقضين بينكما بكتاب الله (٢) أى بحكم الله . (٤)

(١) نقل الرازي في تفسيره (٤٢/٣٢) عن معنى أهل العلم : أن الكتاب قد يكون بمعنى الحكم ، قال تعالى : ( كتب الله لأغلبن ) ( سورة المجادلة الآية ٢١ ) أى حكم ، وذكر حديث العسيف ، ثم قال : فيحتمل أن يكون المراد من قوله ( كتب قيمة ) أى أحكام قيمة " وذلك لأنه قيل : الصحف هى الكتب ، فكيف قال : " في صحف فيها كتب قيمة " ، فالجواب : أن الكتب هنا بمعنى الأحكام ، انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٤٣/٢٠ ) ولسان العرب ( ٧٠٠/١ ) وذكر الرازي فيه قولاً آخر وهو أن المراد من الكتب الآيات المكتوبة في الصحف .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤٩٤/٤ ) فى معنى الآية وجهين : أحدهما : يعنى كتب الله المستقيمة التى جاء القرآن بذكرها ، وثبت فيه صدقها ، حكاه ابن عيسى ، والثانى : يعنى فروض الله العادلة ، قاله السدي . ويبدو أن الصواب هو ما ذكره المؤلف يعنى أن الكتب هنا بمعنى الأحكام ، وهو الذى يتناسب مع السياق ويدل عليه الدليل ، وإليه ذهب أكابر المفسرين .

(٢) العسيف : الأجير ، جمعه : عسفا . انظر النهاية ٢٣٦/٣ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الحدود ، باب الاعتراف بالزنا ( ١٣٦/١٢ - ١٣٧ رقم ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨ ) .

ومسلم فى صحيحه - كتاب الحدود ، باب حد الزنا ( ١٠٧-٢٠٥/١١ ) كلاهما بسندهما عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهني قالا : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام رجل فقال : أشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله ، فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : اقض بيننا بكتاب الله واذن لى ، قال : قل ، قال : إن ابني هذا كان عسيفاً على هذا ، فزنى بامرأته ، فافتيت منه بمائة شاة وخادم ، ثم سألت رجلاً من أهل العلم فأخبرونى أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأته الرجم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكره ، المائة شاة والخادم رد . . . . . الحديث ، واللفظ للبخارى .

(٤) قال النووي فى شرحه على صحيح مسلم ( ١٢٠٥/١١ ) : " يحتمل أن المراد : بحكم الله " ، وذكر القرطبي فى تفسيره ( ١٤٣/٢٠ ) هذا الجزء من الحديث ، وقال : ثم قضى بالرجم ، وليس ذكر الرجم مسطوراً فى الكتاب ، فالمعنى : لأقضين بينكما بحكم الله تعالى .

وقوله ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ) أى فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم  
(١) وما جاء به .

وقوله ( إلا من بعد ما جاءتهم البينة ) أى البينات والبراهين والدلائل (٢) .  
قوله تعالى ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاً ) قد ذكرنا معنى  
(٣) الحنيف .

وقيل : إذا كان مسلماً فهو الحاج وإذا كان غير مسلم فهو الإسلام ، والمعنى  
أمروا أن يكونوا حنفاً ، فإن كان الخطاب مع المسلمين فالمراد منه أن يكونوا حجاجاً ،  
وإن كان الخطاب مع الكفار فالمراد أن يكونوا مسلمين .

(١) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٦٣ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول : وما تفرق  
اليهود والنصارى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوا به " .  
وقال الزمخشري فى الكشاف ( ٧٨٢ / ٤ ) : " والمراد بتفرقهم : تفرقهم عن الحق  
وانقشاعهم ، أو تفرقهم فرقاً ، فمنهم من آمن ، ومنهم من أنكروا وقال : ليس بيه ،  
ومنهم من عرف وعاند " . ثم ذكر سبب أفراد أهل الكتاب هنا فقال : لأنهم  
كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم ، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب  
له أدخل فى هذا الوصف ، وذكره عنه أبوحيان فى البحر المحيط ( ٤٩٩ / ٨ ) ثم  
نقل عن ابن عطية أنه قال : " ذكررتعالى مذمة من لم يؤمن من أهل  
الكتاب من أنهم لم يتفرقوا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما رأوا  
الآيات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته ، ظمناً بما من  
العرب حسدوه " .

(٢) ذكر المفسرون هنا أيضاً فى معنى البينة ثلاثة أقوال :  
القول الأول : أنها محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى ، لم يزالوا مجتمعين  
على الإيمان به حتى بعث . قاله الأكثرون . والثانى : القرآن ، قاله أبوالمعالين  
والثالث : البيان الذى فى كتبهم أنه نبي مرسل ، اختاره البغوى " ولا أرى مانعاً  
من أن يراد جميع ذلك .  
انظر تفسير البغوى ( ٢٧٨ / ٧ ) وتفسير الماوردى ( ٤٩٤ / ٤ ) وزاد المسير ( ٩٧ / ٩ )  
وتفسير القرطبي ( ١٤٣ / ٢٠ ) .

(٣) عند قوله تعالى ( قل : بل ملأ إبراهيم حنيفاً ) سورة البقرة الآية ١٣٥ ، فذكر  
هنالك ثلاثة معان الحنيف ، فقال : " وأما الحنيف هو المسلم ، وأصله الميل ، ومنه  
الأحنف وهو المائل القدم ، والمسلم مائل من سائر الأديان إلى ملة الإسلام ، وقيل :  
معناه المستقيم ، فسماه حنيفاً على الضد كما يقال للهلكة مفازة ، ولدىخ سليم ،  
وقيل : الحنيف هو الحاج المختتن وذلك لأنه لم يبق مع العرب من ملة إبراهيم إلا الحج  
والختان وكانوا يعرفون كل من حج واختتن على ملة إبراهيم وعرفوا الرجل بذلك حنيفاً  
، فقال : بل ملأ إبراهيم حنيفاً على وفق ما عرفوا ( وما كان من المشركين ) . انظر  
القسم المحقق من هذا الكتاب ( ع ٢٥٣ ) .

(٤) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٢٦٣ / ٣٠ ) من طريق عطية العوفى عن ابن عباس أنه قال :  
حجاجاً مسلمين غير مشركين ، يقول : ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويحجوا وذلك دين

القيمة " .

وأورد الماوردي في تفسيره ( ٤٩٤/٤ ) عن ابن عباس أنه قال : يعنى حجاجاً ، ثم ذكر عن عطية العوفي أنه قال : " إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف : الحاج ، وإذا انفرد الحنيف كان معناه : المسلم " وانظر أيضاً هذا القول وما تقدم ذكره في سورة البقرة وغير ذلك من أقوال في تفسير الماوردي ( ١٦١/١ ، ٤٦٤/٤ ) وزاد السير ( ١٥٠/١ ) وتفسير الرازي ( ٤٦/٣٢ - ٤٧ ) وتفسير ابن كثير ( ١٨٦/٤ - ١٨٧ ) ولسان العرب ( ٥٦/٩ - ٥٧ ) .

والراجح في معنى الحنيف هو ما ذهب إليه الطبري في تفسيره ( ١٠٨/٣ ) قال : الحنف عندى هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته ، وذلك أن الحنيفية لـو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاً ، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفاً بقوله : ( ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين ) .

فكذلك القول في الختان ، لأن الحنيفية لو كانت هي الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاً وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله ( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ) .

فقد صح إذاً أن الحنيفية ليست الختان وحده ، ولا حج البيت وحده ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملّة إبراهيم واتباعه عليها والالتزام به فيها " .

وقوله ( وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ) وذلك دين القيمة ( أى ذلك الطمة القيمة ) ، وقيل : دين الأمة المستقيمة على الحق ، وقيل : دين الطمة القيمة .<sup>(٣)</sup>

(١) ذكر ابن جرير في تفسيره ( ٢٦٤/٣٠ ) أن الدين مضاف إلى القيمة ومن نعمته لاختلاف لفظيهما وأثبت القيمة لأنها جعلت صفة للممة ، كأنه قيل : وذلك الطمة القيمة ون اليهودية والنصرانية .

وذكر نحوه الثعلبي أيضا في تفسيره ( ١٣/١٣٣/١ ) ، ب ( وذكر أيضا أنه قيل : الهاء في المبالغة ، وعلى هذا يكون التقدير " ذلك الدين القيم " وهكذا جاء في حرف عبد الله بن مسعود كما ذكر القرطبي في تفسيره ( ١٤٤/٢٠ ) . وعزا القول بأن الدين مضاف إلى القيمة وهو نعمته لاختلاف اللفظين إلى الفراء ، وله قول آخر في معاني القرآن ( ٢٨٢/٣ ) وهو أن ذلك مما يضاف إلى نفسه لاختلاف اللفظين ، وذكره عنه النحاس في إعراب القرآن ( ٧٥٠/٣ ) وقال : وذلك محال عند البصريين .

(٢) ذكر غير واحد من المفسرين أن القيمة صفة قامت مقام موصوف محذوف ، ثم اختلفوا في تقدير هذا الموصوف ، فذكر بعضهم أن الموصوف : الأمة ، التقدير : دين الأمة القيمة بالحق أى القائم بالحق ، ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٤٤/٢ ) انظر أيضا تفسير الماوردي ( ٤٦٥/٤ ) وزاد المسير ( ١٩٩٩/١ ) .

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ( ٤٧/٣٢ ) عن المبرد والزجاج ، والقرطبي في تفسيره ( ١٤٤/٢٠ ) عن الزجاج فقط ، وهو اختيار الزمخشري في الكشاف ( ٧٨٣/٤ ) وهناك أقوال أخرى . منها أن التقدير : دين الجماعة القيمة . وقال الخليل : القيسة جمع القيم والقيم والقائم واحد ، فمجاز الآية وذلك دين القائم لله بالتوحيد .

وقال محمد بن الأشعث الطالقاني : - القيمة هاهنا الكتب التي جرى ذكرها والدين مضاف إليها على معنى : وذلك دين الكتب القيمة فيما يدعو إليه ويأمر به .

انظر تفسير الثعلبي ( ١٣/١٣٣/ب ) وتفسير البغوي ( ٢٧٩/٧ ) وتفسير القرطبي ( ١٤٤/٢٠ ) وإعراب القرآن للنحاس ( ٧٤٠/٣ ) ومشكل إعراب القرآن ( ٤٩٠/٢ ) . والذي تميل إليه النفس هو القول الأول وهو أن الدين مضاف إلى القيمة ، وهو نعمته ، وقد جاء في كلام العرب إضافة الموصوف إلى صفة وأما تأنيث القيمة فلأن الدين بمعنى الممة والله أعلم بالصواب .

قوله تعالى ( إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالد يسكن فيها أولئك هم شر البرية ) قرئ بالهمز وترك الهمز (١) .

فالقراءة بالهمز من " برأ الله الخلق " (٢) ، وبترك الهمز من النبرا ، وهو التراب أى شر من خلق البرا ، والعرب تقول : يقيقك البرى والشرى . (٣)

(١) ذكر أبو عمرو الداني ومكي بن أبي طالب وابن الجزرى وغيرهم أن نافعاً وابن ذكوان قرأ ( البريئة ) بالهمز ، وقرأ الباقر بن تشديد الياء من غير همز ، وعزا صاحب حجة القراءات قراءة الهمز إلى نافع وابن عامر . وقال ابن الجوزى : قرأ نافع ، وابن ذكوان عن ابن عامر بالهمز بالكلمتين ، وقرأ الباقر بغير همز فيهما .

انظر التيسير (ص ٢٢٤) والكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٣٨٥ / ٢ ) والنشر فى القراءات العشر ( ٤٠٣ / ٢ ) وحجة القراءات ( ص ٧٦٩ ) والبندور الزاهرة ( ص ٣٤٦ ) وزاد المسير ( ١٩٩ / ٩ ) .

(٢) ذكر مكي بن أبي طالب أن قراءة الهمز على الأصل ، لأنها من " برأ الله الخلق " أى خلقهم ، فأصله التهمز ، والبريئة : الخليفة ، وكذا ذكره صاحب حجة القراءات ، وقال : البريئة : فعيلة بمعنى مفعولة ، انظر المصدرين السابقين لهما .

(٣) ذكر هذا التعليل الفراء فى معانى القرآن ( ٢٨٢ / ٣ ) قال : " وإن أُخِذَتْ ( أى كلمة البريئة ) من البرى كانت غير مهموزة ، والبرى : التراب ، سمعت العرب تقول : بفيه البرى ، وحمى خيرى ، وشر ماوى ، فإنه خيسرى ( أى الخاسر ) . انظر أيضاً لسان العرب ( ٢٣٩ / ٤ ) مادة خسر .

ولم يذكر مكي بن أبي طالب ولا صاحب حجة القراءات هذا التعليل وإنما ذكروا أنها أيضاً من " برأ الله الخلق " إلا أنهم خففوا الهمزة لكثرة الاستعمال .

انظر أيضاً لسان العرب ( ٣١ / ١ ) وذكر ابن الجوزى عن ابن قتيبة والخطابى والزجاج أنهم جميعاً صرحوا بأن أصل البريئة الهمز ، إلا أنهم اصطلموا على ترك الهمز فيها ، وقال : ومن الناس من يزعم أنها مأخوذة من بريئت العمود ، ومنهم من يزعم أنها من البرى وهو التراب ، أى خلق من التراب ، وقالوا : لذلك لا يهمز وقال الزجاج : لو كان من البرى وهو التراب لما قرنت بالهمز ، وإنما اشتقاقها من " برأ الله الخلق " زاد المسير ( ١٩٩ / ٩ ) انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٥٥ / ٢٠ ) .

وقوله ( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ) قد ذكرنا<sup>(١)</sup>  
 وروى سفيان الثوري عن المختار بن قلفل<sup>(٢)</sup> عن أنس بن مالك : أن رجلاً قال للنسبي  
 صلى الله عليه وسلم يا خير البرية . قال : ذاك إبراهيم صلوات الله عليه أورده أبو عيسى  
 الترمذى فى جامعته ، وقال : هو صحيح غريب .<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

وقوله ( جزاءهم عند ربهم جنات تجري ) قال ابن عمر : خلق الله أربعة أشياء  
 بيده : الظم والعرش وجنة عدن وآدم صلوات الله عليه . وقال لسائر الأشياء : كوني  
 ، فكانت .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) لعنه يقصد ذكر القراءتين وتقدم قبله مباشرة . وهذه الآية من أكبر الأدلة  
 على أن الأعمال داخلية فى الإيمان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد استدل  
 بها كثير من الأئمة . انظر تفسير ابن كثير ( ٤ / ٥٢٧ ) .

( ٢ ) هو المختار بن قلفل ( بغائين مضمومتين ولا ميم الأولى ساكنة ) مولى عمرو بن  
 حريث ، صدوق له أوهام .  
 تقريب التهذيب . ٣٣ .

( ٣ ) أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب التفسير ، باب " ومن سوركم يكن " ( ٤٤٦ / ٥ ) رقم  
 ٣٣٥٢ ) عن محمد بن بشار حدثننا عبد الرحمن بن مهدي حدثننا سفيان به ، وأخرجه  
 أيضاً مسلم فى صحيحه - كتاب المناقب ، باب فضائل إبراهيم الخليل صلى  
 الله عليه وسلم ( ١٥ / ١٢١ - ١٢٢ ) من طرق عن المختار بن قلفل به .

وقال النووى فى شرحه : قال العلماء : إنما قال صلى الله عليه وسلم هذا تواضعاً  
 واحتراماً لإبراهيم صلى الله عليه وسلم لخلته وأبوتة وإلا فنحن أفضل ، كما  
 قال صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد ولد آدم ، ولم يقصد به الافتخار  
 ولا التناول على من تقدمه بل قاله بياناً لما أمر ببيانه وتبليغه ولهذا قال  
 صلى الله عليه وسلم : ولا فخر لىفى ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة " .

( ٤ ) ليس هذا نص ما قاله الترمذى ، فإنه قال : " هذا حديث حسن صحيح " وكذا هو  
 فى النسخة المطبوعة مع تحفة الأحوزى ( ٤ / ٢١٧ ) .

( ٤ ) أخرجه الدارمى فى الرد على بشر المريسي ( ص ٣٥ ، ٩٠ ، ١٧٢ ) والآجرى فى  
 الشريعة ( ص ٣٠٣ ) وأبو الشيخ فى العظمة ( ص ٥١٥ رقم ٢١٣ ) والحاكم فى مستدركه  
 ( ٢ / ٣١٩ ) واللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة ( ٢ / ٤٢٩ ) كلهم من طريق  
 عبيد بن مهران عن مجاهد عن ابن عمر بنحوه ، وعند بعضهم زيادة : احتجب من  
 الخلق بأربع بنار وظلمة ونور وظلمة " وعند الجميع ( قال لسائر الخلق : كن ، فكان )  
 وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وأورده فى  
 العلو ( ص ٦٦ ) وقال : " إسناده جيد " ، وقال الألبانى فى مختصره ( ص ١٠٥ )  
 : " على شرط مسلم " ١ هـ . وهو موقوف ولكن له حكم الرفع لأن مثله لا يقال إلا عن توقيف  
 من النبى صلى الله عليه وسلم .



وقوله ( تجرى من تحتها الأنهار خالد ين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه )  
أى رضى أعمالهم ورضوا ثوابه<sup>(١)</sup> ، وقوله ( ذلك لمن خشى ربه ) أى  
( ٢ )  
خاف ربه .

---

( ١ ) قال القرطبي فى تفسيره ( ١٤٦ / ٢٠ ) : " ( رضى الله عنهم ) أى رضى  
أعمالهم ، كذا قال ابن عباس ( ورضوا عنه ) أى رضى بهم بثواب الله  
عز وجل ، .

وقال مقاتل فى تفسيره ( ١ / ٤٠١ ) :  
" ( رضى الله عنهم ) بالطاعة ، ( ورضوا عنه ) بالثواب ، وقال  
ابن جرير فى تفسيره ( ٢٦٥ / ٣٠ ) : " ( رضى الله عنهم ) بما أطاعوا فى  
الدنيا وعملوا لخلاصهم من عقابه فى ذلك ، ( ورضوا عنه ) بما أعطاهم  
من الثواب يومئذ على طاعتهم ربهم فى الدنيا ، وجزاهم عليها من الكرامة " .  
وكل هذه المعانى متقاربة .

( ٢ ) قال القرطبي : أى خاف ربه ، فتناهى عن المعاصى ، وكذا ذكره ابن الجوزى .  
وقال ابن جرير : يقول تعالى : هذا الخير الذى وصفه ، ووعدته الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات يوم القيامة .  
( لمن خشى ربه ) يقول : لمن خاف الله فى الدنيا فى سره وعلانيته ، فاتقاه  
بأداء فرائضه واجتناب معاصيه " .  
انظر تفسيره ( ٢٦٥ / ٣٠ ) .

- تفسير سورة إذا زلزلت ، وهى مكية ، وقيل مدنية - (١)

وقد روى أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ ( إذا زلزلت الأرض زلزالها ) عُدَّتْ له بنصف القرآن ، (٢) ومن قرأ ( قل : يا أيها الكافرون ) عُدَّتْ له بربع القرآن ، ومن قرأ ( قل هو الله أحد ) عُدَّتْ له / بثلاث القرآن (٣٤١/أ) أورده أبو عيسى فى جامعه (٣) ، وقال : هو حديث غريب . (٤)

(١) هذه السورة أيضا مما اختلف فيه أئمة التفسير - هل هى مدنية أو مكية على قولين : القول الأول إنها مدنية - وهو قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والجمهور كما صرح به ابن الجوزى .

والقول الثانى : إنها مكية ، وهو قول ابن مسعود وجابر وعطاء وعزاه أبو حيان إلى ابن عباس ومجاهد أيضا ، ويبدو أن الصواب هو القول الأول ، لأنه قول الجمهور ، وأوردها البيهقى فى دلائل النبوة ( ١٤٣/٧ ) ضمن السور الستى نزلت بالمدينة ، وروى ابن أبى حاتم فى تفسيره بسنده عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : لما نزلت ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ) قلت : يا رسول الله . إنسى لرأى على . . . الحديث ، وأبوسعيد لم يكن إلا بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أحد . انظر زاد المسير ( ٢٠١/٩ ) وتفسير القرطبى ( ١٤٦/٢٠ ) والبحر المحييط ( ٥٠٠/٨ ) والإتقان ( ١٤/١ ) والدر المنثور ( ٣٧٩/٦ ) .

(٢) قوله " من قرأ إذا زلزلت " (إلى قوله) " بنصف القرآن " ساقط من نسخة " ب " ، وهو موجود فى هامش الأصل .

(٣) رواه الترمذى فى سننه - كتاب فضائل القرآن " باب ما جاء فى إذا زلزلت ( ١٦٥/٥ رقم ٢٨٩٣ ) عن محمد بن موسى الحرشى ، حدثنا الحسن بن مسلم بن صالح العجلي حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك مرفوعاً بمثله ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٧٩/٦ ) وعزاه أيضا إلى ابن مردويه والبيهقى .

(٤) نص ما قاله الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن ابن مسلم " ا ه . وهو مجهول ، كما فى تقريب التهذيب ( ص ٧٠ ) انظر أيضا تحفة الأحوذى ( ٤٠٨/٤ ) فالحديث ضعيف لهذه العلة ، وأورده الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ( ٢٣٢/٥ ) وقال فيه : ضعيف ، وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الترمذى فى المصدر السابق له ( رقم ٢٨٩٤ ) والحاكم فى مستدركه ( ٥٦٦/١ ) ، كلاهما من طريق يمان بن المفيرة العدنيزى عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه ، قال فيه الترمذى : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المفيرة " وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرجاه " وأورده الحافظ بن حجر فى الفتح ( ٦٣/٩ ) وقال : وفى سنده يمان وهو ضعيف عندهم " ا ه . ونقل صاحب تحفة الأحوذى ( ٤٨/٤ - ٤٩ ) عن المناوى أنه قال : هذا حديث منكر وتصحيح الحاكم مردود " وذكر الألبانى فى حديث أنس فى هامش ضعيف الجامع الصغير : وإنما أورده هنا من أجل الفقرة الأولى ، ولإلا فالفقرتان الأخريان ( قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ) ثابتتان " وأورده بالفقرتين " المذكورتين فى صحيح الجامع الصغير ( ٣٣٩/٥ ) وقال : حسن .

وأورد أيضا برواية سلمة بن وردان<sup>(١)</sup> عن أنس بن مالك قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه : هل تزوجت ؟ يا فلان . قال : لا والله ولا عندى ما أتزوج به فقال : أليس معك ( قل هو الله أحد ) ؟ قال : بلى ، قال : ثلث القرآن ، قال : أليس معك ( إذا جاء نصر الله والفتح ) قال : بلى قال : ربع القرآن ، قال : أليس معك ( قل يا أيها الكافرون ) ؟ قال : بلى قال : ربع القرآن قال : أليس معك ( إذا زلزلت الأرض زلازلةا ) ؟ قال : بلى ، قال : ربع القرآن ، قال : تزوج تزوج .  
( ٢ )

---

( ١ ) هو سلمة بن وردان اللبى أبو يعلى المدنى ، ضعيف ، مات سنة بضع وخمسين ومائة . انظر تقريب التهذيب ١٣١ .

( ٢ ) رواه الترمذى فى المصدر المذكور له ( ١٦٦/٥ ) رقم ( ٢٨٩٥ ) ورواه أيضا ابن أبى شيبة وأبو الشيخ كما قال ابن حجر فى فتح البارى ( ٦٢/٩ ) قال فىه الترمذى : هذا حديث حسن " .  
وقال ابن حجر فى فتح البارى ( ٦٣/٩ ) : وهو حديث ضعيف لضعف سلمة ، وإن حسنه الترمذى فعمله تساهل فيه لكونه من فضائل الأعمال " ١ . هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( إذا زلزلت الأرض زلزالها ) قال ابن عباس : حركت من أسفلها (١)  
والزلزال : هو التحريك الشديد . (٢)  
وعن ابن عباس : أنه عقيب النفخة الأولى (٣) .

وفي التفسير : إن إسرافيل إذا نفخ في الصور النفخة الأولى يكسر كل شئ على وجه الأرض من شدته فتفخته ويدخل في جوف الأرض ، فإذا نفخ النفخة الثانية أخرجت جميع ما في جوفها وألقها على وجهها (٤) .

(١) أورد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٠) عن ابن عباس أنه قال : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) : أي : تحركت من أسفلها ، وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وأنا لم أجده في تفسير ابن جرير عند هذه الآية ، وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/١٤٧) قال : قال ابن عباس أي حركت من أسفلها ، كذا روى عكرمة عن ابن عباس . وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٥٣٩) قال : قال ابن عباس : " (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي : تحركت من أسفلها " .

(٢) انظر تفسير الماوردى (٤/٤٩٦) وتفسير البغوى (٧/٢٨٠) وزاد المسير (٩/٢٠١) ولسان العرب (١١/٣٠٧) وقال القرطبي في تفسيره (٢٠/١٤٧) ، وذكر المصدر للتأكيد ، ثم أضيف إلى الأرض كقولك : لأعطينك عطيتك ، أي عطيتي لك ، وحسن ذلك لموافقة رؤوس الآيات .  
وقال أبو حيان في البحر المحيط (٨/٥٠٠) : وأضيف الزلزال إلى الأرض ، إن المعنى : زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمتها ، ولو لم يضاف لصدق على كل قدر من الزلزال وإن قل ، والفرق بين أكرمت زيدا كرامة وكرامته واضح .  
انظرا أيضا إعراب القرآن للنحاس (٣/٧٥٢) .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/١٤٧) قال : " وكان يقول (أي ابن عباس) في النفخة الأولى يزلزلها " . وقاله مجاهد ، لقوله تعالى ( يوم ترجف الراجفة ) ، تتبهما الزادفة " (سورة النازعات الآية ٦) . ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاهما وهي الأثقال " .

واختلف في وقت هذه الزلزلة على قولين : أحدهما : أنها تكون في الدنيا ، وهي من أشرط الساعة ، وهو قول الأكثرين ، وهو الصواب . والثاني : أنها زلزلة يوم القيامة ، قاله خارجه بن زيد وطائفة ، انظر تفسير الماوردى (٤/٤٩٦) وزاد المسير (٩/٢٠٢) .

(٤) جاء نحوه في تفسير مقاتل (١/٤٠١) فإنه قال : " قوله (إذا زلزلت الأرض زلزالها) يقول : تزلزلت يوم القيامة من شدة صوت إسرافيل عليه السلام ، بمعنى : تحركت فتضرب حتى تكسر كل شئ عليها يعني بزلزالها من شدة الزلزلة ، ولا تسكن حتى تلقس ما على ظهرها من جبل أو بناء أو شجر فيدخل فيها كل شئ خرج منها ، وزلزلت الدنيا واضطربت وأخرجت ما في جوفها من الناس والدواب والجن وما عليها من الشياطين فصارت خالية ليس فيها شئ " . وذكر عنه ابن الجوزى أيضا في زاد المسير (٩/٢٠١) .

وقوله ( وأخرجت الأرض أثقالها ) هو ما ذكرنا (١) ، وذلك عقيب النفخة الثانية (٢)  
قال مجاهد وقتادة : كنوزها وموتاهها . (٣)

(١) يقصد أنها تخرج ما في جوفها وتلقيها على الأرض .

(٢) تقدم نقلاً عن القرطبي أن ابن عباس ومجاهد أنهما قالا : ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاهها وهي الأثقال .

(٣) اختلف المفسرون في معنى (الأثقال) في هذه الآية : على أربعة أقوال :  
أحدها : الموتى ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ، رواه عنهما ابن جبري فسي تفسيره (٢٦٦/٣٠) وأورده عنهما السيوطي في الدر المنثور (٣٨٠/٦) وعزاه تخرجه قول ابن عباس إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه - وكذا ورد قول مجاهد في تفسيره (٧٧٥/٢) وهو اختيار أبي عبيدة في مجاز القرآن (٣٠٦/٢) فإنه قال : إذا كان الميت في بطنها فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها \* وكذلك اختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٥٥) .  
والقول الثاني : كنوزها ، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٠٢/٩) وعزاه إلى عطية ، وأورده القرطبي في تفسيره (١٤٧/٢٠) وأبو حيان في البحر المحيط (٥٠٠/٨) وابن جزى في التسهيل (٢١٣/٤) دون عزو إلى أحد .

والثالث : هو الجمع بين القولين ، أي كنوزها وموتاهها ، وهو قول الفراء فسي معاني القرآن (٢٨٣/٣) فإنه قال : لفظت ما فيها من ذهب أو فضة أو ميت \* ، واختاره الثعلبي في تفسيره (١٣/١٣٥/١) والبغوي في تفسيره (٢٨٠/٧) ، وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٠/٦) عن عطية أنه قال : أي ما فيها من الكنوز والموتى وعزاه تخرجه إلى ابن أبي حاتم ، وأورده أبو حيان من قول النقاش والزجاج والقاضي منذر بن سعيد .

وأما عزو المؤلف لهذا القول إلى قتادة ومجاهد فأنا لم أجد من ذكره عن قتادة ، كما أن في عزوه إلى مجاهد نظر ، والرابع : أسرارها التي استودعتها ، ذكره الماوردي في تفسيره (٤٩٦/٤) بلفظ الاحتمال . والرازي في تفسيره (٥٨٣/٢) وقال : أثقالها : أسرارها فيومئذ تكشف الأسرار ، ولذلك قال : ( يومئذ تحدث أخبارها ) فتشهد لك أو عليك \* .

وأما الراجح فقال ابن كثير في تفسيره (٥٣٩/٤) عند هذه الآية : \* يعنى ألق ما فيها من الموتى ، قاله غير واحد من السلف ، وهذه كقوله تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) ( سورة الحج الآية ١ ) وكقوله ( وإذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت ) ( سورة الانشقاق الآية ٣ ، ٤ ) ثم ذكر حد يث ابن هريزة الذي أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزكاة ( ٩٨ / ٧ ) مرفوعاً : تقبى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة . . . الحديث . فهذا الحديث يدل على أن المراد الكنوز ، لا الموتى ، وهو الموافق لما ذهب إليه الأكثر من أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا ، وأنها من أسراط الساعة ، وأما القول بأن أثقالها معناه : موتاهها فإنه لا يصح إلا على القول بأن هذه الزلزلة تكون يوم القيامة .  
انظر البحر المحيط ( ٥٠٠ / ٨ ) والتسهيل ( ٢١٣ / ٤ ) .

وقوله ( وقال الإنسان مالها ) أى وقال الكافر : مالها يعنى الأرض  
أخرجت أثقالها . وإنما قال الكافر ذلك لأنه لم يكن يؤمن بالبعث .<sup>(١)</sup>

وقوله ( يومئذٍ تحدث أخبارها ) أى تحدث بما عمل عليها من خير  
وشر يعنى الأرض<sup>(٢)</sup> وروى سعيد بن أبى أيوب<sup>(٣)</sup> عن

(١) اختلف المفسرون فى المراد بالإنسان على قولين :  
أحدهما : أنه اسم جنس يعم الكافر والمؤمن - وهذا قول من جعلها  
من أشراط الساعة ، لأنها حين ابتدأت لم يعلم الكل أنها من  
أشراط الساعة ، فسأل بعضهم بعضاً عنها .  
والثانى : أنه الكافر خاصة ، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة ، لأن  
المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها ، والكافر جاهل لها لأنه  
لا يؤمن بالبعث فذلك يسأل .

وقال أبوحيان : والظاهر عموم الإنسان \* وعزا القول بأن المراد  
هو الكافر خاصة إلى الجمهور ، والأمر هو كما تقدم - يعنى أن المراد اسم  
جنس يعم الكافر والمؤمن وأن الزلزلة من أشراط الساعة ، وليست زلزلة القيامة  
انظر تفسير الماوردي (٤٩٧/٤) وزاد المسير (٢٠٣/٩) وتفسير القرطبي  
(١٤٨/٢٠) والبحر المحيط (٥٠٠/٨) ثم إن هناك احتمالين فى قوله  
( مالها ) . الأول : مالها زلزلت زلزالها . والثانى : مالها أخرجت  
أثقالها . وفيه احتمال ثالث سيأتى ذكره قريباً . ( ومالها ) كلمة  
تعجيب .

انظر تفسير الماوردي (٤٩٦/٤) وتفسير القرطبي (١٤٨/٢٠) .

(٢) اختلف فى معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال .  
أحدها : هو هذا الذى ذكره المؤلف ، أى أنها تحدث بأعمال العباد  
على ظهرها ، وهو على قول من زعم أنها زلزلة القيامة ، ويدل عليه حديث  
أبى هريرة الآتى ، ولكنه ضعيف ، لأن فى إسناده من هو منكر الحديث .

(٣) هو سعيد بن أبى أيوب الخزازى مولى هم المصرى ، أبويحى بن مقلص ثقة ثبت ،  
مات سنة إحدى وستين ومائة ، وقيل غير ذلك ، وكان مولده سنة مائة .  
تقريب التهذيب ( ص ١٢٠ ) .

يحيى بن أبي سليمان<sup>(١)</sup> عن سعيد المقبري<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ( يومئذٍ تحدث أخبارها ) ، قال : أتدرون ما أخبارها ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، قال : فهذه أخبارها<sup>(٣)</sup> .

قال - رضي الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النعمان أخبرنا أبو طاهر ابن المخلص أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد أخبرنا الحسن بن الحسين المرزوي أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب - الحديث - . ويقال : المعنى : وقال الإنسان مالها أي ما للأرض تحدث أخبارها<sup>(٤)</sup> .

(١) هو يحيى بن أبي سليمان المدني أبو صالح ، زوى عن المقبري وغيره . قال فيه الحافظ : لين الحديث ، من السادسة .  
تقريب التهذيب ٣٧٦ ، انظر أيضا ميزان الاعتدال ٣٨٣/٤ .

(٢) في النسختين ( المقبري ) والصواب ( المقبري ) كما في ترجمته ، وهو سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري أبو سعد المدني ، ثقة ، تغيّر قبل موته بأربع سنين ، وروايته عن عائشة ، وأم سلمة مرسله ، مات في حدود العشرين ومائة ، وقيل قبلها وقيل بعدها .  
تقريب التهذيب (١٢٢) .

(٣) أخرجه الترمذى في سننه كتاب التفسير ، باب ومن سورة ( إذا زلزلت الأرض ) ( ٤٤٦/٥ ، رقم ٣٣٥٣ ) والإمام أحمد في مسنده<sup>(٢/٣٧٤)</sup> بسندهما عن ابن المبارك والحاكم في مستدركه ( ٥٣٢/٢ ) بسنده عن عبد الله بن يزيد كلاهما عن سعيد بن أبي أيوب به - بمثله - .  
وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .  
وقال الحاكم : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه .  
وقال : يحيى هذا منكر الحديث قاله البخارى .  
وعليه فالحديث ضعيف .

(٤) هو القول الثانى من الأقوال الثلاثة المشار إليها ، ذكر الثعلبى فى تفسيره ( ١٣/١٣٥/١ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٨١/٧ ) أن فى الآية تقديمًا وتأخيرًا - تقديره : ( يومئذٍ تحدث أخبارها ) فيقول الإنسان مالها : أى تخبر بما عمل عليها .

وذكر نحو هذا القول عن ابن مسعود ، فقال الماوردي بعد أن ذكر في الآية قولين : الثالث : تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان : مالها ؟ قال ابن مسعود : فتخير بأن أمر الدنيا قد انقضى ، وأن أمر الآخرة قد أتى ، فيكون ذلك منها جواباً عند سوء الهيم ، وعيداً للكافر ولإنذاراً للمؤمن . .

انظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٤٩ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٥٠١ / ٨ ) وأما القول الثالث فهو ما ذكره الماوردي والقرطبي وأبو حيان من قول يحيى بن سلام : أي أنها تحدث بما أخرجت من أثقالها ، وهذا القول يوافق لمن ذهب إلى القول بأن هذه الزلزلة من أشراط الساعة .

وهناك حديث استدل به القرطبي وأبو حيان على هذا القول وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان أجل أحدكم بأرض أو ثبتت إليها الحاجة ، فإن بلغ أقصى أثره قبضه الله سبحانه ، فتقول الأرض يوم القيامة : رب هذا ما استودعني . .

أخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له ( ٥٦٦ / ٢ ) بسنده عن عبد الله بن مسعود .

ونقل السندی في حاشيته عن البوصيري : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، ولذلك يبدو لي أن هذا القول هو الصواب في معنى الآية .

ثم هناك خلاف آخر في معنى تحدث بثباتها بالأخبار - على ثلاثة أقوال أحدها : أن الله تعالى يقبلها حيواناً ناطقاً فتتكلم بذلك . ذكره الرازي وقال : وهو قول الجمهور . والثاني : أن الله تعالى يحدث فيها الكلام . قال الرازي : وهو قول المعتزلة . والثالث : أنه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام - ذكره الطبري وقال : يومئذ تبين الأرض أخبارها بالزلزلة والرجة وإخراج الموتى من بطونها إلى ظهورها " واختار هذا المعنى .

وقال أبو حيان : الظاهر أنه تحدث وكلام حقيقة بأن يخلق فيها حياة وإدراكاً فتشهد بما عليها من صالح أو فاسد ، وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما " ثم استشهد على هذا القول بأحاديث منها حديث أبي سعيد الخدري الذي ورد فيه " فإنه لا يسمع مدى صوت المؤمن جن ولا إنس ولا شيء " إلا شهد له يوم القيامة " أخرجه البخاري في صحيحه ( ٨٧ / ٢ - ٨٨ ، رقم ٦٠٩ ) وورد في رواية ابن خزيمة " لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له " . انظر صحيح ابن خزيمة ( ٢٠٣ / ١ ، رقم ٣٨٩ ) وانظر أيضاً تفسير الطبري ( ٢٦٦ / ٣٠ ) وتفسير الماوردي ( ٤٩٧ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ٥٩٧ / ٣٢ - ٦٠ ) وتفسير القرطبي ( ١٤٩ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٥٠١ / ٨ - ٥٠٢ ) والتسهيل ( ٢١٣ / ٤ ) .



قوله ( بأن ربك أوحى لها ) أى أوحى إليها أن تحدث<sup>(١)</sup> . قال الشاعر<sup>(٢)</sup>

أوحى لها القرارَ فاستقرت<sup>(٣)</sup> . أى إليها .

والمعنى : أن الأرض أخبرت بوحي الله إليها<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر النحاس : الوحي على وجهين : أحدهما : وحى الله إلى أنبيائه عليهم السلام ، والآخر بمعنى الإلهام مثل قوله تعالى ( وأوحى ربك إلى النحل )<sup>(٥)</sup> ومثل هذه الآية قوله تعالى : ( بأن ربك أوحى لها ) أى ألهمها أن تحدث<sup>(٦)</sup> .

(١) اختلف العلماء فى معنى ( أوحى لها ) على ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه ( أوحى إليها ) ، وهو قول ابن عباس والقرطبي ( أى محمد بن كعب ) وابن زيد ، وقال البخارى فى صحيحه ( ٧٢٦/٨ ) " يقال : أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى إليها ووحى لها واحد " وهو اختيار أبى عبيدة فى مجاز القرآن ( ٣٠٧٢ ) وانظرا أيضا تفسير الطبرى ( ٢٦٧/٣٠ ) وتفسير الثعلبي ( ١٣٥/١٣ ب ) وتفسير الماوردى ( ٤٩٧/٤ ) وزاد المسير ( ٢٠٣/٩ ) والكشاف ( ٧٨٤/٤ ) وتفسير الرازى ( ٦٠/٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ١٤٩/٢٠ ) والبحر المحيط ( ٥٠١/٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٣٩/٤ ) ولسان العرب ( ٣٨٠/١٥ ) .

(٢) هو العجاج .

(٣) كتب فى هامش الأصل " تمامه : وشدها بالراسيات الثبت " وانظر الرجز فى ديوان العجاج ( ٤٠٨/١١ رقم ٢٢٢ ) وفيه ( وحى لها ) بدل ( أوحى لها ) انظرا أيضا مجاز القرآن ( ١٨٢/١ ، ٣٠٦/٢ ، ١٨٢/١ ) والكشاف ( ٧٨٤/٤ ) ولسان العرب ( ٣٨٠/١٥ ) مادة وحى .

(٤) قال الفراء فى معانى القرآن ( ٢٨٣/٣ ) : " تحدث بأخبارها بوحي الله تبارك وتعالى ولذنه لها " وذكر الثعلبي فى تفسيره ( ١٣٦/١٣ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٨١/٧ ) أن مجاز الآية ( يوحي الله إليها ) .

(٥) سورة النحل الآية ٦٨ .

(٦) لعنه قاله فى معانى القرآن . وقال ابن قتيبة فى تأويل مشكك القرآن ( ص ٤٨٩ - ٤٩٠ ) ، " الوحي : كل شئ دللت به من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة " ثم قال : والوحي : الإلهام كقوله " ولذا أوحيت إلى الحواريين " سورة المائدة الآية ١١١ ، " وأوحى ربك إلى النحل ) سورة النحل الآية ٦٨ ، وذكر معانى أخرى للوحي ، ويبدو مما ذكره ابن قتيبة وأصحاب اللغة أن الإلهام واحد من معانى الوحي . انظر أيضا المفردات للراغب ( ص ٥١٦ - ٥١٧ ) ولسان العرب ( ٣٧٩/١٥ - ٣٨٠ ) وأما القول الثانى فى معنى " أوحى لها " فقال مجاهد فى تفسيره ( ٧٧٥/٢ ) أمرها ، وذكره من قوله الماوردى فى تفسيره ( ٤٩٧/٤ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٤٩/٢٠ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٥٣٩/٤ ) واختاره ابن قتيبة فى تأويل مشكك القرآن ( ص ٤٩٠ ) والقول الثالث : قال السدى : " أوحى لها " يعنى : قال لها ، وأورد الماوردى والقرطبي من قوله وقال ابن كثير : وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس " يومئذ تحدث أخبارها " قال : قال لها ربها : قولى ، فقالت : . وأما الراجح من هذه الأقوال فقال ابن كثير : والظاهر أن هذا مضمون بمعنى إذن لها " . وهو الذى ذكره ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٥ ) قال : أى أنه إذن لها فى الإخبار بذلك " .

قوله تعالى ( يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ) أى متفرقين (١) . يقال : شتان ما بين فلان وفلان أى ما أشد التفرقة بينهما . (٢)

(١) قال الثعلبي في تفسيره (١٣/١٣٦/١) والبغوي في تفسيره (٢٨/٧) : (أشتاتاً) متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة ، وأخذ ذات الشمال إلى النار \* وزاد البغوي فقال : كقوله ( يومئذٍ يَتَفَرَّقُونَ ) ( ويومئذٍ يَصْدَعُونَ \* (سورة الروم الآية ١٤، ٤٣) .

وقال ابن جرير في تفسيره (٢٦٧/٣٠) : \* ومعنى قوله \* يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً \* عن موقف الحساب فرقاً متفرقين ، فأخذ ذات اليمين إلى الجنة ، وأخذ ذات الشمال إلى النار \* .

وفسر ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٥) والقرطبي في تفسيره (١٤٩/٢٠) (أشتاتاً) بـ " فرقاً " . وقال مكي بن أبي طالب في العمدة (ص ٣٥٢) (أشتاتاً) متفرقين \* .

وقال الراغب في المفردات (ص ٢٥٥) : \* جاءوا أشتاتاً : أى متفرقياً النظام \* .

وذكر الماوردي في تفسيره (٤٩٨/٤) قولين في معنى الآية : أحدهما : أنه يوم القيامة يصدرون من بين يدي الله تعالى فرقاً مختلفين في قدرهم وأعمالهم ، عزاه إلى يحيى بن سلام . والثاني : أنهم في الدنيا عند غلبة الأهواء يصدرون فرقاً فبعضهم مؤمن وبعضهم كافر . . . الخ .

والراجح هو الأول وإليه ذهب أكثر المفسرين . ثم إن القائلين به اختلفوا فقال بعضهم : إنهم يوجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار وهو الذي تقدم ذكره عن ابن جرير وغيره وقيل : في الكلام تقديم وتأخير وقد يبره تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذٍ يصدرون الناس أشتاتاً وعلى هذا يرون ما عطاوا من خير أو شر في موقف العرض وقيل : هذا الصدر إنما هو عند النشور ، يصدرون أشتاتاً من القبور فيصار بهم إلى موقف الحساب ليروا أعمالهم فسي كتبهم \* انظر تفسير الثعلبي (١/١٣٦/٣) وزاد المسير (٩/٢٠٤) وتفسير القرطبي (٢٠/١٥٠) والبحر المحيط (٨/٥٠١) .

(٢) قال الراغب في المفردات (ص ٢٥٥) : \* يقال : شتان ما هما ، وشتان بينهما : إذا أخرجت عن ارتفاع الالتئام بينهما \* انظر أيضاً لسان العرب (٢/٤٩) .

وقوله (ليروا أعمالهم ) أى أعمالهم التى عطوها<sup>(١)</sup> .

وقوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) قال / ٣٤١ ب / ابن مسعود : هذه الآية أحكم آية فى القرآن<sup>(٢)</sup> .

وروى أن عمر بن الخطاب سأل قوماً أى آية فى كتاب الله أحكم ؟

فقالوا : " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " .

فقال : أفیکم ابن أم عبد ؟ فقالوا : نعم<sup>(٣)</sup> ، وأراد أن هذا جائز منه .

( ١ ) أكثر المفسرين قالوا فى معنى هذه الآية : ليروا ثواب أو جزاء أعمالهم وبعضهم عزاه إلى ابن عباس .

انظر تفسير البغوى ( ٢٨١ / ٧ ) وزاد المسير ( ٢٠٤ / ٩ ) والكشاف ( ٧٨٤ / ٣٢ ) وتفسير القرطبى ( ١٥٠ / ٢٠ ) . وذكر الرازى فى تفسيره ( ٦٠ / ٣٢ ) ، عن بعضهم أنه قال : ليروا صحائف أعمالهم ، لأن الكتابة يوضع بين يدي الرجل فيقول : هذا طلاقك وبيعك هل تراه ، والمرثى هو الكتاب ، وكـلا القولين راجع إلى معنى واحد .

( ٢ ) ذكر الثعلبى فى تفسيره ( ١٣ / ١٣٧ / ١ ) والبغوى والخازن فى تفسيرهما ( ٢٨٢ / ٧ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٥٢ / ٢٠ ) عن ابن مسعود أنه قال : " أحكم آية فى القرآن ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) وعقب عليه القرطبى بقوله : صدق .

( ٣ ) روى عبد الرزاق فى تفسيره ( ق / ١٧٤ ب ، ١ / ١٧٥ ) عن معمر قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب مشروب به ركيب ، فأرسل إليهم يسألهم من هم ؟ فقالوا : جئنا من الفصح العميق ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نؤم البيت العتيق ، قال : فرجع إليه الرسول ، فأخبره ، فقال عمر : إن لهؤلاء لنبأ .

ثم أرسل إليهم : أى آية فى كتاب الله أحكم ؟ قالوا : من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . إلى آخر الحديث . وفى آخره قال : سلهم أفيهم ابن أم عبد ؟ قالوا : نعم ، يريد عبد الله بن مسعود . فى سنده إنقطاع ، لأن معمر لم يلق عمر بن الخطاب .

وروى أن صعصعة (١) عم الفرزدق (٢) أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فسمع هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قال : حسبى لا أبالى أن لا أسمع من القرآن غيرهما \* . رواه الحسن مرسلًا (٣) .

وروى المغيرة بن قيس (٤) عن ابن الزبير (٥) عن جابر قال قلت : يا رسول الله إلى ما ينتهى الناس يوم القيامة ؟ قال : إلى أعمالهم من عمل مثقال ذرة خيراً يسره ومن عمل مثقال ذرة شراً يوله (٦) .

(١) هو صعصعة بن معاوية بن حصن بن عبادة التميمي السعدي عم الأحنسف ابن قيس ، له صحبة ، وقيل : إنه مخضوم ، مات في ولاية الحجاج على العراق انظر الإصابة ٢ / ١٨٥ ) وتقريب التهذيب (ص ١٥٢) .

(٢) كذا ورد في أكثر المصادر ، إلا المعجم الكبير فإنه قال فيه الطبراني هو صعصعة بن معاوية عم الأحنسف ، وهو الصواب ، وقد أشار إلى ذلك ابن حجر في الإصابة ، وقال : وليس للفرزدق عم اسمه صعصعة وإنما هو الأحنسف بن قيس \* وأورد الحديث الجاودي في تفسيره (٤ / ٤٩٩) فقال : وروى أن صعصعة ابن ناجية جد الفرزدق أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقرئه . . . . . فذكر الحديث \* والصواب هو ما قدمناه .

(٣) أخرجه الإمام في مسنده (٥ / ٥٩) من طرق والنسائي في التفسير من السنن الكبرى ( انظر تحفة الأشراف ٤ / ١٨٧ ) والطبراني في المعجم الكبير (٨ / ٩٠ رقم ٧٤١١) والثعلبي في تفسيره (١٣ / ١٣٧ ب) بإسناد هم عن جريو بن حازم ثنا الحسن عن صعصعة بن معاوية به ، وفي بعض طرق الإمام أحمد تصريح بتحديث الحسن عن صعصعة .

وأورد الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٤١) وقال : رواه أحمد والطبراني مرسلًا ومتصلًا ، ورجال الجميع رجال الصحيح \* .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨ / ٢٢٧) وذكر عن أبيه أنه قال : هو منكر الحديث .

(٥) كذا في النسختين ، ولعل الصواب (أبي الزبير) لأنه هو الذي ورد ذكره فسيم روى عن جابر بن عبد الله . وهو محمد بن سليمان تدرس الأسدى مولا هم أبو الزبير المكي ، صدوق إلا أنه يدلس . مات سنة ست وعشرين ومائة . انظر تقريب التهذيب (ص ٣١٨) .

وانظر أيضا تهذيب التهذيب (٢ / ٤٢ ، ٩٠ / ٤٤٠) .

(٦) لم أهدت إلى من أخرجه من أصحاب كتب الحديث . وإن كان المغيرة بن قيس هو الذي ذكرته فالحد يث ضعيف .

وفي الذرة قولان : أحدهما أنها النملة الحمراء الصغيرة وهو قول معروف<sup>(١)</sup>  
والآخر : هي ما تعلق بيد الإنسان إذا وضع يده على الأرض<sup>(٢)</sup> ، وقيل : هي  
الذرة التي ترى في الكوة منبثاً في الهواء في ضوء الشمس<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل ( قول المعروف ) والصواب ما أثبتته - وكذا هو في نسخة "ب" .  
وأما القول بأن الذرة هي النملة الصغيرة الحمراء فقد ذكره ابن منظور  
في لسان العرب (٣٠٤/٤) .

وقال الجوهري في الصحاح (٦٦٣/٢) : " الذرّ : جمع ذرّةٍ : وهي  
أصفر النمل " .

وذكره ابن منظور أيضاً في المصدر السابق ، وبه فسه أكثر المفسرين .  
فقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٥) : " ( مثقال ذرة ) : وزن  
نملة صغيرة ) . وقال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٨١ / ٧ ) : " وزن نملة  
صغيرة أصفر ما يكون من النمل " .

وقال الزمخشري في الكشاف (٧٨٥/٤) : " والذرة : النملة الصغيرة"  
وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤١/٤) : " يعني وزن أصفر النمل " .

وذكره الرازي في تفسيره (٦١/٣٢) عن الكلبي ، وقال مقاتل في تفسيره  
(٤٠١/ب) : " الذرة : أصفر النمل وهي النملة الصغيرة " .

(٢) أخرج هناد في الزهد (١٤٤/١ رقم ١٩٣) والأجري في الشريعة  
(٣٤٤) بسندهما عن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ  
فيها ، وقال : كل واحدة من هؤلاء مثقال ذرة " وفي سننه ليعث بن أبي سليم  
وهو ضعيف ، انظر التقريب (ص ٢٨٧) . وذكره الرازي في تفسيره (٦١/٣٢) قال :  
قال ابن عباس : إذا وضعت راحتك على الأرض ثم رفعتها فكل واحد مما لثق به  
من التراب مثقال ذرة " وذكره الخازن في تفسيره (٢٨١/٧) قال : " وقيل : هو  
مالصق من التراب " وقال القوطبي في تفسيره (١٥١/٢٠) : وذكر بعض أهل اللغة  
أن الذر أن يضرب الرجل بيد على الأرض ، فما علق بها من التراب فهو الذر ، وكذا  
قال ابن عباس .

(٣) ذكره ابن منظور في لسان العرب (٣٠٤/٤) قال : " وقيل : الذرة : ليس لها  
وزن ، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة " .  
وذكره الزمخشري في الكشاف (٧٨٥/٤) قال : " وقيل : الذرة ما يرى في شعاع  
الشمس من الهباء " .

وذكر النقاش عن بعضهم : أن الذرة جزء من ألف وأربعة وعشرين جزءاً من شعيرة<sup>(١)</sup>.  
وعن بعضهم : أنه بسط ذرات كثيرة على وجه إحدى<sup>(٢)</sup> كفتى الميزان فلم يعمل  
عين الميزان<sup>(٣)</sup>.

(١) لم أجد من ذكر هذا القول .  
وذكر ابن منظور في لسان العرب (٤/٤٠٤) عن ثعلب أنه قال : "إن مائة  
منها وزن حبة من شفير فكانها جزء من مائة" .

(٢) كلمة (إحدى) غير موجودة في نسخة "ب" .

(٣) كذا في الأصل (عين الميزان) وهي غير موجودة في نسخة "ب" ولم أهد إلى  
قائل هذا الأثر وكذا لم أجد من ذكره من المفسرين ، والصواب فيما تقدم من  
الأقوال أن الذرة تطلق على عدة أشياء مشتركة في الوصف وهو الصفر والخفة .

وقد ذهب سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن (٨/٦٤١) إلى معنى آخر  
لكلمة الذرة ، فقال : كان المفسرون القدامى يقولون : إنها البعوضة ، وكانوا  
يقولون : إنها الهبأة التي ترى في ضوء الشمس . فقد كان ذلك أصغر  
ما يتصورون من لفظ الذرة ، فنحن الآن نعلم أن الذرة شيء محدد يحمل  
هذا الاسم ، وأنه أصغر بكثير من تلك الهبأة التي نرى في ضوء الشمس ،  
فالبهية ترى بالعين المجردة ، أما الذرة فلا ترى أبداً حتى بأعظم المجاهر  
في المعامل ، إنما هي رؤيا في ضمير العلماء ، لم يسبق لواحد منهم  
أن رآها بعينه ولا بمجهسه ، وكل ما رآه هو آثارها ، فهذه أو ما  
يشبهها من ثقل من خير أو شر تحضر وبرأها صاحبها ويجد جزاءها " .

وفي هذا صرف الكلمة عن معناها المعروف لدى العرب الذين نزل بلغتهم  
القرآن ، كما أن ذلك يقتضى أن الله تعالى خاطبهم بلغة كانوا لا يفهمونها ،  
ولإطلاق الذرة على ما ذكر لإطلاق حديث ، وهو لا يقوم به حجة ، لأننا نسوى  
كثيراً من الكلمات التي عرّبت للمصطلحات العلمية الحديثة أنها تخالف  
أو لا تتناسب مع اللغة العربية الأصيلة ، ولذا أردت مثلاً على هذا فأرجع  
إلى كتاب تقويم اللسانين .

هذا وقد اختلف المفسرون في هذه الذرة هل هي على معناه الأصلي  
أو المقصود التشبيه وضرب المثل فقط ، وسيأتى ذكر الخلاف في ذلك بعبارة مباشرة .

وعن ابن عباس قال : يورى المؤمن حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته وتأخر

(١) سيئاته .

وعن بعضهم : أن ذكر الذرة على طريق التمثيل والتشبيه ، والمعنى أنه

يلقى عطيه الصغير والكبير فما أحب الله أن يغفر غفر وما أحب الله أن يواخذ بسسه

أخذ - والله أعلم .

(١) كذا في النسختين ، ويبدو أن في العبارة سقطاً ، والأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره ( ٢٦٨ / ٣٠ ) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا إلا آتاه الله إياه ، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ، وأما الكافر فيرد حسناته ، ويعذبه بسيئاته .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٢٨١ / ٦ ) بنحوه إلا أنه قال : " أراه الله " بدل " آتاه الله " وعنده زيادة " ويشبهه على حسناته " وهذا هو الأنسب والموافق للسياق .

وعزا تخريجه أيضاً إلى ابن المنذر والبيهقي في البعث ، وهذا أحد الأقوال التي ذكرت في معنى الآية وهو يعني أن الإنسان يورى في الآخرة جميع أعماله الحسنة والسيئة الكبيرة والصغيرة ولو بلغت في الصغر مثقال ذرة .

ذكره الماوردي في تفسيره ( ٤٩٨ / ٤ ) والرازي في تفسيره ( ٦١ / ٣٢ ) .

(٢) هو القول الثاني ، ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٥٠ / ٢٠ ) فقال : وفي بعض الحديث : " الذرة لا زينة لها " وهذا مثل ضرب الله تعالى : أنه لا يقف من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة . وهو مثل قوله تعالى : ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة ) " سورة النساء الآية ٤ . ، وهذا القول ، يقتضي أن " من " في الموضعين عامة للمؤمن والكافر ، وأن المراد من روية ما يعادل مثقال ذرة من خير أو شر مشاهدة جزائه ولكنه استشكل بأنه يقتضي إثابة الكافر بحسناته وما يفعله من الخير ، وقد نص القرآن على أن أعمال الكفرة محبطة وضائعة .

قال تعالى : ( وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ) الفرقان الآية ٢٣ ، وقال تعالى : ( أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ) سورة هود الآية ١٦ ، ودفع هذا الاشكال من عدة أوجه .

أحدها : تخصص " من " الأولى بالسعداء ، وتخصص " من " الثانية بالأشقياء ، وذلك لأن هذا الكلام جاء تفصيلاً لقوله تعالى : ( يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ) وهو مفسر بما حصله فريق في الجنة وفريق في النار ، فالمناسب أن يرجع كل فقرة إلى فقرة لتطابق المفصل المجمع .

والثاني : تخصص " من " الأولى بالسعداء لأن الكافر لا يورى خيراً في الآخرة وتعميم " من " الثانية .

٠٠/٠٠

والثالث : جعل بعضهم الروئية أعم مما تكون في الدنيا وما تكون في الآخرة ،  
فالكافر يورى جزاء خيره في الدنيا وجزاء شره في الآخرة والمؤمن يورى جزاء شره في الدنيا  
وجزاء خيره في الآخرة ، وهو مروى عن محمد بن كعب القرظي ، رواه الطبري في تفسيره  
٠ ( ٢٦٨ / ٣٠ )

والرابع : أن في الكلام قيداً مقدراً ترك لظهوره والعلم به من آيات أخرى  
تقدّر الآية يكون : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، وإن لم يحبط ، ومن يعمل مثقال ذرة  
شراً يره إن لم يكفر .

والراجح من هذه الأوجه هو ما قاله محمد بن كعب القرظي أي فمن يعمل مثقال  
ذرة من خير من كافر يورى ثوابه في نفسه وماله وأهله وولده ، حتى يخرج من الدنيا  
وليس له عند الله خير ، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يورى عقوبته في الدنيا  
في نفسه وماله وولده وأهله ، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شراً ، لأنه  
يدل عليه حديث أنس الذي أخرجه الطبري في تفسيره ( ٢٦٨ / ٣٠ ) وابن أبي حاتم  
في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ( ٥٤٠ / ٤ ) كلاهما من طريق الهيثم بن الربيع  
عن سماك بن عطية عن أبي يعن أبي قلابة عن أنس قال : " وكان أبو بكر رضى الله عنه  
يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً  
يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) فرقع أبو بكر يده من الطعام ، وقال :  
يا رسول الله إنى أجرى بما عطيت من مثقال ذرة من شر ، فقال : يا أبا بكر ما رأيت  
في الدنيا مما تكبره فمما قيل ذرّ الشر ، ويدخر لك الله مثاقيل الخير حتى  
توفاه يوم القيامة .

والهيثم بن الربيع ضعيف كما في التقريب ( ص ٢٦٧ ) ولكن للحديث طرق

أخرى عند الطبري يمكن باجتماعها إرتفاع هذا الضعف .

انظر تفسير الرازي ( ٦١ / ٣٢ ) وتفسير القرظي ( ١٥٠ / ٢٠ - ١٥١ ) والبحر

المحيط ( ٥٠٢ / ٨ ) وروح المعاني ( ٢١٢ / ٣٠ ) .



- تفسير سورة العاديات وهى مكية - (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( والعاديات ضبحا ) قال على وابن مسعود : هى الإبل ، قال على : لم يكن يوم بدر إلا فرسان ، أحدهما للمقداد (٣) والآخر للزبير (٤) .

(١) ذكر البيهقى فى دلائل النبوة (١٤٢/٧) هذه السورة ضمن السورة التى نزلت بمكة ، وذلك فيما رواه بسنده عن عكرمة والحسن البصرى . وهى مما اختلف فى كونها مكية أو مدنية ، فذكر الماوردى فى تفسيره (٥٠٠/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٢٠٦/٩) والقرطبى فى تفسيره (١٥٣/٢٠) وأبو حيان فى البحر المحيىط (٥٠٣/٨) أنها مكية فى قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء . ومدنية فى قول ابن عباس وأنس وقتادة .

وقال السيوطى فى الإتيان (١٤/١) : ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً طلبت شهراً لا يأتیه منها خبر فنزلت والعاديات . قلت : هذا الحديث سيأتى ذكره عند المؤلف قريباً ، وهو حديث ضعيف ، والصواب أن السورة مكية ، عليه أكثر المفسرين .

(٢) روى ابن جرير فى تفسيره (٢٧٢/٣٠) من طرق عن إبراهيم ( وهو النخعى ) عن عبد الله بن مسعود أنه قال : (العاديات) هى الإبل ، وبه قال أيضاً عبيد بن عمير ومحمد بن كعب وإبراهيم والسدى وقد ذكره من قولهم الطبرى فى تفسيره (٢٧٢/٣٠) والماوردى فى تفسيره (٥٠٠/٤) وابن الجوزى فى زاد المسير (٢٠٦/٩) والرازى (٦٣/٣٢) والقرطبى فى تفسيره (١٥٥/٢٠) وابن كثير فى تفسيره (٥٤٢/٤) .

(٣) هو المقداد بن الأسود هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك البهرانى الكندى شمس الزهرى ، وكان عمرو بن ثعلبة أصاب دماً فى قومه فلقق بحضر موت وحالف كندة ، فقيل له الكندى ، والمقداد تبناه الأسود بن عبد يخوث الزهرى فصار يقال له المقداد بن الأسود وغلبت عليه واشتهر بذلك فلما نزلت "أدعوهم لأبائهم" قيل له المقداد ابن عمرو ، قال ابن حجر فى التقريب : صحابى مشهور من السابقين لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره مات سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة .

انظر الإصابة (٤٥٤/٣) وتقريب التهذيب (٣٤٦) .  
(٤) هو الزبير بن العوام بن خويلد أبو عبد الله القرشى الأسدى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة قتل سنة سنتين وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل . انظر الإصابة (٥٤٥/١) ، وتقريب التهذيب (١٠٦) .  
وأما هذا الأثر فرواه ابن جرير فى تفسيره (٢٧٢/٣٠) وابن أبى حاتم فى تفسيره (كما فى تفسير ابن كثير ٤/٥٤١) بسندهما عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس فى سياق طويل وفيه قصة طويلة وهو دليل علي بن أبى طالب على قوله بأن المراد من العاديات هى الإبل ، ولهذا الأثر روايات عديدة انظر الدر المنثور ٦/٣٨٣ - ٣٨٤) وانظر أيضاً تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٥) . واستدل أيضاً أصحاب هذا القول بأن العاديات مشتقة من العد ، وهو تباعد الرجل فى سرعة المشى . انظر تفسير الماوردى (٥٠٠/٤) .

وقال ابن عباس : هي الخيل <sup>(١)</sup> ، وهذا القول أظهرهما <sup>(٢)</sup> .  
 أقسم بالخيل العادية في سبيل الله <sup>(٤)</sup> ، وضبحها : صوت أجوافها <sup>(٥)</sup> .  
 وقيل : صوت أنفاسها عند العدو <sup>(٥)</sup> .

(١) رواه ابن جريو في تفسيره (٢٧١ / ٣٠) من طرق عنه ، وبه قال أيضا الحسن وعطاء وعكرمة ومجاهد وعطية والربيع والدليل على هذا القول هو أن الضبح لا يكون إلا من الكلب والفرس ، انظر المصادر المذكورة في تخريج القول الأول . بالإضافة إلى تفسير مجاهد (٧٧٦ / ٢) ومعاني القرآن للفراء (٢٨٥ / ٣) .

(٢) في نسخة "ب" ( أظهر ) بدل ( أظهرهما ) وأما هذا القول فقد ذهب إلى اختياره ابن جريو في تفسيره (٢٧٣ / ٣٠) وذلك لأن الإبل لا تضبح وإنما تضبح الخيل ، وقال القرطبي في تفسيره (١٥٣ / ٢٠) : " كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة " .

وقال أبو حيان في البحر المحيط (٥٠٣ / ٨) : " والجمهور من أهل التفسير واللغة على أن العاديات هنا الخيل تعدو في سبيل الله " . انظر أيضا لسان العرب (٣١ / ١٥) و (٥٢٣ / ٢) .

(٣) في الأصل ( قسم ) وفي نسخة "ب" ( أقسم ) وهو الصواب .

(٤) هذا قول أكثر المفسرين - أي أن المراد : خيل المجاهدين في سبيل الله . وهناك قول آخر وهو أن المراد الخيل مطلقاً ، ولكن الأول عليه أكثر المفسرين ، كما تقدم . ثم إن القائلين بأن المراد من العاديات هي الإبل اختلفوا أيضا هل المراد الإبل مطلقاً أو إبل غزوة بدر أو إبل المجاهدين مطلقاً أو إبل الحج . انظر تفسير البغوي (٢٨٢ / ٧) وزاد المسير (٢٠٦ - ٢٠٧) وتفسير القرطبي (١٥٣ / ٢٠) والتسهيل (٢١٤ / ٤) .

(٥) ذكره ابن منظور في لسان العرب (٥٢٣ / ٢ - ٥٢٤) عن الزجاج قال : قال أبو إسحاق : ضبح الخيل : صوت أجوافها إذا عدت " وكذا ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٤٠٨ / ٩) انظر أيضا تفسير البغوي (٢٨٢ / ٧) وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٥) : " هو صوت حلوها إذا عدت " .

(٦) قال الفراء في معاني القرآن (٢٨٤ / ٣) " الضبح صوت أنفاسها (أي الخيل) إذا عدت " ونظمه الجوهري في الصحاح (٣٨٥ / ١) فقال : تضبح : تنجيم ، وهو صوت أنفاسها " إذا عدت " . وقال الراغب في المفردات (ص ٢٩٢) : " قيل : الضبح صوت أنفاس الفرس تشبيهاً بالضباح ، وهو صوت الثعلب " وقال ابن منظور في لسان العرب (٥٢٤ / ٢) : " وقيل : الضبح الخصيعة تسمع من جوف الفرس ، وقيل : الضبح شدة النفس عند العدو " .

قال ابن عباس : ليس بصهيل ولا حمحمة .<sup>(١)</sup>

وقوله ( فالموريات قد حيا ) قال ابن مسعود : تقدح بمناسمها .<sup>(٢)</sup>

وعلى قول ابن عباس : هي الخيل تقدح الأحجار بحوافرها فتورى النار .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ذكر ابن منظور في لسان العرب ( ١٦١ / ١٢ ) عن الليث أنه قال : الحمحمة صوت النورن ون الصوت العالي ، وصوت الفرس ون الصهيل . ولم أجد هذا النص عن ابن عباس ، وقد روى عنه ابن جرير في تفسيره ( ٢٧٣ / ٣٠ ) من طريق عطاء أنه قال : سمعت ابن عباس يصف الضبح : أح أح ، وذكره السيوطي في السدر المنشور ( ٣٨٤ / ٦ ) عن ابن عباس بلفظ : ( والعماد ياتضحاً ) : قال : الخيل ، ضبحها زجرها ، ألم تر أن الفرس إذا عدا قال : أح أح - فذاك ضبحها .  
وعزا تخريجه إلى ابن جرير وابن المنذر ، وقال ابن جزى في التسهيل ( ٢٦٤ / ٤ ) :  
" والضبح : هو تصويت جهيمير عند العدو الشديد ليس بصهيل " وروى عن ابن عباس وغيره : أن الضبح خاص بالخيل والكلب . انظر تفسير الطبري ( ٢٧٢ / ٣٠ ) والدر المنثور ( ٣٨٤ / ٦ ) ومن زعم أن العماديات هي الإبل قال : إن الضبح والضبع واحد وهو مد الأعناق في السير " انظر مجاز القرآن ( ٣٠٧ / ٢ ) والصحاح ( ٣٨٥ / ١ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٥٣ ) وتفسير البغوي ( ٢٨٢ / ٧ ) وتقدم أن الجمهور على أن العماديات هي الخيل ، وعليه يكون المراد من الضبح هو صوت الفرس وإن كان مستعملاً في المعاني السابقة .

( ٢ ) المناسيم : هو جمع منسيم : بكسر السين ، طرف خف البعير والنعامة والفيصل والحافر ، لسان العرب ( ٥٧٤ / ١٢ ) ، وهذا الأثر رواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٧٤ / ٣٠ ) بسنده عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود قال : إذا نسفت الحصى بمناسيمها ، فضرب الحصى بعضها بعضاً ، فيخرج منه النار " وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٨٤ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى ابن جرير وانظر أيضاً تفسير القرطبي ( ١٥٦ / ٢٠ ) .

( ٣ ) لم أجد من ذكر عن ابن عباس هذا القول وروى عنه قول آخر كما سيأتي ذكره ، وهذا القول مروى عن عكرمة وعطاء والضحاك والكلبي ومقاتل فإنهم قالوا : هي الخيل تورى النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة يعني : والقادات قد حيا يقدهن بحوافرهن " وذكر مقاتل هذه النار تسمى نار حيا حب ، انظر تفسير مقاتل ( ١ / ٤٠٢ ) وتفسير ابن جرير ( ٢٧٣ / ٣٠ - ٢٧٤ ) وتفسير الثعلبي ( ١٣٩ / ١٣ ) ، ب ، ( ١ ) وتفسير الماوردي ( ٥٠٠ / ٤ ) وزاد المسير ( ٢٠٨ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٥٦ / ٢٠ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٤٢ / ٤ ) . وفي معنى الآية أقوال أخرى :  
أحدها : أنها نيران المجاهدين إذا أوقدت ، وهو قول ابن عباس .  
والثاني : أنها نيران الحجيج بمزدلفة ، قاله محمد بن كعب القرظي .

وهو على القول بأن العماديات هي الإبل ، والثالث : يكر الرجال في الحرب ، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يكرض صاحبه والمه لا مكرن بك ، ثم لأروين لك ، وهو قول مجاهد وزيد بن أسلم . والرابع : أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل على الحق وفضح بها الباطل ، قاله عكرمة .  
والخامس : أنها تهيج الحرب بينهم وبين عدوهم ، وهو قول قتادة .  
انظر لمعرفة هذه الأقوال المصادر السابقة وأيضاً تفسير مجاهد ( ٧٧٦ / ٢ ) .

٠٠/٠٠

وأما الراجح من هذه الأقوال فقال ابن جرير في تفسيره ( ٢٧٤/٣٠ ) " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي تورى التيران قدحاً ، فالخيل تورى بحوافرها ، والناس يورونها بالزند ، واللسان مثلاً يورى بالمنطق والرجال يورون بالمكر مثلاً ، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب ، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض فكل ما أورت النار قدحاً ، داخلة فيما أقسم به ، لعموم ذلك بالظاهر " .

وكذا ذكر النحاس في إعراب القرآن ( ٧٥٦/٣ ) فإنه قال بعد أن ذكر أكثر هذه الأقوال : " ولا دليل يدل على تخصيص شيء من هذه الأقوال ، فالصواب أن يقال : ذلك لكل من أورى على أن المعنى واحد إذا كان التقدير " ورب العاديات والغريب أن ابن كثير ذكر عن ابن جرير أنه قال : والصواب الأول أنها الخيل حين تقسح بحوافرها " .

انظر تفسيره ( ٥٤٢/٤ ) . وهذا خلاف ما صرح به ابن جرير في تفسيره كما تقدم .

وقد عزا هذا القول ( أى أنها الخيل تورى النار بحوافرها إذا جـ ) ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٠٨/٩ ) إلى الجمهور .

واختاره الفراء في معاني القرآن ( ٢٨٤/٣ ) وأبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٣٠٧/٢ ) وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ٥٣٦ ) ووصف هذا القول القرطبي في تفسيره ( ١٥٧/٢٠ ) بأنه الحقيقية ، وأما الأقوال الأخرى فقال فيها : إنها مجاز ، فالصواب حمل الآية على الحقيقة .

وقوله ( فالمغيرات صباحا ) قال ابن مسعود : هي الإبل حين يفيضون<sup>(١)</sup>  
من جمع . وعلى قول ابن عباس : هي الخيل تغير في سبيل الله<sup>(٢)</sup> . قال قتادة :  
أغارت حين أصبحت .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) في النسختين ( يفيضوا ) والصواب ما أثبتته لأنه ليس هناك ما يقتضى إسقاط النون .  
( ٢ ) جمع : قال الحموي في معجم البلدان ( ١٦٣ / ٢ ) : ضد التفوق وهو —  
المزلفة .

وهذا القول رواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٧٥ / ٣٠ ) بسنده عن إبراهيم عن  
عبد الله بن مسعود ، قال : حين يفيضون من جمع ، وذكره من قوله —  
ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٠٩ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٥٨ / ٢٠ ) وهو  
قول علي بن أبي طالب وغيره ممن فسرها بالإبل .

انظر تفسير الماوردي ( ٥٠١ / ٤ ) وتفسير البغوي ( ٢٨٣ / ٧ ) والبحر  
المحيط ( ٥٠٤ / ٨ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٤٢ / ٤ ) .

( ٣ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ٢٧٥ / ٣٠ ) بسنده عن سعيد بن جبيرة عن  
ابن عباس أنه قال : الخيل تغير في سبيل الله " .  
ورواه الحاكم بسنده عن مجاهد عنه أنه قال : الخيل تصبح العدو " .

( ٤ ) رواه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١ / ١٧٥ ) وابن جرير في تفسيره ( ٢٧٥ / ٣٠ ) ،  
من طريق معمر عن قتادة أنه قال : أغارت حين أصبحت " .

وروى ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه ، بلفظ : أغار  
القوم بعدما أصبحوا على عدوهم " .

وأورد السيوطي في الدر المنثور ( ٣٨٤ / ٦ ) باللفظ الأول وعزاه تخريجه  
إلى ابن المنذر أيضا .

وهو قول أكثر المفسرين ، كما صرح به البغوي في تفسيره ( ٢٨٣ / ٧ ) ،  
وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٠٩ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٥٨ / ٢٠ ) واختاره  
الفراء في معاني القرآن ( ٢٨٤ / ٣ ) .

قوله تعالى ( فآثرن به نقعا ) على قول ابن مسعود : آثرن بالوادي (١) فكنتي  
عنه وإن لم يكن مذكوراً ، وعلى قول ابن عباس : بالمكان المغفار (٢) .

(١) قال ابن جريو في تفسيره ( ٢٧٥ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول تعالى ذكره " فرفعن بالوادي غباراً " . فروى بسنده عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود قال : " إذا سرن يثرن التراب " . وروى أيضاً بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال لي علي : إنما العاديات ضحفاً من عرفة إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى ( فآثرن به نقعاً ) الأرض حين تطوها بأخفافها وحوافرها " .

(٢) على قول ابن مسعود ومن معه الضمير في ( به ) يرجع إلى الوادي . قال الفراء في معاني القرآن ( ٢٨٥ / ٣ ) : " وقوله عز وجل : ( به نقعاً ) يريد : بالوادي ، ولم يذكره قبل ذلك وهو جائز ، لأن الغبار لا يثار إلا من موضع وإن لم يذكر ، وإذا عُرف اسم الشيء كُنِيَ عنه وإن لم يجز له ذكر " .

وكذا ذكر ابن جريو في تفسيره ( ٢٧٥ / ٣٠ ) والقوطبي في تفسيره ( ١٥٨ / ٢٠ ) وشمل له بقوله تعالى " حتى توارت بالحجاب " ( سورة ص الآية ٣٢ ) .

(٣) على قول ابن عباس ومن قال بقوله الضمير في ( به ) يرجع إلى المكان الذي وقعت فيه الإغارة - أي أن الخيل آثرن الغبار لشدة العدو في الموضع الذي أغرن فيه " .

قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٠٩ / ٩ ) بعد أن ذكر قول الفراء : وقال الزجاج : فآثرن بمكان عدوهم ، ولم يتقدم ذكر المكان ولكن في الكلام دليل عليه . انظر تفسير الرازي ( ٦٦ / ٣٢ ) .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٥٤٢ / ٤ ) : " وقالوا كلهم ( يقصد به من ذهب إلى قول ابن مسعود وابن عباس ) في قوله ( فآثرن به نقعاً ) : وهو المكان الذي حلت فيه أشارت به الغبار لما في حج أو غزو .

يريد ابن كثير أن الضمير في ( به ) على القولين ( أي أن المراد من العاديات وما بعدها الإبل أو الخيل ) يرجع إلى المكان الذي تحل فيه الإبل أو الخيل .

وهناك أقوال أخرى في مرجع هذا الضمير ، فقليل : إنه يعود على العدو والرجال عليه ( والعاديات ) وقيل : يعود على الضمير أي هيئجن في ذلك الوقت غباراً . انظر تفسير الرازي ( ٦٦ / ٣٢ ) وتفسير القوطبي ( ١٥٨ / ٢٠ - ١٥٩ ) والبحر المحيط ( ٥٠٤ / ٨ ) والصواب فيما يظهر لي أن الضمير يعود إلى المكان الذي تقع فيه الإغارة ، وهو إن لم يجز له ذكر فإنه مفهوم ، وهذا الذي ذهب إليه أكثر المفسرين .

قال مجاهد : عن ابن عباس : النقع : التراب <sup>(١)</sup> ، وقال قتادة : هو الغبار <sup>(٢)</sup> .  
وقوله تعالى ( فوسطن به جمعا ) فعلى قول ابن مسعود أى جمع المزدلفة <sup>(٣)</sup> ،  
وعلى قول ابن عباس جمع العدو <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) روى الحاكم فى مستدركه ( ٥٣٣ / ٢ ) بسنده عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد عن  
ابن عباس فى سياق طويل قال فيه : ( فأثن به نقعاً ) قال : التراب ، وأورده  
السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٨٤ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد .

( ٢ ) رواه عبد الرزاق فى تفسيره ( ق ١٧٥ / ١ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٢٧٦ / ٣٠ ) من  
طريق معمر عنه ، وهو مروى عن عكرمة أيضا ، كما روى الأول ( أى أن النقع الغبار )  
عن قتادة وعكرمة وعطاء وابن زيد أيضا كما فى تفسير الطبرى ، قال الغراء فى معانى  
القرآن ( ٢٨٤ / ٣ ) وابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ٥٣٦ ) : النقع الغبار ،  
ويقال : التراب وقيل : إن النقع ما بين المزدلفة ومنى ، قاله محمد بن كعب  
القرظى ، وقيل : النقع رفع الصوت ، أى فهيجن فى المفار عليهم صياح  
النوايح ، وارتفعت أصواتهن والصواب أن النقع : الغبار أو التراب ، انظر الصحاح  
( ١٢٩٢ / ٣ ) ولسان العرب ( ٣٦٢ / ٨ ) .

( ٣ ) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٢٧٥ / ٣٠ ) بسنده عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود  
أنه قال : ( فوسطن به جمعا ) يعنى : مزدلفة . وذكره من قوله ابن الجوزى  
فى زاد المسير ( ٢٠٩ / ٩ ) والقرطبى فى تفسيره ( ١٦٠ / ٢٠ ) وقال : ويقال : وسطت  
القوم أسطهم وسطاً وسطةً : أى صرت وسطهم ، وذكر هذا القول الماوردى فى  
تفسيره ( ٥٠١ / ٤ ) وعزاه إلى مكحول قال : إنها مزدلفة تسمى جمعا لاجتماع  
الحاج بها وإثارة النقع فى الدفع إلى منى ، قاله مكحول . وذكره البيهقى فى تفسيره  
( ٢٨٢ / ٧ ) من قول محمد بن كعب القرظى .

( ٤ ) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٢٧٦ / ٣٠ ) بسنده عن عطية العوفى عن ابن عباس أنه  
قال : هو جمع القوم ، وهو قول عطاء وعكرمة وقاتة والضحاك وغيرهم من المفسرين  
انظر تفسير الماوردى ( ٥٠١ / ٤ ) وزاد المسير ( ٢٠٩ / ٩ ) وتفسير القرطبى ( ١٦٠ / ٢٠ )  
وتفسير ابن كثير ( ٥٤٢ / ٤ ) ويوجد فى مرجع الضمير فى ( به ) هنا نفس الخلاف  
السابق والصواب كما فى السابق أنه يعود إلى المكان المفار .

وقال أبو حيان فى البحر المحيط ( ٥٠٤ / ٨ ) عند قوله تعالى ( فالمفريات  
صبحاً ) : وفى هذا دليل على أن هذه الأوصاف إذا توافقت لمعطفها بالفاء  
التي تقتضى التعقيب والظاهر أنها الخيل التي يجاهد عليها العدو ومن الكفار  
ولا يستدل على أنها الإبل بوقعة بدر وإن لم يكن فيها إلا فرسان لأنه لم يذكر أن  
سبب نزول هذه الآية هو وقعة بدر ، ثم بعد ذلك لا يكاد يوجد أن الإبل جوهدها  
فى سبيل الله ، بل المعلوم أنه لا يجاهد فى سبيل الله تعالى إلا على الخيل فى شرق  
البلاد وغربها وهذا هو الصواب ، والله أعلم .

فأقسم الله تعالى برب هذه الأشياء ، وقيل بهذه الأشياء بأعيانها (١) ،  
 وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمت سرياً إلى بني كنانة فأغسروا  
 عند الصباح وتوسطوا جمع العدو وكانوا أصحاب خيل فأقسم الله تعالى بهم . (٢)  
 وقوله ( إن الإنسان لربسه لكنود ) على هذا وقع القسم (٤) ، وقوله ( لكنود )  
 أي للكفور ، وقيل : هو البخيل السيء الخلق . (٥) (٦)

( ١ ) تقدم التفصيل في هذه المسألة ، وهي مسألة خلافية .  
 ( ٢ ) بنو كنانة : قبيلة عظيمة من العدنانية - وهم بنو كنانة بن خزيمه بن مدركة  
 - كانت يبارهم بجهات مكة ، وقد مت طائفة منهم الديار المصرية . معجم قبائل العرب  
 . ( ٩٩٦ / ٣ )

( ٣ ) روى البزار في مسنده ( كما في كشف الأستار ٣ / ٨٢ ) والواحدى في أسباب النزول  
 ( ص ٣٤١ ) كلاهما من طريق حفص بن جميع عن سيمك عن عكرمة عن ابن عباس أن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خيلاً فأشهرت شهيراً لا يأتيه منها  
 خبر فنزلت " والعاديات ضبحاً " . . . الحديث . وأورد السيوطى في السدر  
 المنشور ( ٣٨٣ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضاً إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطنى  
 فى الأثران وابن مردويه ، وهو ضعيف لأن فى إسناده حفص بن جميع وهو ضعيف ، انظر  
 مجمع الزوائد ( ١٤٢ / ٧ ) واستغربه الحافظ ابن كثير فى تفسيره ( ٥٤٢ / ٤ ) وأورد  
 نحواً من هذا مقاتل فى تفسيره ( ١ / ٤٠٢ ) وذكر أنه أبطأ عليه صلى الله عليه وسلم  
 الخبر فجعلت اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من الأنصار أو من المهاجرين  
 تناجوا بأمره وكان الرجل يظن أنه قد مات أحد أقاربه وكان يجد من ذلك أمراً عظيماً  
 فجاءه جبريل عليهما السلام يوم الجمعة وقت الضحى فقال : " والعاديات ضبحاً "  
 ولكنه منقطع لم يذكر مقاتل عن روى هذا الحديث .

( ٤ ) صرح بذلك أكثر المفسرين ، انظر على سبيل المثال تفسير البغوى ( ٢٨٣ / ٧ ) ،  
 وزاد المسير ( ٢٠٩ / ٩ ) وتفسير القرطبى ( ١٦٠ / ٢٠ ) .

( ٥ ) هو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد واختاره ابن قتيبة ،  
 وروى ذلك مرفوعاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر تفسير مجاهد ( ٧٧٧ / ٢ )  
 وتفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٦ ) وتفسير الطبرى ( ٢٧٧ / ٣٠ - ٢٧٨ ) وتفسير  
 البغوى ( ٢٨٣ / ٧ ) وزاد المسير ( ٢١٠ / ٩ ) وتفسير الرازى ( ٦٧ / ٣٢ ) وتفسير  
 ابن كثير ( ٥٤٢ / ٤ ) والدر المنثور ( ٣٨٤ / ٦ ) .

( ٦ ) ذكر الثعلبى فى تفسيره ( ١ / ١٣٦ / ١٣ ) . والرازى فى تفسيره ( ٦٧ / ٣٢ ) عن  
 الكلبي أنه قال : الكنود بلسان كندة العاصى ، ولسان بنى مالك البخيل ، ولسان  
 مضر وربيعة الكفور .

وذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٦٠ / ٢٠ ) عن ابن عباس فقال : " وقد روى عن  
 ابن عباس أيضاً أنه قال : الكنود بلسان كندة وحضر موت : العاصى ، ولسان ربيعة  
 ومضر : الكفور ، ولسان كنانة : البخيل السيء الملكة " .



٠٠/٠٠

وفيه أقوال أخرى غير هذين القولين - أحدهما هو ما رواه أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الكنود هو الذي يأكل وحده ، ويمنع رفده ، ويضرب عبده . وسيأتى هذا الحديث عند المؤلف والثاني : هو الذي يعدُّ المصائب وينسى نعم الله عليه قاله الحسن . والثالث : أنه الجاحد للحق . والرابع : أنه ينفق نِعَم الله فسى معاصي الله ، هو قول أبي بكر الواسطي . والخامس : هو الحقود الحسود، والسادس : هو الجهول لقدره .

راجع لمعرفة هذه الأقوال وغيرها تفسير الشعابي (١٣ / ١٤٠ / ١ ب) تفسير الحاوردى (٤ / ٥٠١ - ٥٠٢) وتفسير القرطبي (٢٠ / ١٦٠ - ١٦١) وأيضا المصادر المذكورة في الهامش السابق .

وكل هذه المعاني ترجع إلى المعنى الأول وهو الكفر والجهود كما قال الرازي ، والقرطبي والكنود أصله من كَنَدَ كَنُودًا أَي كَفَرَ النعمة ، ويقال : أَرغى كَنُودٌ : لَاتُنْبِتُ شيئًا ، وأيضا : كَنَدَهُ قَطَعَهُ ، انظر الصحاح (٢ / ٥٣٢) ولسان العرب (٣ / ٣٨١ - ٣٨٢) ثم إن المفسرين اختلفوا في الإنسان - لأنه لا يمكن حمله على كل الناس ، فقال بعضهم : إن المراد من الإنسان الكافر ، وقيل : إنه الوليد بن المغيرة وهو قول الضحاك وقيل : إنه قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي ، وقيل : إن المراد كل الناس ، ويكون المعنى : أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه من ذلك .

والصواب أن المراد الكافر ، وهو قول أكثر المفسرين ، ويدل عليه قوله تعالى ( أفلا يعلم إذا بعثنا في القبور ) فإنه لا يليق إلا بالكافر . انظر تفسير مقاتل (٤٠٢ / ب) وزاد المسير (٩ / ٢٠٩) وتفسير الرازي (٣٢ / ٦٧) وتفسير القرطبي (٢٠ / ١٦١) .

- وفي بعض الأخبار مرفوعاً / إلى النبي صلى الله عليه وسلم برواية أبي أمامة (١) ٣٤٢/أ
- عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ( إن الإنسان لربه لكنود ) قال : هو الذي يأكل وحده ويمنع رفسه (٢) ويضرب عبده (٣) . قال يرضى الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث الحاكم محمد بن عبد العزيز القنطري (٤) أخبرنا محمد بن الحسين الحدادي (٥) أخبرنا محمد بن يحيى (٦) أخبرنا إسحاق بن إبراهيم (٧) أخبرنا معتمر بن سليمان (٨)
- (١) في الأصل (ابن) والصواب (أبي) كما في نسخة "ب" وهو صدّي بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي ، مشهور بكنيته ، صحابي مشهور ، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين ، انظر الإصابة (١٨٢/٢) وتقريب التهذيب (١٥٢) .
- (٢) الرقد : الصلة والعطية ، انظر النهاية (٢٤٢/٢) .
- (٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧٨/٣٠) وابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٥٤٢/٤ ) والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٢/٨) رقم ٧٩٥٨ والثعلبي في تفسيره (١٣/١٤٠/١١ب) بسند هم عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة بنحوه ، وجعفر بن الزبير قال فيه شعبة : وضع أربع مائة حديث . انظر مجمع الزوائد (٢٦٢/١) .
- وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤٢/٤) : جعفر بن الزبير متروك فهذا إسناد ضعيف . وقد روى الحديث من طريق آخر أصح موقوفاً من قول أبي أمامة
- (٤) سقط من نسخة "ب" قوله ( محمد بن عبد العزيز أخبرنا ) .
- (٥) هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي ، سمع عبد الله بن محمود المروزي السعدي وأبا يزيد صاحب تفسير إسحاق ( كما في السير ولعله أبو يحيى ) .
- قال الحاكم : كان شيخ أهل مرو في الحديث والفقه والفتيا ، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة . انظر سير أعلام النبلاء (٤٧٠/١٦) .
- (٦) هو محمد بن يحيى بن خالد المروزي أبو يحيى الشمراني ( وفي تاريخ بغداد : الشمراني ) روى عن إسحاق بن إبراهيم بن راهوية .
- قال فيه الحافظ ابن حجر : صدوق ، من الثانية عشرة . انظر تاريخ بغداد (٤٢٤/٣) وتقريب التهذيب (٣٢٣) .
- (٧) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بابن راهوية . تقدمت ترجمته في ص (١٦٦) .
- (٨) في الأصل (الموتمر) وفي نسخة "ب" ( المونن ) وكلاهما خطأ والصواب ما أثبتته لأنه هو الذي يروي عن جعفر بن سليمان ، وهو معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصري ، يدقب بالطفيل - ثقة - مات سنة سبع وثمانين ومائة وقد جاوز الثمانين .
- انظر تهذيب التهذيب (٢/٩١، ١٠٠، ٢٢٧) وتقريب التهذيب (٣٤٢) .

عن جعفر بن الزبير (١) عن القاسم (٢) عن أبي أمامة - الحديث - .

وقوله ( وإنما على ذلك لشهيد ) أى وأن الله على ذلك لشهيد أى على كفه (٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس ..... (٤)

(١) هو جعفر بن الزبير الحنفى أو الباهلى الدمشقى نزىل البصرة متروك الحديث وكان صالحاً فى نفسه ، مات بعد الأربعين ومائة . انظر تقريب التهذيب (٥٥) ، ولأجله ضعف ابن كثير إسناد هذا الحديث كما تقدم .

(٢) هو القاسم بن عبد الرحمن الدمشقى أبو عبد الرحمن ، صاحب أبى أمامة قال فى نفسه الحافظ ابن حجر : صدوق يرسل كثيراً . مات سنة اثنتى عشرة ومائة . تقريب التهذيب ٢٧٩ .

(٣) هو قول قتادة وسفيان الثورى وأكثر المفسرين ، وهو على سبيل الوعيد والزجر ، وبه قال الفراء فى معانى القرآن (٢٨٥/٣) وابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٦) . انظر أيضاً تفسير الطبرى (٢٧٨/٣٠-٢٧٩) ولعرب القرآن (٧٥٧/٣) وتفسير الثعلبى (١/١٤١/١٣) وتفسير البغوى (٢٨٣/٧) وتفسير القرطبى (١٦٢/٢٠) والبحر المحييط (٥٠٥/٨) وتفسير ابن كثير (٥٤٢/٤) وفيه قول آخر وهو أن الضمير فى (لأنه) يعود على الإنسان ، "أى أن الإنسان شاهد على نفسه بما صنع" ذكر هذا القول الثعلبى والبغوى عن ابن كيسان ، وذكره الطاورى فى تفسيره (٥٠٢/٤) من قول ابن عباس . وأورد القولين ابن الجوزى فى زاد المسير (٢١٠/٩) وقال : روى القولان عن ابن عباس وعزاه القرطبى إلى الحسن و قتادة ومحمد بن كعب ، كما عزا الأول إلى ابن عباس . وأما الراجح فقد ذهب أكثر المفسرين إلى القول الأول ، وذلك لأن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب المذكوران والأقرب هنا هو لفظ السرب تعالى ، ولكن اعترض عليه الناصرون للقول الثانى ( أى أن الضمير راجع إلى الإنسان ) فقالوا : إن عود الضمير لا يترجح بالأقرب إلا إذا تساوى من حيث المعنى ، والإنسان هنا هو المحدث عنه والمسند إليه الكنود ، وأيضاً فتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى أولى من جعلهما لمختلفين ، ولا سيما إذا توسط الضمير بين ضميرين عائدتين على واحد ، لأنهم اتفقوا على أن الضمير فى ( وإنما على ذلك لشهيد ) يعود على الإنسان - وهذا الذى يبدو والله أعلم أرجح القولين -

انظر تفسير الرازى (٦٧/٣٢) والتسهيل (٢١٤/٤) ، والبحر المحيط (٥٠٥/٨) .

(٤) كذا وردت العبارة فى النسختين ، ولم يتبين لى وجه الصواب فيها لأن القولين مرويان عن ابن عباس . ولم أجده سنداً لأحد القولين يعرف منه ما يريد المؤلف بيانه هنا ، ولعله أراد أن يشتير إلى القول الثانى ( أى أن الضمير يعود إلى الإنسان ) فقد روى هذا القول ابن المنذر عن ابن عباس كما ذكر السيوطى فى الدر المنثور (٣٨٥/٦) ولا يمكن القطع به إلا إذا عرف أنه مروى عن طريق عطاء عنه .

وقوله : ولنه لخب لشد يد معناه : إن الإنسان لأجل حب المال لبخيل<sup>(١)</sup>.

يقال : شد يد وشد يد أي بخيل<sup>(٢)</sup> قال طرفه<sup>(٣)</sup> :

أرى الموت يفتام<sup>(٤)</sup> الكرام ويضطفي<sup>(٥)</sup> عقيلة<sup>(٥)</sup> مال الفاحش المشدد<sup>(٦)</sup>

أي البخيل .

- (١) هو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (٣٠٧/٢) وابن قتيبة في تفسير القرآن (ص ٥٣٦) وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٥٠٣/٤) وعزاه إلى الحسن وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢١٠-٢١١/٩) وعزاه إلى الحسن وابن قتيبة والزجاج . انظر أيضا تفسير الطبري (٢٧٩/٣٠) وتفسير الرازي (٩٨/٣٢) وتفسير القوطبي (١٦٢/٢٠) والبحر المحيط (٥٠٥/٨) والتسهيل (٢١٤/٤) وتفسير ابن كثير (٥٤٢/٤) .
- (٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٠٧/٢) ، انظر أيضا تفسير الطبري (٢٧٩/٣٠) وزاد المسير (٢١١/٩) .

(٣) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك البكري الواعلي ويقال : إن اسمه عمرو ، وسمى طرفة ببيت قاله ، وهو شاعر جاهلي ، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد . واتصل بالملك عمرو بن هند فجعل في ند مائه ، ثم أرسله بكتاب أوهمه فيه بأنه أمر له بجائزة إلى أحد عماله في البحرين فمضى طرفه بالكتاب إلى ذلك العامل فسقاه الخمر ثم قتله وكان عمره آنذاك عشرين سنة ، قال فيه ابن سلام : أشعر الناس واحدة ، وقال فيه لبيد : إنه أشعر العرب بعد امرئ القيس . انظر طبقات فحول الشعراء (١٣٨/١) والشعر والشعراء (ص ٩٠-٩١) والأعلام (٢٢٥/٢) .

- (٤) قال ابن منظور في لسان العرب (٣٣/١٢) مادة عيم ) " اعتم الشيء : اختاره " .
- (٥) ذكر ابن منظور في المصدر السابق (٤٦٣/١١) أن عقيلة كل شيء : أكرمه .
- (٦) البيت في ديوانه (ص ٣٤) . وأنشده أيضا أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٠٨/٢) : وابن جرير في تفسيره (٢٧٩/٣٠) وابن الجوزي في زاد المسير (٢١/٩) والقوطبي في تفسيره (١٦٢/٢٠) وابن منظور في لسان العرب (٤٣٣/١٢) .

وفي معنى الآية قول آخر وهو أن معناها : إنه للخير لشد يد الحب ، أي لقوى الحب ، وهو اختيار الفراء في معاني القرآن (٢٨٦/٣) قال : " نرى والله أعلم : أن المعنى : ولنه للخير لشد يد الحب ، والخير المال ، وكسأن الكلمة لما تقدم فيها الحب ، وكان موضعه أن يضاف إليه شديد حذف الحسب من آخره لما جرى ذكره في أوله ، ولروايس الآيات " .

وذكر هذا القول من قوله ابن الجوزي في زاد المسير (٢١١/٩) والرازي في تفسيره (٦٨/٣٢) وأبو حيان في البحر المحيط (٥٠٥/٨) وانظر أيضا تفسير الطبري (٢٧٩/٣٠) وتفسير الماوردي (٥٠٣/٤) وتفسير البغوي (٢٨٣/٧) وتفسير القوطبي (١٦٢/٢٠) .

وقال ابن جزى في التسهيل (٢١٤/٤) : " الأول (أي أن معناه : بخيل ) أظهر " واختاره البخاري في صحيحه (٧٢٧/٨) . وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤٢/٤) بعد أن ذكر القولين : " وكلاهما صحيح " .

قوله تعالى ( أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور ) أى أخرج (١)  
 وقرأ ابن مسعود " بعث " وعن غيره - وهو أبى بن كعب - بحشر - (٢)  
 أى قلب (٤) . وقوله ( وحصل ما فى الصدور ) أى أظهر ما فيها ، وقيل : جمع يعنى  
 ما فى صحائف الأعمال (٦) .

- ( ١ ) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ٢ / ٣٠٨ ) : " ( إذا بعثر ما فى القبور ) :  
 أثير فأخرج " . وكذا ذكره البغوى فى تفسيره ( ٢٨٣ / ٧ ) وابن الجوزى فى  
 زاد المسير ( ٩ / ٢١١ ) . وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٦ ) :  
 " أى قلب وأثير " .  
 وقال ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ٢٨٠ ) : يقول : أفلا يعلم هذا الإنسان الذى  
 هذه صفته ، إذا أثير ما فى القبور ، وأخرج ما فيها من الموتى " .
- ( ٢ ) قال الفراء فى معانى القرآن ( ٣ / ٢٨٦ ) : " رأيتها فى مصحف عبد الله :  
 " إذا بعث ما فى القبور " وذكره الثعلبى فى تفسيره ( ١٣ / ١٤١ / ١ ) نقلاً عن  
 الفراء ، وذكره الطبرى فى تفسيره ( ٣٠ / ٢٨٠ ) دون عزو إليه فقال : وذكر  
 أنها فى مصحف عبد الله : إذا بعث ما فى القبور " وذكر هذه القراءة ابن خالويه  
 فى شواذ القرآن ( ص ١٧٨ ) عن الأسود بن يزيد ، وذكرها أبو حيان أيضاً فى  
 البحر المحيط ( ٨ / ٥٠٥ ) عن الأسود ، والزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٧٨٩ ) دون  
 عزو إلى أحد .
- ( ٣ ) قال الفراء فى المصدر السابق له " وسمعت بعض أعراب بنى أسد وقرأها فقال :  
 ( بحشر ) وذكره نقلاً عن الفراء القوطى فى تفسيره ( ٢٠ / ١٦٣ ) وقد ذكر هذه  
 القراءة ابن خالويه فى المصدر السابق له : عن ابن مسعود ، وكذلك ذكرها عنه  
 الحارثى فى تفسيره ( ٤ / ٥٠٣ ) .  
 وانظر أيضاً البحر المحيط ( ٨ / ٥٠٥ ) وروح المعانى ( ٣٠ / ٢١٩ )  
 والقراءتان ( بحث وبعثر ) شاذتان - وإن كان المعنى واحداً .
- ( ٤ ) ذكر الفراء فى المصدر السابق له : أن بعث وبعثر لفتان فى معنى واحد - وذكر  
 ابن منظور فى لسان العرب ( ٤ / ٧٢ ) : بعث الخبر بعثه ، ويقال : بعثرت  
 الشئ ، وبعثته إذا استخرجته وكشفته .
- ( ٥ ) هو قول ابن عباس - رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ٢٨٠ ) بسنده عن على بن  
 أبى طلحة عنه ، وذكره من قوله ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٢١١ ) والقوطى  
 فى تفسيره ( ٢٠ / ١٦٣ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٤ / ٥٤٢٠ ) وألفظه : قال ابن عباس  
 وغيره : يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون فى نفوسهم " .
- ( ٦ ) ذكره الزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٧٨٨ - ٧٨٩ ) قال : " ومعنى ( حصل )  
 جمع فى الصحف " . وذكره الرازى فى تفسيره ( ٣٢ / ٩٨ ) وأبو حيان فى البحر المحيط  
 ( ٨ / ٥٠٥ ) وابن جزى فى التسهيل ( ٤ / ٢١٤ ) .  
 دون عزو إلى أحد ، وفيه قول آخر سيأتى ذكره .

وقوله ( إن ربهم بهم يومئذ لخبير ) أى عالم ، ويقال : أى يجازيهم —  
 بأعمالهم<sup>(١)</sup> ، ومثله قوله تعالى ( أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم )<sup>(٢)</sup> أى  
 يجازيهم الله بما فى قلوبهم<sup>(٣)</sup> ، وكذلك قوله ( وما تفعلوا من خير يعلمه الله )<sup>(٤)</sup>  
 أى يجازى عليه<sup>(٥)</sup> ،

وقيل فى قوله ( وحصل ما فى الصدور ) : أى ميز ما فيها من الخير  
 والشر - والله أعلم - .<sup>(٦)</sup>

( ١ ) يبدو من أسلوب المؤلف أن فى قوله ( لخبير ) قولين .

أحدهما أن معناه : عالم ، والثانى : أن معناه مجازيهم .

وقد فسر الآية غير واحد من المفسرين بما يدل على أنهما فى معنى واحد . فقال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٨٠ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول : إن ربهم بأعمالهم وما أسروا فى صدورهم وأضمروه فيها وما أعلنوه بجوارحهم منها عليم لا يخفى عليه منها شئ " ، وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذ .

وذكر البغوى فى تفسيره ( ٢٨٤ / ٧ ) عن الزجاج أنه قال : الله خير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى : أنه يجازيهم على كفرهم فى ذلك اليوم " وكذا ذكر القرطبى فى تفسيره ( ١٦٣ / ٢٠ ) .

وقال الزمخشورى فى الكشاف ( ٧٨٩ / ٤ ) : -

" ومعنى علمه بهم يوم القيامة : مجازاته لهم على مقادير أعمالهم ، لأن ذلك أثر خيره بهم " .

( ٢ ) سورة النساء الآية ٦٣ .

( ٣ ) انظر زاد المسير ( ٢١٢ / ٩ ) .

( ٤ ) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

( ٥ ) قال ابن كثير فى تفسيره ( ٢٣٨ / ١ ) عند هذه الآية : " لما نهاهم عن فعل القبيح ( أى الرفث والفسوق والجدال فى الحج ) قولاً وفعلًا حثهم على فعل الجميل وأخبرهم أنه عالم به وسيجزىهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة " .

( ٦ ) هذا هو القول الثالث من الأقوال الثلاثة فى معنى قوله تعالى ( وحصل ما فى الصدور ) وهو قول أبى عميرة فى مجاز القرآن ( ٣٠٨ / ٢ ) وابن قتبية فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٦ ) وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٥٠٣ / ٤ ) عمن الكلبى واختاره البغوى فى تفسيره ( ٢٨٣ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢١١ / ٩ ) وذكره القرطبى فى تفسيره ( ١٦٣ / ٢٠ ) وقال : كذا قال المفسرون " وهو الذى يبدو لى أنه أرجح الأقوال لأنه يبين يوم القيامة ما أسره الإنسان فى قلبه من خير أو شر ويميز بينهما ثم يجازى عليهما ، وهذا هو اختيار البخارى فى صحيحه ( ٧٢٩ / ٨ ) .

## تفسير سورة القارعة وهى مكية (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( القارعة ما القارعة ) هى القيامة (٢) . وسميت قارعة لأنها تقرع  
القلوب بالهول والشدة (٣) ، وقوله ( ما القارعة ) مذكور على وجه التعظيم

(١) ذكر الجيهتي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) هذه السورة ضمن السور التي نزلت  
بمكة ، وذلك فيما روى عن الحسن وعكرمة وذكر الماوردي في تفسيره (٥٠٤/٤) ،  
وابن الجوزي في زاد المسير (٢١٣/٩) والقرطبي في تفسيره (١٦٤/٢٠) إجماع  
المفسرين على كونها مكية .

(٢) روى ابن جرير في تفسيره (٢٨١/٣٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس  
أنه قال : ( القارعة ) من أسماء يوم القيامة . وأورد السيوطي في الدر المنثور  
(٣٨٥/٦) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضا .  
وهذا يوجد عليه شبه اتفاق بين المفسرين .  
قال الرازي في تفسيره (٧٠/٣٢) : واتفقوا على أن القارعة اسم من أسماء  
القيامة \* وعزا القرطبي في تفسيره (١٦٤/٢٠) إلى عامة المفسرين ، وعزا  
أبوحيان في البحر المحيط (٥٠٦/٨) إلى الجمهور ، وذكر الماوردي في تفسيره  
(٥٠٤/٤) قولين آخرين . أحدهما : أنها العذاب ، لأنها تقرع قلوب الناس  
بهولها والثاني : أنها الصيحة لأنها تقرع بشداؤها ، وذكر أبوحيان أيضا  
قولين آخرين فقال : وقيل : صيحة النفخة في الصور لأنها تقرع الأسماع  
وفي ضمن ذلك القلوب . وقال الضحاك : من النار ذات التفيط والزفير ، والصواب  
هو ما عليه الجمهور .

(٣) قال الرازي في تفسيره (٧٠/٣٢) بعد أن حكى اتفاق المفسرين على أن  
القارعة اسم من أسماء القيامة : واختلفوا في لمية (أى سبب) هذه التسمية  
وجوه \* ثم أورد هذه الوجوه . أحدها : هذا الذي ذكره المؤلف ، وهو  
مروى عن الكلبي - وقد ذكر هذا الوجه ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن (٥٣٧) ،  
والبغوي في تفسيره (٢٨٤/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٤٦/٨) والقرطبي  
في تفسيره (١٦٤/٢٠) وابن جزى في التسهيل (٢١٥/٤) وأبوحيان في  
البحر المحيط (٥٠٦/٨) .

والثاني : أن سبب ذلك هو الصيحة التي تموت منها الخلائق .  
والثالث : أن الأجرام العلوية والسفلية يهبطان اصطكاكا شديدا عند  
تخريب العالم ، فيسبب تلك القرعة سمي يوم القيامة بالقارعة .  
والرابع : أنها تقرع أعداء الله بالعذاب والخزي والنكال ، وهو قول مقاتل .  
انظر أيضا تفسيره (٤٠٢/ب) وزاد المسير (٣٤٦/٨) وذكر الرازي عن  
بعض المحققين أن هذا أولى مما قاله الكلبي . ويبدو لي - والله أعلم - أن  
جميع هذه الأوجه موجودة في سبب تسمية القيامة بالقارعة ، وأنها تذهل جميع  
الناس ليس الكافرين فقط بدليل قوله \* يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت....  
(سورة الحج الآية ٢) ففي أول الأمر تكون الساعة مذهلة لجميع الناس .

والتهويل وكذلك ( وما أدراك ما القارعة )<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ) الفراش : هو صفار الحيوان من البق<sup>(٢)</sup> والبعوض والجراد وما تجمع عند ضوء السراج<sup>(٣)</sup> . والمبثوث : سماه مبثوثاً لأنه يركب بعضه بعضاً<sup>(٤)</sup> ، وقيل : يموج بعضهم في بعض وهو مثل قوله تعالى ( كأنهم جراد منتشر )<sup>(٥)</sup> وشبهه الناس عند المحشر به لأنه يموج بعضهم في بعض<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) أكثر المفسرين قالوا : إن الاستفهام المتعظيم والتفخيم لشأن يوم القيامة . انظر تفسير الطبري ( ٢٨١ / ٣٠ ) وعراب القرآن للنحاس ( ٧٥٨ / ٣ ) وتفسير البغوي ( ٢٨٤ / ٧ ) وتفسير القرطبي ( ١٦٤ / ٢ ) والتسهيل ( ٢١٥ / ٤ ) وعزاه أبوحيان إلى الجمهور ، وذكر عن الزجاج أنه قال : هو تحذير ، والعرب تغفري وتحذرن بالرفع كالنصب ، البحر المحيط ( ٥٠٦ / ٨ ) والصواب هو ما عليه الجمهور .

( ٢ ) البق : البعوض واحده بقعة ، وقيل : عظام البعوض . انظر لسان العرب ( ٢٢٠ / ١٠ ) .

( ٣ ) قال الجوهري في الصحاح ( ١٠١٥ / ٣ ) وابن منظور في لسان العرب ( ٣٣٠ / ٦ ) : الفراشة : التي تطير وتهافت في السراج .

وذكر ابن منظور عن الزجاج أنه قال : الفراش مাত্রاه كصفار البق يتهافت في النار " وهذا هو قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٦ ) قال : الفراش : ما تهافت في النار من البعوض " .

وقال الفراء في معاني القرآن ( ٢٨٦ / ٣ ) : يريد : كموغاة الجراد ( أي صفار الجراد ) يركب بعضه بعضاً ، وقد ضعف هذا القول ابن جزي في التسهيل ( ٢١٥ / ٤ ) .

وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٣٠٩ / ٢ ) : " طيرٌ لا بعوض ولا ذباب هو الفراش " والصواب فيما يبدو لي - والله أعلم - هو القول الأول ( أي أن الفراش هو الذي يتساقط في النار والسراج ليس ببعوض ولا ذباب ) وهذا هو السدي اختاره ابن جزي في تفسيره ( ٢٨١ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن قتادة - واختار البخاري في صحيحه ( ٧٢٨ / ٨ ) قول الفراء وأورد ابن حجر في الفتح قول أبي عبيدة ، ثم قال : وحمل الفراش على حقيقته أولى والعرب تشبه بالفراش كثيراً يعني الذي يتساقط في النار " .

راجع أيضاً زاد المسير ( ٢١٣ / ٩ - ٢١٤ ) وتفسير الطبري ( ١٦٥ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٥٠٦ / ٨ ) والتسهيل ( ٢١٥ / ٤ ) .

( ٤ ) المبثوث : من بث الشيء والخبر بيته بشاً : بمعنى فرقته ونشره ، انظر لسان العرب ( ١١٤ / ٢ ) وكذلك فسره أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٣٠٩ / ٢ ) وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ص ٥٣٧ ) أما تشبيه الناس بالفراش المبثوث فذكر الفراء في معاني القرآن ( ٢٨٦ / ٣ ) أن موغاة الجراد ( أي صفاره ) يركب بعضه بعضاً فكذلك الناس يومئذ يجول بعضهم في بعض ، وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٦٥ / ٢٠ ) من قول ابن عباس والفراء .

( ٥ ) سورة القمر الآية ٧ .

( ٦ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢١٤ / ٩ ) : " وشبه الناس في وقت البعث به وبالجراد المنتشر لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض " .



٠٠/٠٠

وليس بين القولين ( أى القول بأنهم شبهوا بالفراش الميثوث لأنه يركب بعضهم بعضاً والقول بأنهم شبهوا به لأنه يموج بعضهم فى بعض ) فرق كبير من ناحية المعنى ، ولذلك قال البيهقي فى تفسيره ( ٢٨٤/٧ ) " شبهه الناس عند البعث بهمسا ( لأنه ) يموج بعضهم فى بعض ويركب بعضهم بعضاً من الهول كما قال : " كأنهم جراد منتشر " .

هذا وقد فرق الرازى فى تفسيره ( ٧٢/٣٢ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٦٥/٢٠ ) بين تشبيه الناس بالفراش الميثوث وتشبيههم بالجراد المنتشر عند البعث فذكر الرازى أن وجه التشبيه بالفراش هو أن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة ، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى . يدل هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا واختلّفوا فى المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة . وأما وجه التشبيه بالجراد فهو فى الكثرة .

وقال القرطبي : فأول حالهم كالفراش لا وجه له ، يتحير فى كل وجه ثم يكونون كالجراد لأن لها وجهاً تقصده " .

وقال ابن جزى فى التسهيل ( ٢١٥/٤ ) : قال بعض العلماء : الناس فى أول قيامهم من القبور كالفراش الميثوث لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر ، فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة " .

وهناك قول آخر فى هذا التشبيه وهو أنه شبههم به لتساقطهم فى النار كما يتساقط الفراش فى المصباح . وعلى هذا يكون التشبيه للكفار خاصة ، ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٥٠٤/٤ ) وابن جزى فى التسهيل ( ٢١٥/٤ ) . والصواب فى ذلك كما يبدو لي هو ما ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ( ٧٢٨/٨ ) : وفق تشبيه الناس يوم البعث بالفراش مناسبات كثيرة بليغة ، كالطيش والانتشار والكثرة والضعف والذاقة والمجنون بغير رجوع والقصد إلى الداعي والإسراع وركوب بعضهم بعضاً والتطايير إلى النار " انظر أيضاً الكشاف ( ٧٨٩/٤ ) والبحر المحيط ( ٥٠٦/٨ ) .

وقوله ( وتكون الجبال كالعهن ) أى الصوف الذى ندف<sup>(١)</sup> والعهن : هو الصوف المصبوغ - وهو أرخى ما يكون من الصوف<sup>(٢)</sup> ، وذكر هذا على معنى أن الجبال من هول يوم القيامة مع صلابتها وقوتها نصير كالعهن المنفوش<sup>(٤)</sup> .

(١) قال ابن منظور فى لسان العرب (٢٢٥/٩) : "الندفُ : طَرَّقَ القُطنَ بالمدفِ ندف القطن يندفُه ندفًا : ضربه بالمدفِ" . وهو معنى المنفوش . قال ابن منظور فى المصدر السابق (٣٥٧/٦) : النفشُ : الصوفُ ، والنفشُ مذك الصوف حتى ينفش بعنه عن بعنى" انظر أيضا تفسير البغوى (٢٨٤/٧) وزاد المسير (٢١٤/٩) وتفسير الرازى (٧٢/٣٢) .

(٢) هو قول ابن قتبية فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٧) وذكره القرطبي فى تفسيره (١٦٥/٢٠) عن أهل اللغة - وذكر أبو عبيدة فى مجاز القرآن (٣٠٩/٢) ، أن العهن هو الصوف ذو الألوان ، وذكره عنه الماورى فى تفسيره (٥٠٤/٤) ، وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (٣٦٠/٨) عن الزجاج أنه قال : العهن الصوف" وذكر هذه الأقوال كلها ابن منظور فى لسان العرب (٢٩٧/١٣) وانظر أيضا التسهيل (٢١٥/٤) .

(٣) قال الماورى فى تفسيره (٥٠٥/٤) : " قال : " كالعهن المنفوش " لخفته وضعفه " .

(٤) قال مقاتل فى تفسيره (٤٠٢/ب) : " يقول : تكون الجبال يومئذ بعد القسوة والشدة كالصوف المندوف ، عرقها فى الأرض السطوى ورأسها فى السماء ، تقول هو جبل ، فإذا مسسته فهو لا شىء من شدة السهول " وقال الماورى فى تفسيره (٥٠٥/٤) : شبه به الجبال لخفتها ودهابها بعد شدتها وثباتها " . وقال الخازن فى تفسيره (٢٨٤/٧) : " وذلك لأنها تتفرق أجزاءها فى ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف " وقال ابن جزى فى التسهيل (٢١٥/٤) : شبه الله الجبال يوم القيامة به لأنها تنسف فتصير لينة " .

هذا على القول بأن العهن الصوف مطلقاً ، وأما على القول بأن العهن هو الصوف الملون فيكون التشبيه من جهة اختلاف ألوان الجبال لأن منها بيضا وحمرا وسودا ، كما قال تعالى : ( ومن الجبال جدُّ بيش وحمراً مختلف ألوانها وغرابيب سود ) سورة فاطر الآية ٢٧ ، ذكره الرازى فى تفسيره (٧٢/٣٢) وابن جزى فى التسهيل (٢١٥/٤) والصواب هو القول الأول (أى أن الجبال تنسف نسفا فتكون أجزاء متفرقة كالصوف المتطاير عند الندف ) وذلك لأن المقصود التهويل والتعظيم لشأن ذلك اليوم ولذلك قرن بين الناس والجبال ، كأنه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة فى الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش ، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها ، انظر البحر المحيط (٥٠٦/٨ - ٥٠٧) وتفسير الخازن (٢٨٤ ٩٧) .

وقال الزمخشري فى الكشاف (٧٩٠/٤) : " وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألواناً لأنها (أى الجبال) ألوان ، وبالمنفوش منه اتفرق أجزاءها " وهو بذلك جمع بين القولين .

قوله تعالى ( فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ) قال الفراء والزجاج : أى  
ذات رضى (١) ، وقيل : مرضية . (٢)

وقوله ( وأما من خفت موازينه ) فى بعض التفاسير : أن اكل إنسان ميزاناً  
على حدة لعمله من الخير والشر . (٣)

(١) ذكره البغوى فى تفسيره (٢٨٤/٧) وابن الجوزى فى زاد المسير (٣٥٢/٨) ،  
والرازى فى تفسيره (٧٣/٣٢) كلهم عن الزجاج أنه قال : ذات رضى بوضاها  
صاحبها ، وزاد الرازى فقال : وهى كقولهم : لابن وتامر ، بمعنى : ذولبن ،  
وذو تمر \* - وهو قول سيبويه أيضاً كما فى التسهيل (٢١٥/٤) وأما الفراء فقال  
فى معانى القرآن (١٨٢/٣) عند قوله تعالى ( فى عيشة راضية ) ( فى سورة  
الحاقة الآية ٢١ ) " فيها الرضا ، والعرب تقول : هذا ليل نائم وسر كاتم ،  
وما دافق ، فيجعلونه فاعلاً وهو مفعول فى الأصل " .

(٢) هو قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن (٢٦٨/٢) فإنه قال عند الآية المشار إليها فى  
سورة الحاقة : " مجاز مرضية ، فخرج مخرج لفظ صفتها ، والعرب تفعل ذلك  
إذا كان من السبب فى شئ " يقال : نام ليله ، ولنا ينام هو فيه " ذكره عنده  
ابن الجوزى فى زاد المسير (٣٥٢/٨) واختاره البغوى فى تفسيره (٢٨٤/٧) .

(٣) اختلف فى الميزان هل هو واحد أو أكثر ، والأشهر أنه ميزان واحد لجميع  
الأمم ولجميع الأعمال ، وقيل : إنه لكل أمة ميزان ، وقال الحسن البصرى : لكل  
واحد من المكلفين ميزان ، وقال بعضهم : الأظهر لإثبات موازين يوم القيامة  
لا ميزان واحد ، لقوله تعالى ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ) ( سورة الأنبياء  
الآية ٤٧ ) ولقوله تعالى ( فمن ثقلت موازينه ) سورة القارة الآية ٦ ، قال :  
وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ، ولأفعال الجوارح ميزان ،  
ولما يتعلق بالقول ميزان .

والصواب أن الميزان واحد ، والجمع باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص ،  
أو أنه للتفخيم ، ولا يشكل كونه واحداً بكثرة من يوزن عمله لأن أحوال يوم القيامة  
لا تكيف بأحوال الدنيا ، والإيمان بالمسيران واجب ، .  
قال ابن بطّة فى كتابه الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (ص ٢٠٣) : وقد  
اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد فى جميع الأمصار أن الإيمان  
بذلك واجب لازم .

وذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٥٣٨/١٣) عن الزجاج أنه قال :  
" أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ،  
وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال ، وأنكرت المعتزلة الميزان ، وقالوا :  
هو عبارة عن العدل ، فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين  
لوزن الأعمال لسرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين " .  
انظر أيضاً شرح العقيدة الطحاوية (٤٧٢) ولوامع الأنوار (١٨٤/٢ - ١٨٧) .

قوله (فأمه هاوية) أي مرجعة إلى الهاوية، وسماها أمماً، لأن الإنسان يأوى إلى أمه، فالهاوية توأى الكفار فهي أمهم<sup>(١)</sup>. وفي بعض الأخبار في نعت النار: فبئست الأم وبئست المربية<sup>(٢)</sup>. ويقال: الهاوية كل موضع يهوى فيه الإنسان ويهلك<sup>(٣)</sup>.

(١) هو قول ابن زيد والفرافرا وابن قتيبة والزجاج وغيرهم... والدليل على صحة هذا المعنى الحديث الآتي: انظر معاني القرآن للفرافرا (٢٨٧/٣) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٣٧) وتفسير ابن جرير (٢٨٣/٣٠) وتفسير الثعلبي (١/١٤٦/٣) وتفسير البغوي (٢٨٤/٧) والكشاف (٧٩٠/٤) وزاد المسير (٢١٥/٩) وتفسير الرازي (٧٤/٣٢) وتفسير القرطبي (١٦٧/٢٠) والبحر المحييط (٥٠٧/٨) وتفسير ابن كثير (٥٤٣/٤) وفيه قولان آخران. أحدهما: أن المعنى: أم رأسه هاوية. يعني أنه يهوى في النار على رأسه، وهو قول عكرمة وأبي صالح وروى عن قتادة أيضا وعزاه بعضهم إلى الكسبي والأخفش أيضا. والثاني: أنه تغاول بشر، وإذا دعوا بالهاكة قالوا: هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه شكلاً وحرزاً وهو قول قتادة. وقد ذكر هذه الأقوال القرطبي ثم قال: والمعنى متقارب. انظر المصادر السابقة ما عدا الأول والثاني وانظر أيضا المفردات للراغب (ص ٥٤٨) ولسان العرب (٣٧٣/١٥).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٣٣/٢) بسنده عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات العبد المؤمن تلقى روحه أرواح المؤمنين، فيقولون له: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية وهو مرسل، وقد جاء ذلك أيضا في حديث موقوف أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٤٩ - ١٥٠) بسنده عن أبي رهم السماعي عن أبي أيوب الأنصاري من قوله بأطول منه. وذكره القرطبي في تفسيره (١٦٧/٢٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ولم يعز تخريجه إلى أحد. وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٨٥/٦) من رواية ابن مردويه عن الحسن وأبي أيوب الأنصاري مرفوعاً، والله اعلم بصحة سنده.

(٣) ذكر ابن منظور في لسان العرب (٣٧٣/١٥) أن الهاوية: هي كل مهواة لا يدرك قعرها. وكذا ذكر البغوي في تفسيره (٢٨٤/٧) وأكثر المفسرين صرحوا بأن المراد من الهاوية: هنا جهنم، وقال بعضهم: سميت النار هاوية لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها.

وقال آخرون: هي اسم من أسماء النار، وهي معرفة بغير ألف ولا م، ذكره ابن منظور واعترض عليه ابن بري، ويروى أيضا أن الهاوية اسم الباب الأسفل من النار ذكره القرطبي، وقال أبو حيان: الهاوية: دركة من دركات النار والصواب فيما يبدو لي أن الهاوية اسم من أسماء النار وسميت بذلك لبعدها قعرها.

انظر تفسير الماوردي (٥٠٦/٤) وتفسير البغوي (٢٨٤/٧) وتفسير السرازي (٧٤/٣٢) وتفسير القرطبي (١٦٧/٢٠) والبحر المحييط (٥٠٧/٨) والصحاح (٢٥٣٩/٦) ولسان العرب (٣٧٣/١٥) والمفردات (٥٤٨).

وقوله ( وما أدراك ماهيه ) الها في قوله ( ماهيه ) ها الوقف على فتحة الياء (١) .

وقوله ( نار حاميه ) أى حاميه على الكفار محرقة لهم - والله أعلم - . (٢)

(١) قال البغوى فى تفسيره (٢٨٥/٧) : \* ( وما أدراك ماهيه ) يعنى الهاوية ( أى أن الضمير يرجع إلى الهاوية ) وأصلها : ماهى ، أدخل الهاء فيها الموقف وذكر ذلك ابن الجوزى فى زاد المسير (٢١٦/٩) عن الزجاج قال : قال الزجاج : الها في ( هيه ) دخلت فى الوقف لتبين فتحة الياء \* . وسمى هذه الها ها السكت ، الزمخشري فى الكشاف (٧٩٠/٤) - (٧٩١) والرازي فى تفسيره (٧٤/٣٢) نقلاً عن الزمخشري . والقوطبى فى تفسيره (١٦٧/٢٠) وأبوحيان فى البحر المحيطة (٥٠٧/٨) وقد حذفها بمعنى القراء فى الأصل فقرأوا : \* ما هى نار \* . والصواب الوقف بالهاء لاتباع المصحف والهاء فيه ثابتة .

انظر زاد المسير (٢١٦/٩) وتفسير الرازى (٧٤/٣٢) .

(٢) قال ابن جرير فى تفسيره (٢٨٣/٣٠) : \* يعنى بالحامية : التى قد حميت من النوقود عليها ) .

وقال البغوى فى تفسيره (٢٨٥/٧) : \* أى حارة قد انتهى حرها \* .

وقال الرازى فى تفسيره (٧٤/٣٢) : \* والمعنى : أن سائر النيران بالنسبة إليها كأنها ليست حاميه ، وهذا القدر كاف فى التنبيه على قوة سخوتها \* .

وقال القوطبى فى تفسيره (١٦٧/٢٠) : \* ( نار حاميه ) أى شديدة الحرارة \* .

وقد ورد فيما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : \* ناركم هذه التى يوقد

ابن آدم جزءاً من سبعين جزءاً من حر جهنم ، قالوا : والله إن كانت لكافية

يارسول الله ؟ قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل

حرها \* .

أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٣٠/٦ رقم ٣٢٦٥) ومسلم فى صحيحه (١٧٧/١٧)

واللفظ له ، كلاهما بسندهما عن أبى هريرة به .

ب / تفسير سورة التكاثر وهي مكية (١)

ب / ٣٤٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى (الهاكم التكاثر) أي شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عما أمرتم به

وقوله (حتى زرتم المقابر) فيه قولان : أحدهما : حتى تم . (٣)

(١) أورد البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) هذه السورة ضمن السور التي نزلت بمكة ، وذلك فيما رواه بسنده عن الحسن وعكرمة . وذكر السيوطي في الدر المنثور (٣٨٦/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال : نزلت بمكة سورة "الهاكم التكاثر" . وقد ذكر أكثر المفسرين أن هذه السورة مكية ، وقد صرح القرطبي في تفسيره (١٦٨/٢٠) وأبو حيان في البحر المحیط (٥٠٧/٨) بأنها مكية في قول جميع المفسرين ، وذكرنا عن البخاري أنه قال : مدنية .

وقال السيوطي في الإتيان (١٤/١) : "الأشهر أنها مكية ، ويدل لكونها مدنية وهو المختار ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريدة : أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا . . . الحديث . واستدل أيضا بما أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق باب ما ينفي من فتنة المال (٢٥٣/١١ رقم ٦٤٤٠) بسنده عن أنس عن أبي بن كعب قال : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت "الهاكم التكاثر" يعني : لو كان لابن آدم واد من ذهب . . . الحديث - فالقول بأن هذه السورة مدنية أقوى من ناحية الاستدلال ، ولذلك اختاره السيوطي .

وهناك نصوص أخرى تدل على أن السورة مدنية ، وسيأتي بعضها عند المؤلف وقد أورد ابن العربي في أحكام القرآن (١٧٩٤/٤) حديث أبي بن كعب وقال : وهذا نص صحيح مطيح غاب عن أهل التفسير فجهلوا وجهلوا والحمد لله على المعرفة .

(٢) قال ابن جرير في تفسيره (٢٨٣/٣٠) : " (الهاكم التكاثر) : يقول تعالى ذكره : الهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم ، وعما ينجيكم من سخطه عليكم " وينحوه فسر البغوي في تفسيره (٢٨٥/٧) .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢١٩/٩) : " ومعنى (الهاكم) : شغلكم عن طاعة الله وعبادته " وذكر الماوردي في تفسيره (٥٠٧/٤) والقرطبي في تفسيره (١٦٨/٢٠) في معنى (الهاكم) وجهين أحدهما : أشغلكم ، والثاني : أنساكم ثم قال الماوردي : ومعناه : الهاكم عن طاعة ربكم وشغلكم عن عبادة ربكم " وأما التكاثر فذكر في المراد به ثلاثة أقوال . أحدها : التكاثر بالمال والأولاد ، وهو قول الحسن ، وهذا الذي ذكره المؤلف .

والثاني : التفاخر بالقبائل والعشائر ، وهو قول قتادة .

والثالث : التشاغل بالمعاش والتجارة وهو قول الضحاك .

وذكر هذه الأقوال الثلاثة أيضا ابن الجوزي في زاد المسير (٢١٩/٩) والقرطبي في تفسيره (١٦٨/٢٠) وقال : الآية تعم جميع ما ذكر وغيره " وهو الصواب لأنه ليس هناك مانع من أن تكون كل هذه الأقوال مقصودة معاً ، فإن هذه الأمور كلها مما يتكاثر به الناس ويلبيهم عن عبادة ربهم .

(٣) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره (٢٨٤/٣٠) والماوردي في تفسيره (٥٠٧/٤)

والبغوي في تفسيره (٣٨٥/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٢١٩/٩) والقرطبي

في تفسيره (١٦٩/٢٠) وابن جزى في التسهيل (٢١٦/٤) وابن كثير في تفسيره

والقول الثاني : هو أنه تفاخر حيان من قريش وهما بنو عبد مناف<sup>(١)</sup> وبنو الزهرة<sup>(٢)</sup> ،  
وقيل : بنو زهرة وبنو جمح<sup>(٣)</sup> ، وهو الأصح ، فعَدُّ الأحياء فكثرتهم بنو  
زهرة ، فعَدُّوا الأموات وأكثرتهم بنو جمح ، فهو معنى قوله تعالى ( حتى زرتم  
المقابر ) أي عدتم من في القبور .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) بنو عبد مناف : بطن من قصي بن كلاب من العدنانية ، وهم بنو عبد مناف بن  
قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ، من أفضانه عبد شمس ، هاشم ، المطلب ،  
ونسوفل .  
انظر معجم قبائل العرب ( ٢ / ٧٣٥ ) .

( ٢ ) بنو الزهرة : بطن من بني مرة بن كلاب من قريش ، وهم بنو زهرة بن كلاب بن  
مرة بن كعب .  
المصدر السابق ( ٢ / ٤٨٢ ) .

( ٣ ) بنو جمح : بطن من العدنانية ، وهم بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب  
ابن لؤي .  
المصدر السابق ( ١ / ٢٠٢ ) .

( ٤ ) اختلفت الأقوال في سبب النزول لهذه السورة ، وهذا الذي ذكره المؤلف لم  
أجد من ذكره . قال مقاتل في تفسيره ( ١ / ٤٠٣ ) : " أن حيين من قريش من  
بني عبد مناف بن قصي ، وبني سهم بن عمرو بن مرة بن كعب ، كان بينهما لحاء  
( أي منازعة ) فافتخروا فعادوا السادة والأشراف ، فقال بنو عبد مناف :  
نحن أكثر سيداً وأعز عزيزاً وأعظم شرفاً وأمنع جانباً وأكثر عدداً ، فقال  
بنو سهم لبني عبد مناف مثل ذلك ، فكاثروهم بنو عبد مناف بالأحياء ثم قالوا :  
نعد أمواتنا حتى أتوا المقابر يعدوهم ، فقالوا : هذا قبر فلان وهذا قبر  
فلان ، فعادوا قبر هو لاء وعدوا هو لاء موتاهم ، فكاثروهم بنو سهم  
بثلاثة أهل أبيات لأنهم كانوا أكثر منهم عدداً في الجاهلية من بني عبد مناف .  
فأنزل الله عز وجل في الحيين (الهاكم التكاثر) ، وقد ذكر ذلك من قول  
مقاتل والكسبي - الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٥٠٧ ) والبغوي في تفسيره  
( ٧ / ٢٨٥ ) والشعلبي في تفسيره ( ١٣ / ١٤٢ ب ) والواحدي في أسباب  
النزول ( ص ٣٤١ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٠ / ١٦٨ ) وعزاه أيضاً إلى ابن عباس .

وروي ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير ابن كثير ٤ / ٥٤٤ ) من طريق  
صالح بن حيان عن ابن بريدة قال : نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار لبني حارثة  
وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا . . . الحديث بنحوه - وذكر البغوي والواحدي  
عن قتادة أنه قال : نزلت في اليهود قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبنو  
فلان أكثر من بني فلان ، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً .

وعلى القول بأحد هذه الأسباب للنزول يكون معنى الآية : حتى زرتم  
المقابر فعددتم من فيهم من موتاكم . وذكر ابن جزى في التسهيل ( ٤ / ٢١٦ ) قولاً  
ثالثاً وهو أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر ، فعبر بزيارتها عن  
التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بأبائهم الموتى . والصواب في ذلك  
هو ما ذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٥٤٥ ) فإنه قال : والصحيح أن المراد بقوله  
( زرتم المقابر ) أي صرتم إليها ودفنتم فيها " واستدل على هذا بما أخرجه

البخارى فى صحيحه (٤٤٧/١٣ رقم ٧٤٧٠) بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أعرابي يعوده ، فقال : لا بأس عليك طهوراً إن شاء الله قال : قال الأعرابي : طهور بل هو حصى تنفوس على شيخ كبير تزيره القبور ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فتمم ، إن شاء الله .

وقال القرطبي فى تفسيره (١٧٠/٢٠) عند هذه الآية : " لم يأت فى التنزيل ذكر المقابر إلا فى هذه السورة ، وزيارتها من أعظم الدوا للقلب القاسى لأنها تذكر الموت والآخرة ، وذلك يحمل على قصر الأمل ، والزهد فى الدنيا وترك الرغبة فيها " ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم " نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإن فى زيارتها تذكراً " هذا الحديث .

أخرجه أبوداود فى سننه - كتاب الجنائز - باب فى زيارة القبور (٥٥٨/٣ رقم ٢٢٣٥) والترمذى فى سننه - كتاب الجنائز - باب ماجاء فى الرخصة فى زيارة القبور (٣٦١/٣ رقم ١٠٥٤) بسندهما عن ابن بريدة عن أبيه - وهذا لفظ أبى داود .

وروى مسلم فى صحيحه كتاب الجنائز - باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه فى زيارة قبر أمه (٤٦/٧) بسنده عن أبى هريرة قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : استأذنت ربي فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، وأستأذنته فى أن أزور قبرها ، فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت .

وزيارة القبور بالنسبة للرجال سنة باتفاق الجمهور من أئمة المسلمين . وذهب البعض منهم إلى أنها مكروهة . وقابلة البعض بأنها واجبة ولو مرة واحدة فى العمر ، وأما زيارتها بالنسبة للنساء فمختلف فيها بين الأئمة ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن زورات القبور ، كما رواه الترمذى فى سننه (٣٦٠٢/٣ رقم ١٠٥٦) . فلهذا الحديث قال بعض أهل العلم : بتحريمها عليهن . وذهب البعض منهم إلى جواز الزيارة للنساء وقالوا عن الحديث : إن هذا كان قبل أن يخصص النبي صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور ، فلما رخص دخول فى رخصته الرجال والنساء ، وقال البعض الآخر : تكراه زيارة القبور للنساء لئلا صبرهن وكثرة جزعهن .

والراجح عندى من هذه الأقوال هو : منعهن من زيارتها . لأن قوله صلى الله عليه وسلم " نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . . . " ضمير ذكور فلا يدخل فيه النساء على المذهب الصحيح المختار فى الأصول .

انظر سنن الترمذى (٣٦٢/٣) وتفسير القرطبي (١٧٠/٢٠) وشرح النسوى

(٤٥/٧) وفتح البارى (١٤٨/٣ - ١٤٩) وتحفة الاحوذى (١٥٦/٢ - ١٥٧) .



(١) روى شعبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه (٢) قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ( أهاكم التكاثر ) قال : يقول ابن آدم : مالي مالي . . . . . وَمَالِكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَقْنَيْتُ أَوْلِيَّيَاتِي فَأَبْلَيْتُ ، أَوْ تَصَدَّقْتُ فَأَمْضَيْتُ . قال ر - رضى الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبد الله بن محمد الصَّريفيُّ المعروف بابن هَرَّازٍ مَرْدُ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ (٥) بِنِ حَبَابَةَ ، أَخْبَرَنَا الْبَغَوِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ عَنْ شُعْبَةَ (٦) ، الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ بِنْدَارٍ عَنْ غَنْدَرٍ عَنْ شُعْبَةَ (٧) (٨) (٩)

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولى لهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري ثقة حافظ متقن ، كان الثوري يقول : هو أمير المؤمنين في الحديث ، وهو أول من فشق بالعراق عن الرجال وذبح عن السنة ، وكان عابداً ، مات سنة ستين ومائة .  
انظر تقريب التهذيب (ص ١٤٥) .

(٢) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري الخريشي أبو عبد الله البصري ، ثقة عابد فاضل ، مات سنة خمس وتسعين . المصدر السابق (ص ٣٣٩) .

(٣) هو عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب العامري الحريشي صحابي ، من سلمة الفتح . انظر الإصابة (٢/٣٢٤) وتقريب التهذيب (ص ١٧٦) .

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن مجيب بن المجمع ابن بحر بن معبد بن هزاز مَرْدُ الصَّريفيُّ خطيب صُريفيُّ ( بلدة من سواد العراق ) راوى كتاب الجعديات عن أبي القاسم ابن حبابة . قال فيه الخطيب البغدادي : كان صدوقاً . ونقل الذهبي عن أبي الفضل ابن خيرون أنه قال : هو ثقة له أصول جيداً توفي سنة تسع وستين وأربع مائة . انظر تاريخ بغداد ( ١٠ / ١٤٦ - ١٤٧ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٨ / ٣٣٠ - ٣٣٢ ) .

(٥) في النسختين ( أنه ) والصواب ما أثبتته ، وهو أبو القاسم عبد الله بن محمد المتوتى ، تقدمت ترجمته في ص ( ٢٢٩ ) .

(٦) هو علي بن الجعد بن عبد الجوهري البغدادي . ثقة ثبت ، روى بالتشيع ، مات سنة ثلاثين ومائتين . تقريب التهذيب (ص ٢٤٤) .

(٧) هو محمد بن بشار . تقدمت ترجمته في ص ( ٨٩٢ ) .

(٨) هو محمد بن جعفر - تقدمت ترجمته في ص ( ٨٩٢ ) .

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزهد - ( ١٨ / ٩٤ ) عن هذاب بن خالد ، حدثنا

هشام ، عن مطرف به - وفيه ( أتيت ) بدل ( انتهيت ) ( وهلك يا ابن آدم ) بدل ( ومالك ) وأورده أيضاً من الطريق الذي ذكره المؤلف . فقال عقب إخراجه : حدثنا محمد بن المشني وابن بشار قالا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة ، وقال جميعاً :

حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد ، وح حدثنا ابن المشني حدثنا معاذ بن هشام حدثنا

أبي كلثوم عن قتادة عن مطرف عن أبيه قال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فذكر بمثل حديث هشام . فروايتيه من طريق بندار مقرونة مع ابن المشني ، والحدِيثُ

أخرجه أيضاً الترمذي في سننه - كتاب التفسير باب " ومن سورة التكاثر " ( ٥ / ٤٧ ) رقم

( ٣٣٥٤ ) وأحمد في مسنده ( ٤ / ٢٤ ) كلاهما من طريق شعبة به ، وقال الترمذي

بهذا حديث حسن صحيح ، كما رواه آخرون من أئمة الحديث والتفسير ، انظر

الدر المنثور ( ٦ / ٣٨٦ - ٣٨٧ ) .

قوله تعالى ( كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) تهديد ووعيد ، وقوله ( ثم كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد والمعنى : ستعلمون عاقبة تفاخركم وتكاثركم إذا نزل بكم الموت .<sup>(١)</sup>

( ١ ) قال البغوي في تفسيره ( ٢٨٦/٧ ) : " ( كَلَّا ) ليس الأيم بالتكاثر ، ( سوف تعلمون ) وعيد لهم ، ثم كرره تأكيداً فقال : ( ثم كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) قال الحسن ومقاتل : هو وعيد بعد وعيد ، والمعنى : سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت . "

ونذكر هذا القول ( أى أن التكرار وعيد بعد وعيد ) القرطبي في تفسيره ( ١٧٢/٢٠ ) من قول مجاهد . وانظر أيضاً تفسير الرازي ( ٧٨/٣٢ ) ، وقال الفراء في معاني القرآن ( ٢٨٧/٣ ) : والكلمة قد تكررهما العسب على التخليط والتخويف ، فهذا من ذاك . "

ونذكره الماوردي أيضاً في تفسيره ( ٥٠٧/٤ ) ولكن بلفظ الاحتمال . وذكره القرطبي من قول الفراء ، وذكر الزمخشري في الكشاف ( ٧٩٢/٤ ) أن ( كَلَّا ) ردع وتنبيه ( سوف تعلمون ) إنذار ، والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم ( ثم ) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد وذكر في ذلك أقوال أخرى .

أحدها : وهو قول الضحاك - أن الأول للكفار ، والثاني للعصاة من المؤمنين ذكره النحاس في إعراب القرآن ( ٧٦١/٣ ) واستحسنه ، ورواه ابن جريير في تفسيره ( ٢٨٥/٣٠ ) بسنده عن الضحاك قال : ( كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) الكفار ( ثم كَلَّا سَوْفَ يَعْلَمُونَ ) المؤمنون . وكذلك كان يقرؤها ( أى الأولى بالتاء ، والثانية بالياء ) ، وكذا ذكره البغوي في تفسيره ( ٢٨٦/٧ ) والرازي في تفسيره ( ٧٨/٣٢ ) وقال : الأول وعيد ، والثاني وعد " وانظر أيضاً التسهيل ( ٢١٦/٤ ) .

والثاني : ( كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) ما ينزل بكم من العذاب في القبر ( ثم كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) في الآخرة إذا حل بكم العذاب .

فالأول في القبر ، والثاني في الآخرة فالتكرار للحالتين .

والثالث : ( كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) عند المعاينة أن ما دعوتكم إليه حق

( ثم كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) عند البعث أن ما وعدتكم صدق .

انظر تفسير الماوردي ( ٥٠٨/٤ ) وتفسير الرازي ( ٧٨/٣٢ ) وتفسير القرطبي

( ١٧٢/٢٠ ) والصواب فيما يبدو لي هو القول الأول ( أى أن التكرار للتأكيد

والتخليط في الوعيد ) .

قوله تعالى ( كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ) جوابه محذوف والمعنى كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَارْتَدَّ عَنَّمَا تَفْعَلُونَ <sup>(١)</sup> وقيل : مَا أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ <sup>(٢)</sup> .

وقوله ( لترون الجحيم ) من بعد إذا برزت ( ثم لترونها عين اليقين ) إذا دخلتموها . وعن قتادة قال : كُنَّا نَتَحَدَّثُ <sup>(٣)</sup> إِنْ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بَاعَثَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَيُقَالُ : لَتَرُونَ الْجَحِيمَ فِي الْقَبْرِ ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ فِي الْقِيَامَةِ <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) أكثر المفسرين صرحوا بأن جواب ( لو ) هنا محذوف - ولكن اختلفت عباراتهم في تقدير هذا الجواب ، فقال النحاس في إعراب القرآن ( ٣ / ٧٦٢ ) : التقدير : لَوْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تَرُونَ الْجَحِيمَ لَمَا تَكَاثَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا ، وَقَالَ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٧ / ٢٨٦ ) وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي زَادَ الْمَسِيرَ ( ٩ / ٢٢٠ ) : لَوْ تَعْلَمُونَ الْأَمْرَ عِلْمًا يَقِينِيًّا لَشَفَلَكُمْ مَا تَعْلَمُونَ عَنِ التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ .

( ٢ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ٢٨٥ ) دون عزو وذكره النحاس عن الكسائي وذكره الرازي في تفسيره ( ٣٢ / ٧٩ ) عن الأخفش ، والصواب هو ما ذكره الرازي أي أنه حذف الجواب ليذهب الوهم كل مذهب ، فيكون التهويل أعظم ، وكأنه قال ( لو علمتم علم اليقين لفعلتم ما لا يوصفوا بكنهه ولكنكم ضلال جهلة " وهو قول الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٧٩٢ ) .

( ٣ ) في النسختين ( نتحدث ) وفي تفسير الطبري ( نحدث ) وهو الأنسب .

( ٤ ) رواه الطبري في تفسيره ( ٣٠ / ٢٨٥ ) من طريق سعيد عنه قال : كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ : أَنَّ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ بَاعَثَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ ( ق ١٧٥ / ب ) من طريق معمر عنه قال : كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ الْمَوْتَ وَيُوجَدُ فَرْقٌ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ لِأَنَّ الرَّوَايَةَ الْأُولَى يَفْهَمُ مِنْهَا أَنَّ قِتَادَةَ بَرِيدٍ أَنَّ الْمَرَادَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ : الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ . بَيْنَمَا يَفْهَمُ مِنَ الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الْمَرَادَ مِنْهُ : الْمَوْتَ نَفْسَهُ ، وَالصَّحِيحُ هُوَ الرَّوَايَةُ الْأُولَى لِأَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَنْكُرُونَ إِلَّا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ . ثُمَّ إِنْ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْلُوفَ لِهَذَا الْأَثَرِ فِي هَذَا الْمَحَلِّ غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِأَنَّ مَحَلَّ عِنْدَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ ( كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ) .

( ٥ ) ذكر الرازي في تفسيره ( ٣٢ / ٧٩ - ٨٠ ) في تكرار الرواية عدة أوجه : أحدها أنه لتأكيد الوعيد ، والثاني أن الأولى الرواية من البعيد " إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً " ( سورة الفرقان الآية ١٢ ) ، " وبرزت الجحيم لمن بوى " ( سورة عبس الآية ٢٦ ) والرواية الثانية إذا صاروا إلى شفير النار .

.../...

والثالث : الروئية الأولى عند ورود الثانية عند الدخول فيها وهذا الوجه ذكره الماوردي أيضا في تفسيره ( ٥٠٨ / ٤ ) . ويورد على هذا التفسير أنه قال بمسند ذلك ( ثم لتسئلن ) والسؤال يكون قبل الدخول .

والرابع : الروئية الأولى الوعد والثانية المشاهدة .  
والخامس : أن المراد لترون الجحيم غير مرة إشارة إلى الخلود ، وهذا نحو التثنية في قوله تعالى ( فارجع البصر كرتين ) ( سورة الطك الآية ٤ ) وهذا الوجه اعترض عليه الألبوسي في روح المعاني ( ٢٢٥ / ٣٠ ) : وقال : وهو خلاف الظاهر جداً .

وأما الوجهين اللذين ذكرهما المؤلف فلم أجد من صرح بهما من المفسرين والصواب أن ذلك مبالغة في الوعيد .

قال ابن كثير في تفسيره ( ٥٤٥ / ٤ ) : هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله ( كلاً سوف تعلمون ، ثم كلاً سوف تعلمون ) توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأحوال .

وفيه خلاف آخر فقيل : إن الخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار ، وقيل : هو عام . كما قال تعالى : ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ( سورة مريم الآية ٧١ ) فهي للكفار دار وللمؤمنين ممر ، وهذا هو الصواب ، انظر تفسير القرطبي ( ١٢٤ / ٢٠ ) .

وقوله (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار، ويسأل الله تعالى عباده يوم القيامة فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم .<sup>(١)</sup>

وعن ابن مسعود : أنه الأ من والصحة .<sup>(٢)</sup>

وعن قتادة : هو المطعم الهني \* والمشرى الروى .<sup>(٣)</sup>

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٨٦/٣٠) بسنده عن معاوية عن علي (وهو ابن أبي طلحة) عن ابن عباس بنحوه، وفي آخره زيادة قوله : " وهو قوله (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٨٨ - ٣٨٧/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان . وذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٥٠٨/٤) ، والبخاري في تفسيره (٢٨٧/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٢/٩) والقرطبي في تفسيره (١٧٦/٢٠) وأبو حيان في البحر المحيط (٥٠٨/٨) وابن كثير في تفسيره (٥٤٧/٤) .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٨٥/٣٠ - ٢٨٦) من طرق عن ابن أبي ليلى عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود به ، ورواه هناد في الزهد (٣٦٤/٢) رقم (٦٩٤) عن حفص عن ابن أبي ليلى يوفعه إلى ابن مسعود بحقه .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٨٥/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان . وعزا أيضا إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً . وهو من كلا الوجهين ضعيف ، لأن المدار على ابن أبي ليلى وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو صدوق سبي\* الحفظ ، كما في تقريب التهذيب (ص ٣٠٨) ورواية الشعبي عن ابن مسعود مرسله ، انظر تهذيب التهذيب (٦٦/٥) وقد ذكر هذا القول عن ابن مسعود غير واحد من المفسرين . انظر المصادر المذكورة في الهامش السابق .

وقال ابن الجوزي : وبه قال مجاهد والشعبي \* ولمجاهد قول آخر سيأتي ذكره عند المؤلف .

(٣) لم أجد من ذكر عن قتادة هذا القول ، وقد روى عنه ابن جرير في تفسيره (٢٨٦/٣٠) أنه قال : إن الله عز وجل سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه . . وفسي لفظ آخر : إن الله تعالى ذكره سائل كل ذي نعمة فيما أنعم عليه .

وقد ذكره عنه بهذا اللفظ البيهقي في تفسيره (٢٨٦/٧) وذكر عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٢/٩) ضمن قول ابن عباس السابق أنه قال : العافية . ويقرب مما ذكره المؤلف قول جابر بن عبد الله وهو أنه ملائمة المأكول والمشروب ، وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٥٠٩/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٢/٩) ، والقرطبي في تفسيره (١٧٦/٢٠) .

وروى أبوهريرة مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنه الظل البارد والماء البارد<sup>(١)</sup> .

وروى عمر بن أبي سلمة<sup>(٢)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أتوا منزلاً أبي الهيثم بن التيهان<sup>(٣)</sup> وأكلوا عنده لحماً وتمراً ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) روى الثعلبي في تفسيره (١٣/١٤٤/١) بسنده عن الأشعث بن بزار عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل ( ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ) قال : من أكل خبز البر وشرب الماء البارد وكان له ظل فذاك النعيم الذي يستل عنه ) وهو ضعيف لأن أشعث بن بزار قال فيه البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وضعفه ابن معين وغيره .

انظر ميزان الاعتدال (١/٢٦٢) ورواه الترمذي من طريق آخر بلفظ آخر سيأتي ذكره عند المؤلف قريباً .

(٢) كذا في النسختين ( عمر بن أبي سلمة ) وهو عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري قاضي المدينة ، صدوق يخطئ ، قتل بالشام سنة اثنتين وثلاثين ومائة مع بني أمية . تقريب التهذيب (ص ٢٥٤) .

ويبدو لي أنه حصل في هذه التسمية خطأ ، فقد جمع السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٩ - ٣٩٠) عدة روايات للحديث ، ولم أجد فيها من روى هذا الحديث من طريق عمر بن أبي سلمة ، وقد وجدت أنه روى من طريق عبد الملك ابن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة " ولا يستبعد أن يكون مصحفاً من هذا الإسناد .

(٣) هو أبو الهيثم بن التيهان بن مالك بن عتيق الأنصاري الأوسي قيل : التيهان لقب ، واسمه مالك ، وهو مشهور بكينته ، وهو أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة وشهد المشاهد كلها ، وأخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين عثمان بن مظعون .

واختلف في سنة وفاته ، والأصوب أنه توفي سنة ~~عشرين~~ <sup>عشرين</sup> من أول حدى

عشرين ، انظر الإصابة (٤/٢١٢ - ٢١٣) .

هذا من النعيم الذي يسألون عنه .<sup>(١)</sup>

وروى أن عمر قال : يا رسول الله نسأل عن هذا ؟ قال : نعم ، إلا كسرة يسد الرجل بها جوعه ، وخرقة يستر بها عورته وحجرأ يدخل فيه من الحر والقر .<sup>(١)</sup>

( ١ ) أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب الزهد ، باب ماجاء فى معيشة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ( ٥٨٣ / ٤ رقم ٢٣٦٩ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٢٨٧ / ٣٠ ) كلهم من طريق شيبان أبى معاوية عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، فى سياق قصة طويلة وفيه : " فأكلوا وشربوا من ذلك الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا والذي نفسى بيده من النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ، ورطب طيب ، وما بارد " قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب " ورواه من طريق أبى عوانة عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن ولم يذكر أبى هريرة - وقال ( أى الترمذى ) وحديث شيبان أتم من حديث أبى عوانة وأطول ، وشيخان ثقة عندهم صاحبكتاب ، وقد روى عن أبى هريرة هذا الحديث من غير هذا الوجه ، وروى عن ابن عباس أيضا " ا هـ .

قلت : قد رواه عن أبى هريرة أبو حازم أيضا أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثقى برضاه ( ٢١٠ / ١٣ - ٢١٤ ) ، وابن جرير فى تفسيره ( ٢٨٧ / ٣٠ ) كلاهما من طريق يزيد بن كيسان عن أبى حازم عنه ، وليبر فى هذا السياق تصريح باسم أبى الهيثم وإنما ورد فيه ( رجلاً من الأنصار ) وأما حديث ابن عباس فأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٨٩ / ٦ ) وعزا تخريجه إلى البزار وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل .

( ٢ ) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ( ٨١ / ٥ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٢٨٧ / ٣٠ ) وابن أبى حاتم فى الكامل ( ٨٤٧ / ٢ ) كلهم من طريق حشج بن نباتة عن أبى نصيرة عن أبى عسيب قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فمر بي فدعاني إليه فخرجت ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج إليهم فمر بعمرفدعاه فخرج إليهم ، فأنطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار ، فقال لصاحب الحائط : أطمعنا بسراً فجاء بعدنى فوضع فأكل رسول الله وأصحابه ، ثم دعا بما بارد فشرب ، فقال : لنسئلن عن هذا يوم القيامة ، قال : فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا رسول الله أأنا لمسئلون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : نعم . . . وذكر الحديث .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كل لذات الدنيا <sup>(١)</sup> .  
وعن بعضهم : النوم مع العاقبية <sup>(٢)</sup> .  
وذكر أبو عيسى <sup>(٣)</sup> أخباراً في هذه منها ما روينا من حديث مطرف وقال : هو  
حديث حسن صحيح <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٨٩ / ٣٠ ) بسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال :  
عن كل شئ " من لذة الدنيا " .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٨٨ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضاً إلى  
الغريابي وعبد بن حميد وابن المنذر . وذكره من قوله ابن الجوزي في زاد المسير  
( ٢٢٣ / ٩ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٤٧ / ٤ ) .

( ٢ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٧٧ / ٢٠ ) دون عزو إلى أحد . وللمفسرين في المراد  
بالنعيم أقوال كثيرة . أوصلها ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٢٣ - ٢٢١ / ٩ ) ،  
والقرطبي في تفسيره ( ١٧٦ / ٢٠ - ١٧٨ ) إلى عشرة أقوال ، وذكر السرازي  
في تفسيره ( ٨٢ / ٣٢ ) منها تسعة أقوال .

وقال ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٧٤ / ٤ ) " ذكر المفسرون في النعيم  
أقوالاً كثيرة لبايها خمسة " ثم ذكرها . ومن الأقوال التي لم يذكرها المؤلف  
وذكرها ابن الجوزي والقرطبي قول عكرمة أنه الصحة والفراغ .

وقول الحسن : أنه الفداء والعشاء . وقول محمد بن كعب : أنه إنعام  
الله على الخلق بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، وقول أبي أمامة : أنه خبز  
البر والماء العذب .

والراجح أنه عام في كل نعيم ، وقد صرح بذلك ابن الجوزي في زاد المسير  
( ٢٢٣ / ٩ ) والرازي في تفسيره ( ٨٢ / ٣٢ ) وأبو حيان في البحر المحيط ( ٥٠٨ / ٨ )  
قال : الظاهر العموم في النعيم وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب " .  
وإلى هذا ذهب ابن كثير أيضاً في تفسيره ( ٥٤٧ / ٤ ) إذ وصف قول مجاهد ( وهو  
أنه كل لذات الدنيا ) بأنه أشمل هذه الأقوال " . ثم إن هناك خلافاً آخر بين  
المفسرين وهو أن هذا السؤال خاص للكفار أو عام ، فذهب الحسن البصري إلى  
أنه خاص للكفار ، وقال آخرون منهم قتادة : أنه يعم الكافر والمؤمن إلا أن سؤال  
المؤمن تيشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا والآخرة وسؤال الكافر تفريح لأنسه  
قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية .

انظر تفسير الماوردي ( ٥٠٩ / ٤ ) وزاد المسير ( ٢٢٣ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٧٧ / ٢٠ ) .

( ٣ ) يعني الترمذي صاحب السنن .

( ٤ ) تقدم تخريجه في ص ( ١٠٢٣ ) .



ومنها : حديث المنهال بن عمرو عن زر بن حبیش عن علي (٢) قال : ما زلتنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ( المهالك المتكاثر ) قال أبو عيسى : وهو حديث (٣) غريب .

ومنها حديث يحيى بن عبد الرحمان بن حاطب (٤) عن عبد الله بن الزبير بن العوام ٣٤٣/أ عن أبيه قال : لما نزلت (شم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال الزبير : يا رسول الله — وأى النعيم سُئِلَ عنه ؟ وإنما هما الأسودان التمر والماء قال : أما إنه سيكون ، قال : وهو حديث حسن . (٥)

(١) هو المنهال بن عمرو الأسدي مولا هم الكوفي روى عن زر بن حبیش وغيره ، وهو صدوق ربما وهم من الخاصة .

انظر تهذيب التهذيب (١٠/٣١٩) وتقريب التهذيب (٣٤٨) .

(٢) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) انظر سنن الترمذي - كتاب التفسير - باب ومن سورة التكاثر (٥/٤٤٧ رقم ٣٣٥٥) والحدِيث أَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٠/٢٨٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (كما في تفسير ابن كثير ٤/٥٤٥) كلاهما من طريق الحجاج عن المنهال بن عمرو به . واستغربه الترمذي لأن في سنده حكاهم بن سلم قال فيه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (ص ٧٩) : ثقة له غرائب " وأيضاً فيمنه الحجاج بن أرطاة قال فيه الحافظ : صدوق كثير الخطأ وكثير التذليل " غانظر المصدر السابق (ص ٦٤) وعليه فالحديث ضعيف ، لأن المداس إذا نعتن لا تقبل روايته .

وقد استدل بهذه الآية ابن جرير في تفسيره (٣٠/٢٨٤) والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٧٣) على إثبات عذاب القبر وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد وردت بإثبات عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهله أيات وأحاديث كثيرة ، وأنكر بعض الناس عذاب القبر وقال بعض الآخرين : إنه لا يكون إلا على البدن ، وقال آخرون : إنه لا يكون إلا على الروح فقط . وكل هذا خلاف ما دللت عليه النصوص من الكتاب والسنة .

قال السفاريني في لوامع الأنوار (٢/٢٤) : " الحق عند أهل السنة أن عذاب القبر على النفس والبدن ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة " . راجع المتفصيل شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٤٧ - ٤٥٢) ولوامع الأنوار (٢/٢٠ - ٢٦) وتحفة الأحمدي (٤/٢١٨) .

(٤) هو يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة أبو محمد أو أبو بكر المدني ، ثقة مات سنة أربع ومائة . تقريب التهذيب (ص ٣٧٧) .

(٥) انظر سنن الترمذي (٥/٤٤٨ رقم ٣٣٥٦) والحدِيث أَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ - كتاب الزهد ، باب معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٢/٥٣٩) ، والإمام أحمد في مسنده (١/١٦٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (كما في تفسير ابن كثير ٤/٥٤٦) كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن عمرو (ابن علقمة) عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب به .

وروى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية ( ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ) قال الناس : يا رسول الله من أي النعيم نسأل ؟ وإنما هما الأسودان والعدد حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال : إن ذلك سيكون .<sup>(٣)</sup>

وروى عن الصحاك بن عبد الرحمن الأشعري<sup>(٤)</sup> قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدَ - مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَلَمْ نُنْصَحْكَ لَكَ جِسْمَكَ وَتُرُوكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ؟** قال : وهو حد يث غريب - والله أعلم - .<sup>(٦)</sup>

( ١ ) هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني صدوق له أوهام ، مات سنة خمس وأربعين ومائة على الصحيح ، تقريب التهذيب ( ص ٣١٣ ) .

( ٢ ) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

( ٣ ) انظر سنن الترمذي ( ٤٤٨ / ٥ رقم ٣٣٥٧ ) وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٨٨ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد وابن مردويه . وقال الترمذي عقب هذا الحديث : وحد يث ابن عيينة ( السابق ) عن محمد بن عمرو عند ي أصح من هذا ، سفيان بن عيينة أحفظ وأصح حد يثا من أبي بكر ابن عياش ( الراوي عن محمد بن عمرو في هذا الإسناد ) .

وأورده ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٧٥ / ٤ ) وقال : قال القاضي : وهذا يدل على أن السورة مدنية ، نزلت بعد شرع القتال .

( ٤ ) في النسختين ( الضحاك بن عبد الرحمن عذرم ) والصواب ما أثبتته وهو الضحاك ابن عبد الرحمن بن عَزْرَب ( وقد تبدل الباء ميما ) أبو عبد الرحمن أو أبو زرعة الطبراني .

ثقة ، مات سنة خمس ومائة . تقريب التهذيب ( ١٥٤ ) .

( ٥ ) كذا في النسختين ( لم نصح ) .

وفي المصادر الأخرى ( لم نصح ) وهو الأنسب ، قال المباركفوري في تحفة الأحوذ ( ٢١٩ / ٤ ) : من الإصحاح وهو إعطاء الصحة .

( ٦ ) انظر سنن الترمذي ( ٤٤٨ / ٥ رقم ٣٣٥٨ ) والحديث أخرجه أيضا عبد الله ابن أحمد في زوائد الزهد ( ص ٣١ ) وابن جرير في تفسيره ( ٢٨٨ / ٣٠ ) ، وابن حبان في صحيحه ( كما في تفسير ابن كثير ٥٤٦ / ٤ ) كلهم من طريق عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن به .

## تفسير سورة العصر وهى مكة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ( والعصر ، إن الإنسان ) قال ابن عباس : هو الدهر وفيه العبرة بمرور الليل والنهار أنهما على ترتيب واحد (٢) ، وعن الحسن وقتادة أنه العشى (٣) .

(١) ذكر هذه السورة البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) ضمن السور التي نزلت بمكة وذكر السيوطي في الدر المنثور (٣٩١/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال : نزلت سورة ( والعصر ) بمكة وهو قول الجمهور . وفي قول مجاهد وقتادة ومقاتل وفي إحدى الروايتين عن ابن عباس أنها مدنية . انظر تفسير الماوردى (٥١٠/٤) وزاد المير (٢٢٤/٩) وتفسير القرطبي (١٧٨/٢٠) والبحر المحيط (٥٠٩/٨) .

(٢) ذكر هذا القول ( أى أن العصر هو الدهر ) من قول ابن عباس الشعلبي في تفسيره (١٣/١٤٧/١) والماوردى في تفسيره (٥١٠/٤) والبيهقى في تفسيره (١٧٨/٢٠) وأبوحيان في البحر المحيط (٥٠٩/٨) وهو قول زيد بن أسلم أيضا كما قال الماوردى وابن الجوزى ، وبه قال الفراء في معاني القرآن (٢٨٩/٣) وابن قتبية في تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٨) وذكر هذا القول ابن جبر في تفسيره (٢٨٩/٣٠) ، والرازي في تفسيره (٨٤/٣٢) وابن العربي في أحكام القرآن (١٩٧٩/٤) . وقال ابن الجوزى : وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرو الليل والنهار على تقديرو لا ينخرم " .

(٣) روى عبد الرزاق في تفسيره (ق ١٧٥/ب) وابن جبر في تفسيره (٢٨٩/٣٠) من طريق معمر عن الحسن أنه قال : هو العشى ، وقد ذكر هذا القول من قوله وقول قتاد . الماوردى في تفسيره (٥١٠/٤) وابن الجوزى في زاد المسير (٢٢٤/٩) ، والقرطبي في تفسيره (١٧٩/٢٠) وذكره أبوحيان في البحر المحيط (٥٠٩/٨) عن قتادة فقط ، وفسروا العشى بقولهم هو ما بين زوال الشمس وغروبها . وقال الماوردى : وخصه بالقسم لأن فيه خواتيم الأعمال " . وقال أبوحيان : أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة " هذا وقد روى عن قتادة قول آخر وهو أن " العصر ساعة من ساعات النهار " رواه بهذا اللفظ عبد الرزاق في تفسيره (ق ١٧٥/ب) عن معمر عنه وذكره بهذا اللفظ السيوطي في الدر المنثور (٣٩٢/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن جبر وابن المنذر وابن أبي حاتم ، ولم أجده عند الطبري وذكره عن قتادة الشعلبي في تفسيره (١٨٤٧/٣) والبيهقى في تفسيره (٢٨٨/٧) والقرطبي في تفسيره (١٧٩/٢٠) بلفظ : آخر ساعة من ساعات النهار وهو قول شاذ له كما قال القرطبي ، وقد ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٧٩/٤) باللفظ الأول وعزاه إلى مطرف وقتادة .

(١)

قال الشاعر :

تَرَوْحُ بِنَا يَاعَمْرُو ، قَدْ قَصَرَ الْعَصْرُ  
وفى الرَّوْحَةِ الْأُولَى الْمَثُوبَةُ وَالْأَجْرُ (٢)

والعصران : هما الليل والنهار ، ويقال : هما الغداة والعشى . (٤)

(٥)

وقال مقاتل : العصر هو صلاة العصر .

(٦)

وعن بعضهم : أنه عصر النبي صلى الله عليه وسلم أقسم به .

(١) لم أعرف من هو .

(٢) والبيت في تفسير الماوردي (٤/٥١٠) وتفسير القرطبي (٢٠/١٧٩) ولسان العرب (٤/٥٧٦) غير منسوب .

(٣) ذكر الثعلبي في تفسيره (١٣/١٤٧/١) والبغوي في تفسيره (٧/٢٨٨) عن ابن كيسان أنه قال : أراد بالعصر الليل والنهار " لأنه يقال لهما العصران " وذكره أيضا ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٧٩) والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٧٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٥٠٩) ولكن دون عزو إلى أحد .

(٤) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن (٤/١٩٧٩) وقال أبو حيان في البحر المحيط (٨/٥٠٩) : " وقيل : العصر بكسرة ، والعصر عشية وهما الأبردان . فعلى هذا والقول قبله يكون القسم بواحد منهما غير معين " . وقد ذكر الرازي في تفسيره (٣٢/٨٥) عن أبي مسلم أنه قال : " المراد بالعصر أحد طرفي النهار " .

وأما القول بأن الليل والنهار أو الغداة والعشى يقال لهما العصران فانظر لذلك إصلاح المنطق لابن السكيت (٣٩٣ ، ٣٩٤) والصحاح للجوهري (٢/٧٤٨ ، ٧٤٩) ولسان العرب (٤/٥٧٦) .

(٥) انظر تفسير مقاتل (٤٠٣/ب) وذكره من قول الثعلبي في تفسيره (٣/١٤٧) والماوردي في تفسيره (٤/٥١٠) والبغوي في تفسيره (٧/٢٨٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٢٥) والرازي في تفسيره (٣٢/٨٥) والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٧٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٥٠٩) .

واختاره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٩٣-٧٩٤) إذ بدأ بهذا القول ، وذكر ماورد في فضل صلاة العصر . ومنه ماورد من قول النبي صلى الله عليه وسلم " من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله " وهو حديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

انظر صحيح البخاري (٢/٣٠٠ رقم ٥٥٢) وصحيح مسلم (٤/١٢٥-١٢٧) .

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/٥١٠) بلفظ الاحتمال قال : بعد أن ذكر قولين : ويحتمل ثالثاً أن يريد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم لفضله بتجدد النبوة " وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/١٧٩) والرازي في تفسيره (٣٢/٨٦) .

وحكى أن في حرف على : والعصر ، ونوائب الدهر إن الإنسان لفي خسر ، وهو فيه إلى آخر العمصر ، <sup>(١)</sup> قال الزجاج والمعنى : " ورب العصر " <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) ذكر ابن خالويه في شواذ القرآن (ص ١٧٩) عن علي رضي الله عنه " والعصر ونوائب الدهر " .

وروى ابن جرير في تفسيره ( ٢٩٠ / ٣٠ ) والحاكم في مستدركه ( ٥٣٤ / ٢ ) كلاهما من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن مَرْقَل : سمعت علياً رضي الله عنه يقرأ هذا الحرف " والعصر ، ونوائب الدهر ، إن الإنسان لفي خسر " . وذكر ذلك عن علي رضي الله عنه الماوردي في تفسيره ( ٥١٠ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٨٠ / ٢٠ ) وذكر نحوه عن ابن مسعود أيضاً انظر الدر ( ٣٩٢ / ٦ ) وذكره الرازي في تفسيره ( ٨٤ / ٣٢ ) على أنه مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر أنه ليس قرآناً وإنما هو تفسير ، .

وقال القرطبي : والصحيح ما عليه الأمة والمصاحف ، وذلك ليس بقرآن " .

( ٢ ) ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٧٩ / ٢٠ ) دون عزو إلى أحد واختاره النحاس فسى إعراب القرآن ( ٧٦٤ / ٣ ) .

وأما الراجح مما تقدم في المراد بالعصر من أقوال ، فذكر الرازي على كل قول من الأقوال التي ذكرها عدة أوجه تبين أنه المراد والمقصود ، وقال ابن جرير في تفسيره ( ٢٨٩ / ٣٠ ) بعد أن ذكر القولين منها : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن ربنا أقسم بالعصر والعصر اسم الدهر ، وهو العشي والليل والنهار وإم يخص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى ، فكل ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه " . وهذا هو اختيار النحاس في إعراب القرآن ( ٧٦٤ / ٣ ) فقال : يدخل فيه كل ما يسمى بالعصر لأنه لم يقع اختصاص تقوم به حجة " وهذا هو الصواب فيما يبدو لي أيضا .

وأما ما ذكره الرازي على كل قول من أدلة أو أوجه فهو يدل على أهمية ذلك القول ، ولكن لا يدل على تعيين إرادته .

وقوله ( إن الإنسان لفي خسر ) معناه : لفي غبن ، يقال : في شر ، ويقال في هلاك ، والخسران : هو نهاب رأس المال ورأس مال آدمي هو عمره ونفسه فإذا كفر فقد ذهب رأس ماله ، والإنسان : هو الكافر .<sup>(٥)</sup>

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨٠/٢٠) واختاره .

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٥١٠/٤) عن زيد بن أسلم . وذكره القرطبي في تفسيره (١٨٠/٢٠) عن ابن زيد .

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥١٠/٤) عن السدي ، وذكر الثعلبي في تفسيره (١٣/١٤٧/١) والقرطبي في تفسيره (١٨٠/٢٠) عن الأخفش أنه قال : هلكة .

وقال الجوهري في الصحاح (٢/٦٤٥) : الخسار والخسارة والخيسرى : الضلال والهلاك .

وقال الفراء في معاني القرآن (٣/٢٨٩) : " لفي عقوبة بذنوبه وأن يخسر أهله ومنزله في الجنة " .

وذكره القرطبي من قول الفراء . وذكره الماوردي دون عزو ، وذكر أنه منه قوله تعالى : " وكان عاقبة أمرها خسراً " سورة الطلاق الآية ٩ . وذكر الماوردي قولاً آخر عن ابن شجرة أنه قال : لفي نقص " وهو اختيار ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٨) وتأويل مشكل القرآن (ص ٣٤٢) وذكره القرطبي في تفسيره (١٨٠/٢٠) .

وقال النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٦٤) : " الخسر دخول النار ، فهو أكبر الخسران " وقال القرطبي بعد أن ذكر الأقوال السابقة : والمعنى متقارب .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٢٥) : " والخسر والخسران في معنى واحد ، قال أهل المعاني : الخسر : هلاك رأس المال أو نقصه ، فالإنسان إذا لم يستعمل نفسه فيما يوجب له الربح الدائم ، فهو في خسران ، لأنه عمل في إهلاك نفسه ( وعمره ) وهما أكبر رأس ماله " .

وبنحوه ذكره البيهقي في تفسيره (٧/٢٨٨) والرازي في تفسيره (٢٢/٨٧٣) والراغب الأصفهاني في المفردات (ص ١٤٧) .

(٥) ذكره البيهقي في تفسيره (٧/٢٨٨) قال : " قيل : أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين " . وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/١٧٩) قال : " والمراد به الكافر ، قاله ابن عباس في رواية أبي صالح " .

وقيل : واحد بمعنى الجمع <sup>(١)</sup> ، وقيل : هو في كافر بعينه ، فقيل : إنه

أبي بن خلف ، وقيل : وليد بن المغيرة ، وقيل : أبوجهل بن هشام <sup>(٢)</sup> .

(١) قال النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٦٤) : الإنسان بمعنى الناس .  
وقال الماوردي في تفسيره (٤/٥١٠) : يعنى بالإنسان جنس الناس .  
وقال الزمخشري في الكشاف (٤/٧٩٤) : والإنسان للجنس " وذكره الرازي في  
تفسيره (٣٢/٨٦) والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٨٠) والخازن في تفسيره  
(٧/٢٨٨) وابن جزى في التسهيل (٤/٢١٧) واستدلوا على ذلك بصحة الاستثناء  
منه .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٢٥) : والإنسان هاهنا بمعنى الناس  
كما تقول : كثر الدرهم في أيدي الناس ، تريد الدراهم .

(٢) قال الرازي في تفسيره (٣٢/٨٦) بعد أن ذكر القول السابق : " والقول  
الثاني : المراد منه شخص معين " .

ثم ذكر عن ابن عباس أنه قال : يويد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة  
والعباس بن وائل والأسود بن عبد المطلب ، وذكره القرطبي أيضا في تفسيره (٢٠/١٧٩)  
قال : وروى الضحاك عنه (أى ابن عباس) قال : يويد جماعة من المشركين ثم  
ذكرهم ، وزاد الأسود بن عبد يغوث ، وذكر الرازي أيضا عن مقاتل أنه قال : نزلت  
في أبي لهب ، انظر قوله في تفسيره (٣٠٣/ب) وقال الرازي : وفي خبر مرفوع إنه  
أبوجهل ، وروى أن هو " لا " كانوا يقولون : إن محمداً لفي خسر ، فأقسم الله تعالى  
أن الأمر بالضد مما يتوهمون " .

وعلى فرض صحته الصواب أن المراد من الإنسان الجنس يعنى جميع الناس  
لأن الاستثناء لا يصح إلا بذلك .

وأما قول البغوي ( أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين ) فهو مفهوم  
الآية بمعنى أن الكافر في خسران ، وعلى كونه أن يراد به الكافر لا يمكن استثناء  
المؤمنين منه .

وقوله ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) أي بالطاعات (١)  
 وقوله ( وتواصوا بالحق ) قال الحسن وقتادة : أي بالقرآن وأتباعه (٢) ، وقيل :  
 بالتوحيد (٣) ، وعن السدي : بالله أي تواصوا بالله (٤) .

وعن الفضيل بن عياض قال : يحث بعضهم بعضاً على طاعة الله (٥) .  
 وقوله ( وتواصوا بالصبر ) عن المعاصمي (٦) وقيل : بالصبر

(١) قال ابن جريو في تفسيره ( ٢٩٠ / ٣٠ ) عند هذه الآية : " يقول : إلا الذين صدقوا الله ووجدوه ، وأقروا له بالوحدانية والطاعة لله وعملوا الصالحات ، وأدوا ما لزمهم من فرائضه ، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه " .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٢٥ / ٩ ) : " أي صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بالطاعة " .

(٢) روى ابن جرير في تفسيره ( ٢٩٠ / ٣٠ ) من طريق سعيد عن قتادة أنه قال : الحق : كتاب الله .

وروى عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٧٥ / ب ) . وابن جرير في تفسيره ( ٢٩٠ / ٣٠ ) كلاهما من طريق معمر عن الحسن أنه قال : الحق : كتاب الله " وذكره من قولهما الثعلبي في تفسيره ( ١٤٧ / ١٣ / ب ) والبيهقي في تفسيره ( ٢٨٨ / ٧ ) ، وذكره الماوردي في تفسيره ( ٥١٠ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٨١ / ٢٠ ) من قول قتادة فقط .

(٣) هو قول مقاتل في تفسيره ( ٤٠٣ / ب ) وذكره من قوله الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ب ) والبيهقي في تفسيره ( ٢٨٨ / ٧ ) قال : قال مقاتل : الإيمان والتوحيد " .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٥١٠ / ٤ ) من قول يحيى بن سلام وذكره القرطبي في تفسيره ( ١٨١ / ٢٠ ) وقال : كذا روى الصحاك عن ابن عباس .

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٥١٠ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٨١ / ٢٠ ) عن السدي .

(٥) لم أهدد إلى من ذكره أو رواه من المفسرين وغيرهم .  
 وقال القرطبي في تفسيره ( ١٨١ / ٢٠ ) : " ( وتواصوا ) : أي تحاببوا ، أو وصى بعضهم بعضاً ، وحث بعضهم بعضاً " . وقال ابن جزى في التسهيل ( ٢١٧ / ٤ ) : الحق هو الإسلام وما يتضمنه " . وهذا هو الصواب يعني أن الحق عام يشمل كل ما يورث إلى طاعة الله تعالى .

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره ( ٥١١ / ٤ ) بلفظ الاحتمال ، فقال بعد أن ذكر قولين : ويحتمل تأويلاً ثالثاً بالصبر عن المحارم وأتباع الشهوات .



على الطاعة . ( )

وقد ورد خبر غريب برواية أبي أمامة ان قوله ( إن الإنسان لفي خسر ) هو أبوجهل ابن هشام ، وقوله ( إلا الذين آمنوا ) هو أبوبكر ، ( وعطوا الصالحات ) هو عمر ( وتواصوا بالحق ) هو عثمان ( وتواصوا بالصبر ) هو علي رضي الله عنهم . ( ٣ )

( ١ ) روى ابن جريو في تفسيره ( ٢٩١ / ٣٠ ) من طرق عن قتادة والحسن أن الصبر : طاعة الله .

وذكره الماوردي في تفسيره ( ٥١١ / ٤ ) من قول قتادة فقط . وذكر قولاً آخر فقال : علي ما افترض الله ، قاله هشام بن حسان ، ولا مانع من أن تكون هذه الأقوال كلها مقصودة معاً .

قال البغوي في تفسيره ( ٢٨٨ / ٧ ) : ( وتواصوا بالصبر ) علي أداء الفرائض وإقامة أمر الله .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٢٥ / ٩ ) : علي طاعة الله والقيام بشريعته . وقال القرطبي في تفسيره ( ١٨١ / ٢٠ ) : ( وتواصوا بالصبر ) علي طاعة الله عز وجل ، والصبر عن معاصيه .

( ٢ ) رواه الثعالبي في تفسيره ( ١٤٧ / ١٣ ب ) عن أبي محمد الحسن بن علي بن محمد ابن حمد بن الخطيب الشجري قراءة عليه نا أبو حامد أحمد بن محمد بن دنان أخبرنا القاضي منصور بن محمد نا محمد بن أحمد البزار نا أبوبكر محمد بن إبراهيم بسن داود ابن سامان الدينوري نا علي بن إسماعيل نا الحسن بن علقمة ، نا أسباط بن محمد عن القاسم بن ربيعة عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : والعصر فقلت : بأبي أنت وأمي ، يارسول الله ما تفسيرها ؟ قال : والعصر قسم من الله أقسم ربكم بأخيرا النهار - ثم ذكر مثله ؟ .

ورواه أيضا موقوفاً من قول ابن عباس ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي ابن عبد الخالق المودن بقراءتي عليه ، أخبرنا أبوبكر محمد بن يوسف بن حاتم بن نصر نا الحسن بن عثمان نا أبو هشام محمد بن يزيد بن رفاعة ، نا عمي علي ابن رفاعة ، عن أبيه قال : حججت فوافيت علي عبد الله بن عباس يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقروا بسم الله الرحمن الرحيم والعصر . . . ثم ذكر مثله .

وأورده القرطبي في تفسيره ( ١٨٠ / ٢٠ ) قال : وقوله تعالى : ( وعطوا الصالحات ) : أي أدوا الفرائض المفترضة عليهم ، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبي بن كعب : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصر ثم ذكره بمثله ، وقال : وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه . وأنا لم أجد ترجمة كثير من رجال الإسنادين .

تفسير سورة الهمزة وهي مكة - والله أعظم -

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وقوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) قد بينا معنى الويل (٢).

وقوله (همزة لمزة) قال ابن عباس: الهمزة الذي يطعن في الناس ويعيبهم،

واللمزة هو الذي يفتابهم (٣)، ومثله عن مجاهد (٤).

(١) ذكرها البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) ضمن السور التي نزلت بمكة .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٩٢/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس

قال: أنزلت سورة (ويل لكل همزة) بمكة، وذكر الماوردي في تفسيره (٥١٢/٤) ،

وابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٦/٩) والقرطبي في تفسيره (١٨١/٢٠) إجماع

المفسرين على كونها مكة، وذكر ابن الجوزي عن هبة الله أنه قال: قد قيل إنها

مدنية \* ١ هـ . وهو قول شان .

(٢) في مواضع عديدة، منها في سورة المرسلات: (٣٠:٢١) وسورة المطفين (٥:١٣).

ورد مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري: أن الويل واد في جهنم .

(٣) روى ابن جرير في تفسيره (٢٩٢/٣٠) من طريق سعيد بن جبيرة أنه قال: ويل

لكل طعان مغتاب\* . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٩٢/٦) عن ابن عباس

وعزا تخريجه إلى ابن جرير .

(٤) روى ابن جرير في تفسيره (٢٩٢/٣٠) من طريق سفيان عن ابن أبي نجيح

عنه أنه قال: الهمزة: الطعان واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس\* .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٩٢/٦) بهذا اللفظ، وعزا تخريجه

أيضاً إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن المنذر

وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان، ورويت عنه أقوال أخرى

سيأتي ذكر البعض منها .

وقيل : على العكس ، فالهمزة : هو المفتاب ، واللمزة : الذى يطعن / ٣٤٣ ب  
 فى الناس ، قاله السدى وغيره . ( ١ )

وعن بعضهم أن الهمزة هو الذى يوذى الناس بلسان أويد ، واللمزة :  
 هو الذى يوذى بهم بحاجب وعين - وهو قول غريب . ( ٢ )

( ١ ) لم أجد من ذكر عنه هذا القول - وذكر الماوردى فى تفسيره ( ٥١٢ / ٤ ) والقرطبي  
 فى تفسيره ( ١٨١ / ٢٠ ) عن ابن عباس أنه قال : الهمزة : القتات ، واللمزة :  
 العيياب . وروى ابن جرير فى تفسيره ( ٢٩٢ / ٣٠ ) من طريق سفيان  
 عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال : قال الهمزة يأكل لحوم الناس ، واللمزة  
 الطعان .

وفى لفظ آخر عنده : أنه قال : أحدهما الذى يأكل لحوم الناس والآخرو  
 الطعان .

وقال ابن جرير عقب هذه الرواية : وهذا يدل على أن الذى حدث بهذا  
 الحديث قد كان أشكل عليه تأويل الكلمتين ، فذلك اختلف نقل الرواية عنه " . وروى  
 ابن جرير هذا القول ( أى أن الهمزة : آكل لحوم الناس وهو فى معنى المفتاب ،  
 واللمزة : الطعان عليهم ) عن قتادة أيضا ، وذكره الثعلبي فى تفسيره  
 ( ١٤٨ / ١٣ ب ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٨٩ / ٧ ) عن سعيد بن جبير وقتادة .

( ٢ ) ذكره الثعلبي فى تفسيره ( ١٤٨ / ١٣ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٨٩ / ٧ ) ،  
 وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٢٨ / ٩ ) والقرطبي فى تفسيره ( ١٨٢ / ٢ ) ، عن  
 سفيان الثورى ، قال : يهمز بلسانه ، ويلمز بعينيه " . وذكره الثعلبي  
 والبغوى والقرطبي عن ابن كيسان أيضا قال : الهمزة : الذى يوذى جلسيه بسوء  
 اللفظ ، واللمزة : الذى يكسر عينه على جلسيه ويشير برأسه ويومض بعينه ويومض  
 بحاجبه .

وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٥١٢ / ٤ ) عن عبد الملك بن هشام قال : إن الهمزة  
 الذى يعيب الناس جهراً بيد أو لسان ، واللمزة : الذى يعيبهم سراً بعين  
 أو حاجب . انظر أيضا تفسير الرازى ( ٩٢ / ٣٢ ) . وفى معناهما أقوال أخرى  
 كثيرة ، وجميعها متقاربة فى المعنى راجعة إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار  
 العيب ، كما صرح به الرازى فى تفسيره ( ٩٢ / ٣٢ ) والخازن فى تفسيره ( ٢٨٩٧ ) .

وقد ذهب ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ٥٢٨ ) إلى أن الكلمتين فى  
 معنى واحد ، فإنه قال : " الهمزة : العياب والطعان ، واللمزة : مثله ، وأصل  
 الهمز واللمز : الدفع ، وقال الزجاج : الهمزة اللمزة ، الذى يفتاب الناس  
 ويفضهم " .

انظر زاد المسير ( ٢٢٨ / ٩ ) .

وعن ابن عباس في رواية : ان الآية نزلت في الأخنس بن شريق الزهري (١) وهو قول معروف (٢) ، وأنشدوا في الهمزة واللمزة .  
 تَدْلِي يُوْدِي إِذَا لاقَيْتَنِي كَدِبًا (٣) وَإِن تَغَيَّبْتَنِي كُنْتُ الْهَامِزُ الْمَمْرُوزَةُ (٤) .

(١) هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، وكان ممن أشرف القوم ، وممن يستمع منه ، فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويورد عليه . انظر سيرة ابن هشام (٩/٢) .

وأما هذا القول فذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٢٦) وقال : زواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال السدي ، وابن السائب .

وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/١٨٣) قال : والآية نزلت في الأخنس بن شريق ، فيما روى الضحاك عن ابن عباس ، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٢٥١) من قول السدي . وذكره الثعلبي في تفسيره (١٣/١٤٩) وذكره البغوي في تفسيره (٧/٢٨٩) عن الكلبي ، وذكرت أقوال أخرى غير هذا فيمن نزلت هذه الآية ؟ .

أحدها : العاص بن واصل السهمي وهو قول عروة . والثاني : جميل بن عامر الجمحي ، وهو قول ابن أبي نجیح ، والثالث : الوليد بن المغيرة ، وهو قول ابن جريح ومقاتل . والرابع : أمية بن خلف ، وهو قول ابن جريح ومقاتل ، والرابع أمية بن خلف ، وهو قول ابن إسحاق ، والخامس : أبي بن خلف ، وهو قول عمار . والسادس : أن الآية عامة ، لم تنزل في شخص معين وهو قول مجاهد \* انظر تفسير مقاتل (٣٠٤/ب) وتفسير الطبري (٣٠/٢٩٣) وتفسير الثعلبي (١٣/١٤٩) وتفسير الماوردي (٤/٥١٢) وتفسير البغوي (٧/٢٨٩) وتفسير الرازي (٢٢/٩١٨) وتفسير القرطبي (٢٠/١٨٣) .

(٢) ذهب ابن جرير إلى اختيار القول بأن الآية عامة تشمل كل من اتصف به هذه الأوصاف المذكورة . واختاره أيضا النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٦٥) فإنه قال بعد أن ذكر قول مجاهد : هذا قول صحيح في العربية لان سبيل ( كل ) أن تكون غير خاصة \* .

وقال القرطبي : وهو ( أي أنها عامة لا تختص بشخص معين ) قول الأكرمين \* . وهذا هو الراجح فيما يبدو وإن كانت الآية نزلت في شخص معين ولكن حكمها عام تشمل كل من كان على هذه الصفة .

(٣) كذا في النسختين ، وفي بعض المصادر ( وإن تغيبت كنت ) وفي أكثر المصادر ( وإن أغيب فانت ) .

(٤) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٣١١) وابن جرير في تفسيره (٣٠/٢٩١) ، والماوردي في تفسيره (٤/٥١٢) والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٨٢) من قول زياد الأعجم ، وهو أيضا في إصلاح المنطق لابن السكيت (ص ٤٢٨) وشواهد الكشاف (٤٢٨) ولسان العرب (٥٦/٤٢٦ همز) وروى أوله : إذا لقيتك عن شحط تكاشرنى .

وقوله ( الذي جمع مالا وعدده ) ( بالتشديد والتخفيف )<sup>(١)</sup> ، فقوله ( جمع )  
 بالتخفيف معلوم<sup>(٢)</sup> ، وبالتشديد فالمعنى : أنه يجمع من كل وجه شيئا فشيئا<sup>(٣)</sup> )  
 وقوله ( وعدده ) ( أى أعدده لنفسه وحوادثه )<sup>(٤)</sup> ، وقوله

( ١ ) قرأ ابن عامر وحمة والكسائي " جَمَعَ مَالاً " بتشديد الميم ، والباقون  
 بتخفيفها .

انظر التيسير ( ص ٢٢٥ ) والكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٢ / ٣٨٩ ) وحجة  
 القراءات ( ص ٧٧٢ ) وأيضا تحبير التيسير ( ص ٢٠٢ ) .

( ٢ ) قال مكي بن أبي طالب في المصدر السابق له : " وفيه ( أن في القسراء  
 بالتخفيف ) قرب وقت الجمع . كما قال : ( فجمعناهم جمعا ) ( سورة الكهف  
 الآية ٩٩ ) وقال : ( وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ) ( سورة الكهف  
 الآية ٤٧ ) فهذا يدل على جمعهم في أقرب الأوقات " .

( ٣ ) العبارة فيما بين القوسين ساقطة من نسخة " ب " وهي توجد في هامش الأصل  
 وقال مكي بن أبي طالب في المصدر السابق له في تعليل هذه القراءة : " ( هو )  
 على تكثير الجمع ، أى جمع شيئا بعد شئ ، وكذلك يجمع المال شيئا بعد  
 شئ " وقال صاحب حجة القراءات : ( هو ) لتكرير الفعل لأنه جمعه  
 من هاهنا وهاهنا ، لم يجمعه في يوم ولا يومين ولا شهر ولا شهرين " . وانظر  
 أيضا تفسير الرازي ( ٩٢ / ٣٢ ) .

وقال النحاس في إعراب القرآن ( ٣ / ٧٦٦ ) بعد أن ذكر القراءتين ( جمع )  
 بالتخفيف يكون المقليل والكثير ، وجمع لا يكون إلا للكثير " .

( ٤ ) قال الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٧٩٥ ) " ( عدده ) : أى جمعه عدة لحوادث  
 الدهر " .

وقال الرازي في تفسيره ( ٣٢ / ٩٣ ) : " إنه مأخوذ من العدة ، يقال : أعددت  
 الشيء لكذا وعددته إذا أسكنته له وجعلته عدة وذخيرة لحوادث الدهر " .  
 انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢٠ / ١٨٣ ) والبحر المحيط ( ٨ / ٥١٠ ) وفيه أوجه  
 أخرى .

أحدها : أحصى عدده ، وهو قول السدي .  
 والثاني : عدد أنواع ماله ، وهو قول مجاهد .  
 والثالث : أعدده لما يكفيه من السنين ، وهو قول عكرمة .  
 والرابع : اتخذ ماله لمن يوثقه من أولاده ، وهو قول الضحاك .  
 والخامس : فاخر بعدده وكثرته .

انظر تفسير الماوردي ( ٤ / ٥١٣ ) وزاد المسير ( ٩ / ٢٢٩ ) وتفسير الرازي  
 ( ٣٢ / ٩٣ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠ / ١٨٣ ) . والراجح في ذلك هو ما قاله  
 القرطبي بعد أن ذكر هذه الأقوال : " والمقصود الذم على إمساك المال عن  
 سبيل الطاعة كما قال : " مناع للخير " سورة ق ٢٥ " .

( وعدده ) بالتخفيف<sup>(١)</sup> ، ومعناه : جمع عدداً أى قوماً وأنصاراً يتقوى بهم<sup>(٢)</sup> .

وقوله ( أبحسب أن ماله أخلده ) أى يبقى حتى يقينه . قاله الحسن<sup>(٣)</sup> ، وقال بعضهم : أى يمنع الموت عنه<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكره ابن خالويه فى شوان القرآن (ص ١٧٩) وعبد الفتاح القاضى فى القراءات الشاذة (ص ٩٤) والنحاس فى إعراب القرآن (٣/٧٦٦) عن الحسن ، وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٢٢٨) والقوطبى فى تفسيره (٢٠/١٨٣) عن أناس آخرين غير الحسن ، وهى قراءة شاذة ، وقد صرح ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٢٩٣-٢٩٤) بأن هذه القراءة ذكرت عن بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت ، وقال : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، واستبعدها الثعلبى أيضاً فى تفسيره (١٣/١٤٩/ب) .

( ٢ ) ذكر هذه القراءة الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٩٠) وقال : يريد : عشيرته " وقال ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٢٩٤) فى معنى الآية على هذه القراءة : جمع مالا وجمع عشيرته وعدده " اهـ . وهو من قولهم فلان ذو عدد وعدد : اذا كان له عدد وافر من الأنصار " وذكره بنحوه ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٢٢٩) عن الزجاج . وذكره الزمخشري فى الكشاف (٤/٧٩٥) والرازى فى تفسيره (٣٢/٩٣) ، وذكر الفراء والزمخشري والرازى قولاً آخر وهو أن معناه : جمع المال وضبط عدده وأحصاه ، وما دامت القراءة شاذة فلا يصح أن تفسر عليها الآية .

( ٣ ) كذا فى النسختين ، وأم يبد لي معناه ، وذكر الرازى فى تفسيره (٣٢/٩٣) ، والخازن فى تفسيره (٧/٢٨٩) عند هذه الآية عن الحسن أنه قال : رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت " ووضح الخازن معنى كلامه فقال : ومعناه : أن الناس لا يشكون فى الموت مع أنهم يعملون عمل من يظن أنه يخلد فى الدنيا ولا يموت " .

( ٤ ) هو قول السدى ، كما ذكر الماوردى فى تفسيره (٤/٥١٣) وقال القوطبى فى تفسيره (٢٠/١٨٤) أى يبقى حياً لا يموت " قاله السدى " .

وقال عكرمة : أى يزيد فى عمره " رواه ابن أبى حاتم فى الدر المنثور (٦/٣٩٣) ، وذكره الماوردى والقوطبى ، وذكر الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٩٠) أن (أخلد) ماضى بمعنى المستقبل ، كما يقال للرجل الذى يأتى الأمر الذى يكون سبباً لهلاكه : "عطب والله فلان " بمعنى أنه يعطب من فعله ذلك ، وذكر الزمخشري فى الكشاف (٤/٧٩٥) فى تفسير هذه الآية ثلاثة أوجه . أحدها : أن طول المال أطمه ، ومنها الأمانى البعيدة ، حتى أصبح لفرط غفلته ، وطول أطمه يحسب أن المال تركسه خالداً فى الدنيا لا يموت ، والثانى : يعمل الأعمال المحكمة من تشييد البنين وغيره ، عمل من يظن أن ماله أبقاه حياً ، أو لأجل أن يذكر بسببه بعد الموت . الثالث : أو هو تعريض بالعمل الصالح ، وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم ، فأما المال فما أخلد أحداً فيه " وذكر الرازى أيضاً فى تفسيره (٣٢/٩٣) هذه الأوجه وزاد عليها وجهاً آخر فقال : أحب المال حباً شديداً حتى أعتقد أنه : " إن انتقص مالى أموت " فلذلك يحفظه من النقصان . يبقى حياً ، وهذا غير بعيد من اعتقاد البخيل . والأصح فيما يبدو لى - والله أعلم - أن أخلد بمعنى يخلد ، والمعنى : يظن أن ماله يخلده فى الدنيا ، فلا ياتيه الموت ، انظر تفسير الطبري (٣/٢٩٤) وزاد المسير (٩/٢٢٩) وتفسير البغوى (٧/٢٨٩) وتفسير ابن كثير (٤/٥٤٨) والتسهيل (٤/٢١٧) .

وقوله ( كلاً لينبذان في الحطمة ) هو اسم من أسماء جهنم .<sup>(١)</sup>  
 وقراً ابن مصرف<sup>(٢)</sup> " لينبذان في الحطمة ) يعنى نفسه وماله<sup>(٣)</sup> ، وسميت  
 النار بحطمة لأنها تأكل كل شئ<sup>٤</sup> ، ويقال : رجل حطمة أى أكول<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) هو قول ابن زيد ، كما ذكر الماورى فى تفسيره ( ٥١٣ / ٤ ) والقرطبى فى تفسيره  
 ( ١٨٤ / ٢٠ ) وبه قال الغزالي فى معانى القرآن ( ٢٩٠ / ٣ ) وابن جرير فى تفسيره  
 ( ٢٩٤ / ٣٠ ) والبغوى فى تفسيره ( ٢٩٠ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير  
 ( ٢٢٩ / ٩ ) وقيل : الحطمة باب من أبواب جهنم<sup>٥</sup> وهو قول الحسين بن واقد  
 ذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٣٩٣ / ٦ ) من رواية ابن أبى حاتم وذكره الماورى  
 وقال الضحاك : أنه اسم درك من أدراك جهنم ، وهو الدرك الرابع ، وقيل : الحطمة  
 هى الدرقة الثانية ، وقيل : هى الطبقة السادسة من طبقات جهنم ، وقيل : هى  
 اسم الباب السادس من أبواب جهنم .

انظر تفسير الماورى ( ٥١٣ / ٤ ) وتفسير الرازى ( ٩٤ / ٣٢ ) وتفسير القرطبى  
 ( ١٨٤ / ٢٠ ) والصواب هو ما عليه أكثر المفسرين ، أى أن الحطمة اسم من أسماء  
 جهنم مثل سقر ولظى ، قاله أيضاً الجوهري فى الصحاح ( ١٩٠١ / ٥ ) وابن منظور  
 فى لسان العرب ( ١٣٨ / ١٢ ) .

( ٢ ) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب بن إمام الحافظ المقرئ المجتهد أبو محمد  
 اليمامى الهمدانى الكوفى . اشتهر بالقراءة فقراً على الأعمش لينسخ ذلك  
 الاسم عنه .  
 قال الأعمش : كان يأتى ، فيجلس على الباب حتى أخرج فقيراً ، فما ظنكم  
 لا يخطئ ولا يلحن<sup>٦</sup> توفى فى آخر سنة اثنى عشرة ومائة .  
 انظر سير أعلام النبلاء ( ١٩١ / ٥ ) .

( ٣ ) لم أجد من ذكره عن ابن مصرف .  
 وذكره ابن خالويه فى شوان القرآن ( ص ١٧٩ ) عن طى رضى الله عنه والحسن  
 وجماعة . وذكره عبد الفتاح القاضى فى القراءات الشاذة ( ص ٩٤ ) عن الحسن  
 وابن محيصن . وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٢٩ / ٩ ) عن أبى بكر  
 الصديق وعمر بن الخطاب وأبى عبد الرحمن والحسن وابن أبى عتبة وابن محيصن ،  
 قال : لينبذان<sup>٧</sup> - بألف محدودة ويكسر النون وتشديد ها : أى هو  
 وماله .  
 انظر أيضاً تفسير الطبرى ( ٢٩٤ / ٣٠ ) وتفسير القرطبى ( ١٨٤ / ٢٠ ) والبحر  
 المحيط ( ٥١٠ / ٨ ) .

( ٤ ) ذكر الرازى فى تفسيره ( ٩٣ / ٣٢ ) عن المبر أنه قال : " الحطمة : إنها  
 النار التى تحطم كل من وقع فيها ، ورجل حطمة أى شديدة الأكل يأتى على  
 زاد القوم " .  
 وقال ابن جرير فى تفسيره ( ٢٩٤ / ٣٠ ) : " وأحسبها سميت بذلك لحطمتها كسل  
 ما ألقى فيها ، كما يقال للرجل الأكل : الحطمة . انظر أيضاً الكشاف ( ١٩٦٤ )  
 وزاد المسير ( ٢٢٩ / ٩ ) والمفردات للغزالي ( ص ١٢٣ ) ولسان العرب  
 ( ١٣٨ / ١٢ ) .

وقيل : لأنها تكسر كل شيء أي من الحطم وهو الكسر . (١) وقوله  
( وما أدراك ما الحطمة ) قد بينا (٢)

وقوله ( نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ) يعني : يصل ألمها  
ووجعها إلى الفؤاد (٣) .

(١) هذا هو الأصل في معنى الحطم ، وقد صرح به ابن السكيت في إصلاح المنطق (ص ٧٨) قال : الحطم : كسر الشيء ، يقال : حطمت الشيء حطماً بكسرتة .  
وكذا ذكر الجوهري في الصحاح ( ١٩٠٠ / ٥ ) . وابن منظور في لسان العرب (١٣٨ / ١٢) والراغب في المفردات (ص ١٢٣) وقد ذكر هذا المعنى في سبب تسميتها بذلك البغوي في تفسيره ( ٢٩٠ / ٧ ) قال : سميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها . وذكره الماوردي في تفسيره ( ٥١٣ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٢٩ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٨٤ / ٢٠ ) وليس بين القولين فرق كبير ، فإن القول الأول ( أي أنها سميت بذلك لأنها تأكل كل شيء تلقاه ) أيضا راجع إلى معنى الكسر والدق .  
قال ابن منظور بعد أن ذكر عدة إطلاقات للحطمة منها كثرة الأكل : " وكل ذلك من الحطم الذي هو الكسر والدق " . لسان العرب ( ١٣٨ / ١٢ ) .

(٢) بين معنى قوله ( وما أدراك ) في مواضع عديدة - منها في سورة القدر ، وتقدم في ذلك شيء من التفصيل . انظر (ص ٩٦٥) وانظر أيضا تفسير سورة القارعة (ص ١٠١٤) وقال القرطبي : ( وما أدراك ما الحطمة ) على التعظيم لشأنها والتفخيم لأمرها .

(٣) قال الفراء في معاني القرآن ( ٢٩٠ / ٣ ) :

" يقول : يبلغ ألمها الأفئدة ، والإطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد والعرب تقول : متى طلعت أرجمنا ، وطلعت أرضي : أي بلغت " . وذكره ابن جريو في تفسيره ( ٢٩٤ / ٣٠ ) دون تصريح بقاظه .

وذكره البغوي في تفسيره ( ٢٩٠ / ٧ ) وقال بعد ذكره : ومعنى الآية :  
أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده ، قاله القرطبي والكلبي .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٢٩ / ٩ ) : " أي تأكل اللحم والجلود حتى تقع على الأفئدة فتحرقها " . قال الفراء : يبلغ ألمها الأفئدة . . وذكره بتمامه .



وقال ابن قتيبة في تأويل مشكك القرآن ( ص ٤١٩ ) : " قواه : ( تطلع على الأفتدة ) أى توفى عليها وتشرف ، يقال : طلع الجبل واطلع عليه : إذا علا فوقه ".  
 وأما سبب تخصيص الأفتدة بالذكر فقال ابن قتيبة في المصدر نفسه : " وخص الأفتدة لأن الأكم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه ، فأخبرنا أنهم في حال من يموت وهم لا يموتون ، وهو كما قال : " فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى " ( سورة طه الآية ٧٤ ) يريد أنه في حال من يموت ولا يموت .

وقال الزمخشري في الكشاف ( ٧٩٦/٤ ) :  
 " يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدرهم وتطلع على أفتدتهم وهى أوساط القلوب ، ولاشئ فى بدن الإنسان الأطف من الفؤاد ، ولا أشد تألماً منه بأذى أذى يمسه ، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه .  
 ويجوز أن يخص الأفتدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها : أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها .  
 انظر أيضا زاد المسير ( ٢٢٩/٩ ) وتفسير الرازى ( ٩٤/٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ١٨٥/٢٠ ) والبحر المحيط ( ٥١٠/٨ ) .

قال محمد بن كعب القرظي : تأكل النار أجسادهم ، فإذا وصلت النار إلى القلب أعيدوا كما كانوا ، وتعود النار إلى الكلبم فهكذا أبدأ<sup>(١)</sup> .

وقوله ( إنها عليهم مؤصدة ) قال ابن عباس وأبو هريرة : مطبقة وقيل : مغلقة ، يقال : آصدت الباب أي أغلقتة<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) أورد السيوطي في الدر المنثور ( ٣٩٣/٦ ) عن محمد بن كعب أنه قال : تأكل ( أي النار ) كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده ، فإذا بلغت فؤاده ابتدئ<sup>(٣)</sup> خالقه . وعزا تخريجه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم ، وأورده القرطبي في تفسيره ( ١٨٥/٢٠ ) وذكر نحوه الماوردي في تفسيره ( ٥١٣/٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٨٥/٢٠ ) من رواية خالد بن أبي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم ، دون تصريح بمن أخرجه . وهو منقطع لأن خالد لم ير النبي صلى الله عليه وسلم .

( ٢ ) روى ابن جريو في تفسيره ( ٢٩٤/٣٠ ) من طريق السدي ، عن أبي مالك عن ابن عباس قال : " مؤصدة " أي مطبقة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٩٣/٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وأما عن أبي هريرة فروى ابن مردويه ( كما في تفسير ابن كثير ( ٥٤٨/٤ ) عن عبد الله بن محمد ، حدثنا علي بن سراج ، حدثنا حماد بن خرداد . حدثنا شجاع بن أشرس ، حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مطبقة " ثم قال ابن كثير : وقد رواه أبو بكر ابن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قوله ولم يرفعه " ولعله ابن كثير يريد أن الصواب عدم رفعه ، وأنا لم أجد من ذكره عن أبي هريرة ، وهو قول الحسن والضحاك والغراء أيضا .

انظر معاني القرآن ( ٢٩٠/٣ ) وتفسير الطبري ( ٢٩٤/٣٠ - ٢٩٥ ) وتفسير الماوردي ( ٥١٤/٤ ) وتفسير القرطبي ( ١٨٥/٢٠ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٤٨/٤ ) والمفردات للراغب ( ع ٥٢٥ ) .

( ٣ ) رواه ابن جريو في تفسيره ( ٢٩٥/٣٠ ) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس وذكره الماوردي في تفسيره ( ٥١٤/٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ١٨٥/٢٠ ) من قول مجاهد ، وهو بلفظة قريش ، يقولون : آصد الباب إذا أغلقه " .

وذكر ابن جريو أيضا في تفسيره ( ٢٩٥/٣٠ ) عن العرب أنهم يقولون : أوصد الباب : أغلق " .  
انظر أيضا لسان العرب ( ٧٣/٤ )

ولا يبدو لي في المعنيين فرق كبير فقد قال البغوي في تفسيره ( ٢٩٠/٧ ) : ( مؤصدة ) : مطبقة مغلقة . وذكر الرازي في تفسيره ( ٩٤/٣٢ - ٩٥ ) عن الحسن أنه قال : ( مؤصدة ) أي مطبقة " ثم قال : من آصدت الباب وأوصدته ، ولم يقل مطبقة لأن المؤصدة هي الأبواب المغلقة ، والإطباق لا يفيد معننى الباب .

وقوله ( في عمد ) وقوى\* ( في عمد ممددة ) بفتح العين ووزعه (١) .  
 وقرأ الأعمش وطلحة (٢) ويحيى بن وثاب (٤) بعمد ممددة (٥) وهو معني  
 القراءة المعروفة (٦) . وعن بعضهم : أن العمدة الممددة هي الأغلال في أعناقهم (٧) .

(١) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي في عمد "بضمتين ، جعلوه جمع "عمود" كرَسُولٍ ورسول  
 وزير وزبر ، والباقون بفتحتين "عمد" جعلوه أيضا جمع ( عمود ) كأد يسم وأدم  
 لان الباء كالواو ، في البناء ، وقيل : هو اسم للجمع لان فعولا وفعلا غير مستمرين  
 في الجموع . وقيل أيضا : أنه جمع ( عمدة ) كما يقال في بقرة وبقرة .  
 انظر التيسير (ص ٢٢٥) والكشاف عن وجوه القراءات السبع (٢/٣٨٩) وحججة  
 القراءات (ص ٧٧٣) وأيضا تحبير التيسير (ص ٢٠٢) ومعاني القرآن للفراس  
 (٣/٢٩١) .

(٢) هو سليمان بن مهران .

(٣) هو طلحة بن مضرّ اليامي .

(٤) هو يحيى بن وثاب الأسدي الكاهلي مولا هم الكوفي ، قال فيه أبو عمرو الداني :  
 أخذ يحيى بن وثاب القراءة عرضاً عن علقمة ومسروق ، والأسود ، والشيباني والسلمي ،  
 وقال فيه الأعمش : يحيى بن وثاب أقرأ من يال على التراب وكان إذا قرأ لا تسمع  
 في المسجد حركة ، كأن ليس في المسجد أحد ، ووصفه الذهبي بقوله : الإمام  
 القدوة المقرئ الفقيه شيخ القراء\* توفي سنة ثلاث ومائة .  
 انظر معرفة القراء الكبار (١/٥١ - ٥٣) وسير أعلام النبلاء (٤/٣٧٩ - ٣٨١) .  
 (٥) ذكره ابن خالويه في شوان القرآن (ص ١٧٩) عن الأعمش وروى ابن جرير في تفسيره  
 (٣٠/٢٩٥) بسنده عن قتادة أنه قال : في قراءة عبد الله ( أنها عليهم مؤصدة  
 بعمد ممددة\* ) .

(٦) ذكر الماوردي في تفسيره (٤/٥١٤) والبغوي في تفسيره (٧/٢٩٠) وابن الجوزي  
 في زاد المسير (٩/٢٣٠) والرازي في تفسيره (٣٢/٩٥) والقرطبي في تفسيره  
 (٢٠/١٨٥) أن ( في ) بمعنى الباء ، وذكروا جميعاً سوى الرازي أنه كذلك في  
 قراءة عبد الله بن مسعود .

قال ابن الجوزي : قال المفسرون : وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار  
 و( في ) بمعنى الباء ، والمعنى : مطابقة بعمد\* .

وقال الرازي : إنهما عمد أغلقت بها تلك الأبواب كنحو ما تطلق به الدروب و ( في )  
 بمعنى الباء ، أي : أنها مؤصدة عليهم بعمد مدت عليها ولم يقل ( بعمد )  
 لأنها لكرتها صارت كأن الباب فيها\* وهذا أحد الأقوال في معني  
 هذه الآية .

(٧) ذكر الماوردي في تفسيره (٤/٥١٤) والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٨٦) مثله عن  
 ابن عباس ، وروى ابن جرير في تفسيره (٣٠/٢٩٥) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس  
 أنه قال : أدخلهم في عمد ، فمدت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل ، فسدت  
 بها الأبواب\* .

وبهذا اللفظ ذكره البغوي والخازن في تفسيرهما (٧/٢٩٠) .

وعن بعضهم : هي القيود في أرجلهم <sup>(١)</sup> ، وعن بعضهم : قيود على قبرهم  
من نار يعذبون فيها <sup>(٢)</sup> ، وأولى الأقاويل : هو أنها مطبقة بعدد يعني مسدودة  
لا يخرج منها غم <sup>(٣)</sup> ولا تدخلها روح <sup>(٤)</sup> .

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٥١٤/٤) والقرطبي في تفسيره (١٨٦/٢٠) عن  
أبي صالح .

وأورد عنه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٣/٦) أنه قال : هي القيود  
الطوال - وبه ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٠/٩) وأبو حيان في  
البحر المحيط (٥١١/٨) وابن كثير في تفسيره (٥٤٨/٤) .

(٢) لم أهدأ إلى من ذكره هذا القول سوى ما ذكره أبو حيان في البحر المحيط  
(٥١١/٨) عن أبي صالح وهو أنه قال : " هذا النار هي قبورهم " .

(٣) في النسختين ( غم ) وفي هامش نسخة الأصل ( غم ) وهو الصواب ، وكذا  
جاء في المصادر الأخرى .

(٤) هذا قريب مما ذكره مقاتل في تفسيره (٤٠٣/ب) فإنه قال : يقول : طبقت  
الأبواب ثم شددت بآ وتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح  
عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ولا يخرج منها آخر الأبد " . وذكره بنحوه  
من قول مقاتل . البغوي في تفسيره (٢٩٠/٧) وابن الجوزي في زاد المسير  
(٢٣٠/٩) .

وذكر القرطبي في تفسيره (١٨٦/٢٠) عن القشيري أنه قال : المعظم  
على أن العمدة أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، وتشد تلك الأطباق  
بالأوتاد ، حتى يرجع عليهم غمها وحرها ، فلا يدخل عليهم روح " .  
وهذا راجع إلى المعنى الأول وهو أن ( في ) بمعنى الباء .

وعن قتادة : يعذبون بالعمد وهي جمع عمود . (١)

وعن أبي جعفر القارى أنه بكى مرة حين قرئت هذه السورة عليه فقيل له : ما يبكيك

يا أبا جعفر ؟ فقال : أخبرنى زيد بن أسلم ان أهل النار لا يتنفسون فذلك أبكاني . (٢)

وقوله ( ممددة ) قيل : مطولة (٤) ، ويقال : ممدودة (٥) .

(١) روى عبد الرزاق فى تفسيره (ق ١٧٦ / ١) وابن جرير فى تفسيره (٢٩٥ / ٣٠) بسندهما عنه أنه قال : عمد يعذبون بها فى النار ، هذا لفظ عبد الرزاق ، ولفظ ابن جرير : كنا نحدث أنها عمد يعذبون بها فى النار . وفى معنى الآية أقوال أخرى غسيير ماتقدم . منها : أن المعنى : إنها عليهم مؤصدة حال كونهم موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص ، ذكره الزمخشري فى الكشاف (٧٩٦٤) والرازي فى تفسيره (٩٥ / ٣٢) وذكره القرطبي أيضا فى تفسيره (١٨٦ / ٢٠) إلا أنه قال : " قيل : أبواب النار مطبقة عليهم وهم فى عمد ، أى فى سلاسل وأغلال مطولة وهى أحكم وأرسخ من القصيرة " . ومنها أيضا : أن المعنى : فى دهر ممدود أى لا انقطاع له .

ذكره الماورى فى تفسيره (١٥١٤ / ٤) والقرطبي فى تفسيره (١٨٦ / ٢٠) .  
وأما الراجح من هذه الأقوال فذهب ابن جرير فى تفسيره (١٩٦ / ٣٠) إلى السى اختيار قول قتادة وهو أنهم يعذبون بعمد فى النار ، ثم وكل العلم بكيفية هذا التعذيب إلى الله تعالى وقال : " ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها " ، وذكر عنه هذا الاختيار القرطبي فى تفسيره (١٨٦ / ٢٠) وابن كثير فى تفسيره (٥٤٨ / ٤) وهذا هو الصواب فيما يبدو لى ، وأما ما ذكره المؤلف فلعلة ذهب إليه لأنه قال به أكثر المفسرين ، كما تقدم عن القشيري .

(٢) هو أبو جعفر يزيد بن القسقاء المدنى المخزومى مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة - وقيل : اسمه فيروز ، وقيل : جندب بن فيروز ، والأول أشهر ، روى عن غير واحد من الصحابة . وزيد بن أسلم وهو من أقرانه - ثقة - . قال فيه الذهبى : أحد العشرة ، مدنى مشهور ، رفيع الذكر قرأ القرآن على مولاه عبد الله بن عياش . مات سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل : سنة ثلاثين ومائة .  
انظر معرفة القراء الكبار (٥٨ / ١) وتهذيب التهذيب ١٢ / ٥٨ وتقريب التهذيب ٣٩٩ .

(٣) لم أهدت إلى من خرجته أو ذكره من المفسرين .

(٤) قال البغوى والخازن فى تفسيرهما (٢٩٠ / ٧) : " الممددة : صفة العمدة أى مطولة فتكون أرسخ من القصيرة " .

(٥) لم أجد من ذكر هذا القول - وهو فى معنى القول الأول - .  
قال ابن الجوزى فى زاد المسير (٢٣٠ / ٩) : ( ممددة ) صفة العمدة أى أنها ممدودة مطولة ، وهى أرسخ من القصيرة .

وذكر النقاش في تفسيره : أنه يبقى رجل من المؤمنين في النار ألف سنة ويقول : يا حنان يا منان وهو في شعب من شعاب النار فيقول الله لجبريل : اخرج عبدى من النار فيجئ جبريل عليه السلام فيجد النار موصدة أى مطبقة فيعود ويقول : يارب إني وجدت النار موصدة ، فيقول : يا جبريل عد وفكها وأخرج عبدى من النار ، فيعود جبرئيل ويخرجه وهو مثل الخلال الأسود فيلقه على ساحل الجنة حتى يشبث الله له شعراً ولحمًا ودماً ويدخله الجنة . رواه عن سعيد بن جبير ، وذكر أن النار تطبق عليهم <sup>عليهم</sup> <sup>سوراً</sup> من الخروج عنها - والله أعلم - . ( ٢ )

( ١ ) رواه أيضا ابن جرير في تفسيره ( ٢٩٤ / ٣٠ ) من طريق ابن حميد قال ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : في النار رجل في شعب من شعابها ينادى مقدار ألف عام . . . وذكره بنحوه ، وفيه ( مثل الخيال ) بدل ( مثل الخلال الأسود ) وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٩٣ / ٦ ) وفيه ( مثل الفخم ) وعزا تخريجه إلى ابن المنذر أيضا . وهو أثر مقطوع ، ولكن ثبت فيما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه ، فروى البخارى في صحيحه - كتاب الإيمان ( باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ) ( ٧٢ / ١ رقم ٢٢ ) بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا - أو الحياة - فينبثون كما تنبت الحبة في جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء مطوية .

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة - أى أن العصاة من المؤمنين يدخلون النار ثم يخرجون منها مقبى ماشاء رب العزة - خلافا لما ذهب إليه المرجئة من أن المعاصي لا تنضر مع الإيمان ، وخلافاً لما ذهب إليه المعتزلة والخوارج من أن المعاصي موجبة للخلود في النار .  
انظر فتح البارى ( ٧٣ / ١ ) .

( ٢ ) قال النحاس في إعراب القرآن ( ٧٦٨ / ٣ ) : " وقيل : توصل عليهم الأبواب ، أى تطبق ويقام عليها عمد من حديد ليكون ذلك أشد ليأسهم من الخروج . " وقال أبو حيان في البحر المحيط ( ٥١١ / ٨ ) بعد أن ذكر عن أبى صالح قوله ( هذه النار قبورهم ) : والظاهر أنها نار الآخرة إذ يتسوا من الخروج بإطباق الأبواب عليهم وتمدد العمدة ، كل ذلك إيذاناً بالخلود إلى غير نهاية .

- تفسير سورة الفيل وهي مكية - (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ) الفيل : دابة معلومة

ومعنى قوله ( ألم تر ) ألم تعلم (٢) ، وقيل : ألم تر آثار ما فعل ربك بأصحاب / ٣٤٤ أ  
الفيل (٣) .

(١) أورد هذه السورة البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) ضمن السور التي أنزلت بمكة ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٣٩٤/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال : أنزل ( ألم تر كيف فعل ربك ) بمكة . وذكر الماوردي في تفسيره (٥١٥/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣١/٩) والقرطبي في تفسيره (١٨٧/٢٠) إجماع المفسرين على أن هذه السورة مكية .

(٢) هو قول الزجاج ، كما ذكر عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٢٣١/٩) وذكره القرطبي أيضا في تفسيره (١٨٧/٢٠) ولكنه لم ينسبه إلى أحد ، وذكره البخاري في صحيحه (٧٢٩/٨) عن مجاهد .

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥١٥/٤) دون عزو إلى أحد . وقال الفراء في معاني القرآن (٢٩١/٣) : ألم تُخبر ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٣١/٩) من قول الفراء . وذكره الماوردي أيضا ولكنه قال : ألم تُخبر فتعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، وفيه قول آخر ذكره القرطبي في تفسيره (١٨٧/٢٠) عن ابن عباس وهو أن معناه : ألم تسمع " وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى ، قالوا ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير أصحاب الفيل ، واللفظ استفهام ، والمقصود تقرير ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه عام ، أي ألم تروا ما فعلت بأصحاب الفيل ، أي قد رأيتم ذلك - هذا ما ذكره القرطبي .

وأما ابن الجوزي فقال : ومعنى الكلام معنى التعجب " والأول أحسن لأن الكلام في موضع الامتنان . وهذا الذي اختاره ابن كثير في تفسيره (٥٤٨/٤) فإنه قال : " هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش " .

وأصحاب الفيل هم جند من الحبشة أميرهم أبرهة بن الصباح أبو يكسوم ،  
 وقيل غيره <sup>(٢)</sup> ، غزوا الكعبة - وقصدوا تخريبها وهدمها - وأصح ما حكى في سببه <sup>(٣)</sup> :

(١) كذا ورد اسمه في أكثر المصادر - انظر تفسير الماوردي (٥١٥/٤) وتفسير البغوي (٢٩٠/٧) وفيه أبو مكتوم اعلاه خطأ مطبعي ، وتفسير الثعالبي (١/١٥١/١٣) وتفسير ابن كثير (٥٤٩/٤) والبحر المحيط (٥١٢/٨) .

(٢) جاء في سيرة ابن إسحاق (ص ٣٧) ودلائل النبوة للبيهقي (١١٦/١) "أبرهة ابن الأشرم أبو يكسوم" . وفي السيرة النبوية لابن كثير (٢٧/١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (ص ١٠١) "أبرهة الأشرم" ، وفيما يبدو أن الصواب هو أبرهة ابن الصباح الأشرم أبو يكسوم ، كما قاله الرازي في تفسيره (٩٦/٣٢) وذكر القرطبي في سبب تسميته بالأشرم أن أرباط الذي أرسله النجاشي على إمارة اليمن تخاصم منه في بعض الأمور . فضرب أرباط بجريته على رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وأنفه وجبينه وشفته فلذلك سمي الأشرم ، وتفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) وأبرهة كان أميراً على اليمن من قبل النجاشي ، واتصله إلى هذه الإمارة قصة ذكرها ابن إسحاق وغيره . انظر سيرته (ص ٣٤ - ٣٧) وسيرة ابن هشام (٣٦١/١ - ٣٧) ، ويدل مانقده بعض المفسرين عن مقاتل والكلبي أن أبرهة وأبا يكسوم رجلان ، لأنهم قالوا أبرهة صاحب الجيش النجاشي ، وأبو يكسوم نديمه ، وقيل : وزيره ، والصواب ما تقدم أنه رجل واحد . انظر تفسير الماوردي (٥١٧/٤) وزاد المسير (٢٣٢/٩) .

(٣) ذكر المفسرون في سبب قصدهم لتخريب الكعبة قولين . أحدهما : هو هذا الذي سيذكره المؤلف ، وهو أن أبرهة بنبيعة ، وأراد صرف الناس إليها من الكعبة ، فجاء رجل من العرب فأحدث فيها مما أثار غضب أبرهة وحالف أنه ليسيرن إلى الكعبة فيهدمها ، ذكره الماوردي في تفسيره (٥١٥/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣١/٩) وعزاه كل منهما إلى ابن عباس ، وبه قال الواقدي كما في تفسير البغوي (٢٩٠/٧) وابن إسحاق في سيرته (ص ٣٨) انظر أيضا سيرة ابن هشام (٤٠/١) وتفسير البغوي (٢٩٠/٧) .

والثاني : ما حكاه الكلبي ومقاتل : وهو أن فتية من قريش خرجوا إلى أرض الحبشة تجاراً ، فنزلوا على ساحل البحر على بيعة النصارى ، فأوقدوا ناراً وشعروا لحماً ، فلما رحلوا هبت الريح ، فانضطرم المكان ناراً ، فغضب النجاشي لأجل البيعة فقال له كبراء أصحاب : لا تحزن ، فنحن نهزم الكعبة - انظر تفسير مقاتل (ق ٤٠٤/ب) تفسير الماوردي (٥١٦/٤) وزاد المسير (٢٣٢/٩) وتفسير القرطبي (١٩٢/٢٠) وروى أبو نعيم هذه القصة من وجه آخر عن عثمان بن المغيرة عن الأحنس فذكر لهجومه على الكعبة سبباً آخر - وهو عدوان بعض الناس من أهل مكة على ابن ابنته اكشوم بن الصباح وأخذهم امتاعه ومتاع كنيسة بنجران كان اكشوم نازلاً فيها . انظر دلائل النبوة (ص ١٠١) والأكثر على القول الأول .



أن أبرهة كان نصرانياً بنى بيعة<sup>(١)</sup> بصنعاء اليمن وزينها بالفاخر من الثياب  
والجواهر .

وقال : بنيت هذا للحجة العرب وأكفهم عن حج الكعبة وأمر الناس بذلك  
وأجبرهم عليه فجاء رجل من العرب وقيل : إنه كان من بني كنانة ودخل البيعة  
وأحدث فيها وهرب فذكر ذلك لأبرهة فغضب غضباً شديداً وحلف بالنصرانية  
والمسيح ليغزون الكعبة ويهدمونها حجراً حجراً ثم أنه غزا الكعبة مع جيش  
عظيم - وفيه قصة طويلة - وساق مع نفسه فيلاً يقال له : محمود ، وكانت  
ثمانية من الفيلة أكبرها هذا الفيل<sup>(٢)</sup> ، ولقي في الطريق جنداً من العرب  
وهزمهم وقتل منهم حتى أتى الطائف ثم إنه توجه من الطائف إلى مكة ودليله

(١) جاءت تسمية هذه البيعة عند البعض بالظبيس .

انظر سيرة ابن هشام (٣٧/١) وتفسير الماوردي (٥١٥/٤) .

(٢) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤٢٦/٣) : " صنعاء : موضعان  
أحدهما : باليمن ، وهي العظمى ، وأخرى : قرية بالفوطة من دمشق ، وقال :  
وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلاً ، وصنعاء قبة اليمن وأحسن بلادها " .

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره (١٩٣/٢٠) وأبوحيان في البحر المحيط (٥١٢/٨)

أنه كان معهم فيل واحد في قول الأكثرين .

وقال الضحاك : هي ثمانية أفيال . وذكر أبوحيان قولين آخرين ، أحدهما :  
اثنا عشر فيلاً . والثاني : ألف فيل .

وقال : والظاهر أنه فيل واحد ، ووصف الأقوال الأخرى بقوله : " وهذه  
أقوال متكاذبة " اهـ . والصواب في مثل هذه الأمور عدم القطع بشئ لعدم  
وجود الأدلة من الكتاب والسنة عليها ، ومن المعلوم أن القرآن نزل لهداية  
الناس إلى ما فيه خير وصلاح لئلا ينهم ودنياهم وعطيه فلا يتعرضوا لذكر ما لا يعنون  
بفائدة دينية أو نبوية الناس .

أبورغال في الطريق فقبره هو الذي يرجحه العرب وهو بين مكة والطائف (١) ،  
ونزل الأبرهة والجند بالمفمس (٢) وسمع أهل مكة بذلك وسيدهم يومئذ عبد المطلب  
ابن هاشم وأغار الجند على ما وجدوا من أموال أهل مكة وليلهم وأخذوا مائتي بعير  
لعبد المطلب ، ثم إنه جاء عبد المطلب إلى أبرهة في طلب بعيره وكان رجلاً جسيماً  
وسيماً فلما رآه أبرهة أعجبه حسنه وجماله فقال : ما حاجتك فقال أن ترد  
على إبلي فقال لترجمانه : قل له أعجبتني ما رأيت من هياتك ثم رغبت عنك حين  
سمعت كلامك فقال عبد المطلب : وما الذي رغب الملك عنى فقال : جئت لأهدم  
شرفك وشرف آبائك ، فتركت ذكره وسألتني إبلاً أخذت لك ، فقال له عبد المطلب  
أنارب الإبل وإن للبيت رباً يمنعه فأمر برد الإبل عليه ، فعاد عبد المطلب وأمير  
أهل مكة حتى ينصرف في رؤوس الجبال وقال : قد جاءكم ما لقبل لكمه ثم أخذ عبد المطلب  
بحدقة الكعبة وقال :

يَارِبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ  
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ (٣)

يَارِبِّ فَاَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ

(١) ذكر ابن هشام في سيرته (٤٢/١) عن ابن إسحاق أن أبرهة لما وصل إلى الطائف  
هادنته ثقيف وقالت له : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون  
ويعشوا معه أبارغال يدل على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبورغال حتى  
أنزله المفمس ، فلما أنزله به مات أبورغال هناك ، فرجعت قبره العرب ، فهو القبر  
الذي يوجم الناس بالمفمس .  
انظر أيضاً تفسير الماوردي (٥١٥/٤) .

وجاء في سيرة ابن إسحاق (ص ٣٨) أنهم همشوا معه رجلاً من هذيل  
يقال له : نفيل " والصواب أن نفيل وهو نفيل بن حبيب الخشم من قبيلة  
خشم كان قد عرض لأبرهة مع قبيلتي خشم شهران وناهس ومن تبعه من  
قبائل العرب فهزمه أبرهة ، وأسره ، ولما همم بقتله قال له نفيل : أيها الملك  
لا تقتلني فإنني دليلك بأرض العرب ، ثم جاء إلى ثقيف واستصحب أبارغال أيضاً .  
انظر سيرة ابن هشام (٤١/١) وتفسير البغوي (٢٩١/٢) وتفسير القرطبي  
(١٨٨-١٨٩/٢٠) وتفسير ابن كثير (٥٤٩/٤) والسيرة النبوية له (٣١/١) -  
(٣٢) .

(٢) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (١٦١/٥) : " المفمس : بالضم ثم  
الفتح ، وتشديد الميم وفتحها . . . موضع قرب مكة في طريق الطائف ، مات فيه  
أبورغال وقبره يرجم لأنه كان دليل صاحب الفيل فمات هناك " .

(٣) ذكر هذه الأرجوزة ابن إسحاق في سيرته (ص ٤١) وابن جرير في تفسيره (٣٠٢/٣٠)  
والبيهقي في الدلائل (١٢١/١) والبيهقي والخازن في تفسيرهما (٢٩٣/٧)  
وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٣/٩) والقرطبي في تفسيره (١٩١/٢٠) وعندهم  
زيادات .

ومن المعروف أيضا أنه قال :

يَا رَبِّ إِنْ الْمَسْرُ يُمُّ  
لَا يَفَايِسُنَّ صَدِيهِمْ  
وَالْمَحَالُ : الْعَقُوبَةُ .<sup>(١)</sup>  
نَعِ رَحْلَيْهِ فَاْمْنَعِ حِلالِكَ  
وَمَحَالَّهُمْ أَبَدًا مَحَالَّكَ  
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَمْ  
ثم خرج مع القوم ودخلوا مكة .

فروى أن الغيل كان إذا أحس التوجه قبل مكة امتنع ، فإذا وجه نحو اليمن أسرع  
وهرول ، وحبس الله الغيل عن البيت ، وهو معنى ما ثبت عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال يوم الحديبية حين بركت ناقته وهي القصواء<sup>(٢)</sup> .

وقال الناس : خلأت القصواء<sup>(٤)</sup> ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ولكن  
حبسها حابس الغيل<sup>(٥)</sup> .

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١١/٦١٨-٦١٩) " والمحل : المكرر والكيد ،  
والمحال : المكر بالحق ، وفلان يماحل عن الإسلام : أى يماكر ويدافع ،  
والمحال : الغضب ، والمحال : التدبير .

(٢) وردت هذه الآيات في سيرة ابن إسحاق (ص ٣٩) وسيرة ابن هشام (١/٤٥)  
وتفسير الطبرى (٣٠/٣٠٢) ودلائل النبوة للبيهقى (١/١١٨-١١٩) وتفسير  
البلغوى والخازن (٧/٢٩٢) وزاد المسير (٩/٢٣٣) وتفسير القرطبي (٢٠/١٩٠)  
والسيرة النبوية لابن كثير (١/٣٥) وعند الجميع (لا هم) بدل (يأرب) و  
(غدوا) بدل (أبدا) ويوجد بعض الخلافات والزيادات عند  
بعضهم ، و (لاهم) أصلها اللهم .  
قال ابن هشام بعد أن ذكر هذه الآيات الثلاثة :- " هذا ما صح له منها " .

(٣) القصواء : اسم ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر فتح البارى (٥/٣٣٥) .  
(٤) قال ابن الأثير : الخلاء للنوق كالإلحاح للجمال ، والحران للدواب ، يقال : خلأت  
الناقة ، وألح الجمل وحرن الفرس " . النهاية (٢/٥٨) .

(٥) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب الشروط . باب الشروط فى الجهاد . . . (٥/٣٢٩)  
رقم (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) بسنده عن المشورين مخرفة ومروان - فى سياق طويل  
بقصة الحديبية - قال : وسار النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالثنية  
التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حل حل فالحست ،  
فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما خلأت القصواء  
وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الغيل " . . . الحديث .

ثم إن الله تعالى بعث عليهم طيراً خرجت من قبل البحر .<sup>(١)</sup>  
قال ابن عباس : لها خراطيم الطير وأنف الكلاب .<sup>(٢)</sup>  
وقيل : كانت سوداً<sup>(٣)</sup> وقيل : حمراء<sup>(٤)</sup> . مع كل طير ثلاثة أحجار ججران في كفيه وحجر فسي  
منقاره .<sup>(٥)</sup> وفي القصة : أن الحجر كان دون الحمص وفوق العدس ، فجاءت الطير  
ورمتهم بالأحجار .<sup>(٦)</sup>

(١) اختلفت الأقوال في صفة هذه الطير ولونها . قال ابن جرير في تفسيره (٢٩٧/٣٠) :  
" وذكر أنها كانت طيراً أخرجت من البحر ، وقال بعضهم : جاءت من البحر " .  
(٢) رواه ابن إسحاق في سيرته (ص ٣١) وابن جرير في تفسيره (٢٩٧/٣٠) من طريق  
والبيهقي في دلائل النبوة (١٢٢/١) عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين قال :  
قال ابن عباس : هي طير لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب . وأورده  
السيوطي في الدر المنثور (٣٩٥/٦) بلفظ : لها خراطيم كخراطيم الإبل وأنف  
كأنف الكلاب " ، وعزا تخريجه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر  
وابن مردويه . وذكره من قوله البغوي في تفسيره (٢٩٦/٧) وابن الجوزي في  
زاد المسير (٢٣٤/٩) والرازي في تفسيره (١٠٠/٣٢) والقرطبي في تفسيره  
(١٩٦/٢٠) .

(٣) روى ابن جرير في تفسيره (٢٩٨/٣٠) من طريق عن عبيد بن عمير أنه قال : هي  
طير سود بحرية في مناقرها وأظفارها الحجارة .

(٤) ذكر القرطبي في تفسيره (١٩٦/٢٠) أنه قيل : كانت أشباه الوطاويط حمراء  
وسوداً .

وذكروا أقوالاً أخرى كثيرة غير هذه - راجع إن أردت معرفتها تفسير  
الطبري (٢٩٧/٣٠ - ٢٩٨) وتفسير الماوردي (٥٢٠/٤) وزاد المسير  
(٢٣٤/٩) وتفسير القرطبي (١٩٦/٢٠) وهي كلها مجرد أقوال ليس عليها  
دليل من الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة ، والأحسن في مثل هذه القضايا  
التوقف عند نص الكتاب والسنة .

(٥) روى عبد الرزاق في تفسيره (ق ١/١٧٦) وابن جرير في تفسيره (٢٩٩/٣٠) ،  
من طريق معمر عن قتادة أنه قال : مع كل طير ثلاثة أحجار ، ججران في رجله  
وحجر في منقاره ، ولا يصيب شيئاً إلا هشمه .

(٦) روى ابن جرير في تفسيره (٢٩٩/٣٠) بسنده عن موسى بن أبي عائشة عن عمران  
كانت الحجارة التي رموا بها أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة .

وروى عبد الرزاق في تفسيره (ق ١/١٧٦) عن موسى بن أبي عائشة عن عمران  
أنه قال : أكبرها مثل الحمصة وأصغرها مثل العدسة . وذكر ابن الجوزي في  
زاد المسير (٢٣٤/٩) عن عبيد بن عمير أنه قال : كان الحجر كرامس الرجل  
والجمل .

وفي القصة : أن الحجر كان يصيب رأس الإنسان فيخرج من دبره فيسقط ويموت ، وكان إذا وقع على جانب / منه خرج من الجانب الآخر <sup>(١)</sup> ، وهرب القوم وتساقطوا ب / ٣٤٤ في الطريق .

وقيل : إن الحجر إذا أصاب الواحد منهم نغظ <sup>(٢)</sup> موضعه وأصابه الجدرى فهو أول مارؤى الجدرى في ديار العرب - والله أعلم - .

وأما أبرهة فتساقط أنملة أنملة ، ثم إنه انصدع صدره عن قلبه ومات . <sup>(٤)</sup>

(١) روى البيهقي في دلائل النبوة (١٢٣/١ - ١٢٤) وأبونعيم في دلائل النبوة (ص ١٠٧) من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير الليثي في سياق القصة لأصحاب الفيل أنه قال : ما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، إن وقع على رأسه خرج من دبره ، وإن وقع على شيء من جسده خرج من جانب آخر .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٩٥/٦) وعزا تخريجه أيضا إلى سعيد ابن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٤١٦/٧) : " قد نَغِطَتْ يدهُ بالكسر : نَغَطًا وَنَغَطًا وَنَغِيطًا وَتَنَغَطَتْ : قَرِحَتْ مِنَ الْعَمَلِ ، وَقِيلَ : هُوَ مَا يَصِيحُهَا بَيْنَ الْجَانِدِ وَاللَّحْمِ " .

(٣) روى ابن جرير في تفسيره (٢٩٩/٣٠) بسنده عن عمرو بن الحارث ابن يعقوب أن أباه أخبره أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة كانت تحمطها بأفواهها ثم إذا ألقتهما نغظ لها الجلد ، وروى أيضا هو والبيهقي في دلائل النبوة (١٢٣/١) بسندهما عن عكرمة أنه قال : كانت ترميهم بحجارة معها ، فإذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى ، قال : كان أول يوم روى فيه الجدرى ، لم ير قبيل ذلك اليوم ولا بعده ، هذا لفظ الطبري .

(٤) ذكر هذه القصة غير واحد من المفسرين والمؤلفين في السيرة والتاريخ ، انظر على سبيل المثال : تفسير مقاتل (٤٠٤/ب - ٤٠٦/١) وسيرة ابن إسحاق (ص ٣٨ - ٤١) وسيرة ابن هشام (٣٩/١ - ٥٠) وتفسير ابن جرير (٣٠٠/٣٠ - ٣٠٣) ، وتفسير الماوردي (٥١٥/٤ - ٥١٦) وأبونعيم في دلائل النبوة (١٠١ - ١٠٥) والبيهقي في دلائل النبوة (ص ١١٥ - ١٢١) وتفسير البغوي (٢٩٠/٧) - ٢٩٥) وتفسير القرطبي (١٨٧/٢٠ - ١٩٤) والسيرة النبوية لابن كثير (٣٠/١ - ٤٠) بعضهم يزيد وبعضهم ينقص .

وقال أبونعيم في دلائل النبوة (ص ١٠٠) " قصة أصحاب الفيل من أشهر القصص قد نطق بها القرآن " . وقال أيضا (في ص ١٠٥) : روى قصة أصحاب الفيل من وجوه ، وسياق عثمان بن المغيرة أتمها وأحسنها شرحاً .

ومن سياقه روى أبونعيم هذه القصة ، وفيما يبدو ولي أن سياق ابن إسحاق أتم وأحسن وهو الذي رواها من طريقه أو نقلها عنه أكثر الناس ، ولم يثبت من تفاصيل هذه القصة شيء بسند صحيح موصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم سوى الإشارة إليها مجملًا في بعض الأحاديث ، منها ما ذكره المؤلف في

وعام الفيل هو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل : إنه ولد بعد ذلك بستين<sup>(٢)</sup> ، والصحيح هو الأول<sup>(٣)</sup> ، وقال أهل العلم : كان ذلك إرهاباً<sup>(٤)</sup>

(١) رواه ابن إسحاق في سيرته (ص ٢٥) بسنده عن قيس بن مخزومة أنه قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، كنا لنتين .  
وزواه الترمذى في سننه كتاب المناقب - باب ماجاء في ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ( ٥٨٩/٥ رقم ٣٦١٩ ) من طريق ابن إسحاق وروى ابن هشام في سيرته ( ١٤٦/١ ) بسنده عن ابن إسحاق أنه قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل ، وذكره ابن كثير وقال : وهذا هو المشهور عند الجمهور - انظر السيرة النبوية ( ١٩٩/١ ) .

وأما القول بأنه صلى الله عليه وسلم ولد في يوم الاثنين فهذا مما لا خلاف فيه كما صرح به ابن كثير في المصدر السابق ، وذلك لما وردت به أحاديث صحيحة ثابتة وأما ما وراء ذلك من تحديد ميلاده يوماً وشهراً وعماماً ففيه خلاف كبير وطويل - والجمهور على أنه صلى الله عليه وسلم ولد في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وهذا هو المشهور عند الجمهور ، كما تقدم عن ابن كثير - وأما الخلاف في العام فيأتى في الهامش الآتى بعده مباشرة .

(٢) في نسخة "ب" كذا ( بستين ) وفي الأصل ( بستين ) غير منقوطة ويبدو لى أنها ( بستين ) لأنى لم أجد من ذكر انه صلى الله عليه وسلم ولم بعد عام الفيل بستين - وفي ذلك أقوال .

أحدها : ولد بعد عام الفيل بأربعين سنة - هو قول مقاتل ، والثاني : بثلاث وعشرين سنة ، هو قول الكلبي وعبيد بن عمير ، والثالث : بثلاثين سنة - هو قول موسى بن عقبة ، والرابع : بخمسين سنة ، والخامس : بـمـشـر سنين قاله ابن أبى عمير .  
راجع لمعرفة هذه الأقوال تاريخ خليفة بن خياط (ص ٥٢ - ٥٤) وتفسير الماوردي (٥١٥/٤) وتفسير البغوى (٢٩٥/٧) وزاد المسير (٢٣٥/٩ - ٢٣٦) ودلائل النبوة (٧٥/١ - ٧٩) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٢/١ - ٢٣) وتفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) والسيرة النبوية لابن كثير (١٩٨/١ - ٢٠٣) .

(٣) قال خليفة بن خياط في تاريخه (ص ٥٣) " والمجتمع عليه عام الفيل " وقال البغوى في تفسيره (٢٩٥/٧) : " والأكثر على أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

وقال ابن الجوزى في زاد المسير (٢٣٥/٩) : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وهو الأصح .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢٢/١) : " والصحيح المشهور أنه ( أى مولده صلى الله عليه وسلم ) عام الفيل " . وقال ابن كثير في السيرة النبوية (٢٠٣/١) : " بعد أن ذكر ذلك من قول الجمهور : وقيل : بعده ( أى حادث الفيل ) بشهر ، وقيل : بأربعين يوماً ، وقيل : بخمسين يوماً ، وهو أشهر " .

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب (٤٤/٧) " الإرهاب : الإثبات " ، والمراد هنا إيدان بنبوته صلى الله عليه وسلم ومقدمة عليها .

لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وتأسيساً بها<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( ألم يجعل كيدهم في تضليل ) أى أبطل مكرهم وسعيهم<sup>(٢)</sup> . ويقال

قوله ( في تضليل ) أى ضل عنهم وفاتهم ما قصدوا<sup>(٣)</sup> .

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٥٤٩/٤) : " وكان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدرة يقول : لم ينصركما معشر قريش على الحبشة لخير يتكم عليهم ولكن صيانا نكليبنا العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثه النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم " .

انظر أيضا تفسير الرازي (٩٧/٣٢) وتفسير القرطبي (١٩٥/٢٠) .

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٧٩٩/٤) والرازي في تفسيره (٩٩/٣٢) .

" في تضليل " : أى فى تضليل وإبطال ، يقال : ضلل كيداً إذا جعله ضالاً ضائعاً ونظيره قوله تعالى : ( وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ) سورة الرعد الآية ١٤ . وقال القرطبي في تفسيره (١٩٥/٢٠) : " أى فى إبطال وتضليل لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشاً بالقتل والسبي ، والبيت بالتخريب والهدم " .  
وذكر البغوى فى تفسيره (٣٩٥/٧) أنه قيل : إن معناه : فى بطلان " .

(٣) قال البغوى فى المصدر السابق : " كيدهم " : يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب

الكعبة ، وقوله ( فى تضليل ) عما أرادوا ، ضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة وإلى ما أرادوه بكيدهم .

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (٢٣٦/٩) " قوله تعالى ( ألم يجعل كيدهم ) وهو ما أرادوا من تخريب الكعبة ( فى تضليل ) أى : فى ذهاب ، والمعنى : أن كيدهم ضل عما قصدوا له ، فلم يصلوا إلى ما أرادهم " .

وقال ابن جرير فى تفسيره (٢٩٦/٣٠) يقول : ألم يجعل سعى الحبشة أصحاب الغيل فى تخريب الكعبة ( فى تضليل ) يعنى : فى تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها " .

وقال مقاتل فى تفسيره (٢٥٢/ب) " فى تضليل " أى فى خسارة ، ونظمه عنه البغوى أيضا فى تفسيره (٢٩٥/٧) وكل هذه الأقوال متقاربة فى المعنى ، ولذلك قال الخازن فى تفسيره (٢٩٥/٧) : " فى تضليل " أى تضليل وخسارة وإبطال ما أرادوا ، أضل كيدهم فلم يصلوا إلى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم " .

وقوله ( وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ) قال أبو عبيدة : جماعات في تفرقة<sup>(١)</sup> ،  
وعند أبي عبيدة والفراء لا واحد لها<sup>(٢)</sup> .  
وعند الكسائي واحدها : أبول مثل عجاجيل وعجول<sup>(٣)</sup> ، ويقال . طيراً أبابيل<sup>(٤)</sup>  
أى كسرة .

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣١٢/٢) " جماعات في تفرقة ، جاءت الطير  
أبابل من هاهنا وهاهنا " وهو أحد الأقوال في معنى أبابل ، أى أن معناه :  
متفرقة . وهو قول ابن مسعود وابن زيد والأخفش وابن قتيبة واختاره الراغب  
في المفردات (ص ٨) .

وانظر تفسير غريب القرآن (ص ٥٣٩) وتفسير الطبري (٢٩٦/٣٠) وتفسير  
الماوردي (٥٢٠/٤) وتفسير البغوي (٢٩٥/٧) وزاد المسير (٢٣٦/٩) ،  
وتفسير القوطي (١٩٧/٢٠) والصحاح للجوهري (١٦١٨/٤) ولسان العرب  
(٦/١١) .

(٢) قال أبو عبيدة في المصدر السابق له : لم تر أحداً يجعل لها واحداً " .  
وقال الفراء في معاني القرآن (٢٩٢/٣) : " ولا واحد لها ، مثل الشمايط  
والعباديد والشعارير ، وكل هذا لا يفرد له واحد " .

وذكره من قولهما البغوي في تفسيره (٢٩٥/٧) وابن الجوزي في زاد المسير  
(٢٣٦/٩) - وهو قول الأخفش أيضاً - كما ذكر عنه الجوهري في الصحاح  
(١٦١٨/٤) أنه قال : وهذا يجس في معنى التكثير وهو من الجمع السدي  
لا واحد له " وانظر أيضاً لسان العرب (٦/١١) .

(٣) ذكر الفراء في معاني القرآن (٢٩٢/٣) وابن جرير في تفسيره (٢٩٦/٣٠) والشلمبي  
في تفسيره (١٥٧/١٣ ب) والبغوي في تفسيره (٢٩٥/٧) عن الكسائي أنه  
قال : إنني كنت أسمع النحويين يقولون : واحدها أبول ، مثل عجول  
وعجاجيل ، وذكر نحوه الجوهري في الصحاح (١٦١٨/٤) وابن منظور في لسان  
العرب (٦/١١) دون عزو إلى أحد .

وقيل : إن مفردها إبالة ، ذكره الفراء عن الرواسي ، قال : وزعم لي الرواسي ،  
وكان ثقة مأموناً - أنه سمع واحدها إبالة ، لا ياء فيها - ثم عقب عليه : ولقد  
سمعت من العرب من يقول " ضفت علي إبالة " يريدون خصباً على خصب ، واختار  
هذا القول ( أى أن مفرد ها : إبيل ) الراغب في المفردات (ص ٨) وذكره  
الجوهري دون عزو إلى أحد ، وقال : " ولم أجد العرب تصرف له واحداً " وهذا  
هو الصواب فيما يبدو لي لأنه قال به الأكثرون .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٩٧/٣٠) بسنده عن الحسن ، وذكره الماوردي في  
تفسيره (٥٢٠/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٦/٩) عن الحسن وطاووس ،  
وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٥٩/٤) عن الحسن وقتادة .



ويقال بأقاطيع<sup>(١)</sup> : يتبع بعضها بعضاً<sup>(٢)</sup> . وقوله ( ترميم حجارة من سجيل ) قال ابن عباس : السجيل بالفارسية سنك كل<sup>(٣)</sup> ، يقال : " من سجيل " من السماء وهو اسم صماء الدنيا<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قال ابن منظور في لسان العرب ( ٢٨١/٨ ) : والقَطِيعُ : الطائفة من الغنم والنعم ونحوه . والغالب عليه أنه من عشر إلى أربعين والجمع : أَقْطَاعٌ وَأَقْطَعَةٌ وَقَطْعَانٌ وَقِطَاعٌ وَأَقَاطِيعٌ .

( ٢ ) روى ابن جرير في تفسيره ( ٢٩٧/٣٠ ) بسنده عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ابن نوفل أنه قال : هي الأقطيع ، كالإبل المؤبلة . وذكره الماوردي في تفسيره ( ٥٢٠/٤ ) من قوله ، وفي معنى " أبابيل " أقوال أخرى : أحدها : المتابعة التي يتبع بعضها بعضاً ، هو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك ومقاتل . والثاني : مختلفة الألوان ، قاله زيد بن أسلم والثالث : أنها الجمع بعد الجمع ، قاله أبو صالح وعطاء والرابع : مجتمعة . قاله عكرمة . انظر تفسير مجاهد ( ٧٨٢/٢ ) وتفسير مقاتل ( ١/٢٠٦ ) وصحيح البخاري ( ٧٢٩/٨ ) وتفسير الطبري ( ٢٩٧/٣٠ ) وتفسير الماوردي ( ٥٢٠/٤ ) وزاد المسير ( ٢٣٦/٩ ) وتفسير القرطبي ( ١٩٧/٢٠ ) وذكر القرطبي عن النحاس أنه قال : وهذه الأقوال متفقة ، وحقيقة المعنى : أنها جماعات عظام ، يقال : فلان يوبئ على فلان : أي يعظم عليه ويكثر ، وهو مشتق من الإبل " وهذا الذي يبد وأن الصواب وأكثر المفسرين فسروا الكلمة بمعنى جماعات متفرقة .

( ٣ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٩٨/٣٠ ) من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس ، والسدي هو السدي الكبير إسماعيل بن عبد الرحمن وهو صدوق . وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ( ٥٢٠/٤ ) عن ابن عباس قال : إن السجيل كلمة فارسية هي سنك وكل ، أولها حجر ، وآخرها : طين .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٣٤٥/٣ ) وعزا تخريجه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤٥٤/٢ ) عند قوله تعالى " وأمطرنا عليها حجارة من سجيل " ( سورة هود الآية ٨٢ ) قال : وهي بالفارسية حجارة من طين ، قاله ابن عباس وغيره ، وقال بعضهم : أي من سنك وهو الحجر ، وكل وهو الطين . وقال عند هذه الآية : وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما هو سنج وجل ، بمعنى بالسنج الحجر والجل الطين ، يقول : الحجارة من هذين الجنسيتين الحجر والطين " وهو قول مجاهد وعكرمة أيضا . انظر تفسير مجاهد ( ٧٨٢/٢ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٢٠٧ ) وتفسير الطبري ( ٢٩٨/٣٠ ) وتفسير الرازي ( ١٠١/٣٢ ) والدر المنثور ( ٣٤٥/٣ ) ولسان العرب ( ٣٢٦/١١ ) .

( ٤ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ٢٩٩/٣٠ ) بسنده عن ابن زيد ، كما رواه أيضا عن سعيد بن أبي هلال . وذكره الماوردي في تفسيره ( ٥٢١/٤ ) من قول ابن زيد ، وقال أيضا : فسدت الحجارة إليها لنزولها منها .

وذكر القرطبي في تفسيره ( ١٩٨/٢٠ ) عن عبد الرحمن بن أبزي أنه قال : " من سجل من السما " ، وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط " وذكره الرازي أيضا في تفسيره ( ١٠١/٣٢ ) . ولكن دون عزو إلى أحد .

وقال ابن جريو في هذا القول : لانعرف لصحته وجهاً في خبر ولا عقل ولا لغة ، وأسما الأشياء لا تدرك إلا من لغسائرة أو خبر من الله تعالى ذكره " .

وفي معنى "سجّل" أقوال أخرى :-

أحدها : أن السجّل هو الشديد ، وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ٣١٢/٢ ) فإنه قال : هو كل شيء شديد . وذكره من قوله الماوردي في تفسيره ( ٥٢١/٤ ) والرازي في تفسيره ( ١٠١/٣٢ ) .

والثاني : أن معناه حجارة من جهنم ، فإن سجّين اسم من أسما جهنم ، ثم أبدلت اللام نوناً ، ذكره الرازي والقرطبي . والثالث : أن السجّل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار ، كما أن سجّيناً علم ديوان أعمالهم واشتقاقه من الإسجالي وهو الإرسال . ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٧٩٩/٤ ) والرازي دون عزو إلى أحد ، وانظر أيضا لسان العرب ( ٣٢٢/١١ ) .

والرابع : أنه مشتق من السجل ، والمعنى : مما كتب عليهم أن يعذبوا به ، ذكره القرطبي من قول الزجاج - وأورد ابن منظور أيضا في لسان العرب ، وذكر عن الزجاج أنه قال : وهذا القول إذا فسر فهو أبلغ لأن من كتاب الله تعالى دليلاً عليه ، قال الله تعالى : " كلا إن كتاب الفجار لفي سجّين ، وما أدراك ما سجّين ، ككتاب مرقوم " سورة المطففين الآية ٧ - ٩ .

وسجّل في معنى سجّين ، المعنى : أنها حجارة مما كتب الله تعالى أنه يعذبهم بها ، قال : وهذا أحسن ما مر فيها عندي .

وهذا يبدو لي أيضا أنه أحسن الأقوال وإن كان القول الأول ( أي أنه فارسي معرب ) اختاره أكثر المفسرين لأنه إذا فسر ( سجّل ) بالحجارة والطين يكون معنى الآية ترميمهم بحجارة من حجارة وطين ، ويكون الكلام ركيباً ، والله أعلم بالصواب .

وقوله ( فجعلهم كعصف ما كُول ) العصف هو ورق الزرع ، ومعناه : كعصف قد أكل مافيه<sup>(١)</sup> ، وقيل : كل ثمرة<sup>(٢)</sup> ، والمعنى : أن الله تعالى شبههم بالزرع الذي أكلته

( ١ ) ذكر هذا القول ( أى أن العصف هو ورق الزرع ) الماوردي في تفسيره ( ٥٢١/٤ ) قال : إن العصف ورق الزرع ، والمأكول الذي قد أكله للدود ، قاله ابن عباس . وقال مجاهد في تفسيره ( ٧٨٤/٢ ) : العصف : ورق الحنطة ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٣١٢/٢ ) وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ( ٥٣٩ ) : يعنى ورق الزرع ، وانظر أيضا تفسير الطبري ( ٣٠٤/٣٠ ) وتفسير الرازي ( ١٠١/٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ١٩٩/٢٠ ) ولسان العرب ( ٢٤٧/٩ ) .

( ٢ ) لم يتبين لي ما يقصد به المؤلف ، وإنما لم أجد من ذكر هذا المعنى للعصف ، وقد جاء في لسان العرب ( ٢٤٧/٩ ) في معنى قوله " ذو العصف " يريد المأكول من الحب .

وبهذا اللفظ ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ١٠٨/٨ ) نقلاً عن الفسراء . وذكر البغوي في تفسيره ( ٢٩٦/٧ ) عن عكرمة أنه قال : " كالحب إذا أكل فصار أجوف " . وذكر الرازي في تفسيره ( ١٠١/٣٢ ) أنه الحب الذي أكل لبه وبقي قشره ، ولم ينسبه إلى أحد ، ولعل المؤلف أراد بقوله " وقيل : كل ثمرة " هذا القول . وفي معنى العصف أقوال أخرى ، منها : أن العصف التبن ، ذكره الماوردي في تفسيره ( ٥٢٢/٤ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٢٧/٤ ) عن الحسن وسعيد بن جبير .

وذكره البغوي في تفسيره ( ٢٩٦/٧ ) عن قتادة ، والرازي في تفسيره ( ١٠١/٣٢ ) عن أبي مسلم . واختاره مكي بن أبي طالب في المعتمد ( ٣٥٨ ) وذكره ابن منظور في لسان العرب ( ٢٤٧/٩ ) دون تصريح بفاظه ، وقد اعتبر ابن الجوزي فسي زاد المسير ( ١٠٨/٨ ) هذا القول والقول الأول ( وهو أنه ورق الزرع ) قولاً واحداً فإنه قال : إنه تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح ، قاله ابن عباس : وكذلك قال مجاهد ، هو ورق الزرع . قال ابن قتيبة : العصف : ورق الزرع ، ثم يصير إذا جف وييس ود ييس تبناً .

ومنها أيضا : أنه القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له ، ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٣٠٤/٣٠ ) وروى بسنده عن ابن عباس ما يدل على هذا المعنى . وذكره البغوي في تفسيره ( ٢٩٦/٧ ) من قول ابن عباس . والماوردي في تفسيره ( ٥٢١/٤ ) قال : إنه قشر الحنطة إذا أكل مافيه ، رواه عطاء بن السائب والصواب غيما بيد ولي والده أعلم هو القول الأول ( أى أن العصف هو ورق الزرع ) وذلك لأنه قد ذهب إليه أكثر المفسرين واللفويين ، وجاء ذلك في كلام بعض الشعراء ، انظر تفسير القرطبي ( ١٩٩/٢٠ ) ولسان العرب ( ٢٤٧/٩ ) .

الدواب وراثته وتفرقت ولم يبق من ذلك شئ\* فشيبه هلاكهم بذلك) والله  
أعلم .

(١) ذكر في معنى ( مأكول ) عدة أوجه .

أحدها : أن المراد أنه جعل أصحاب الفيل كورق أخذ ما فيه من الحبوب  
وبقي هو لا حب فيه .

والثاني : أن المراد : العصف مأكول للبهائم ، كما تقول للحنطة : \* هذا  
المأكول\* ولما يؤكل ، ذكرهما ابن قتيبة .

والثالث : أن المأكول هاهنا الذي وقع فيه الأكل ، فالمعنى : جعلهم  
كورق النزع الذي جف وأكل ، أي وقع فيه الأكل ، وهو قول  
الزجاج .

هذه الأوجه كلها على القول الأول ( أي أن العصف هو الورق ) .

والرابع : أنه جعلهم كعصف قد أكله البهائم ، ذكر ابن منظور .  
والخامس : أن المعنى : كزرع وتبين قد أكلته الدواب وألقته روثاً ، ثم يجف  
وتتفرق أجزأه ، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزأه الروث ، ذكره  
البيهقي والرازي وقال : وهو قول مقاتل وقادة وعطاء عن ابن عباس .  
والسادس : أن المراد جعلهم كزرع قد أكل حبه وبقى تبنة وعلى هذا التقدير  
يكون المعنى : كعصف مأكول الحبوب ، ذكره الرازي .

والصواب من هذه الأوجه فيما يظهر لي هو أن العصف هو ورق الشجر  
ويكون المعنى : أنه جعلهم كورق أخذ ما فيه من الحبوب ، وبقى هو لا حب  
فيه .

تفسير سورة الإيلاف وهي مكية (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( لإيلاف قريش ) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله

( لإيلاف قريش ) قال : نعمتى على قريش بإيلافهم رحلة الشتاء والصيف . (٢)

والإيلاف في اللغة : هو ضد الإيحاء وهو نظير الإيناس (٣) ، فإن قال

قائل ما معنى ابتداء السورة باللام ؟ .

(١) ذكر البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) هذه السورة ضمن السور التي نزلت

بمكة ، وذلك فيما روى عن عكرمة والحسن البصرى . وأورد السيوطي في الدر المنثور

(٣٩٦/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت " لإيلاف قريش "

بمكة .

وقال الماوردي في تفسيره (٥٢٣/٤) : مكية في قول الأكثرين ومدنية في قول

الضحاك .

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٨/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٠٠/٢٠) أنها

مكية في قول الجمهور ، ومدنية في قول الضحاك والكلبى .

(٢) روى ابن جرير في تفسيره (٣٠٦/٣٠) من طريق خطاب بن جعفر ابن أبي المغيرة

قال : حدثني أبي ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نعمتى على قريش "

ورواه النحاس أيضا من نفس الطريق ولفظه : نعمتى على قريش بإيلافهم رحلة

الشتاء والصيف ، قال : كانوا يشتون بمكة ، ويصيفون بالطائف ، ذكره القرطبي

في تفسيره (٢٠١/٢) وروى ابن جرير عن مجاهد أيضا أنه قال : نعمتى على قريش

وقال في رواية أخرى : إيلافهم ذلك فلا يشق عليهم رحلة شتاء ولا صيف "

وقال الماوردي في تفسيره (٥٢٣/٤) . " نعمتى على قريش ، لأن نعمة الله

عليهم أن ألقاه لهم " . قاله ابن عباس ومجاهد ، وهو قول ابن عيينة أيضا كما

ذكره البخاري في صحيحه كتاب التفسير (٧٣٠/٨) وقال ابن حجر في

فتح الباري : هو كذلك في تفسير ابن عيينة ، انظر أيضا تفسير ابن عيينة (ص ٣٤٨) .

(٣) ذكر ابن منظور في لسان العرب (١٠/٩) عن أبي زيد : أَلَفْتُ الشَّيْءَ وَأَلْفَيْتُهُ

فَلَانًا : إِذَا أُنْسِتَبَهُ ، وَأَلْفَيْتُ بَيْنَهُمْ تَأْلِيفًا : إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ

تَفَرُّقٍ ، وَأَلْفَيْتُ الشَّيْءَ تَأْلِيفًا : إِذَا وَصَلْتَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، وَهِيَ تَأْلِيفُ

الْكِتَابِ " وذكر أيضا في معناه قولاً آخر وهو أن أَلَفْتُ الشَّيْءَ وَأَلْفَيْتُهُ

بمعنى واحد : لزمته .

انظر أيضا تأويل مشكل القرآن (ص ٤١) .

والجواب من وجهين ، أحدهما : أن معناه : أعجبوا لإيلاف قريش وتركهم  
الإيمان بي كأنه يذكر نعمته عليهم ويذكر كفرانهم لنعمته بترك الإيمان .<sup>(١)</sup>

والوجه الثاني : أن معناه : إن هذا متصل في المعنى بالسورة المتقدمة وكأنه  
قال : فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش : أي ليقى لهم ما أفوه من رحلتي الشتاء  
والصيف .<sup>(٢)</sup>

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن (٢٩٣/٣) قال : ويقال : "إنه تبارك وتعالى  
عجب نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال : أعجب يا محمد لنعم الله تبارك وتعالى  
على قريش في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، ثم قال : فلا يتشاغلن بذلك عن  
اتباعك وعن الإيمان بالله" وذكره ابن جرير في تفسيره (٣٠٦/٣٠) قال : وكان  
بعض نحوحي الكوفة يقول : شذره بحثله .

وذكره النحاس في إعراب القرآن (٧٧٢/٣) وقال : هذا مذهب الفراء  
، ويحتج له بأن العرب تقول : لله أبوك ، فيكون في اللام معنى التمجب ،  
وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٩/٩) عن الأعشى والكسائي . ونظمه  
الرازي في تفسيره (١٠٥/٣٢) عن الزجاج . وقال : وهذا اختيار الكسائي  
والأخفش والفراء " ا هـ .

وعلى هذا القول تكون اللام متعلقة بمحذوف : تقديره : أعجبوا .  
انظر تفسير البغوي (٢٩٧/٧) والكشاف (٨٠١/٤) ومشكل إعراب القرآن  
(٥٠٣-٥٠٢/٢) ولملاء ما من به الرحمن للعكبري (٢٩٥/٢) .

(٢) قال الأخفش في معاني القرآن (٥٤٥/٢) : "أى فعل ذلك (يشير إلى قوله  
تعالى : "فجعلهم كعصف مأكول" لإيلاف قريش لتألف ، وذكره ابن جرير في تفسيره  
(٣٠٥/٣٠) ونسبه إلى بعض نحوحي البصرة . وذكره النحاس في إعراب  
القرآن (٧٧٢/٣) عن الأخفش . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٨/٩) :  
إنها موصولة بما قبلها المعنى : فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ، أى أهلك  
أصحاب الغيل لتبقى قريش ، وما قد أفوهوا من رحلة الشتاء والصيف ، هذا قول  
الفراء والجمهور" وفي عزوه إلى الفراء نظر ، وسيأتى تفصيلاً .

وذكره الرازي في تفسيره (١٠٣/٣٢) وقال : وهو قول الزجاج وأبي عبيدة  
انظر أيضاً المصادر المذكورة في الهامش السابق ، وقال النحاس في هذا القول :  
وهذا القول الخطأ فيه بين ، لو كان كما قال ، لكانت "إيلاف" بعض آيات  
"ألم تر" وفي إجماع المسلمين على الفصل بينهما ما يدل على غير ما قال وأيضاً  
فلو كان كما قال لم يكن آخر السورة تماماً وهذا غير موجود في شيء من السور .

وكذلك استبعده مكي بن أبي طالب فقال : وهذا بعيد ، بإجماع الجميع على  
جواز الوقف على آخر "ألم تر كيف" . وفي ذلك أقوال أخرى : منها أن اللام  
متعلقة بقوله (ألتر كيف فعل ربك بأصحاب الغيل) ذكره أبو عبيدة في مجاز  
القرآن (٣١٢/٢) قال : "مجاز" لإيلاف قريش على "ألم تر كيف فعل ربك  
بأصحاب الغيل لإيلاف قريش" . وذكره الفراء أيضاً في معاني القرآن (٢٩٣/٣)  
قال : "قال بعضهم : كانت موصلة بألم تر كيف فعل ربك ، وذلك لأنه ذكر أهبل  
مكة عظيم النعمة عليهم فيما صنع بالحبشة ، ثم قال : "إيلاف قريش" أيضاً ، كأنه

٠٠/٠٠

قال : ذلك إلى نعمته عليهم في رحلة الشتاء والصيف " فتقول : نعمة إلى نعمة ،  
ونعمة لنعمة سواء في المعنى " ١ هـ . وعلى هذا تكون اللام بمعنى " إلى " وذكوره  
الرازي في تفسيره ( ١٠٣/٣٢ - ١٠٤ ) في قولين مستقلين . الأول : أن يكون  
التقدير ( ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل لإيلاف قريش " كأنه قال تعالى : كل  
ما فعلنا بهم فقد فعلناه لإيلاف قريش " . والثاني : أن تكون اللام بمعنى إلى ، كأنه  
قال : فعلنا كل ما فعلنا في السورة المتقدمة إلى نعمة أخرى عليهم وهي إيلافهم ، وعزاه  
إلى الفراء ، وفي حقيقة الأمر أنهما قول واحد وأيضا فإن الفراء لم يقل هذا الكلام  
وإنما نقله عن بعض الناس ، وبهذا ( أي أن اللام متعلق بقوله : " ألم تر كيف فعل  
ربك " أو بقوله " فجعلهم كعصف ماكول " استدلل بعض العلماء على أن سورة الفيل  
وسورة قريش سنورة واحدة ، ويؤيد ذلك أن عمر وأبي بن كعب كانا لا يفضلان  
بين السورتين ويقرأنهما كالسورة الواحدة ويرويانها سورة واحدة " ولكن أكثر الناس  
على أنهما سورتان منفصلتان ، لأن بينهما " بسم الله الرحمن الرحيم " وذلك دليل على  
انقضاء السورة وافتتاح الأخرى " وذكر ابن جرير إجماع المسلمين على ذلك . انظر  
للتفصيل تأويل مشكل القرآن ( ص ٤١٣ ) وتفسير الطبري ( ٣٠٦/٣٠ ) وتفسير الماوردي  
( ٥٢٣/٤ ) وزاد المسير ( ٢٣٩/٩ ) وتفسير الرازي ( ١٠٤/٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠٠/٢٠ )  
وتفسير ابن كثير ( ٥٥٣/٤ ) . وما قيل في متعلق اللام في قوله ( لإيلاف قريش ) بأنهما  
تتعلق بقوله تعالى " فليعبدها " وذكره النحاس في إعراب القرآن ( ٧٧٢/٣ ) عن الخليل  
ابن أحمد : والمعنى : لأن يوافق الله قريشاً إيلافاً فليعبدها رب هذا البيت ، أي  
لهذا فليعبده . وذكره الرازي في تفسيره ( ١٠٥/٣٢ ) عن الخليل وسيبويه . وقال :  
التقدير : فليعبدها رب هذا البيت لإيلاف قريش أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه  
النعمة واعترافاً بها ، وذكر أن الفاء دخلت في قوله ( فليعبدها ) لأنه في الكلام معني  
الشرط ، وذلك لأن نعم الله عليهم لا تحصى ، فكانه قيل : إن لم يعبدوه لسائر نعمته  
فليعبده لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة .

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٣٩/٩ ) هذا القول ، ونقل عن الزجاج أنه  
قال : هذا الوجه قول النحويين الذين ترضى أقوالهم " واختاره الزمخشري أيضا في  
الكشاف ( ٨٠٠/٤ - ٨٠١ ) ان قدمه على الأقوال الأخرى " . وانظروا أيضا مشكل  
إعراب القرآن ( ٥٠٣/٢ ) وتفسير الماوردي ( ٥٢٣/٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠١/٢٠ ) ، أما  
الراجح فقد اختار ابن جرير القول بأن اللام لام التعجب ورد على القول بأنها متعلقة بقوله  
( فجعلهم كعصف ماكول ) وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان تامتان ، كل واحدة  
منهما منفصلة عن الأخرى ، مما يبين فساد هذا القول . انظر تفسير الطبري ( ٣٠٦/٣٠ -  
٣٠٧ ) وذهب النحاس إلى اختيار قول الخليل وهو أنها متعلقة بقوله تعالى ( فليعبدها )  
إن وصفه بأنه أصح القولين ، وقال : هذا لا حذف فيه ، وهو من حسن النحو وقيقه  
وإن كان أصحاب كتب المعاني قد أغفلوه " إعراب القرآن ( ٧٧٢/٣ - ٧٧٣ ) وهذا الذي  
تميل إليه نفسي ، لأن الكلام الذي لا يحتاج إلى تقدير أحسن مما يحتاج إلى تقدير .

وذكر القتيبي في معنى السورة : أن القولم يكن لهم زرع ولا ضرع إلا القليل ،  
وكانت معاشهم من التجارة وكانت لهم رحلتان رحلة في الصيف إلى الشام<sup>(١)</sup> ورحلة  
في الشتاء إلى اليمن<sup>(٢)</sup> .

وقيل غير هذا<sup>(٣)</sup> ، وكانوا إذا خرجوا من مكة لا يتعرض لهم أحد فإذا لقيهم قوم  
قالوا : نحن أهل الله فيكون عنهم ولا يحاجون<sup>(٤)</sup> .

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٣/٣١١) : "الشَّامُ" : بفتح أوله وسيكون  
همزته والشَّامُ : بفتح همزته ، مثل نَهْرٍ ونَهْرٍ لغتان ، وفيها لفظة الشَّامُ  
بغير همز ، وذكر في سبب تسميته عن أهل الأثر أنهم قالوا : سميت بذلك لأن  
قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاموا إليها أي أخذوا ذات  
الشمال فسميت بالشام لذلك . وأما حدّها فقال فيه : من الغرات إلى العريش  
المتأخم للديار المصرية ، وأما عرضها فمن جبلتي طي\* من نحو القبلة إلى بحر الروم .  
(٢) ليس هذا نص ما قاله ابن قتيبة ، وإنما معناه . انظر نص كلامه في تأويل مشكل  
القرآن (ص ٤١٣) .

(٣) في رحلة الشتاء والصيف ثلاثة أقوال ، أحدها : هو هذا الذي ذكره المؤلف عن  
ابن قتيبة - أي أن رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ، ورحلة الصيف إلى  
الشام لأنها بلاد باردة ، ذكره ابن جرير في تفسيره (٣٠٧/٣٠) ورواه بسنده  
عن ابن زيد والكلبي .

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٤١) فقال : وجمهور العلماء على أن  
الرحلتين كانتا للتجارة ، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف ، وإلى اليمن في  
الشتاء لشدة برد الشام\* وذكره الرازي في تفسيره (٣٢/١٠٦) وقال : وهو المشهور  
، انظر أيضاً تفسير الماوردي (٤/٥٢٥) ، وتفسير البغوي والخازن (٧/٢٩٨)  
وتفسير القرطبي (٢٠/٢٠٦) والتسهيل (٤/٢١٨) والدر المنثور (٦/٣٩٧)  
والقول الثاني هو ما رواه ابن جرير في تفسيره (٣٠٨/٣٠) بسنده عن جعفر بن  
أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : كانوا يشتون بمكة  
ويصيفون بالطائف ، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٩٧) وعزا تخريجه  
أيضاً إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة . انظر أيضاً المصادر  
المذكورة في الهامش السابق سوى تفسير الرازي والقول الثالث : هو قول عكرمة  
إن كلتا الرحلتين إلى فلسطين لكن رحلة الشتاء في البحر طلباً للدفا ، ورحلة  
الصيف على بصرى وأنرعات ، ذكره الماوردي ، وابن جرير وأورده السيوطي في الدر  
المنثور (٦/٣٩٨) عن عكرمة ، وعزا تخريجه إلى ابن أبي حاتم . وذكر الرازي في  
تفسيره (٣٢/١٠٧) قولاً آخر وهو أن المراد رحلة الناس إلى أهل مكة فرحلة  
الشتاء والصيف عمرة رجب وحج ذي الحجة لأنه كان أحدهما شتاء والآخر صيفاً  
وموسم منافع مكة يكون بهما - والصواب هو ما طبعه الجمهور من المفسرين أي أن قريشاً  
كانت لهم رحلتان - رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام .

(٤) انظر تأويل مشكل القرآن (ص ٤١٣) وتفسير البغوي (٧/٢٩٨) وتفسير القرطبي  
(٢٠/٢٠٤) .



وروى أنهم كانوا يقولون : نحن من حرم الله فيقول العرب : هو لا أهل الله فيكفون عنهم - وهو معنى قوله تعالى ( لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ) (٢) فذكر الله تعالى في هذه السورة والسورة المتقدمة منته غديهم في دفع أصحاب الفيل عنهم ليقى لهم ما ألفوه من التجارة في رحلتى الشتاء والصيف. (٣)

وأما قریش فهم أولاد /النضربین كنانة (٤) ، فكل من كان من أولاد النضربین كنانة ٥/٣٤٥ فهو قرشى . (٥)

( ١ ) روى عبد الرزاق في تفسيره (ق ١٧٦ / ١) وابن جرير في تفسيره ( ٣٠٩ / ٣٠ ) من طريق معمر عن قتادة أنه قال : كانوا يقولون : نحن من حرم الله ، فلا يعرض لهم أحد في الجاهلية يأمنون بذلك ، وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أغير عليه ، وأورده بنحوه السيوطى في الدر المنثور ( ٢٩٨ / ٦ ) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

( ٢ ) سورة العنكبوت الآية ٦٧ .

( ٣ ) انظر تأويل مشكل القرآن (ص ٤١٣ - ٤١٤ ) وأيضاً الكشاف (٤ / ٨٠) وتفسير الرازى (١٠٧ / ٣٢) .

( ٤ ) هو الذى ينتهى إليه نسب قریش ، انظر سيرة ابن هشام ( ٨٥ / ١ ) وجمهرة أنساب العرب ( ١١ ) .

( ٥ ) ذكر هذا القول ابن هشام في سيرته ( ٨٦ / ١ ) وذكره عنه ابن كثير في السيرة النبوية ( ٨٤ / ١ ) وهناك قول آخر وهو أن فهر بن مالك هو قریش ، فمن كان من ولده فهو قرشى ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى . ذكره ابن هشام وابن كثير ، وقال ابن كثير : وهذا القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبى عمر بن عبد الله والزيبر بن بكار ومصعب وغير واحد .

واختار القول الثانى ( أى أن فهر بن مالك هو قریش ) الزبير بن بكار ومصعب الزبيرى وعلی بن كيسان وأبو عمر بن عبد البر وقد نصره نصراً عزيزاً ، ولكن الذى عليه الأكثر هو أنه النضربین كنانة ، وهو الذى نص عليه هشام بن محمد الكلبى وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وهذا هو جادة مذهب الشافعى .

وقد صرح به ابن كثير في المصدر السابق ، ويدل عليه حديث الأشعث بن قيس الذى أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الحدود باب من نفي رجلاً من قبيلة ( ١٣١ / ٢ ) والإمام أحمد في مسنده ( ٢١١ / ٥ ) بسندهما عن الأشعث بن قيس قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد لا يرون أنى أفضلهم ، فقلت : يا رسول الله انا نزعم أنكم منا ؟ قال : نحن بنو النضربین كنانة لانفقوا أمناً ولا ننتفسي من أبينا . . . الحديث . هذا لفظ الإمام أحمد ، وعند ابن ماجه " في وفد كندة ولا يرون نيسى أفضلهم " . وقال السندى في حاشيته : وفي الزوائد هذا إسناد صحيح رجاله ثقات " . وقال ابن كثير في السيرة ( ٨٦ / ١ ) : وهذا إسناد جيد قوى وهو فيصل في هذه المسألة فلا التفات إلى قول من خالفه " .

وقال الرازى في تفسيره ( ١٠٦ / ٣٢ ) : اتفقوا على أن قریشاً ولد النضربین كنانة . ثم ذكر الحديث . انظر أيضاً تفسير الماوردى ( ٥٢٤ / ٤ ) وزاد المسير

( ٢٤٠ / ٩ ) وتفسير القرطبى ( ٢٠٢ / ٢٠ ) .

واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم ، فقال الأكثرون : سمو قريشاً للتجاره  
وكانوا أهل تجارة ، والقريش الكسب ، يقال : فلان يقريش لعياله ويقترش أى يكتسب .<sup>(١)</sup>  
وعن ابن عباس : أنه سميت قريش قريشاً بدابة تكون في البحر يقال لها القريش  
لا تمر بهفت ولا سمين إلا أكلته ، وأنشدوا في ذلك :-

قريش التي تسكن البحر	مر بها سميت قريش قريشاً
تأكل الفث والسمين ولا تتس	ركُ لذي الجناحين ريشاً
هكذا في البلاد من قريش	يألمون البلاد أكلاً كميثاً <sup>(٢)</sup>
ولهم آخر الزمان نبي	يكسر القتل فيهم والخموشاً <sup>(٣)</sup>

(١) ذكر هذا السبب غير واحد من اللغويين والمفسرين . انظر الصحاح للجوهري  
(١٠١٦/٣) ولسان العرب (٣٣٥/٦) وتفسير الماوردي (٥٢٤/٤) وزاد  
المسير (٢٤٠/٩) وتفسير الرازي (١٠٦/٣٢) وتفسير القرطبي (٢٠٣/٢٠)  
والسيرة النبوية (٨٧/١) .

(٢) هو من الكمش ، قال ابن منظور في لسان العرب (٣٤٣/٦) : رجل كمش  
وكميش ، : عزومها في سريع في أمره .

(٣) قال ابن منظور في المصدر السابق (٢٩٩/٦) : "الخموش : الخدوش .  
والأثر رواه البيهقي في دلائل النبوة (١٨٠/١ - ١٨١) بسنده عن أبي ریحانه  
العامري : أن معاوية قال لابن عباس : فلم سميت قريش قريشاً ؟ قال : لدابة  
تكون في البحر ، تكون أعظم دوابه ، يقال لها : القريش ، لا تمر بشئ من  
الفث والسمين إلا أكلته ، قال : فأشددني في ذلك شيئاً فأشددته شمـ  
الجمعي إن يقول : وأورد الأبيات بمثلها .

وذكر هذا السبب الماوردي في تفسيره (٥٢٤/٤٠) وابن الجوزي في  
زاد المسير (٢٤٠/٩) وتفسير الرازي (١٠٦/٣٢) وتفسير القرطبي (٢٠٧/٢٠)  
وابن كثير في السيرة النبوية (٨٨/١) وابن منظور في لسان العرب (٣٣٥/٦)  
وأورد بعضهم البيت الأول فقط وبعضهم أورد الأبيات كلها بشئ من الفرق  
وأورد بعضهم بزيادة :

وهناك قولان آخران في سبب هذه التسمية .  
أحدهما : أنه من القريش وهو التجمع بعد التفريق ، فإنهم كانوا  
متفرقين فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم ، ذكر هذا القول ابن هشام  
عن ابن إسحاق . انظر سيرته (٨٧/١) .

والثاني : أنه من القريش وهو التفقيش ، وكان النضر بن كنانة يقريش عن خلة  
الناس وحاجتهم فيسدها بماله ، وكان بنوه يقريشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفد ونهم  
بما يلغفهم بلادهم ، فسموا بذلك من فعلهم وقريشهم قريشاً . ذكره ابن كثير في  
السيرة (٨٧/١) عن هشام بن الكلبي وراجع أيضاً لمعرفة هذين القولين  
المصادر السابقة .

قوله ( فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع ) قال ذلك لأنهم كانوا يجلبون الطعام من المواضع البعيدة وكان هو الذي يسهل لهم ذلك ويوزقهم إياها بتيسير أسبابها لهم .<sup>(١)</sup>

وقوله ( وآمنهم من خوف ) أي من خوف الغارة والقتل على ما قلنا ، وقيل : من خوف الجذام<sup>(٢)</sup> ، والأصح هو الأول<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) قال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٤١ / ٩ ) : قوله تعالى : ( فليعبدوا رب هذا البيت ) أي : ليؤحدوه . ( الذي أطعمهم من جوع ) أي بعد الجوع ، كما تقول : كسوتك من عسري ، وذلك أن الله تعالى آمنهم بالحرم ، فلم يتعرض لهم في رحلتهم ، فكان ذلك سبباً لإطعامهم بعد ما كانوا فيه من الجوع .

وقال ابن كثير في تفسيره ( ٥٥٣ / ٤ ) : " ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : " فليعبدوا رب هذا البيت " أي فليؤحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً كما قال تعالى " إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها ، وله كل شيء " وأمرت أن أكون من المسلمين " ( سورة النمل الآية ٩١ ) .

( ٢ ) قال ابن جرير في تفسيره ( ٣٠٨ / ٣٠ ) قال بعضهم : معنى ذلك أنه آمنهم مما يخاف منه من لم يكن من أهل الحرم من الغارات والحروب والقتال . والأمر السني كانت يخاف بعضها مع بعض شمس روى بسنده عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ما يدل على هذا المعنى .

انظر أيضاً تفسير الماوردي ( ٥٢٧ / ٤ ) والكشاف ( ٨٠٣ / ٤ ) وتفسير الرازي ( ١٠٧٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠٩ / ٢٠ ) والبحر المحييط ( ٥١٥ / ٨ ) .

( ٣ ) ذكره ابن جرير في تفسيره ( ٣٠٩ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم ، وفيه أقوال أخرى ، منها " من خوف الحبشة مع الغيل ، قاله الأعمش ومنها : أن تكون الخلافة في غيرهم روه عن علي رضي الله عنه . راجع لهذه الأقوال المصادر المذكورة في الهامش السابق .

( ٤ ) هو الذي يدل عليه السياق ، ولكن اللفظ عام يشمل كل ما كانوا يخافون منه ، وإليه ذهب ابن جرير والقرطبي وهذا هو الصواب .

وفي بعض التفاسير : إن أول من جمع قريشاً على رحلتى الشتاء والصيف هاشم  
ابن عبد مناف فكانوا يأخذون في بضائعهم باسم الفقراء شيئاً معلوماً ، فإذا رجعوا  
أعطوهم ذلك تقرباً إلى الله .<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر في هاشم :

عَمَرُوا الْعُلَا هَشْمَ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ <sup>(٢)</sup>  
الخالطين فقيرهم بغنيهم <sup>(٣)</sup>  
ورجال مكة مسنتون عجباف <sup>(٤)</sup>  
حتى يصير فقيرهم كالكفاف <sup>(٥)</sup>

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٠٤/٢٠) ضمن قصة طويلة . قال : وذكر أبو الحسين  
أحمد بن فارس بن زكريا في تفسيره ( حدثناسعيد بن محمد بن بكر بن سهل بإسناده  
إلى ابن عباس في قول الله عز وجل : " لا يلاف قريش " الفهم رحلة الشتاء والصيف ،  
وذلك أن قريشاً إذا أصابتوا حداً منهم مخصصة جرى هو وعياله إلى موضع معروف ،  
فضربوا على أنفسهم خيلاً فماتوا ، وذكر القصة بطولها ، وفيها " ثم جمع كسل  
بنى أب على رحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارات ، فما  
ربح الغنى قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم ، فجاء الإسلام وهم  
على هذا ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش " . ذكره  
الرازي في تفسيره (١٠٦/٣٢-١٠٧) وقال : ذكر عطاء عن ابن عباس . . . ثم  
ذكره بطوله . انظر أيضاً تفسير البغوي (٢٩٨/٧) وزاد المسير (٢٤٢/٩) ،  
وقال ابن هشام في سيرته (١٢٥/١-١٢٦) " وكان هاشم - فيما يزعمون - أول من  
سن الرحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأول من أطعم الثريد للحجاج  
بمكة ، وإنما كان اسمه عمرو ، فما سمى هاشماً إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه .

(٢) صرح الجوهري في الصحاح (٢٠٥٨/٥) بأنه ابن الزبير ، ونقل ابن منظور في  
لسان العرب (٦١١/١٢) عن ابن بريدة أن الشعر لابن الزبير . وفي تهذيب اللغة  
(٩٥/٦) أنه لمطروود الخزاعي . وقال ابن منظور : قالت فيه ابنته ( أى ابنة  
هاشم ) وعزاه مرة أخرى (٤٧/٢) إلى ابن الزبير .

(٣) قال الجوهري : الهشم : كسر الشىء اليابس ، يقال : هشم الثريد الصحاح  
(٢٠٥٨/٥) .

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب (٤٧/٢) " وأسنتوا فيهم مسنتون : أصابتهم سنة " .  
وقحط وأجدبوا " .

(٥) ذكر البيت الأول ابن هشام في سيرته (١٢٦/١) والأزهري في تهذيب اللغة (٩٥/٦) ،  
والجوهري في الصحاح (٢٠٥٨/٥) وابن منظور في لسان العرب (٤٧/٢) (٦١١/٢٠) ،  
والقرطبي في تفسيره (٢٠٥/٢٠) وعند بعضهم ( عمرو الذي ) بدل ( عمرو  
العلاء ) .

(٦) البيت الثاني أورده الرازي في تفسيره (١٠٧/٣٢) والقرطبي في تفسيره (٢٠٥/٢٠) ،  
وفي سيرة ابن هشام في مجله بيت آخر .

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الإيسلاف  
وأشده الماوردي في تفسيره (٥٢٦/٤) البيتين يتقدم الثاني على الأول بزيادة بيتين  
آخرين . وكذا أشدهما البغوي في تفسيره (٢٩٩/٧) مع أبيات أخرى دون تصريح  
بقائده .

تفسير سورة "أرأيت" وهي مكية<sup>(١)</sup>

وقيل : إنها مدنية<sup>(٢)</sup> ، وقيل : نصفها مكية ، ونصفها مدنية . فالنصف الأول إلى قوله ( فويل للمصلين ) مكية ، والنصف الباقي مدنية<sup>(٣)</sup> - والله أعلم .

(١) أورد البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) هذه السورة ضمن السور التي نزلت بمكة ، وذلك فيما رواه عن الحسن وعكرمة .

وأورد السيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير أنهما قالا : أنزلت "أرأيت الذي يكذب" بمكة - وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٥٢٨/٤) والقرطبي في تفسيره (٢١٠/٢٠) من قول عطاء وجابر ، وقال القرطبي أيضا : وهو أحد قولي ابن عباس .

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٤٣/٩) وأبوحيان في البحر المحيظ (٥١٦/٨) ونسباه إلى الجمهور .

(٢) هو قول قتادة والثاني من قول ابن عباس .

ذكره الماوردي في تفسيره (٥٢٨/٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٤٣/٩) والقرطبي في تفسيره (٢١٠/٢٠) وأبوحيان في البحر المحيظ (٥١٦/٨) .

(٣) ذكره ابن الجوزي وأبوحيان والألوسي في روح المعاني (٢٤١/٣٠) من قول هبة الله المفسر ، قال : نصفها بمكة في العاصم بن وائل ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق .

انظر أيضا تفسير الخازن (٢٩٩/٧) والصواب هو ما عليه الجمهور ، وهو أن السورة مكية .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى (أرأيت الذي يكذب بالدين) أي بالجزاء<sup>(١)</sup> . وقيل : بالحساب  
قاله مجاهد<sup>(٢)</sup> . والمعنى : أرأيت من يكذب بالدين أمخطى<sup>(٣)</sup> هو أم مصيب يعنى  
أنه مخطى<sup>(٣)</sup> فلا توافقه ولا تتبعه .

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٥٢٨/٤) دون عزو إلى أحد . وذكره ابن الجوزي في  
زاد المسير (٢٤٤/٩) وقال : حكاه الماوردي .

(٢) ذكره الماوردي وابن الجوزي في المصدر السابق لهما من قول مجاهد وعكرمة ، ورواه  
ابن جرير في تفسيره (٣١٠/٣٠) بسنده عن ابن جريج . وروى أيضا بسنده عن  
عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال : " الذي يكذب بحكم الله عزوجل " وذكره  
الماوردي وابن الجوزي من قول ابن عباس ، وذكر ابن الجوزي قولاً آخر وهو أنه  
القرآن ، وقال : " حكاه بعض المفسرين " وأورد أبو حيان هذه الأقوال الأربعة في  
البحر المحيط (٥١٣/٨) ومفهوم القول الأول والثاني واحد ، ولذلك قال البغوي  
في تفسيره (٢٩٩/٧) : ( بالدين ) : أي بالجزاء والحساب . وكذا ذكره  
القرطبي أيضا في تفسيره (٢١٠/٢٠) ، والدين يطلق في اللغة على معان منها  
الجزاء والحساب ، ومنه المثل : كما تدّين تدان .

انظر مجاز القرآن (٢٣/١) وتفسير غريب القرآن (٣٨) وأما إطلاقه على حكم  
الله تعالى أو على القرآن فيكون من باب الاستعارة . قال الراغب في المفردات  
(١٧٥) : والدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة ، والدين كالطاعة  
لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة .

وصرح الرازي أن المراد هنا في قول أكثر المفسرين الحساب والجزاء ، انظر  
تفسيره (١١٢/٣٢) وهذا هو الصواب فيما يبدو لي ، لأن كفار مكة كانوا أشد  
إنكار اليوم البعث والجزاء .

(٣) قال القرطبي في تفسيره (٢١٠/٢٠) : " وفي الكلام حذف ، والمعنى : أرأيت  
الذي يكذب بالدين : أمصيب هو أم مخطى " .  
وقال الزمخشري في الكشاف (٨٠٤/٤) : " والمعنى : هل عرفت الذي يكذب  
بالجزاء من هو ؟ إن لم تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم . . . " واختاره الرازي  
في تفسيره (١١١/٣٢) وقال أبو حيان في البحر المحيط (٥١٦/٨) : " والظاهر  
أن (أرأيت) هي التي بمعنى (أخبرني) فتتمدى لاثنتين ، أحدهما :  
الذي - والآخر : محذوف . ثم ذكر عن الحوفي أنه قدره : ليس مستحقاً  
عذاب الله " وذكر بعده قول الزمخشري أيضا . ونقل عن الحوفي أنه قال : ويجوز  
أن تكون من رؤية البصر فلا يكون في الكلام حذف . وهمزة الاستفهام تدل على  
التقريب والتفهيم ليتذكر السامع من يعرف بهذه الصفة . وهذان الوجهان اللذان  
ذكرهما أبو حيان عن الحوفي ذكرهما النحاس أيضا في إعراب القرآن (٧٧٥/٣) :  
ويبدو لي - والله أعلم - أن الأحسن أن يقال : الروية هنا رؤية البصر ، لأنه لا يحتاج  
الكلام على هذا القول إلى تقدير .

وقوله ( فذلك الذي يدع اليتيم ) وورد في الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ضم يتيماً بين مسلمين إلى نفسه وجبت له الجنة . (٢) وقوى فسى الشأن : " يدع اليتيم " أي يترك العطف عليه والرحمة له . (٣) وقوله تعالى ( ولا يحض على طعام المسكين ) قيل : لا يطعمه نفسه ولا يأمر به غيره . (٤)

( ١ ) كذا في الأصل " بين مسلمين " وفي نسخة " ب " من بين المسلمين .

( ٢ ) روى الإمام أحمد في مسنده ( ٣٤٤ / ٤ ) والطبراني في المعجم الكبير ( ٣٠٠ / ١٩ ) بسندهما عن علي بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن عمرو القشيري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين حتى يستغنى عنه أوجب الله له الجنة البتة " هذا لفظ الطبراني ، وعند الإمام أحمد وعند الطبراني في رواية أخرى زيادة في الحديث . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٦١ / ٨ ) وقال : وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله رجال الصحيح " وحسن هذا الإسناد في موضع آخر من المجمع ( ١٤٠ / ٨ ) قال : " إسناد حسن " . انظر أيضاً فيض القدير ( ١٧٤ / ٦ ) . ولكن الحافظ ابن حجر ضعف علي بن زيد ، فقال فيه : ضعيف . انظر تقريب التهذيب ( ص ٢٤٦ ) وذلك مما يدل على ضعف هذا الحديث ، وليس هذا الحديث وحده يدل على فضل كقالة اليتيم ، بل هناك أحاديث كثيرة صحيحة في هذا الباب ، منها ما أخرجه البخاري في صحيحة ( ٤٣٦ / ١٠ ) رقمه ٦٠٠٥ . بسنده عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وقال بإصبعه السبابة والوسطى . وروى نحوه مسلم في صحيحة ( ١١٢ / ١٨ - ١١٣ ) بسنده عن أبي هريرة .

( ٣ ) ذكر هذه القراءة ابن خالويه في شواذ القرآن ( ص ١٨١ ) وعزاها إلى علي رضي الله عنه واليمان والحسن وأبي رجاء وابن جنى في المحتسب ( ص ٣٧٤ ) عن أبي رجاء فقط ، وذكر معنى الآية على هذه القراءة فقال : معناه - والله أعلم - يعرض عنه ويجفوه ، فهو صائر إلى معنى قراءة العامة " يدع اليتيم " أي يدفعه ويجفو عليه ، راجع أيضاً البحر المحيط ( ٥١٧ / ٨ ) وذكر الماوردي في تفسيره ( ٥٢٨ / ٤ ) معنى هذه القراءة فقال : " يترك اليتيم فلا يواغيه اطراً حاً له وإعراضاً عنه " .

" وذكر معنى آخر بلفظ الاحتمال فقال : ويحتمل على هذه القراءة تأويلاً ( ثانياً ) يدع اليتيم لاستخدامه وامتهانه قهراً واستطالة " . وأما معناها ، على القراءة المعروفة فقال ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٤٤ / ٩ ) : ويدع بمعنى يدفع ، . . . والمعنى : أنه يدفع اليتيم عن حقه دفعاً عنيفاً ليأخذ ماله . . . وقيل : يدفع اليتيم إيماناً له لأنه لا يرجو ثواب إطعامه " .

( ٤ ) قال الماوردي في تفسيره ( ٥٢٨ / ٤ ) : أي لا يفعله ولا يأمر به . وقال البغوي والخازن في تفسيرهما ( ٢٩٩ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٤٤ / ٩ ) لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزء .

قوله تعالى ( فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ) قال قتادة : غافلون .  
 وروى المغيرة عن ابراهيم قال : مضيعون للوقت ، وهذا قول معروف وهو وارد عن  
 جماعة من التابعين ، وذكروا أن المراد بالسهو ههنا هو تأخير الصلاة عن وقتها .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ذكر ابن جريو في تفسيره ( ٣١١ / ٣٠ - ٣١٢ ) أن أهل التأويل اختلفوا في معنى  
 قوله ( عن صلاتهم ساهون ) ، ثم ذكر أن بعضهم قالوا : عنى بذلك أنهم  
 يتهاونون بها ويتغافلون عنها ويلهون . شهروى بسنده عن قتادة أنه قال : الذين  
 هم عن صلاتهم ساهون ) غافلون - وذكره من قوله الماوردي في تفسيره ( ٥٢٩ / ٤ ) ،  
 وروى عنه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٧٦ / ب ) وابن جريو في تفسيره ( ٣١٣ / ٣٠ ) من  
 طريق معمر أنه قال : ساء عنها لا يبالي صلى أم لم يصل \* وذكره البغوي في تفسيره  
 ( ٣٠٠ / ٧ ) بهذا اللفظ .

( ٢ ) لم أجد من روى هذا الأثر عن ابراهيم وهو النخعي ، وأورده القرطبي في تفسيره  
 ( ٢١١ / ٢٠ ) قال : روى المغيرة عن ابراهيم قال : ساهون : بإضاعة الوقت .  
 وروى عنه أيضا أنه قال : أنه الذي إذا سجد قام برأسه هكذا ملتفتاً \* ذكره القرطبي  
 في المصدر السابق ، وأبو حيان في البحر المحيط ( ٥١٧ / ٨ ) .

( ٣ ) ذكر ابن جريو في تفسيره ( ٣١١ / ٣٠ - ٣١٢ ) هذا القول ، فقال : قال بعضهم :  
 عنى بذلك أنهم يؤخرونها عن وقتها فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها \* ثم روى  
 بسنده عن سعد بن أبي وقاص وابن عباس وغيرهما من أئمة التفسير من التابعين  
 آثراً تدل على أن معنى الآية : تأخير الصلاة عن وقتها .

وورد هذا المعنى في حديث مرفوع أخرجه الطبري في تفسيره ( ٣١٣ / ٣٠ ) ،  
 والبغوي في تفسيره ( ٢٩٩ / ٧ - ٣٠٠ ) بسنده عن عكرمة بن ابراهيم ثنا عبد الكريم  
 ابن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال : سأل رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم عن \* الذين هم في صلاتهم ساهون \* قال : هم الذين يؤخرون الصلاة  
 عن وقتها \* . هذا لفظ الطبري ولفظ البغوي : قال : إضاعة الوقت \* .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٣٢٥ / ١ ) وقال : رواه البزار وأبو يعلى  
 مرفوعاً بنحو هذا وموقوفاً ، وفيه عكرمة بن ابراهيم ضعفه ابن حبان وغيره ، وقال البزار  
 رواه الحفاظ موقوفاً ، ولم يرفعه غيره . انظر أيضا كشف الأستار ( ١٩٨ / ١ ) .  
 قلت : وقد رواه ابن جريو في تفسيره ( ٣١١ / ٣٠ ) من طرق عن مصعب بن سعد  
 به موقوفاً من قول أبيه أو من قوله .

انظر أيضا تفسير الماوردي ( ٥٢٩ / ٤ ) وزاد المسير ( ٢٤٤ / ٩ ) وتفسير القرطبي  
 ( ٢١١ / ٢ ) .



والقول الثالث : هو أن الآية وردت في المنافقين . (١)

ومعنى قوله ( الذين هم عن صلاتهم ساهون ) يعنى : أنهم إن صلوا لم يرجوا ثواباً ولن تركوها لم يخافوا عقاباً . (٢)

قال ابن زيد : هم المنافقون صلوا وليست الصلاة من شأنهم . (٣)

وروى الوالبي (٤) عن ابن عباس قال : هم المنافقون كانوا إذا حضروا صلوا رياءً ، وإذا غابوا تركوها . (٥)

وقال محمد بن كعب القرظي : / هو المنافق إذا رأى الناس صلى وإذا لم يصر ٣٤٥ ب لم يصل . (٦) وقيل : ( ساهون ) أى لاهون . والمعنى : أنهم يشتغلون بغيره عنها . (٧)

(١) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ٣١٢ / ٣٠ ) فقال : وقال آخرون : بلى عنى بذلك أنهم يتركونها فلا يصلونها \* ثم روى تحت هذا القول الآثار التى تدل على أن المراد منها المنافقون الذين لا يصلون ابتغاء لوجه الله .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ( ٣٠٠ / ٧ ) والخازن فى تفسيره ( ٢٩٩ / ٧ ) كأنه أحد الأقوال فى معنى الآية ، قال : وقيل : لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ولا يخافون عقاباً إن تركوا \* .

روى هذا المعنى عن ابن عباس . كما ذكر القرطبي فى تفسيره ( ٢١١ / ٢٠ ) قال : روى الضحاك عن ابن عباس قال : هو المصلى الذى إن صلى لم يصر لها ثواباً ، وإن تركها لم يخش عليها عقاباً \* . ولم يعز تخريجه إلى أحد .

(٣) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٣١٢ / ٣٠ ) بسنده عن ابن زيد أنه قال : يصلون ، وليست الصلاة من شأنهم \* .

وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٤٠٠ / ٦ ) عن زيد بن أسلم وعز تخريجه إلى ابن جرير وابن أبى حاتم .

(٤) هو على بن أبى طلحة .

(٥) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٣١٣ / ٣٠ ) من طريق معاوية بن علي ( وهو ابن أبى طلحة ) عن ابن عباس أنه قال : فهم المنافقون كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا . . . الحديث \* وأورده بنحوه السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٩٩ / ٦ ) وعز تخريجه إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقي فى شعب الإيمان \* وذكره من قوله الثعلبى فى تفسيره ( ١٦٢ / ١ ب ) والبغوى فى تفسيره ( ٣٠٠ / ٧ ) .

(٦) لم أهد إلى معرفة من ذكره أو رواه من أئمة التفسير .

(٧) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٣١٢ / ٣٠ ) بسنده عن مجاهد قوله ( عن صلاتهم ساهون )

قال : لاهون . وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٤٠٠ / ٦ ) وعز تخريجه أيضاً إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وذكره بهذا اللفظ الطاورى فى تفسيره ( ٥٢٩ / ٤ ) .

وذكرت في معنى الآية أقوال أخرى منها : مرواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور ( ٤٠٠/٦ ) عن أبي العالية أنه قال : هو الذي يصلى ويقول : هكذا وهكذا يعني يلتفت عن يمينه وعن يساره " .

ومنها أيضا : هو الذي لا يدوي عن كم انصرف عن شفع أو وتر - وهو أيضا مروى عن أبي العالية - . رواه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٢٦/ب ) ولكن رد عليه الحسن فقال : مئة ، ليس كذلك ، هم الذين يسهون عن ميقاتها حتى تغوت " .

وأورده من قوله ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٤٥/٩ ) وقال : ورد هذا بمعنى العلماء ، فقال : ليس بشي ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سها في صلاته ، ولأنه قال تعالى : " ( عن صلاتهم ) ولم يقل : في صلاتهم ، ولأن ذلك لا يدخل تحت طوق ابن آدم " .

ومنها أيضا : ما قاله قطرب : هو أن لا يقرأ ولا يذكر الله ، ذكره الماوردي في تفسيره ( ٥٢٩/٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢١١/٢٠ ) واختار ابن جرير من هذه الأقوال قول القائلين بأن معنى ( ساهون ) : لاهون يتفاطون عنها ، ونسي اللهو عنها والتشاغل بغيرها تضييعها أحيانا وتضييع وقتها أخرى ، يريد أن هذا القول يشمل جميع الأقوال ، انظر تفسيره ( ٣١٢/٣٠ ) .

وكذا ذكر ابن كثير أيضا في تفسيره ( ٥٥٤/٤ ) أي أن اللفظ شامل لكل ما يخل في أدائها على الوجه المطلوب .

قال : " ساهون " إما عن فعلها بالكسبية كما قاله ابن عباس وإما عن فعلها فسي الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكسبية كما قاله مسروق وأبو الضحى ، وأما عن وقتها الأول فهو خرونها إلى آخره دائما أو غالبا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها فاللفظ يشمل ذلك كله ، ولكل من اتصف بشي من ذلك قسط من هذه الآية ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العطسى " انتهى بتصريف يسير ، وهذا هو الصواب .

وقوله ( الذين هم يراون ) قد بينا (١) .  
وقوله ( وينعمون الماعون ) قال علي : هو الزكاة ، حكاه مجاهد عنه (٢) .  
وهذا القول محكي أيضا عن الحسن وإبراهيم التيمي (٣) .  
(٤)

---

(١) عند قوله تعالى : ( وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراون الناس )  
سورة النساء الآية ١٤٢ انظر الأصل (١/١٠٧) .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٦/ب) وابن جرير في تفسيره (٣٠/٣١٤ - ٣١٥) والحاكم في مستدركه (٢/٥٣٦) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عنه ، وقال الحاكم : هذا إسناد صحيح مرسل ، فإن مجاهد لم يسمع من علي "أهـ" .  
ورواه ابن جرير من طريق السدي عن أبي صالح عن علي رضي الله عنه . انظر أيضا تفسير مجاهد (٢/٧٨٨) وذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٤/٥٣٠) والبغوي في تفسيره (٧/٣٠٠) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٤٦) والرازي في تفسيره (٣٢/١١٥) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢١٣) وابن كثير في تفسيره (٤/٥٥٥) .  
(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٠/٣١٦) من طرق عن الحسن ، وذكره من قوله أكثر من تقدم ذكرهم من المفسرين في الهامش السابق .

(٤) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، يكنى أبا أسامة ، الكوفي العابد ، روى عن أنس رضي الله عنه ، ثقة إلا أنه يوسل ويدلس ، مات في سجن الحجاج سنة ثلاث وتسعين ، وقيل : اثنتين وتسعين ، وله أربعون سنة .  
انظر اللباب (١/٢٣٣) وتقريب التهذيب ٢٤ .

وأما هذا القول فلم أجد من ذكره عنه - بل روى من طريقه قول ابن مسعود وهو أن الماعون العارية . انظر تفسير عبد الرزاق (ق/١٧٦/ب) وتفسير الطبري (٣٠/٣١٨) وروى هذا القول ( أي أن المراد الزكاة ) عن ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية وقنادة والضحاك وغيرهم .

راجع لمعرفة أقوالهم المصادر المذكورة في الهامش رقم ٢ والدر المنثور (٦/٤٠٠ - ٤٠١) قال : قال مالك : هي الزكاة ، والمراد بها المنافع يضمنها " .

وقال ابن عباس : هو العارية<sup>(١)</sup> ، وسميت ماعوناً لأن الناس يعين بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup>  
وقد ورد في الخبر : أنه مثل الماء والطح والغاس والقدر والمقدحة وما أشبه ذلك<sup>(٣)</sup> .  
(٤)

- (١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٨/٣٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٢٢ رقم ٢٢٣٥٤) والحاكم في مستدركه (٥٣٦/٢) من طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : الماعون العارية . وقال الحاكم : "صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي . ورواه عنه غير سعيد بن جبير ، انظر تفسير الطبري (٣١٨/٣٠-٣١٩) وانظر أيضا تفسير مجاهد (٧٨٨/٢) .
- (٢) قال الجوهري في الصحاح (٢٢٠٥/٦) : "من الناس من يقول : الماعون أصله معونة والألف عوض من الهاء" . وقال ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٨٤/٤) : "الماعون : مفعول من أعان يعين ، والمعون : هو الإمداد بالقوة والاكسنة والأسباب الميسرة للأمر" . انظر أيضا تفسير القرطبي (٢١٤/٢٠) .
- وأما الذين ذهبوا إلى أن المراد من الماعون الزكاة المفروضة قالوا : الماعون فاعول من المعن ، وهو الشيء التذليل ، ومنه قول العرب : ماله سَعَنَةٌ ولا مَعْنَسَةٌ . أي شيء قليل ، فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعوناً لأنه قليل من كثير . انظر الصحاح للجوهري (٢٢٠٤/٦) وتفسير البغوي (٣٠٠/٧) وتفسير الرازي (١١٦-١١٥/٣٢) وتفسير القرطبي (٢١٤/٢٠) ولسان العرب (٤١٠/١٣) .
- (٣) سقطت كلمة "المقدحة" من نسخة "ب" ، ومعنى المقدحة : الحديد التي يقدح بها . انظر لسان العرب (٥٥٤/٢) .
- (٤) نقل ابن منظور في لسان العرب (٤١٠/١٣) عن ثعلب أنه قال الماعون : اسم جامع لمنافع البيت كالغاس والقدر وغيرهما مما جرت العادة بعاريته . وقال الجوهري أيضا في الصحاح (٢٢٠٤/٦) نحوه ، وورد ذلك في حديث رواه أبو داود في سننه كتاب الزكاة ، باب في حقوق المال (١٦٥٧ رقم ٣٠٢/٢) والنسائي في السنن الكبرى في التفسير كما في تحفة الأشراف (٤٦/٧ رقم ٩٢٧٣) والبخاري في مسنده كما في كشف الأستار (٨٣-٨٢/٣) وابن جرير في تفسيره (٣١٩/٣٠) كلهم من طريق عاصم عن أبي واثل عن عبد الله قال : "كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر" ، وهذا لفظ أبي داود والنسائي ، وفي لفظ البخاري : زيادة "الغاس" .
- وأورد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٦) بلفظ : كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر والغاس والميزان وما تتعاطون بينكم" وعزا تخريجه أيضا إلى جماعة من المحدثين والمفسرين ، وأورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧٣١/٨) وقال : وإسناده صحيح إلى ابن مسعود . وروى ابن جرير في تفسيره (٣١٦-٣١٩/٣٠) من طرق عديدة عن عبد الله بن مسعود هذا القول ، وانظر أيضا تفسير عبد الرزاق (ق ١٧٦/ب) وانظر هذا القول (أي أن الماعون هو ما يتعاطونه الناس من الإبرة والغاس والماء والنار وغيرها) في تفسير العاودي (٥٣٠/٤) ، وتفسير البغوي (٣٠٠/٧) وزاد المسير (٢٤٥/٩) وتفسير القرطبي (٢١٤/٢٠) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم ما الذى لا يحل منعه قال : الماء والملح والنار - <sup>(١)</sup> وفى بعض الروايات زيادة : والجمروالدلو. <sup>(٢)</sup>

وحكى أبو الحسين بن فارس <sup>(٣)</sup> عن أبيه فارس <sup>(٤)</sup> وذكرنا أن الماعون هو الماء ، حكاه عن أهل اللغة <sup>(٥)</sup> ، وقد ذكره النحاس أيضا فى كتابه <sup>(٦)</sup> ، وأنشدوا :

( ١ ) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الرهون ، باب المسلمون شركاء فى ثلاث ( ٩٢ / ٢ )  
والشعابى فى تفسيره ( ١٣ / ١٦٣ / ب ) كلاهما من طريق على بن زيد بن جدعان  
عن سعيد بن المسيب عن عائشة أنها قالت : يارسول الله . ما الشئ الذى لا يحل  
منعه ؟ قال : الماء والملح والنار ، قالت : قلت : يارسول الله هذا الماء  
قد عرفناه فما بال الملح والنار ؟ قال : يا حميرا . من أعطى نارا فكأنما تصدق  
بجميع ما نضجت تلك النار ، ومن أعطى ملحا فكأنما تصدق بجميع ما طيب ذلك  
الطح ، ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ، ومن  
سقى مسلما شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحيها .  
أورد القوطى فى تفسيره ( ٢٠ / ٢١٥ ) وقال : فى إسناده لين .  
قلت : بل هو ضعيف ، لأن فى إسناده على بن زيد بن جدعان ، وتقدم عن الحافظ  
أنه ضعيف وهكذا حكم على الحديث بالضعف البوصيرى فى الزوائد . انظر حاشية  
السندى على سنن ابن ماجه ( ٩٢ / ٢ ) .

( ٢ ) لم أجد من رواه بهذه الزيادة . وقد أورد أبو حيان هذا الحديث فى البحر  
المحيط ( ٨ / ٥١٨ ) فقال : وفى الحديث سئل صلى الله عليه وسلم عن الشئ  
الذى لا يحل منعه ، فقال : الماء والملح والنار ، وفى بعض الطرق الإبسرة  
والخمير .

( ٣ ) هو صاحب المجلد فى اللغة ومعجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا  
القفوى . تقد مترجمته فى ص ( ١٢٧ ) .

( ٤ ) هو فارس بن زكريا ، كان فقيهاً شافعيًا . انظر طبقات الشافعية للأسنوى ( ٢ / ٢٦٥ ) .  
( ٥ ) لعله ذكره فى تفسيره . وذكره الفراء أيضا فى معانى القرآن ( ٣ / ٢٩٥ ) قال : سمعت  
بعض العرب يقول : الماعون هو الماء .

وذكر هذا القول الماورى فى تفسيره ( ٤ / ٥٣٠ ) وابن الجوزى فى زاد المسير  
( ٩ / ٢٤٦ ) والرازى فى تفسيره ( ٣٢ / ١١٦ ) والقوطى فى تفسيره ( ٢٠ / ٢١٤ ) ،  
وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٨ / ٥١٨ ) وابن جزى فى التسهيل ( ٤ / ٢٢٠ ) كلهم من  
قول الفراء سوى الماورى وابن جزى .

( ٦ ) ذكره النحاس فى إعراب القرآن ( ٣ / ٧٧٦ ) قال : وحكى الفراء عن بعض  
العرب : الماعون الماء .

" يَمَجُّ صَبِيرًا الْمَاعُونَ مَجًّا " (١) وَأُنشِدُوا فِي الْمَاعُونَ بِمَعْنَى الزَّكَاةِ  
 قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَنْعَمُوا وَمَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَ (٣)

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٤/٤٣٩) : " الصَّبِيرُ : السحاب الأبيض الذي يصرُّ بعضه فوق بعض درجا " .

(٢) استشهد به الفراء في معاني القرآن (٣/٢٩٥) وقال : لست أحفظ أوله ، وكذا أنشده ابن جرير في تفسيره (٣٠/٣١٤) والنحاس في إعراب القرآن (٣/٧٧٦) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٤٦) والرازي في تفسيره (٣٢/١١٦) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢١٤) وابن منظور في لسان العرب (١٣/٤١٥) وعند الجميع (صبأ) بدل مجأ) - وأنشده ابن منظور أيضا يستشهد به على أن الماعون

معناه المطر فقال :  
 يَمَجُّ صَبِيرُهُ الْمَاعُونَ مَجًّا إِذَا نَسَمٌ مِنَ الْهَيْفِ اعْتَرَا هُ

(٣) البيت للراعي عبيد بن حصين بن جندل وهو شاعر إسلامي . والبيت في جمهرة أشعار العرب (ص ٩٢٥) في قصيدة طويلة له وأوله فيه هكذا :-  
 قوم على الإسلام لَمَّا يتركوا .....

وأنشده أيضا أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٣١٣) وابن جرير في تفسيره (٣٠/٣١٤) والزمخشري في الكشاف (٤/٨٠٥) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢١٤) والجوهري في الصحاح (٥/٢٢٠٥) وابن منظور في لسان العرب (١٣/٤١٠) كالمعتاد ما أنشده المؤلف سوي ابن منظور فإنه قال :  
 قوم على التنزيل لَمَّا يَنْعَمُوا مَاعُونَهُمْ وَيُذَلُّوا التَّنْزِيلَ

هذا وذكر المفسرون في معنى الماعون أقوالا أخرى . منها : أنه المعسوف ، قاله محمد بن كعب ، ومنها : أنه المال بلسان قريش ، قاله سعيد بن المسيب والزهري ومنها أيضا : أنه الطاعة . قاله ابن عباس . قال أبو عبيد في مجاز القرآن (٢/٣١٣) :  
 " هو في الجاهلية كل منفعة وعطية ، قال الأعشى :  
 يَا جُودَ مِنْهُ بِمَاعُونِيهِ إِذَا مَا سَمَاوُهُمْ لَمْ تَفِمْ ،  
 والماعون في الإسلام الطاعة والزكاة . ومنها ما قاله عبد الله بن عمر : منع الحق .

وغير ذلك من الأقوال وقد أوصلها الماوردي في تفسيره (٤/٥٣٠) إلى تسعة أقوال ، وأوصلها القرطبي في تفسيره (٢/٢١٣-٢١٥) إلى اثني عشر قولاً . وانظر أيضا تفسير الطبري (٣٠/٣١٦-٣١٩) وتفسير البقوي (٧/٣٠٠) وزاد المسير (٩/٢٤٥-٢٤٦) والصحاح (٦/٢٢٠٤-٢٢٠٥) ولسان العرب (١٣/٤١٠) . وأما الراجح من هذه الأقوال فقال النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٧٦) بعد أن ذكر بعض ما قيل في معناه : وهذه الأقوال ترجع إلى أصل واحد ، وإنما هو الضن بالشئ ، اليسير الذي يجب ألا يظن به ، مشتق من المَعْن وهو الشئ القليل " . وأما ابن كثير فذهب إلى السي اختيار ما قاله عكرمة : وهو أن رأس الماعون زكاة المال ، وأدناه المنخل والدلو والإبرة رواه ابن أبي حاتم ، قال ابن كثير : هذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شئ واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ، ولهذا قال محمد ابن كعب (ويمنعون الماعون) قال : المعروف ، ولهذا جاء في الحديث " كل معسوف صدقة " انظر تفسير ابن كثير (٤/٥٥٦) وهذا هو الصواب في معنى الماعون .

تفسير سورة الكوثر <sup>(١)</sup> وهى مكية

روى المختار بن قُذَافٍ عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى <sup>(٢)</sup> أغفى <sup>(٣)</sup> إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً ، فقلت : ما أضحكك

(١) أورد البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) هذه السورة ضمن السور التي أنزلت بمكة وذلك فيما رواه عن عكرمة والحسن ، وأورد السيوطي في الدر المنثور (٤٠١/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم أنها نزلت بمكة ، وذكر هذا القول المأثور في تفسيره (٥٣١/٤) والقرطبي في تفسيره (٢١٦/٢٠) ونسباه إلى ابن عباس والكلبى ومقاتل ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٤٧/٩) وأبو حيان في البحر المحيطة (٥١٩/٨) ونسباه إلى الجمهور ، ووصفه أبو حيان بأنه هو المشهور .

وهناك قول آخر وهو أن هذه السورة مدنية وهو قول الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد - كذا ذكره كل من الماوردي وابن الجوزي والقرطبي وأبو حيان . وهو يخالف ما رواه البيهقي عن الحسن وعكرمة - واختاره السيوطي في الإتقان (١٥/١) فقال :

والصواب أنها مدنية ، ورجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس ثم أورد الحديث الآتي عند المؤلف ، وفيه ( أنزلتني آنفاً سورة " . وقال ابن كثير في تفسيره (٥٥٦/٤) : " وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية " وقد ورد في سبب النزول لهذه السورة ما يقتضى نزولها بمكة ، وسيأتى ذكر البعض منها في ص (١٠٩٦-١٠٩٧) . وقد ذهب إلى ذلك أكثر المفسرين كما تقدم ، وقد أشار إلى ذلك الألبانى في روح المعاني (٢٤٤/٣٠) وقال : ومن هنا استشكل أمرها وذكر الخفافى أن لبعضهم تأليفاً صحح فيه أنها نزلت مرتين وحينئذٍ فلا اشكال " ١ هـ . وهذا الحديث الذى استدل به القائلون بأنها مدنية رواه البيهقي في سننه (٤٣/٢) من وجه آخر بلفظ : ثم رفع رأسه فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . . . الحديث " وليس فيه " أنزلتني آنفاً " .

وقال البيهقي : المشهور فيما بين أهل التفاسير والمغازى أن هذه السورة مكية ، وهذا اللفظ لا يخالفه فيشبه أن يكون أولى " .

(٢) في النسختين " إذا " والصواب ما أثبتته : كذا هو في صحيح مسلم .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (٢٧٦/٣) غَفَوْتُ غَفْوَةً : أى نمت نومة خفيفة ، يقال : أغفى بإغفاء وإغفاءة : إذا نام .

يارسول الله ، فقال : أنزلت علي ، آتفاً سورة فقرأ<sup>(١)</sup> بسم الله الرحمن الرحيم ( إننا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وأنحر إن شاء الله هو الأبت<sup>(٢)</sup> ) ، ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدني<sup>(٣)</sup> ربي خيراً كثيراً ، هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آتيه عدد نجوم السماء فيختلج<sup>(٤)</sup> العبد منهم فأقول : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فيقول : إنك لاتدري ماأحدثوا بعدك ، رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة<sup>(٥)</sup> عن علي بن مسهر عن المختار بن فلفل<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) في الأصل بعد قوله ( فقرأ ) زيادة ( والله أعلم ) وهي غير موجودة في نسخة "ب" ، وهذا هو الصواب ، وكذا هي غير موجودة في صحيح مسلم .

( ٢ ) أي يُجْتَذَبُ وَيُقْتَطَعُ . انظر النهاية ( ٥٩ / ٢ ) .

( ٣ ) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي الأصل ، أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي ، ثقة حافظ صاحب تصانيف ، مات سنة خمس وثلاثين ومائتين . انظر تقريب التهذيب ( ١٨٢ ) .

( ٤ ) هو علي بن مسهر القرشي الكوفي قاضي الموصل ، ثقة له غرائب بعد ما أُضْرِبَ ( أي صار ضريباً ) مات تسع وثمانين ومائة . المصدر السابق ( ص ٢٤٩ ) .

( ٥ ) انظر صحيح مسلم - كتاب الصلاة ، باب حجة من قال : البسطة آية من كل سورة ( ١١٢ / ٤ ) رواه عن ابن أبي شيبة مقروناً مع علي بن حجر ، والحد يسكت رواه أيضا أبو داود في سننه - كتاب باب في الحوض ( ١١٠ / ٥ رقم ٤٢٤٢ ) . والنسائي في سننه - كتاب الافتاح - باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ( ١٣٣ / ٢ ) - ( ١٣٤ ) والإمام أحمد في مسنده ( ١٠٢ / ٣ ) كلهم من طريق المختار بن فلفل عن أنس بن مالك به .



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله ( إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْشُرَ ) قد بينا (١) .  
 وروى همام (٢) عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما  
 أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قِيَابٌ اللؤلؤء المَجْجُوفُ (٣) فقلت :  
 ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا الكَوْشُرُ الذي أعطاك ربك فضرب الطلح بيده  
 فإذا طينه مسكٌ أذفر (٥) .

قال - رضي الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسن بن النور ، أخبرنا  
 أبو القاسم ابن حباية أخبرنا البفسوى ، أخبرنا هُدْبَةُ (٦) عن همام - الحديث .  
 وأخرجه البخارى عن هُدْبَةَ (٧) .

(١) لعله يقصد ما جاء في الحديث السابق من التعريف بالكوشر .

(٢) هو همام بن يحيى بن دينار العوزى ، أبو عبد الله أو أبو بكر البصرى ، ثقة ربما  
 وهم ، مات سنة أربع أو خمس وستين ومائة .  
 انظر تقريب التهذيب ( ص ٣٦٥ ) .

(٣) قال المباركفورى فى تحفة الأحوذى ( ٢١٩ / ٤ ) : القِيَاب بكسر القاف وتخفيف  
 الباء الموحدة الأولى جمع قبة : وهو بناء سقفه مستدير مقعر .

(٤) مجوف : أى واسع الجوف .

انظر فتح البارى ( ٦٢٤ / ٨ ) .

(٥) أى طيب الريح ، قال ابن الأثير فى النهاية ( ١٦١ / ٢ ) : الذَّفْر : بالتحريك :  
 يقع على الطيب والكريم ، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به .

(٦) هو هُدْبَةُ بن خالد .

(٧) انظر صحيح البخارى - كتاب الرقاق - باب فى الحوض ( ٤٦٤ / ١١ ) رقم ( ٦٥٨١ )  
 رواه عن هُدْبَةَ مع أبى الوليد مقروناً .

وذكر أن هُدْبَةَ شك فى روايته فقال : فإذا طيبه - أو طينه .

ورواه أيضا من طريق آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه  
 قال : لَمَاعِجٌ بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال : أتيت على نهر حافتاه

٠٠/٠٠

قِيَابُ اللُّوْءِ مُجَوَّفٌ ، قَطَّتْ : ما هذا يا جبريلُ ، فقال : هذا الكوثرُ " ففيه تصريح بأن ذلك كان ليلة الإسراء ، انظر أيضا كتاب التفسير - باب سورة ( إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ) ( ٧٣١/٨ رقم ٤٩٦٤ ) ولا يوجد في الموضعين قوله ( فضرب الملك بيده ) ، وذكر الحافظ في فتح الباري ( ٧٣٢/٨ ) أن البيهقي رواه من طريق آدم شيخ البخاري فزاد بعد قوله : ( الكوثر ) : " والذي أعطاك ربك ، فأهوى الملك بيده فاستخرج من طينه سكا أن فر " . وأورده البخاري بهذه الزيادة في الرقاق من طريق همام عن أبي هريرة " ١ هـ .

( كذا قال ، والصواب فيما يظهر لي من طريق همام عن قتادة عن أنس كما هو

في كتاب الرقاق ) .

وأما الزيادة فهي موجودة في كتاب الرقاق ولكن بدون قوله ( فأهوى الملك بيده ) والحدِيث أَخْرَجَهُ أَيْضَا التِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ - بَابُ مِنْ سُورَةِ الْكَوْثَرِ ( ٤٤٩/٥ رقم ٣٣٥٩ ) وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي سَنَدِهِ ( ١٠٣/٣ ، ١١٥ ، ١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٦٣ ، ٢٨٩ ) وَابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٣٢٣/٣٠ - ٣٢٤ ) وَالْبَيْهَقِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٣٠٢/٧ ) مِنْ طَرِيقِ أَكْثَرِهَا عَنْ قِتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ - بَعْضُهَا بِالزِّيَادَةِ الْمَذْكُورَةِ وَبَعْضُهَا بِدُونَ الزِّيَادَةِ ، كَمَا أَنَّ فِي بَعْضِهَا ( فَضْرَبَ بِيَدِهِ ) وَفِي بَعْضِهَا الْآخَرَ ( فَضْرَبَتْ بِيَدِي ) وَفِي الْبَعْضِ ( فَأَهْوَى بِيَدِهِ ) .

وذكره أبو عيسى في كتابه بروايته عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ حَافَتَاهُ قِيَابُ اللَّوْلُؤِ نَظَّتِ لِلْمَلِكِ مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أُعْطَاكَهُ اللَّهُ ، قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَيَّ طِينَةً فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا مِسْكًَ ثُمَّ رَفَعَتْ فِي سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا نُورًا عَظِيمًا ، قَالَ : وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . (١)

وروى أيضا بطريق مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ (٢) عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَجْرَاهُ / عَلَى الدَّرِّ ٣٤٦ / وَالْيَاقُوتِ ، تَرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَمَاوُهُ أَهْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ النَّجِّ قَالَ : هُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ . (٣)

(١) انظر سنن الترمذي ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة الكوثر (٤٤٩/٥ ، رقم ٣٣٦٠) رواه عن أحمد بن منيع حدثنا شريح بن النعمان حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة به .

(٢) في النسختين ( محارب بن دثار ) والصواب ما أثبتته . وهو محارب بن دثار السدوسي الكوفي القاضي ، ثقة امام زاهد ، مات سنة ست عشرة ومائة . انظر تقريب التهذيب ( ص ٣٢٩ ) .

(٣) انظر سنن الترمذي كتاب التفسير ، باب ومن سورة الكوثر (٤٤٩/٥ - ٤٥٠ رقم ٣٣٦١) رواه عن هناد ، حدثنا محمد بن فضال عن عطاء بن السائب عن مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ به . وقال الترمذي في الحديث : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وأخرجه أيضا ابن ماجه في سننه - باب صفة الجنة (٥٩٢/٢) والإمام أحمد في مسنده (١١٢/٢) وأيضا في (٦٧/٢ ، ١٥٨٠) مختصراً ، وابن جرير في تفسيره (٣٠٠/٣٠ ، ٣٢٤) والبغوي في تفسيره (٣٠٢/٢) كلهم من طرق عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار به . وإسناده صحيح مع أن عطاء بن السائب اختلط فسي آخر عمره . لأنه يوجد في إحدى الطرق عند الإمام حماد بن زيد . وهو ممن روى عن عطاء قبل الإختلاط .

انظر الكواكب النيرات (ص ٣٢٥) وتعليق أحمد محمد شاكر على المسند (١٥٩/٨) رقم

وفي بعض التفاسير برواية عائشة - رضى الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أراد أن يسمع خريز الكوشر فليدخل أصبعه في أذنيه <sup>(٢)</sup> وهو غريب جداً .

وفي الكوشر قول آخر : وهو أنه الخير الكثير ، فهو فوعل من الكثرة . وقد أعطى الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من الخير ما لا يحصى ولا يعد كثرة فسى الدنيا والآخرة <sup>(٣)</sup> .

وقال الحسن البصرى : هو القرآن <sup>(٤)</sup> ، وقيل : الظم والقرآن <sup>(٥)</sup> .

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٢/٢١) : " خريز الماء : صوته " .

(٢) لم أجد من رواه مرفوعاً .

وقد روى هناد في الزهد (١/١٣١ رقم ١٤١) وابن جرير في تفسيره (٣٠/٣٢١) عن وكيع ، عن أبي جعفر الرازى عن ابن أبي نجيب ، عن عائشة قالت : من أحب أن يسمع خريز الكوشر ، فليجعل أصبعه في أذنيه " .

وهذه الرواية منقطعة لأن ابن أبي نجيب لم يسمع من عائشة " . وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٣٠/٣٢٠) من طريق أخرى عن أبي جعفر الرازى عن ابن أبي نجيب ، عن مجاهد ، عن رجل عن عائشة قالت : الكوشر نهر في الجنة ليس أحد يدخل إصبعه في أذنيه إلا سمع خريز ذلك النهر " .

وهي أيضا ضعيفة لأن في إسنادها رجلاً مبهماً .

(٣) ذكر ابن جرير في تفسيره (٣٠/٣٢١) هذا القول ، فقال بعد أن ذكر القول الأول وهو أن الكوشر : نهر في الجنة أعطاه الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : عنى بالكوشر : الخير الكثير . ثم روى هذا القول بسنده عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس . وعن مجاهد - وقد ذكره من قول ابن عباس الماوردى في تفسيره (٤/٥٣١) والبغوى في تفسيره (٧/٣٠١) وقال : قال أهل اللغة : الكوشر فوعل من الكثرة كنوغل فوعل من النفل ، والحرب تسمى كل شئ كثيراً في العدد أو كثير في القدر والخطر كوشراً " .

انظر أيضا زاد المسير (٩/٢٤٨) والبحر المحيط (٨/٥١٩) .

(٤) أورده السيوطى في الدر المنثور (٦/٤٠٣) وعزا تخريجه إلى ابن أبي حاتم ، وذكره من قوله الماوردى في تفسيره (٤/٥٣١) والبغوى في تفسيره (٧/٣٠١) ، وابن الجوزى في زاد المسير (٩/٢٤٩) إلا أنه قال : الملم والقرآن ، وذكره القرطبى في تفسيره (٢٠/٢١٧) وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٥١٩) .

(٥) كذا في الأصل (الظم والقرآن) وأنا لم أجد من ذكر عنه هذا القول ، وفي نسخة " ب (الملم والقرآن) وتقدم نقلاً عن ابن الجوزى أنه قوله الحسن " هذا وقد ذكر المفسرون في معنى الكوشر أقوالاً أخرى عديدة أوصلها ابن الجوزى

٠٠/٠٠

في زاد المسير ( ٢٤٧/٩ - ٢٤٩ ) إلى ستة أقوال والماوردي في تفسيره ( ٥٣١/٤ ) إلى تسعة أقوال ، والقرطبي في تفسيره ( ٢١٦/٢ - ٢١٨ ) إلى ستة عشر قولاً ، والصواب هو القول الأول ، وهو أن المراد من الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، لأنه هو الذي وردت به الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دام ثبت تخصيصه بذلك النهر العظيم من لفظ النسبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه ، وبه قال ابن جرير في تفسيره ( ٣٢٣/٣٠ ) ، والبغوي في تفسيره ( ٣٠١/٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢١٨/٢٠ ) وابن جرير في التسهيل ( ٢٢٠/٤ ) وابن حجر في الفتح ( ٨٣٢/٨ ) والمباركفوري في تحفة الأحوسدي ( ٢١٩/٤ ) ، والإيمان بإثباته للنبي صلى الله عليه وسلم هو مذهب أهل السنة والجماعة لأن الأحاديث التي وردت به تبلغ حد التواتر ، إن روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة أكثر من ثلاثين صحابياً ، كما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ( ٤٦٧/١١ ) نقلاً عن النووي ، وقال : " وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف ، وأنكرت ذلك طائفة من المهتدة وأحاله على ظاهره ، وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حملته على ظاهره وحق يقته ، ولا حاجة تدعو إلى تأويله ، فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة السلف " .

انظر أيضاً الشرح والإبانة لابن بطة ( ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ) ولوامع الأنوار للسفاري

٠ ( ١٩٤/٢ - ١٩٥ )

وقوله ( فصل لربك وانحر ) أى صل الصلوات الخمس ، وانحر البدن .<sup>(١)</sup>  
 وقيل : صل بجمع وانحر بمعنى ، قاله مجاهد وعطاء .<sup>(٢)</sup>

وعن علي رضي الله عنه : إن معنى قوله ( وانحر ) هو وضع اليمين  
 على الشمال في الصلاة على النحر ، وقيل : ( وانحر )<sup>(٣)</sup>

( ١ ) هو قول مقاتل في تفسيره ( ق ٤٠٦ / ب ) وقد ذكر الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٥٣١ ) ،  
 أولاً الأقوال التي وردت في معنى قوله ( فصل لربك ) فقال : فيه ثلاثة  
 أقاويل : أحدها : الصلاة المكتوبة ، وهى صلاة الصبح بمزدلفة . قاله  
 مجاهد ، والثاني : صلاة العيد ، قاله عطاء ، والثالث : معناه اشكر لربك  
 قاله عكرمة . وكذا ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٩ / ٢٤٩ ) إلا أنه قال :  
 أحدها : صلاة العيد ، وقال قتادة : صلاة الاضحى ، والثاني : صلاة الصبح  
 بالمزدلفة قاله مجاهد والثالث : الصلوات الخمس ، قاله مقاتل . ثم ذكرنا  
 ما قيل في معنى قوله ( وانحر ) وأوردنا فيه خمسة أقوال . أحدها : انبج  
 يوم النحر ، عزاه الماوردي إلى ابن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة . وقال ابن الجوزي  
 رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال عطاء ومجاهد والجمهور ، وستأتي  
 بتسمية الأقوال ، انظر أيضا أحكام القرآن لابن العربي ( ٤ / ١٩٨٦ ) .

( ٢ ) رواه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٧٧ / ١ ) في سياق واحد عن الثوري عن ابن أبي نجيح  
 عن مجاهد ، وقطر عن عطاء : صل الصبح بجمع وانحر البدن بمعنى ، وقال ابن جرير  
 في تفسيره ( ٣٠ / ٣٢٦ ) : " وقال آخرون : عنى بقوله ( فصل لربك ) المكتوبة ، بقوله  
 ( وانحر ) نحر البدن ، ثم روى بسنده عن عنبسة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال :  
 الصلاة المكتوبة ، ونحر البدن ، كما روى من طريق وكيع عن قطر عن عطاء بن السائب  
 أنه قال : صلاة الفجر ، وانحر البدن . وكذلك روى من طريق عطاء عن سعيد بن  
 جبير وحجاج أنهما قالا : صلاة الفداة بجمع ، ونحر البدن بمعنى . انظر أيضا  
 تفسير البغوي ( ٧ / ٣٠٤ ) والكشاف ( ٤ / ٨٠٧ ) وقد ذكر الزمخشري هذا القول  
 عن عطية ، وانظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢٠ / ٢١٨ ) .

( ٣ ) رواه عبد الرزاق في تفسيره ( ق ١٧٦ / ب ، ١٧٧ / ١ ) وابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ٣٢٥ -  
 ٣٢٦ ) والنحاس في إعراب القرآن ( ٣ / ٧٧٧ - ٧٧٨ ) والحاكم في مستدرک ( ٢ / ٥٣٧ )  
 والبيهقي في سننه ( ٢ / ٢٩ ) بإسنادهم عن عاصم الجحدري عن عقبة بن ظهير ( فسى  
 المستدرک والسنن للبيهقي : عقبة بن صهبان ، وقال البيهقي : كذا قال شيخنا :  
 عاصم الجحدري عن عقبة بن صهبان ) عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى ( فصل  
 لربك وانحر ) قال : وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ، ثم وضعها على  
 صدره " هذا لفظ الطبري في إحدى الروايات . وفي رواية أخرى : وضع اليمين على  
 الشمال في الصلاة " . قال ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٥٥٨ ) بعد ذكره لهذا القول  
 ( أى أن المراد وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر ) : " يروى هذا  
 عن علي ولا يصح " اهـ . ونسب ذلك إلى ابن عباس ومحمد بن كعب أيضا .  
 انظر تفسير الماوردي ( ٤ / ٥٣١ ) وتفسير البغوي ( ٧ / ٣٠٤ ) والكشاف ( ٤ / ٨٠٧ ) ،  
 وزاد المسير ( ٩ / ٢٤٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠ / ٢١٩ ) والدال المنثور ( ٦ / ٤٠٣ ) .

واستقبل القبلة<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر<sup>(٢)</sup>:

أبا حكيم هل أنت عم مجاليد<sup>(٤)</sup>      وسيد أهل الأبطح<sup>(٥)</sup> المتناحر<sup>(٦)</sup>

وروى مقاتل بن حيان<sup>(٧)</sup> من الأصمغ بن نباتة<sup>(٨)</sup> عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أعطناك الكوثر فصل لربك وانحر) قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام: ما هذه النخيرة التي أمرني بها ربي؟ قال: إنها لست بنخيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت بالصلاة أن ترفع

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٤٠٣/٦) عن أبي الأحموس وعزا تخريجه إلى ابن أبي حاتم، وذكره من قوله الطاوردي في تفسيره (٥٣١/٤) وأبو حيان في البحر المحيط (٥٢٠/٨) وذكره القرطبي في تفسيره (٢١٩/٢٠) من رواية أبي صالح عن ابن عباس، ثم قال: قاله الفراء والكلبى وأبو الأحموس. وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٠/٩) من قول الفراء.

وانظر قول الفراء في معاني القرآن (٢٩٦/٣) واستدل لهذا القول فقال: سمعت بعض العرب يقول: منازلنا تتناحر، هذا بنحر هذا، أي قبالتة وانظر أيضا تفسير الطبري (٣٢٨/٣٠).

(٢) قال الفراء: وأنشدني بعض بني أسد.

(٣) في نسخة "ب" (لنا).

(٤) في النسختين (عمر) والصواب ما أثبتته، كذا هو في المصادر الأخرى.

(٥) في نسخة "ب" الأفلح) والصواب ما أثبتته، كذا هو في المصادر الأخرى.

(٦) البيت في معاني القرآن للفراء (٢٩٦/٣) وفي تفسير الطبري (٣٢٨/٣٠) وتفسير الثعلبي (١٦٨/١٣ ب) وتفسير القرطبي (٢١٩/٢٠) ولسان العرب (١٩٢/٥).

(٧) هو مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي الخزاز (بزائين منقوتين) صدوق فاضل، وأخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه، وإنما كذب مقاتل بن سليمان الأزدي صاحب التفسير المعروف، وتوفى مقاتل بن حيان قبل الخمسين ومائة بأرض الهند. انظر التقريب (٣٤٦).

(٨) هو أصمغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي يكنى أبا القاسم متروك، رمس بالرفض، قال ابن حيان: فتن بحب علي فأتى بالطامات، فاستحق من أجلها الترك. انظر ميزان الاعتدال (٢٧١/١) وتقريب التهذيب ٣٨.

يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع فإنها من صلاتنا وصلاة  
الملائكة في السماوات السبع .<sup>(١)</sup>

وعن محمد بن كعب القرظي : إن قوماً كانوا يصلون وينحرون لغير الله ، فقال  
الله تعالى ( فصل لربك وانحر ) : أي اجعل صلاتك ونحرك لله .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ( ٥٥٨ / ٤ ) والحاكم في مستدركه ( ٥٣٨ / ٢ )  
والثعلبي في تفسيره ( ١٦٧ / ١٣ ب ) كلهم من طريق إسرائيل بن حاتم المسروزي  
عن مقاتل بن حيان به - بعثه - إلا أن ابن أبي حاتم زاد في آخره فقال : " وإن  
لكل شيء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة " . وزاد الحاكم فقال :  
قال النبي صلى الله عليه وسلم : رفع الأيدي من الاستكانة التي قال الله عز وجل  
( فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ) .

وعند الثعلبي : كلتا الزياتين ، وهو ضعيف جداً ، قال فيه الذهبي :  
إسرائيل صاحب عجائب لا يعتمد عليه وأصبح شيعي متروك عند النسائي . ووصفه  
ابن كثير بأنه منكر جداً " آه " . وهو أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون في معنى  
قوله ( وانحر ) فقالوا : قيل : معناه رفع اليدين بالتكبير إلى النحر ، قاله علي ،  
وأبو جعفر الباقر . انظر تفسير الطبري ( ٣٢٤ / ٣٠ ) . وتفسير الطاوري ( ٥٣٧ / ٤ )  
وزاد المسير ( ٢٤٩ / ٩ ) وتفسير القرظي ( ٢١٩ / ٢٠ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٥٨ / ٤ ) .

( ٢ ) روى ابن جريو في تفسيره ( ٣٢٧ / ٣٠ ) بسنده عن أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي  
أنه كان يقول في هذه الآية : إن ناساً كانوا يصلون لغير الله ، وينحرون لغير الله ،  
فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي .

وذكره من قوله الثعلبي في تفسيره ( ١٦٦ / ١٣ ب ) والبغوي في تفسيره ( ٣٠٤ / ٧ )  
وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٤٩ / ٩ ) والقرظي في تفسيره ( ٢٢٠ / ٢٠ ) وابن كثير  
في تفسيره ( ٥٥٩ / ٤ ) وفي معنى الآية أقوال أخرى ذكرها بعض المفسرين . منها  
ما ذكره ابن جريو في تفسيره ( ٣٢٥ / ٣٠ ) فقال : قال بعضهم : حُضه على المواظبة  
على الصلاة المكتوبة ، وعلى الحفظ عليها في أوقاتها ، بقوله ( فصل لربك وانحر ) .  
ولم يرو هذا القول عن أحد من أئمة التفسير ، وإنما روى تحت هذا القول عن علي بن  
أبي طالب رضي الله عنه أن معناه : وضع اليد على اليد في الصلاة ثم وضعهما  
على الصدر .

ومنها : ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه وهو أنه كان صلى الله عليه وسلم  
ينحر قبل أن يصل ، فأمر أن يصل ثم ينحر . رواه ابن جريو في تفسيره ( ٣٢٦ / ٣٠ )  
وذكره القرظي في تفسيره ( ٢١٨ / ٢٠ ) .

ومنها : أن الآية نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم  
عن البيت ، فأمره الله تعالى أن يصل وينحر البدن ، وينصرف ففعل ذلك ، رواه  
ابن جريو في تفسيره ( ٣٢٧ / ٣٠ - ٣٢٨ ) عن سعيد بن جبير ، وذكره القرظي  
من قوله .



.. / ..

ومنها أيضا ما قاله الضحاك وهو أن معنى ( وانحر ) وسل ، رواه عنه الطبري ، وذكره من قوله الماوردي في تفسيره ( ٥٣١ / ٤ ) . وأما الراجح من هذه الأقوال فذهب ابن جرير في تفسيره ( ٣٢٨ / ٣٠ ) إلى اختيار القول بأن معنى الآية : فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كف له ، وخصك به من إعطائك إياك الكوثر ، ثم ذكر سبب اختياره فقال : لأن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بما أكرمه به من عطيته وكرامته وإنعامه عليه بالكوثر ، ثم أتبع ذلك قوله ( فصل لربك وانحر ) فكان معلوماً بذلك أنه خصه بالصلاة له ، وانحر على الشكر له على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه بإعطائه إياه الكوثر ، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض وبعض النحر دون بعض وجه ، إذ كان حشاً على الشكر على نعم . وقال بذلك ( أى أن معناه إخلاص العبادة من الصلاة والنحر لله تعالى ) ابن العربي في أحكام القرآن ( ١٩٨٨ / ٤ ) وقد ذكر ابن كثير في تفسيره ( ٥٥٩ / ٤ ) هذا الترجيح عن ابن جرير ، ثم قال : وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء .

وذكره المباركفوري أيضا في تحفة الأحمدي ( ٢١٩ / ٤ ) وقال : " ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى : قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) سورة الأنعام الآية ١٥٢ ، ١٦٣ .

وقوله ( إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ) أكثر المفسرين أن المراد به هو العاص بن وائل السهمي <sup>(١)</sup> كان إذا ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعوا ذكره فإنه أبتر، يعني : أنه لا ولد له فإذا مات انقطع ذكره ، واسترحم عنه .

وكانت قريش تقول لمن مات ابنه ولم يكن له ابن : أبتر فقال الله تعالى : ( إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ) يعني مفضك هو الأبتر ، أي الذي انقطع خيره وذكره في الدنيا والأخرة <sup>(٢)</sup> ، والبتر هو القطع <sup>(٣)</sup> .  
وقيل : إِنَّ الْآيَةَ فِي عَقِبِ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) هو العاص بن وائل بن هاشم بن سعد القرشي السهمي والد الصحابي الجليل عمرو ابن العاص ، كان مع صناديد قريش أبي جهل وأبي لهب وغيرهما يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وسلمه معه وكان يستهزئ بهم . انظر سيرة ابن إسحاق ( ص ٢٥٤ ، ٢٥٤ ) .

( ٢ ) روى ابن إسحاق في سيرته ( ص ٢٥٢ ) عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعوه ، فإنما هو رجل أبتر ، لا عقب له ، لو قد هلك قد انقطع ذكره فاسترحم منه ، فسأنزل الله عز وجل ( إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . . . ) حتى قضى السورة \* وذكر نحوه ابن هشام في سيرته ( ٣٠ / ٣ ) والواحدى في أسباب النزول ( ص ٣٤٣ ) والبغوي في تفسيره ( ٣٥٥ / ٧ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٥٩ / ٤ ) عن ابن إسحاق . وذكر هذا القول ( أي أن الآية نزلت في العاص بن أبي وائل ) بن جرير في تفسيره ( ٢٢٨ / ٣٠ - ٢٢٩ ) ثم رواه بسنده عن جماعة من أئمة التفسير منهم ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة ، وذكر بعض المفسرين تفاصيل أخرى في سبب النزول لهذه الآية ولكن كلها تسدل على أن العاص بن وائل وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالأبتر فأنزل الله تعالى في هذه الآية . انظر أسباب النزول للواحدى ( ص ٣٤٣ ) وتفسير البغوي ( ٣٥٥ / ٧ ) وزاد المسير ( ٢٥٠ / ٩ ) وتفسير القرطبي ( ٢٢٢ / ٢٠ ) والدر المنثور ( ٤٠٣ / ٦ ) .

( ٣ ) قال الجوهرى في الصحاح ( ٥٨٤ / ٢ ) : "بَتَّرْتُ الشَّيْءَ بَتْرًا : قطعته قبل التمام ، والانتار : الانقطاع ، والباتر : السيف القاطع " وقال أيضا : والأبتر : الذي لا عقب له .

انظر أيضا تفسير غريب القرآن ( ص ٥٤١ ) والمفردات للأصفهاني ( ص ٢٦ ) . وأما قوله ( إِنَّ شَانِكَ ) فمعناه كما قال أكثر المفسرين : أي مفضك ، انظر مجاز القرآن ( ٣١٤ / ٢ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٥٤١ ) والمفردات ( ص ٢٦٧ ) وذكره الماوردي في تفسيره ( ٥٣٢ / ٤ ) وذكر قولاً آخر عن ابن عباس وهو أن معناه عدوك .

( ٤ ) هو عقية بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الكافر قتل يوم بدر كافراً قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأظح صبراً ، انظر سيرة ابن هشام ( ٢٥٢ / ٢ ) وتهذيب الأسماء واللغات ( ٣٣٧ / ١ ) وذكر هذا القول ( أي أن الآية نزلت في عقية بن أبي معيط ) ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٣٢٩ / ٣٠ ) وروى بسنده عن شمر بن عطية أنه قال : كان عقية بن أبي معيط يقول : إِنَّهُ لَا يَبْقَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدٌ وَهُوَ أَبْتَرٌ ، فأنزل الله فيه هو "الآيات" \* وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٤٠٤ / ٦ ) عن شمر بن عطية عن إبراهيم وعزا تخريجه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وذكره من قول شمر - ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٥٠ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٢٣ / ٢٠ ) ، وأبو حيان في البحر المحيط ( ٥٢٠ / ٨ ) وابن كثير في تفسيره ( ٥٥٩ / ٤ ) .

وقيل : إن المراد به كعب بن الأشرف<sup>(١)</sup> قدم مكة فقالت له قريش : ماتقول : أيها  
 الخير في هذا الصنبور<sup>(٢)</sup> ؟ أهو خير أم نحن ؟ إنه سب آل هتينا وفرق جمعنا ونحن  
 أهل حرم حرّم الله ، وحجيج بيته وسدنته ، فقال : بل أنتم خير منه ، فأنزل الله  
 تعالى ( إن شانئك هو الأبتر ) فيه .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) هو أحد كبار اليهود في المدينة أيام النبي صلى الله عليه وسلم فكان قد بكى  
 على أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر ، وكان يشبب بنساء المسلمين  
 حتى آذاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بابن الأشرف ؟ فقال :  
 محمد بن سلمة : أنا لك به يارسول الله أنا أقتله ، ثم تحايل عليه حتى قتله مع  
 جماعة من الصحابة .

انظر تفصيل القصة في سيرة ابن إسحاق ( ص ٢٩٧ - ٣٠٠ ) وسيرة ابن هشام ( ٢٧٣ - ٢٨٠ ) .

( ٢ ) قال ابن الأثير في النهاية ( ٥٥ / ٣ ) " الصنبور<sup>شبه</sup> : الأبر الذي لا عقب له ، وأصل  
 الصنبور : سعفة تنبت في جذع النخلة لا في الأرض ، وقيل : هي النخلة المنفردة  
 التي يدق أسفلها ، أرادوا أنه إن لم يقطع انقطع ذكره ، كما يذهب أثر الصنبور لأن  
 لا عقب له " .

( ٣ ) رواه البزار في مسنده ( كما في كشف الأستار ٨٣ / ٣ ) بسنده عن عكرمة عن ابن عباس  
 بنحوه - ورواه ابن جرير في تفسيره ( ٣٣٠ / ٣٠ ) من قول عكرمة وأورده ابن كثير في  
 تفسيره ( ٥٥٩ / ٤ ) من رواية البزار وقال : " وهو إسناد صحيح " وقد ذكره  
 الثعلبي في تفسيره ( ١٣ / ١٦٩ / ١ ) والبغوي في تفسيره ( ٣٠٥ / ٧ ) والقرطبي في  
 تفسيره ( ٢٢٣ / ٢٠ ) وذكروا فيمن نزلت هذه الآية أقوالاً أخرى .  
 انظر تفسير الماوردي ( ٥٣٢ / ٤ ) وزاد المسير ( ٢٥٠ / ٩ - ٢٥١ ) وتفسير القرطبي  
 ( ٢٢٣ / ٢٠ ) .

وذكر ابن جرير أن الصواب في ذلك أن يقال : إن الله تعالى أخبر أن مفسد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأقل الأذل المنقطع عقبه ، فذلك صفة كل من  
 أبغضه من الناس ، وإن كانت الآية نزلت في شخص معين .

تفسير سورة " قل يا أيها الكافرون " وهي مكية (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ( قل يا أيها الكافرون ) قال المفسرون : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ( والنجم ) وألقى الشيطان على لسانه عند ذكر أصنامهم " وإن شفاعتهن لترتجى " (٢) فقال الكفار يا ممد نصلح تعبد آلهتنا سنة نعبد آلهتك سنة ، ونعظم الهك وتعظم آلهتنا ، وذكروا من هذا النوع شيئاً كثيراً فحزن النبي صلى الله عليه وسلم لمقاتلتهم ورجع إلى بيته فأنزل الله تعالى هذه السورة وهي (٣)

(١) أورد هذه السورة البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٧) ضمن السور التي نزلت بمكة ، وأورد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٤/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة " قل يا أيها الكافرون بمكة وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره (٥٣٣/٤) ، والقرطبي في تفسيره (٢٢٤/٢٠) من قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٢/٩) وعزاه إلى ابن مسعود والحسن والجمهور ، وكذا عزاه أبوحيان في البحر المحيط (٥٢١/٨) إلى الجمهور ، وفيه قول آخر وهو أن السورة مدنية ، فذكر السيوطي في الدر المنثور (٤٠٤/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن الزبير قال : أنزلت بالمدينة " قل يا أيها الكافرون " وذكره الماوردي والقرطبي من قول قتادة والضحاك ، وذكر أنه أحد قولي ابن عباس . وذكره ابن الجوزي وأبوحيان وقالوا : روى عن قتادة .

(٢) ذكر كثير من المفسرين عند قوله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته . " سورة الحج الآية ٥٢ هذه القصة وهي تعرف بقصة الفرانيق ، وخلصتها أن النسبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة النجم ، فلما بلغ هذا الموضوع ( أفرايم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ) فألقى الشيطان على لسانه : " تلك الفرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى " فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين - فجاءه جبريل وقال له : ماذا صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم تأتك به عن الله سبحانه فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف من الله خوفاً شديداً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية انظر أسباب النزول للواحدى (ص ٢٣٢) وقد رويت هذه القصة من وجوه عديدة ، جمعها ابن كثير في تفسيره (٢٢٩/٣) وقال : كلها مرسله ولم أرها مسندة من وجه صحيح " وقد أنكر هذه القصة واحد من المفسرين ، منهم ابن العربي فإنه أبطل القصة وقال : إن هذا كبر لا يجوز وروده من عند الله . (١٣٠٠-٢ - ١٣٠٠) أحكام القرآن (٣/١٣٠٠-٢) للتفصيل : نصب المجانيق لنسف قصة الفرانيق للألباني .

(٣) قال بنحوه مقاتل في تفسيره ( ١/٤٠٧ ) وهكذا ربط الصلة بين قصة الفرانيق وسبب النزول لهذه السورة وتقدم أن قصة الفرانيق لم تثبت من وجه صحيح ، وذكر غير واحد من المفسرين سبب النزول لهذه السورة

---

٠٠/٠٠

ولم يشيروا إلى قصة الفرانيق ، قال الواحدى فى أسباب النزول (ص ٣٤٣) " نزلت فى رهط من قريش قالوا : يا محمد هلّم اتبع ديننا ونتبع دينك ، تعبد آلهمتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة ، فإن كان الذى جئته خيراً مما بأيدينا قد شركناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه . وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك قد شركت فى أمرنا ، وأخذت بحظك ، فقال : معاذ الله أن أشرك به غيره ، فأنزل الله تعالى " قل يا أيها الكافرون ( إلى آخر السورة . فقد ارسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة ، فأيسوا منه عند ذلك " .

ونذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (٢٥٢/٩) ثلاث روايات فى سبب النزول لهذه السورة ، وفى جميعها أن جماعة من قريش عرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم نفس الخطة ( هى أن يتبع هو دينهم لمدة وهم يتبعون دينه لأخرى ، وليس فى واحدة من هذه الروايات ربط الصلة بين هذا السبب وقصة الفرانيق .

انظر أيضاً تفسير عبد الرزاق ( ق ١٧٧ / ١ ) وتفسير الطبرى ( ٣٠ / ٣٣١ )

وتفسر الماوردى ( ٤ / ٥٣٣ ) وتفسير اليفوى ( ٧ / ٣٠٥ ) وتفسير القرطبى ( ٢٠ / ٢٢٥ )  
ولباب النقل ( ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ) .

( قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون / ) أى اليوم ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) ٣٤٦ ب /  
 اليوم ( ولا أنا عابد ما عبدتم ) فى المستقبل ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) فى  
 المستقبل ( لكم دينكم ولي دين ) لكم جزاء عطفكم ولى جزاء عطى (٢) . قالوا : وهذا  
 فى قوم بأعيانهم منهم الوليد بن المغيرة وأميرة بن خلف ، والعاص بن وائد ، والأسود بن المطلب (٣)  
 وقد كان الله أخبر أنهم يموتون على الكفر (٤) .

( ١ ) ذكر هذا الوجه (أى أن قوله فى الأول " لا أعبد " ولا أنتم عابدون" يعنى فى  
 الحال ، وقوله فى الثانى يعنى فى المستقبل ) الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٥٣٣ ) من  
 قول الأخفش . وذكره البغوى فى تفسيره ( ٧ / ٣٠٦ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ٢٥٤/٩  
 والقرطبى فى تفسيره ( ٢٠ / ٢٢٨ ) وعزاه إلى الأخفش والمبرد \* وهو اختصار  
 أبى عبيدة فى مجاز القرآن ( ٢ / ٣١٤ ) وانظر أيضا صحيح البخارى ( ٨ / ٧٣٣ ) ،  
 وتفسير ابن كثير ( ٤ / ٥٦١ ) وفيه قول آخر وهو أن الأول يعنى فى المستقبل ، والثانى  
 اخبار عنه وعنهم فى الماضى ، ذكره الماوردى والقرطبى وهذا اختيار الزمخشرى  
 فى الكشاف ( ٤ / ٨٠٨ - ٨٠٩ ) .

( ٢ ) ذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٥٣٤ ) وقال : وهذا تهديد منهم ، ومعناه  
 وكفى بجزاء عطى ثواباً ، قاله ابن عيسى . وذكر قولاً آخر وهو أن معناه : لكم دينكم  
 الذى تعتقدونه من الكفر ولى دينى الذى أعتقده من الإسلام ، وهو قول يحيى بن  
 سلام . وقال القرطبى فى تفسيره ( ٢٠ / ٢٢٩ ) : ومعنى ( لكم دينكم ) أى  
 جزاء دينكم ولى جزاء دينى ، وسمى دينهم ديناً لأنهم اعتقدوه وتولّوه ،  
 وقيل : المعنى : لكم جزاءكم ولى جزائى ، لأن الدين الجزاء \* ،  
 والصواب فيما يبدو لى أنه تهديد وهو كقوله تعالى : ( لنا أعمالنا ولكم أعمالكم )  
 سورة القصص الآية ٥٥ .

( ٣ ) هو الأسود بن المطلب بن أسد . أحد زعماء قريش ، آذى النبى صلى الله عليه وسلم  
 ومن معه وكان من المستهزئين بهم .  
 انظر سيرة ابن إسحاق ( ص ١٧٨ ، ٢٥٤ ) .

( ٤ ) قال الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٥٣٣ ) " عنى بالكافرين قوماً معينين ، لا جميع  
 الكافرين ، لأن منهم من آمن ، فعبد الله ، ومنهم من مات أو قتل على  
 كفره ، وهم المخاطبون بهذا القول " .

وقال البغوى فى تفسيره ( ٧ / ٣٠٦ ) : " وهذا خطاب لمن سبق فى ظم الله  
 أنهم لا يؤمنون " وقد ذكر هذا القول الزمخشرى فى الكشاف ( ٤ / ٨٠٨ ) .

.. / ..

وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٥٤ / ٩ ) والرازى فى تفسيره ( ١٤٤ / ٣٢ ) والقوطبى فى تفسيره ( ٢٢٥ / ٢٠ ) وأما تعيين هو الأَشْخاص الذين ذكرهم المؤلف فهو قول مقاتل . انظر تفسيره ( ق ٤٠٧ / ١ ) وورد عن آخرين ذكر أشخاص آخرين من زعماء قريش ، راجع لذلك مجموع الفتاوى ( ١٦ / ٥٤٠ - ٥٤٥ ) وقد رد شيخ الإسلام هذا القول ( أى أن المراد ناس معينون ) فقال : وهذا غلط ، فإن قوله ( قل يا أيها الكافرون ) خطاب لكل كافر ، وكان يقرأ بها فى المدينة بعد موت أولئك المعينين ، ويأمر بها ويقول : هى براءة من الشرك ، ولو كانت خطاباً لأولئك المعينين أو لمن علم منهم أنه يموت كافراً ، لم يخاطب بها من لم يعلم ذلك وأيضاً فأولئك المعينون إن صح أنه إنما خاطبهم فلم يكن إن ذاك علم أنهم يموتون على الكفر ، والقول بأنه إنما خاطب بها معينين قول لم يقله من يعتمد عليه ، ولكن قد قال مقاتل بن سليمان إنها نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم ، ونقل مقاتل وحده مما لا يعتمد عليه باتفاق أهل الحديث كاللكبي ، ولهذا كان المصنفون فى التفسير من أهل النقل لا يذكرون عن واحد منهما شيئاً ، كمحمد بن جرير وعبد الرحمن بن أبى حاتم وأبى بكر بن المنذر ، فضلاً عن مثل أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه .

وقد ذكر غيره ( أى مقاتل ) عن قريش مطلقاً ، كما رواه عبد بن حميد عن وهب بن منبه - ثم ذكر روايته وهى أيضاً فى تفسير عبد الرزاق ( ص ق ١٧٧ / ١ ) وفيها : أنه قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم . . . . " ثم ذكر شيخ الإسلام روايات وأحاديث مرفوعة تدل على أن الخطاب عام ، وقال فى النهاية : وعلى كل تقدير فالخطاب للمشركين كهم ، من مضى ومن يأتى إلى يوم القيامة .

انظر مجموع الفتاوى ١٦ / ٥٤٠ - ٥٤٥ .

وقيل : إن هذه السورة نزلت قبل آية السيف ثم نسخت بآية السيف (١) .  
وقد ورد في الخبر : إن قراءة هذه السورة براءة من الشرك .  
وروى أبو خيثمة (٢) عن أبي إسحاق (٣) عن فروة بن نوفل (٤) عن أبيه (٥) أنه أتى النبي  
صلى الله عليه وسلم وقال : جئت يا رسول الله لتعلمني شيئاً أقوله عند منامى

(١) ذكر القرطبي في تفسيره (٢٢٩/٢٠) ثلاثة أقوال في ذلك .  
أحدها : أن السورة كلها منسوخة ، والثاني : ما نسخ منها شيء لأنها خبر .  
والثالث : نسخ قوله تعالى (لكم ينكم ولي دين) .  
وهذا الأخير قاله مقاتل في تفسيره (١/٤٠٧) .  
وذكره عنه البذوري في كتابه قبضة البيان (ص ٢٢) وذكره ابن البازري في كتابه  
نسخ القرآن ومنسوخه (ص ٥٨) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٤/٩) دون  
تصريح بقائله ، وذكره في نواسخ القرآن (ص ٥٠٩) وعزاه إلى كثير من المفسرين ،  
ولكنه رد دعوى النسخ فقال : وإنما يصح هذا إذا كان المعنى : قد أقرتكم  
على دينكم ، وإذا لم يكن هذا مفهوم الآية بعد النسخ "أهـ" . ومن المعلوم  
أن الآية ليس معناها إقرارهم على دينهم ، وإنما هو تهديد كما سيأتي  
بيانه .

(٢) هو زهير بن معاوية بن خديج أبو خيثمة الجعفي الكوفي نزيل الجزيرة ، روى عن  
أبي إسحاق السبعمي وغيره . ثقة ثبت ، إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بآخره .  
مات سنة اثنتين أو ثلث أو أربع وسبعين ، وكان مولده سنة مائة . انظر تهذيب  
التهذيب (٣/٣٥١) وتقريب التهذيب (ص ١٠٩) .

(٣) في النسختين "ابن إسحاق" وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته . لأنه هو الذي يروى  
عنه أبو خيثمة . وهو عمرو بن عبد الله الهمداني أبو إسحاق الصبعمي .  
تقد مترجمته في ص (٥٩١) .

(٤) هو فروة بن نوفل الأشجعي . قال الحافظ : مختلف في صحبته ، والصواب أن  
الصحبة لأبيه وهو من الثالثة (أى من التابعين) قتل في خلافة معاوية . المصدر  
السابق (ص ٢٧٥) .

(٥) هو نوفل بن فروة الأشجعي ، والد فروة وعبد الرحمن وسحيم ، صحابي ، نزل  
الكوفة .

انظر الإصابة (٣/٥٧٨) وتقريب التهذيب (ص ٣٦١) .



فقال : إذا أخذت مضجعتك فاقرا ( قل يا أيها الكافرون ) ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك .<sup>(١)</sup>

وعن بعضهم قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء فسمع رجلاً يقرأ ( قل يا أيها الكافرون ) فقال : أما هذا فقد برى من الشرك وسمع رجلاً يقرأ ( قل هو الله أحد ) فقال : أما هذا فقد غفر له .<sup>(٢)</sup>

(١) رواه من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية أبو داود في سننه (٥/٣٠٣ رقم ٥٠٥٥) والحاكم في مستدركه (٢/٥٣٨) والنسائي في السنن الكبرى في التفسير (كما في تحفة الأشراف ٩/٦٣) ورواه أيضا الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات (٥/٤٧٤ رقم ٣٤٠٣) والإمام أحمد في مسنده (٥/٤٥٦) من طريق يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق به .

كما رواه الترمذي أيضا من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن رجل عن فروة ابن نوفل أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم الحديث .

وقال الترمذي في الرواية الأولى : هذا أصح ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وفي إسناده أبو إسحاق السبيعي اختلط في آخره ، ورواية أبي خيثمة عنه في أيام اختلاطه ، ولكن للحديث شواهد أخرى ترفع عنه هذا الضعف ، منها ما سيأتي بعده عند المؤلف ، وانظر أيضا تفسير ابن كثير (٤/٥٦٠) والسدر المنشور (٦/٤٠٥) ونقل الحافظ في الإصابة (٣/٥٧٨) عن ابن عبد البر أنه زعم بأن الحديث مضطرب ، ورد عليه الحافظ فقال : وليس كما قال ، بل الرواية التي فيها عن أبيه أرجح وهو الموصولة ورواته ثقات ، فلا يضره مخالفة من أرسله ، وشرط الاضطراب أن تتساوى الوجوه في الاختلاف ، وأما إذا تفاوتت فالحكم للجراح .

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده (٤/٦٥) بسنده عن شريك عن مهاجر الصائغ عن رجل لم يسمه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ " قل يا أيها الكافرون " قال : أما هذا قد برى من الشرك ، وسمع آخر يقرأ " قل هو الله أحد " فقال : أما هذا فقد غفر له . وفي رواية أخرى عنه في المسند (٤/٦٣ - ٦٤) " وجبت له الجنة " بدل قوله " فقد غفر له " وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٠٥) وعزا تخريجه أيضا إلى ابن الضريس والبقوي وحميد بن زنجويه في ترغيبه .

وفي السورة سؤال معروف ، وهو السؤال عن معنى التكرير ، وقد أجبتنا<sup>(١)</sup> . ويقال :  
إنهم كرروا عليه الكلام مرة بعد مرة ، فكرر الله تعالى عليهم الإجابة .<sup>(٢)</sup>

(١) لعله يقصد بذلك ما ذكره في (ص . . ١١) أي أن الأول للنفي عنه وعنهم في الحال ، والثاني للنفي عنه وعنهم في المستقبل ، فلا يكون ذلك تكراراً لاختلاف الوقت ، ذكر نحوه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص ٢٣٨) وذكره عنه البغوي في تفسيره (٣٠٦/٧) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٤/٩) وقال : هذا قول شعلب والزجاج \* وانظر أيضاً تفسير الماوردي (٥٣٣/٤) وتفسير الرازي (١٤٥/٣٢) وتفسير الخازن (٣٠٦/٧) والبحر المحيط (٥٢١/٨) ويجوز أن يكون مقصود المؤلف أن التكرار هنا من باب التوكيد ، وسبق أن تكلم المؤلف على مثل ذلك عند قوله تعالى ( ويل يومئذ للمكذبين ) في سورة المرسلات (ص ٣٤١) . وقال البغوي في تفسيره (٣٠٦/٧) : قال أكثر أهل المعاني : إن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجازي خطابهم ، ومن مذاهبهم التكرار لإرادة التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار لإرادة التخفيف والإيجاز . وذكره ابن جريو أيضاً في تفسيره (٣٣٢/٣) فقال : وكان بعض أهل العربية يقول : كثر قوله ( لا أعبد ما تعبدون ) وما بعد على وجه التوكيد ، ونظمه عنه ابن كثير في تفسيره (٥٦١/٤) . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٣/٩) من قول الفراء ، وانظر أيضاً تفسير الرازي (١٤٥/٣٢) وتفسير القرطبي (٢٢٦/٢٠) وتفسير الخازن (٣٠٦/٧) والبحر المحيط (٥٢١/٨) .

(٢) ذكر نحوه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص ٢٣٧) وقال : وهو معنى قوله : \* ودَّوا لو تُدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ \* سورة القلم الآية ٩ وانظر أيضاً تفسير الرازي (١٤٦/٣٢) وتفسير الخازن (٣٠٦/٧) وذكر ابن كثير في تفسيره (٥٦١/٤) قولاً رابعاً فقال : \* وشم قول رابع نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه وهو أن المراد بقوله ( لا أعبد ما تعبدون ) نفي الفعل لأنها جملة فعلية ، (ولا أنا عابد ما عبدتتم) نفي قبوله لذلك ، ومعناه : نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً ، وهو قول حسن أيضاً \* اهـ . وذكر نحو هذا الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٥٣/١٦ - ٥٥٤) وتعرض أيضاً لذكر القولين أي أن التكرار للتوكيد ، أو أنه لاختلاف الوقت ، ولم يرض بهما ، فقال في الأول : ليس في القرآن من هذا شيء ، فإن القرآن له شأن اختص به لا يشبهه كلام البشر لا كلام نبي ولا غيره ، وإن كان نزل بلسان العرب ، فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة ولا ببعض سورة مثله \* إلى أن قال : ولا يذكر فيه لفظاً زائداً إلا لمعنى زائد ، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد . ثم قال في الثاني : هذا القول أجود من الذي قبله من جهة بيانهم لمعنى زائد على التكرير ، لكن فيه نقص من جهة أخرى وهو جعلهم هذا خطاباً للمعنيين ، فنقصوا معنى السورة من هذا الوجه \* وذكر كلاماً طويلاً في ذلك إلى أن حكى ما نقلنا عنه بواسطة ابن كثير . انظر مجموع الفتاوى (٥٣٤/١٦ - ٥٤٠) وما قاله هو أحسن الأقوال في معنى التكرار في السورة وبهذا يصلح أن يكون الخطاب عاماً يتناول كل كافر على وجه الأرض وإن كان المواجهون به هم كفار قريش .

وفى السورة سؤال آخر وهى فى قوله " قل " كيف قرئت هذه الكلمة وهى أمر لقراءة ؟ وكذلك فى قوله ( قل هو الله أحد ) .

والجواب عنه : أن قوله ( قل يا أيها الكافرون ) جميعه قرآن ونحن أمرنا بتلاوة القرآن على ما أنزل فنحن نتلو كذلك<sup>(١)</sup> .

وفى السورة سؤال ثالث : وهو أنه قال ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) ولم يقل : من أعبد والجواب عنه : أنه قال ذلك على موافقة قوله ( ولا أنا عابد ما عبدتم ) وقد قيل : إن ما بمعنى " من " ههنا - والله أعلم - .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٥٣٣ / ٤ ) أن الله سبحانه وتعالى لما أنزل " قل يا أيها الكافرون " صار حرف الأمر فى هذه السورة وكذلك فى سورة الإخلاص والمعوذتين متلسواً لأنها نزلت جواباً .

وقال فى نفس المصدر ( ٥٥١ / ٤ ) فى نهاية تفسير سورة الطلق : " وافتتح السورة بـ " قل " لأن الله تعالى أمر نبيه أن يقولها وهى من السورة لنزولها معها ، وقد قال بعض فصحاء السلف : احفظ القلاقل ، وفيه تأويلان أحدهما : قل : " قل " فى كل سورة ذكر فى أوائلها لأنه منها ، والثانى : احفظ السورة التى فى أولها " قل " لتأكيدها بالأمر بقراءتها .

وقد اشتد إنكار القرطبي فى تفسيره ( ٢٠ / ٢٢٩ ، ٢٤٥ ) على من أسقط لفظ الأمر من هذه السورة أو من سورة الإخلاص أو المعوذتين ، أو قرأها بنقص أو زيادة من عنده فقال فى مثل هذا الشخص إنه أسقط آية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليه بقوله : أبعدوه وأخزاه وجعل النار مقامه وشواه .

( ٢ ) ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٥٣٣ - ٥٣٤ ) هذا السؤال . ثم أجاب بقوله : قيل لأنه مقابل لقوله " ولا أنا عابد ما عبدتم " وهى أصنام وأوثان ، ولا يصلح فيها إلا " ما " دون " من " فحمل الثانى على الأول ليتقابل الكلام ولا يتنافى . وكذا ذكره القرطبي فى تفسيره ( ٢٠ / ٢٢٨ ) وذكر الرازى فى تفسيره ( ٣٢ / ١٤٦ ) أربعة أوجه فى ذلك أحدها : هذا الذى تقدم . والثانى : أن المراد منه الصفة كأنه قال : لا أعبد الباطل وأنتم لاتعبدون الحق وهو قول الزمخشري فى الكشاف ( ٤ / ٨٠٩ ) . والثالث : أن ما مصدرية فى الجملتين كأنه قال : لا أعبد عبادتكم

٠٠/٠٠

ولا تعبدون عبادتي في المستقبل ، ثم قال ثانياً : لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في الحال .

والرابع : أن يكون " ما " بمعنى " الذي " وقال : وحينئذ يصح الكلام " وقد ذكر ابن جزى في التسهيل ( ٢٢١ / ٤ ) هذه الأوجه سوى الأخير ، وقال في الوجه الثالث : هذا ضعيف ، ولم يبين وجه الضعف ، وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فذكر أن هذا الوجه أقرب إلى الصواب ، وأما القول بأن " ما " بمعنى " من " فوصفه شيخ الإسلام بأنه ضعيف جداً ، يغير اللغة ويخص عموم القرآن ، وهو عموم مقصود ، ويزيل المعنى الذي به تعلقته هذه البراءة .

وقال : ولفظ " ما " يدل على الصفة بخلاف " من " فإنه يدل على العيين ، كقوله : ( فأنكحوا ما طاب لكم من النساء ) سورة النساء الآية ٣ ( والسما وما بناها ) سورة الشمس الآية ٥ . ونظيره قوله : ( إن قال لبيد : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك ) سورة البقرة الآية ١٣٣ . ولم يقل : من تعبدون من بعدى .

وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال : وما يوضح ما تقدم أن قوله " لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ) معناه المعبود ، ولكن هو لفظ مطلق يتناول الواحد والكثير والمذكر والمؤنث فهو يتناول كل معبود لهم ، والمعبود هو الإله ، فكانه قال : لا أعبد إلهكم ، ولا تعبدون إلهي .

انظر مجموع الفتاوى ( ١٦ / ٥٥٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٨ ) .

تفسير سورة النصر وهي مدنية (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( إذا جاء نصر الله والفتح ) أجمعوا على أن الفتح هو فتح مكة (٢).  
وقيل : إن النصر فيه أيضا (٣) ويقال : إن النصر هو يوم الحديبية (٤) ، والأول هو  
الأظهر والأشهر (٥).

(١) ذكر البيهقي في دلائل النبوة (١٤٣/٧) هذه السورة ضمن السور التي أنزلت  
بالمدينة وذلك فيما رواه بسنده عن عكرمة والحسن البصري - وأورد السيوطي في  
الدر المنثور (٤٠٦/٦) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير أنهما قالا :  
أنزل "إذا جاء نصر الله والفتح" بالمدينة . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير  
(٢٥٥/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٢٩/٢٠) إجماع المفسرين على كونها مدنية .

(٢) لم أجد من ذكر الإجماع على أن المراد بالفتح فتح مكة ، سوى ما قال الرازي في  
تفسيره (١٥٥/٣٢) : والمشهور عند المفسرين أن المراد من الفتح في هذه  
السورة هو فتح مكة " وهذا القول ذكره ابن جريو في تفسيره (٣٣٢/٣٠) ورواه  
بسنده عن مجاهد ، وذكره الماوردي في تفسيره (٥٣٥/٤) والقرطبي في تفسيره  
(٢٣٠/٢٠) من قول الحسن ومجاهد . انظر أيضا زاد المسير (٢٥٦/٩) والكشاف  
(٨١٠/٤) والبحر المحيط (٥٢٢/٨) والتسهيل (٢٢١/٤) وفي أقوال أخرى  
أحدها : أن المراد فتح المدائن والقصور ، ذكره الماوردي والقرطبي من قول  
ابن عباس وسعيد بن جبير والثاني : فتح سائر البلاد على الإطلاق ، ذكره الزمخشري  
والرازي وقال : هو قول أبي مسلم ، وذكره القرطبي وأبو حيان وابن جزى ، ووصفه  
أبو حيان بأنه هو الظاهر ، والثالث : فتح الطائف ، والرابع : فتح خيبر ، ذكرهما  
الرازي دون عزو إلى أحد والخامس : ما فتحه عليه من المعلوم - ذكره الماوردي  
والرازي والقرطبي ، والراجح فيما يبدو لي هو القول الأول ( أي أن المراد فتح مكة )  
والدليل على ذلك أن الله تعالى ذكره مقروناً بالنصر ولم يتم له الأمران ( الفتح والنصر )  
إلا في فتح مكة - ولذلك قيل له فتح الفتح . وهو الذي ذهب إليه أكثر المفسرين ،  
انظر تفسير الرازي (١٥٥، ١٥٣/٣٢) .

(٣) قال القرطبي في تفسيره (٢٢٩/٢٠) : النصر : العون ، مأخوذ من قولهم قد نصر  
الغيث الأرض : إذا أعان على نباتها من قحطها ، ويقال : نصره على عدوه ينصره  
نصراً : أي أعانه ، والاسم : النصر ، انظر أيضا الكشاف (٨١٠/٤) ولسان  
المرب (٢١٠-٢١١/٥) وفي المراد بهذا النصر أقوال : أحدها ما ذكره المؤلف  
( أي النصر على قريش ) وذكر هذا القول ابن جريو في تفسيره (٣٣٢/٣٠) قال :  
يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من  
قريش . . . وروى بسنده عن ابن زيد أنه قال : النصر : حين فتح الله عليه ونصره "  
وذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٥٣٥/٤) والقرطبي في تفسيره (٢٣٠/٢٠) من  
قول الطبري .

(٤) ذكره ابن جزى في التسهيل (٢٢١/٤) عن ابن عباس ، وفيه قول آخر وهو أن المراد  
نصره على من قاتله من الأعداء فإن عاقبة النصر كانت له ، ذكره الماوردي والزمخشري  
والرازي والقرطبي وأبو حيان وابن جزى ، ووصفه أبو حيان بأنه هو الظاهر - أي أنه عام .

(٥) يريد أن المراد نصره على قريش ، وأما كونه الأظهر والأشهر فلأنه هو الذي ظهر فيه  
للناس صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذا دخلوا في الإسلام أفواجا ،  
كما سيأتي بيانه .

وقوله ( ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ) أي زمراً زمراً وفوجاً فوجاً (١) ،  
 وفي التفسير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قال المشركون : إن محمداً  
 قد نصره الله على قريش وهم أهل الله وأهل حرمه ، وقد منع الله الفيل عنهم فلا بد أن  
 لا بد لأحد بمحمد يعني لا قوة ، فدخلوا في دينه أفواجاً فكانت القبيلة بأسرها تسلم  
 ووجد عليه الوفود من الجوانب ودخل أكثر ديار العرب في الإسلام ، ولم يبق إلا القليل  
 وقد كان قبل ذلك يدخل الواحد والاثنتان على خوف شديد فهو معنى قوله تعالى  
 ( ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ) (٢) .

(١) أورد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٦/٦) من رواية ابن المنذر عن ابن عباس أنه  
 قال : ( أفواجا ) الزمر من الناس . وذكره الماوردي في تفسيره (٥٣٦/٤) من  
 قول ابن عباس . وقال مجاهد في تفسيره (٧٩٢/٢) " أفواجا " يعني : زمراً  
 زمراً .

وقال الثعلبي في تفسيره (١٧٩/١٣ ب) والبغوي في تفسيره (٣١٥/٧) " أفواجا "  
 زمراً وأرسالاً ، القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال . وقال أبو عبيدة  
 في مجاز القرآن (٣١٥/٢) " أفواجا " جماعات في تفرقة . وقال الماوردي أيضاً  
 والزمخشري في الكشاف (٨١٠/٤) " أفواجا " جماعات كثيفة .

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في تفسيره (١٧٩/١٣ ب) والماوردي في تفسيره (٥٣٦/٤) ،  
 والبغوي في تفسيره (٣١٥/٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٦/٩) وأبو حيان  
 في البحر المحيط كلهم من قول الحسن ، وانظر أيضاً تفسير القرطبي (٢٣٠/٢٠) ،  
 هذا على القول بأن المراد بالناس سائر الأمم الذين دخلوا في الإسلام ، وهناك  
 قول آخر وهو أن المراد بالناس أهل اليمن ، وهو قول عكرمة ومقاتل . انظر تفسير  
 مقاتل (١/٤٠٧) وتفسير الثعلبي (١٧٩/١٣ ب) وتفسير القرطبي (٢٣٠/٢٠)  
 وذلك لأنه ورد في أكثر من حديث عن ابن عباس وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : الله أكبر ، الله أكبر ، جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن ، قيل :  
 يا رسول الله : وما أهل اليمن ؟ قال : قوم رقيقة طوبى لهم ، لينة طباعهم ، الإيمان  
 يمان ، والفقه يمان والحكمة يمانية " أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٢/٣٠)  
 ولروايات أخرى - انظرها في تفسير ابن كثير (٥٦٢/٤ - ٥٦٣) والدر المنثور  
 (٤١٨/٦) .

والصواب فيما يبدو لي أن المراد بالناس سائر الأمم الذين دخلوا في  
 الإسلام ، قال ابن كثير في تفسيره (٥٦٣/٤) " فإن أحياء العرب كانت  
 تتسلو بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي ، فلما فتح  
 الله عليه دخلوا في دين الله أفواجاً ، ظم تمض سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب  
 بإيماناً ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام " .  
 وأما الحديث فليس فيه تصريح بأن المقصود أهل اليمن فقط . وقال ابن جرير  
 في تفسيره (٣٣٢/٣) : " رأيت الناس " من صنوف العرب وقبائلها ،  
 أهل اليمن منهم .

وقوله ( فسبح بحمد ربك ) أى صل حامداً لربك<sup>(١)</sup> ، والأصح أن معناه : اذكره / ٣٤٧ / أ  
 بالتحميد والشكر بهذه النعمة العظيمة . فإن التسبيح هو بمعنى الذكر فصار  
 معنى الآية على هذا : فاذكر ربك بالتحميد والشكر<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) ذكر الماوردي في تفسيره ( ٥٣٦ / ٤ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٥٦ / ٩ ) والرازي  
 في تفسيره ( ١٥٧ / ٣٢ ) والقرطبي في تفسير ( ٢٣١ / ٢٠ ) قولين في هذه الآية  
 أحدهما : أن التسبيح معناه الصلاة ، وقال الرازي : لأن هذا اللفظ وارد في  
 القرآن بمعنى الصلاة .   
 قال تعالى : ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ) سورة الروم الآية ١٧ ،  
 ونسبوا جميعاً سوى الرازي هذا القول إلى ابن عباس .  
 وقال القرطبي : ( بحمد ربك ) أى حامداً له على ما أتاك من الظفر والفتح ،  
 وأما القول الثاني : فقال الماوردي : أنه أراد صريح التسبيح الذي هو التنزيه  
 وقال ابن الجوزي : التسبيح المعروف ، قاله جماعة من المفسرين . وقال السرازي  
 أنه ذكر الله بالتنزه . وقال القرطبي : المراد به : التنزيه أى : نزّهه  
 عمالاً يجوز عليه مع شكره له .

( ٢ ) قال الأخفش في معاني القرآن ( ٥٤٧ / ٢ ) عند هذه الآية : يقول : يكون  
 تسبيحك بالحمد ، لأن التسبيح هو ذكرك ، فقال : يكون ذكرك بالحمد على ما أعطيتك  
 من فتح مكة وغيره .

ونذهب القرطبي إلى اختيار القول بأن معناه : " إذا صليت فأكثر من  
 التحميد والاستغفار " والسياق للآية يشط الصلاة وغيرها من الأحوال ، وروى  
 البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب سورة " إذا جاء نصر الله " ( ٧٣٢ / ٨ )  
 رقم ( ٤٩٦٧ ) بسنده عن عائشة رضی الله عنها قالت : ما صلى النبي صلى الله عليه  
 وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه ( إذا جاء نصر الله والفتح ) إلا يقول فيها :  
 سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي .  
 وروى عنها أيضاً أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول  
 في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي ، يتأول  
 القرآن .

وقال الحافظ في الفتح ( ٧٣٤ / ٨ ) : ومعنى قوله ( يتأول القرآن ) يجعل  
 ما أمر به من التسبيح والتحميد والاستغفار في أشرف الأوقات والأوقات " وروى ابن جرير  
 في تفسيره ( ٣٠٣٢ / ٣٠ ) بسنده عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم في آخر عمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا يذهب ولا يجي ، إلا قال : سبحان الله وبحمده  
 فقلت : يا رسول الله إنك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجي ، ولا تقوم  
 ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده ، قال : إنني أمرت بها فقال : إذا جاء نصر  
 الله والفتح ( إلى آخر السورة ) .

وقوله ( واستغفره ) أى اطلب التجاوز والعفو عنه .<sup>(١)</sup> وقوله ( إنه كان تواباً ) أى تواباً على عباده ، ويقال : التواب هو المسهل لسبيل التوبة ، ويقال : هو القابل لها .<sup>(٢)</sup>

وقد ثبت عن ابن عباس : أن فى السورة نعى النبى صلى الله عليه وسلم إلى نفسه وأمره بالتسبيح والاستغفار ليكون آخر أمره وخاتمة عمله على زيادة الطاعة والذكر لله .<sup>(٣)</sup>

(١) قال القرطبي فى تفسيره ( ٢٠ / ٢٣١ ) " سئل الله الغفران مع مداومة الذكر " . ويرد هنا سؤال وهو أنه ماذا يغفر للنبى صلى الله عليه وسلم وكان قد غفر له ربه من كل ذنب مات قدم منه وما تأخر ؟ . فالجواب عن ذلك من عدة أوجه : أحدها : أن الاستغفار تعبد يجب إتيانه ، لا للمغفرة ، بل تعبداً ، والثانى : ذلك تنبيه لأمته لكيلا يأمنوا ويتركوا الاستغفار ، والثالث : أن المراد استغفر لأمتك ، ذكر هذه الأوجه مع أوجه أخرى الرازى فى تفسيره ( ٣٢ / ١٦٢ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٠ / ٢٣٣ ) . والنصواب فى ذلك أن يقال فى ذلك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها حين قالت له على كثرة قيامه وعبادته بالليل حتى تتفطر قدماه : لِمَ تصنعُ هذا يا رسول الله ؟ وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر . فقال لها : أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً . . . . الحديث ، أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير باب " ليغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر . . . " ( ٨ / ٥٨٤ رقم ٤٨٢٧ ) فاستغفاره صلى الله عليه وسلم يكون سبباً لرفع درجاته .

(٢) قال الجوهرى فى الصحاح ( ١ / ٩٢ ) " التوبة : الرجوع من الذنب ، . . . وتاب إلى الله توباً ومتاباً ، وقد تاب الله عليه : وفقها لها ، وذكره ابن منظور فى لسان العرب ( ١ / ٢٣٣ ) وقال أيضاً : " ورجل تواب : تائب إلى الله ، والله تواب : يتوب على عبده ، وذكر أيضاً : أن أصل تاب عاد إلى الله ورجع وأتاب ، وتاب الله عليه أى عاد عليه بالمغفرة .

(٣) ثبت ذلك فى عد قروايات عنه وعن غيره من الصحابة . انظر المعجم الكبير للطبرانى ( ١١ / ٣٢٨ - ٣٣٠ ) والدر المنثور ( ٦ / ٤٠٦ - ٤٠٨ ) ومما روى عن ابن عباس أنه قال : إن عمر بن الخطاب سألهم عن قول الله تعالى : " إذا جاء نصر الله والفتح " قالوا : فتح المدائن والقصور ، قال : فأنت يا ابن عباس ماتقول : قلت : مثل ضرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نعتت إليه نفسه " أخرجه ابن جرير فى تفسيره ( ٣٠ / ٣٣٣ ) بسنده عن سعيد بن جبيرة عنه ، وهو مخرج فى صحيح البخارى كما سيأتى . وقال الرازى فى تفسيره ( ٣٢ / ١٦٤ ) : الصحابة اتفقوا على أن هذه السورة دللت على أنه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) قال ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٢٥٧ ) : قال المفسرون : نعتت إليه نفسه بنزول هذه السورة ، وأعلم أنه قد اقترب أجله ، فأمر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمله بالزيادة فى العمل الصالح . وذكره البيهقى أيضاً فى تفسيره ( ٧ / ٣١٧ ) وعزاه إلى الحسن .



وورد أيضا : أن عمر رضى الله عنه كان إذا أحضر المهاجرين واستشارهم فى شىء أحضر معهم عبد الله بن عباس فقالوا<sup>(١)</sup> : يا أمير المؤمنين إن لنا أولاداً مثله ، يعنى إنك لا تحضرهم فقال : إنه من حيث تعلمون<sup>(٢)</sup> ، ثم إنه سألهم مرة عن هذه السورة فقالوا : إن الله تعالى أمر رسوله بالتسبيح والاستغفار حين جاءه الفتح ودخل الناس فى الدين أفواجا ، فسأل عبد الله بن عباس عن معنى السورة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى نعى إلى رسول الله نفسه بهذه السورة ، وأمره بزيادة العمل والذكر ليكون خاتمة عمره عليه<sup>(٣)</sup> ، فقال لسائر المهاجرين : إنما أحضره لهذا وأمثاله أو كماله هان معناه ، واللفظ المذكور فى الصحيح .

فى هذا الخبر أن ابن عباس قال : إنما هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطه إياه فقال له عمر : والله لا أعظم منها إلا ماتعلم<sup>(٤)</sup> .

وقيل : إن السورة نزلت فى أوسط أيام التشريق<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) فى بعض الروايات تصريح بأن القاتل هو عبد الرحمن بن عوف الزهرى أحد العشرة .  
( ٢ ) فى رواية البخارى فى كتاب التفسير ( من حيث علمت ) وفى رواية أخرى ( ممن علمت ) وفى رواية ( من حيث نعلم ) قال العا لفظ ابن حجر فى الفتح ( ٢٣٥ / ٨ ) : " أشار بذلك إلى قرابته من النبى صلى الله عليه وسلم ، أو إلى معرفته وفطنته " .

( ٣ ) هذا الكلام غير موجود فى صحيح البخارى ، ولم أجده عند غيره . وقد ذكر نحوه البغوى فى تفسيره ( ٣١٢ / ٢ ) من قول الحسن .

( ٤ ) حرف ( لا ) ساقط من نسخة " ب " .

( ٥ ) رواه البخارى فى صحيحه - كتاب التفسير - باب وله ( فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ) ( ٧٣٤ / ٨ رقم ٤٩٢٠ ) . بسند عن أبى بشر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه . . . الحديث ، والذى ذكره المؤلف هو معنى الحديث وليس لفظه والحديث رواه أيضا غير البخارى انظر الدرر المنثور ( ٤٠٧ / ٦ ) وقد روى ذلك ( أى أن هذه السورة نعى للنبى صلى الله عليه وسلم ) مرفوعاً من قول النبى صلى الله عليه وسلم فأخرج الإمام أحمد فى مسنده ( ٢١٧ / ١ ) وابن جرير فى تفسيره ( ٣٣٤ / ٣٠ ) بسند هما عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعتى إلى نفسى كأنى مقبوض فى تلك السنة " .

( ٦ ) روى البيهقى فى دلائل النبوة ( ٤٤٧ / ٥ ) بسنده عن زيد بن الحباب ، أخبرنى موسى بن عميرة الزبدي ، قال : أخبرنى صدقة بن يسار ، عن ابن عمر قال : نزلت هذه الآية " إذا جاء نصر الله والفتح " على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وسط أيام التشريق ، وعرف أنه الوداع ، فأمر براحلته القصواء فوجلت له فركب فوقف بالعقبة واجتمع الناس فذكر الحديث فى وضع الدم والربا واستدارة الزمان . . . الحديث وأورده السيوطى فى الدر المنثور ( ٤٠٦ / ٦ ) بلفظ : عن ابن عمر قال : هذه السورة نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق بمضى وهو فى حجة الوداع " إذا جاء نصر الله والفتح " حتى ختمها ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع " .

. . . / . . .

وعزا تخريجه أيضا إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ويعلى وابن مردويه ،  
 وإسناد البيهقي ضعيف لأن فيه موسى بن عبدة الرندي قال فيه الحافظ ابن حجر :  
 ضعيف ، انظر تقريب التهذيب ( ٣٥ ) وذكر هذا القول ( أى أن هذه السورة نزلت  
 أيام التشريق بمعنى في حجة الوداع ) عن ابن عمر القرطبي في تفسيره ( ٢٠ / ٢٣٣ ) ،  
 وأبو حيان في البحر المحيط ( ٨ / ٥٢٣ ) وقال البيهقي بعد إخراجها للحديث : كذا في  
 هذه الرواية ، ويذكر عن أبي سعيد ما يدل على أنها نزلت عام الفتح والله أعلم . وحديث  
 أبي سعيد الخدري أخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ٥ / ١٨٧ ) والبيهقي في دلائل النبوة  
 ( ٥ / ١٠٨ ) بسندهما عن عمرو بن شعيب عن أبي البختري عنه عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم أنه قال : لما نزلت هذه الآية " إذا جاء نصر الله والفتح " قال : قرأها رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم حتى ختمها ، وقال : الناس خير وأنا وأصحابي خير ، وقال : لا هجرة  
 بعد الفتح ولكن جهاد ونية . . . . وقال الواحدى في أسباب النزول ( ص ٣٤ ) : " نزلت  
 في منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين وعاش سنتين بعد نزولها ، ثم روى بسنده  
 عن إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه عن ابن عباس قال : لما أقبل رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم من غزوة حنين ، وأنزل الله تعالى إذا جاء نصر الله . . . الحديث . . . ورواه  
 الطبراني أيضا في المعجم الكبير ( ١١ / ٣٧١ - ٣٧٢ رقم ١٢٠٤٢ ) من الطريق نفسه .  
 في سياق أطول منه ، ووقع عنده " خير " بدل " حنين " ، وهو أيضا إسناد ضعيف لأن  
 عبد الله بن كيسان قال فيه البخاري : منكر الحديث . انظر مجمع الزوائد ( ١ / ١٨٠ ) .  
 وقال مقاتل في تفسيره ( ٤٠٧ / ١ ) " نزلت هذه السورة بعد فتح مكة والطائف " وفي  
 البحر المحيط ( ٨ / ٥٢٣ ) أن هذه السورة نزلت في منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة  
 خيبر وعاش بعدها سنتين " وما يدل على بطلان هذا القول أن غزوة خيبر كانت في سنة  
 سبع وأواخر المحرم ، كما في عيون الأثر ( ٢ / ١٦٨ ) وعليه فيكون ما بين نزولها ووفاته  
 صلى الله عليه وسلم أكثر من سنتين ، لأن وفاته كانت في ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

وذكر الرازي في تفسيره ( ٣٢ / ١٥٥ ) قولين في وقت نزول هذه السورة أحدهما : أنها  
 نزلت سنة عشر ، وروى أنه عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوماً ، ولذلك سميت سورة  
 التوديع ، والثاني : أنها نزلت قبل فتح مكة ، وهو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أن ينصره على أهل مكة ، وأن يفتحها عليه ، وقال : إذا صح هذا القول صارت هذه  
 الآية من جملة المعجزات " ثم صرح في ( ٣٢ / ١٦٤ ) بأن الأصح هو أن السورة نزلت  
 قبل فتح مكة ، والحقيقة أنه لم يثبت شي " بسند صحيح وبنص قاطع يدل على تعيين  
 وقت النزول لهذه السورة وذلك فيما أعلم ، ويظهر من حديث أبي سعيد الخدري البدي  
 تقدم ذكره قريباً أنها نزلت عام الفتح ( أى فتح مكة ) كما قال البيهقي ، وهو  
 الذي تعميل إليه نفسى .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمض بعد هذه السورة إلا ثمانين ليلة<sup>(١)</sup> . وقد قيل : إنها آخر سورة نزلت من القرآن كاملة<sup>(٢)</sup> - والله أعلم .

( ١ ) في هذا أيضا خلاف بين المفسرين : كم عاش صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة ؟ . وما ذكره المؤلف يعود إلى القول بأنها نزلت في أيام التشريق بمضى ، قال أبو حيان في البحر المحيط ( ٥٢٣ / ٨ ) بعد أن ذكر هذا القول عن ابن عمر : وعاش بعدها ثمانين يوماً أو نحوها صلى الله عليه وسلم .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٥٣٧ / ٤ ) عن ابن عباس أنه قال : وداع من الله ، وداع من الدنيا ، فلم يمض بعدها إلا سنتين مستديما التسبيح والاستغفار كما أمر ، وروى ابن جرير في تفسيره ( ٣٣٥ / ٣٠ ) بسنده عن قتادة أنه قال : والله ما عاش بعد ذلك إلا قليلاً سنتين ، ثم توفي صلى الله عليه وسلم ، وذكر البغوي في تفسيره ( ٣١٧ / ٧ ) عن قتادة ومقاتل أنهما قالا : عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سبعين يوماً . وفي تفسير مقاتل ( ٤٠٧ / ب ) أنه عاش صلى الله عليه وسلم بعد ثمانين يوماً . وهذا يعارض ما قاله مقاتل نفسه في وقت النزول لهذه السورة فإنه قال كما تقدم ذكره : أنها نزلت بعد فتح الطائف وفتح مكة .

وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٧٣٤ / ٨ ) أقوالاً أخرى فقال : وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس " عاش بعدها تسع ليال " وعن مقاتل : سبعمائة ، وعن بعضهم ثلاثاً ، وقيل : ثلاث ساعات وهو باطل .

وذكر الرازي في تفسيره ( ١٦٤ / ٣٢ ) بعض هذه الأقوال ثم قال : والله أعلم كيف كان ذلك .

وأما ابن حجر فعمله مال إلى القول بأن السورة نزلت في يوم النحر في حجة الوداع وهو بمضى ، وأما القول بأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعدها يوماً واحداً وثمانين يوماً فقال إنه ليس منافياً لذلك بناءً على ما جاء في بعض الأقوال في وقت الوفاة النبوية .

( ٣ ) روى مسلم في صحيحه - كتاب التفسير ( ١٦٠ / ١٨ ) والنسائي في السنن الكبرى - كتاب التفسير كما في تحفة الأشراف ( ٥٧ / ٥ ) رقم ٥٨٣٠ ) بسندهما عن عبد الله بن عبد الله قال : قال لي ابن عباس : تعلم أي آخر سورة نزلت في القرآن نزلت جميعاً ؟ قلت : نعم ، إذا جاء نصر الله والفتح ، قال : صدقت وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٧٣٤ / ٨ ) ثم قال : وقد تقدم في تفسيره براءة أنها آخر سورة نزلت ثم ذكر الجمع بينهما فقال : والجمع بينهما أن آخرة سورة النصر نزولها كاملة بخلاف براءة ، فالمراد بعضها أو معظمها وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية .

انظر أيضا نفس المصدر ( ٣١٦ / ٨ ) .

تفسير سورة تبت - وهي مكية (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ( تبت يدا أبي لهب ) سبب نزول هذه السورة : هو ما روى أبو معاوية الضريبي محمد بن خازم (٢) عن الأعمش عن عمرو بن مرة (٣) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد ذات يوم الصفا (٤) ، وقال : يا صباحاه فاجتمعت قريش فقالوا له مالك ؟ فقال : أرايتم (لواخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم) (٥) أما كنتم تصدقونني ؟ قالوا : بلى . قال : فإني نذير لكهين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك ، ألهذا دعوتنا جميعاً ؟ فأنزل الله تعالى ( تبت يدا أبي لهب وتب ) إلى آخر السورة .

قال - رضي الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد المكي بن عبد الرزاق أخبرنا جدي أبو الهيثم (٦) أخبرنا الفريسي (٧) أخبرنا محمد بن إسحاق (٨) أخبرنا محمد بن سلام (٩) عن أبو معاوية - الحديث (١٠) .

( ١ ) أورد البيهقي في دلائل النبوة ( ١٤٢ / ٧ ) هذه السورة ضمن السور التي نزلت بمكة ، وكذا أورد السيوطي في الدر المنثور ( ٤٠٨ / ٦ ) من رواية ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة أنهم قالوا : أنزلت تبت يدا أبي لهب بمكة ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٥٨ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٣٤ / ٢٥ ) الإجماع على كونها مكية .

( ٢ ) في النسختين ( أبو معاوية النضر بن محمد خازم ) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وهو محمد بن خازم ( بمعجمتين ) أبو معاوية الضريبي الكوفي عمي وهو صغير ، ثقة أحفظ الناس لحدِيث الأعمش ، وقد يهيم في حديث غيره ، مات سنة خمس وتسعين ومائة ، وله اثنان وثمانون سنة ، وقد رمى بالإرجاء ، تقريب التهذيب ( ٢٩٥ ) .

( ٣ ) هو عمرو بن مرقب بن عبد الله بن طارق الجملاني ( بفتح الجيم والميم ) النمراني ، أبو عبد الله الكوفي الأعمى ، ثقة عابد ، كان لا يدلس ورمى بالإرجاء ، مات سنة ثمانين ومائة وقيل : قبلها . تقريب التهذيب ( ٢٦٢ ) .

( ٤ ) في صحيح البخاري ( خرج إلى البطحاء ، فصعد إلى الجبل ) هذا في رواية محمد ابن سلام ، وفي رواية يوسف بن موسى ( خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا ) .

( ٥ ) في صحيح البخاري ( مصبحكم ومسيكم ) .

( ٦ ) هو محمد بن مكي الكشميهني تقدمت ترجمته في ص ( ٨٦٣ ) .

( ٧ ) في نسخة " ب " . ( الفريسي ) وهو خطأ ، والفريسي هو محمد بن يوسف بن مطر أبو عبد الله الفريسي راوي الجامع الصحيح عن البخاري .

( ٨ ) هو أبو عبد الله البخاري صاحب الجامع الصحيح .

( ٩ ) في نسخة " ب " ( أبو محمد ) وهو خطأ ، وهو محمد بن سلام بن الفرج السلمى فولاهم البيهقي ، أبو جعفر ، ثقة ، ثبت ، مات سنة بضع وعشرين ومائتين وله خمس وستون .

تقريب التهذيب ٣٠١ .

( ١٠ ) في الأصل ( ابن معاوية ) وهو خطأ ، والصواب ( أبو معاوية ) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير باب " وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب " ( ٧٣٧ / ٨ ) رقم

٠٠/٠٠

( ٤٩٧٢ ) وأخرجه أيضا في المصدر نفسه ( برقم ٤٩٧١ ) من طريق يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش به - وفي هذه الرواية زيادة في أوله " قال : لما نزلت " وأنذر غشيرتك الأقربين " ورهطك منهم المخلصين " .

وقد ذكر هذا السبب لنزول هذه السورة الواحد في أسباب النزول ( ص ٣٤٤ ) ورواه بنسبته عن ابن عباس . والسيوطي في لباب النقول ( ص ٢٣٧ ) ، وكذلك ذكره غيرهما من المفسرين .

وذكر الماوردي في تفسيره ( ٥٣٨ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٣٥ / ٢٠ ) قولين آخرين أحدهما : ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا الهيثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا أعطى إن آمنت بك يا محمد ؟ قال : ما يعطى المسلمون ، قال : مالي عليهم فضل ؟ قال : وأي شيء تبتغي قال : تبتغي لهذا من دين أن أكون أنا وهو " لا سواء " ، فأنزل الله فيه " تبت يدا أبي لهب " .

والثاني : ما حكاه عبد الرحمن بن كيسان أنه كان إذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق إليهم أبو لهب فيسألونه عن رسول الله ويقولون أنت أعطاه ، فيقول لهم أبو لهب : إنه كذاب ساحر فيرجعون عنه ، ولا يلقونه ، فأتاه وفد ، ففعل معهم مثل ذلك ، فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه ، فقال لهم أبو لهب : إنما لم نزل نعالجه من الجنون فتبتاً له وتعساً ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فآكتأب له ، فأنزل الله تعالى " تبت " السورة ، ذكرهما الرازي أيضا في تفسيره ( ١٦٥ / ٣٢ ) والصواب هو ما ذكره المؤلف لكونه أصح سنداً .

قوله ( وتبت ) قال مقاتل وغيره : خسرت<sup>(١)</sup> ، والتباب في اللغة : هو الهلاك وهو الخسران أيضاً<sup>(٢)</sup> .

قال الفراء الأول دعاء والثاني إخبار ، فالأول هو قوله : ( تبت يدا أبي لهب ) والثاني : قوله ( وتب ) على ما معنى الخبر . أي وقد حشر وهلك<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) انظر قول مقاتل في تفسيره ( ٤٠٧ / ب ) وهو قول قتادة أيضاً ، رواه عنه ابن جرير في تفسيره ( ٣٣٦ / ٣٠ ) وذكره من قوله الماوردي في تفسيره ( ٥٣٩ / ٤ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٣٥ / ٢٠ ) وانظر أيضاً تفسير البغوي ( ٣١٧ / ٧ ) وزاد المسير ( ٢٥٩ / ٩ ) وذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٤٠٩ / ٦ ) هذا المعنى عن ابن عمر وابن عباس ، وعزا تخريج الأول إلى ابن المنذر وابن مردويه وتخريج الثاني إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

( ٢ ) انظر تفسير غريب القرآن ( ص ٥٤١ ) والعمدة ( ص ٣٦٠ ) ولسان العرب ( ٢٢٦١ ) وقال الراغب في المفردات ( ص ٧٢ ) : التباب : الاستمرار في الخسران . وذكر بعض المفسرين في معنى قوله " تبت " أقوالاً أخرى . منها : أن معناه : خابت ، قاله ابن عباس ، ومنها : أن معناه : ضللت ، وهو قول عطاء ، ومنها : أن معناه : هلكت ، وهو قول سعيد بن جبير ، ومنها : أن معناه : صيرت من كل خير ، قاله يمان بن رثاب . انظر لمعرفة هذه الأقوال تفسير الماوردي ( ٥٣٩ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٣٥ / ٢٠ ) والبحر المحييط ( ٥٢٥ / ٨ ) .

وقال أبوحيان بعد ذكره لهذه الأقوال : وهذه الأقوال متقاربة في المعنى . وأما إسناد الهلاك إلى اليدين فذكروا فيه أيضاً عدة أوجه . أحدها : لأن العمل أكثر ما يكون بهما . والثاني : المراد باليدين نفسه ، وقد يعبر عن النفس باليد ، كما قال تعالى : ( ذلك بما قدمت يداك ) سورة الحج الآية ١٠ . والثالث : أن أبا لهب أخذ بيديه حجراً ليرمى الرسول صلى الله عليه وسلم فأسند التَّبَّ إليهما . انظر المصادر السابقة ، وذكر البغوي في تفسيره ( ٣١٧ / ٧ ) وجهين آخرين فقال : اليد صلة ، كما يقال يد الدهر ويد الرزايا ، وقيل : المراد به ماله وطقه . والأصح هو القول الثاني أي أن المراد نفسه .

( ٣ ) انظر كلام الفراء في معاني القرآن ( ٢٩٨ / ٣ ) وذكره من قوله البغوي في تفسيره ( ٣١٨ / ٧ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٥٩ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٣٦ / ٢٠ ) وذكره أبوحيان في البحر المحييط ( ٥٢٥ / ٨ ) فقال : والظاهر أن " تبت " دعاء وتب إخبار بحصول ذلك .

(١) وفي قراءة ابن مسعود : وقد ثبت .

وقوله ( ما أغنى عنه ماله وما كسب ) أى لا يدفع عنه ماله وولده شيئاً من عذاب الله / ٣٤٧ ب /  
فيكون قوله ( وما كسب ) بمعنى ( وما ولد ) على هذا القول .<sup>(٢)</sup>

(١) ذكر هذه القراءة ابن جريو في تفسيره ( ٣٣٦ / ٣٠ ) والماوردي في تفسيره ( ٥٤ / ٤ )  
والبغوي في تفسيره ( ٣١٨ / ٧ ) والزمخشري في الكشاف ( ٨١٤ / ٤ ) والرازي في  
تفسيره ( ١٦٧ / ٣٢ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٣٦ / ٢٠ ) وأبو حيان في البحر المحيظ  
( ٥٢٥ / ٨ ) واستدل بعضهم بهذه القراءة على صحة ما قاله الفراء ( أى أن الأول  
دعاء عليه والثاني إخبار بمصولة ) .  
وذكر الماوردي في معنى قوله ( وتب ) أوجهاً أخرى غير ما ذكره الفراء ومن هذه الأوجه  
: أنه تأكيد للأول . ومنها : أنه يعني : تبت يدا أبي لهب كما منعه الله  
تعالى من أن يرسوله ، وتب بحاله عند الله من ألم عقابه ، ومنها أيضاً : أنه  
يعني : وتب ولد أبي لهب والأحسن هو ما ذكره الفراء ، وإليه ذهب أكثر  
المفسرين .

(٢) ذكر المفسرون في " ما " في قوله ( ما أغنى ) وجهين :-  
الأول : أنها استفهام بمعنى الإنكار ، ويؤيد بها النفي ، ويكون المعنى : أى  
شئاً أغنى عنه ؟ .  
والثاني : أنها للنفي ، وهذا هو الظاهر كما قال أبو حيان .  
انظر إعراب القرآن ( ٧٨٤ - ٧٨٥ / ٣ ) وزاد المسير ( ٢٦٠ / ٩ ) والكشاف ( ٨١٤ / ٤ )  
وتفسير الرازي ( ١٦٩ / ٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ٢٣٨ / ٢٠ ) والبحر المحيظ  
( ٥٢٥ / ٨ ) والتسهيل ( ٢٢٢ / ٤ ) ومشكل إعراب القرآن ( ٥٠٧ / ٢ ) .

وأما " ما " في قوله ( وما كسب ) فذكر وافية أيضاً وجهين :-  
أحدهما : أنها مصدرية .

والثاني : أنها موصولة ، وصرح القرطبي ومكي بن أبي طالب بأنها بمعنى السدى  
ولم أجد من صرح بأنها بمعنى ( من ) والظاهر أنها موصولة كما صرح به أبو حيان .  
وذكر بعضهم في معناه أربعة أقوال :

أحدها : لم ينفعه ماله وما كسب بحاله يعني رأس المال والأرباح ، والثاني : أن  
المال هو الماشية وما كسب من نسلها ونتاجها فإنه كان صاحب النعم والنتاج .  
والثالث : ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه .  
والرابع : ( وما كسب ) ولده . هو قول ابن عباس .  
والخامس : ( وما كسب ) عطه الخبيث ، قاله الضحاك .

وفيما يبدو لي أن جميع هذه الأقوال مرادة - فإنه لم يدفع عنه ماله سواء  
أكان من كسبه أو كان موروثاً ، وكذلك لم يدفع عنه أولاده أو جاهه  
عذاب الله تعالى .

انظر المصادر السابقة .

قال أبو جعفر النحاس : ويعد أن يكون " ما " بمعنى من في اللغة ، فقوله

( وما كسب ) أي وما كسب من جاء وما يشبهه . ( ١ )

وأما أبو لهب فهو عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى ، ويقال : سمي أبو لهب لتلتهب وجهه حسناً<sup>(٢)</sup> ، وذكره الله بكنيته لأنه كان معروفاً بذلك ، أو لأن اسمه كان عبد العزى فكره أن ينسب عبوديته إلى غيره .<sup>(٣)</sup>

وفي تفسير النقاش : أن أبا لهب انتفى من بنى هاشم وانتسب إلى أبي أمية وقال : لا أكون من قوم فيهم كذاب مثل محمد .<sup>(٤)</sup>

ومن المعروف عن طارق المحاربي أنه قال : كنت بسوق ذي المجاز<sup>(٦)</sup> ، فإذا أنا بشاب يقول : أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، وإذا الرجل خلفه يرميه

( ١ ) استبعد النحاس أن تكون " ما " بمعنى ( من ) عند قوله تعالى ( وما خلق الذكرو الأنثى ) سورة الليل الآية ٣ ، انظر إعراب القرآن ( ٣ / ٧١٧ ) .

( ٢ ) قال مقاتل في تفسيره ( ٤٠٧ / ب ) : " اسمه عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما سمي أبو لهب لأن وجهه كان حمرًا كأنها تلتهب منها النار " . مات بعد غزوة بدر بسبعة أيام ميتة شنيعة بدأه<sup>(٥)</sup> يقال له المدسة ، انظر أيضًا تفسير البغوي ( ٧ / ٣١٨ ) وتفسير القرطبي ( ٢٠ / ٢٣٦ ) ، وتهذيب الأسماء واللغات ( ٢ / ٢٦٦ ) .

( ٣ ) قال القرطبي في تفسيره ( ٢٠ / ٢٣٦ ) " وإنما كناه الله بأبي لهب - عند العلماء - لعمان أربعة ، ثم ذكر هذه المعاني ، اثنان منها ذكرهما المؤلف ، وأيضاً ذكرهما ابن الجوزي في زاد السير ( ٩ / ٢٥٩ ) .

وأما الثالث فقال : أن الاسم أشرف من الكنية ، فحطه الله عز وجل عن الأشرف إلى الأنقص ، واستدل على أن الاسم أشرف من الكنية بأن الله تعالى دعا الأنبياء بأسمائهم ولم يكن عسناً أحد منهم .  
والرابع : أن الله تعالى أراد أن يحقق نسبه ، بأن يدخله النار ، فيكون أبا لها ، تحقيقاً للنسب وإيضاً للفضائل والبطرة التي اختارها لنفسه .

( ٤ ) لم أجد من ذكره غيره .

( ٥ ) هو طارق بن عبد الله المحاربي ، صحابي نزل الكوفة ، له حديثان أو ثلاثا انظر الإصابة ( ٢ / ٢٢٠ ) وتقريب التهذيب ١٥٦ .

( ٦ ) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ( ٥ / ٥٥ ) : " ذو المجاز : موضع ، سوق بمرقنة على ناحية كنجب عن يمين الإمام علي فرسخ من عرفة كانت تقسم في الجاهلية ثمانية أيام " .



يرميه بالحجر وقد أرمى عقبه وهو يقول : أيها الناس لاتصدقوه فإنه كذاب ، قال : فسألتهم ما فقيل : إن الشاب محمد - صلى الله عليه وسلم - والرجل الذي خلفه عمه أبو لهب .<sup>(١)</sup>

ويقال في قوله ( ما أغنى عنه مله ) أى شئ " أغنى عنه ماله وما كسب إذا دخل النار<sup>(٢)</sup> : وقوله ( سيصلى ناراً ذات لهب ) يقال : صلى الشئ " إذا قاسى شدته وحره ويقال : صليته إذا شويته ومنه شاة مصلية أى مشوية .<sup>(٣)</sup>

والمعنى : سوف يصلى أى يدخل ناراً ذات لهب أى ذات التهاب وتوقد .<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٤٤/٣ - ٤٥) بسنده عن يزيد بن أبي زياد ابن أبي الجعد ، نا أبو صخرة جامع بن شداد عن طارق بن عبد الله المحاربي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بسوق المجاز ، وأنا فسى تباعسة لي هكذا . . . . ثم ذكره بنحوه في سياق طويل .

وقال العظيم آبادي في التعليق المغنى على سنن الدارقطني : رواه كهمشقات .

وأخرجه أيضا الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٦/٨ - ٢٧٧) رقم ٨١٧٥ من وجه آخر عن جامع بن شداد به - مطولاً - وفي إسناده أبو حبيب الكلبى وهو متكلم فيه ، انظر مجمع الزوائد (٢٣/٦) . انظر القصة أيضا في سيرة ابن إسحاق (ص ٢١٥) ووقع في سننه تصحيف .

(٢) تقدم ذكر الوجهين في " ما " في ص (١١١٧-١١١٨) .

(٣) تقدم تفسير هذه الكلمة عدة مرات .

(٤) ذكر الماوردي في تفسيره (٤/٥٤٠) أن في سين ( سيصلى ) وجهين - أحدهما أنه بمعنى سوف .

والثانى : أنه سين الوعيد كقوله تعالى : " سيهزم الجمع " ( سورة القمر الآية ٤٥ ) ، " وَسَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ( سورة آل عمران الآية ١٨٠ )

وقال أبو حيان في البحر المحيط (٨/٥٢٦) : " والسين للاستقبال وإن تراخى الزمان وهو وعيد كسائن وإن تراخى الزمان ، وهو وعيد كائن إنجازه لامحالة . " وأما قوله " ذات لهب " فقال البغوي في تفسيره (٧/٣١٨) " أى ناراً

وقوله ( وامرأته ) أى تصلى امرأته أيضاً<sup>(١)</sup> .

وقواه ( حمالة الحطب ) فيه قولان : أحدهما ما رواه الضحاك عن ابن عباس أنها كانت تحمل الشوك فتلقيه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتعقر رجله<sup>(٢)</sup> . قال عطية<sup>(٣)</sup> : كانت تلقى العصاة<sup>(٤)</sup> فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكانت كالكتيب من الرجل لقدم النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> .

والقول الثانى : إن قوله ( حمالة الحطب ) معناه الماشية بالنميمة - قال الشاعر<sup>(٦)</sup> :  
 يَا بَنِي الْأَثَرِمْ حَمَّالُوا الْحَطَّابِ هُمُ الْوَشَاءُ فِي الرَّضَا وَفِي الْغَضَبِ  
 عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ تَتَرَى وَالْحَرْبُ<sup>(٨)</sup> .

(١) قال أبو حيان فى البحر المحيط (٤٢٦/٨) : " وارتفع " وامرأته " عطفاً على الضمير المستكن فى " سيصلى " وحسنه وجود الفصل بالمفعول وصفته " انظراً أيضاً معانى القرآن للفراء<sup>(٣/٢٩٨)</sup> وإعراب القرآن (٣/٧٨٥) ومشكل إعراب القرآن (٢/٥٠٧) وتفسير القرطبي (٢٠/٢٣٨) وذكر فيه النحاس وجهاً آخر فقال : إنها مرفوعة بـ "يا ابتداء" والأحسن هو الأول .

(٢) لم أعرف من رواه من طريق الضحاك عن ابن عباس . وقد ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٣٣٨ - ٣٣٩) ورواه بسنده من طريق عطية العوفى عن ابن عباس . كما رواه أيضاً بسند آخر عن عبيد عن الضحاك من قوله .

(٣) هو عطية بن سعيد بن جنادة العوفى الجدلى .

(٤) قال ابن منظور فى لسان العرب (١٣/٥١٦) " والعِصَاءُ من الشجر : كل شجر له شوك " .

(٥) رواه ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٣٣٨ - ٣٣٩) بسنده عن قرين خالد عنه ، ورواه أيضاً بسنده عن ابن زيد ، وذكر هذا القول الماوردى فى تفسيره (٤/٥٤١) وعزاه إلى ابن عباس .

وذكره البيهقى فى تفسيره (٧/٣١٨) من قول الضحاك وابن زيد ، وقال : وهى رواية عطية عن ابن عباس .

انظر أيضاً زاد المسير (٩/٢٦١) والكشاف (٤/٨١٥) وتفسير الرازى (٣٢/١٧١) وتفسير القرطبي (٢٠/٢٤٠) والبحر المحيط (٨/٥٢٦) .

(٦) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره (٣٠/٣٣٩) ورواه بسنده عن جماعة من أئمة التفسير ، منهم عكرمة وقتادة ومجاهد وهو قول الفراء فى معانى القرآن (٣/٢٩٩) ، وابن قتبية فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٤٢) وتأويل مشكل القرآن (١٥٩) وذكر هذا القول ابن الجوزى فى زاد المسير (٩/٢٦٠ - ٢٦١) من قول ابن عباس ومجاهد والسدى والفراء . انظر أيضاً المصادر المذكورة فى الهامش السابقة بالإضافة إلى تفسير مجاهد (٢/٧٩٣) وتفسير عبد الرزاق (ق ١٧٧/ب) .

(٧) هو تميم بن غالب بن فهر بن مالك ، وقيل له الأدرم لأنه كان ناقص الذقن ، وكان عبد الله بن خطل الذى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح من هذه القبيلة انظر جمهرة أنساب العرب (ص ١٢٣) واللباب (١/٣٦ - ٣٧) .

(٨) الحرب : أن يسلب الرجل ماله ، انظر لسان العرب (١/٣٠٣) والرجز أنشده .

٠٠/٠٠

الماوردي في تفسيره (٥٤٢/٤) وأبوحيان في البحر المحيط (٥٢٦/٨) دون عزو إلى أحد . وفي معناه قولان آخران ، أحدهما : أنها كانت تعمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر ، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها ، لشدة بخلها ، فعسّرت بالبخل ، يذكره ابن جرير دون عزو إلى أحد ، وعزاه آخرون إلى قتادة وقال فيه ابن الجوزي : ليس بالقوى .

والثاني : أن المراد ما حملت من الآثام في عداوة الرسول ، لأنه كالحطب في مسيره إلى النار ، واستدلوا بقوله تعالى " وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ " سورة الأنعام الآية ٣١ .

وذكر القرطبي قولاً آخر فقال : وقيل : المعنى حمالة الخطب في النار ، وفيه بعد . وانظر لمعرفة القولين تفسير الماوردي (٥٤٢ - ٥٤١/٤) وزاد المسير (٢٦١/٩) ، وتفسير الرازي (١٧٢/٣٢) وتفسير القرطبي (٢٤٠/٢٠) والبحر المحيط (٥٢٦/٨) .

وأما الراجح من ذلك فقد ذهب ابن جرير إلى اختيار القول الأول ، فقال : وأولسى القولين ( كذا ، مع أنه ذكر ثلاثة أقوال ) عندي قول من قال : كانت تحمل الشوك ، فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك " . انظر تفسيره (٣٣٩/٣٠) ، وذكر ابن كثير في تفسيره (٥٦٤/٤) أن ابن جرير اختار القول الثاني ( أي أنها كانت تمشى بالنميمة ) وهو خلاف ما في تفسيره . واختار ابن كثير القول الأول فقال بعد أن ذكر ثلاثة أقوال : والصحيح الأول . وهذا هو الذي يبدو لي أيضا ، لأنه أظهر من المعاني الأخرى .

وامراته هي أم جميل بنت حرب بن أمية ، أخت أبي سفيان<sup>(١)</sup> . وقد قرئ : حمالة الحطب بالنصب ، فبالرفع على معنى حمالة الحطب<sup>(٢)</sup> وبالنصب على معنى : أعنى حمالة الحطب<sup>(٤)</sup> .

وقوله ( في جيدها حبل من سد ) فيه قولان : أظهرهما أنه السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه ( في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا<sup>(٥)</sup> ) والمسد : هو

(١) صرح ابن كثير في تفسيره (٤/٥٦٤) بأن اسمها : أروى بنت حرب بن أمية ، وقال : وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذاب جهنم .

انظر أيضاً تفسير الماوردي (٤/٥٤١) وتفسير البغوي (٧/٣١٨) وزاد المسير (٩/٢٦٠) وتفسير القرطبي (٢٠/٢٣٩) وفتح الباري (٨/٧٣٨) .

(٢) قرأ عاصم " حمالة الحطب " بالنصب ، والباقون يرفعونها انظر التيسير (ص ٢٢٥) ، والكشف عن وجوه القراءات (٢/٣٩٠) وحجة القراءات (ص ٧٧٦) .

(٣) كذا في النسختين (على معنى حمالة الحطب) بيد وأن في العبارة سقطاً ، ولعل الصواب (على معنى : هي حمالة الحطب) وذكروا في توجيه هذه القراءة عدة أمور : الأول : أنها مرفوعة على أنها صفة من (وامراته) ، والثاني : أنها مرفوعة على إضمار مبتدأ : أي هي حمالة الحطب ، والثالث : أنها مرفوعة على أنها خبر مبتدأ (وامراته) والرابع : أنها مرفوعة على البدل من (وامراته) .

انظر الكشف عن وجوه القراءات (٢/٣٩٠) وانظر أيضاً إعراب القرآن (٣/٧٨٥) ، ومشكل إعراب القرآن (٢/٥٠٧) والظاهر أنها صفة من (وامراته) .

(٤) ذكروا في توجيه القراءة بالنصب : أنها منصوبة على الذم ، وتقدم يسهره : أعنى حمالة الحطب ، وقيل : إنها منصوبة على الحال .

انظر إعراب القرآن للنحاس (٣/٧٨٥-٧٨٦) والكشف عن وجوه القراءات (٢/٣٩٠) .

(٥) سورة الحاقة الآية ٣٢ .

وأما هذا القول فرواه ابن جرير في تفسيره (٣٠/٣٤٠) بسنده عن عروة ابن الزبير ، وذكره من قوله الماوردي في تفسيره (٤/٥٤٢) وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٦٢) وابن كثير في تفسيره (٤/٥٦٤) وقال البغوي في تفسيره (٧/٣١٨) : قال ابن عباس وعروة بن الزبير : سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً تدخل في فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرهما في عنقها \* وذكر القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٤١) أن ابن عباس قال في رواية أبي صالح : إنه سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً \* ثم قال : وقاله مجاهد وعروة بن الزبير : تدخل من فيها ، وتخرج من أسفلها ويلسوى سائرهما على عنقها \* ويعنى هذا القول أنها تعذب بها في النار ، قال الفراء في معاني القرآن (٣/٢٩٩) : وهي السلسلة التي في النار \* انظر أيضاً تفسير غريب القرآن (ص ٥٤٢) وتفسير الرازي (٣٢/١٧٣) ولسان العرب (٣/٤٠٣) .

القتل والإحكام قال : لأنه أحكم من الحديد<sup>(١)</sup> .

والقول الثاني : أن المراد من الآية أنها كانت تحمل الحطب بحبل من مسد<sup>(٢)</sup> .  
فذكر الله تعالى ذلك على أحد وجهين ، إما لبيان تخسيسها وتحقيرها<sup>(٣)</sup> أو لأنها  
عبّرت رسول الله بالفقر فابتلاها الله تعالى بما هو من عمل الفقراء<sup>(٤)</sup> .  
وقيل : ( حبل من مسد ) أى حبل من شعر أحكم قتله<sup>(٥)</sup> ، وقيل : من ليف أحكم  
قتله<sup>(٦)</sup> .

(١) قال البغوي في تفسيره (٣١٨/٧) : " وأصله : من المسد ، وهو القتل ، والمسد ما قتل  
وأحكم من أى شىء كان ، يعنى السلسلة التى فى عنقها قتل من الحديد فتلاً محكماً " .  
وذكر الرازي في تفسيره (١٧٣/٣٢) عن الواحدى أنه قال : المسد فسى  
كلام العرب : القتل ، يقال : سد الحبل يسده مسداً إذا أجاد قتله ، ورجل  
ممسود إذا كان مجدول الخلق ، والمسد ما سد أى قتل من أى شىء كان ، فيقال  
لما قتل من جلود الإبل ومن الليف والخوص مسد ، ولما قتل من الحديد أيضاً مسد<sup>\*</sup>  
انظر أيضاً تفسير غريب القرآن (ص ٥٤٢) ولسان العرب (٤٠٣/٣) .

(٢) يعنى هذا القول أن المراد الحبل الذى كانت تحتطب به ، وهو قول الضحاك رواه  
ابن جرير فى تفسيره (٣٤٠/٣٠) . وقال البغوي فى تفسيره (٣١٨/٧) : قال  
الضحاك وغيره : فى الدنيا من ليف ، وفى الآخرة من نار ، وذلك الليف هو الحبل  
الذى كانت تحتطب به ، فبينما هى ذات يوم حاطة حزمة فأعيت فقعدت على حجر  
تستريح ، فأتاها ملك فجلبها من خلفها فأهلكها<sup>\*</sup> .

(٣) ذكر هذا الوجه الزمخشري فى الكشاف (٨١٥/٤ - ٨١٦) والرازي فى تفسيره  
(١٧٣/٣٢) وأبو حيان فى البحر المحيطة (٥٢٦/٨) قالوا : " فى جيدها حبل  
مما سُد من الحبال ، لأنها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها  
كما يفعل الخطابون تخسيساً لحاله ، وتحقيراً لها ، وتصويراً لها بصورة بعض  
الخطايا من المواهن ، لتمتعش من ذلك ويمتعش بعلمها<sup>\*</sup> .  
انظر أيضاً إعراب القرآن (٧٨٥/٢) .

(٤) تقديم ذكر هذا الوجه فى ص (١١٢٠) عن قتادة .  
انظر أيضاً تأويل مشكل القرآن (ص ١٦٠) واعترض على هذا القول ابن قتيبة فقال :  
ولست أدري كيف هذا ؟ لأن الله عز وجل وصفه بالمال والولد فقال : " ما  
أغنى عنه ماله وما كسب " .

(٥) فى النسختين ( أحكمت ) والصواب ما أثبتته ، لأنه تقتضيه القواعد .

(٦) لم أجد من ذكر عنه هذا القول . وقال ابن منظور فى لسان العرب (٤٠٢/٣) نقلاً  
عن ابن سيده المسد : حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف أو جلود  
الإبل أو جلود أو من أى شىء كان<sup>\*</sup> .

(٧) قال الجوهرى فى الصحاح (٥٣٨/٢) : " المسد بالتحريك : الليف ، يقال :  
حبل من مسد ، والمسد أيضاً : حبل من ليف أو خوص " .  
وقال الراغب فى المفردات (ص ٤٦٨) : المسد : ليف يتخذ من النخل ، أى من غصنه  
فيمسد أى يفتل<sup>\*</sup> وهو قول الشعبى . ذكره الماوردى فى تفسيره (٥٤٢/٤) ،  
والبغوي فى تفسيره (٣١٨/٧) ورد ابن قتيبة هذا القول ، فقال : وأما المسد  
فهو عند كثير من الناس : الليف دون غيره ، وليس كذلك ، إنما المسد : كل ما ضفر

٠٠/٠٠

وقتل من الليف وغيره ، يقال : سدت الحبل مسداً إذا فلتته ، فهو سد ، تأويل القرآن (ص ١٦١) هذا وذكروا في معناه أقوالاً أخرى ، منها " أنه قلادة من وديع ( وهي خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة ) قاله قتادة . ومنها : أنسه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها . قاله الحسن ، وصرح الماوردي بأن هذا والذي قبله ذكرت بهما على وجه التعبير .

ومنها : أنه قلادة من جوهر فاخر ، قالت : لأنفقها في عداوة محمد ويكسون ذلك عذاباً في جيدها يوم القيامة . قاله سعيد بن المسيب ، ومنها : أيضا : أنسه إشارة إلى الخذلان ، يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء ، كالمربوطة في جيدها بحبل من سد ، .

انظر هذه الأقوال وغيرها في تفسير الطبري ( ٣٠ / ٣٤٠ - ٣٤١ ) وتفسير الماوردي ( ٤ / ٥٤٢ ) وتفسير البغوي ( ٧ / ٣١٨ - ٣١٩ ) وزاد المسير ( ٩ / ٢٦٢ ) وتفسير القرطبي ( ٤٠ / ٢٤١ - ٢٤٢ ) والبحر المحيط ( ٨ / ٥٢٦ ) وتفسير ابن كثير ( ٤ / ٥٦٤ - ٥٦٥ ) .  
وأما الراجح من هذه الأقوال فاخترنا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص ١٦٢) القول

الأول فقال : وأراد الله تبارك وتعالى بهذا الحبل السلسلة التي ذكرها فقال :  
" في سلسلة ذرعتها سبعمليون ذراعاً فاسلكوه " (سورة الحاقة الآية ٣٢ )  
كذلك قال ابن عباس . فيجوز أن يكون سماها مسداً وإن كانت حديداً أو ناراً  
أو ما ساء الله تعالى أن تكون بالضفر والقتل " .

ونذهب ابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ٣٤١ ) إلى أن الصواب في ذلك هو أنه حبل جمع من أنواع مختلفة ، وقال : ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله . وذكر ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٥٦٥ ) عن بعض أهل العلم أن معنى هذه الآية : في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ، ثم كذلك دائماً " . ورضي ابن كثير هذا القول ، وإن ذكر له مستنداً من كلام العرب ، ويبدو لي أن الراجح هو القول الأول . أي أن المراد أنها تعذب في سلسلة من حديد أو غيره في جهنم ، وفي هذا إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل ، فإنها كانت تحتطب في الدنيا الأشواك وتطرحها في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لذلك تستعمل الحبل في عنقها كالحطبات فيكون تعذيبها من جنس عملها ، والله أعلم بالصواب .

وروى أن هذه السورة لما نزلت وسمعتها امرأة أبي لهب أخذت حجراً بيدها  
وجاءت تطلب النبي صلى الله عليه وسلم وتقول :  
مَدَّمْ أَيْبِنَا - وَدِينَهُ طَيْنَنَا - وَأَمْرَهُ عَصِينَا  
وتعني بمدّم محمداً عليه الصلاة والسلام ، لأن كفار قريش كانوا يسمونه مذمماً ،  
فلما جاءت قال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم : إن هذه المرأة قد جاءت  
فقال : إنها لاترائي ، فدخلت ، ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت  
لابي بكر : أين صاحبك ؟ فقال : ماشأنك ؟ فقالت : بلغني أنه هجانسي ،  
فجئت لا كسر رأسه بهذا الحجر ، فقال أبو بكر : إنه ماهجك فرجعت  
وعشرتني مرطها فقالت : تمس مذمم وضمت .  
( ١ )

( ١ ) رواه البزار في مسنده ( كما في كشف الأستار ٣ / ٨٣ - ٨٤ ) بسنده عن  
عبد السلام بن حرب ، ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس  
بنحوه .

وقال البزار : وهذا أحسن الإسناد ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٤٤ / ٧ )  
وقال : رواه أبو يعلى والبزار ، ثم نقل قول البزار ، وقال : ولكن فيه عطاء  
ابن السائب وقد اختلط . وحسن إسناد الحافظ بن حجر في فتح  
الباري ( ٧٣٨ / ٨ ) ، وروى نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في تفسير  
ابن كثير ٤ / ٥٦٤ ) بسنده عن أسماء ، وأورده ابن هشام في سيرته ( ٦ / ٢ ) عن  
ابن إسحاق بشيء من الاختلاف في الألفاظ .

وذكر عنه أيضاً أنه قال : وكانت قريش إنما تسمى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم مذمماً ، ثم يسبون ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا  
تعجبون لما صرف الله عنى من أذى قريش يسبون مذمماً ، وأنا محمد .

تفسير سورة الإخلاص وهي مدنية ، وقيل : إنها مكية . (٢)

روى (٣) يزيد بن كيسان (٤) عن أبي حازم (٥) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احشدوا (٦) اقرأ عليكم ثلاث القرآن ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم قل هو الله أحد ثم دخل بيته ، قال : فقال القوم : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا اقرأ عليكم ثلاث القرآن فقرا

(١) هو قول قتادة والضحاك والسدي وأحد قولي ابن عباس . والدليل على هذا القول هو ما أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٤٣/٣٠) بسنده عن قتادة أنه قال : جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : انسب لنا ربك ، فنزلت ( قل هو الله أحد ) حتى ختم السورة ، وما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( كما في لباب النقول ٢٣٨ ) عن ابن عباس أنه قال : أن اليهود جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم منهم كعب بن الأشرف وحى بن أخطب ، فقالوا : يا محمد . صف لنا ربك الذي بعثك ، فأنزل الله : " قل هو الله أحد " إلى آخرها .

(٢) هو قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر . واستدلوا على ذلك بحديث أبي بن كعب الذي سيأتي ذكره عند المؤلف - وكذلك بحديث جابر الذي أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٤٣/٣٠) من طريق مجالد عن الشعبي عنه أنه قال : قال المشركون : انسب لنا ربك ، فأنزل الله " قل هو الله أحد " انظر لمعرفة هذين القولين تفسير الماوردى (٥٤٤/٤) وزاد المسير (٢٦٤/٩) وتفسير القرطبي (٢٤٤/٢٠) والبحر المحيط (٥٢٧/٨) وجمع السيوطي في لباب النقول (ص ٢٣٨) بين القولين بما رواه ابن جرير في تفسيره (٣٤٣/٣٠) بسنده عن أبي العالية أنه قال : قال قادة الأحزاب : أنسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه ، وقال السيوطي بعد ذكره لهذا الحديث : وهذا المراد بالمشركين في حديث أبي فتكون السورة مدنية كما دل عليه حديث ابن عباس ، وينتفى التعارض بين الحديثين .

وقال في الإتيان (١٥/١) : فيها قولان لحدِيثين في سبب نزولها متعارضين وجمع بعضهم بينهما بتكرار نزولها ، ثم ظهر لي ترجيح أنها مدنية كما بينته في أسباب النزول .

(٣) ما بين المعكوفين غير موجود في النسختين ، وهو زيادة مني معتداً على طريقة المؤلف فيما سبق لإيراد الروايات .

(٤) هو يزيد بن كيسان اليشكري أبو سماعيل أو أبو منين ، الكوفي ، صدوق ، يخطى ، من السادسة . تقريب التهذيب (ص ٣٨٤) .

(٥) ما بين المعكوفين غير موجود في النسختين ، وسياق الإسناد يقتضيه ، وكذا هو في صحيح مسلم ، وأبو حازم هو سلمان الأشجعي الكوفي ، ثقة ، مات على رأس المائة . تقريب التهذيب (ص ١٣) وانظر أيضاً تهذيب التهذيب (١٤١/٤) .

(٦) هذه الكلمة غير واضحة في نسخة " ب " . وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم : ( احشدوا ) أي اجتمعوا .



( قل هو الله أحد ) ثم دخل ما لهذا إلا شيء قال : فسمعها فخرج إلينا فقال :  
 إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن . رواه مسلم في كتابه عن محمد بن حاتم  
 ويعقوب الدورقي <sup>(٢)</sup> عن يحيى بن سعيد <sup>(٣)</sup> عن يزيد بن كيسان - الحديث .  
<sup>(٤)</sup>

( ١ ) هو محمد بن حاتم بن ميمون البغدادي أبو عبد الله القطيعي المعروف بالسمين  
 مروزي الأصل ، سكن بغداد ، صدوق ربما وهم ، وكان فاضلاً ، مات سنة خمس  
 أوست وثلاثين ، تهذيب التهذيب ( ١٠١/٩ ) وتقريب التهذيب ( ٢٩٣ ) .

( ٢ ) هو يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن أفلح العبدي مولى هم أبو يوسف الدورقي ، ثقة ،  
 مات سنة اثنتين وخمسين وله ستوتسعون سنة كان من الحفاظ .  
 تقريب التهذيب ٣٨٦ .

( ٣ ) هو يحيى بن سعيد بن عمرو التميمي أبو سعيد القطان البصري ، ثقة متقن  
 حافظ إمام قدوة ، مات سنة ثمان وتسعين ومائة ، وله ثمان وسبعون .  
 تقريب التهذيب ٣٧٥ .

( ٤ ) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة ، باب فضل قراءة " قل هو الله أحد " ( ٩٤/٦ -  
 ٩٥ ) من الطريق المذكور ، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحشدوا  
 ، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، فحشد من حشد ، ثم خرج نبي الله صلى الله  
 عليه وسلم فقرأ : قل هو الله أحد ، ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : إني أرى  
 هذا خبر جاءه من السماء ، فذاك الذي أدخله ، ثم خرج نبي الله صلى الله  
 عليه وسلم ، فقال : إني قلت لكم : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنهم  
 تعدل ثلث القرآن . رواه أيضاً من وجه آخر عن أبي حازم عن أبي هريرة مختصراً  
 كما رواه الترمذي في سننه - كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في سورة الإخلاص  
 ( ١٦٨/٥ - ١٦٩ رقم ٢٩٠٠ ) عن محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد به  
 بنحوه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وذكر في هذا  
 الحديث عدة توجيهات ، أحسنها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى  
 ( ١٣٤/١٧ ) : " إن القرآن ثلاثة أنواع ، توحيد ، وقصص ، وأحكام ، وهذه  
 السورة صفة الرحمن ، فيها التوحيد وحده ، وذلك لأن القرآن كلام الله ، والكلام  
 نوعان ، إما إنشاء ، وإما إخبار ، والإخبار إما خبر عن الخالق ، وإما خبر عن  
 المخلوق فالإنشاء هو الأحكام كالأم والنهي ، والخبر عن المخلوق هو القصص ، والخبر  
 عن الخالق ، هو ذكر أسمائه وصفاته ، وليس في القرآن سورة هي وصف الرحمن محضاً  
 إلا هذه السورة " وقد ذكر البيهقي أيضاً نحوه في الأسماء والصفات ( ص ٥٦ ) - ومما  
 ينبغي معرفته هنا أنه إذا كانت هذه السورة تعدل ثلث القرآن لا يلزم من ذلك أنها  
 أفضل من الفاتحة ، ولا أنها يكتفى بتلاوتها ثلاث مرات عن تلاوة القرآن ، بل قد كره  
 السلف أن تقرأ إذا قرئ القرآن كله إلا مرة واحدة ، كما كتبت في المصحف ، لا يسزاد  
 علي ذلك ولا ينقص منه ولكن إذا قرأت مفردة تقرأ ثلاث مرات وأكثر من ذلك ، ومن  
 قرأها ظه من الأجر ما يعدل ثلث القرآن .  
 انظر مجموع الفتاوى ( ١٣٠/١٧ ) ( ٢١٣٠ ) .

وروى إسماعيل بن أبي زياد<sup>(١)</sup> عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال : دخلت اليهود على نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد صف لنا ربك ، وانسبه لنا ، فقد وصف نفسه في التوراة ونسبها ، فارتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مفضياً عليه فقال : كيف تسألونني عن صفقبي ونسبه ؟ ولو سألتهموني أن أصف لكم الشمس لم أقدر عليه ، فهبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل لهم : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ( أي ليس بوالد ولا بمولود وليس له شبيه من خلقه .

قال - رضي الله عنه - أخبرنا بهذا الحديث - الشيخ العفيف أبو علي بن بندار<sup>(٣)</sup> بهمدان بإسناده عن إسماعيل بن أبي زياد - الحديث<sup>(٤)</sup> .

وفي بعض الأخبار : ان سورة ( قل يا أيها الكافرون ) وسورة ( قل هو الله أحد ) هما المُشَقَّقَتَانِ ، أي تبرهان من الشرك والنفاق . يقال : قشقت المريض من علته : إذا أبرأ<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) هو إسماعيل بن زياد ، وقيل ابن أبي زياد السكوني قاضي الموصل ، متروك كذبوه .  
انظر ميزان الاعتدال ( ٢٣٠ / ١ ) وتقريب التهذيب ٣٣ .

( ٢ ) هو جوير ( تصغير جابر ) ابن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي ، ويقال : اسمه جابر ، وجوير لقب ، نزل الكوفة . قال فيه الحافظ : راوى التفسير ضعيف جداً ، مات بعد الأربعين ومائة . تقريب التهذيب ( ص ٥٨ ) وانظر أيضاً ميزان الاعتدال ( ٤٢٧ / ١ ) .

( ٣ ) لم أجد ترجمته .

( ٤ ) لم أهتد إلى من أخرج هذا الحديث . وهو إسناد ضعيف جداً ، لأن فيه إسماعيل ابن أبي زياد كذبوه ، وجوير قال فيه الحافظ : ضعيف جداً ، كما تقدم فسي ترجمتهما .

وأورد النحاس في إعراب القرآن ( ٧٨٨ / ٣ ) هذا الحديث بلفظ : إن اليهود سألو النبي صلى الله عليه وسلم أن يصف لهم ربه جل وعز وينسبه فأنزل الله جل وعز " قل هو الله أحد " ثم قال : وفيه أشياء منها أنه من حديث جبر ( كذا ، والصواب جوير ) عن الضحاك ، لم يسمع عن ابن عباس .

قال أحمد بن شعيب : جوير بن سعيد خراساني يروي عن الضحاك متروك ، وفيه إسماعيل بن زياد ضعيف .

( ٥ ) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره ف ( ٢٢٥ / ٢٠ ) عن الأصمعي أنه قال : كان يقال " قل يا أيها الكافرون " و " قل هو الله أحد " المقشقتان ، أي أنهما تبرتان من النفاق ، انظر أيضاً الكشاف ( ٨٠٨ / ٤ ) وقيل : ان المعوذتين كان يقال لهما المقشقتان . انظر تفسير القرطبي ( ٢٥١ / ٢٠ ) .

( ٦ ) انظر النهاية لابن الأثير ( ٦٦ / ٤ ) ولسان العرب ( ٣٣٧ / ٦ ) وذكر الرازي في تفسيره ( ١٧٥ - ١٧٦ ) لهذه السورة أسماء كثيرة ، تبلغ عشرين اسماً ، منها هذا الاسم .

وسميت السورة سورة الإخلاص لأنه ليس فيها إلا وصف الرب عز اسمه وليس فيها أمر ولا نهى ولا وعد ولا وعيد .<sup>(١)</sup>

وذكر أبو عيسى في كتابه برواية أبي جعفر الرازي<sup>(٢)</sup> عن الربيع بن أنس<sup>(٣)</sup> عن أبي العالية<sup>(٤)</sup> عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا : يا رسول الله انسب لنا ربك فانزل الله تعالى ( قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ) لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله لا يموت . ولا يورث ، ( ولم يكن له كفواً أحد ) قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثل شيء .<sup>(٥)</sup>

(١) روى ابن جرير في تفسيره ( ٣٤٧ / ٣٠ ) بسنده عن قتادة أنه قال : هذه سورة خالصة ، ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة وورد فيما أخرجه أبو الشيخ في العظمة ( ٢٢٥ رقم ٨٦ ) بسنده عن أنس مرفوعاً في سياق طويل : أن هذه السورة ليس فيها ذكر جنة ولا نار ولا دنيا ولا آخرة ولا حلال ولا حرام أنتسب الله إليها فهي له خالصة " وفي سنده ضعف . وروى البخاري في صحيحه ( ٣٤٧ / ١٣ ) رقم ٧٣٧٥ ، بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ " قل هو الله أحد " فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخبروه أن الله تعالى يحبه " . انظر أيضاً مجموع الفتاوى ( ١٧ / ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢١٧ ) ، وذكر الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٥٤٥ ) في سبب تسميتها ثلاثة أوجه - أحدها هو ما ذكره المؤلف ، أي لأنها خالصة لله ، ليس فيها أمر ولا نهى . والثاني : لأن في قراءتها خلاصاً من عذاب الله ، والثالث : لأن فيها إخلاص الله من كل عيب ومن كل شريك وولد ، وعزاه إلى عبد الله بن المبارك .

(٢) هو أبو جعفر الرازي التميمي مولاهم مشهور بكنيته ، واسمه عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان ، وأصله من مرو وكان يتجر إلى الري ، صدوق ، سبي الحفظ خصوصاً عن مغيرة مات في حدود الستين ومائة ، تقريب التهذيب ٣٩٩ .

(٣) هو الربيع بن أنس البكري أو الحنفي . تقدم مترجمته في ص ( ٣٢٣ ) .

(٤) هو ربيع بن مهران أبو العالية الرياحي ، تقدم مترجمته في ص ( ٣٤٤ ) .

(٥) انظر سنن الترمذي - كتاب التفسير ، باب ومن سورة الإخلاص ( ٥ / ٤٥١ ، رقم ٣٣٦٤ )

عن أحمد بن منيع ثنا أبو سعد وهو الصنعاني عن أبي جعفر الرازي به . ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده ( ١٣٣ / ٥ - ١٣٤ ) والبخاري في تاريخه ( ١ / ٢٤٥ ) وابن أبي عاصم في السنة ( ١ / ٢٩٧ رقم ٦٦٣ ) وابن جرير في تفسيره ( ٣٠ / ٣٤٢ ) والحاكم في مستدركه ( ٢ / ٥٤٠ ) والبيهقي في الأسماء والصفات ( ص ٤٩ - ٥٠ ) والواحدى في أسباب النزول ( ص ٣٤٦ ) كلهم من طرق عن أبي جعفر الرازي به بنحوه ، بعضهم مطولاً هكذا وبعضهم مختصراً . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافق الذهبي . ولكن في إسناد عطاء بن الأبي ، الأولى : أبو جعفر الرازي سبي الحفظ ، والثانية : الأرسال ، فإن الترمذي رواه من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي . . . . . فذكره دون قوله " عن أبي بن كعب " يعني أرسله ، وقال الترمذي : " وهذا أصح من حدِيث أبي سعد " وأورد الحدِيث الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٨ / ٧٣٩ ) من رواية الترمذي موصولاً ومرسلاً ، وذكر كلام الترمذي ثم قال : وصح الموصول ابن خزيمة والحاكم ، وله شاهد من حدِيث جابر عند أبي يعلى والطبري والطبراني فسي والأوسط " .

- بسم الله الرحمن الرحيم -

قوله تعالى ( قل هو الله أحد ) أى قل هو الله الواحد ، أحد بمعنى الواحد (١) وقد فرّق بين الأحد والواحد . (٢)

وقيل : إن الأحد أبلغ من الواحد يقال : فلان لا يقاومه أحد نغياً للكلمة ، ويقال : لا يقاومه واحد ، ويجوز / أن يقاومه اثنان (٣) ، وأيضاً فإن الواحد يكون ٣٤٨/ب الذى يليه الثانى والثالث فى العدد ، والأحد لا يكون بمعنى هذا الحال (٤) .

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزى فى زاد المسير (٢٦٧/٩) وعزاه إلى ابن عباس وأبى عبيدة - وذكره الرازى فى تفسيره (١٧٨/٣٢) وابن منظور فى لسان العرب (٤٤٨/٣) وذكروا أن الأحد أصله الوحد ، أبدلت الواو همزة ، ويفعلون ذلك فى الواو المضمومة أو المكسورة كقولهم : وجوه وأجوه وسادة وأسادة "وقال الزجاج فى تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٥٨) وهذا فى الكلام عزيز جداً ، ولم نعرف له نظيراً إلا أحرفاً يسيرة " .

(٢) من قال بالتفريق بينهما أبو سليمان الخطابى كما ذكر عنه ابن الجوزى ، والأزهري فى تهذيب اللغة (١٩٧/٥) فإنه قال : لا يوصف شىء بالأحد يقفّر الله تعالى لا يقال رجل أحد ولا درهم أحد ، كما يقال : رجل واحد أى فرد به ، لأن "أحد" صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها شىء " .

(٣) ذكر هذا الفرق الماوردى فى تفسيره (٥٤٥/٤) والرازى فى تفسيره (١٧٨/٣٢) قال الماوردى : إن الأحد يستوعب جنسه ، والواحد لا يستوعب ، لأنك لو قلت : فلان لا يقاومه أحد ، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر ، فصار الأحد أبلغ من الواحد " .

(٤) ذكره الماوردى والرازى فى مصدرينهما السابقين قال الماوردى "إن الأحد لا يدخل فى العدد ، والواحد يدخل فى العدد ، لأنك تجعل للواحد ثانياً " وانظرو أيضاً لسان العرب (٤٤٨/٣) وهناك أوجه أخرى فى الفرق بينهما . فذكر ابن الجوزى فى زاد المسير (٢٦٧/٩) عن أبى سليمان الخطابى أنه قال : الواحد : هو المنفرد بالذات فلا يضاهاه أحد ، والأحد : هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد " .

وذكر الرازى وجهاً آخر فقال : إن الواحد يستعمل فى الإثبات والأحد فى النفي ، تقول فى الإثبات : رأيت رجلاً واحداً ، وتقول فى النفي : ما رأيت أحداً ، فيفيد العموم ، وذكر نحوه ابن منظور فى لسان العرب (٤٤٨/٣) . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (٢٣٧/١٧) "إن لفظ الأحد لم يوصف به شىء من الأعيان إلا الله وحده وإنما يستعمل فى غير الله فى النفي ، قال أهل اللغة : تقول : لا أحد فى الدار ، ولا تقل : فيها أحد ، ولهذا لم يجرى فى القرآن إلا فى غير الموجب ، كقوله تعالى : "فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين" سورة الحاقه الآية ٤٧ .

وأكثر المفسرين أنه بمعنى الواحد . ( ١ )

وقوله ( هو ) الابتداء فيه اسم مضمرة كأنه أشار إلى أن الذي سألتموني عنه وهو الله الواحد فيكون قوله ( الله أحد ) تبييناً وكشفاً للاسم المضمرة في قوله ( هو ) . ( ٢ )

( ١ ) لم أجد من صرح من المفسرين بأنه قول أكثر المفسرين . وتقدم نقلاً عن ابن الجوزي وغيره أنه قول ابن عباس .  
وأما من ناحية الإطلاق فأطلق كل منهما ( الواحد والأحد ) على الله سبحانه وتعالى ، بل كلاهما من أسمائه الحسنى . قال الزجاج في تفسير ( الواحد ) :  
وَضَعُ الكَلِمَةَ فِي الكَلِمَةِ إِنَّمَا هُوَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ بِأَثْنَيْنِ وَلَا أَكْثَرَ مِنْهُمَا ،  
وفائدة هذه اللفظة في الله عز اسمه : إنما هي تفرد بصفاته التي لا يشركه فيها أحد ، والله تعالى هو الواحد في الحقيقة ، ومن سواه من الخلق آحاد تَرَكَّبَتْ ،  
ثم ذكر بعده مباشرة اسم ( الأحد ) ونقل عن أصحاب المعاني : الفرق بين الواحد والأحد ، أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط ، والأحد يفيد بالذات والمعاني ، وعلى هذا جاء في التنزيل " قل هو الله أحد " أراد : المنفرد بواحدانيته في ذاته وصفاته . انظر تفسير أسماء الله الحسنى ( ص ٥٨ ) .

( ٢ ) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٦٦/٩ ) والرازي في تفسيره ( ١٧٨/٣٢ ) عن الزجاج . قال ابن الجوزي : قال الزجاج : هو كناية عن ذكر الله عز وجل والمعنى : الذي سألتم تبين نسبه هو الله ، وذكر الرازي في ذلك وجهين آخرين :

أحدهما : أن ( هو ) كناية عن اسم الله ، فيكون قوله : ( الله ) مرتفعاً بأنه خبر مبتدأ ، ويجوز في قوله ( أحد ) ما يجوز في قولك : زيد أخوك قائم .

والثاني : أن ( هو ) كناية عن الشأن ، وعلى هذا التقدير يكون ( الله ) مرتفعاً بالابتداء ، و ( أحد ) خبره ، والجملة تكون خبراً عن ( هو ) والتقدير : الشأن والحديث هو أن الله أحد . وهذا الوجه ذكره أبو جعفر النحاس أيضاً في إعراب القرآن ( ٧٨٨/٣ ) وعزاه إلى أكثر البصريين والكسائي .

وذكره أيضاً مكي بن أبي طالب في شكل إعراب القرآن ( ٥٠٨/٢ ) والأصح في ذلك هو قول الزجاج الذي ذكره المؤلف ، أي أن المعنى : الذي سألتم تبين نسبه هو الله ، وذلك لأنه ثبت أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى ونسبه ، فأنزلت السورة في معرض الرد على سوء الفهم . وبهذا قال الفراء في معاني القرآن ( ٢٩٩/٣ ) ، ورد على قول الكسائي وغيره ( أي أنه كناية عن الشأن ) بأن ذلك لا يجوز إلا أن يكون قبلها شيء مثل إن أو بعض أخواتها ، أو كأن أو الظن .

وأما القول الثاني الذي ذكره بقوله إنه كناية عن اسم الله فييد ولي أن ذلك يعود إلى القول الأول نفسه ، ليس بينهما فرق .

وقوله ( الله الصمد ) فيه أقوال أحدها : أنه الذي يصمد إليه في الحوائج .  
 والآخر : أنه الذي انتهى في السوءد وبلغ كماله ، قال الشاعر (٣)  
 ألا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ يَعْمُرُو بِنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ (٥)  
 وقال آخر : (٦)  
 عَلُوْتُهُ بِحُسامِي ثُمَّ قَلَّتْ لِي — خذها حذيف فأنت السيد الصمد (٧)

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٥٤٦/٤) قال : "إنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم" قاله ابن عباس " وذكره البغوي في تفسيره (٣٢١/٧) قال : " قيل : هو السيد المقصود في الحوائج ، قال السدي : هو المقصود إليه في الرغائب ، المستغاث به عند المصائب " وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٧/٩) قال : "إنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج " رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أه وفيما بيدولي أنه غير ثابت عنه مرفوعاً . انظر أيضا تفسير القرطبي (٢٤٥/٢٠) ، وتفسير ابن كثير (٥٧٠/٤) والصحاح (٤٩٩/٢) ولسان العرب (٢٥٩/٣) وذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢١٤/١٧ - ٢١٥) وقال : هو قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين ، أه . وهو اختيار ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص ٥٤٢) والزجاج في تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٥٨) والطبري في تفسيره (٣٤٧/٣٠) .

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣٤٦/٣٠) قال : وقال آخرون : هو السيد الذي انتهى سوءده ، ثم روى هذا المعنى بسنده عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، كما روى بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : السيد الذي قد كمل في سوءده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والمعظيم الذي قد عظم في عظمته . . . . الحدِيث بطوله .

وذكره الماوردي في تفسيره (٥٤٦/٤) من قول أبي وائل وسفيان ، وذكره القرطبي في تفسيره (٢٤٥/٢٠) قال : قال علي وابن عباس وأبو وائل شقيق بن سلمة وسفيان : الصمد : هو السيد الذي قد انتهى سوءده في أنواع الشرف والسوءد " انظر أيضا بقية المصادر المذكورة في الهامش السابق . واعترض عليه الأزهرى في تهذيب اللفظة (١٥٠/١٢) فقال : أما الله تبارك وتعالى فلانهاية لسوءده لان سوءده غير محدود " وفيما بيدولي أنهم لا يقصدون بقولهم هذا تحديد سوءده سبحانه وتعالى وإنما مقصودهم أنه سبحانه وتعالى بلغ في السوءد والشرف كمالهما ، إذ الكمال ليس إلا له سبحانه وتعالى .

(٣) هو سبرة بن عمرو الأسدي ، كما جاء التصريح باسمه في بعض المصادر .

(٤) في رواية : بخير بني أسد .

(٥) هو في مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣١٦/٢) وتهذيب الألفاظ (ص ٢٧) وسميط

اللالكي (ص ٩٣٣) وتفسير الطبري (٣٤٧/٣٠) وتفسير الماوردي (٥٤٦/٤) وزاد

المسير (٢٦٨/٩) ولسان العرب (٢٥٨/٣) وجميعهم استدلوا بهذا البيت على

القول بأن الصمد معناه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج .

(٦) هو عمرو بن الأسلم العنسي ، كما صرح به عبد الغفور العطار في تعليقه على الصحاح .

(٧) أنشده الجوهرى في الصحاح (٤٩٩/٢) والماوردي في تفسيره (٥٤٦/٤) والرازي

في تفسيره (١٨١/٣٢) والقرطبي في تفسيره (٢٤٥/٢٠) وأبو حيان في البحر

المحيط (٥٢٧/٨) وابن منظور في لسان العرب (٢٥٨/٣) واستدل به جميعهم

على أن الصمد : معناه السيد الذي قد انتهى سوءده في أنواع الشرف .

- والقول الثالث : أنه الذ عليس له جوف أى لا يأكل<sup>(١)</sup> . والقول الرابع : ان تفسيره قوله ( لم يلد ولم يولد )<sup>(٢)</sup> .  
وقيل : إنه الباقي الذى لا يفنى<sup>(٣)</sup> .  
وقيل : إنه الدائم الذى لا يزول<sup>(٤)</sup> .

(١) ذكره ابن جرير فى تفسيره (٣٤٤/٣٠) قال : قال بعضهم : هو الذى ليس بأجوف ، ولا يأكل ولا يشرب " ثم روى هذا المعنى عن جماعة من أئمة التفسير - منهم ابن عباس ومجاهد والحسن والشعبي وغيرهم . وروى أيضا ضمن هذا القول عن سعيد بن المسيب أنه قال : الصمد الذى لا حشوة له ، وذكر قولاً آخر فقال : وقال آخرون : هو الذى لا يخرج منه شئ ، وروى هذا المعنى بسنده عن الضحاك وعكرمة " وقد اعتبر بعض المفسرين هذين القولين قولاً واحداً كما فعل ابن الجوزى فقال : إنه الذى لا جوف له ، ثم عزاه إلى ابن عباس والحسن ومجاهد وابن جب جر وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى ، ثم نقل ما قاله ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن (ص ٥٤٢) : وهو - على هذا التفسير - كأن الدال فيه مبدلة من تاء ، والمصمت من هذا ، انظر زاد المسير (٣٦٨/٩) وأما الماوردى فذكر أولاً أن الصمد : المصمت الذى لا جوف له ، وعزاه إلى الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير ، ثم ذكر المعنى الثانى فقال : هو الذى لا يأكل ولا يشرب قاله الشعبي ، وكذا فعل البغوى ، انظر تفسير الماوردى (٥٤٥/٤) وتفسير البغوى (٣٢٠/٧) .

واعترض ابن منظور فى لسان العرب (٢٥٨/٣) على القول بأن معناه : المصمت الذى لا جوف له ، فقال : وهذا لا يجوز على الله عز وجل " .

(٢) ذكره ابن جرير فى تفسيره (٣٤٦/٣٠) ورواه بسنده عن أبي العالوية ومحمد بن كعب ، وذكره الماوردى فى تفسيره (٥٤٦/٤) من قول محمد بن كعب ، وهذا الذى ورد فى الحديث الذى رواه أبو العالوية عن أبي بن كعب مرفوعاً ، وتقدم ذكره عند المؤلف برواية الترمذى (ص ١١٠٢٩) ولذلك ذكره البغوى فى تفسيره (٣٢١/٧) والقرطبي فى تفسيره (٢٤٥/٢٠) من قول أبي بن كعب ، وقال البيهقي فى الأسما والصفات (ص ٥٠) بعد إخراج حديث أبي بن كعب : كذا فى هذه الرواية جعل قوله (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) تفسيراً للصمد ، وذلك صحيح على قول من قال : الصمد الذى لا جوف له " وذكره ابن كثير فى تفسيره (٥٧٠/٤) عن الربيع بن أنس وقال : وهو تفسير جيد .

(٣) ذكره ابن جرير فى تفسيره (٣٤٦/٣٠) وروى بسنده عن الحسن وقتادة أنهما كانا يقولان : الباقي بعد خلقه ، وذكره الماوردى فى تفسيره (٥٤٦/٤) فقال : " إنه الباقي الذى لا يفنى ، قاله قتادة . وذكره ابن كثير فى تفسيره (٥٧٠/٤) من قولهما .

(٤) ذكره الماوردى فى تفسيره (٥٤٦/٤) عن الحسن أنه قال : إنه الدائم الذى لم يسزل ولا يزال . وروى ابن جرير فى تفسيره (٣٤٧/٣٠) بسنده عن قتادة أنه قال : الصمد الدائم ، وذكر القولين (أى هذا والذى قبله) ابن الجوزى فى زاد المسير (٢٦٨/٩) وقال : حكاهما الخطابي . وقال القرطبي فى تفسيره (٢٤٥/٢٠) : وقال قوم : الصمد الباقي الذى علم يسزل ولا يزال ، هذا وفى معنى الصمد أقوال أخرى راجع لمعرفة معناها

٠٠/٠٠

كتاب العظمة لأبي الشيخ ( ٢٣٦ - ٢٤٩ رقم ٩٠ - ١٠٠ ) ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ( ٢١٤ - ٢٣٤ / ١٧ ) وتفسير ابن كثير ( ٥٧٠ / ٤ ) وتهذيب اللغة للأزهري ( ١٥٠ / ١٢ ) ولسان العرب ( ٢٥٨ / ٣ ) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : والاسم " الصمد " فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة ، وإيستكذلك ، بل كلها صواب ، والمشهور منها قولان : أحدهما : أن الصمد هو الذي لا جوف له . والثاني : أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج . والأول : هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة . والثاني : قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين . وهذا قول الطبراني أيضا كما ذكر عنه ابن كثير في تفسيره ( ٥٧٠ / ٤ ) فإنه قال في كتاب السنن له بعد إيراده كثيرا من هذه الأقوال في تفسير الصمد : وكل هذه صحيحة ، وهي صفات ربنا عز وجل وهو الذي يصمد إليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سوره ، وهو الصمد الذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب والباقي بعد خلقه .

وأما أبو سليمان الخطابي فقد اختار القول الأول ( أى أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج ) ووصفه بأنه أصح الوجوه ، لأن الاشتقاق يشهد له ، فإن أصل الصمد القصد ، يقال : أصمد صمدا فلان أى أقصد قصده ، فالصمد : الذي يصمد إليه في الأمور ، ويقصد في الحوائج ، وهكذا ذكر عنه البيهقي في الأسماء والصفات ( ص ٧٩ - ٨٠ ) وابن الجوزي في زاد المسير ( ٢٦٨ / ٩ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢٤٥ / ٢٠ ) والصحاح ( ٤٩٩ / ٢ ) وتهذيب اللغة ( ١٥٠ / ١٢ ) وهذا هو اختيار ابن قتيبة وابن جرير كما تقدم عنهما ( ص ١٢٩٤ ) .

وهذا هو الذي بيد ولي أيضا أنه الصواب ، لأن بعض الأقوال التي ذكرت في تفسير الصمد لما يحسن إطلاقه على الله سبحانه وتعالى ، فالذي يدل عليه الاشتقاق اللغوي وبوافقه ما يتصف به الرب سبحانه وتعالى من الربوبية والسيادة والغنى المطلق هو الأصح . وتقدم أنه اختيار ابن قتيبة والزجاج والطبري .



وقوله ( لم يلد ولم يولد ) أى ليس له والد ولا ولد<sup>(١)</sup> ، وقيل : إنه نفي لقول اليهود والنصارى عزيز ابن الله والمسيح ابن الله . ونفى لقول المشركين : إن الملائكة بنات الله ، فهذا كله فى قوله ( لم يلد ولم يولد ) وفيه نفي لقول النصارى إن مريم عليها السلام ولدت إلهاً وهو المسيح<sup>(٢)</sup> .

وقوله ( ولم يكن له كفواً أحد ) أى لم يكن أحد نظيراً له ولا شبيهاً<sup>(٣)</sup> فهو على

( ١ ) ذكر الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٥٤٦ ) فى قوله ( لم يلد ولم يولد ) وجهه من أحد هما : لم يلد فيكون والداً ، ولم يولد فيكون ولداً ، قاله ابن عباس . والثانى : لم يلد فيكون فى العزم مشاركاً ولم يولد فيكون موروثاً هالكا ، قاله الحسين بن فضيل .

( ٢ ) قال مقاتل فى تفسيره ( ١ / ٤٠٩ ) " ( لم يلد ) فيورث ( ولم يولد ) فيشارك ، وذلك أن مشركى العرب قالوا : الملائكة بنات الرحمن ، وقالت اليهود : عزيز ابن الله وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، فأكد بهم الله عز وجل فبرأ نفسه من قولهم " وذكر نحوه البغوى فى تفسيره ( ٧ / ٣٢١ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٩ / ٢٦٨ - ٢٦٩ ) وذكر القرطبى فى تفسيره ( ٢٠ / ٢٤٦ ) عن ابن عباس أنه قال : ( لم يلد ) كما ولد تميم ، ( ولم يولد ) كما ولد عيسى وعزير ، وهما رد على النصارى ، وعلى من قال : عزير ابن الله " . فالآية فيها نفي لأن يكون له سبحانه وتعالى والد وولد ، وفى ضمنه رد على النصارى واليهود والمشركين .

( ٣ ) ورد هذا التفسير فى الحديث الذى رواه الترمذى من حديث أبى بن كعب ، وقد تقدم فى ( ص ١٢٩ ) وذكره الماوردى فى تفسيره ( ٤ / ٥٤٧ ) فقال بعد تقييده أن فى ذلك ثلاثة أوجه : أحدها : لم يكن له مثل ولا عدل . قاله أبى بن كعب وعطاء ، والثانى : لم تكن له صاحبة ، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة ، قاله مجاهد ، والثالث : أنه لا يكافئه فى خلقه أحد " وهذا يرجع إلى القول الأول ولذلك ذكر ابن جرير فى تفسيره ( ٣٤٧ - ٣٤٨ ) القول الأول ( أى أن معناه : ولم يكن له شبيه ولا مثل ) ورواه عن ابن عباس وأبى العالى وابن جريج وغيرهم . والقول الثانى ( أى أن معناه : لم يكن له صاحبة ) ورواه عن مجاهد ، ثم اختار القول الأول ، لأن الكفو والكفاء فى كلام العرب هو المثل والشبيه ، انظر أيضاً الصحاح ( ١ / ٦٨ ) وتفسير غريب القرآن ( ص ٥٤٢ ) .

وأما ابن كثير فذهب إلى اختيار قول مجاهد ( أى أن معناه صاحبة ) فإنه قال : وقوله تعالى : ( لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ) أى ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة ، قال مجاهد : " ولم يكن له كفواً أحد " يعنى : لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى : " يدب السمووات والأرض أتى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء " ( سورة الأنعام الآية ١٠١ ) أى هو مالك كل شىء ، وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزهه . والأصح فيما يظهر لى والله أعلم هو القول الأول أى أن معناه : لم يكن له شبيه ولا مثل ) لأنه تدل عليه اللغة كما تقدم بيانه ، وجاء أيضاً هذا المعنى فى قوله تعالى ( ليس كمثل شىء وهو السميع البصير ) سورة الشورى الآية ١١ ، وأما استدلال ابن كثير بالآية السابقة فليس فيها تصريح بأن كفواً معناه : صاحبة .

التقديم والتأخير كما ذكرنا<sup>(١)</sup>.

ومعنى أحد في آخر السورة غير معنى أحد في أول السورة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٥٤٧/٤) والبيهقي في تفسيره (٣٢١/٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٦٩/٩) والقرطبي في تفسيره (٢٤٦/٢٠) وصرح هو<sup>١</sup> بأن التقديم والتأخير وقع لمتفق رو<sup>٢</sup>وس الآيات .

(٢) تقدم نقلاً عن شيخ الإسلام أن لفظ الأحد لم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده ، وإنما يستعمل في غير الله في النفي ، وهذا هو الفرق بين (أحد) السابق وبين (أحد) هذا فالأول إثبات فوصف به سبحانه وتعالى ، وأما هذا فكان نفيًا فجاز استعماله في غيره سبحانه وتعالى .

- تفسير سورة الفلق وهي مدنية - (١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( قل أعوذ برب الفلق ) فيه أقوال : أحد ها وهو الأظهر أن  
الفلق هو الصبح (٢) - قال الله تعالى ( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ) (٣)  
والقول الثاني : أنه جميع الخلق (٤)

(١) هذه رواية أبي صالح عن ابن عباس ، وبه قال قتادة في آخرين ، وفيه قول آخر وهو أنها ملكية ، وهي رواية كريب عن ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . انظر لمعرفة القولين تفسير الماوردي (٤/٥٤٨) وزاد المسير (٩/٢٧٠) وتفسير القوطبي (٢٠/٢٥١) والبحر المحيط (٨/٥٣٢) وانظر قول الحسن وعكرمة في دلائل النبوة للبيهقي (٧/١٤٢) . وأما الراجح من القولين هو القول الأول أي أنها مدنية . قال ابن الجوزي بعد ذكره للقولين : والأول أصح ، ويدل عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وهو مع عائشة فنزلت عليه المعوذتان . وقال السيوطي في الإتيان (١/١٥) : المعوذتان : المختار أنهما مدنيتان لأنهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم " وسيأتي ذكر هذه القصة عند المؤلف في آخر السورة .

(٢) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره (٣٠/٣٥٠) ورواه بسنده عن عطية العوفي عن ابن عباس ، وعن جماعة من أئمة التفسير منهم جابر بن عبد الله والحسن وسعيد ابن جبير والقرظي ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم - وانظر قول مجاهد في تفسيره (٢/٧٩٦) وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٥٤٨) من قول جابر بن عبد الله وذكره البغوي في تفسيره (٧/٣٢٤) فقال : " أراد بالفلق الصبح وهو قول جابر ابن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين ، وهي رواية العوفي عن ابن عباس" وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٧٢) والقرظبي في تفسيره (٢٠/٢٥٤) وذكرنا عن العرب أنها تقول : " هذا أبين من فلح الصبح وقرق الصبح " انظر أيضا التقفية في اللغة (٣٠٣) ومعاني القرآن للفرابي (٣/٣٠١) ومجاز القرآن (٢/٣١٧) وتفسير غريب القرآن (ص ٥٤٣) والمفردات للراغب (٣٨٥) .

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٦ وهذه الآية دليل على أن المراد هنا هو الصبح . وقد ذهب إلى اختياره البخاري في صحيحه (٨/٧٤١) وابن جرير في تفسيره (٣٥١/٣٥) والنحاس في إعراب القرآن (٣/٧٩٣) واستدلوا على ذلك بقول العرب : هو أبين من فلح الصبح وقرق الصبح " وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٧٣) : قال ابن جرير الصواب القول الأول أنه فلح الصبح ، وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخاري في صحيحه .

(٤) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره (٣٠/٣٥١) فقال : وقال آخرون : الفلق : الخلق ، ومعنى الكلام : قل أعوذ برب الخلق ، ورواه بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وذكره الماوردي في تفسيره (٤/٥٤٨) والبغوي في تفسيره (٧/٣٢٤) ، والقرظبي في تفسيره (٢٠/٢٥٥) من قول الضحاك - وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٧٣) وقال : رواه الوالبي (أي علي بن أبي طلحة) عن ابن عباس ، وكذلك قال الضحاك : الفلق : الخلق كله .

والقول الثالث : أنه بيت في النار إذا فتح بابَه صاح أهل جهنم من شدة حره قاله كعب الحبر .<sup>(٢)</sup>

والقول الرابع : حب في جهنم قاله مجاهد .<sup>(٣)</sup>

(١) كلمة (صاح) غير موجودة في نسخة (ب) وهي موجودة في هامش الأصل .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٥٠/٣٠) بسنده عن كعب أنه دخل كنيسة فأعجبها حسنها ، فقال : أحسن عمل وأصل قوم ، رضيت لكم الفلق ، قيل : وما الفلق ؟ قال : بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره .  
وأورده ابن كثير في تفسيره (٥٧٣/٤) مختصراً بمثل ما ذكره المؤلف ، وقال : رواه ابن أبي حاتم " ١ هـ . وروى ابن جرير في تفسيره (٣٤٩/٣٠) نحو هذا القول عن العوام بن عبد الجبار الجولاني قال : قدم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشام ، قال : فنظر إلى دور أهل الذمة ، وما هم فيه من العيش والنضارة وما وسَّع عليهم في دنياهم قال : فقال : لا أبالك أليس من ورائهم الفلق ؟ قال : وقيل : وما الفلق ؟ . . . . فذكر نحوه .

(٣) هكذا ذكر المؤلف هذا القول عن مجاهد ، وأنا لم أهدت إلى من ذكره عنه ، وقد تقدم عنه أنه ذهب إلى القول بأن معناه : الصبح . وأما هذا القول فسرواه ابن جرير في تفسيره (٣٤٩/٣٠) من طريق سفيان عن السدي قال : الفلق حب في جهنم " وأورده ابن كثير في تفسيره (٥٧٣/٤) بلفظ : الفلق حب في جهنم ، عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تضح منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه " .

وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن أبيه حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سماه عن السدي عن زيد بن طي عن آبائه " وفيه مجاهد - رواه ابن جرير من طريق آخر عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة مرفوعاً : الفلق حب في جهنم مغطى " .

قال فيه ابن كثير : حديث منكر ، إسناده غريب ولا يصح رفعه " وذكرت في معناه أقوال أخرى ، منها : أنه سجن في جهنم ، رواه ابن جرير بسند فيه رجل مبهم عن ابن عباس . ومنها : أنه اسم من أسماء جهنم ، رواه ابن جرير عن أبي عبد الرحمن عبيد الله بن يزيد الحبلي .

ومنها : أنه كل ما انطلق عن شيء ، كالصبح والنوى والحب وغير ذلك قاله الحسن .

انظر لهذه الأقوال وغيرها : إعراب القرآن (٧٩٣/٣) وتفسير الماوردي (٥٤٨/٤) وتفسير البغوي (٣٢٤/٧) وزاد المسير (٢٧٣/٩) وتفسير القرطبي (٢٥٥ - ٢٥٤/٢٠) وتقدم أن الراجح هو القول الأول أي أنه الصبح - وأما ما قيل : من أنه اسم من أسماء جهنم أو واد في جهنم ، فقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥٠٥/١٧) : هذا أمر لا تعرف صحته لا بدلالة الاسم

عليه ولا ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا تخصصه ربوبيته بذلك حكمة " .

وقوله ( من شر ما خلق ) أى من شر جميع ما خلق <sup>(١)</sup> . وقوله ( ومن شر غاسق إذا وقب )  
فيه أقوال أيضا : أحدها : من شر الليل إذا أظلم ، فالغاسق هو الليل . قاله الحسن  
ومجاهد وعكرمة و قتادة <sup>(٢)</sup> . يقال : من شر الليل إذا أقبل ، يقال : وقب دخل ، وقيل :  
أقبل <sup>(٣)</sup> ، ومعنى الاستعانة من الليل لأنه يكون فيه تحرك الهوام <sup>(٤)</sup> ، وهجوم كل ذى شر  
يقصد <sup>(٥)</sup> .

(١) ذكروا فى هذه الآية ثلاثة أقوال : أحدها هذا الذى ذكره المؤلف . وهو اختيار  
الطبرى إذ لم يذكر غيره ، وقال ابن الجوزى : هو الأظهر ، والثانى : أن المراد  
جهنم ، وهو قول ثابت البنانى والثالث : إبليس وذريته ، وهو قول الحسن البصرى .  
انظر تفسير ابن جرير ( ٣٥١ / ٣٠ ) وتفسير الماورى ( ٥٤٩ / ٤ ) وزاد المسير  
( ٢٧٢ / ٩ ) وتفسير الرازى ( ١٩٣ / ٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ٢٥٦ / ٢ ) وتفسير  
ابن كثير ( ٥٧٣ / ٤ ) .

(٢) ذكر هذا القول ( أى أن المراد من الغاسق هو الليل ) ابن جرير فى تفسيره  
( ٣٥١ / ٣٠ ) ورواه بسنده عن الحسن ومجاهد كما رواه من طريق عطية العوفى  
عن ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى ، وأما عكرمة فلم نجد من ذكر أو روى عنه هذا  
القول ، وأما قتادة فذكره ابن كثير فى تفسيره ( ٥٧٣ / ٤ ) ضمن القائلين بأن الغاسق  
هو الليل . وبه قال الفراء فى معانى القرآن ( ٣٠١ / ٣ ) واختاره البخارى فى صحيحه  
( ٧٤١ / ٨ ) وابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٤٣ ) وقال النحاس فى إعراب  
القرآن ( ٧٩٤ / ٣ ) : وأكثر أهل التفسير أن الغاسق الليل \* وذكره ابن الجوزى  
فى زاد المسير ( ٢٧٤ / ٩ ) وعزاه إلى ابن عباس والحسن ومجاهد والقرظى والفراء  
وأبى عميرة والزجاج . وانظر أيضا تفسير الماورى ( ٥٤٩ / ٤ ) وتفسير البغوى  
( ٣٢٥ / ٧ ) وتفسير الرازى ( ١٩٥ / ٣٢ ) وتفسير القرطبي ( ٢٥٦ / ٢٠ ) وتفسير ابن كثير  
( ٥٧٣ / ٤ ) وذكره شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى ( ٥٠٥ / ١٧ ) وقال : وهذا قول  
أكثر المفسرين وأهل اللغة \* .

(٣) اختلف القائلون بأن الغاسق هو الليل فى معنى ( وقب ) على عدة أقوال أحدها :  
إذا أظلم ، هو قول ابن عباس . والثانى : إذا دخل ، قاله الضحاك ، وكسلا  
القولين يوردى معنى واحداً ، ولذلك قال الفراء فى معانى القرآن ( ٣٠١ / ٣ ) " إذا  
وقب " : إذا دخل فى كل شىء وأظلم ، واختاره البخارى فى صحيحه ( ٧٤١ / ٨ ) ،  
وذكره ابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٧٤ / ٩ ) وعزاه إلى اللغويين . والقول الثالث :  
إذا سكن ، قاله يمان بن رثاب ، والرابع : إذا ذهب ، قاله قتادة ، ذكره النحاس  
فى إعراب القرآن ( ٧٩٤ / ٣ ) وقال : لا يعرف \* راجع لمعرفة هذه الأقوال تفسير الماورى  
( ٥٤٩ / ٤ ) وتفسير القرطبي ( ٢٥٦ / ٢٠ ) ولسان العرب ( ١٨٠١ / ١ ) .  
(٤) فى الأصل ( لأن فيه يكون ) وما أثبتته هو الصواب وكذا هو فى نسخة " ب " .  
(٥) فى الأصل ( الهوم ) وفى نسخة " ب " ( الهوم ) وهو خطأ والصواب ما أثبتته ، وكذا ورد  
فى بعض المصادر ، والهوام : الحيات وكل ذى سم يقتل سمه ، انظر لسان العرب  
( ٦٢١ / ١٢ ) هم .

(٦) ذكر ذلك الماورى فى تفسيره ( ٥٤٩ / ٤ ) والرازى فى تفسيره ( ١٩٥ / ٣٢ )  
والقرطبي فى تفسيره ( ٢٥٦ / ٢٠ ) وأبو حيان فى البحر المحيط ( ٥٣٠ / ٨ ) .

والقول الثاني : ان قوله (ومن شر غاسق إذا وقب) هو القمر ، وفيه خبر معروف روى ابن أبي نئيب<sup>(١)</sup> عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة<sup>(٢)</sup> عن عائشة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وأشار إلى القمر وقال : تعسوني بالله من شر هذا هو الغاسق إذا وقب ، ذكره أبو عيسى في جامعه وقال : هو حد يث صحيح .<sup>(٤)</sup>

قال النحاس : يجوز أن تكون الاستعانة من القمر لأن قوماً اشركوا بسببه فنسب إليه الاستعانة على المعجاز .<sup>(٥)</sup>

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي نئيب القرشي العامري أبو الحارث المدني ، ثقة فقيه فاضل ، مات سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة تسع وخمسين ومائة . انظر تقريب التهذيب (ص ٣٠٨) .

(٢) هو الحارث بن عبد الرحمن العامري ، خال ابن أبي نئيب صدوق ، مات سنة تسع وعشرين ومائة وله ثلاث وسبعون . المصدر السابق (ص ٦٠) .

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

(٤) انظر سنن الترمذي - كتاب التفسير ، باب ومن سور المعوذتين (٥/٤٥٢ رقم ٣٣٦٦) ولفظه : أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر ، فقال : يا عائشة ، استعيني بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب . وقال : هذا حديث حسن صحيح والحديث رواه أيضا الإمام أحمد في مسنده (٦١/٦) وابن جرير في تفسيره (٣٥٢/٣٠) وأبو الشيخ في العظمة (ق ١٢٤/١) والحاكم في مستدركه (٥٤٠/٢) كلهم من طرق عن ابن أبي نئيب به - بنحوه ، ولفظ الإمام أحمد أقرب إلى لفظ المؤلف .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح (٧٤١/٨) وقال : "إسناده حسن" .

وهذا أحد الأقوال التي ذكرت في معنى الغاسق أي أنه القمر ، وقال أصحاب هذا القول : المراد : القمر إذا خسف واسود ، وقب : أي دخل في الخسوف ، أو أخذ في الغيبوبة وأظلم . انظر تفسير البغوي (٣٢٥/٧) وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٧/٥٠٥-٥٠٦) هذا الحديث ، ثم قال : وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته لمن فسره بالليل فجعلوه قولاً آخر ، ثم فسروا وقبه بسكونه . ثم قال : فالقمر آية الليل ، وكذلك النجوم إنما تطلع فتنرى بالليل فأمره بالاستعانة من ذلك أمر بالاستعانة من آية الليل ودليله وعلاقتة ، والدليل مستلزم للدلول ، فإذا كان شر القمر موجوداً ، فشر الليل موجود ، وللقمر من التأثير ما ليس لغيره فتكون الاستعانة من الشر الحاصل عنه أقوى .

(٥) قد تعرض النحاس في إعراب القرآن (٣/٧٩٤) لذكر الخلاف في معنى هذه الآية . ولكنه لم يذكر فيه هذا التوجيه ولعله ذكره في معاني القرآن ولم يتمكن من الاطلاع عليه .

قال القتيبي ( من شرا غاسق إذا وقب ) هو القمر إذا دخل في ساهوره . أى فى غلافه ، وهو إذا غاب <sup>(١)</sup> ، فذكر بعضهم : أن الاستعانة من القمر / لأن أهل البرية ٣٤٩ يتحنيون وجبة القمر أى غروبه وهم اللصوص وأهل الشر والفساد <sup>(٢)</sup> .

والقول الثالث : إن الفاسق هو الثريا <sup>(٣)</sup> - وقوله ( إذا وقب ) إذا غاب <sup>(٤)</sup> ، وذلك إذا غاب الثريا ظهرت المعاهات والبلايا ، وإذا طلع الثريا رفعت المعاهات والبلايا <sup>(٥)</sup> .

(١) ذكر عنه القرطبي فى تفسيره ( ٢٥٧ / ٢٠ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٥٢٣١ / ٨ ) أنه قال : " إذا وقب القمر إذا دخل فى ساهوره ، وهو كالفلاف له ، وذلك إذا خسف به ، وكل شىء أسود فيه وغسق " وهذا الكلام لم أجده فى تأويل مشكل القرآن وكذا فى تفسير غريب القرآن ، وهما من مظانه ، نعم : قال فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٤٣ ) بعد أن ذكر القول الأول : ويقال : القمر إذا كسف فاسود ، إذا وقب : دخل فى الكسوف " . وذكر عنه شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى ( ٥٠٦ / ١٧ ) وقال : وهذا ضعيف ، فإن ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعارض بقول غيره ، وهو لا يقول إلا الحق ، وهو لم يأمر عائشة بالاستعانة منه عند كسوفه ، بل مع ظهوره " .

(٢) ذكر القرطبي فى تفسيره ( ٢٥٧ / ٢٠ ) عن أحمد بن يحيى ثعلب أنه نقل عن ابن الأعرابي فى تأويل هذا الحديث : وذلك أن أهل الربيب يتحنيون وجبة القمر " .

(٣) ذكر هذا القول ابن جرير فى تفسيره ( ٣٥٢ / ٣٠ ) قال ، وقال آخرون : هو كوكب وكان بعضهم يقول : ذلك الكوكب هو الثريا ، ثم رواه عن ابن زيد ، وذكره الطائرى فى تفسيره ( ٥٤٩ / ٤ ) والبغوى فى تفسيره ( ٣٢٥ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٧٤ / ٩ ) والرازى فى تفسيره ( ١٩٥ / ٣٢ ) والقرطبي فى تفسيره ( ٢٥٧ / ٢٠ ) وأبوحيان فى البحر المحيط ( ٥٣١ / ٨ ) وابن كثير فى تفسيره ( ٥٧٣ / ٤ ) وكلهم نسبوه إلى ابن زيد .

(٤) صح جميع من ذكر قول ابن زيد هذا أن المراد : أنه الثريا إذا سقطت ، ولم أجده من ذكر أن معنى (وقب) طلى هذا القول : غاب ، وإن كان لا يوجد بينهما ما فرق .

(٥) هكذا العبارة فى النسختين ، ( وذكر ذلك إذا غاب ) وفى نظرى لو كانت هكذا ( وذكر ذلك لأنه إذا غاب ) لكان أحسن .

(٦) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٣٥٢ / ٣٠ ) عن ابن زيد أنه قال : كانت العرب تقول : الفاسق : سقوط الثريا ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها ، وذكره جميع من تقدم ذكرهم فى عزو هذا القول إلى ابن زيد .

وقال ابن جرير : ولعاطى هذا القول علة من أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم " ثم روى بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ومن شر غاسق إذا وقب ) : النجم الفاسق " . وقال ابن كثير فى تفسيره ( ٥٧٣ / ٤ ) " هذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم " .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا طلع النجم رفعت  
العاهة عن كل بلد " (١) .

وذلك مثل الوباء والطواعين والاسقام وما يشبهها .  
وقيل : ( شرغاسق إذا وقب ) أي من شر الشمس إذا غربت . (٢)

(١) أخرجه الإمام محمد بن الحسن في كتاب الآثار ( ص ١٥١ ) والطبراني في المعجم  
الصغير ( ٤١ / ١ ) وأبو الشيخ في العظمة ( ق ١٢٥ / ب ) وأبونعيم في أخبار  
أصبهان ( ١٢١ / ١ ) كلهم من طريق أبي حنيفة حدثنا عطاء بن أبي زباح  
عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه .

وأورده السيوطي في الجامع الصغير ( ١ / ٣٩٨ - ٣٩٩ مع الفيض ) ورمز له  
بالضعف ، وقال المناوي : وفيه شعيب بن أيوب الصريفي أورده الذهبي  
في الضعفاء ، .  
وقال أبو داود أخاف الله في الرواية عنه ، والنعمان بن ثابت إمام أورده الذهبي  
في الضعفاء .  
وقال ابن عدي : ما يرويه غلط وتصحيف وزيادات ، وله أحاديث صالحة .

وأما بالنسبة لشعيب بن أيوب فليس عليه مدار الحديث ، وإنما المدار على الإمام  
أبي حنيفة ، وتكلم عليه بعض أئمة الحديث من جهة حفظه ، ولذلك لم يزد  
الحافظ ابن حجر في التقريب ( ٣٥٨ ) على قوله في ترجمته : " فقيه مشهور " .  
والحق أن هذا لا ينال من قدره ومكانته كإمام جليل ، لأن حفظ الحديث  
وروايته شيء ، واستنباط الأحكام واستخراج المسائل من الكتاب والسنة  
شيء آخر ، هنا إلى جانب أنه توبع ، تابعه غسل بن سفيان ، فلم ينفرد  
بهذا الحديث وحده ولفظ غسل بن سفيان : إذا طلع النجم إذا صباح  
رفعت العاهة " أخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ٢ / ٣٤١ ، ٣٨٨ ) ، والعقيلي  
في الضعفاء ( ٤٢٦ / ٣ ) وأبو الشيخ في العظمة ( ق ١٢٥ / ب ) بسندهما عن  
غسل بن سفيان به .

قال العقيلي : في حديثه وهم ، قال البخاري : فيه نظر . وأما وجه الخلاف  
بينهما فأبو حنيفة أطلق في حديثه الطلوع وقيد الرفع بـ " عن كل بلد " ، وغسل  
قيد الطلوع بـ " إذا صباح " وأطلق الرفع فلم يقيد .  
قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ( ١ / ٣٩٠ ) " وهذا الاختلاف مع ضعف  
المختلفين يمنع من تقوية الحديث " اهـ . وفيما يبدو لي أن هذا الاختلاف في  
اللفظ لا يغير من معنى الحديث كثيراً .

(٢) هو قول الزهري ، ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤١٨ ) وعزا تخريجه إلى  
ابن أبي حاتم ، وذكره من قوله الماوردي في تفسيره ( ٤ / ٥٤٩ ) والقرطبي في تفسيره  
( ٢٥٧ / ٢٠ ) وابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٥٧٣ ) وذكره الرازي أيضا في تفسيره  
( ١٩٥ / ٣٢ ) ولكنه ما عراه إلى أحد .



وذكر النقاش بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ( من شر غاسق  
إذا وقب ) من شر الذكر إذا دخل ،<sup>(١)</sup>

قال النقاش فذكرت ذلك لمحمد بن إسحاق بن خزيمة<sup>(٢)</sup> : ونظت : هل يجوز  
أن يفسر القرآن بهذا ؟ قال : نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من شر  
منى وهو خبر معروف ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعوذ بك من شر سمعى  
ومن شر بصرى وعدد أشياء ، وقال في آخرها - ومن شر منى .<sup>(٣)</sup>

(١) ذكره ابن جزى في التسهيل (٢٢٥/٤) عن النقاش ولكنه قال : أنه الذكر إذا قام ، حكى  
النقاش هذا القول عن ابن عباس وأشار إليه ابن العربي في أحكام القرآن (١٩٩٦/٤)  
فقال : روى أنه الذكر ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة أبو بكر السلمى النيسابورى الشافعى صاحب  
التصانيف ، ولد سنه ثلاث وعشرين ومائتين ، وعنى في حديثه بالحديث والفقہ ، حتى  
صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان .

قال فيه الدارقطنى : كان ابن خزيمة إماماً ثباتاً معدوم النظر ، توفي سنة  
إحدى عشرة وثلاث مائة ، عاش تسعاً وثمانين سنة .  
انظر سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤ - ٣٨٢) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة ، باب في الاستعاذة (١٩٣/٢) رقم  
(١٥٥١) والترمذى في سننه - كتاب الدعوات (٥٢٣/٥ ، رقم ٣٤٩٢) والنسائى  
في سننه كتاب الاستعاذة (٢٥٥/٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢) كلهم من طريق  
سعد بن أوس عن بلال العبسى عن شمر بن شبل عن أبيه شكل بن حميد  
قال : قلت : يا رسول الله ، عظمى دعا ، قال : قل : اللهم إني أعوذ بك  
من شر سمعى ، ومن شر بصرى ، ومن شر لسانى ، ومن شر قلبى ، ومن شر  
منى . هذا لفظ أبى داود .  
قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وصححه  
الألبانى في صحيح الجامع الصغير (٤٠٨/١) . وكون النبي صلى الله عليه وسلم  
يستعبد بشر المنى لا يدل على أن معنى الآية هو ما ذكره النقاش عن ابن عباس  
وقد أشار إليه الألبانى في روح المعانى (٢٨٢/٣٠) وقال : ولا أظن صحة  
نسبته إليه .

وفي معنى الآية أقوال أخرى منها : ما قاله الزمخشرى في الكشاف (٨٢١/٤)  
فإنه قال بعد أن ذكر قولين فيها : ويجوز أن يواد بالفاسق : الأسود

٠٠/٠٠

من الحيات ، ووقبه ، ووقبه : ضربه ونقبه ، . . . . . والتعود من شر الليل لأن انبثائه أكثر  
 والتحرز منه أصعب " وذكر هذا القول من قوله الرازي في تفسيره ( ١٩٥ / ٣٢ ) وقال :  
 إن هذا التأويل أضعف الوجوه المذكورة . انظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢٥٧ / ٢٠ )  
 والبحر المحيط ( ٥٣١ / ٨ ) والتسهيل ( ٢٢٥ / ٤ ) .

ومما قيل في معنى الآية ما ذكره القرطبي فإنه قال : قيل : الفاسق : كل  
 هاجم يضر ، كائنًا ما كان ، من قولهم غسقت القرحة : إذا جرى صديدها . وأيضا  
 ذكر ابن جرير عن السهيلي أنه قال : هو إبليس .

وتوقف ابن جرير في تفسيره ( ٣٥٢ / ٣٠ - ٣٥٣ ) في اختيار أحد الأقوال التي  
 سردها في معنى هذه الآية ، وذكر أن الآية تشمل جميع هذه الأقوال ، وليس هناك  
 ما يدل على تخصيص واحد منها ، وكذا ذكر النحاس أيضا في إعراب القرآن ( ٧٩٤ / ٣ )  
 فإنه قال بعد ذكره لبعض ما قيل فيه : فإذا رُجِعَ إلى اللغة عُرِفَ منها أنه يقال : غسق  
 إذا أظلم فاتفقت الأقوال ، لأن الشمس إذا غربت دخل الليل ، والقمر بالليل يكون ،  
 والكوكب لا يكاد يطلع إلا ليلاً ، فصار المعنى : ومن شر الليل إذا دخل بظلمته  
 ففطن كل شيء " ا هـ . وهذا هو الأصح ( أي أن الآية تشمل جميع ما يدخل تحت  
 قوله من شر غاسق إذا وقب ) .

وقوله (ومن شر النفاثات في العقد) أي السواحر - . والنفث : هو النفخ  
بالفم ، والتفغل : هو إذا كان معه ريق .<sup>(٢)</sup>  
وقوله ( ومن شر حاسد إذا حسد ) الحسد : هو تمنى زوال النعمة عن المنعم  
عليه ، وقد ذكرنا في الحسد أشياء من قبل .<sup>(٣)</sup>

(١) ذكر الفراء في معاني القرآن (٣/٣٠١) وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن  
(ص ٥٤٣) أن النفاثات : هن السواحر ، وقال أبو عبيدة في مجاز  
القرآن (٢/٣١٧) : النفاثات : السحرة ، وأكثر المفسرين قالوا : إن  
المراد بالنفاثات : السواحر .  
انظر تفسير الطبري (٣٠/٣٥٣) وإعراب القرآن (٣/٧٩٤) وتفسير الماوردي  
(٤/٥٤٩) وتفسير البغوي (٧/٣٢٥) وزاد المسير (٩/٢٧٥) وتفسير  
القرطبي (٢٠/٢٥٧) والعمدة في غريب القرآن ٣٦١ وتفسير ابن كثير (٤/٥٧٣) .

(٢) ذكر هذا التفريق بين النفث والتفغل الماوردي في تفسيره (٤/٥٥٠) قال : النفث  
في العقد بلا ريق ، والتفغل : النفخ فيها بريق . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير  
(٩/٢٧٥) عن الزجاج أنه قال : يتفغلن بلا ريق ، ثم نقل عن ابن الأنباري أنه قال :  
قال اللغويون : تفسير نفث : نفخ نفخاً ليس معه ريق ، ومعنى تغل : نفخ  
نفخاً معه ريق .

وقال الجوهري في الصحاح (٤/١٦٤٤) التغل : شبيه بالجزق ، وهو أقل منه ،  
أوله الجزق ، ثم التغل ، ثم النفث ، ثم النفخ .  
وقال ابن منظور في لسان العرب (١١/١٩٥) : النفث : أقل من التغل ، لأن التغل  
لا يكون إلا معه شيء من الريق ، والنفث شبيه بالنفخ ، وقيل : هو التغل بعينه .  
وقال الراغب في المفردات (ص ٥٠) النفث : قذف الريق القليل ، وهو أقل من  
التغل ، والمقصود هنا من النفث : نفث الساحر لأنه إذا أخذ في قراءة الرقية  
أخذ خيطاً ، ولا يزال يعقد عليه عقداً بعد عقد ، وينفث في تلك العقد .  
انظر تفسير الرازي (٣٢/١٩٥) والمفردات (ص ٥٠) ولسان العرب (٢/١٩٦) .

(٣) ذكر الماوردي في تفسيره (٤/٥٥١) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢٥٩) : أن الحسد  
: تمنى زوال نعمة المحسود ، وإن لم يصير للحاسد مثلها ، والمنافسة هي تمنى مثلها  
وإن لم تنزل ، فالحسد شرمذوم ، والمنافسة رغبة مباحة ، وهي الغبطة ، وقال  
الجوهري في الصحاح (٢/٤٦٥) الحسد : أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك ،  
وانظر أيضاً لسان العرب (٣/١٤٨) . وقد وردت أحاديث كثيرة في ذم الحسد  
ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٩/٢٧٦) والقرطبي في تفسيره (٢٠/٢٥٩) أن  
الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء ، وأول ذنب عصي به في الأرض فحسد إبليس  
آدم وحسد قابيل هابيل . وانظر أيضاً تفسير القرطبي (٢/٧١) .

(٤) لم أهتم إلى معرفة الموضوع الذي ذكر فيه هذه الأشياء . وقد رجعت بصاعدة  
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن إلى كل المواضع من الأصل التي ورد فيها ذكر  
الحسد ، فلم أجد شيئاً مما أشار إليه .

وقيل : ( من شر حاسد إذا حسد ) أى إذا ظلم . ( ١ )

واعلم أن المفسرين قالوا : إن هذه السورة والتي تلاها نزلتا حين سحر النسبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن أعصم اليهودي . ( ٢ )  
( والنفاثات في العقد ) يقال : انهن بناتسه . ( ٣ )

( ٤ ) .  
وكان لبيد قد سحر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل ذلك في بئر أروان فاعتسل النبي صلى الله عليه وسلم واشتدت غلته وكان يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ثم إن جبريل عليه السلام أنزل المعوذتين .

( ١ ) كذا في النسختين ( إذا ظلم ) ولم أجد من ورد عنه هذا التفسير ويبدو مما ذكره بعض المفسرين أن الصواب " إذا ظهر " ، فقال الزمخشري في الكشاف ( ٨٢٢ / ٤ ) : " إذا حسد " إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغى الغوائل للمحسود ، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره ، فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتنامه بسرور غيره . وانظر أيضا البحر المحيط ( ٥٣١ / ٨ ) .  
وقال القرطبي في تفسيره ( ٢٥٩ / ٢٠ ) : قال العلماء : الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول وذلك بأن يحطه الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فينتج مساوئه ويطلب عثراته " هذا وقد ذكر أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ( ٧٩٤ / ٣ ) ثلاثة أقوال في المراد من الحاسد . أحدها : هم اليهود ، هو قول ابن زيد ، والثاني : لبيد بن أعصم اليهودي وبناته من السواحر ، والثالث : أنه عام في كل حاسد ، هو قول قتادة ، وذكر ابن جرير في تفسيره ( ٣٥٣ / ٣٠ - ٣٥٤ ) قولين منها الأول والثالث فقط ، ثم اختار هو والنحاس قول قتادة ( أى أن الآية عامة في كل حاسد ) وهو الصواب لأن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

( ٢ ) هو لبيد بن الأعصم الخزرجي المنافق ، واختلف فيه فورد في بعض الروايات : أنه رجل من يهود بني زريق ، وجاء في روايات أخرى أنه رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقا ، وجمع بين الروايات فقيل : إنه من أنصار الخزرج لأن بني زريق بطن من الخزرج ، أسلم ثم كفر ونافق ، وكان حليفا لليهود ومواليا لهم ، فمن قال : إنسه منافق من بني زريق نظر إلى الأصل ، ومن قال : إنه يهودي نظر إلى الولا ، وتنتهي سلسلة الجهمية إلى هذا الرجل . انظر فتح الباري ( ٢٢٦ / ١٠ ) وشرح العيسون ( ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ) .

( ٣ ) ذكر الرازي في تفسيره ( ١٩٥ / ٣٢ ) في سبب تأنيث النفاثات ثلاثة أوجه . أحدها : أن هذه الصناعة إنما تعرف بالنساء لأنهن يعقدن وينفتن ، وذلك لأن الأصل العظيم فيه ربط القطب بذلك الأمر وإحكام الوهم والهمة فيه ، وذلك إنما يتأتى من النساء لقلطمهن وشد قشهورتهن ، فلا جرم كان هذا العمل منهن أقوى ، فسأل أبو عبيدة : النفاثات : هن بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم ، والثاني : أن المراد من النفاثات النفوس . والثالث : أن المراد منها الجماعات ، وذلك لأنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد أكثر كان التأثير أشد .

( ٤ ) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ( ١٦٢ / ١ ) : " أروان : بالفتح ثم السكون ، وواو ، وألف ، ونون ، اسم بئر بالمدينة ، وقد جاء فيها : نروان وذو أروان كل ذلك قد جاء في الحديث . وقال النووي في شرح صحيح مسلم ( ١٧٧ / ٤ ) بعد ذكره لبعض الروايات : وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق ، وانظر أيضا فتح الباري ( ٢٢٩ / ١٠ ) .

وروى أنه قال لعائشة : <sup>(١)</sup> بينا أنا نائم نزل عليّ ملكان ، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال : أحدهما لصاحبه : ما حال الرجل ؟ فقال مطبوب ، فقال : ومن طبيبه ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهودي ، فقال : وأين ذلك فقال في مُشَطِّ ومُشَاطَةٍ <sup>(٢)</sup> تحت راعوفة <sup>(٣)</sup> في بئر ذي أروان ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عليّاً ، وقيل : إنه بعث عماراً ، وقيل : بعث أبا بكر وعمر . <sup>(٤)</sup> حتى استخرجوا ذلك السحر . <sup>(٥)</sup>

- ( ١ ) في النسختين ( هنا ) والصواب ما أثبتته ، لأن ( هنا ) لا يستقيم معه المعنى .  
 ( ٢ ) قال ابن الأثير في النهاية ( ٣٣٤ / ٤ ) " المشاطة : هي الشعر الذي يسقط من الرأس والمخية عند التسريح بالمشط " .  
 ( ٣ ) قال ابن الأثير في المصدر السابق ( ٢٣٥ / ٢ ) " هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت تكون ناتئة هناك فإذا أرادوا تنقية البئر جلس الضقى عليها ، وقيل : هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقى عليه " .  
 ( ٤ ) في رواية البخاري وسلم : فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه وأشار ابن حجر في فتح الباري ( ٢٣٠ / ١٠ ) إلى اختلاف الروايات ولم يذكر رواية ورد فيها ذكر أبي بكر وعمر ، قال : وقع في حديث ابن عباس عند ابن سعد : فبعث إلى علي وعمار فأمرهما أن يأتيا البئر " وعنده في مرسل عمر بن الحكم " فدعا جبير بن إياس الزرقى وهو ممن شهد بدرأً فدلّه على موضعه في بئر ذروان فاستخرجه ، قال : ويقال : الذي استخرجه قيس بن محصن الزرقى ، ويجمع بأنه أعان جبيراً على ذلك وباشره بنفسه فنسب إليه وقال : فيمكن تفسير من أيهم بهؤلاء أو بعضهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وجههم أولاً ثم توجه فشاهد هابنفسه " .

( ٥ ) اختلفت الروايات عند البخاري في استخراج هذا السحر من البئر المذكورة فبعضها تقول بأنه صلى الله عليه وسلم استخرجه ، وبعضها الأخرى تقول بأنه لم يستخرجه ، وقال صلى الله عليه وسلم : قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً " .

ذكر ابن حجر هذه الروايات ونقل عن ابن بطلال ترجيح الرواية التي تقول باستخراجه ، لأنها رواية سفيان وهو متقدم في الضبط ، وأما الرواية التي تقول بعدم استخراجه فالمراد منها عدم نشره ، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم ينشره لئلا يراه الناس فيتعلمه من أراد استعمال السحر .

انظر فتح الباري ( ٢٣٥ / ١٠ ) .

وأُنزل الله هاتين السورتين وكان على ذلك الشئ \* أحد عشر عقدة فقال له جبرئيل :  
اقرأ آية فقال : فأنحلت عقدة ، فكان كلما يقرأ آية انحلت عقدة ، حتى انحلت العقد  
كلها ، وقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط عن عقال<sup>(١)</sup> .

(١) هذه القصة في أصلها صحيحة ثابتة رواها البخارى في صحيحه ، كتاب بدء الخلق  
، باب صفة إبليس وجنوده ( ٣٣٤/٦ رقم ٢٢٦٨ ) وكتاب الطب ، باب السحر  
( ٢٢١/١٠ ، ٢٣٥ رقم ٥٧٦٣ ، ٥٧٦٦ ) وكتاب الأدب ، باب قول الله تعالى  
: ( إن الله يأمر بالعدل . . . الآية ) ( ٤٧٩/١٠ رقم ٦٠٦٣ ) وكتاب  
الدعوات ، باب تكبير الدعاء ( ١٩٢/١١ رقم ٦٣٩١ ) بألفاظ متقاربة ، ومسلم  
في صحيحه - كتاب السلام ، باب السحر ( ١٧٤/١٤ ) كلاهما من طرق عن  
هشام عن أبيه عن عائشة - في سياق أطول منه ، وأما الجملة الأخيرة \* وأنزل  
الله هاتين السورتين ، وكان . . . إلى آخرها فهي غير موجودة عندهما . وإنما  
جاءت عند الثعلبي في تفسيره ( ١٩٢/١٣ ب - ١/١٩٣ ) وقد ذكر القصة  
بتامها ولكن لم يذكر لها سنداً فقال : قال ابن عباس وعائشة رضی الله عنهما  
أدخل حديث بعضهما في بعض . . . ثم ذكرها .

وأوردها عنه ابن كثير في تفسيره ( ٥٧٤/٤ ) وقال : هكذا رواه بلا إسناد  
فيغرابية وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم ( أى من حديث  
الصحيحين ) وجاءت أيضا هذه الجملة عند البيهقي في دلائل النبوة ( ٢٤٨/٦ ،  
٩٤/٧ ) ولكن ضعف ابن حجر إسناد هذه الرواية .

انظر فتح الباري ( ١٢٥/١٠ ) ، وانظر أيضا أسباب النزول للواحدى ( ص  
٣٤٦ - ٣٤٧ ) ولباب النقول ( ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ) وأحكام القرآن لابن العربي  
( ١٩٩٦/٤ ) . هذا وقد ذهب معظم المعتزلة ومن تبعهم من غيرهم إلى  
إنكار هذه القصة الصحيحة الثابتة ، والباعث على إنكارها أمران .

الأمر الأول : هو ما تبناه بعض الناس من أن السحر لا حقيقة وإنما هو  
تخييل وأوهام .

والأمر الثاني : هو زعمهم أن إثباته يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، قالوا :  
وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، كما أن تجويز هذا يعدم الثقة بما جاء به  
من الشرائع ، لأنه يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه بوى جبرئيل وليس شئ  
جبرئيل ، وأنه يوحى إليه بشئ \* ولم يوح إليه بشئ \* .

وأما القول بأن السحر لا حقيقة فقد ذهب إليه عامة المعتزلة وتبعهم في  
ذلك أبو جعفر الاسترابادى من الشافعية وأبو بكر الجصاص من الحنفية وابن حزم  
الظاهرى ، وعمدتهم في ذلك قوله تعالى : " يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ  
تسعى \* سورة طه الآية ٦٦ . أخير سبحانه وتعالى أن ما ظنوه سعياً منها لم  
يكن سعياً وإنما كان تخيلاً \* انظر تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار  
( ص ٢٨ ) . والكشاف ( ٨٢١/٤ ) والمحلّى ( ٤٦/١ ) وأحكام القرآن  
للجصاص ( ٤٣/١ ) وتفسير القرطبي ( ٤٦/٢ ) وفتح الباري ( ٢٢٢/١٠ ) .

٠٠/٠٠

وزهد الجمهور من أهل السنة والجماعة إلى أن السحر له حقيقة ، وقد صرح بذلك غير واحد من الأئمة ، .

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ( ١٤ / ١٧٤ ) نقلاً عن المازري : " مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر ، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأغاف ما يقع منه إلى خيالات باطلنة لا حقائق لها ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه ، وذكر أنه مما يتعلم ، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفربه وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له " . ثم قال : لا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام طفق أو تركيب أجسام أو المنج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر " .

وكذا قال ابن الفرس في أحكام القرآن ( ص ٢٦٤ - ٢٦٧ ) واستدل أيضاً على ذلك ببعض الوقائع التي حدثت لبعض الصحابة من هذا النوع - ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يحصل بسبب السحر ، والذي عليه الجمهور كما قال ابن حجر هو أن له تأثيراً فقط بحيث يفسر المزاج فيكون نوعاً من الأمراض ، دون أن يغير من الحقيقة شيئاً ، .

انظر فتح الباري ( ١٠ / ٢٢٢ - ٢٢٥ ) وانظر أيضاً تفسير القرطبي ( ٢ / ٤٦ ) وشرح العقيدة الطحاوية ( ص ٥٦٩ ) .

وأما استدلال المعتزلة ومن معهم بالآية السابقة فأجاب عنه القرطبي في تفسيره ( ٢ / ٤٦ ) فقال : هذا لا حجة فيه ، لأننا لا ننكر أن يكون التخيل وغيره من جملة السحر ولكن ثبت وراء ذلك أمور جاوزها العقل ، وورد بها السمع " إلى أن قال : ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه ، ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله " .

وقال ابن حجر في فتح الباري ( ١٠ / ٢٢٥ ) : " هذه الآية ( يقصد قوله تعالى : " يَخِيلُ إِلَيْهِ مَنْ سَحَرَهُمْ " ) عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخيل ، ولا حجة له بها لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون ، وكان سحرهم كذلك ، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخيل " اهـ .

وأما الذين ذهبوا إلى إنكار الحد يث المتفق على صحته في قصة سحر اليهودي للنبي صلى الله عليه وسلم بدليل أن إثباته يحط من منصب النبوة فمنهم القاضي عبد الجبار المعتزلي كما ذكر عنه الرازي في تفسيره ( ٣٢ / ١٨٧ - ١٨٨ ) فإنه قال : قال القاضي : هذه الرواية باطلة ، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول : ( واللّه يعصمك من الناس ) وقال : ( ولا يفلح الساحر حيث أتى ) ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى الضرر لجميع الأنبياء والصالحين ، ولقدروا على تحصيل الطوك العظيم لأنفسهم وكل نلسك باطل ، ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور ، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة ، ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب ، ومعلوم أن ذلك غير جائز " .

٠٠/٠٠

وقد سائر المعتزلة في إنكار هذه الرواية الصحيحة من المعاصرين الأستاذ محمد عبده في تفسيره لجزء عم (ص ١٨١ - ١٨٢) وسيد قطب في ظلال القرآن (٧١٠/٨) وقد ذكر هذه الشبهة (أى أن إثبات هذه القصة ينال من نصب النبوة) النسوى في شرحه على صحيح مسلم (١٧٤/١٤ - ١٧٥) وابن حجر في فتح الباري (٢٢٦/١٠) نقلاً عن المازرى ، ورد عليه بقوله : وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجوز ما قام الدليل على خلافه باطل ، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يعمت لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراني ، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين .

وذكر القاضي عياض في الشفا\* (١٦٢/٢) عدة روايات لهذه القصة ثم قال : فقد استبان من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعظه ، وأنه إنما أثر في بصره وحيسه عن وطء نسائه وطعامه ، وأضعف جسمه وأمرضه ، ويكون معنى قوله : يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر ، فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض .

انظراً أيضاً لتفسير الرازي (١٨٨/٣٢) وفتح الباري (٢٢٧/١٠) والقول الشافى (ص ٩ - ١٢) .

فالصواب الذي عليه جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة هو أن السحر على أنواع منها ما هو خداع وتخيلات لا حقيقة لها كما يفعله المشعوذ من صرف الأنظار عما يتعاطاه بخفة يده ، ومنها ما هو حقيقة ، يحصل بمعاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه أو ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم . ثم إن السحر لا يفسر حقيقة الشيء ، بحيث يجعل الحيوان جماداً أو الجماد حيواناً لأن ذلك شئ لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى والرواية التي وردت فيها قصة سحر اليهودى للنبي صلى الله عليه وسلم رواية صحيحة ثابتة ، والطعن فيها طعن فيمما تلقته الأمة بالقبول وإثبات هذه القصة ليس فيه أى مخالفة للنص القرآنى ، لأن الله تعالى عصمه من تسلط هذا السحر عليه بحيث يقع خلل فيما أمر بتبليغه من أمور الدين ، وأمر هذه القصة لا يتجاوز كونه مرضاً من الأمراض التي أصيب بها النبي صلى الله عليه وسلم .



- تفسير سورة الناس وهى مدنية -<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قوله تعالى ( قل أعوذ برب الناس ملك الناس ، إله الناس من شر الوسواس الخناس ) هو الشيطان<sup>(٢)</sup> ، والمعنى : من شر الشيطان ذى الوسواس<sup>(٣)</sup> . ويقال : سمى وسواساً لأنه يجثم<sup>(٤)</sup> فإن ذكر العبد ربه خنس أى تأخر وإن لم يذكر<sup>(٥)</sup> وسوس .

( ١ ) تقدم التفصيل فى ذلك فى أول سورة الفلق ، لأن نزول السورتين - الفلق والناس - كان فى وقت واحد . وسبق نقلاً عن السيوطى أنه قال : المختار أنهما مدنيتان لأنهما نزلتا فى قصة سحر لبيد بن الأعصم . انظر ص ( ١١٣٧ ) .

( ٢ ) ذكر ابن جرير فى تفسيره ( ٣٥٥ / ٣٠ ) والماوردى فى تفسيره ( ٥٥٢ / ٤ ) ، والبيهقى فى تفسيره ( ٣٢٥ / ٧ ) وغيرهم من المفسرين أن المراد من الوسواس هو الشيطان .

( ٣ ) هو قول الزجاج كما ذكره عنه البيهقى فى تفسيره ( ٣٢٥ / ٧ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٧٨ / ٩ ) وعزاه القرطبى فى تفسيره ( ٢٦١ / ٢٠ ) إلى الفراء ، فإنه قال فى معنى الآية : يعنى من شر الشيطان ، والمعنى : من شر ذى الوسواس فحذف المضاف ، قاله الفراء ، وقال ابن جزى فى التسهيل ( ٢٢٧ / ٤ ) : الوسواس : مشتق من الوسوسة وهى الكلام الخفى ، فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم الفاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية : الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرأ ، وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدل أو صوم ، وأعلى حذف المضافتقديره ذى الوسواس \* . وكل هذه الأوجه صالحة لأن تكون مرادة ، ولكن القول بأن الوسواس مصدر وصف به للمبالغة أحسنها فى نظرى لأنه لا يحتاج إلى تقدير ، ويوجد له نظير من كلام العرب .

( ٤ ) بيد ولي أنه فى الأصل ( يجثم ) وفى نسخة " ب " ( يختم ) والصواب ما فى الأصل ، ولو كانت العبارة هكذا " يجثم على قلب ابن آدم ) لكان المعنى أوضح ، وكذا ورد فيما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس .

( ٥ ) روى ابن جرير فى تفسيره ( ٣٥٥ / ٣٠ ) والحاكم فى مستدركه ( ٥٤١ / ٢ ) بسند هما عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : ما من مولود إلا على قلبه الوسواس فإذا عقل فذكر الله خنس ، وإذا غفل وسوس ، فذلك قوله - الوسواس الخناس " .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شروط الشيخين ولم يخرجاه " ووافقته الذهبى ، ولكن الحافظ ابن حجر ضعفه إسناداً فى فتح البارى ( ٧٤١ / ٨ ) لأجل حكيم بن جبير لأنه ضعيف ، ولكنه روى من أوجه أخرى عديده كما ذكره الحافظ نفسه يمكن أن يرتفع عنه الضعف إذا ضم إليه الطرق الأخرى لاسيما وقد ذكره البخارى معلقاً بصيغة الجزم عن ابن عباس . وقد ذكر ذلك من قول ابن عباس الماوردى فى تفسيره ( ٥٥٢ / ٤ ) وابن الجوزى فى زاد المسير ( ٢٧٩ / ٩ ) وانظر أيضاً معانى القرآن للفراء ( ٣٠٢ / ٣ ) ولسان العرب ( ٧١ / ٦ ) .

وفى رواية : السلم<sup>(١)</sup> ووسوس : أى القلب<sup>(٢)</sup> ، وفيه / خبر صحيح ٣٤٩ ب /  
على هذا المعنى .<sup>(٣)</sup>

وقوله ( الخناس ) معناه ما قلنا : يعنى اذا ذكر العبد ربه وسبح رجع  
أى تأخر وخنس وتنجس .<sup>(٤)</sup>

وقوله ( الذى يوسوس فى صدور الناس ) هو الشيطان .<sup>(٥)</sup>

وقوله ( من الجنة ) أى من الجن<sup>(٦)</sup> وقوله ( والناس ) أى ومن الناس . والمعنى : أنه

( ١ ) لم تتضح لى هذه الكلمة فى النسختين .

( ٢ ) هو الوجه الثانى - ذكره الماورى فى تفسيره ( ٥٥٢ / ٤ ) فإنه قال : أمّا  
الوسواس هاهنا ففيه وجهان " أحدهما هو ما تقدم ، أى أن المراد الشيطان .  
والثانى : أنه وسواس الإنسان من نفسه ، وهى الوسوسة التى يحدث بها نفسه  
، وانظر أيضا تفسير القرطبي ( ٢٦٤ / ٢٠ ) والبحر المحيط ( ٥٣٢ / ٨ ) .

( ٣ ) لعله يقصد بذلك الحديث الذى عرواه مسلم فى صحيحه ( ١٤٧ / ٢ ) بسننه عين  
أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت  
به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعطوا به " ولما كان وسواس الإنسان من نفسه مما تجاوز  
الله به فلا معنى لأمر الاستعانة به ، ولذلك الوجه الأول الذى عليه أكثر  
المفسرين هو الصواب .

( ٤ ) قال الماورى فى تفسيره ( ٥٥٢ / ٤ ) : الخناس هو الشيطان ، وفى تسميته بذلك  
وجهان أحدهما : لأنه كثير الاختفاء ، ومنه قوله تعالى : فلا أقسم بالخنس (  
سورة التكويم الآية ١٥ ) يعنى : النجوم لا تختفئها بعد الظهور .  
والثانى : لأنه يرجع عن ذكر الله ، والخنس الرجوع ، ذكرهما القرطبي أيضا فى  
تفسيره ( ٢٦٢ / ٢٠ ) والوجه الثانى هو الأنسب ، لأنه يؤيد الأثر الذى  
ورد عن ابن عباس .

وقال ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ( ص ٥٤٣ ) خنس : أى أقصر وكف .  
وأما فى لسان العرب ( ٧١ / ٦ ) فذكر فى معنى الخنوس الانقباض والاستخفاء  
والرجوع ، وذكر ابن جرير فى تفسيره ( ٣٥٥ / ٣٠ ) فى معنى الخناس قولاً آخر  
فقال : وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول فى ذلك : الذى يوسوس  
بالدعاء إلى طاعته فى صدور الناس ، حتى يستجاب له إلى ما دعا إليه من طاعته فإذا  
استجاب له إلى ذلك خنس " ثم رواه بسنده عن عطية العوفي عن ابن عباس .  
ولم يقطع بأحد القولين لعدم وجود ما يخص أحدهما دون غيره ، وكذا ذكرهما  
الخناس فى إعراب القرآن ( ٢٩٦ / ٣ ) عن ابن عباس ، ثم قال : والقولان متفقان " لأن  
كلاهما يبين صفة إبليس .

( ٥ ) قال ابن جرير فى تفسيره ( ٣٥٦ / ٣٠ ) : وقوله ( الذى يوسوس فى صدور الناس ) يعنى  
بذلك الشيطان الوسواس الذى يوسوس فى صدور الناس جنهم وإنسهم " .

( ٦ ) انظر تفسير غريب القرآن ( ص ٥٤٣ ) وقال القرطبي فى تفسيره ( ٢٦٤ / ٢٠ ) الجنة :  
جمع جنى ، كما يقال : إنس وإنسى " .

أمره بالاستعانة من شياطين الجن والإنس<sup>(١)</sup> ، والشيطان : كل متعمد وسواه  
كان جنياً أو إنسياً .

( ١ ) في معنى الآية خلاف بين المفسرين على أقوال ، أحدها : يوسوس في صدور  
الناس جنهم وناسهم ، فسمى الجن هنا ناساً ، كما سماهم رجالاً في قوله تعالى :  
( يعوذون برجال من الجن ) ( سورة الجن الآية ٦ ) وهو قول الكلبي والفراء ،  
وعليه يكون الوسواس موسوساً للجن ، كما يوسوس للإنس ، والثاني : أن الوسواس  
هو الشيطان ، وقوله ( من الجنة ) بيان أنه من الجن ، والناس معطوف على الوسواس  
فالمعنى : قل أعوذ برب الناس ، من شر الوسواس الذي هو من الجن ومن شر  
الناس ، فعلى هذا أمر بأن يستعين من شر الإنس والجن ، وهو قول الزجاج ،  
والثالث : أن المراد أعوذ برب الناس من الوسواس الخناس ومن الجنسة  
والناس لأنه استعان بربه من ذلك الشيطان الواحد ثم استعان بربه من الجميع  
الجنة والناس - انفرد به الرازي .

والرابع : أن قوله ( من الجنة والناس ) لبيان الوسواس أى يوسوس من الجنسة  
ومن الناس في صدور الناس .

انظر لمعرفة هذه الأقوال معاني القرآن للفوا<sup>(٢)</sup> ( ٣ / ٢٠٢ ) وتفسير البغوي  
( ٣٢٦ / ٧ ) والكشاف ( ٤ / ٨٢٤ ) وزاد المسير ( ٩ / ٢٧٩ ) وتفسير الرازي ( ٢ / ١٩٩٣ )  
وتفسير القرطبي ( ٢٠ / ٢٦٣ - ٢٦٤ ) ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ( ١٧ / ٥٠٩ -  
٥١٣ ) .

وأما الراجح من هذه الأقوال فذهب النحاس إلى اختيار القول الثاني ( أى أن  
الناس : معطوف على الوسواس ) وقال فيه : حسن . انظر إعراب القرآن ( ٣٦٣ / ٧ )  
وكذلك اختاره مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ( ٢ / ٥١٢ ) فقال : الناس  
عطف على الوسواس ، أى من شر الوسواس \* واستدل على اختياره بأن النحاس  
لا يوسوسون في صدور الناس .

أما شيخ الإسلام فذهب إلى اختيار القول الرابع ( أى أن قوله \* من الجنسة  
والناس \* بيان للوسواس ) واستدل على اختياره بقوله تعالى \* وكذلك جعلنا لكل  
نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجن \* ( سورة الأنعام الآية ١١٢ ) وهذا الذي تدل  
عليه آثار السلف . فقال قتادة : إن في الجن شياطين ، وإن في الإنس شياطين  
فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن ، وضعف قول الفراء فقال بعد ذكره له :  
هذا ضعيف ، فإن لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من أن يحتاج إلى تنويحه إلى  
الجن والإنس ، وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس في غير موضع ، وأيضاً فكونه يوسوس

.../...

في صدور الطائفتين صفة توضيح وبيان وليس وسوسة الجن معروفة عند الناس ، وإنما يعرف هذا بخبر ، ولا خبر هنا ، ثم قد قال : " من الجنة والناس ) فكيف يكسبون لفظ الناس عاماً للجنة والناس ؟ وكيف يكون قسيم الشيء " قسماً منه ؟ فهو يجعل الناس قسيم الجن ، ويجعل الجن نوعاً من الناس ، وهذا كما يقول : أكرم العرب من العجم والعرب " فهل يقول هذا أحد ؟ .

وضعت قول الزجاج أيضاً فقال : فيه ضعف ، وإن كان أرجح من الأول ، لأن شر الجن أعظم من شر الإنس فكيف يطلق الاستعانة من جميع الناس ولا يستعيز إلا من بعض الجن ( أي الذي يكون من صفته الوسوسة والخنس ) ، وأيضاً فالواسوس الخناس إن لم يكن إلا من الجنة فلا حاجة إلى قوله ( من الجنة ) ومن ( الناس ) ثم ذكر أن العطف على القريب إن لم يكن هناك مانع أولى ، وفي حقيقة الأمر أن ما اختاره ابن تيمية مشابه لقول الزجاج إلا أن الزجاج لا يجعل الوسواس من الناس بل يجعله من الجن فقط بينما يجعله ابن تيمية من الجنة والناس جميعاً ، وهذا هو الصواب الذي تدل عليه الآية وآثار السلف كما تقدم .

وقد ورد في الأخبار المعروفة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن ينام قرأ سورة الإخلاص والمعوذتين وينفث في كفيه ، ثم يمسح بكفيه ما استطاع من جسده ويبدأ بوجهه ورأسه .<sup>(١)</sup>

وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بهما الحسن والحسين رضي الله عنهما ،<sup>(٢)</sup> وذكر أبو عيسى الترمذي برواية إسماعيل بن أبي خالد<sup>(٣)</sup> قال : حدثني قيس بن أبي حازم ، عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : قد أنزل الله تعالى علي آيات لم يروا مثلهن ( قل أعوذ برب الناس ) إلى آخر السورة و ( قل أعوذ برب الفلق ) إلى آخر السورة ، قال : وهو حديث حسن صحيح .<sup>(٤)</sup>

قال - رضي الله عنه - أخبرنا بذلك أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمير ، أخبرنا أبو العباس بن سراج السنجي ، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الحافظ ، أخبرنا محمد بن بشار ، أخبرنا يحيى بن سعيد القطان ، عن إسماعيل بن أبي خالد - الحديث - .

( ١ ) رواه أبو داود في سننه - كتاب الأدب ، باب ما يقول عند النوم ( ٣٠٣ / ٥ رقم ٥٠٥٦ ) بسنده عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما " قل هو الله أحد " و " قل أعوذ برب الفلق " و " قل أعوذ برب الناس " ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات " وهو مخرج في صحيح البخاري - كتاب الدعوات ، باب التعميم والقراءة عند المنام ( ١٢٥ / ١١ رقم ٦٣١٩ ) من الطريق نفسه ولكن بلفظ آخر ومعناها واحد .

( ٢ ) روى البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء - ( ٤٠٨ / ٦ رقم ٣٣٧١ ) وأبو داود في سننه - كتاب السنة ، باب في القرآن ( ١٠٤ / ٥ - ١٠٥ رقم ٤٧٣٧ ) بسندهما عن ابن عباس أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول : إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة " . هذا هو المعروف في تعويد النبي صلى الله عليه وسلم لسبطيه الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وأما ما ذكره المؤلف فييد ومنه أنه كان يوقيهما بالمعوذتين ، وذكر القرطبي في تفسيره ( ٢٥١ / ٢٠ ) عن ابن قتيبة أنه قال : لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين ، لأنه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما . . .

( ٣ ) هو إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولا هم البجلي ثقة ثبت ، مات سنة ست وأربعين ومائة . تقريب التهذيب ٣٣٠ .

( ٤ ) انظر سنن الترمذي ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة المعوذتين ( ٤٥٣ / ٥ رقم ٣٣٦٧ ) والحديث أخرجه أيضا مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة باب فضل قراءة المعوذتين ( ٩٦ / ٦ ) والنسائي في سننه - كتاب الافتتاح ، باب الفضل في قراءة المعوذتين ( ١٥٨ / ٢ ) من طرق عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر به .

فإن قال قائل : لم يكتب ابن مسعود هاتين السورتين في مصحفه وهل يجوز أن يشتبه على أحد أنهما من القرآن أو ليستا من القرآن ؟ .

والجواب عنه : إن حماد بن سلمة ، روى عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبیش قال : قلت لأبي بن كعب : إن ابن مسعود لم يكتب في مصحفه المعوذتين ؟ فقال أبي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل عليه السلام : قل أعوذ برب الفلق ، فقلتها . وقال : قل أعوذ برب الناس فقلتها ، فنحن نقول بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن أبيتاً وافق ابن مسعود . قال - رضى الله عنه - أخبرنا بهذا الحد يث أبو الحسن بن النور أخبرنا أبو القاسم بن حياصة أخبرنا البغوى أخبرنا هدية عن حماد بن سلمة - الحد يث - أخرجه مسلم في الصحيح . ( ١ ) فيجوز أن ابن مسعود وأبياً من كثرة ما سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هاتين السورتين ويتعوذ بهما ،  
( ٢ )  
ظنا أنهما عوذة فلم يشبهاهما في المصحف .

( ١ ) لم أهدت إلى محله في صحيح مسلم ، وفي عزوه إلى مسلم نظر لأن المزي لم ينسبه فسي تحفة الأشراف ( ١٥ / ١ ) إلى البخارى والنسائى فى الكبرى ، وكذلك ابن الأثير اكتفى فى جامع الأصول ( ٤٤٥ / ٢ ) بقوله : أخرجه البخارى . وأورد ابن كثير فسي تفسيره ( ٥٧١ / ٤ ) وابن حجر فى فتح البارى ( ٧٤٢ / ٨ ) عدة روايات للحد يث ، ليس فيها ذكر مسلم .  
والحد يث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير - باب سورة " قل أعوذ بربك الفلق " وباب سورة " قل أعوذ برب الناس " ( ٧٤١ / ٨ رقم ٤٩٧٦ ، ٤٩٧٧ ) ، والنسائى فى السنن الكبرى فى التفسير ( كما فى تحفة الأشراف ( ١٥ / ١ ) . من طرق عن زر بن حبیش به .  
وأما طريق حماد بن سلمة عن عاصمه فأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ( ١٢٩ / ٥ ) وابن حبان كما فى فتح البارى ( ٧٤٢ / ٨ ) وله روايات وطرق كثيرة ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك فأرجع إن أردت معرفتها إلى ابن كثير وابن حجر .

( ٢ ) ذكر هذا التوجيه القرطبى فى تفسيره ( ٢٥١ / ٢٠ ) عن ابن قتيبة أنه قال : لم يكتب عبد الله بن مسعود فى مصحفه المعوذتين لأنه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما بهما ، فقدّر أنهما بمنزلة : أعيد كما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة .

ثم ذكر عن ابن الأثير أنه رد على هذا التوجيه فإنه قال : هذا مسرود على ابن قتيبة ، لأن المودتين من كلام رب العالمين ، والمعجز لجميع المخلوقين ، ( وأعيد كما بكلمات الله التامة ) من قول البشرين ، وكلام الخالق الذى هو آية لمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وحجة له باقية على جميع الكافرين لا يلتبس بكلام الآدميين ، على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة ، العارف بأجناس الكلام وأفانين القول .

وقد قيل : إنهما مكتوبتان في مصحف أبي<sup>(١)</sup> ، وذكر بعضهم : أن عبد الله ابن مسعود لم يشتبه عليه أنهما من القرآن ولكن لم يشبههما لشهرتهما كما ترك كتبة سورة الفاتحة لشهرتهما<sup>(٢)</sup> والله أعلم وأحكم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

(١) لم أجد من ذكر ذلك .

(٢) هذا التوجيه أيضاً ذكره القرطبي في تفسيره (٢٠ / ٢٥١) دون تصريح بقائله ، وقال : رد هذا القول علي قائله ، واحتج عليه بأنه قد كتب : " إذا جاء نصر الله والفتح " و " إنا أعطيناك الكوثر " و " قل هو الله أحد " وهن يجري مجرى المعوذتين في أنهن غير طوال ، والحفظ إليهن أسرع ، ونسيانهن مأمون ، ولكن مخالف فاتحة الكتاب ، إذ الصلاة لا تتم إلا بقراءتها وسبيل كل ركعة أن تكون المقدمة فيها قبل ما يقرأ من بعدها ، فاسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقائه حفظها ، والأمن من نسيانها صحيح ، وليس من السور ما يجرى في هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها .

ونذهب أبوبكر الباقلاني في كتاب الانتصار (٩٠ - ٩٤) والقاضي عياض في كتاب الشفاة ( كما في الفتح ٧٤٣ / ٨ ) إلى توجيه آخر خلاصته : أن ابن مسعود لم ينكسر كونهما من القرآن وإنما أنكر إثباتهما في المصحف ، فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئاً إلا إن كان النبي صلى الله عليه وسلم أذن في كتابته فيه ، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك فهذا تأويل منه ، وليس جهداً لكونهما قرآناً . وذكر عنهما هذا التوجيه واستحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧٤٣ / ٨) ولكنه قال : إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها ( تقدمت الإشارة إليها ) تدفع ذلك حيث جاء فيها " ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله " .

ونذهب بعض الأئمة إلى إنكار هذه الرواية عن ابن مسعود فقال ابن حزم في المحلى (٢ / ١٣ - المنيرية - عام ١٣٢٤) " وكل ما روى عن ابن مسعود ممن أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحف فكذب موضوع لا يصح " . وقال النووي في المجموع (٣ / ٣٣٢) " أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن ، وأن من جحد منهما شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود من إنكار قرآنية المعوذتين ففيه نظر " .

وقال الرازي في تفسيره (١ / ٢١٨) " الأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل " ورد الحافظ ابن حجر على إنكار هذه الرواية ، وقال : والظن في الروايات الصحيحة بخير مستند لا يقبل ، بل الرواية صحيحة ، والتأويل محتمل " . وأما دعوى الإجماع فقال فيه : والإجماع الذي نظره (أي النووي) .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً كثيراً (١).

٠٠/٠٠

إن أراد شموله لكل عصر فهو مخدوش ، وإن أراد استقراره فهو مقبول ، وقد قال ابن الصباغ في الكلام على مانع الزكاة : وإنما قاتلهم أبو بكر على منع الزكاة ، ولم يقل إنهم كفروا بذلك ، وإنما لم يكفروا لأن الإجماع لم يكن استقر ، قال : ونحن الآن نكفر من جحدنا ، وكذلك ما نقل عن ابن مسعود في المعوذتين ، يعني أنه لم يثبت عنده القطع بذلك ، ثم حصل الإتفاق بعد ذلك ، وهكذا ذكر ابن كثير أيضاً في تفسيره ( ٥٧١ / ٤ ) فإنه قال بعد سوق الروايات عن ابن مسعود : وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعنه لم يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتواتر عنده ، ثم قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوهما في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك .

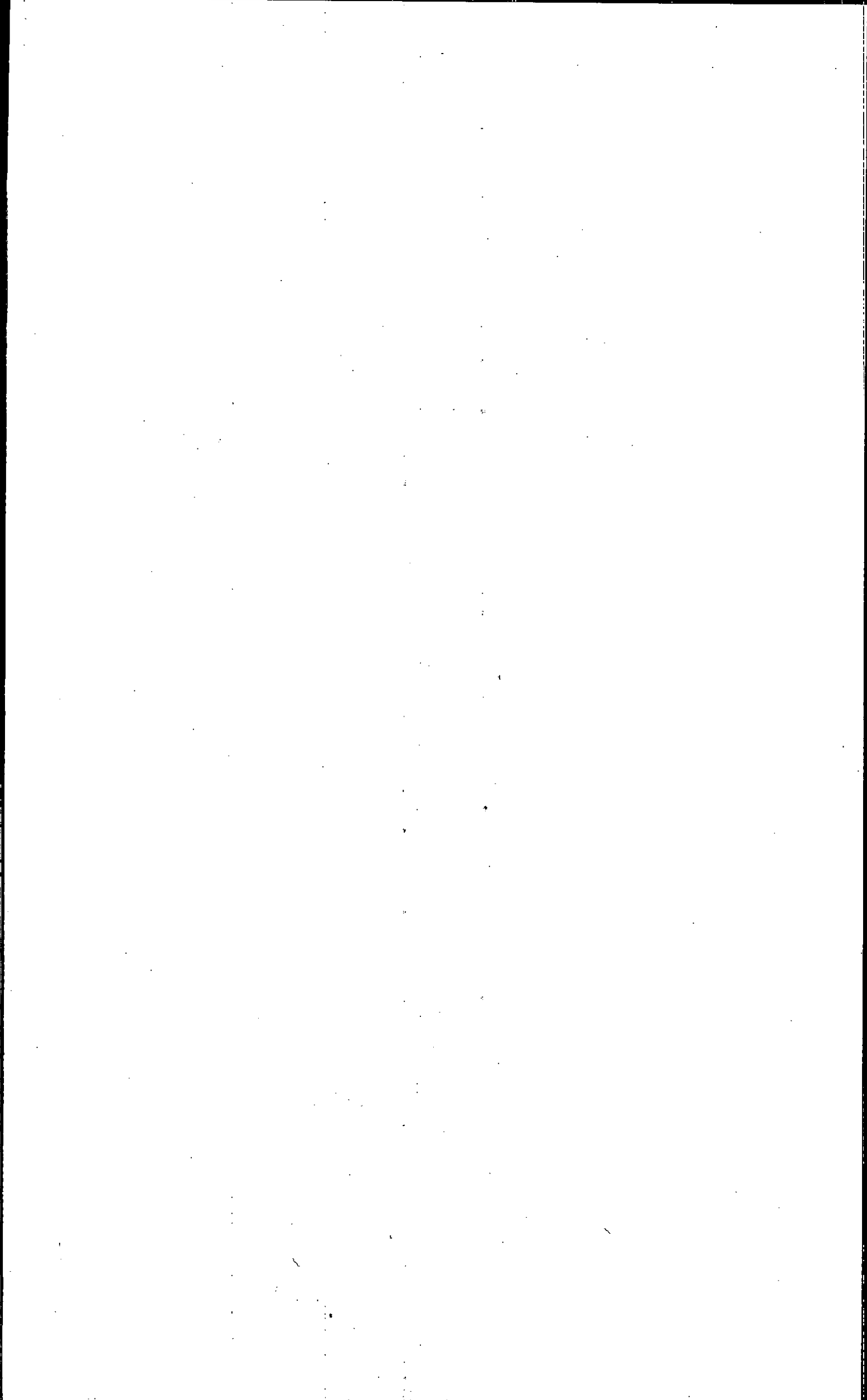
وهذا هو التوجيه الصحيح لما نقل عن ابن مسعود ، ولا داعي للطعن في الروايات ، وبهذا تنحل العقدة التي استصعبها الرازي في تفسيره ( ٢١٨ / ١ ) فإنه قال : إن قلنا : إن كونهما من القرآن كان متواتراً في عصر ابن مسعود لزم تكفير من أنكرهما ، وإن قلنا : إن كونهما من القرآن كان لم يتواتر في عصر ابن مسعود لزم أن بعض القرآن لم يتواتر ، قال : وهذه عقدة صعبة ، فيقال : إنه كان متواتراً في عصره ، ولكن لم يتواتر عنده لعدم سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تواتر عنده أيضاً ، وانعقد الإجماع على ذلك ، فمن ينكر بعد استقرار هذا الإجماع شيئاً من القرآن يكفر على الإطلاق .

انظر فتح الباري ( ٧٤٣ / ٨ ) .

( ١ ) كتبت في نسخة ( ب ) هذه العبارة : " تم الجزء الثالث من تفسير الإمام السمعاني في ١٠ جماد أول سنة ١٢٧١ ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " .



الفهارس



## أ - فهرس القسم الدراسي

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١	* كلمة الشكر
٣	* التمهيد : سبب اختيار الموضوع
٥	خطة الدراسة
٨	* المقدمة : في بيان التفسير لغة واصطلاحا
	* الباب الأول : التفسير ونبذة يسيرة عن تاريخه :
١٣	= الفصل الأول : التفسير والمراحل التي مر بها :
١٤	- المرحلة الأولى : التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
١٨	- المرحلة الثانية : التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم
٢٢	- المرحلة الثالثة : التفسير في عهد التابعين
٢٤	- المرحلة الرابعة : التفسير في عهد اتباع التابعين وما بعده
٢٦	= الفصل الثاني : في ظهور الاتجاهات المختلفة في تفسير القرآن
٢٦	- أولا : التفسير بالمأثور
٢٩	- ثانيا : التفسير بالرأى :
٣٢	## التفسير بالرأى المحمود
٣٨	## التفسير بالرأى المذموم أو الممنوع
٣٩	## نشأت هذه الاتجاهات وأسبابها :
٤٤	+ الاعتزال
٤٥	+ التشيع
٤٦	+ التصوف

رقم الصفحة	الموضوع
٤٩	= الفصل الثالث : المدرسة الاعتزالية والمدرسة السلفية وموقفهما من تفسير القرآن
٤٩	- أولا : المدرسة الاعتزالية
٦٤	- ثانيا : المدرسة السلفية
٧٨	الباب الثاني : المقارنة بين المفسرين الثلاثة : السمعاني ، والبغوي ، والزمخشري
٧٨	= تمهيد : لمحة تاريخية موجزة عن عصرهم :
٨٢	## الدولة الخوارزمية
٨٤	## الحالة الاجتماعية في عصرهم
٨٦	## الحركة العلمية في عصرهم
	= الفصل الأول : ترجمة الإمام السمعاني :
٨٩	- اسمه ونسبه
٩٠	- ولادته - واسرته ومكانتها
٩٢	- نشأته وتحصيله العلمي
٩٣	- خريطة لشجرة أبناء وأحفاد : " عبد الجبار بن أحمد السمعاني "
٩٤	- رحلاته
٩٧	- شيوخه
٩٩	- تلاميذه
١٠٠	- الميادين التي برز فيها أبو مظفر السمعاني
١٠١	- عقيدته
١٠٢	- مذهبه :
١٠٢	+ الإمام أبوالمظفر حنفياً
١٠٣	+ الإمام أبوالمظفر شافعيّاً

رقم الصفحة	الموضوع
١٠٤	- اعلانه بالتحول إلى مذهب الشافعية :
١٠٤	+ نتيجة هذا الاعلان
١٠٥	- المناصب التي تولاها
١٠٥	- قيامه بالمناظرة
١٠٧	- مؤلفاته
١٠٩	- وفاته
١٠٩	- رأى العلماء فيه
	= الفصل الثانى : ترجمة الإمام البثوى ، والزمخشرى :
	- المبحث الأول : ترجمة الإمام البغوى :
١١٠	- اسمه ونسبه ، وكنيته ولقبه
١١١	- ولادته
١١٢	- أسرته
١١٣	- نشأته وتربيته
١١٣	- رحلاته
١١٥	- شيوخه
١١٧	- تلاميذه
١١٨	- صفاته وأخلاقه
١١٩	- عقيدته ومذهبه
١٢٠	- ثقافته العلمية ومؤلفاته
١٢٢	- وفاته

الموضوع	رقم الصفحة
—	—
- المبحث الثاني: ترجمة الزمخشري :	
- اسمه ونسبه وكنيته	١٢٣
- تاريخ ميلاده	١٢٥
- أسرته	١٢٥
- نشأته وتربيته	١٢٧
- رحلاته	١٢٨
- مشايخه	١٣٠
- تلاميذه	١٣١
- صفاته الخلقية والخلقية	١٣٢
- عقيدته	١٣٣
- ثقافته	١٣٥
- مؤلفاته	١٣٧
- وفاته	١٣٨
<u>= الفصل الثالث :</u>	١٣٩
المقارنة بين المفسرين الثلاثة :	
السمعاني - البغوي - الزمخشري	
- أولاً :	
تعريف موجز بالتفاسير الثلاثة :	
- تفسير السمعاني	١٣٩
- تفسير البغوي - معالم التنزيل	١٤٠
- تفسير الزمخشري - الكشاف	١٤٣
- ثانياً :	
المقارنة التفصيلية :	١٤٦
أولاً :	
التفسير بالمأثور :	١٤٦
ثانياً :	
تفسير القرآن بالسنة :	١٥٢
- منهج السمعاني في تفسير القرآن بالسنة	١٥٢
- منهج البغوي في تفسير القرآن بالسنة	١٥٧
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن بالسنة	١٦٤

- ثالثاً
- ١٦٧ : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين :
- ١٧٠ - بعض الأمثلة على تفسير القرآن بأقوال السلف
- ١٧٣ - الاسرائيليات
- ١٧٧ - القراءات
- ١٨٧ - اللغة والنحو
- ٢٠٣ - الاستشهاد بالأشعار
- ٢٠٧ - المكي والمدني
- ٢١٠ - أسباب النزول
- ٢١٥ - الناسخ والمنسوخ
- ٢١٧ - استنباط المسائل
- ٢١٨ - تعريف الايمان - عند المسفسرين الثلاثة
- ٢١٩ - مسألة الاستواء على العرش
- ٢٢٠ - اثبات الرؤية لله تعالى يوم الدين
- ٢٢٤ - المسائل الفقهية
- ٢٢٩ - البلاغة
- الباب الثالث :
- ٢٣٨ = الفصل الأول : التعريف بالكتاب
- ٢٤٤ = الفصل الثاني : دراسة النسخ الخطية
- ٢٤٦ = الفصل الثالث : منهجى فى التحقيق

## ب - فهرس السور التي قمت بتحقيقها

م	السورة	من	الى
١	الجن	١	٧٣
٢	المزمل	٧٤	١٣١
٣	المدثر	١٣٢	١٩٩
٤	القيامة	٢٠٠	٢٤٥
٥	الانسان	٢٤٦	٣١٠
٦	المرسلات	٣١١	٣٤٢
٧	النساء	٣٤٣	٣٨١
٨	النازعات	٣٨٢	٤١٩
٩	عبس	٤٢٠	٤٥٣
١٠	التكوير	٤٥٤	٤٩٠
١١	الانفطار	٤٩١	٥١١
١٢	المطففين	٥١٢	٥٥٦
١٣	الکودح	٥٥٧	٥٨٧
١٤	البرج	٥٨٨	٦٢٤
١٥	الطارق	٦٢٥	٦٤٥
١٦	الأعلى	٦٤٦	٦٨٥
١٧	الغاشية	٦٨٦	٧٠٦
١٨	الفجر	٧٠٧	٧٦٠
١٩	البلد	٧٦١	٨٠١
٢٠	الشمس	٨٠٢	٨٢٧
٢١	الليل	٨٢٨	٨٥٧



الـى	من	السورة	٢
٨٨٧	٨٥٨	الضحى	٢٢
٩١٢	٨٨٨	ألم نشرح	٢٣
٩٢٩	٩١٣	التين	٢٤
٩٥٣	٩٣٠	العلق	٢٥
٩٧٠	٩٥٤	القدر	٢٦
٩٨٣	٩٧١	لم يكن	٢٧
٩٩٨	٩٨٤	إذا زلزلت	٢٨
١٠١٢	٩٩٩	العاديات	٢٩
١٠١٩	١٠١٣	القارعة	٣٠
١٠٣٢	١٠٢٠	التكوير	٣١
١٠٣٩	١٠٣٣	العصر	٣٢
١٠٥٢	١٠٤٠	الهمزة	٣٣
١٠٦٦	١٠٥٣	الفيصل	٣٤
١٠٧٤	١٠٦٧	الإيلاف	٣٥
١٠٨٤	١٠٧٥	أرأيت	٣٦
١٠٩٧	١٠٨٥	الكوثر	٣٧
١١٠٦	١٠٩٨	قل يا أيها الكافرون	٣٨
١١١٣	١١٠٧	النصر	٣٩
١١٢٥	١١١٤	تبت	٤٠
١١٣٦	١١٢٦	الإخلاص	٤١
١١٥٠	١١٣٧	الفلق	٤٢
١١٥٨	١١٥١	الناس	٤٣

ج - فهرس الآيات القرآنية التي جاء ذكرها في الكتاب استشهاداً من المؤلف  
حسب ترتيبها القرآني

الآية	السورة	رقم الآية	صفحة الكتاب
* وقودها الناس والحجارة	البقرة	٢٤	٤١
* وما تفعلوا من خير يعلمه الله	،،	١٩٧	١٠١٢
* فمن تعجل في يومين	،،	٢٠٣	٧١٣
* يوم تبيض وجوه	آل عمران	١٠٦	٤٥٢
* وتسود وجوه	،،	١٠٦	٤٥٣
* وخائفون ان كنتم مؤمنين	،،	١٧٥	٦٧١
* أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم	النساء	٦٣	١٠١٢
* ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار	،،	١٤٥	٨٥٢
* فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء إلا أنعام	،،	٤٤	٤٣
* فآلق الإصباح	،،	٩٦	١١٣٧
* ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى	،،	١١١	٤٩٠
* ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا	الأعراف	٩٦	٤٢
* وأتمناها بعشر	،،	١٤٢	٧١١
* وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم	،،	١٧٢	٤٨٩
* وبشر الذين كفروا بعذاب ألِيم	التوبة	٣	٨٤٣
* كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار	يونس	٤٥	٤١٧
* وما كان لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ	،،	١٠٠	٤٩٠
* خالد بين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك	هود	١٠٧	٦٦٨
* وكانوا ينجحون من الجبال بيوتاً آمنين	الحجر	٨٣	٧٢٩
* وعلى الله قصد السبيل	النحل	٩	٨٤٧

الآية	السورة	رقم الآية	صفحة الكتاب
* وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ	النحل	٦٨	٩٩١
* وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ	الفرقان	٢٥	٥٥٧
* قَالَ فَعَلَّمَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ	الشعراء	٢٠	٨٧٥
* لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٍ	“	١٥٥	٨٢٤
* وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ	النمل	٨٨	٤٥٩
* مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي	القصص	٣٨	٤٠٥
* وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ	العنكبوت	٦٤	٧٤٧
* أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ	“	٦٧	١٠٧١
* وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ	يس	١٢	٣٦٧
* اضْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ	“	٦٤	٥٧٢
* وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ	الصفات	٢٧	٣٣٧
* فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ	“	٥٠	٣٣٧
* قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ	الزمر	٥٣	٨٦٩
* لَخَلِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ	غافر	٥٧	٤٠٧
* وَمَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ	الشورى	٥٢	٨٧٥
* وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا	الزخرف	٣٣	٤٣
* مِنْ فِضَّةٍ			
* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ	الفتح	٢	٨٩٤
* لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ	“	٢٧	٦٦٨
* آمِنِينَ			
* اضْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ	الطور	١٦	٥٧٢
* وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ	“	٢٥	٣٣٨

صفحة الكتاب	رقم الآية	السورة	الآية
١٠١٤	٧	القمر	* كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ
٦٩٨	٢٥	الواقعة	* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا
٣٦٤	٤٣	،،	* وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ
	٦	التحريم	* عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
٤٣٤	٦	،،	* لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ
٤٠٧	٣	الملك	* هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ
٦٣٢	٢١	الحاقة	* فَهِيَ عِشَّةٌ رَّاظِيَةٌ
١١٢٢	٣٢	،،	* فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا
٧٠٤	٣٦ - ٣٥	،،	* فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مَنْ غَسَلَنِي
٩٠٣	١٦ - ١٥	المزمل	* كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ
٥٤٣	٢٣ - ٢٢	القيامة	* وَجُوهٌ يُّؤَمِّدُونَ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ
٤٣٨	٧	الانفطار	* خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ
٣٨٦	١٦ - ١٥	التكوير	* فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَسِ
٥٥٧	١	الانفطار	* إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ
٦٥٨	٧	،،	* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ
٢٥٤	١٠	البلد	* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
٨٣٢	٥	الشمس	* وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
٨٧٩	١	الانشراح	* أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ
٣٩٢	١	الزلزال	* إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
٦٣٢	٧	القارعة	* فَهِيَ عِشَّةٌ رَّاظِيَةٌ

د - فهرس الأحاديث المرفوعة والموقوفة ، حسب حروف المعجم من أولها

صفحة الكتاب	الحديث
٨٦١	* أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال المشركون
٦٥٧	* اجعلوه ( سبح اسم ربك الأعلى ) فى سجودكم
١١٣٦	* احشدوا اقرأ عليكم ثلث القرآن
١١٤٠	* أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وأشار إلى القمر
٨٨٣	* وإذا أصبت خيراً أو نعمة فحدث به الثقات من اخوانك
٢٣٠	* إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟
٨٩٣	* إذا دخل النور فى قلب المؤمن أنشرح
١١٤٢	* إذا طلع النجم رفعت العاهة عن كل بلد
٩٢٥	* إذا مرض العبد أو سافر كتب له ...
٢٥٧	* ارفعوا أيديكم إلى الله قبل أن تغل الأغلال
٩٦٠	* اطلبوها فى الافراد
٨١٩	* أعط نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها
١١٤٣	* أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى
٥٧٤	* أعوذ بالله من الحور بعد الكور
٣٥٢	* أفضل الحج العج والثج
٥٠٦	* أكرموا الكرام الكاتبين فإنهم معكم
٦٠٤	* اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء
٤٣٥	* اللهم سلط عليه كلباً من كلابك
٥٢	* أمرت أن أسجد على سبعة أعظم
١٠٢٣	* انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : "الهاكم التكاثر"
٦١٩	* أن أبا بكر مرض فدخل القوم يعودونه

- \* ان ابن مسعود خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ٥٨
- \* ان أخاك عبد الله بن مسعود يقول : انها فى الحول ٩٥٩
- \* ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه الف سنة . . ٢٣٠
- \* ان أدنى أهل الجنة منزلة يكون له ثمانون ألف خادم ٢٩١
- \* ان الأرض تلقى أفلاذ كبدها يوم القيامة ٤٩٢
- \* ان اظهار النعمة شكر ، والسكوت عنها كفر ٨٨٤
- \* ان أعرابياً جاء إلى عمر وقال : إن بعيرى قد دبّر ٢١٣
- \* ان أول سورة أنزلت سورة المدثر ٩٣٢
- \* ان أول سورة أنزلت من القرآن سورة اقرأ ٩٣٠
- \* ان أول ما يسئل عنه يوم القيامة - يعنى العبد - من النعيم ١٠٣٢
- \* ان بينهما أربعين سنة تمطر السماء ٣٩٣
- \* ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قل لأبى بكر يقول الله تعالى : أنا عنك راض ٨٥٧
- \* ان جبريل قال : قال الله عز وجل : إذا ذكرت ذكرت معى ٨٩٩
- \* ان الحسن والحسين مرضاً مرضاً شديداً فنذر على ٣٠٩
- \* أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله علمنى عملاً يدخلنى الجنة ٧٨٩
- \* ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت ٣٠٨ - ٣٠٦
- \* ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية ٩٨٢
- \* أن الرجل كان يسافر والقوم كانوا يسافرون ٢٢
- \* ان رجلاً من بنى اسرائيل جاهد أعداء الله ألف شهر ٩٦٧
- \* أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر ٧١٢
- \* أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ من الركعة الأولى من الوتر ٦٥٥
- \* ان صعصعة عم الفرزدق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ٩٩٤

## صفحة الكتاب

## الحديث

- ١٠٧ \* ان عباد الله ليسوا بمتنعمين
- ٥٣٠ \* ان العبد إذا أخطأ خطيئة نكبت في قلبه نكبة
- ٥٠٧ - ٧٥ \* ان العبد إذا هم بحسنة يكتب له الملك حسنة
- ٥٢٣ \* ان العرق يذهب في الأرض سبعين ذراعاً
- ٧٣٤ \* ان على جهنم سبع قناطر
- ٤٦٣ \* ان علياً سأل رجلاً من اليهود عن جهنم
- ٢٧٠ \* ان علياً كان أجر نفسه من يهودى يستقى له
- ٢٧٠ \* ان علياً وفاطمة أصبحا صائمين فهيات فاطمة ثلاثة أقارص
- ٩٩٣ \* ان عمر بن الخطاب سأل قوماً أى آية في كتاب الله أحكم؟
- ٨٦٧ \* ان عمر دخل على النبی صلى الله عليه وسلم فرآه مضطجعاً على حصير
- ٤٤٨ \* ان عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى : ( وفاكهة وأبا ) ثم قال
- ١١١١ \* ان عمر رضى الله عنه كان إذا أحضر المهاجرين واستشارهم فى شئ
- ٣٥٠ \* ان غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام
- ٥٢٦ \* ان الفلق جب فى جهنم مغطى والسجين جب فى جهنم مفتوح
- ٢٧٩ \* ان القوارير فى الدنيا أصلها من الرمل
- ٥٠٣ \* ان الله تعالى إذا أراد خلق عبد أحضر خلقه كل عرق
- ٤٨٩ \* ان الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه
- ٢٥٧ \* ان الله تعالى يبعث سحابة فتقف على رؤوس أهل النار
- ٣٧٨ \* ان الله تعالى يجمع الخلق يوم القيامة
- ١١٠ \* ان الله يحب النكل
- ٦٢٢ \* ان اللوح المحفوظ من درة بيضاء
- ٢٥١ \* ان ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة
- ١١٢٩ \* ان المشركين قالوا يا رسول الله أنسب لنا ريك

## صفحة الكتاب

## الحديث

- \* ان مكة حرام حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض ٧٦٤
- \* ان الملائكة تأخذ روح الكفار بغاية الشدة ٣٨٥
- \* ان ملكين يأتيان المؤمن عند قبض روحه ٧٥٤
- \* ان من أكل على مائدة ثلاثة ألوان من الطعام ٤١٢ - ٤١٣
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم انطلق إلى الجن ليقراً عليهم القرآن ٤
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم انطلق في نفر من أصحابه ( قصة الجن ) ٢
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : ( يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ) ٤٩٨
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه أعرابي ثامر الرأس يسمع ويصوته ١٢٣
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً مسروراً إلى أصحابه وقال : أبشروا ٩٦
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم رآها وقد رفعت يدها وهي تقول : اللهم حاسبني ٥٦٨
- \* ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أن يريه نفسه على ما يكون ٤٨٢
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قوته وأمانته فقال ٤٨٥
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال : الله أعلم ٤٧٠
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد ذات يوم الصفا وقال : يا صباحاه ١١١٤
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم قرئ عنده هذه الآية ( ان لدنيا أنكلاً . . ) ١١٠
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة ( والتين ) في صلاة المغرب ٩١٣
- \* أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن ينام قرأ سورة الإخلاص ١١٥٥
- \* أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة قال : الله أكبر ٣٠٠
- \* أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ عليه جبريل سورة من القرآن ٦٦٤
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي ٢٢٤
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبحث سرية إلى بنى كنانة ١٠٠٦
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم يحب سورة ( سبح اسم ربك الأعلى ) ٦٥٣



## الحديث

## صفحة الكتاب

- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل وهو يخرج من باب  
٢٤٠ بنى مخزوم
- \* ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أتوا منزل أبي الهيثم  
١٠٢٨ ابن التيهان
- \* ان النذر يستخرج به من البخيل  
٢٦٤
- \* انما هما نجدان نجد خير ونجد شر  
٧٨٢
- \* إنها إذا أدنيت من أفواههم تسلسلت في حلوقهم  
٢٨١
- \* أنها (عائشة) سألت النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي لا يحل منعه؟  
١٠٨٣
- \* أنها (امراة أبي لهب) كانت تحمل الشوك  
١١٢٠
- \* أنها (ليلة القدر) ليلة الحادى والعشرين  
٩٦١
- \* أنهم كانوا إذا ختموا السورة (والتين) قالوا : اللهم بلى  
٩٢٨
- \* أنهم كانوا إذا قرأوا سبح اسم ربك الأعلى قالوا سبحان ربى الأعلى  
٦٥٦
- \* انه (فروة بن نوفل) أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : جئت  
١١٠٢ يا رسول الله لتعلمنى شيئاً أقوله
- \* أنه بلغ هذه الآية قال : اللهم بلى  
٢٤٥
- \* انه سميت قريش قريشاً بدابة تكون فى البحر  
١٠٧٢
- \* أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان يمد مداً  
٨٦
- \* انه (صعود) صخرة من نار إذا وضع يده عليها  
١٦٢
- \* انه الظل البارد والماء البارد ( تفسير النعيم)  
١٠٢٨
- \* أنه قال : صليت خلف ابن عباس فقرأ الفاتحة فى الركعة الأولى  
١٢٦
- \* أنه قال : قلت لعائشة : أخبرينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم  
٨٧
- \* انه قدم الشام فمر بصومعة راهب  
٦٨٩
- \* أنه قرئت هذه الآية (لم يكن شيئاً مذكوراً) عند عمر  
٢٤٩
- \* انه لم يكن إلا العرش والماء فخلق على الماء حجراً  
٤١٠

صفحة الكتاب

الحديث

- \* انه مكتوب في صدره ( لا اله الا الله وحده ) ٦٢٣
- \* انه يجاء بجهنم مزومة بسبعين ألف زمام ٧٤٦
- \* أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن لا تشرك بالله شيئاً وان قُطِّعَتْ  
وَحُرِّقَتْ ٦١٠
- \* أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ٩٣٤
- 
- \* بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ ١٠٨٧
- \* بينما أنا أسير في الجنة إذ عَرَضَ لِي نَهْرٌ حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ ١٠٨٩
- \* بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ١٣٦
- \* بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول ٨٩١
- \* بينما أنا نائم ثم نزل على ملكان فقعد أحدهما عند رأسي ١١٤٧
- \* بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أَعْفَى إِغْفَاءً ١٠٨٥
- 
- \* تحروها في العشر الأواخر من رمضان ٩٦٠
- \* تدنى الشمس من رؤوس الخلائق حتى يكون ٥٢٢
- \* تكون في يوم القيامة ثلاث عرضات ٥٧١
- 
- \* ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً ٥٦٩
- \* تنشق السماء من المجرة ٥٥٨
- 
- \* جاورت بحراء شهراً ١٣٣

## الحديث

## صفحة الكتاب

- \* خط رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خطأ وقال : لا تبح هذا الخط ٩
- \* خلق الله أربعة أشياء بيده ٩٨٢
- \* خمس بخمس ، ما نقض قوم العهد ٥١٧
- \* الخنس : حمسة كواكب بهرام وعطار و زحل ٤٧٤
- 
- \* دخلت اليهود على نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك ١١٢٨
- 
- \* رحم الله أبابكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة ٨٥٧
- 
- \* سألت ربي عن اللاهين من ذرية البشر ٤٦٨
- 
- \* الشاهد هو يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ٥٩١
- \* الشفق هو البياض ٥٧٧
- \* الشفق هو الحمرة ٥٧٦
- 
- \* عجلت لهم الدنيا وغيبت عنهم الآخرة ٦٨٢
- 
- \* فإن غم عليكم فاقدروا له ٣٢٥
- \* فبئست الأم وبئست المربية ١٠١٨
- 
- \* قال الله عز وجل : أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى ١٩٧ - ١٩٩
- \* قد أنزل الله تعالى على آيات لم ير مثلهن ١١٥٥

## صفحة الكتاب

## الحديث

- \* قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) ٩٨٩
- \* قصر من ثيابك فإنه أنقى وأبقى وأتقى . ١٤٢
- \* قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود لم يكتب في مصحفه المعوذتين ١١٥٦
- 
- \* كان ابن عمر يقول لنافع حين يصبح يوم العيد أخرجت زكاة الفطر؟ ٦٧٦
- \* كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ١٦
- \* كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر همس فقيل له ٥٩٨
- \* كنا في جنازة في البقيع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فجلسنا معه ٨٤٥
- \* كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت ١٠٢٥
- \* كنت أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء فسمع رجلاً يقرأ (قل يا أيها الكافرون) ١١٠٣
- \* كنت بسوق ذي المجاز فإذا أنا بشاب يقول: أيها الناس ١١١٨
- \* كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فد ميت أصعبه ٨٦٢
- \* الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجرأه على الدر ١٠٨٩
- 
- \* لأقضي بينكما بكتاب الله ( قصة العسيف ) ٩٧٧
- \* لأن أقرأ سورة البقرة أو أرتل ترتيلاً ٨٥
- \* لا تُسبِّحْني برأيك عليه قاله ( قاله صلى الله عليه وسلم ) لعائشة . ١٠١
- \* لا خير في دين ليس له شيع ٣٤٠
- \* لا ، ولكن حبسها حابس الفيل ١٠٥٧
- \* لا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يشئل عن أربعة ٧٧٨
- \* لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة أبو جهل ٩٤١

- ٩٦٦ \* لما بايع معاوية وسلم إليه الخلافة قال له رجل
- ٧٥ \* لما ترأى له صلى الله عليه وسلم جبريل في أبعداء الوحي
- ٣٤٦ \* لما خلق الله الأرض جعلت تكفأ
- ١٠٩٨ \* لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ( والنجم ) وألقى الشيطان  
على لسانه
- ٥٣ \* لما قرأ القرآن عليهم ( يعنى على الجن )
- ١٠٣١ \* لما نزلت ( ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ) قال الزبير يا رسول الله
- ١٠٩٣ \* لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك  
وانحرر)
- ١٠٣٢ \* لما نزلت هذه الآية ( ثم لتسألن يومئذ عن النعيم )
- ٢٧٨ \* لو أخذت قطعة من فضة وجعلت فى الرقة
- ٩٠٥ \* لو دخل العسر فى حجر لتبعه اليسر حتى يستخرجه
- ٩٤٣ \* لو دنا منى لأختطفته الملائكة عضواً عضواً
- ٤٦٩ \* لو شئت أسمعتك تضاعفهم فى النار
- ٥٣٤ \* لو عرف المؤمنون أنهم لا يرون الله فى الآخرة لأنزهقت
- ٣٨١ \* لو علم أهل النار أنهم يمكنون فى النار عدد الحصى
- ٥٨٥ \* لو لم أر النبي صلى الله عليه وسلم سجد لم أسجد
- ٨٧٨ \* ليس الفنى عن كثرة العرض
- ٣٨٠ \* ليعمل أحدكم بالطاعة ولا يتكلن على أنه يدخل النار
- ٤ \* ليقم منكم رجل معى ليس فى قلبه حبة خردل من كبر
- 
- ٥٥٩ \* ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي تغنى بالقرآن
- ٤٦ \* ما تصعدنى شيء ما تصعدتنى خطبة النكاح

## صفحة الكتاب

## الحديث

- \* ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ( ألهاكم التكاثر )
- ١٠٣٦
- \* ما من طامة إلا وفوقها طامة
- ٤١٢
- \* ما منكم من أحد إلا سيخلوا الله به يوم القيامة
- ٤٩٨
- \* ما من متشهد ولا خطيب ولا صاحب صلاة إلا وهو ينادى
- ٨٩٩
- \* ما من ولد ينظر إلى والده نظر بر وعطف
- ٢٥٨
- \* مرحباً بأحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٨٨٢
- \* من أحب دنياه أضر بأخرته
- ٦٨٢
- \* من أراد أن يسمع خرير الكوثى فليدخل أصبحه في أذنيه
- ١٠٩٠
- \* من أراد أن يشاهد القيامة فليقرأ سورة القيامة
- ٢٠٠
- \* من أشقى الأولين ؟ قال : عاقر الناقة
- ٨٢٢
- \* من أعتق رقبة كانت فكاكه من النار
- ٧٨٩
- \* من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها ضوأمه من النار -
- ٧٩٠
- \* من حاسب نفسه في الدنيا هون الله عليه الحساب
- ٥٧١
- \* من حوسب عذب
- ٥٦٨
- \* من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى
- ٤٥٤
- \* من ضم يتيماً بين مسلمين إلى نفسه وجبت له الجنة
- ١٠٧٧
- \* من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه
- ٩٦٨
- \* من قرأ ( إذا زلزلت الأرض زلزالها عدلت له بنصف القرآن
- ٩٨٤
- \* من نوقش في الحساب هلك
- ٥٦٧
- \* منهومان لا يشبعان طالب علم
- ٩٤٢

-----

\* نزلت سورة ( والمرسلات ) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه ٣١١

-----

\* الواحدة والمؤودة في النار ٤٦٩

## الحديث

## صفحة الكتاب

- \* واشدد وطأتك على مضر ٩٧
- \* ولا ينفع ذا الجد منك الجد ١٦
- \* ولم ينظر الإنسان إلى ما يخرج منه ٤٤٢
- \* الويل واد فى جهنم ٣٢١
- \* ويل: واد فى جهنم يسيل فيه صديد أهل النار ٣٢١
- 
- \* هل تزوجت؟ يا فلان ، قال : لا والله ٩٨٥
- \* هل كان منكم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ٧
- \* هم ( الأبرار ) الذين بروا آباءهم وأبناءهم ٥٠٧
- \* هو أشرف شراب لأهل الجنة يشربه المقربون ٥٤٩
- \* هو ( أى صعود ) جبل من نار يصعد فيه خريفاً ١٦٢
- \* هو الظهور مأؤه ٢٩٦
- \* هو الذى يأكل وحده ويمنع رفته ( تفسير الكنود ) ١٠٠٨
- \* هو ( ويل ) واد فى جهنم يسيل فيه صديد أهل النار ٥١٣
- 
- \* يارب ! انك اتخذت ابراهيم خليلاً وموسى كليماً ٨٧٩
- \* يا رسول الله ! إلى ما ينتهى الناس يوم القيامة ٩٩٤
- \* يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له : ماذا عملت بمالك ٧٧٨
- \* يحول بينه وبين الإيمان بالله ورسوله ٨٤٢
- \* يرى المؤمن حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته ٩٩٧
- \* يصيران ( الشمس والقمر ) كالبعيرين القرينين ٢١٧
- \* يقتص للجماء من القرناء ٤٦١
- \* يقومون ألف عام فى الظلمة ٥٢٠
- \* يقومون حتى يبلغ الرشح أطراف آذانهم ( فى : يوم يقوم الناس ) ٥٢١
- \* يقومون حتى يبلغ الرشح أنصاف آذانهم ٥٢٢
- \* يقومون مائة سنة على رؤوس قبورهم ٥٢٠
- \* يوشك أن يحسر الفرات على جبل من ذهب ٤٩٣

## هـ - فهرس الآثار حسب قائلها

صفحة	صاحب الأثر (الراوى)	الآثار
٨٨٢	ابراهيم بن أدهم	- انى أظن أن الله تعالى يصرف العقوبة عن أهل الدنيا
٢٩٥		- إذا فرغ أهل الجنة من الطعام يؤتون بالشراب ابراهيم النخعى
٩٣٧	اليشكرى	- من كرمه أن يعيد الآدمى غيره ولا يقطع عنه رزقه
١٠٩	الحسن البصرى	- ان الحسن البصرى طوى ثلاث ليال ولم يفطر
٢٥٧	، ،	- ان الله لا يغفل الكفار عجزاً عن حفظهم
٤٤٢	، ،	- ان الله تعالى وكل ملكاً فإذا جلس الإنسان على حاجته
٦٩٢	، ،	- أوقدت عليها منذ خلقت فدفعوا إليها
٣٧	، ،	- فى الجن قد رية ومرجئة وروافض
٤٠٤	، ،	- كان فرعون علجاً من أهل أصبهان
٧٧٠	، ،	- ليس أحد يكابد من الشدة ما يكابده الإنسان
٣٣٩	، ، ،	- المحسن من أدى جميع فرائض الله
٥٦٦	، ،	- يأبىها الرجل وكلكم ذلك الرجل
٣٨٠	بن واقد	- ان الكافر يقول : ياليتنى كنت خنزيراً فأصير تراباً
٦١٢	الربيع	- ان النار التى أحرقوا المؤمنين فيها ارتفعت من الأخدود
٣٢٧	ربيعة	- ان النباش يقطع
١٥١		- ان زارة بن أوفى كان يصلى بقوم فقراً
١٠٥٢	سعيد بن جبير	- انه يبقى رجل من المؤمنين فى النار ألف سنة
٢٨٥	، ، المسيب	- السلسبيل عين تجرى تحت العرش
٥٣٤		- لو لم يؤمن أن الله يرى فى الجنة لم أعبد فى الدنيا الشافعى



الآثار	صاحب الأثر ( الراوى )	صفحة
- تمت ليلة وقرأت أحدر حدراً .	صدقة المقابرى	٨٦
- انه وفد على عثمان فجلس على بابہ	عامر بن قيس	٧٦٠
- إلى جبريل الرياح والجنود والى ميكائيل القطر والنباتات	عبد الرحمن بن سابط	٣٩٠
- كانت ( امرأة أبى لهب ) تلقى العضة فى طريق النبی صلی اللہ علیہ وسلم	عطية العوفى	١١٢٠
- انه لما نزلت هذه الآیة ( فادخلی فی عبادى ) قال أبوبکر	عكرمة	٧٥٧
- إذا رأیت الله استأثر عليك بشئ	عمر بن عبد العزيز	٤٢٦
- من قام لورده فى الليل فلا بأس أن يحدث به	عمرو بن ميمون	٨٨٤
- القلم نعمة من الله عظيمة	قتادة	٩٣٨
- انى لأجد فى بعض الكتب ان الله تعالى يقول : كعب الأحرار لولا أن يحزن عبدى المؤمن		٧٣٧
- يقبض روح المؤمن فيصعد به إلى السماء	“ “	٥٣٩
- هو عين يتسمن على أهل الجنة	مالك بن الحارث	٥٥٠
- دخلت على جار لى أعوده وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه كلمة الشهادة	مالك بن دينار	٥١٩
- انهم إذا قاموا ارتفعت إليهم وإذا قعدوا تدلت إليهم	مجاهد	٢٧٧
- الروح خلق يشبهون ببنى آدم وليسوا ببنى آدم	“	٣٧٤
- صخرة تحت الأرض السابعة تحتها كتاب الفجار	“	٥٢٥
- انكم تقولون ان أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله : ( قل يا عبادى الذين أسرفوا )	محمد بن علي الباقر	٨٦٩
- ان قومًا كانوا يصلون وينحرون لغير الله	محمد بن كعب القرظى	١٠٩٤

الآثار	صاحب الأثر ( الراوي )	صفحة
- تأكل النار أجسادهم ، فإذا وصلت النار إلى القلب	محمد بن كعب القرظي	١٠٤٨
- يقولون القيامة ومن مات فقد قامت قيامته	المغيرة بن شعبة	٢٠٠
- غرنى ما علمت من سابق أفضالك	منصور بن عمار	٥٠٠
- ان النباش . يقطع إذا اخرج الكفن من العرز -	يحيى بن سعيد	٣٢٧
-----		
- سبحان ما سبحت له	ابن الزبير	٨٠٩
- لو يقول الله تعالى : ما غرك بربك ؟ فأقول	ابن معاذ	٥٠٠
- غرنى كرم الكريم	أبو بكر الوراق	٥٠٠
- انه بكى مرة حين قرأت هذه السورة عليه	أبو جعفر القارئ	١٠٥١
- ان سليمان بن عبد الملك حج ، فلقى أبا حازم سلمة بن دينار	أبو قلابه	٢٩٥

## و - فهرس الأشعار حسب قوافيها

الصفحة	البيت
	( أ )
٢٤٢	= فأقسم بالله جهد اليمين ... سدى
١١٢٥	= مَذَمَّ أَيْنَمَا ... عَصِينَا
٤١٨	= نحن صبحنا عامراً في دارها ... سوارها
٤٣٢	= وكنت إذا ما جئت ليلي تبرقت ... سفورها
٢٤١	= هممت بنفسى بعض الهموم ... أولى لها (الخنساء)
٢٤١	= سأحمل نفسى على آلة ... وإمالها ( " )

## ( ب )

٢٣٣	= فإنكما ان تنظرانى ساعة ... جنذب (امرؤ القيس)
١١٢٠	= ان بنى الأدرم حملو الحطب ... الغضب
٦٠٩	= ما نعموا من بنى أمية إلا ... غضبوا (عبد الله بن قيس)
٥٦٥	= ... بشاشة كل عيش صالح ... وانصب
٧٩٢	= فلو كنت جاراً يا ابن قيس بن عاصم ... ساغب
٦٦٣	= لمياء في شفتيها ... شنب (ذوالرمة)
٢٨	= فانقض كالدرى يتبعه نقد ... طنباً (أوس الأودي)
٧٠٤	= وكل ذى غيبة يوب ... لا يكوب (عبيد بن الأبرص)
٣٣٧	= تلك خليلي منها وتلك رحالي ... كالزبيب (الأعشى)

## ( ت )

٤٣٣	= فما أدع السفار بين قومي ... مشيت
-----	------------------------------------

( ج )

٨٦٠	النَّسَاجُ	... يا حبذا القمر إذ والليل الساج =
١٠٨٤		... يمج صبير الماعون مجاً =

( ح )

٩٢٨	راح ( جرير )	... أستم خير من ركب المطايا =
٩٠٦	بوح	... ألا يا أيها المرء الـ =
٩٠٧	فافر	... إذا اشتد بك العسر =
٩٠٦	أروح ( العتبي )	... أرى الموت لمن أصبح =

( د )

٤٧١	يؤاد ( فرزدق )	... ومنا الذي منع الوائد =
٧٣٠		... في ظل ملك ثابت الأوتاد =
٤٠٩	التناد ( أمية بن أبي الصلت )	... وبث الحلق فيها إذ دحاها =
٧٧٢	كيد ( لبيد بن ربيعة )	... يا عين هلا بكيت أريد إذ =
٤٠١	المتردد ( عدى بن زيد العبدي )	... أعادل أن اللوم في غير كنهه =
١٠١٠	المتشدد ( طرفه )	... أرى الموت بقيام الكرام =
٣٨	قيد ( الراعي )	... القابض الباسط الهادي بطاعته =
٣٦٢	ولا بردا ( العرجي )	... فإن شئت حرمت النساء سواكم =
٨٠١	مؤصداً	... قوم يصلح شدة أبنائهم =
٤٤٩	بالجلامد	... يا جارتى هل لك أن تجالدى =
١٣٢	الصمد ( سيرة بن عمرو الأبيدي )	... ألا بكر الناعي بخيري بني أسد =

الصفحة	البيت
١١٣٢	= علوته بحسامى ثم قلت له
٨٩٩	= أغرُّ عليه بالنبوة خاتم
-----	
( ر )	
٣٩٤	= أحافرة على صلح وشيب
٢٢٠	= لعمرك ما للفتى من وزر
٢١٤	= أقسم بالله أبو حفص عمر
١٠٣٤	= تروح بنا يا عمر وقد قصر العصر
١٠٩٣	= أبا حكم هل أنت عم مجالد
٦٥٣	= الى الحول ثم اسم السلام عليكما
	( لبيد بن ربيعة العامرى )
٨١٦	= نَقَضِى البازى
٩٠٩	= توقع إذا ما عسرتك الخطوب
٨٣٤	= يسعى الفتى لأمر ليس يدركها
٤٤٠	= حتى يقول الناس ما رأوا
٤٤٠ ٣١٤	= لو أسندت ميتاً إلى صدرها
٢٧٣	= بنى عمنا هل تذكرون بلائنا
٢٠٥	= ألا وأبيك ابته العامرى
٣٩٩	= فإنما قصرك ثوب الساهرة
٢٨٥	= وكأن طعم الزنجبيل به
٣٤٣	= على أن ليس عدلا من كليب
٩٣٥	= هن الحرائر لا ربات أخمة
٣٤٣	= على أن ليس عدلا بن كليب
٢٧٦	= منعمة طفلة
	( زمهيرى )

## الصفحة

## البيت

٢٦٦ = وهان على سراة بنى لؤى ... مستطير (حسان بن ثابت)

( ز )

١٠٤٢ = تدلى بودى إذا لاقيتني كذبا ... اللمزة

( ش )

١٠٧٢ = وقريش التي تسكن البحر ... الخموشا

( ص )

٨٦٠ = فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم ... الدعامسا (الأعشى)

( ض )

٥٨١ = فبيننا المرء في عيش ... دحض (ذوالأصبع لعدواني)

( ط )

٣٨٤ = أمست همومي المناشطا ... أواسطا (هميان بن قحافة)

( ع )

٣٧٢ = ونقفى وليداً لحي إن كان جائعاً ... بجائع

٣٥٧ = كند ما نى حذيمة حقبنة ... متصدعا (متم بن نويرة)

٧٥٨ = فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... الممزع (خبيب بن عدى)

٥٧٥ = وما المرء إلا كالشهاب وضوءه ... ساطع (ليبد بن ربيعة)

١٠٨ = دعاك فقطعت أنكاله ... لم تقطع (خنسبات)

## الصفحة

## البيت

٩٤٩	( حميد بن ثور الهلالي )	سافِعِ	... قَوْمَ إِذَا فَزَعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ =
٣٢٥	( أعشى )	الصلعا	... وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتِ =
١٤١	( غيلان بن سلمة الثقفي )	أَتَقْمَعِ	... وَأَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثُوبَ فَاجِرِ =
٩٠٨		البديع	... إِذَا بَلَغَ العَسْرَ مَجْهُودَةً =
٨١٧		ضِعَا	... وَأَنْتِ الَّذِي دَسَيْتِ عَمْرًا فَأَصْبَحْتَ =

## ( ف )

١٠٧٤	( ابن الزبَعْرَى )	كَالكَافِ	... عَمْرُو العَلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ =
------	--------------------	-----------	--

## ( ق )

٥٨٠	( العجاج )	سَائِقَا	... إِنْ لَنَا قَلَائِمًا حَقَائِقَا =
٥٨٥	( العباس بن عبد المطلب )	طَبِيقِ	... مِنْ قَبْلِهَا طَبِيتُ فِي الصَّلَابِ وَفِي =
٧٠٠		النمارق	... وَأَنَا لِنَجْرَى الكَأْسِ بَيْنَ شَرُونَا =
٢٥	( الأعشى )	رَهَقَا	... لَا شَيْءٌ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونَ رُؤْيَيْتِهَا =

## ( ك )

١٠٥٦	( عبد المطلب )	حَمَاكَا	... يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ =
١٠٥٧	( " )	بِدَاكَ	... يَا رَبِّ إِنْ العَمْرُ يَمْنَعُ =
٥٠٠	( محمد بن السمك )	شَانِيكَا	... يَا كَاتِمَ الذَّنْبِ أَمَا تَسْتَحْيِي =

## ( ل )

٤٠٩	( سعيد بن زيد )	حِبَالَا	... دَحَاهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ شَدَّهَا =
٤٠٩	( " " )	ثَقَالَا	... وَأَسْلَمْتَ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتَ =

٨٦٦	( الأخطل )	مقالا . . .	المهديات لمن هو من نسيئة =
١٤٢	( امرؤ القيس )	تَسْلُ . . .	فإن تك قد ساءتكم منى خليقة =
٧٩	( " " )	مزمّل . . .	كأن شبيراً فى عرانيين وبله =
٨٧٨	( أحيحة بن الجلاح )	يعيّل . . .	فما يدرى الفقير متى غناه =
٩٠٧		قيّل . . .	فلا تياس وان أعسرت يوماً =
١٠٨٤	( عبيد بن حصين )	التهلّيل . . .	قوم على الإسلام لما يمنعوا =
٣٤٩	( حميد بن ثور )	فذيّل . . .	مطوية الأقطاب أما نهارها =

## ( م )

٣٣٩		قائم . . .	إذا كانت الأجداد أصلى ومنصبى =
٦٢٦	( جرير )	بسلام . . .	طرقتك . . . القلوب وليس ذا =
٢٣٣	( عمر بن أبى ربيعة )	عارم . . .	نظرت إليها بالمحصب من منى =
٧٢٨	( ابن قيس الرقيات )	ارما . . .	مجداً تليداً بناه أوله =
٩٥٠	( أعشى )	بميسم . . .	وكنّت إذا نفس الغوى نزت به =
٧٩٣	( قيس الملاح )	يَتِيمٌ . . .	إلى الله أشكو فقد ليلى كما شكى =
٨٥٢		الكريم . . .	كيف أصبحت كيف أمسيت ما =

## ( ن )

٢٨٨		الكتبان . . .	مخلدات باللجين كأنما =
٤٠	( فرزدق )	النعمان . . .	قوى هم قتلوا ابن هند عنوة =
٥٥٩	( عيسى بن زيد )	أذن . . .	أيها القلب تعلل بدون =
٥٥٩	( قعنّب )	أذنوا . . .	صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به =
٢٥٩	( عمرو بن كلثوم )	اليمينا . . .	صرفت الكأس عنا أم عمرو =



الصفحة

البيت

( ٥ )

٣٧١	( أعشى )	... كذابه	= فصدقتها وكذبتها
٣٣١		... فواضله	= اذا غاب عنها غاب فرايتها
٥٠١	( أبوبكر بن طاهر الأبري )	... معاصيه	= يا من غلا في الغي والتهيه

( ٥ )

٦٩٣	( النابغة )	... أنسى	= وتخضب لحية غدرت وخانت
١٧٢		... الخوادي	= شقتني على لوح من الماء شربه
٢٤٣		... لك المانسي	= ... حتى تلاقى ما يمني
٦٦١	( زفر بن الحارث )	... كما هيّا	= وقد بينبت المرعى على دمن الثرى

## ز - فهرس الأمثال

رقم الصفحة

المثل

٥٦

١- طال لبد على أمد

٥٧٤

٢- الحور بعد الكور

٣٩٤

٣- النقد عند الحافر

ح - فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	اسم العلم
٨٨٢	ابراهيم بن أدهم
٤٩٩	الأشعث
٦٥٤	خزيم بن قمير الشاشي
٧٢	السرى الزجاج
١٠٨١	يزيد التيمي
١٧	النخعي
١٠٥٤	الصبح أبو يكسوم
٤٢١	خلف بن وهب
٤٤٣	كعب
٢٢٤	ابراهيم بن أحمد بن فراس العبقسي
٤٩٠	أبي بكر القاسم أبو مصعب المدني
٨٦٣	عبد الله اليربوعي
١٣٧ - ٦٦٨	فارس بن زكريا المعروف (بالرازي المالكى)
٤٩٧	محمد بن ابراهيم أبو اسحاق النيسابورى
٤٩٠	أحمد بن جميع الغساني الصيداوى
٢٢٩	عبد الله البغدادي البزار (ابن النقور)
٩٠٧	اسحاق الجيرى
١١٥	اسماعيل أبو جعفر النحاس
٩٤	زياد بن الأعرابي
٤٥٥	سراج ، أبو العباس السنجى
١٠٥	يحيى بن بصار ثعلب
١٠٤٢	شريف الزهرى
١٦٦	ابراهيم المروزي ، ابن راهويه
١٣٧	عباد الدبرى
٦٥٣ - ٢٣٠	يونس
١١٥٥	خالد الأحمس
١١٢٨	زياد
١٧	عبد الرحمن ، السدى

رقم الصفحة	اسم العلم
١١٠٠	الأسود بن عبد المطلب
٥٥٢	، ، عبد يغوث
٨٦٢	، ، قيس العبدى
٣١١	، ، يزيد النخعى
١٠٩٣	، ، نباته
١٤٢	امرئ القيس ، حجر بن الحارث الكندى
٤٠٩	أمية ، أبى الصلت
٨٦	أنس ، مالك
٢٨	أوس ، حجر ، أبو شريح
٥٨	، ، عبدالله الربعى ، أبو الجوزاء
٩٠١	أيوب ، أبى تميمة كيسان السختيانى
٥٢٠	، ، موسى
-----	
٩١٣	البراء بن عازب
٧٥٧	بريدة ، الحصيب الأسلمى
٥٥٣	بلال ، رياح
-----	
٤٣٢	توبة بن الحمير
-----	
٢٢٩	ثابت ، أسلم
٢٣٠	ثوير ، أبى فاحشة
-----	
١٣١	جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصارى
٣٠٩	، ، يزيد الجعفى
٢٥٧	جبير ، نفير
٣٥٧	جذيمة الأبرش
٦٢٦	جرير بن عطية الشاعر
٣٧٨	جعفر ، برقان
١٠٠٩	، ، الزبير

رقم الصفحة —	اسم العلم —
٨٦٢	جندب بن عبدالله البجلي
١١٢٨	جويسر ، سعيد
-----	
١١٤٠	الحارث بن عبدالرحمن العامري
٥٩١	، ، عبدالله الأعور الهمداني
٨٩٩	حسان ، ثابت
١٦٥	الحسن ، نصر ، أبو علي الجرجاني (صاحب النظم)
١٧	، ، أبي الحسن
٥٠٥	، ، أحمد بن عبدالغفار ، أبو علي الفارسي
٢٢٤	، ، عبدالرحمن المكي الشافعي الحناني
٢٦٩	، ، علي بن أبي طالب
٩٠٦	، ، محمد ، أبو القاسم النيسابوري
٤٩٠	، ، ، بن أحمد الصيداوي
٥٦٧	الحسين ، الحسن السلمي المروزي
٢٦٩	، ، علي بن أبي طالب
٥٣٨	، ، الفضل
٤٩٨	، ، محمد ، ابن فتحويه
٤٩٨	، ، ، بن حبشي ابن حمدان
٣٨٠	، ، واقد المروزي
٢٦٣	حذيفة ، اليمان
٩٤	الحكم ، عتيبة
٢٢٩	حماد ، سلمة
٧٠١	حمد ، محمد بن ابراهيم ، أبو سليمان الخطابي
٦١٥	حمزة ، حبيب ، أبو عمارة الكوفي
٧٥٨	، ، عبد المطلب
-----	
٣٨٩	خالد بن معدان الكلاعي
١٥٨	، ، الوليد

## رقم الصفحة

## اسم العلم

٥٥٣	خبيب بن الأثر
٧٥٨	خبيب ، ، عدى
٨٧٦	خديجة بنت خويلد
٣٢٩	الخليل بن أحمد اللغوى
١٠٨	خنساء بنت عمرو
-----	
٨٢٠	داورد بن عمرو ، أبو سليمان العنبي
-----	
٥٣٠	ذكوان ، أبو صالح السمان
٦٦٣	ذوالرمة ، غيلان بن عقبة
٥٩٨	ذونواس
-----	
٣٢٣	الربيع بن أنس
٤٥٦	، ، ، خيثم
٥٣٤	، ، ، سليمان ، صاحب الشافعى
٣٢٧	، ، ، ربيعة التيمي ، ربيعة الرأى
٨٢١	، ، ، سعد
٣٤٤	، ، ، مهران ، أبو العالية الرياحى
-----	
١٨٩	زادان ، أبو عمر الكندى البزار
٨٢٢	زاهر بن محمد بن عيسى ، أبو على السرخسى
٩٩٩ - ٢٦١	، ، ، العوام
١٥١	، ، ، أوفى العامرى
٢١	، ، ، حبيش
٨٥٥	زنيرة
١١٠٢	، ، ، معاوية
٨٦٢	، ، ، بن خديج ، أبو خثيمة
٦٩٣	، ، ، النابغة الذبيانى

## رقم الصفحة

## اسم العلم

٤٨٨	زيد بن أبي أنيسة
١٠٤	، ، أسلم العدوى
٤٠٩	، ، عمرو
-----	
٤٩٩	السرى بن الفليس
٢٦٢	سعد ، ، مالك ، ابن أبي وقاص
١٦٢	، ، ، بن سنان ، أبو سعيد الخدرى
٨٧	، ، هشام
٩٨٨	سعيد ، ، أبي أيوب
٩٨٩	، ، أبي سعيد ، كيسان المقبرى
٨٩٢	، ، أبي عروبة
٨٥١	، ، أوس ، أبو زيد الأنصارى
١	، ، جبير
٢٢٤	، ، عبد الرحمن بن حسان
٦٥٣	، ، علاقة ، أبو فاخشة الهاشمى
٤٥٦	، ، مسروق الثورى
٩٦	، ، مسعدة ، أبو الحسن الأخفش الأوسط
٢٨٥	، ، المسيب
٦٥	سفيان ، ، سعيد الثورى
٢٢٣	، ، عينية الهلالى
١١٢٦	سلمان الأشجعى ، أبو حازم
٢٦٣	، ، الفارسى
٥٠٨	سلمة بن دينار ، أبو حازم الأعرج
٩٣١	، ، الفضل الأبرش
٩٨٥	، ، وردان
٥٢٢	سليم ، ، عامر الكلاعى الخبائرى
٩٠٨	سليمان ، ، أحمد الرقى
٣٢٩	، ، بلال التيمى
٥٠٨	، ، عبد الملك بن مروان

<u>رقم الصفحة</u>	<u>اسم العلم</u>
٨٢٣	سويد بن سعيد الهروي
-----	
١٠٢٣	شمعة بن الحجاج
٤٦٣	شمس ، عطية
-----	
٤٩٨	صالح بن سمار
٨٤٠	صخر ، حرب ، أبو سفيان
١٠٠٨	صدي ، عجلان ، أبو أمامة
٩٩٤	صعصة ، معاوية
٤٧١	، ، ناجية
٢٢٩	صهيب ، سنان
-----	
١٠٣٢	الضحاك بن عبدالرحمن ، ابن عزب
٧٦	، ، مزاحم الهلالي
-----	
١٤٢	طاوس بن كيسان اليماني
١١١٨	طارق ، عبدالله المحاربي
١٠١٠	طرفة ، العبد
١٠٤٥	طلحة ، مصرف اليامي
-----	
٨٧	عائشة بنت أبي بكر الصديق
٢٩٨	العاص بن هشام ، أبو البختري
١٠٩٦	، ، وائل
١١	عاصم ، بهدله
٤٦٤	عامر ، شراحيل الشعبي
٧٦٠	، ، عبد قيس
٢٦٢	، ، عبدالله بن الجراح ، أبو عبيدة

## رقم الصفحة

## اسم العلم

٨٥٤	عامر بن فهيرة
٤٥٥	عباس ، عبد العظيم
٣٧٠	العباس ، عبد المطلب
٤٩٨	، ، الفضل بن شاذان
٦٥٤	عبد ، حميد بن نصر ، أبو محمد الكلسي
٤٨٨	عبد الحميد ، عبد الرحمن
٢٢٩	عبد الرحمن ، أبي ليلي
٢٦٩	، ، أحمد بن عطية ، أبو سليمان الداراني
١١	، ، زيد بن أسلم
٣٩٠	، ، سابط
٤٥٥	، ، عبد الله بن أحمد ، أبو عبد الله القتال
٢٦٢	، ، عوف
٢٠٦	، ، هرمز الأعرج ، أبو داود المدني
٤٥٤	، ، يزيد
١٣٧	عبد الرزاق ، همام
١٣٧	عبد الصمد ، عبد الرحمن ، أبو سهل البزار
٨١٩	، ، علي بن محمد ، أبو الخناعم البخداوي
٨٩١	عبد العزيز ، منيب
٢٨٣	عبد الله ، أبي نجيح
٦٥٤	، ، أحمد حمويه
٤٢٠	، ، أم مكتوم
٤٥٤	، ، بحر بن ريسان
٦٠٢	، ، التامر
٨٣٧	، ، حبيب ، أبو عبد الرحمن السلمى
٧١٣	، ، الزبير بن العوام
٢٩٥	، ، زيد ، أبو قلابة الجرسي
١٠٢٣	، ، الشخير
٧٧٣	، ، شداد الليثي
٢	، ، عباس



رقم الصفحة	اسم العلم
٥٧٠	عبدالله بن عبدالأسد ، أبو سلمة
٥٥٧	، ، عبدالله ، ابن أبي مليكة
٩٣	، ، عمر بن الخطاب
٣٥٧	، ، عمرو بن العاص
٦٠٩	، ، قيس الرقيات
١٩٥	، ، قيس بن سليم بن حضار ، أبو موسى الأشعري
٢٠٥	، ، كثير بن المطلب ، أبو معبد
٥٦٧	، ، المبارك
١٠٨٦	، ، محمد ، أبو بكر بن أبي شيبة
١٣٧	، ، بن أحمد ، أبو محمد
٢٢٩	، ، ، عبد العزيز بن المرزبان ، أبو القاسم البغوي
١٠٢٣	، ، محمد ، ابن هزار مرد ، أبو محمد الصريفي
٤	، ، مسعود
١٠٠	، ، مسلم بن قتيبة الدينوري
١٠٨	، ، حبيب الأزدي ، أبو عمران الجوني
٣	، ، عبد العزيز ، ابن جريج
٥٢١	، ، ، القشيري
٣٠	عبد ياليل
٢٢٩	عبدالله بن محمد بن اسحاق المتوتى ، ابن حباية
٤١٤	، ، عتبة ، أبي لهب
٢٩٧	، ، ، ربعة ، أبو الوليد
٤١٤	، ، عتيبة ، أبي لهب
٥٦٧	، ، عثمان ، الأسود
٨٢١	، ، ، صهيب
٣٤١	، ، عسدي ، ربعة بن مرة المهلهل
٩٣	، ، عيرة ، الزبير
٣٨٣	، ، عدلاء ، أبي رباح
٤٥٣ - ٨٤٤	، ، ، أبي مسلم الخراساني ، أبو عثمان

## رقم الصفحة

## اسم العلم

١٠٩٦	عقبة بن أبي معيط
٦٥٧ - ٧٨٨	عامر الجهني
٤٢	عكرمة
٧	علقمة
٢٦١	علي بن طالب
٢١٣	أبي طلحة
١٠٢٣	الحق
٩٤	حمزة الكسائي
٧٧٠	علي بن نجاد الرفاعي
١٢٦	عمر بن أحمد الدارقطني
٢٤٠	عيسى بن داود بن الجراح ، أبو الحسن البغدادي
٩٣١	القاسم الخطابي ، أبو الحارث
١٢٠	محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي
١٠٨٦	مسهر
٩٣١	الحسن بن بشير الهمداني
٥٥٣	ياسر
١٠٢٨	أبي سلمة بن عبد الرحمن الزهري
٤٦	الخطاب
٤٢٦	عبد العزيز
٤٤٢	عمران خصين
٤٧٦	عمرو شرحبيل
٥٩١	عبد الله ، أبو اسحاق السبيعي
٢٦٩	عبيد ، أبو عثمان البصري المعتزلي
٩٤٥	عثمان بن قنبر ، سيويه
٢٩٨	عمير الثقفي ، أبو مسعود
١١١٤	مرة الجملي
٨٨٤	جيمون الأودي
٢٥٧	عويمر ، زيد بن قيس ، أبو الدرداء

## رقم الصفحة

## اسم العلم

٥٣١	عيسى بن حماد زغبة <sup>٥٩</sup>
٩٠٨	، ، زيد الطفيلي
٥٤٧	، ، عمر ، أبو عمر الهمداني
٨٢٠	، ، الوزير علي أبو القاسم بن الجراح
-----	
٨٦٦	غياث بن غوث الأخطل
-----	
٢٦٩	فاطمة بنت رسول الله الزهراء (صلى الله عليه وسلم)
١٠٨٣	فارس بن زكريا
٦٢٣	فرقد ، يوسف السبخي
١١٠٢	فروة ، نوفل
٩٢٧	الفضل ، خالد ، أبو معاذ النحوي
٤٩٩	فضيل ، عياض
-----	
٤٠٢	القاسم بن سلام ، أبو عبيد
١٠٠٩	، ، عبد الرحمن
٤٢	قتادة ، دعامة
٨٢١	قدار ، سالف
٥٣٠	القحطاع ، حكيم المدني
٣٠٩	قنبر مولى علي بن أبي طالب
١٢٦	قيس بن أبي حازم الجلي
٧٩٣	، ، الطوح المجنون
-----	
٤٩٨	كثير بن هشام الكلابي
٢٢	كردم ، أبي السائب
٨٢٢	كريمة بنت أحمد بن محمد المروزي
١٠٩٧	كعب بن أشرف

رقم الصفحة	اسم العلم
٤٦٢	كعب بن مراع ، كعب الأحبار
٣٤١	كليب ، ربيعة بن الحارث
-----	
٤٣	لاحق بن حميد ، أبو مجلز
١١٤٦	لييد ، الأعظم
٧٧٢	، ، ربيعة
٥٦	لقمان ، عاد
٥٣١	الليث ، سعد
-----	
٤٨٨	مالك بن أنس
٥٥٠	، ، الحارث
٥٦٩	، ، دينار
٨٩١	، ، صعصعة
٣٥٧	، ، ثويرة
٤٢	، ، جبر
١٠٨٩	، ، دثار
٢٢٤	محمد ، ابراهيم بن عبدالله الديلمي
٨٩٢	، ، ، ، عدى
٤٩٨	، ، أبى بكر بن على المقدمى
٦٥٤	، ، أبى الهيثم عبد الصمد أبوبكر الترابى
٣٦١	، ، أحمد بن ابراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوى
١٣٠	، ، ، ، الأزهر أبو منصور الأزهرى
٦٠١	، ، ، ، محبوب ، أبو العباس المحبوبي
٨٢٣	، ، ادريس السامى
١٢٤	، ، الشافعى
٢١٧	، ، ، ، بن المنذر ، أبو حاتم الرازى
١١٤٣	، ، اسحاق بن خزيمة
٢٤٨	، ، ، ، يسار

رقم الصفحة	اسم العلم
٣	محمد بن اسماعيل البخارى
٨٩٢	بشار ، بُندار
٨٩٢	جعفر المدنى ، غندر
١١٢٧	حاتم البغدادى ، أبو عبد الله السمين
٨٢	الحسن ، أبو بكر النقاش
١٠٠٨	الحسين الحدادى ، أبو الفضل
١١١٤	خازم ، أبو معاوية الضير
١٣٧	زكريا بن عذافر العذافرى
٢٨٢	زياد بن الأعرابى
٧٩	السائب الكلبى
١١١٤	سلام بن الفرج البيكندى
٩٠٨	سليمان بن معاذ الكوفى
٩٠٦	عامر البغدادى
٤٩٠	عبدان القزاز
٦٦٤	عبد الجبار ، أبو منصور السمعانى
١١٤٠	عبد الرحمن ، ابن أبى ذئب
٥٢١	البغدادى ، أبو دلاهر بن المخلص
٦٢١	بن السميع ، أبو عبد الله اليمانى
٤٩٧	عبد العزيز الجنوجردى
٩٣١	القنطرى ، أبو عمرو
٥٦٩	عبد الله ، أبو عبد الله الحاكم
٩٠٦	عبيد الله ، أبو عبد الرحمن العتبى
٥٣١	عجلان المدنى
٤٩٣	على بن اسماعيل ، أبو بكر الشاشى القفال
١٠٤	الحسين ، أبو جعفر الباقر
٥٠٠	عمر الوراق البلخى
١٠٣٢	عمرو بن علقمة
١٦٢	عيسى ، أبو عيسى الترمذى
٩٠٨	القاسم ، أبو بكر الأنبارى

رقم الصفحة	اسم العلم
٧٢٣	محمد بن كعب القرظي
٥٣١	محمد بن علي ، أبو نصر الزينبي
٣٣٢	المستنير ، أبو علي النحوي ، المعروف بقطرب
٩٩٤	مسلم بن تدرس ، أبو الزبير المكي
٣١ - ١٣٦	، ، ، عبيد الله الزهري
٨٦٣	مكي الكشميهني ، أبو الهيثم
٩٣١	المهدي ، أبو لبابة
١٩٩	النضر ، أبو عبد الرحمن الحارثي
١٠٠٨	يحيى المروزي ، أبو يحيى المشعرائي
٣٣٥	يزيد ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد
٩٨٢	المختار ، فلفل
٣٨١	مسرة ، شراحيل الهمداني
٣٨٢	مسروق ، الأجدع الهمداني
٦٧١	مسعود ، مالك ، أبو رزين الأسدي
٧	مسلم ، الحجاج النيسابوري
٤٨٩	، ، يسار الجهني
٤١٥	مصعب ، عمير
٢١٩ - ١٠٢٣	مطرف ، عبد الله بنى الشخير
٣٨٩	معاذ ، جبل
١٠٠٨	معممر ، سليمان
٣١	معممر ، راشد
٣٦٤	، ، المثني ، أبو عبيدة
٢٠٠	المفيرة ، شعبة بن مسعود الثقفي ، أبو عيسى
٩٩٤	، ، قيس
١٤٧	، ، مقسم
١٠٩٣	مقاتل ، حيان
٩٨	، ، سليمان
٥٢٢ - ٩٩٩	المقداد ، الأسود
٨٦٣	أبو محمد المكي ، عبد الرزاق الكشميهني

رقم الصفحة	اسم العلم
٥٤٩	منصور بن زاذان
٥٠٠	عمار بن كثير ، أبو السرى الخراسانى
٦٥	المعتمر
١٠٣١	عمرو
٢٢٤	أبى عائشة
٢٥	قيس الأعشى
-----	
٥٢٠	نافع الفقيه ، مولى ابن عمر
٨١٩	بن عمر بن عبد الله الجمحى
٨٥	نصر ، عمران بن عصام الضبعى ، أبو حمزة
٥٦ - ٤١٤	النضر ، الحارث
٣٢١	النعمان ، بشير
٨٥٤	النهدية
١١٠٢	نوفل ، فروة
-----	
٥٨	وردان
٣٩٦	وكيع بن الجراج
١٥٤	الوليد ، المغيرة
٨٠	وهب ، منبه
-----	
٢٢٩	هدبة بن خالد
١٥٨	هشام ، الوليد بن المغيرة المخزومى
٧١٤	هشيم ، بشير ، أبو معاوية ، ابن أبى خازم
٤٧٠	همام ، غالب ، الفرزدق
٤٠	، ، بن صعصعة ، الفرزدق
١٠٨٧	، ، يحيى العوذى
٤٩٠	هياج ، عبيد الحطينى ، أبو محمد

## رقم الصفحة

## اسم العلم

٩٨٩	يحيى بن أبي سليمان
١٠	، ، زياد الفراء
٣٢٧	، ، سعيد ، أبو سعيد الأنصاري
١١٢٧	، ، ، بن فروخ
١٠٣١	، ، عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة
٥٦٧	، ، محمد بن صاعد
٥٠٠	، ، معاذ ، أبو زكريا الرازي
١٠٤٩	، ، وثاب
١٠٠	، ، يعمر
٣٧٨	يزيد ، ، الأصم
٨٢١	، ، عبدالله بن أسامة الليثي
١٠٥١	، ، القعقاع ، أبو جعفر
١١٢٦	، ، كيسان
١١٢٧	يعقوب ، ، ابراهيم الدورقي
١٠	، ، اسحاق ، ابن السكيت
٢٠	، ، محمد بن خليفة الكوفي
٩٦٦	يوسف ، ، سعد الجمحي

---

١٧٦	أبو الأسد بن كلدة
٤٤٢	أبو الأسود الدؤلي ، ظالم بن عمرو
٢٦١	أبو بكر الصديق ، عبدالله بن عثمان
١١٢٩	أبو جعفر الرازي
٢٣٨	أبو جهل بن هشام
٥١٤	أبو جهينة الأنصاري
٨٤٤	أبو الدحداح الأنصاري
٢٦٣	أبو ذر الغفاري
١٠٥٦	أبو رغال



## رقم الصفحة

## اسم العلم

١٣٦	أبوسلماة بن عبدالله بن عوف الزهري
٣١٤	أبوصالح ، بازام
٣	أبوعبيدة بن عبدالله بن مسعود عامر بن عبدالله
١١٢٨	أبوعلى ، ، بندار
٤٩٨	، ، الحسين
٣٩٦	أبو عمرو ، العلاء
١٩٤	أبو هريرة الدوس
١٠٢٨	أبو الهيثم بن التيهان

## ط - فهرس المواضع والأماكن

رقم الصفحة	الاسم
٣٣١	١ - الأردن
١١٤٦	٢ - أروان
٧٢٣	٣ - الاسكندرية
٤٠٤	٤ - أصبهان
٤٠٥	٥ - اصطخر
٣٢٦	٦ - بقيع الفرقد
٣٣٠	٧ - بلخ
٢٦٦	٨ - البويرة
٩١٥	٩ - بيت المقدس
٩٠١ - ٢	١٠ - تهماسة
١٠٠٣	١١ - جمع ( مزدلفة )
٣٣٠	١٢ - جيحان
٩٠٠	١٣ - الحجاز
٤	١٤ - الحجون
١٣٣	١٥ - حراء
٩١٦	١٦ - حلوان
٣٣٠	١٧ - دجلة
٩١٥	١٨ - دمشق
١١١٨	١٩ - ذوالمجاز
٥٩٧	٢٠ - السروم
١٠٧٠	٢١ - الشام
٤	٢٢ - شعب أبي دب
١٠٥٥	٢٣ - صنعاء
٢	٢٤ - عكاظ
٤٣٦	٢٥ - الغاضرة
٣٣٠	٢٦ - الكوفة
١٠٥٦	٢٧ - المغمس
٥٩٦	٢٨ - نجران
٣٣٠	٢٩ - نيل مصر
٤٠٥ - ٩١٦	٣٠ - همذان
٥٩٧	٣١ - اليمن

ى - فهرس الأمم والقبايل

رقم الصفحة	الاسم	م
٢٩ - ٣٣٩	ثقيف	١
١٠٢١	بنو جمح	٢
٣٧	الخواج	٣
١٧٥	ربيعة	٤
٣٧	الروافض	٥
٦	الزط	٦
١٠٢١	بنو الزهرة	٧
١٠٢١	بنو عبد مناف	٨
٣٧	القدرية	٩
١٠٠٦	بنو كنانة	١٠
٢٦٦	بنو لؤى	١١
٢٣٩	بنو مخزوم	١٢
٣٧	المرجئة	١٣
١٧٥	مضر	١٤
١٠٧	بنو المغيرة	١٥

## ك - فهرس الكلمات اللغوية

رقم الصفحة	الكلمة	رقم الصفحة	الكلمة
٧٩	ثبير	١٥٦	المؤبلة
٣٥٣	الثج	٦٣٥	الإحليل
٦٠٣	ثعب الماء	٤٥٨	الإدّة
١٢٣	ثأثر الرأس	٧٧٥	الأديم العكاظي
-----	-----	٢٧٥	الأريكة
١٣ ٦	جئثت	٣٠٢	الأسر
٥٢٦	الجيب	٤٦٦	أنفة
٦٨	الجيت	-----	-----
١٦	الجد	٢١٦	بئر منخسفه
٤٤٩	الجلامد	١٠١٤	المثوث
٤٦١	الجماء	٧٩	بجساد
٩٠٦	جن الليل	١٦	البخت
٦٩٩	الجنبذة	٣٩	البخس
١٠٨٧	مجوف	٦٩١	برنيس
٨٦٠	جاشت القدر	١٦٦	بسر
-----	-----	١٠١٤	البق
٢٧٥	الحجال	٧٩	وبلة
٤	الحجل	٤٩	البيع
٨٦	الحدر	-----	-----
١١٢٠	الحرب	٤٦٩	تضاغيهم
٦٦١	الحرازة	٧٢٨	تلبد

رقم الصفحة	الكلمة	رقم الصفحة	الكلمة
٦٣٢	الدفق	٤٩٣	يحسر
٦٦١	الدمن	٢٣٥	الحشرجة
١٢٣	الدوى	١٠٤٦	الحطم
١٧٦	الدهم	٣٥٧	الحقوب
-----	-----	٥٢٣	الحقو
٩٩٥	الذرة	٤٤٧	احلولى
٢٥٨	الذر	٢٢	الحمل
١٠٨٧	أذفر	١٠٠١	حممة
٣٤٩	الذميل	٩٣٤	يتحنث
-----	-----	٦٦٢	الأحوى
٦٠٠	يتردون	٢	حيل
٩١	رزين	-----	-----
٥٢١	الرشح	٢٥٨	خبت النار
٩١	الرصين	١٠٩٠	خبر الماء
١١٤٧	راعوفة	٥٨٥	يخصف
١٠٠٨	الرفد	٤١٩	يختون
٨٥٦	الرضاء	١٠٨٦	يختلج
١٠٦٠	الإرهاص	١٠٥٧	خلات
١٦٢	أرهقه	١٠٧٢	الخموش
٢٥	الرهق	-----	-----
١٧٢	الرهام	٢١٣	دبر
٩٢٨	الراح	١٣٥	الدثار
-----	-----	٥٥٩	يددن
٧٩٤	الزمانة	٨٦٠	الدعامص

رقم الصفحة	الكلمة	رقم الصفحة	الكلمة
٥٩٩	الصومعة	٨٦٠	سجوالليل
١٧٥	صيا صى البقر	٢٦٦	سراة
-----	-----	٩١	السفساف
٦٧	الطرق	٩٤٩	الأسفوع
٦٢٥	الطارق	٣٨٥	السفود
٨٩١	الطست	١٠٧٤	مُسْتُون
٦٦٢	الطفاح	١٥٦	المسومة
٢٦٦	طم أنهارها	٣٠	يسيبون
٢٨	الطنب	-----	-----
١٠٩	طوى	٩٩٢	أشتاتا
-----	-----	٣٠٢	الشرح
٣٥٢	العج	١٣٥	الشعار
٣١٢	عرف الفرس	٤١٥	الشاقص
٧٩	عرانين	٧٥٨	الشلو
٩٧٧	العسيف	٣٢٩	شمخ أنفه
٣١٣	عصفت الريح	٦٦٣	شنسب
١١٢٠	العضاه	٢٧	شهب
١٠١٠	عقيلة	-----	-----
٤٠٤	العلاج	١٠٨٤	الصبير
٢٤٤	العلق	٤٧	تصعدتني
١٠١٠	يَعْتَامُ	٥٨٥	صالب
-----	-----	٣٢٥	الملع
٦٦٢	الغشاء	٥٢٣	تصهرهم
١٧٢	الغواديسا	٤٩	الصوامع

رقم الصفحة	الكلمة	رقم الصفحة	الكلمة
٥٥٥	كوى	٥٦٨	الغريب
٦٨	الكهان	٩٣٤	الغط
-----	-----	١٠٨٥	أغفى
٥٦	لبد	٥٩٨	غميضة
٦٦٣	الثبات	-----	-----
٢٨٨	اللجين	١٤	الفراشة
٦٦٣	لَعَسُّ	-----	-----
٩	اللغط	١٠٨٧	القباب
٥٩٩	لقن	٤٠	القاسطون
٦٦٣	لمياء	١٠٦٣	أقاطيع
-----	-----	٧٦	القطيفة
٥٥٨	المجرة	٥	قعقع
١٠٥٧	المحال	٣٧٢	نقفى
٧٥٨	الممزع	٨٦٥	قلى
٢٥٠	أشاج	١٦٣	المقامع
١١٤٧	المشاطة	٢٨٨	أقاوز
٩٢٨	المطايا	٦٣	القهارمه
٢٣٨	المطيطاء	-----	-----
٨٦٠	المُلاة	٢٣	الكدم
١٥٩	مهدت	١٠٧٢	كميشا
-----	-----	٣٤٦	تكفأ
٤٨	نءون	٣٢٦	كفاتا
٢١٣	نباته	٢٨	كوكب درى

رقم الصفحة	الكلمة	رقم الصفحة	الكلمة
٨٥	الهذرمة	٦٩٣	النجيع
١٠٧٤	الهشم	٢٩	منحولة
٥٩٨	الهمس	١٠١٦	النسدف
١١٣٩	الهوام	٣٥٧	النديم
٤٦٦	يهييل	٩٢٨	أندى
		٩٥٠	السنزو
٨٢٢	يافوخ	٧٨٩	النسمة
		١٠٠١	المناسم
		٣٨٥	نشط الدولون البئر
		١١٣	النواصى
		٢٢٧	النضرة
		٢١٤	نقرب
		١٩٥	النقابون
		٣٦٢	النقاخ
		١٠٥٩	نقسط
		٨٤٥	ينكست
		٩٤٣	نكص
		٢٨	النقسع
		١١٠	النكل
		٩٤٢	المنهوم
		٨٧	تورمست
		٩٦	الوطاة
		٣٨٧	الأوهاق



## ل - فهرس المسائل العقديّة

رقم الصفحة	المسألة
١١٤٨	* هل السحر له حقيقة أم لا
١٠٩١	* اثبات الكوثر
١٠٣١	* اثبات عذاب القبر
١٠١٧	* - مسألة الإيمان بالميزان ، وهل هو واحد أو أكثر
٨٥١	* أهل الكبائر يدخلون النار أم لا
٨٤٧، ٨١٨، ٨١٢	* خلق أفعال العباد
٧٤٢	* صفة المجيء لله تعالى
٦٥١	* مسألة الاسم والمسمى
٦٤٨	* معنى التسبيح لله تعالى
٦٢٣	* لوح المحفوظ
٦١٥	* عرش الرب تعالى
٤٨٣	* مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الأسراء
٤٧٦	* مسألة التنجيم
٤٧٠	* مسألة الأطفال الذين يموتون قبل بلوغهم
٣٠٦	* المشيئة والإرادة
٥٣٨، ٥٣٣، ٢٣٤، ٢٢٧	* رؤية الله تعالى يوم القيامة
١٩٢	* مسألة الشفاعة
١١٦	* نزول الرب تعالى لفصل القضاء
٧١، ٧٠	* الكرامات
٦٧	* علوم النجوم
٣٥	* نسبة الشر إلى الله تعالى

م - فهرس المسائل الفقهية

رقم الصفحة	المسألة
٩٥٧ ، ٩٦٤	= الاختلاف في ليلة القدر
٥٧٦	= هل الشفق هو البياض أو الحمرة ؟
٣٢٧	= هل تقطع يد النباش ؟
٣٦٥	= الوفاء بالنذر
١٢٦ ، ١٢٧	= وجوب قراءة الفاتحة
١٢٠ ، ١٢٤	= فرضية صلاة الليل
٩٩	= القراءة بحرف يوافق معنى حرف من القرآن

## ن - فهرس المصادر والمراجع

- \* الآثار الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) مطبع أنوار محمدى - لکناؤ (طبعة حجرية) .
- \* آثار البلاد وأخبار العباد القزوينى زكريا محمد بن محمد - دار صادر ودار بيروت ١٣٨٠هـ . ط :
- \* الإتيقان فى علوم القرآن السيوطى - جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ) دار الفكر بيروت .
- \* الأباطيل الجوزقانى ، أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم (ت ٥٤٠هـ) ، تحقيق عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائى ، الجامعة السلفية بنارس الهند .
- \* الأحاديث الطوال الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق / حمدى عبدالمجيد السلفى ، مطبوع فى آخر المعجم الكبير للطبرانى .
- \* الإحسان فى تقريب ابن حبان الأمير علاء الدين القارسى ، المكتبة السلفية بالمدينة سنة ١٣٩٠هـ .
- \* أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم المقدسى المعروف بالبشارى ، مطبعة بريسل بليدن ، عام ١٩٠٦م .
- \* أحكام القرآن ابن العربى ، أبوبكر محمد بن عبداللـه (ت ٥٤٣هـ) ، تحقيق على محمد الجاوى دار المعرفة . بيروت .
- \* أحكام القرآن (من سورة الفاتحة الى الآية ٢١٠ من سورة البقرة) ابن الفرس : أبو محمد عبدالمنعم تحقيق : عبدالله عبدالحميد ، رسالة ماجستير اشراف : د . عبدالعزيز الدردير ، الجامعة الإسلامية ، عام ١٤٠٥هـ .
- \* أحكام القرآن الجصاص : أبوبكر أحمد بن على (ت ٣٧٠هـ) دار الكتاب العربى . بيروت .
- \* الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ابن قتيبة . عبدالله بن مسلم الدينورى (٢٧٦هـ) تحقيق . على سامى النشار ، منشأة المعارف الاسكندرية ، ١٩٧١م .
- \* الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة عبدالقادر رشيبية الحمد ، الجامعة الإسلامية
- \* إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى القسطلانى : أبوالعباس أحمد بن محمد ، طبعة مصورة عن المطبعة الأميرية ببولاق عام ١٣٠٤هـ .

- \* إرشاد العقل السليم الى  
مزايا القرآن الكريم  
تفسير أبي السعود ، أبو السعود محمد بن محمد  
العمادى (ت ٩١٥هـ) ، دار احياء التراث العربى  
بيروت .
- \* إرواء الغليل فى تخريج  
أحاديث منار السبيل  
محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الإسلامى  
بيروت .
- \* أساس البلاغة  
الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر جار الله  
(ت ٥٣٨هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٢م .
- \* أساليب القسم والشروط  
فى القرآن الكريم  
أحمد بن عبد العزيز اللهيبي ، رسالة دكتوراة  
كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ١٣٩٥هـ .
- \* أسباب النزول  
الواحدى ، على بن أحمد النيسابورى (ت ٤٦٨هـ)  
عالم الكتب بيروت .
- \* الاستيعاب فى أسماء  
الأصحاب  
أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) بهامش  
الإصابة لابن حجر ، دار العلوم الحديثة .
- \* الاسرائيليات وأثرها فى  
كتب التفسير  
د . رمزي نعناعة ، نشر دار القلم بدمشق ط ١٣٩٠هـ .
- \* الاسرائيليات والموضوعات  
فى كتب التفسير  
محمد بن محمد أبو شهبه ، ١٤٠٢هـ .
- \* الأسماء والصفات  
البيهقى ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ - ١٤٠٥هـ .
- \* الاشتقاق  
ابن دريد أبو بكر بن محمد بن الحسن (٣٢١هـ)  
تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة السنة  
المحمدية عام ١٣٧٨هـ .
- \* الإصابة فى تمييز الصحابة  
ابن حجر العسقلانى أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ)  
دار العلوم الحديثة .
- \* اصلاح المنطق  
ابن السكيت ، يعقوب بن اسحاق (ت : ٢٤٤هـ)  
تحقيق : أحمد شاکر / عبدالسلام هارون  
ط ٣ - ١٩٧٠م .
- \* أصول الدين  
أبو منصور عبد القاهر البغدادى ، مطبعة الدولة  
باستانبول ، ط ١ عام ١٣٤٦هـ .
- \* أطواق الذهب فى  
المواعظ والخطب  
الزمخشري : أبو القاسم جار الله (ت ٥٣٨هـ)  
المطبعة الأدبية بيروت عام ١٣١٤هـ .
- \* الاعتقاد  
البيهقى ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)  
حديث اكادemy ، باكستان .

- \* إعراب القرآن  
النحاس أبو جعفر (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق : د . زهير غازي زاهد ، مطبعة العالي ببغداد .
- \* إعراب القرآن  
( المنسوب للزجاج )  
تحقيق : ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط ٢ عام ١٤٠٢ هـ .
- \* الأعلام  
خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت ط ٦ - ١٩٨٤ م .
- \* اعلام الموقعين عن رب العالمين  
ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) تحقيق / محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط ١ - عام ١٣٧٤ هـ .
- \* الأغاني  
أبو الفرج الأصبهاني علي بن حسين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .
- \* الإكليل  
شيخ الإسلام ابن تيمية - تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ) ، مطبوع ضمن مجموع الرسائل الكبرى مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر ، ١٣٨٦ هـ .
- \* الجام العوام عن علم الكلام  
الغزالي ، أبو حامد محمد بن أحمد ، المطبعة الميمنية القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .
- \* الأمالي  
الغالي أبو اسماعيل بن القاسم البغدادي ، دار الفكر بيروت .
- \* أمالي المرتضى " غرر الفوائد ودرر القلائد"  
الشریف المرتضى علي بن الحسين ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية بمصر ، ط ١ - ١٣٧٣ هـ .
- \* إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب القراءات في جميع القرآن  
العكبري أبو البقاء عبدالله بن الحسين ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- \* الأنساب  
أبو سعد السمعاني عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ) دائرة المعارف العثمانية بالهند .
- \* إنباه الرواة على أنباه النحاة .  
القفطي أبو الحسن علي بن يوسف ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .
- \* الانتصار لنقل القرآن  
أبو بكر الياقلائي (ت ٤٠٣هـ) ، ت/ د . محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية .

- \* الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال  
ناصر الدين أحمد بن المنير الاسكندري ، مطبوع في هاشم الكشاف ، دار المعرفة ، بيروت .
- \* الإنصاف  
أبو بكر الباقلائي ( ت ٤٠٣ هـ ) ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ١٣٨٢ هـ .
- \* الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه  
مكي بن أبي طالب ، تحقيق : د . أحمد حسن فرحات ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط ١ - ١٣٩٦ هـ .
- \* الإيمان  
ابن مندة - محمد بن اسحاق ( ت ٣٩٥ هـ ) تحقيق / د . علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الجامعة الاسلامية بالمدينة ، ط ١ - ١٤٠١ هـ .
- \* الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث  
أحمد محمد شاكر ، مطبعة محمد علي صبيح القاهرة ، ط ٣ - ١٣٧٠ هـ .
- \* البحر المحيط  
أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ( ٧٥٤ هـ ) دار الفكر بيروت ، ط ٢ - ١٣٩٨ هـ .
- \* البداية والنهاية  
ابن كثير - أبو الفداء اسماعيل بن كثير ( ٧٧٤ هـ ) تحقيق : جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ - ١٤٠٥ هـ .
- \* البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة  
عبد الفتاح القاضي ، معه كتاب : القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ - ١٤٠١ هـ .
- \* البرهان في علوم القرآن  
الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة بيروت .
- \* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة  
جلال الدين السيوطي ( ت ٩١١ هـ ) ط ١ - ١٣٨٤ هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .
- \* تاج التراجم في طبقات الحنفية  
ابن قطلوبغا - زين الدين قاسم ( ت ٨٧٩ هـ ) مكتبة المشي بغداد ١٩٦٢ م .
- \* تاج العروس  
محمد مرتضى الزبيدي ، دار صادر بيروت ، ١٣٨٦ هـ .
- \* التاريخ  
خليفة بن خياط المعروف بشباب العصفري تحقيق : د . أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ - ١٣٩٧ هـ .
- \* تاريخ الأدب العربي  
كارل بروكلمان ، دار المعارف بمصر ( مترجم ) .

- \* تاريخ بغداد الخطيب البغدادي - أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) المكتبة السلفية بالمدينة .
- \* تاريخ التراث العربي فؤاد سزكين ، ترجمة : د . محمود فهمي حجازي جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض .
- \* تاريخ الثقافات العجلي - أحمد بن عبدالله (ت ٢٦١ هـ) ، ترتيب : نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق : د . عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- \* تاريخ جرجان السمي - حمزة بن يوسف (ت ٤٢٧ هـ) ، عالم الكتب بيروت ، ١٤٠١ هـ .
- \* تاريخ الجهمية والمعتزلة القاسمي - جمال الدين الدمشقي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
- \* تاريخ دمشق ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ) نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية تحت رقم ١٣٢٧ - ١٣٦٣ .
- \* تاريخ دولة آل سلجوق عماد الدين الأصفهاني ، اختصار الفتح بن علي البغدادي الأصفهاني ، شركة طبع الكتب العربية بمصر ، ١٣١٨ هـ .
- \* تاريخ الرسل والملوك ( تاريخ الطبري ) محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- \* التاريخ الكبير البخاري ، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) تصحيح المعلمي ، طبعة مصورة من دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد ، سنة ١٣٧٨ هـ .
- \* تأويل مختلف الحديث ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) تصحيح محمد زهري النجار ، نشر دار الجيل بيروت ، ١٣٩٣ هـ .
- \* تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة - عبدالله بن مسلم الدينوري ، تحقيق : السيد أحمد صقر (ت ٢٧٦ هـ) ، دار التراث بالقاهرة ، ط ٢ ١٣٩٣ هـ .
- \* التبيان في أقسام القرآن ابن القيم : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بكر (ت ٧٥١ هـ) ، تعليق / طه يوسف شاهين ، مكتبة القاهرة .
- \* تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (٨٣٣ هـ) دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ١٤٠٤ هـ .

- \* تحرير المقالة فى شرح الرسالة  
القلستانى ، مخطوط بمكتبة الجامعة الاسلاميه  
برقم ٦٠٤ .
- \* تحفة الأحوذى فى شرح جامع الترمذى  
المباركفورى - محمد عبدالرحمن ( ت ١٣٥٣ هـ )  
ضياء السنة - فيص آباد .
- \* تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف  
المزى - جمال الدين أبو الحجاج يوسف  
( ت ٧٤٢ هـ ) ، تحقيق / عبدالصمد شرف الدين  
المكتب الاسلامى بيروت ، ط ٢ - ١٤٠٣ هـ .
- \* التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية  
فالح بن مهدي آل مهدي ، مكتبة الحرميين  
الرياض ، ط ٢ - عام ١٤٠٥ هـ .
- \* تدريب الراوى فى شرح التقريب للنواوى  
جلال الدين السيوطى ( ت ٩١١ هـ ) ، تحقيق :  
عبدالوهاب عبداللطيف ، مطبعة السعادة بمصر .
- \* تذكر الحفاظ  
الذهبي - أبو عبدالله شمس الدين ( ت ٧٤٨ هـ )  
دار احياء التراث العربى ، بيروت .
- \* التذكرة فى أحوال الموتى وأموال الآخرة  
القرطبى ، أبو عبدالله محمد بن أحمد ( ت ٦٧١ هـ )  
تحقيق : د . أحمد حجازى السقا ، الناشر :  
عباس أحمد الباز مكة .
- \* التسهيل لعلوم التنزيل  
ابن جزى الكلبى - محمد بن أحمد ، دار الكتاب  
العربى ، بيروت ، ط ٤ عام ١٤٠٣ هـ .
- \* التعريفات  
السيد الشريف الجرجانى ( ت ٨١٦ هـ ) ، مطبعة  
مصطفى البابى الحلبي بمصر ( ١٩٣٨ م ) .
- \* تفسير أسماء الله الحسنى  
الزجاج . أبو اسحاق ابراهيم بن العمري ( ت ٣١١ هـ )  
تحقيق / أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث  
ط ٤ ، ١٤٠٣ هـ .
- \* تفسير سفيان بن عيينة  
جمع وتحقيق / أحمد صالح محاييرى ، المكتب الإسلامى  
ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
- \* تفسير سورتى الفاتحة والبقرة  
أبو المظفر السمعانى ، تحقيق ودراسة : عبدالقادر  
منصور ، رسالة دكتوراة ، اشراف : د . محمد السيد  
طنطاوى ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ .
- \* تفسير غريب القرآن  
ابن قتيبة - أبو محمد عبدالله بن مسلم ( ت ٢٧٦ هـ )  
تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية  
بيروت ، ١٣٩٨ هـ .



- \* تفسير القرآن الكريم  
أبو المظفر السمعاني ( ت ٤٧٩ هـ ) ، نسخة  
مصورة من نسخة المكتبة الأزهرية ، وأخرى  
مصورة من نسخة دار الكتب المصرية .
- \* تفسير القرآن الكريم  
( القسم المحقق )  
( الفاتحة والبقرة )  
أبو المظفر السمعاني ، تحقيق / عبد القادر منصور  
رسالة دكتوراة ، إشراف : د . محمد السيد الطنطاوي  
الجامعة الإسلامية عام ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ .
- \* تفسير القرآن الكريم  
عبد الرزاق بن همام الصنعاني ( ت ٢١١ هـ ) نسخة  
مصورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية  
برقم ( ٢٢٦٣ ميكروفيلم ) .
- \* تفسير القرآن العظيم  
ابن كثير - أبو الفداء إسماعيل ( ت ٧٧٤ هـ )  
دار أحياء التراث العربي بيروت ، ١٣٨٨ هـ .  
محمد عبده ، المطبعة الأميرية ، عام ١٣٢٢ هـ .
- \* تفسير القرآن الكريم  
( جزء عم )  
الفخر الرازي ( ت ٦٠٦ هـ ) ، دار أحياء التراث  
العربي ، ط ٣ ، بيروت .
- \* تفسير مجاهد  
تقديم وتحقيق / عبد الرحمن الطاهر بن محمد  
السورتى ، المنشورات العلمية بيروت .
- \* تفسير مقاتل بن سليمان  
نسخة مصورة عن نسخة مكتبة أمانة بتركيا برقم ٥٦٥  
وهي محفوظة لدى .
- \* تفسير المنار  
سيد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت .
- \* التفسير والمفسرون  
د . محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة  
بالقاهرة ، ط ٢ - ١٣٩٦ هـ
- \* التفسير ومناهجه في ضوء  
المذاهب الإسلامية  
د . محمود بسيوني فوده ، مطبعة الأمانة بمصر  
عام ١٣٩٧ هـ .
- \* تقريب التهذيب  
ابن حجر العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ) ، دار نشر  
الكتب الإسلامية بكستان ، ط ١ - ١٣٩٣ هـ .
- \* التقفية في اللغة  
البندنجي - أبو البشر اليمان بن أبي اليمان  
( ت ٢٨٤ هـ ) ، د . خليل إبراهيم العطية  
مطبعة العاني بغداد ١٩٧٦ م .
- \* تلخيص الحبير في تخريج  
أحاديث الرافعي الكبير  
ابن حجر العسقلاني - أحمد بن علي ( ت ٨٥٢ هـ )  
تصحيح وتعليق / السيد عبد الله هاشم يمانسى  
المكتبة الأثرية - باكستان .

- \* تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات  
 محب الدين أفندي ، مطبوع في آخر الكشاف  
 دار المعرفة .
- \* تنزية الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة  
 ابن عراق - أبو الحسن علي بن محمد (ت ٩٦٣هـ)  
 تحقيق / عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد  
 الصديق ، مكتبة القاهرة .
- \* تنزيه القرآن عن المطاعن  
 القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) دار  
 النهضة الحديثة ، بيروت .
- \* التنكيل بما في تأنيب الكوشى من الأباطييل  
 المعلمي - عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، حديث  
 أكادemy - فيصل آباد ، ط ١ - ١٤٠١هـ .
- \* تهذيب الأسماء واللغات  
 النووى محى الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ) ، دار  
 الكتب العلمية بيروت .
- \* تهذيب الألفاظ لابن السكيت  
 الخطيب التبريزى - يحيى بن على (ت ٥٠٢هـ) (   
 المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٥م .
- \* تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر  
 عبد القادر بدران (١٣٤٦هـ) ، دار المسيرة  
 بيروت ، ١٣٩٩هـ .
- \* تهذيب التهذيب  
 ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) ، دار صادر  
 بيروت .
- \* تهذيب الكمال فى أسماء الرجال  
 المزى - جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ) ، دار  
 المأمون للتراث بيروت .
- \* تهذيب اللغة  
 الأزهرى ، أبو منصور محمد بن أحمد ، تحقيق :  
 عبد السلام هارون ، المؤسسة المصرية للتأليف  
 والترجمة ، القاهرة ١٣٨٤هـ .
- \* كتاب التوحيد واثبات صفات الرب  
 ابن خزيمة - محمد بن اسحاق (ت ٣١١هـ) تحقيق :  
 محمد خليل هراس ، دار الفكر بيروت ، ط ٢ - ١٣٩٣هـ .
- \* التيسير فى القراءات السبع  
 الدانى . أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ) (   
 دار الكتاب العربى - بيروت ، ط ٢ - عام ١٤٠٤هـ .
- \* الثعلبى ودراسة كتابه الكشف والبيان  
 محمد أشرف الملبيارى (رسالة دكتوراة ، اشرف :  
 أبوبكر جابر الجزائرى ، الجامعة الإسلامية بالمدينة  
 المنورة ، عام ١٤٠٥هـ .
- \* جامع الأصول فى أحاديث الرسول  
 ابن الأثير الجزرى - أبو السعادات مبارك بن محمد  
 (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط  
 نشر مكتبة الملاح ، بيروت - ١٣٩٢هـ .

- \* جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ابن جرير الطبري ( ت ٣١٠ هـ ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط ٣ - عام ١٣٨٨ هـ .
- \* جامع البيان عن البيان تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ابن جرير الطبري ( ت ٣١٠ هـ ) تحقيق : محمود شاکر ، وأحمد شاکر ، دار المعارف بمصر عام ١٩٥٧ م .
- \* الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ( ت ٥٦٧ هـ ) دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- \* الجرح والتعديل الرازي - أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ( ت ٣٢٧ هـ ) ، مصورة عن دائرة المعارف العثمانية بحيد رآباد ، دار الكتاب العلمية بيروت .
- \* جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- \* جمهرة أنساب العرب ابن حزم - أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي ( ت ٤٥٦ هـ ) ، تحقيق : عبد السلام هارون دار المعارف بمصر ، ط ٤ .
- \* جمهرة نسب قريش وأخبارها الزين بكار ( ت ٢٥٦ هـ ) ، تحقيق / محمود شاکر مطبعة المدني - عام ١٣٨١ هـ .
- \* جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) مؤسسة الأعلمی للمطبوعات بيروت .
- \* الجواهر النقي ابن التركماني ، مطبوع في هاش السنن الكبرى للبيهقي ، دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد عام ١٢٤٤ هـ .
- \* حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن القيم - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ( ت ٧٥٢ هـ ) دار الكتب العلمية بيروت .
- \* حاشية الجرجاني على الكشاف السيد الشريف الجرجاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- \* حاشية العدوى على شرح أبي الحسن رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، العدوى على الصعيدى ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة عام ١٣٦٩ هـ .
- \* الحباثل في أخبار الملائك السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن ( ت ٩١١ هـ ) نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية .
- \* حجة القراءات أبوزرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغانى ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ٣ عام ١٤٠٢ هـ .

- \* حقيقة الصوفية فى ضوء الكتاب والسنة . محمد ربيع بن هادى المدخلى .
- \* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . أبو نعيم الأصفهاني - أحمد بن عبد الله ( ت ٤٣٠ هـ ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- \* الحماسة . أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، تحقيق : د . عبد الله عسيلان ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠١ هـ .
- \* الحموية الكبرى . شيخ الإسلام ابن تيمية ( ت ٧٢٨ هـ ) ، مطبوع ضمن مجموع الرسائل الكبرى ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر ، ١٣٨٦ هـ .
- \* الحيوان . الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ( ت ٢٥٥ هـ ) مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر .
- \* خزانة الأدب ولسب لباب لسان العرب . البغدادي ، عبدالقادر بن عمر ( ت ١٠٩٣ هـ ) دار صار بيروت .
- \* الخصائص . ابن جنى ، أبو الفتح عثمان ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط ٢ بيروت .
- \* درء تعارض العقل والنقل . شيخ الإسلام ابن تيمية ( ت ٧٢٨ هـ ) ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض .
- \* الدر اللقيط من البحر المحيط . تاج الدين الحنفي النحوي ، على هاشم البحر المحيط ، دار الفكر - بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ .
- \* الدر المنثور فى التفسير بالمأثور . السيوطى - جلال الدين عبدالرحمن ( ت ٩١١ هـ ) دار المعرفة بيروت .
- \* دلائل النبوة . أبو نعيم الأصفهاني : أحمد بن عبد الله ( ت ٤٣٠ هـ ) مطبعة : بدون ، عام ١٣٩٧ هـ .
- \* دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . البيهقي - أبو بكر أحمد بن الحسين ( ت ٤٥٨ هـ ) تخريج وتعليق / د . عبد المعطى قلجى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- \* الدولة الخوارزمية . د . نافع توفيق الحبود ، جامعة بغداد ١٩٧٨ م .
- \* الديباج الفذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب . ابن فرحون المالكي ( ت ٧٩٩ هـ ) ، تحقيق : د . محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث القاهرة .

- \* ديوان الأخطل تصنيف وشرح / ايليا سليم الحاوي ، نشر دار الثقافة بيروت .
- \* ديوان الأعشى دار صادر بيروت .
- \* ديوان امرئ القيس دار صادر بيروت .
- \* ديوان أمية بن أبي الصلت جمع وتحقيق / عبد الحفيظ السطلي ، المطبعة التعاونية بدمشق ، ط ٢ .
- \* ديوان أوس بن حجر د / محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت .
- \* ديوان جرير دار صادر بيروت .
- \* ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، رضى الله عنه دار صادر بيروت .
- \* ديوان حميد بن ثور الهلالي جمع وترتيب : عبدالعزيز الميمنى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
- \* ديوان الخنساء دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت عام ١٣٩٨ هـ .
- \* ديوان ذى الرمة المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ، ط ١ عام ١٣٨٤ هـ .
- \* ديوان الراعى النميرى جمع وتقديم / ناصر ألحانى ، المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٩٣ هـ .
- \* ديوان زهير بن أبى سلمى دار صادر بيروت .
- \* ديوان عبد الله بن قيس الرقيات تحقيق / محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ١٣٧٨ هـ .
- \* ديوان طرفة بن العبد دار صادر بيروت
- \* ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق / د . حسين نصار ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ، ط ١ ، ١٣٧٧ هـ .
- \* ديوان العجاج (رواية الأصمعى وشرحه ) تحقيق / د . عبد الحفيظ السطلي ، نشر مكتبة أطلس ، دمشق .
- \* ديوان عدى بن زيد العبادى تحقيق وجمع : محمد جبار المعبيد ، وزارة الثقافة بالعراق ، ١٩٦٥ م .
- \* ديوان عمر بن أبى ربيعة دار صادر بيروت .
- \* ديوان الفزدق دار صادر بيروت .

- \* ديوان لبيد بن ربيعة  
العامري  
دار صادر بيروت .
- \* ديوان المتنبي  
دار صادر بيروت .
- \* ديوان مجنون ليلي  
جمع وتحقيق / عبدالستار أحمد فراج ، مكتبة  
مصر بالفجالة .
- \* ديوان المسيب  
ابن علس  
المطبوع في آخر ديوان الأعشى ، طبع بيانه  
١٩٢٧ م .
- \* ديوان المعاني  
العسكري أبو هلال الحسن بن عبدالله ، مكتبة  
القدس ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .
- \* ديوان النابغة الذبياني  
دار كرم للطباعة والنشر ، بدمشق .
- \* ذكر أخبار أصبهان  
أبونعيم الأصبهاني ، أحمد بن عبدالله ( ت ٤٣٠ هـ )  
نشرالدار العلمية - الهند ، عام ١٤٠٥ هـ ط ٢ .
- \* الرد على بشر المريسي  
الدارمي ، عثمان بن سعيد ( ت ٢٨٢ هـ ) ، تحقيق :  
محمد حامد الفقى ، حديث أكاديمي - باكستان  
١٤٠٢ هـ .
- \* الرد على الجهمية  
والزنادقة  
الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ )  
دار الافتاء بالرياض .
- \* رسائل إخوان الصفا وخلان  
الصفا  
تأليف إخوان الصفا ، دار صادر بيروت .
- \* الرسالة التدمرية  
شيخ الإسلام ابن تيمية - تقي أحمد بن عبدالحليم  
( ت ٧٢٨ هـ ) ، المطبعة السلفية بالقاهرة  
ط ٢ - ١٣٩٧ هـ .
- \* الرسالة العرشية  
شيخ الإسلام ابن تيمية - ( ت ٧٢٨ هـ ) ضمن  
الرسائل الكبرى ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .
- \* الرسالة المستطرفة  
ليبيان مشهور كتب السنة  
الكتاني - محمد بن جعفر ( ت ١٣٤٥ هـ ) ط ٣  
١٣٨٣ هـ ، مطبعة دار الفكر بدمشق .
- \* كتاب الروايتين والوجهين  
القاضي أبو يعلى الفراء ، نسخة مصورة بمكتبة  
المخطوطات بالجامعة الإسلامية ، ( تحت رقم ١٢٦٦ ) .
- \* روح المعاني في تفسير  
القرآن العظيم والسبع  
المثاني  
الآلوسي - دار احياء التراث العربي بيروت .

- \* **روضات الجنات فى أحوال العلماء والعبادات** ميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى الأصبهاني الطبعة الثانية - ١٣٦٧ هـ ، ايران .
- \* **الروض الأنف فى شرح السيرة السهيلية - عبدالرحمن ( ت ٥٨١ هـ ) ، تحقيق :** عبدالرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثية القاهرة ، ط ١ - ١٣٨٧ هـ .
- \* **كتاب الرؤية** الدار قطنى ، على بن عمر ( ت ٣٨٥ هـ ) نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم ٧٣٨ - ٧٣٩ .
- \* **زاد المعاد فى هدى خير العباد** ابن القيم : أبو عبدالله محمد بن أبى بكر ( ت ٧٥٢ هـ ) ، تحقيق : محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- \* **زاد المسير فى علم التفسير** ابن الجوزى - أبو الفرج عبدالرحمن بن على ( ت ٥٩٧ هـ ) ، المكتب الإسلامى بدمشق عام ١٤٠٤ هـ ، ط ٣ .
- \* **الزمخشري** د . أحمد محمد الحوفى ، دار الفكر العربى بالقاهرة ، ط ١ عام ١٩٦٦ م .
- \* **الزمخشري لغوياً ومفسراً** مرتضى آية الله زاده الشيرازى ، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٧٧ م .
- \* **الزهد** الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ ) دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
- \* **كتاب الزهد** عبدالله بن المبارك المروزي ( ت ١٨١ هـ ) تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمى ، دار الكتب العلمية بيروت .
- \* **كتاب الزهد** هناد بن السرى الكوفى ( ت ٢٤٣ هـ ) تحقيق : عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائى ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامى الكويت ، ط ١ - ١٤٠٦ هـ .
- \* **سراج القارى المبتدى** أبو القاسم على بن عثمان العذرى ، وبذيليه : غيث النفع فى القراءات السبع ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط ١ عام ١٣٥٢ هـ .
- \* **سراج العيون وشرح رسالة ابن زيدون** ابن نباتة المصرى أبوبكر محمد بن محمد مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ، ١٣٧١ هـ .
- \* **سفيان الثورى وأثره فى التفسير** هاشم عبد ياسين المشهدانى ، دار الكتاب للطباعة - بغداد ، ط ١ - عام ١٤٠١ هـ .

- \* سلاجقة ايران والعراق  
د . عبدالنعيم محمد حسنين ، مكتبة النهضة  
المصرية ، ط ٢ - ١٣٨٠ هـ .
- \* سلسلة الأحاديث  
الصحيحة  
محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي .
- \* سلسلة الأحاديث  
الضعيفة والموضوعة  
محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي .
- \* سمط اللآلى فى شرح أمالى  
القالى  
أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكرى (ت ٤٨٧ هـ)  
تحقيق / عبدالعزيز الميمنى ، مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر ، عام ١٣٥٤ هـ .
- \* السننة  
ابن أبى عاصم ، أبوبكر عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧ هـ)  
مع تخريجه : ظلال الجنة فى تخريج السننة  
للألباني ، المكتب الاسلامي بيروت عام ١٤٠٠ هـ .
- \* كتاب السننة  
عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٩٠ هـ)  
الدار العلمية - دلهي ، ط ٢ - ١٤٠٤ هـ .
- \* السنن  
أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ) ، اعداد :  
عزت عبيد الدعاس ، عادل السيد ، دار الكتب  
العلمية بيروت ، ط ١ - ١٣٨٨ هـ .
- \* السنن  
الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ )  
تحقيق أحمد شاکر ، و ابراهيم عطوة ، نشر  
المكتبة الاسلامية .
- \* السنن  
النسائى - أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب  
( ت ٣٠٣ هـ ) ، فى هامشه : حاشية السنندى  
وشرح السيوطى ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة  
ط ١ - ١٣٤٨ هـ .
- \* السنن  
ابن ماجه - أبو عبدالله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥ هـ)  
فى هامشه : حاشية السنندى ، دار الفكر بيروت ط ٢ .
- \* السنن  
الدارقطنى على بن عمر ( ت ٣٨٥ هـ ) ، بهامشه :  
التعليق المكنى على الدارقطنى لشمس الحق  
العظيم أبادى ، دار المحاسن للطباعة بالقاهرة .
- \* السنن  
الدارمى - أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن  
( ت ٢٥٥ ) ، دار الكتب العلمية بيروت .



- \* السنن الكبرى  
البيهقي ، أبوبكر أحمد بن حسين ( ت ٤٥٨ هـ )  
في هامشه الجوهر المقي لابن التركماني ، دائرة  
المعارف العثمانية حيد آباد ، عام ١٢٤٤ هـ .
- \* سير أعلام النبلاء  
الذهبي - شمس الدين محمد بن أحمد  
( ت ٧٤٨ ) ، تحقيق : جماعة من المحققين  
مؤسسة الرسالة بيروت .
- \* سيرة ابن اسحاق  
( المبتدأ المبعث والمغازي )  
محمد بن اسحاق بن يسار ( ت ١٥١ هـ ) تحقيق :  
محمد حميد الله ، ادارة النشر والتوزيع قونيه ١٤٠١ هـ .
- \* السيرة النبوية  
ابن كثير - أبو الفداء اسماعيل بن كثير ( ت ٧٧٤ هـ )  
تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفنة  
للطباعة والنشر بيروت .
- \* السيرة النبوية  
ابن هشام - أبو محمد عبدالملك والمعافى  
( ت ٢١٣ هـ ) ، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .
- \* شذا العرف  
أحمد الحملأوى ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- \* شذرات الذهب فى أخبار  
من ذهب  
ابن العماد الحنبلى ( ت ١٠٨٩ هـ ) ، دار المسيرة  
بيروت ، ط ٢ - ١٣٩٩ هـ .
- \* شرح أصول اعتقاد أهل  
السنة والجماعة  
اللالكائى ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن ( ت ٤١٨ هـ )  
تحقيق : د . أحمد سعد حمدان ، دار طيبة  
الرياض .
- \* شرح الأصول الخمسة  
القاضى عبدالجبار بن أحمد ، تحقيق : د . عبدالكريم  
عثمان ، نشر مكتبة وهبة . مصر ، ١٣٨٦ هـ .
- \* شرح حديث الغزول  
شيخ الإسلام ابن تيمية ( ت ٧٢٨ هـ ) ، المكتب  
الإسلامى ، بيروت ، ط ٦ - ١٤٠٢ هـ .
- \* شرح الدر المختار  
الحصكى ، علاء الدين محمد بن على ( ت ١٠٨٨ هـ )  
مطبعة محمد على صبيح ، القاهرة .
- \* شرح صحيح مسلم  
النوى ، أبوزكريا يحيى بن شرف ( ت ٦٧٦ هـ ) ، دار  
الفكر ، بيروت ، ط ٢ - ١٣٩٢ هـ .
- \* شرح العقيدة الطحاوية  
ابن أبى العز الحنفى ، تخريج / محمد ناصر الدين  
الألبانى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط ٤ - ١٣٩١ هـ .
- \* شرح معانى الآثار  
الطحاوى ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة  
مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة .

- \* شرح المواهب اللدنية  
الزرقانى ، محمد بن عبد الباقي ( ت ١١٢٢ هـ )  
دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩٣ هـ .
- \* شرح نخبة الفكر  
ابن حجر العسقلانى ، أحمد بن على ( ت ٨٥٢ هـ )  
مطبعة مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة عام  
١٣٥٢ هـ .
- \* الشرح والإبانة على أصول  
السنة والديانة  
ابن بطة ، عبيد الله بن محمد العكبرى  
( ت ٣٨٧ هـ ) ، تحقيق : د . رضاء بن نعيان  
معطى ، المكتبة الفيصلية مكة ١٤٠٤ هـ .
- \* الشريعة  
الآجرى ، أبو محمد بن الحسين ( ت ٣٦٠ هـ )  
تحقيق : محمد حامد الفقى ، حبيب أكادemy  
باكستان ١٤٠٣ هـ .
- \* شعب الإيمان  
البيهقى ، أبو بكر أحمد بن الحسين ( ت ٤٥٨ هـ )  
نسخة مصورة بمكتبة الشيخ حماد الأنصارى .
- \* شعراء النصرانية  
جمع / يونس شيخو اليسوعى ، مطبعة الآباء  
المرسلين اليسوعيين ، ١٧١٩ م ، بيروت .
- \* الشعر والشعراء  
ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم الدينورى  
( ت ٢٧٦ هـ ) ، طبعة ليدن عام ١٩٠٣ م .
- \* الشفا بتعريف حقوق  
النبي صلى الله عليه وسلم  
أبو الفضل القاضى عياض بن موسى ، مطبعة  
مصطفى البابى الحلبي بمصر ١٣٦٩ هـ .
- \* شفاء العليل فى مسائل  
القضاء والقدر والحكمة  
والتعليل  
ابن القيم : شمس الدين أبو عبد الله محمد  
ابن بكر ، ( ت ٨٥١ هـ ) ، دار المعرفة بيروت .
- \* الصحاح  
أبو الحسين أحمد بن فارس ( ت ٣٩٥ هـ )  
تحقيق / السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى  
البابى الحلبي بمصر .
- \* الصحاح  
الجوهرى - اسماعيل بن حماد ، تحقيق : أحمد  
عبد الغفور عطار .
- \* الصحيح  
البخارى - أبو عبد الله محمد بن اسماعيل  
( ت ٢٥٦ هـ ) تصحيح وتحقيق / عبد العزيز  
ابن باز ، المطبوع مع فتح البارى ، نشر دار الافتاء  
 بالرياض .

- \* الصحيح  
مسلم بن حجاج النيسابوري ( ت ٢٦١ هـ ) مع  
شرح النسوي ، دار الفكر بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ .
- \* صحيح الجامع الصغير  
للسيوطي  
محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي  
بيروت ، ط ١ ، ١٣٨٨ هـ .
- \* الصحيح المسند من أسبأ  
النزول  
مقبل بن هادي الوراغي .
- \* صريح السنة  
الطبري - أبو جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠ هـ )  
تحقيق / بدر بن يوسف المعتوق ، دار الخلفاء  
للكتاب الاسلامي - الكويت - ١٤٠٥ هـ .
- \* صفوة الآثار والمفاهيم  
من تفسير القرآن العظيم  
عبد الرحمن الدوسري ، مكتبة دار الأرقم بالكويت  
عام ١٤٠١ هـ .
- \* الضعفاء الكبير  
العقيلي ، أبو جعفر محمد بن عمرو ( ت ٣٢٢ هـ )  
تحقيق / د . عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب  
العلمية بيروت ، ط ١ - ١٤٠٤ هـ .
- \* ضعيف الجامع الصغير  
للسيوطي  
محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي  
بيروت ، ط ٢ - ١٣٩٩ هـ .
- \* ضوء الساري إلى معرفة  
رؤية الباري  
أبو شامة - عبد الرحمن بن اسماعيل ( ت ٦٦٥ هـ )  
تحقيق : أبو البيان محمد صديق الرحمان ( رسالة  
ماجستير ، اشرف عبد الله الغنيمان ، الجامعة  
الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٤ هـ .
- \* طبقات الشافعية  
الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم ( ت ٧٧٢ هـ )  
تحقيق / عبد الله الجبوري ، مطبعة الارشاد  
بغداد ( ١٣٩١ هـ ) .
- \* طبقات الشافعية  
ابن قاضي شهبه - أبو بكر بن أحمد الدمشقي  
( ت ٨٥١ هـ ) ، تصحيح / د . عبد العليم خان  
دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد .
- \* طبقات الشافعية الكبرى  
تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين  
السبكي ، دار المعرفة بيروت ، ط ٢ .
- \* طبقات الشعراء  
ابن المعتز ، تحقيق / عبد الستار أحمد فراج  
دار المعارف بمصر ، ط ٣ .
- \* طبقات فحول الشعراء  
الجمحي - محمد بن سلام ( ت ٢٣١ هـ ) مطبعة  
المدني . القاهرة .

- \* الطبقات الكبرى ابن مسعود - محمد . ( ت ٢٣٠ ) ، طبعة دار بيروت للنشر ١٣٩٨ هـ .
- \* طبقات المفسرين الداودي : محمد بن علي بن أحمد ( ت ٥٩٤ هـ ) دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ عام ١٤٠٣ هـ .
- \* طبقات المفسرين السيوطي : جلال عبدالرحمن ( ت ٩١١ هـ ) تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة سنة ١٣٨٦ هـ .
- \* طرح التثريب في شرح التقریب زين الدين العراقي ، دار احياء التراث العربي بيروت .
- \* ظلال القرآن سيد قطب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ط ٧ سنة ١٣٩٠ هـ .
- \* ظهرا الإسلام أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط ٥ - ١٩٨٢ م .
- \* العظمة (جزء منه) أبو الشيخ الأصفهاني ، عبدالله بن محمد ( ت ٣٦٩ ) ، تحقيق : رضاء الله محمد ادريس رسالة ماجستير ، اشراف د . علي بن محمد ناصر فقيهي ، الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ .
- \* كتاب العظمة أبو الشيخ الأصفهاني ، عبدالله بن محمد ( ت ٣٦٩ هـ ) نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية ، من نسخة طوبقاب سراي بتركيا ( ) ومن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ( ) .
- \* العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ( شر الدرر السنّية في عقد أهل السنة المرضية ) أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي ( القطري ) ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- \* العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين الفاسي : تقي الدين محمد بن أحمد ( ت ٨٣٢ هـ ) تحقيق : فؤاد سيد . القاهرة ١٣٨٧ هـ .
- \* العقيدة الإسلامية بين السلف والمعتزلة محمود أحمد خفاجي ، مطبعة الإمامة .
- \* العقيدة الطحاوية الطحاوي - أبو جعفر أحمد بن محمد ( ت ٣٢١ هـ ) شرح / محمد ناصر الدين الألباني ، ط ١ ( ١٣٩٨ هـ ) .
- \* العلو للعلی الغفار الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ( ٧٤٨ هـ ) مطبعة العاصمة القاهرة ، ط ٢ - ١٣٨٨ هـ .

- \* عمدة الحفاظ فى تفسير  
أشرف الألفاظ  
ابن السمين الحلبي : أحمد بن يوسف  
تحقيق / طلال بن مصطفى عرقسوس (رسالة  
ماجستير ) ، الجامعة الإسلامية عام ١٤٠١ هـ .
- \* العمدة فى غريب  
القرآن  
مكى بن أبى طالب القيسى ( ت ٤٣٧ هـ ) تحقيق :  
د . يوسف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة  
ط ٢ ، عام ١٤٠٤ هـ .
- \* كتاب العين  
الخليل بن أحمد الفراهيدى النحوى ( ت ١٧٥ هـ )  
تحقيق : د . مهدي المخزومي ، د . ابراهيم  
السامرائي ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية  
العراقية .
- \* عيون الأثر فى فنون  
المغازى والشمائل والسير  
ابن سيد الناس - أبو الفتح محمد بن محمد  
( ت ٧٣٤ هـ ) ، دار الآفاق الجديدة عام  
١٤٠٢ هـ .
- \* عيون الأخبار  
ابن قتيبة - عبد الله بن مسلم الدينورى  
( ت ٢٧٦ هـ ) ، دار الكتاب العربى بيروت .
- \* غاية النهاية فى طبقات  
القراء  
ابن الجزرى - أبو الخير محمد بن عبد الرحمن  
( ت ٨٣٣ هـ ) ، تحقيق : ج برجستراسر  
دار الكتب العلمية بيروت .
- \* غريب الحديث  
أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى ( ت ٢٢٤ هـ )  
طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية  
حيدرآباد ، دار الكتاب العربى ، بيروت  
١٣٩٦ هـ .
- \* الفائق فى غريب الحديث  
الزمخشري جار الله محمود بن عمر ( ت ٥٣٨ هـ )  
تحقيق / على محمد الجاوى ، ومحمد أبو الفضل  
ابراهيم ، مطبعة عيسى البابى الحلبي بمصر  
ط ٢ .
- \* فتح البارى فى شرح  
صحيح البخارى  
ابن حجر العسقلانى - أحمد بن على ( ت ٨٥٢ هـ )  
تحقيق / عبد العزيز بن باز ، نشر وتوزيع دار الافتاء  
بالميناء .
- \* فتح القدير  
ابن الهمام الحنفى ، محمد بن عبد الواحد  
( ت ٦٨١ هـ ) ، معه شرح العناية وحاشية  
حلبى ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .
- \* الفتح السماوى فى تخريج  
أحاديث البيضاوى  
المنافى ، محمد عبدالرؤوف ، نسخة مصورة بمكتبة  
الشيخ حماد الأنصارى تحت رقم ٣٣٠ .

- \* الفتح المبين فى طبقات  
الأصوليين المرافى ، عبدالله مصطفى ، ط محمد أمين  
دمج بيروت ، ١٣٩٤ هـ .
- \* الفتوى الحموية الكبرى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ت ٧٢٨ هـ ) المطبعة  
السلفية بالقاهرة ، ط ٣ - ١٣٩٨ هـ .
- \* الفرق بين الفرق البغدادي عبدالقاهر بن طاهر ( ت ٤٣٩ هـ )  
تحقيق : محمد محى الدين ، دار المعرفة بيروت .
- \* الفوائد البهية فى تراجم  
الحنفية محمد عبدالحشى اللكنوى ، دار المعرفة  
للطباعة والنشر ، بيروت .
- \* فيض القدير شرح الجامع  
الصغير المناوى - محمد عبدالرؤوف ، دار المعرفة  
بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ .
- \* القاموس المحيط الفيروز آبادى - مجد الدين ( ت ٨١٧ هـ )  
مطبعة السعادة بمصر .
- \* قبضة البيان فى ناسخ  
ومنسوخ القرآن البذورى - أبو القاسم جمال الدين بن عبدالرحمن  
( رواية ابن جوزى ) ، تحقيق / زهير الشاويش  
ومحمد كنعان ، المكتب الاسلامى ، ط ١ عام  
١٤٠٤ هـ .
- \* القراءات فى تفسير الشوكانى أحمد عبدالله المقرئ ( رسالة ماجستير ) ، تحت  
اشراف عبدالقادر شيبه الحمد ، الجامعة  
الإسلامية ، عام ١٤٠٤ هـ .
- \* القراءة خلف الامام البيهقى - أبو بكر أحمد بن الحسين ( ت ٤٥٨ هـ )  
تخريج وتصحيح : محمد السعيد بن بسيونى  
زقلول ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ عام  
١٤٠٥ هـ .
- \* القول الشافى فى تفسير  
المعوذتين محمد الخضرى ، مطبعة المتوكل بمصر ، ط ١ عام  
١٣٦٧ هـ .
- \* الكافى الشافى فى تخريج  
أحاديث الكشاف ابن حجر العسقلانى ( ت ٨٥٢ هـ ) ، مطبوع  
فى آخر الكشاف ، دار المعرفة بيروت .
- \* الكامل المررد ، محمد بن يزيد ( ت ٢٨٦ هـ ) ، تحقيق :  
محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة ، دار  
النهضة بمصر .
- \* الكامل فى التاريخ ابن الأثير الجزرى . أبو الحسن على بن محمد  
( ت ٦٣٠ هـ ) ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .

- \* الكامل في ضعفاء الرجال  
ابن عدى . أبو أحمد عبدالله بن عدى الجرجاني  
( ت ٣٦٥ هـ ) ، دار الفكر بيروت ، ط ١ - ١٤٠٤ هـ .
- \* الكتاب  
سيبويه ، عمرو بن عثمان ( ١٨٠ هـ ) ، تحقيق :  
عبد السلام هارون ، عالم الكتب بيروت .
- \* الكشاف عن حقائق التنزيل  
الزمخشري ، في هامشه :  
الانتصاف لابن المنير .  
حاشية عليان المزروعى .  
مشاهد الانتصاف .  
دار المعرفة ، بيروت .
- \* الكشاف عن حقائق التنزيل  
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل  
الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر ( ت ٥٣٨ هـ )  
وفى هامشه :  
الانتصاف لابن المنير .  
الكاف الشاف لابن حجر .  
حاشية الشيخ عليان .  
مشاهد الانتصاف له .  
مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٣٦٥ هـ .
- \* كشف الأستار عن زوائد  
الجزار على الكتب الستة  
الهيثمي - نور الدين علي بن أبي بكر ( ت ٨٠٧ هـ )  
تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة  
بيروت .
- \* كشف الخفاء ومزيل الإلباس  
عما اشتهر من الأحاديث على تصحيح وتعليق / أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة  
بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .
- \* كشف الظنون عن أسامي  
الكتب والفنون  
حاجي خليفة - مصطفى بن عبدالله ، مكتبة  
المثنى ببغداد .
- \* الكشاف عن وجوه القراءات  
السبع وعللها وحججها  
مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د . محي الدين  
رمضان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٤ هـ .
- \* الكشاف والبيان عن تفسير  
القرآن  
الثعلبي ، أبو اسحاق أحمد بن ابراهيم ( ت ٤٢٧ هـ )  
نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية  
تحت رقم ٢٧٥٥ .
- \* الكواشف الجلية عن  
معاني الواسطية  
عبد العزيز محمد السلطان ، رابطة العالم الإسلامي  
مكة ، ط ٤ .
- \* الكواكب النيرات في معرفة  
من اختلط من الرواه والثقات  
ابن الكيال - أبو البركات محمد بن أحمد  
( ت ٩٣٩ هـ ) ، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي  
دار المأمون للتراث ، ط ١ - ١٤٠١ هـ .

- \* اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعية  
السيوطى - جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر  
( ت ٩١١ هـ ) ، دار المعرفة بيروت ، ط ٣  
١٤٠١ هـ .
- \* لباب التأويل فى معانى التنزيل ( تفسير الخازن )  
الخازن / على بن محمد بن ابراهيم البغدادى  
( ت ٧٢٥ هـ ) ، وبها مشه تفسير البغوى  
مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ، ط ٢  
١٣٧٥ هـ .
- \* لباب النقول فى أسباب النزول  
السيوطى - جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر  
( ت ٩١١ هـ ) ، دار احياء العلوم بيروت ط ٣  
١٤٠٠ هـ .
- \* اللباب فى تهذيب الأنساب  
ابن الأثير الجزرى ، دار صادر بيروت .
- \* لسان العرب  
ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم  
دار صادر بيروت .
- \* لسان الميزان  
ابن حجر العسقلانى ( ت ٨٥٢ هـ ) ، مؤسسة  
الأعلى للطبوعات بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ .
- \* لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية  
السفارينى - محمد بن أحمد ، مطبعة المدنى  
بمصر .
- \* مالك و متمم ابنا نوية اليربوعى  
ابتسام مرهون الصغار ، مطبعة الارشاد بغداد  
١٩٦٨ م .
- \* مباحث فى علوم القرآن  
د . صبحى الصالح ، دار العلم للملايين بيروت  
ط ٩ ، ١٩٧٧ م .
- \* المبسوط  
السرخسى شمس الدين محمد بن أحمد ( ت ٤٩٠ هـ )  
مطبعة السعادة بمصر ، عام ١٣٢٤ .
- \* مجاز القرآن  
أبو عبيدة معمر بن المثنى ( ت ٢١٠ هـ ) تحقيق :  
د . فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة .
- \* مجالس ثعلب  
أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق : عبدالسلام  
هارون ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ .
- \* المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين  
ابن حبان - أبوحاتم البستي ( ت ٣٥٤ هـ )  
تحقيق : محمود ابراهيم زايد ، دار المعرفة  
بيروت .
- \* مجمع الأمثال  
الميدانى ، أحمد بن محمد النيسابورى ( ت ٥١٨ هـ )  
دار القلم بيروت .



- \* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد  
الهيثمي - نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)  
دار الكتاب العربي بيروت ، ط ٣ - ١٤٠٢ هـ .
- \* مجمل اللغة  
أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)  
تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة  
ط ١ - ١٤٠٤ هـ .
- \* مجموع فتاوى شيخ الاسلام  
ابن تيمية  
جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم  
النجدي ، توزيع دار الافتاء بالرياض .
- \* المجموع في شرح المذهب  
للشيرازي النووي ، أبو كزيبا يحيى بن شرف (ت ٦٧١ هـ)  
تحقيق وتعليق : محمد نجيب المطيعي ، نشسر  
مكتبة الارشاد بجدة .
- \* مجموعة الرسائل الكبرى  
شيخ الاسلام ابن تيمية ، مطبعة محمد علي صبيح  
القاهرة .
- \* مجموعة الرسائل المنيرية  
ادارة الطباعة المنيرية ، ١٣٤٣ هـ .
- \* المحتسب في تبين وجوه  
شواذ القراءات والإيضاح  
عنها  
ابن جنى - أبو الفتح عثمان ، تحقيق : علي النجدي  
ناصر ، د . عبد الفتاح - اسماعيل شلبي  
المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ، ١٣٨٩ هـ .
- \* المحرر الوجيز في تفسير  
الكتاب العزيز (تفسير  
ابن عطية)  
عبد الحق بن عطية أبو محمد الأندلسي  
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالمغرب .
- \* المحكم والمحيط الأعظم  
في اللغة  
ابن سيدة ، علي بن اسماعيل (ت ٤٨٥ هـ) تحقيق :  
مصطفى السقا ، ود . حسين نصار ، مطبعة  
مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط ١ عام ١٣٧٧ هـ .
- \* المحلى  
ابن حزم ، علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)  
مكتبة الجمهورية العربية بمصر ، ١٣٨٣ هـ .
- \* مختصر الصواعق المرسله  
لابن القيم ، محمد بن الموصلي دار الكتب العلمية  
بيروت ، ط ١ - ١٤٠٥ هـ .
- \* مختصر العلو للعلو الغفار  
محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي  
بيروت ، ط ١ - ١٤٠١ هـ .
- \* مختصر شواذ القرآن من  
كتاب البديع  
ابن خالويه ، تحقيق : ج برجستراسر  
المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٣٤ م .
- \* مختصر قيام الليل  
للمروزي (ت ٢٩٤ هـ)  
لأحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥ هـ) ، حديث  
اكاد مي فيصل آباد ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .

- \* المخصص  
ابن سيده . على بن اسماعيل ( ت ٤٨٥ هـ )  
المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، ط ١ عام ١٣٢٠ هـ .
- \* مدارك التنزيل وحقائق التأويل ( تفسيرالنسفي )  
النسفي - أبو البركات عبد الله بن أحمد  
المكتبة الأموية بيروت .
- \* المدخل لدراسة القرآن والسنة  
د . شعبان اسماعيل محمد ، دار الأنصار  
القاهرة ، عام ١٤٠٠ هـ .
- \* المدرسة السلفية وموقف رجالها من علم الكلام  
د . محمد عبدالستار أحمد نصار ، دار الأنصار  
بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ .
- \* المدونة الكبرى  
سحنون : عبدالسلام بن سعيد ( ت ٢٤٠ هـ )  
مصورة عن طبعة مطبعة السعادة بمصر ، دار صادر  
بيروت .
- \* مرآة الجنان  
اليافعي عبد الله بن أسعد ( ٧٦٨ هـ ) ، مؤسسة  
الأعلمى للطبوعات بيروت ، ١٣٩٠ هـ .
- \* مراح لبيد ( تفسير النواوي )  
محمد النواوي الجاوي ، دار احياء الكتب العربية  
بالقاهرة .
- \* مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع  
ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن ( ت ٥٧١ هـ )  
تحقيق / علي محمد الجاوي ، دار احياء  
الكتب العربية القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .
- \* مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح  
علي بن سلطان محمد القاري ( ١٠١٤ هـ ) ، المكتبة  
الامدادية باكستان .
- \* المستدرك على الصحيحين  
الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله ( ت ٤٠٥ هـ )  
في هامشه تلخيص المستدرك للذهبي ، دار الفكر  
بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
- \* المستفاد من ذيل تاريخ بغداد .  
لابن النجار بن الدمياطي ، أحمد بن أيك الحسيني  
( ت ٧٤٩ هـ ) ، ت : د . قيصر أبوقدح ، طبعة  
مصورة من طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند .
- \* المستصفي من علم الأصول  
أبو حامد الغزالي - محمد بن محمد ، معه كتاب  
فواتح الرحموت لعبد العلي الأنصاري ، المطبعة  
الأميرية ببولاق مصر ، سنة ١٣٢٢ هـ ، ط ١ .
- \* المسند  
أبو داود الطيالسي ، سليمان بن داود ( ت ٢٠٤ هـ )  
طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية  
حيد آباد ، ١٣٠٢ هـ .

- \* المسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ )  
المكتب الاسلامي بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ .
- \* المسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ )  
تحقيق وتعليق / أحمد محمد شاکر ، دارالمعارف  
بمصر ، ط ٤ ، ١٣٧٣ هـ .
- \* المسند الزا - أبوبكر أحمد بن عمرو ( ت ٢٩٢ هـ )  
نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة  
الاسلامية بالمدينة برقم ٨٠٤ ، ١٩٠٧ هـ .
- \* مشكل الآثار الطحاوي ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة  
( ت ٣٢١ هـ ) ، دائرة المعارف العثمانية  
حيد آباد ، ١٣٣٣ هـ .
- \* مشكل اعراب القرآن مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : ياسين  
محمد السواس ، مجمع اللغة العربية بدمشق  
عام ١٣٩٤ هـ .
- \* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الفيومي ، أحمد بن محمد المقرئ ( ت ٧٧٠ هـ )  
المكتبة العلمية بيروت .
- \* المصنف ابن أبي سية ، أبوبكر عبد الله بن أحمد  
( ت ٢٣٥ هـ ) ، الدار السلفية بومباي .
- \* المصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني ( ت ٢١١ هـ )  
تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب  
الاسلامي بيروت ، ١٣٩٢ هـ .
- \* معالم التنزيل ( تفسير البغوي )  
البغوي : أبو محمد حسين بن مسعود الفراء  
( ت ٥١٦ هـ ) ، تحقيق خالد عبد الرحمن  
العك ، ومروان سوار ، دار المعرفة بيروت  
عام ١٤٠٦ هـ .
- \* معالم التنزيل البغوي : أبو محمد حسين بن مسعود الفراء  
( ت ٥١٦ هـ ) ، المطبوع بها مش تفسير  
الخازن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر  
ط ٢ عام ١٣٧٥ هـ .
- \* معالم السنن الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد ( ت ٣٨٨ هـ )  
المكتبة العلمية بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ .

- \* معانى القرآن  
الفراء - أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ)  
عالم الكتب بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- \* معانى القرآن  
الأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ)  
تحقيق / د . فائز فارس ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ .
- \* المعجزة الكبرى القرآن  
محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
- \* معجم الأدباء  
ياقوت الحموى ، أبو عبد الله الرومى (ت ٦٢٦ هـ)  
دار المأمون .
- \* معجم البلدان  
ياقوت الحموى ، أبو عبد الله الرومى (ت ٦٢٦ هـ)  
دار صادر بيروت .
- \* معجم الشعراء  
المرزبانى - أبو عبد الله محمد بن عمر  
تحقيق / عبدالستار أحمد فراج ، دار احياء  
الكتب العربية ، ١٣٧٩ هـ .
- \* المعجم الصغير  
الطبرانى ، أبو القاسم سليمان بن أحمد  
( ت ٣٦٠ هـ ) ، دار الكتب العلمية بيروت  
١٤٠٣ هـ .
- \* معجم قبائل العرب  
عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- \* المعجم الكبير  
الطبرانى - أبو القاسم سليمان بن أحمد  
( ت ٣٦٠ هـ ) ، تحقيق : حمدى عبد المجيد  
السلفى ، دار العربية للطباعة : بغداد .
- \* معجم مقاييس اللغة  
ابن فارس ، أحمد بن فارس ( ت ٣٩٥ هـ )  
تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى  
الباي الحلبي بمصر . ، ط ٢ .
- \* معجم ما استعجم  
البكرى ، عبد الله بن عبد العزيز ( ت ٤٨٧ هـ )  
تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب بيروت .
- \* معجم المؤلفين  
عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى بيروت .
- \* المترجم من الكلام الأعجمى  
أبو منصور الجوالقي - موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠ هـ)  
تحقيق : أحمد محمد شاکر ، طهران ١٩٦٦ م .
- \* معرفة القراء الكبار على  
الطبقات والأعصار  
الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)  
تحقيق / محمد سيد جاد الحق ، دار التأليف  
بالقاهرة ، ط ١ .

- \* معرفة الناسخ والمنسوخ  
ابن حزم الأندلسي - علي بن أحمد  
( ت ٤٥٦ هـ ) ، المطبوع على هامش تنوير  
المقياس في تفسير ابن عباس ، لأبي طاهر  
الفيروز أبادي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة  
١٣٨٠ هـ .
- \* المحلقات السبع  
( مع شرح الزوزني )  
دار الكتب العلمية بيروت ، عام ١٣٩٨ هـ .
- \* المغني  
ابن قدامة ، أبو محمد عبدالله بن أحمد  
( ت ٦٢٠ هـ ) ، توزيع دار الافتاء بالرياض .
- \* المغني في ضبط أسماء  
الرجال  
محمد طاهر بن علي الهندس ( ت ٩٨٦ هـ )  
دار الكتاب العربي بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
- \* مفتاح السعادة ومصباح  
السيادة في موضوعات  
العلوم  
طاش كبرى زادة ، أحمد بن مصطفى ، دار  
الكتب العلمية بيروت ، ط ١ - ١٤٠٥ هـ .
- \* المفردات في غريب  
القرآن  
الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد  
( ت ٥٠٢ هـ ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني  
دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .
- \* المفسرون بين التأويل  
والاثبات في آيات  
الصفات  
محمد بن عبدالرحمن المقراني ، دار طيبة  
الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- \* المفضليات  
أبو العباس المفضل بن محمد الضبي  
المطبعة الرحمانية بمصر ، ط ( ) ١٣٤٥ هـ .
- \* المقاصد الحسنة في  
بيان كثير من الأحاديث  
المشتهرة على الألسنة  
السخاوي / أبو الخير محمد بن عبدالرحمن  
( ت ٩٠٢ هـ ) ، دار الكتب العلمية بيروت  
ط ١ ، ١٣٩٩ هـ .
- \* مقالات الاسلاميين  
واختلاف المصلين  
أبو الحسن الأشعري ، علي بن اسماعيل  
( ت ٣٢٤ هـ ) تصحيح / هلموت ريتز ، دار  
احياء التراث العربي ، بيروت .
- \* مقتبس الأثر ومجدد ما دبر  
محمد حسين سليمان الأعلمي ، دائرة المعارف  
مطبعة قم ١٣٨٦ هـ .
- \* المقدمة  
ابن خلدون ، دار المعرفة بيروت .

- \* مقدمة التفسير  
الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد  
( ت ٥٠٢ هـ ) ، المطبوع في آخر تنزيه القرآن  
عن المطاعن ، المكتبة الأزهرية القاهرة ، ١٣٢٩ هـ .
- \* مقدمة في أصول  
التفسير  
شيخ الاسلام ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم  
( ت ٧٢٨ هـ ) ، تحقيق : عدنان زرزور ، مؤسسة  
الرسالة بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ .
- \* الملل والنحل  
للشهرستاني - محمد بن عبد الكريم ( ت ٥٤٨ هـ )  
تحقيق / محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت .
- \* مناهل العرفان في  
علوم القرآن  
محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار احياء الكتب  
العربية بالقاهرة .
- \* منزلة السنة في الاسلام  
الألباني ، محمد ناصر الدين ، دار السلفية  
الكويت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ .
- \* منهاج السنة  
لشيخ الاسلام ابن تيمية ( ت ٧٢٨ هـ ) ، تحقيق :  
محمد رشاد سالم ، مطبعة المدني بالقاهرة .
- \* منهج ابن القيم في  
التفسير  
السنباطي - محمد أحمد ، الهيئة العامة  
لشئون المطابع الأميرية ، ١٣٩٣ هـ .
- \* منهج الزمخشري في  
تفسره وبيان المجازة  
د . مصطفى الصاوي الجويني ، ط ٢ ، دار  
المعروف بمصر .
- \* منهج المدرسة العقلية  
الحديثة في التفسير  
فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مؤسسة  
الرسالة بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
- \* منهج ودراسات لآيات  
الأسماء والصفات  
محمد أمين الشنقيطي ، دار السلفية ، الكويت  
ط ٤ ، ١٤٠٤ هـ .
- \* المواقف في علم الكلام  
عبد الرحمن بن أحمد الايجي ، مكتبة المتنبي  
القاهرة .
- \* موارد الظمان في  
زوائد ابن حبان  
الهيثمي - نور الدين علي بن أبي بكر ، تحقيق :  
محمد عبدالرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية  
بيروت .
- \* المؤلف والمؤلف  
الآمدى ، أبو القاسم الحسن بن بشر ( ت ٣٧٠ هـ )  
تحقيق / عبدالستار أحمد فراج ، مطبعة عيسى  
البابي الحلبي بمصر ، ١٣٨١ هـ .

- \* الموطأ  
الإمام مالك بن أنس ( ت ١٧٩ هـ ) ، وفى  
هامشه شرحه تنوير الحوالك للسيوطى ، مطبعة  
مصطفى البابى الحلبي ، ١٣٧٠ هـ .
- \* الموضوعات  
ابن الجوزى ، أبو الفرج عبدالرحمن بن على  
( ت ٥٩٧ هـ ) ، تحقيق / عبدالرحمن محمد  
عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة ، ط ١ ، ١٣٨٦ هـ .
- \* موقف المعتزلة من السنة  
النبوية ومواطن انحرافهم  
أبوليابة حسين ، دار اللواء الرياض ، ١٣٩٩ هـ .
- \* المهدب فى القراءات  
الحشر  
محمد محمد سالم محيسن ، مكتبة الكليات الأزهرية  
عام ١٣٨٩ هـ .
- \* ميزان الاعتدال فى  
نقد الرجال  
الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان  
( ت ٧٤٨ هـ ) ، تحقيق / على محمد البجاوى  
ط : المعرفة بيروت .
- \* ناسخ القرآن ومنسوخه  
ابن البازرى ( ت ٧٣٨ هـ ) ، تحقيق : د . صالح  
الضامن ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، عام ١٤٠٣ هـ .
- \* الناسخ والمنسوخ  
ابن سلامة ، هبة الله ( ت ٤٩٠ هـ ) ، طبع  
بمصر ١٣٨٧ هـ .
- \* الناسخ والمنسوخ  
النحاس - أبو جعفر ( ت ٣٢٨ هـ ) مطبعة  
السعادة ، ٢٣٢٣ هـ .
- \* النجوم الزاهرة فى  
ملوك مصر والقاهرة  
جمال الدين يوسف بن ثغرى بردى الأتابكى  
( ت ٨٧٤ هـ ) ، المؤسسة المصرية العامة .
- \* النشر فى القراءات العشر  
ابن الجزرى - أبو الخير محمد بن عبدالرحمن  
( ت ٨٣٣ هـ ) ، دار الكتب العلمية بيروت .
- \* نصب الراية لأحاديث  
الهدايسة  
الزيلعى ، جمال الدين أبو محمد عبداللـه  
ابن يوسف ( ت ٧٦٢ هـ ) ، المكتب الاسلامى  
بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ .
- \* النكت والعيون ( تفسير  
الماوردى )  
الماوردى ، على بن حبيب ( ت ٤٥٠ هـ ) ، تحقيق :  
خضر محمد خضر ، وزارة الأوقاف والشئون  
الاسلامية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .

- \* النوادر في اللغة  
أبو زيد الأنصاري ، تحقيق : د . محمد عبد القادر أحمد ، دار الشرق ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
- \* نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول  
الحكيم الترمذي ، محمد بن علي ( ت نحو ٣٢٠ هـ )  
دار صادر بيروت .
- \* نواسخ القرآن  
ابن الجوزي - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي  
( ت ٥٩٢ هـ ) ، تحقيق : محمد أشرف الملباري  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط ١ ، عام  
١٤٠٤ هـ .
- \* النهاية في غريب الحديث والأثر  
ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات ( ت ٦٠٦ هـ )  
تحقيق / محمود محمد الطناحي ، دار احياء التراث العربي .
- \* الواحدى ومنهجه فى التفسير  
د . جودة محمد المهدي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر .
- \* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان  
ابن خلكان ، أحمد بن محمد ( ت ٦٨١ هـ )  
تحقيق : محمد احسان عياس ، دار صادر بيروت .
- \* الهداية  
المرغيناني ، علي بن أبي بكر الرشداني ( ت ٥٩٣ هـ )  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- \* هدى السارى ( مقدمة فتح البارى )  
ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ( ت ٨٥٢ هـ )  
دار الافتاء بالرياض .
- \* همع الهوامع شرح جمع الجوامع  
السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر  
( ت ٩١١ هـ ) ، دار المعرفه بيروت .